دير القديس أنبا مقار

الرَّهبَنةُ القِبطِيّةُ

في عصر القديس أنبا مقار

الأب متى المِسكين

اهداءات ٢٠٠٢

القمص/ متي المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرهبنة القبطية

في عصر القديس أنبا مقار

حياة القديس أنبا مقار، منهجه الروحي، تاريخ ديره على ممر العصور مع دراسة شاملة لرهبنة نتريا والقلالي وشيهيت وشرح حياة وتعليم أشهر قديسيها الذين عاصروا القديس أنبا مقار وتتلمذوا عليه.

الأب متى المسكين

كتاب: **الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار**
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى: ١٩٧٢
الطبعة الثانية (مزيدة): ١٩٨٤
الطبعة الثالثة: (مزيدة) ١٩٩٥
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون.
ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٤/٢٨٧٧
الترقيم الدولي: ٣– ٠١٦– ٤٤٨– ٩٧٧



صورة للسيدة العذراء تتقبل البشارة وبيدها المغزل

التقطت من مقبب في أعلى حائط هيكل يوحنا المعمدان بكنيسة أنبا مقار بيد الرسام الفرنسي

P. H. Laferiére انظر الصورة الأصلية في اللوحات المنشورة في آخر الكتاب (لوحة رقم٦٣).

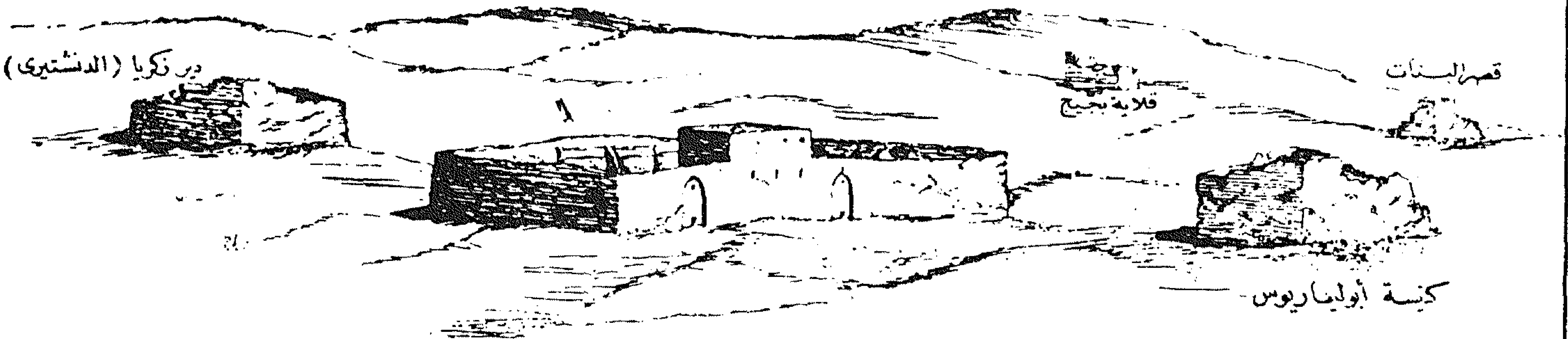


صورة مكبرة للشاروبيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته. وهي موجودة بالركن الشرقي البحري لهيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة.



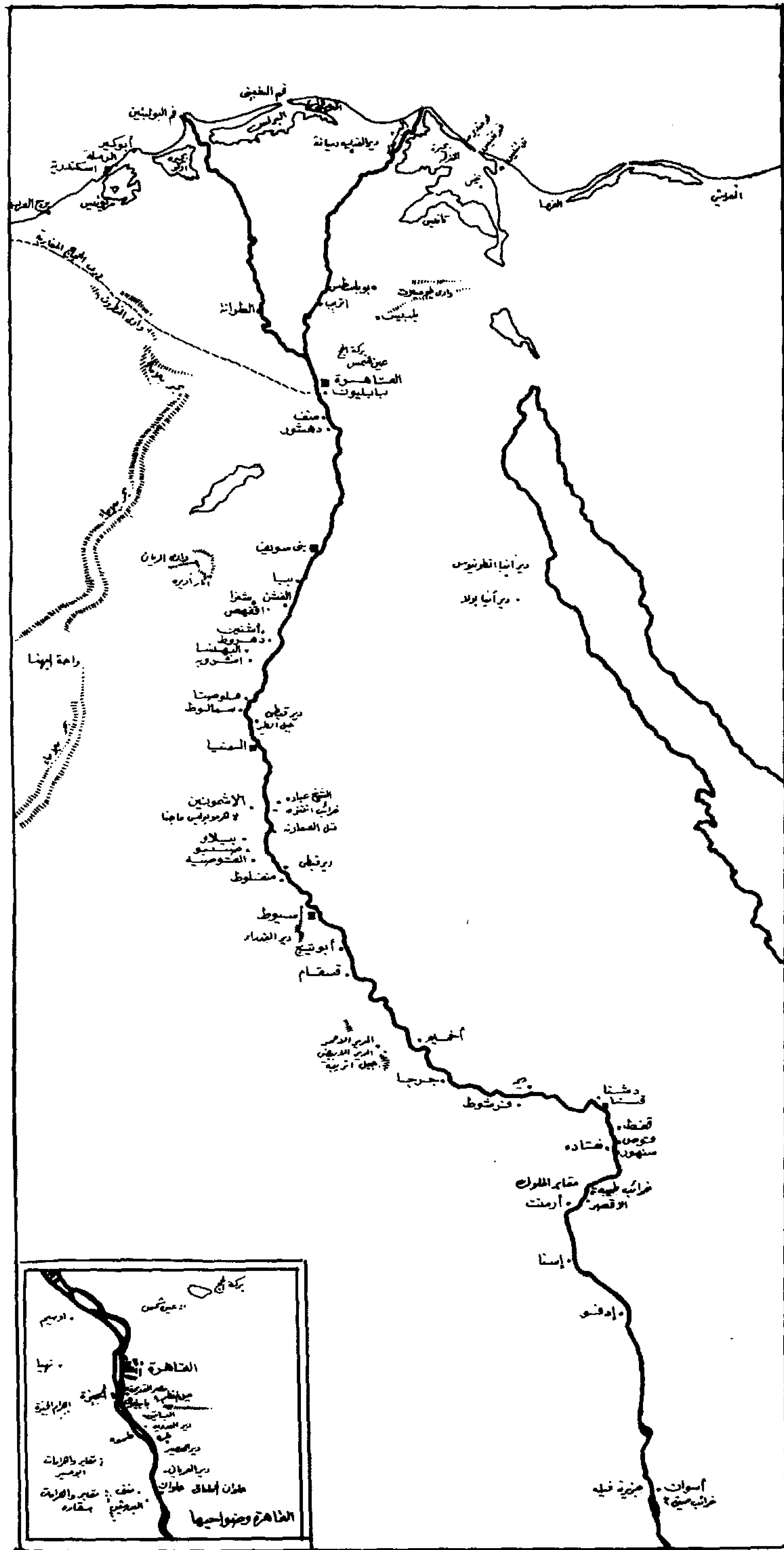
صورة الأب المضيء أنبا مقار اللابس الروح أب آباء رهبان شيهيت، صديق الشاروبيم

(ميلاده عام ٣٠٠م - نياحته ٢٧ برمهات / ٥أبريل سنة ٣٩٠م)



دير القديس أنبا مقار

برسم ألفريد بطلر سنة ١٨٨٥م، و يظهر في الرسم أربعة مانشوبيات مجاورة كانت في حالة جيدة نوعاً ما قبل انتزاع أسوارها. والتي في أقصى الشمال هي دير زكريا (الدنشتيري).

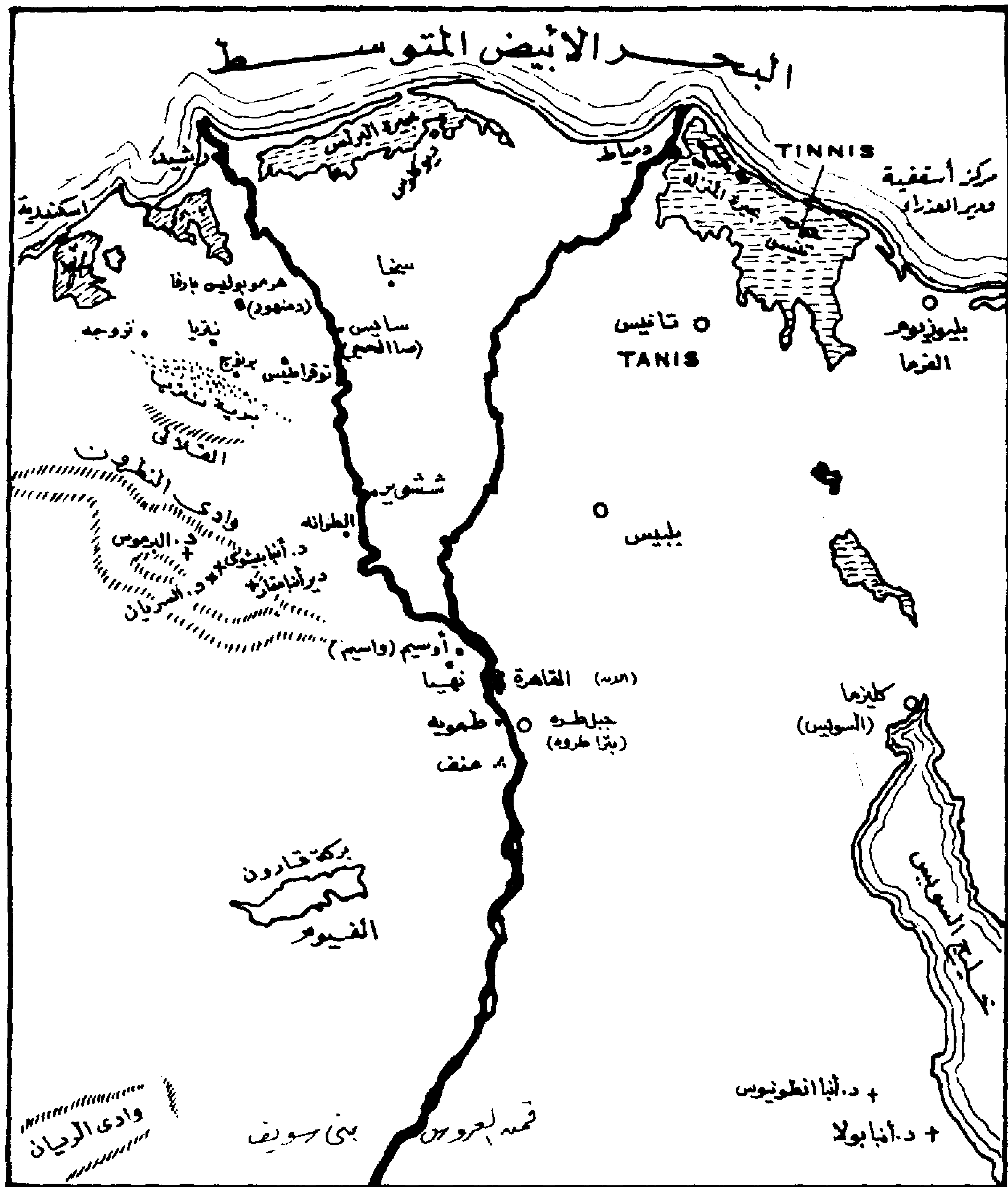


خريطة رقم (١):

خريطة وادي النيل يظهر فيها مجموعة الأديرة القبطية التي كانت عامرة في الصعيد وذلك في العصر البيزنطي قبل دخول العرب.

خريطة رقم (٢):

خريطة هامة تبين مواقع برية نتريا والقلالي وهي تعتبر أول خريطة ظهرت في العالم وعليها توقيعات محددة جغرافياً لبرية نتريا والقلالي، وهي من وضع المؤلف وبحسب الأبحاث الطوبوغرافية التي تمت على الطبيعة ومن واقع الآثار التي اكتشفت حديثاً. كما يظهر فيها قناة نوقراطيس، الممر المائي الوحيد الذي كان يربط النيل بالإسكندرية، وهو يظهر هنا لأول مرة على خريطة.



خريطة رقم (٣):

خريطة هامة توضح موقع مدينة ديوكلوس على بحيرة البرلس وكانت ميناء ومركز أديرة وهي التي نزل بها كاسيان وزار متوحدي أديرتها وعلى رأسهم القديس شيرامون. كما توضح مدن تانيس وتنيس المهمتين وكانت الأولى وسط إقليم خصيب ومركز أديرة، ومدينة البلزيوم (الفرما ـــ قرية بالوظة الآن)، وكانت مركز أديرة كان برصنوفيوس أشهر متوحديها.

خريطة رقم (٤):

خريطة توضح وادي النطرون ومواقع الأديرة الحالية فيه كما توضح مواضع الأديرة التي تخربت وتنتظر يوم تجديدها. وفيها أيضاً بئر هوكر وهو الرجل الإنجليزي الذي على اسمه تسمت «الهوكارية» الآن.

خريطة رقم (٥):

خريطة تبين مواقع البراري التي كانت عامرة بأديرة الرهبان في عصورها الأولى المزدهرة وتظهر فيها برية أنبا أنطونيوس على البحر الأحمر، ثم برية شيهيت (الإسقيط)، والقلالي، ثم برية طبانسين (شينوفوسكيون و بافو) التي هي برية أنبا باخوم بجوار إسنا، ثم برية أنبا شنودة (الدير الأبيض والدير الأحمر) بجوار سوهاج. و يلاحظ أن معظم البلاد جاءت بأسمائها اليونانية التي اشتهرت بها في العالم آنئذ.

محتويـــات الكتـــاب

تمهيد

تمهيـــد

□□□

إن شغفنا الشديد بالتقليد الكنسي والتراث الأبوي الروحي هو الذي دفعنا للإتجاه الرهباني نستعرض من خلاله الحياة المسيحية كما عرفتها الكنيسة القبطية في عصورها الأولى، لا في صورة أبحاث لاهوتية أو تأملات في مواضيع كتابية، ولكن في اختبارات حية وعهود محبة عاشها القديسون تطبيقاً مباشراً لتعليم المسيح والرسل والأنبياء، فكانت حياتهم آيات من الإنجيل تعيش وتتكلم.

ونحن هنا في هذا الكتاب إزاء نماذج إنجيلية حية تخصصت في طاعة الكلمة طاعة مطلقة فتقدست وتخلدت في سجل التاريخ الكنسي. أما غرضنا الوحيد في عرض هذا التاريخ الإنجيلي الحي فهو رفع الإنجيل من مستوى الوعظ الكلامي، الذي أصبح سمة هذا العصر، إلى مستوى المعيشة الحرة الواعية المنطلقة من قيود المدنية الكاذبة التي كادت تخنق الكلمة، ظانين أننا بتقديم هذا الكتاب لشعبنا القبطي في هذا الوقت إنما ننبه فيه حاسة تقديس النفس لله والتبتل للكلمة الحية، بمعنى أن يستطيع القارىء أن يعطي حياته كلها لله وللإنجيل في أي صورة من صور العطاء تطبيقاً لدعوة الرسول: «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢كو٥: ١٥)

وإن سيرة القديس أنبا مقار التي يدور حولها الكتاب كله، بل وإن أي سيرة من سير القديسين العظام الذين استعرضنا حياتهم في هذا الكتاب تبدو عالية وعملاقة حقاً. ولكن أياً من هذه السير إذا تتبعناها في بدايتها لا نجدها إلا بسيطة، لا تعدو في صورتها الأولى أكثر من انطلاقة مجازفة شجاعة ساقت أقدام صاحبها الملتهب بالحب أو المثقل بهموم العالم أو غرور الغنى أو ثقل الضمير ليعبر المنطقة المنزرعة من وادي النيل ليتعمق في مجاهل الصحراء صوب الدير متطلعاً من وراء المجهول إلى الحياة الأبدية، إلى الأشياء التي لا تُرى، وهو لا يملك من الإستعدادات إزاء هذه الدعوة العليا سوى قلب ملتهب بحب مبهم نحو المسيح مشتهى كل نفس متعطشة نحو الخلود. و بقدر التعطش نحو المسيح كان دائماً الإرتواء، بالنسبة لكافة النساك، مهما كانوا بسطاء كقول المسيح نفسه: «إن عطش **أحد** فليُقبل إليَّ و يشرب.» (يو٧: ٣٧)

ولكن العجب العجاب الذي أدهش الكنيسة والعالم كله، أن هؤلاء البسطاء العطاش إلى البر النازحين من الريف وكلهم من مساكين الأرض وأغلبهم أُمّيون، وجدوا ما أرادوه وأكثر

و بلغوا إلى ما اشتهوه وأفضل، فشربوا وشربوا وارتووا من دسم حب السماء حتى خرجت من بطونهم أنهار ماء حي ــ كقول المسيح (يو٧: ٣٨)ــ روت الأجيال كلها في مصر وإلى ما وراء حدود مصر وحتى إلى أقطار العالم كله، فصارت حياتهم ككلمة الإنجيل ذاتها حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين تستطيع أن تبكت وتخترق أعماق الضمير حتى إلى مفرق النفس!!!

هذا بخصوص المادة الروحية في الكتاب، أما بخصوص المادة التاريخية فلا أجد نفسي أمام القارىء إلا خجلاً مما كتبت، فالموضوع كما انفتح أمامي هائل الحجم تغطي مساحته التاريخية ألفاً وستمائة من السنين، وإمكانياتى في المجال التاريخي تافهة. فأنا لست بمؤرخ بادىء ذي بدء، ثم إني لا أملك من اللغات والمراجع ما يؤهلني للاضطلاع بهذه المهمة التاريخية الباهظة. و بعد ذلك كله فالوقت ليس في صفي وكاهلي مثقل بأعباء ومهام كلها فوق قدراتى. وأخيراً فالذين يلحون عليَّ بإخراج الكتاب لم يمهلوني أكثر من خمسة شهور، وهذا نفسه لم يكن أقل من إلحاحي على نفسي بالكتابة بإحساس العرفان بالجميل والفضل للرهبنة التي سُقيتُ فيها علمَ معرفة الرب وحبه. لذلك أقدمت بالرغم من قصوري لتدوين هذا التاريخ، غير إني أعتبر هذا الكتاب بجملته ليس أكثر من بادئة تفتح مجالات البحث والتاريخ أمام من هم أقدر مني، فعسى أن يكون حافزاً للغيورين من الرهبان والعلمانيين للبدء بنهضة تاريخية كنسية تشمل تراثنا الروحي في كافة المجالات.

والكتاب يقتصر في بحثه الأساسي على تاريخ رهبنة شيهيت التي هي نفسها الرهبنة المقارية أولاً وآخراً منذ أن بدأت وحتى هذه الساعة. ثم سيلاحظ القارىء أنه كلما يتقدم الكتاب في السرد التاريخي كلما ينحصر أكثر في الجماعة المقارية أي التجمع الرهباني حول منطقة دير أنبا مقار، وانحصارنا في هذا الحيز التاريخي لا يأتى تعصباً منا لانتمائنا لدير أنبا مقار، وإنما يأتى أساساً بسبب أن الرهبنة المقارية في هذا الدير تحمل تاريخاً لا أخالني مبالغاً إذا قلت أنه كان الخلفية التي يتحرك في إطارها التاريخ الكنسي برمته وخصوصاً من جهة الحياة الروحانية عامة وأعمال البطاركة خاصة وسوف يرى القارىء على مدى الكتاب صدق هذه الحقيقة.

وننبه ذهن القارىء أننا جعلنا في نهاية الكتاب ثبتاً للمراجع التاريخية مع وصف للكتب التي استعنا بها وترجمة لحياة أشهر المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم، ثم جداول توضيحية تاريخية وإحصائية. كما قدمنا في البداية والنهاية خرائط ولوحات عديدة أغلبها ينشر لأول مرة وهي بحسب تقرير العالم الفرنسي الأب لروا P. Leroy تعتبر من أندر أنواع الصور التوضيحية في العالم التي تربط العهد القديم بالجديد، وهي قبطية صميمة تخلو من أي تأثر بالفن البيزنطي، صافية كروح الآباء الأقباط الذين عاشوها ورسموها. وهذه الصور هي عبارة عن مجموعة اللوحات الفنية المزين

بها كلٌّ من قبة هيكل أنبا مقار وهيكل يوحنا المعمدان بالدير. وهذا الفن القبطي هو الوحيد من نوعه في جميع كنائس مصر ودياراتها على وجه الإطلاق.

ولقد اعتنينا جداً بتقديم عدة خرائط منها ما يطابق العصور القديمة حيث تظهر بعض المواقع الجغرافية القديمة وفروع النيل القديمة والمدائن العتيقة جداً، ومنها ما يطابق العصور الرهبانية الأولى حتى القرن الرابع، ومنها ما يوضح دقائق جغرافية القاهرة وضواحيها. وكل ذلك نقدمه للقارىء القبطي حتى يتعرف على جغرافية بلاده على مدى العصور المختلفة ليكوِّن فكرة متسعة واضحة عن ميراث ترابه و بلاد آبائه ومواقع أديرته.

الأب متى المسكين

الباب الأول

فكرة تاريخية عامة عن نشأة الرهبنة

الفصل الأول

أصل الرهبنة

مصر مهد الرهبنة في العالم، وعن مصر أخذت جميع الدول الرهبنة كنظام شعبي وكنسي بآن واحد. وقد بدأت الرهبنة على يد القديس أنطونيوس سنة ٣٠٥م.، أما القديس باخوميوس فقد أسس أول دير له سنة ٣١٨م.(١). ولأن رهبنة القديس أنطونيوس كانت مصرية في منهجها أكثر من رهبنة باخوم، لذلك ظلت حية حتى اليوم تأخذ من البيئة المصرية وتعطيها دون أن تتآكل، بعكس الرهبنة الباخومية التي لم تدُم أكثر من قرن واحد.

والرهبنة كان أثرها قوياً وممتداً في عصورها الأولى المبكرة على الفكر المسيحي وعلى مسيحية الغرب بنوع أخص، فهي التي أعطت المسيحية في الغرب طبيعتها المركزية كمؤسسة حتى هذا اليوم. وقد حاولت الديموقراطيات الشعبية كسر هذا التمركز الصلب في وضعه الرهباني فلم تستطع أبداً؛ لذلك أصبح تاريخ الرهبنة جزءاً هاماً لا ينفصل عن تاريخ المسيحية في العالم كله حتى اليوم. ولكن بالنسبة للكنيسة القبطية فتاريخ الرهبنة يعتبر الخلفية الحية المحركة لكل أحداث الكنيسة وامتدادها وتطورها منذ القرن الرابع حتى اليوم.

ملامح الحياة الرهبانية الأولى قبل القديس أنطونيوس:

١ ــ منذ بداية المسيحية في مصر وبتأثير الإنجيل تأثيراً مباشراً(٢)، نشأت حاسة روحية نسكية عالية بين الأقباط باعتبار تغليب الإحساسات الروحية على الإحساسات الجسدية.

٢ ــ منذ القرن الأول ومن أيام الرسل اندفعت نماذج فردية وجماعية كثيرة لتقرير حياة نموذجية، فيها كان يعيش الفرد أو الجماعة في عزلة قريباً من البلاد، ولكن لم يكن هناك منهج معين يعيش عليه الفرد أو الجماعة؛ لذلك كان من النادر أن يستمر الإنسان في سلوكه الروحاني العالي، وكثيرون من فرط النسك ارتبكت حياتهم وارتدوا.

٣ ــ كثير من الأفراد رجالاً ونساءً مارسوا النسك في بيوتهم ووسط عائلاتهم، ولكن

---

(١) باخوم أنشأ أول دير في طبانسين عام ٣١٨م. حسب Butler & Ladeuze & Leipoldt وكلمة دير μοναστήριον معناها الأول = مسكن عام يعيش فيه كل واحد بمفرده Ev. Wh., II, p. 7 .

(٢) مر١٠: ٢١، ٢٩؛ أع٢١: ٩؛ ١كو١: ٧، ٨؛ رؤيا١٤: ٤.

الإحتكاك المستمر بالحياة اليومية ومناقص أهل العالم أضعفت هذا الإتجاه مما جعل مثل هؤلاء النساك يترقبون بفارغ الصبر ظهور المؤسسات الرهبانية الجماعية.

٤ ــ كثير من الأفراد بتأثير الحرارة الروحية العالية والشجاعة والعزم انطلقوا فعلاً إلى البراري والقفار البعيدة؛ وعاشوا حياة توحدية كاملة؛ ومارسوا النسك والتقشف في أعلى درجاته وصوره. ولكن أثبتت الخبرة لهم بعد جهادهم الطويل أن الإنفراد المطلق هو فوق طاقة الإنسان، فقالوا بهذا وعلّموه لزائريهم ومريديهم وأقنعوهم أن الحياة الجماعية أضمن طريق لتكميل النسك والعبادة وخصوصاً لذوي الأمزجة والطباع البسيطة؛ هكذا فعل القديس المتوحد بلامون مع باخوميوس فنشأ النظام الباخومي كله، والقديس المتوحد بيجول مع شنودة فنشأت أديرة شنودة المشهورة.

٥ ــ تعليم الآباء الأوائل وتمجيدهم لحياة البتولية والنسك ألهبت قلوب الشباب والعذارى في الجيل الثاني والثالث، وجعلتهم باستمرار على أهبة الإستعداد للإنطلاق من العالم، فمن الأقوال المشهورة للقديس كبريانوس (٢٠٠ــ٢٥٨م.):

[إن العذارى هن النصيب الأمجد في قطيع المسيح].

ومن أقوال هيبوليتس (١٧٠ــ٢٣٥م.):

[النُسَّاك محسوبون في الكنيسة ضمن الطغمات السمائية السبعة].

ومن أقوال كليمندس الإسكندري (١٥٠ــ٢١٥م.):

[النُسَّاك هم الجزء المختار من الناس المختارين].

وأوريجانوس يقول:

[نحن نكرس حياتنا لله لنخدمه في الطهارة، ونتعهد أن نتعفف بالجسد ولا ننعِّمه بل نُخضعه حتى يمكننا أن نخلص أنفسنا].

وما أن جاء أثناسيوس بصيته الرائع وقداسته المشهورة، وابتدأ يعلم ويعظ ويكتب المقالات المطولة عن الطهارة والبتولية والنسك بحرارته المعهودة، حتى بلغت الشرارة مكان زيت النعمة، فأشعلت قلوب الشباب رجالاً ونساءً بحب النسك والتعبد إلى درجة تفوق العقل والتصور. ففي أقل من قرن كان الرهبان قد ملأوا كل الجبال والقفار والبراري في مصر وبلغ عددهم عشرات الألوف.

٦ ــ ومن المحقق أن خروج كلٍّ من بولا وأنطونيوس وباخوميوس ومقاريوس وشنودة في بدء حياتهم كان بصورة حرة فردية وبلا أي نموذج دافع، وكذلك تأسيسهم لأديرتهم الأولى لم يكن قط مطابقاً لأي نموذج سابق. وكان كل أب من هؤلاء القديسين العظام له منهجه الروحي والنسكي الذي يكاد يخالف كل المناهج السابقة له.

الفصل الثاني
ظهور أنبا بولا أول المتوحدين

سيرة أنبا بولا كتبها القديس چيروم(1) سنة ٣٧٤م، مؤكداً أنه هو أول المتوحدين في مصر عموماً، باعتبار أنه قضى حياته كلها في الوحدة دون أن ينزل مرة واحدة إلى العالم. ويؤكد رواية چيروم كلٌ من أماثاس ومكاريوس الصعيدي تلميذَيْ القديس أنطونيوس. ويقول چيروم إن القديس أنطونيوس نفسه تكلم عن أنبا بولا: [وقد أخبر القديس أنطونيوس الشيء الكثير عن حياة بولا]. ويقول چيروم إنه في أيام اضطهاد ديسيوس (داكيوس) (٢٤٩ — ٢٥١) وڤاليريان (٢٥٣ — ٢٦٠)، كان بولا شاباً يافعاً عمره ١٦ سنة، وكان متعلماً يتقن الخط القبطي واليوناني(2)، ولكي يهرب بولا من غرور الغنى وتجاربه التي كان يوقعه فيها زوج أخته طمعاً في أمواله الكثيرة، بعد أن مات أبواه، خرج بولا باختياره من العالم وارتمى في حضن الله، بعيداً بعيداً في سفح أحد جبال العربة على البحر الأحمر (دير أنبا بولا الحالي)، متسلحاً بالفقر والعوز ضد أهواء الجسد والعالم. واعتمد بولا على شجر النخيل، سواء في غذائه، أو صنع ملابسه من الليف.

وظل بولا في توحُّده المطلق مخفياً عن العالم، حتى سنة ٣٤١م حينما أُعلن لأنطونيوس برؤيا إلهية عن مكان هذا الزميل الأكثر جهاداً، ليزوره الزيارة الأخيرة، كمندوب فوق العادة عن العالم، ليبلغه تحية الكنيسة، وليستلم منه سر حياته وتقواه، ليذيعها على العالم أجمع.

وإذ رأى أنطونيوس أن بولا على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، أسرع عائداً بالرغم من تقدم سنه — إذ كان أنطونيوس حينئذ قد بلغ ٩٠ عاماً من عمره — ليُحضر تونية أنبا أثناسيوس بابا الإسكندرية، الذي كان قد أهداها له، ليدفن بها هذه الوديعة الغالية، التي لم يكد العالم يسمع عنها حتى فقدها...

وبينما الشيخ أنطونيوس يسرع خطاه ويدب بعصاته فوق الصخور الوعرة، يتسلقها بخفة الروح، متجهاً صوب مغارة بولا؛ إذ به يرى نوراً في السماء، ويرى روح بولا تحملها الملائكة! قد مات بولا وهو شيخ شبعان نسكاً وعوزاً، مات عن مائة وعشر سنين، قضى منها ١٦ سنة في العالم، ثم ٩٤ سنة في توحُّد كامل يفوق العقل. وكان بولا كمدينة على جبل، ولكن للأسف لم يكتشفها

(1) Migne, PL XXIII.
(2) Ev. Wh. II, p. 12.

العالم إلا في اللحظات الأخيرة جداً، فتم فيه ما قيل بالإنجيل: «ولم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب ١١: ٣٨).

ولكن نور هذا المصباح لم ينطفىء قط، إذ استطاع أنطونيوس أن يعكس شعاعه الأخير، في اللحظة الأخيرة، على العالم الذي ظل حتى اليوم يحلل أطيافه و يترجم ألوانه السمائية المبدعة!



رسم حائطي يمثل صموئيل النبي وهو يختار داود مسيحاً للرب من القاعة رقم ٣ في دير باو يط
يرجع إلى القرن السادس/ السابع

الفصل الثالث

ظهور أنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة

بالرغم من أن القديس بولا يظهر كعملاق روحاني في تاريخ الرهبنة، إلا أنه لم يستطع أن يسلم أسرار الحياة النسكية لغيره من عُشاق النسك والتوحد. و بسبب ذلك اعتُبر القديس أنطونيوس أول من أعطى السر الرهباني للعالم، وذلك حينما لقَّنه لأولاده، وسلَّمه إليهم كميراث ثمين، ظل يتوارثه العالم كله من بعده جيلاً بعد جيل.

ولقد توفرت لدى أنطونيوس منذ البدء كل العوامل التي أهَّلته أن يكون أباً ومؤسساً للحياة الرهبانية. فقصة حياته بقلم القديس أثناسيوس الرسولي(١) توضح أصالة إتجاهه المسيحي في تطبيق وصايا الإنجيل، كما تجلَّت لروحه، بلا أي مواربة أو تحفظ.

وُلد أنطونيوس سنة ٢٥١م. في بلدة كوما (قمن العروس الآن). و بعد وفاة أبو يه أحس الشاب بخطورة الغنى، لما أحس بجمال الحياة الأبدية وذاق لذة النسك والفقر من أجل الله. فاستودع أخته بيتاً للعذارى، وانطلق خارج المدينة يجرب العبادة الحرة وحياة النسك والتوحد، وكان قد سبقه إلى هذا النوع من التوحد بالقرب من الريف نُسَّاك كثيرون، ولكن دون أن يكون لهم منهج معين أو مكان يجتمعون فيه أو نظام خاص يتبعونه. وعاش أنطونيوس على الخبز والملح و بعض عطايا المحسنين...

لم يُوفَّق أنطونيوس كثيراً في هذه الوحدة بالقرب من المدن، فصمم على التوغل داخل الصحراء؛ ولعل صلوات بولا كانت تجذبه سراً في ذلك الوقت إلى سلاسل جبال العربة على البحر الأحمر أيضاً، فعبر أنطونيوس النيل إلى الصحراء الشرقية وهو ابن ٣٥ سنة، وكان ذلك عام ٢٨٥م. ولكنه توقف عند قلعة قديمة في صدر الصحراء، أغرته بهدوئها وقُرْبها من النيل، فسكن فيها وكانت هي منطقة «بسبير» (مكان دير الميمون الآن، في منتصف المسافة بين أطفيح و بني سو يف). وعاش أنطونيوس في نسك شديد، معتمداً على الخبز الجاف والملح و بعض المأكولات البسيطة، التي كان يمده بها أحد محبيه.

واستمر أنطونيوس عشرين سنة في بسبير، وفي هذه المدة التجأ إليه جمع كثير من أحبائه

(1) Migne P.G. XXVI.

ومر يديه، وسكنوا حوله، وعاشوا عيشته، متمثلين بنسكه. أما هو فلم يلتفت إليهم ولم يهتم بوجودهم، بل ظل في عزلته الشديدة وحياته البسيطة، دون أن يشعر في ذاته أو يُشعر أحداً أنه صار أباً أو مسئولاً عن أحد(٢). ولما بلغ الضيق بمر يديه مبلغاً صعباً بسبب تجاهله إياهم عشرين سنة، اقتحموا بابه عنوة وأجبروه أن يخرج إليهم، أما هو فبوداعته الشديدة رضي بعنفهم وقبل اقتحامهم وأذعن لمطلبهم، فخرج إليهم، وقَبِلَ رعايتهم. وكان ذلك سنة ٣٠٥ م. وكان هذا تاريخ أول منشأة رهبانية في مصر رسمياً، أو بالتعبير التقليدي، كان هذا تاريخ أول دير قبطي.

ومنذ ذلك الحين بدأت الصحراء تتقبل أفواج الحجاج الطالبين ملكوت الله بواسطة الطريق الضيق. وملأ الرهبان الصحراء بصورة سريعة ومذهلة للعقل، لأنه كما سبق وقلنا، كانت هناك عوامل كثيرة تعبيء الحرارة الروحية لدى الشباب في مصر بطرق متعددة.

وكان على أنطونيوس حينئذ «أن يتنقل دائماً، كأب، بين جماعات أولاده من مكان إلى مكان». وعلى هذا المنوال تكوَّن أول نموذج للنظام الرهباني القبطي: «أب يرعى أسرة روحية من الأبناء المحبوبين المخلصين للطريق». وهكذا نشأ نظام الرهبنة الأنطونية تلقائياً، إنما بتمهيد روحي لا يعرف سر بدايته وسر نموه إلا من عاشه.

بداية حياة الكينوبيون عند القديس أنطونيوس

أصل كلمة «كينوبيون» κοινόβιον :

كلمة «كينوبيون» κοινόβιον تعني حياة مشتركة. وهي من مقطعين: κοινός = مشترك و βίον مشتقة من βίος = حياة. وتنطق «كينوبيوس» أو «كينوبيون». وتعني: «مؤسسة أو مكان به قلالي كثيرة أصحابها متحدون في نظام الحياة». وترادف في المعنى الوصفي تماماً كلمة موناستيريون μοναστήριον ، وهي أصلاً من كلمة μονάζειν أي «يعيش بمفرده أو يحيا وحيداً». فكلمة موناستيريون تعني: «مكان يحيا فيه الناس حياة منفردة». وهذه الكلمة، طبعاً، انحرف معناها، وتطورت لتشمل معنى الدير بوصفه الحالي، وهو جماعة يعيشون معاً حياة غير توحدية على الإطلاق.

وإنسان يعيش في كينوبيون هو عكس المتوحد ἀναχωρητής ، الذي لا يعيش في كينوبيون، بل يعيش منفرداً بعيداً عن الناس. وكلمة «أناخوريتيس» تعني إنساناً انعزل وتخلف عن الحياة مع الناس.

---

(2) Ev. Wh., II, p. 14.

القديس أنطونيوس أول أب لأول دير في العالم:

وكما أن القديس بولا كان أول المتوحدين، كذلك القديس أنطونيوس كان أول أب لأول كينوبيون. فحينما خرج أنطونيوس من عزلته وتوحده الكامل سنة ٣٠٥ م.، ليقود أول جماعة من أولاده اجتمعت حوله في قلالي منفردة، كان ذلك إيذاناً ببدء عصر الأديرة في مصر و بالتالي في العالم أجمع. وكان يسمى التجمع الرهباني في صورته الأولى البسيطة باسم لافرا، وتكتب Lavra ، وتأتي في المخطوطات القديمة بإسم السيق وجمعها الأسياق(٣) باللغة العربية.

أما نظام معيشة الجماعة الديرية الأولى التي عاشت حول القديس أنطونيوس، فكانت وسطاً بين النظام التوحدي ونظام الكينوبيون، لأن من سيرة بولا البسيط نعلم أن القديس أنطونيوس بعد أن اختبره ومرنه على الحياة التوحدية عدة أشهر، كان فيها يعيش معه تحت ملاحظته في حياة شبه مشتركة، أمره أن يحفر لنفسه قلاية على بعد أربعة أميال من منطقة سكنه الخاص. وهكذا انتقل بولا من حياة الكينوبيون إلى حياة الوحدة، وكان في الإثنين تحت تدبير القديس أنطونيوس.

كذلك يخبرنا بالليديوس، أنه علم من كرونيوس تلميذ القديس أنطونيوس أن معلمه كان يعيش على بعد ٣٠ ميلاً من النهر، بعيداً عن بسبير، متوحداً، بينما كان الذي يدبر الدير في ذلك الوقت مكاريوس وأماثاس، حيث كان الدير عبارة عن كينوبيون يضم جماعة المتوحدين المتلمذين للقديس أنطونيوس.

وكذلك من بقية سيرة القديس أنطونيوس، نتأكد تماماً أنه كان من مبادىء هذا القديس أن طالب الرهبنة (الوحدة) ينبغي أن يعيش أولاً في كينوبيون، و بعد ذلك إذا كمل في العبادة يخرج إلى الوحدة الكاملة. فعند زيارته للقديس آمون بنتريا (جنوب بحيرة مريوط) أشار عليه بأن الإخوة العائشين في الكينوبيون بنتريا والمحبين للوحدة، يلزمهم أن ينحدروا جنوباً مقدار ثلاث ساعات، ليعيشوا متوحدين.

و يعطينا كتاب الأبوفثجماتا تقريراً عن هذا بقوله:

[حدث مرة أن أنبا أنطونيوس جاء إلى جبل نتريا، ليفتقد أنبا آمون. فبعد أن تلاقيا معاً سأله أنبا آمون: إذ قد تكاثر عدد الإخوة بصلاتك، و بعضهم يشتاق أن يبني قلالي Kellia بعيدة، حتى يكونوا في هدوء؛ فماذا تنصح بأن تكون المسافة التي تفصل بين هذه القلالي و بين الإخوة الساكنين هنا؟ أجاب أنطونيوس: حينما نتناول طعامنا الساعة

(٣) أنظر فهرس المخطوطات العربية للمكتبة الأهلية بباريس ص٦٩.

التاسعة حينئذ نذهب نحو الصحراء، لنرى المكان المناسب. فلما بدأوا المسير (من الساعة التاسعة)، ظلوا سائرين حتى غروب الشمس (حوالي ثلاث ساعات)؛ حينئذ التفت القديس أنطونيوس إلى آمون وقال له: «هيا نصلي ونرفع الصليب هنا، حتى أن كل من أراد أن يعيش و يبني هنا يعمل مثلنا (أي يصلي و يرفع الصليب)؛ فإذا أراد الإخوة أن يزوروهم فيما بعد، يمكنهم بعد أن يأكلوا لقمتهم الساعة التاسعة يقومون و يزورونهم، والذين من هنا كذلك إذا رغبوا في زيارة إخوتهم (وقاموا من هنا الساعة التاسعة)، يبلغونهم في الغروب، فلا يحدث لأحد أي ضيق أو تشتت إذا زار أي أحد منهم الآخر، والآن المسافة هي إثنا عشر ميلاً] (٤) (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

وهكذا يُعتبر القديس أنطونيوس أحد مؤسسي منطقة القلالي، أي نظام الوحدة الكاملة؛ بالإضافة إلى نظام الكينوبيون، أي المعيشة المشتركة. ولكن من هذه القصة الطريفة يتبين لنا أمور في غاية الأهمية والخطورة، ففيها يظهر مقدار نمو الرهبان بسرعة كبيرة حتى ملأوا منطقة جبل نتريا، التي تمتد عشرات الكيلومترات؛ ثم مقدار طاعة وخضوع كافة الإخوة المتوحدين لتدبير أبيهم الروحي، حتى أن واحداً منهم ما استطاع أن ينتقل من الكينوبيون إلى الوحدة دون أن يدبر آمون لهم أولاً و بنفسه المكان المناسب؛ ثم يظهر أيضاً مقدار التفاهم والمشورة والطاعة الكائنة في القديس آمون من نحو القديس أنطونيوس. بهذه الروح نمت الرهبنة، وتقوت الوحدة، وعمرت القفار والجبال، وصارت كجنة الله.

القديس أنطونيوس يسلم عكازه لمقاريوس:

نعلم من سيرة القديس أنبا مقار التي كتبها سيرابيون أسقف تميّ الأمديد وتلميذ أنبا أنطونيوس، ومن الأقوال المدونة في كتاب أقوال الآباء (أبوفثجماتا)، أن الأنبا مقاريوس زار الأنبا أنطونيوس مرتين، في المرة الأولى علمنا أن حديثهما كان للتعارف أولاً ثم عن خلاص النفس، ومنها يُستدل أن أنبا أنطونيوس قام أثناءها بتسليم خبراته وتعاليمه الروحية إلى أنبا مقار، مؤيّداً إياه بالقوة والنعمة. أما المرة الثانية فهي التي ألبسه فيها أنطونيوس الإسكيم، وأعطاه عصاته، و يقول سيرابيون عن هذه الزيارة الثانية، أنها كانت إثر أتعاب كثيرة وحروب شديدة أثارها عليه العدو: [وأصبح مقاريوس وإذ به ليس صافي الفكر كالأول لأن الرب أطلق أن يتجرب بالأفكار، و بدأ الشياطين الأشرار يرجمون قلبه بالأفكار، وكأنها أصبحت كمائدة مملوءة من الأطعمة: أفكار زنا، ودوران، وضغطة قلب، وغم، ووجع، وعَظَمة، ومحبة البطالة، والخوف، والإفتخار، والكسل، لكي تصغر نفسه وتقبل أفكار التجديف، وتقع في عدم الأمانة

(4) Apoph. Patr. Antony, XXXIV.

وقطع الرجاء، الذي يُبعد الإنسان عن الله، وما هو أكثر من هذه الأنواع؛ إذ لم تدع الشياطين شيئاً من أنواع القتال إلا وجلبوها عليه. فلما مضى زمان طويل والشياطين يحاربونه، قام ومضى إلى عند الأب الكبير أنطونيوس]. فلما نظره القديس أنطونيوس من بعيد قال لتلاميذه: «هذا الإنسان سيكون غصناً مستقيماً وكبيراً وله ثمرات حلوة»، وللوقت وعظه، وأيّده، وقال له: «تأيد ولا تخف! لأن هذه هي سبيلنا أن نجرَّب بكل هذه، لتستحق أن تكون معلماً للشعوب الكثيرة التي تأتيك لترتوي من الحكمة الروحانية التي هي الرهبانية».

و يقول سيرابيون أن في هذه المرة ألبسه القديس أنبا أنطونيوس الإسكيم المقدس: [فطلب منه أن يُلبسه الإسكيم المقدس، فألبسه إياه، فلهذا دُعي مقاريوس تلميذ الأب أنطونيوس]. ثم وعظه بكلام معزي كثير، وقال له: «تأيد، واحذر، وتحفظ على القوة التي عندك، أعني الكاروبيم المقدس (المسمى في مواضع أخرى قوة الروح القدس)، لأن الرب معك لمعونتك. وأعطاه الشيخ شبوتته ϣⲃⲱⲧ̀ العتيقة (أي عصاته التقليدية المعروفة في التاريخ والفن القبطي أنها على شكل صليب يسمى صليب أنطونيوس T) وقبَّله قُبلة مقدسة».

وهكذا تسلم أنبا مقار، رسمياً، عصا الرهبنة التي هي رمز «درب الصليب»، من القديس أنطونيوس الكبير، فصار خليفته على هذا الطقس المقدس. وعند مقاريوس وفي بريته بالإسقيط تركزت كل خبرات السابقين وماضي جبل العربة و بسبير ونتريا والقلالي.

و يؤكد كاتب تاريخ الرهبنة المشهور Historia Monachorum أن مقاريوس هو الوريث الوحيد لفضائل ونعمة أنطونيوس(٥)، كما تنبأ القديس أنطونيوس نفسه بذلك(٦).



إفريز من الحجر المنحوت يتكون من فرع نباتي على شكل دوائر متتالية
[من دير أبَا إرميا بسقارة ــ معروض بالمتحف القبطي]

(5) Latin Version, ch. XXVIII.
(6) Greek Version, ch. XXVIII, 2.

الباب الثاني

سيرة القديس أنبا مقار

الفصل الأول

نشأة القديس مقاريوس

١ — ألقاب القديس مقاريوس الكبير.
٢ — الموطن الأصلي لأسرة القديس مقاريوس، ولماذا دُعي بالمصري.
٣ — نزوح الأسرة إلى شبشير بناءً على رؤيا سماوية.
٤ — مولد القديس في كنف كاهن ورعاية أم قديسة.

١ — ألقاب القديس مقاريوس

يقول روفينوس(١) إن اسم مقاريوس ظهر في سماء مصر **كمصباح مضيء**، أما القديس والمؤرخ القبطي أسقف الأشمونين ساويرس بن المقفع كاتب سِيَر البطاركة فيذكر اسم أنبا مقار في تاريخه بلقب «المضيء»، فهو يخاطب دير أنبا مقار قائلاً:

«دير الأب المضيء أبَّا مقار، مجمع الرهبان،
وموضع الحكمة العالية، والصلاة الدائمة»(٢).

ويقول بالليديوس(٣) كاتب سِيَر الآباء وأقوالهم: [لقد بلغ مقاريوس درجة من الحكمة الروحانية (الإفراز) حتى كان يُدعى وهو بعد شاب بـ«**الصغير صاحب حكمة الشيوخ**» = παιδεριογέρων، وترجمتها الوصفية «*إنسان له جسم شاب ورأس شيخ*». وما أن أكمل الأربعين سنة من عمره حتى وُهب **مصارعة الأرواح**، كما وُهب **النبوة**].

ويسجل لنا المؤرخ أميلينو، نقلاً عن كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية، أوصاف القديس مقاريوس الروحانية كنص الترجمة:

[قيل عن أبينا القديس أنبا مقار أنه لما تقدَّم في حياة الفضيلة، نال قوة معزية **ⲟⲩϫⲟⲙ ⲙⲡⲁⲣⲁⲕⲗⲏⲧⲟⲛ** من ربنا يسوع المسيح، حتى إن القوات المضادة

---

(١) روفينوس أحد آباء الكنيسة اللاتينية، وكان تلميذاً لديديموس القبطي الإسكندري، زار شيهيت سنة ٣٧٢م. ويقول في كتابه: «آباء الصحراء» أنه رأى في أيامه خمسين ديراً في شيهيت (وكان يقصد بـ«شيهيت» نتريا). Ruf. v. p., p. 28.

(2) Evetts, IV, 386.
(3) Laus. Hist. Mac., 2.

كانت تضطرب وترتعد أمامه، بسبب القوة المعزية التي كانت فيه](٤).

وقد أجمعت النصوص القبطية، سواء التي اختصت في كتابة سيرته مثل السيرة التي وضعها أحد معاصريه ــ وهو تلميذ أيضاً للقديس أنبا أنطونيوس ــ المدعو صرابامون(٥)، أو في الكتاب المختص بأقوال الآباء [أن شاروبيماً كان يظهر له و يبقى معه ليعزيه](٦).

فيروي لنا كاتب سيرته هكذا:

[وفي كل مرة قابلنا أنبا مقاره، ما كنا نقول كلمة واحدة إلا وكان يعرفها لأنه كان «لابساً الروح **πnετmατoφopoc**` إبنفماتوفوروس»، وكان يسكن فيه روح نبوي كما كان في إيليا وسائر الأنبياء، لأنه كان **متسربلاً بالتواضع كمثل الثوب، بقوة الباراكليت الساكن فيه.** وبمجرد رؤيته وهو مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه، كانت تعزية الروح القدس المعزي الذي فيه تأتي على كل الذين كانوا جالسين معه](٧).

وأيضاً في نفس المخطوطة:

[ولما وصل الإخوة السبعة ومعهم أنبا موسى الأسود إلى قلاية أنبا مقاره، وجدوا القلاية مضيئة من الداخل بنور أكثر من الشمس!].

وحدثنا «أوغريس»:

[إنني مضيت إلى عند الأب القديس مقاره، فسألته عن الأفكار التي تقاتلني بها الشياطين. فلما تحدث معي ــ أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس ولما لم أستطع أن أنظر إلى وجهه، سقطت على وجهي، فبسط يديه وأنهضني](٨).

وتقول المخطوطة أيضاً:

[وفي وقت نياحته حضر إليه **الشاروبيم الذي كان معه منذ الإبتداء**](٩).

[إنه صار **رسولاً في زماننا**، ولم ينقص شيئاً عن بطرس و بولس... لأجل الأشياء التي شاهدناها بأعيننا وما سمعناه من الاخوة](١٠).

---

(4) Amel. Hist . Monast . A M G XXV

(٥) صرابامون (أو سيرابيون أحياناً) قيل أنه رئيس تلاميذ الأب أنبا أنطونيوس الذي انتقل بعد نياحة معلمه، وسكن الإسقيط، وصاحَبَ مكاريوس الكبير مدة من الزمن.

(٦) حياة القديس مقاريوس بالقبطية نشرها أميلينو مع ترجمة فرنسية ص٧٢، ٧٥، ٨٥. Amelin. A.M.G. XXV.

(٧) نفس المرجع السابق ص٢٠٢.

(٨) المخطوطة العربية س١٨: ص١٧، ص١٨..

(٩) نفس المرجع السابق.

(١٠) نفس المرجع السابق.

وقد عثرنا على صورة أثرية (١١)، من دير القديس إرميا بسقارة، للقديس مقاريوس الكبير إلتقطها إڤلين هوايت من على الحائط، تُظهره طويل القامة ذا لحية خفيفة وطويلة نازلة إلى جيب قميصه، مكتوب عليها باللغة القبطية وبحروف قديمة: «أبونا أبَّا مقاره اللابس الروح» (راجع اللوحات في آخر الكتاب).

ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲁⲡⲁ Ⲙⲁⲕⲁⲣⲉ ⲡⲓⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁⲧⲟⲫⲟⲣⲟⲥ

وقد أصبح، بالفعل، هذا هو لقبه الرسمي منذ القرن الرابع = اللابس الروح.

ويقول العالم الآبائي المشهور «كواستن» (١٢)، مؤكداً قول كاسيان (١٣)، أن القديس مقاريوس الملقب بالكبير أو المصري يعتبره التاريخ الكنسي الأب الروحي للإسقيط والمؤسس الحقيقي لبرية شيهيت، وذلك بالرغم من تأكدنا أن القديس آمون المعاصر للقديس أنطونيوس هو الذي بدأ الحياة الرهبانية في منطقة نتريا (الإسقيط الشمالي).

ويتفق كل من بالليديوس وروفينوس ــ وهما رائدا الصحراء الأولان ــ في اعتبار القديس مقاريوس صاحب مركز هام جداً في التاريخ الرهباني.

ويقول «تلمونت» (١٤) المؤرخ الفرنسي، أنه لا يوجد إسم شاعت شهرته بين متوحدي مصر من بعد إسم أنطونيوس أكثر من إسم مقاريوس!!

ويقول روفينوس (١٥) عن القديس مقاريوس المصري وسَميِّه القديس مقاريوس الإسكندراني، أنهما متناسبان بحسب إسميهما (مكاريوس=المطوَّب) من جهة الفضائل الروحانية والمواهب الإلهية، وأنهما برعا بالحقيقة في حياة التوبة حتى إلى الكمال، وبلغا إلى معرفة أسرار الله والتسلُّط على الشياطين وشفاء المرضى وصنع المعجزات.

الخلاصة:

لقد وُصف القديس أنبا مقاره ولُقِّب بالأوصاف والألقاب الآتية بحسب الأهمية:

١ ــ الكبير، والمصري.

٢ ــ اللابس الروح.

٣ ــ أب آباء جبل شيهات، وأب البطاركة.

٤ ــ المصباح المضيء، أو أنبا مقاره المضيء.

(11) Ev. Wh. II, Pl. IV.
(12) Quast. Vol. 2, p. 161.
(13) Cassian conf. XV, 3.
(14) Tillm. VIII, p. 574.
(15) Ruf. v.p., p. 28.

٥ ــ الشاب الشيخ، أو الشاب الحكيم.
٦ ــ النبي.
٧ ــ مخيف الأرواح الشريرة.
٨ ــ صاحب القوة المعزِّية.
٩ ــ رفيق الشاروبيم منذ البداية حتى النياحة.
١٠ــ المتسربل بالتواضع مثل الثوب.
١١ــ مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه.
١٢ــ كان وجهه يلمع أحياناً كالشمس.
١٣ــ كانت قلايته تظهر مضيئة أثناء الليل.
١٤ــ كان رسول زمانه كبطرس وبولس في أيامهما.
١٥ــ أقام الموتى من القبور!!

ويصفه مار فلكسينوس الملفان السرياني المشهور في كتابه: «شرح أقوال الآباء»: [وكان القديس مقاريوس كاملاً، معلِّماً لجميع سكان الديارة (بعد العظيم أنطونيوس)، وهو المكني عنه في الإنجيل «أقامه الله على عشر مدن»، وذلك في معنى المعرفة الإلهية] (١٦).

٢ ــ الموطن الأصلي للقديس مقاريوس ولماذا دُعي بالمصري

يقول بالليديوس أن مقاريوس الكبير دُعي بالمصري لأنه «مصري جنساً» (١٧)، ثم لكي يُفرِّق بينه وبين مقاريوس الأصغر (الإسكندري) قال: إن هذا الآخر إسكندراني. ومن ذلك نرى أن كلمة «إسكندري» تعني «من الإسكندرية»، وكلمة «مصري» تعني «من إقليم مصر»، وهو إقليم منف (الجيزة الآن). فالألقاب بالنسبة للقديسين كانت تشير إلى موطن نشأة القديس الأولى. إما «تبايسي» أي صعيدي، أو «مصري» أي من إقليم منف، أو «إسكندري» أي من نواحي الإسكندرية... إلخ...

ويؤكد المؤرخ «رينيه باسيه» (١٨) أن بلد القديس مقاريوس الكبير هي منف، اعتماداً على اللقب الذي اشتُهر به منذ البدء (المصري).

---

(١٦) شرح البراديسوس لمار فلكسينوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(17) Laus. Hist. Mac. I, 2.
(18) Synax. Rin. Bass.

وتشير المخطوطة العربية(١٩) وزميلتها المخطوطة القبطية التي حقَّقها وترجمها ونشرها المؤرخ أميلينو(٢٠)، عن حياة مقاريوس الكبير بقلم صرابامون تلميذه، أن بلد أبَوَيْ مقاريوس لم تكن «شبشير»، إنما شبشير هي البلد التي نزحا إليها من موطنها الأصلي، دون ذكر اسم هذا الموطن اعتماداً على بديهيته، كونه ملقَّباً بالمصري.

٣ ــ نزوح الأسرة من منف إلى «شبشير» بناء على رؤيا سماوية

وكان أبوه قديساً، يُدعى إبراهيم، كاهناً على كنيسة المنطقة المذكورة (منف). وكانت أمه امرأة قديسة تُدعى سارة. وكانا عاقرين، وقد حدثت في زمانها حوادث شغب ونهب وسلب، اضطرتهما للهجرة إلى بلدة ششوير بالمنوفية، أو كما تقول المخطوطة: [كان في ذلك الزمان هياج ولم يكن أحد يخاف السلطان (الوالي الروماني على إقليم مصر) في كل أرض مصر، وكان كل مَن يتمكن من رفيقه يقتله وينهب أمواله. وإذا بلصوص أتى بهم الشيطان إلى منزل هذين المغبوطين فأخذوا كل مالهما... وفي رؤيا أمرهما الملاك أن يرحلا إلى ششوير.](٢١)

ويحقق هذه الواقعة التاريخية إڤلين هوايت فيقول: [إن هذا الوصف يطابق تماما ما يسجله التاريخ عن الثورات المحلية التي جرت في مصر أيام حكم أخيلْيوس Acheleus، وذلك في سنة ٢٩٥ ــ ٢٩٧م](٢٢). كذلك برجوعنا إلى تاريخ الحكم الروماني الذي وضعه المؤرخ جيبون، تحقَّق لنا أيضاً صدق هذه الرواية، إذ نجد أنه في أيام دقلديانوس (٢٨٤ــ٣٠٥م)، قامت ثورة في مصر استطاع دقلديانوس أن يُخمدها(٢٣).

والمعروف أن مقاره وُلد سنة ٣٠٠م أي بعد نزوح الأسرة إلى شبشير بسنتين أو ثلاثة. وهكذا يشاء الله أن يقف التاريخ المدني شاهداً لصدق رواية حياة القديس مقاريوس للكاتب الأب سيرابيون. لذلك يضيف إڤلين هوايت قائلاً: [وهكذا يكون خبر هجرة أبَوَيْ مقاريوس (قبل أن يولد) إلى بلدة ششوير جزءاً من تقليد صادق وأصيل](٢٤).

ششوير التي بجوار ترنوط، أُم المدن:

أما ششوير فهي بلدة شبشير الآن (مركز المنوفية). وقد أتى هذا الاسم بصور مختلفة، منها

(١٩) المخطوطة ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(20) Amélineau, Histoire des monasteres de la Basse-Egypte, Annales du Musée Guiment. Paris XXV.

(٢١) المخطوطة العربية ١٨ س ص٤٦ و٥٨ بمكتبة دير أنبا مقار.

(22) AMEL., AMG, XXV, pp. 49.

(٢٣) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ــ المجلد الأول ــ ص٢٩١.

(24) Ev. White II, p. 61.

ششفير، وشبشير، وشبشر، وچچوير، وشفشير. واختلاف الكتابة جاء نتيجة اختلاف النطق. أما ترنوط(٢٥) فهي مدينة قديمة غرب فرع النيل الغربي (رشيد) قريبة من مدينة نيقيوس (أبشادي)، وهي الآن الطرانة (مركز كوم حمادة)، واسمها اليوناني قديماً Térénouthis ، واسمها القبطي يُنطق Ternout . وتقول عنها المخطوطة أنها أُم المدن، أي مترو بوليس، مما يشير إلى أنها كانت مركز أسقفية. وظلت هذه المدينة ناهضة حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). كما يذكر كتاب المسالك لإبن حوقل: [أنها كانت ملآنة بالكنائس والأديرة الكثيرة (معابد للنصارى)، وبها قسيسون ورهبان كثيرون، وأسواق عامرة، وحمَّامات، **وهي قرية ذات شأن في التاريخ الرهباني**](٢٦).

وكانت «ترنوط» هي سوق شيهات(٢٧)، التي كان ينزل إليها جميع الرهبان لبيع شغل أيديهم، ولشراء لوازم حياتهم من قمح وزيت وخلافه؛ وهي التي حدثت فيها الواقعة الحاسمة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتح العربي. وإليها نزل رهبان برية شيهات لمقابلة عمرو بن العاص، وكان عددهم آنئذ ٧٠٫٠٠٠ راهباً — حسب رواية المقريزي — فأعطاهم الأمان على صورة وثيقة ظلت محفوظة بدير أنبا مقار عدة قرون.

وقد تخرَّبت كنائسها وأديرتها على يد كتامة في حربه مع القاسم بن عبد الله. وهي معروفة الآن بطرانة كوم حمادة، على أنه كان يوجد طرانة أخرى بإسم طرانة البرنوجي، أي ترنوت نتريا، وكانت مركز تجارة نطرون إقليم نتريا، أي جبل برنوج (انظر الخريطة في أول الكتاب).

وكما علمنا أن كلمة «طرانة» تفيد مكان الحصول على النطرون، لذلك تُضاف كلمة «طرانة» على اسم البلدة المتاخمة لها دائماً، فيُقال: طرانة جبل النطرون (شيهيت)، أو طرانة البرنوجي (نتريا).

٤ — مولد القديس في شبشير ونشأته الأولى

لقد أعطانا بالليديوس(٢٨) تحديداً يقرب من الدقة للسنة التي وُلد فيها القديس مقاره، إذ

(٢٥) «ترنوت»، أو «طرانة»، كلمة تعني حسب تحقيق إڤلين هوايت «بحيرة نطرون» أو «أرض نطرون»، ولعلها من كلمتين تِرَا Terra أي أرض وحرف نا Na وهو الرمز الكيميائي لإسم الناتريوم أو الصوديوم.

(٢٦) ظلت قرية الطرانة مركزاً لقيام القوافل الذاهبة إلى وادي النطرون مدة خمسة عشر قرناً من الزمان. هذا بجوار أنها كانت مركزاً هاماً لكثير من الديارات. والمعروف أن القديس أنبا مقاره كان ينزل إليها كثيراً ليبيع شغل يديه مع رهبانه طول مدة حياته.

(27) Ev. White, II, 72, Apoph. Pat. XIII.

(28) Hist. Laus. ch. XVII.

يقول باالليديوس إن مقاره عاش ٩٠ سنة، و يعود فيقول إن مقاره تنيّح قبل مجيئه شيهيت بسنة واحدة(٢٩). ومجيء باالليديوس معروف أنه كان حوالي سنة ٣٩٠م. أو أكثر قليلاً. وهكذا يتحقق لنا أن مقاره وُلد حوالي سنة ٣٠٠م.، وكان مولده في قرية شبشير بعد نزوح الأسرة إليها بسنتين أو ثلاث تقريباً.

وتقول المخطوطة إنهم [حملوا معهم من وطنهم الأصلي ما تبقى لهم من فضة وأتوا إلى شبشير، فاشترى قطعة أرض ليفلحها بالإضافة إلى خدمته الكهنوتية التي استأنفها مع كهنة القرية، الذين رحّبوا به، لِمَا رأوه عليه من نعمة وقداسة]. وقد بشّره الملاك يوماً ما وهو مريض ملقى في الكنيسة بميلاد ابن مبارك له. وفي الميعاد، حسب ما قال له الملاك، وُلد لهما ابن في غربتهما ودعاه مقاره. وهنا نقدم بحثاً هاماً في أصل إسم «مقار»، فالإسم أصله فرعوني و يكتب بالحروف الديموطيقية هكذا: [hieroglyphs] وتنطق ماخرو Mchrw، ومعناها (صادق الصوت)، وتفيد صفة الصدق والأمانة(٣٠). وقد كانت تُنطق بالقبطية Uακαpε مَقّار بكسر الراء وأضيفت إليها هاء أخيرة لنضج النطق، فصارت مَقّارِه بكسر الراء؛ وأخذ العرب هذا النطق عن القبطية، وتداولت الكلمة، فصارت مقاره، وهو أصحّ نطق للإسم(٣١). أما باللغة اليونانية فأضيفت الواو والسين علامة الإسم مقاريوس.

وتستمر المخطوطة في سرد قصة حياته:

[وكان الطفل يتربى و ينمو في مخافة الله على يد أبويه الصالِحَين. ولمّا شب عن الطوق، بدأ يذهب مع أبيه إلى المزارع. وقليلاً قليلاً بدأ يساعد أباه في فلاحة الأرض، وكان أن الله وسّع رزقهما جداً من مواشي وأملاك. و بدت النعمة على الشاب مقاره، فكانوا يلقبونه بـ«الشاب الحكيم». ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية بدون علم أبيه ورسموه «أناغنوستيس»].

زواج لم يحل البتولية:

وكان أبواه يدبران له، حسب نيتهم، لكي يزوجوه و يرسموه كاهناً. وهكذا أيضاً بدأ الضغط من الكهنة، بالإضافة إلى أبويه، حتى رضخ لهم بدون نيّة منه. ولكنه حفظ بتوليته باتفاق مع الفتاة التي اختاروها له.

(29) Ibid., Mac. 13.

(٣٠) البحث هنا للأستاذ الدكتور مصطفى الأمير أستاذ اللغة الديموطيقية بكلية الآداب؛ قدّمه لنا مشكوراً.

(٣١) وهذا النطق وجدناه مكتوباً في مخطوطة الدكتور جورجي صبحي العربية المكتوبة بحروف قبطية والتي سجلها له العلامة إڤلين هوايت في كتابه الأول ص٢٣١.

ولكي يكمل الكهنة نيتهم فيه، أخذوه ورسموه شماساً (كخطوة لازمة قبل القسوسية). ولكي يبتعد مقاره عن الفتاة أطول مدة ممكنة، كان يذهب مع الجمَّالين الأُجراء عند أبيه لجلب النطرون (البورق كما في المخطوطة) **من جبل النطرون!** وهكذا أتقن خدمة الإبل والجمال، لذلك كان يدعى مقاره الجمَّال.

[وكان جميلاً حسناً في بهاه، وكان وجهه ممتلئاً نعمة، فأخذه الكهنة ومضوا به إلى الأسقف فكرزه أغنسطساً، ...وكان حافظاً مخافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة، وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبّتوه شماساً عليها)، واضطرُّوه أن يأخذ له امرأة، وكان أبواه يحبان هذا الأمر وهو لا يريد ذلك، فأكرهوه غصباً،... ولكنه كان بقلبه ونفسه ناظراً إلى الله، فلم ينظر إلى امرأته ولم يتقدم إليها البتة وظل حافظاً الطهارة].

[وكان لأبيه جمال كثيرة فطلب من أبيه أن يمضي مع الأجراء إلى الجبل ليحملوا النطرون إلى مصر، وأراد بذلك أن يبعد من قلبه إرادة المرأة و يتخلص من التقدم إليها ورؤيتها... وكان يعيش مع الجمَّالين، لذلك سُمِّي من أهل بلده بالجمَّال].

وهنا تبدأ في السيرة أول إشارة إلى العلاقة المقدسة التي بدأت بين مقاره وجبل شيهيت واستمرت إلى اليوم، وستستمر إلى جيل الأجيال...

ظهور الشاروبيم على صورة إنسان مهيب ومنير:

وفي إحدى الأسفار وهو نازل مع الجمَّالين إلى وادي النطرون وقد صار بالقرب من الجبل المطل على البحيرات (أسفل الجبل الذي فوق البحيرة)، وكان الكل نياماً من التعب ومقاره أيضاً نائم، إذ [رأى في نومه أمراً مخوفاً: إنساناً نورانياً متَّشحاً بإسطوانة كالبرق الساطع، وهذه الإسطوانة مكلَّلة بالجواهر (عيون الشاروبيم)، وكلَّمه قائلاً: «أنظر حولك وتأمل أعماق الجبل». فأجابه مقاره: «إني ياسيدي لا أرى شيئاً سوى رأس البهلس (بحيرات النطرون)، والغابة (أعشاب البردي والنخيل المتكاثف بالقرب من الماء)، وعن يمينه البقعة (المستنقعات)، والجبل المحيط. فقال له الرجل النوراني: «إن الله يقول لك إني أعطيك هذا الجبل ميراثاً لك ولأولادك، يتفرَّغون فيه للصلاة، ويخرج منك رؤوس ومقدمون، من هذه البرية. والآن انهض من نومك وتذكر جيداً جميع ما قلته لك، وإذا صرت كاملاً أعود فأظهر لك، وأُكلِّمك بما يجب من فم الله].

وكان هذا هو أول ظهور الشاروبيم للقديس مقاره، الذي صار رفيقاً ومرشداً له طول أيام

حياته حتى يوم نياحته.

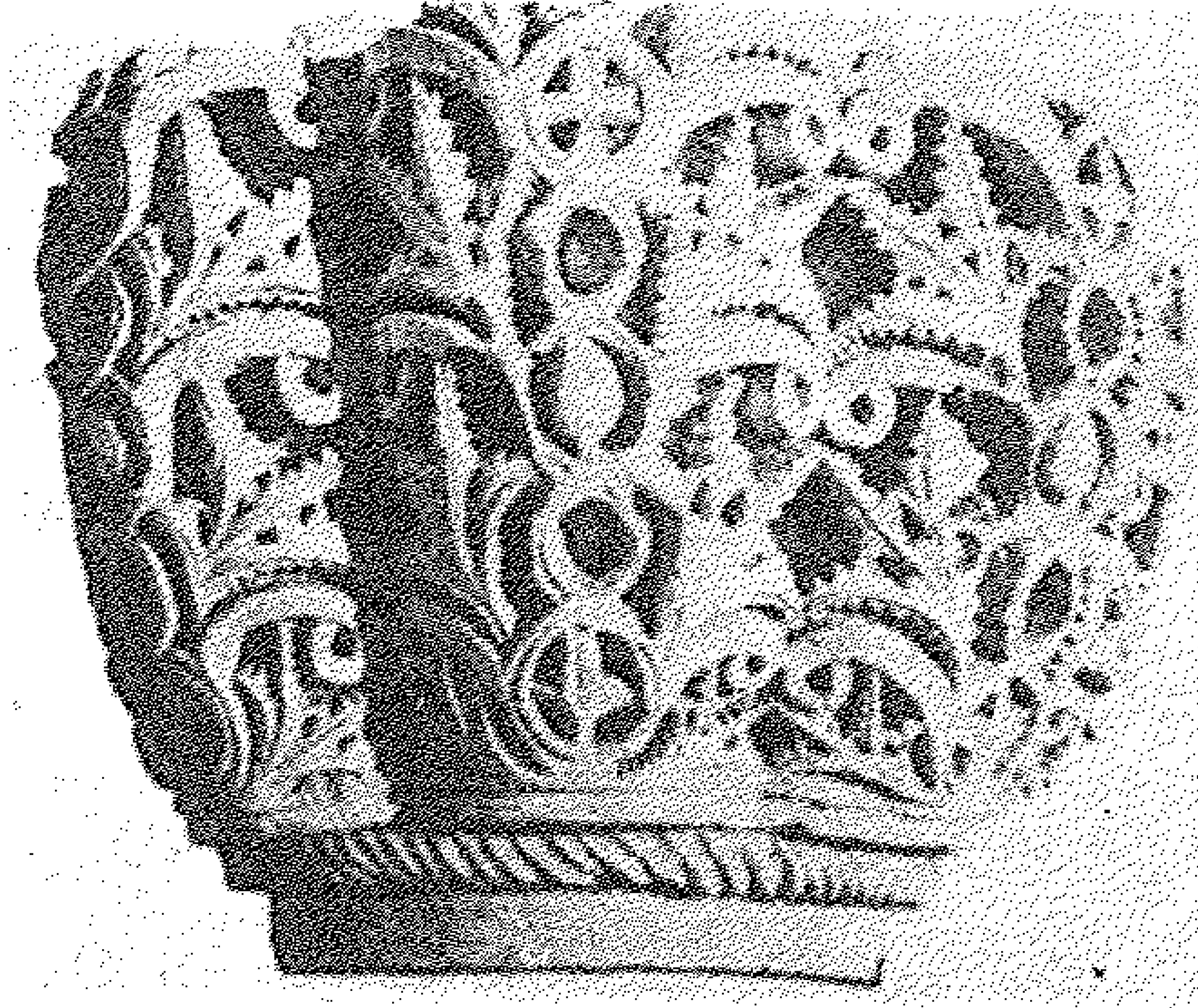
الظروف تخضع لإشتياق القداسة:

وبرجوعه إلى بلده، وجد أن فتاته البتول مريضة بالحمى، التي اشتدت عليها حتى فارقت الحياة، وكان هذا بتدبير من الله لتبدأ قصة القديس مقاره على أروع صورها.

فما كان من الشاب مقاره إلاَّ أن تنبّه لنفسه قائلاً: «يامقاره احرص الآن على اغتنام هذه الفرصة لنفسك لمداواتها، لأنك حتماً ستؤخذ مثل أختك التي سبقتك».

وبدأ مقاره لا يُرَى في البيت إلا منتصباً في الصلاة!! ولا يوجد خارج البيت إلا في الكنيسة!!! وظل يخدم أباه الشيخ إلى أن أسلم روحه الطاهرة.

وبموت أبيه ابتدأ يفرق مقتنياته كلها التي ورثها عنه، ولما بدأت أمه تعنفه على مسلكه، كان يحتملها بصبر، إلى أن تنيحت هي الأخرى بعد ستة أشهر من نياحة بعلها.



تاج لأحد الأعمدة زخرفته السائدة ورقة نباتية حادة الأطراف، من دير أبًا إرميا بسقارة يرجع إلى القرن السادس/السابع ـ معروض بالمتحف القبطي

***

الفصل الثاني
اعتزاله العالم

١ ــ الإعتزال الأول بجوار الريف.
٢ ــ الإعتزال الثاني والنهائي.

١ ــ الإعتزال الأول

وبوصية من راهب متوحد كان يسكن في ظاهر القرية، صادفه الشاب مقاره يوماً في الكنيسة؛ انطلق مقاره بعيداً من القرية وسكن وحده، كما فعل القديس أنطونيوس من قبل.

[وكان هناك راهب متوحد بعيداً من القرية قليلاً، يتقي الله كثيراً، هادياً في رهبنته، منفرداً وحده. هذا مضى إليه مقاره وعرَّفه أفكاره قائلاً: إني أؤثر أن أعيش منفرداً وأهتم بخلاص نفسي. فتعجَّب المتوحد من لطف خطابه وتواضعه، فأجابه بكلام أحلى من الشهد، وقال له: الشيء الذي فكَّرت فيه اعمله، فإن دعوتك هي من الله. وأرشده الشيخ أن يمضي بعيداً من القرية ويسكن في قلاية وحده، لأنه لم تكن هناك بعد أديرة](١).

وهذا هو الإعتزال الأول الذي دام عشر سنوات، والذي قُرب نهايته احتال أهل القرية عليه ومازالوا يتوسلون إليه حتى رسموه قساً حسب روايته التي رواها عن نفسه(٢). وتقول المخطوطة العربية: [فلما شاهد أهل تلك القرية أعماله الحسنة وتواضعه الكثير، تشاوروا فيما بينهم ليرسموه قساً، فمضوا إلى أسقفهم القديس الذي في أشموم (أشمون) ليقسمه قسيساً، ولما وافق الأسقف أتوا مسرورين إلى قلايته فأخذوه غصباً ومضوا به إلى الأسقف فقسمه لهم قساً، وصارت عليه نعمة الله ليُعين نفسه والكثيرين].

ويقول رينيه باسيه(٣)ــ اعتماداً على تاريخ لوزياك، أن الأسقف هو الذي أجبره على قبول الرسامة بسبب ذيوع شهرته كناسك. ويقول المؤرخ سوزومين(٤): إن القديس مقاره رُسم

(١) المخطوطة المذكورة رقم ١٨ س.

(٢) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤.

(3) Synax, R. Basset.

(4) Soz., Ecc. Hist., III. 14.

قساً وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م.، وذلك في نهاية اعتكافه الأول الذي دام عشر سنوات، وإن القديس بدأ وحدته ونسكه وهو في سن الثلاثين. وهذا القول يدعمه أقوال الآباء باللاتينية لكوتلييه(٥).

الفضيلة تلازم مقاره منذ بدء نسكه:

[وفي هذه الأيام، حدث أن خرج من قلايته، فرأى شخصاً يسرق حاجاته و يضعها على جمل، فاقترب إليه متظاهراً أنه غريب وعاونه في ترتيب وتحميل الحاجات على الجمل. و بعد هذا ضرب السارق الجمل لينهض و يسير، فلم يقم الجمل. فدخل مقار يوس قلايته فوجد فيها مخلاة تركها السارق، فحملها للسارق قائلاً: «يبدو أن الجمل يرفض القيام قبلما يأخذ هذه المخلاة أيضاً»، فوضع المخلاة على الجمل ونخسه(٦)، فقام الجمل طاعة للقديس. وسار الجمل وخلفه السارق مع القديس أنبا مقاره الذي أخذ يناجي نفسه قائلاً: «إننا دخلنا العالم بلا شيء وواضح أننا لن نأخذ منه شيئاً. الرب أعطى والرب أخذ. وما حدث، فهذا بحسب مشيئته ومسرته، والحمد لله». و بعد ما سار الجمل مدة من الزمن برك على الأرض ورفض القيام إطلاقاً، إلا بعد أن حلُّوا الحمل وأنزلوه عن الجمل، وعندئذ قام ومشى بسهولة. وهكذا استرد القديس أمتعته...](٧).

التجربة الحزينة التي دفعته إلى الإسقيط، وبدء اعتكافه الكبير:

تقول المخطوطة القبطية المنسوبة للقديس سيرابيون تلميذ أنطونيوس، إن هذه التجربة القاسية التي امتحنه بها الرب ليزكي بها سيرته الطاهرة و يدفعه إلى داخل البرية، أتت عليه بعد رسامته قساً(٨) أثناء وجوده بالقرب من القرية، وهذه القصة كانت شائعة جداً بين الرهبان أثناء حياة القديس، لأنه ـــ على ما يُظن ـــ كان يرويها بنفسه كما يقول سيرابيون كاتب سيرته: [وهذه التجربة أنتم أجمعون تعرفونها كما شهد هو من فمه الطاهر، وأنا أجدد ذكرها في هذا الكتاب]...

---

(5) Cotel. Vit. pat. Latin 3:99, 615. ch. 25.

(٦) من هذا الوصف يتضح تماماً أن القديس مقاره كان جمّالاً، فعملية تحميل الجمل تعتبر صناعة لها أسرارها، وكذلك طريقة إعطاء الإشارة للجمل بالقيام بواسطة النخس بالرجل!!

(7) Apoph. pat. 55, S. no. 188, 189, Cotel. Vit. pat. 3:73, 5:16 & 6, 7:3 & 1.

(٨) يخطىء إيڤلين هوايت في تقديره أن القديس مقاره رُسم قساً وهو في الإسقيط، و بعد عشر سنوات من نسكه هناك. فالعشر سنوات قضاها بالقرب من الريف وانتهت برسامته كاهناً قبل دخوله البرية ـــ كما تقول المخطوطة القبطية لسرابيون تحقيق أميلينو.

[لما كنت شاباً وعائشاً في قلايتي بريف مصر، جاءوا واختطفوني ورسموني قساً على قرية. ولما لم أكن أهلاً لهذه الوظيفة، هربت إلى قرية بعيدة حيث كان يتردد عليَّ رجل بار يأخذ مني شغل يدي و يسد احتياجاتي.

وفي يوم من الأيام حدث أن بتولاً في ذلك المكان سقطت في الخطيئة وحملت في بطنها. فلما أُشهرت، سُئلت عمن فعل معها هذا الفعل فقالت: «المتوحد...!؟». وسرعان ما خرجوا عليَّ وأخذوني باستهزاء مريع إلى الضيعة، وعلّقوا في عنقي قدوراً مُسودة وآذان جرار مسخّمة، وشهّروا بي في كل شارع من شوارع الضيعة، وجماعة الصبيان يجرون خلفي وهم يضربونني قائلين: «إن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول وفضحها، اخزوه». وهكذا ضربوني ضرباً موجعاً، قربتُ بسببه من الموت، إلى أن جاءني أحد الشيوخ فقال لهم: «إلى متى هذه الإهانة؟ أما يكفيه كل ذلك خزياً؟»، ولكن دون جدوى. أما الرجل البار الذي كان يعولني، فكان يتبعهم من بعيد وهو خازي الوجه، وكانوا يستهزئون به أيضاً قائلين: «أنظر ماذا فعل ذلك المتوحد الذي كنت تُحدثنا عنه بكل وقار»، وكانوا يواصلون ضربي قائلين إنهم لن يسكتوا عن ذلك حتى يأتيهم بضامن يتكفل بالقيام بإطعامها وتربية ولدها. فقال الشيخ لخادمي: «إضمنه»، فضمنني. ومضيت إلى قلايتي ودفعت إليه الزنابيل التي كانت عندي قائلاً: «بِعْها وادفع ثمنها لـ«امرأتي» لتأكل بها». وخاطبتُ نفسي قائلاً: «كِدّ يامقاره، ها قد صارت لك امرأة». فكنت أشتغل ليلاً ونهاراً وأتعب لها لأقوم بإطعامها.

فلما حان وقت ولادة الشقية، مكثَتْ أياماً كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: «ما هو هذا؟»، فقالت: «إن كل ما أصابني كان بسبب أني ظلمت المتوحد واتهمته، وهو بريء، لأنه ما فعل بي شيئاً قط. لكن فلان الشاب هو الذي فعل بي هذا». فجاء خادمي إليَّ مسروراً وقال: «إن تلك الشقية ما استطاعت أن تلد، حتى اعترفت قائلة إن المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً، وقد كنت كاذبة في اتهامي له، وها هم أهل القرية كلهم عازمون على الحضور إليك، يريدون أن يتوبوا إليك و يسألوك الصفح والغفران».

فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمي، أسرعت هارباً إلى الإسقيط. وهذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النطرون][٩].

---

(٩) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤، وهي تطابق الأصل اليوناني القديم Laus. Hist. ch. XVII, ad. init.
وقد راجعناها على المخطوطة القبطية تحقيق أميلينو المجلد ٢٥ صفحة ٢٠٣ــ٢٠٥ من كتابه المعروف باسم A. M. G. (أنظر فهرس المختصرات).

٢ ــ الإعتزال النهائي

ظهور الشاروبيم والدعوة للإعتزال الكلي:

وبعد هذه الحادثة الحزينة ــ تقول المخطوطة إن القديس بدأ يفكر كيف ينتقل من الموضع جملة.

[ولما سمع القديس أن أهل القرية قادمون للإعتذار له ولتكريمه، فكر أن يخرج من ذلك الموضع ويمضي ويسكن في قلاية أخرى بعيداً، وفيما هو واقف يصلي من أجل هذا الأمر أمام المذبح في الكنيسة شاهَد عن يمينه كاروبيماً نارياً له ستة أجنحة، وكله مملوء عيوناً، فلما أراد القديس أن يتفرَّس فيه حسناً اشتمله الخوف فسقط على وجهه، فتقدم إليه الشاروبيم المقدس ومسكه وأقامه وقوَّاه وقطع عنه الخوف، فلما تأيَّد قال له لماذا ثقل قلبك؟ أنسيت ما قلته لك؟ حسناً الآن أنك احتملت هذه التجربة حتى تأخذ الكمال، غداً بادِر واخرج من هنا وامض واسكن في الموضع الذي أريه لك: فنسى مقاره كل الضرب والتعذيب الذي ألمَّ به... ولما كان الليل وقام للصلاة كعادته أبصر بغتة نوراً عظيماً في الموضع، فعلم القديس أنه الكاروبيم، وبقي ساعة وهو لا يخاطبه، لأنه كان مرتعداً. وبعد ذلك خاطبه وقوَّاه وقال له: امشِ ورائي كما أريك. فسار والكاروبيم أمامه، وبعد يومين دخل الجبل ودار به حوله كله، وأراه كل نواحيه وكل المواضع المزمع أن تكون مسكناً هناك. فقال القديس مقاره للكاروبيم: أطلب إليك ياسيدي عرِّفني أين أسكن في هذا الجبل؟ فقال له الكاروبيم: هذه الإرادة هي لك، ها كل البرية أمامك، لأني أخشى، لئلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الإضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطىء!... فليكن سكناك بسلطانك نفسك. فأينما أردت، أسكن. وجرِّب وكن صامتاً، وتأمل ذاتك، وتحرز حسناً من مقاومة الشرير وحِيَله، أما أنا فسأكون كل وقت معك كأمر الله].

الرحلة الخالدة التي فتحت آفاقاً جديدة للكنيسة إلى جيل الأجيال:

وتحت تأثير الفرح والنور الداخلي وبقيادة الشاروبيم، سار مقاره وحيداً متجهاً إلى جبل النطرون، يومين كاملين، كما تقول المخطوطة. وأخذ يدور في الجبل، وكأنما كان يضع الأساس الروحاني غير المنظور للحياة النسكية، التي ستدوم في تلك الأديرة إلى الأبد.



الإقامة في شيهيت:

يقول بالليديوس، في تاريخه إلى لوزاس: إن القديس مقاره التجأ إلى الصحراء وهو في سن الثلاثين(١٠)؛ و بناءً على ذلك يعتقد إفلين هوايت أن هذا التاريخ هو بداية سكناه في شيهيت. ولكن الحقيقة أن هذا التاريخ ٣٣٠م. هو بداية توحده عامة، لأنه توحد فعلاً في الصحراء المتاخمة لقريته مدة عشر سنوات، التي في نهايتها رُسم قساً، وكان يمارس خدمة الكهنوت في القرية التي زكّته قساً.

وأخيراً انطلق وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م. إلى شيهيت.
وتمدنا كل من المخطوطة العربية والمخطوطة القبطية ــ تحقيق المؤرخ أميلينو ــ بوصف لطيف عن الأيام الأولى التي قضاها القديس وحيداً في شيهيت.

تقول المخطوطة:
[فمشى الأب مقاريوس في الجبل، وشاهد كل ما فيه، ووصل إلى الموضع الذي يدعى بهلس Anaballos ولم يكن بعيداً من الماء العذب، وحفر في ذلك الجبل وعمل له مغارة وسكنها أياماً قليلة، ثم خرج يطوف البرية. وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر سرداباً وسكن فيه، لأن الناس (رفاق مهنته الأولى من الجمّالين حاملي النطرون) كانوا يطرقونه وهم في طريقهم إلى البهلس. و بعد زمان طويل وهو في ذلك الموضع، حدث أن أجناداً من الروم قام عليهم البربر وقتلوهم، مما جعله يصلح موضعاً آخر يصلي و يقرأ فيه (لا يعرفه أحد)، ومكاناً آخر يعمل فيه الضفيرة، يعرفه الجمّالون الذين كانوا يبيعون له شغل يديه و يأتونه بالخبز اليابس](١١).

أما المخطوطة القبطية فتضيف:
[إنه بسبب الأقوام الذين كانوا يطرقونه، انتقل جنوباً نحو الصخرة (صخرة شيهيت الأولى المعروفة الآن بقارة أولاد الملوك)، وحفر مغارتين بينهما سرداب](١٢).

ومن وصف المخطوطة القبطية يتضح أن المكان هو الموضع قرب البراموس الآن، حيث تجمّع حوله التلاميذ الذين صاروا باكورة شيهيت المقدسة، وأول دير في الإسقيط(١٣).
و يلاحظ أن المخطوطة العربية أوضحت أنه عاش في ذلك المكان **زماناً طويلاً**.

(10) Hist. Laus. ch. XVII.

(١١) المخطوطة العربية ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

(12) Amel. A. M. G.; XXV, p. 76.
(13) Hist. Monachor. Gr. ch. XXX.

الفصل الثالث

زيارة أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس

١ ــ الزيارة الأولى في بدء توحده سنة ٣٤٣م.
٢ ــ الزيارة الثانية بعدها بعشر سنوات تقريباً سنة ٣٥٣م.

١ ــ الزيارة الأولى

في أثناء فترة حياته الأولى، نعلم من المخطوطة العربية أنه قام بزيارته الأولى للأنبا أنطونيوس، وذلك في بدء إقامته بشيهيت، وبالتحديد بعد **ثلاث سنوات** من وصوله إلى شيهيت، حيث تقول المخطوطة:

[ولما لم يكن إنسان آخر ساكناً في ذلك الجبل يتعزى بمعاينته ويكشف له أفكاره التي يسوقها عليه العدو، حدث أنه بعد **ثلاث سنين** فكر في نفسه وقال: ها إني جئت إلى هذا الموضع، وليس لي أحد يرشدني إلى سيرة سكان البرية، أقوم الآن وأمضي إلى الأب أنطونيوس، لأنه كان قد سمع به وهو بعد في مصر. وقام وبدأ المسير في الطريق حتى وصل إلى الأب أنطونيوس في الجبل الشرقي. فلما اجتمع بالشيخ القديس قَبله بفرح وكشف له أفكاره كإبن لأبيه. وإن الشيخ القديس أنطونيوس قَبَّل رأس القديس مقاريوس وقال له: ياإبني مقاره، إنك عتيد أن تصير مغبوطاً كاسمك!! وإن الشيخ العظيم وعظه وأيده بكلام كثير بما يليق بزي الرهبنة المقدس وعرَّفه بقتالات العدو. ولما طلب منه الأب مقاره بتواضع وتخشع أن يسمح له بالسكنى عنده، أن الشيخ الأب أنطونيوس لم يطلق له ذلك؛ لكنه قال: كل واحد منا يلزم الموضع الذي دعاه الرب إليه. ومكث عند الشيخ أياماً قليلة، قبل فيها وصايا ورسوم خدمته. ثم قام ورجع إلى جبله، وجلس في قلايته صامتاً يخدم الله متكلاً عليه وحده. وكان الكاروبيم يفتقده دائماً].

وهكذا يبدو لنا أن هذه الزيارة الأولى تمت سنة ٣٤٣م. وفيها أصبح مقاره تلميذاً للأب الكبير أنبا أنطونيوس(١)، بمعنى أنه استلم منه «وصايا ورسوم خدمته» وكل «ما يليق بزي

(1) Butler (L.H. ii, p. 193).

الرهبنة المقدس» (٢).

و يصف كتاب أقوال الآباء هذه الز يارة هكذا:
[وذهب أبا مقاره الكبير لز يارة أبا أنطونيوس في جبله، فلما دق الباب خرج أنطونيوس إليه وسأل: من بالباب؟ ثم قفل ودخل إلى مغارته وتركه خارجاً، ولما رأى صبره فتح له وتحدث إليه بلطف قائلاً: «إن لي زماناً كثيراً وأنا مشتاق أن أراك، إذ سمعت بأخبارك». وأراحه لأنه كان مُجهَداً من أثر تعب شديد. ولما حان المساء بلَّ أنطونيوس قليلاً من الخوص لنفسه، فقال له مقار يوس: «أتسمح أن أبلَّ لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟»، فقال له: «بلّ». فأصلَح حزمة كبيرة و بلّها، وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة، فرأى أبا أنطونيوس باكراً أن مقار يوس قد ضفَّر كثيراً جداً، فقال: «إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين»] (٣).

٢ ــ ز يارة أنبا مقار الثانية للأنبا أنطونيوس

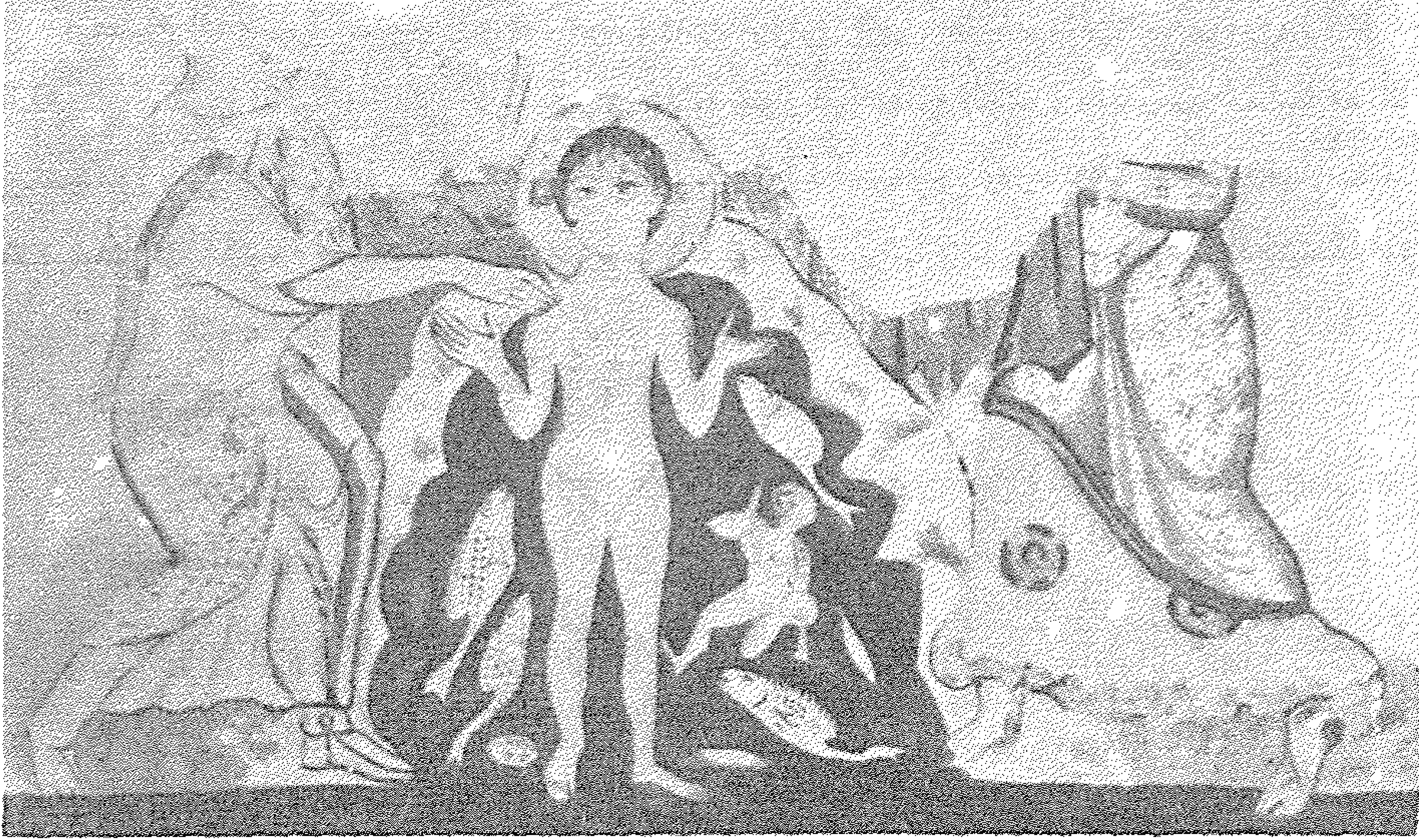
والمخطوطة القبطية والعربية لسيرابيون تذكر ز يارة أخرى قام بها أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس، ولكن كثيراً من العلماء يؤكدون عدم حدوث مثل هذه الز يارة. غير أن من أقوال الآباء(٤) يبدو بكل وضوح وتأكيد أنه تمت ز يارتان فعلاً؛ ففضلاً عن الرواية التي ذكرناها، أتى في أقوال الآباء خبر عن ز يارة أخرى ذات لهجة وألفاظ تُخالف الأولى تماماً:
[حدث مرة أن ذهب أبا مقاره لز يارة أبا أنطونيوس، فلما تحدث معه عاد إلى شيهيت، وجاء الآباء لإستقباله. و بينما هو يتحدث معهم، قال لهم: لقد قلت لأبًا أنطونيوس إننا لا نقيم ذبيحة في موضعنا «ديرنا بشيهيت»] (٤).
فاستقبال الآباء لأنبا مقاره في هذه المرة يفيد أنه كانت قد تكونت جماعة كبيرة، حتى أنها صارت تحتاج إلى إقامة كنيسة، أما في الز يارة الأولى فواضح أنه كان وحيداً ومبتدئاً.

وهكذا يتحقق تماماً(٥) أنه حدثت ز يارتان بالفعل: الأولى بعد بدء حياة القديس مقار يوس بشيهيت بثلاث سنوات، كما تقول المخطوطة بوضوح، وكانت لطلب معونة شخصية وحكمة وإرشاد. والثانية تمت بعد الأولى بزمان طو يل، كما تقول المخطوطة، وذلك من أجل ازدياد حروب العدو عليه، ولأخذ نصائح للرعاية وقيادة النفوس التي تكاثرت حوله، وللإستشارة بخصوص بناء كنيسة مستقلة عن نتر يا تكون في وسط شيهيت.

(2) Amel. A. M. G.; XXV, p. 77.
(3) Amel. A. M. G.; XXV, p. 77; Apoph. Patr. Macar. IV. بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٦
(4) Apoph. Patr. XXVI, Macar. Aegypt.
(5) Ev. White, II, p. 68.

ويظن إڤلين وايت مع كثير من المؤرخين، ظناً خاطئاً، أن في الزيارة الثانية قام أنبا أنطونيوس برسامة أنبا مقار قساً. وهذا يدعو للدهشة والعجب، فكيف يرسم قسيس قسيساً آخر، مع أنه معروف أن الرسامة منذ العصر الرسولي لا تتم إلا على يد أسقف؟ ثم أن الكلام الذي تبادله القديسان معاً لا يحتمل أي معنى لتكميل رسامة من أي نوع.

ولكن تضيف كل من المخطوطة العربية والقبطية أن في الزيارة الثانية سلّم القديس أنطونيوس «شبوتته»، أي عصاته العتيقة ϣⲃⲱⲧ، إلى مقاره تعبيراً عن تسلمه أمانة التدبير الرهباني من بعده(٦).



رسم حائطي يمثل معمودية السيد المسيح ـــ من القاعة رقم ٣٠ في دير باويط
يرجع إلى القرن السادس/السابع

(6) Tischendorf. Travel in the East, p. 51.

الفصل الرابع

علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتر يا والقلالي
وز يارته للقديس باخوميوس الكبير

١ ــ توافد الآباء الأوائل إلى شيهيت.
٢ ــ تردد أنبا مقاره على نتر يا والقلالي.
٣ ــ خبر عن ز يارته للقديس باخوميوس أب الشركة.

١ ــ توافد الآباء الأوائل إلى شيهيت

معلوم أن سيرة القديسين مكسيموس ودوماديوس كتبها الشماس الراهب بيشوي (وهو غير القديس بيشوي الكبير) الذي كان يقيم في قلاية بجوار أنبا مقاره الكبير، وقد رُسم شماساً مع أنبا إيسيذوروس القس على الكنيسة التي بُنيت تذكاراً لمكسيموس ودوماديوس، ولهذا اهتم بصفته شماساً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس أن يكتب سيرتهما بتدقيق و يستودعها الكنيسة. وفي هذه السيرة التي حققها أميلينو، يتضح أن آباء شيهيت الأوائل كانوا من متوحدي نتر يا والقلالي، أو كما تقول المخطوطة[1]:

[جاءوا إليها من جبل برنوج، ومن منشوبيات المتوحدين (القلالي)، ومن جميع أنحاء مصر].

ومن أقوال الآباء الكثيرة نعلم تماماً أسماء بعض هؤلاء المتوحدين الأوائل الذين نزحوا من نتر يا والقلالي، وأقاموا في شيهيت، بمجرد أن اشتهر إسم القديس مقار يوس، أمثال:

١ ــ الأب «أموي»= وهو الأب الروحي ليوحنا القصير و بيشوي، اللذين كوَّنا أول مجموعتين دير يتين معاصرتين للقديس أنبا مقاره. وأموي كما تقول أقوال الآباء[2] كان قد تتلمذ في نتر يا أولاً على الأب بيتو Pithou

٢ ــ الأب إيسيذوروس: وهو أصلاً من متوحدي نتر يا وكاهن للقلالي، وقد تعيَّن أول كاهن بشيهيت تحت تدبير أنبا مقاره.

٣ ــ الأب شيشوي: الذي صار مشهوراً بتعاليمه ونصائحه. وقد نزح من شيهيت بعد ذلك إلى جبل العربة وسكن في قلاية أنبا أنطونيوس بعد نياحته.

---

(1) Amel. A. M. G.; XXV, p. 262, 311.
(2) Ibid. p. 98.

٤ ــ ونقرأ عن آباء من نتريا ظلوا يترددون على شيهيت كل أيام حياتهم، أمثال مقاريوس الإسكندراني و باموو بيور(٣) و بشيوس (أخ أنبا بيمن) واسحق وآمون ...إلخ.

٢ ــ تردُّد القديس مقاره وتلاميذه على نتريا والقلالي

أولاً: زيارته لنتريا:

في مدة إقامة القديس مقاره بشيهيت وحتى زمن زيارته الثانية للأب الكبير أنطونيوس، لم تكن في شيهيت كنيسة لإقامة القربان(٤). وفي أثناء هذه الفترة التي ربما تكون قد طالت إلى عشر سنوات(٥) أو أقل قليلاً، كان القديس مقاره هو وتلاميذه يسافرون باستمرار إلى منطقة القلالي ونتريا لحضور الكنيسة والإشتراك في القربان المقدس.

و يقول بالليديوس إن في المدة التي كان يتردد فيها أنبا مقار باستمرار على نتريا، والتي طالت إلى عشر سنوات، اشتهر بين آباء نتريا بالحكمة ورجاحة عقل الشيوخ، فلقبوه باللقب الذي اشتهر به بعد ذلك «**الشاب الشيخ**» = بيدار يوجيرون παιδαριογέρων (٦). وتوجد حوادث وأقوال في سيرته وفي أقوال الآباء تفيد كثرة تردد أنبا مقار على نتريا منذ بدء حياته حتى إلى أواخر أيام حياته.

ومن القصص التي توضح زياراته الأولى لحضور الصلاة في كنيسة نتريا، القصة التي تروي كيف قابل فيها هو وتلميذه كاهناً وثنياً في الطريق يجري نحو المدينة، حيث المدينة هي نتريا (البرنوج)، التي كانت فيها كنيسة نتريا، كما كان فيها هيكل للوثنيين:

[قيل أن أبا مقاريوس المصري ذهب في إحدى المرات من الإسقيط إلى جبل نتريا، ولما اقترب من مكان مُعيَّن قال لتلميذه: «تقدَّمني قليلاً». ولما فعل التلميذ هذا قابله كاهن وثني كان يجري حاملاً بعض الخشب، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ فيه الأخ قائلاً: «ياخادم الشيطان، إلى أين أنت تجري؟»، فاستدار الكاهن وانهال عليه بضربات شديدة، وتركه ولم يُبق فيه سوى قليل نفس (لعله هو يوحنا تلميذ مقاريوس الذي تجذَّم بسبب مخالفته لأبيه). ثم حمل الكاهن الوثني ما معه من خشب وسار في طريقه. ولما ابتعد قليلاً، قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له: «فلتصحبك المعونة يارجل النشاط»، فاندهش الكاهن وأقبل نحوه وقال: «أي شيء جميل رأيته فيَّ حتى حييتني هكذا؟». فقال الشيخ: «إني أرى أنك تكدُّ وتتعب، وإن كنت لا تدري لماذا».

(3) Ibid. p. 185, 311.
(4) Ibid. p. 76.
(5) Ev. White, II, p. 66.
(6) Hist. Laus., ch. XVII.

فأجاب الكاهن: «وأنا إذ تأثرت بتحيتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن هناك راهباً شريراً صادفني قبلك ولعنني، فضربته ضرب الموت». فعرف الشيخ أنه تلميذه. أما الكاهن فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي، وقال له: «لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهباً». وإذ سارا معاً وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحاً، وحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل. أما الإخوة فعندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقاريوس تعجَّبوا كيف تحول عن الشر الذي كان فيه. وأخذه أبا مقاريوس وجعله راهباً، وعن طريقه صار كثيرون من الوثنيين مسيحيين] (٧).

وكان أبا مقاريوس الطوباوي يقول:

«إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى أشرار. ولكن الكلام الطيِّب المتواضع يحوِّل الأشرار أخياراً» (٨).

كذلك من القصص التي تكشف اهتمام القديس بالذهاب دائماً إلى نتريا لحضور القداسات، القصة التي ذُكر فيها: [جاء مرة القديس مقاره من شيهيت إلى نتريا لحضور تقدمة القربان للأب بيمن] (٩).

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا القداس كان مُقاماً تذكاراً لنياحة أنبا بيمن، ولكن القصة في ترجمتها اللاتينية المبكرة تفيد بوضوح أنه قداس عادي كان يقيمه أنبا بيمن بنفسه (١٠).

كما يعتقد بعض المؤرخين أن ذهابه للإشتراك في القربان المقدس في كنيسة نتريا يفيد أنه لم يكن قد رُسم كاهناً بعد، ولكن الحقيقة هي أن مقاره كان باستمرار يشترك في الأسرار دون أن يقوم هو بنفسه بتقديمها، حتى وبعد إقامة كنيسة في شيهيت.

ثانياً: زيارته لمنطقة القلالي:

أما زيارته لمنطقة القلالي (نيري أو نيرس) ومكانته الكبيرة بينهم، فتتَّضح من القصة التي تبدأ هكذا:

[أتى الأب مقاريوس يوماً من الإسقيط إلى نيرس، فقال له الشيوخ: قل كلمة للإخوة أيها الأب. فأجابهم قائلاً: أنا لم أصر بعد راهباً، لكني رأيت رهباناً. فقد كنت يوماً جالساً في الإسقيط في القلاية وإذا أفكار تأتيني قائلة: اذهب إلى البرية الداخلية وتأمل فيما تراه هناك. ومكثت مقاتلاً لهذا الفكر خمس سنوات، ظاناً أنه من الشيطان. لكني لما

(7) Amel. A. M. G.; XXV, pp. 211-212.
(8) Ibid. p. 213.
(9) Apoph. Patr., Mac. Aegypt., 11.
(10) Migne p. L., Lxxiii, Col. 1006.

وجدت الفكر ثابتاً مضيت إلى البرية. فصادفت هناك بحيرة ماء، وفي وسطها جزيرة، وقد وافت وحوش البرية لتشرب. وشاهدت بينها رجلين مجرَّدين (عاريين)، فجزعت منهما، لأني ظننت أنهما روحان. لكنهما لما رأياني خائفاً جزعاً، خاطباني قائلين: لا تجزع! فإننا بشريان مثلك. فقلت لهما: من أنتما؟... ومن أين أنتما؟ وكيف جئتما إلى هذه البرية؟ فقالا لي: «كنا في كنونيون، وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى ههنا. ولنا منذ مجيئنا إلى هنا أربعين سنة». وقد كان أحدهما مصرياً والآخر نوبياً، فسألتهما: كيف أصير راهباً؟ فقالا لي: إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهباً. فقلت لهما: إني ضعيف فما أستطيع أن أكون مثلكما. فقالا لي: إن لم تستطع أن تكون مثلنا، فاجلس في قلايتك وابكِ على خطاياك. فسألتهما: أما تبردان إن صار شتاء؟ وإذا صار حر أما يحترق جسداكما؟... فأجاباني: إن الله قد دبر لنا ألا نجد في الشتاء برداً ولا يضرّنا في زمن الحصاد حرّ. ثم سألاني: كيف حال العالم؟ هل ما زال النيل يصعد في وقته؟ وهل الدنيا بخير كما كانت سابقاً؟ فأجبتهما: نعم.

وأخيراً قال القديس للإخوة: لذلك قلت لكم إني لم أصر بعد راهباً! بل رأيت رهباناً، فاغفروا لي](١١).

ثالثاً: زيارته الأخيرة لنتريا والقلالي:

ومن القصة المشهورة التي وردت عن زيارة أنبا مقار لنتريا، وهو في أواخر أيام حياته، وقد بلغ التسعين من عمره تقريباً، بدعوة من شيوخ نتريا؛ يتضح بصورة قاطعة أن علاقة أنبا مقار بنتريا والقلالي توطّدت على مدى الأيام، لأن القديس مقار صار بالفعل أب آباء كل نتريا والقلالي وشيهيت، وهذا يتضح من الكلمات التي أرسلها شيوخ نتريا إليه:

[حدث مرة أن شيوخ نتريا (البرنوج) أتوا إلى أنبا مقاره يقولون له سِر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء إليك فيتعبك. فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله وطلب إليه الشيوخ قائلين: قُلْ للشعب كلمة أيها الأب. فقال: ياأولادي... لنبكِ أيها الإخوة، ولتَسِلْ دموعنا من أعيننا، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع، فلما قال هذا بكى وبكى الكل معه، وخرّوا على وجوههم قائلين: أيها الأب صلِّ علينا](١٢).

وقد ألقى القديس أنبا مقار في هذه الزيارة خطابه المطوَّل الشهير الذي سوف نفرد له مكاناً خاصاً من هذا الكتاب (أنظر ص ١١١ من هذا الكتاب).

---

(١١) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص١٥ وما بعدها.

(11) Apoph. Patr., Mac., 11.
(12) Apoph. Patr., Mac. Aeg., XXXIV.

٣ ــ خبر عن زيارة القديس أنبا مقاره للقديس باخوميوس أب الشركة

وفد في بعض الأيام الأب مقاريوس الكبير إلى الأب باخوميوس زائراً وفيما هما يتفاوضان في أقوال الله شاور الأب باخوميوس للكبير مقاريوس قائلاً: أيها الأب عندي ههنا إخوة سيرتهم على غير نظام فتأديبهم جيد هو أم لا . فأجابه الأب مقاريوس: أدب واحكم حكماً عادلاً في الذين تحت يدك فأما على غير هؤلاء فلا لأنه قد كتب احكموا على الداخلين والذين خارج الرب يحكم عليهم (١٣).



كورنيش من الحجر المنحوت بشكل أوراق الشجر الغنية بالتفاصيل الدقيقة تخرج من فرع متماوج
[من دير باويط (القرن السابع) معروضة في متحف اللوفر بباريس]

(١٣) المخطوطة العربية المطبوعة لسيرة أنبا باخوميوس، ص ١٣١ .

الفصل الخامس

شخصية القديس وصفاته

١ ـ جدِّيّة القديس وتحفُّظه.
٢ ـ قدرة فذّة على ستر عيوب الآخرين.
٣ ـ تسامح مرتفع الأبوة.
٤ ـ طول أناة القديس وقصة مكسيموس ودومادبوس.
٥ ـ صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم.

١ ـ جدّية القديس وتحفُّظه

يقول سقراط المؤرخ(١)، إن فضائل المقارين كانت متشابهة للغاية إلاّ هذا الفارق الوحيد، وهو أن مقاريوس المصري كان ذا هيبة، وبنوع ما صارماً مع الذين كانوا يقصدونه، بينما أن مقاريوس الإسكندري كان مَرحاً جداً في حديثه، لأن المحبة الفائقة التي كانت لمقاريوس المصري من نحو السكون جعلته أقل انفتاحاً وأكثر تحفُّظاً في الحديث. ولكن بالتأكيد لم يكن القديس يُظهر أبداً أي نقص في المحبة تجاه الذين كانوا يلجأون إليه، وإن كانت محبته أكثر جدية، إلا أنها لم تكن أقل وداعة ولا أقل رأفة. وليس أدل على ذلك من القول الذي جاء في أقوال الآباء:

[قال الأب بيتر: بينما كان الأب مقاريوس يتباسط مع الإخوة و يتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كلفة، بادره أحد الإخوة: «لماذا تعمل في نفسك هكذا؟». فما كان من الأب مقاره إلا أن قال له: «على مدى إثني عشرة سنة وأنا أخدم أمام الله طالباً هذه النعمة وأنتم تريدون مِّني أن أتخلَّى عنها الآن؟»](٢).

٢ ـ قدرة فذّة على ستر عيوب الآخرين

وكان يُقال(٣) أن مقاريوس كان يعيش كإله على الأرض، فكما أن الله يستر على الجميع

(1) Socr., 4:23.
(2) Apoph. Patr., Mac., Aegypt., IX.
(3) Ibid., XXXII.

ويحتمل خطايا البشر، هكذا كان هذا القديس يستر خطايا وعيوب إخوته. بل قيل أنه كان يراها كما لو لم يكن قد رآها، وأنه كان ينصت إلى ما يُقال إليه، وكأنه لم يكن قد سمع شيئاً.

(٤) ويحكى عن القديس مقار يوس، إنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر شنيع، وسمع به الأب مقار يوس، ولم يرد أن يبكّته. فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبراً، فمازالوا يراقبون الأخ الى أن دخلت المرأة إلى عنده. فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقار يوس. فلما أعلموه قال: «ياإخوة لا تصدّقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك». فقالوا: «ياأبانا، اسمح وتعال لتُبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا». فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادماً ليُسلّم عليه. وأمر الإخوة أن يبتعدوا عنه قليلاً. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحير في نفسه، وأخذته الرعدة؛ وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده (لخزين القمح). فلما دخل الأب جلس على الماجور، وأمر الإخوة بالدخول؛ فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحداً، ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور. ثم تحدّثوا مع الأخ، وأمرهم بالإنصراف. فلما خرجوا، أمسك القديس بيد الأخ وقال: «ياأخي، على نفسك أحكمْ، قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله». ثم ودّعه وتركه. و بينما هو خارج إذ بصوت أتاه قائلاً: «طوباك يامقار يوس الروحاني، يامن تشبّهتَ بخالقك، تستر العيوب مثله». ثم أن الأخ رجع إلى نفسه، وصار راهباً حكيماً مجاهداً و بطلاً شجاعاً.

٣ ــ تسامح مرتفع الأبوّة:

(٥) وقيل أن راهبين من الإسقيط اتُّهما بغلطة، فحرمهما القديس مقار يوس الإسكندري، الأمر الذي جعلهما يصممان على العودة إلى العالم. ولما عرف مقار يوس المصري بأمرهما أرسل في إحضارهما، فأكدا له أنهما بريئان مما نُسِب إليهما (القديس أراد أن يو بخ القديس مقار يوس الإسكندري على هذه الغلطة إذ كان يحبه). فكان يقول إن هذين الراهبين ليسا هما المقطوعين من الشركة، بل الذي قطعهما. فلما عرف القديس مقار يوس الإسكندري أن القديس مقار يوس المصري قد حرمه، انطلق من شدة الألم إلى بِرْكة (النترون) حيث نهشه البعوض(٦). ولما ذهب مقار يوس المصري إلى البِرْكة قابله وهو في هذا الحال، فدحه لأنه بعد أن حرمه تعمق في الوحدة أكثر، بينما صمم الراهبان الآخران بعد حرمهما على تركها. وأوصاه أن ينتبه لئلا ينخدع بالشيطان مرة أخرى، وأن يقدم توبة عن الغلطة التي صنعها بمعاملة الإخوة بهذه القسوة بدون أن يتأكد بنفسه من الخطية التي اتُّهما بها. فطلب إليه مقار يوس الآخر أن يضع عليه قانون تو بة. فلما رأى

(٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٣٢.

(5) Amel. A.M.G., XXV, pp. 222-225.
(6) Boll., 15 Jan.

القديس الهدوء الذي قَبل به مقاريوس الإسكندري التوبيخ، أمره بالبقاء ثلاثة أسابيع فقط بدون أن يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع ــ الأمر الذي لم يكن سوى نظامه المعتاد.

(٧) و يُنسب للقديس مقاريوس الكبير هذا القول الجميل في وداعته: «الراهب الحقيقي هو الذي يضبط نفسه في كل شيء. فإن كنتم وأنتم في طريقكم لتبكيت أخ تسقطون في الغضب، فأنتم تُكمّلون هوى أنفسكم أكثر مما تصنعون المحبة. فتحفّظوا من هذا الخطأ، لأنه لا يجب أن يهلك الإنسان نفسه في سبيل خلاص آخر».

(٨) وله في ذلك قول مأثور؛ قال الأب مقاره: «إن كنت في حال ردعك غيرك تحرد وتغضب، فأولى بك أن تشفي ألَمك أولاً، لأنه لا يليق أن تهتك نفسك لتُخلّص غيرك».

(٩) ولاِتضاع القديس مقاره، الذي يقال أنه كان يلبس الإتضاع كالثوب بواسطة روح الله، أراد أن يتعلم من راهب شاب في الإسقيط يدعى «زكريا» عن ما هو واجب الراهب. فأجابه زكريا: «أن يعامل الإنسان نفسه بشدّة في كل شيء».

(١٠) (حيث أن القانون الأول للمسيحية هو المحبة)، فإنه يُذكر عن القديس مقاريوس أنه لما قصد رؤية متوحد ووجده مريضاً ولم يكن عنده شيء في القلاية، فسأله عما يريد أن يأكل، أجابه أنه يتمنى أن يأكل قليلاً من الحلوى. فذهب القديس المملوء من كل سخاء المحبة، مسرعاً إلى الإسكندرية وأحضر له منها ما يتمنّاه.

(١١) و يُذكر عن وداعة القديس مقاره ما حدث أثناء ذهابه ذات مرة من الإسقيط إلى جبل نتريا وأمره لتلميذه أن يتقدّم قليلاً ومقابلته للكاهن الوثني، ودعة حديثه معه الأمر الذي قاده في النهاية أن يصير راهباً (كما ورد في القصة المنشورة في الفصل الرابع: علاقة القديس مقارة الوطيدة بنتريا (*)).

٤ ــ طول أناة القديس، وقصة مكسيموس ودوماديوس

حدثنا الأب بيجيمي أن بافنوتيوس تلميذ أنبا مقاره قال له:

---

(7) Boll; Cotel., Vita. Pat. V:4 & 28, III, 87.
Amel., A.M.G., XXV, p. 217.

(٨) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٣١.

(9) Boll; Cotel., Vita. Pat. III, 127; Apoph. Patr., Mac. Aeg., XXXIX.

(10) Ibid.

(11) Ibid.

(*) صفحة ٧٢ وما بعدها.

قال الأب مقاره:

[حدث يوماً وأنا جالس بالإسقيط أن أتاني شابان غريبان. أحدهما متكامل اللحية، والآخر قد بدأت لحيته. فقالا لي: «أين قلاية الأب مقاره؟» فقلت لهما: «وماذا تريدان منه؟» أجاباني: «نريد مشاهدته». فقلت لهما: «أنا هو». فصنعا مطانوه وقالا: «يامعلم، نشاء أن نقيم عندك». فلما وجدت أنهما في حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى، أجبتهما: «لكنكما لا تحتملان السكنى ههنا». فأجابني الأكبر قائلاً: «إن لم نحتمل السكنى ههنا فإننا نمضي إلى موضع آخر». فقلت في نفسي: «لماذا أنا أطردهما؟ أنا أتركهما لعل شيطان التعب يشككهما في ما عزما عليه». فقلت لهما: «هلما فاصنعا لكما قلاية إن قدرتما». فقالا: «أرنا موضعاً يصلح». فأعطيتهما فأساً ومقطفاً وكذلك قليلاً من الخبز والملح، وأريتهما صخرة صلبة (صخرة شيهيت المشهورة الآن بقارة أولاد الملوك). وقلت لهما: «إنحتا هنا لكما مغارة، وأحضرا لكما خصاً من الغابة وسقفا واجلسا»، وتوهمت أنهما سوف ينصرفان من شدة التعب. فسألاني: «وماذا تصنعون ههنا؟» فقلت لهما: «إننا نشتغل بضفر الخوص». وأخذت سعفاً وأريتهما بدء الضفيرة وكيف تُخاط، وقلت لهما: «اعملا زنابيل وادفعاها إلى الخفراء ليأتوكما بخبز». وعرّفتهما ما يحتاجان من معرفة، ثم انصرفت عنهما. أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتياني. فبقيت مُقاتِل الأفكار من أجلهما إذ لم يأتيا إليّ ولا سألاني في شيء. ولم يحاولا الكلام مع أحد قط، ولم يبارحا مكانهما إلا كل يوم أحد فقط، حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان. فصليت صائماً أسبوعاً كاملاً إلى الله ليعلن لي أمرهما. وبعد الأسبوع مضيت إليهما لأفتقدهما وأعرف كيف حالهما؛ فلما قرعت الباب عرفاني وفتحا لي وقبّلاني صامتين؛ فصليت وجلست. وأومأ الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج، أما الأكبر فجلس يضفر في الضفيرة ولم يتكلم قط، فلما حانت الساعة التاسعة، أومأ إلى الشاب فأتاه؛ وأصلحا مائدة وجعلا عليها ثلاث خبزات بقسماطات (كانت هي الخبز المعتاد لرهبان مصر) ودأما صامتين. فقلت لهما: «هيا بنا نأكل». فنهضنا وأكلنا، وأحضرا كوز ماء فشربنا. ولما حان المساء، قالا لي: «أتنصرف؟» فقلت لهما: «لن أنصرف، لكني سوف أبيت ههنا الليلة». فبسطا حصيرة في ناحية وبسطا أخرى لهما في ناحية أخرى، وحلا اسكيميْهما ومنطقتيْهما ورقدا أمامي على الحصيرة. فصلّيت إلى الله أن يعلن لي ماذا يعملان. وإذ كنت راقداً، ظهر فجأة في القلاية ضوء كضوء النهار ــ وكأن سقف القلاية قد انفتح ــ وكانا يشاهدانه. فلما ظنّا أني نائم، نخس الأكبر الأصغر وأقامه؛ وتمنطقا وبسطا أيديهما إلى السماء، وكنت أراهما وهما لا يبصرانني وإذا بي أرى الشياطين مقبلين نحو الأصغر كالذباب؛ فنهم من كان يريد أن يستقر على فمه، ومنهم من كان يريد أن يستقر على عينيه؛ فرأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً نارياً وهو يحيط بها ويطرد الشياطين عنها. أما الأكبر فلم يقدروا على الإقتراب منه. وما أن حان الفجر حتى وجدتهما وقد انطرحا على الأرض وناما. فتظاهرت كأني

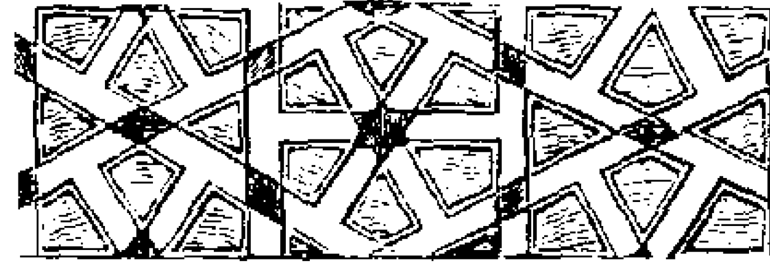
استيقظت، وهما كذلك. فقال لي الأكبر هذه الكلمة فقط: «أتشاء أن نقول الإثني عشر مزموراً؟» فقلت: «نعم». فقرأ الصغير خمسة مزامير، وفي نهاية كل مزمور ست آيات (من مكان آخر في الكتاب المقدس)، وهللويا؛ ومع كل كلمة كان يقولها، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء؛ كذلك الكبير إذ كان يفتح فمه و يقرأ، كان مثل حبل نار خارجاً وصاعداً إلى السماء. فلما انقضت الصلاة انصرفت قائلاً: «صلّيا من أجلي». فصنعا لي مطانية وهما صامتان. و بعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالث يوم تنيح الأصغر كذلك].

ولما كان الآباء يجتمعون بالأب مقاره، كان يأخذهم إلى قلايتهما، و يقول: «هلموا نعاين مكان شهادة الغرباء الصغار»(١٢).

وقد فسر القديس فيلوكسينوس في كتابه المعروف بتفسير البراديسوس، صفحة ٦٠، مسلك هذين الأخوين، ولماذا لم يمضيا إلى القديس مقار يوس في الإسقيط ثلاث سنوات، فقال: «لأن الكبير كان عاملاً كاملاً متضعاً، ولو كان قد مضى إليه لظهر كماله فكان يمجّده، وأما الصغير فكان يتعلم من الكبير».

٥ ــ صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم

(١٣) [جاء مرة الراهب أغريس (إيفاجر يوس البنطي الأوريجاني) إلى القديس أنبا مقار وسأله كلمة منفعة، فقال له أنبا مقار: إذا قلت لك، هل تسمع لي؟ (لِعِلْم القديس أن هذا الراهب متمسك بحكمته). فقال أغريس: إن إيماني بك ومحبتي لك أنت تعلم بهما! فقال له أنبا مقار: إنك حقاً تحتاج أن تتزيَّن بالفضيلة، ولكن الأحسن لك، إن كنت تستطيع، أن تطرد عنك فخر الحكمة العالمية وتتمسك بإتضاع العشار، وأنت تحيا. فقال أغريس: إنه لما قال لي هذا عملت له مطانية وانصرفت، وكنت أقول في نفسي إن أفكاري مكشوفة لأنبا مقار رجل الله، وكنت في كل وقت أقابله أرتعد من حُكمه الذي سمعته منه](١٤).



(١٢) هذه التسمية تعني هيكلاً صغيراً مقاماً فوق أجساد مقدسة وتسمى مارتير يا μαρτήρια باللغة اليونانية ولا يستلزم ذلك أن تكون أجساد شهداء.

(13) Amel., XXV, p. 157, A.M.G.

(١٤) وهنا تنكشف حقيقة الراهب أوغريس الأوريجاني على حقيقتها بكل وضوح و بلا موار بة أنظر صفحة ٣٢٠.

الفصل السادس

الحياة التقشفية للقديس مقاره

١ ــ الخبز بالوزن والماء بالكيل.
٢ ــ جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله.
٣ ــ محبة العوز.
٤ ــ يعمل بيديه و يبيع شغله بنفسه و يشتغل كأجير.
٥ ــ صيام يوم عن كل كأس نبيذ حتى لا يُبطل عمل المحبة.

١ ــ الخبز بالوزن والماء بالكيل

يقول باللاديوس (١):

[من العبث أن نتكلم عن امتناع القديس مقاره عن الأكل والشرب، مادام أن أكثر الرهبان تهاوناً وأكثرهم قرباً من الأماكن المأهولة لم يسلّموا أنفسهم لسيطرة الشره. وهذه الرذيلة بالأكثر هي غير معروفة في البرية، لندرة الأشياء و بسبب الغيرة الإلهية التي تُلهبهم وتدفعهم إلى أن يتفوّقوا جميعاً في مختلف أنواع التقشفات التي كانوا يمارسونها].

وإن في قصة عنقود العنب(٢) الذي دار على جميع الإخوة في البرية دون أن يُفقَد منه حبة واحدة، لأعظم برهان على مستوى التقشّف العجيب الذي كان يسود على البرية، بفضل تعاليم القديس مقاريوس ونموذج حياته.

وأورد هذه القصة سقراط(٣)، عن إيفاجريوس البنطي الذي تتلمذ على القديس مقاريوس الإسكندري (حوالي عام ٣٨٥م). يقول إيفاجريوس:

[كنت ذات يوم في صحبة القديس أنبا مقار الكبير في ساعة الظهيرة. و بينما كنت أتحرّق من

(1) Laus., Ch. 19.
(2) Apoph. p., 25.
(3) Socrates, Ecc. Hist., IV, XXIII.

شـدة العطش استأذنت منه لأشرب ماءً. فأجابني: اكتفِ بالبقاء في الظل، لأنه يوجد الآن كثير من النـاس مسافرون بالبر أو بالبحر ومحرومون حتى من هذا الظل المتوفر أمامك. و بينما كنت أحدثه عن الإماتة، قال لي: لقد أمضيت عشرين عاماً كاملاً لم أكمّل إرادتي في الأكل والشرب والنوم، فما كنت أتناول الخبز إلا بقدر، والماء كنت أشربه بالكيل، أما النوم فكنت أَسْتَرِقُ القليل منه باستنادي على الحائط على قدر حاجة الجسد] (٤).

[وكان تدبيره العادي أنه لا يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع].

٢ ــ جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله

(٥) وكان وجهه وجسمه (النحيل) يكفيان لإظهار شدة تعففُه ونسكه، مع أن الأصوام لم تكن هي السبب الوحيد لنحافة جسده، بل هذا أيضاً كان نتيجة لمخافة الله التي امتلأت بها نفسه فأضمرت، بل وأحرقت، بنوع ما، كل جسده(٦).

٣ ــ محبة العوز

جاءه بعض النساك مرة ليروه في الإسقيط، فلم يجدوا في قلايته أي شيء من متاع الدنيا. وحتى الماء الذي يشرب منه وجدوه منتن الرائحة، فأرادوا أن يأخذوه إلى بلده لأجل تقويته (وتزويده بالأمور الضرورية)، ولكنه عرّفهم جيداً بأنه يحب هذا العوز، وأنه لو كان يريد تلك الضروريات، فإنه يعلم جيداً أين يطلبها بدون الإلتجاء لطلب معونتهم.

٤ ــ يعمل بيديه، و يبيع شغله بنفسه، و يشتغل كأجير

وكان يعمل طول النهار في قطع الخوص(٧). و يظهر بالأكثر تقشُّفه واتضاعه في أنه كان يحمل بنفسه من الإسقيط القفف والمقاطف التي كان يصنعها، ليبيعها في ترنوت على ضفة النيل. ومرة وجد نفسه متعباً تحت هذا الثقل، حتى أنه اضطر إلى أن يجلس على الأرض، وإذ كان ما يزال بعيداً عن النهر خاطب الله قائلاً(٨): [يارب أنت تعلم أنه ما عاد فيَّ قوة. وللوقت وجد نفسه على شاطىء النهر]. ومعروف أن القديس مقاريوس كان ينزل كل سنة مع النسَّاك في زمان الحصاد ليعمل كأجير في الحقول ليبتاع قُوتَه.

(4) Boll., 15 Jan.
(5) A.M.G., XXV, p. 205.
(6) Vit. Pat., 5:3.
(7) Vit. Pat., 3:212, 6:2.
(8) Boll., 6.

٥ ــ صيام يوم عن كل كأس نبيذ

(٩) ولوحظ أيضاً عن القديس مقاريوس أنه حينما كان يأكل مع النسَّاك كانوا يقدمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدَّم له، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد أقداح النبيذ التي شربها. وبهذا بينما كان الإخوة يُسرُّون بأن يقدموا له ظانين أنهم يشددونه، كان هو يأخذ منهم لتكون له فرصة أكثر للإماتة. ولكن تلميذه لما لاحظ أسلوبه هذا، استعطف الآخرين ألا يقدموا له نبيذاً، لأنهم كانوا يسببون له بهذا تعباً. ومنذ ذلك الحين امتنعوا عن تقديم النبيذ له.

+ + +

وكاسيان رأى أن أفضل خاتمة لكتابه الخامس هي أن يذكر هذه النصيحة عن القديس مقاريوس: [يجب على الناسك أن يجتهد في الصوم، كما لو كان متأكداً أنه سيعيش مائة عام؛ وأن يضبط شهوات نفسه و يتناسى الإهانات و يقاوم الكآبة ويحتمل الأتعاب والآلام، كما لو كان سيموت في اليوم نفسه]. فالفكرة الأولى تجعل الناسك حكيماً حاذقاً، وتجعله يحرص على الإنتظام الصارم في النسك بدون أن يسمح لنفسه بالتهاون، بحجة ضعف الجسد؛ بينما اعتبار الموت القريب يلهمه السمو الروحي بالإيمان الذي لا يقتصر على احتقار راحة الدنيا فقط، بل ويجعله راسخاً في احتمال المشقات لأنه سيثبت قلبه ونظره دائماً إلى السماء نحو المكان الذي يترقبه كل حين، مؤمناً أنه سوف يُدعى إليه.

أما كلام القديس مقاره نفسه فيكشف بكل وضوح قيمة ودرجة التقشف الذي كان يعيشه، ففي النسخة العربية لكتاب بستان الرهبان، يقول القديس في وصية لأولاده(١٠): «إن الراهب الذي يقتني أكثر من جِبَّة لا يساوي عند المسيح جبّة، لأن محبّي المسيح الذين تركوا نعيم الدنيا ولذّاتها تصبح منزلة العالم عندهم كمنزلة العُوَيْد الصغير، فلا يتألمون على فقد شيء منه. إن الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه فليس بكامل بعد. فإن كنا قد أُمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحري المقتنيات؟ إن الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنساناً غير ملتفت إلى الأشياء وليس بمتأسّف عليها إذا فقدها، لاسيّما إذا علموا أنه يمشي على الأرض بغير هَوَى أرضي».

(١١) وقال بعض الآباء للقديس مقاريوس: «هوذا جسدك قد يبس من قِلّة الأكل

---

(9) Apoph. Patr., Mac. Aegypt., X. & A.M.G., XXV, p. 206.

(١٠) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٢.

(11) Apoph. Pat., II, p. 294, S. 352.

والصمت». فأجابهم الشيخ: «حسناً، فإنه مكتوب قد يبست عظامي (من زفيري اليوم كله)، فإن الشجرة إذا قبلت قوة النار في طبيعتها، فإنها تجف ثم تشتعل؛ وهكذا إذا قَبِل قلب الإنسان خوف الله فإنه يتنق، إذ تجف الشهوات من طبيعة الجسد (وحينئذ يشتعل بحب الله))».

(١٢) أما وجهة نظر القديس مقاره في أهمية التقشُّفات الجسدية بالنسبة للحياة الروحية، فتظهر من قوله: «اسعَ لكل نوع من الإماتة، فإذا لم يكن لك الإماتة التي بالروح فاسعَ إلى إماتة الجسد، حينئذ تُعطى لك التي بالروح، فتموت عن كل إنسان؛ وحينئذ تستطيع أن تصل إلى موهبة الوجود الدائم مع الله في السكون».

(١٣) ولم يقتصر التقشف عند القديس مقاره على الأكل والشرب فقط بل على كل شيء... حتى على اقتناء الكتب الروحية نفسها. فقد [حُكِيَ عن القديس أن أتاه الأب ثيئوذور البرامي(١٤) (الذي كان يمتلك بعضاً من الكتب الثمينة) وقال له: «ياأبي عندي ثلاثة كتب ذات منفعة لي، كما أن الإخوة يستعيرونها مني و ينتفعون بها أيضاً، فالآن أخبرني ماذا أعمل بها؟» فأجابه الشيخ: «إن أعمال النسك حسنة، لكن أعظمها جميعاً هو الفقر الإرادي». فلما سمع أبا ثيئوذور هذا الكلام ذهب، و باع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء].
وقصة اللصوص الذين سرقوا قلايته فساعدهم هو بنفسه على سرقتها دليل عملي على ذلك (ارجع لهذه القصة ص٦٥).

وعلى مدى أقوال الآباء وسيرهم يلحظ القارىء بسهولة صورة هذا الأب الفاضل المجاهد، تارة حاملاً خوصه من البهلس إلى قلايته(١٥)، وتارة حاملاً قفة وسائراً بها ليبيعها في ترنوط (سوق شيهات) على سفر يومين(١٦)، وتارة نازلاً مع الإخوة (الأب شيشوي هنا هو الراوي) ليعملوا فَعَلة في حصاد القمح(١٧)!! حتى وفي زيارته لأنبا أنطونيوس، وفي نفس ليلة وصوله جلس يجدل الضفيرة حتى الصباح، وكان محصول عمله ضعف محصول أنبا أنطونيوس، مما أدهش الأب الكبير أنطونيوس وجعله يُقبِّل يدي مقاريوس و يقول: إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين!!

(١٨) و يدعو القديس فيلوكسينوس المنبجي أولاده أن يذكروا نسك الطوباني أنبا مقار، أنه

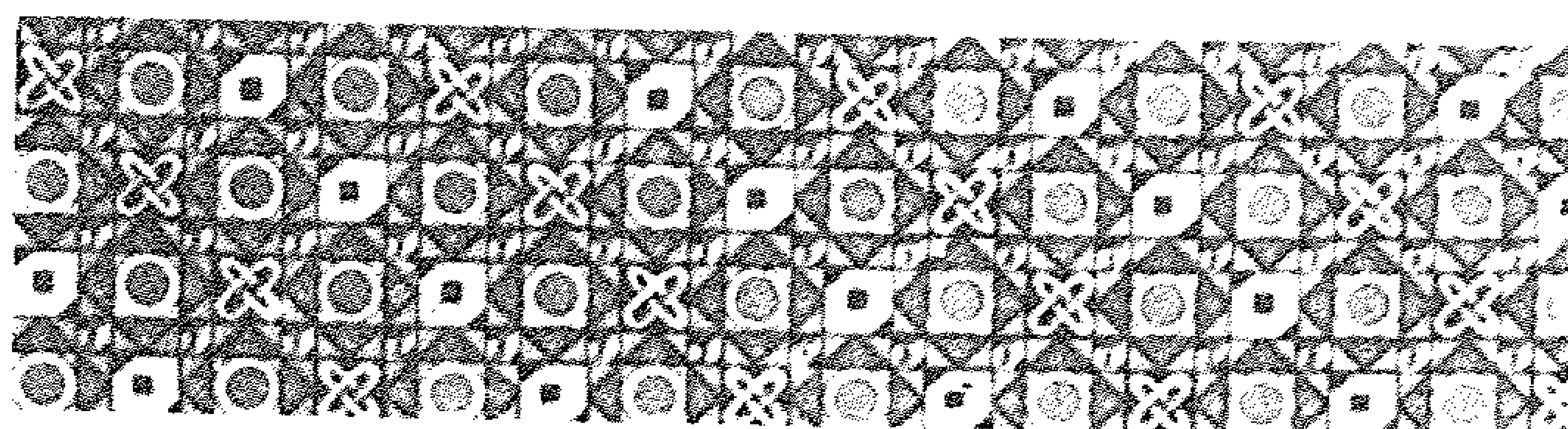
(12) Apoph. Pat., p. 252, S. 172.
(13) Apoph. Pat., p. 46, S. 161.

(١٤) و يسمى خطأً ثيئوذور الفرمي ولكنه ليس من الفرما بل من البراما وهي منطقة الأهرامات بالجيزة الآن أنظر صفحة ٢٧٩.
(15) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. IV.
(16) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. XIV.
(17) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. VII.

(١٨) مخطوطة رقم ١٨ (مصورة)

مدة عشرين سنة لم يشبع هذا المجاهد لا من خبز ولا من ماء ولا من نوم. كمثل ما قال: «خبزي كنت آكله بالميزان، ومائي كنت أشربه بالكيل. وكنت أخطف قليلاً من النوم وظهري مسنود للحائط. وهكذا كنت أستيقظ». ثم يتساءل: أي أجر صار للطوباني مقار يوس من هذا النسك المتعب؟ إنه صار إلهاً ثانياً على الأرض بين الناس، لأنه كما أن الله يظلل على الشعب، هكذا هو أيضاً كان يحتمل سقطات وضعف البشر.

كما فسر القديس فيلوكسينوس أيضاً كلمات القديس مقار يوس الكبير: «إن كان ليس لك الإماتة التي بالروح، فاسعَ إلى إماتة الجسد وحينئذ تُعطى لك تلك التي بالروح». فقال: «أي إن كنت ما وصلت أن تهتم بالله و بخيراته بعقلك، فاحرص في الأول أن تبعد من الناس بجسدك ولا تتكلم مع الأفكار الشريرة التي تتحرك فيك. وهذا كقول أنبا إشعياء: إن الهدوء يلد الهدوء، يعني أن هدوء الجسد يلد هدوء الذهن، وإن كنت ما تقدر أن تصلي صلاة روحانية، فاحرص أن تقتني صلاة نقية من قلب نقي، فإن كنت ما وصلت إلى هذا، فاحرص في هدوئك على خدمة المزامير وتكميل الصلوات السبع، بالمطانوات الكثيرة».



زخرف حائطي ملون من أشكال هندسية متداخلة في تناسق بديع ـــ القاعة رقم ١٩ من دير باو يط ـــ محافظة أسيوط
يرجع تاريخها إلى القرن السادس/السابع

الفصل السابع

محبة القديس للصلاة والوحدة

١ ــ في حالة دهش مستمر

(١) كل تقشفات الجسد كانت شيئاً قليلاً بالنسبة لهذا الرجل السماوي، الذي ما كان يُرَى إلا منجذباً بلا توقف خارجاً عن نفسه (حالة دهش إلهي)، وكان يتحدث مع الله أكثر مما كان يُفكر في كل ما هو تحت السماء(٢). وإذ طلب بعض الرهبان من القديس عن أي طريقة للصلاة، أجابهم: [ليس هناك حاجة إلى كلام كثير، بل يكفي أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وتقولوا: «يارب اصنع معي رحمة. واهدِنا كما تريد وكما تحب». وإن أصابتنا ضيقة قلنا: «يارب أعنّا». وتحت ضغط التجربة نقول: «ياإلهي أنت تعلم جيداً ما يلزمنا». وهو لن يتأخر عن معونتنا].

(1) Laus. Hist., 19.
(2) Amelineau A.M.G., XXV, p. 220.

٢ ــ وجود دائم في الحضرة الإلهية

وكان يقول أحياناً: «إن كنا نتذكر الإساءات التي صنعها بنا الناس فإننا نحرم أنفسنا من القدرة على ذكر الله، ولكن بقدرما نتذكر الإضطهاد الذي يوجهه ضدنا الشيطان، بقدرمالا يمكن لأي شيء أن يفصلنا عن الحضرة الإلهية». و يظهر أن هذا هو موجز الحديث الذي كان بين القديس و بين إيفاجر يوس، كما سنبينه فيا بعد.

٣ ــ مغارة سر ية للخلوة

نجد دليلاً واضحاً على حبه للصمت والصلاة بما سنورده(٣): لما كانت شهرته تجذب نحوه ز يارات كثيرة، لم يجد أي وسيلة للخلاص منها سوى أن يحفر بشخصه، وفي وقت طو يل، طر يقاً تحت الأرض يصل بين مغارته إلى مغارة بعيدة، كانت تبعد عنها نصف ميل. فعندما كان يجد الناس يزعجونه، كان يذهب سراً من قلايته إلى هذه المغارة بدون أن يستطيع أحد معرفة مكانه. وقد ذكر أحد تلاميذه أنه كان يتلو في أثناء ذهابه ٢٤ صلاة ومثلها في الإياب.

٤ ــ الهروب من الكلام

(٤) و بنفس روح الخلوة هذه، بعد انصراف الإخوة من صلاة القداس قال لهم: «اهر بوا ياإخوة». فأجابه واحد منهم: «وإلى أين يجب أن نهرب في هذه البر ية؟ هل يوجد مكان أبعد من هذه البر ية؟». فوضع القديس أصبعه على فمه قائلاً: «من هذا يجب أن نهرب». وللوقت انصرف إلى قلايته وأغلق الباب ومكث وحده.

٥ ــ الهروب من الناس

(٥) طلب الأنبا إشعياء من القديس أن يقول له كلمة تعليم، فلم يقل له سوى هذا: «إهرب من الناس». فلما سأله إشعياء: «وما هو الهروب من الناس؟»، أجابه: «هو جلوس الإنسان في القلاية، و بكاؤه على خطاياه، وكراهية الميل البشري للحديث؛ وأول الفضائل هو ضبط اللسان والبطن على السواء».

٦ ــ الإبتعاد عن المجاملات

جاءه الأنبا موسى يقول له إنه يشتاق إلى حياة الوحدة والسكون، ولكن افتقاد الإخوة له يمنعه

(3) A.M.G., XXV, p. 76; Laus. Hist. (Robert Mayer), p. 57.
(4) Cotel; Vit. Pat., 5:4:27 & Amelin. A.M.G., XXV, p. 216.
Boll; 15 Jan; Vit. Pat., 3:189.

(٥) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٥٢.

من ذلك، ولتواضعه الطبيعي ما كان يرفض كل من يطلب أن يراه. فأوصاه القديس أن يعتزل إلى برية أبعد، هي بترا Petrae ([٦])، ففعل موسى هكذا ووجد النياح الذي كان يتوق إليه([٧]). وإن الأنبا موسى هذا، هو رئيس اللصوص الشهير والذي اشتهر بالأكثر بالتوبة والرجوع. وبذلك تصبح الكنيسة مدينة للقديس مقاره بالفضل الذي نالته من الأنبا موسى.

٧ ــ نصيحة العمر

([٨]) وقد ثبّت الله القديس مقاره في محبته للخلوة عن طريق مقابلة رتبها الله له مع راهبين متوحدين صادفهما في البرية الجوانية، ونصحاه بالجلوس في السكون وحده. وقد ذكرها القديس بنفسه عندما ذهب من الإسقيط إلى نتريا لحضور الذبيحة التي كان يقدمها القديس بامو (الذي تنيح عام ٣٧٦م)([٩]) و يقول آخرون إنه جاء فقط إلى دير بامو في يوم كانت تُرفع فيه هذه الذبيحة.

وإنه ليُتعجّب جداً من اتضاع هذا الإنسان الإلهي الذي صار في كمالٍ عظيم. غير أنه كان يعتقد دائماً بوجود فضائل أعظم من فضيلته وقدرات أعظم من قدرته.

ولكي يعزي القديس أنبا مقار الإخوة([١٠]) (و يثبتهم في محبة الخلوة مبيناً لهم كيف أن الشيطان يرهبها) ذكر لهم أن أماً قد أحضرت إلى قلايته إبناً تسلط عليه الشيطان. فكان هذا الولد يقول لأمه: «هلم نقوم ونذهب من هنا». ولما كانت تجاوبه أنها ما تقدر أن تمشي قال لها: «سأحملك». و يعلّق القديس على هذا بقوله: «كنت مُعجباً بالمهارة التي كان يحاول بها الشيطان أن يطردهم من هنا».

٨ ــ الخدمة عدو الوحدة

([١١]) وإذ يريد أن ينفي الإغراء الذي كان يراود بعض الرهبان بأن يتركوا سكونهم ليعظوا الآخرين بحجة أن في هذا ربحاً أعظم، كان يشبّههم بـ«حلاق» كان يقتصد قليلاً كل يوم لأن الناس في المكان الذي كان فيه كانوا يدفعون قليلاً ثمناً لحلاقة الرأس. ولما طمع في ربح أكثر،

---

(٦) يوجد مكانان باسم بترا: **الأول** هو صخرة شيهيت، وهي تبعد قليلاً عن دير البراموس الآن، **والثاني** صخرة شيهيت المدعوة صخرة مقاريوس وهي موضع دير أنبا مقار الحالي.

(7) Amelin. A.M.G., XXV, p. 217.
(8) Ibid., p. 218-220.
(9) Vit. P., 6:3:4.
(10) Boll., 15 Jan., Vit. P., 5.18 & 18.
(11) Cass.; Coll. XXIV, 13.

ذهب إلى مكان آخر كانوا يدفعون فيه أكثر. ولكنه وجد هناك أن المعيشة مرتفعة جداً، فلم يستطع أن يقتصد شيئاً لأنه بالكاد كان يكفي معيشته.

٩ ــ الطموح مبدِّد لهدوء الوحدة

(١٢) وفي حديث له مع أحد المتوحدين، الذي جاءه حزيناً لأنه سمع بعذراء تصلي كل يوم بعدد صلوات أكثر منه. فقال له القديس مقاره: «لقد عشت حتى الآن ستين سنة في النسك، ولا أصنع سوى خمسين صلاة في اليوم، وأعمل ما يكفي لحصولي على حاجتي من الطعام، وأستقبل الإخوة الذين يأتون إليَّ، وأقول لهم ما يناسبهم، وأدفع ديوني، ومع ذلك فإن فكري لا يدينني كإنسان يستهين بالله. أما أنت الذي تصنع ثلاثمائة صلاة في اليوم أتلومك أفكارك؟ فإما أنك لا تقدمها بطهارة (قلب) أو أنك قادر أن تقدم أكثر منها ولا تفعل!».

١٠ ــ طياشة الفكر تعكِّر صفو الوحدة

(١٣) وقال أيضاً: «إذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتاً لئلا تسلِّم إناءك بيد أعدائك، لأنهم يشتهون اختطاف آنيتك التي هي أشواق نفسك، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهاراً وليلاً، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم، ولكنه يريد ألا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر إليه بدون التفات».

١١ ــ تهيئة النفس للوحدة

(١٤) وأيضاً عن السكون يقول القديس: «ضع همَّك كله في أن تطلب الله وأن تنجو من أيدي أعدائك. فالآن، يارجل الله، إن وضعت في قلبك أن تقتني الوحدة فهيِّىء ذاتك لها، واصبر على المسكنة، فإن الوحدة والمسكنة عظيمتان، وليس شيء من المواهب يساويها في القدر والكرامة لأنها يُقرِّبان إلى الله، كما لا تُحصى المواهب الموجودة داخلها لأنها يسوران جميع الفضائل، وهما في وسط جميع المواهب يتلألآن، لأنها مصدر أعمال القديسين، وجميع القديسين وجدوا الله فيها، وكَشفت لهم الأفكار، فوهبهم الله قلوباً نقية، وهم في المسكنة والوحدة جياع عطاشى، هؤلاء الذين لم يستحقهم العالم، تائهين في البراري والقفار والمغائر وشقوق الأرض. هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة قد وجدوا الله في الوحدة، وبالمسكنة والصبر، لأن مجد الوحدة

---

(12) Apoph., 295, S. no. 355.

(١٣) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٧٠ وما بعدها.

(١٤) شرحه.

غير محدود، ورجاؤها وفرحها هو الله، وهي العزاء في الفقر والمسكنة. غذاؤها الصبر، وخدمتها الكاملة هي الطهارة، وفرحها هو الإتضاع. هي التي لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنة في الطهارة».

١٢ ــ الصبر هو قوة الوحدة

(١٥) سأل أخ الأب مقاريوس عن الوحدة فأجاب الشيخ وقال: إن كنتَ حقاً تريد السكنى في الوحدة، فاصبر لها ولا تؤدِّ عملك يوماً في الداخل و يوماً في الخارج، ولكن اصبر لها باتضاع، والله الصالح يؤازرك. لا توجِد سبباً للخروج عن الوحدة حتى ولو ليوم واحد، بل اثبت في مسكنك لتذوق حلاوتها، ولا تبطىء خارجاً لئلا تجذب إليك المضاد وتتجدد عليك أتعابك وتحرَم من الصبر. لا تبطىء خارج قلايتك لئلا تجد أتعابك قدّامك عند رجوعك، فتتعب جداً في حربك و يصعب انتصارك. يارجل الله حتى متى تدوم لك هذه الأتعاب؟ اصبر للمسكنة، وعزاء الوحدة يأتيك من قِبَل الله. لا تضيِّع يوماً واحداً، ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك عزاء، و يعطيك الله سعادة في مسكنك.

١٣ ــ عثرة اللسان تُفسد الوحدة

(١٦) وقال أيضاً: «يجب على الراهب أن يكون في سكون كل حين، ولا يسمع لأفكاره التي تُوعز إليه بكثرة الكلام الذي يُضعف النفس، بل يمسك عن الكلام حتى ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم. لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفَّظ من لسانه، كما هو مكتوب في المزمور: «اللهم اجعل لفمي حافظاً وعلى شفتيَّ ستراً حصيناً». فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً بلسانه، ولكنه يصبح إلهاً على الأرض».

١٤ ــ أنظر إلى فوق دائماً

ومن تعاليم القديس مقاريوس التي لقَّنها للراهب ثيئوبمْبتُس، الذي كان قد استولى عليه الشيطان: «إذا داهمتك التجربة، فلا تخفض عينيك إلى الأرض، ولكن ارفعهما باستمرار إلى فوق، والرب يعينك في الحال»(١٧).

(١٥) المرجع السابق ص ٧١.
(١٦) المرجع السابق ص ٧٢.

(17) Apoph. Patr., Mac. 111.

الفصل الثامن

نبوّات ورؤى القديس مقاره



قلنا من قبل إن الله أعطى القديس مقاره المصري منذ سن الأربعين السلطان على الشياطين وموهبة شفاء المرضى، وروح النبوة. و يسهل علينا أن نورد أدلة على كل هذه الأمور:

[كان للقديس تلميذان في الإسقيط، أحدهما يعيش متوحداً في قلايته الخاصة والآخر إسمه يوحنا يعيش بجواره لخدمة المرضى وعمل واجبات الضيافة للذين يقصدون القديس. و بعد فترة من معيشتهما معاً، إذ كان القديس مقاره يرى بالإستنارة الداخلية ما كان مخفي عن الآخرين، خاطب القديس تلميذه يوحنا قائلاً: «إسمع مني ياأخي واحتمل مني رأياً قد ينفعك. إنك مُجرَّب بشيطان الطمع وحب المال لأني رأيته فيك، ولكن إن قبلت نصيحتي وأخرجته من قلبك فإنك تُكمِّل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية مُمجداً، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إن كنت لا تسمع لي فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزي لأن مرضه فيك» (١).

وقد تم ذلك فعلاً. فبعد موت القديس مقاره رُسم يوحنا كاهناً في مكانه ونسى قول القديس له، وعوضاً عن وصاياه تبع إيحاءات ذاك الذي دفع يهوذا أن يشنق نفسه بسبب حبه للمال، فأخذ ما هو مُخصَّص للفقراء. وأخيراً، بعد خمس عشرة سنة (بعد نياحة القديس) وُجِد هذا التلميذ مملوءاً برصاً بدرجة أنه لم يكن في جسده قدر أصبع غير مريض، فصار عبرة لرؤساء الأديرة ونُظّارها].

(٢) و يذكر بالاديوس، للدلالة على روح النبوة التي وهبها له الله، قول القديس مقاره إلى إخوته:

«حينما ترون الأبنية تُشيَّد بجوار البرْكة (للعلمانيين): فاعلموا أن خراب الإسقيط قريب. وحينما تبصرون أشجاراً تُزرع، فقولوا إن الخراب على الأبواب. لكن إن رأيتم في الإسقيط أطفالاً،

---

(1) Laus. Hist., ch. 19.

(2) Vit. Pat., V:18 & 11; Boll., 15 Jan.

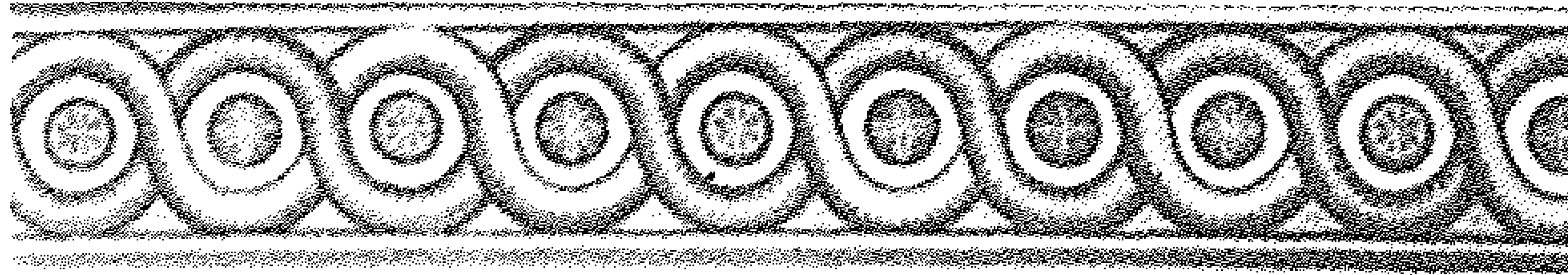
فخذوا إسكيمكم (ه) واهربوا».

وقد خربت هذه البرية بالفعل ثلاث مرات: الأولى منها، بعد نياحة القديس بقليل (١٧ سنة)، واضطر الرهبان أن يهربوا أمام هجوم البربر في هذه المنطقة (٣).

[قال أنبا مقار في نبوَّاته إن الطغمات الأولى الذين يسكنون في هذا الجبل يكونون أقوياء بالله في الأعمال مثل سِبَاع الجبال، وترتفع طلباتهم وصلواتهم وطِيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم دائماً أمام عرش الله، ويقيمون هكذا أزمنة كثيرة، وبعدها يطلق الله أن تخرب الأربعة دياره وتصير مقفرة. ولكن بعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح الرحوم أعمالهم وتدبيرهم وفضائلهم، ويستدعي مَن تبقَّى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: ارجعوا إلى بلد آبائكم واعملوا بمقدار قوتكم] (٤).

+ + +

وتوجد رؤى أخرى ونبوات لم نشأ أن نضعها هنا، ويجدها القارىء تحت فصول المعجزات وتسلُّط القديس على الشياطين ومعرفة خداعهم.



حلية ملونة على شكل ضفيرة في القاعة رقم ١٩ بدير باويط
ترجع إلى القرن السادس/السابع

(ه) وهي حسب النص القبطي «خذوا جلدكم واهربوا» (أي جلد الغنم المدبوغ الذي كان يلبسه الآباء على ظهورهم في الشتاء لإتقاء البرد). ومن هذا ترى أيها القارىء أن المَثَل المعروف: «فلان هرب بجلده» هو أصلاً مَثَل رهباني، ومعناه أن الراهب إذا رأى خطراً على خلاصه وطهارته فإنه يهرب بجلده (ولا يأخذ معه شيئاً آخر).

(3) Vit. Patr., V, 18 & 13, 14.

(٤) المخطوطة العربية سيرة مقاريوس ١٨ س، ص ٢٢ بمكتبة دير أنبا مقار.

الفصل التاسع

تسلُّط القديس مقاره على الشيطان والأرواح الشريرة

١ ــ شيطان الشهوات اللذيذة.
٢ ــ شيطان المعاثر المتنوعة.
٣ ــ شيطان المخاوف والإنزعاجات.
٤ ــ شيطان النصيب الأكبر.

١ ــ شيطان الشهوات اللذيذة

(١) كان الأب مقاره يرقب الطريق في أحد الأيام، فرأى الشيطان سائراً فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل إليه، وكان مرتدياً جلباباً كله ثقوب، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلقة فيه. فقال له القديس مقاره: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب: «أنا ماضٍ لأزور الإخوة لأذكرهم بعملهم». فقال له الشيخ: «ولأي غرض هذه الفاكهة المعلّقة عليك؟» فأجاب: «إني أحملها للإخوة كطعام» فسأله الشيخ: «كُلُّ هذه؟» فأجاب الشيطان: «نعم. حتى إذا لم يَرُقْ لأحد الإخوة واحدة منها أعطيه غيرها، وإن لم تعجبه هذه أعطيه تلك. ولابد أن واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد». وإذ قال الشيطان هذا، سار في طريقه.

فظل الشيخ يرقب الطريق حتى أقبل الشيطان راجعاً. فلما رآه قال له: «هل وُفِّقت؟» فأجاب الشيطان: «من أين لي أن أحصل على معونة!؟» فسأله الشيخ: «لأي غرض؟» أجابه الشيطان: «الكل قد تركوني وثاروا عليَّ. وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لإغرائي». فسأله الشيخ: «ألم يبقَ لك ولا صديق واحد هناك؟» فقال الشيطان: «نعم، لي أخ واحد. ولكنه واحد فقط، هذا الذي يخضع لي، على الرغم من أنه حينما يراني يحوّل وجهه عني كما لو

(1) Amelin., A.M.G., XXV, pp. 231-234.

كنت خصماً له». فسأله الشيخ: «وما هو إسم هذا الأخ؟» فقال له الشيطان: «ثيئوبمبتس Theopemptus». وإذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حينئذ قام الشيخ ونزل إلى البرية السفلى. فلما سمع الإخوة بمجيئه، أقبلوا للقائه بسعف النخل. وجهز كل راهب مسكنه ظاناً أنه قد يأتي إليه. ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ الذي يدعى ثيئوبمبتس، واستقبله بفرح. وبينما كان الإخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ: «هل عندك شيء تقوله ياأخي؟ وكيف هي أحوالك؟» فقال له ثيئوبمبتس: «في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي»، وذلك لأنه خجل أن يتكلم.

فقال له الشيخ: «هوذا أنا قد عشت في نسك شديد مدى سنين طويلة، وصرت مكرَّماً من كل أحد. وعلى الرغم من هذا، ومع أنني رجل شيخ، إلا أن شيطان الزنا يتعبني». فأجابه ثيئوبمبتس: «صدقني ياأبي، إنه يتعبني أنا أيضاً». واستمر الشيخ يوجِد سبباً للكلام — كما لو كان مُتعَباً من أفكار كثيرة — إلى أن قاد الأخ أخيراً إلى أن يعترف بالأمر. وبعد ذلك قال: «إلى متى تصوم؟» فأجاب الأخ: «إلى الساعة التاسعة». فقال له الشيخ: «صُمْ حتى العشاء، واستمر على ذلك. إتلُ فصولاً من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى. وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك، لا تجعل عقلك ينظر إلى أسفل. بل فليكن فوق دائماً. والرب يعينك». وهكذا إذ جعل الأخ يكشف أفكاره، وإذ شجعه، عاد ثانية إلى بريته. وسار في سبيله وكان يرقب الطريق كعادته.

ورأى الشيطان ثانية، فقال له: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب وقال له: «أنا ذاهب لأذكّر الإخوة بعملهم». ولما رحل ورجع ثانية، قال له القديس: «كيف حال الإخوة؟» فأجاب الشيطان: «كلهم مثل حيوانات متوحشة. كلهم متمردون. وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الواحد الذي كان مطيعاً لي قد انقلب هو الآخر، لأي سبب لست أعلم! ولم يعد يخضع لإغرائي بأي حال. وصار أكثرهم نفوراً مني. ولذلك قد أقسمت أني لن أذهب إلى ذلك المكان، إلا بعد مدة طويلة على الأقل».

٢ — شيطان المعاثر المتنوعة

(٢) وجاء أيضاً عن القديس مقاره أنه كان في وقت ما سائراً في أقصى البرية. فأبصر شخصاً هرماً حاملاً حملاً ثقيلاً يحيط بسائر جسمه، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان لابساً إياها بدلاً من الثياب، فوقف مقابله وجهاً لوجه يتأمله، وكان يتظاهر بالخجل تظاهر اللصوص المحتالين. فقال للبار: ماذا تعمل في هذه البرية تائهاً وهائماً على

(٢) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٠.

وجهك؟ فأجابه الأب قائلاً: أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح. ولكني أسألك أيها الشيخ باسم الرب أن تُعرِّفني من أنت؟... لأني أرى منظرك غريباً عن أهل العالم، كما تُعرِّفني أيضاً ما هي هذه الأوعية المحيطة بك، وما هو هذا الريش أيضاً؟

وقد كان الثوب الذي عليه مثقَّباً كله. وفي كل ثقب قارورة ــ فأقرَّ العدو بغير اختياره وقال: يامقاره، أنا هو الذي يقولون عنه شيطان محتال. أما هذه الأوعية فبواسطتها أجذب الناس إلى الخطية، وأُقدم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقه من أنواع الخديعة، وبريش الشهوات أكحِّل من يطيعني ويتبعني، وأسر بسقوط الذين أغلبهم، فإذا أردت أن أضل من يقرأ نواميس الله وشرائعه، فما عليَّ إلا أن أدهنه من الوعاء الذي على رأسي، ومن أراد أن يسهر في الصلوات والتسابيح فإني آخذ من الوعاء الذي على حاجبي وألطخ عينيه بالريشة، وأجلب عليه نعاساً كثيراً وأجذبه إلى النوم. والأوعية الموجودة على مسامعي مُعدَّة لعصيان الأوامر وبها أجعل من يسمع إليَّ لا يذعن لمن يشير عليه. والتي عند أنفي بها أجتذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند فمي فبواسطتها أجتذب النساك إلى الأطعمة، وبها أجذب الرهبان إلى الوقيعة والكلام القبيح. وبذور أعمالي كلها أوزعها على من كان راغباً ليعطي أثماراً لائقة بي. فأبذر بذور الكبرياء. أما من كان على ذاته متكلاً فإني أجعله يتعالى بالأسلحة التي في عنقي. والتي على صدري فهي مخازن أفكاري ومنها أسقي القلوب مما يؤدي إلى سُكر الفكر وأشتِّت وأُبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية. أما الأوعية الموجودة عند جوفي فهي مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجُهَّال لا يحسُّون، وأُحسِّن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم... أما التي تحت بطني فمن شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع وضروب الزنى والعشق واللَّذات القبيحة. والتي على يدي فهي مُعدَّة لضرب الجسد والقتل. والمعلَّقة وراء ظهري ومنكبيَّ فهي مملوءة من أنواع المحن المختصة بي، وبها أُقارع الذين يرومون محاربتي فأنصب خلفهم فخاخاً، وأُذلُّ من كان على قوته متكلاً. والتي على قدمي فهي مملوءة عثرات أُعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأني أن أخلط في بذور فلاحتي صنوفاً من الحسك والشوك، والذين يحصدون منها يُساقون إلى أن ينكروا طريق الحق.

وبعد أن قال هذا صار دخاناً واختفى. وإن القديس ألقى بنفسه على الأرض، وابتهل إلى الله بدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم.

٣ ــ شيطان المخاوف والإنزعاجات

(٣) ويُذكر عنه قصة أخرى توضح كيف أنه كان متسلطاً على الشياطين: جاء مرة من الإسقيط إلى «ترينوت» (الطرانة)، ودخل في معبد أو في قبر لكي يقضي الليل وينام. وكان في

(3) Boll., 15 Jan.; Vit. Patr. V:7, § 10. (Amelin., A.M.G., p. 213).

ذلك المكان عدة أجساد ميتة للوثنيين. فأخذ واحدة منها ليضطجع عليها كما لو كانت قبضة من القش. فغضبت الشياطين إذ رأته في مثل هذا الإطمئنان فأرادوا إزعاجه. فتظاهروا بالنداء على ذلك الميت قائلين: «يافلانة قومي معنا إلى الحمَّام». فكان شيطان آخر ينطق من تحت القديس، كما لو كان الميت بشخصه يتكلم: «لا أقدر أن أذهب لأنه يوجد شخص غريب متوسدني». فبدلاً من أن ينزعج القديس قام وضرب الجسد بشدة قائلاً: «قومي إن استطعتِ وانطلقي إلى الظلمة». فصرخت الشياطين بشدة قائلين: «قد غلبتنا». وهربوا في خزي وعار.

(٤) وذات يوم، بينما القديس عائداً إلى قلايته حاملاً سعف النخيل الذي جمعه عند بِركة الإسقيط، ظهر له الشيطان وفي يده منجل حاد جداً محاولاً أن يضربه به، ولما لم يستطع، صرخ قائلاً: «يامقاره، إنك تعذبنا بشدة عظيمة. كلما أحاول أن أسيىء إليك لا أجد قوة لذلك. أنت تصوم وأنا لا آكل أبداً. أنت تسهر وأنا لا أنام أبداً. لا يوجد إلا أمر واحد غلبتني فيه». فسأله القديس: «وما هو؟» أجابه: «تواضعك! هو الذي يجعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً ضدك».

فرفع القديس يديه للصلاة، فاختفى الشيطان.

٤ ــ شيطان النصيب الأكبر

[ومضى أبونا مقاره إلى الوادي دفعة، ليجمع سعف النخل. فلما جمع حاجته، وقف به الشيطان في زي راهب لابس إسكيم، وقال له: اعطني نصف هذا الخوص. فقال له الشيخ: خذ منه ما شئت. فأجابه الشيطان: أريد نصفه. فقسَّم القديس الخوص نصفين، وكان نصف أصغر من الآخر. وقال الأب: خذ ما شئت. فقال له الشيطان: أنت الذي تعبت خذ أنت ما تريد. فمدَّ القديس يده وأخذ النصيب الأصغر. فللوقت لم يطقْ الشيطان تواضع القديس، وصرخ بالصوت: الغوث منك يامقاره لقد غلبتنا بكثرة تواضعك. فسأله: ومن أنت؟ فأجابه الشيطان: أنا شيطان النصيب الأكبر](٥).

ويقول المؤرخ سقراط في كتابه: «التاريخ الكنسي» عن القديس أنبا مقاره الكبير هكذا: [إن مقار المصري قد صنع العديد من الأشفية، وأخرج كثيراً من الشياطين. وإذا أردنا أن نسجل هذه الحالات جميعها، يعوزنا كتاب بأكمله، لأن نعمة الله مكَّنته فعلاً من ذلك](٦).

كما يقول المؤرخ سوزومين عن القديس أنبا مقاره أيضاً هكذا: [إن الشياطين كانت ترتعب منه، وقد أجرى آيات وعجائب وأشفية مذهلة](٧).

---

(4) Boll., 15 Jan.; Vit. Patr. III: § 124; V, 15, §26; VII, 13, §6.
(5) Amelin., A.M.G., XXV, p. 227.
(6) Socr., Ecc. Hist., IV., 23.
(7) Sozomen, Ecc. Hist., III, 14.

الفصل العاشر

القديس مقاره رجل معجزات

١ ــ الموتى يقومون.
٢ ــ موتى يتكلمون.
٣ ــ بعض أعمال أخرى فائقة.

١ ــ الموتى يقومون

إن أول انطباع ارتسم في ذهن بالليديوس عند وصوله لشيهيت وسماعه أخبار وسيرة القديس مقاره، الذي كان قد مضى عام واحد على نياحته، هو أنه شخصية مَهيبة ورجل معجزات. فشهرة القديس مقاره ومكانته بين الشيوخ في نتر يا والقلالي وشيهيت، على السواء، كانت تستمد قوتها وأثرها في النفوس لسببين: الأول لحكمته الفائقة على حدود التصور، والثاني لكثرة المعجزات المدهشة التي رأوها بأعينهم ولمسوها بأيديهم.

ومعجزات القديس مقاره لا يمكن إغفالها عند دراسة حياته بسبب ذيوعها وانتشارها في كافة الأصقاع، مع تأكيدات من الآباء المعاصر ين له بصحة حدوثها بكل دقائقها و بأكثر مما يرويها المؤرخون عنه، وذلك بالرغم من ارتفاعها فوق مستوى المعقول البشري، مثل إقامة الموتى وإعادتهم إلى الحياة، وإبطال أعمال السحر العنيفة، وشفاء الأمراض المستعصية، ومخاطبته جثث الموتى.

القديس مقاره يقيم الموتى(١):

إن تواضع القديس مقار يوس جعله يخفي كثيراً من المعجزات التي كان الله يجريها على يديه، كما أن كثيراً من الظروف والتفاصيل المحيطة بما وصل إلينا من المعجزات مجهولة لدينا. فالمؤرخون

(1) On these miracles see:
a. Pallad. Laus. Hist. Macar. of Egypt. ch. 17.
b. Coptic. Mss.Zee Zoëga Cat., No. LXX, pp. 127 f.
c. Palladius und Rufinus; by Preuschen pp. 124 f.
d. Historia Monachor., ch. XXVIII.

يؤكدون أنهم لم يكتبوا جميع ما عرفوه عن هذه العجائب، لأنه لو كتبت لاحتاجت إلى مجلدات كثيرة. ومع ذلك فقد نقلوا إلينا الكثير من هذه العجائب.

ومن أشهر هذه العجائب أنه جعل ميتاً يتكلم إلى رجل هرطوقي ليقنعه بقيامة الموتى، و بذلك حُفظ إيمان شعب بأجمعه. وأهمية هذه الأعجوبة ليس في ذاتها، لكن فيما أدت إليه من نتيجة، أي حفظ إيمان شعب بأكمله:

كان يوجد في مصر بعض الهراطقة، وكان من بين هرطقاتهم عدم الإيمان بقيامة الأموات. وكانوا يُعرّفون باسم «الهيراسيت» Hieracites نسبة إلى مبتدعهم «هيراكس» Hierax (٢). وكانوا يقطنون مصر منذ أيام دقلديانوس. وتصادف أن واحداً منهم ذهب إلى البرية التي يقطنها القديس مقاره المصري وكان يسبب القلق والبلبلة بين المتوحدين بكلام ملق، بل وتجاسر على أن يتكلم بهذه البدعة أمام القديس شخصياً. وكان القديس يجادله، أما هو فكان يرد على كلام القديس البسيط بكلمات خداع. ولما وجد القديس أن المتوحدين في خطر تزعزع الإيمان، قال: «ما الداعي لهذا الكلام الباطل الذي يسيء إلى من يسمعنا؟ الأحرى أن نتوجه إلى مقابر الإخوة الذين سبقونا إلى السماء، وليعلم كلٌّ منا أن الذي يعطيه الله نعمة إقامة أحد هؤلاء فهو الذي يكون معتقده سليماً». فوافق الجميع على هذا الجواب وذهبوا إلى المقابر. وحث القديس ذلك الشاب الهرطوقي على أن يحاول إقامة أحد الأموات باسم الرب، أما الهرطوقي فقد طلب أن يفعل القديس ذلك أولاً باعتبار أنه صاحب الإقتراح.

فجثا القديس على ركبتيه وصلى؛ و بعد أن أتم صلاته، رفع عينيه إلى السماء وقال: «أعلمنا يارب بواسطة إقامة هذا الميت من مِنّا له المعتقد القويم؟» عندئذ دعا باسم أحد المتوحدين الذين دُفنوا من وقت قريب. فأجابه الميت من قبره، وتقدم الإخوة من الميت ونزعوا من عليه الكفن، وأخرجوه حيًّا من القبر. ففرَّ الهرطوقي فزعاً مذهولاً مما رآه. أما الإخوة فركضوا وراءه وطردوه من هذه الناحية.

هذه القصة هي بحسب رواية روفينوس. أما باللاديوس وسوزومين فاكتفيا بالإشارة إلى أن القديس أقام ميتاً، ليقنع أحد الهراطقة أن الأموات سيقومون جميعهم يوماً ما. أما كاسيان فينقلها إلينا بأكثر تدقيق، فيقول إن الهرطوقي هو «أونومي» Eunomien. وأضاف أن القديس مقاره هو الذي أتى إلى الكنيسة تلبية لدعوة أصحاب الإيمان الصحيح، وأن الإقتراح بإقامة الميت تأجل إلى اليوم التالي، ففر الهرطوقي هارباً وترك مصر نهائياً. أما القديس مقاره فانتظره مع الشعب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. ولما رأى أنه لم يأتِ، ذهب إلى الموضع الذي اعتاد أن يدفن فيه المصريون أمواتهم. و وجد هناك ميتاً منذ زمان طويل فتحدث إليه هكذا: «أيها الرجل. قل لنا

(2) On Hierax and his tenets see Epiphanius on Hierax, P.G., XLII, Col. 173 f.

لو كان هذا المرطوقي موجوداً بيننا ودعوتك باسم يسوع المسيح، ألا كنت قد قمت حياً أمام هذا الشعب الذي كاد أن يُضلّه هذا المبتدع؟» فقام الميت في الحال وأشار إلى أنه كان سيفعل هكذا. فسأله القديس عن شخصيته، وفي أي زمان عاش، وهل كان يعلم شيئاً عن يسوع المسيح، فأجاب أنه عاش في زمن أقدم الملوك وأنه لم يسمع قط عن يسوع المسيح. فأجابه القديس قائلاً: «ارقدْ بسلام، وانتظر إلى أن يقيمك يسوع المسيح في نهاية الزمان حسب رتبتك».

و يورد كاسيان هذه القصة للدلالة على أن القديسين ما كانوا يسعون وراء عمل المعجزات، بل حتى عندما يمنحهم الروح القدس هذه النعمة كانوا يستعملونها للضرورة القصوى. وأضاف كاسيان في نهاية القصة قوله أن مقار يوس، باتضاعه، أخفى عنا هذه العطية التي أنعم بها الروح القدس عليه. وأنه لولا حاجة المنطقة بأسرها، إذ كانت في خطر الهلاك، ولولا محبته للرب يسوع المسيح، لما قام بعمل هذه المعجزة، ولم يكن المجد الباطل ولا الرغبة في الظهور هي التي دفعته لذلك، بل محبته لمخلّصه وتحنُّنه على هذا الشعب.

والملاحظ أن كاسيان راهب ومؤرخ روحاني دقيق، وهو معاصر لزمن القصة، وقد استقاها من الشيوخ، وربما لا يكون قد مرَّ على حدوثها وقتئذ أكثر من عشر سنوات.

كذلك فإن القديس فيلوكسينوس(٣) المنبجي، يعلِّق على هذه الحادثة بقوله:

[لماذا أنبا مقاره وأنبا شيشاي وأمثالهما أقاموا موتى، وما جعلوهم يبقون في الحياة، بل قالوا لهم ارقدوا إلى زمان القيامة؟ لأنه لا ربح في بقائهم، لا للموتى ولا للذين أقاموهم ولا لغيرهم أيضاً، حسب ما يعلم الله الذي دبَّر أن يكون هذا الأمر هكذا، وعلى ما كان يظهر للآباء في الرؤيا. أما الموتى، فلأن بعض القديسين لما أقام ميتاً سأله: هل تريد أن تبقى في هذه الحياة؟ فقال: نياح الموت لي أخْيَر من عمل هذه الحياة. أما الذين أقاموهم فلئلا يستمر ظهور آثار آياتهم فيعظُم صيتهم و يُقاتلوا بالكبرياء والمجد الفارغ].

٢ ــ موتى يتكلمون

(٤) لم تكن تلك المرة هي الوحيدة التي فيها قام القديس بمثل هذه المعجزات. وهذه بعض منها صنعها القديس، ليعين بعض المساكين الذين افتُرِي عليهم.

تصادف أن قُتِل شخص في مكان قريب من القديس مقار يوس، واتُّهم شخص بريء بهذه الجريمة، فهرب تجاه قلاية القديس مقار يوس، فلحق به الذين كانوا يطلبونه. وقالوا إنهم هم

(٣) تفسير البراديسوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(4) Vit. Patr., L. II, 28, L. III, 41.

أنفسهم في خطر، إن لم يأتوا بهذا المتهم لمحاكمته. أما هذا المتهم المسكين فكان يؤكد بقَسَم أنه بريء من دم هذا القتيل. أمام هذا النزاع الذي طال كثيراً، سأل القديس عن موضع دفن القتيل. فلما دلُّوه عليه، ذهب معهم إلى الموضع، وجثا على الأرض، ودعا باسم الرب وقال لهم: «إن الرب سيرينا إن كان هذا المتهم هو الذي اقترف هذه الجريمة أم لا». ورفع القديس صوته وخاطب الميت باسمه، فلما جاوبه من قبره قال له القديس: «استحلفك باسم يسوع أن تخبرنا إن كان هذا الرجل قد قتلك؟» فأجاب الميت بصوت مفهوم أنه ليس هو الذي قتله. أما الحاضرون فخافوا أمام هذه المعجزة، وسجدوا متوسلين إلى القديس أن يسأله عمَّن قتله. فرفض القديس قائلاً: «لا داعي لذلك، إذ يكفيني أن أطلق سراح البريء دون التعريف بالقاتل. فربما يندم القاتل و يتوب، وهكذا تخْلص نفسه».

(٥) و يُحكى عنه قصة أخرى تشابه هذه نقلها إلينا الأنبا شيشوي:

[لما كنت في البرية مع الأنبا مقاره، ذهب سبعة منا لحصاد القمح. فكان في الحقل أرملة تلتقط وراءنا وتبكي كثيراً. فلما رآها القديس هكذا حزينة سأل صاحب الحقل عن سبب ذلك، فجاوبه صاحب الحقل: «إن إنساناً أودع لدى زوجها مبلغاً من المال ومات دون أن يعرِّفها بمكان الوديعة، وطالبها صاحب الوديعة، ولما لم تعرف مكانها هددها بأخذها مع أولادها كعبيد». فقال له القديس: «قل لها أن تأتينا ساعة راحة الظهيرة».

فأتت إليهم وحكت للقديس عن سبب بكائها الدائم. فطلب إليها أن تعيِّن له مكان دفنه. فذهب مع الإخوة بصحبتها إلى المكان الذي فيه دُفن زوجها، ثم صرفها إلى منزلها، أما هو فأخذ يصلي مع سائر الإخوة، ودعا الميت بصوت عال طالباً إليه أن يعرِّفه بمكان الوديعة التي استؤمن عليها، فأجاب الميت إنها مخبأة في بيته تحت رِجل السرير. فأضاف القديس: «ارقد بسلام إلى يوم القيامة». فانطرح الإخوة تحت قدميه بسبب الرهبة. أما هو فقال لهم: «لم يفعل الله ذلك من أجلي لأني لست شيئاً، وإنما ذلك لمعونة تلك المسكينة والأيتام». ثم ذهب لمقابلة الأرملة وأعلمها بمكان الوديعة. فلما وجدتها ردَّتها إلى صاحبها، وهكذا أعتقت أولادها].

(٦) وقيل أيضاً عنه أنه كان معتاداً الصلاة عن الذين رقدوا وتركوا هذا العالم، فأراد أن يعرف هل كان هؤلاء ينتفعون بصلاته عنهم. فلاستنارته سمح الله أن تحدثت إليه جمجمة ــ كان قد صادفها في طريقه إلى البرية ــ تحدثت إليه بمقدار راحة صاحبها بصلوات القديس. وهذه الحادثة مشهورة جداً، وإذ هي غريبة، اكتفينا بالإشارة إليها دون سردها كاملة.

(5) Vit. Patr., L. VI, 2; Cotel.
(6) Vit. Patr., L., VI:3 §16 & L. III §172; Boll. 15 Jan.; Jo. D. def.

٣ ــ بعض الأعمال الأخرى الفائقة التي قام بها القديس

ولابد لنا الآن أن ننتقل لبعض العجائب الأخرى للقديس.

(٧) كانت هناك امرأة عفيفة وأمينة لزوجها، ولكن كان شخص آخر يحبها. ولما حاول ذلك الشخص كثيراً لتخطىء معه ولم يتمكن من ذلك، قصد إلى ساحر وأعطاه مبلغاً من المال حتى يجعل هذه المرأة تُرضي شهوته أو يجعل زوجها يهجرها. فاستخدم الساحر كل قوة فنّه، إلا أنه لم يتمكن من زعزعة المرأة عن عفتها، وإنما جعل الذين ينظرونها يرونها في شكل الفرس (ربما أصابها بتشنجات «شلل نصفي» في عضلات وجهها جعلت منظرها هكذا). وإذ رآها زوجها بهذا المنظر أخذها إلى البرية حيث القديس مقاريوس(٨).

ويقول روفينوس إنها كانت فتاة عذراء وأن أهلها أخذوها إلى القديس. ولما وصلت إلى هناك، كان حول قلاية رجل الله بعض المتوحدين الذين زجروا زوج المرأة وقالوا له: «لماذا أتيت بامرأة إلى هنا؟» فأجابهم قائلاً: «إن ذلك حتى يتحنن عليها البار (كان يدعو القديس مقاريوس هكذا)». فسألوه عمّا أصابها، فأجابهم: «ها أنتم تنظرونها وهي تبدو وكأنها في شكل فرس، وهي امرأتي ولا أدري ما الذي أصابها حتى صارت هكذا، وها اليوم الثالث وهي لا تأكل شيئاً». أما الله فقد أوحى للقديس عن مجيء هذه المرأة، فلما أتى إليه المتوحدون وجدوه في قلايته يصلي من أجلها. فأخذها القديس بصحبة أهلها في قلايته، وجثا على ركبتيه مصلّياً لله وأمرهم أن يصلوا معه. وبعد أن مسحها بالزيت باسم الرب، انحلّ هذا المرض، وعاد وجهها كما كان.

(٩) وبدلاً من الزيت ــ يقول باللاديوس ــ إن القديس سكب عليها ماءً سبق أن باركه وصلى على رأسها، ثم أنه أمر بأن يأتوا لها بطعام، فأكلت للحال. وهكذا أعادها إلى زوجها وهي صحيحة، فقدم كلٌّ منهما الشكر لله على هذه النعمة العظيمة. أما رجل الله فأوصى هذه المرأة قائلاً: «لا تتأخري عن الكنيسة والتناول من الأسرار الإلهية، لأن مرضك كان بسبب إهمالك التناول»(١٠).

(١١) كان القديس يصنع معجزات أحياناً دون قصد منه. إذ يُحكى أنه كان لشخص من مصر ابن مفلوج، فأتى به إلى قلاية القديس مقاريوس وتركه على الباب، وابتعد. فلما رأى الإبن

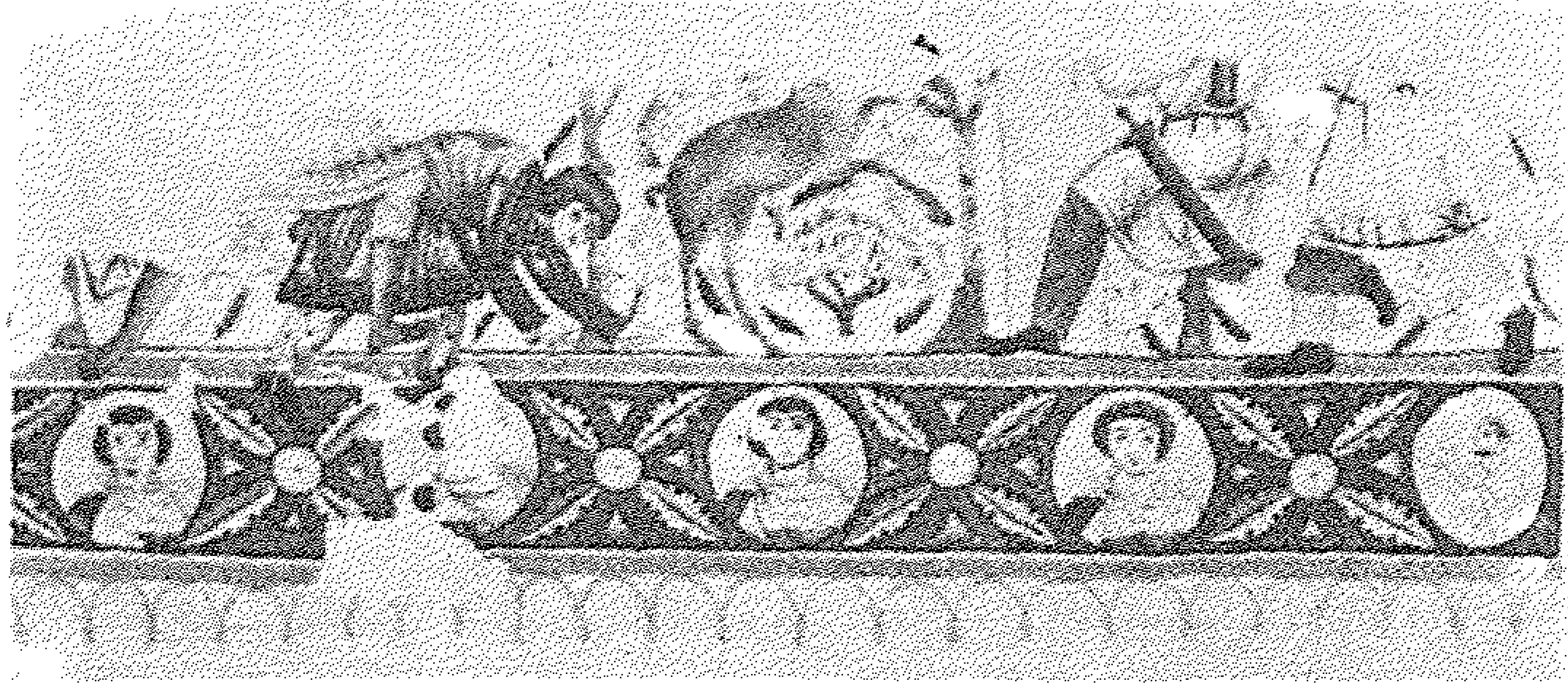
(7), (9) Laus. Hist., 19.
(8) Vit. Patr., L. II: 28.

(١٠) يلاحظ هنا أن القديس لم يعترف لأهل المريضة بأنها أصيبت بسحر ولكن اعتبر حالتها أنها حالة مرضية.

(11) Vit. Pat., L. VI:2; Boll., 15 Jan.

أن أباه تركه، أخذ في البكاء. فلما فتح الشيخ ولم ينظر سوى الطفل وحده، سأله عمَّن أتى به إلى هذا المكان؟ فأجاب: «أبي ألقاني هنا وذهب». فقال له الشيخ: «قم والحق به». فشُفي الطفل في الحال، ولحق بوالده. وهكذا عاد الولد إلى بيته مُعافى.

وفي حياة القديس الخاصة، حكى الشيوخ أنه كان دائماً أبداً يُعان بقوة خارقة، وكان منظر كاروب كبير يرافقه باستمرار(١٢). وحُكي أنه عندما كان القديس أبّا مقار ماضياً من الإسقيط حاملاً معه بعضاً من الخوص، أن تعب في الطريق وجلس. فصلى إلى الله قائلاً: «ياالله أنت تعرف أنه ما عاد بي قوة». وفي الحال وجد نفسه بجانب البحر (النهر).

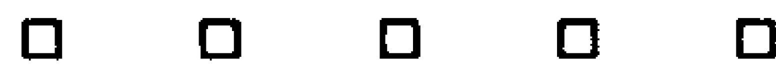


رسم حائطي يمثل مشهد لصيد الغزال من دير باويط في القاعة رقم ٣٧ ــ ترجع إلى القرن السادس/السابع

(12) Opoh. P. 219, S. no. 45.

الفصل الحادي عشر

فالنس الوالي يضطهد رهبان مصر وينفي المقارَيْن القدّيسَيْن



إلي هنا قدمنا القديس أنبا مقار كمتوحد، كان يخفيه الله في ظِل خيمته. والآن سنقدمه جندياً شهيراً شجاعاً ليسوع المسيح، اكتسب بشهادته لقب «المعترف»، لدفاعه أمام العالم كله عن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي.

فإن كان الله قد سمح أن البدعة الآريوسية التي كانت تهاجم أُلوهية «الكلمة» نشأت في مصر، إلا أنه قد وُجد كذلك من يقاومها أشد المقاومة في مصر نفسها. ونحن نعلم جميعاً ما تحمَّله القديس البابا ألكسندروس من مواقف وأتعاب لإخماد تلك النيران عند بدء اشتعالها. ولقد تبعه في احتمال تلك الأتعاب القديس أثناسيوس الرسولي، ليس فقط من الأشخاص الذين في دائرة الكرسي الرسولي في مصر، بل واحتمل أيضاً أكثر من ٤٦ سنة من اضطهادات الجحيم التي كان يثيرها الأساقفة الأشرار والتي كان يؤيدها خُبث رجال الحاشية والبلاط، بسبب ضعف قسطنطين الملك.

والتاريخ(١) يحكي لنا أن أشد الناس تمسكاً وغيرة على إيمان نيقية كانوا هم متوحدو ورهبان مصر والشرق، الذين كانوا يعتبرون المقارَيْن القديسَيْن الكبير والاسكندراني مع إيسيذوروس وبامو، وهيراكليد Heraclide وسائر تلاميذ الأنبا أنطونيوس كحُماة وكرؤساء إيمان؛ هؤلاء لم يحفظوا لأنفسهم نقاوة الإيمان والتمسُّك به فقط، بل واستخدموا السلطان الذي كان لهم على الشعب بفضل سيرة حياتهم، فكانوا يحثون الآخرين على التمسك به. ولأن عامة الشعب ما كانوا يرغبون في مناقشة الإيمان ذاته بل كانوا يتبعون فقط القديسين في إيمانهم، مقتنعين بأن

(1) For banishing the two Macarii See:
a. Theodoret Ecc. Hist., IV, 19.
b. Socrate Ecc. Hist., IV, 20.
c. Sozomen Ecc. Hist., VI, 20.

الحق في جانب هؤلاء القديسين الذين تظهر فضائلهم بأعمالهم وعجائبهم؛ كان الشعب يحقد بشدة على كل من ينحرف إلى مبادىء أو عقائد تخالف عقيدة الآباء، وكانوا يعتبرونهم كأعداء، على أساس أنهم أشخاص ابتعدوا لا عن الإيمان القويم فحسب، بل وعن الأمانة لآبائهم القديسين.

لهذا السبب يُقال أن مؤمني مصر كانوا يكرهون الأريوسية كرهاً شنيعاً، بسبب مشاعر التبعية الروحية لرهبانهم القديسين.

ولكن هؤلاء الآباء القديسين لم يكن ابتعادهم في البرية حائلاً دون وصول الإضطهاد إليهم. فالهراطقة المتسلحون بسلطان رجال الدولة بعد أن بدأوا باضطهاد وتعذيب الشعب ورؤساء الكنيسة في البلاد التابعة لهم، انتهوا بعزل وقتل كل من يتمسك بالطهارة والوحدة والصوم، سواء من الرهبان أو العذارى المتوحدات. وإن أعمال التوبة كانت مكروهة في نظر الهراطقة. وهكذا تقدّست الرهبنة وأعمال المتوحدين بالإضطهادات. فقد قيل أن تقشف أديرتهم وشدة نسكهم كان إعداداً مباركاً لتحمُّل الآلام من أجل المسيح. وكان لابد للهراطقة، وهم أعداء الإيمان الصحيح، أن ينضموا في النهاية للشياطين لتكميل آلام القديسين وتطهيرهم.

كان سلطان القديس أثناسيوس ــ الذي لم يتجرأ فالنس على مهاجمته ــ يحفظ مصر كلها في سلام. ولكن لما رحل أثناسيوس سنة ٣٧٣م لينال مكافأته من الله لأجل جهاداته الشاقة، أُقيم البطريرك بطرس (الذي اختاره الشعب كله بالإجماع خليفة لأثناسيوس، بل وحتى الرهبان تركوا بريتهم لتأييده). ولكن سرعان ما نُفي هذا القديس من كرسيه بسبب بطش الأريوسيين، وأجلسوا بالقوة رئيساً كاذباً للأساقفة بدلاً منه يسمى «لوس» (٢) Luce = «لوقا»، هذا الأسقف الكاذب المغتصب الذي كان له إسم الذئب ووحشيته؛ قام، مؤيَّداً ــ كما يقول المؤرخ سقراط ــ من السلطان الإمبراطوري، بأعمال وحشية فظيعة ضد إكليروس وشعب الإسكندرية وسائر أساقفة مصر(٣).

هذا الطاغية، بعد أن طرد ونفى البعض، وقتل عدداً لا يُحصى من البعض الآخر إنْ بالسيف أو بالتعذيب أو بالنار؛ اتجه أخيراً بأسلحة غيظه وغضبه نحو الأديرة، وفتك بسكان البراري، معلناً الحرب على الذين لا يطلبون سوى السلام(٤).

---

(2) Socrates H. E., IV, 20f.

(٣) هذه الفظائع يصفها خطاب بابوي دوري من أنبا بطرس خليفة أثناسيوس لشعبه احتفظ به المؤرخ ثيؤدوريت.

Theod. H. E., IV, 19.

(4) Sozomen H. E., VI, 20.

واعتقد بارونيوس أن ذلك حدث مع الاضطهاد الذي أعلنه «لوس» على الشعب المسيحي ساعة دخوله مصر عقب موت أثناسيوس مباشرة. إلاَّ أن چيروم في يومياته Chronique ، يذكر أن ذلك حدث في أواخر سنة ٣٧٥م بعد وفاة ڤالنتينيان (١٧ نوفمبر سنة ٣٧٥م)، وأن كثيراً من الرهبان قُتلوا في نتريا بواسطة الولاة والعساكر. وأوروس يقول إن ڤالنس (إمبراطور الشرق) لم يضطهد متوحدي مصر إلاَّ بعد موت أخيه (ڤالنتينيان)، فأطلق لنفسه العنان.

ويظهر أن ڤالنس أراد أن يهاجم سكون الرهبان منذ أول يناير سنة ٣٧٣م، لأن لدينا قانوناً (مرسوم) مؤرَّخاً بهذا التاريخ، يقول فيه إن بعض الأشخاص قد تركوا الأعمال التي كان يجب أن يمارسوها في المدن في الموضع الذي وُلدوا فيه، واعتزلوا في البراري والوحدة وانضموا إلى جماعات الرهبان، متسترين تحت مظهر كاذب للتدين، ليُخفوا كسلهم. ويقول هذا المرسوم إن مثل هؤلاء الأشخاص ينبغي أن يُنتَزعوا من مغائرهم بواسطة والي الشرق، ويُلزَموا بتقديم الوظائف الواجبة عليهم نحو وطنهم، وإلاَّ فإنهم يفقدون جميع ممتلكاتهم، وتوهب لمَن يقوم عِوضاً عنهم بهذه الوظائف.

أقول إن هذه القوانين — نظراً لسوء نية ڤالنس — ربما قد وُضعت لإزعاج سكون الرهبان. ومع ذلك فلكونها تتضمن في ذاتها بعضاً من العدالة، كما أنها تتوافق مع التعهُّد الذي كان الرهبان يأخذونه على أنفسهم بأن يتركوا كل شيء من أجل يسوع المسيح، كما أنها لم تفرض على الرهبان أكثر مما كانت القوانين الصادرة عن الرؤساء الأكثر تديُّناً تفرضه على الإكليروس؛ لذلك فلا عجب أن نجد هذه القوانين واردة ضمن مجموعة قوانين الإمبراطورين ثيئودوسيوس وجوستنيان.

وڤالنس بهذا القانون قد هيَّأ لأعدائهم أن يفتروا عليهم. ولكنه بعد موت أخيه وجد نفسه في كامل حريته لتنفيذ سوء نيته التي ظهرت بوضوح في تجنيد جميع الرهبان في جيوشه، أي جميع الأشخاص الذين تركوا مختلف الأعمال والإهتمامات العالمية، لكي يقصروا نشاطهم على مجرد عمل الإيمان ويقتدوا على الأرض بحياة الملائكة في السماء؛ وهكذا ملأوا البراري الشاسعة وأخصبوا بالثمار الإلهية والفضائل تلك الصحارى التي كانت جدباءَ موحشة، لكن شيئاً من كل هذا لم يمنع الولاة والجنود من الذهاب إلى هذا المكان لكي يستأنفوا، تحت دوافع جديدة، رعب الاضطهادات القديمة ضد جنود يسوع المسيح الحقيقيين.

أما «لوس» الذي كان قد تعلَّم في الإسكندرية أن يضطهد يسوع المسيح في شخص أثمن أعضائه، أعني الرهبان الذين يعيشون في الإسكندرية؛ لم تَفُته فرصة مواتية كهذه من المحتمل غالباً أنه هو الذي أوجدها لتخدم قسوته. وإذ قد حصل على أمر عام موجَّه من ڤالنس إلى والي مصر بأن يطرد من الإسكندرية ومن كل مصر جميع أتباع إيمان نيقية الذين سيُرشد عنهم «لوس»

(وكان والي مصر حينذاك هو تاتيان، لأننا نجده قد شغل هذا المنصب مرة ثانية سنة ٣٧٤ و٣٧٦ و٣٧٧م.)، وفي أثناء ولايته نفى واستبعد أساقفة وكهنة وشمامسة ورهباناً، وذلك بعد موت أثناسيوس؛ قرّر لوس أخيراً أن يهاجم بالسلاح هؤلاء القديسين القاطنين في البراري، بقصد أن يجذب إلى جحوده شعوب المدن إذا ما استطاع أن يوقع أولئك الرؤوس الذين كانوا يساندون الشعوب في الإيمان، ولأنه كان واثقاً أنه لن يوقِّع أولئك الناس بقوة الإقناع، حاول أن يصل إلى مرامه بقوة السلاح.

لذلك أرسل «لوس» في هذا النوع الجديد من الحرب فرقاً من الفرسان والمشاة، قادها بنفسه واختار قوادها وضباطها ومساعديهم كما لو كان ذاهباً لحرب مع البربر؛ وانطلق على رأس هذه الحملة نحو الإسكندرية مصطحباً القائد العام للجيوش المصرية مع ثلاثة آلاف جندي وأمرهم أن يذهبوا و يقتلوا خدام الله الحي. ومن ترتيبات الله العجيبة التي ساعدت على تسجيل هذه الوقائع التاريخية من شاهد عيان، وجود روفينوس المؤرخ في شيهيت في هذا الوقت بالذات، وهو الذي سجّل لنا هذه الحادثة بنفسه، يقول روفينوس(٥):

[ولما وصلوا تلك البراري وجدوا فيها رهباناً(٦) منشغلين في عبادتهم وأصوامهم وخدمتهم، عُزّلاً بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دمائهم صوناً للإيمان المستقيم الذي سُلِّم لهم مرة من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نُساكاً عراة، لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجهة نحوهم، بل يقدمون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى: «مبارك الله في كل شيء»!](٧).

ولكن لا الوداعة ولا المعجزات استطاعت أن تستميل القائمين على تنفيذ «الأمر الأسقفي». وهكذا منعوهم أولاً عن مواصلة الصلاة في كنائسهم التي حرّموا عليهم دخولها. ثم تقدموا أكثر مستخدمين السلاح، وصنعوا في هذه البراري شروراً وقسوة وفظائع تفوق كل تصور.

لقد انطبق على هؤلاء النساك ما قيل عن الأبرار القدماء الذين احتملوا الهُزء والجلد والعُري والقيود والحبس، كانوا يُرجَمون و يُقتَلون بحد السيف، وكانوا فعلاً تائهين في الجبال والبراري في جلود غنم وجلود معزى، متروكين مذلين مكروبين مضطهدين، مُعتزلين الدنيا في المغائر وشقوق الأرض، هؤلاء الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم. ومع ذلك، فقد شهد العالم لهم أعظم شهادة بسبب إيمانهم وأعمالهم والمعجزات التي صنعوها بنعمة يسوع المسيح التي كانت تجري على أيديهم.

---

(5) Rufinus H. E., II, 3f.

(٦) ما يقرب من ثلاثة آلاف راهب في البراري القريبة أي نتريا والقلالي وأطراف شيهيت الشمالية.

(7) Socrate H. E., IV, 24.

ولكن العناية الإلهية لم تسمح بكل هذه العذابات الواقعة عليهم إلا لتزكية إيمانهم وحبهم وصبرهم، ولخير باقي المؤمنين الذين كانوا ينتفعون بمثال تقواهم.

والقديس چيروم(٨) وأوروس(٩) يؤكدان أن جماعات كاملة من الرهبان سفكوا دماءهم في نتريا على أيدي الوالي «لوس» مدّعي الأسقفية، لكن الله لم يسمح بأن تُعرف أسماؤهم، فصاروا شهادة صامتة للجندي السماوي المجهول!

فلما ملّ «لوس» من إزعاج القديسين وانهزم أمام انتصار حبهم، أمر القائد بأن يُنفَى الآباء الرؤوس المعتبرين زعماء للطغمات الرهبانية، فأمسكوا بالمقارَيْن معاً(١٠). وبعد ذلك مسكوا جماعة من نتريا تتكون من إيسيذوروس، وهيراكليد، وبموا، وبيسيمينوس، وأدِلْفيوس، وبافنوتيوس وأمونيوس ذي الأذن الواحدة(١١)، ونفوهم إلى فلسطين. وكانت شهوة الوالي «لوس» أن يقتلع هؤلاء الآباء القديسين بعيداً عن رعيتهم، ويُخرجهم من مغائرهم، ليبطل فاعلية إيمانهم، فأمر بالقبض على المقارَيْن سِراً أثناء الليل ومعهم شخصان فقط ممن اعتادوا خدمتهم. وتقول المخطوطة: [إن ذلك كان في ٢٣ من شهر برمهات، وهو اليوم الذي نفاهم فيه «لوكيوس»](١٢). وأخذوهم إلى جزيرة مصرية محاطة بالمستنقعات في وسط الدلتا(١٣) لا يقطنها مسيحيون قط، حتى لا يجدوا فيها أيّة تعزية ولا يمارسوا فيها تدريباتهم المعتادة. ويتفق كل من روفينوس وسقراط وسوزومين على أن هذه الجزيرة كانت في مستنقعات الدلتا.

وكان في هذه الجزيرة هيكل قديم فرعوني لأحد الآلهة المصرية القديمة التي كان سكانها يوقرونه جداً الأمر الذي كان يشدد تمسُّكهم بالوثنية. وعندما اقتربت السفينة التي تحمل القديسَيْن إلى الشاطىء، اضطرب الشيطان، وانزعج، ودخل في جسد إبنة الكاهن الوثني، الذي كان موضع احترام كافة الشعب هناك. فكانت تطلق صرخاتها، وتجري في كل ناحية وسط الشعب، وتصر بأسنانها، ويخرج من فمها لعاب، وتتشنج بطريقة مزعجة؛ ثم انطرحت عند أقدام الرهبان. وحينئذ نطق الشيطان في فمها، وتكلمت كما تكلمت من قبلها العرَّافة في مدينة فيلبي

---

(8) Chronicon, anno 379 (Migne, P.L. XXVII col. 697).

(9) Historia adversus pagenos, VII, 33, p. 551.

(١٠) يؤكد كل من روفينوس وسقراط أن مقار يوس المصري ومقار يوس الإسكندري نُفيا معاً إلى جزيرة في الدلتا.

Socrates H. E., IV, 24.

(11) Pallad. Laus. Hist., ch. XLVI.

(١٢) المخطوطة ١٨ س — مكتبة دير القديس أنبا مقار — ص ٤٥.

(13) Ruf. H. E., II, 4; Socrates, H. E., IV, 24; Sozom. H.E., VI, 20.

في سفر الأعمال: «ياعبيد يسوع المسيح، ما أرهب قدرتكم. هل يجب ياعبيد الله العظيم أن تأتوا لتطردونا من المكان الذي نقيم فيه منذ زمن طويل؟»

وبدأ المقاران يصليان بالقوة المعطاة لهما من الله، وأمرا الشيطان بالخروج. وهكذا اضطر للهروب، تاركاً الفتاة منطرحة على الأرض (وكأنها مائتة). فصلى القديسان من أجلها، وأقاماها، وأعاداها إلى أبيها، في تمام صحة الجسد والروح.

وانتهز القديسان هذه الفرصة للكرازة بإيمان المسيح لهذه الشعوب، التي أعدتهم هذه التجربة لقبول الإيمان. وهكذا تغيرت هذه الجزيرة من عبادة الأوثان إلى الإيمان بالمسيح. وكانت الفتاة التي شُفيت، هي وأبوها وجميع أقاربها، أول الساجدين عند أقدام هؤلاء الرسل الجدد سائلين ماذا ينبغي أن يفعلوا ليخلصوا؟ واقتدى بهم كل الذين شاهدوا هذه المعجزة، بل وكل سكان الجزيرة. وكان دخولهم إلى الإيمان بغيرة وحرارة، حتى أنهم هدموا في الحال التمثال الذي كانوا يقدسونه من قبل، وأقاموا كنيسة للمسيح، وقبلوا المعمودية، وتعلموا بفرح كل ما يختص بالإيمان المسيحي. فلم يحتاجوا إلى زمان لكي يصمموا على اعتناق ديانة نظروا براهينها المفحمة، ليس بكلمات بل بمعجزات.

وهناك فقرة في القصة التي تقدمها المخطوطة رقم ١٧ س، بمكتبة دير أنبا مقار، ص٣٦، عن نفي المقارين؛ تفيد تحديد زمن بناء هذه الكنيسة بدقة لا بأس بها، إذ تقول المخطوطة:

[وكان إيغومانوس الإسكندرية يأتي إلى القديس أنبا مقاره، ليزوره في منفاه وهو في السجن (الجزيرة)، فسأله أبونا أنبا مقاره الكبير أن يأتي إليه بقليل ميرون من خزانة الأب البطريرك أنبا بطرس خليفة أنبا أثناسيوس، فقال له الإيغومانوس إن أنبا بطرس ليس له على الكرسي سوى ستة أشهر وما لحق بعد أن يصلي على الميرون...]. والمعروف أن أنبا بطرس اعتلى الكرسي المرقسي في ١٦ مايو سنة ٣٧٣م.، وبذلك يكون قد تحدد بناء هذه الكنيسة في جزيرة المنفى حوالي نوفمبر سنة ٣٧٣م... والمخطوطة تعود وتقول: [إنه تم تدشين الكنيسة بالميرون في ١٠ طوبة وهو تذكار عماد ربنا يسوع المسيح].

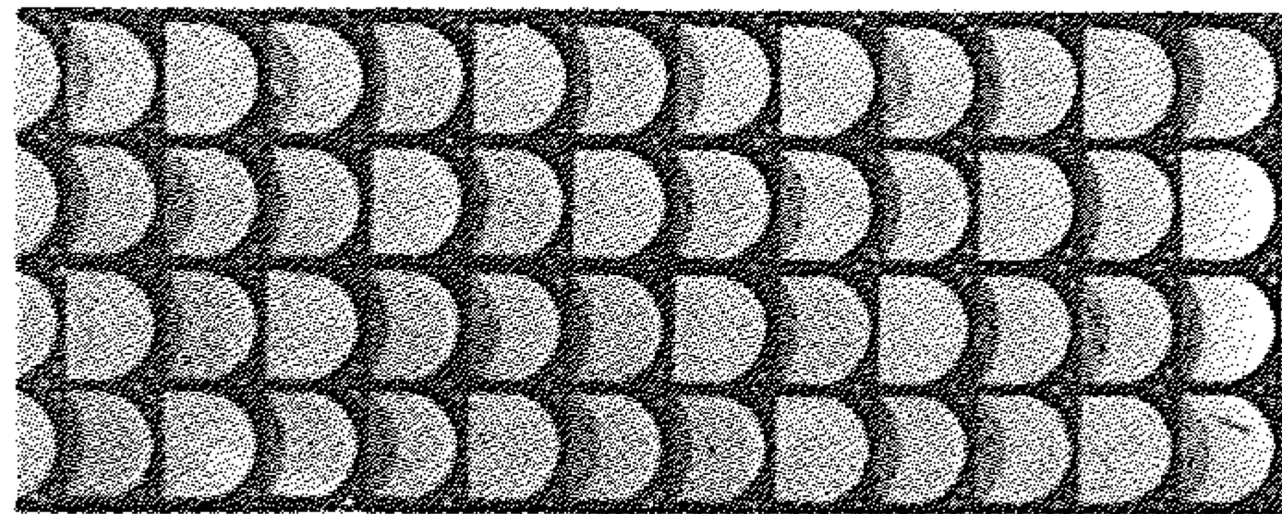
فهؤلاء الرجال الجديرون بكل إعجاب حينما طُردوا من موطنهم لدفاعهم عن عقيدة «وحدة الجوهر»، صاروا أكثر اشتهاراً بالإضطهاد الذي عانوه، وخلّصوا ليس فقط نفوسهم، بل وأيضاً نفوس الآخرين، وثبّتوا بهذه المعجزات نفس الإيمان الذي كان يُرجى هدمه بنفيهم.

فلما عُرف خبر انتصار يسوع المسيح هذا في الإسكندرية، لم يكن غيظ الأسقف الكاذب «لوس» (لوقا) قليلاً، فإنه خاف أن ينقلب عليه الشعب، وخصوصاً الذين هم من حزبه، فيُلام بسبب هجومه على القديسين العظام، وبسبب ظهوره بمظهر من يحارب ليس الناس بل الله ذاته. ولم يكن هذا مجرد خوف، بل حدث بالفعل أن الشعب ثار على هذا الأسقف الكاذب «لوس»

وصب عليه غضبه طالباً من الله أن ينتقم منه، ما لم يطلق سراح القديسين. ولخوف الوالي من النتائج الخطيرة المنتظرة من هذا الشغب، اضطر أن يأمر بإرجاعهم سراً. فتركهم يعودون إلى براريهم ومغايرهم، وكان ذلك في سنة ٣٧٦م(١٤). وبعد ذلك بسنة واحدة طُرد هذا الأسقف الكاذب الشرير من كرسيه سنة ٣٧٧م. أما جماعة نتريا فعادت، حسب تحقيق بطلر، سنة ٣٧٥م(١٥).

وهكذا كان اضطهاد هؤلاء القديسين سبب مجد لهم وللكنيسة كلها. ويقول روفينوس إنه يروي هذا الاضطهاد كما رآه بنفسه، إذ كان له شرف الاشتراك في الآلام التي يتحدث عنها. ولكن يبدو أن بالليديوس يؤكّد أن القديس بموا (بامو) لم يكن مع المقارَيْن، بل نُفي إلى قيصرية في فلسطين.

ولا تزال الكنيسة القبطية تعيّد لرجوع القديس مقاره المصري وزميله الإسكندراني من منفاهما في ١٣ برمهات (٩ مارس بحسب التقويم اليولياني، ٢٢ مارس بحسب التعديل الغريغوري)، حيث يقتبس السنكسار القبطي الكبير (باسيه) قصة منفاهما، بتدقيق أكثر، كتبها يوليوس الأقفهصي مستنداً على وثائق من سقراط. والقصة بكاملها لا تزال غير معروفة بتدقيق كامل، وهي محفوظة في مخطوطة بباريس(١٦).

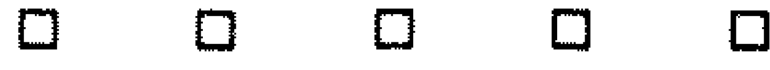


شريط حائطي ملون كان يزين الحنيات الحائطية niches
في القاعة رقم ٣٢ في دير باويط ــ ترجع إلى القرن السادس/السابع

(14) Socrates H. E., IV, 37.
(15) Butler, H. E., II, p. 226.
(16) B.N., Fonds Arabe, No. 213, fol. 20.

الفصل الثاني عشر

خطاب أنبا مقار الأخير ونياحته



حدث مرة أن أرسل شيوخ جبل البرنوج (نتريا) إلى أنبا مقار يقولون له: «سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله، أي الرهبان، إلى المجيء إليك». فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله (الرهبان) وطلب إليه الشيوخ قائلين: «قُل للشعب كلمة، أيها الأب». فقال:

يا أولادي الأحباء...

كثيرة هي أمجاد القديسين(١). و ينبغي لنا أن نَغير من أجلها(٢)، ونطلب معرفة تدبيرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة؛ لأنهم لم يشتروها بمال، بل كما تحققناه منهم، أنهم اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم.

وقد اقتنوا المسكنة، وتواضع النفس، وانسحاق القلب، والمجاهدة في الصلاة، والمحبة لكل الناس، وخوف الله الذي لم يفارق قلوبهم، والذي لا يبدده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

وأما الجسد، فرفضوا جميع شهواته؛ وكانوا جياعاً عطاشاً لا ينعّمون ذواتهم بشيء من شهوة الدنيا!

بهذا التدبير نالوا هذه الذُكصا (المجد أو التسبحة)، وأخذوا إكليل ملكوت السموات.

فالآن أي شيء كان لهم وليس هو لنا الآن؟ سوى أنهم تركوا كل أهوية قلوبهم من أجل الرب، وحملوا الصليب، وتبعوه، ولم يفصلهم عن محبته شيء آخر؟

---

(١) «لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف ١: ١٨).

(٢) «حسنة هي الغيرة في الحسنى» (غل ٤: ١٨).

أما نحن فليس فينا حب الله تاماً كاملاً مثل آبائنا القديسين، الذين أحبوا الله حُبًّا خالصاً، ليس فيه غش ولا رياء، ولم يبعدهم عن محبته شيء من أمور العالم البتة، لا مال، ولا أولاد، ولا أهل، ولا امرأة، ولا أخ، ولا سلطان، كمثل ابراهيم الذي أحب الله حباً تاماً، ولم يشفق على إبنه اسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، وكمثل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حياتهم، وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمائهم، لأجل محبة الله التي انغرست فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرقني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف، لأن هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن تفرقني عن محبة الله في المسيح».

فالآن ياأولادي قد وجب علينا، إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتَّبعنا الرب يسوع، أصبح علينا أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم، حتى نكمل الوصية ونفوز بتتميم أوامره المقدسة، فننال الطوبى مثل القديسين.

ياأولادي فِرُّوا من الخطية، واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأن كسر أي وصية، صغيرة كانت أم كبيرة، يُغضب الله.

وأنا أريد أن تكون أنفسكم ياأولادي مسكناً دائماً لله، حتى تتفكروا على قريبكم بالخير دائماً، ولا يكون فيكم من يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبُغضة عليه، فإن القلب الذي يتفكر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكناً لله.

لقد علمتم المكتوب: «إن أنتم أحببتم بعضكم بعضاً، فإن الله يكون ساكناً فيكم». فاقتنوا الحب بعضكم لبعض، لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهبنتكم، كل أيام حياتكم.

اكشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة، الذي يمنعكم من أن تبصروا حلاوة محبة الأخوة وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة. اسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنا مسكن الله الحي». فامسكوا هذا في قلوبكم، ولا تقولوا الشر على قريبكم، أو تُحزنوه، لئلا تُغضبوا الله الساكن فيه!!! لأن كل كرامة يُكرِم بها الإنسان أخاه هي واصلة بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يُكرَم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «مهما فعلتم بهؤلاء فبي فعلتم».

أطلب إليكم، إذن، أن تفرُّوا من كل وقيعة ودينونة، لأنها تُهلك نفوسكم. أما النفس التي لا تقبل الوقيعة، ولا تفكر في السوء على أحد، ولا تميل إلى حب الدرهم، ولا تميل إلى شهوات

العالم، فإنها تستضيء مثل الشمس، إذ تصبح نقية سالمة من العيوب. فإن تغلبت عليها الشهوة وَسَعَتْ إلى النميمة والوقيعة والحسد وحب الفضة، فإن بقية الخصال الرديئة تكمل فيها، فيُنتزع منها نعمة النقاوة والإستضاءة.

اعلموا أن الحكيم إذا وقع في حفرة مَرَّة، فإنه يتحرز منها، حتى لا يقع فيها مرة أخرى. واعلموا أنه كما كانت الحية إناءً للعدو، و بواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء، فهي مدخل للعدو، الذي بها يُهلك نفس فاعلها. فالواجب، إذن، أن نحفظ أنفسنا جداً لئلا نصير آنية للشيطان.

ياأولادي احفظوا أسماعكم لكي تبقى قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسة، لأن الذئاب في هذا الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة.

وإن اتفق لأحد منكم أن زلّ وأوجع قلب أخيه بكلام أو وقيعة، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك، حتى لا يزيد النار حطباً. وإن هو سمع كلاماً ردياً عن أحد إخوته فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح، حتى يملك الحب بينكم والسلام، فيثمر فيكم قول المخلِّص: «طوبى لفاعلي السلام لأنهم بني العلي يُدعَون». وهكذا يحرص كل واحد منكم أن يمدح أخاه في غيبته، حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته.

واعلموا ياأولادي هذه الحقيقة: إن في قلب الإنسان «سراً إلهياً». فمتى كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية من نحو أخيه أو صاحبه، فلابد و بكل ضرورة أن قلب أخيه يحس بذلك، مهما حاول هو أن يتجمل بلسانه نحوه. وكذلك أيضاً من جهة المحبة، إذا كان قلب أخيك يحبك، فلابد أن قلبك يستشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا، بكل جهد، أن لا يتغيَّر قلب أحد منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحد كلاماً صدر من أخيه عنه، ولم يتحقق أنه صحيح أو كذب، فلا يخبئه في قلبه، ويحقد عليه، و يبدأ يحاسنه بلسانه، وقلبه غير نقي؛ فهذه الحال تولِّد البغضة المُرة والمقت، وهي تغضب الله.

فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئاً يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه و يعاتبه عليه، فإن كان صحيحاً، ينبهه أن لا يعود إلى ذلك، وإن كان كذباً، فسيزول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانباً، فإن الحقد يتولد فيه شيئاً فشيئاً. وهذا هو هلاك النفس، هنا وفي الآخرة!!

ياأولادي، كل من يسمع التأديب ولا يقبله، ولا يعمل به، فهو خاسر نفسه، و يصبح مُعذَّب النفس دائماً، لا يهدأ له سر أبداً، و يصبح غضوباً حزيناً كئيباً مهموماً مغموماً، كثير الأفكار،

تطالبه نفسه بعمل الشر و بالكلام الرديء؛ لأن الأدب مثله مثل طريق الملك التي عليها الحراس يحرسونها ليلاً ونهاراً، فكل من يسلكها بالنهار أو بالليل يكون آمناً على نفسه!! أما الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير مسلوكة، وكل من مشى فيها ضلَّ وتعب، وربما هلك، لأن اللصوص والدعرة موطنهم هناك!!

وكل من مشى في الطريق المسلوكة واتّفق أن عثر في أمر أو عارض، كان عذره مبسوطاً وعلاجه حاضراً؛ أما من ترك عنه طريق الملك، واختار أن يسير في الطريق الوعرة، فلا عذر له ولا علاج.

وأنا أطلب إليكم بكل قلبي، أن لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحد منكم وفي قلبه دغل أو حقد من نحو أخيه، فهل يعلم إن كان يدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوَّث القلب، نجس الفكر؛ فيضيع تعبه و يذهب خاسراً الدنيا والآخرة؟

أنا أوصيكم ياأولادي أن تبالغوا في خدمة القديسين (إخوتكم الرهبان)، والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم.

واعلموا أن عمل كل واحد منكم محسوب له، إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعاً أو صوماً، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالمحبة في شأن الله (للتعزية)، أو عمل اليدين، هذا كله محسوب لكم؛ فلا تخافوا ياأولادي، لأن مخلِّصنا لا يظلمنا بشيء، وكل تعب يتعبه أي واحد منا، سوف يُستعلن له وقت خروج النفس من الجسد.

فاستيقظوا، ياأحبائي، ولا يكون الذين يأكلون و يشربون و يرقدون بلا قدر، والذين لا يلومون أنفسهم، يظنون أنهم يتساوون بالذين يتعبون و يسهرون ويحرصون في كل شيء من أجل الله. فاجتهدوا إذن وأحبوا التعب، بل ليكن عندكم تعب الجسد حلواً شهياً، بلا ملل، ولكن ليس بتكلُّف لأن متكلِّف الشيء ضعيف القدرة عليه. أما المشتهي التعبَ فيسعى إليه بنشاط، وفرح قلب، بغير ضجر. وطوبى لمن يبقى في تعبه فَرِح القلب، و يدوم فيه غير متكلِّف عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح.

أما الذي يطيع ضعف الجسد، فإنه يصبح في النهاية غريباً من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، و يتولاه الندم في القيامة، حينما تُستعلن الأكاليل والمواهب السمائية، للذين تعبوا، و يبقى هو بعيداً لا يملك إلا الحزن والكآبة التي لا تنفع!

ماذا يفيد الإنسان إذا تنيح في هذه الدنيا بالطعام والشراب والنعيم الزائل زماناً يسيراً، ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟

وأعرِّفكم أيضاً أن الذي يلازم فضيلة واحدة من الصلاح ثم يفرِّط في فضيلة أخرى، فهو يشبه إنساناً أخذ إناءً وملأه زيتاً، وأهمل فيه ثقباً، ثم ركب وسافر، فما وصل إلى نهاية سعيه إلا والإناء فارغ مما فيه!! هكذا كل من يربط على وصية واحدة يهتم بها و يسلك في باقي الفضائل بغير صواب، فإن عمله لا يُقبل، وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم، وميزوا أعمالكم، حتى لا يلحقكم تفريط. ولا يغلب عليكم هوى، لئلا تصيروا مثل من يتصدق بكل ما عنده و يعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من تفريطه في باقي الوصايا؛ أو مثل من يعتقد أنه يخلص بإطعام الخبز أو إضافة الغرباء أو زيارة المحبوسين أو المرضى، وهو مهمِل لبقية الوصايا؛ أو كمثل من يجتهد في الصلاة ليلاً ونهاراً، وهو خال من المحبة أو الرحمة و بقية الوصايا؛ أو كمثل من يصوم كل زمانه، ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا، وهو مفرِّط في الوصايا الأخرى؛ أو مثل من يتمسَّك بالتعفف والمسكنة، ثم يقتني الإسترخاء والكسل، مقتنعاً أنَّ بتعففه ومسكنته يخلص؛ أو مثل من يلزم الطهارة الجسدية، ثم هو لا يبتعد من أفكار الشر والوقيعة والحسد، معتقداً أن بطهارة جسده ينال الملكوت السمائي.

هكذا كل من تمسك بهذه الوصايا المفردة لا يكاد أبداً يخلص بها، لأن الوصايا مثل السلسلة، متى انفكت منها عروة تلفت بأكملها، فمَنْ توانى عن وصية من الوصايا ضاع تعبه!

ياأولادي، افهموا كلامي وخذوه، ادخلوه داخل خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تُسألون فيه عن ثمر كلامي وتعطون جواباً عما سمعتموه مني. فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونة، لأني إنما كلمتكم لخلاصكم ولصحة أنفسكم.

اهتموا ياأولادي بخلاص أنفسكم، وارجعوا إلى الرب بتوبة نقية من الغش، و ببكاء وتضرع اعترفوا بمناقصكم، ولا تكونوا كالبهيمة التي لا حس لها ولا حكمة عقل، تقع في حفرة وتعود إليها.

واعلموا أن التوبة قائمة الآن ومستعدة، وكل الفضائل تلحقها، لكل من يجاهد فيها. لأن شأن التوبة جليل، وعظيم هو حسن عاقبتها إلى الأبد. والذين يثبتون على مرارتها، و يتمسكون بمسلكها، ولا تتغير قلوبهم عنها، يأخذون أجراً عظيماً عنها، و ينالون الملكوت بسببها، لأن التوبة النقية مفتاح كل الفضائل، و بدء كل صلاح، وسلم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها يسهل عليه باقي الوصايا شيئاً فشيئاً.

ولكن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء للجسد أو للنفس. وكل من اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يبني على الصخر!

ياأولادي أنا أفزع إلى الله، مرتعداً من أجلكم، حتى لا تُصطادوا بفخ الغفلة ولا تميل قلوبكم

إلى اعتياد التهاون، لأن ذلك يبعدكم عن حرارة التوبة، و يورثكم الندامة في النهاية، حيث لا ينفع حينئذ ندم. فما دمتم في الجسد، فامسكوا التوبة ولا تدعوها تفلت منكم؛ لأن كل من فارقها، فقد فارقته الرحمة، وملكوت السموات. اضرعوا دائماً وابكوا بكاءً قدام مخلِّصنا، حتى تستحقوا سماع الصوت: «مغفورة لك خطاياك»!! صالحٌ هو مخلصنا، وهو محب للبشر، يفرح بتوبتكم و يطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تتهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم، فتصبح الطلبة من أجلكم بلا نتيجة.

فمن هو الجاهل إلا الذي ترك عنه التوبة، واستكان إلى الإسترخاء والغفلة، فينهدم كل ما بناه بالتعب والدموع. أحبوا إذن حلاوة الجهاد، لأن التعب والحرص يأتي بالإنسان إلى النياح، و يشفي جميع أوجاع قلبه، ويجلب له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكناً للروح القدس.

فلنتُبْ مادام لنا زمان، قبل أن يبلغ الوقت، ونُدعى للخروج من الجسد؛ لأن التوبة هي لزمان قليل بعد، لأن الذي يموت في خطاياه، يقول الله إني لا أذكر له شيئاً من صلاحه. إذن فلنحرصْ من الآن، حتى نجد عزاءً في زمان الشدة، كالفلاح الذي إذا لم يتعب ويحرث و يزرع في زمان الشتاء، لا يجد في زمان الجفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقتات به.

هكذا نحن، فليحرصْ كل واحد منا على قدر قوته؛ فإذا لم نقدر كلنا أن نكلَّل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دونهم؛ ولكن لا نكل ياأحبائي في الجهاد، لنشارك أحباء المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئاً. نحن نجاهد على قدر قوتنا، مهما كان قليلاً، لأن إلهنا صالح، وهو يكافىء، عوض القليل، الكثير.

ولنجتهد لنتشبه دائماً بالصالحين، لئلا نندم عندما نجدهم في النهاية في مجد عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: ياليتنا كنا سلَّمنا أنفسنا للموت في الجهاد، حتى نرث هذه النعمة مثلهم! طوبى ياأولادي للذين يعملون الآن بكل قوتهم، فإن ساعة واحدة في ذلك المجد والراحة تُصيِّرهم ينسون كل تعبهم، احرصوا إذن لئلا تُعدموا تلك النعمة! مكتوب في رسالة بولس الرسول أن اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياة، فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح، لكي نحيا إلى الأبد، ونرث النعيم الدائم.

ياأولادي، أنا أُعطي وصيتي لكل واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلا وهو مستبرىء نفسه (يحاكمها فيجدها بريئة). أما إذا كان بينه و بين أخيه وَجْدٌ (حقد) فليمضِ إليه، و يصالح قلبه، و يضرب له مطانية (توبة واستغفار)، و بعد ذلك يتناول من الأسرار الطاهرة؛ عالمين أن محبة الأخوة ومصالحة قلوبهم بعضهم من نحو بعض هي النعمة كل النعمة، وهي العبادة وهي الملكوت.

وأما الغضب، والحقد، والتعيير (الشماتة)، والحسد، والبغضة، والغش، والرياء، فهذه هي صناعة العدو الملعون؛ ومن يتبع شيئاً منها فهو يتشبه بالشيطان و يشتغل بصناعته؛ والذي يطلب خلاص نفسه، يهرب من هذه جميعها.

واعلموا أن مخلصنا لم يقاتِل الشيطان بارتفاع لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبرياءه وتجبُّره؛ وعلّمنا أن نقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه؛ فلنلحق باتضاع معلمنا، حتى يعطينا الغلبة في قتال عدونا.

ياأحبائي، اجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم، لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية.

أول معصية، كانت بسبب الطعام في الفردوس؛ وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا، حتى غلب العدو، هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا، ونتقدم الآن إلى جهاد الصوم، بحيث يكون تعبه حلواً عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفاً.

واعلموا أن صوم الأربعين المفروض علينا، ليس الجهاد به وحده يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوفيه باحتراس؛ لأن الخميرة إذا فسدت، أفسدت العجين كله.

والصوم مربوط بعدة فضائل، لا يثمر إلا معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها؛ فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأن أعداءنا الذين يحسدوننا إذا هم ظفروا بنا لن يرثوا لهلاكنا؛ وكلما غفلنا نحن، ازدادوا هم حرصاً على هلاكنا؛ فلا تُفرحوا أعداءنا، ولا تُكمِّلوا مشيئة مبغضينا، لأنهم يريدون تبديد أتعابنا.

وفي أيام الخماسين، إذا لم تقدروا أن تصوموا أو تضربوا مطانيات، فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية، بنشاط، وتمموا خدمتكم بحرص، ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة، بمخافة؛ واعلموا أن الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعلم المستحق و يفرح به و يطوّبه، أما غير المستحق فيحزن عليه و يعطيه الويل لأنه إنما يأخذ ناراً في جسده.

فاحترسوا ياأولادي وتحفَّظوا، حتى لا يتقدم أحد إلى الأسرار المقدسة وهو في شك بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري.

واجعلوا دخولكم في الكنيسة مبكراً، لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب ــ كما علمنا الرسل في قوانينهم ــ قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيي، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة و يطهر قلوبكم من كل دنس، لأنه شفاء للنفس و به تنحفظ من كل قوات العدو، كما قال سيدنا: «كل من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه».

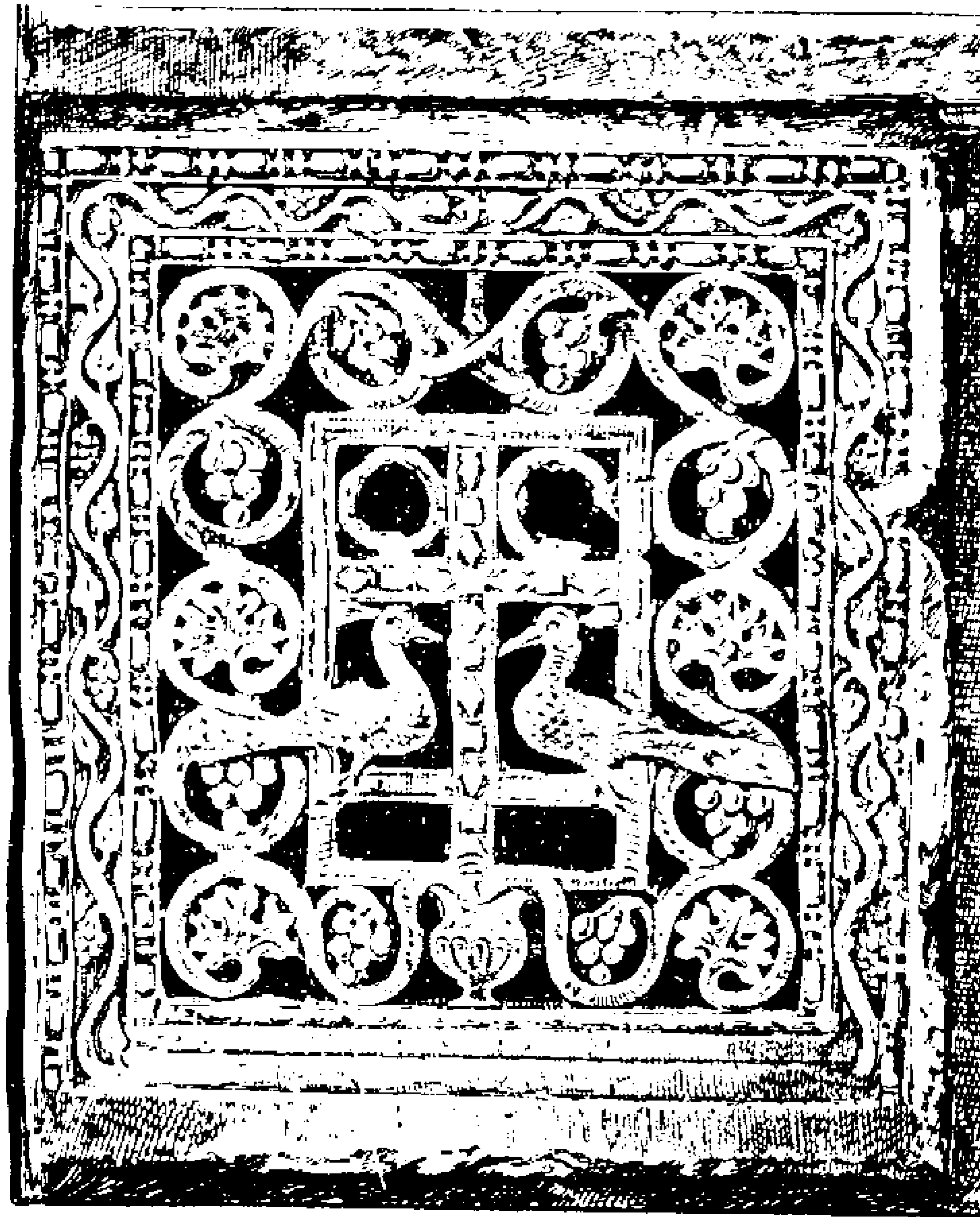
أما الـذي يتهـاون و يـدوم بـلا قـربان ، فإن قوات الظلمة تقوى عليه ، وتدنس قلبه ، و يكون غريباً من النعمة التي أعطاها له مخلصنا .

فينبغي لنا أن لا نترك في أنفسنا علة تمنعنا من التناول ، فنكون ملازمين نقاوة الضمير وطهارة الـنـفـس ، متحدين دائماً بالمسيح ، لأنه بذلك ننعتق من سلطان العدو ، ولا يبقى له فينا مطمع ، ولا يجد إلينا سبيلاً لخسارة أنفسنا وهلاك تعبنا وإبعادنا من خالقنا .

فـتـيـقـظوا بـالـروح ، وامـتـلـئـوا بالإيمان ، حتى تمضوا إلى الرب بدالة ، و وجوهكم مكشوفة ، وأعـمـالـكم نيِّرة ، لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السمائية ، وتنالوا الإكليل الذي لا يبلى ؛ وطوبى لمن وجـد ذلـك عـند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور. آمين .

+ + +

ثم أنـه في نهـايـة حديثه قال لهم : « أيها الإخوة لِنَبْكِ ، ولتَسِلْ دموعنا من أعيننا الآن ، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع » . ثم بكى أنبا مقاره ، فبكى الكل معه ، وخروا على وجوههم قائلين : « أيها الأب صلِّ لأجلنا » .



وتقدم أنبا مقاره في الأيام، وشاخ جداً، حتى بلغ سنُّه تسعين سنة. وفي المخطوطة القبطية يقول سيرابيون إنه عاش سبعة وتسعين سنة.

[وكـان يحمله أولاده، ويجلسونه في حوش قلايته، وما كف عن صراع الشياطين، وما كفت الشيـاطين عن الصراع معه، حتى في هذه السن، إذ كانوا يحاولون اقتحام قلايته عليه(1). وكان أولاده يجاهـدون في ترفيهه وهو في كبره، ولكنه لم يتخلَّ قط عن نُسكه، مع إظهار شكره ولطفه لكل من كان يخدمه. ولم تكن الأحزان تقلقه، وكان متيقظاً في قلبه بالنعمة التي منحها له الرب منذ صباه وإلى شيخوخته، ولم تفارقه. وكانت نفسه قوية بالله وهو ضعيف أكثر من أيام صحته. وضعف جسده من طول السنين، وانحلَّ لحمه من الأتعاب والأعمال المتعبة التي كان يقوم بها طول حياته، غير أعماله التي كان يفعلها في السر، لأن تجاربه كانت روحانية، والذي كان يفعله ما كان يشعر به إنسان. **وإلى وفاته كان متحفظاً جداً من السُبْح (المجد) الباطل، كما أُمر من الكاروبيم.** ونقص أيضاً ضوء بصره من كثرة السهر والتعب وطول السنين، لأن حياته بلغت سبعة وتسعين سنة، حتى بدأ يرقد على الأرض من كثرة ضعفه. وكان تلاميذه يحيطون به، وكان يعزي كل واحد على قدر رتبته و يقول: «الله يعلم أنني ما كتمت عنكم شيئاً، بل خاطبتكم دائماً بما أعلم أنه ينفع أنفسكم، وعملت بينكم على قدر قوتي، وكلفت نفسي دائماً حتى لا أصير سبباً لاسترخاء أحد منكم، لا كبير ولا صغير، ولا نمت قط ليلة واحدة وفي قلبي غضب على أحد منكم، ولا تعدَّيت أعمال الله، ولا تجاوزتها، ولا نقضت محبتي لله، ولا محبتي لإخوتي المعروفين لله ولكل الخليقة، الرب يعلم و يشهد عليَّ؛ لأنه قال لي مرة: إنك يامقاره لم تصل بعد إلى درجة أعمال المرأتين، لذلك كان تفكيري فيهما باستمرار، أما الظفر والغلبة التي نلتها على العدو فكانت بالقوة والنعمة اللتين نلتهما من الله. فلا أذكر قط أني عملت شيئاً بقوتي بل كل ما عملت من أشفية أو رحمة كان بيد قوة الله المقدسة. فاهتموا ياإخوتي بخلاص أنفسكم وتيقظوا لأني بعد قليل سأُؤخذ منكم».

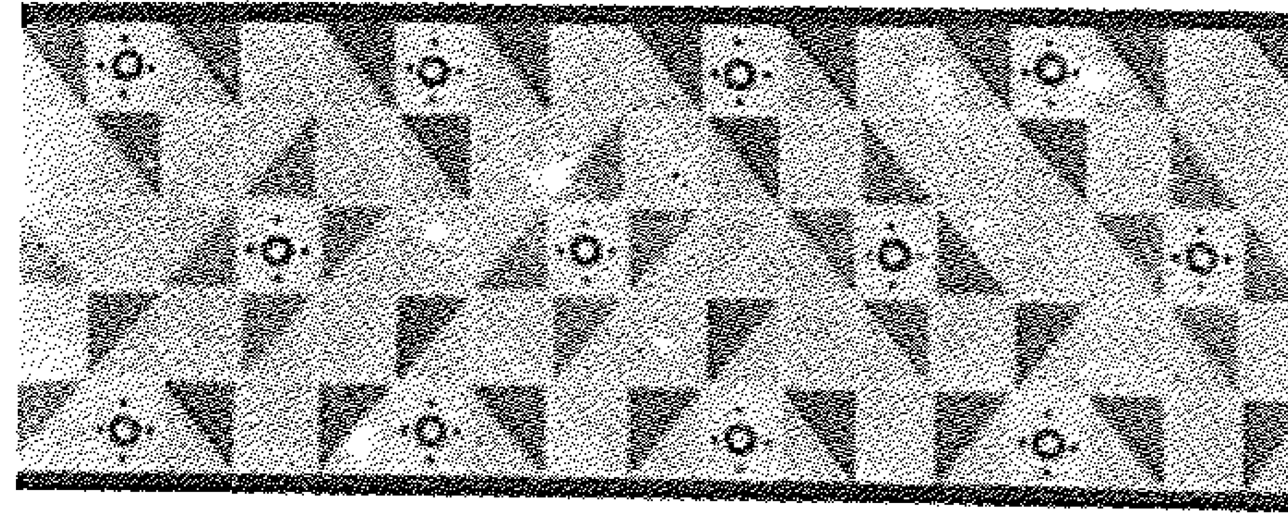
و بعد الكلام معهم صرفهم. وكان كل الرهبان يحبونه ويخافونه كما يخافون الله، لأنه كان بينهم كقائد الجيش الذي يقوي و يعزي جنوده، وأدخله تلميذه إلى مغارته (في الداخل) وانضجع. وفي نحو الساعة السابعة ظهر شخصان قديسان مضيئان، وعليهما مجد وجلال إلهيين، وكل منهما يبتسم إلى الآخر، وتكلم واحد منهما معه قائلاً: «أما تعرف هذا الآخر؟». أما هو

(1) Amélin, A.M.G., XXV, p. 96.

فسكت، كعادته، لأنه ما كان يجاوب أحداً بسرعة، بل يتمهل ثم يجاوب، فقال له: «إنه الأب باخوم أب رهبان دوناسة، وقد أرسلنا الرب إليك لندعوك، فاهتم الآن بما تريده، فإنك بعد تسعة أيام ستخلع عنك هذا الجسد، وتأتي لتسكن معنا»، ثم غابا عنه.

وظل الأب مطروحاً على الحصير، لا يستطيع أن يقوم من الوجع الصعب، لأنه كان ملتهباً بالحمى كالنار. وفي اليوم السابع والعشرين من برمهات ظهر له الكاروبيم، الذي كان معه منذ الإبتداء، ومعه جمع كثير من الروحانيين، وقال له: «أسرع وتعال فإن هؤلاء كلهم ينتظرونك». فصاح أنبا مقاره بصوت خافت قائلاً: «ياسيدي يسوع المسيح حبيب نفسي اقبل روحي إليك». وأسلم الروح. ولم يكن في هذه اللحظة معه أحد إلا تلميذه؛ فلما تسامع الإخوة خبر نياحته، اجتمعوا من أطراف الجبل من الأربعة الأديرة، باكين من أجل شعورهم باليُتم، لأنه كان أباً لكل واحد منهم، وتقلَّدوا منه جميعاً طريق مخافة الله. واحتاطوا بالجسد في الكنيسة، يتباركون منه، ويقبلونه. وصلوا جميعاً عليه، وقدموا القداس، واشتركوا جميعاً، ثم حملوا الجسد الطاهر إلى المغارة التي بجوار البيعة، التي بناها هو في حياته، ووضعوه هناك، وانصرفوا إلى قلاليهم بحزن عظيم.

وكان الأب ببنودة (بافنوتيوس) رئيس التلاميذ يعزيهم، لأن الأبوة والرياسة والتدبير انتقلت إليه بعد نياحة القديس، وقد كان رجلاً قديساً صالحاً مجرَّباً في كل الأمور متواضعاً بالأعمال](٢).



شريط حائطي ملون كان يزين الحنيات الحائطية niches
في القاعة رقم ٣٢ في دير باويط ــ ترجع إلى القرن السادس/السابع

(٢) مقتطفات من الصفحات الأخيرة لسيرة الأب الطاهر أنبا مقار بقلم أنبا سيرابيون، مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار. راجعناها على السيرة التي حققها أميلينو في كتابه باللغة القبطية.

الباب الثالث

آثار القديس أنبا مقار المدوَّنة

الفصل الأول
كتابات القديس أنبا مقار الكبير



الكتابات المنسوبة للقديس أنبا مقار الكبير كثيرة، ولكن قام العلماء مؤخراً بفحصها وتحليلها ونقدها. وقد غالى الكثيرون منهم في نقدها حتى لم يُبقوا على الكتابات المنسوبة لقديسنا الكبير سوى رسالة واحدة، لا توجد إلا باللغة اللاتينية والسريانية، بعنوان: «الرسالة إلى الأبناء الروحيين» Ad Filios Dei، مستندين في صحتها على شهادة المؤرخ القديم جناديوس، حيث يقول عنها:

[مقاريوس الراهب المصري تميز بشيئين: بمعجزاته و بفضائله. وقد ترك رسالة واحدة وجهها إلى المبتدئين من بني طقسه، وفيها يعلمهم أن كل من يصل إلى معرفة نفسه، يستطيع أن يعبد الله، إن هو أسلم ذاته لجميع الجهادات، ضابطاً نفسه في كل شيء، على أن لا يكف في نفس الوقت عن الدعاء والتوسل، طالباً معونة الله، فإنه يصل إلى طهارة الطبيعة، و يبلغ حالة العفة، كهبة، تُمنح لطبيعته](١).

ونظراً لأهمية هذا الخطاب من الوجهة الرهبانية التعليمية، قمنا بالبحث عنه حتى أعاننا الله وعثرنا على ترجمة فرنسية حديثة له من اللغة اللاتينية، وهي أول ترجمة بلغة حية تظهر في العالم، وقد قدمنا الخطاب مع مقدمته في هذا الفصل.

وعدا هذه الرسالة الأصيلة توجد ثماني رسائل أخرى منسوبة للقديس أنبا مقار، وقد تضافرت آراء العلماء جميعاً على عدم صحة نسبتها للقديس أنبا مقار.

ولكننا بالبحث في مخطوطات الدير وجدنا للقديس رسالة هامة باللغة العربية شديدة الصلة بروح القديس أنبا مقار وأسلوبه الإنجيلي في التدبير الرهباني، ونعتقد أنها أصيلة ولو أننا لم نعثر على أصولها بعد باللغة القبطية أو اليونانية، ونقدم هنا للقارىء الرسالة المترجمة عن النسخة الفرنسية:

---

(1) De Viris illustribus, C. 10, P.L. 58, 163. Quasten, III, p. 166.

La lettre de S. Macaire à ses fils
Collectanea O.C.R. t. 24, 1962, pp. 52-59.

رسالة القديس مقاريوس إلى أولاده

مقدمة

من كل الكتابات المنسوبة إلى مقاريوس المصري ـ الكبير ـ يوجد عمل واحد يرجح أنه أصيل، وهو رسالته لأولاده الروحيين، وهي عبارة عن مقالة مختصرة عن الحياة النسكية؛ لم يجد لها العلماء أي أصل باللغة اليونانية، لكنها وصلت إلينا في ترجمة لاتينية وأخرى سريانية. وقد نشر Dom A. Wilmart النص اللاتيني نشرة علمية(١)، وقد جمع Baumstark أهم المخطوطات السريانية التي تحويه(٢)، كما درس Marriott الإختلافات بينها(٣).

ولم يقل العلماء حتى الآن (سنة ١٩٦٢) قولاً قاطعاً بالنسبة إلى أصالة هذا الخطاب، غير أنهم قد وجدوا أجزاءً منه في مواضع متفرقة من مجموعة كتابات خاصة بمقاريوس باللغة القبطية كان قد نشرها E. Amélineau في نهاية القرن السابق(٤). وبذلك يكون هذا الخطاب في الأصل مجموعة أقوال لمقاريوس، دوّنها تلاميذه أولاً، كما وردت في المجموعة القبطية، أو العكس!

أما ورودها في هذه المجموعة القبطية القديمة والأصيلة فهو دليل كاف على أصالتها.

وهذه الرسالة هي الكتاب الوحيد لمقاريوس الذي ذكره له العلامة Gennadius de Marseille في كتابه De Viris illustribus. والأرجح أنه دُوِّن أصلاً باللغة القبطية، ثم تُرجم إلى اليونانية، ومنها تُرجم إلى اللاتينية والسريانية.

ومهما كان من أمر، فإن هذا الخطاب قريب جداً من حيث الألفاظ والمعاني الروحية

(1) A. Wilmart, La lettre spirituelle de l'Abbé Macaire, Revue d'Ascétique et de Mystique, I (1920) 58, 83.
والنص منشور أيضاً في P.G. 34, 406 بدون تحقيق علمي.

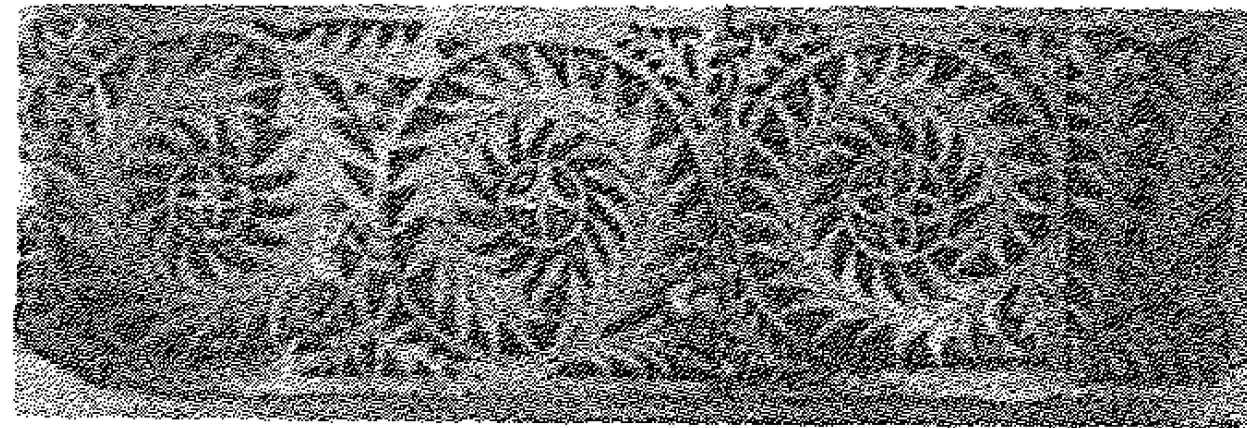
(٢) و(٣) المرجع في الأصل الفرنسي.

(4) E. Amélineau, Histoire des monastéres de la Basse-Egypte (تاريخ أديرة الوجه البحري)
منشور في مجموعة: Annales du Musée Guimet, T. XXV, Paris, 1894.
وقد نُشر فيه الكتاب الذي عنوانه: «فضائل القديس مقاريوس» طبقاً للمخطوط Vatican copte 64، وهو يتضمن نصاً قبطياً ـ غالباً هو الأصل ـ للخطاب الذي ننشره من فقرة ٨ إلى الآخر. (من فقرة ٨ ـ ١٢ حرفياً ثم من فقرة ١٣ إلى الآخر مع بعض الإختلافات، كما أن الفقرتين ١ و ٢ موجودتان في مكان آخر من نفس المرجع).

لرسائل **أموناس** تلميذ أنبا أنطونيوس (المعروفة برسائل القديس أنطونيوس). كذلك فإن أسلوب الخطاب نجده قريباً أيضاً لبعض ما ورد في **حياة أنبا أنطونيوس** بقلم أثناسيوس. وهذا التشابه يكفي **لنقطع بكل تأكيد أن هذا الخطاب يرجع إلى الجيل الأول للرهبنة في مصر**. لذلك فله أهمية قصوى.

وحتى وإن كانت هذه الرسالة قد تكونت في الأصل من أقوال متفرقة لمقاريوس دوَّنها تلاميذه، فهي بوضعها الحالي مرتَّبة ومنسَّقة. **فنحن نجد فيها وصفاً كاملاً للجهاد الروحي وشروطه ونهايته**. أي أنها بحث روحي مختصر، وتعتبر من أهم وأول الأبحاث الرهبانية من هذا النوع.

والترجمة (الفرنسية) الحالية تعتمد على النسخة اللاتينية للرسالة التي نشرها Wilmart، مع الرجوع أحياناً إلى النسخ اللاتينية الأخرى، والنسخ السريانية. كذلك رجعنا أيضاً إلى الأجزاء من الأصل القبطي للرسالة (الموجودة في كتاب Amélineau).



إفريز من الحجر المحفور مأخوذ من القاعة B في دير باويط (قرن ٦/٧)
[متحف اللوفر بباريس]

نص الرسالة

رسالة القديس مقار يوس الراهب إلى أولاده.

١ ــ حينما يبدأ الإنسان يعرف ذاته، ولماذا خُلق، و يبحث عن الله خالقه، فإنه يتوب أولاً عن كل ما اقترفه في زمن توانيه. وهكذا يعطيه الله الرؤوف حزناً على خطاياه.

٢ ــ ثم يعطيه، بنفس الرأفة، أن يُتعب جسده بالأصوام والأسهار، وأن يثابر على الصلاة ويحتقر العالم، كما يمنحه أن يحتمل الإهانات، برضى، و يبغض كل نياح الجسد، و يفضل البكاء على الضحك.

٣ ــ ثم يعطيه اشتياقاً للدموع والبكاء، ومسكنة في قلبه، وتواضعاً، كما يعطيه أي يرى الخشبة في عينه دون أن يحاول إخراج القذى من عين قريبه، وأن يردد باستمرار: «إني عارف بإثمي وخطيتي أمامي في كل حين» (مز٥١ : ٣)، وأن يتفكر في يوم موته وفي مثوله أمام الله، وأن يتصور الدينونة والعذاب، وأيضاً الأجر والكرامة التي تعطى للقديسين.

٤ ــ وحينما يرى الله أن هذه الأشياء تحلو له، يعرِّضه للتجربة، ليراه هل يرفض الشهوات، وهل يثبت أمام هجمات ولاة هذا العالم الذين غلبوه من قبل، وأمام ملذات الأطعمة المتنوعة التي تُضعف القلب. فتصل به الحال (تحت التجربة) إلى أنه يعجز تقريباً عن الصوم، و يكاد يستسلم، منهزماً بضعف الجسد وطول الزمان، لأن أفكاره المعادية تقول له: «كم من الزمان تستطيع أن تحتمل هذه الأتعاب؟»، وأيضاً: «إنه لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك، لاسيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار»، ثم أيضاً: «هل يستطيع الله أن يغفر لك كل هذه الخطايا؟».

٥ ــ ولكن حينما يتيقن الله أن قلبه يبقى ثابتاً في مخافته، وأنه لا يترك المكان الذي جاء ليسكن فيه، بل يقاوم بشدة، فإنه يسمح بأن تأتيه أفكار أخرى توحي له قائلة ــ وهي متخذة فرصة ببره: «صحيح أنك أخطأت، غير أنك قد قدَّمت توبة، فقد صرت منذ الآن قديساً»، وتذكِّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا، و بذلك تزرع المجد الباطل في قلبه.

٦ ــ ثم أن الأبالسة لا تكتفي بذلك، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط، و يدفعونه إلى أعمال لا يقدر أن يقوم بها؛ وتوحي له بأفكار، كأن يمتنع عن الأكل أو الشرب أو يغالي في السهر، و بأفكار أخرى كثيرة يطول ذكرها؛ بل وتعطيه سهولة للقيام بها، محاولة بكافة الوسائل أن تجتذبه إليها (أي إلى هذه الأعمال) مع أن الكتاب يحذر قائلاً: «لا تَمِلْ يَمْنَة ولا يَسْرَةً بل اسلك في الطريق المستقيم» (راجع أم ٤: ٢٦و٢٧).

٧ ــ ولكن إن لاحظ الله أن قلبه لم يملْ إلى أيٍّ من هذه التجارب، التي سبق داود فتكلم عنها قائلاً: «جربتَ قلبي وافتقدته ليلاً. محصتني بالنار لكن لم يوجد فيَّ إثم» (مز١٧: ٣)، حينئذ ينظر إليه الله من سمائه المقدسة ويحفظه بلا عيب. ولاحظوا جيداً أن داود لم يقل «نهاراً» بل «ليلاً»، لأن خداعات العدو هي ليل، كما يقرر أيضاً بولس الطوباوي: إننا لسنا أولاد ظلمة بل أولاد نور. فإن إبن الله هو بالحقيقة «نهار» بينما يشبَّه إبليس بـ«الليل».

٨ ــ ومتى تجاوزت النفس كل هذه المحاربات، فإن الأفكار المعادية توحي لها بشهوة الزنا (والنجاسة). وفي كل ذلك تشعر النفس بضعفها، و يذبل القلب، لدرجة أنه يتوهم أن حفظ الطهارة أمر يستحيل عليه؛ فإن الأفكار، كما قلت، تبين له طول الزمان، من جهة، وصعوبة الفضائل، من جهة أخرى، وكم أن حملها ثقيل لا يُحتمل، وتضيف إلى ذلك أيضاً ضعف جسده وهوان طبيعته.

٩ ــ وإن لم يكل أمام هذه المحاربات، فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له قوة مقدسة، و يثبِّت قلبه، و يعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه، بحيث أن هجومهم عليه لا يخزيه، لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه، هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتنالوا قوة» (كو١: ٢٩)، والتي تعرض لها أيضاً الطوباوي بطرس في حديثه عن «الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، **أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان**» (١بط ١: ٤ــ٥).

١٠ ــ ومتى رأى الله الرؤوف المتحنن أن قلبه قد صار أقوى من أعدائه، فإنه يسحب عنه بالتدريج القوة التي كانت تسنده، و يسمح لأعدائه أن يهاجموه بنجاسات الجسد

المختلفة و بشهوة المجد الباطل والعظمة، و بتجارب الخطايا الأخرى التي تجذب إلى الهلاك، حتى أنه يكاد يشابه سفينة بلا دفة، تتخبط من كل ناحية على الصخور.

١١ ــ ولكن متى صار قلبه وكأنه قد ذبل، وكاد أن يكون قد عثر في كل من تجارب العدو، فإن الله محب البشر والمعتني بخليقته يرسل فيه قوة مقدسة، و يثبته، و يُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال: «**احملوا نيري عليكم**، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٩).

١٢ ــ وهكذا يبدأ الله الرؤوف، أخيراً، يفتح أعين قلب (الإنسان)، لكي يفهم أن (الله) هو الذي يثبته، وحينئذ يبدأ الإنسان يتعلم بالحقيقة كيف يعطي مجداً لله بكل تواضع وانسحاق قلب، كما يقول داود: «**الذبيحة لله روح منسحق**» (مز٥١: ١٧)، لأنه من صعوبة ذلك الجهاد، يتولد التواضع وانسحاق القلب والوداعة.

١٣ ــ ومتى تجرَّب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته. وحينئذ يتفكر الإنسان في ذاته و يردد قول الرسول: «**إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**» (رو٨: ١٨) وأيضاً قول داود: «**ماذا لي في السماء؟ ومعك كم من الأشياء أردتُ في الأرض؟**» (مز٧٣: ٢٥) ومعناه: يارب كم أعددت لي في السماء؟ وأنا كم من الأشياء طلبت معك في الحياة الفانية؟ وهكذا أيضاً تعلَن له العذابات التي تنال الخطاة، وأشياء أخرى كثيرة يفهمها كل رجل قديس بدون أن أذكرها.

١٤ ــ و بعد هذا كله يقطع الباراقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، و يعمل فيه، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينيه، و يضع حارساً لفمه، و يرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، و يقتني برَّ يديه أي (بر) أعماله، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. ولكن هذه الأشياء يرتبها الباراقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء.

١٥ ــ ولكن إن تجاسرت روحه فقاومت ترتيب الروح القدس نفسه، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، و بذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.

١٦ ــ ولكن إن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس (من جديد)، فإن معونة الله تكون عليه. وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق بالله في كل حين، وأن حياته هي في (الله) كما يقول داود: «**صرخت إليك فشفيتني**» (مز٣٠: ٢)، وأيضاً: «**لأن عندك ينبوع الحياة**» (مز٣٦: ٩).

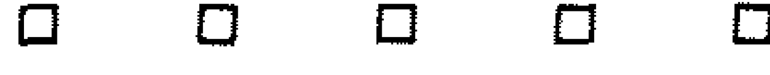
١٧ ــ فمن رأيي، إذن، أن الإنسان إن كان لا يقتني تواضعاً كثيراً، وهو قمة جميع الفضائل؛ وإن كان لا يضع حارساً لفمه ولا يجعل خوف الله في قلبه؛ وإن كان لا يمتنع عن تزكية ذاته بسبب الأشياء التي يتوهم فيها أنه أصلح من غيره، وكأنه قد فعل خيراً ما؛ وإن كان لا يحتمل، برضى، الإهانات التي تقع عليه، ولا يقدّم الخد الآخر للذي يلطمه؛ وإن كان لا يندفع، بعزم، نحو كل عمل صالح ليقتنيه؛ وإن كان لا يحمل نفسه في يده كأنه يموت كل يوم؛ وإن كان لا يعتبر كل الأشياء التي تُرى تحت الشمس كأنها باطلة، ولا يردد في نفسه: «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح**» (في١: ٢٣)، وأيضاً: «**لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح**» (في١: ٢١)؛ فإنه لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين.

(ملاحظة: الإقتباسات الكتابية مختلفة أحياناً عن نصها في طبعة بيروت وهي مترجمة حرفياً عن نص القديس مقاريوس).



الفصل الثاني

دراسة تحليلية لمنهج القديس أنبا مقار



تعليقنا الشخصي على رسالة القديس أنبا مقار:

تبدو الرسالة في منهجها الروحي عملية، تخلو خلواً تاماً من أي ميل ناحية المنهج التأملي الأوريجاني أو ناحية المنهج العقلي المفتعل المسمى بالتداريب الروحانية، حسب النمط الأوغريسي، الذي انتشر في القرن الرابع بين آباء نتريا والقلالي وشيهيت بتأثير أوغريس وآباء السريان فيما بعد (الشيخ الروحاني، والدرجي ومار اسحق). لذلك، فرسالة القديس أنبا مقار إلى أولاده Ad Filios تعتبر من أندر وأنفس الكتابات الرهبانية القبطية الصافية الأصلية، التي وصلت إلينا، وهي جديرة باهتمام الرهبان وكافة الروحانيين، بسبب بساطة الروحانية العملية التي تشع من كل سطورها.

والرسالة تخلو من أي منهج تصويري فكري أو ادعاء تدريبي مفتعل، كما قلنا، بل اعتمادها الأصيل على **الخبرة الروحانية المسبقة** القائمة على حياة التسليم المطلق والإسترشاد بتدبير الأب الروحي، حيث تأتى المعرفة دائماً نتيجة للخبرة الروحية وليس العكس؛ يُقوّمها الأب الروحي ويوجهها، لتطابق المنهج الآبائي الإنجيلي، ليجعلها دائماً في أمان كامل من التزييف العقلي، والنفسي، ومن الطموح الروحي؛ هذه الثلاثة التي تعتبر أخطر المزالق التي يهوى فيها النساك.

وفيما يلي نقدم بحثاً موجزاً عن كتابات القديس أنبا مقار بقلم أحد علماء الغرب الروحيين، وبه نقدم للقارىء صورة للعمل الفكري الغربي فيما يختص بدراسة الكتابات الروحانية؛ وهو يميل إلى التحليل والقياسات دون أن يهتم بلمس الحقائق الروحانية الصافية ليجعلها في متناول القلب. فهذه الدراسة العلمية الدقيقة، ولو أنها تتسم بالأمانة والإخلاص في البحث حيث يبدو العالِم هنا (Resch) مهتماً أشد الإهتمام بمناهج الآباء وبالأخص منهج القديس أنبا مقار، مما يجعلنا نلتفت أكثر إلى هذا التراث الروحي المجيد؛ إلا أن هذا البحث في مجمله لا يتعدى وضعه العقلي الفكري المحض؛ وقد رأينا في تقديمه فرصة لكي نعرض مقارنة بين أقوال القديس أنبا مقار

الروحية البسيطة السهلة العملية و بين هذا البحث، الذي ولو أنه يقوم أصلاً على كتابات أنبا مقار، إلا أنه ينتحي ناحية القياس والمنطق الفكري العقلي المحض.

وكل ما نوده من القارىء أن ينتبه إلى تعليقات الباحث، لا لكي يدخل معه في حوار ودراسة فكرية، ولكن لكي يلتقط الحقائق في موضعها ويخبئها في قلبه ليخضعها إلى الخبرة العملية.

أما بصدد المقارنة التي يقدمها الباحث بين منهج أنبا مقار النسكي والروحي و بين منهج أنبا أنطونيوس، فنحن نود أيضاً أن نلفت نظر القارىء أنه في حين جاءت سيرة القديس أنبا أنطونيوس حافلة بالصراع الشخصي ضد الشياطين، على مستوى المقاومة المستمرة والمعاناة الواعية؛ فإن سيرة القديس أنبا مقار يظهر فيها الشيطان مقهوراً باستمرار ومنهزماً دائماً بصورة ساحقة، والسبب في تفوق أنبا مقار على الشيطان كان هو القوة الروحية المرافقة له التي دُعيت بالشاروبيم أو الملاك. ومن هنا كانت حياة أنبا مقار وأعماله ومعجزاته الكثيرة جداً صورة للنصرة الفائقة القائمة على مؤازرة الله الشخصية لقديسيه، و بالتالي جاءت أقواله وتعاليمه مختصرة أشد الإختصار، ولكنها قوية أشد ما تكون القوة، تنجح دائماً عند أول تطبيق لها بسبب الإلهام الفائق الذي يرادفها.



إفريز من الحجر المنحوت يتكون من فرع نباتي على شكل دوائر متتالية
[من دير أبَا إرميا بسقارة ـــ معروض بالمتحف القبطي]

دراسة روحية لكتابات القديس أنبا مقار
على أساس أقواله وخطابه المشهور

إسم المرجع:
التعاليم النسكية لكبارآباء القرن الرابع المصريين (*).

فهرس البحث

(*) P. RESCH, La Doctrine Ascétique des premiers Maîtres Egyptiens du Quatriéme Siécle, Paris, 1931.

(ملاحظة: الأجزاء الخاصة بالقديس مقاريوس هي فقط التي نعرضها في هذا البحث).

الفصل الثاني : الإفخارستيا .

الفصل الثالث : الإقتداء بالقديسين .

الفصل الرابع : الإرشاد الروحي .

(ب) ممارسة الفضائل :

الفصل الأول : الإيمان .

الفصل الثاني : الإماتات .

الفصل الثالث : الإتضاع .

الفصل الرابع : بذل النفس .



شاهد حجري من دير البلايزا محافظة أسيوط

[المتحف الملكي في بروكسل ـ بلچيكا]

مقدمـــة

المصادر التي اعتمد عليها البحث

التـقـليد النسكي، الذي بدأه القديس أنطونيوس، سار على نهجه تلميذه المباشر[١] القديس مقار يوس المصري مؤسس ومدبر الحياة الرهبانية في الإسقيط[٢].

ولـكـن، ولـو أن مـقـار يـوس لم يـعش باستمرار بالقرب من أبي الرهبان، إلا أنه كان يطلب تـعاليم هذا القديس العظيم في ز ياراته لمغارته البعيدة. و يبدو أن التقليد الرهباني يؤكد حقيقة هذه الـعلاقـة بـينهما. وهـذه اللقاءات الروحية كافية لإثبات القرابة النسكية في تعاليمها، الأمر الذي يتجلّى بوضوح من دراستها.

كـان مـقـار يـوس يُـعتبر، لـمدة طـو يلة من الزمن، مؤلّفاً لعدد من الكتابات الروحية، لاسيما لخـمـسين عـظة روحية[٣]؛ إلا أن بعض الأبحاث الحديثة قد أنكرت[٤] نهائياً تأليفه لها، فيما عدا الـرسـالـة الروحية Ad Filios[٥] و بعض الأقوال في (الأبوفثجماتا)[٦]. وقد شرح WILMART أصل هذه الرسالة بمقارنتها بقولين آخر ين للقديس مقار يوس:

١ ــ كاسيان Instit, Lib. V. 41

٢ ــ Pat. Gr. XXXIV, 232 وهي تكرار للجزء الأخير من الرسالة[٧].

وهذان النصان ليسا سوى جزئين صغير ين من الرسالة.

---

(1) Butler, The Lauziac Hist. of Pall., I, p. 225.

(2) Cassian, Conference, XV, 3, Pat. Lat. XLIX, 995 s.

(3) Migne, Pat. Gr., XXXIV, 1-968.

(٤) يعتبرها Stiglmayer أنها تجميع بيزنطي بعد القرن الرابع.

+ أما VILLECOURT فيعتبرها ذات أصل ميصلياني messalienne.

+ وقد وافق على هذا الرأي الأخير كل من MARRIOTT, WILMART & BARDENHEWER

ولم يوافق STIGLMAYER على رأيهم.

+ ثم جاء VILLER وأيد رأيهم.

+ ولم يتمسك أحد بأنها لمقار يوس سوى A.J. MASON الذي نشرها حديثاً بالإنجليز ية.

50 Homilies of Macarius, SPCK, London, 1921.

(٥) النص الأصيل لهذه الرسالة قد نُشر في مجلة RAM (Revue d'Ascétique et de Mystique) I, 1920, p. 72-79.

(6) Migne, Pat. Gr., XXXIV, 229-405 وفي مواضع متفرقة من سير الآباء

(7) Epistola Ad. Filios 17.

والفقرات من ٧ إلى ١٧ لهذه الرسالة موجودة في AMELINEAU (٨)، وكذلك أيضاً الفقرتان ١و٢(٩).

وتوجد أقوال أخرى لمقار يوس تثبت أصالة هذه الرسالة(١٠)، ولا شك أن هذا التطابق الواضح يؤكد أصالة الرسالة، و يقدم لنا الدليل على وحدة مصدرها، وعلى أهمية هذه الأقوال لمعرفة شخصية مقار يوس المصري(١١).

وستظل أهمية هذه الأقوال راسخة، حتى ولو ثبت أن صياغتها النهائية تمت في القرن الخامس أو السادس.

وأقوال مقار يوس معتمَدة، تاريخياً(١٢)، أكثر من أقوال أنطونيوس، لأن مقار يوس كان لا يزال على قيد الحياة حينما بُدىء في جمع أقوال الـ Apophthegmata، وكان معروفاً بصفة شخصية من الذين كانوا يذيعون هذه الأحاديث الآبائية.

---

(8) P. 122-125.
(9) P. 175.
(10) AMEL., p. 118-202, 159, 171.
(11) AMEL., p. XLI.

(١٢) يعتمد البحث على ثلاثة مراجع أساسية:

(أ) رسالة Ad Filios كما نُشرت باللاتينية سنة ١٩٢٠ بواسطة Wilmart ، وهي التي ترجمناها إلى العربية من مجلة Collectanea

(ب) أقوال مقار يوس Apophthegmata باليونانية، وهي مجموعة خاصة بمقار يوس وحده، موجودة في الباترولوجيا في المجلد الخاص به P.G., XXXIV, 229-405 (ربما توجد بها أقوال جديدة عما ورد في مجموعات Apophthegmatas العامة في مجلد: P.G., LXV).

(جـ) كتاب Amélineau وهذا هو إسمه بالكامل:

Vie de Macaire de Scété, Vertus de saint Macaire, Apophtegmes sur saint Macaire, Texte copte et traduction française, publié par AMELINEAU, Annales du Musée Guimet, XXV, 46-235

(و بالإختصار= ADMG.)

الباب الأول
طريق الكمال
الفصل الأول
الغــايــة

في الكـتـابـات الـنسكية الأولى لأمثال أنطونيوس و باخوميوس وأثناسيوس لا نستطيع تحديد هـدف الـنـسـك، إلا بـطـر يـقة اجتهادية، من أقوال متفرقة وغير كاملة، ولكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للقديس مقار يوس.

فـإن رسـالـتـه Ad Filios تـعـتـبر منهجاً متكاملاً واضح المعالم للحياة النسكية والتصوفية، وتـتـجلى قـيـمـتـه إذا عـلـمـنا أن الآباء الأوائل لم يعتنوا بوضع قواعد أو ترتيب محدد لأسرار النمو في القداسة وفي المحبة الإلهية.

ويمكننا عنونة هذه الصفحات من التعليم والإختبار بأسلوب حديث: «الوسائل والمعوقات في سبيـل الإتحـاد بـالله»، أو: «مـا هـي الخطوات التي تستطيع بها النفس أن تتدرج للوصول إلى الخضوع الكامل للروح؟»([1]).

ومـن الـبـدايـة، يوضح مقار يوس الهدف من كل جهادات الناسك منذ بداية تجار به الأولى، حيـث يـقـول الـشـيـطان للناسك: «هل تستطيع أن تحتمل هذا الجهاد طوال هذه المدة، لأنه أمر مُضن للإنسان أن يجاهد حتى يستحق استضافة الله في داخله» (فقرة ٤).

أمـا بـالنسبة للناسك الذي اجتاز جميع التجارب بنجاح، فإن مقار يوس يكشف له أمجاد هذا الإتحاد السري مع الله وعمل الروح في النفس قائلاً:

«فـإذا ضـعـف الـقلب وكاد أن يزل في هجمات العدو، الواحدة تلو الأخرى، فإن الله محب البشر والمعتني بخليقته يرسل له نعمته المقدسة، فتقو يه، وتُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه تحـت نير الـبـاراكـلـيـت، فإنه هو الذي قال: احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب.

(1) A. Wilmart, RAM, I, p. 59.

وفي هـذه اللحظة يبدأ الإله الصالح أن يفتح له عيون قلبه ، حتى يستطيع أن يدرك أن الله هو الـذي يـعطيـه الـقـوة . وحينئذ يبتدىء الإنسان أن يعرف كيف يكرم الله بالحقيقة بكل اتضاع وشكر كما قال داود: الذبيحة لله قلب منسحق .

و بعـد كـل هذه التجارب ، يبدأ الروح القدس في أن يُعلن له الكنيسة ، التي هي المجازاة التي نـالهـا الـقـديـسون بـاستحقاق مع أولئك الذين يترجون رحمته . وحينئذ يقول مع الرسول : أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا .

كما تُستعلن له أيضاً العذابات التي سوف يكابدها الخطاة ، وأمور كثيرة أخرى عظيمة تفهمها النفس القديسة ، دون حاجة مني لأن أخبرها بها .

و بعـد كـل هـذا يتهيـأ الباراكليت لأن يبرم عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده واتـضـاع روحـه ، ويـسـيـره في طـرق لـيـست من هذه الخليقة : فلن يتكلم فمه فيما بعد عن مشاغل الـنـاس ، وتـصير نـظـرتـه مـسـتـقـيمة وطاهرة ، ويضع حارساً على شفتيه ، وتسير قدماه في الطر يق القويم ، و يوقف نفسه للأعمال المقدسة والصلاة المستمرة وإماتة الجسد والأسهار المتواترة .

وفي هذه كلها يعطيه الروح أن يتصرف بإفراز وتمييز دون تشو يش بل في سلام » (٢) .

هـا قـد وصـلـنـا بـوضـوح إلى التأمل المفاض ، الفائق للطبيعة ، كما وصفه كبار المتصوفين من بـعـده (٣) ، وكما سبق مقار يوس واختبره ، بلا شك ، بشهادة هذا القول من الـ
الذي يبين الإعداد لهذا التأمل وانتعاشه ونتائجه بأسلوب يشبه أسلوب أنطونيوس :

[قـيـل عن أبينا القديس أنبا مقار الكبير أنه عندما تقدم في النعمة ، تقبل قوة معز ية من ر بنا يـسوع المسيـح حتى أن الأرواح المعـادية كانت تضطرب وترتعد أمامه بسبب النعمة التي كانت فيه] (٤) .

وهـذه الـنعمة ترافق الإنسان الذي يجاهد بمثابرة في طر يق السعي نحو الكمال ، وكذلك تكون مـع الـنـفـس التي تـقـدّسـت والتي صـار يسوع هو كنزها الأوحد ، والتي يفر من أمام صلواتها فلول الشياطين .

---

(2) Ad Filios, 11, 14, RAM, Jan. 1920, pp. 74-75.
انظر أيضاً: Amélineau, AMG, XXV, 122-125.

(٣) عند قراءة هذه القطعة يبدو كأننا نتتبع « السلم السري » كما وصفه يوحنا الصليبي في كتابه : « الصعود إلى جبل الكرمل » ، وأيضاً في كـتـاب : « الليـل المظلم » ، حيث يضيف عناصر جديدة ويتكلم بأكثر توسع وأكثر تعمق : وبها تظهر تعاليم مقار يوس المصري أنها الينبوع الأصلي الذي أخذ عنه متصوفو الغرب .

(4) Amélineau, 148-149 (vertu ϪΟⲘ = نعمة = قوة)

ولقد تكلم أنطونيوس أيضاً عن هذه (النعمة= Vertu =فضيلة)، حيث كان يوضح لتلاميذه المبتدئين سهولة الحصول عليها، وهي أيضاً التي أشاد أثناسيوس بأهميتها في الإتحاد وخضوع الإنسان كله لله الكلمة، وهي أيضاً التي يقدمها مقار يوس لأولاده كهدف أوحد لكل أتعابهم، باعتبارها حالة اشتراك فعلي مع الملائكة، أو بعبارة أخرى ملكوت الله، الذي يلزم إقامته في النفس منذ الآن، إلى أن نتمتع بملئه، في مجد لا يضمحل، فيقول أنبا مقار:

«طقس الراهب يشبه طقس الملائكة. فكما أن الملائكة في وقوفهم أمام الله كل حين لا يمنعهم شيء أرضي من المثول في حضرته، هكذا أيضاً ينبغي على الراهب أن يكون طوال سني حياته. وبهذا ينفذ قول ربنا، الذي أوصى بأن ينكر الإنسان نفسه ويحمل صليبه و يتبعه. هكذا أنتم أيضاً ياأولادي الأحباء إغصبوا أنفسكم قليلاً لكي تنالوا الفضيلة Vertu وحسب، لأنه مكتوب: ملكوت الله للذين يغصبون أنفسهم عليه» (٥).

□

الفصل الثاني
خطوات الطريق

في هذا المجال نجد لمقار يوس تعليماً واضح المعالم أكثر من الآباء الآخرين. فهو في الواقع قد أبرز بوضوح درجات ارتقاء النفس في سبيلها نحو الكمال.

وقد أصاب من اقترح كعنوان لرسالته Ad Filios : (ما هي الخطوات التي تستطيع بها النفس أن تتدرج للوصول إلى الخضوع الكامل للروح؟).

+ الخطوة الأولى عبارة عن توبة إلى الله.

ــ النفس هنا في هذا المجال تهدف إلى إخضاع ذاتها لعمل الله، بالتوبة عن الحياة الماضية (فقرة ١).

ــ بأعمال النسك الخارجية مثل الصوم، والسهر، واحتمال الإهانات ومضايقات الطبيعة (فقرة ٢).

ــ ثم بأعمال النسك الداخلية مثل المذيذ في الحقائق الإيمانية العظمى، وأعمال الإتضاع، ومراجعة النفس (فقرة ٣).

+ وحينما يجد الشيطان أن النفس مثابرة على المجاهدة في هذه الأعمال، فإنه يبدأ في محاربتها:

ــ فيداهم النفس بتجربة اليأس (فقرة ٤)،

ــ والمجد الباطل (فقرة ٥)،

---

(5) Amélineau, A.D.M.G., 25, 171.

ــ والإفراط في النسك (فقرة ٦)،
ــ ولكن النفس الأمينة تنتصر بمعونة الله (فقرة ٧).

+ **ثم إن جهاداً أشد وطأة** ضد تجربة النجاسة (فقرة ٨)،
ــ وتجديداً لتجربة اليأس، يؤولان إلى نصر آخر بمعونة الله (فقرة ٩).

+ **أما أشد تجربة فهي** أن يبدو الله وكأنه قد تخلى عن تقديم المعونة (فقرة ١٠).
ــ أما إذا تزكى الإنسان مقابلها ــ فإنه يختم على هذه المحاربات بخضوع كامل للنفس والجسد للروح القدس (فقرة ١١).

+ **حينئذ يحدث استعلان الله للنفس** الذي يفتح عيون القلب الداخلية (فقرة ١٢).
ــ و يترتب على ذلك اكتساب الفضائل. و يكشف الروح القدس للنفس ما في السماء والجحيم وحقائق أخرى كثيرة فائقة للطبيعة (فقرة ١٣).

+ **أما خاتمة هذه المسيرة** نحو الكمال **فهي عهد** مع الباراقليط،
ــ حيث يصف مقار يوس الإنسان الذي وصل إلى هذا الكمال (فقرة ١٤).
ــ و يؤكد أهمية عدم مقاومة الروح القدس (فقرة ١٥).
ــ وأهمية المثابرة على هذا المنهاج (فقرة ١٦).

+ **وفي الختام** يلخص كل نصائحه (فقرة ١٧).

+ + + + + + +

ومن الصعب تحديد عدد الدرجات التي وضعها مقار يوس لكي يصعد عليها الناسك في سبيله إلى الكمال. فإذا حاولنا اتخاذ تعبيرات الرسالة بحرفيتها، وكأنها تشير إلى درجات متميزة، فإننا:
ــ نجد فيها على الأقل أربع عشرة درجة قبل إقامة العهد بين النفس والروح القدس، ولكن حيث أن كثيراً من هذه الدرجات تؤول طبيعياً إلى درجة واحدة مركبة، لذا يُفضل تقليل هذا الرقم.

ــ وقد رأى Dom Wilmart (٦) أن يركزها في سبعة أفعال متلاحقة، وهو رأي يمكن الأخذ به.
ــ كما أنه ليس من الصعب أن نحصرها في ثلاث درجات:
١ ــ الرجوع إلى الله بالتوبة والنسك (من فقرة ١ــ٣).
٢ ــ التجارب التي تهيّيء النفس لإنسكاب النعم Vertus المُفاضة (فقرة ٤ــ١٠).

---

(6) La lettre de Macaire, RAM, Jan. 1920, p. 81.

٣ ــ الخضوع الكامل للروح القدس (فقرة ١١ــ١٣).

أما العهد بين النفس والباراقليط (فقرة ١٤ــ١٦)، فهو إكليل هذه الدرجات، والقمة النهائية لها أكثر منه درجة قائمة بذاتها.

و يصف مقار يوس حقيقة النفس البشر ية في سعيها نحو الكمال أفضل من كل الذين سبقوه، فهو يحدد معالم مسيرتها بكل وضوح. وتوجيهاته التي استمدها من الخبرة العملية تتفق إلى حد بعيد مع الملاحظات التي أدت فيا بعد إلى النظر ية المعروفة لدينا عن الثلاثة تدابير وهي: التطهير ثم الإستنارة ثم الإتحاد.

ولكن بالرغم من أن مقار يوس بيَّن بوضوح عدة درجات مرتبة ترتيباً زمنياً في الحياة الروحية، إلا أنه إذ كان اهتمامه الأكبر بالحياة النسكية العملية أكثر من التصورات العقلية اللاهوتية المجردة، لذا لم يسعَ لأن يستخرج منها منهجاً محدداً. فهو لم يحاول ــ مثل العلاَّمة اكليمندس الإسكندري أو القديس أغسطينوس ــ أن يتوصل إلى تحديد مبدأ نمو النفس روحياً، في معرفة متزايدة حتى الكمال أو محبة نامية حتى الأعماق، بل في إخلاصه لتعليم معلميه يطالب تلاميذه أن يتقدموا باستمرار دون النظر إلى خلف، ودون أن يظنوا بأنفسهم قط أنهم حصلوا في هذا العالم على الكمال الإلهي بصفة نهائية.



الفصل الثالث
الدعوة عامة إلى حياة الكمال

كان القديس أنطونيوس يوجه تعاليمه إلى البشر جميعاً بكافة فئاتهم.

ونجد هذا الإتجاه نفسه عند القديس مقار يوس تلميذ أنطونيوس. ورسالته يمكن جداً اعتبارها ملخصاً لتعليم شفاهي ألقاه مقار يوس على أناس من كافة المستو يات. حقاً إن رسالته معنونة كالآتي: «رسالة القديس مقار يوس الراهب إلى أبنائه»، مما يجعلنا نميل إلى الإعتقاد بأنها كانت موجهة للرهبان، ولكن هذا العنوان غير أصيل(٧)، ولا نستطيع أن نعتمد إلا على النص في تحديد التلاميذ الذين يقصدهم مقار يوس. حقاً إن الأسهار والأصوام والصلوات و بعض التجارب المذكورة توحي بأن الرسالة تدور حول الحياة الرهبانية، ولكن إذا تقيَّدنا بعبارات النص فحسب فإننا نلاحظ أن المؤلف كان يوجه كلامه «للإنسان»، لكل إنسان متعطش إلى حياة القداسة(٨).

(7) Dom Wilmart, RAM, Jan. 1920, p. 59.

(٨) يأتي ذكر كلمة «الإنسان» في الفقرة ١ و١١ و١٢ و١٣ و١٦ و١٧ من الرسالة.

وتقص علينا سير الآباء Vitae Patrum رؤ يا للقديس مقار يوس أُعلن له فيها أن درجته في الكمال لم تصل بعد إلى درجة امرأتين متزوجتين. و بعد استفساره عن أسلوبهما في الحياة قال مقار يوس، وهو مندهش، كلمته المأثورة: «حقاً أنه ليس عذراء ولا متزوجة وليس راهب ولا علماني، إنما استعداد القلب فحسب هو الذي يطلبه الله وهو يعطي الجميع معونة روح الحياة» (٩).

ليس إذن نوع الحياة الذي يجعل الإنسان قديساً أو كاملاً، بل توجد قداسة واحدة هي ثمر الروح القدس مع جهاد الإنسان.

والرهبان اختاروا سبيلاً قد يكون أكثر ضماناً وأكثر سهولة، غير أنه من الجهالة أن يعتمدوا على دعوتهم هذه في حد ذاتها، فإن الكمال لا يكمن في مجرد انتهاج سبيل معين.

الباب الثاني
أنواع التجــرد
(أ) أنواع التجرد الإختيارية
الفصل الأول
البتــولية

إن كان أنطونيوس لم يتحدث عن البتولية بطر يقة مباشرة باعتبارها أساساً لحياة نسكية مسيحية سامية، ولكنه يذكرها على الأقل بطر يقة عرضية. أما بالنسبة لتلميذه مقار يوس، فإننا إذا التزمنا بحرفية نصوصه لا نجد فيها ما يشير إلى اهتمامه بالبتولية كوضع خارجي. ألعل السبب هو أنه كان يُحلِّق بتعليمه عالياً جداً فوق كل ما هو ظاهري أو بدائي؟! في الواقع أنه لم يتغافل عن الوسائل الأساسية الأخرى مثل الصوم والسهر واحتمال الآلام واحتقار العالم... إلخ.

أم أن السبب هو أنه كان يُجمِل تعاليمه في معان عامة بحيث أنه كان لا يتعرض لأي حالة خاصة؟ أشرنا من قبل أن الكمال الذي دعا إليه هو في متناول يد كل مسيحي. وعندما كان يتكلم عن التجارب ضد الطهارة كان كلامه يمكن أن ينطبق على كل الفئات من البشر. فهو يقول مثلاً: [يوحي المجرِّب للنفس بشهوات الزنا والنجاسة لدرجة أنها تظن استحالة احتفاظها بالطهارة] (١٠).

---

(9) Vitae Patrum, III, 97; P. L. LXXIII, 778, VI, I, 3, 17.
(10) Ad Filios, No. 8.

الفصل الثاني
الفقـــر

تعـاليم القـديس مقار يوس عن الفقر كوضع خارجي لا تز يد عن تعاليمه عن البتولية كوضع خـارجي، فهـو يـكاد أن لا يتكلم عنه، وإن التعبيرات الوحيدة التي وردت في رسالته بخصوص التجـرد مـن المقـتـنيات وهي: احتقار العالم (فقرة ٢، فقرة ١٧) هي تعبيرات عامة لا يمكن أن نـستقرىء منها أسلوب الفقر كوضع خارجي (خاص بالرهبان). أليس هذا دليلاً جديداً على أن النسك المقاري كان موجَّهاً إلى كل إنسان مسيحي بوجه عام؟

وفي الـواقـع، فـإن مـا يظهر بوضوح في هاتين الفقرتين هو **روح الفقر.** والعبارة الثانية بالذات تحتل من رسالة مقار يوس مكان الصدارة، إذ أنها تُشكِّل آخر جملة في الرسالة:
[إن لم يـعـتبر الإنسان كلّ ما تحت الشمس باطلاً، وإن لم يقل: لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المـسيـح، لي الحـيـاة هـي المـسيـح والموت هـو ربح ــ فهو لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين] (فقرة ١٧).

وفي أقـوال الآبـاء (Apophthegme) يـصـوِّر لـنـا القديس مقار يوس بطر يقة أخّاذة عدم اكتراثه التام بمقتنيات الأرض، إذ وجد القديس يوماً ما لصاً في قلايته فلم يضطرب بل ساعده في تحميل الجمل الذي كان اللص قد أحضره لنقل الغنيمة(١١).

كما نجد نفس الإتجاه بعدم الإكتراث الكلي بالآلام من أي نوع في القول الآتي:
[إذا قـبـلـتَ الإحـتـقـار مـثـل المديح، والفقر مثل الغنى، والعوز مثل السَّعة، فإنك لا تخاف الموت] (١٢).

الفصل الثالث
الزُهـد في العالم

«الـزهـد في العالم» (١٣) هو واحد من الإتجاهات الروحية التي يطالب بها مقار يوس كل من يـر يـد أن يـرتقي درجـات الكـمـال، أمـا ترك العالم فيبدو أنه كان أمراً مفروغاً منه بالنسبة لأولئك الذين يكتب إليهم، حتى أن هذا الأمر لم يكن يستحق أن يُذكر صراحة في الرسالة.

---
(11) Apoph., No. 40, P. G., XXXIV, 260.
(12) Apoph., No. 20, P. G., XXXIV, 249.
(13) Epistola Ad Filios, 2.

ولكن أقوالاً كثيرة منسوبة لمقاريوس تنبه باستمرار إلى أهمية الهروب من العالم ومحبة الوحدة.

وهو نفسه كان قد هرب إلى الإسقيط ليتحاشى التكريم الزائد الذي كان الشعب مزمعاً أن يكرِّمه به(١٤).

فمحبة الناس غير ثابتة ولا ينتج عنها إلا السجس، أما محبة الله فهي وحدها التي تقرر للنفس راحتها وطمأنينتها: [لا ترتبط بصداقة مع أي إنسان، إلا مع الإخوة الفقراء، ولا تسعَ وراء أي إنسان بسبب الخير الذي قدمه لك، ولكن اسعَ وراء الله وحده واخدمه فهو الذي يخدمك كإبن بأحشاء أبوته. أما أنت فاحفظ ذاتك من مصادقة الناس، ولتكن كل مصادقتك بينك و بين الله فقط. لا تسعَ وراء أي إنسان لكي تستشعر الراحة في مصادقته، ولا تكن لك دالة في بيته، ولا تسكن عنده مهما كان الأمر، لئلا يصير لك سجس. ياأخي، إذا أردت أن تكون لك راحة كل أيام حياتك فلتكن أفكارك ملتصقة بالله في كل ساعة؛ واحفظ ذاتك من مصادقة الناس](١٥).

لذلك فإن ما يوصي به مقاريوس بصورة قاطعة هو أن: «اهرب من الناس». ولكن، ما هو الهروب من الناس؟ هذا السؤال ألقاه عليه أنبا إشعياء، وقد أجاب الشيخ: «هو أن تجلس في قلايتك وتبكي على خطاياك»(١٦).

أما الناس الذين يجب أن نهرب منهم لكي نحيا حياة داخلية حقة، فليسوا هم فقط الأشرار الذين يسببون لنا العثرات، بل وأيضاً الإخوة الذين تمنعنا مجالستهم عن الإنحصار الكامل في الله:
[قال أبَّا موسى يوماً ما لأبَّا مقاريوس الإسقيطي: «أريد أن أحيا في الهدوء والصمت، ولكن الإخوة لا يدعونني». فأجاب أبَّا مقاريوس قائلاً: «إني أرى أن طبعك ليس حازماً بالكفاية، وأنك لا تقدر أن تغلق بابك أمام أي من الإخوة. ولكن إن أردت أن تحيا حياة هادئة فاذهب إلى البرية واغلق على ذاتك في مغارة وهناك ستجد نياحاً](١٧).

وكانت الوحدة ثقيلة على بعضٍ من تلاميذه؛ إذ كانت تقلقهم تجارب دقيقة تدعوهم للعودة إلى العالم، وترك وحدتهم بحجة ممارسة المحبة:
[جاء أحد الإخوة يوماً ما إلى أبا مقاريوس وقال له: «ياأبي إن الأفكار تقول لي اخرج وافتقد المرضى لأن هذه وصية عظيمة». فقال له أبا مقاريوس بكلام نبوي: «ربنا يسوع

(14) Apoph., No. 1, P. G., XXXIV, 236.
(15) AMEL., ADMG, XXV, 182.
(16) Apoph., No. 27, P. G., XXXIV, 252; Cf. aussi: Apoph., No. 41, P. G., XXXIV, 261.
(17) Apoph., No. 22, P. G., XXXIV, 249.

المسيح، الفم غير الكاذب، هو الذي قال: «كنت مريضاً فزرتموني». فقد أخذ جسد بشريتنا ووحّده مع ذاته، واتحد بإنسانيتنا في كل شيء، ما خلا الخطية وحدها.

وأما لك يا ابني فأقول، الجلوس في القلاية خير من الإفتقاد. لأنه سيأتي وقت فيا بعد يستهزئون فيه من الذين يجلسون في قلاليهم، و يتم قول أبا أنطونيوس بأنهم إذا رأوا أحداً ليس منحلاً مثلهم فإنهم يقومون ضدّه قائلين: إنك لَجاهل! ذلك لأنه لا يشابههم. وأقول لك يا ابني إن لم يكن موسى قد دخل في السحاب لما كان قد أُعطي لوحي العهد المكتوبين بأصبع الله، لأجل المجد] (١٨).

ولكي نفهم هذه الإجابة التي تبدو غريبة لأول وهلة، يجب أن نتصور نفسية المتوحد المبتدىء الذي كان يعاني من رتابة الحياة، فإنه كان يريد في الواقع، ليس أعمالاً أكثر كمالاً — حيث أن هذا الفكر لم يكن سوى حجة للخروج من الوحدة — بل ما كان يريده بالفعل هو مجرد التغيير.

ومقاريوس يوافق بصورة عامة على أن افتقاد المرضى هو أمر ممتاز، غير أنه في الحالة الراهنة خدعة: «وأما لك يا ابني فأقول، الجلوس في القلاية خير من الإفتقاد».

وربما تعتبر القصة التالية التي نسبها كاسيان لمقاريوس المصري تلخيصاً لتعاليمه عن الهروب من العالم:

[تذمر (حلاق) من قلة الربح الذي تدرُّه عليه مهنته في بلده. فلما سمع عن بلاد أخرى حيث يدفع العملاء الأجرة بالذهب، هاجر إليها. وكم كان فرحه بقبضه لأول قطع ذهبية! ولكن كم تثقَّل قلبه لما وجد نفسه مضطراً لأن يدفع بالذهب ثمناً لأتفه الإحتياجات! فعوضاً عن أن يجمع مالاً و يغتني كاد يموت من الجوع. وإذ استفاق من غفلته، عاد إلى بلده حيث كان يربح قليلاً و يصرف قليلاً على احتياجاته، وهكذا صار له بعض من الغنى.

هكذا بالنسبة للمتوحد، فهو يظن أنه سيربح أجراً أكثر بِرَدِّ الخطاة الذين في العالم. ولكن يا لها من خدعة! إنها لصفقة خاسرة] (١٩).

مهما هرب الإنسان داخل البرية، فإن فكر العالم يتبعه و يلتصق بقلبه كالتصاق التراب بالملابس. لذلك فإن مقاريوس يدعو إلى التجرد الداخلي الذي ينزع من النفس كل أثر عالمي، فهو يقول:

[كما أن الذي يذهب إلى الحمام، إن لم يخلع كل ملابسه فلا يستطيع أن يستحم ولا أن يغسل جميع أوساخه، هكذا يكون حال من يشرع في أن يصير راهباً. فإنه إن لم يتعرَّ من كل هموم هذا العالم ومن كل شهواته المملوءة لذَّات باطلة، فهو لا يستطيع أن يتقدم في الفضيلة ولا أن يهزم

(18) AMEL., ADMG, XXV, 184-185.
(19) Cassien, Coll., XXIV, 13.

سهام العدو التي هي الأوساخ](٢٠).

ومن بين الرباطات التي تقيد الإنسان بالعالم، صِلات القرابة التي هي أقوى الرباطات وآخر ما ينقطع منها. والقديس مقاريوس يريد من الراهب أن يصل في تجرُّده الداخلي إلى هذا الحد الذي فيه يصبح كله لله:

[يجب على الراهب الجالس في قلايته أن يحصر فكره في داخله بعيداً عن كل اهتمام عالمي، وأن لا يدعه يطيش في أباطيل هذا الدهر، بل أن يبقى في هدفه الأوحد وهو أن يجعل فكره في الله وحده في كل لحظة و يكون ثابتاً فيه في كل ساعة بلا أي همٍّ، وأن لا يدعْ أي شيء أرضي يتسرب مُبلبلاً قلبه، لا ذِكر أقاربه ولا الإهتمام بآبائه ولا التسلية بالتفكُّر في أهله، بل يكون هكذا بروحه و بكل حواسه كما لو كان في حضرة الله لكي يتمم بذلك كلمة الرسول القائل: «لكي تكون العذراء ثابتة في الرب بحلاوة و بكل اهتمام»](٢١).

ربما يكون القارىء قد لاحظ أن القديس أنطونيوس في تعليمه عن الهروب من العالم كان يهدف أساساً إلى تحاشي الخطية، أما القديس مقاريوس فيبدو أنه كان يؤكد بالأكثر على الناحية الإيجابية وهي: أن جمع الحواس والوحدة يهيئان الراهب للنمو في الفضيلة، و يتيحان له فرصة مواتية للتمتع بحضرة الله.

ب ــ أنواع التجرد الإجباري

الفصل الأول

نبذ الخطية بالصراع قُبالة التجربة

الذي يميز مقاريوس عن معلمه أنطونيوس ــ وذلك كما يبدو من رسالته ــ هو صياغة أفكاره بطريقة أكثر إلماماً بالنفس تبين تقدماً في المنهج النسكي، بجانب رزانته في التصوير التي ترجع إلى هدفه من الرسالة.

١ ــ المجرِّب ــ عند مقاريوس ــ لا يلبس قط شكلاً منظوراً، والخطية دائماً تعرض نفسها عن طريق الأفكار الرديئة.

و يعطي مقاريوس نفس الدور النفساني للبشر الذين يستخدمهم الشياطين كوسطاء في تجربة

(20) AMEL., ADMG, XXV, 188-189.
(21) AMEL., ADMG, XXV, 170.

الـنـاس: «ثم أن الأبـالـسـة لا تـكـتـفي بـذلـك، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط...» (فقرة ٦).

وفي رأيه ــ كما في رأي أنـطونيوس ــ أن جميع التجارب تأتى عن طريق الشياطين. إلا أنه لا يـسـجـل في أي مـوضـع شيئاً عن ظهورات الشياطين؛ فهو يشرح كافة التجارب على أنها من محض تصوراتنا (*) التي حركها فينا الشيطان بسماح من الله الذي يمتحن بهذه الطريقة فضيلتنا.

وهـنـاك قـول يـبـرز بوضوح هذا الإتجاه في تعليم مقاريوس بصورة معبرة للغاية: [فقد سأل أبّا أوغـريـس أبّـا مـقـاريـوس ذات مرة عندما كان جالساً بجواره مع إخوة آخرين: «كيف يحصل الـشـيـطـان على كـل هذه الأفكار الرديئة لكي يلقيها بين الإخوة؟» فأجاب أبا مقاريوس: «إن الـذي يُحـمِّـي الفرن يتوافر بين يديه قش كثير ولا يجد صعوبة في أن يلقي به في النار، هكذا أيضاً الـشـيـطـان كـالـفـرّان لا يـفـتـرعـن أن يـلـقي في قـلـب كـل واحد كلَّ قشّه الرديء الذي هو وسخ الأفكار»] (٢٢).

٢ ــ تـبـدأ هذه التجارب أن تداهم الناسك حينما يثبت في طريقه نحو الكمال، وحينما يبدأ أن يتذوق حلاوة ممارسة الفضيلة وتعزيتها (٢٣) (وهذا هو أيضاً رأي أنطونيوس).

والتجربة الأولى هي **تجربة اليأس،** حيث يصوِّر فيها العدو للناسك تعب الجسد، وطول زمان النسك، واستحالة مغفرة خطاياه الكثيرة، وصعوبة الجهاد في سبيل الإتحاد بالله (٢٤).

فـإذا قـاوم الإنـسـان هـذه التجربة بثبات فإن تجربة أخرى تهاجمه وهي **تجربة المجد الباطل:** فالشياطين تذكِّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا ليقارنها بأعماله الصالحة (٢٥).

أمـا الـتـجـربـة الثالثة ــ وهي متصلة بشدة بسابقتها ــ **فهي تجربة الإفراط في النسك؛** فإن الـشـيـاطين تحاصر الناسك بشتى أنواع المديح: حيث تجعل بعض الناس يبينون له سهولة التمادي في الـنـسـك بهدف أن تدفعه نحو أعمال تفوق طاقته مثل: «الإمتناع عن الأكل أو الشرب أو المغالاة في الأسهار...إلخ» (٢٦).

(*) أقوال مقاريوس في .Apoph تتكلم فقط عن الحواس λογισμοί راجع مثلاً القول رقم ٣ في:
P. G., XXXIV, 240-241.

(22) AMEL., ADMG, XXV, 195.
(23) Ad Filios, 4.
(24) Ibid.
(25) Ibid., 5.
(26) Ibid., 6.

فإذا استطاع الناسك أن يحتفظ بسلامه القلبي إزاء كل هذه التجارب، فإن العدو يلقي فيه شهوة الزنا والنجاسة وتصورات أخرى لا يمكن التعبير عنها.

وإذ تصل النفس إلى هذا الحد منتصرة على كافة القتالات فإنها من ثم تعود فتشعر بضعفها وتخاف، ويخامرها الشك في إمكانية الإحتفاظ بالطهارة. وإذ يظن العدو أن الفرصة قد واتته، فهو يعيد من جديد **تجربة اليأس** و يذكّر النفس مرة أخرى بطول الزمان، وصعوبة ممارسة الفضيلة، وثقلها غير المحتمل وضعف الجسد و وهن الطبيعة(٢٧).

فإن لم تكلّ النفس فإن الله يعزيها و يقويها، استعداداً لأرهب المحاربات التي لن تتأخر كثيراً في اندلاعها.

حينئذ يبدأ الله قليلاً قليلاً أن يسحب من النفس معونته الظاهرة، و يسمح أخيراً لأعدائها أن يهاجموها بكافة أنواع الفسق الجسدي والروحي وكل الخطايا التي تؤدي بها إلى الهلاك.

وفي المنتهى، تشبه النفس سفينة بلا دفة تتخبط من كل جهة بين الصخور(٢٨). وفي هذه اللحظة بالذات ينقذ الله النفس الأمينة و يُخضعها تحت قيادة الروح القدس(٢٩).

و يعود القديس مقار يوس في نهاية رسالته ليؤكد دور الشيطان، و يقول إن النفس التي لا تثابر على الخضوع للتوجيهات التي يوحي بها الروح، فإن العدو سوف يقلقها من جديد بشهوات الجسد(٣٠).

٣ ــ يحمل تعليم مقار يوس بخصوص التجارب الشيطانية تقارباً ملحوظاً مع تعليم معلمه (أنطونيوس) بنفس الخصوص، إلا أنه يحوي أيضاً بعض الفروق الجديرة بالملاحظة.

فإذا اعتبرنا مجرد كمية الكلام الذي ورد بالنص خاصاً بالتجارب، فإننا نلاحظ أن نسبة الحديث عنها في نصوص مقار يوس لا تقل عنها في نصوص معلمه أنطونيوس(٣١).

وما أقل ما حاول مقار يوس أن يصيغ نظر يات محددة عن الشياطين، وذلك مثل معلمه أنطونيوس بل وأقل منه أيضاً.

وكل ما قدّمه لنا كان شرحاً قصيراً جاء بطر يقة عرضية بمناسبة استشهاده بكلمة داود:

(27) Ibid., 7, 8.
(28) Ibid., 9, 10.
(29) Ibid., 7, 8.
(30) Ibid., 15.
(31) Ibid., 4-11, 15.

« جرَّبْتَ قلبي تعهدته ليلاً » (مز١٧ : ٣). [لا يقول المرتل « نهاراً » بل « ليلاً » ، لأن فخاخ العدو هي بمثابة الليل ، ونحن — بحسب تعبير بولس الرسول — أبناء النور ولسنا أبناء الظلمة ، وإبن الله هو النهار، والشيطان يشبَّه بالليل] (٣٢).

وهو يتبع أيضاً نفس الطريقة في عرضه للتجارب المتتابعة : [إذا نجح الإنسان في مقاومته للتجربة الأولى ، فإن الشيطان يعدُّ له تجربة أشد قساوة...إلخ].

وكلا الإثنين (أنطونيوس ومقاريوس) يتكلمان عن التجارب المضادة للطهارة ، وعن تجربة الإفراط في النسك.

ولكننا نجد هنا مفارقة ملحوظة : فمع أن الشيطان في تعليم مقاريوس يحتفظ بدوره كمجرِّب ، إلا أنه لا يأخذ مكان الصدارة في التجارب مثلما هو في تعليم أنطونيوس.

ففي رأي مقاريوس — كما لاحظنا من قبل — أن الله هو المسئول الأول عن امتحان الناسك.

ثم إن مقاريوس قد أغفل تماماً في رسالته ، التي هي مجرد وصف لسير النفس نحو الله ، أن يعطي نصائح عن وسائل مقاومة الشياطين والتغلب عليها.

كما أن تعليم مقاريوس لا يتكلم عن التجارب التي في هيئة رؤى — كما لاحظنا من قبل — بالرغم من كثرة القصص المختصة به (٣٣).

فمؤلف « سيرة مقاريوس الإسقيطي » (Vita Macarii de Scété) ينقل بدون تغيير تقريباً قصص الشياطين الموجودة في حياة أنطونيوس (Vita Antonii) ، و يورد نفس أنواع المحاربات ونفس وسائل الدفاع (٣٤).

وهذه المحاربات الشيطانية المكشوفة التي وردت في سيرة مقاريوس ، وهي غير موجودة في رسالته ، هل يجب اعتبارها مبالغات أضافها البعض من تلاميذه الشغوفين بالرؤى ؟ وإن كان الأمر كذلك ألا يجب أن نبدي تحفُّظاً أكثر بالنسبة للقصص (المشابهة) التي جاءت عن أنطونيوس و باخوميوس ؟

غير أن « سيرة مقاريوس الإسقيطي » هذه ، ليست خالية من كل قيمة من هذه الجهة. فقد وردت فيها فقرة تشابه تماماً في تعليمها الرسالة المعتمدة (Ad Filios):

[لقد كانت الشياطين تلقي في قلبه أفكاراً رديئة ، وهو نفسه قال عنها : « كمثل مائدة مملوءة

(32) Ibid., 7.

(٣٣) مثل القول رقم ١٣ : P. G., XXXIV, 248.

(34) AMEL., ADMG, XXV, 80, 88, 93, 97, 100.

بكل نوع من الأطعمة الجيدة للأكل، هكذا قامت أمامي الأفكار (الرديئة)، والزنى، والشره والضجر والكآبة والكبرياء، والمجد الباطل، والخوف، والحزن، ومحبة المديح، والكرامة، وعدم الإيمان، والتجديف، وقطع الرجاء في الله الذي يُبعد الإنسان نهائياً عن طريق التقوى. وبالإجمال كافة أنواع **أعمال الشياطين داخل الفكر** قد حاربوني بها كما كان أنبا أنطونيوس قد أنبأ بذلك] (٣٥).

في هذا النص، نتعرف بسهولة على المعالم الأساسية لتعاليم مقاريوس:
ــ الشيطان يباشر عمله على الخصوص بواسطة الأفكار.
ــ قائمة التجارب المذكورة هي نفسها التي وردت في الرسالة.
ــ لا يوجد أي ذكر للرؤى.
ــ يقر مقاريوس بتأثير القديس أنطونيوس عليه.

٤ ــ إذا كان موضوع رسالته لم يسمح له بأن يتعرض لوسائل مقاومة التجارب فهو لم يغفل عن التحدث عنها في تعليمه الشفاهي. فقد احتفظت لنا أقواله في Apophthégme بآثار اهتمامه بهذه الناحية العملية اللازمة جداً لكل مرشد روحي، وأهمها هي الثقة بالله:
سأل أحد الإخوة أبّا مقاريوس قائلاً: «علمني ما هو الإرتماء على الله».
فقال له أبّا مقاريوس: «مكتوب أنه بدون مثل لم يكن يكلمهم. فكما أنه إذا هجم حيوان وحشي غير ناطق على حيوان مستأنس وطرحه تحت أرجله بقسوة شديدة حتى أنه يصير تحته في منتهى الضعف بالنسبة له، ولا يكون له قوة ولا رجاء إلا في سيده؛ ويصرخ بصوت عظيم لينبه سيده، فإن سيده إذا سمعه يشفق عليه ويجري بسرعة لنجدته ويخلصه من الهلاك من بين براثن هذا الحيوان الوحشي. فإن كان سيد هذا الحيوان غير الناطق يشفق عليه ويسرع لتخليصه من هذا الحيوان الوحشي، فكم بالحري نحن الخراف الناطقة التي لقطيع المسيح إذا ما وضعنا رجاءنا فيه، فهو لا يسمح للعدو أن يقسو علينا بل يرسل لنا ملاكه ليخلصنا من إبليس. وهكذا يا ابني فإن الإرتماء على الله هو أن لا يجعل الإنسان ثقته في قوته الشخصية، بل أن يضع رجاءه في معونة الله، فإنه هو بلا شك الذي يخلصنا» (٣٦).

وفي الواقع أن إبليس يسقط عادة أمام التواضع بمعونة ربنا يسوع المسيح التي يسبغها علينا بنعمته المقدسة (٣٧).

ويثبّت مقاريوس في ذهن الناسك أهمية الدعاء باسم ربنا يسوع المسيح بواسطة تصويرات

(35) AMEL., ADMG, XXV, 82.
(36) Ibid., 131.
(37) Ibid., 152.

قو ية ومبتكرة:

[أخبر أبا بيمن قائلاً:

كنت جالساً ذات مرة مع الإخوة بجوار أبا مقار يوس وقلت له: «ياأبي، ما هو العمل الذي إذا قام به الإنسان يقتني الحياة؟» فأجابني الشيخ: «لما كنت في حداثتي في بيت أبي كنت ألاحظ أن النساء العجائز والحدثات يضعن في أفواههن شيئاً مثل اللبان ويمضغنه حتى يحلي ريقهن في حلقهن و يزيل الرائحة الكريهة من أفواههن و يزهر ويجدد أحشاءهن وكبدهن. فإذا كان هذا الشيء المادي يعطي حلاوة للذين يمضغونه، فكم بالحري طعام الفرح ونبع الخلاص و ينبوع مياه الحياة وحلاوة كل حلاوة، ربنا يسوع المسيح، الذي إذا سمعت الشياطين اسمه المجيد خارجاً من أفواهنا تتلاشى كالدخان. فهذا الإسم المبارك إذا ما نطقناه بمداومة واجتررناه فهو يعلن لنا الروح الذي يقود النفس والجسد، وإنه يطرد عن النفس الخالدة كل فكر رديء، و يعلن لها الأمور السماو ية، ولاسيما ربنا يسوع المسيح الساكن في السموات ملك الملوك ورب الأرباب، الذي هو المكافأة السماو ية لكل الذين يطلبونه من كل قلوبهم»](٣٨).

وفي مرة أخرى سأله أحد الإخوة قائلاً: ما هو أكثر عمل يرضي الله من كل أعمال الناسك والزاهد؟

فأجابه قائلاً: [طوبى لمن يوجد ملازماً للإسم المبارك الذي لربنا يسوع المسيح من قلب خاشع و بلا فتور، فإنه بكل تأكيد ليس عملٌ مستحبٌ في كل أعمال الحياة مثل هذا الغذاء الطوباوي، إذا ما أنت اجتررته في كل حين مثل الخروف حينما يسترجع الطعام من جوفه و يستطعم حلاوة الإجترار، إلى أن يصل ما اجتره إلى داخل باطنه حيث يصبح في فمه حلاوة وفي جوفه دسماً نافعاً لمعدته ولكل أحشائه، ثم ألا ترى أن جماله وقوته هي بسبب ما اجتره في فمه؟ فياليت ربنا يسوع المسيح يعطينا نعمة في اسمه الدسم الحلو](٣٩).

وقوة الصليب التي غالباً ما يحصل عليها الإنسان المجرب بواسطة علامة الصليب تبطل حيل الشيطان:

[إننا نرى أن الماء يغلب قوة النار و يطفئها، هكذا أيضاً إذا طرحنا ضعفاتنا عند أقدام معونة ربنا يسوع المسيح ملجأنا وقوة صليبه التي لا تُقهر، فإنها تطفىء جميع خدع مكر الشيطان وتمنح قلبنا حرارة وغلياناً في الروح، بالإيمان المملوء بهجة وتهليلاً](٤٠).

وفي رأي مقار يوس أن مصدر كافة الصعوبات التي نقابلها إنما هي حواسنا غير المضبوطة التي

---

(38) Ibid., 133. وأمثلة أخرى مثلها في الصفحات ١٦٠ و١٦١ و١٦٣ و١٨٨ من نفس المرجع.

(39) Ibid., 152, 153.

(40) Ibid., 195.

يستخدمها الشيطان مثل قش يضرم به فينا نار الشهوات، والتي من بينها واحدة تتميز بسرعة اشتعالها وهي النجاسة. لذلك فهو يوصي بالهرب منها و بعدم الملاجحة معها البتة، وذلك بخلاف الرؤى الشيطانية التي كان أنطونيوس يلاشيها بمناقشتها.

ولقد قال أيضاً أبا مقاريوس الكبير: [إن ما يلزم للراهب هو أن يكون طاهراً من كل شهوة جسدية ومن كل دنس، وأن لا يدع عقله يناقش أفكاره الرديئة البتة بل أن يكون حاراً كل حين في الروح] (٤١).

الفصل الثاني
الرذائل

مع أن مقاريوس هو أكثر المعلمين الروحيين الذين ندرسهم، والذي يمكن اعتبار تعاليمه بمثابة نظريات روحية، لم يذكر ولا كلمة واحدة في رسالته Ad Filios عن الرذائل وعلاجها النفسي، غير تلك التي تدور حولها التجارب الشيطانية.

غير أن التقليد الرهباني ينسب له قولاً يحتوي على قائمة من الرذائل والخطايا في مجموعة ليست غريبة تماماً عن قائمة أوغريس:

[لقد كانت الشياطين تلقي في قلبه أفكاراً رديئة، وهو نفسه قال عنها: «كمثل مائدة مملوءة بكل نوع من الأطعمة الجيدة للأكل، هكذا قامت أمامي الأفكار (الرديئة)، والزنى والشره والضجر والكآبة والكبرياء والمجد الباطل والخوف والحزن ومحبة المديح والكرامة وعدم الإيمان والتجديف وقطع الرجاء في الله، الذي يبعد الإنسان نهائياً عن طريق التقوى، و بالإجمال كافة أنواع أعمال الشياطين داخل الفكر قد حاربوني بها كما كان أبا أنطونيوس قد أنبأ بذلك»] (٤٢).



---

(41) Ibid., 171.
(42) Ibid., 82.

(ثم يقارن المؤلف بين أسماء الرذائل الواردة في قائمة أوغريس باللغة اليونانية مع أسماء الرذائل الواردة في هذا النص لمقاريوس باللغة الفرنسية المترجم من القبطية. و يستنتج المؤلف أن هذه القائمة بدأت منذ أيام ترتليان والقديس أثناسيوس، وتطورت مروراً بالقديس مقاريوس حتى انتهت إلى أوغريس).

الباب الثالث
السير نحو المثل الأعلى
(أ) الدعائم: وسائط النعمة

الفصل الأول
معونة الله بواسطة كتابه المقدس

١ ــ الصلاة والمزامير: (ممارسته للصلوات السهمية).

إن مقاريوس الذي يبدو في رسالته مهتماً بالأكثر بالوصول إلى الصلاة الكاملة التي هي الإتحاد السري بالله تحت قيادة الروح القدس، لا يتعرض للكلام عن الصلاة الأولية بل يكتفي بمجرد ذكرها.

ففي بداية سلم الكمال نجد «الصلوات القصيرة» (orationis instantia) ، والمواظبة على الصلاة(٤٣)، ضمن قائمة أعمال النسك الخارجية.

ولاشك أن هذه الصلاة المذكورة في هذا الموضع هي صلاة المبتدئين، حيث أن النفس لا تزال بعيدة عن الإتحاد بالله.

ونجد نفس هذا التعبير مرة أخرى قرب النهاية في وصف الإنسان الكامل (Sanctus Vir...) (٤٤) في نهاية مراحل ارتقائه نحو الكمال.

و«المثابرة على الصلاة» تلازم بقية أعمال النسك الأخرى من أصوام وأسهار... إلخ، في النهاية كما كانت في البداية، ولا يجوز أبداً التراخي في هذه الممارسات. فليس إذن ما يدعو إلى تغيير معنى كلمة الصلاة «Oratio» الواردة في هذا الموضع (عن معناها في بداية الرسالة).

أما عن نوع هذه الصلاة «Oratio» ، فالرسالة لا تعطينا أي بيانات. والمؤلف لا يذكر شيئاً عن صلاة المزامير، متجاوزاً عن تفاصيل الخطوات الأولى، حيث أن هدفه الأساسي هو الوصول إلى الإتحاد السري بالله.

فإن كنا لا نستطيع أن نستخلص شيئاً قاطعاً عن تعليمه بهذا الخصوص بسبب صمته، غير أن تقليد الآباء قد ينيرنا من جهة الصلوات القصيرة (orationis instantia) عند مقاريوس.

---

(43) Ad Filios, 2.
(44) Ibid., 14.

وتخبرنا أقوال الآباء أن بعضاً من الرهبان سألوا أبا مقار يوس ذات مرة هذا السؤال: «كيف يجب أن نصلي؟» فأجاب الشيخ: «ليس من الضروري أن نتلفظ بكلمات كثيرة، ولكن قولوا وأيديكم مبسوطة: **ارحمني يارب حسب مشيئتك وعلمك!** فإذا اشتد ضغط العدو عليكم قولوا: **يارب أعني!**»(٤٥).

وهذه الصلوات القصيرة الحارة التي يوصي بها تلاميذه ـــ التي ندعوها نحن «الصلوات السهمية «orationis jaculatoires» ـــ يبدو أن مقار يوس نفسه كان يمارسها. فإن بالاديوس يقص علينا القصة التالية عن مقار يوس: [وعلى مدى زمن طو يل أكمل (مقار يوس) حفر سرداب تحت الأرض يمتد من قلايته إلى مسافة نصف غلوة (١٦٥ـــ٢١٠ متراً) و ينتهي بمغارة صغيرة. فإذا حدث أن جاءه كثير من الناس يضيّقون عليه، كان يخرج من قلايته خفية (عن طر يق السرداب) متجهاً نحو المغارة الصغيرة حيث لا يمكن أن يجده إنسان. وقد أخبرنا أحد تلاميذه المقر بين وقال لنا أنه كان يصلي أر بعاً وعشر ين صلاة في ذهابه إلى المغارة وأر بعاً وعشر ين أخرى في عودته منها](٤٦).

وهذان النصان يوضحان معنى «الصلوات القصيرة» (orationis instantia) التي ذكرها مقار يوس في رسالته.

وفي موضع آخر تقدّم لنا أقوال الآباء Apophthégms نصيحة أخرى لمقار يوس عن كيفية الصلاة. قال أبّا مقار يوس الكبير: [إذا ما أقبلت على الصلاة، احترس بشدة لئلا تسلِّم آنيتك في أيدي أعدائك لأنهم ير يدون أن يستولوا على آنيتك التي هي أفكارك. فإنها آنية مكرمة تخدم بها الله، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تكون أفكارك مشتتة وشاردة في العالم كله، بل ير يد أن تكون النفس بكل أفكارها قائمة أمام الرب وناظرة إليه بلا ارتباك](٤٧).

٢ ـــ الهذيذ:

بالرغم من أن مقار يوس لم يأتِ بأي ذكر للهذيذ، إلا أن رسالته (Ad Filios) تفترض وجوده. و يقول Dom Wilmart : «إن الأساس الذي بُنيت عليه الرسالة هو نوع من الهذيذ الحاسم الذي يذكر النفس بسقطاتها وواجباتها»(٤٨).

هذا وقد أوردنا فيما سبق ـــ عند حديثنا عن التجارب ـــ نصائح مقار يوس بخصوص

(45) Apoph., No. 19, P. G., XXXIV, 249.
AMEL., ADMG, XXV, 220-221.
(46) Hist. Laus., XVII, 10.
(47) AMEL., ADMG, XXV, 180.
(48) Dom Wilmart, RAM, Janvier 1920, p. 82.

«مضغ» و«اجترار» اسم يسوع القدوس، وهو في الوقت نفسه أفضل هذيذ يمكن أن يكون.

سأل أخ أبا مقار يوس قائلاً: علمني معنى هذه الكلمة: «هذيذ قلبي أمامك» (مز١٩: ١٤). فأجابه الشيخ: «ليس هذيذ أحلى من الإسم المخلِّص والمبارك الذي لربنا يسوع المسيح حينما يحل فيك بلا انقطاع. فإنه مكتوب هكذا: «مثل السنونة أصرخ وكاليمامة أهج» (إش٣٨: ١٤)، هكذا يفعل الإنسان التقي الذي يثبت في الدعاء بالإسم المخلِّص الذي لربنا يسوع المسيح» (٤٩).

٣ ــ قراءة الكتاب ودراسته:

تفيح رسالة مقار يوس كلها بعبيق كتابي: فمعظم الإثنى عشر نصاً التي استشهد بها صراحة مأخوذة من العهد الجديد. أما عن الإقتباسات الكتابية والإستشهادات الجزئية فهي أكثر من ذلك جداً. وقد كشف Dom Wilmart عن وجود ما يقرب من ستين (٦٠) منها.

ومع أن مقار يوس لم يتكلم في رسالته عن قراءة الكتاب المقدس كعمل نسكي، إلا أن الرسالة كلها تفترض ممارسة هذا العمل على الدوام.

أما التقليد الرهباني فينسب له بعض أقوال تتفق تماماً مع التعاليم السائدة في ذلك العصر.

ففي قصة الراهب Théopemptus أعطاه مقار يوس النصيحة التالية: «عليك أن **تتلو من الذاكرة** نصوصاً من الإنجيل ومن أسفار أخرى من الكتاب» (٥٠).

و يشير في مكان آخر إلى نفس التدريب. فقد كان مقار يوس يطالب الرهبان بأن ينشغلوا أثناء أسهارهم «بأصوام وصلوات **وتلاوات**» (٥١). و يفسر AMELINEAU هذه التلاوات بأنها هي تلاوة الكتاب المقدس بصوت مرتفع. و بالرجوع إلى النص السابق نعتقد أن هذا التفسير هو الصائب.

الفصل الثاني
الإفخارستيا

(في هذا الفصل يتكلم المؤلف عن الإفخارستيا عند الآباء بصفة عامة. أما عند مقار يوس فلم يذكر إلا الشيء القليل الذي نورده فيما يأتي):

---

(49) AMEL., ADMG, XXV, 153.
(50) Apoph., No. 3, P. G., XXXIV, 242.
(51) AMELINEAU, MAFC (Mission Archéologique Française au Caire) (apophtégme), 4, 2, 537.

ذهب أبا مقاريوس ذات مرة لمقابلة أبا أنطونيوس، و بعد أن تبادل معه الحديث عاد إلى الإسقيط، فجاء إليه الآباء، وفي خلال الحديث قال لهم الشيخ: «قلت لأبا أنطونيوس إنه لا توجد تقدمة في المكان الذي نحيا فيه.

«ὡς οὐκ ἔχομεν προσφορὰν ἐν τῷ τόπῳ ἡμῶν» (52).

ومما يؤسف له أننا لم نعرف إجابة أنطونيوس، لأن الرهبان أخذوا في مناقشة موضوع آخر مع مقاريوس فلم يخبرهم بباقي الحديث.

ومن المعروف أنه قد تم بناء أربع كنائس في تلك المنطقة فيما بعد(٥٣). وطبيعي أن إقامة القداس الإلهي قد يسّر أمر التناول من الأسرار المقدسة على الساكنين في البرية.

والنص التالي لمقاريوس والخاص بإثنين من المتوحدين الشباب، يبين انتشار ممارسة التناول بين النساك بصفة منتظمة:

[هوذا الذين يسكنون بعيداً يأتون إليَّ، وأما هذان القريبان مني فلم يأتيا إليَّ قط حتى الآن ولا ذهبا إلى غيري، غير أنهما يذهبان إلى الكنيسة في صمت لتناول القربان λαβεῖν τὴν προσφορὰν (٥٤) (وهما مكسيموس ودوماديوس)].

الفصل الثالث
الإقتداء بالقديسين

يذكر مقاريوس في رسالته كلمة «القديسين» في موضعين:

ـ الموضع الأول: عندما ينصح المبتدئين بأن يتأملوا في «المجازاة والكرامة التي ستكون من نصيب **القديسين**» (٥٥).

ـ الموضع الثاني: عندما يتكلم عن النفس إذا ما وصلت إلى الإتحاد السري بالله «فإن الروح القدس يكشف لها الكنيسة التي هي فضائل **القديسين** وتبرراتهم» (٥٦).

و يبدو من النص أن المقصود من «القديسين» هم الذين وصلوا إلى الكمال.

و يدور الحديث في هذين النصين عن احتمال قبول معونة من القديسين، بالتشجيع الذي نحصل عليه بالتفكر في أكاليلهم.

---

(52) Apoph., No. 26, P. G., LXV, 273; ومثلها P. G., XXXIV, 252.
(53) SCHIWIETZ, Das morgenländische Mönchtum, Kirchheim, Mainz, 1904-1913, I, 311.
(54) Apoph., No. 33, P. G., XXXIV, 256; ومثلها P. G., LXV, 276.
(55) Ad Filios, 3.
(56) Ibid., 13.

و يدعم مقار يوس تعاليمه في مواضع كثيرة بالإستشهاد بقديسي الكتاب المقدس مثل: داود النبي و« القديس بولس» و« الطو باوي بطرس».

الفصل الرابع
الإرشاد الروحي

يبين العنوان التقليدي للرسالة: «Epistola S. Macarii Monachi ad Filios» « رسالة القديس مقار يوس الراهب لأبنائه» بأن هدف هذه الرسالة هو الإرشاد الروحي.

و يبين لنا مضمون الرسالة مقدار عناية كاتبها بالتقدم الروحي لأولاده المتوحدين الآتين من « الوجه البحري بمصر، من وسط بلا طابع، وليس لهم قانون رهباني، بل النفس تُترك لذاتها ولله ولا تجد لها مرشداً إلا في تعاليم المختبر ين» (٥٧).

ومجرد وجود هذه الرسالة يفترض ممارسة الإرشاد الروحي، وإن كان لم يذكر ذلك فيها صراحة. غير أنه قد أشار إشارة غير مباشرة إلى وجود علاقة نسكية بين الرهبان عند قوله بأن بعض الناس (الرهبان) ـــ بإيحاء من الشيطان ـــ يوجهون الناسك إلى الإفراط في النسك(٥٨).

وإذ كان مقار يوس نفسه مقتنعاً بأهمية الإرشاد الروحي المستنير أخذ يبحث عن معلم. ولما وصل إلى الجبل الذي أرشده إليه الملاك قال لنفسه بعد مضي أيام كثيرة: « هوذا أنا في هذا المكان وقد جئت إليه كما أُمرت، لا أجد إنساناً يوجهني إلى العمل الروحي الواجب على الذين يعيشون في البر ية، فماذا أفعل؟ لقد علمت: هوذا قد سمعت عن القديس أنطونيوس...» (٥٩). وللوقت وضع ذاته تحت إرشاد المتوحد العظيم.

و يتركز دور المرشد الروحي أساساً في امتحان الناسك المبتدىء بقصد تنقيته واستعلان بنوة الله فيه:

[سأل أخ أبا مقار يوس قائلاً: علمني ما معنى الحياة تحت الخضوع (للمرشد). فقال له أبا مقار يوس: كما أن الحجر إذا دار فوق القمح فإنه ينزع منه القشور و يصير القمح خبزاً متماسكاً، هكذا بالنسبة لك يا إبني: فالحجر هو أبوك والقمح هو أنت، فإذا ما سمعت له فإنه يصلي إلى الله من أجلك لكي ينزع منك كل قشور الشيطان، ومثل الخبز المتماسك تصير إبناً لله](٦٠).

(57) Dom Wilmart, RAM, Janvier 1920, p. 60.

(58) Ad Filios, 6.

(59) AMEL., ADMG, XXV, 77-78.

(60) Ibid., 126-127, Cf. aussi: ibid., 155-156.

و يفترض هذا الإرشاد الطاعة من جانب التلميذ طالما ظل بجانب المعلم الذي اختاره مرشداً له بمحض حريته.

وكانت الطاعة في الأوساط التوحدية بالإسقيط عادة مكرمة كأعلى فضيلة للمتوحد(٦١).

(ب) ممارسة الفضائل

الفصل الأول

الإيمـان

لقد كان مقاريوس كارزاً بالإيمان المسيحي. فلما كان منفياً في جزيرة، قاد سكانها غير المؤمنين إلى الإيمان بالمسيح. وجاء في أقوال الآباء Apophthegms أنه ربح كاهناً وثنياً للمسيح(٦٢).

وإن كان مقاريوس لا يتكلم في رسالته عن قانون الإيمان (régle de la foi) إلا أن مستندات أخرى تبينه لنا شغوفاً بأن يستشهد بتعاليم أنطونيوس أب الآباء (patriarche) بهذا الخصوص. فالإيمان في رأيه هو منبع التقوى: [والآن ياإبني جاهد في كل عمل، فقد قال أبا أنطونيوس: إنه ينبغي في هذا الزمن أن يجعل كل واحد من نفسه كنيسة، أي أن يضع الإنسان كل قوته في تنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكي نرسل إلى فوق التسابيح للثالوث الأقدس بصوت خاشع إلى الله ربنا باعترافنا الثابت بالإيمان الأرثوذكسي](٦٣).

و يقدم لنا أحد الأقوال، المعتبرة ملخصاً لتعليمه، الإيمان كأساس لا يتزعزع لكل الفضائل: [من كان إيمانه نقياً وأعماله مؤسسة على التقوى، من المستحيل أن يسقط في حمأة الخطية أو يعثر من حيل الشياطين](٦٤).

الفصل الثاني

الإماتات

في رسالة القديس مقاريوس نلاحظ أن الإماتة تلازم كل درجات النمو التي يمر بها الناسك.

---

(61) W. BOUSSET: Das Mönchtum der sketischen Wüste, in Zeitschrift für kirch. Gesh., 1923, p. 9.
(62) SCHIWIETZ, Das morgenländische Mönchtum, Kirchheim, Mainz, 1904-1913, I, Missionsarbeit der aegyptichen Mönche, 286-298.
(63) AMEL., ADMG, XXV, 148.
(64) Apoph., No. 20, P. G., XXXIV, 249.

فمنذ بداية توبة الإنسان، يتقبل من الله موهبة «إماتة الجسد» بواسطة الأصوام والأسهار، حتى أن كل إرضاء للجسد يصير ثقيلاً على نفسه(٦٥).

وكثير من التجارب التي تقابل الراهب في طريق نموه تكون ضد الإماتة: فهو يصير سهل الإنجذاب لشهوات الأطعمة وبالتالي لا يمكنه أن يتقدم إلا إذا قاوم هذا النوع من التجارب بقوة وعزم(٦٦).

وإذ يسهل عليه إقناع جسده يصير ذلك فرصة لتجربة جديدة بواسطة إيحاءات الشيطان الشرير، لأن الروح الخبيث يدفعه لإفراطات غير ممكنة في النسك، مثل عدم الأكل وعدم الشرب والسهر(٦٧).

فمتى وصل الإنسان في سعيه نحو الكمال إلى غايته فإن الروح القدس يدخل معه في عهد يعطيه بواسطته مواهب كثيرة من ضمنها «إماتة الجسد والأسهار المتواترة»، وإنما «بإفراز وتمييز دون تشويش بل في سلام»(٦٨).

وهكذا تنمو فضيلة إماتة الجسد وتدنو من الكمال كلما تقدم الإنسان في روحانيته: وهذا النمو يتركز في الإعتدال والإفراز بالنسبة للأمور الخارجية وفي الهدوء والسلام القلبي.

وإن كان هدف مقاريوس من رسالته لم يسمح له بالدخول في تفاصيل كثيرة، إلا أن اهتمامه بالإماتة يبدو بوضوح من حثّه المستمر عليها في كل رسالته.

ولكي يشجع مقاريوس تلاميذه على الإماتة يذكّرهم بالمجازاة العظيمة التي يستحقونها بسببها: [كلا ياأولادي، فإن مخلصنا لن يسلبكم شيئاً منها، فإن الأتعاب التي يتعبها كل واحد سوف تُعلن له في اللحظة التي يخرج فيها من الجسد.

جاهدوا ياأولادي، ولا تنظروا إلى الناس الذين يأكلون ويشربون وينامون ولا يندمون، ولا تقولوا: لعله يتساوى من يتعب مع من لا يتعب. كلا ياأولادي، تقووا في الإيمان ما دمتم على الأرض، فإنه حتى أصغر عمل من أعمال الفضيلة يعمله أي إنسان، أو إذا ما تغصب في مأكله، فإن كل تعب نقدمه بزيادة سوف نجده مستعلناً لنا في الدهر الآتي.

فأسرعوا إذن ياأولادي إلى التعب وأحبوه، وليكن مشتهى جداً لنا مع تواضع كثير](٦٩).

---

(65) Ad Filios, 2.
(66) Ibid., 4.
(67) Ibid., 6.
(68) Ibid., 14.
(69) AMEL., ADMG, XXV, 164, Id. 225.

ونجد نفس التعليم عن أهمية الإماتة، و بالأخص بالنسبة للصوم، في أقوال مقار يوس في Apophthegms ، والقول الآتي لأهميته جاء في موضعين من نفس المجموعة لأقوال الآباء:
قال أبا مقار يوس: [الذي يملأ جوفه من الخبز والماء فهو في نفس الوقت يسلم مفاتيح بيته للصوص] (٧٠).

فالهدف من الصوم إذن هو أن نحتفظ بسلطان النفس على كل ملكاتها.
و يظهر طابع الإعتدال في تعاليم مقار يوس بوضوح من أقوال Apophthegms : [كانت هناك قاعدة ثابتة أنه إذا ما وُجد نبيذ فاشرب منه من أجل الإخوة ثم عن كل كأس نبيذ شربتها امنع نفسك عن الماء يوماً كاملاً] (٧١).

وهكذا قليل من الإسترخاء في النسك تتطلبه المحبة يصير فرصة لإماتة أعظم.

إنه لم يكن يريد من الناسك أن يتمادى في نسكه، ولا كان يريد أيضاً أن يحدَّ من سخاء أولئك الذين في استطاعتهم أن يبذلوا أكثر:
[ليكن نصف الليلة كافياً لممارسات عبادتك، والنصف الآخر اجعله لراحة الجسد].
وأيضاً: [الصوم المناسب هو أن نصوم حتى الساعة التاسعة]، إلا أنه يضيف مباشرة: [الذي يفعل أكثر ينال أجراً أكثر] (٧٢).

الفصل الثالث
الإتضــاع

نلاحظ أن الإتضاع في رسالة مقار يوس له دور أساسي وثابت على الدوام. فهو ضروري في بداية النسك. وهو يأتي كنتيجة لأعمال النسك الخارجية الإبتدائية حيث تتقبل النفس من الله الإشتياق إلى الدموع والندم و بالتالي انسحاق القلب والإتضاع (٧٣).

ثم تأتي التجارب على النفس ومن ضمنها المجد الباطل (٧٤) والإفراط في النسك لإكتساب تقدير الناس (٧٥).

---

(70) Ibid., 225.
(71) Apoph., No. 10, P. G., XXXIV, 245.
(72) AMEL., ADMG, XXV, 167.
(73) Ad Filios, 2,3.
(74) Ibid., 5.
(75) Ibid., 6.

وعندما تصير النفس مستحقة لأن يُنعَم عليها بالإتحاد الوثيق بالله، فتنهزم أمامها التجارب؛ فإن التواضع هنا أيضاً هو الذي يحفظها في الحق. حينئذ يبدأ الإنسان أن يعرف كيف يكرم الله كما يجب بكل تواضع وشكر.

ومن جهة أخرى، فإن التواضع بجانب الندامة والوداعة هو ثمرة من ثمار أعمال النسك(٧٦).

وفي الصورة التي يرسمها مقاريوس للإنسان الكامل، نجد أن الإتضاع أيضاً هو الذي يرسخ العهد بين النفس والباراقليط(٧٧).

وفي ختام النصائح البالغة الأهمية التي يقدمها مقاريوس للنفس ليعلمها أن تستجيب بأمانة لإلهامات الروح القدس، يحثها على الإتضاع «قمة جميع الفضائل»: [إن لم تكن النفس حاصلة على الإتضاع بدرجة كبيرة، يستحيل عليها أن تحفظ وصايا الروح](٧٨).

ثم إن القديس مقاريوس يتكلم عن تفاصيل ممارسة هذه الفضيلة: ينبغي أن نضع حارساً على فمنا ومخافة الله في قلوبنا، ونحتمل برضى كل ظلم يأتي علينا، ونحرص أن لا نظن في أنفسنا أننا أفضل من سوانا:
[إن الذي لا يتحاشى أن يعتبر نفسه أفضل من الآخرين بسبب الأمور التي تميزه عنهم، ظناً منه أن له فضلاً فيها، يستحيل عليه أن يحفظ وصايا الروح](٧٩).

و يبدو من اهتمام مقاريوس بهذه النصيحة أنه كان يرمي بذلك إلى مقاومة تجربة كانت مألوفة ومنتشرة بين أولاده.

ومن المفروغ منه أن مقاريوس نفسه كان يمارس هذه الفضيلة.
فقد قال إبليس له ذات يوم: «إن صيتك يامقاريوس قد شاع في المشارق والمغارب مثل صيت العظيم أنطونيوس أول الرهبان، فقد تشبهت به كما تشبه إليشع بإيليا، لأن أنطونيوس قد صار لك أيضاً معلماً إذ قد ألبسك الإسكيم، وقد غلبتني باتضاعك، بقبول النصيحة من أبا أنطونيوس باتضاع، وقد اعتبرته كإله بمحبة تواضعك الحقيقي»(٨٠).

والتواضع هو الفضيلة الوحيدة التي هي في مأمن من حيل الشيطان الذي لا يستطيع أن يجاريها أو يتشبه بها. فقد قال الشيطان مرة لمقاريوس: «كل ما تفعله أفعله أنا أيضاً، فأنت تصوم وأنا أيضاً، أنت تسهر وأنا لا أنام. إلا أن شيئاً واحداً يمنعني من أن أعادلك، فسأله مقاريوس: وما

(76) Ibid., *12*.
(77) Ibid., 14.
(78), (79) Ibid., 17.
(80) AMEL., ADMG, XXV, *121*.

هو؟ فأجاب: تواضعك. فبسببه لا أستطيع أن أؤذيك بشيء» (٨١).

وقد بدأ تلاميذه أيضاً في تفهم هذه الحقيقة: [قال أبا مقاريوس: إن الطريق المؤدي إلى جهنم يمكن أن يوصل إليه الصوم، وأن يوصل إليه الهذيذ، وأن توصل إليه التقوى، وأن يوصل إليه النسك. فقال له الإخوة: وهل يوصل إليه التواضع أيضاً ياأبانا؟ أما هو فقال: التواضع الحقيقي ليس هو أن تقول فقط من فك: سامحني...] (٨٢).

و يظهر مما سبق أن مقاريوس لا يبالغ في تقدير قيمة أعمال النسك، فالإتضاع وحده، الذي يعنَى به اتضاع القلب، هو العمل الوحيد الذي يعتبر خضوعاً كاملاً لروح الله.

وكان هروب مقاريوس من المجد الباطل هو السبب في إخفائه لتنسكاته، فهو الذي وضع لنفسه هذا القانون: [يامقاره إذا ما وُجد نبيذ فاشرب منه من أجل محبة الإخوة، ولكن عن كل كأس نبيذ شربتها امنع نفسك عن الماء يوماً كاملاً] (٨٣).

الفصل الرابع
بذل النفس

على الرغم من أن القديس مقاريوس قاسى الإضطهاد والنفي من أجل الإيمان، إلا أنه لم يتكلم في رسالته الأصيلة عن الإستشهاد ولا عن آلام المسيح، وذلك لأنه لم يكن هناك مجال في رسالته بسبب اختصارها أن توضح جميع جوانب الحياة النسكية.

أما إذا رجعنا إلى أقوال الآباء Apophthegms حيث يجب أن نبحث عن الأثر القوي الذي تركه مقاريوس في التقليد الرهباني، فإننا نجد أن شهوة الإستشهاد كانت مشتعلة في قلوب تلاميذه:

[قال مقاريوس للشيوخ السبعة الذين زاروه وكان معهم موسى الأسود: إن واحداً منكم ياإخوتي سوف يموت شهيداً، ومعه سبعة إخوة آخرون سوف يموتون بنفس المصير(٨٤).

فقال أبا موسى: اذكرني ياأبي لكي يتم فيَّ قول المخلص القائل: «من يأخذ السيف فبالسيف

(81) Apoph., No. 11, P. G., XXXIV, 245; Cf. aussi: AMEL., ADMG, XXV, 119-120, 206-207.
وأقوال أخرى عن الإتضاع في: Apoph., No. 7, 9, 31, 35 & P. G., XXXIV, 244, 245, 253-257
(82) AMEL., ADMG, XXV, 166.
(83) Apoph., No. 10. & P. G., XXXIV, 245.
(٨٤) وقد تم ما تنبأ به القديس مقاريوس بالحرف الواحد بالنسبة لموسى الأسود، فقد استشهد هذا القديس مع سبعة آخرين كانوا معه، وذلك حسب ما تقول سيرته، أنظر الفصل السادس بالباب الرابع.

يؤخذ» ، فهذا هو رجائي] (٨٥).

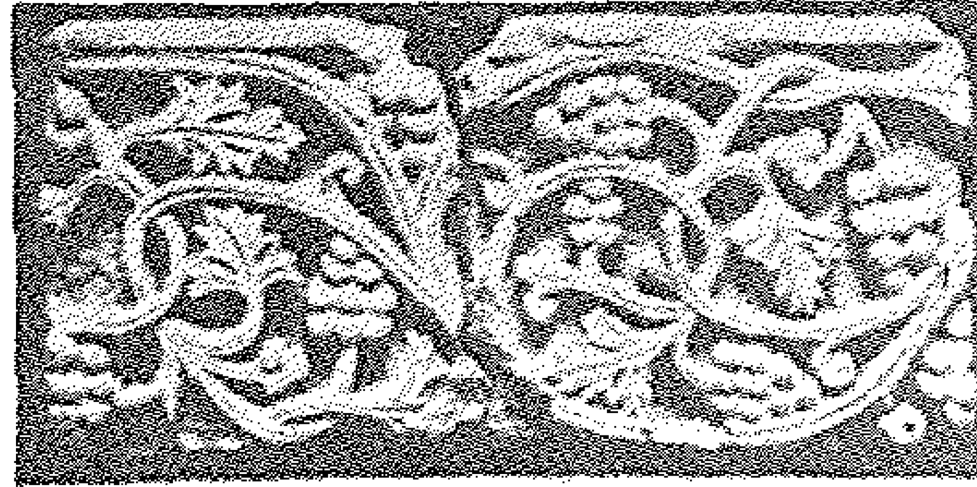
وهكذا يتضح أن الإستشهاد كان امتيازاً يستحق التوسل إلى القديس وطلب معونة صلواته. وفي نظر مقار يوس فإن النساك الذين يموتون موت الأبرار هم شهداء بالحقيقة.

ولقد زاره بعض الآباء ذات يوم، فاقتادهم إلى قلاية الراهبين الشابين القديسين ذوي السيرة العطرة (مكسيموس ودوماديوس) اللذين كانا قد تنيحا من زمن قريب، وقال لهم: «تعالوا بنا نزور قبر μαρτύριον الإخوة الغرباء» (٨٦)، حيث كلمة μαρτύριον كان يعني بها الهياكل الصغيرة المقامة تكريماً للشهداء (٨٧).

والألم المحبوب هو الختم الأصيل لصليب المسيح في جسد الإنسان المسيحي. فالألم في المسيحية هو عملية صلب مع المسيح: فالصليب فقط وعليه المسيح مسمَّر يعطي الألم معناه الحقيقي. هذا المعنى هو الذي أُعلن لمقار يوس في رؤ يا رأى فيها كاروباً يصلبه على الأرض و يقول له: «إنك ستصلب ذاتك مع المسيح، وتصير متحداً به على الصليب في ز ينة فضائلك وعبيرها العطر، وسيشيع صيت نسكياتك في أربع أرجاء المسكونة، وستُنهض جمعاً غفيراً من المنغمسين في وحل الخطية، فيصيرون من المحاربين، وجنوداً في جيش المسيح». ولقد كان أبا مقار يوس بالفعل يصلب جسده و يتمم بكل عناية جميع ما قاله الكاروب (٨٨).

وتكشف لنا هذه الرؤ يا الجميلة عن مدى الخصب الروحي للتألم كشركة في آلام الفادي، فإذا ما تألم أحد على هذا المثال فإن آلامه تثمر للمسيح تلاميذ في كل أنحاء العالم وتضمهم إلى جيشه حيث تنبعث أعظم الإنتصارات وأبهاها من أثقل الصلبان وأكثرها ألماً.

«انتهى البحث»



(85) AMEL., ADMG, XXV, 187.
(86) Apoph., No. 33, P. G., XXXIV, 257; Cf. aussi: AMEL., ADMG, XXV, 211.
(87) Athanase, Hist. Arianorum ad Monachos, 37; P.G., XXV, 736.
(88) AMEL., ADMG, XXV, 119.

الفصل الثالث

الذكصولوجيات

أي التماجيد الخاصة بالقديس أنبا مقار

مقدمــة

بالإضافة إلى الذكصولوجيتين الواردتين في كتاب الأبصلمودية المقدسة السنوية (كتاب التسبحة) اللتين يتضح من كلمات الأولى منها أنها مؤلفة خصيصاً لمناسبة عودة جسد القديس أنبا مقار إلى شيهيت، وربما يكون قد جاء تأليفها في نفس زمن عودة جسده، أي في حوالي سنة ٧٨٤م، وذلك يظهر من الكلمات القائلة (كل طائفة الرهبان تسبح وتبارك الله **لأجل مجيئك إلينا** يا أبانا القديس أنبا مقار)، ولذلك فليس من الصواب ما كُتب في بداية هذه الذكصولوجية أنها تُقرأ في ٢٧ برمهات — وهو يوم نياحته — و٨ طوبة؛ بل الأصح أن يُقال: «تُقرأ في ١٩ مسرى وهو يوم وصول جسده إلى شيهيت» (*). أما الثانية فيتضح من كلماتها أنها مؤلفة في العصور الحديثة نوعاً ما، وذلك يظهر من قول مؤلفها: (فلهذا يفدون إليك من أقاصي الأرض، من رومانيا وسوريا والمشرق وأسبانيا. وليس فقط في **الزمان الغابر** بل هوذا **الآن** أيضاً يفدون من كل مكان يسجدون على جسدك المقدس).

نقول أنه عدا هاتين الذكصولوجيتين فقد عثر العلاَّمة إﭭلين هوايت ضمن أوراق مفردة مخطوطة ومدشوتة بالدير وثيئوتوكيات قديمة جداً ومهملة في أرضية غرفة المكتبة بالحصن — على عدة ذكصولوجيات هامة باللغة القبطية ذات إلماحات مبدعة من سيرته وحياته ونسكه ووصف لشخصيته وللقوة الإلهية التي رافقته، وقد قمنا بترجمتها هنا وأضفناها باللغة القبطية في مواضعها بالأبصلمودية الخاصة بالدير للتسبيح بها في مواسمها الخاصة، ونعتقد أنها من أقدم الذكصولوجيات المعروفة لفرادة أسلوبها التاريخي والوعظي.

(*) الأعياد التذكارية للقديس أنبا مقار.

(١) تذكار نياحته ٢٧ برمهات (٥ أبريل).

(٢) تذكار رجوعه من المنفى ١٣ برمهات (٩ مارس — يولياني، ٢٢ مارس — غريغوري).

(٣) تذكار تدشين الكنيسة التي بناها في المنفى بعد تعميد أهل الجزيرة ١٠ طوبة (١٨ يناير).

(٤) تذكار وصول جسده إلى شيهيت ١٩ مسرى (٢٥ أغسطس).

(٥) تذكار تدشين هيكل أنبا بنيامين بكنيسة أنبا مقار ٨ طوبة (١٦ يناير).

الذكصولوجية الأولى(١)

وتاريخ نساختها من القرن الرابع عشر بدير القديس أنبا مقار، آخرها فاقد، الباقي ١٥ بيتاً شعرياً، وتدل على مهارة أدبية ومنظومة على أساس سيرته.

كان رب المجد مع البار اللابس الروح أنبا مقار، لأنه قد عين له قوة مقدسة هي الشاروبيم لتكون معه منذ الإبتداء.

إذ بينما كان في مغارته جالساً يتأمل في الأسفار المقدسة يوماً من الأيام، ظهر له الشاروبيم متكلماً معه بهذا الخصوص قائلاً:

يامقارة أنظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك بسبب تمجيد الناس، لأنك لو أكملت كل الفضائل فعليك أن تقول أنا خاطىء.

اهتم بكرمك لأنه بلغ أوان الإثمار فلا تدع الثعالب المفسدة تتلفه.

واهتم بشجرة حياتك لئلا تبدد طرحها طيور السماء.

واهتم بكنزك الذي جمع كل الصالحات حتى لا ينقبه السارقون.

واهتم بمركبتك التي وسقت من كل الخيرات الملكية لئلا يفسد العدو خطتك.

فلما سمع أنبا مقار ذلك الكلام بكى قائلاً:

ويحي يالكبرياء قلبي أنا الخاطىء، كيف تريد الأرواح الشريرة أن تهلك نفسي.

ويحي يالكبرياء قلبي أنا الخاطىء، كيف حتى الآن لم أقبل الآلام عن أخي.

فلما سمع منه الشاروبيم ذلك مدحه واستحسنه.

الذكصولوجية الثانية

وعنوانها: «أنبا مقار وأولاده»، وكان بآخرها بيتان مفقودان استطاع إڤلين هوايت أن يكملها من كتاب «ثيئوتوكية» آخر موجود بمكتبة الفاتيكان(٢). وقد ألفها كاتبها على أساس ما جاء في السيرة أيضاً بأنه كان معه الشاروبيم كقوة معزية ومعينة، وأن أنبا مقار عاش حتى رأى الأديرة الأربعة تنمو وتزدهر بأولاده وأولاد أولاده.

ذكصولوجية لحن واطس:

الشاروبيم الذي رافقك، ياسيدي أنبا مقار، حتى أحضرك إلى هذه البراري كان له أربعة وجوه. وجه أسد ووجه ثور، ووجه إنسان ووجه كالنسر، كان هذا منظره بحسب الأسفار.

(1) Ev. White, I, p. 120, 121.

(2) Theotokia (Cod. Vatic. Copt., XXXVIII).

وأنا أشبِّه وجه الأسد بأبينا أنبا مقار، لأنه صار أسداً قوياً ضد الأرواح النجسة.
وأشبِّه وجه الثور بأبينا أنبا يوحنا، لأنه زرع عوداً يابساً في أرض قفرة وسقاه حتى أثمر.
وأشبِّه وجه الإنسان بأبينا أنبا بيشوي، لأنه تكلم مع المسيح مثل موسى مُعطي الناموس.
وأشبِّه وجه النسر بأبوينا الروميين، لأنهما أخذا أجنحة نارية وعبرا هذه الصحاري.
وهوذا أيضاً موسى الأسود أتى إلى هذه الصحاري، ولبس إكليل الشهادة الذي لا يبلى.
والتسعة والأربعون شهيداً، شيوخ البرية، سفكوا دماءهم على صخرة البيامون.
والقديسة إيلاريا وأنستاسيا وأربسيما صرن عرائس للمسيح.
وهكذا المواضع المقدسة التي أسستها ياأبانا أنبا مقار لن تكف عن أن تعطي أثمارها حتى نهاية الدهور.
اطلب عنا ياأبانا أنبا مقار مع أولادك لباس الصليب.

الذكصولوجيتان الثالثة والرابعة

وهما أصلاً كانا ضمن كتاب الدفنار. الأولى واطس والثانية آدام وهما مخصصتان للتسبيح في عيد تذكار أنبا مقار في ٢٧ برمهات، والذكصولوجية الأولى مكتوبة أيضاً في كتاب التسبحة.

وفي قانون قراءة هاتين الذكصولوجيتين (في المقدمة بالخط الأحمر) أنهما تقرآن أيضاً في ١٩ مسرى عيد نقل جسد أنبا مقار.

الذكصولوجية الثالثة:

(السابع والعشرين من برمهات واطس. أبا مقار).
فلتتهلل وتفرح براري شيهيت ولتطلق بخورها العطرة كزنابق الحقل... وليترنم و يسبح معاً كل الرهبان من أجل مجيئك إلينا أيها العظيم أنبا مقار.
لأنه هوذا بواسطتك صارت البراري كالمدن، والموضع الذي بلا إنسان امتلأ بقديسي الله.
لقد منطقتهم كالجنود فصاروا أبطالاً وجبابرة بأس ضد التنين المرتد وجماعته الشريرة.
لهذا نتوسل إليك نحن أولاد صلواتك، إسأل الرب عنا ليغفر لنا خطايانا.
في برمهات، رقدت وارتحت، في اليوم السابع والعشرين من هذا الشهر.
وقد جاءك الشاروبيم مع صفوف الملائكة ومجمع الأبرار.
وتحدث معك كما يتحدث الإنسان مع صاحبه. أسرع وتعال لأن كل هؤلاء ينتظرونك.
فأجبت بالفرح الذي ملأ قلبك: «ياربي يسوع في يديك أستودع روحي».

الذكصولوجية الرابعة:

(السابع والعشرين من برمهات آدام أبا مقار).
طوباك ياأنبا مقار، ياحامل الروح وأب كل الرهبان.
لقد جاهدت الجهاد الحسن في ميدان الركض حتى نلت الدعوة لوليمة العشاء.
لقد صرت لنا مثالاً لاكتساب الآداب الرهبانية والصلاة والصبر.
لقد صرت أولاً تلميذاً وخادماً للحكمة صانعاً إرادة سيدك حسناً.
فسمعت الصوت نعماً أيها العبد الصالح والأمين.
لأنك كنت أميناً في القليل أدخل الآن إلى فرح سيدك.
بصلوات القديس أنبا مقار يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا.

الذكصولوجية الخامسة

(أبا مقار وقديسي شيهيت)

السلام لأنبا مقار الشبكة التي اصطادت كل من صادفها إلى طريق الله. الذي ألبس أولاده الإسكيم المقدس، وعلمهم كيف يسكنون متوحدين في مغائر الأرض.

مكرم جداً فوق حدود النطق أنبا يوحنا القمص، لأن من أجل طهارته صارت الوحوش أمامه كالحملان، ومن أجل طاعته أزهر العود الناشف وأثمر.

لقد انحلت أفكاري مني وتاه عقلي عن أن يجد قولاً مستحقاً لكرامتك أيها الرجل (الكامل) ياأبانا أنبا بيشوي، يامن ركضت حسناً في ميدان الجهاد.

السلام لمكسيموس ودوماديوس أبوينا الروميين اللذين أتيا من الكورة (البعيدة)، إذ لما رفعا صليبها سارا وراء المسيح حتى أتيا إلى جبل أنبا مقار المقدس.

لقد صارا مثل يوحنا البتول الطاهر وأخيه يعقوب ابن زبدي، لما تركا أباهما وشبكتهما في المركب وتبعا المسيح بقلب مستقيم.

فعوض الشبكة والبحر جعلهما صيادي الناس.

ومكسيموس ودوماديوس تركا غناهما وقصر الملك، ازدريا بأملاكهما وترجيا ملك الحياة الأبدية، فورثا الدير (لاڤرا Lavra) الرابع الذي اختاره الرب في البرية (دير براموس).

السلام لأبينا أبا يؤنس كاما... (ناقص)... الذي أسس ميناء خلاص لنفوس كثيرة ورعاها حتى أكمل خلاصها.

السلام للتسعة والأربعين الشيوخ المباركين الذين سفكوا دماءهم على رأس الصخرة.

السلام لإيلاريا وأناستاسيا وإربسيا عرائس المسيح.

السلام لأبينا أنبا موسى الجندي القوي أول الشهداء في هذا الجبل المقدس.

طوباك أنت يا أنبا مقار لأن إله السماء قد أعطاك المجد الأعظم، وأعلمك أنك ترى أولادك وأولاد أولادك، و يكونوا إكليلك في ملكوت السموات.



قطعة من الحجر المنحوت تتوسطها زهرة زخرفية وعلى الطرفين زخرف ورقة العنب يحيط بعناقيده
[من دير أبّا إرميا بسقارة ــ معروضة بالمتحف القبطي بالقاهرة]

الباب الرابع

براري نتريا والقلالي وشيهيت (أو الإسقيط)

الأماكن المقدسة للتجمعات الرهبانية،

والتي زارها وعاش فيها القديس مقاريوس

مقدمة

لقد عاش القديس مقاريوس بعض سني حياته النسكية الأولى في منطقة نتريا(١) قبل أن يقوم بزيارته الثانية للقديس أنطونيوس. كما نعلم أنه عاصر سميَّه القديس مقار الإسكندراني قس منطقة القلالي المشهور، والمعروف أنه تنقل كثيراً في منطقة القلالي التي كانت واقعة بين نتريا وشيهيت. ثم نعلم أنه أسس التجمعات الأولى الأربعة في وادي النطرون، فتسمَّى الوادي باسمه النسكي: «إسقيط مقاريوس» وباللغة القبطية ϢΙϨΗΤ أي ميزان القلوب.

هذه المناطق الثلاث هي الأماكن المقدسة التي شاهدت التجمعات الرهبانية في كل عصورها، وقد عاصرها وعاش فيها وتردد عليها قديسنا المضيء اللابس الروح أنبا مقار. أما بحسب ترتيبها الزمني، فنتريا تجيء في المقدمة حيث عاش القديس آمون أولاً منفرداً ثم التفَّت حوله جماعة النساك، لذلك فهو يُعتبر مؤسس الجماعات الديرية في منطقة نتريا كلها. وبعد نتريا تجيء القلالي، وهي منطقة متاخمة لنتريا من جهة الجنوب الغربي وعلى بعد ١٢ ميلاً منها، وهي نشأت كامتداد لنتريا، وقد اختار مكانها القديس أنطونيوس نفسه أثناء زيارته للقديس آمون، وبناءً على طلبه، لتكون مناسبة للمتوحدين الذين تخرجوا من «كينوبيات» نتريا وبعد أن ازدحمت نتريا بنساكها. وأخيراً يأتي الإسقيط أي شيهيت، وهي عبارة عن الوادي المتاخم لمنطقة القلالي جهة الجنوب الغربي، وقد اختاره القديس مقاريوس بتدبير الله ومشورة الملاك ليكون المركز الكبير والأخير لكافة التجمعات الديرية. فإلى شيهيت انحدرت جميع المراكز الرهبانية من نتريا والقلالي شمالاً، واستقرت أخيراً في الجنوب في هذا الوادي المقدس.

والإنسان الذي يريد أن يقرأ التاريخ الرهباني بوعي، يستحيل عليه أن يفهم جمال هذا التاريخ وعمقه وأصالته دون أن يدرس جيداً المواقع الجغرافية التي نشأت وترعرعت فيها الجماعات الديرية. ونحن هنا نقدم خلاصة مستوفية للظروف الجغرافية والمعيشية لهذه المناطق الثلاثة، مسترشدين بأبحاث الثُقاة من المؤرخين والعلماء وبملاحظاتنا الخاصة التي عشناها وسمعناها، فقد قام كاتب هذه السطور بزيارة كل من منطقة نتريا ومريوط وعاش ردحاً من الزمن فيها، كما عاش في وادي النطرون سنيناً طويلة متوحداً في مغارة يجوب المنطقة من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها.

---

(١) المعروف أن القديس أنبا مقار بدأ حياته النسكية في نتريا، ثم انتقل منها إلى الجنوب الغربي وسكن المنطقة المعروفة باسم بترا، وهي المكان المرتفع المتاخم لدير البرموس من الجهة الجنوبية الغربية. أنظر:

Carbol: Dict. D'Arch. Chret., II, p. 3127
& Amélineau, La Geographie de L'Egypte, p. 447.

الفصل الأول

جبل نتريا : جبل البرنوج
أو
Τὸ ὄρος τῆς νιτρίας

أما التسمية الأولى لهذه المنطقة «جبل نتريا» فهي التسمية التي جاءت في جميع المخطوطات اليونانية واللاتينية. ولكن العجيب أن هذه التسمية جاءت في كافة المخطوطات القبطية و بالتالي العربية سواء الأصلية أو المترجمة عن اليونانية باسم «جبل البرنوج».

وقد لوحظ سواء في تركيب إسم «جبل نتريا» أو أثناء الشرح، أن كلمة «نتريا» لما جاءت مضافة إلى كلمة «جبل» لا تفيد النطرون على الإطلاق، وإنما تفيد إسم مدينة «الجبل الذي لنتريا». كذلك فقد وردت كلمة «نتريا» أحياناً بدون إضافة كلمة «جبل» لإسم المنطقة كلها، فسميت المنطقة «نتريا»، وهذا يزيد التأكيد أن التسمية ليست بسبب مادة النطرون(٢). وقد جاء في كتاب تاريخ الرهبنة لروفينوس: [ونأتي الآن إلى منطقة نتريا التي تأخذ إسمها من القرية المتاخمة لها حيث يجمع إليها النطرون](٣).

والمعروف في مصر في هذا الزمان (القرن الرابع وما قبله) أن كل مدينة كانت تحمل إسمين، إسماً يونانياً وإسماً قبطياً. فالإسكندرية مثلاً كانت مشهورة بإسمين يأتيان دائماً جنباً إلى جنب: أحدهما يأتي في اللغة والمخطوطات اليونانية Αλεξανδρίας والآخر يأتي في اللغة والمخطوطات القبطية **ⲣⲁⲕⲟϯ** . كذلك هنا فمدينة نتريا بينما كانت التسمية اليونانية «نتريا»، كانت التسمية القبطية للمدينة «برنوج»، وهي التي أخذ بها الأقباط دون سواها بنوع من التعصب الواضح. والحقيقة التي فاتت على كافة المؤرخين والجغرافيين الذين بحثوا هذا الموضوع، أن كل الشواهد تفيد أن **نتريا** كانت ميناءً واقعة على القنال الذي يربط بين فرع النيل وبحيرة مريوط ماراً بطرف الصحراء، وكانت هي المدينة التي يُشحن منها النطرون المستجلب من وادي النطرون إلى الإسكندرية ومنها إلى الخارج. وهنا سر تسمية المدينة بالإسم اليوناني المنحوت

أنظر الخريطة رقم (٢) في الصفحات الأولى من الكتاب.

(2) Ev. Wh., II, p. 18.
(3) Hist. Monach., ch. XXI:

من إسم النطرون. لذلك كانت المدينة مشهورة في العالم الخارجي بسبب مركزها الإقتصادي، وكانت هي المفتاح الذي يؤدي إلى الصحراء، ونقطة الوصل بين الإسكندرية ودلتا النيل وبين وادي النطرون وبالتالي صحراء ليبيا كلها. ولذلك كانت حركة المراكب منها وإليها دائمة، كما كان يوجد بها معبد وثني (٤).

ويؤكد لنا المؤرخ سترابو سنة ٢٣م. (٥) وجود قنال يسمى قنال نوقراطيس، يصل الفرع الكانوبي للنيل ببحيرة مريوط، ويضيف أن مدينة نوقراطيس كانت واقعة على النيل، وكان يؤتى إليها بالنطرون عبر القنال لأنها كانت مركزاً هاماً لتجارة النطرون. كما يؤكد المؤرخ كاترمير(٦) أن هذا القنال كان يربط فرع النيل المسمى «الكانوبي» ببحيرة مريوط.

وبالبحث وجدنا أن هذا القنال ظل معروفاً حتى القرن الرابع عشر، الذي صار اسمه بعد ذلك «قنال الرياشات»، وأن المنطقة المحصورة بين هذا القنال وفرع النيل «الكانوبي» كانت معروفة عند الجغرافيين إلى زمن قريب بحوض رمسيس (أنظر الخريطة رقم ٢ بالملزمة الأولى من الكتاب).

أما مدينة البرنوج (نتريا) فهي لا تزال قائمة حتى اليوم، وهي مركز من مراكز دمنهور(٧)، وكان زمامها في القرن الرابع عشر ٦٥٨ فداناً، وتبعد عن دمنهور ١٤ كيلومتراً في الإتجاه الجنوبي الغربي. أما نوقراطيس التي كانت على النيل، فمكانها الآن بلدة «الجايف» حسب تحقيق العلامة Flinder Patrice (٨) وتبعد عن إيتاي البارود ٧ كيلومترات في الإتجاه الشمالي الغربي.

وقد أمدّنا بالليديوس بمعلومات طريفة ودقيقة توضح لنا تماماً مكان نتريا وكيفية الوصول إليها: [وبين جبل نتريا وبين الإسكندرية توجد بحيرة تدعى ماريا (مريوط) باتساع سبعين ميلاً، وقد قطعنا المسافة عبر هذه البحيرة في يوم ونصف جنوباً إلى الجبل، وبحذاء هذا الجبل تقع الصحراء المترامية التي تمتد حتى الحبشة وموريتانيا والمازيق] (٩). وهنا يلتبس على المؤرخ إيفلين هوايت اتساع البحيرة ويعتقد أن الرقم مبالغ فيه، ولكن الحقيقة أن بالليديوس كان في منتهى الدقة، لأن اجتياز البحيرة لم يكن من اتجاه عرضها ولكن باتجاهها الطولي، فالذي كان يريد أن يسافر من الإسكندرية إلى نتريا كان له طريقان:

الأول: وهو طريق بحري كله: يركب المركب مباشرة من الإسكندرية ويعبر البحيرة بطولها

(4) Hist. Laus., ch. VII.

(5) Geographia XVII, 1, p. 803 [Ev. Wh., II, p. 22].

(6) Memoires, 1, p. 479 [Ev. Wh., II, p. 19].

(٧) القاموس الجغرافي، لمحمد رمزي، قسم ٢ جزء ٢.

(8) Ev. Wh., II, p. 22.

(9) Hist. Monach., ch. XXIII.

ثم ينحدر جنوباً عبر القنال حتى نتريا وهو بالمركب. وهذا يستغرق زمناً أطول لأن المسافة أطول.

الثاني: طريق بري كله: يركب الدواب حتى يصير قبالة مضيق أو برزخ في وسط البحيرة ويعبره في ساعات قليلة راكباً ثم يكمل سفره راكباً أيضاً حتى نتريا. وما يؤيد كلامي هو هذا الوصف الموجود في رحلة أنبا بنيامين من الإسكندرية إلى نتريا (البرنوج)، إذ تقول المخطوطة هكذا: [وقمنا من الإسكندرية في اليوم الثاني من طوبة **وتقدمنا في المسير** في الطريق وكانت نعمة الله تظللنا **ونحن نمشي على فم بحيرة مريم حتى أتينا إلى تروجه.** فقبلنا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع بفرح عظيم، ومن هناك **أتينا إلى جبل نيري المقدس (القلالي) الذي لأبونا أنبا إيساك** (قس القلالي بعد مقاريوس الإسكندري) **على رأس جبل برنوج**].

أما بخصوص السفر البحري وكون نتريا ميناءً على القنال فهذا يؤيده ما جاء في تاريخ الرهبنة: [إن المسافر السائح الذي كان يحجُّ إلى جبل نتريا كان يرسو بمركبه عند نتريا](١٠).

إذن فمدينة نتريا، التي هي نفسها برنوج، كانت ملتقى طريقين من الإسكندرية، طريق بري وآخر بحري. أما الطريق البري فكان يتخلله مخاضات بحيرة ماريا (مريوط) ثم ينتهي إلى نتريا الواقعة وسط مستنقعات وأحراش وأرض سبخة.

وجاء في تأسيس نتريا عن المؤرخ سوزومين: [إن القديس آمون اعتزل العالم ولجأ إلى مكان قفر جنوب بحيرة ماريًّا].

وتقع نتريا أو برنوج على حافة الصحراء، يتاخمها من شرق الأراضي المنزرعة ومن الغرب الصحراء المترامية الأطراف. ودليلنا على ذلك ما جاء في وصف بالليديوس لقلاية نثنائيل أحد الرهبان بنتريا أن قلايته لم يرد أن يسكنها من بعده أحد: [لأنها كانت قريبة جداً من المنطقة الآهلة بالسكان، وكان العدو قد أغراه لبناء هذه القلاية بالقرب من القرية (نتريا)](١١).

وكانت قلالي الرهبان بنتريا عموماً على مقربة من الريف. فقد رُوِيَ عن بفنوتيوس تلميذ أنبا مقار الإسكندراني: [أنه مرة فَقَدَ طريقه إلى قلايته بسبب الضباب فوجد نفسه أخيراً بالقرب من القرية (نتريا)](١٢).

وقد كان جبل نتريا كله محسوباً أنه أقرب إلى الريف منه إلى عمق الصحراء. وقد جاء في كتاب أقوال الآباء(١٣) أن زائرين كثيرين كانوا يأتون إلى القديس آمون من القرية (نتريا).

(10) Ev. Wh., II, p. 24.
(11) Hist. Laus., ch. XVI.
(12) Apoph. Patr., Paphnot., 1.
(13) Hist. Monch., XXIX.

وكان من المعروف والمتداول بين رهبان نتريا أن الذي يريد أن يعيش في الصحراء عليه أن يرحل جنوباً إلى إقليم القلالي الذي كان يبعد عن نتريا بمقدار عشرة أميال تقريباً. فقد جاء عن إفاجريوس أنه سكن في جبل نتريا مدة سنتين ثم **دخل من بعدها إلى الصحراء** ليعيش في منطقة القلالي ١٤ سنة أخرى، وذلك كان سنة ٣٩٩م.

وعلى العموم كانت منطقة جبل نتريا محسوبة أنها في حيز الدلتا أكثر منها أن تكون في حيز الصحراء بحسب تعبير بالليديوس، إذ يقول: [جبل نتريا الكائن في مصر (ومصر تعبير عن الحدود المنزرعة)](١٤).

ويحقق لنا روفينوس بُعد موقع نتريا عن الإسكندرية بمقدار أربعين ميلاً رومانياً، أي ما يعادل ٦٥ كيلومتراً في الإتجاه الجنوبي الغربي. كذلك نعلم من تاريخ ابن الجيعان(١٥) ومن قاموس الجغرافية لبلاد مصر لمحمد رمزي، أن برنوج وهي بلد قديمة التي هي البرنوجي الآن تقع على بعد ١٤ كيلومتراً من دمنهور في الإتجاه الجنوبي الغربي ويحدُّها من غرب تلال وكيمان.

وقد ثبت بالدليل القاطع أن في منطقة برنوج كان يوجد بحيرة تدعى نهيلة «Nehilé» يقدَّر طولها بحوالي ثلاثة فراسخ وعرضها فرسخ ونصف رآها الرحالة الأب سيكار في أوائل القرن الثامن عشر، وحدَّد موقعها كالآتي: [غرب الجبل الذي يبعد عن هرمو بوليس بارڤا القديمة (دمنهور حالياً) بمقدار حوالي ١٥ ميلاً غرباً، كما تبعد عن الإسكندرية نحو سَفَريوم كامل](١٦). ومما يؤكد اكتشاف سيكار لبحيرة النطرون هذه المتاخمة لدمنهور غرباً والواقعة في حدود جبل نتريا والتي يستمد الجبل اسمه منها، وهو اسم مستقلٌ استقلالاً كاملاً عن نطرون وادي النطرون، هو أن النطرون حتى سنة ١٩٢٠ كان لايزال يستخرج و يصنع بواسطة شركة الملح والصودا في مدينة البرنوجي مركز دمنهور حيث توجد الملاحات المعروفة بملاحات طرانة البرنوجي (وهي غير طرانة كوم حمادة). وكلمة طرانة تعني حسب تحقيق إڤلين وايت «بحيرة نطرون»(١٧)!! ولعلها من كلمتين: تِرَّا ـــ نا = Terra, Na أي أرض النطرون. (لأن حرف Na هو الإصطلاح الكيميائي لمادة النتريوم أي الصوديوم) وهذه المعلومات قد استمدها إڤلين وايت من خبير مصر الجيولوجي الإنجليزي Dr. W. F. Hume ومن مدير شركة الملح والصودا الذي كان يعمل آنئذ في منطقة البرنوج.

---

(14) Hist. Laus., XXXVIII.

(١٥) ابن الجيعان المتوفي سنة ١٣٩٨م في كتابه: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية.

(16) Ev. Wh., II, 23.
(17) Ibid.

ومن هذا نخرج ببعض البيانات الهامة:

أولاً: أن منطقة جبل نتريا، أو جبل برنوج، هي منطقة مستقلة تماماً في حاصلاتها الإقتصادية من النطرون ومشتقاته عن إقليم وادي النطرون(١٨).

ثانياً: أن مدينة نتريا هي نفسها مدينة برنوج، ومن كلا الإسمين يشتق الجبل اسمه. وكانت على قمة التلال تطل على بحيرة نطرون وكان بها معبد وثني(١٩).

ثالثاً: أن نتريا أو برنوج كانت ميناءً على قنال يسمى بقنال نوقراطيس الذي يصل فرع النيل الكانوبي ببحيرة مريوط وبالتالي بالإسكندرية رأساً بواسطة الطريق البحري عبر البحيرة. وكان ماء هذا القنال نصف عذب.

رابعاً: أن مدينة نوقراطيس (نقراش الآن) كانت على النيل (الفرع الكانوبي) عند خروج القنال الواصل إلى بحيرة مريوط ماراً بمدينة نتريا. فكانت نوقراطيس مركز تجميع وبيع لحاصلات النطرون الآتى من نتريا.

خامساً: أن منطقة جبل نتريا كانت تصلح فعلاً كبداية سهلة مقبولة لانتشار الرهبنة لسبب قربها من الريف وقربها من الصحراء في نفس الوقت. فالريف كان مورداً اقتصادياً للرهبان من جهة العمل فيه أثناء حصاد القمح بالأجرة، وكذلك من جهة الحصول منه على الكتان الذي كانوا ينسجونه كعمل يدوي بدل الخوص، ولو أن المعروف أن هذه المنطقة كانت كثيرة المستنقعات وبالتالي مكان ملائم لتوالد الناموس. وكان الحصول على الماء العذب من أشق الأمور فكان الرهبان يخلطون نصف الماء المالح (من البحيرة) بنصف الماء المستورد من فرع النيل أو القنال.

سادساً: أن وجود النطرون في المنطقة سهّل وجود عمل يدوي يقتات منه الرهبان، فكانوا يستخرجون النطرون من البحيرة، ويتولى نقله وبيعه جماعات من سكان القرى المجاورة(٢٠).

وهناك وصفان جميلان لمنطقة جبل نتريا يكشفان لنا معاً صورة تكاد تكون متكاملة عن هذه المنطقة. الأول دقيق غاية الدقة بقلم شاهد عيان وهو لكاتب تاريخ الرهبنة «Historia Monachorum» الذي يُعتقد أنه هو روفينوس أو أحد الرهبان الملقب تيموثاوس رئيس شمامسة الإسكندرية سنة ٤١٢م. وقد جاء ضمن وصف لرحلته التي قام بها سنة ٣٩٤م.، وذكر

---

(١٨) يقول المؤرخ علي باشا مبارك أن مراكز النطرون الهامة في الدلتا كانت **بيامون ونتريا**. الخطط التوفيقية جـ١٧ ص٤٨.

(١٩) هذا يفسر لنا قصة القديس مقاريوس أثناء رحلته لنتريا مع تلميذه ومقابلته للكاهن الوثني وهو يجري في الطريق إلى المدينة!

(20) Butler, L. Hist., VI, p. 108.

ملاحظة: النطرون كان يستخدم قديماً في تحنيط الموتى تشبثاً بإيمان القيامة والخلود، فكانت هذه المادة ذات علاقة وثيقة بعمل الكهنة وبإيمانهم حتى لتكاد تكون مادة سرائرية بحسب الطقس الفرعوني. فلا عجب إن ظلت بعض الجماعات الرهبانية يشتغلون دون أن يدروا باستخراج هذه المادة الكهنوتية سواء في نتريا أو شيهيت أو ملاّحات القلمون بدير أنبا صموئيل.

فيها أنه رأى إيفاجر يوس حياً عند وصوله ولكن قيل له أن مقار يوس الإسكندري قد رقد للتو.

أما الوصف الثاني فهو تأملي مبدع وقد قدمه لنا المؤرخ پول شينو عن نتر يا، يقول شينو:

[أما نتر يا فتقع على بعد عشر ين فرسخاً نحو الغرب من الإسكندر ية وهي هضبة متسعة محاطة بتلال مكلسة يوجد فيها كثير من المغائر الطبيعية. ويمتد عند سفحها ستة بحيرات مالحة تجف نوعاً ما في فصل الصيف، وهناك يمرح على حافتها في وسط مستنقعاتها الموحلة البط البري والطيور المائية و يتكاثر البوص والأثل والسندس المائي والبردي الذي يستخدم في ضفر الحصر. و يغزو تلك المنطقة كلها نوع من البعوض الكبير الذي يتميز بلدغه المر يع، كما أنه لا يتوفر فيها من الماء العذب إلا اليسير. هذا هو المكان الذي فضّله أبطال التوبة ليكون ساحة الصراع التي مازالوا يواجهون فيها الشيطان والإنسان العتيق، وميدان الحرب الذي شاهد أعمال توبتهم التي تفوق العقل. ويمكن أن نصور ذلك المكان الذي قدمنا وصفه الآن في كلمتين:

منطقة غاية في الوحشة، فاقدة لكل مزيّة تحت السماء، وليس هناك موضع على الأرض أقل منها مناسبة للسكنى.

هذا كله وأكثر منه يمكن أن نقوله من جهة صحراء الإسقيط التي تمتد نحو صحراء ليبيا، حيث لا يستطيع المسافر، في تلك الأيام، وسط أرجائها الخالية تماماً من الدروب أن يهتدي إلى طر يقه إلا إذا تتبع مسير الكواكب.

ومازال قائماً حتى عصرنا هذا في صحراء الإسقيط الأثر ية أربعة أديرة قديمة فقط تشهد على الأمجاد السالفة، كبقايا لماضٍ خالد لا يستطيع المنطق الإنساني كله مجتمعاً أن يوفيه حقه في تمجيد عظمته وجلاله](٢١). انتهى وصف پول شينو.

ومن مآثر نتر يا أنها كانت الشرارة الأولى التي أشعلت النُسك في البر ية الغربية كلها. فهي أم القلالي وشيهيت بلا نزاع، وكان القديس آمون سراجها الذي ما انطفأ قط بل ظل متوهجاً في أشخاص أولاده من جيل إلى جيل. ولا ننسى قط أن القديس مقار يوس استقى رضعاته الأولى في نتر يا.

وقد اشتهرت نتر يا في مستهل القرن الخامس بوجود علماء ولاهوتيين بارعين، وقديسين طبقت شهرتهم الآفاق. ونكتفي هنا بذكر سيرة القديس آمون مؤسس نتر يا الصالح ورفيق أنطونيوس مرجئين الكلام عن بقية شخصيات نتر يا لنجمعهم معاً مع شخصيات القلالي.

* * *

---

(21) R.P. Paul Cheneau. D'orléans, Les Saintes D'Egypte, I, p. *121*.

القديس آمون
مؤسس رهبنة نتريا

المؤسس الحقيقي لجماعة ديرية نتريا هو آمون. وقد أجمع العلماء أولاً على صدق هذه الحقيقة كما أجمعوا على قبطية هذا الإسم وأصالته التاريخية(٢٢). و يصدّق أيضاً على سيرة آمون وديريته المؤرخ باللّيديوس حينما يروي الخبر عن القديس أرسيزيوس وآخرين ممن رأوا آمون وعاشروه(٢٣).

كان آمون شاباً يتيماً حينما أصر عمه على زواجه وهو ابن ٢٢ سنة. ولكن الشاب كان قد أصرّ في قلبه أن يبقى بتولاً لإلهه، فما كان منه إلا أن أقنع عروسه أن يظلا عروسين بكرين للمسيح مدى الحياة، فابتدآ معاً منذ أول لحظة حياة الصلاة والفضيلة، و بعد ١٨ سنة من هذه الحياة المضيئة داخلياً افترقا: «فانطلق آمون إلى عمق نتريا واتخذ له مكاناً بعيداً عن الأنظار لأنه لم يكن بعد أديرة أو رهبان» (٢٤)، وهناك بنى لنفسه قلاية ذات غرفتين عاش فيها ولم يغادرها ٢٢ سنة حتى رقد في الرب، ولكن المعروف أنه زار القديس أنطونيوس عدة مرات.

فإذا حسبنا هذه التواريخ نجد أن آمون عاش ٦٢ سنة. و يقص علينا القديس أثناسيوس الرسولي في روايته عن حياة أنطونيوس أن آمون رقد قبل أنطونيوس، حينما قال أن أنطونيوس رأى روح آمون مضيئة وصاعدة إلى السماء بيد ملائكة. فإذا علمنا أن أنطونيوس رقد سنة ٣٥٦م.، يكون آمون قد رقد قبل هذا التاريخ، و يؤكد سوزومين أن آمون ازدهرت ديريته قبل مجمع نيقية، و يظن أنه تنيح حوالي سنة ٣٤٠م.. و بذلك يمكن أن نقول أن آمون وُلد سنة ٢٧٥م.، وتزوج سنة ٢٩٧م.، واعتزل العالم سنة ٣١٥م. ورقد سنة ٣٣٧م.. ويمكن زحزحة هذه السنين قليلاً إلى الأمام أو إلى الخلف.

والمعروف قطعاً أن في السنة التي اعتزل فيها القديس مقاريوس الكبير العالم كانت جماعة ديرية آمون في أوج ازدهارها. وكان القديس بامو ⲡⲁⲙⲱ واحداً من البارزين بين متوحديها ومن أوائل تلاميذ آمون، كما نعلم أن بامو قدموه للكهنوت قبل سنة ٣٤٠م. أي قبل السنة التي قبل فيها القديس مقاريوس الكهنوت(٢٥).

---

(22) Butler, L. H., II, 190.
Synax. Const. ed. Delehye, col. 107.
Zoëga, Cat. No. XLV.
(23) Laus. Hist., Ch. VIII.
(24) Sozom., H.E., IV, 23.
(25) Ev. Wh., II, p. 47, 53.

وكان آمون بحسب وصف القديس أثناسيوس خجولاً بطبعه، فمثلاً لم يطق أن يخلع ملابسه ليعبر النهر على مرأى من تلميذه ثيئوذور، كما كان يُشهَد له بالذكاء الحاد. وكانت حياته تقوم على كثير من المعجزات(٢٦). وكان آمون محل احترام كثير من الناس ومن أنطونيوس نفسه الذي كان يبجله غاية التبجيل من أجل استقامة روحه وفضائله(٢٧). ولكن لأن آمون كان منعزلاً بطبعه لذلك لم يكن صيته ذائعاً بين الناس مثل أنطونيوس. وكان آمون يشعر بذلك، فمرة سأل أنطونيوس: «أنا تعبت أكثر منك فلماذا ارتفع اسمك أنت بين الناس أكثر مني؟» فما كان من أنطونيوس إلا أن قال له: «لأني أحب الله أكثر منك!»(٢٨). و يعلّق إفلين وايت بقوله، ربما أيضاً لأن آمون كانت تعوزه الشخصية أو أنه كان يخفي ذاته كثيراً. فقد عُرف عنه أنه كان يمتنع نهائياً عن ممارسة الصلاة على المرضى بحجة أنه لا يملك موهبة الشفاء(٢٩).

وفي خطاب أمونيوس الأسقف إلى أثناسيوس يوضح ذلك أيضاً: [وهكذا أعتقد أن كثير ين ممن يرضون الرب بأعمالهم بين الرهبان يجاهدون لكي يحفظوا أنفسهم غير ظاهر ين مثل ثيئوذور التبانيسي (ترك أديرة باخوم وعاش في نتر يا) و بامو الأنتينوي (من أنصنا). هؤلاء كانوا غير معروفين مثل المطوَّب الذكر آمون والقديس ثيئوذور الذي من نتر يا](٣٠).

والكنيسة القبطية تعيِّد لذكرى آمون في ٢٠ بشنس / ٢٨ مايو، أما الكنيسة اليونانية ففي ٤ أكتوبر.

ومما يهمنا جداً في حياة آمون الرهبانية هو أنه كان يمثل مرحلة التوسط بين الدير ية المشتركة والنسك التوحدي، أو بمعنى آخر بين الرهبانية والتوحد أكثر من أنطونيوس نفسه(٣١)، فتار يخ الرهبنة لروفينوس يذكر [أن آمون كان أول راهب تطأ أقدامه نتر يا](٣٢)، و بالليديوس معتمداً على أوثق المصادر يقول: [إن هذا الناسك استقر في أعماق بر ية نتر يا وحده حيث لم تكن أديرة قبله]، [وإنه كان يعيش بمفرده]. و بعد فترة توحُّده ابتدأت جموع النساك يفدون إليه للاقتداء بحياته. و يبدو أن سقراط هو المؤرخ الوحيد الذي اهتم ببداية الحياة المشتركة في نتر يا [وكثيرون جداً ابتدأوا يقتدون بحياة آمون و بالتدر يج ابتدأ جبل نتر يا يمتلىء بجماعات الرهبان](٣٣).

---

(26) Hist. Monach., XXIX, 5f.
(27) Hist. Monach., XXX.
(28) Apoph. Pat., Amoun.
(29) Hist. Monach., XXIX, 3f.
(30) Acta SS. May, III, Migne, PG XXVI, 982.
(31) Ev. Wh., II, p. 48.
(32) Hist. Monach., XXIX.
(33) H. E., IV, 23.

وهكذا أصبح آمون رأس أول جماعة ديرية في نتريا. وقد جاء لقب هذه الرئاسة في كتاب حياة باخوميوس باسم ἀρχιμονάζων **أرخيمونازون** أي «مدبر العيشة التوحدية». [وأصبح آمون أرخيمونازون الإخوة في جبل نتريا] (٣٤). و يصفه سوزومين بلقب [قائد ἀρχηγός كافة الأديرة التي في تلك النواحي] (٣٥). وفي خطاب مرسل من القديس أثناسيوس إلى آمون عن موضوع أقلق الرهبان بخصوص مقدار طهارة الرهبان بعد الإحتلام الليلي بالنسبة للتناول (٣٦) تتضح المكانة الرئاسية العالية التي كانت لآمون في نتريا في نظر القديس أثناسيوس.

أثناسيوس يزور نتريا: وقد زار القديس أثناسيوس نتريا وعاش بين رهبانها أثناء نفيه الثالث سنة ٣٥٦ـــ٣٦٦م. وقد كتب بنفسه مديحاً ومرثية لآمون الكبير وتلميذه ثيئوذوروس والقديس بامو.

ومن مآثر نتريا على الكنيسة أنها أرضعت كيرلس الكبير عمود الدين لبن النسك والمعرفة والحكمة الرهبانية مع العلوم اللاهوتية، وقد تربى تحت قدمي سرابيون الكبير سراج جبل نتريا المشهور من معاصري أنطونيوس وزميل آمون الكبير، مثلما تربى أثناسيوس الرسولي من قبله على يدي الأب أنطونيوس الكبير، ولو أنه توجد بعض المصادر تؤكد أن كيرلس الكبير تربى أولاً في دير القديس أنبا مقار(٣٧).

وظلت نتريا تتوهج بالروحانية والعلم والنسك وتزدحم بالأسماء الكبيرة اللامعة، فقد بلغ تعداد نساكها ومتوحديها مع القلالي سنة ٣٧٤م. أيام روفينوس حوالي ٣٠٠٠ راهب، ثم ارتفع هذا العدد سنة ٣٩٠م. إلى خمسة آلاف راهب وذلك أيام چيروم و بالليديوس، حتى منتصف القرن الخامس حينما بدأت شمسها في الغروب لتظهر في الأفق مرة أخرى على القلالي وشيهيت وأديرة ظاهر الإسكندرية التي على الساحل.

وظلت نتريا عامرة بالرهبان حتى القرن السادس حينما انسحبت آخر جماعة فيها جنوباً تجاه القلالي وشيهيت.

---

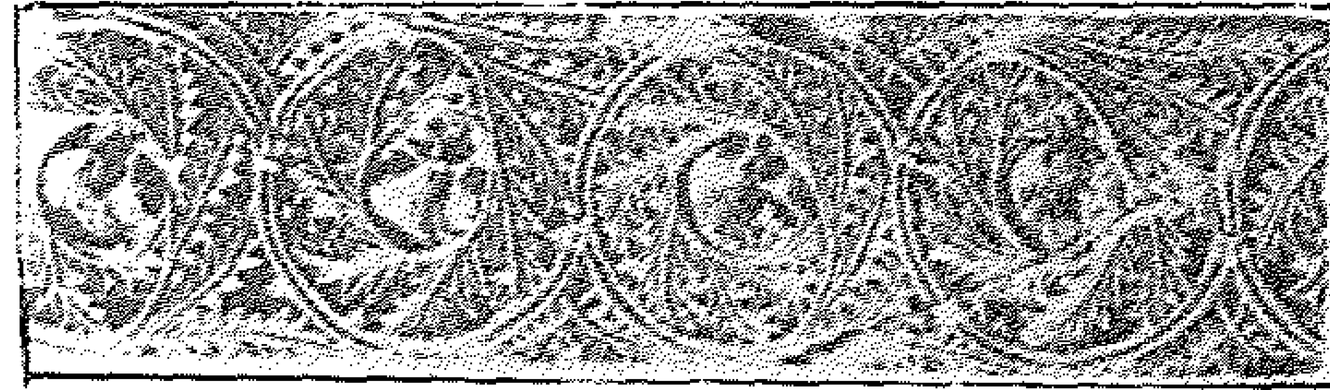
(34) Zoëga, cat. xiv.
(35) H. E., I, 14.
(36) Migne, P.G., XXVI, 1169.

(٣٧) يقول السنكسار ـــ رينيه باسيه ص ٣/١١٥٩ أبيب:
في هذا اليوم تنيح الأب أنبا كيرلس (عمود الدين الملقّب بالكبير البطريرك الرابع والعشرين) (٤١٢ـــ٤٤٤م)، هذا القديس تربى عند خاله ثاوفيلس ٢٣، فأرسله أولاً إلى دير القديس أنبا مقار، فتعلم العلوم الإلهية وحفظ في خمس سنين جميع الكتب المقدسة، وأعطاه الرب نعمة وفهم قلب حتى كان إذا قرأ كتاباً دفعة واحدة يحفظه ظاهراً، ثم أرسله للأب سيرابيون الأسقف الفاضل، فازداد حكمة وتدرُّباً بالأمور الفاضلة، فلما أكمل جيداً أرسله إلى قلاية البطرك...

وكان من أكبر العوامل على هجرة الرهبان والمتوحدين من نتريا والقلالي في رأي إڤلين وايت(٣٨) قربها من المناطق الآهلة بالسكان وبالأخص قربها من الإسكندرية، مما جعلها هدفاً سهلاً لتدخُّل الكنيسة في شئون الرهبان الذي بلغ إلى حد التعدي السافر على حريتهم وإيمانهم وعبادتهم بل وعلى أرواحهم كما حدث أيام ثاوفيلس البطريرك ٢٣.

كما أن شهرة قديسيها باعتبارهم أقوى شخصيات روحانية في الكنيسة جذبت أنظار الأريوسيين والخلقيدونيين لمحاولات فرض سلطانهم على الكنيسة كلها بإخضاع هؤلاء الرؤوس العظام. وقد بدأ هذا الإضطهاد السافر سنة ٤٥١م.، لذلك يُعتبر هذا التاريخ بداية أفول شمس نتريا والقلالي.

كذلك فإن شهرة القديسين في نتريا وبلوغ أخبارهم ومعجزاتهم وروحانياتهم العالية إلى أقطار العالم الخارجي جذب إليهم كثيرين من الشخصيات الأجنبية التي اندمجت في الوسط الرهباني أكثر من اللازم، ووضعت فيها على حد قول إڤلين وايت «بذور الشقاق»، فكان لها تأثير سلبي على بساطة الروحانية القبطية(٣٩) ازداد تغلغلاً على ممر الأيام حتى صار كصدع خطير في البناء النسكي الروحاني ما فتىء أن هزّه من الأساس فأوقعه على أصحابه(٤٠)، وكان أخطر شخصية دخلت نتريا «إيڤاجريوس البنطي» الذي صبغ النسك الروحاني بالأوريجانية العقلية، فحوّل النسكيات الروحانية المستلهمة بالروح والمدفوعة بالنعمة إلى مناهج عقلية وتداريب جسدية وخطط تُدفع بالإرادة والعزيمة. وكما يقول المؤرخ إڤلين وايت: [لقد دخلت مع هؤلاء النساك الأجانب والزائرين السفسطة والتعقيد الفلسفي اليوناني ضد بساطة الرهبان الفطرية وصلابة إيمانهم، الذي ظهر في منتهى قوته أثناء مقاومة الخلقيدونية](٤١).



(38) Ev. Wh., II, p. 40.

(39) Ibid.

(٤٠) ويشير هنا إلى حادث المجمع الذي عُقد في نتريا على زمن ثاوفيلس ٢٣، ومحاكمة الرهبان، وطرد عظماء الآباء القديسين ونفيهم إلى فلسطين، وطرد الإخوة الطوال ومعهم ٣٠٠ راهب بعد حرق قلاليهم وانتهاك حرياتهم.

(41) Ev. Wh., II, p. 40.

علاقة نتريا بالكرسي الإسكندري

منذ بداية ازدهار الرهبنة في نتريا بدأت العلاقات تتوطد في الحال بين شيوخها وبين البطاركة الجالسين على الكرسي الإسكندري، التي ابتدأت في حياة القديس أثناسيوس بصورة قوية وطيبة للغاية، مما جعل الآباء الرهبان يأخذون مكانهم اللائق في الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية ضد أريوس والأريوسيين. وأولى هذه العلاقات كانت بين آمون رئيس نتريا وأثناسيوس بابا الإسكندرية. ومن القصة التي رواها أثناسيوس عن آمون الكبير في كتابه الذي كتبه عن حياة الأنبا أنطونيوس نعلم مقدار اهتمام أثناسيوس وإعجابه شخصياً بآباء نتريا بتدقيقه في تتبع أخبارهم وأسمائهم. فنحن نقرأ ما كتبه أثناسيوس من ذاكرته عن آمون:

[أما آمون هذا فقد لبث في النسك إلى سن الشيخوخة... أراد آمون مرة أن يعبر نهر ليكوس فطلب من تلميذه (زميله) ثيئوذوروس أن يبقى بعيداً لكي لا يرى أحدهما الآخر عرياناً عند اجتياز الماء عائمين، ولما انصرف ثيئوذوروس خجل آمون حتى من أن يرى نفسه عارياً. وبينما هو متفكر في ذلك وهو ممتلىء حيرة حُمل إلى الشاطىء الآخر بغتة. أما ثيئوذوروس ــ وكان رجلاً صالحاً ــ فاقترب من آمون ورأى أنه عبر أولاً ولم تسقط منه نقطة ماء. فسأله كيف عبر؟ ولما رأى أن آمون لا يريد أن يخبره أمسك بقدميه وقال له أنه لن يتركه حتى يعرف الحقيقة. فلما رأى آمون إلحاحه وتصميمه اشترط عليه أن لا يخبر أحداً قبل موته، ثم قال له أنه قد حُمل ووُضع على الشاطىء الآخر وأنه حتى قدمه لم يضعها على الماء].

ويضيف أثناسيوس أن هذا غير ممكن لأي إنسان بل للرب وحده ومن يسمح هو لهم كما فعل مع بطرس. وعلى هذا لم يخبر ثيئوذوروس بهذا إلا بعد موت آمون(٤٢).

وكان أثناسيوس يمتدح آمون في كل مناسبة وكل تلاميذه أيضاً وبالأخص ثيئوذوروس وبامو. وقد دعا أثناسيوس القديس بامو لزيارة الإسكندرية ليدافع ضد الأريوسية(٤٣). كما نعلم أيضاً أنه دعا أمونيوس الطويل تلميذ بامو للسفر معه إلى روما سنة ٣٤٠م.(٤٤). كذلك فإنه أخذ إيسيذوروس من نتريا وجعله على بيت الضيافة(٤٥) في الإسكندرية ورسمه كاهناً بنفسه(٤٦). كما نعلم من قصة القديس شيشوي (الصعيدي) أنه عندما كان في جبل القديس

---

(٤٢) حياة القديس أنطونيوس، فصل ٦٠.

(43) Apoph. Patr., Pambo IV.
(44) Socrates, H.E., IV, 23.
(45) Pallad., Hist. Laus., ch. 1.
(46) Migne, P.G., XLVII, 1, col. 22.

أنطونيوس كان يحتفظ بنسخ خطية من مؤلفات البابا أثناسيوس وكان يدعو تلميذه أبراهام ليقرأ فيها أمام ضيوفه إذا أحس أن لهم ميولاً أريوسية (٤٧). وكان البابا أثناسيوس يرسل رسائل يسأل فيها دائماً عن صحة الآباء القديسين المتوحدين في شيهيت (شيهيت كانت تُطلق أيضاً حتى على نتريا والقلالي). كذلك نعلم أن خطابات كُتبت في نتريا لبابا الإسكندرية (٤٨) على يد آمون (الطبانيسي)، الذي هاجر من أديرة أنبا باخوم في أقصى الجنوب وسكن في نتريا شمالاً سنة ٣٥٥م.، وذلك لطمأنة البابا ثاوفيلس خليفة أثناسيوس الرسولي على صلابة أرثوذكسية الآباء الرهبان من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. كما كتب ثيئوذور الطبنيسي أحد كبار آباء أديرة باخوميوس خطاباً إلى شيوخ نتريا أرسله بيد أربعة رهبان طبنسيين (باخوميين) يقول فيه: [من ثيئوذور إلى الإخوة المحبوبين الساكنين في برية نتريا قسوساً وشمامسة ورهباناً. تحية في الرب. إني أود لو تعلموا أن افتراء الأريوسيين الوقح قد صعد إلى الله. والله اطلع على شعبه ونظر إلى المحنة التي يجتازونها ووعد أن يشفق على كنيسته وينقذها من هذا الإضطهاد. وإذ قد صارت هذه المواعيد هكذا، فينبغي من جهتكم أن تُعزُّوا الإخوة المتضايقين لئلا يتزعزع إيمانهم... كل الإخوة الذين عندنا يهدونكم السلام]. وحينما قرأ أمونيوس أولاً هذه الرسالة سراً على الشيوخ استحسنوا أن يقرأها مرة أخرى على مجمع الآباء والإخوة في اجتماعهم يوم الأحد بالكنيسة.

ومن هذا الخطاب الأخوي المعزِّي الذي يحمل روح النبوة نعلم مدى الصلات الوثيقة التي كانت مرتبطة بها الجماعات الرهبانية الباخومية (في طبنسين بإسنا) والأنطونية (في بسبير ببني سويف) والإسقيطية في نتريا والقلالي وشيهيت، ومدى الرباط الروحي واللاهوتي الذي كان يربط الأديرة بكرسي مار مرقس الرسول.



---

(47) Apoph. Patr., XXV, Sisoes.

(48) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, p. 70).

زيارة شخصيات هامة لنتريا كان لها أثر عالمي

١ ــ زيارة المؤرخ روفينوس ومعه القديسة ميلانيا الأسبانية: روفينوس ويُدعى بالكامل تيرانيوس روفينوس (٣٤٥ــ ٤١٠م.) كاهن مدينة أكويلا بشمال إيطاليا، رحل إلى الشرق سنة ٣٧١م.، وزار نتريا والقلالي وشيهيت، وكانت زيارته ذات أثر بعيد المدى على مسيحيي الغرب، لأنه هو أول من ترجم كل التراث القبطي والشرقي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية.

أما ميلانيا فهي امرأة أسپانية ثرية حفيدة مرسللينوس الذي كان بدرجة قنصل، ترملت بعد زواج قصير، رحلت إلى روما وتقابلت مع روفينوس واتجها معاً إلى مصر. قابلها پاللاديوس في نتريا وتحدث إليها ونقل إلينا أخبارها بالتدقيق: [باعت كل ما عندها وحولته إلى نقود، ولما وصلت إلى الإسكندرية سعت في طلب نتريا وقابلت الآباء الذين كانوا بصحبة بامو وأرسيزيوس وسرابيون الكبير وبافنوتيوس الشيهيتي وإسيذوروس المعترف(٤٩) (أسقف هرموپوليس ــ دمنهور) وديسقوروس؛ ومكثت هناك ستة أشهر (٣٧٣ــ ٣٧٤م.) تدور على المنشوبيات في كل ناحية وتسأل جميع قديسيها(٥٠)].

أما هي فقصت عليه خبر وصولها كالآتي: [حينما وصلت إلى الإسكندرية في رحلتي من روما، سمعت بسمو سيرة الأب بامو من المغبوط إسيذوروس الذي أخبرني عنه، وقادني إلى نتريا وأدخلني إليه، وكنت قد أحضرت معي ثلثمائة جنيه من الفضة وتضرعت إليه أن يقبلها، متفضلاً بذلك أن يقاسمني ثروتي. ولكنه وهو جالس موضعه يخيط في الضفيرة الخوص باركني وقال لي: «الله يعوضك»، وقال لخادمه أوريجانس(٥١): «خذ هذا المال ووزِّعه على رهبان ليبيا والجزائر لأن أديرتهم أكثر حاجة إليه،... ولا تعطِ شيئاً لأديرة مصر لأن خيرات البلاد كثيرة». ووقفت أنا منتظرة أن يمدحني أو يكرمني بسبب الهدية، فلما لم يكلمني على الإطلاق بادرته بالقول: «ليكن في علمك ياأبي أن قيمة هذا المال ثلثماية جنيه!!» أما هو فلم يتحرك وردَّ عليَّ: «إن الذي أحضرتِ إليه هذا المال لا يحتاج أن يعرف عدداً أو ميزاناً، فالذي يزن الجبال يعرف بالأكثر كمية المال الذي أحضرته. فلو كنتِ أحضرتِ المال لي كان يُحسب كلامك هذا حسناً، ولكن حيث أنك أعطيتِه لله الذي لم يحتقر فلسي الأرملة فالأفضل أن تسكتي». هكذا كان الحال عند دخولي للبرية. ولم يمضِ وقت طويل حتى رقد رجل الله وذهب إلى راحته وهو ابن سبعين سنة بدون أي مرض بل فارق الحياة وهو جالس يخيط زنبيله. وقد أرسل في طلبي عندما أحس بنهايته فوصلتُ في

(٤٩) أسقف دمنهور الذي استلم الأسقفية من دراكونيتس قبله وسلَّمها لديسقوروس بعده.

(50) Hist. Laus., ch. XLVI.

(٥١) أوريجانس ظل يخدم بامو حتى كفَّنه بيديه. وقد كان كاهناً مع بامو في خدمة كنيسة نتريا.

اللحظة التي كان يلفظ فيها نَفَسه الأخير، فقال لي: «خذي هذه السلة (مقطف) من صنع يدي حتى تذكريني لأني لا أملك شيئاً آخر أعطيه»].

أما ميلانيا فقامت في الحال وكفّنته بيديها في لفائف من كتان وقامت مع تلاميذه بدفنه ورحلت ومعها السلة (المقطف) الذي لازمها حتى ماتت(٥٢).

ومن نتريا إلى شيهيت: ويُقال أن ميلانيا انحدرت إلى شيهيت وهي التي قامت ببناء كنيسة لإسيذوروس القس(٥٣) (إحدى كنائس دير البراموس الآن)، وچيروم في خطاب له أرسله لروفينوس(٥٤) يقول إن روفينوس زار القديس مقاريوس الكبير في قلايته سنة ٣٧٣م.، أما روفينوس فيقول عن نفسه إنه ظل مدة وهو [تحت قيادة وتدبير **أساتذة الصحراء الكبار، مقاريوس تلميذ أنطونيوس** ومقاريوس الآخر (الإسكندراني) وإسيذوروس وباموكل أحباء الله الذين علّموني كل ما استلموه من الله](٥٥).

٢ ـــ زيارة إيفاجريوس البنطي لنتريا والقلالي ودخول عنصر الأوريجانية في الحياة الرهبانية:

إيفاجريوس، هذا الراهب الأجنبي الزائر، كان يمثل بالنسبة لكل براري نتريا والقلالي وشيهيت وكل مصر عنصراً دخيلاً خطيراً بالنسبة للحياة الرهبانية القبطية ذات الطابع الروحي القلبي البسيط. فقد كان مولعاً بالجدل العقلي والمعرفة القائمة على التأملات والتصورات وحدها، يعشق أوريجانس ويطبق أفكاره على المبادىء الروحانية ليحولها إلى علوم ومعارف وتدريبات. ويقول عنه المؤرخ الأمريكي إڤلين وايت: [أدخل عنصر العقلانية وصهرها بالحياة الرهبانية في مصر؛ فدخلت الرهبنة في مرحلة عقلية خطيرة انتهت بمحنة قاسية أودت بالحياة الرهبانية في نتريا كلياً. وبالرغم من بقاء بعض الآباء مثل القديس أور، وبيئور وباموكعُمُدٍ للرهبنة الوطنية الأصيلة ونظامها ومنهجها القبطي المثالي وبقيت بهم الرهبنة قوية ثابتة، إلا أنه في الربع الأخير من القرن الرابع (٣٧٥ـــ٤٠٠م.) قامت جماعة من الرهبان معظمهم من الأجانب أومن اليونانيين المتمصرين أمثال أمونيوس الطويل وديوسقوروس ويوثيميوس وياسبيوس وألبانيوس وهيراكس الصغير وهيراكس الكبير وكرونيوس وباللاديوس وعلى رأسهم جميعاً يأتي إيڤاجريوس، هذه الجماعة أدخلت خلسة إلى الصحراء عنصراً غريباً يقوم على الجرأة العقلية التأملية المبنية على الفلسفة اليونانية بدت غريبة وغير منسجمة مع الرهبان الأقباط

(52) Hist. Laus., ch. X.
(53) Zoëga, Cat. No. LXXI., Amél.; Hist. Laus., p. 96.
(54) Epist. III, Migne, P. L. XXII, col. 332.
(55) Apologia ad Anastasium II, 12.

الوطنيين] (٥٦).

وإيڤاجر يوس هذا (٣٤٥ـــ٣٩٩م.) حضر إلى مصر هارباً من الخطيئة سنة ٣٨٣م. بعد مؤامرة خطيرة مع امرأة متزوجة، وكانت توبته على يدي القديسة ميلانيا... وظل «يدرس ؟؟؟» النظام الرهباني في نتر يا سنتين، بعدها انحدر إلى القلالي وتتلمذ على مقار يوس الإسكندراني فبدأ يقلد تقشفاته وبرع فيها على مستوى البطولات، وضرب الأرقام القياسية في الصوم والسهر والصمت... إلخ. وهو الذي بدأ بدعة وزن الخبز وقياس الماء ومعايرة الز يت في طعامه، والإمتناع عن الإستحمام، وتحديد كميات وأرقام الصلوات بالعدد، وتعذيب الجسد بالعري في الشتاء والعيشة في العراء حتى انهدمت صحته وبدأ يداهمه الفشل النسكي، وأجبره المرض على كسر كل قوانينه مدة سنتين، ثم عاجلته المنية في سنة ٣٩٩ أو سنة ٤٠٠م. بعد ١٧ سنة قضى منها سنتين في نتر يا، و١٥ سنة في القلالي(٥٧).

ثم يقول عنه إڤلين وايت أيضاً [أنه كان الرأس المفكر للجماعة الأوريجانية (الإخوة الطوال)... وكانت تعاليمه كلها مشكوكاً فيها بل وأكثر من المشكوك فيها حتى أن القديس هيرو يقول إن كل الرهبان الذين تبعوا مبادىء إيڤاجر يوس وتعاليمه ضلوا. وقد حاول بالليديوس أن يُغطي على حقيقته وسمعته، ولكن ظلت سمعة تعاليم إيڤاجر يوس حتى القرن السادس تُذكر في القلالي أنها هرطقة، وظل الرهبان يعتقدون أن قلايته كان يسكنها الشيطان الذي كان يطغيه] (٥٨).

ويروي لنا السائح يوحنا موسخوس سنة ٥٨٠م. قصة الراهب الذي طلب من قس القلالي أن يسمح له بالتوحد في قلاية أوغر يس [لأنها كانت مبنية جيداً ومتسعة، وكانت مهجورة منذ زمن طويل جداً لم يسكنها أحد. فرفض القس قائلاً أن بها شيطاناً. ولكن ألح الراهب في طلبه حتى صرح له، وفي يوم السبت لاحظ الإخوة أنه لم يحضر إلى الكنيسة، فأرسل القس يستخبر عنه فوجدوه مشنوقاً في قلاية أوغر يس] (٥٩).

٣ ـــ ز يارة القديس والمؤرخ چيروم (إيرونيموس) لنتر يا ومعه القديسة الإيطالية پاولا:

چيروم (٣٤٢ـــ٤٢٠م.)، واسمه بالكامل يوسابيوس چيروم، من مشاهير دارسي الكتاب

(56) Ev. Wh., II, p. 85.

(57) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVIII; Butler, L. H., I, p. 181; II, p. 237.

(58) — Jerome, Ep. CXXXIII (Important).
— Pallad., Hist. Laus., ch. XXVI.
— Jean Moschus, Pat. Spirit., CLXXVII.
— Ev. Wh., II, p. 86.

(59) Jean Mosch., Pat. Spirit., ch. 177; Migne, P. G.: 87, 3008C.

المقدس وأوّل من ترجمه إلى اللاتينية (الڤولجاتا)، من مدينة قرب أكويلا بإيطاليا، اصطحب معه في زيارته لمصر الأرملة پاولا (تنيحت سنة ٤٠٤م.)، إحدى ثريات إيطاليا التي اشتاقت إلى حياة القداسة والبعد عن العالم، زارت أولاً قبرص، وتحدثت إلى القديس إبيفانيوس أسقفها، وذهبت إلى أنطاكية حيث تقابلت مع چيروم وقاما معاً قاصدين الإسكندرية، بقيا في الإسكندرية ٣٠ يوماً(٦٠) تتلمذ فيها چيروم حسب قوله على ديديموس اللاهوتي الإسكندري الضرير الذي كان يلقي محاضراته في المدرسة اللاهوتية الشهيرة. ومن الإسكندرية انحدرا معاً إلى نتريا سنة ٣٨٥م.، وبقيا هناك مُدة طويلة. وأهم ملاحظات چيروم في هذه الزيارة: [وقد قمت بجولة استطلاع شاملة على كل أديرة نتريا ولاحظت وجود ثعابين تجري بين قلالي القديسين...، وفي أثناء الزيارة كانت پاولا شديدة التأثر والفرح برؤية القديسين، وأخذتها غيرة وحماس لحياتهم... أن نطرون نتريا الطاهر قادر حقاً أن يغسل و يطهّر الكثيرين من خطاياهم... لقد رأت الأسقف إسيذوروس المعترف؛ وكثيرون من الآباء الكهنة القديسين استقبلوها بفرح، فكانت تمجد الله وتشعر أنها غير مستحقة لهذه الكرامة، لقد رأت المقارَين وأرسيزيوس (أكثر من واحد) وسيرابيون (أكثر من واحد) أعمدة المسيح، وزارت جميع قلاليهم وسجدت تحت أقدامهم، وكانت تشعر أنها رأت المسيح في كل واحد منهم. وعندما أعطت أموالها لهم شعرت أنها أعطتها لله... وكان حماسها لهم عجيباً، وكان احتمالها (لأتعاب التنقل بين آلاف الرهبان والمبيت في البرية) لا يصدّق بامرأة، لقد نسيت ضعف أنوثتها وطلبت أن تعيش بينهم، وقد رحبوا بها فعلاً وأعطوها كل مطالبها، ولكن غلبها في الآخر حنينها لأورشليم، فغادرت نتريا متجهة نحو الأراضي المقدسة](٦١). و يلاحظ هنا أن چيروم و پاولا زارا الإسقيط وتقابلا مع مقاريوس الكبير.

٤ ـــ زيارة بالليديوس التاريخية لنتريا والقلالي:

هذا هو بالليديوس صاحب التاريخ المشهور المعروف باسم «التاريخ اللوزياكي» Lausiac History الذي طالما استشهدنا به في كتابنا هذا، والحقيقة أن الرهبنة القبطية وتاريخ الأديرة في نتريا والقلالي وشيهيت مدينة لهذا الإنسان المبارك.

ولكن يلزمنا من البدء أن ننبه ذهن القارىء أن بالليديوس بالرغم من أنه رافق كثيراً مقاريوس الإسكندراني، إلا أنه كان أكثر ولاءً وتأثراً لإيفاجريوس منه لأي أب آخر، فهو يُعتبر كما يقول إڤلين وايت: «أحد زمرة الأجانب الذين عاشوا بين آباء مصر كعقلانيين» (٦٢)، لذلك فإنه بقدر ما كان له الفضل كل الفضل في حفظ تراث وأفكار ومبادىء وأسماء آبائنا العظام مخلّدة في صفحات التاريخ، فهو في نفس الوقت أحد الأجانب الذين أساءوا لمنهج الروحانية

(60) Apologia Ad Anastasium, 11, 12.

(61) Apologia III, 22; P.L. XXIII, col. 473.

(62) Ev. Wh., II, p. 87.

الرهبانية في نتر يا ومعولاً من معاول الهدم التي انهت على التراث القبطي الأبوي هناك وأوقفت نموه قبل نهاية القرن الرابع !!! لأن تأثير منهج العقلية الأوريجانية الذي عاشوا عليه وروجوا له ووضعوا مبادئه وأفكاره وتدار يبه أثَّر على روحانية الآباء البسيطة النيرة وحياتهم الطبيعية التي تقوم على مبدأ التسليم لأب الإعتراف واستلهام الجهاد الروحي يوماً بيوم بلا مناهج ولا تدار يب مستطيلة. فكان من نتيجة هذه المبادىء الأوريجانية أن دخلت نتر يا في صراعات مر يرة بسبب هذه الأفكار الفلسفية، وتشيَّع لها بعض الآباء، وتدخلت السلطة الكنسية، وكان تدخُّلها عنيفاً أزعج الحياة الرهبانية بجملتها و بدّد شمل الوحدة والمتوحدين.

والمعروف عن باللاديوس أنه وُلد في غلاطية سنة ٣٦٣م.، وترهبن في دير جبل الز يتون بأورشليم على يد إينوسنت(٦٣) الذي لازمه ثلاث سنوات نزح بعدها إلى الإسكندر ية سنة ٣٨٨م.، ورافق إسيذوروس(٦٤) صاحب دار الضيافة بالبطر يركية مدة، وهذا سلَّمه لمتوحد اسمه دورثيئوس الطيبي أو الصعيدي الذي كان يسكن في مغارة على بُعد خمسة أميال من الإسكندر ية(٦٥)، ولكن كانت معيشة هذا المتوحد فوق طاقة باللاديوس، فهجره والتجأ إلى نتر يا سنة ٣٩٠م. ومنذ بدء دخوله نتر يا التصق بجماعة العقلانيين الأوريجانية، هذا الحزب الذي يتكون معظم شخصياته من أجانب ومُتمصر ين كلهم عشاق لأفكار أوريجانس العقلية التأملية. و يذكر باللاديوس أن من باكورة معلميه: أرسيز يوس الكبير، بتيوباسطس، ماسيون، كرونيوس، سيرابيون. و بعد سنة واحدة في نتر يا انحدر إلى القلالي سنة ٣٩١م.(٦٦)، ورافق مقار يوس الإسكندراني الذي تنيح في يناير سنة ٣٩٤م.، فانضم لإيفاجر يوس(٦٧) وعاش تحت تدبير إيفاجر يوس مقيماً في منطقة القلالي ومتنقلاً من نتر يا إلى شيهيت تسع سنوات كاملة(٦٨) من ٣٩١ــ ٣٩٩م.(٦٩) وكان شديد الشغف بأوريجنس(٧٠) وأمونيوس الطو يل وأخيه ديسقورس و بقية العقلانيين(٧١). وكان معتاداً أن يزور شيهيت مع ألبانيوس وهيرو الإسكندراني(٧٢)، ونزل إلى ليكو بوليس (أسيوط) وزار حبيسها المشهور يوحنا الأسيوطي(٧٣) الذي تنبأ له أنه سيصير أسقفاً. وقد حضر باللاديوس موت معلمه إيفاجر يوس سنة ٣٩٩م.(٧٤).

وقد أصابه مرض في معدته وطحاله، فنصحه الأطباء بالذهاب إلى الإسكندر ية، لكن لم

(63) Hist. Laus., Ch. XLIV.
(64) Ibid., Ch. VIII.
(65) Ibid., Ch. II.
(66) Ibid., Ch. VII.
(67) Ibid., Ch. XIII, XXV.
(68) Ibid., Ch. XVIII.
(69) Butler, L. H., II, p. 245.
(70) Laus. Hist., Ch. X.
(71) Ibid., Ch. XXIV, XLVI.
(72) Ibid., Ch. XXVI.
(73) Ibid., Ch. XXXV.
(74) Ibid., Ch. XXXVIII.

يسعفه الطب فرحل إلى فلسطين ومنها إلى بيثينية حيث رُسم أسقفاً على هلينوبوليس سنة ٤٠٠ م كما تنبأ له القديس يوحنا الأسيوطي، وظل مرافقاً ليوحنا ذهبي الفم خمس سنوات. وبسبب ذلك نُفي سنة ٤٠٦ م إلى أسوان، وبقي في منفاه في صعيد مصر من ٤٠٦ ــ ٤١٢ م متنقلاً بين أسوان وأنتينوي (الشيخ عبادي) عاد بعدها إلى غلاطية. وفي سنة ٤١٩ ــ ٤٢٠ م وضع كتاب تاريخ الرهبنة الذي سُمي باسم الشخص المُهدى إليه «لوزاس» (٧٥).



شاهد حجري من إدفو منقوش بالحفر الخفيف يرجع إلى القرن الخامس/السابع
[محفوظ بالمتحف البريطاني]

(75) Ibid., Prologue.

الفصل الثاني

منطقة القلالي

الإسم اللاتيني: Cellia وتُنطق «سيليا».

الإسم اليوناني: τά κελλία وتُنطق قلاَّيا.

الإسم القبطي: NIPI وتُنطق نيري (أو نيرس).

الإسم العربي: «المونا» و يُعتقد أنه قبطي أصلاً.

وكلها تفيد معنى مجموعة من القلايات المنفردة التي يسكنها المتوحدون.

علاقة آمون بأنطونيوس، وظهور رهبنة القلالي:

يبدو من حياة آمون أنه كان ناسكاً أصيلاً بطبعه قبل أن يرجع إلى أي معلم، إذ استطاع أن يتسامى بروحه متجاوزاً حالة زواج كائنة فيحوِّلها إلى نسك و بتولية وانفراد. ولكن يبدو أن أول سعيه للتعرف بالقديس أنطونيوس كان عندما وجد نفسه مسئولاً عن جماعات رهبانية لم يسبق له فيها دراية أو خبرة. ونعلم من رواية القديس أثناسيوس أن آمون قام بز يارة أنطونيوس في الصعيد عدة مرات(1).

أما قصة ز يارة القديس أنطونيوس لآمون في نتر يا (إرجع إليها في صفحة ٤٩)، فتوضح نوع العلاقات الوثيقة بين الإثنين التي أثمرت لحساب النظام التوحدي الرهباني، وأنشأت طقساً وموضعاً وناموساً للمتوحدين، وهي منطقة القلالي المستقلة عن كل من نتر يا والإسقيط. وهذه الز يارة بالذات تُحسب في تار يخ الرهبنة نقطة تحوُّل ونمو غاية في الأهمية والدقة، من حالة عيشة شبه مشتركة بين متوحدين إلى عيشة توحدية مطلقة لرهبان منفردين.

وهذه المنطقة، أي منطقة القلالي، اختارها القديس أنطونيوس حسب طلب القديس آمون لتكون خاصة بالمتوحدين الذين لم يجدوا في نتر يا فرصاً للهدوء اللازم للحياة التوحدية الكاملة.

ومرة أخرى نجد مشكلة التعصب للأسماء. فالكُتَّاب اليونانيون يصرُّون على كتابتها

(1) A.M.G. Amél., XXV; Life of Antony, ch. 60.

τὰ κελλία ، والأقبـاط يـتـرجمونها كل مرة لتحمل المفهوم القبطي ⲙⲁⲛⲓ ، وأحياناً قليلة كانت تترجم Mona أي المساكن.

أخطاء في تحديد إقليم القلالي:

يـصـف كاسيان هذه المنطقة أنها متوسطة بين نتر يا والإسقيط فهي تبعد عن نتر يا بحسب تقديره خمسة أميـال ، كما تـبـعـد عـن الإسـقيط ثمانين ميلاً. وهذا الرقم طبعاً مُبالغ فيه جداً لأنها لا تز يد عـن ٧٢ كيلومتراً، والمؤسف أن معظم المؤرخين المحدثين لم يستطيعوا أن يحددوا موقع منطقة القلالي ولا نـتـر يا على الخر يطة الجغرافية على وجه الإطلاق، وقد تخبطوا في ذلك خبط عشواء، لذلك لزم التنبيه حتى لا يتوه القارىء في متاهاتهم. (أنظر الخر يطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

١ ــ **فالمؤرخ أميلينو** سنة ١٨٩٣م. اعتقد أن نتر يا والإسقيط هما معاً في وادي النطرون.
٢ ــ **والمؤرخ بـطـلر** سنة ١٩٠٤م. اعتقد أيضاً أن نتر يا في وادي النطرون والإسقيط يقع شمالها بمسافة خمسين ميلاً!! أما القلالي فاعتقد أنها شمال وادي النطرون أي شمال نتر يا!!
٣ ــ **والمؤرخ عـمـر طـوسـون** سـنـة ١٩٣٥م. اعـتـقـد أن القلالي موقعها عند جبال خشم القعود ١٥ كـم غـربي وادي الـنـطـرون، حيـث وجد بعض القلالي المتهدمة (هي منطقة كليماكوس في البر ية الجوانية).
٤ ــ **الـدكـتـور حـكـيم أمين** سنة ١٩٦٣م. وقد وقع أيضاً في نفس الأخطاء السابقة، مُعتقداً أن مـنـطـقـة نـتـر يـا والـقـلالي هي أيضاً في وادي النطرون: ص٥٦ من كتابه الذي نال عليه درجة ماجستراه «تار يخ الرهبانية والدير ية المصر ية».
٥ ــ **الدكتور ميناردوس** سنة ١٩٦٢م. وقع في نفس الخطأ وأخذ بأقوال عمر طوسون.

ولـكـن إذا تحـقـقنا هذا الموضوع بحسب الأخبار التي وصلت إلينا من أقوال الآباء(٢)، نجد أن المـسـافـة بين نـتـر يا والقلالي في حدود ١٢ ميلاً رومانياً أي ما يساوي ١٩ كيلومترا. ثم إذا أخذنا بـرأي روفـيـنـوس في تـار يـخ الـرهـبـنـة نجـد أن المـسـافـة في حـدود عشرة أميال رومانية أي ١٦ كـيـلومتراً(٣)، وسوزومين(٤) يطابق في تقديره ما قاله روفينوس. وكل هذه الفوارق تعود إلى نوع الـطـر يـق الذي يختاره المسافر، كما تعود إلى مقدار الإمتداد الذي بلغت إليه كل من نتر يا جنوباً والـقـلالي شـمـالاً، لأن هـذا يـقـلل حـتـمـاً مـن المسافة التي تفصل الجماعتين. إذن فينبغي جداً للباحث المدقق أن يعمل حساب الزمن في موضوع حساب المسافات.

---

(2) Apoph. Patr., Antony, XXXIV.
(3) Hist. Monach., ch. XXII.
(4) H.E., VI, 31.

ومن أقوال الآباء التي تكشف لنا بسهولة عن أن المسافة بين نتريا والقلالي كانت كبيرة فعلاً، ما جاء في قصة الأب أموي حينما قام هذا الأب بزيارة مع الأب بتيموس إلى شيهيت لزيارة الأب أخيلاس، وكان هذان الراهبان من القلالي، فلما سألهما أخيلاس من أين جاءا؟ فلأنهما خافا أن يقولا من القلالي (لأن القلالي كانت قريبة نوعاً ما من شيهيت، وخافا لئلا يخلي سبيلهما دون أن ينتفعا بالجلوس معه) قالا: «نحن من جبل نتريا». فللوقت أجابهما: «وماذا أستطيع الآن أن أعمله لكما وقد أتيتما من مكان قصيّ». إذن فقد صحّ أن القلالي كانت أقرب إلى شيهيت من نتريا بما لا يقل عن ١٦ أو ربما ١٩ كيلومتراً.

ويصف المؤرخ روفينوس منطقة القلالي هكذا:
[وبعد هذا المكان (نتريا) يوجد مكان آخر في البرية الداخلية يبعد عن الأول بحوالي عشرة أميال ويُدعى Cellia بسبب كثرة القلالي المنتشرة فيه.

ويعتزل في هذا المكان الذين سبق إقامتهم في نتريا ويطلبون أن يعيشوا في زهد وتقشف ووحدة أكثر. فهذا المكان هو بالفعل برية متسعة الأطراف؛ والقلالي الموجودة فيه مبتعدة الواحدة عن الأخرى بمسافات تحول دون رؤيتهم بعضهم لبعض وسماعهم بعضهم لأصوات بعض. فكل واحد منهم يبقى في قلايته في صمت تام وهدوء كامل، وهم يجتمعون فقط يومي السبت والأحد في الكنيسة فيتقابلون كما لو كانوا عائدين من السماء. وإذا غاب أحدهم عن هذا الإجتماع فالجميع يعتقدون أنه تعوق بسبب مرض جسدي فيذهبون لافتقاده، ليس جميعهم معاً بل في أوقات متخالفة وكل منهم يحضر شيئاً من عنده ينيح به المريض.

ولكن في غير حالة المرض لا يجسر أحدهم أن يقطع صمت جاره، إلا فقط إذا كان فيهم من يستطيع أن يعلِّم الآخرين بكلامه ويشجعهم، كمجاهدين في القتال، بكلماته المعزية. وكثير منهم يسير ثلاثة أو أربعة أميال حتى يصل إلى الكنيسة، وذلك بسبب المسافة الكبيرة التي تفصل قلاليهم عن بعضها البعض. ولكن المحبة الكائنة فيهم والمودة التي تربط بعضهم ببعض وبالجميع جعلتهم مثالاً للجميع وسبباً للإعجاب. وذلك حتى أنه إذا حضر أحد وأراد أن يسكن معهم فالجميع يقدمون له قلاليهم](٥).

ويلاحَظ أن المسافر في الطريق البري من الإسكندرية حول فم بحيرة مريوط متجهاً إلى المونا (القلالي) يمر أولاً ببلدة قديمة تسمى «تروجه» من أعمال البحيرة، وهي الآن «كوم اتروجه»، ويُقال أنها كانت مشهورة بزراعة الكمُّون وهي التي عبر عليها الأنبا بنيامين البطريرك ٣٨ في رحلته إلى شيهيت: [وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على فم بحيرة مريم وأتينا إلى

(5) Rufin; Hist. Monach., in Aegypto, 22, P.L. 21, 444B-445B.

تروجه، فقبلونا أولئك الرجال **أهل ذلك الموضع** (سكان علمانيون يزرعون المنطقة) بفرح عظيم، ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس الذي لأبونا إيساك على رأس جبل برنوج. فيالعظم فرح الإخوة (الرهبان) بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية، وأمسكونا عندهم يومين، ومن بعدها قمنا باكراً وركبنا دوابنا وهم يودعوننا، أولئك الإخوة المحبين للإله الذين وجدنا منهم ربح عظيم وافتقاد. ثم ابتدأنا بالمسير في الطريق المقفرة في البرِّية الداخلة داخل هذا القفر، وكان يمشي معنا الإخوة الذين من جبل نيري يدلُّونا على استقامة الطريق، وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله حتى أشرفنا على فم الوادي الذي في داخل جبل النطرون](٦).

وقد ظلت القلالي (سيليا، أو المونا) عامرة بالرهبان حتى القرن الثامن، إذ نقرأ في تاريخ البطاركة في سيرة يوحنا أسقف صا أو صايس [أنه أخذ توكيلاً من الخليفة والي البلاد بجمع الجزية بمعرفته من المسيحيين، فكان يفرض جزية مضاعفة على الهراطقة، وهكذا ذهب إلى إقليم «المونا»، وهناك خضع له الرهبان المنشقون أتباع غايانس (الغيانيين) و برصنوفيوس، فعمَّدهم وضمهم إلى الشركة مع الأرثوذكس](٧)، وذلك في زمان بطريركية أنبا ألكسندروس الثاني (٧٠٥ــ ٧٣٠م.).

وما أن جاء القرن التاسع حتى بدأت هذه المنطقة تفقد نضارتها ويهجرها المتوحدون الواحد تلو الآخر، حتى بنهاية هذا القرن كان يلفُّها كلها سكون الموت. و يصفها الرحالة المسمى «اليعقوبي» عَرَضاً أثناء وصفه للطريق بين مصر والمغرب، فيقول أنها برية مهجورة!! سنة ٩٠٠م.

وقد وجدنا في كتاب الخطط للمقريزي أن تروجه كانت محطة هامة للسفر من الإسكندرية إلى الفسطاط والعكس، بحيث كان يُحَطُّ فيها الرحال، وتستريح فيها الجيوش، و يتوقف عندها رَكْب الملوك(٨).

تعداد نتريا والقلالي سنة ٣٧٣م.:

بعد فترة عنيفة من الجهاد والدفاع والألم، و بعدما ذاقت نتريا والقلالي وشيهيت لذة الإضطهاد والتشريد والقتل من أجل العقيدة الأرثوذكسية على يد حكام بيزنطة وعملائها الأريوسيين، خرجت براري مصر و بالأخص نتريا وشيهيت مرفوعة الرأس ذات شهرة عالمية.

و يؤرخ روفينوس هذه الفترة كشاهد عيان وشريك في الآلام والطرد، و يقول أن عدد رهبان نتريا والقلالي في هذه الفترة ٣٧٣ــ٣٧٤م. كان نحو ثلاثة آلاف راهب؛ وقد ظل هذا العدد يتزايد حتى بلغ الخمسة آلاف في سنة ٣٩٠م.

(٦) مخطوطة ١٨ س، بمكتبة دير أنبا مقار.

(7) Evetts. Hist. of Patr., p. 228, 235.

(٨) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٣١٣.

شخصيات من نتريا والقلالي

١ ــ ثيئوذوروس: ويحتل المكانة الأولى بين تلاميذ آمون، فقد كان الممثل الشخصي لآمون، وقد ذُكر عنه في حياة باخوم (ثيئوذوروس الذي اتخذه آمون رفيق حياته)(٩). وقد ذكر اسمه القديس أثناسيوس في كتاب حياة أنطونيوس كزميل لآمون (فصل ٦٠). وكذلك فإن اسمه مذكور في أقوال أثناسيوس التي أرَّخها أمونيوس في الخطاب المشهور(١٠)، وذكره بالليديوس في كتابه في الفصل (٨)، والمؤرخ سوزومين في الفصل (١٤). ونسمع عنه في سنة ٣٥٥م. أنه رأى بنفسه القديس أمونيوس (الذي صار أسقفاً) الذي من طبانسين أصلاً (أديرة باخوم) وكان قد أرسله معلمه ثيئوذوروس التبانيسي (تادرس تلميذ باخوم) في هذه السنة ليتتلمذ لبامو وليعيش في نتريا موضع الرهبان الذين أشرقت عليهم النعمة على حد قوله. كما نسمع عنه سنة ٣٦٣م. حينما ذكر اسمه القديس أمونيوس بعدما صار أسقفاً في رسالته إلى أثناسيوس، ومنها نعلم أنه كان لايزال حياً. وقد وصفه أثناسيوس في كتابه عن أنطونيوس بقوله: [رجل طاهر قديس، أحب أن يكون مجهولاً بين قديسي الله].

والمعروف أنه كان يعيش مع الأنبا أور في عيشة ثنائية مشتركة، وقد قيل عنهما في أقوال الآباء: [وقد اعتادوا أن يحكوا لنا عن أنبا أور وأنبا تادرس أنهما بينما كانا يطليان قلايتهما بالطين قال أحدهما: ما بالنا الآن لو جاء الرب ليفتقدنا في هذه الساعة ماذا يكون من أمرنا؟ فبكيا عند تفكرهما في هذا الأمر، وتركا كل شيء ونزل كل منهما إلى قلايته](١١).

٢ ــ إسيذوروس: صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية، من الإسكندرية أصلاً، وُلد سنة ٣١٨م. وقد دخل الحياة الرهبانية صغيراً، والتحق بإقليم نتريا تحت رعاية الأب الكبير آمون بعد أن فرق جميع أمواله الطائلة على الفقراء وترك أختاً يتيمة وحيدة ترهبت في دير خارج الإسكندرية وكانت رئيسة لسبعين راهبة(١٢). زار القديس أنطونيوس الكبير، وقد رافق القديس أثناسيوس إلى روما سنة ٣٤١م.، ورسمه هناك قساً. وقد عانى من الإضطهاد الأريوسي على يد ڤالنس سنة ٣٧٣م.، ونُفي إلى إحدى الجزر. عاد بعدها وتولى إدارة بيت الضيافة المشهور بالكرسي الإسكندري.

---

(9) Ev. Wh., II, p. 50.
(10) P.G., XXVI, 982.
(11) Apoph. Patr., Or. VIII.
(12) Pallad., Laus. Hist., ch. I.

أرسله ثاوفيلس البطريرك ٢٣ إلى روما سنة ٣٨٨م. في مهمة برسالة سُرقت منه هناك فعاد لتوه. وقد حاول ثاوفيلس تقديمه بطريركاً على كرسي القسطنطينية ولكن يوحنا فم الذهب أحبط هذه المحاولة. ثم أرسله ثاوفيلس إلى فلسطين برسالة، فانحاز هناك ليوحنا أسقف أورشليم مما أثار عليه حفيظة چيروم وألصق به تهمة الأوريجانية التي لم تفارقه منذ ذلك الحين.

وقد نزل بالليديوس ضيفاً عليه وتقبّل منه نصائح الحياة الرهبانية الأولى. وبعد ذلك بأربعة أعوام وقع الخلاف المعروف بينه وبين ثاوفيلس، فغضب عليه واضطهده وبالأخص عندما ألصق به تهمة السماح لأحد المانيين بالمناولة. والحقيقة هي بسبب تصرُّفه في مبلغ أعطته له إحدى السيدات للإنفاق على الفقراء، فطلبه منه ثاوفيلس للصرف منه على عمارة الكنيسة فرفض. فكرهه ثاوفيلس وحرمه وطرده، فذهب إلى قلايته القديمة في نتريا. وبعدها ضيق عليه الخناق وزاد من اضطهاده له حتى غادر الإسكندرية والتجأ إلى يوحنا ذهبي الفم مع الإخوة الطوال، حيث شارك هناك في الصلوات دون الأسرار. وقد تنيح سنة ٤٠٣م. عن ٨٥ سنة بعد رجوعه من القسطنطينية مباشرة ودُفن بالإسكندرية (١٣).

٣ ــ أغاثو: وهو رفيق عزيز لآمون أيضاً، وكانا ينزلان معاً لبيع صنع أيديهما. والمعروف عنهما أنهما كانا يبيعان شغل أيديهما بدون فصال. ولكن يلاحَظ أن أغاثو ذُكر أيضاً بين رهبان شيهيت. فإما أن أغاثو انتقل إلى هناك؛ أو أنه كان يوجد أغاثو آخر في شيهيت. وقد روى عن أغاثو أقوال عديدة وهي مثبتة في مجموعة أقوال الآباء.

٤ ــ نشنائيل: وقد أفرد له بالليديوس صفحة كبيرة يقص فيها خبراً عن هذا القديس، يكشف لنا عن حالة المتوحدين الأوائل وحروبهم في هذه المنطقة. فقد عاش هذا الناسك أكثر من ٣٧ سنة في نتريا، ورقد قبل أن يحضر بالليديوس بحوالي ١٥ سنة. وإذ نعلم أن بالليديوس حضر لنتريا سنة ٣٩٠م.، إذن فقد انضم نشنائيل إلى جماعة نتريا قبل سنة ٣٣٨م.، وذلك قد يكون في حياة آمون نفسه. ويقول بالليديوس أنه رأى قلايته ولكنه وجدها مهجورة لأنها أصبحت قريبة من المنطقة الآهلة بالسكان (قريبة جداً من العالم). ويعلق بالليديوس على ذلك بقوله: لأنها بُنيت في وقت «كان المتوحدون قليلين»، مما جعل نشنائيل يخضع لإغراء شيطاني حثّه على تركها لبناء قلاية أخرى أقرب إلى القرية. ولكنه بعدما أحس بالخديعة وظهر له الشيطان شامتاً، قام في الحال وذهب إلى قلايته الأولى وعاش فيها ٣٧ سنة، أي كل بقية أيام حياته دون أن يخطو خارج حدودها.

---

(13) Sozom., H. E., VIII, 2, 11. & Pallad., Hist. Laus., 1, 2. & Theod., H.E., IV, 21. & Vita Chrysost., p. 20-23. & Jerome, ed. Vall., II, 477. & Socrat., H.E., VI.

٥ ــ بيئور: و يُنطق بالقبطية بيهور (الذي للإله حورس) وهذا غير أبا أور. واحد من أقدم الذين عاشوا في نتريا. و يُذكر عن هذا الأب المخضرم أنه بدأ حياته مع القديس أنطونيوس، وعاش في كنفه مدة «سنين قليلة»، وكان عمره حينئذ ٢٥ سنة. ولكن اشتياقه إلى الوحدة المطلقة اشتد عليه، فبعد أخذ موافقة الأب أنطونيوس انطلق إلى نتريا وعاش في قلاية بعيدة بين نتريا والإسقيط، ربما متاخمة لمنطقة القلالي، وحفر بئراً مصمماً أن يكتفي بمائه مهما كانت رداءته، فخرجت منه مياة مُرَّة لم يستطع أحد من زائريه أن يشرب منها. فكانوا يُحضرون معهم ماءهم للشرب منه حينما كانوا يفتقدونه. و بالرغم من ذلك استطاع هذا العملاق الروحاني أن يعيش على هذا الماء ٣٠ سنة حتى تنيح(١٤)، ولم يُغيِّر موضعه ولم يذُقْ ماءً سوى ذلك المر الذي صار في فمه حلواً. وكان يكتفي بالخبز الجاف وخمس زيتونات يومياً: [وكان هذا الروحاني قد عاهد نفسه والله أن لا يرى أحداً من أهله بعد رحيله من الدنيا. وأخيراً بعد ٣٠ سنة من وحدته وعزلته علمت أخته بمكانه وأنه لا يزال حياً فصممت أن تراه مهما كلفها ذلك. ولكن عبثاً عادت المراسيل وأخفق أولادها جميعاً في إقناع خالهم بالمجيء لرؤية أخته. وأخيراً التجأت هذه الأخت الملتاعة إلى الأب أنطونيوس وألحت في رجائها، فأرسل الأب الكبير يحث بيهور أن يستجيب لرجاء أخته، فما كان من بيهور، تحت اضطرار الطاعة، إلا أن قام فعلاً وذهب إلى بيت أخته ووقف على الباب مغلق العينين حتى تمت المقابلة دون أن يفتح عينيه!...](١٥).

وفي رواية بالليديوس (١٦) يقول أن هذه الأخت التجأت إلى أسقف هرموبوليس پارفا (دمنهور)، الأبروشية المتاخمة لنتريا، الذي أرسل إلى الشيوخ ليقنعوه بالزيارة، وأن ذلك كان بعد ٥٠ سنة. و يعلق المؤرخ تلمونت على ذلك بقوله أن بالليديوس ربما قصد تحديد عمر بيهور عند المقابلة. وقد عُرف عن بيهور أنه كان يأكل وهو يتمشى. فلما سُئل عن ذلك قال: «حتى لا أُعطي لجسدي فرصة للتلذذ بالأكل».

وبحسب هذه الرواية يكون بيهور قد تقبَّل تلمذته من الأب أنطونيوس سنة ٣٢٥م.، وأنه رحل إلى نتريا سنة ٣٣٠م.، وأنه نزل إلى زيارة أخته سنة ٣٥٥م.

وفي خطاب أمونيوس الذي صار أسقفاً (وكان باخومياً أصلاً) لثاوفيلس سنة ٣٩٠م.، يذكر أن بيهور كان مع بامو (ⲡⲁⲙⲱ) كأحد الشيوخ (أو ربما الكهنة بريزفيتيروس) عند حضوره إلى جبل نتريا في سنة ٣٥٥م. كما يذكر أن بيهور «نال موهبة الشفاء من الرب». أما عن نياحة بيهور فالمرجح أنه رقد سنة ٣٦٠م. بحسب رواية كتاب «حياة الآباء»(١٧) (الذي هو

---

(14) Ev. Wh., II, p. 52.

(15) Apoph. Patr., Pior. 11.

(16) Hist. Laus., XXXIX.

(17) Vitae Patrum, III, p. 503 (Roysweyd).

أقوال الآباء إنما باللاتينية).

٦ ــ أبا أور: (وهو غير بيهور). لا يقل شهرة عن بيهور بل ربما يفوقه. فقد كان من أوائل التلاميذ الذين عاشوا مع آمون، وقد حرص بالليديوس أن يذكره مباشرة بعد آمون. و بالرغم من أن له أقوالاً كثيرة، إلا أن المعروف عن حياته قليل جداً. و بالبحث يمكن تحديد نياحته بين زمن زيارة ميلانيا سنة ٣٧٣ــ٣٧٤م. وزمن وصول بالليديوس إلى جبل نتريا سنة ٣٩٠م.

وفي أقوال الآباء نجده يُذكر دائماً مع أبا ثيئوذور، (وعلى الأرجح أن يكون هو تلميذ آمون البكر)، كما يُذكر مع الأب شيشوي، غير أن شيشوي يظهر في الصورة كتلميذ يسأل أبا أور.

ونحن نعلم أن شيشوي ترك شيهيت وذهب وسكن في مغارة أنبا أنطونيوس بعد نياحته مباشرة سنة ٣٥٦م. إذن تكون حياة أبا أور قد ابتدأت في نتريا قبل ذلك الزمان بكثير جداً، ونعرف لأبا أور تلميذاً يُدعى بول ذُكر مرتين(١٨). و يذكر لنا بالليديوس أنه سمع من ميلانيا ومن إخوة نتريا مديحاً حاراً عطراً إذ قالوا عنه: [هذا النموذج الكامل لم يكذب قط، لم يحلف قط، لم يلعن قط، لم يتكلم إلا عن اضطرار أو حاجة](١٩).

والمأثور من أقواله: [إن تاج الراهب اتضاعه](٢٠). [في أي تجربة تأتيك لا تلُمْ أحداً ولكن لُمْ نفسك وحدك، وقُلْ إن هذه المحنة أتتني بسبب تعدّياتي](٢٠). [إذا تكلمت على أخيك من ورائه ونخسك قلبك على اغتيابك له، فاذهب في الحال وتُب إليه وقل له: قد اغتبتك... ثم أكِّد له أنك لن تعود إلى ذلك لأن الإغتياب هو موت للنفس](٢٠).

٧ ــ بامو: (بامبو أو بامبونيوس باليونانية، و بالقبطية ⲡⲁⲙⲱ) و يُنطق و يُكتب خطأ «بموا». من أكثر القديسين شهرة في كل براري مصر. وُلد هذا القديس في أوائل القرن الرابع مع القديس مقاريوس تقريباً، وتنيح عن سبعين عاماً. وكانت نياحته في وجود ميلانيا القديسة الأسبانية صديقة القديسين حوالي سنة ٣٧٣م.(٢١)، وإن كان من الأمور المتيقنة أنه رأى ثاوفيلس البطريرك ٢٣ الذي رُسم سنة ٣٨٥م. وكان اعتزاله العالم والتجاؤه إلى نتريا في زمن مبكر من حياته. والمعتقد أنه من أوائل من لازموا آمون الكبير في نتريا. و يضعه روفينوس(٢٢) مع تلاميذ أنطونيوس الكبير أيضاً. ويحكي لنا سقراط طرائف في حياة بامو الأولى عن بساطته الحكيمة وعن أُميته الفيلسوفية فيقول: [ولما كان بامو لا يعرف القراءة والكتابة، فقد اتفق مع أحد الإخوة أن يعلّمه المزامير (غيباً)، فكان الدرس الأول حفظ المزمور ٣٩ الذي

(18) Apoph. Patr., Or, VII.

(19) Pallad., Laus. Hist., ch. XI.

(20) Apoph. Patr., Or, IX, XII, XV.

(21) Pallad., Laus. Hist., ch. X. & Butler, L.H., 4.

(22) Ruff., H.E., II, 4.

يبدأ هكذا: «أنا قلتُ إني أتحفظ في طرقي حتى لا أخطىء إليك بلساني». فا أن سمع بامو هذا القول حتى قال لرفيقه: «قبل أن نتعلم المزيد يحسن بي أن أعتزل قليلاً حتى أضع هذا القول موضع التنفيذ»!... ولما انقضت ستة أشهر ولم يحضر بامو للإستزادة من الحفظ والتعلم، ذهب إليه رفيقه يستخبره الأمر في عدم عودته إليه. فقال له بامو: «لأني لم أتعلم بعد أن أعمل وفق هذا القول الذي سمعته»](٢٣).

وقد عُرف عن بامو تمسكه بفضيلة الصمت تمسكاً يفوق كل اهتمام آخر، فقد حدث لما زار ثاوفيلس البطريرك ٢٣ نتريا أن سبق الإخوة وذهبوا إلى بامو وتوسلوا إليه أن يتحدث مع البطريرك، فما كان منه إلا أن قال لهم: [إذا لم ينتفع بصمتي فلن ينتفع بكلامي](٢٤).

وبالرغم من أن بامو بدأ حياته لا يعرف القراءة والكتابة إلا أنه يُظن أنه أتقنها في وحدته، فقد قدموه كاهناً سنة ٣٤٠م.، وقد سبق القديس مقاريوس في ذلك بمدة وجيزة، لأن مقاريوس رُسم في هذه السنة أيضاً. وهذا يشير إلى قدم رهبانيته التي تُماثل القديس مقاريوس أوتزيد. وكان القديس مقاريوس معتاداً أن يذهب إلى نتريا لكي يحضر الكنيسة ويتناول من يديه قبل أن يكون في الإسقيط كنائس. وذُكر مرة [أنه ذهب من شيهيت إلى نتريا حتى يحضر تقدمة بامو](٢٥). ويُذكر دائماً مع بيهور الذي يصفوه أنه (خادم أمين لله، نال نعمة الشفاء من الله. وأنه من أشهر شيوخ «كهنة» نتريا سنة ٣٥٥م.). وروفينوس يصفه بأنه في مصاف مقاريوس، ومع إسيذوروس كواحد من كبار آباء نتريا(٢٦). وجيروم يكتب إلى يستوخيوم عن بامو أنه أحد ثلاثة يمثلون المجمع الأعلى للحكم: مقاريوس وإسيذوروس وبامو(٢٧). ومعروف أن بامو كانت له مكانة عظيمة عند القديس أثناسيوس، وقد استدعاه إلى الإسكندرية ليقوم بدور أنطونيوس ضد الأريوسيين، وهو الذي [بكى عندما رأى امرأة فاسدة في شوارع الإسكندرية، فلما استخبروه عن السبب قال: أبكي عليها وعلى حالي، عليها لأنها ماتت، وعلى نفسي لأني لا أملك الغيرة على إرضاء الرب كما لهذه المرأة لإرضاء الأشرار](٢٨).

وكان لبامو تأثير روحي وناموسي عالي على كل إخوة نتريا وشيهيت والكل، فقد أقنع الرهبان جميعاً أن يقدّم كل واحد منهم أردباً من القمح سنوياً برسم المحتاجين(٢٩).

والمعروف أن سلوك بامو وأقواله وحياته كانت بحد ذاتها على مستوى الشرع والناموس الذي

---

(23) Socrat., H. E., IV, 23.
(24) Apoph. Patr., Theoph., 15.
(25) Ibid., Makar., Eg. 11.
(26) Apologia ad Anastasium - Ev. Wh., II, 54.
(27) Epist. XXII.
(28) H.E., IV, 23.
(29) Zoëga, cat. LXXI.

يُقتدى به في نتريا وكل شيهيت. فهو الذي وضع ناموس الفقر الإختياري في ملبس الراهب، وجعل حدَّه [أنه إذا ترك الراهب ملابسه خارج قلايته ثلاثة أيام، لَعَافَ أيُّ لص عن أن يمد يده إليها](٣٠). وحتى اليوم يوجد في كل دير من يعشق مبدأ بامو.

ولقد ظل الأب اسحق قس القلالي يوبخ الرهبان بعد ذلك بسبب جنوحهم ناحية التأنق في الملبس(٣١).

وكان بامو يعشق الإتضاع، والمعروف عنه أنه ظل يصلي بدموع ثلاث سنوات حتى لا يُمجده الله على الأرض!! [ولكن الله مجده في اتضاعه حتى أنه ما كان أحد يستطيع أن ينظر إلى وجهه بسبب الهيبة والجلال اللذين كانا يشعان من وجهه](٣٢). وقد حكى الأنبا بيمن أن الأب الكبير أنبا أنطونيوس قال عن هذا القديس بامو: [إن المخافة التي فيه جعلت الروح القدس يرتاح في الوجود معه](٣٣).

وقد شهد له الأنبا بيمن بثلاث فضائل لم يتخلَّ عنها:
الصوم الدائم حتى الغروب، الصمت، والعمل المتواصل(٣٤).

والمأثور عن بامو أنه عند لحظة موته والآباء مجتمعون حوله، نظر إليهم وقال: [منذ أن أتيتُ إلى هذا الموضع وبنيتُ هذه القلاية لا أذكر أبداً أني أكلتُ خبزاً من غير عرق جبيني، ولم أندم قط على كلمة قلتها، وبالرغم من ذلك فإني ذاهب إلى الرب بإحساس إنسان لم يبدأ بعد جهاد الفضيلة](٣٥).

٨ ــ أمونيوس الطويل = باروتيس παρωτίς = ذو الأذن الواحدة:

وُلد حسب تحقيق بالليديوس وإڤلين وايت سنة ٣٤٠م.، وانضم إلى رهبان نتريا سنة ٣٦٠م.، وكان أحد تلاميذ الأب بامو، ومن مشاهير رهبان نتريا. وإذ كان طوله غير عادي هو وإخوته الثلاثة الذين ترهَّبوا معاً، سُمُّوا جميعاً بالإخوة الطوال وهم: ديسقوروس الذي رسمه ثاوفيلس أسقفاً على دمنهور، ويوسابيوس، وأُثيميوس(٣٦) وكان لهم أختان ترهَّبتا معهم أيضاً. وكان أمونيوس أخوهم أكثرهم علماً وفضيلة بل وأكثر رهبان نتريا جميعاً. وكان في شبابه يعذب جسده بالنار إذا ثارت عليه الشهوة، حتى احترقت أعضاؤه. وكان لا يأكل أطبخة على الإطلاق منذ فجر شبابه حتى يوم نياحته، بل يعيش على الخبز والخضروات غير المطبوخة. وقد أتقن حفظ

(30) Apoph. Patr., Pambo, VI.
(31) Ibid., Isaak, VII. (32) Apoph. Patr., Pambo, 1.
(33) Ibid., LXXV. (34) Ibid., CL.
(35) Pallad., Laus. Hist., ch. X.
(36) Sozom., E.H., VIII, 12.

العهدين القديم والجديد حتى كان يتلو آلافاً من الآيات عن ظهر قلب. وكان يستظهر كتب العلماء: أوريجانس وديديموس وغيرهم. وكان مشهوراً جداً بين الآباء بنشاطه ولطفه ووداعته وحبه وخدمته لكل إنسان، حتى قيل أنه خدم البرية كلها. فكان هو الوحيد الذي أخذ على عاتقه السفر مع الآباء كدليل مرشد للمواضع النائية، كما اشتهر بأنه كان يترك قلايته دائماً لكل راهب جديد و يبني لنفسه أخرى(٣٧). وقد شهد له أوغريس: [إني لم أرَ إنساناً قمع شهوته مثل أمونيوس]. و بسبب هذه الشهرة حاول بعض الأراخنة رسامته أسقفاً على مدينتهم والتجأوا إلى الأنبا تيموثاوس البطريرك ٢٢ (٣٨١ــ٣٨٥م.) الذي وعدهم برسامته أسقفاً إذا أحضروه إليه. فلما جاءوا إليه وحاصروه غافلهم وقطع أذنه اليسرى لكي لا يترك وحدته في الصحراء قائلاً: «الآن تأكدوا أنه يستحيل رسامتي لأن القانون يمنع»، فلما ذهبوا إلى الأنبا تيموثاوس وأعلموه بالأمر قال لهم: «دعكم من قانون اليهود هذا. إذا أحضرتم لي إنساناً مناخيره مقطوعة وكان مستحقاً من كل الوجوه فإني أرسمه». فلما تشجعوا وعادوا إلى أمونيوس هدّدهم بأنه سيقطع لسانه، فخافوا وتركوه. وقد عاش بعد ذلك بأذن واحدة، لذلك اسموه پاروتيس أو ذو الأذن الواحدة(٣٨).

وقد عانى النفي إلى نيوقيصرية أيام اضطهاد ڤالنس سنة ٣٧٣م. وقد اتُّهم هو وإخوته بالأوريجانية، واضطهدهم ثاوفيلس اضطهاداً مريراً وطردهم مع أخيهم الأسقف ديسقوروس. و يقول المؤرخون إنه كان اضطهاداً مغرضاً وشخصياً وليس بسبب لاهوت أو مبادىء، لأنهم ناصروا اسيذوروس صاحب بيت الضيافة في نزاعه مع ثاوفيلس الذي اتهمه وظلمه وحرمه ظلماً أيضاً(٣٩).

فلما طردهم ثاوفيلس ــ و يقول بالليديوس الذي قابل أمونيوس الطويل أنه كان وقتئذ ابن ٦٠ سنة ــ التجأوا إلى يوحنا فم الذهب سنة ٤٠٠م. الذي قَبِلهم وعزاهم، ولكن لم يشركهم في القرابين، بل رحب بهم في حضور الصلوات فقط. فلما حضر ثاوفيلس إلى القسطنطينية في مجمع البلوطة سنة ٤٠٣م. صالحهم. ولكن كان أمونيوس قد اعتلّت صحته جداً، ومات هناك ودُفن في مقبرة تسمى روفينيانا Rufiniana ، فبكى عليه ثاوفيلس(٤٠)، واعترف أمام الجميع أن أمونيوس كان أقدس راهب في زمانه، وكان هذا الإعتراف أكبر فضيحة لثاوفيلس الحقود!! وقد ترك هذا الراهب الفاضل كتاباً في النسك اسمه «أصول النسك»، معروف منه الآن ٢٢ فصلاً(٤١).

---

(37) Ruff., 23 (Hist. Monach.).

(38) Niceph., E.H., XI: 37 & Pallad., L.H., Ammon.

(39) Sozom. E.H., VIII, 12.

(40) Ibid., 17.

(41) Lambec. Biblioth. Vindob., IV, 155.

٩ ــ أرسيز يوس وكرونيوس وآخرون:

لقد استقى بالليديوس كل معلوماته عن آمون الكبير من القديس أرسيز يوس(٤٢) وآخرون معه كانوا على صلة بآمون(٤٣). و يؤكد بالليديوس معتمداً على معرفته المباشرة لأرسيز يوس أن هذا الأب أرسيز يوس كان رئيس الثمانية كهنة المُعيَّنين على نتر يا كل أيام حياة آمون. أما بقية الثمانية فيعتقد بالليديوس أن منهم كان بتيو باستس وآصيون وكرونيوس وسرابيون. ولكن ما وصل إلينا عن هذه الأسماء شحيح للغاية باستثناء كرونيوس وسرابيون.

١٠ ــ كرونيوس: وكان يُدعى كرونيدس، هذا عاش ١١٠ سنة، وكان حياً عند ز يارة كل من بالليديوس وصاحب التار يخ الرهباني (روفينوس؟) لنتر يا سنة ٣٩٤ــ٣٩٥م.، والمعتقد أنه من مواليد سنة ٢٨٥م. وهو يحكي لپالليديوس عن نفسه فيقول إنه هرب من ديره والتجأ إلى الأب أنطونيوس في بسبير (في بكور القرن الرابع) حيث ظل عنده ليعمل له كمترجم للغة اليونانية، و بعدها ارتحل إلى الإسكندر ية وعاش في أديرتها، ثم إلى نتر يا.

وقد عاش منفرداً بعيداً عن المنطقة الآهلة بالسكان، واجتمع إليه ٢٠٠ تلميذاً، وعلى مدى ٦٠ سنة ظل يكهن لهم، ولم يغادر الصحراء مرة واحدة، ولم يأكل خبزاً بغير ثمن يدفعه من عرق جبينه ولا مرة واحدة. وحياة كرونيوس في التار يخ الرهباني تعتبر ركيزة صخر ية، لأنه أعطى لأجيال الرهبان التي عاصرها (١١٠ سنة) صورة للنسك الرز ين والثبات الروحي النادر المثال، فكان خير سفير لأنطونيوس في براري نتر يا، و بالتالي كان معيناً لآمون خير معين! وقد أعلنت الكنيسة قداسته واعتُبر ضمن قديسيها الذين تتشفع بصلواتهم(٤٤).

ولعل من مآثر وفضائل كرونيوس التي تركها لنا هي في تلميذه إسحق قس القلالي الشهير، فهو تلميذه المباشر الذي حمل نوره عبر القلالي كلها وإلى شيهيت.

١١ ــ إسحق قس القلالي: هو تلميذ القديس كرونيوس، وقد خلفه بعد مدة في رئاسة نتر يا وذلك حوالي سنة ٣٩٥م.، وكان وقتها كرونيوس لا يزال حياً(٤٥) ابن ١١٠ سنة. وقد عاش بعد موت كرونيوس مع ثيئوذور البرامي متتلمذاً له.

يخبرنا بالليديوس أنه كان رئيساً على ٢١٠ راهباً، و يقول أيضاً أنه بنى مضيفة للغرباء في منطقة القلالي لراحة المسافر ين الذين يأتون لز يارة الآباء ولإيواء المرضى أيضاً.

---

(42) Pallad., Laus. Hist. ch. X.

(43) Ibid., ch. VII.

(44) Dict. of Biog., Cronius, p. 716.

(45) Hist. Monach., ch. XXVI. & Pallad., Laus. Hist., ed. Butler, ch. XXI.

وقد عاش القس إسحق في نسكه ٣٠ سنة، وكان واحداً ضمن مجمع الثمانية شيوخ الذين يحكمون نتريا والقلالي، وكان حاضراً في زمن مجيء ثاوفيلس إلى نتريا لمحاكمة الإخوة الطوال. وكان نصيبه الطرد أيضاً مع ٣٠٠ راهب منهم الكهنة والشمامسة والشيوخ الذين بلغوا ٩٠ سنة مثل هيراكس أحد تلاميذ الأب الكبير أنطونيوس (أنظر تاريخ حياته بالتفصيل(٤٦) مع سيرة سَمِيِّه إسحق قس شيهيت في شخصيات شيهيت).

١٢ ـ إسحق «شيهيت»: هذا خرج إلى الصحراء وهو ابن سبع سنوات، وبالرغم من صغر سنه فكان يحفظ اصحاحات من الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وكانت له مواهب على صغر سنه هذا. فكان يمسك الأفعى المقرنة (من أخطر أنواع الثعابين) بيديه دون أن يمسه ضرر.
وعندما جاء ثاوفيلس ٢٣ لمهاجمة الرهبان في نتريا بسبب الإخوة الطوال، كان وقتها سِنَّهُ خمسين سنة وله ٤٠ سنة في الرهبنة، وكان رئيساً على ١٥٠ راهباً.

١٣ ـ مقاريوس الإسكندراني: لا يمكن أن تُذكر منطقة القلالي ولا يبرز في المقدمة اسم مقاريوس الإسكندراني، مع أنه لم يكن من المؤسسين لهذه المنطقة، إذ قصدها هذا القديس وهي عامرة بالآباء العظام وذلك سنة ٣٣٥م.(٤٧)، أي بعد وصول آمون الكبير إلى نتريا بعشرين عاماً أو يزيد قليلاً، وكان عمر القديس أنبا مقار الإسكندراني وقتئذ حوالي ٣٨ أو ٣٩ سنة. وقد رآه المؤرخ بالليديوس في زيارته لنتريا والقلالي سنة ٣٩٠م. وتتلمذ على يديه ثلاث سنوات. و يقول بالليديوس أنه حينما تقابل مع مقاريوس الإسكندراني كان حينئذ قد ناهز المائة عام، كما عاش بعد هذه المقابلة ثلاث سنوات أيضاً. والمعروف أن الإسكندراني تنيح سنة ٣٩٣م.، فيكون عمره وقت نياحته أكثر من مائة عام، ولكن غير معروف تحديده تماماً. وتكون أيضاً السنين التي قضاها ناسكاً في براري نتريا والقلالي وشيهيت حوالي ٦٥ عاماً على الأقل. و يُحدد العلماء مولده حوالي سنة ٢٩٧ أو ٢٩٦م. ولكن المؤسف حقاً أن شهرة مقاريوس الإسكندراني التي بلغت الآفاق والتي تناقلتها الأجيال هي أعلى بكثير من مواصفات سيرته التي بين أيدينا. فالمدونات التي سجلها المؤرخون عنه لا تحوي شيئاً بالمرة يحقق لنا نوع عظمة هذا القديس، أو يكشف لنا عن مبادئه النسكية أو الفكرية، فسيرته التي رواها المؤرخون عنه عبارة عن قصص بطولية في النسك وحسب.

أما من جهة حياته الأولى فغامضة لا نعرف عنها شيئاً سوى أنه كان من مواطني المدينة العظمى الإسكندرية، لذلك يدعى بالمَدَني Politicus ، من عائلة فقيرة، وأن صناعته الأولى

(٤٦) أنظر صفحة : ٢٧.

(47) Butler, Hist. Laus., ch. XVIII.

كانت اولا خبازا، ثم اشتغل بالتجارة في الحلويات او الفواكه المجففة والخمور حسب النص السرياني. وقد تعمَّد وهو في سن الأربعين، ثم انخرط في سلك الرهبنة بعد أن زار القديس أنطونيوس سنة ٣٣٥م.، ولأنه كان معاصراً للقديس أنبا مقار المصري الكبير ومن سِنّه تقريباً، فكثيراً ما تتداخل الأسماء والصفات والأحاديث فلا نعرف أيهما المقصود إلا بصعوبة.

وأول هذه الإشكالات التلمذة للقديس أنطونيوس. فكثيراً ما خلط المؤرخون بين المصري والإسكندراني في أيهما كان بحق تلميذاً للقديس أنطونيوس. فالمؤرخ روفينوس(٤٨) يذكر في تاريخه الكنسي المقارَيْن ضمن آخرين باعتبار أن الجميع كانوا تلاميذ لأنطونيوس: «المقاران واسيذوروس وهيراكليدس وبامو، وهؤلاء كانوا تلاميذ للقديس أنطونيوس». في حين أن بالليديوس يصمم أن واحداً منهما فقط كان تلميذاً لأنطونيوس. ولكن يعود روفينوس نفسه في مواضع أخرى(٤٩) يميز بين الإثنين في أن أحدهما كان صديقاً وتلميذاً لأنطونيوس الكبير، وأن أحدهما كان يقطن الصحراء شمالاً (نتريا) والآخر جنوباً (شيهيت). ولكن يأتي مؤلف كتاب التاريخ الرهباني، فيقطع قطعاً أن القديس أنبا مقار المصري أي الكبير كان هو الوحيد في المقارات المعتَبَر وريثاً لفضائل أنطونيوس وبركته. وتأتي مجموعة «أقوال الآباء» وتوضح بغير لبس أن أنبا مقار المصري هو الذي زار القديس أنطونيوس الذي ألبسه الإسكيم وتقبَّل النصائح الرهبانية من فمه. ولكن على أي حال فالمتداول تاريخياً أن أنبا مقار الإسكندراني قام بزيارة القديس الكبير أنبا أنطونيوس سنة ٣٣٥م.

يبقى السؤال: على يد من تتلمذ القديس أنبا مقار الإسكندراني؟

المتحقق لدينا أن آمون الكبير تنيح سنة ٣٣٧م. بعد أن قضى حوالي ٢٢ سنة في نتريا، تاركاً القديس بامو أعظم تلاميذه ليكون رئيساً من بعده على نتريا والقلالي جميعاً، فبمجيء مقاريوس الإسكندراني إلى نتريا سنة ٣٣٥م. كان بامو له سبع سنوات رئيساً على المنطقة فتتلمذ على يديه. ولكن من سيرته ونشاطه وذكائه وحبه للنسك وغيرته من فضائل القديسين وسرعة تقليده لأعاظم النساك، نعتقد أن القديس أنبا مقار الإسكندراني كان كالنحلة النشيطة، فقد التقط المعرفة الروحانية بسهولة وبسرعة من كافة الآباء العظام، وبالأخص القديس بامو المعتقد أنه أبوه الروحي، ويُعتقد أيضاً أنه زار القديس أنطونيوس الكبير، كما رافق في كل مراحل حياته القديس مقاريوس سَمِيَّه الذي كان يُحبه ويحترمه كأب، والذي كان يسبقه في الرهبنة بحوالي خمس سنوات، كما كان يسبقه في الكهنوت بحوالي خمس عشرة سنة. فأنبا مقار المصري نال رتبة الكهنوت عام ٣٤٠م.، أما الإسكندراني فقد نالها بعد سنة ٣٥٥م. حسب تحقيق إڤلين وايت

(48) Dial. de Vita John. Chrys., ch. XVII. & H.E., II, 4.
(49) Apologia ad. Anastas., II, 12.

اعتماداً على معلومات المؤرخ سوزومين(٥٠). وهكذا يبدو أن المصري متقدمٌ في الأبوّة عن الإسكندراني. والمعروف أن الإسكندراني استلم القسوسية ليكون رئيساً على القلالي بعد القديس إسيذوروس. وهذا يتحقق لنا من الخطاب الذي أرسله أمونيوس لثاوفيلس البطريرك ٢٣(٥١)، وذلك سنة ٣٥٥م.، والذي يذكر فيه أن إسيذوروس كان هو قس المتوحدين بالقلالي. ومن قصة زيارة القديس أنبا مقار الإسكندراني لرهبان دير القديس أنبا باخوم بطبانسين لتلقينهم درساً رائعاً في اتضاع النسك، نعلم مقدار سرعة نمو القديس أنبا مقار الإسكندراني في النسك والفضيلة. فهذه الزيارة حدثت قبل نياحة أنبا باخوم بمدة. وهذا يتحتم أن يكون قبل سنة ٣٤٦م.، وهي السنة التي تنيح فيها القديس باخوم. فإذا علمنا أن الإسكندراني التحق بالحياة الرهبانية سنة ٣٣٥م.، فهذا يعني أنه في أقل من عشر سنوات استطاع مقاريوس الإسكندراني أن يتقن الصوم الإنقطاعي للدرجة التي فيها استطاع أن يصوم أربعين يوماً متتالية لا يأكل ولا يشرب إلا ورقة كرنب واحدة كل يوم أحد، علاوة على سهره وشغل يديه اليومي ووقوفه على رجليه دون أن يحنيهما.

من هنا نعلم أي رجل حديدي كان هذا الأب القديس الإسكندراني، هكذا يبدو لنا تماماً؛ كما كان يبدو لأهل نتريا والقلالي نموذجاً رائعاً للذين قيل عنهم أنهم نادراً ما كانوا يوقدون ناراً في قلاليهم لطهي طعام. وقد ضرب القديس أنبا مقار الإسكندراني رقماً قياسياً في ذلك لسبع سنين متوالية(٥٢).

وقد اشتاق أنبا مقار الإسكندراني إلى الوحدة فانحدر من نتريا إلى منطقة القلالي (سيليا) القاحلة سنة ٣٧٣م. (٥٣).

والمعروف أن مقاريوس الإسكندراني استلم الرياسة والكهنوت على نتريا بعد بامو(٥٤).

وقد تتلمذ على يد مقاريوس الإسكندراني تلاميذ لا حصر لهم، منهم بالليديوس نفسه وأوغريس أيضاً وبعض الإخوة الطوال المتهمين بالأوريجانية.

وقد وصف لنا بالليديوس الثلاث سنوات الأخيرة من حياة مقاريوس الإسكندراني بأنها كانت خصبة، أجرى فيها ثلاث معجزات. وقد ظل يؤدي خدمته الكهنوتية بوصفه رئيساً لمنطقة القلالي حتى النهاية مع أنه كان قد ناهز المائة عام تقريباً، وكان قد فقد أسنانه وبدا قصيراً نحيفاً ذا شارب باهت خفيف وشعيرات قليلة في لحيته لأن نمو لحيته أصلاً كان ضعيفاً بسبب شدة

(50) Sozom., H.E., III: 14, 3.

(51) Acta SS., May III, Appen., p. 71, ch. 24.

(52) Ev. Wh., II, p. 56.

(53) Curz., Visits to Monasteries, p. 77.

(54) Ruff., H.E., II, 8.

نسكه. ويحكي لنا المؤرخ سقراط أن القديس مقار يوس الإسكندراني كان ذا وجه بشوش كثير الترحاب بالزائر ين يقود المبتدئين في طر يق الرهبنة بلطف وعذو بة إلى أن يمسكوا بحبل التلمذة الحقيقية(٥٥). وحينما سأله الأب الكبير باخوميوس عن معاملته للرهبان والزائر ين، لأنه كان قد سمع أن مقار يوس يأخذ الرهبان بشدة و يعاقبهم بلا قانون أو ترتيب وخصوصاً الذين من الخارج (قصة الثلاث نخلات) أجابه: «نحن نهذبهم بالحق والعدل، أما الذين من الخارج فلا سلطان لنا عليهم». والمعروف عن مقار يوس الإسكندراني أنه كان يعلم تلميذه بافنوتيوس قائلاً: «لا تسيء إلى أحد ولا تَدِن أي إنسان. اعمل ذلك وأنت تخلص»(٥٦).

والمعروف من أقوال الآباء أن مقار يوس الإسكندراني ملك زمام عدة فضائل متماسكة: اللطف والعدل والمحبة مع الإحتمال الشديد وسرعة الإعتراف بالخطأ. وقد اشتهر هذا القديس بصنع أشفية كثيرة ومعجزات.

وكانت نياحته في اليوم السادس من بشنس سنة ٣٩٣م. حسب تحقيق سنكسار باسيه، وأبو البركات، وتيسران(٥٧) وهذا هو الأرجح، ولكن يقول إڤلين وايت أن ذلك كان في يناير سنة ٣٩٤م.(٥٨).

و يقول بالليديوس أن أنبا مقار الإسكندراني كان أحد دعائم ازدهار الرهبنة في سيليا؛ إذ قد بلغ عدد الرهبان الذين كانوا تحت تدبيره حوالي ٦٠٠ راهب. والمتحقق تاريخياً أن المقارَيْن الإسكندراني والمصري كانا صديقين حيمين، وقد تحمَّلا معاً آلام النفي في إحدى جزر أعالي النيل (جز يرة فيلة) جنوب أسوان، وفي مصدر آخر يقال أن ذلك كان في جز يرة شمالي الدلتا، على يد الإمبراطور ڤالنس كما ذكرنا ص١٠٤ وما بعده).

وصف لآباء نتر يا يكشف عن وداعتهم ولطفهم واتضاعهم العجيب:

يلخص إڤلين وايت رواية مؤلف كتاب «الهستور يا موناخورم» هكذا(٥٩): [أنه قام برحلته من ليكو بوليس (أسيوط) بعد ز يارة القديس يوحنا الأسيوطي في سبتمبر سنة ٣٩٤م.، ولما وصل إلى نتر يا يقول أن القديس مقار يوس الإسكندراني كان قد تنيح لتوه(٦٠). وكان ديسقوروس

(55) Socr., H.E., IV, 23.

(56) Ev. Wh., II, p. 58.

(57) Ev. Wh., II, p. 91 note.

(58) Ibid., p. 88.

(٥٩) مؤلف كتاب: «هستور يا موناخورم» (أو تار يخ الرهبنة) يُعتقد أنه شماس من رهبان دير جبل الز يتون. ولكن المصطلح عليه عند العلماء أنه هو روفينوس نفسه، ولو أن في مقدمة الكتاب يتضح أنه غير روفينوس.

(60) Hist. Monach., ch. XXIII, 2.

الطويل (الأوريجاني) قد رُسم أسقفاً لدمنهور (هرمو پوليس)(٦١)، وكان إيڤاجريوس لايزال يعيش، ولم تكن قد وقعت الحوادث المؤسفة التي تسبب فيها جماعة العقلانيين والتي مزّقت هدوء البرية. وقد وصلت الرحلة إلى نتريا في الخريف من سنة ٣٩٤م. بعد أن عبروا على منف (ميت رهينة بالجيزة)، ثم واصلوا الرحلة عن طريق فرع رشيد (ثم قناة نوقراطيس) حتى نتريا].

ويقول المؤلف إن جبل نتريا وقتذاك كان أشهر مركز رهباني في مصر كلها، وهو على بعد ٤٠ ميلاً من الإسكندرية، ويأخذ اسمه من المدينة نتريا التي يُجمع فيها النطرون، وهنا يوجد ٤٠ ديراً (جماعة متوحدين في قلالي)، حيث يعيش الرهبان إما جماعات أو أفراداً متوحدين تحت رأي وتدبير أب أو رئيس واحد.

[ولما اقتربنا من المكان، انتبه الآباء إلى وصولنا، ففي الحال خرجوا جميعاً من قلاليهم مثل جماعات النحل مسرعين بفرح واستبشار لملاقاتنا، بعضهم يحمل أوعية ماء للشرب والآخرون الخبز لطعامنا. فلما حيُّونا أخذونا إلى الكنيسة وهم يرنمون المزامير، ثم غسلوا أرجلنا ونشَّفوها في ملابسهم الكتانية التي كانوا يرتدونها كأنهم يريحوننا من السفر، مع أنهم بعملهم هذا غسلوا همومنا العالمية دون أن يدروا، فماذا أستطيع أن أقول عن حبهم للضيافة؟ ماذا أقول عن لطفهم؟ ماذا أقول عن محبتهم وكل واحد يجذبنا إلى قلايته!!]... [ومن نتريا سرنا بعد ذلك إلى منطقة القلالي في عمق الصحراء حيث لا يسكن هناك إلا الذي أكمل تدبير رهبانيته في نتريا أولاً، وخلع عنه وساخته الأولى وارتأى أن يكمل حياته في الوحدة، وهي صحراء قاحلة، والقلالي متباعدة لدرجة أن الواحد لا يرى ولا يسمع أخاه. وكل واحد يلزم قلايته بكل وقار، ويشملهم جميعاً الهدوء والصمت الكامل، والسلام يملأ قلوبهم].

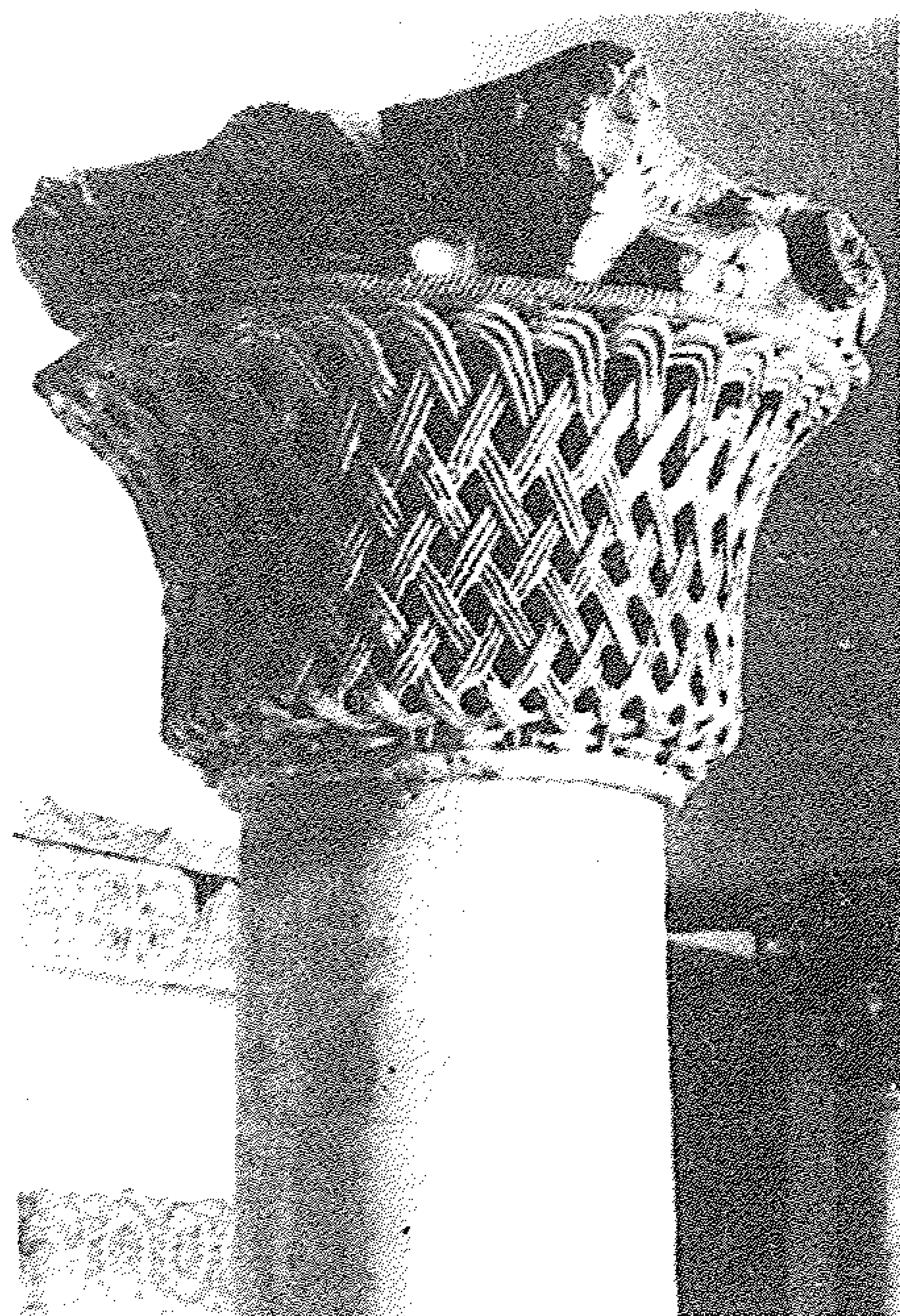
وقد رأى الرحالة قلاية أحد الآباء ويحيط بها سور داير من الطوب الأحمر المحروق ومن داخله بئر للشرب وهي مؤسسة بكل لوازم الراهب. لكن تعجَّب لما سمع أن هذا الأب يترك قلايته باستمرار بكل أدواتها لكل راهب جديد يدخل مع الجماعة. وعلم هذا الرحالة أن الآباء يجتمعون معاً وفي يوم واحد يبنون ديراً: [عدة قلايات يحيط بها سور واحد داير لكل جماعة جديدة تأتي للسكن معهم].

وقد تقابل مع اسحق تلميذ مقاريوس الصعيدي الذي كانت له موهبة إذ كان يمسك بيده أي حية أو عقرب. وقد تقابل أيضاً مع كرونيوس [الذي كان يفتخر أنه كان تلميذاً لأنطونيوس]،

(٦١) يلاحظ أن كرسي أسقفية هرمو پوليس (دمنهور) كان يُشرف على نتريا بالضرورة لأنها تقع ضمن حدود الإيبارشية وهي كانت تبعد ١٥ كيلومتراً من دمنهور.

وقد وجده وقد بلغ ١١٠ سنة، كذلك تقابل مع أوريجنس تلميذ الأب أنطونيوس الذي صار كاهناً، ومع إيڤاجريوس الذي كان لايزال حياً، الذي لما رأى الزوار يشربون ماءً نصحهم أن لا يشربوا، وأخذ يشرح لهم مقدار نسكه وكيف أنه يمتنع حتى عن أكل الخبز!!

والرحالة يذكر القديس مقاريوس الإسكندراني الذي كان قد تنيح منذ قليل، وأخذ يصف الأخبار التي نقلها له الآباء عن آمون الكبير وأعماله وأقواله، كذلك عن القديس مقاريوس الكبير كمؤسس لإقليم شيهيت (٦٢).



تاج رشيق لأحد الأعمدة، على شكل السلال التي كان يمارس الرهبان صناعتها، يرجع إلى القرن السادس
[وارد من دير باويط ومعروض بمتحف اللوفر—باريس]

(62) Ev. Wh., II, p. 92-94.

الفصل الثالث

شيهيت أو الإسقيط

الإسم: الإسقيط وشيهيت.

الإسقيط هي اللفظة اليونانية المرادفة للكلمة **شيهيت** القبطية، كما سبق وقلنا أن كافة الأسماء القبطية كان لها مرادف يوناني على ممر العصور (أنظر ص ١٧٢).

أولاً: النطق اليوناني (١): سكيتيس Σκῆτις

مرادفات اليوناني = Σκῖτις, Σκέθις, Σκῦθις, Σκήτης, Σκήτη

و يُشتق منها الصفة: راهب إسقيطي: Σκητιώτης

أو كورة الإسقيط: Σκιθιακή

و يُظن أن هذا الإسم اليوناني مشتق أصلاً من الكلمة ἀσκητής أي ناسك، و بذلك يكون الإسقيط معناه: مكان النسك، والنطق العربي أسقيط (بنطق الهمزة مفتوحة) يشير إلى هذا المعنى بوضوح.

ثانياً: النطق اللاتيني (٢) سيتا Scétis ومشتقاتها:

Scythis, Scytis, Scitium, Scithium

و يُشتق منها الصفة: إسقيطي Scitiotica

وواضح أنها نقل لفظي من الإسم اليوناني. ومعناه المتداول باللاتيني هو مكان صحراوي للعبادة (= Eremus الصحراء باليونانية).

الأصل القبطي: ϢΙΗΤ = شيهيت (النطق الصحيح شيهات).

مرادفات القبطي كما جاءت في عديد من المخطوطات:

ϢΙϨΗΤ ϢΗϨΗΤ ϢΙΗΤ

والملاحظ أن ϢΙΗΤ هي أقدم صورة لكتابة هذا الإسم (٣)، أما شيهيت ϢΙϨΗΤ

---

(1) Ev. Wh., II, p. 27.

(2) Ruf., H. E., II, 8.

(3) Quatermère; Memoires I, p. 451.

فهي حديثة منذ القرن الثالث عشر فما فوق، والمعتقد أن الأولى هي النطق السليم (المقارب للصعيدي)، أما الثانية فهي النطق البحيري المحرّف ليظهر المعنى.

ولكن على أي حال فإن ϢIHT وإن كانت كتبت منذ القدم بدون ϩ. إلا أن المعنى العام بأنها تشير إلى كلمة ϨHT = قلب، كان يُشار إليه من حين لآخر منذ أقدم العصور:
فمثلاً في قصة القديس يوحنا القصير جاء الإسم مع تفسيره هكذا: «اذهب إلى جبل النطرون ⲡ̀ⲧⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲓϩⲟⲥⲉⲙ الذي هو شيهيت ϢIϨHT الموضع الذي توزن فيه القلوب ⲛ̀ⲛⲓϩⲏⲧ ⲉϢⲁⲩϢI والأفكار بمقاييس حقيقية»(٤).

وهكذا فإن شيهيت هي اصطلاح قديم يفيد معنى نسكي أي «ميزان القلوب». وهنا نجد التقابل واضحاً جداً بين الأصل القبطي ϢIϨHT والإشتقاق اليوناني المرادف له: Σκῆτης. فالإسم القبطي يفيد عملية ميزان القلب التي هي خلاصة مفهوم الحياة النسكية كلها، والإسم اليوناني يتقارب منه إنما في محدودية ضعيفة ليفيد عملية النسك فقط دون البلوغ إلى غايتها وهي اتزان القلب أو نقاوته.

أما أصل كلمة «شيهيت» وسبب تسميتها، فلها قصة طريفة يقصها كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية تحقيق العلاّمة أميلينو(٥): [قيل عن أبا مقار أن رب المجد أرسل إليه الشاروبيم. فلما جاءه الشاروبيم وضع يده على قلبه كمن يقيسه (أو يزنه)= ⲟⲩϢI فقال له أبا مقار «ما هذا؟» فأجابه الشاروبيم: إني أقيس قلبك وأزنه ⲁⲓϢI ⲙ̀ⲡⲉⲕϨHT، فقال له الأبا مقار: وما معنى هذا؟ فأجابه الشاروبيم: «لأنه هكذا سوف يكون اسم هذا الجبل كما عُمِل في قلبك، ولكن المسيح سيطلب= ϤⲛⲁϢⲓⲛⲓ الثمر»].

ولكن يحاول أحد الكتّاب القدامى و يسمى «بيشوي» كاتب سيرة الأبا مكسيموس والأبا دوماديوس أن يفسر كلمة ϢIϨHT تفسيراً آخر، إذ يقول أنها تعني مكان الذين يطلبون الله من كل قلبهم، محاولاً إرجاع كلمة شيهيت إلى ϢINI = يسأل، ϨHT = قلب(٦)، أي الذي يسأل بكل قلبه، وذلك اعتماداً على رواية الشاروبيم مع مقاريوس.

و يقول العلامة أميلينو أن سبب إسقاط الآباء القدامى لحرف ϩ من شيهيت ϢIϨHT لتصير ϢIHT هو التباس كلمة ϨHT بين معنى القلب ومعنى الشمال في اللهجة الصعيدية(٧).

---

(4) Amél., A.M.G., XXV, p. 326.

(5) Virtues of S. Macar., ed. Amél., A.M.G., XXV, p. 118.

(6) Amél., A.M.G., XXV, p. 264.

(7) Ev. Wh., II, p. 28, after Zoëga.

إسم آخر بالقبطية: ⲛ̀ⲧⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲓϩⲟⲥⲉⲙ = جبل النطرون.

الإسم بالعربية: ١ ــ جبل النطرون. وأول من قال بها أبو البركات مترجماً عن اللغة القبطية ϣⲓⲏⲧ ⲉ̀ⲧⲉ ⲛ̀ⲧⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲓϩⲟⲥⲉⲙ = شيهات الذي هو جبل النطرون(٨).

٢ ــ وادي النطرون: وهذه ترجمة للكلمة القبطية ⲡⲓϩⲉⲗⲟⲥ وأصلها اليوناني ἕλος = (والكلمة معناها منطقة مستنقعات. والترجمة الصحيحة كانت ينبغي أن تكون «مستنقعات النطرون» (٩)) وهو تعبير آخر أكثر ملاءمة للمنطقة جغرافياً لأنه منخفض بين مرتفعين. ومن أوائل من قالوا بهذه التسمية هو المقريزي(١٠). وكذلك تنطق أحياناً وادي الأطرون نُطقاً خاطئاً.

٣ ــ وادي هبيب: وهبيب هو قائد عربي أقام في هذا الوادي في منتصف القرن السابع. وينطقها ياقوت المؤرخ العربي هكذا: «هُبَيْب» وهو نطق خاطىء لأن الكتابة القبطية القديمة تكشف الحركات بوضوح، فهي كُتبت ϩⲁⲡⲓⲡ (١١).

المعنى المتسع لشيهيت أو الإسقيط:

يلاحظ في كثير من المخطوطات مثل المخطوطة التي فيها حياة أنبا دانيال والتي تقص قصة القديسة «أناستاسيا»، أن كلمة برية الإسقيط أو برية شيهيت تجيء بمعنى محدود هو جبل النطرون أو وادي النطرون الآن(١٢) ἔρημον τῆς σκήτεως ϣⲁϥⲉ ⲛ̀ⲧⲉ ϣⲓⲏⲧ، ولكن حينما تُذكر كلمة الإسقيط أو شيهيت فقط فقد تأخذ معنىً متسعاً جداً ليشمل منطقة القلالي ونتريا أيضاً. فأناستاسيا قيل في القصة أنها سكنت قلاية خارج **برية الإسقيط**، ثم في نهاية القصة يُذكر أنها عاشت **في الإسقيط** ٢٨ سنة. وهذا معناه أنها سكنت خارج حدود وادي النطرون ولكن بقيت داخل منطقة الإسقيط العام أو شيهات الكبير الذي يشمل من نتريا حتى البرية الداخلية. كذلك نجد إيڤاجريوس البنطي حينما يذكر لأناتوليوس(١٣) أنه عاش كل أيامه في الإسقيط، كان يعني الإسقيط العام لأن مركز إقامته كان معروفاً أنه منطقة القلالي.

الطريق قديماً إلى شيهيت:

أولاً: الطريق الشمالي: وكانت نقطة القيام الوحيدة هي مدينة البرنوج (نتريا) التي كانت تبعد عن دمنهور ١٤ كيلومتراً. أما الوصول إلى مدينة البرنوج فكان إما من النيل (فرع

(8) Amél., A.M.G., XXV, p. 263.
(9) Amél., Geograph., p. 447. & Ev. Wh., II, p. 32.
(10) Ev. Wh., II, p. 29.
(11) Evetts, Notes in Abu-Saleh, ch. 8, p. 3.
(12) Synax., ed. Basset: Babeh 15, p. 122.
(13) Migne, P.G. XL, col. 1220.

رشيد) عبر قناة نوقراطيس حتى البرنوج، وإما من الإسكندرية عبر بحيرة مريوط ثم قناة نوقراطيس حتى البرنوج. وبعد ذلك تبدأ الرحلة الشاقة الخطرة من نتريا ثم القلالي إلى شيهيت، وكانت الرحلة تستغرق نهاراً وليلة. ويتفق جميع المؤرخين سواء كاتب «تاريخ الرهبنة» أو روفينوس أو بالليديوس أنها كانت رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر في طريق قفر يخلو من الماء ومن العلامات، ولا يهتدي المسافر إلا بالنجوم. وكثيراً ما ضل الآباء أنفسهم الطريق الذي ألفوه كثيراً وساروا عليه كثيراً، مثل يوحنا القصير الذي ضل الطريق(١٤) حتى بالرغم من وجود دليل معه يُدِلّه على الطريق.

ثانياً: الطريق الجنوبي، عن ترنوط:

ويعطينا بالليديوس صورة واقعية عن رحلة قام بها من منطقة القلالي المتاخمة لنتريا من جهة الجنوب الغربي، وكان بصحبته ألبانيوس وهيرو الإسكندراني وهما راهبان من رهبان القلالي:

[في هذه الرحلة توفرت لي الفرصة لأتعرف على القديس هيرو، فعلى مدى أربعين ميلاً ــ وهي المسافة من القلالي لشيهيت ــ أكلنا نحن مرتين وشربنا ثلاث مرات. ولكن هذا القديس هيرو لم يذُقْ شيئاً بالمرة مع أنه كان يسير على قدميه. وقد تلى من ذاكرته في هذه المدة خمسة عشر مزموراً و... و...إلخ. وبالرغم من هذا كله لم نكن نلحق به وهو يمشي في المقدمة](١٥).

من هذا الوصف ندرك تماماً أن المسافة بين نهاية منطقة القلالي وبين شيهيت كانت أربعين ميلاً (رومانياً) إنما في طريق غير مستقيمة نوعاً ما(١٦). فإذا أردنا تقدير المسافة بين شيهيت ونتريا، ينبغي أن نضيف على الأربعين ميلاً عشرة أو اثني عشر ميلاً أخرى وهي المسافة بين نتريا والقلالي. ويلاحظ أن كاسيان أخطأ في حسابه للمسافة إذ جعلها ٨٠ ميلاً (8 Schoinoi) من نتريا إلى شيهيت، وخطأه ناتج من أنه حوّل المقياس الروماني Schoinos إلى عشرة أميال في حين أنه ٥٫٦ ميلاً فقط. وإذا أردنا تحويلها إلى الكيلومتر تكون المسافة ٧٢ أو ٧٤ كيلومتراً. وهذه المسافة يمكن فعلاً قطعها في نهار وليلة كاملة على الجمال. ويؤكد هذا الوصف كل الأقوال التي جاءت في «أقوال الآباء». فعندما قيل أن مغارة الأب شيرامون(١٧) كانت تبعد ٤٠ ميلاً من الكنيسة و١٢ ميلاً من البهلس= ἕλος = ⲡⲓϩⲉⲗⲟⲥ (البحيرة) حيث الماء، كان هذا يشير إلى سكناه في طرف شيهيت الشمالي قبل أن تُبنى كنائس في شيهيت، فكان يسافر ٤٠ ميلاً إلى منطقة نتريا حيث الكنيسة الوحيدة في ذلك الزمن، وذلك للصلاة والتناول، ويمشي ١٢ ميلاً جنوباً للحصول على الماء من العيون القريبة من البهلس، فإذا أضفنا المسافة الأولى على

---

(14) Apoph. Patr., Joh. Colob, XVII, p. 110.

(15) Hist. Laus., ch. XXVI.

(١٦) المسافة المباشرة بالنسبة للمسافة برحلة القدم تكون بنسبة ٤ : ٥ تقريباً.

(17) Apoph. Patr., Shaeramon.

الثانية تكون هي المسافة الكاملة بين منتصف شيهيت حيث البحيرات إلى كنيسة نتر يا الموجودة بقرب مدينة البرنوج .

و يلاحظ أنه في قول آخر جاء عن القديس قار يون([١٨]) أبو زكر يا وهو متأخر عن شيرامون بمدة طو يلة ، يقول إن الكنائس في شيهيت هي بالقرب من البحيرات وعيون المياه . لذلك يلزم عند قراءة السيرة أن يتذكر القارىء الزمن الذي يُروى فيه الخبر حتى يدرك أي كنيسة وأي منطقة يقصد الراوي .

و يلاحظ أن المسافة بين نتر يا وشيهيت بالقدم المُقدَّرة ٥٢ ميلاً أو ٧٢ كيلومتراً إذا كانت على خط مستقيم تصبح ٦٠ كيلومتراً . فلو وضعنا سن البرجل على مدينة نتر يا وفتحنا البرجل ودرنا بدائرة نصف قطرها ٦٠ كيلومتراً ، نجد أن محيط الدائرة يحف بالمنطقة جنوب دير البراموس مباشرة ، وهذا يفيد أن منتصف شيهيت كانت محسوبة أنها هي منطقة دير البراموس حيث استقرت جماعة القديس مقار يوس في بدء السكنى في شيهيت . وكل الأقوال التي جاءت عن الآباء تؤكد هذه الحقيقة .

ومن الأوصاف المبكرة جداً التي تصف منطقة شيهيت والمستنقعات التي في وسطها ، سيرة مكسيموس ودوماديوس([١٩]) حيث جاء فيها على لسان هذين القديسَيْن حينا وصلا من الشام إلى شيهيت : [فوجدنا أنفسنا على الصخرة([٢٠]) في شيهيت ، وعندما رفعنا أعيننا على الجبل حولنا ، رأينا مستنقعات الماء πιϩελος ⲙⲙⲱⲟⲩ ومنخفضات بها أشجار النخيل والصحراء كلها من حولنا] .

وعلى القارىء لأقوال الآباء أن يدقق في وصف الجهات بالنسبة للمستنقعات ، ففي قصة حياة القديس مقار يوس الكبير يصف المؤلف البحيرات (البهلس) أنها جهة الغرب ، وهذا يعني أن مكان القصة هو دير القديس أنبا مقار الحالي . وفي مواضع أخرى يصف البحيرات (البهلس) أنها جهة الشمال ، وهذا يعني أن المكان هو دير أنبا بيشوي أو يوحنا القصير، وفي مواضع أخرى يصف البحيرات أنها جهة الجنوب ، وهذا يعني أن المكان هو البراموس .

---

(18) Apoph. Patr., Kario 11.

(19) Amél., A.M.G., XXV, p. 293.

(٢٠) وتبعد ثلاثة كيلومترات جهة الشمال عن دير البراموس ، وهي الآن معروفة بصخرة أولاد الملوك أو قارة أولاد الملوك ، وهي صخرة شيهيت الأولى ، وتُدعى أيضاً صخرة النسر إشارة إلى الأجنحة النار ية التي حملت مكسيموس ودوماديوس من سور يا إلى شيهيت . أنظر Ev. Wh., vol. I, p. 122 ، أما الصخرة الثانية فهي المتاخمة لدير أنبا مقار الحالي .

أول مكان سُمي بشيهيت:

من أقوال الآباء وكل القصص المرادفة(٢١) نعلم أن القديس مقار يوس انحدر من نتر يا ليسكن شيهيت. وأول مكان اختاره كان المنطقة التي فيها دير البراموس الآن، حيث حفر أول بئر وعاش بجوارها وتجمع حوله الرهبان. و بعد مدة وجيزة أقام أول كنيسة التي كانت تُدعى كنيسة شيهيت، والبئر الذي كان يُدعى بئر شيهيت، والصخرة المتاخمة لها (قارة ملوك) كانت تدعى صخرة شيهيت (القديمة) أو بئرا. وكان هذا كله بجوار البحيرات (البهلس) من طرفها الشمالي. وهكذا أصبحت منطقة البراموس المركز الأول الرسمي للتجمعات الرهبانية المقار ية، والتي دُعيت بالأسقيط أو بشيهيت. وذُكرت هذه المنطقة في المخطوطات كالآتي: [في بداية البِهلُس (البحيرات) بجوار المكان المعروف أنابوللوس (وهو المعروف ببركة النطرون، وهي البركة التي غطس فيها زكر يا ابن القديس قار يون لكي يخفي معالم وجهه حتى لا يصبح عثرة للرهبان)] (٢٢).

اتساع شيهيت الجغرافي باتساع الإمتداد الرهباني:

كانت شيهيت أولاً هي منطقة دير البرموس ببئرها وكنيستها وصخرتها وبحيرة النطرون أو بركة النطرون المتاخمة للدير والمعروفة تاريخياً باسم أنابوللوس. و بامتداد التعمير والسكنى للتجمعات الرهبانية امتدت شيهيت تبعاً لذلك فشملت منطقة يوحنا القصير و بيشوي. ولما نزح مقار يوس إلى الجنوب الشرقي حتى نهاية منطقة البحيرات وتجاوزها بستة كيلومترات، امتدت شيهيت أيضاً تبعاً لذلك حتى غطت كل المنطقة تدريجياً من البراموس غر باً إلى دير أنبا مقار شرقاً، ومن البحيرات شمالاً بشرق حتى البر ية الجوانية جنو باً بغرب (الواحات) (أنظر الخر يطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

نمو الرهبنة في شيهيت حتى بلوغها أوج الإزدهار:

بقدر ما كانت شمس أمجاد نتر يا تميل إلى الغروب، بقدر ما كانت تشرق بصورة سر يعة ومذهلة في بر ية شيهيت. ونحن نعلم أن الرهبنة في شيهيت بدأت بالقديس أنبا مقار الكبير، متوحداً وحيداً، يوم دخلها بقيادة الشاروبيم سنة ٣٤٠م.، وأخذ يجول في أنحائها ليختار لنفسه مكاناً ملائماً ليحفر فيه مغارته الأولى، وأخيراً استقر في طرف الوادي شمالاً حيث موضع دير البراموس الآن. و بعد عودته من ز يارة الأب الكبير أنطونيوس، مؤيَّداً بالروح والقوة والمشورة الطيبة، التف حوله عدد من آباء نتر يا المشهور ين الذين أحبوه وفضلوا السكنى معه و بنى أول دير لهم بجوار البئر. ثم بدأ العدد يزداد بسرعة بسبب شهرة القديس في الحكمة والإفراز والتدبير الرهباني

(21) Ev. Wh., II, p. 34.

(22) Amél., A.M.G., XXV, p. 76.

حتى ازدحم حوله الرهبان بصورة جعلت أنبا شيشوي أحد تلاميذه الأخصاء يفضل أن يترك شيهيت ليرتحل إلى جبل العربة ليعيش مكان الأب أنطونيوس الذي كان قد تنيح في هذه السنة. فلما سألوا أبا شيشوي لماذا ترك شيهيت واتجه إلى البرية الشرقية قال: «لما بدأت شيهيت تمتلىء بالجموع، وكنت قد سمعت أن أبا أنطونيوس قد رقد (٣٥٦م.)، قمت وجئت إلى هذا المكان، فلما وجدت أن هذا الجبل هادىء أقمت مدة يسيرة» (٢٣).

من ذلك نستدل أن في هذا التاريخ سنة ٣٥٦م. كانت قد بلغت شيهيت اكتمال تكوينها الرهباني.

شيهيت بين سنة ٣٥٦م. و٣٨٠م.:

في الخطاب الذي أرسله أمونيوس الأسقف إلى ثاوفيلس البطريرك ٢٣ (٢٤)، وتاريخه بعد ٣٦٣م.، يُخبرنا أمونيوس كيف أن أثناسيوس [كان يسأله عن المتوحدين القديسين في شيهيت: بائيسيوس وأخَوَيه اللذين هما بول (بولس) و بسو يوس (بيشوي)، وعن إشعياء و بسيروس واسحق و بول (بولس)]. ومنه نستدل أن القديس أثناسيوس كان على درجة كبيرة من الإنشغال والشغف بالآباء النساك في شيهيت، مما يدل قطعاً على سمو درجتهم الروحية والعقيدية أيضاً. فالمعروف أن شيشوي وهو معاصر لهم أيضاً كان خصماً عنيداً للأريوسية.

وقد يُظن أن لوكيوس (لوس) الوالي الأريوسي في غارته على نتريا والقلالي انحدر إلى شيهيت سنة ٣٧٤م. وقبض على الأب الكبير «أنبا مقار»، ونفاه مع سميِّه الإسكندراني إلى جزيرة في دلتا النيل، كذلك قبض على بافنوتيوس الشيهيتي تلميذ مقاريوس الكبير ونفاه إلى نيوقيصرية (بانياس الآن بلبنان)، ولكن تحت ضغط الخوف والفزع عاد الوالي وأرجع كل المنفيين من منفاهم. فلم تأتِ سنة ٣٨٠م. إلا وكان كل الآباء المنفيين قد رجعوا إلى مواطنهم التي أحبوها. بل ونعلم أنه قبل ذلك أيضاً سنة ٣٧٨م. كانت شيهيت قد استعادت قوتها وجمالها بعد حوادث «لوكيوس» الوالي الأريوسي، وذلك من قصة وفود أحد الآباء المشهورين و يدعى پورفيري الغزَّاوي (وقصته بالكامل تقرأها في مجموعة الآباء اللاتين ٧٥/ عمود ١٢١٣، كما تقرأها بوضوح عند المؤرخ تيمون في مذكراته ١٠ــ٧٠٣) «الذي بوصوله شيهيت حُسب أهلاً في الحال أن يلبس الإسكيم المقدس»، ومكث في شيهيت مع الآباء خمس سنوات (٢٥)، مما يدل على أن شيهيت عادت في هذا التاريخ إلى سلامها وازدهارها المعتاد.

---

(23) Apoph. Patr., Sisoes, XXVII.

(24) Acta SS., May III, p. 71.

(25) Ev. Wh., II, p. 95.

نشأة الأربعة أديرة في شيهيت:

نقرأ في سيرة القديس أنبا مقار لسرابيون، أن أنبا مقار عاش حتى رأى الأربعة أديرة: [وعاش الأب مقاره حتى أبصر الأربعة ديارة معمورة جداً، وتنبأ عليها بالروح القدس وقال: هذه الأربعة ديارة يحبها ربنا يسوع المسيح و يريد أن تصير مثل الأربعة مدن التي كانت ملجأ وخلاصاً لبني اسرائيل، فأسسها الملك المسيح على هذا الجبل لتكون خلاصاً لأهل العالم، كل الذين يريدون خلاص أنفسهم لينالوا الحياة و يتجددون لله و يرجعون إليه من أعمالهم الشريرة].

و يعود نفس الكاتب و يقول: [وكثيرون كانوا يأتون إليه طالبين أن يُلبسهم اسكيم الرهبنة المقدس، ولأجل هذا صار له تلاميذ كثيرون بلا عدد متشبهين بتدبيره النسكي المقدس متمثلين به يخدمون الله، وكان يوزعهم على المواضع التي فيها الجماعات في البرية (الأربعة تجمعات الديرية). ورسم لهم السكنى بهذه المساكن وجعلها تسمى بأسمائهم، فبعضهم كان يسمى بدير أبو يحنس (أبا يؤانس) وداخل منه دير أنبا بشِيه (بشوي)، أما الإخوة الروحانيون الذين كانوا في دير أبو يحنس فكانت أفكارهم يدبرها لهم أنبا باموبه (أموي أو أمويس) تلميذ الأب مقاره...].

ثم يعود أيضاً الكاتب و يقول: [و بعد هذا تم قول الأب مقاريوس وكانوا يأتون من كل موضع أي من جبل (نتريا) لما سمعوا بصيت وفضائل ذلك الموضع (شيهيت)، و بتلاميذه في كل جيل الذين يجمعهم سيدنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقي ويجعلهم يلبسون زي عبده القديس و يصيرهم له، ويهربون من أعمال العالم الشرير، و يورثهم ملكوت أبيه برحمته السابغة على مساكن عبده القديس. وكان القديس مقاريوس يُعاين بني زيّه قد كثر، وزرعه الروحاني ينمو كأشجار مزروعة في أرض صالحة حاملة أثماراً روحانية بلا انقطاع، فكان يشكر نعمة الله قائلاً في ذاته: كما قيل لي من ربنا يسوع المسيح قد كمل ونظرته عيناي ولمسته يداي. ولم يكن سكان ذلك الجبل من المصريين فقط بل من البلاد البعيدة، من رومية جاءوا إليه، ومن أسبانيا والنوبة والسبطانوس وكبادوكية وآسيا و بلاد الشام وفلسطين و بلاد الروم].

ويحقق إڤلين وايت أن الأربعة الأديرة كانت قد تكاملت بالفعل في زمن أنبا مقار، ولكن ليس على شكل أديرة بأسوار كوضعها الحالي، وإنما على هيئة أربعة تجمعات ضخمة متميزة، كل مجموعة في موضعها ولها الأب رئيسها الذي يدبرها. وإڤلين وايت يُدعِّم هذا الكلام بوقائع تاريخية مبتدئاً من القرن السابع، ثم بتسلسل راجعاً إلى خلف حتى يصل إلى القرن الرابع.

القرن السابع: فلو بدأنا بتاريخ متأخر مثل القرن السابع مثلاً، أي في زمن أنبا بنيامين الأول، نجد أن في قصة زيارته لدير أنبا مقار لتكريس كنيسة أنبا مقار ذُكرت بعض الأديرة

بغاية الوضوح والتفصيل وبالإسم أيضاً، مثل **دير البراموس أو دير مكسيموس ودوماديوس** (٢٦)، كما ذُكر في سيرة أخرى **دير أنبا بيشوي** بالإسم، لأن البطريرك أنبا بنيامين نفسه أعاد عمارته (٢٧). أما **دير القديس يؤنس القصير** فقد ذُكر بالإسم في سيرة أنبا صموئيل المعترف (٢٨) المعاصر لأنبا بنيامين.

ثم إذا عدنا إلى خلف قليلاً نجد أن في منتصف القرن السادس يُذكر دير أنبا يؤنس القصير في تاريخ البطاركة، لأن البطريرك أنبا داميانوس كان أحد رهبانه (٢٩).

القرن السادس: وفي القرن السادس نجد تفصيل حوادث الغارة التي حدثت، يشمل **الأربعة الأديرة.** ثم يُعاد ذكر الأربعة الأديرة في نفس القرن للرحالة المؤرخ يوحنا موسخوس (٣٠). وفي سنة ٥٣٥م. نجد في ذكر انتشار بدعة الغيانيين إشارة إلى الأربعة الأديرة (٣١).

القرن الخامس: وبالتحديد في بدايته سنة ٤٠٨م.، وفي ذكر حادثة الغارة الأولى على برية شيهيت نجد أن «الأربعة الكنائس التي في البرية» دُمرت، إشارة إلى وجود الأربعة التجمعات الرهبانية (٣٢).

القرن الرابع: وبالتحديد في نهايته سنة ٣٩٩م.، وفي أحد أمسيات ختام القرن الرابع، وفي سرد قصة أزمة الأوريجانية المشهورة التي اقتحم فيها البطريرك ثاوفيلس ـــ بمؤازرة عساكر السلطة ـــ براري نتريا وشيهيت، ذُكر أثناء هذه الحوادث أنه كان موجوداً أربعة تجمعات Congregations في شيهيت، كل واحدة منها لها كنيستها ولها إيغومانسها الكاهن المدبِّر، ويبدو واضحاً أنها كانت متكاملة (٣٣) قبل تلك الحوادث.

وبذلك يتضح بالبرهان والتاريخ أن الأربعة الأديرة كتجمعات متكاملة مستقلة كانت قد أخذت شكلها الرهباني في برية شيهيت قبل نهاية القرن الرابع، مما جعل شهادة سيرابيون كاتب سيرة حياة الأنبا مقار ذات اعتبار هام من حيث دقة التفاصيل التاريخية.

والمعروف أن أسماء هذه الأديرة أخذت اعتبارها منذ البدء تقريباً، لأن هذه الأسماء تُشير إما

---

(26) Ev. Wh., II, p. 96, 272.
(27) Ev. Wh., II, p. 297.
(28) Cauwenbergh; Etude Sur Les Moines d'Egypte, p. 90.
(29) Ev. Wh., II, p. 248.
(30) Patrum Spirituale, CXIII.
(31) Ev. Wh., II, p. 229.
(32) Ev. Wh., II, p. 157.
(33) Cassian, Col., X, 2, p. 133.

إلى مؤسسيها أو قديسيها المعتَبَرين بركة الموضع. أما ترتيب ظهورها الزمني، فالتقليد الساري أن أول جماعة رهبانية في شيهيت عاشت في موضع دير البراموس الآن، أما الجماعة الثانية فكانت في موضع دير أنبا مقار الآن، والثالثة في موضع دير أنبا يؤنس القصير (الأديرة المخرَّبة جنوب غرب دير أنبا مقار)، والرابعة في موضع دير الأنبا بيشوي الآن (عِلماً بأن دير السريان الحالي لم يظهر في الوجود قبل القرن السابع).

وكانت هذه التجمعات تنقسم إلى قسمين واضحين:

القسم الأول: وهو التجمع الأساسي الذي أسسه أنبا مقار بنفسه، و يشمل دير البراموس ودير أنبا مقار: الأول في طرف شيهيت من جهة الشمال الغربي، والثاني في طرف شيهيت من جهة الجنوب الشرقي.

القسم الثاني: وهو التجمع الرهباني الفرعي الذي أسسه أولاد القديس أنبا مقار: يؤنس القصير و بيشوي. الأول في منتصف الأسقيط من الجهة الشمالية الشرقية، والثاني في منتصف شيهيت من الجهة الجنوبية الغربية.

أما الأربعة تجمعات فتكوِّن شكل صليب مائل يغطي أطراف الوادي الأربعة. (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

تحقيق زمني لتكامل الأربعة الأديرة:

وقد جاء في المخطوطة التي تقص خبر نفي المقارَيْن أيام «ڤالنس» الإمبراطور وعلى يد «لوقيوس» الوالي، الذي بدأ مباشرة بعد نياحة أثناسيوس الرسولي سنة ٣٧٣م.، خبر مُؤدَّاه أن برجوع أنبا مقار المصري ورفيقه أنبا مقار الإسكندري سنة ٣٧٥م. من المنفى، التقى بكافة رهبان البرية من الأربعة أديرة في المكان الذي تصفه المخطوطة هكذا: [وكان أنبا مقار الكبير ورفيقه الإسكندراني موجودَيْن غربي مغارة القديس بشِيّه أخ القديس يحنس تلميذ أنبا أموي الصعيدي، يصليان معاً على القلعة (الحصن)...].

وهذا الكلام يفيد أن حصن دير أنبا بيشوي كان قائماً بالفعل سنة ٣٧٥م. و بعد ذلك تستمر المخطوطة في وصف بَرَكة أنبا مقار لكل من القديس يوحنا القصير والقديس بيشوي مع ذكر أديرتها التي كانت عامرة بهيئة مدن هكذا: [و يُدعى إسمكُما من بعدي على هذه **المدن** التي أنعم بها عليَّ سيدي، أنت يايوحنا يكون اسمك من بعدي، و بيشيه الثالث، و بعدكما ولديَّ مكسيموس ودوماديوس، لا تبرح روحي من مساكنكم، ولا بركتي من كنائسكم، أنتم **الجيل الثالث** من غرسي، وأولادكم الذين يتتلمذون لكم في كل الأزمان] (٣٤).

(٣٤) مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار ص٤٦.

الفصل الرابع
التجمُّعان الأساسيان في شيهيت

١ ــ التجمُّع الرهباني الأول في شيهيت على يدي القديس أنبا مقار « دير البراموس »

الاسم أصلاً بالقبطية ⲡⲁⲣⲱⲙⲉⲟⲥ أي دير الروميَّين. والمقصود بـ« الروميَّين » هم « مكسيموس ودوماديوس ». وهذه التسمية قديمة العهد، في مخطوطة من القرن العاشر(١) عن حياة القديس مقار يوس ورد اسم الدير هكذا: ⲑⲣⲁⲟⲩⲏ ⲛⲛⲓⲣⲱⲙⲉⲟⲥ أي قلاية الروميين.

أما نسبة الدير أو كنيسة الدير إلى القديسَيْن مكسيموس ودوماديوس فواضح في المخطوطة التي تروي سيرتها، وعنوان المخطوطة: [حياة القديسَيْن الروميَّين مكسيموس ودوماديوس أولاد الإمبراطور ڤالنتنيان (٣٦٤ــ٣٧٥م) كتبها الشماس الراهب بيشوي (الذي من القسطنطينية) الذي كان يسكن في شيهيت بالقرب من رجل الله الأنبا مقار والأبا إيسيذوروس، وقد خلفه في الشموسية بعد نياحته الأبّا موسى الأسود. وقد كتب الأبّا بيشوي سيرة هذين القديسين تذكاراً لهما و وضعها في الكنيسة](٢).

و يقول أميلينو أن هذه المخطوطة يُذكر فيها أن **إيسيذوروس صار كاهناً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس**(٣). وبهذا يتضح أن الكنيسة سميت باسم هذين القديسَيْن منذ البدء (ولكنها بُنيت في عصر سابق لوصول مكسيموس ودوماديوس لأن سيرتها تقول « إنها كانا يذهبان للكنيسة في صمت ليتناولا من الأسرار المقدسة »).

ومن هذه الوثيقة يتبين لنا أن هذين القديسَيْن كان المعتقد أنها ولدا ڤالنتنيان الملك ابن جوڤيان الملك الذي حطم كل هياكل الأوثان. أي أنها تربيا تربية مسيحية غيورة حتى إنها لما بلغا سن الشباب صمما أن يصيرا راهبين، فرحلا سِراً إلى نيقية، ومنها إلى فلسطين، حيث قابلا

---

(1) Amél., A.M.G., XXV, p. 87.
(2) Ibid., p. 262.
(3) Ibid., p. 311.

القديس «أغابوس» ، الذي كان يسكن على صخرة بجوار البحر (دير موط أو دير أبّا هرمانوس) ، فرحب بها وهيأهما لقبول الحياة الرهبانية وألبسهما الثياب السوداء (كان زي الأقباط من ثياب بيضاء) (٤) ومكثا عنده ٦ سنوات ، وفي نهايتها لما قربت نياحة القديس أغابوس رأى رؤيا ظهر له فيها القديس أنبا مقار بهيئة رجل طويل القامة وعلى رأسه كوكلسة عليها صلبان ويمسك عصا وصليباً ، وأمره أن يرسل الأخوَيْن بعد نياحته إلى شيهيت ليقيما هناك .

وقد ذاعت شهرتهما في فلسطين ، وعُرف خبرهما في المملكة بعد موت أبيهما وتولى ثيئودوسيوس عوضاً عنه ، حتى أرادوا أن يجعلوا مكسيموس بطريركاً . ولكن مكسيموس أسرع في الرحيل هو وأخوه سنة ٣٧٩م . وهي سنة اعتلاء ثيئودوسيوس العرش ، ووصلا مصر بعد رحلة شاقة أعانهما فيها الملاك وأمسك بهما حتى وصلا إلى الصخرة التي في شيهيت التي فوق الماء تجاه الجنوب ، وتقابلا أخيراً مع مقاريوس . وتسير القصة كما هي في البستان العربي المطبوع إلى أن يصل الكاتب إلى نياحة الأخ الأكبر ، وبعد ذلك بثلاثة أيام تنيح الأصغر ، ودُفنا معاً في المغارة التي حفراها وسكناها (٥) . وتاريخ وفاتهما ١٤ و١٧ طوبة (٦) ...

وفي ختام المخطوطة نأتي إلى حقيقة تسمية دير البراموس كالآتي :

[وبعد سنة كاملة من وفاة هذين القديسَيْن ، حينما بدأت الصحراء تمتلىء بغزارة بوفود الرهبان القادمين من جبل برنوج (نتريا) ومن كافة المتوحدين القاطنين بأنحاء مصر بنوا لهما كنيسة كبيرة ، وجعلوا أبّا إسيذوروس كاهناً عليها وأنا بيشوي جعلوني شماساً أنا غير المستحق . وبعد ذلك أعطى القديس أنبا مقار الكبير أمراً بتسمية هذه الكنيسة قائلاً : «سموا هذا الموضع **ⲧⲟⲡⲟⲥ** قلاية الغرباء» . فردَّ عليه ثلاثة من الآباء الشيوخ الكبار الذين من جبل برنوج (نتريا) بامو وبيهور وأثره ، وسألوه ما إذا كان قد علم بأسمائهم ؟ وعلى هذا السؤال رد القديس مقار أنه يعلم اسميهما ، ولكن لئلا يُطلق اسم إنسان عليه] (يظهر أن القديس مقار لم يشأ أن تسمى الكنيسة باسم إنسان) .

ويعود بيشوي الكاتب فيقول :

[إن أبّا بافنوتيوس تلميذ أنبا مقار ، الذي صار أبّاً على شيهيت من بعده ، أكد لنا أن أنبا مقار اتخذ هذا الموقف (في عدم تسمية الكنيسة باسم انسان) بناء على أمر من الشاروبيم] .

---

(٤) وعند وصولهما إلى الأنبا مقار خلع هذان الراهبان الملابس السريانية السوداء وألبسهما أنبا مقار الملابس المصرية البيضاء (القُصارية الكتان ذات الأكمام القصيرة وجلد الغنم المشهور) Ibid., p. 296.

(٥) أنظر صفحة ٧٦ . Ibid., pp. 305 ff.

(6) Abu Salih, ch. 2, Mon. of Eg., fol. 53.

فإذا اعتمدنا التواريخ السالفة يمكن تحديد تاريخ تسمية دير البراموس هكذا: وصل القديسان مكسيموس ودوماديوس إلى شيهيت سنة ٣٨١م.، بعد أن اكتشف أمرهما ثيئودوسيوس الملك، وعاشا في شيهيت ثلاث سنوات، وتنيحا سنة ٣٨٣ـ٣٨٤م. ثم يُضاف إلى ذلك سنة كاملة فيكون هو تاريخ بناء الكنيسة الكبرى أي سنة ٣٨٥م.

ولكن يوجد ما ينقض هذا التاريخ:

أولاً: لأن المعروف أن ڤالنتنيان لم يكن له أولاد(٧). إذن فربط تاريخ هروب مكسيموس ودوماديوس من فلسطين إلى مصر بعد وفاة ڤالنتنيان الأول غير صحيح أو على الأقل غير مضمون.

ثانياً: كذلك في سيرة مكسيموس ودوماديوس يذكر بيشوي أن القديس بامو أتى إلى شيهيت مع بيهور وأثره بعد موت مكسيموس ودوماديوس ـ وسألا أنبا مقار عن اسم هذين الشابين الغريبين. ومعروف أن بامو تنيح سنة ٣٧٣م.، إذن فجيء مكسيموس ودوماديوس إلى شيهيت بناء على هذه القصة يكون قبل سنة ٣٧٠م.

ثالثاً: كذلك نجد في المخطوطة التي كتبها سيرابيون عن حياة أنبا مقار أن خبر مكسيموس ودوماديوس يأتي مباشرة بعد عودته من زيارة الأب أنطونيوس الكبير وفي بدء تجمع تلاميذه: [وعاد (أنبا مقار) إلى البرِّية المقدسة إلى قلايته وجلس صامتاً مع نفسه، و بدأ الناس يجتمعون إليه و يلتمسون منه أن يُلبسهم زي الرهبنة المتوحدة و يسكنون عنده و يتعلمون منه مخافة الله... فتكاثر الناس عليه... وفي ذلك الزمان أتاه شابان أخوان من بلاد الروم...].

رابعاً: يُقرِّر كاسيان، الذي زار شيهيت سنة ٣٨٥م.، أنه رأى في شيهيت أربع كنائس وكل كنيسة تتوسط جماعة، ولكل منها كاهن أعظم (إيغومانس). أي أن جماعة دير أنبا مقار كانت في أوج اكتمالها ولها كنيسة وكاهن مستقل. فكيف يكون تاريخ نزوح أنبا مقار في سنة ٣٨٥م. بعد نياحة مكسيموس ودوماديوس إلى منطقة دير أنبا مقار هو نفسه تاريخ اكتمال نمو الجماعة وعمارة كنيستها؟؟

إذن فتاريخ مكسيموس ودوماديوس، و بالتالي تاريخ تسمية دير البراموس، غير مؤكد ومتروك للتاريخ لإعادة النظر.

وتُختم حياة مكسيموس ودوماديوس في مخطوطة سرابيون الذي يقص فيها حياة أنبا مقار الكبير هكذا: [ولما مضى الشابان القديسان إلى راحتها وقُبرا بالقُرب من المغارة، جاء بعض الرهبان

(7) Ev. Wh., II, p. 101.

وسكنوا في هذا الموضع، فسموا كل المنطقة قلاية (= دير) الروميان حتى هذا اليوم].

وفي أقوال الآباء المترجمة بالفرنسية تُختم قصة حياة مكسيموس ودوماديوس التي جاءت على لسان بتيموس المعروف باسم بيچيمي (ناسك عاش في بداية القرن الخامس) كما استقاها من أحد تلاميذ القديس أنبا مقار هكذا: [وكلما كان يأتي بعض الشيوخ عند الأبّا مقار يوس كان يقودهم إلى قلايتهما قائلاً: تعالوا انظروا مكان استشهاد Martyrium الغرباء الصغار](٨)، حيث «المرتيريوم» تعني المقبرة التي تُشاد تخليداً لذكرى من يشهد للمسيح بحياته أو بموته، وكان القديس مقار يوس يقول عنهما: «إنهما أرضيا الله بأعمالهما» مما جعل الآباء يتسابقون في بناء قلاليهم بالقرب من قلايتهما.

مصدر آخر لتسمية دير البرموس:

يعتقد المؤرخ إڤلين وايت وسيكار الفرنسي(٩) أن تسمية البرموس نسبة للروميَّيْن غير صحيحة. وقد تكون أكثر دقة لو تُنسب «للرومي»، و يعتقد أنه هو أرسانيوس لأنه يشك في جنسية مكسيموس ودوماديوس أنهما روميان أصلاً، بل يقول إنهما سور يان جاءا من سور يا، و يستدل على ذلك بأن مقار يوس الكبير لم يسميهما الروميين بل الغر بيين. هذا بالإضافة إلى أن هذين القديسين غير معروفين على الإطلاق عند الكنيسة اليونانية وليس لهما تذكار بالمرة في سنكسار الكنيسة عندهم، بعكس أرسانيوس مثلاً فهو قديس مشهور من الدرجة الأولى وله عيد عندهم. وكذلك لم يرد في جميع أقوال الآباء أي ذكر عن اسمَيهما. كما أنهما ليسا أولاد ملك لأن ڤالنتنيان لم يكن له أولاد بالمرة. لذلك فإن تسمية البرموس نسبة إلى أرسانيوس المدعو: بي روميئوس ⲡⲓⲣⲱⲙⲉⲟⲥ، قد تكون هي الأصح، لأن التسمية هنا منسوبة لفرد واحد وهو أرسانيوس الذي هو وحده يُحسب عن يقين أنه رومي، وأنه معلم أركاديوس وأنور يوس وَلَدَيْ الملك ثيئودوسيوس، وهو شخصية كانت بحق بارزة في تار يخ جماعة شيهيت الأولى وتستحق بالفعل أن تأخذ هذه الكرامة، خصوصاً وأن زمن مجيئه للإسقيط قر يب من زمن مجيء مكسيموس ودوماديوس، ومن هنا حدث الإلتباس. فقد هرب أرسانيوس من بلاط الملك ووصل الإسقيط سنة ٣٩٤م.

والمعتقد أن جماعة شيهيت قامت ببناء كنيسة أخرى (غير الكنيسة الأولى المعروفة بكنيسة إيسيذوروس التي كانت موجودة قبل وصول القديسين مكسيموس ودوماديوس) وسموها باسم

---

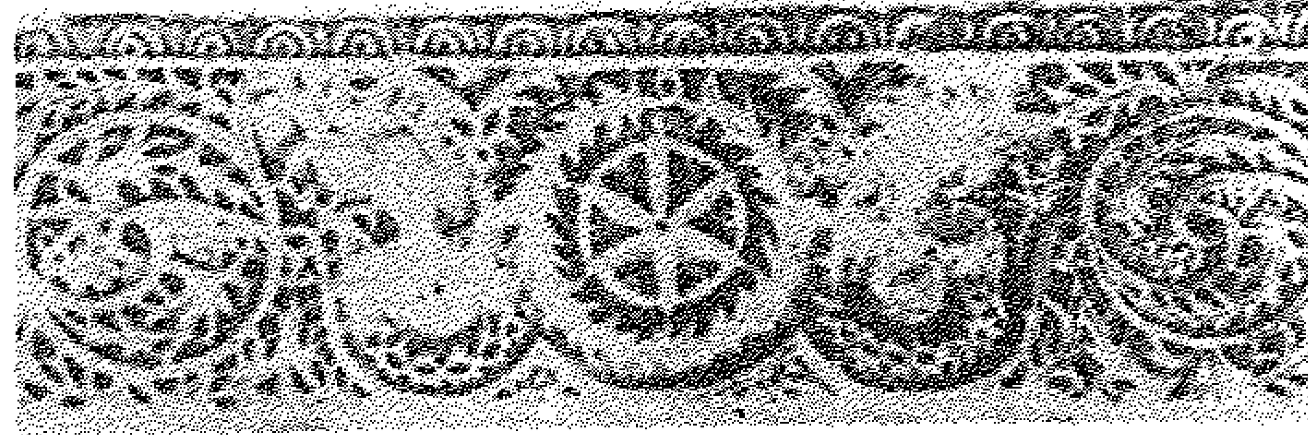
(8) Apoph. Patr., Fr., 239, p. 143 (Guy).

(9) Ev. Wh., II, p. 101, 102.

هذين القديسين(١٠). ويحقق لنا المؤرخ سيكار(١١) صحة هذا الكلام لأنه شاهد بنفسه (في بداية القرن ١٨) أثر خرائب كنيسة بجوار البرموس احتفظ التقليد بتسميتها كنيسة مكسيموس ودوماديوس. كما يحتفظ لنا التاريخ القديم بمخطوطة تقول: [إن الآباء أقاموا بجوار منشوبيتها (مكسيموس ودوماديوس) كنيسة](١٠). وفي وصف رحلة أنبا بنيامين لتكريس كنيسة أنبا مقار سنة ٦٥٥م. يتضح بنوع قاطع أن البراموس شيء آخر غير مكسيموس ودوماديوس. فالمخطوطة تقول أن أول مكان التقى به أنبا بنيامين في رحلته من القلالي عند وصوله لشيهيت هو البراموس، ثم مكسيموس ودوماديوس: [ولما اقتربنا من البراموس ومكسيموس ودوماديوس ترجّلنا (نزلنا من على الدواب) ودخلنا كنيسة القديس إسيذوروس](١٢).

ومن هذا يتضح أن دير البراموس شيء، وكنيسة مكسيموس ودوماديوس شيء آخر. كذلك يتضح أن هناك كنيستين: واحدة أصلية وهي كنيسة إسيذوروس أول كنيسة بُنيت في شيهيت على يد أنبا مقار نفسه (التي يُقال أن ميلانيا دفعت نفقاتها)(١٣) وهي التي ظلت قائمة من جيل إلى جيل حتى اليوم تذكاراً للقديس الكبير أبو البرية كلها، لأنها أول كنيسة بناها بيده وصلى فيها. والأخرى هي كنيسة مكسيموس ودوماديوس، وهي كما تقول مخطوطة سيرابيون أنها كانت صغيرة وهي التي فقدها الرهبان على ممر الزمن والتي رأى الرحالة سيكار خرائبها بجوار الدير.

والمعروف في التاريخ أنه بعد سقوط كنيسة مكسيموس ودوماديوس أخذ الرهبان جسديهما الطاهرين ووضعاهما في كنيسة إسيذوروس مع جسد أنبا موسى الأسود(١٤).



قطعة من الحجر المنحوت تتوسطها زهرة زخرفية وعلى الطرفين زخرف ورقة العنب يحيط بعناقيده
[من دير أبَّا إرميا بسقارة ـ معروضة بالمتحف القبطي بالقاهرة]

(10) A.M.G., XXV, p. 315.
(11) Lettres èdifiantes, t. V, p. 44.
(12) Hist. Patr., p. 242, Evetts.
(13) Zoëga, Cat. No. LXXI & Amél., Hist. Laus., p. 96.
(14) Quatremère, Mem. Geogr. & Hist. VI, p. 470.

٢ ــ التجمّع الرهباني الثاني في شيهيت
دير أنبا مقار

تقول مخطوطة سرابيون في حياة القديس مقار يوس أنه بعد نياحة القديسَيْن مكسيموس ودوماديوس، ثم بناء «كنيسة صغيرة» تخليداً لهما، ابتدأ القديس مقار يوس من ذلك الزمان تنمو شهرته في كل أنحاء العالم، ولرغبة القديس في الهدوء والعزلة ولكثرة مضايقات العدو المضاد له، قام بإرشاد الشاروبيم وانحدر جنوباً بشرق إلى الصخرة الواقعة في جنوب الملاحات غرب البئر الواقعة أعلى(١) الوادي. ثم أرشده الملاك أن يبني مسكناً له هناك وكنيسة للصلاة، كما أعلمه أن جموعاً كثيرة ستأتي وتسكن هذا المكان. وتقول المخطوطة أنه سكن هناك حتى يوم نياحته. لذلك دُعي هذا الموضع إسقيط مكار يوس (الأبا مكاري) وذلك بنوع خاص، دون كافة المواضع التي عمرها «لأنه هو المكان الذي أنهى حياته فيه».

ثم قام القديس أنبا مقار ببناء بئر جديدة بالقرب من الصخرة التي عُرفت فيما بعد ببئر أنبا مقار. ومعروف أن بناء بئر معناه بداية تكتُّل عمراني في المنطقة. أما الإخوة الذين رافقوه إلى هناك والذين جاءوا بقصد الرهبنة فقد تجمعوا أسفل الصخرة و بنوا قلاليهم تحت الصخرة بجوار البئر.

وفي كتاب فضائل القديس مقار يوس الموضوع بالقبطية(٢) نقرأ عن قصة زيارة قام بها أبّا بامو وإيڤاجر يوس من نتر يا مع أبّا موسى الأسود الذي لحق بهما مع آخرين من شيهيت (البراموس)، وكيف وصلوا بإرشاد الملاك إلى الصخرة المشهورة بـ«صخرة أبّا مكار يوس» حيث كان يسكن مع أولاده. والقصة في المخطوطة العربية لسرابيون ينقصها الأسماء جاءت كالآتي:

[اجتمع بعض الأوقات سبعة من الشيوخ القديسين (من نتر يا) ليمضوا إلى قلاية القديس مقار يوس. فلما جاءوا وجازوا على قلاية (دير) الأبّهات الروم وعبروا على قلاية موسى الأسود سألهم الأب موسى: إلى أين أنتم ماضون؟ فأجابوه: إلى عند الأب مقار يوس لنتبارك منه. فقال لهم: وأنا قد صار لي هذا الفكر. فخرج الأب من قلايته وكان الوقت قد قرب من المساء وكانت الغيوم والر ياح كثيرة جداً. فلما ساروا قليلاً لم يعرفوا إلى أين يمضوا. فصلوا كلهم وقالوا: أيها الروح الباراكليت الساكن في قديسه مقار يوس: أضيء لنا وقوّم سبيلنا إليه حتى نجتمع بعبدك.

---

(١) كلمة أعلى الأرض وأسفل الأرض في المخطوطات القبطية القديمة لا تفيد وضعاً رأسياً ولكن تفيد إتجاهاً جغرافياً. فأعلى الأرض هو الصعيد وأسفل الأرض هو الوجه البحري. لذلك كلمة أعلى الوادي تفيد طرفه الجنوبي. وعلى ذلك تكون هي بئر أنبا مقار الحالية التي يقع الدير الحالي في الإتجاه الغربي لها، و يُظن أنها بئر رومانية قديمة.

(2) Amél., A.M.G., XXV, p. 186.

وللوقت أضاء لهم عمود نور متصل بقلاية الأب مقاره، فأرشدهم حتى وصلوا...](٣).

أما القصة فنجدها في كتاب «فضائل أنبا مقار» بالقبطية، وترجمتها كالآتي:

[قال أنبا بموا: عزمت في قلبي أن أرى أنبا مقار وأسجد بين يديه. ولما أتيت إلى الجنوب في الموضع الذي لأنبا موسى الأسود وجدت أبّا بيمن وأوغريس وكرونيوس وأخوين آخرين وكان لهم نفس العزم لزيارة أنبا مقار...إلخ].

من هذه القصة نستدل دلالة واضحة لثاني مرة أن مكسيموس ودوماديوس تنيحا قبل نياحة أنبا بامو أي قبل سنة ٣٧٣م. كذلك يتضح أيضاً أن دير أنبا مقار بدأت تجمعاته تأخذ وضعها الثابت قبل هذا التاريخ بمدة ليست قليلة؛ لأن القديس بامو الذي تنيح سنة ٣٧٣م. يظهر هنا كإنسان قوي البنية يستطيع أن يقوم برحلة طويلة من نتريا إلى شيهيت إلى دير أنبا مقار جنوباً استغرقت يوماً وليلة في أسوأ الأجواء.

وفي وصف مكان سُكنى أنبا مقار توضيح آخر نجده في كتاب «أقوال الآباء» وهو المحسوب أنه أقدم وأصدق الوثائق، إذ يقول: [أبّا مكاريوس كان ساكناً في البرية بمفرده متوحداً (ἀναχωρῶν أناخورون) بينما أسفل منه كانت صحراء يسكنها جماعة من الإخوة](٤).

وما حدث في بداية سكناه في شيهيت، حدث أيضاً في سكناه الأخير على صخرة أنبا مقار الثانية، إذ تكاثر عليه الناس والزائرون حتى اضطر إلى حفر نفق تحت الأرض مسافة ٣٠٣ قدم يصل بين قلايته ومغارة أخرى كان يهرب إليها من كثرة الزائرين. وكان يتلو صلواته الأربع والعشرين في ذهابه إلى مخبئه ومجيئه منه(٥)، ومن هذا نستدل أن المكان ازدحم بالرهبان والزائرين بسرعة.

وقد أمر القديس مقاريوس تلاميذه أن يقيموا في جماعات أو مجموعات متجاورة، وهو نظام المنشوبيات الذي اشتهر به دير القديس أنبا مقار منذ البدء(٦).

ومن قصة افتقاد أنبا مقار للراهب المتواني ثيئوبِمْبتُس المتواطىء مع الشيطان(٧) وكيفية خروج الآباء بسعف النخيل لاستقبال القديس مقاريوس عندما رأوه نازلاً من الصخرة لافتقاد

(٣) المخطوطة العربية لسيرابيون رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار. و يلاحظ أن في كتاب الفضائل، هذه القصة مذكورة مع توضيح مكان سكنى القديس على الصخرة جنوب البحيرات.

(4) Apoph. Patr., Macar., III.

(5) Hist. Laus., ch. XVII.

(6) Amél., La Geogr. de l'Egypte, p. 437.

(٧) أنظر قصته صفحة ٩٤.

الإخوة والبحث عن هذا الراهب، نستدل أن أنبا مقار لم يكن يترك وحدته إلا نادراً جداً، وأن الجماعة كانت ناشطة ومتحدة ونامية. إذ باعتراف الشيطان أنه لم يوجد فيهم واحد يتبع هوىَ الشيطان إلا هذا الراهب المتقاعس وحده، والذي بصلوات القديس وحكمته وتوبيخه قام أيضاً ونفض عنه هذه الشركة النجسة مع الشيطان.

تاريخ بداية التجمع الرهباني في منطقة دير أنبا مقار (البيامون):

أربعة حوادث يمكن الإعتماد عليها لتحديد بداية تاريخ وجود رهبان في منطقة دير أنبا مقار الحالي:

الأولى: تاريخ نياحة مكسيموس ودوماديوس، حيث ذُكر أن بعد نياحتهما نزح أنبا مقار جنوباً بشرق إلى أعلى طرف الوادي لتأسيس الجماعة الرهبانية الثانية في شيهيت. وقد رأينا استحالة الأخذ بأنه كان سنة ٣٨٥م.

الثانية: خبر زيارة القديس بامو إلى القديس مقاريوس مع السبعة الشيوخ من منطقة نتريا، وانضمام أنبا موسى الأسود لهم من منطقة البراموس، ووصولهم جميعاً إلى موضع أنبا مقار جنوباً في منطقة دير أنبا مقار. والمعروف أن أنبا بامو تنيح سنة ٣٧٣م.، إذن يتحتم أن تكون الزيارة تمت قبل ذلك بمدة، كما يتحتم أن يكون أنبا مقار استقر في هذه المنطقة (منطقة البيامون) في تاريخ مبكر أيضاً.

الثالثة: تقرير الراهب والمؤرخ كاسيان الذي زار شيهيت سنة ٣٨٥م. ووجد بها أربع كنائس لأربعة جماعات قائمة ونامية.

الرابعة: قصة نفي أنبا مقار المصري وعودته مرة أخرى مع رفيقه أنبا مقار الإسكندراني، وفيها يقول الكاتب بوضوح بديع وهو يصف مقابلته لأبنائه الرهبان بعد عودته هكذا: [وأقام ذلك النهار جميعه وتلك الليلة يقوي قلوب أبنائه ويخبرهم بجميع ما جرى عليهما، وكيفية رجوعه إليهم، وكانوا جميعاً فرحين بسماع كلامه ودموعهم تفيض وهم يمجدون المسيح الذي قواهما على مكابدة هذه الأتعاب، وفي اليوم الثاني وفي الساعة الثالثة من النهار سرَّحهم بسلام وأخذه تلميذه أنبا ببنودة **ومضوا إلى البيعة التي في ديره على الصخرة في المغارة التي كان قد بناها القديس أنبا مقاره قبل مجيء لوكيوس...**](٨).

ومعلوم أن لوكيوس بدأ دخوله للبرية بعد نياحة أنبا أثناسيوس مباشرة في مايو سنة ٣٧٣م.

من هذه التواريخ نرى أن قيام جماعة دير أنبا مقار بدأ على أقل تقدير منذ بداية الستينات في

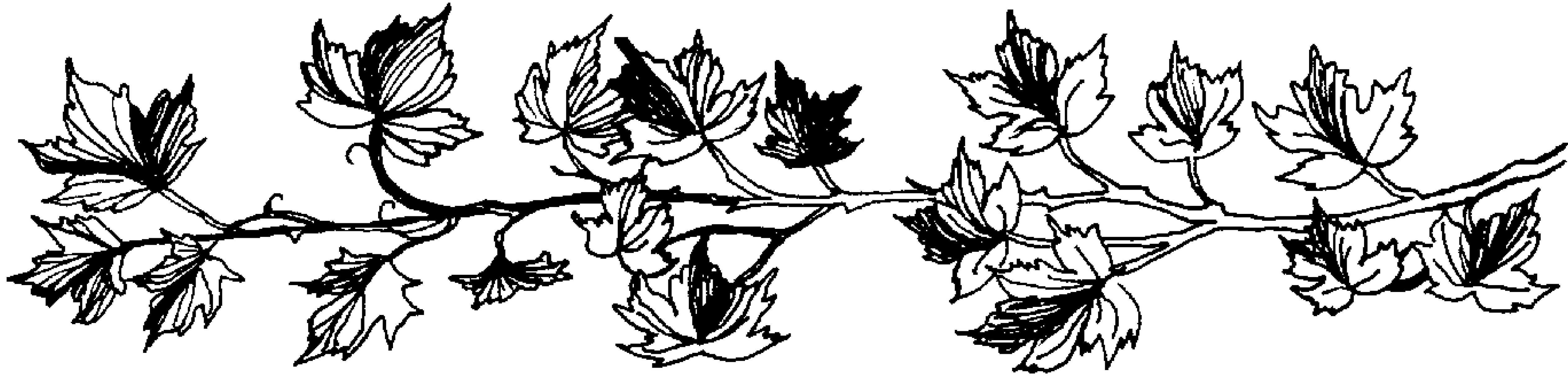
---

(٨) مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار، ص٤٦.

القرن الرابع إن لم يكن قبل ذلك أيضاً.

وهكذا يرتسم أمامنا الآن صورة التجمُّع الرهباني الثاني هكذا: أبّا مقار سنة ٣٦٠م. وهو لايزال ابن ستين سنة على الصخرة (صخرة أنبا مقار جنوب الوادي) يعيش حياة الوحدة بمفرده، وبعيداً منه وأسفل الصخرة جماعة الرهبان تتكاثر وتنمو في هدوء، بعضهم على شكل جماعات في منشوبيات متفرقة وبعضهم متوحدون؛ كل واحد يجاهد في وحدته؛ ولا يجتمع بهم أنبا مقار إلا نادراً فيما عدا اجتماع الكنيسة الأسبوعي. والمعتقد أن القديس مقاريوس كان معتزلاً الممارسات الكهنوتية معظم حياته(٩)، كذلك يُعتقد أنه أخذ معه أنبا إسيذوروس حينما ارتحل إلى منطقة دير أنبا مقار(١٠) تاركاً القديس بافنوتيوس تلميذه الأكبر، وأكبر الكهنة جميعاً الذي صار رئيساً فيما بعد على الأربعة الأديرة كلها بشيهيت.

ويقرر كاسيان أن بافنوتيوس حل محل إسيذوروس القس في سنة ٣٧٣م.، مما يؤكد رحيل إسيذوروس مع القديس مقاريوس في هذا التاريخ في ارتحاله إلى منطقة دير أنبا مقار (البيامون)(١١).



(9) Ev. Wh., II, p. 106.

(10) Ibid.

(11) Cassian, Coll. XVIII, 15, 3 & Ev. Wh., II, p. 121.

الفصل الخامس

التجمُّعان الفرعيَّان في شيهيت على يد تلاميذ أنبا مقار

١ ــ دير يــؤنس القصير(١)

إن كل ما وصلنا عن بدء تاريخ دير يؤنس القصير لا يتعدى قولين، **الأول** جاء في مخطوطة سيرابيون عن حياة القديس أنبا مقار، **والثاني** جاء في مخطوطة كتبها زكريا أسقف سخا عن حياة أنبا يؤنس القصير، في مخطوط سيرابيون جاء: [ولما بلغ القديس أنبا مقار سن الشيخوخة كان قد قصدته جماعات من الناس ليُلبسهم الزي الرهباني... فكان معه تلاميذ كثيرون، ولكنهم لم يكونوا كلهم بجواره لأن بعضهم (بعضاً من تلاميذه الأوائل) أخذتهم غيرة نارية للفضيلة فانتقلوا إلى نواحي بعيدة ليحيوا في مواضع أخرى، فلما قصدهم طالبو الرهبنة وعاشوا إلى جوارهم أُطلقت أسماء هؤلاء التلاميذ على تجمعاتهم الجديدة التي للأبّا يوحنا كولوبوس(٢) (القصير) والتي للأبّا بيشوي: (وكانا من تلاميذ الأب أموي Amoi الذي كان متتلمذاً على الأب بيتو Pithou تلميذ الأبّا مقاريوس). وقد تهلّل القديس مقاريوس لما رأى أغصان شجرته ــ أولاد أولاده ــ (الفروع الخارجة من الأصل) تتكاثر].

أما ما جاء في مخطوطة زكريا أسقف سخا(٣) التي كتبها بالقبطية في أواخر القرن السابع، فيقول أنه جمعها من كتاب الشيوخ القديسين المعروف سابقاً بفردوس شيهيت(٤): [إن الرب تكلم في قلبه (يوحنا القصير) بالروح قائلاً: اذهب إلى جبل النطرون الذي هو شيهيت المكان الذي توزن فيه القلوب والأفكار بالفحص الصادق. فذهب الشاب إلى شيهيت وقصد الأب أموي

(١) أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب.

(٢) كلمة «كولوبوس» يعني قصير بالقبطية، و يتصرف منها «كولوبيا» أي القصارية التي كان يلبسها الرهبان، وهي مثل القميص الطويل نوعاً ما والتي اشتُقت منها كلمة «جلابية».

(3) A.M.G., XXV, pp. 316 ff.

(4) Ev. Wh., New Texts, p. XXIII.

(بالیوناني أمو یس) الذي حلق رأسه وألبسه زي الرهبنة الذي رشمه الملاك ثلاث مرات بعلامة الصليب].

وتعود «أقوال الآباء» تقص علينا خبر شجرة الطاعة التي كانت أول عمل أو أول غرس غرسه يوُنس القصير في الموضع الذي صار فيما بعد زاخراً بمئات الرهبان: [يخبرون عن أنبا يوُنس القصير أنه بعد أن استقر في شيهيت تحت تدبير شيخ من الصعيد (يُدعى اسمه أموي)(٥) الذي أخذ عوداً جافًّا وغرسها (على بعد اثنى عشر ميلاً رومانياً من قلايته)(٦) ثم قال ليوُنس: إسق هذه يومياً بقدرة ماء حتى تزهر وتثمر، وكان الماء بعيداً جداً من المكان (إثنى عشر ميلاً أي ما يساوي عشرين كيلومتراً) حتى أنه كان يذهب في الصباح ولا يعود إلا في الغروب! ولكن بعد ثلاث سنوات إخضر العود الجاف وأزهر وأثمر، فأخذ الشيخ من الثمر وأحضره إلى الكنيسة قائلاً للإخوة: خذوا كلوا من ثمرة الطاعة](٧).

وفي نهاية حياة أموي تبدأ تتكامل قصة أول إشارة عن تكوين جماعة يوُنس القصير كالآتي: [ولما دنت أيام أموي أوصى يوُنس القصير قائلاً: يايوحنا ابني، حينما أخرج من هذا العالم اذهب واسكن في المكان الذي زرعتَ فيه الشجرة، لأن هذه الشجرة التي استجابت لك وأرسلت جذورها هي علامة ورمز يشير إلى سر النفوس التي سوف تخلص على يديك في هذا المكان، والتي ستكون ذكرى لك أمام الله](٨)... [وهكذا لما تنيح معلمه أطاع يوحنا الوصية ورحل إلى مكان الشجرة حسب أمر أبيه، وصنع لنفسه مغارة صغيرة هناك حيث صنع تنسكات شديدة وكثيرة، وكان يدّثر بثوب من الليف و يقضي يومه في أسفل المغارة في مكان حفره تحتها عميقاً. وهكذا قصده جماعات جاءوا ليتتلمذوا على يديه متشبهين بسيرته الملائكية، وسكنوا حوله وتكاثروا حتى بحكمتهم حولوا المكان القفر إلى مدينة للمسيح. وهكذا لما زاد عددهم حفر لهم بئراً لأنه رأى أنهم يعانون من جراء ذهابهم لاستحضار الماء من على بُعد، وثابر التلاميذ مع يوحنا على حفر البئر خمسة

(٥) و(٦) Zacharia, Copt., Life of John the Little, A.M.G., XXV, p. 347.

و يقول البستان العربي المطبوع أن الأب الروحي ليوحنا القصير هو أنبا بلا (ص١٥٥) وتكتب باولا. و يقول كتاب: «أقوال الآباء» أن الأب الروحي ليوحنا القصير هو آمون (ص٥٧ الكتاب الأول). وفي موضع آخر يقول أنه أنبا بولا (كما جاء في قصة الصبغة) ــ (ص٦٨ من الكتاب الأول)، ويخطىء أيضاً كتاب: «دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية للدكتور حكيم أمين» إذ يجعل الأب الروحي ليوحنا القصير الأنبا بامو (ص٧٠)، في حين أن الأنبا بامو لم يمرض قط طول حياته حتى لحظة نياحته، فقد مات وهو يخيط مقطفاً من صنع يديه. ولكن الصحيح والمقطوع به أن أب يوحنا القصير هو الأب الكبير الشيخ أموي و يكتب اسمه أمو يس الذي تتلمذ على الأب الكبير بيشو Pithou.

(7) Apoph. Patr., John Colobos.
(8) A.M.G., XXV, p. 350.

أيام متوالية بدون جدوى. ولما رأى القديس يوحنا ذلك، أمضى الليل كله في الصلاة بجوار الحفرة، فإذا ينبوع ماء عذب ينفجر منها](9).

و يعتقد إڤلين وايت أن حفر هذا البئر هو في الحقيقة علامة استقرار لأول جماعة رهبانية في المكان اتخذت هذا القديس أبا ومرشداً لها.

تاريخ بداية التجمع الرهباني في دير يوحنا القصير:

إذا أردنا معرفة بدء هذا التجمع الرهباني حول القديس يوحنا القصير يلزمنا أن نبدأ أولاً من تاريخ نياحته متسلسلين تدريجياً حتى يوم مجيئه الإسقيط و بداية اعتزاله للتوحد. وأول نقطة ثابتة نبدأ منها هي معرفتنا أن القديس يوحنا القصير غادر الإسقيط بعد الغارة الأولى مباشرة التي حدثت سنة ٤٠٧ م.، وقد توجَّه إلى إقليم كليزما (السويس الآن)، وعاش هناك في الجبال المتاخمة للبحر الأحمر بالقرب من دير الأنبا أنطونيوس: [وقد قاده الرب إلى جبل الأب الكبير أنطونيوس جنوب كليزما، وسكن في مغارة حفرها وأكمل بناءها بالحجر فوق صخرة على نمط تلك التي كان يسكن فيها في شيهيت](10). ولكن تقول سيرته أنه لم يعش كثيراً في غربته أو منفاه الإرادي على شواطىء البحر الأحمر، إذ في أحد الأيام، وكان يوم الأحد، وقد أحس بقرب الساعة، أرسل تلميذه إلى الخارج عن عمد ليخلو إلى ربه و يسلِّمه الوديعة الغالية الطاهرة وكان ذلك في ٢٠ بابة الموافق ١٧ أكتوبر وقد بلغ السبعين عاماً(11).

وقد حقق العلامة الفرنسي Nau أن يوم الأحد يقع فعلاً في ١٧ أكتوبر من سنتي ٣٩٨م. أو ٤٠٩م. ولكننا نعلم تماماً أن نياحته وقعت بعد غارة البربر الأولى التي كانت سنة ٤٠٧م. إذن لابد أن نستبعد سنة ٣٩٨م. و يكون يوم نياحته هو ١٧ أكتوبر سنة ٤٠٩م. و يكون بذلك قد عاش سنتين في كليزما، وهي المدة الصغيرة التي تشير إليها المخطوطة. فإذا علمنا أنه عاش سبعين عاماً، يتحقق لنا أن ميلاده كان سنة ٣٣٩م.؛ ومن سيرته نعلم أنه ترك العالم والتجأ إلى الصحراء ليبدأ حياة الرهبنة وهو ابن ١٨ سنة(12) أي سنة ٣٥٧م. وهكذا ننتهي إلى حقيقة تاريخ مجمع رهبان يوحنا القصير كنواة لديره التاريخي في شيهيت كالآتي:

يوحنا القصير وُلد في إقليم البهنسا سنة ٣٣٩م.، وذهب إلى شيهيت سنة ٣٥٧م.، وظل مرافقاً لمعلمه أموي (الذي من نفس بلدته البهنسا) خمس سنوات، بعدها اعتلت صحة معلمه جداً، ربما على أثر التهاب رئوي أو مرض صدري خطير ظل يعاني منه أموي ١٢ سنة، وتلميذه الأمين المخلص

(9) A.M.G., XXV, 351f.

(10) A.M.G., XXV, pp. 390ff. & Nau. Hist. De Jean Le petit.

(11) A.M.G., XXV, p. 400.

(12) Coptic Life of John the Little, A.M.G., p. 356 & Ev. Wh., II, p. 107.

بمرضه ويحتمل كثرة سعاله والبلغم الذي كان يقذفه من صدره باستمرار، والنوبات التي كانت تنتابه كثيراً حتى كان يسقط بثقله على يوحنا. و بعدها نام معلمه واستراح بعد أن بارك يوحنا البركة الأخيرة التي دامت معه إلى الأبد. وهكذا تكون مدة وجود يوحنا مع معلمه هي ١٧ سنة، التي بعدها انطلق حسب وصية معلمه وعاش متوحداً في المنطقة التي عيّنها له أبوه بعلامة الشجرة المورقة «شجرة الطاعة» الشهيرة. و بذلك يكون بدء توحد يؤنس القصير هو ٣٥٧ + ١٧ = ٣٧٤م.. فإذا أضفنا إليها خمس أو ست سنوات وهي المدة التي تكاثر فيها تلاميذه حوله، يكون تاريخ ظهور دير يؤنس القصير ما بين سنتي ٣٨٠م. و٣٨٥م. تقريباً. وهذا يطابق بالفعل ما جاء في مخطوطة سيرابيون عن حياة أنبا مقار، أن أنبا مقار كان قد بلغ الشيخوخة حينما ظهر ديرا أنبا يؤنس القصير و بيشوي في شيهيت بكنائسهما.

أما بخصوص شخصية يؤنس القصير، فقد كان محبوباً من كافة رهبان شيهيت إلى الدرجة التي ظهر فيها محسوداً من بعض كبار شيوخها عندما كانوا يبصرونه جالساً وسط جماعات الرهبان الكثيرة يحدثهم و يرد على أسئلتهم و يرشدهم.

ولكنه كان على درجة من الإتضاع قلّ أن يبلغها أحد، فلم يعطِ فرصة للشيطان على الإطلاق أن يقع بينه و بين إنسان آخر، حتى شاع القول المأثور عنه: [إن يوحنا كان يحمل شيهيت كلها باتضاعه كما يحمل الإنسان نقطة ماء على كفّه].

أما قصة تمريضه لأبيه الشيخ، فتكشف عن نفسية فدائية متفانية في الحب والبذل وتكريم الأبوّة الروحانية إلى درجة الفضيلة التي استحق يوحنا بسببها أن يتخلد اسمه كأحد آباء الرهبنة العظام.

و بسبب وداعة يوحنا وعلمه وصبره واتضاعه، انتخبه مجمع شيوخ آباء البراموس ليكون أبا مرشداً لأرسانيوس في بدء حياته حينما وصل إلى شيهيت سنة ٣٩٤م(١٣)، مما يوضح لنا أن يوحنا القصير بدأت شخصيته في الظهور بسرعة بسبب حكمته وفضيلته وعلمه وإفرازه.

و بعد غارة البربر الأولى التي استُشهد فيها أنبا موسى الأسود، قام هو وزميله أنبا بيشوي وتغربا، واحد عند القلزم (السويس)، والآخر في أنتنوا (أنصنا). وتنيح كل منهما في غربته بعيداً عن شيهيت. وقد ظهر للقديس يؤنس القصير كل من أنطونيوس ومكاريوس وأبوه الشيخ أموي قبل نياحته، وأكدوا له خلاصه في العالم الآخر.

وقد تم نقل جسده من كليزما (السويس) بعد نياحته بمدة طويلة، وذلك في زمن بطريركية

(13) Life of John Colobos, Acta SS., July IV, pp. 618f, by Theodore of Studium.

يوحنا الرابع (٧٩٠–٧٩٩م)، وكان قد استولى على جسده جماعة من الخلقيدونيين، ولكن بتوسط البطريرك وأسقف كليزما لدى الوالي استطاع رهبان شيهيت أن يستعيدوه و يرحلوا به إلى شيهيت حيث استودع دير أنبا مقار مدة ثم انتقل إلى ديره. ولكن بعد أن تخرب دير يوحنا القصير عاد الجسد إلى دير أنبا مقار حيث ظل فيه مع أجساد المقارات الثلاثة حتى هذا اليوم.

وقد حاول أحد البطاركة ــ المدعو أنبا مرقس خليفة يوحنا الرابع ــ أن يكسو الجسد بأكفان جديدة من الحرير تكريماً لهذا القديس المحبوب، ولكن حالما تقدم البطريرك وخلع عنه الكفن الليف الذي كان ملفوفاً به حدثت زلزلة في الكنيسة وسقط الرهبان والزوار من الفزع، فأعاد البطريرك كفنه الليف كما كان. وقد ذُكرت هذه الحادثة في ذكصولوجيته المشهورة في السنكسار الأثيوبي تحت يوم ٥ سبتمبر:

[من أجل أعمالك العظيمة يايوحنا القصير
أراد أولادك أن يكفنوك بلفائف من حرير
فنعهم الرعد الذي دوى في الكنيسة.
فبقيت عليك ثياب الفقر من الليف كما أردت](١٤).

٢ ــ دير أنبا بيشوي

إسم «بيشوي» ومرادفه باليونانية:

مما جعل اسم القديس أنبا بيشوي مغموراً، ومبهماً أحياناً لدى الكثيرين من المؤرخين الأوائل اليونانيين والمحدثين أيضاً، هو استخدام اسم بيشوي أو بشوي بمرادفه اليوناني الذي طغى على الأصل القبطي خصوصاً في العصور الأولى. فإسم بيشوي أو شوي أو بشوي(١٥):

ⲡⲓϣⲟⲓ　ⲡⲓϣⲱⲓ　ⲡ̀ϣⲟⲓ　ⲡⲓϣⲁⲓ　ϣⲟⲓ

بالقبطية لا يمكن كتابته ولا نطقه باليونانية كما هو بالقبطية بسبب عدم وجود حرف ϣ ش في اليونانية. لذلك يُكتب باليونانية بيسويّوس أو سويوس أو بسويّوس بإضافة س النهاية Païsios ، وتُكتب باليونانية Ψώϊος (١٦). وقد جاء في البستان بالعربية (عن اليونانية) بيصُويُص أو بصُويُص(١٧). وقد أخطأ النساخ وجعلوه مرات كثيرة سيصويص أو شيشوي، والذي يجهله

(14) Synax. (Eth.), Nahase 29 (5 Sept.).

(١٥) ينبغي أن نفرق بين اسم أنبا بيشوي وإسم القديس الآخر بيشاي أو بشاي (المعاصر لأنبا بجول خال الأنبا شنودة) الذي يُذكر اسمه دائماً مع اسم شنودة عند ذكر الديرين الأبيض والأحمر بسوهاج: سنكسار باسيه صفحة ٧٥٨.

(16) Ev. Wh., II, p. 112.

(١٧) أنظر كتاب البستان العربي وله فيه ستة أقوال ص ٢٤٣، ص٢٤٤. وقد أخطأ كثيرون في اعتباره أنه شيشوي، لأن سيصوي هو شيشوي، ولكن هذا غير بصويص.

كثير من المؤرخين أن بيشوي صاحب دير أنبا بيشوي كان من رواد الصحراء الأوائل، وكان يُذكر اسمه دائماً مع أخويه بولا و بائيسيوس (١٨)، فالثلاثة كانوا إخوة أو زملاء نسك وجهاد مع القديس بامو الكبير، وأول ذكر لهم جاء في خطاب باللغة اليونانية من أمونيوس الأسقف الذي من نتريا إلى القديس البابا أثناسيوس متكلماً عن سؤال أثناسيوس بخصوص (القديسين المتوحدين في شيهيت **بائيسيوس، «وبولا وبسويوس (بيشوي)» أخويه**، وعن إشعياء و بيسيروس واسحق و بولا) (١٩).

والعالم المؤرخ إفلين وايت يؤكد بكل تحقيق أن بسويوس هو بيشوي **وهو أخو بولا** الذي ظل التاريخ حتى اليوم يعتقد أنه تلميذه أو صديقه، وقد وُجد إسماهما محفورَين على جدران دير سقارة (دير أنبا إرميا) مع زميلهما أبا سيروس أو بيسيروس ⲁⲡⲁ ⲡⲓϣⲟⲓ ⲛⲙ ⲁⲡⲁ ⲡⲁⲩⲗⲉ ⲁⲡⲁ ⲥⲟⲩⲣⲟⲩⲥ (٢٠).

وما عُرف عن حياة هذا القديس ونياحته جاءنا عن طريق مخطوطة (باليونانية (٢١) والسريانية (٢٢) والعربية) قيل أنها بقلم يوحنا القصير نفسه، ولكن هذا خطأ لأن يوحنا القصير تنيح قبل الأنبا بيشوي بمدة طويلة. فيوحنا تنيح سنة ٤٠٩ م. وأنبا بيشوي تنيح سنة ٤١٧ م.، ولكن من المخطوطة يتبين لنا أنها من كتابات القرن السابع، لذلك يوجد فيها تضارب كبير في الأخبار والحوادث والتواريخ، وتحتاج إلى حرص شديد في تفهمها (٢٣).

وتقول المخطوطة أنه من مواليد بلدة شانشا من أعمال مصر (٢٤)، وكان واحداً من سبعة إخوة. وبالرغم من أنه كان أصغرهم وأضعفهم إلا أن أمه رأت في الرؤيا ملاكاً يختاره بالذات لخدمة الله. وفي الميعاد الذي اختاره الله حث روحه لينطلق إلى شيهيت، وتتلمذ على يد أموي (وفي النسخة اليونانية يُذكر خطأ أنه بامو — وفي العربية يذكر باموية تمييزاً له عن بامو)، فصار أخاً روحياً ليوحنا القصير. وبنياحة معلمهما ارتحلا معاً وسكنا بجوار شجرة الطاعة. وقد برع أنبا بيشوي في حفظ الأسفار وخصوصاً سفر إرميا النبي، ويُقال أن النبي إرميا ظهر له وشرح له أقوال

---

(١٨) بائيسيوس Païsios اسم جاء لعدّة متوحدين. فيوجد بائيسيوس أخ أنبا إشعياء (Laus. Hist., ch. XIV) و بائيسيوس أخ أنبا بيمن (Apoph. Patr., Poemen II) و بائيسيوس أخي بولا. وهذا الإسم بائيسيوس وُجد أيضاً في بعض المخطوطات باللغة اليونانية بدل اسم بيشوي بالقبطية، سواء في سيرة بيشوي و بولا الطموهي، أو في نقل جسدَيهما، مما يدل أن شخصية بيشوي المعروفة لدينا كانت هي تماماً شخصية بائيسيوس في العصور الأولى و بالأخص باللغة اليونانية.
.«Zetia Paësia» by Pomijalowski, p. 59-60

(19) Ch. 24, Acta SS., May III, Appendix p. 71.

(20) Thompson, Coptic Inscription No. 240, 11, 13f. Quibel, Saqqara IV, p. 75.

(21) Zetia Paësia, Pomijalowski.

(22) Syriac Text by: Bedjan (Acta SS., et Mart., t. III).

(23) Ev. Wh., II, p. 111.

(٢٤) شانشا اسم عدة مدن تقع في أقاليم متعددة، فنها تابع لدمنهور المتاخم لمنطقة نتريا، ومنها تابع لشربين، ومنها تابع لمركز أجا، ومنها تابع للدلنجات. Amél., Geogr.; p. 373f.

سفْره. لذلك كان الرهبان يدعونه بيشوي الإرمييي ⲡⲓϣⲟⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲓⲉⲣⲉⲙⲓⲁⲥ وجود صورة وإسم أنبا بيشوي محفوراً على جدران دير إرميا بسقارة له علاقة بذلك. وقد عُرف اسمه بعد ذلك وكتب ونُقش على الصخور بهذا اللقب، ووُجد منقوشاً في دير باويط مكان تغربه أيام غارة البربر، وأيضاً في جبل جبراوي حسب تحقيق العلامة كرام وغيره(٢٥).

وقد اتفق القديسان منذ البدء على الإفتراق للوحدة والعبادة، فاختار بيشوي أن يرحل إلى الشمال الشرقي وعلى بعد حوالي أربعة كيلومترات من شجرة الطاعة استقر على صخرة، وأقام هناك في مغارة، فكان هذا المكان بداية دير أنبا بيشوي الحالي. فسرعان ما اجتمع حوله التلاميذ الذين رأوا سيرته ونسكه وأحبوه، فألبسهم الإسكيم المقدس وعلمهم مخافة الله وصيَّرهم جنوداً للمسيح(٢٦). وهكذا يعتقد العلماء أن ديري أنبا يوٌنس القصير وأنبا بيشوي ظهرا في شيهيت في وقت واحد تقريباً، وذلك قرب نهاية حياة أنبا مقار الكبير (سنة ٣٩٠م.)، الذي رآهما وبارك الله إذ تحقَّق فيهما وعد الشاروبيم له.

وكل أقوال القديس أنبا بيشوي جاءت تحت اسم سيصويص وبيصويص وبائيسيوس وذلك لإستخدام الإسم اليوناني بدل القبطي.

وكانت حياة أنبا بيشوي يتخللها معجزات كثيرة أهمها ظهور الرب له عدة مرات في حياته. وفي إحدى هذه المرات اشتهى بيشوي أن يغسل رجلي الرب فسمح له، وبعدها شرب بيشوي نصف الماء وأعطى تلميذه النصف الآخر ليشربه، غير أن تلميذه تقزز من الماء ورفض أن يشربه فاختفى الماء. وقد ظهر له أيضاً الرب أثناء وجوده في صومعته التي كان يعيش فيها بالقرب من ديره (وهي صومعة الأنبا بيشوي الموجودة في دير السريان حالياً، والتي بها حلقة في السقف كان القديس يربط فيها حبلاً يربطه بالتالي في شعره حتى لا يغلبه النعاس أثناء السهر الليلي). وقد زار هذه الصومعة الأنبا بنيامين الثاني سنة ١٣٣٠م. لشهرتها بأن الرب ظهر فيها للأنبا بيشوي كما تذكر مخطوطة طبخ الميرون.

ويُقال أن القديس مار أفرآم السرياني جاء إلى مصر(٢٧) بدعوة في رؤيا ليرى مثيلاً له في الجهاد والمكافأة وهو أنبا بيشوي، وتعرف على أنبا بيشوي وتحدثا معاً، مع أن كلاً منهما لا يعرف الآخر. ويُقال أن مار أفرآم ترك عصاته خارج صومعة أنبا بيشوي عند دخوله إليه، وعند رحيله (بعد أسبوع) وجد العصا قد ضربت جذورها واخضرت وأورقت، وهي التي لا تزال موجودة بدير السريان المعروفة بشجرة التمر الهندي.

(25) Ev. Wh., II, p. 113, n.

(٢٦) المخطوطة العربية المذكورة سابقاً.

(٢٧) المخطوطة العربية المذكورة سابقاً.

فإذا علمنا أن مار أفرآم تنيح سنة ٣٧٨م. تكون الزيارة قد حدثت قبل ذلك الميعاد. وقد روج الرهبان السريان الذين سكنوا دير السريان لهذه القصة بشدة حتى يخرجوا منها بأحقية امتلاكهم لهذا الدير. ولكن القصة على العموم **مثبوتة في المخطوطات اليونانية القديمة**(٢٨).

وعند ارتحال أنبا بيشوي من شيهيت بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧م.، تقول المخطوطة العربية أنه قام وانحدر إلى أنتنويه وتقابل مع بولا رفيقه وعاشا معاً. وقد أُعلن لهما أنهما لن يفترقا لا في الحياة ولا في الموت. وكان يتردد عليهما أب قديس يسمى أثناسيوس الذي من أنصنا، الذي صار بعد ذلك أباً لدير كبير من أكبر أديرة الصعيد(٢٩) في أسيوط، الذي تسمَّى باسمه حسب نبوة بيشوي وبولا. وقد بقي أنبا بيشوي في غربته إلى أن تنيح بشيخوخة كبيرة بعد أن انحل جسده وضعفت صحته من كثرة النسك، وذلك في يوم ٨ أبيب (١٥ يوليو)، ودفن في حصن منية السقّار ليس بعيداً عن أنصنا(٣٠)، وتنيح بعده بولا رفيقه في ٧ بابة (١٧ أكتوبر). وقد تولى صديقهما جمع جسدَيْهما (بأعجوبة لأن المركب حينما وافت على مكان دفن جسد أنبا بولا لم يمكن تحريكها حتى أحضروا جسده) وقد دفنا معاً في مقصورة بدير أنبا بيشاي الذي بناه في أنصنا.

وإذا أخذنا بسيرة حياته التي كتبها حزقيال تلميذ بولا، وما قدمه لنا السنكسار القبطي لباسيه والسنكسار الأثيوبي لجيدي(٣١)، تكون مدة إقامة أنبا بيشوي في شيهيت ٧٦ سنة حسب تقدير إفلين وايت، ويكون بيشوي قد وُلد سنة ٣٢٠م.، وانضم إلى رهبان شيهيت سنة ٣٤٠م. وهو ابن عشرين سنة، وغادر شيهيت بعد غارة البربر سنة ٤٠٧م.، وتنيح سنة ٤١٧م. في منية السقّار بجوار أنصنا.

وفي زمن بطريركية أنبا يوساب الأول (٨٣٠ــ٨٤٩م.) الذي كان كاهناً وقيِّماً على كنيسة أنبا مقار، أعيد جسد القديس أنبا بيشوي من أنصنا إلى ديره ببرية شيهيت حسب رواية السنكسار الأثيوبي(٣٢): [ولما توقفت أيام الإضطهاد رفعوا جسدي القديسَين بيشوي و بولا الطموهي إلى دير الأنبا بيشوي بشيهيت، وكانت تجرى عجائب من جسديهما وقد حُفظا معاً بلا فساد].

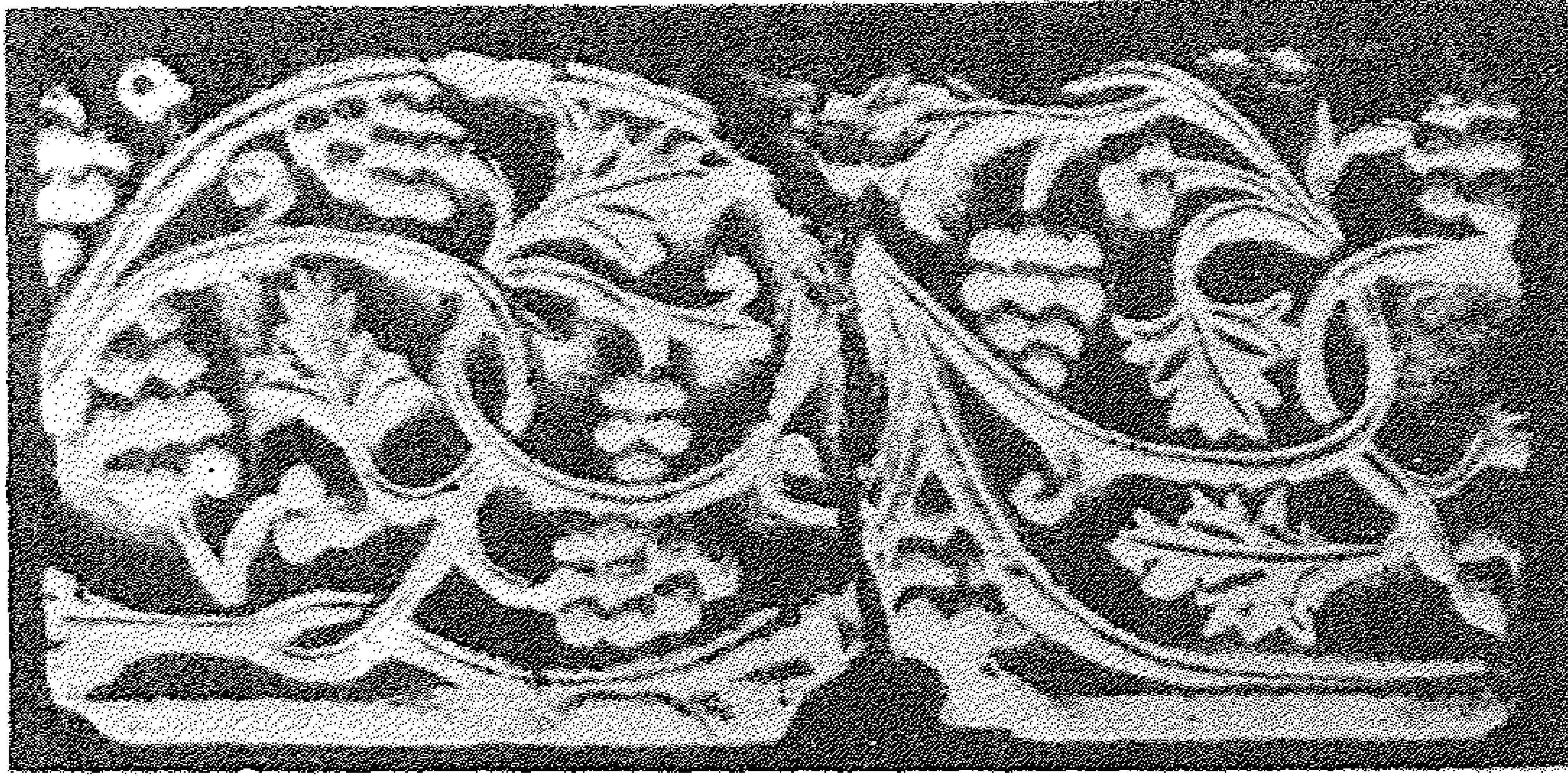
وتحت تذكار أنبا بولا الطموهي: [ومن فرط حب بولا للمسيح ظهر له حتى أنه حمله، فصار يتنسك بشدة إلى درجة الموت، حتى أنه مات سبع مرات والرب أقامه. وقد أخذ وعداً من الرب

(28) N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XIII.
(29) Vanseleben; Present State of Egypt, p. 227.
(30) Ev. Wh., II, p. 159.
(31) Guidi, (P.O. VII, pp. 275ff).
(32) Synax. (Eth.), Hamle 8 = (July 15), (P.O. VII, p. 275).

أن جسده يبقى مع صديقه بيشوي . فلما أرادوا أن يحملوا جسد بيشوي من أنصنا بدون جسد بولا ما استطاعوا ، إلى أن حملوا الإثنين معاً ، حتى وصلوا إلى شيهيت ووضعوهما معاً في دير أنبا بيشوي].

ومن الغريب أن نفس هذه القصة بدقائقها مكتوبة في مخطوطة باللغة اليونانية ، ولكن بدل المكتوب أنهما «وُضعا في دير أنبا بيشوي» قيل أنهما «أُخذا إلى مدينة بيسيدية» (٣٣).

وقد ذكر في الأبصلمودية المقدسة السنوية ذكصولوجية للقديسَيْن بيشوي و بولا الطموهي توضح نقل جسديهما على يد أنبا يوساب الأول (٨٣٠ــ٨٤٩م.) كالآتي:
[يايوساب رئيس كهنة المدينة العظمى الإسكندرية البتول النقي الملتحف بالتواضع الحقيقي ، إن في أيام رئاستك أدركَتْنا هذه النعمة نحن غير المستحقين ، أي مجيء أبوينا لابسي الصليب أنبا بيشوي وأنبا بولا ، الكوكبين النيِّرين].



إفريز من القرن الرابع/الخامس لعنقود كرمة من مدينة البهنسا (Oxyrhynchos)
محفوظ بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية

(33) Pomijalowski «Zetia Paësia», p. 59-60. & Ev. Wh., II, p. 302.

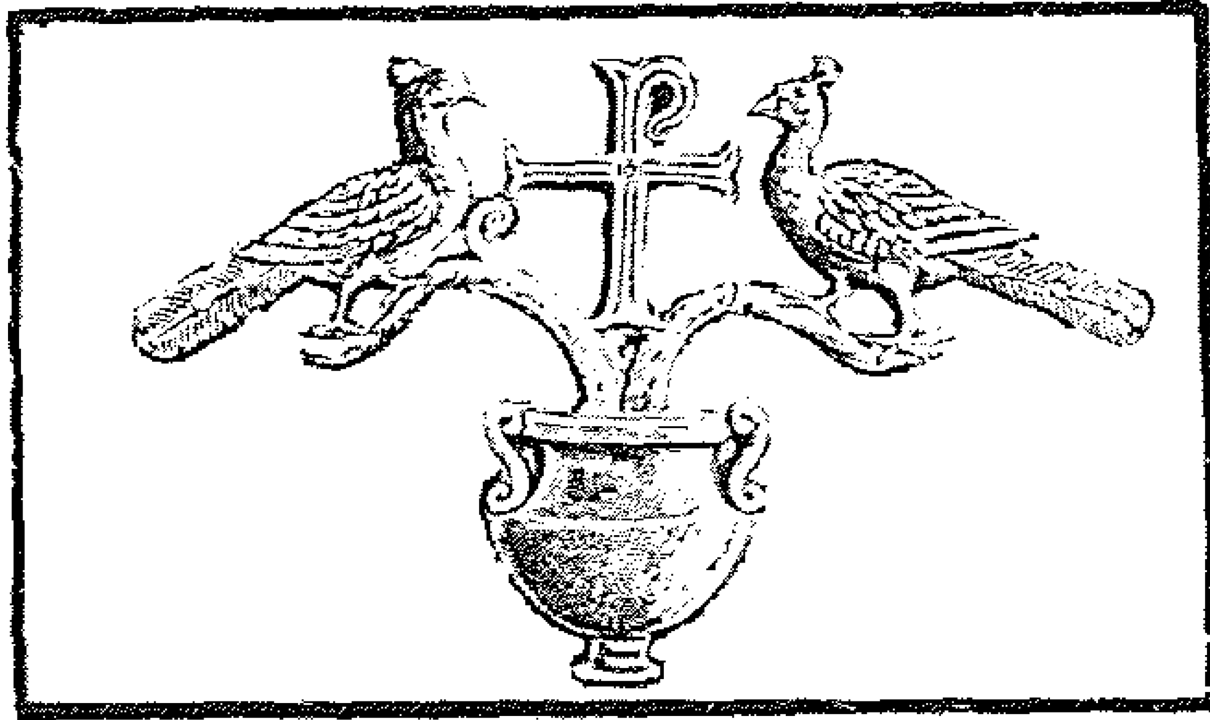
المخطوطة العربية رقم ١٨ س مكتبة دير القديس أنبا مقار.

خاتمة الفصلين الرابع والخامس

الأربعة الأديرة والقديس مقاريوس:

وهكذا عاش القديس مقاريوس، حتى تحقق بعينيه من وعد الله له، أنه سيرى شيهيت عامرة من غرس يديه، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، عدداً عديداً من الرهبان، أولاده وأولاد أولاده في الأربعة الأديرة ذات الأربعة الكنائس، بشيوخها وقسوسها ونساكها، يُقدَّر عددهم بحوالي خمسة آلاف راهب. وفي إحدى المخطوطات(*) التي تصف قصة نفي المقارين أيام ڤالنس الوالي على يدي لوقيوس، يأتي في نهايتها وصف رجوع القديس أنبا مقار إلى برية شيهيت، وكيف استقبله أولاده:

[وإذا بصوت يرن في البرية كلها: هوذا أبومقار أبوكم قد جاء به الرب الإله لكم، وكان موجوداً غربي مغارة القديس أبوبشيه، أخ القديس أبويحنس، تلميذ أنبا أموي الصعيدي، وهو قائم مع رفيقه مقاره الإسكندراني يصليان على القلعة (الحصن). فلما سمع الرهبان ذلك خرجوا من مغايرهم، من أربع أركان الجبل، مثل فراخ الحمام، وكان عدتهم خمسة آلاف راهب. وكان أنبا مقار فرحاً مسروراً بهم... فلما جاء إليه أبويحنس القصير وبعده أنبا بيشيه أخيه، وقبّلا يديه، بارك عليهما قائلاً: الرب يسوع المسيح يبارك عليكما لتكونا أشجاراً مثمرة بالثمرات الروحانية حتى تُشبعوا كل من يستظل بكما، وليجعلكما الرب يسوع المسيح رؤساء مقدَّمين في هذه البرية، و يدعى إسمكما من بعدي على هذه المدن التي أنعم بها عليَّ سيدي، أنت يايوحنا تكون من بعدي، وأبوبشيه الثالث، و بعدكما أولادي مكسيموس ودوماديوس، ولا تبرح روحي من مساكنكم ولا بركتي من كنائسكم، أنتم الجيل الثالث من غرسي، وأولادكم الذين يتتلمذون لكم في كل الأزمان].



(*) المخطوطة العربية رقم ١٨ س مكتبة دير القديس أنبا مقار.

الفصل السادس

شخصيات القرن الرابع الهامة في تاريخ شيهيت

الذين اعتبروا أولاداً وتلاميذاً للقديس مقار يوس

قدَّمنا في عرضنا لأديرة شيهيت أمثلة لشخصيات بارزة عاصرت القديس مقار يوس وكان لها أبلغ الأثر في تاريخ شيهيت، من الناحيتين الرهبانية الروحية والتاريخية، أمثال مكسيموس ودوماديوس و يونُس القصير و بيشوي. ولايزال التاريخ الرهباني يحمل آثاراً وانطباعات لا تُمحى لهذه الشخصيات القديسة الطاهرة، تخلدت على أسماء الأديرة الحالية. وبجوار هذه الشخصيات المؤسِّسة للتجمعات الرهبانية الكبيرة، ظهرت شخصيات أخرى عظيمة حقاً، لا يمكن أن تُذكر شيهيت دون الرجوع إليها، باعتبارها الأعمدة المتلاحقة التي حملت نور الفضيلة والعبادة والصلاة والإنجيل، عبر العصور. بعضها تتلمذ على القديس مقار يوس نفسه وشرب من روحه وتعاليمه، و بعضها نشأ فرعاً من فرع، فخرج يحمل انطباعات الأصل ويمتص من جذوره التي ضربت في أعماق أسرار الفضيلة والنسك، حتى بلغت ينابيع الروح الخفية.

وسوف نقدم في هذا الفصل باقة نضيرة من هذه الأسماء محاولين، بأقصى جهدنا، أن نوضح مدى علاقتها الزمنية بالقديس مقار يوس وتعاليمه.

١ ــ إسيذوروس

ونقصد هنا إسيذوروس القس، وهوغير إسيذوروس الذي من القلالي رئيس بيت الضيافة بالإسكندرية، الأوريجاني الذي ذكره پالليديوس (أنظر: «إسيذوروس» القلالي)، وغير إسيذوروس العالم والناسك الذي طبقت شهرته الآفاق(١)، وغير إسيذوروس المعترف(٢).

---

(١) وهو الناسك اللاهوتي الشهير، والمدبِّر الحكيم، الذي عاش في القرن الخامس. وقد وُلد بالإسكندرية من عائلة كبيرة، له دراية بكل العلوم والفلسفات والتاريخ والمنطق. وقد ترهبن في الصعيد على يد الباخوميين، وعاش قليلاً في نتريا، ورأى الخمسة آلاف راهب هناك، ولكنه اختار البيلوزيوم (مدينة ساحلية بها ميناء شرقي بورسعيد) ليعيش متنسكاً هناك. وكان منهجه =

ومن طبيعة الأقوال التي وردت عنهم في كتاب أقوال الآباء، نستطيع أن نفرق بينهم و بين إسيذوروس تلميذ القديس مقار يوس، كاهن شيهيت المعروف ببساطته الشديدة ومنهجه الرهباني الروحي الخالي من التأملات، الذي رافق أنبا مقار في تأسيسه لديره بالبيامون (دير أنبا مقار الحالي).

وهو معروف من بستان الرهبان (الطبعة العربية)، أنه كان طو يل الأناة جداً وخصوصاً على الضعفاء: [قيل عن الأب القس إسيذوروس أن كل من كان عنده أخ صغير النفس، أو شتَّام، أو عليل، و يطرده من عنده، كان يأخذه و يطيل أناته عليه حتى يخلِّص نفسه]. وكان رفيقاً بالضعفاء والمرضى، وهو بنفسه الذي اعتنى بموسى الأسود أثناء مرضه حتى شُفي (٣).

ومن أمثلة ذلك، يقدم لنا البستان (٤) قصة صبره الطو يل في تدبيره لموسى الأسود أثناء حرب الزنا التي انضنك بها موسى الأسود في بداية حياته الرهبانية، حتى أنه في ليلة واحدة قام من قلايته التي على الصخرة (بترا) إلى قلاية إسيذوروس التي بالقرب من الكنيسة أحد عشرة مرة (٥).

والمؤرخ روفينوس يضع القس إسيذوروس مع مقار يوس الكبير والإسكندراني و بامو و بافنوتيوس، باعتبارهم «شيوخ البر ية الكبار».

أما چيروم في رسالته لأستوخيوم (٦)، فيذكر إسيذوروس القس، مع مقار يوس الكبير و بامو، بصفته أحد أفراد المجمع الثلاثي الذي حكم على أحد الإخوة حكماً مرعباً بسبب طمعه

= الرهباني إنجيلياً صرفاً، معتبراً أن الراهب إنسان يقتدي حرفياً بالمسيح. رسمه الأسقف أمونيوس (الذي من نتر يا) كاهناً. وكان يكره تز يين الكنائس، فيقول أن المسيح جاء على الأرض ليبني نفوساً وليس حوائط، والكنيسة الحقيقية هي التي تُز يَّن بالنعمة، وليست التي تُز يَّن بالرخام النادر وتبقى عار ية من المواهب الروحية (رسالة ٢–٢٤٦، رسالة ٢–٨٨).

وقد ترك أربعة مجلدات ضخمة تحوي ٢٠٠٠ رسالة مطوّلة، في كافة نواحي الإرشاد والتوجيه لكافة المستو يات من بطاركة وملوك ومطارنة ورهبان. وقد تنيح هذا المعلم والنبي سنة ٤٥٠؛ (Dict. of Chr. Biog. N. E. 545).

(٢) إسيذوروس المعترف أسقف دمنهور: كان أحد رهبان نتر يا المشهور ين الأتقياء (Pallad., L.H., 46)، رُسم أسقفاً على هرموبوليس بارفا (دمنهور) خَلَفاً للأسقف دراكونتيوس Dracontius وقَبْل ديسقوروس الذي استلم منه الأسقفية. عاش وتقدم في الأيام جداً. وقد رأى القديسة الزائرة باولا عند حضورها مع چيروم من الإسكندر ية إلى نتر يا. وقد نُفي إلى مدينة ديوقيصر ية، في أيام اضطهاد ڤالنس، مع أدلفيوس أحد أتباعه (Pallad. L.H. 46, 3 & P.L., LXVII, 618D) مع بسيميوس و بافنوتيوس (الذي أصبح فيما بعد قس شيهيت) المدعو كيفالاس، ومع بامو وأمونيوس ذي الأذن الواحدة، ومع الإثنى عشر أسقفاً وكاهناً. وقد خدمتهم ميلانيا الكبيرة في منفاهم.

(3) Palld., L.H., ch. XIX.

(4) Vita Patrum, III, p. 494, Latin.

(5) Apologia ad Anastasium, II, 12; H.E., II, 4, 8.

(6) Epist. XXII, (P.L. XXII col. 418).

وجشعه: (فلتُدفن فضته معه للهلاك).

والمعروف عن إسيذوروس قس شيهيت أنه كان، سابقاً، قساً للمتوحدين في منطقة القلالي. وقد ذكره أمونيوس في رسالته لثاوفيلس(٧) باعتباره قس المتوحدين. وحينما انحدر نحو شيهيت، جاء وسكن بجوار قلاية أنبا مقار(٨)، كما جاء في سرد حياة مكسيموس ودوماديوس بقلم الشماس بيشوي الذي من القسطنطينية. أما مجيئه من منطقة القلالي إلى شيهيت فتأتى عرضاً في قصة مكسيموس ودوماديوس: [و بعد سنة من نياحة هذين الأخين (مكسيموس ودوماديوس)، عندما ابتدأت شيهيت تمتلىء بكثرة بالرهبان الذين جاءوا من جبل برنوجي وأماكن المتوحدين (القلالي) و بقية براري مصر، بدأوا يشيدون كنيسة كبيرة لهم، وجعلوا عليها الأب إسيذوروس كاهناً، و بيشوي (القسطنطيني) شماساً]. ومنذ ذلك الحين عُرف إسيذوروس باسم قس شيهيت.

والمعروف بالتأكيد عن إسيذوروس أنه رافق القديس مقار يوس الكبير منذ البدء، وكان من أوائل الذين انضموا إليه منذ سنة ٣٤٠م. (٩).

وكان للقس إسيذوروس في شيهيت مركز رسمي لدى كرسي الإسكندر ية. فقد كان يقوم بز يارات سنو ية للأنبا ثاوفيلس نيابة عن رهبان شيهيت باعتباره رئيساً للكنيسة؛ ولكن في نفس الوقت نيابة عن القديس مقار يوس الكبير أب آباء شيهيت ورئيس كهنتها وكنائسها الأربع(١٠). وآخر ذِكْر للقس إسيذوروس جاء عرضاً في هامش مخطوطة من شيهيت، هي سيرة للقديسين مكسيموس ودوماديوس، ذُكر فيها أن إسيذوروس نقلها معه إلى الإسكندر ية عند هجوم البربر سنة ٤٠٧م. (١١). ولكن المعتقد أن إسيذوروس مات قبل ذلك التار يخ بمدة طو يلة.

و يسجل لنا كتاب أقوال الآباء المنقول عن النسخة السر يانية (الطبعة الإنجليز ية) حقيقة هامة عن رعاية إسيذوروس القس للتجمع الرهباني في شيهيت، والكلام لجيروم المؤرخ المشهور إذ يقول في ص٤٢٣: [إن المؤرخ العظيم إيرونيموس (چيروم) يقول في تار يخ أعمال إسيذوروس رئيس المتوحدين، إنه كان يرعى في ديره ألف راهب، وكانوا يعيشون جميعاً في منطقة محدودة. وإن أحداً منهم لم يفارق مسكنه قط، ولا انتقل منه إلى غيره، إلى يوم نياحته، عدا إثنين من الرهبان كانا معينين لقضاء حاجة الدير]. وهذا النص الرهباني هام غاية الأهمية، إذ يعطينا

(7) Amél., A.M.G., XXV, pp. 262 ff.

(8) Letters of Theoph., 24, (Acta SS., May III, Appendix p. 71).

(9) Ev. Wh., II, p. 101, 102. & Tillemont, Memoires, VIII, 440 f-787 f.

(10) Ev. Wh., II, p. 106. & Apoph. Patr., Isidorous, VIII.

(11) Life of Max. & Domit by Pshoi of Constant., Cauwenbergh, p. 71.

فكرة واضحة عن معنى وشكل المتوحدين المتفرقين. فبالرغم من توحدهم المطلق وانفرادهم، كانت تجمعهم بل تربطهم بل توحدهم قوانين وأنظمة دقيقة غاية الدقة، يخضعون لها طواعية خضوعاً كلياً!!

٢ — بافنوتيوس
الملقَّب بالبسيط

وكان يدعى «كيفالاس» (١٢) (أبو دماغ). أما هو فسمى نفسه «پو پاليس» (الجاموسة)، لكي يخفي موهبة المعرفة التي فيه، إذ كانت فيه موهبة المعرفة الإلهية بأسرار الكتاب المقدس العهدين القديم والجديد، يشرحهما بفهم دون أن تكون له أية دراية بالقراءة. ولكن من شدة تواضعه و بساطته وإخفاء نفسه، لم تنكشف موهبته النبوية على حقيقتها.

وقيل أنه على مدى ثمانين سنة لم يقتن أكثر من جلباب واحد في السنة. اسمه: «بافنوتيوس» أي «رجل الله»، وهو الذي نُفي إلى ديوقيصرية سنة ٣٧٤م.، في أيام نفي المقارين إلى جزيرة بالدلتا(١٣). وكل المصادر القبطية تؤكد أنه هو الذي خلف القديس مقاريوس على شيهيت، وصار «أب رهبان شيهيت». وفي سيرة حياة مقاريوس بالقبطية يُذكر بافنوتيوس هكذا: [بافنوتيوس، الأكبر بين كافة تلاميذ القديس، الذي أخذ الأبوّة والرياسة من بعده على كافة المواضع المقدسة [ⲦⲘⲈⲦⲒⲰⲦ ϦⲈⲚ ⲚⲒⲦⲞⲠⲞⲤ ⲈⲐⲞⲨⲀⲂ] (١٤)، أي رئيساً على الأربعة الأديرة بشيهيت، وكان يسمى أب شيهيت: ⲪⲒⲰⲦ ⲚⲦⲈ ϢⲒⲎⲦ].

والمعروف أنه تربى في رعاية القس إسيذوروس(١٥) المشهور، الذي كان مقدم كافة الكهنة والرهبان في شيهيت، في أيام حياة القديس مقاريوس. وفي سنة ٣٧٣م. استلم من إسيذوروس الرعاية الكهنوتية على شيهيت، لأن إسيذوروس يُظن أنه انسحب مع القديس مقاريوس جنوباً ناحية البيامون لتأسيس دير أنبا مقار(١٦). و يظل إسم إسيذوروس يتردد حتى سنة ٣٨٥م. حيث انقطع فجأة، و يُظن أنه تنيح حول هذا التاريخ، ودُفن في دير أنبا مقار. والذي استلم من إسيذوروس رئاسة الكهنوت على دير أنبا مقار، يوحنا التلميذ الذي لم يَصُنْ عهد الكهنوت ولا الرهبنة، فتجذم كله، حتى لم يوجد موضع في جسده غير متألم.

---

(١٢) ونحن نشك في هذا النطق ونعتقد أنها «سمبلاس» أي «البسيط»، حسب شهرته.

(13) Pallad., L.H., ch. XLVI.

(14) A.M.G., XXV, p. 111.

(15) Ev. Wh., II, p. 121.

(16) Cassian Coll. XVIII, 15, 3.

وحينما زار كاسيان شيهيت سنة ٣٩٩م.، كان بافنوتيوس عمره حينئذ ٩٠ سنة أي أنه من مواليد سنة ٣٠٩م. (أصغر من معلمه بتسع سنوات). لذلك لم تدُم رئاسته على شيهيت طويلاً بعد نياحة معلمه سنة ٣٩٠م..

و يقول أبو صالح الأرمني، المؤرخ الكنسي المشهور، في كتابه كنائس وأديرة مصر ورقة ٦٥: [إن بافنوتيوس تلميذ مقار يوس الكبير نزل إلى دير الشمع وتنيح هناك]. وفي أغلب الظن أن ذلك حدث بعد الغارة الأولى مباشرة، أي سنة ٤٠٧م. والمعروف أن الذي خلفه في رئاسة شيهيت، هو الأب الفاضل يؤنس القصير، الذي عُرف بقمص شيهيت(١٧).

والمعروف عن بافنوتيوس أنه تتلمذ في صغره على يدي أنبا أنطونيوس. و بسبب تزكية أنبا أنطونيوس له شخصياً، قدَّمه أنبا مقار يوس (للكهنوت) سنة ٣٥٥ أو ٣٥٦م. (١٨). و يذكر كتاب أقوال الآباء هذه القصة كالآتي:

[أخ من الدير الكبير (دير أنبا أنطونيوس في بسبير) اتُّهم بخطية، فقام وذهب إلى الأب أنطونيوس. و بعد قليل لحقه إخوته ليشتكوه للأب الكبير، وابتدأوا يوجهون له الإتهامات، أما هو فكان يدافع عن نفسه أنه لم يعمل مثل هذا الأمر. وحدث أن كان أنبا بافنوتيوس حاضراً، فتدخل في الأمر، وقال للإخوة: رأيت إنساناً وقع في الماء فغطس في الطين إلى ركبه، فجاء قوم ليساعدوه و ينشلوه فما كان منهم إلا أنهم أغرقوه إلى عنقه. فلما سمع ذلك الأب أنطونيوس أعجبه الكلام، فقال عن بافنوتيوس: **أنظروا هذا الإنسان، إنه حقاً يستطيع أن يربح النفوس ويخلِّصها**. فللحال انفتحت بصيرة الإخوة بسبب كلمة الأب الكبير، فأخذوا الأخ وعادوا بسلام إلى الدير](١٩).

ولقد مارس بافنوتيوس رئاسته في تدبير الرهبان الجدد، بمجرد رسامته كاهناً. وقد أتى إليه في بداية رسامته الراهب آمون، منتقلاً من دير الطبانسيين، ليعيش تحت رعايته، فرفضه.

ومن المعروف أن بافنوتيوس كان محسوباً ضمن كبار شيوخ شيهيت، فكان أحد أعضاء مجلس التدبير الأعلى في شيهيت، مع مقار يوس الكبير وسميِّه الإسكندراني وسيرابيون(٢٠)، وهم الذين وضعوا قانون الرهبنة Regula Patrum (٢١).

---

(17) A.M.G., XXV, p. 316.
(18) Vitae Patrum, III, 138, p. 520.
(19) Apoph. Patr., Syr. Vers. p. 122.

(٢٠) سيرابيون الكبير الذي عاش في شيهيت خمسين سنة.

(21) Butler; L.H., III, note 89; Tillemont X, 722.

و يعطينا كاسيان فكرة واضحة عن بافنوتيوس، كرئيس كهنة شيهيت، أثناء فترة وجوده هناك؛ و يذكر تلميذاً مخلصاً له اسمه دانيال (٢٢)؛ كما يذكر يوحنا (غالباً القصير) كاهناً مدبراً كان يقوم بخدمة الكهنوت وشئون الكنيسة كلها من تحت رئاسة بافنوتيوس (٢٣).

كما يذكر كاسيان أنه زار بافنوتيوس، وهو في شيخوخته، في نفس قلايته البعيدة التي كان يسكنها في فجر شبابه، والتي كانت تبعد خمسة أميال رومانية (٨ كيلومترات) عن الكنيسة، متكبداً مشقة السفر كل يوم سبت وأحد للصلاة وحمل جرة ماء من الدير تكفيه الأسبوع كله (٢٤).

وفي وصفه، يحدثنا الأب بيمن فيقول إن بافنوتيوس كان هائلاً في حجم جسمه (لذلك كان يلقب نفسه بالجاموسة)، وكان شديداً جداً في قوته، وكان قد أوقف قوته لخدمة احتياجات الإخوة وتكميل ضعفهم! (٢٥)؛ وكان يعاف الخمر والأطعمة اللذيذة. وفي أحد الأقوال من كتاب: «أقوال الآباء» يُحكى عنه أنه مرض مرضاً شديداً، فزاره أخ وطهى له طعاماً، وقدم له كأساً من الخمر، فبكى وقال له إنه كان يشتهي أن يموت دون أن يذوق شيئاً من ترف الدنيا (٢٦).

وكان دائماً يقول: [الذي يحسب نفسه أنه لا يستأهل شيئاً، فهو أينما ذهب وأينما سكن سيجد راحة] (٢٧).

وقد كان الأب بافنوتيوس الكبير حكيماً في منطقه وأسلوبه وتدبيره. وقد ظهر ذلك في موقفه الحكيم والرزين من المشكلة اللاهوتية الخطيرة التي أثارها جماعة العقلانيين الأوريجانيين بخصوص «شكل الله»، معتبرين أن له شكلاً حسياً وعضوياً مثل الإنسان، الأمر الذي تطور تطوراً مؤسفاً فصار معركة مرعبة بين رهبان نتريا و بين ثاوفيلس البطريرك ٢٣، حيث تذبذب موقف البطريرك إذ مالأ الرهبان البسطاء وقَبِل الفكرة، ثم انقلب عليهم لما انكشف موقفه أمام الأوريجانيين، فاستخدم العنف تجاه الفريقين وأنهى هذا الأمر — كما سنشرحه في موضع آخر — بمجمع عقده ثاوفيلس في نتريا حرم فيه وشرّد ونفى مئات من الرهبان الشيوخ، كما تعدى عليهم بالضرب وحرق القلالي.

---

(22) Cassian IV, 1, 1.
(23) Cassian, Instit., V, 40, 1.
(24) Cassian, Coll., III, 1, 1.
(25) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 293.
(26) Ibid., p. 304.
(27) Ibid., p. 327.

أما بـافنوتيوس فوقف في شيهيت بمفرده ــ بخلاف الثلاثة الأديرة الأخرى التي في شيهيت ــ موقفاً رزيناً ، إذ عقد مجمعاً من شيوخ الرهبان وبحث القضية بحكمة وحرية ، حتى انتهوا إلى قبول خطـاب ثـاوفيـلس سنـة ٣٩٩م. في هـدوء. أما باقي رهبان شيهيت ونتريا والقلالي فقد رفضوه بشدة ، واحتجوا ، وقاوموا البطريرك ، وشجبوه ، واعتبروه مبتدعاً(٢٨).

وقـد جاء اسم بافنوتيوس كتلميذ لأنبا مقاريوس الإسكندراني . ولكن يعتقد المؤرخون أنه هو نـفس بـافـنـوتيوس تلميذ أنبا مقار الكبير، لأنه عاصر الإثنين ، وعاش في كل من نتريا والقلالي وشيهـيت ؛ لـذلك نجد حياته وأقواله تطابقان الحياة في كل من هذه المواضع المقدسة . وكان يُدعى أيضاً بافنوتيوس الشيهيتي ، تمييزاً له عن بافنوتيوس تلميذ أنبا أنطونيوس المدعو ببنودة .

ومن أخلص تلاميذ بافنوتيوس ، دانيال الذي قدمه إلى الشموسية ثم إلى الكهنوت . ولكن من أدب هـذا الـتـلـمـيـذ الـفـاضـل أنـه رفـض أن يخـدم كـاهناً في حضرة معلمه بافنوتيوس كل أيام حياته(٢٩) ؛ بعكس هذه الأيام التي نعيش فيها .

٣ ــ بيــــمن

الإسـم : بـيمن ποιμήν ، ومعناه باليونانية «الراعي» (٣٧٠ــ٤٦٠م.). معلم وراعي بالحق ، قبطي صميم طبقت شهرته الآفاق ، تعيَّد له الكنيسة اليونانية في ٢٧ أغسطس ، وله عندهم خدمة تسبيح خاصة في الصلاة يدعونه فيها «نور المسكونة والمثال الصالح لكافة الرهبان» .

الـتـحـق بـشيهـيت وهو صغير السن حوالي سنة ٣٩٠م.(٣٠)، قبل نياحة أنبا مقار بقليل ، فهو محسوب من تلاميذه الذين أخذوا عنه مباشرة ولو أن مقاريوس في ذلك الوقت كان قد أحجم عن كـثرة الـتـعـليم ، بـسـبـب تراخي الرهبان عن سماع النصيحة : [جاء بيمن إلى الأب مقاريوس ورجـاه بـتوسل كثير أن يقول له كلمة يحيا بها ، فأجابه الشيخ قائلاً : الأمر الذي تطلبه اليوم قد عبر عن الرهبان](٣١).

وقـد قَضـى في شيهـيت ٧٠ سنة من حياته ، متعلماً تحت أرجل الآباء القديسين ، و بالأخص

(٢٨) Cassian; Coll., X, 2f & Socrate, H. E., VI, 7.

وقد كان كاسيان حاضراً كشاهد عيان لكل حوادث هذه القضية ، ووصفها بدقة خطوة خطوة .

(29) Ev. Wh., II, p. 181.

(٣٠) قانون الرهبنة في شيهيت ، الذي وضعه بافنوتيوس ، لا يجيز الرهبنة لمن هم دون ١٨ سنة .

(31) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 99.

أنبا مقار ثم آمون، حتى صار قادراً أن يعلم و يرعى نفوساً كثيرة. وقد تنيح سنة ٤٦٠م. (٣٢) عن مائة عام تقريباً. وقد حضر غارات البربر الثلاث الكبرى، فاضطر بعد الغارة الأولى للنزول مع إخوته الستة(٣٣) إلى ترنوتي(٣٤) (الطرانة الآن)، ومكث فيها مدة؛ وقد كانت مركزاً رهبانياً كبيراً بجوار الريف؛ وعاشوا معاً فترة من الزمن في بِرْبا (أي هيكل وثني) قديمة، عادوا بعدها إلى شيهيت. أما في الغارة الثانية سنة ٤٣٤م. فقد نزل إلى مصر (منف)، وكانت مركزاً رهبانياً عامراً بالأديرة، مثل دير الشمع ودير نهيا وغيرهما، وسكن هناك فترة عاد بعدها إلى شيهيت. وفي الغارة الثالثة سنة ٤٤٤م. نزل بيمن وتغرَّب في صعيد مصر مدة.

وفي أقوال الآباء ما يشير إلى هذه الرحلات الثلاث:

عن نزوله إلى ترنوتي يقول البستان العربي (ص٩٧):

[قيل أنهم كانوا سبعة إخوة من بطن واحدة، وصار الجميع رهباناً بالإسقيط. فلما جاء البربر وخربوا الإسقيط في أول دفعة، انتقلوا من هناك وأتوا إلى موضع آخر يدعى «أبرين». فمكثوا هناك في بربا للأصنام أياماً قلائل. حينئذ قال أنبا أنوب لأنبا بيمن: «لنسكت جميعنا، كلٌّ من ناحيته، ولا يكلم أحدنا الآخر كلمة البتة وذلك لمدة أسبوع». فأجابه أنبا بيمن: «لنصنع كما أمرت». ففعلوا كلهم كذلك. وكان في ذلك البيت صنم من حجر، فكان أنبا أنوب يقوم في الغداة و يردم وجه ذلك الصنم بالتراب، وعند المساء يقول للصنم: «اغفر لي». وهكذا كان يفعل طول الأسبوع. فلما انقضى الأسبوع قال أنبا بيمن لأنبا أنوب: «لقد رأيتك ياأخي خلال هذا الأسبوع تقوم بالغداة وتردم وجه الصنم وعند المساء تقول له اغفر لي، أهكذا يفعل الرهبان؟» فأجاب أنبا أنوب: «لما رأيتموني وقد ردمت وجهه هل غضب؟»، قال: «لا». فقال: «ولما تُبْت إليه هل قال لا أغفر لك؟»، قال: «لا». فقال أنبا أنوب لإخوته: «ها نحن سبعة إخوة، إن أردتم أن يسكن بعضنا مع بعض، فلنصر مثل هذا الصنم الذي لا يبالي بمجد أو هوان، وإن لم تؤثروا أن تكونوا هكذا فها هي أربع طرق أمامكم، وليذهب كل واحد حيثما يشاء». فأجابه إخوته قائلين: «نحن لله ولك، ونحن مطيعون لما تشاء». فاختاروا أحدهم ليهتم بالمائدة، وكل ما كان يقدمه لهم كانوا يأكلونه، ولم يقل أي واحد منهم أحضر شيئاً آخر، ولا قال أحدهم: لا نريد هذا أو لسنا نشتهي ذاك. وكان أنبا يعقوب يدبرهم في أعمال أيديهم، أما أنبا بيمن فقد كان معلماً لهم في طريق الفضيلة. هكذا اجتاز الإخوة أيامهم بسلام. بركة صلاتهم تكون معنا. آمين].

---

(32) Dict. of Christ. Biogr., Vol. IV, p. 421.

(٣٣) المعروف منهم: أنوب (أيوب)، و يعقوب، و يوسف، و بائيسيوس، و بولا.

(34) Apoph. Patr., Gr. V, Anub, I.

ونزوله إلى مصر يذكره كتاب أقوال الآباء هكذا:

[كان يُحكى بين الرهبان قصة عن جماعة من أهل الأب بيمن: **فبينما كان بيمن ساكناً مع إخوته في مصر** (منف في إحدى الديارات المعروفة هناك)، جاءت أمهم لتراهم، ولكنها لم تستطع ذلك، فظلت ترقبهم لتراهم عند ذهابهم للكنيسة. فلما ظهرت لملاقاتهم عند بدء خروجهم من القلاية، لمحوها من بعيد، فعادوا مسرعين إلى قلايتهم، وأغلقوا الباب على أنفسهم. فجاءت أمهم ووقفت على الباب، وبدأت تولول وتبكي وتناديهم. فلما وجدها أنوب على هذا الحال ذهب إلى بيمن ليستشيره: «ماذا نعمل في هذه العجوز التي تبكي على الباب؟»، فقام بيمن واقترب من داخل الباب، فلما سمعها تبكي وتنوح في حزن شديد، قال لها: «أهكذا تصرخين يا كبيرة؟»، فلما سمعت صوته بكت أكثر وبدأت تصرخ. «أريد أن أرى أولادي. ماذا دهاكم؟ ألم أربيكم؟ ألست أمكم، ألم ترضعوا من ثديي أو تخرجوا من أحشائي كلكم؟ ألأني عجوز لا أستطيع الوصول إليكم؟ هوذا حين سمعتُ صوتكم تحركت أحشائي...» فأجابها بيمن: «هل تريدين أن تنظرينا هنا أم هناك (في السماء)؟». فعادت إلى نفسها وقالت: «ياأولادي إذا حُرمت من رؤياكم هنا يكفيني أن أراكم هناك!» فقال لها بيمن: «أقول لك الحق، إذا غصبتِ نفسك وتحملتِ عدم رؤيتنا هنا، فسوف ترينا هناك!»... فغادرتهم راضية وهي تقول: «نعم بالحقيقة ياأولادي إن كنت سأراكم هناك فينبغي ألا أسعى إلى رؤيتكم هنا»](٣٥).

وفي أحد الأقوال الأخرى التي تقص أخبار أنبا بيمن، يتضح لنا مقدار الترحاب الذي قابله به رهبان مصر (منف) عند وصوله إليها، حتى أن كثيرين تركوا معلميهم وانضموا إلى جماعته(٣٦).

أما عن نزول الأب بيمن إلى الصعيد، فيقول كتاب أقوال الآباء: [وحدث أن الأب بيمن ذهب إلى الصعيد وتحدث مع الإخوة هناك](٣٧).

وفي صغره تنبأ له أحد الآباء الكبار قائلاً: [سوف يذاع اسمك في كل أرض مصر]، وذلك لأنه كان يُظهر نشاطاً عجيباً في السؤال والتعلُّم من الآباء، حتى أنه كان يقوم في الحال ويجري إلى قلاية أبيه ليستفسر عن كل أمر، كما جاء في القول الوارد في كتاب أقوال الآباء(٣٨).

ومن أقوال أنبا بيمن وسيرته، يتضح لنا تماماً أنه عاصر الآباء الكبار بافنوتيوس، وإسيذوروس القس، ويوحنا القصير، وموسى الأسود، وأرسانيوس، وحضر وفاة أرسانيوس سنة

(35) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 199.

(36) Ibid., p. 163.

(37) Ibid., p. 260.

(38) Ibid., p. 216.

٤٤٩م. : [لما سمع أبّا بيمن أن أرسانيوس تنيح وذهب إلى راحته قال : «طوباك ياأرساني لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم. أما الذي لا يبكي على نفسه هنا فسيبكي هناك إلى الأبد. والذي يبكي هنا فبإرادته، أما الذي سيبكي هناك فعن حكم وعقوبة. وعلى أي حال يتحتم علينا أن نبكي إما هنا أو هناك](٣٩).

كما عاصر أنبا نستير، وأنبا آمون بشيهيت، الذي كان أباً روحياً لبيمن، وأنبا شيشوي الكبير، وأنبا بتيموس، وأنبا اسحق، وأنبا يوسف الكبير، والقديس زكريا ابن كيريون، وأنبا أغاثون، وأنبا بترا، وأنبا أبراهام. وعلى مدى كتاب أقوال الآباء نجد كل هؤلاء يسألون أنبا بيمن، و بيمن يسألهم.

+ وكان أنبا أنوب (جاء اسمه أيوب خطأ في البستان العربي وفي الترجمة الإنجليزية لأقوال الآباء)، وهو الأخ الأكبر لبيمن، رجلاً حكيماً قديساً، له أقوال كثيرة وسيرة عطرة في البستان.

حكمة بيمن وصمته وصبره واتضاعه:

وكان هؤلاء الإخوة السبعة في غاية الحلاوة من جهة حبهم ونسكهم. وقد جاء عنهم في أقوال الآباء: [كان يُحكى عن هؤلاء الإخوة أنه إذا أتى راهب إلى أنبا بيمن كان يرسله إلى أنوب أخيه قائلاً: «إنه أكبر مني»، وكل الذين يأتون إلى أنوب كان يرسلهم إلى بيمن قائلاً: «اذهبوا إلى بيمن أخي لأن عنده نعمة هذه المواهب»، فإذا كان يوسف حاضراً (كان أكبر من بيمن) كان بيمن لا يتكلم أمامه](٤٠).

ولكن هذا لا يمنع أن نجد أنوب أو يوسف في موقف التلميذ بالنسبة لبيمن مرات كثيرة، يسأله كلمة للحياة أو يستفسر عن آية على مدى كتاب أقوال الآباء. كما لا يمنع أن نقرأ عن خصام بين هؤلاء الإخوة بسبب شجار وقع بين يوسف و بائيسيوس فتضاربا، وكان بيمن جالساً ولم يتحرك، فلما جاء أنوب الأخ الأكبر و وجدهما بهذه الحال عاتب بيمن، فكان جواب بيمن: «ينبغي أن تعلم أني لست هنا»(٤١). كما نقرأ في بداية سيرتهم في شيهيت أن بائيسيوس كان كثير الخروج والدخول، وله صداقة مع إخوة رهبان من مواضع أخرى. فأساء هذا إلى نفسية بيمن الذي كان يحب الهدوء، فعاتب بائيسيوس ولكنه لم يسمع له. فقام بيمن وذهب للأب آمون واشتكى له فكان جواب آمون: «يابيمن أنت لا تزال حياً بعد. اذهب واجلس في قلايتك وتأمل بعقلك وقل لنفسك: أنا الآن ميت وهوذا لي الآن سنة في القبر»(٤٢).

---

(39) Ibid., p. 44.
(40) Ibid., p. 146.
(41) Ibid., p. 82.
(42) Ibid., p. 67.

وقد أتقن بيمن العمل بهذه النصيحة طول حياته، لذلك نسمعه في موضع آخر يقول لأخيه بائيسيوس، الذي أخذ يعاتبه بسبب رفضه الحديث مع أحد الكهنة الذي كان موفَداً من قِبَل أحد الأساقفة، فكان جوابه: «أنا رجل ميت، والميت لا يتكلم».

[لما سمع أنبا بيمن أن أنبا نستير دخل المجمع (أي أحضروه من المغارة ليعيش في المجمع بسبب شيخوخته)، اشتاقت نفس بيمن جداً أن يراه (وكان وقتئذ يوجد نزاع داخل الدير الذي فيه بيمن ومنعوه من الذهاب فاحتمل بشكر)، ولما ذهب أخيراً وتقابل مع الأب نستير سأله الأب نستير: «كيف احتملت باتضاع هذا النزاع وصمتَّ، ولم تتدخل أو تتكلم لتفض النزاع؟»: فأجابه بيمن بعد إلحاح: «سامحني ياأبتي، فإني منذ أن دخلت المجمع وضعت في قلبي أن أكون أنا وحمار الدير واحداً. فكما أن الحمار يضربونه ولا يتكلم و يشتمونه ولا يرد، هكذا قلت إني أعيش متمماً قول داود النبي: «صرت كبهيمٍ عندك، ولكني معك كل حين» (مز٧٣: ٢٢و٢٣)](٤٣).

موته عن العالم وتجرده من قرابة اللحم والدم إلى أقصى حد:

إن قصة رفضه لرؤية أمه له، لهو شاهد بليغ على هذا الحد من العزيمة، ولكن توجد حوادث أخرى توضح لنا هذا المنهج الرهباني القاطع. فقد حُكي أن: [أراد والي البلاد في يوم من الأيام أن يشاهد أنبا بيمن، ولكن الشيخ لم يشأ ذلك. فقبض الوالي على ابن أخته بهذه الحجة وحبسه، كأنه قد عمل عملاً منكراً. وقال: «إن جاء الشيخ وسألني من أجله فسوف أطلقه». فجاءت إليه أخته باكية على الباب. فلم يجبها بجواب البتة. فكررت عليه قائلة: «ياقاسي القلب، و ياحديدي الأحشاء، ارحمني فإنه وحيدي وليس لي سواه». فقال لها: «بيمن ما ولد أولاداً». فلما سمع الوالي قال: «وإن سألني بالمكاتبة فقط فإني أطلقه». فأجاب الشيخ قائلاً: «استفحصه على ما يأمر به الشرع، فإن كان مستحقاً للقتل فليُقتل. وإلا فأفعل ما تريد»].

كذلك فقد أتى في أقوال الآباء:

(٤٤) [إن أحد أقارب أنبا بيمن كان له إبن أُصيب في وجهه بأن انقلب إلى وراء بفعل الشرير(٤٥) (شلل يصيب نصف الوجه فيبدو هكذا)، فأحضره أبوه إلى الدير الذي فيه أنبا بيمن، ولكنه خاف لئلا إذا رآه وعرفه طرده، فخرج خارج الدير وأخذ يبكي. فرآه أحد الشيوخ، ولما استفسر منه علم حاله، ولما توسل إليه ببكاء أخذ إبنه ودخل به إلى مجلس أنبا بيمن، وبحكمة أخذ يتصرف في الأمر إذ لم يقدمه للأنبا بيمن أولاً بل ابتدأ من آخر الصف مقدماً الولد إلى الآباء الموجودين واحداً واحداً ليصلي عليه قائلاً: «ارشمه ياأبي بعلامة الصليب». فلما مر على جميع

(43) Ibid., p. 255.

(٤٤) كتاب: «بستان الرهبان»، طبعة ١٩٥٦، ص٩١.

(٤٥) يقول الكتاب أن وجهه كان مقلوباً ناحية قفاه بفعل السحر.

الإخوة والشيوخ قدمه أخيراً لأنبا بيمن. فرفض أنبا بيمن أن يلمسه. فابتدأ الحاضرون يتوسلون جميعاً لديه أن يعمل معه كما عمل الجميع. فتنهد الأب بيمن ونهض وصلى قائلاً: «أيها الرب الإله اشفِ خليقة يديك، حتى لا يهلك بسبب العدو»، ورشمه بعلامة الصليب. وفي الحال عاد وجه الصبي إلى حال الشفاء، وأعطاه لأبيه الذي حمله وخرج فرحاً](٤٦).

«نور المسكونة والمثال الأعلى للرهبان»:

هذا الوصف هو جزء من ذكصولوجية (ترو بار ية) يونانية للقديس بيمن، تسبِّح بها الكنيسة اليونانية في عيد هذا المعلم العجيب (٢٨ أغسطس). والحقيقة أنه لا يوجد في كتاب أقوال الآباء ما يضاهي أقوال أنبا بيمن سواء في الحكمة، أو العمق الروحي، أو الإختصار العجيب في الكلمات، أو في العدد الهائل للأقوال. فقد حصرنا أقوال أنبا بيمن ووجدناها تز يد على مائة وعشر ين قولاً، مملوءة نعمة وحقاً واتساعاً في الفكر. ونقدم هنا مقتطفات لكلماته(٤٧) التي تشبه سهام النور، التي كان يقول عنها الآباء إن أحداً من الشيوخ لم يبلغ إلى مستواها في السمو(ص ١٥٩).

[+ جاء إليه أخ يكشف له أفكاره في الأحد الثاني من الصوم المقدس، وكان يظن أنه سيجده قافلاً بابه، فلما علم أنبا بيمن بذلك قال له: «نحن لم نتعلم أن نقفل الباب الخشب، بل تعلمنا أن نقفل باب اللسان (الفم) ص٨.

+ إذا سُئلت تكلم، وإذا لم تُسأل اصمت. ص١١.

+ احفظ سكونك من الداخل والخارج. ص١٢.

+ قانون الراهب أن يأتي باللوم على نفسه في كل وقت. ص١٦.

+ إذا اعتبرت نفسك أنك لا شيء. تستر يح أينما حللت أو سكنت. ص١٦.

+ الشيء الذي لا تقطعه عنك، سيبقى دائماً تنغيصاً لنفسك. ص١٦.

+ إذا أردت أن تمسك «**قوة السكون**»، عليك أن تقطع من فكرك أنك تمارس الفضائل. ولكن قُلْ دائماً أنا صامت، لأني لا أستحق الكلام. ص١٦.

+ نُصرتُك وقت التجر بة، تتضح بحفظ سكون قلبك. ص١٧.

+ إن طبيعة الخمر لا تتناسب مع طبيعة الرهبان! ص٢٤.

+ روح الله لا يسكن في بيت تُقام فيه الملاهي والتسليات. ص٢٤.

+ لا تُخضَع الروح، إلا إذا مسكت عن الجسد الطعام. ص٢٧.

+ تنعيم الجسد يبدد خوف الله من القلب، و يضيع جهاد الإنسان. ص٢٨.

---

(46) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 191.

(٤٧) عن أقوال الآباء بالسر يانية.

+ مسرات الجسد مكرهة لله. ص٢٨.
+ الصوم: أكلة واحدة في اليوم بحيث لا تكمل شهوة الإنسان. ص٢٩.
+ الرجل البار لا تمسك له ملامة إلا فيما يختص بعبادته! ص٣٣.
+ أفكار الشر، في يدنا إطفاؤها لو أردنا. ص٣٩.
+ الذي يبكي و يتألم على خطاياه لا يجد فرصة للهو. ص٤٠.
+ الذي يتأمل خطاياه لا يمنع نفسه عن البكاء، والذي يبكي لن يظن في نفسه أنه أكمل الجهاد (خلص). ص٤٣.
+ إما نبكي هنا أو نبكي هناك. أما هنا فباختيارنا لننجو من الدينونة، وأما هناك فكجزاء وعقوبة. ص٤٤.
+ ابراهيم أول ما اشترى في الغربة اشترى قبراً ليدفن فيه زوجته، فورث به أرض الميعاد. قبر الراهب بُكاه ودموعه. ص٤٤.
+ البكاء على خطايانا هو الطريق الوحيد الذي ورثناه من آبائنا، نمسح به خطايانا، ونقتني به أعمالنا الصالحة. ص٤٤.
+ عمل الراهب لا يخرج عن مخافة الله، والإحسان إلى الآخرين. ص٤٤.
+ الذي يتعب في عمله ويحتفظ بالنتيجة لنفسه، يكون قد أشقى نفسه مرتين. ص٥٠.
+ العلامة الوحيدة التي تدل على أن الراهب هو راهب حقيقي، هي التجارب. ص٥٧.
+ «أنا الآن ميت، ولي سنة كاملة في القبر». ص٦٧.
+ ثلاث قوى يستخدمها الشيطان ليكمل بها الخطية: الأولى أن يعتاد الإنسان الخطأ، والثانية أن يعتاد الكسل، والثالثة أن يعتاد الشهوة. ص٧٢.
+ الفأس لا تقطع بدون يد، كذلك لا تدفع فكر الشر إلى قلبك، وهو يكف عن أن يصبح خطية. ص٧٦.
+ بيمن ما ولد أولاداً. ص٧٨.
+ ينبغي ألا نتطفل على الأشخاص والأماكن لنكشف أخطاء الآخرين، فإذا عُرضت علينا أخطاء الآخرين، رغماً عنا، فينبغي ألا نفحصها ولا نلتفت إليها. ص٨٣.
+ أضاف أنبا بيمن أخاً خارجاً عن الإيمان، وأكرم وفادته وأطعمه. ص٨٣.
+ علِّم قلبك أن يعمل بما يقوله لسانك. ص٨٦.
+ ليست لنا حاجة إلا إلى قلب يقظ، وعزيمة قوية. ص٨٩.
+ إذا تعذر عليك الجهاد بالجسد، فجاهد لضبط الفكر ولا تَدِنْ أخاك. ص١٠٨.
+ اسكن أينما شئت، ولكن إياك أن تسيء إلى من تسكن معهم. ص١٣٠.
+ أما أنا إذا وجدتُ أخاً قد نام وقت الصلاة، فإني أفرد حجري وأضع رأسه على ركبتي. رداً على

الشيوخ الذين طلبوا منه حِلاً أن يضربوا الإخوة الذين يضبطونهم نائمين أثناء الصلاة! ص١٣٥ .
+ الراهب لا يدين أحداً في أي شيء، ولا يجازي الشر بالشر، ولا يغضب. ص١٤١ .
+ إن حالتنا الروحية إذا كانت ضعيفة ومنكوسة، تضفي صورة معثرة على سلوك الآباء تجاهنا؛ فكل إساءة وكل عثرة تواجهنا، نحن السبب فيها. أما إذا سلكنا بالروح والإتضاع، فإننا نحيا مع إخوتنا بلا لوم. ص١٤٢ .
+ الذي يدين نفسه فإنه يحتمل كل شيء، و يستطيع أن يحيا في أي مكان. ص١٥٢ .
+ إذا دان الراهب نفسه، ظهر له أخوه بصورة فاضلة وحاز نعمة في عينيه، فإذا كان الراهب ينظر إلى نفسه أنه فاضل وصاحب نعمة، ظهر له أخوه كريهاً وزرياً. ص١٥٨ .
+ ما هي بغضة الشر؟ هي أن يبغض الإنسان خطايا نفسه هو. ص١٦٠ .
+ قانون القلاية هو كالآتي: أن يحفظ الإنسان سلامة قلبه، يعمل بيديه، يهذ في الكتاب المقدس (بصوت)، يأكل مرة واحدة في النهار، يدين نفسه أينما ذهب، ولا يهمل قوانين الصلاة، و يواظب على حضور الصلاة وسط الجماعة، ويحفظ نفسه من الإجتماعات المفسدة. ص١٦١ .
+ كما يقف حارس الملك شاهراً سيفه يقظاً مستعداً، هكذا الراهب قبالة أفكار النجاسة. ص١٦٧ .
+ امسك بطنك جيداً، واضبط لسانك، واستقر في مكانك، تصر راهباً. ص١٧٢ .
+ إذا أخطأ إنسان و وبخته، فهو لن ينتفع؛ أما إذا قبلته وشجعته لكي لا يخطىء ثانية، فإنه يتشدد و يتوب. ص١٨٤ .
+ الذي يخطىء و يتوب، أفضل من الذي لم يخطىء و يعتدُّ بنفسه. ص١٨٤ .
+ بيمن يشرح مزمور ٤٢: «عطشتْ نفسي إليك يارب مثل الغزلان إلى جداول المياه»: الغزال لما يواجه الحية يظل يصارعها مدة، حتى يتغلب عليها، فيعطش جداً، و ينطلق إلى عين الماء ليرتوي. هكذا الراهب بعد صراعه مع العدو الشرير، يتشوق إلى يومي السبت والأحد، لكي يأتي إلى الكنيسة حيث ينبوع الماء الحي، أي جسد المسيح، فيرتوي و يتنعم، و يتطهر من مرارة الشرير. ص٢١٧ .
+ الأفكار الشريرة كالرياح، تأتينا من حيث لا نعلم، ولا نستطيع أن نصدها، ولكننا نتقيها. ص٢٢٥ .
+ كل عمل نعمله يكون نابعاً من شهوة، يصبح في النهاية خطية. ص٢٢٧ .
+ النية الشريرة حائط يفصلنا عن الله، وهنا قيمة المزمور «بك نَثِبُ السور» لأن طرق الرب مستقيمة! ص٢٢٨ .
+ الجوع والسهر لم يدعاني أنشغل بالأفكار الشريرة. ص٢٣٠ .
+ ابتعد وتحفَّظ من الأخ المعتد بكلامه. ص٢٣٠ .

+ من ليس له سيف، فليبع ثوبه و يشتري سيفاً: دعوة لترك أيام الراحة والتنعم والدخول في الجهاد والتعب. ص ٢٣٠.

+ بيمن يحكي عن شيشوي أنه فاق كل قياس بشري! ص ٢٣٠ (كان قد تنيح).

+ اندهش الأب يوسف حينما سمع بيمن يقول عن أغاثون إنه «أبًا»، لأنه كان صغيراً في السن (مبتدئاً)، فرد عليه أن منطق أغاثون دفعني أن أدعوه «أبًا». ص ٢٣١.

+ هل يمكن أن يعتمد الإنسان على فضيلة معيَّنة (للخلاص)؟ فأجاب بيمن: في ذلك يقول يوحنا القصير، إني أطلب أن يأخذ الإنسان لنفسه قليلاً من كل فضيلة. ص٢٣٦.

+ حتى الذين يحملون السيوف لهم إله يرحمهم، والله معنا أينما كنا. ص٢٤١.

+ مخافة الله تقود الإنسان إلى كل فضيلة. ص٢٤١.

+ كل إنسان ممكن أن يكون إناءً للكرامة أو إناءً للهوان. ص٢٤١.

+ بيمن عن يوحنا القصير: إن الشيطان لا يسر بشيء مثل الإنسان الذي لا يكشف أفكاره و يعريها أمام أبيه. ص٢٤٢.

+ نقول العظائم، ونعمل الصغائر. ص٢٤٢.

+ جاء أب أجنبي متعلم من الكتب يزور أنبا بيمن، وأخذ يطرح عليه أسئلة روحية عالية من الكتاب، فلم يتكلم معه ولم يلتفت إليه، فخرج غاضباً. ولكن لما نبَّهه تلميذ بيمن أن ذلك ليس منهج الآباء، عاد وأخذ يسأله عن أمراض النفس وشهواتها وإخضاعها، فبدأ بيمن بفرح يشرح له، فانتفع الأخ جداً وربح نفسه، وصرح الراهب الزائر قائلاً: «بالحق هذا هو طريق الحق». ص٢٤٧.

+ بيمن يجاوب شيشوي: أفكار النجاسة إذا لم نكشفها للشيوخ تشبه الأثواب التي إذا خزنَّاها ولم نكشفها تفسد. ص٢٤٩.

+ بيمن يجاوب يوسف: أفكار النجاسة تشبه الحيات، إذا قطعنا عنها الماء والهواء تموت. ص٢٤٩.

+ اسحق يؤاخذ بيمن لأنه أخذ يستحم، فأجابه: نحن تعلمنا أن نقتل الشهوات لا أن نقتل الجسد! ص٢٥٠.

+ سمع اسحق صوت ديك في قلاية بيمن، فأبدى اندهاشه وامتعاضه، فأجابه بيمن: لا تعطِ سمعك للعدو، الذي يحيا في نفسه لا يهتم بما هو خارجه. ص٢٥٠.

+ من هو المرائي؟ المرائي هو من يقول ما لا يفعل! ص٢٥٣.

+ من وقت دخولي الدير (الشركة)، وضعت في قلبي أن أكون أنا وحمار الدير شيئاً واحداً، أُضرَب فلا أتكلم، أُشتَم فلا أرد. ص٢٥٥.

+ عمل الرهبانية فقر وشقاء وغربة. هكذا عاش الآباء والأنبياء. ص٢٥٨.

+ ما هو الأفضل: الصمت أم الكلام؟ الذي يتكلم من أجل الله، مثل الذي يصمت من أجل الله تماماً. ص٢٥٨.
+ من أجل أفكار النجاسة: العمل الروحي الداخلي لا يترك لها وجوداً. ص٢٥٨.
+ بيمن لأنوب: حوِّل عينيك عن الأمور الباطلة، ولا تلتفت إليها لئلا تتلف نفسك. ص٢٥٩.
+ يستحيل على إنسان يخاف الله و يؤمن به جيداً، أن يقع في أفكار النجاسة. ص٢٥٩.
+ من يطرح نفسه أمام الله، ولا يعتبر نفسه أنه شيء، و يقطع عنه شهوة نفسه، يصير عَمَّالاً. ص٢٦٥.
+ الذي يعرف قدر نفسه، لا يقع في الإضطراب. ص٢٦٥.
+ إذا داهمتك الشهوة، إبدأ بذكر الله، واستمر في ذلك، وهي تخمد من ذاتها. ص٢٦٥.
+ «لا تجازِ الشر بالشر»: آية تتم على أربع درجات: الأولى بالقلب، الثانية بالعين، الثالثة باللسان، والرابعة باليد (الفعل). فإذا غلبت حركة الشر في القلب، ارتفع الشر من عينيك؛ وإذا غلبت الشر من العين (أي ترى المسيء إليك بعين وديعة طاهرة)، توقَّف الشر من تحريك اللسان؛ وإذا غلبت الشر من اللسان، انقطع سلطانه على اليد (الفعل). ص٢٦٧.
+ ليس من الصالح أن تدع فكر الزنا يتسرب إلى فكرك، ومثله تماماً فكر دينونة أخيك، لأن هذين الفكرين لهما سلطان على تخريب نفسك. ص٢٧١.
+ إذا هاجمك فكر الزنا، إهرب منه. وإذا عاد إليك مرة ثانية، إهرب منه. فإذا عاد إليك ثالثة، قف أمامه مثل السيف الحاد! ص٢٧١.
+ ليس جيداً أن نبني بيت غيرنا، و بيتنا مهدوم. ص٢٨٤.
+ ليس جيداً أن نسلك بالمكر، وطريق المعرفة المستقيمة أمامنا. ص٢٨٥.
+ كل ما ليس معتدلاً، هو من الشيطان. ص٢٨٥.
+ ليس على المسيحيين إلا طاعة الكتاب، وطاعة الآباء. ص٢٨٥.
+ إذا توقف الرهبان عن أن يأتوا باللوم على أنفسهم، فباطلاً يكون تعبهم وشقاؤهم. ص٢٨٥.
+ الطعام وهو يغلي على النار لا يعف عليه الذباب، فإذا برد تكاثف عليه بالكتل؛ كذلك قلوبنا إذا كانت حارة بالروح، فلن تقربها أفكار النجاسة؛ فإذا توقف هذيذنا الروحي، وتكاسلنا، فإن الشياطين تأخذ الفرصة علينا وتسود على فكرنا. ص٢٩٢.
+ كان بيمن يزكي تعاليم غيره و يُنقص من تعاليم نفسه! ص٢٩٤.
+ علم بالقدوة والعمل وليس بالنصائح والكلمات، لأن كثرة الكلام تنشيء الكسل. ص٢٩٤.
+ نحن الذين نسلم أنفسنا لأفكار الزنا، لأننا نتجاهل معونة الله في وقتها، ورحمة الله المحيطة بنا كالهواء للنفس. ص٣٠٨.

+ إذا جلس الراهب مائة سنة في قلايته، فلن يتعلم الخروج من العالم، ولن يذوق معنى الرهبنة، حتى يتعلم أن يأتي باللوم على نفسه في كل شيء، ولا يتوقف عن الصلاة مهما كانت التجارب. ص٣٢٨.
+ ما هي قوة التوبة؟ هي الكف عن الخطية. ٣٢٨.
+ قل لي كلمة لأحيا: إذهب إبكِ على خطاياك. ص٣٢٨.
+ الخطية لها أربعة أوجه: الإنشغال والحزن على الأمور التي في العالم، ومحبة المال، والتفكر بالمجد الباطل، والزنا. ص٣٢٩.
+ إذا أبغض الراهب تنعيم الجسد والإنشغال بالمجد الباطل، فإنه يخلص من العالم. ص٣٢٩.
+ الغضب والجوع والنوم وبقية الغرائز هي طبيعية في الجسد، ولكن يمكن أن نستخدمها لتقويم الروح. ص٣٢٩.
+ لن يقبل أخوك توبتك إليه، إلا إذا قدمتها عن اقتناع بخطئك. ص٣٢٩.
+ قول مهم جداً ص٣٣٦ عن أن المناقشات في الكتاب المقدس خطرة (منهج آبائي)].

\+ \+ \+

لقد اعتنينا جداً أن نجمع عينة كبيرة من أقوال القديس بيمن، لكي على ضوئها نستطيع في النهاية أن نقول أنه كان فعلاً **«نوراً للمسكونة، ومثالاً أعلى للرهبان»**. ولقد أصبح بيمن في التاريخ الرهباني لشيهيت دعامة ضخمة وحصناً وأسواراً بتعاليمه ومثال حياته، التي لا تزال تراثاً حياً لنا نسير على هداها ونتحصن بها.

وإن أقوال بيمن تقف شاهدة على مدى الأثر البليغ والنجاح الروحاني المنقطع النظير الذي تركته تعاليم مقاريوس الكبير وحياته في شيهيت!!

٤ ــ شيشوي

Sisoï

الإسم: بحيري ϭⲓϭⲱⲓ

صعيدي: ϫⲓϫⲱⲓ

ϫⲓϫⲟⲓ

يوجد ثلاث شخصيات من النساك بهذا الإسم:

الأول وهو موضوع بحثنا، وهو من شيهيت وعاش في منطقة بِتْرا (شمال البراموس، المنطقة التي عاش فيها سابقاً مكسيموس ودوماديوس وموسى الأسود)، ثم انتقل من شيهيت في حياة

مقار يوس سنة ٣٥٦م. إلى جبل أنطونيوس، وعاش هناك في مغارته(٤٨). وهو المسمى بالكبير.

والآخر من الصعيد و يسمى «التبايسي» أو «الصعيدي». وقد عاش في بداية حياته هناك، ثم انتقل إلى شيهيت، وعاش فيها فترة من الزمن. وقد أقام معظم حياته في بابلون الدرج، وهي المنطقة التي كانت عامرة بالكنائس والأديرة، والتي كانت ممتدة حتى جبل المقطم، ولذلك كان يسمى «البابلوني» أو «الذي من بابلون» (ص٣٣ أقوال الآباء).

والثالث من سقارة، وكان يسمى «الذي من سقارة» (ص١٠٩ أقوال الآباء).

ولكل من هؤلاء النساك الثلاثة مزاج رهباني خاص، يتضح من أقواله بسهولة. فشيشوي الذي من سقارة كان معتزلاً، لا يأكل قط مع الناس، ولا يميل إلى الأخذ والعطاء، وهو صاحب القول: [سأله بعض الإخوة عن حياته وعمله، فقال لهم الشيخ نفس القول الذي كان قد قاله دانيال (النبي): «خبز الشهوة ما أكلت» (يقصد خبز الرؤساء والولائم ومجالس الإخوة)] ص١٠٩ ــ أقوال الآباء، النسخة السريانية.

أما شيشوي الذي من بابلون مصر وهو المعروف بالتبايسي أو الصعيدي فكان مزاجه الرهباني حاراً، وفي الجهاد مجازفاً بحياته، فقد قيل عنه: [إنه وقف يوماً على شفا الجبل (المقطم)، لكي يطرد النوم عن عينيه (بواسطة الفزع)، فجاءه ملاك الله وأنقذه من هذه المجازفة، وأمره أن لا يعمل هذا مرة أخرى، ولا يسلِّم هذه الطريقة لآخر] ص٣٣.

وقيل عنه أيضاً في البستان العربي أنه ما كان يحل قانونه على الإطلاق، حتى ولا من أجل الغرباء أو المحبة. وكان كلامه قليلاً، ولما سأله مرة أخ أن يقول له كلمة، أجابه: «لماذا تطلب كلاماً؟ إصنع مثلما ترى». وسأله آخر قائلاً: «إن سقطتُ ماذا أفعل؟»، قال له: «قم»؛ وسأله: «إلى متى أيها الأب؟»، فقال له: «إلى أن تُؤخذ فيما أنت فيه».

وكان هذا الأب لا يمل من قراءة الكتاب المقدس من العتيقة إلى الحديثة، أي حينما ينتهي من العهد القديم يقرأ العهد الجديد، ثم يبدأ مرة أخرى من العتيقة وهكذا.

وشيشوي الكبير يُذكر دائماً في أقوال الآباء مع أبا أور(٤٩)، وثيئوذور (تلميذ آمون الكبير). ومعروف أن أبّا أور من أوائل تلاميذ آمون الكبير، الذي رافقه من بدء حياته في نتريا سنة ٣١٥م.؛ فهو من أقدم آباء نتريا. ونستدل من القصة التي رواها شيشوي عن نفسه، لما سُئل لماذا ترك شيهيت والحياة مع القديس مقاريوس وجاء إلى الصعيد (جبل أنطونيوس في بسبير)،

---

(48) Apoph. Patr., Sisoes, XXVIII.

(49) Apoph. Patr., Or, VII.

وأجاب: «لما ابتدأت شيهيت تمتلىء بالجموع وسمعت أن أنبا أنطونيوس رقد، قمت، وأتيت إلى هذا الجبل، ولما وجدته هادئاً مكثت هنا قليلاً، وهو ذا لي الآن هنا سبعين سنة»(٥٠)، وكان هذا الرحيل سنة ٣٥٦م.، نستدل من ذلك أن شيشوي التجأ إلى شيهيت في زمن مبكر جداً عن سنة ٣٥٦م.، عندما كان عدد المتوحدين قليلاً والحياة هناك هادئة، **حيث لم يكن عددهم يزيد على سبعة!!** هذا يتحقق لنا من قصة أخرى ندرك منها أنه كان مرافقاً لأنبا مقار منذ الصغر، متتلمذاً على يديه، أيام كانوا ينزلون إلى الريف و يعملون كأُجراء في الحقول، وذلك في بدء حياتهم في شيهيت: [لما كنت في شيهيت مع مقاريوس ذهبنا معه ــ للريف ــ لنحصد القمح وكنا سبعة](٥١)؛ وهذا يشير إلى زمن مبكر جداً ــ ربما منذ سنة ٣٤٠م..

كل هذا يشير إلى أن رهبنة شيشوي بدأت مبكرة جداً ومعاصرة للآباء الأوائل، والمعروف أنه التجأ إلى شيهيت سنة ٣٤٠م.، وهو ابن عشرين سنة، وبقي في شيهيت حتى سنة ٣٥٦م.، حيث غادرها وتغرَّب في جبل أنطونيوس مدة أكثر من سبعين سنة، أي حتى سنة ٤٢٦م. أو يزيد، حيث رجع إلى شيهيت ودخل المجمع، وتنيح بين إخوته. وكان آمون الذي من شيهيت تلميذ أنبا بامو حاضراً نياحته. وتُقدَّر سنو حياته المباركة بأنها ليست أقل من مائة وعشر سنين.

ويحتفظ لنا كتاب أقوال الآباء بمشهد بديع لأواخر أيام شيخوخة شيشوي، حينما بطلت عافيته وأدخلوه المجمع عنوة سنة ٤٣٠م. تقريباً، ليعيش تحت رعاية الإخوة: [مرة جاء أنبا آمون ليزور أنبا شيشوي، وكان موسم شتاء، ولاحظ أن شيشوي كان متأثراً جداً وحزيناً، بسبب تركه الوحدة في الصحراء؛ فقال له: «لماذا أنت حزين هكذا ياأبانا؟ ماذا كنت تستطيع أن تعمله في البرية وحدك في شيخوختك وأنت هكذا كبير السن؟». فإذا بشيشوي ينظر إليه نظرة شديدة وصعبة ثم أجابه: «ما هذا الذي تقول ياآمون؟ أليس مجرد الإحساس بالحرية في الصحراء أفضل لنا من كل شيء؟»].

وشيشوي شخصية ظلت مهيبة جداً بين الآباء، في حياته و بعد نياحته. وخير وصف لشخصية شيشوي جاء على لسان بيمن الذي كان معاصراً له: [كان أحد الشيوخ جالساً مع أبا بيمن، وكانا يستعرضان سير الآباء وأوصافهم؛ فلما جاءت سيرة شيشوي، قال أنبا بيمن: «اترك شيشوي وحده فقد فاق كل الحدود وتجاوز كل السير»] ص٢٣٠.

ومحبة الوحدة كانت ملتصقة بجلده وعظمه، حتى أنه كان لا يحتمل انتهاء الكنيسة حتى يكون أول الذين يخرجون كالسهم إلى قلايته (ص٨). أما البقاء في القلاية فكان لذته العظمى، وكان

(50) Apoph. Patr., Sisoes, XXVIII.
(51) Apoph. Patr., Macar. Aeg., VII.

يركز عليها في كل تعاليمه: [إنه جيد للراهب أن يبقى في قلايته. فإذا احتمل البقاء فيها، بصبر، فهو سينال بركة من كل صنف] ص١٧.

وظل شيشوي طيلة حياته نافراً من العالم والسكنى الآهلة بالناس، حتى أن [تلميذه أبرام توسل إليه مرة أن يسكنا بالقرب من الريف، بسبب تقدم سنّه جداً. فرد عليه: أرني مكاناً لا توجد فيه امرأة لنسكن فيه! فرد عليه تلميذه: وأي مكان لا توجد فيه امرأة إلا هذه الصحراء (شيهيت). فقال شيشوي: إذن فإلى الصحراء ياأبرآم!] ص١٠٩.

ولم يملّ شيشوي من الوحدة طول حياته أبداً، لأنه كان يستمتع بحياة التوبة، وكل يوم كان يطلبها مجدَّداً حتى آخر لحظة من حياته: [يُحكى أنه لما دنت وفاة أنبا شيشوي وقد رقد مريضاً، والشيوخ حوله جالسون، أن سمعوه يتكلم كأنه مع أناس غير منظورين، فسألوه: ماذا ترى ياأبانا؟ فقال: إني أرى جماعة قادمة لتأخذني، وأنا أتوسل إليهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب! فقال له أحد الشيوخ: وهل لديك قوة تتوب بها؟ قال: وإن كان ليس فيَّ قوة، فأنا أتنهد وأبكي على نفسي، وهذا يكفي] (ص٤١). وفي البستان العربي يكمل هذا القول هكذا: [فقال له الشيوخ: إن توبتك قد كملت ياأبانا. فقال لهم: «صدقوني إني لست أعرف من ذاتي إن كنت قد بدأت إلى الآن!». ولما قال هذا أشرق وجهه كالشمس، ففزع الذين كانوا حوله، وسمعوه يقول: الرب يقول ائتوني بتائب البرية. ولوقته أسلم الروح، فامتلأت القلاية من رائحة زكية].

ولم يكن بقاء شيشوي في القلاية هذه السنين الطويلة عبثاً، بل كان كل وقته مصلياً بالروح، وعقله مرتبط بالصلاة: [بينما كان شيشوي جالساً مع أخ جاء ليزوره، أخذ يتأوه و يتنهد دون أن يلتفت إلى وجود أحد معه، لأن عقله أُخذ منه في تأمل إنجيل الساعة السادسة، فلما انتبه أخذ يعتذر للأخ قائلاً: سامحني ياأخي أني تأوهت أمامك، فهذا دليل على عدم تأدبي الرهباني] (ص١١٠).

[ومرة بينما كان جالساً مع الإخوة، صرخ بصوت عال: ياالضعفي! فنبهه تلميذه أبرآم: ماذا جرى؟ فقال له: كنت أريد أن أتكلم مع واحد (مع أحد الأرواح التي كانت تتحدث معه) ولم أستطع] ص٢٣٢.

وكان معروفاً عن الأب شيشوي أنه سريع الإنتقال بالروح إلى السماء، حتى أنه بمجرد أن يبدأ الصلاة برفع يديه، يَدْهش عقله في الحال: [كان يُحكى عن أبا شيشوي أنه إذا لم يخفض يديه بسرعة أثناء البدء في الصلاة، فإن عقله يُحمل بعيداً عنه عالياً، لذلك كان يحترس أثناء وجود أحد معه أثناء الصلاة أنه بمجرد أن يرفع يديه في بدء الصلاة يخفضها بسرعة، لئلا يخطف عقله فيبقى من معه واقفاً وحده] ص٣٢.

لـذلـك لا يـصـعـب عـلـيـنـا الآن فهم سر نسيان شيشوي دائماً لطعامه وعدم إحساسه بالجوع: [كان أبرآم تلميذ شيشوي دائماً يلح على معلمه أن يقوم ليأكل، فكان يرد عليه: ألم نأكل ياإبني؟ فـيـقـول لـه أبرآم: لم نأكل بعد ياأبي، فكان رده دائماً: إذا لم نكن قد أكلنا فهات الطعام لنأكل] ص٢٨.

كـذلـك نـسـتـطيع الآن فهم سر النور الذي كان ينبعث من وجه شيشوي، هذا الذي شاهده الآبـاء وأذاعـوا خـبـره: [كـان من المعروف أن وجه كل من الأب بامو وسلوانس وشيشوي كان أحـيـانـاً يـضـيء كـالـبـرق مـثـل مـوسى، وكان الواحد منهم يبدو مثل ملك جالس على عرشه] ص١٩٠.

ولم تـكـن قـداسة شـيشوي ظاهرية أو مخفية، فقد كان خبر إقامته ميتاً أمراً معروفاً لدى جميع الآبـاء. وقـد حـدث هـذا أثـنـاء وجوده في جبل أنطونيوس(٥٢). وتقول القصة باختصار: [ذهب رجل، حـامـلاً إبـنـه المـريض، إلى جبل أنطونيوس، ليقدمه لأنبا شيشوي ليصلي عليه و يشفيه، ولـكـن مـات الـولـد في الـطريق. فحمله أبوه حتى وصل إلى شيشوي، ووضعه أمام الباب، وقرع الـبـاب، وذهب تاركاً الولد (مكفياً على وجهه كأنه ساجد)؛ فلما فتح شيشوي الباب ورأى الولد ظنه يطلب بركة، فقال له: قم انهض. فقام الميت ولحق بأبيه...] ص١٨٧.

ولـكـن بـالـرغم من ذلك فكان أنبا شيشوي متضعاً بالحق، ولم يكن يساوي نفسه بمن سبقه: [فمرة جاءه إخوة وزاروه وهو ساكن في مغارة أنبا أنطونيوس (بعد نياحة هذا الأب الكبير)، فأشار شيشوي إلى المغارة قائلاً: هنا كان يسكن أسد والآن يعيش فيها ثعلب!!] ص٢٣٢.

[ومـرة سأله أحد الإخوة: ألم تصل بعد إلى درجة أنبا أنطونيوس ياأبانا؟ فأجاب: لو كان لي فـكـر واحـد مـن أفكار أبا أنطونيوس، لكنت قد صرت كلي كالنار، ولكني أعرف إنساناً قد صار قادراً بعد جهد كبير أن يحمل كل أفكار أنطونيوس (وكان غالباً يقصد أنبا مقار)] ص٢٨٩.

وكـان شـيـشـوي مـعـجـبـاً بـأنـبا بامو، وكان يقول عنه أنه (كان عظيماً في حياته وأعماله) ص٢٣٠. وكـان أنـبـا شـيـشـوي كـريماً مضيافاً متسع النفس والصدر، شجاعاً في تدبيره، يقابل ضـيـوفـه بـتـرحـاب، و يـقـدم لهم أفخر ما عنده، و يكسر قانون صومه جهاراً إكراماً لقانون المحبة: [فـقـد حُـكـي أنـه قـد زاره أنـبـا ألونيس اسقف فيلوأبولاوس بإقليم البهنسا. وكان وقتها يسكن في

(٥٢) جبل أنطونيوس، إذا ذُكر هكذا، فإنه يُقصد به الجبل المتاخم للنيل بجوار ديره في بسبير، الذي عاش فيه أنطونيوس ٢٠ سنة مـن حـيـاتـه. أمـا الجبل الذي يطل على البحر الأحمر الذي كانت فيه مغارته الكبيرة، فيسمى الجبل الداخلي أو جبل القلزم. وفي كـتـاب تـاريخ الكنيسة لروفينوس، يذكر هذا المؤرخ أنه زار «بسبير المسمى جبل أنطونيوس»، وهي التي يسميها إميلينو في كتابه عن جغرافية مصر باسم «دير الميمون»، الواقعة في منتصف المسافة بين أطفيح و بني سويف. Hist. Emel., II, 8.

بـر يـة أنـطـونـيـوس (بـالـقـرب مـن بني سو يف الآن)، ولما همَّ الأسقف في الإنصراف، قدم له شيـشوي المائدة، وكان صوماً. وإذا قوم يقرعون الباب، فقال لتلميذه: قدّم لهم من الطبيخ. فرد الأسـقـف: لا، دعـهـم الآن لـئـلا يـقـولوا إن شيشوي يأكل باكراً. فتأمله الشيخ وقال لتلميذه: اذهـب اعـطهم ليأكلوا. فلما أبصروا الطبيخ قالوا للأخ: ياترى هل عندكم ضيوف والشيخ يأكل معـهـم؟ فقال لهم: نعم. فحزنوا قائلين: لماذا تركتم الشيخ يأكل في مثل هذا الوقت؟ أما تعلمون أن الـشـيـخ سـوف يـعـذب نفسه أياماً كثيرة بسبب هذه الأكلة؟ فلما سمع الأسقف هذا الكلام صـنـع مـطـانـيـة قائلاً: اغفر لي ياأبتِ، لأني تفكرت فكراً بشر ياً أما أنت فأكملت أمر الوصية. فرد عـلـيـه: إذا لم يـزكـي الله الإنـسان فتزكية الإنسان لنفسه باطلة!] ص ٣٧٠ بستان الرهبان عربي (طبعة ١٩٥٦).

ومـرة أخـرى نجـد هذا القديس متسعاً في تفكيره، نيِّراً في تدبيره، كريماً مفضالاً: [ذهبنا مرة إلى ز يـارة الأب شـيـشـوي، وهـو ساكن في بر ية الأب أنطونيوس (بالقرب من الر يف). و بينما نحـن نجلس لنتناول طعامنا قرع الباب أخ غر يب يطلب حسنة، فقال الأب شيشوي: اسألوا هذا الأخ إن كـان يـر يـد أن يـدخـل لـيأكل معنا. فلما سألوه، احتشم، ولم يُرد الدخول. فقال الأب للإخوة: كل ما يتبقى أعطوه لهذا الأخ، ليأكل وحده في الخارج. ودخل الأب وأحضر إبر يقاً من خمـر الأبـاركـا المستعملة للتقدمة، ومزج لنا كل واحد كأساً، أما الأخ الغر يب فأعطاه كأسين. فـابـتـسـمت وقلت له: وأنا أيضاً اذهب إلى الخارج لآخذ كأسين. فأجاب الأب شيشوي: لو أنه دخل وأكـل معنا لأعطيته كأساً واحداً مثلنا، ولكن لئلا يظن أننا ميزنا أنفسنا عنه أعطيته أكثر، حتى لا يلومنا ضميرنا] ص٧٧ أقوال الآباء.

والـعـجـيـب في هـذا الأب الفاضل القديس العالم، أنه كان يقتني كتب اللاهوت التي ألَّفها الآبـاء، و بـالأخـص الـقـديـس أثـنـاسيوس، والتي كانت تبحث في العقيدة وترد على المبتدعين، فالأب شيشوي حُسب بين المناضلين من أجل العقيدة ومن أشد أعداء الآر يوسية: وكان شيشوي كـثير الـقـراءة في كـتـب اللاهوت، وكان يحتفظ بها في قلايته، كما كان شديد التمسك بالعقيدة. و يُحكى أنه: [جاءه مرة جماعة أر يوسيين لز يارته وهو في جبل أنطونيوس، و بدأوا يتكلمون ضد الـعـقـيـدة الأرثـوذكـسـيـة، فـنـادى شيشوي على تلميذه أبرآم: «أبرآم، احضر لي كتاب القديس أثـنـاسـيـوس واقـرأ أمـامي». فصمت الآر يوسيون لما افتضحت هرطقتهم]، ولاحظ أن هذا كان حوالي سنة ٣٥٦م. وقد اشتهر شيشوي بأنه مناضل قوي ضد الآر يوسيين.

ولـلأب شيشوي منهج سليم في دراسة الكتاب المقدس، كان هو المنهج الآبائي المسلم بالتقليد من الشيوخ. وأساسه أن تكون قراءة الكتاب المقدس، لا لز يادة المعرفة ولا لمحاولة الرد على أسئلة

الـنـاس ولا لإقـنـاع العقل بأمور اللاهوت، ولكن لطهارة القلب أمام الله وتنقية الضمير. أما الرد على المبتدعين فيكون من كتب الآباء المتخصصة في ذلك

[سأل أنبا آمون (وكان عالماً لاهوتياً) الأب شيشوي قائلاً: حينما أقرأ الكتاب المقدس يحثني عقلي أن أرتب الآيات، حتى تصلح ردوداً على الأسئلة؛ فقال له الأب شيشوي: «نحن لسنا في حاجة إلى هذا، ولكن حاجتنا هي في طهارة القلب. ولهذا ينبغي أن نهتم كثيراً لا بما نقوله، بل بما نعيشه»] ص٣٣٣ أقوال الآباء.

وفي نهاية هذه السيرة العطرة لهذا العملاق الروحاني، لا يسعنا إلا أن نحني رأسنا أمام ذكرى شيشوي، طالبين أن ينفعنا الله بصلواته، و يفتح بصيرتنا لنتعلم منه هذا الإتساع القلبي، وهذا الإفراز في التدبير، وهذه النعمة المضيئة التي أضاءت عقله ووجهه.

٥ ــ آمــون

و يلزم أولاً أن نفرق بين عدة شخصيات تسمى كلٌّ منهم بهذا الإسم:

١ ــ آمون رئيس نتريا: وهو المؤسس لرهبنة نتريا، وصديق أنطونيوس الكبير. وقد سبق الإشارة إليه، أنظر ص١٧٨ (وُلد سنة ٢٧٥ وتنيح ما بين ٣٣٧ــ٣٤٠م.).

٢ ــ آمون و يسمى أموناس: تلميذ أنطونيوس الكبير الذي خلفه في رئاسة دير بسبير، بحسب شرح كتاب «هستوريا موناخورم»، وكما توضح في بعض أقوال الأبوفثجماتا(٥٣) (ص٢١٥ أقوال الآباء).

٣ ــ أمونيوس الطويل: المسمى «باروتيس» أو «ذو الأذن الواحدة»، تلميذ بامو. وهو مذكور في شخصيات نتريا والقلالي. أنظر تاريخ حياته بالتفصيل ص١٩٩ (وُلد سنة ٣٤٠ وتنيح سنة ٤٠٣م.).

٤ ــ أموناس أو بيامون، الذي من ديوكلوس (منطقة البرلس): وهو الشخصية التي تحدث إليها كاسيان الحديث المسجل رقم ١٨ في كتابه «الأحاديث».

٥ ــ أمونيوس رفيق آمون الكبير: ومن تلاميذه الأوائل، وهو زميل ثيئوذور وإليريون و بامو و بيئور. وأمونيوس هذا تنيح بعد سنة ٣٥٥م. بفترة وجيزة(٥٤) أي بعد بدء اضطهاد الآريوسيين

(53) See Butler, L.H. of Pallad., N. Ed., II, p. 190.
(54) Tillemont, Memoires., XI, 632.

مباشرة. و يظن المؤرخ سقراط في كتابه «التاريخ الكنسي» (٤-٢٣) أن أمونيوس الطويل هو الذي رافق أثناسيوس إلى روما سنة ٣٤٠م. ولكن الحقيقة، حسب رأي كل من المؤرخ تيمون وإقلين وايت، أن أمونيوس الطويل وُلد سنة ٣٤٠م.، فكان في ذلك الوقت طفلاً رضيعاً. أما الذي رافق أثناسيوس في سفره إلى روما سنة ٣٤٠، فهو أمونيوس رفيق ثيئوذور، و بامو، وأحد تلاميذ آمون الكبير الأوائل الذي تنيح سنة ٣٥٥م.

٦ ــ **آمون الرايثي:** أي الذي عاش في ريثيو (مدينة الطور حالياً)، وهو راهب قبطي توحَّد في منطقة كانوب (أبو قير الآن) في أوائل القرن الرابع. وفي اضطهاد ڤالنس نُفي إلى فلسطين، ومنها عاد إلى برية سيناء، وشاهد بنفسه غارة البربر على أديرة سيناء، التي خربوا فيها جميع الأديرة، وشتتُّوا الرهبان. فقام آمون هذا وانحدر إلى رايثي (مدينة الطور الآن)، وكانت مركزاً لرهبان سيناء (ولا تزال حتى اليوم)، وعاش هناك فترة طويلة. لذلك سُمي «أمونيوس الذي من الراية أو الرايثي». و بعد فترة حدثت غارة البربر على رايثي، فقام وهرب، وانحدر إلى مصر، وعاش في منف، وقد كانت مركزاً للرهبان(٥٥)؛ و بعدها ارتحل إلى شيهيت، وعاش بين نساكها، وكان من تلاميذ بيمن.

ولهذا الأب المبارك قول في كتاب أقوال الآباء، جاء معرَّفاً باسمه أي «أمونيوس الذي من رايثي»: [أبَّا أمون الذي من رايثي سأل أبّا بيمن من جهة أفكار النجاسة، فقال له: إن العدو يسوقها علينا، ولكن علينا أن لا نقبلها] ص١٨٣ أقوال الآباء.

٧ ــ **أمونيوس الأسقف:** كاتب الرسالة إلى ثاوفيلس البطريرك، وهو الذي ترك الأسقفية وتوحد. راهب من دير الطبانسيين بالأشمونين (هرمو پوليس ماجنا)(٥٦). وقد ترهب هذا الأب الفاضل، وهو ابن ١٧ سنة، على أثر عظة سمعها من أنبا أثناسيوس. ولم يكن قد تعمد بعد، فعمدوه، وألبسوه الإسكيم في دير الطبانسيين (باخوم). وقد عاش مدة سنتين تحت تدبير الأب المبارك ثيئوذوروس (تادرس تلميذ باخوميوس)، و بعدها أرسله إلى نتريا ليعيش بين نساكها، بسبب ظروف طارئة على أسرته. فقام وذهب إلى نتريا، حسب مشورة تادرس، وكان ذلك سنة ٣٥٥م. وعاش في نتريا ١٤ سنة رسمه بعدها القديس أثناسيوس أسقفاً، مع عدة رهبان من نتريا، على عدة كراسي. وقد نفاه الأسقف الدخيل چورچ الكبادوكي.

وقد كتب رسالته لثاوفيلس البطريرك يقول له فيها قصة خروجه من دير الطبانسيين، بمشورة تادرس تلميذ باخوميوس، الذي كان رئيساً للدير آنئذ. فيقول لثاوفيلس إن تادرس قال له: [إن

(55) Socr., H. E., IV, 36 & Sozom., H.E., VI, 38.
(56) Hist. Monachor., C, 3.

هنـاك في نـتـر يـا قديسين ممتاز ين قد أرضوا الله ، ومنهم ثيئوذور الذي كان رفيقاً للقديس آمون ، وإليـر يـون ، وأمـونـيـوس ، و بامو ، و بيئور ، خدام الله الذين قبلوا نعمة من الله للشفاء ، وكثيرون غيرهم من القديسين الذين اكتفي بالصمت عن ذكر أسمائهم الكثيرة] (٥٧).

ثم في نفس الرسالة أخذ يقص على ثاوفيلس كيف كان القديس أثناسيوس يرسل إليه رسائل يـسأل فيهـا عن « القديسين في نتر يا وشيهيت » : [وكان يسألني (أي أثناسيوس البطر يرك كان يـسأل أمونيوس الأسقف) بخصوص حياة المتوحدين في شيهيت : بائيسيوس ، و پول ، و بسو يّوس (بـيـشـوي) إخـوته ، وإشعياء ، و بيسيروس ، وإسحق ، و بولا] (٥٨). وتار يخ الخطاب لثاوفيلس يلزم أن يكون بعد تولي ثاوفيلس الرئاسة على الكنيسة سنة ٣٨٥م.

أمـا تـار يخ مراسلات أثناسيوس مع أمونيوس فهي محدودة بالفترة من بعد حضور أمونيوس من ديره بالصعيد لحين نياحة أنبا أثناسيوس ، أي بين سنة ٣٥٥م. وسنة ٣٧٣م..

و بـنـاء على رجاء خاص من ثاوفيلس البطر يرك ، قام أمونيوس الأسقف بكتابة تار يخ حياة القديس ثيئوذوروس تلميذ آمون ، الذي كان مشهوراً بالقداسة الفائقة (٥٩).

وفي أحـد الأقـوال المسجـلـة في كـتـاب أقوال الآباء عن أنبا أمونيوس الأسقف ، نستطيع أن نـسـتـز يـد مـن مـعـرفتنا لتار يخ حياة هذا الأب القديس : [مرة أتى جماعة إلى أمونيوس الأسقف يـر يـدون أن يـتـعلموا من حكمته ، أما هوفكان يتظاهر بأنه جاهل . فكانت امرأة جالسة تسمعهم وقـالـت : إن هذا الشيخ موسوس . فلما سمعها قال لها : أتعلمين مقدار التعب الذي تعبته في البر ية حتى اقـتـنيت هذا الوسواس ؟ قالت : لا . قال لها : لقد كابدت خمسين سنة لأقتني هذا الوسواس ، فهل أفقده من أجلك ؟! وللحال تركها في القلاية وترك الأسقفية ومضى] (٦٠).

مـن هذا نعلم أنه حتى هذه الحادثة ، كان له خمسون سنة في الرهبنة ، فإذا أضفنا إليها ١٧ سنة وهـي حـيـاته قبل الرهبنة ، يكون سنُّه حينئذ ٦٧ سنة . فإذا علمنا أنه وُلد سنة ٣٣٦م. تكون هذه الحـادثـة وقـعـت سـنـة ٤٠٣م.، التي بـعـدها ترك الأسقفية ، واندمج مرة أخرى مع حياة الرهبان والمتوحدين في شيهيت ، وظل يعلّم بخبرته وحكمته وفضله ، فظهرت له بعد ذلك أقوال كثيرة مملوءة حـيـاة تـداولهـا الـرهبان في كل مكان ، وهي توضح فعلاً أنه أصبح مقيماً منذ هذا التار يخ بصفة مستمرة في شيهيت .

---

(57) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, append. p. 70).
(58) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, append. p. 71).
(59) Acta SS., May 14 & Cotel. Ecclec. G. Mon. I.

(٦٠) بستان الرهبان المطبوع سنة ١٩٧٢ ص ٣٥٤.

أمـا آخـر مـرة يـظـهـر فيها آمون في التار يخ ، فنجدها قرب نياحة شيشوي ، عندما زاره في الدير بـعـد أن أحـضـروه مـن الجـبل ليعيش مع الإخوة في المجمع ، حوالي سنة ٤٣٠م. و بعدها لا نسمع سيرة لآمون. وأغلب الظن أنه تنيح بعد هذا التار يخ بفترة وجيزة ، وتكون سنو حياته ٩٤ سنة.

ويمـكـن تـرتـيـب حياته كالآتى: وُلد سنة ٣٣٦م. ، وسمع عظة أنبا أثناسيوس سنة ٣٥٣م. ، فتعمد وترهب في هذه السنة وهو ابن ١٧ سنة. أمضى سنتين مع أنبا تادرس في دير أنبا باخوم ، ثم رحـل إلى نـتـر يـا سـنـة ٣٥٥م. وأمضى ١٤ سنة هناك ، رُسم بعدها أسقفاً سنة ٣٦٩م. نُفي سنة ٣٧٣م. ، وعـاد بـعـدهـا إلى الأسـقـفـية ، التي اعتزلها عقب حادثة المرأة التي أهانت منهج الفضيلة الـذي أحـبـه ، فـعـاد نهـائـيـاً إلى نتر يا وشيهيت سنة ٤٠٣ ، وظل يستز يد من المعرفة على يد الآباء الكبار وخصوصاً بيمن وشيشوي ، يسألهم و يسألوه ، كما ظل يعلِّم كل من التجأ إليه من الرهبان ، حتى تنيح حوالي سنة ٤٣٠ تقر يباً ، عن ٩٤ عاماً أو يز يد.

ومـن الـعـجـيـب الذي دُهشنا له أثناء قيامنا بجمع مفردات وحوادث وأقوال هذا الأب ، أننا وجـدنـا تـطـابـقاً عجيباً في التار يخ والحوادث التي أحاطت بحياة هذا الأب القديس. فمثلاً عندما قرأنا في أحد القواميس العتيقة (تأليف وليم سميث ، سنة ١٩٠٠) عن السن المبكرة التي دخل بها هـذا الأب للـرهـبـنـة وهـي ١٧ سـنة داخلنا الشك في ذلك ، فإذ بنا نقرأ من كلامه هو هذا الخبر: [يـقـول أبّا آمـون بخصوص أبّا بافنوتيوس البسيط الذي من شيهيت: حدث لما أتيت إلى **شيهيت** أني كـنـت **شـابـاً صـغـيراً**؛ فلما رآني أبّا بافنوتيوس ، رفض أن يسمح لي بالسكنى هناك قائلاً: في أيـامـي لـن أسـمـح للشباب أصحاب الوجوه التي تشبه وجوه النساء أن تسكن في شيهيت ، بسبب الحروب التي يلقيها العدو على القديسين من جراء ذلك] ص٢٨٨.

ومن هذا القول نتحقق أن آمون جاء فعلاً إلى شيهيت ، لا لكي يقبل الزي المقدس بل ليسكن فـقط ، لأنه كما جاء في تار يخ حياته أنه قد سبق أن قبل الزي المقدس (على يد تادرس رئيس دير أنـبا باخوم). كما نتحقق أيضاً أنه وصل إلى شيهيت شاباً صغير السن ، لذلك كان وجهه خالياً من اللـحـيـة (١٩ سـنة). كما أننا نسمع عن بافنوتيوس أنه كان يتكلم عن نظام تدبيره الجديد: «في أيـامـي لـن أسـمـح...»، وهي لهجة من استلم الرئاسة أو التدبير حديثاً. ونحن نعلم يقيناً أنه رُسم كـاهـنـاً سـنـة ٣٥٥م. ، كما نـعـلـم تـمـامـاً أن آمون جاء الى شيهيت سنة ٣٥٥م. ، فهذا التطابق التاريخي يُعتبر نادر المثال في صناعة التار يخ.

وفي أحد الأقوال العابرة التي جاءت على فم آمون ، يتحقق لنا أيضاً مقدار المدة التي قضاها في شيهيـت قـبـل رسـامـته أسقفاً ، وهي غالباً المدة التي يسكب فيها الراهب نفسه ويجاهد لإكتساب الـفـضـائـل ، والتي يـظل يذكرها بالخير كل أيام حياته إذا اختير للأسقفية بعدها: [كان أبّا آمون

يقول دائماً: إني أمضيت في شيهيت ١٤ سنة متوسلاً أمام الله ليل نهار، لكي يمنحني النصرة على روح الغضب] ص٢٧٦ أقوال الآباء.

ولم ينسَ هذا الأب والأسقف القديس أن يهذب نفسه دائماً بالروح الرهبانية الأصيلة، و يراجع أفكاره ومبادئه على فكر الآباء وتعاليمهم، خصوصاً فيما يتعلق بالمنهج الفكري لإستيعاب أقوال الكتاب المقدس. فنجده يسأل الأب شيشوي: [أبا آمون سأل أبا شيشوي: حينما أقرأ الكتاب المقدس يحثني عقلي على ترتيب الآيات وتنسيقها لكي أستطيع أن أرد بها على الأسئلة. فأجابه شيشوي: «هذا الأمر لا يلزمنا، لأن ما نطلبه هو طهارة القلب فقط. ومن هذا يتضح أننا ينبغي أن لا نهتم كثيراً بما نقوله بل بما نعيشه»] ص٣٣٣ أقوال الآباء.

وفي الحقيقة كانت شخصية هذا الأسقف الذي ترك أسقفيته بسبب عشقه للوحدة والفضيلة والحرية، دعامة كبرى في براري شيهيت ونتريا والقلالي، كنموذج حي للرهبنة، وعبرة ناطقة لكل راهب يحدثه طموحه وتحدثه شهواته ليصير أسقفاً ورئيساً، وأقوال هذا الأسقف المتواضع مملوءة حكمة وخبرة وحياة.

٦ ـــ موسى الأسود

موسى الأسود أثيوبي الجنسية، كما يؤكد لنا بالليديوس(٦١)، وهو شخصية طيبة مباركة فرضت نفسها على تاريخ الرهبنة القبطية، و بالتالي على كنائس العالم أجمع بلا استثناء، لأنه نال شهرة عالمية بسبب توبته من لص وزانٍ وقاتل، إلى قديس. تعيِّد له الكنيسة القبطية في ١٨ يونية من كل سنة. أما الكنائس اليونانية واللاتينية والحبشية فتعيِّد له في ٢٤ أغسطس(٦٢).

وفي رواية بالليديوس نقرأ عنه أنه كان أصلاً عبداً شديد المراس، طويلاً فارع الطول، لم يطقْه سيده بسبب فظاظته واعتياده السرقة والقتل. وقد أكد لنا كاسيان أنه كان دائماً ينتظر الموت قتلاً بسبب ارتكابه هذه الجريمة سابقاً(٦٣). وكان قبل ترهبه رئيساً لعصابة لصوص، ويحكى عن نفسه أنه عبر النيل في عز فيضانه، سابحاً والسيف بين أسنانه، ليقتل راعياً... و بينما هو في أوج ضلاله رأى رؤيا مشجعة، وتقبل من الله الدعوة للحياة الرهبانية. و بسبب هذا التناقض الهائل ذاعت شهرته منذ أول يوم، وهذا مما جعله يُقبل على حياة الرهبنة كأعلى ما تكون التوبة. فكان هو

---

(61) Pallad., L.H., Ch. XIX.

(62) Synax Eth. (Same 24); Greek & Latin Synax., Constant. ed. Delahaye.

(٦٣) إن موسى الأسود الأثيوبي الذي قدمه لنا بالليديوس هو نفسه موسى الذي قدمه لنا كاسيان. وكل منهما رآه وتحدث إليه وأعجب بشخصيته. أنظر إفلين وايت الجزء الثاني ص١٥٥. Cassian, Coll., VII, 26, 2.

وأرسانيوس الرومي على قمة آباء شيهيت من جهة الصيت، بسبب حياتها السابقة، حتى أن من جاء شيهيت كان لا يملك أن يخفي رغبته الجامحة لرؤيتها، مهما كلفه الأمر.

وظل في رهبانيته يمتلك نفس القوة الجسدية الخارقة التي كان يتمتع بها أيام علمانيته، فقد حُكي عنه أنه لما هاجمه أربعة لصوص مرة واحدة، تغلب عليهم جميعاً، وقيدهم واقتادهم أمامه إلى الكنيسة وسلمهم للآباء قائلاً: «ماذا تريدون أن أفعل بهؤلاء؟». و بسبب عفوه عنهم، ولما عرفوه أنه موسى اللص المشهور، تمثلوا به وتابوا على يديه. ولكن قد دفع موسى الأسود ثمن هذه القوة الجسدية، فقد تألبت عليه الشهوة في ثورات جسدية عنيفة، كان يقمعها بشق الأنفس! ولولا قليل لأدركه الفشل، ولكنه تذرع بالصبر، فكان يروض جسده طول الليل، بأن يحمل الماء من البئر، و يوصله إلى كل الآباء الساكنين على المسافات البعيدة التي تتراوح بين ٣ كيلو و٨ كيلو عن البئر، كل هذا وهو صائم، حتى انحط جسده ومرض، فسقط بجوار البئر مغشياً عليه، دون أن يراه أحد. وظل هكذا حتى وجدوه في الصباح نصف ميت، وظل طريح الأرض مريضاً، وحملوه إلى الكنيسة وهو بهذا الحال، و بقي لمدة سنة كاملة حتى استرد صحته يسيراً يسيراً. وقام بتمريضه طول هذه السنة أبوه الروحي القديس أنبا إسيذوروس قس الكنيسة، الذي أظهر في ذلك صبراً منقطع النظير ونصحه قائلاً: «كفاك عراكاً مع الشياطين، لا تعد تهتم بهم فإنه هناك حدود للشجاعة، كما أنه يوجد حدود للجهاد في النسك» (٦٤). وعندما اشتكى موسى من كثرة أحلام الليل قال له إسيذوروس: «باسم يسوع المسيح ستُرفع عنك أحلامك، والآن تقدم للأسرار المقدسة بثقة» (٦٥).

وفي نهاية هذه التجربة، التي قيل أنها كانت ضربة من الشيطان تلقاها على ظهره (انزلاق غضروفي)، قام موسى الأسود بعدها صحيحاً بنعمة الله، ولم يعد يشكو بعد ذلك من حرب الشهوة طول حياته. وقد نال قوة نادرة فوق محاربات الشياطين، حتى أنه قيل عن الأب موسى الأسود أنه كان لا يخشى بأسَهم، كما لو كانوا ذباباً.

ويختم حياته المؤرخ بالليديوس بسرعة، إذ يقول في اختصار شديد إنه صار من كبار آباء شيهيت، وقدموه كاهناً وتنيح (شهيداً) عن ٧٥ سنة، تاركاً سبعين تلميذاً تتلمذوا على يديه.

ولكن إذا تتبعنا كتاب أقوال الآباء والمخطوطة التي تسرد حياته (٦٦)، نستطيع أن نكمل قصة حياة هذا البطل المجاهد.

(64) Apoph. Patr., Syr. V., p. 70.
(65) Ibid.

(٦٦) مخطوطة ٣٥٧ طقس مكتبة المتحف القبطي.

أولاً: ميلاده ورهبنته:

يخبرنا بالليديوس أن موسى الأسود عاش ٧٥ سنة. ونحن نعلم أنه قد استُشهد في الغارة الأولى التي حدثت سنة ٤٠٧م. وبذلك يكون موسى الأسود قد وُلد عام ٣٣٢م. فإذا علمنا أنه من بين السبعة الذين رافقوا القديس بامو في زيارته لأنبا مقار في برية مقاريوس الجنوبية — البيامون (دير أنبا مقار حالياً)، وأن باموتنيح سنة ٣٧٣م.، تكون هذه الرحلة تمت قبل سنة ٣٧٣م. بمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع سنوات؛ فيكون موسى الأسود كان راهباً ومحسوباً ضمن الشيوخ في هذه المدة سنة ٣٧٠م. فلو قدَّرنا له خمس سنوات على انقضاء رهبنته، يكون موسى الأسود قد ترهب سنة ٣٦٥م. عن ٣٣ عاماً تقريباً.

وفي بدء توبته حينما جاء إلى شيهيت، تسلمه إسيذوروس قس الكنيسة المسئول عن قبول الإخوة الجدد. وكان يركع أمامه، ويعترف بصوت عال بعيوبه وجرائمه الماضية بدموع غزيرة. وبعد فترة أخذه القس إسيذوروس إلى حيث يقيم أنبا مقاريوس الكبير، الذي أخذ يعلمه ويرشده، برفق ولين، ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة، واعترف علناً في الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية، وكان القديس أنبا مقار أثناء الإعتراف يرى (بالمنظر المعقول) لوحاً عليه كتابة سوداء تمثل ذنوبه، وكلما اعترف بخطية مسحها الملاك؛ حتى وجد، بعد أن انتهى من اعترافه، اللوح كله أبيضاً. ولكثرة الزائرين والمترددين عليه من الآباء، أشار عليه القديس مقاريوس بأن يبتعد وحده في قلاية منفردة.

وقد تكاثر عليه الزائرون والرهبان بعد ذلك، لِمَا سمعوه عن حياته الجديدة، وشدة مناقضتها لحياته القديمة، ولذيوع شهرة قوته الجسدية مع اتضاعه ولطفه ومحبته للغرباء. فلما اشتكى للقديس أنبا مقار(٦٧) من ذلك، نصحه بأن يسكن منطقة بِتْرا: [أبا موسى قال لأبا مقاريوس في شيهيت: إني أشتاق ياأبي أن أحيا في هدوء، ولكن الإخوة لا يتركوني أبداً، فقال له أبا مقاريوس: إني أرى طبيعتك منقادة (للمجاملة)، فإذا أردت أن تحيا في هدوء اذهب في البرية بعيداً إلى بِتْرا، وهناك ستجد راحة](٦٨). [وظل مقيماً في هذا المكان القفر النائي ست سنوات كاملة](٦٩). وكانت المسافة بعيدة والطريق شاقة، حتى أنه [بينما كان أنبا موسى ذاهباً إلى قلايته في بِتْرا أُعيي في الطريق](٧٠).

وبِتْرا هي المعروفة باسم كالاموس Calamus. أما كلمة «بترا» فتعني الصخرة، وهي

(67) Apoph. Patr., Moses XIII.
(68) Apoph. Patr., Macar., XXII.
(69) Apoph. Patr., Syr. V., p. 69.
(70) Apoph. Patr., Moses, XIII.

صخرة شيهيت الشمالية المعروفة. و«كالاموس» تعني «غاب» (أي المنطقة التي يكثر فيها الغاب الرفيع ــ الحجنة ــ المستعمل كأقلام بسط للكتابة)، ومن الإسمين يتبين لنا أنها منطقة صخرية بالقرب منها مستنقع به غاب.

وحدث وهو ساكن وحده في هذا المكان النائي والقفر، أن كانت تثور عليه شهواته القديمة، وتتجدد عليه أفكاره وعاداته وسلوكه السابق، فكان يقوم و يذهب للقس إسيذوروس و يشكي له حاله، فكان يعزيه، و يقول له: «إن الكلاب تنجذب إلى بيت الجزار في السوق، لا تغادره إطلاقاً طالما هو مفتوح. ولكنه إذا أغلق بابه وانصرف، لا تعود الكلاب تترجى منفعة فتذهب ولا تعود. هكذا تعمل معك الشياطين، فإذا قفلت دونها أبواب فكرك وقلبك، ذهبتْ عنك خازية» (٧١). أما هو فكان يعذب جسده فوق الطاقة، يصوم بالنهار ولا يفطر إلا على كسرة خبز. و يعمل بالليل لملء أوعية الشيوخ بالماء، الذي كان يبعد كثيراً عن مسكنه، و يتلو خمسين صلاة؛ حتى انحطت قواه وظل على هذا الحال ست سنوات. ولكن بسبب إخلاصه في الجهاد، رحمه الرب، ورفع عنه كل المحاربات، فترك منطقة بترا وجاء وسكن بالقرب من الكنيسة في مغارة حفرها و بناها بنفسه. وظلت هذه المغارة مشهورة وقائمة، يسكنها الرهبان من بعده جيلاً بعد جيل حتى أننا نسمع عنها في القرن الحادي عشر و بالتحديد سنة ١٠٨٨م. بقلم المؤرخ «موهوب الشماس القبطي» هكذا:

[وكانت البرية في ذلك الوقت عامرة بنحو ٧٠٠ راهب، أربعمائة في دير القديس أنبا مقار، ومائة وستون في دير القديس يوحنا القصير، وخمسة وعشرون في دير كاما (بجوار يوحنا القصير)، وعشرون في دير البراموس، وأربعون في دير القديس بيشوي، وستون في دير السريان، وفي مغارة القديس موسى الأسود راهبان واحد سوري والآخر قبطي، وغيرهم من المتوحدين الذين لم نرهم أو نعرفهم] (٧٢).

وقد أقام الرهبان بعد ذلك ديراً على هذه المغارة، وظل معروفاً لعدة قرون بدير أنبا موسى الأسود (٧٣).

وقد قدموه بعد ذلك كاهناً في الكنيسة مساعداً للقس إسيذوروس (٧٤). وحتى في أثناء رسامته لم يكف الرهبان ولا البطريرك نفسه عن مداعبته واختبار اتضاعه وصبره واحتماله:

(71) Apoph. Patr., Syr. V., 69.

(72) Hist. of Pater., Evetts, p. 219.

(73) Ev. Wh., II, p. 98.

(٧٤) وقد ذُكر في مطلع قصة مكسيموس ودوماديوس المخطوطة، بقلم بيشوي الشماس الذي من القسطنطينية، أن هذا الشماس كان خادماً تحت رئاسة إسيذوروس قس الكنيسة. ولما تنيح بيشوي خلفه في خدمة الشموسية موسى الأسود.
.(Ev. White, II, p. 98)

[وبعد أن لبس التونية البيضاء، قال له ثاوفيلس البطريرك: هوذا قد صرت كلك أبيضاً ياموسى. فرد عليه موسى مداعباً أيضاً: من الخارج أم من الداخل ياأبانا؟ ثم أوعز البطريرك إلى الرهبان أن يطردوه من الهيكل عند بدء دخوله، ليختبر مدى احتماله، فلما همَّ الراهب المسكين بالدخول طردوه بانتهار قائلين: اخرج ياحبشي. فما كان منه إلا أن لام نفسه: لقد صنعوا بك حسناً ياأسود اللون، ما أنت بإنسان فلماذا تحشر نفسك بين الناس؟] (٧٥).

وقد أتقن القديس موسى وصية عدم الدينونة، وآل على نفسه أن يطبقها حرفياً. فلما استدعوه في مجلس الآباء لمحاكمة راهب مخالف، رفض الحضور في البدء؛ ولكن لما طالبوه بالحضور كأمر المجمع حضر ولكن ليس كأنه بدون احتجاج، إذ دخل المجمع حاملاً على ظهره مقطفاً مثقوباً به رمل، والرمل يجري منه. فلما استفسروا ذلك منه قال: «تركت خطاياي خلفي متجاهلاً إياها وآتي اليوم لأحاكم غيري على خطاياه» (٧٦). وظلت الأجيال كلها تعي ما كان يقصده موسى، وتحفظ حكمته المشهورة: «إذا تذكر الإنسان خطاياه ما استطاع أبداً أن يذكر خطايا غيره».

أما المحبة وإضافة الغرباء، فقد أتقنها موسى الأسود حتى اشتهر بها بين الآباء؛ ولكن قد كلفته كثيراً جداً إذ ضحَّى من أجلها بهدوئه وراحته وسمعته، فكم من مرة اتهمه الرهبان بأنه كاسر لوصايا الصوم، وكم من مرة يتعقبه الضيوف والزائرون، حتى وهو في عزلته في منطقة بترا، التي لم يكن فيها من الماء ما يكفي لشربه وشرب غيره.

وأخيراً جاء اليوم المحتوم الذي كان يترقبه موسى منذ أن وطأت قدماه أرض التوبة، برية شيهيت ميزان الضمائر والقلوب، ألا وهو يوم الكفارة عن خطيئة القتل التي ارتكبها في جهل وعدم إيمان؛ في يوم أحس بالروح بدنو الأجل، فقال لزملائه وهو جالس داخل سور الكنيسة: [«أنظروا إن في هذا اليوم سيأتي البربر إلى شيهيت، فعليكم أن تقوموا وتهربوا، فقالوا له: وهل لا تهرب أنت أيضاً ياأبانا؟ أما هو فرد عليهم: «إني هذه السنين كلها كنت أتطلع إلى هذا اليوم، ليكمل قول الرب: «من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ!!». فقالوا له: «ولا نحن أيضاً نهرب، بل سنموت معك». فرد عليهم: «هذا ليس من شأني ولكن عليكم أن تتدبروا موقفكم»، وكانوا سبعة. وبينما هم يتكلمون اقترب البربر من الباب، ودخلوا وذبحوهم، إلا واحداً لم يَطقْ الموقف فاختبأ تحت الخوص، ورأى بعينيه كيف ذبحوهم وكيف نزلت الملائكة وألبستهم أكاليلهم] (٧٧). وأخذ الرهبان بعد ذلك جسده الطاهر وكفنوه ووضعوه في كنيسة الدير، فظل من ذخائر البراموس حتى اليوم، تاركاً وراءه سبعين تلميذاً عاشوا معه وتتلمذوا على يديه. وتم في

(75) Apoph. Patr., Moses, IV.
(76) Apoph. Patr., Moses, II.
(77) Apoph. Patr., Moses, X. & Synax. Eth., Sanê 24 (P.O., I, pp. 665f).

موسى نبوة القديس مقار يوس، يوم زاره مع بامو وأوغر يس وكرونيوس وثلاثة شيوخ آخر ين، فلما رآهم أنبا مقار [أقبل عليهم يكلمهم بنبوة و يقول: ياإخوتي واحد منكم عتيد أن ينال إكليل الشهادة، و يُهرق دمه في هذه البر ية. فأجاب الأب موسى وقال: لعلي أنا هو ياسيدي لتكمل عليَّ كلمة الرب القائل: كل من يقتل بالسيف بالسيف يُقتل. و بعدها صلى عليهم، ومضوا من عنده إلى قلاليهم] (٧٨).

٧ ــ سيرابيون

أشخاص كثيرون يحمل لهم التار يخ اسم «سيرابيون»، منهم الكُتَّاب والشمامسة والشهداء، وأشهرهم شهيد الإسكندر ية الذي ذكره ديونيسيوس بطر يرك الإسكندر ية و وصف استشهاده في رسالته إلى فابيوس Fabius الأنطاكي (تار يخ يوسابيوس ٦ ــ ٤١)، والذي تعيِّد له الكنيسة في ١٤ نوفمبر. ولكن الذي يهمنا هنا هو أصحاب الأقوال النسكية، و بالأخص الذين عاشوا في القرن الرابع، و بنوع ممتاز الذين أكملوا حياتهم في شيهيت، ورأوا وتحدثوا إلى القديس مقار يوس.

ولدينا باسم «سيرابيون» خمسة قديسون عظام، على أعلى مستوى من العلم والنسك والفضيلة. وسوف نقدم نبذة عن كل شخصية من هؤلاء الخمسة لأنهم ذوو صلة كبيرة بموضوع بحثنا:

١ ــ سيرابيون المعلم: Scolasticus

أسقف تمو يس (٧٩) (تميّ الأمديد). قديس تعيِّد له الكنيسة في ٢١ مارس، كان صديقاً لأثناسيوس البطر يرك والقديس أنطونيوس، وكان له دور كبير في الصراع اللاهوتي والعقائدي للكنيسة في القرن الرابع. و يُدعى «بالمعترف» لأنه تألم من أجل الإيمان في أيام قسطنطيوس الإمبراطور الأر يوسي.

و بالرغم من شهرة سيرابيون اللاهوتية والروحية، إلا أنه يبدو من الخطابات المتبادلة بين أثناسيوس وسيرابيون أسقف تميّ، أن سيرابيون كان أصغر سناً ومقدرة في أمور اللاهوت من بابا الإسكندر ية.

---

(78) A.M.G., XXV, p. 186.

(٧٩) تميّ اسمها بالقبطي Thmoui وباليوناني Thmouis والفرعوني القديم Thmi وكانت عاصمة (قاعدة) للقسم السادس عشر من أقسام وجه بحري أيام الفراعنة. أما كلمة «أمديد» فكانت بلدة أخرى بجوارها، أُضيفت حديثاً إلى زمامها، وكانت تُعرف باسم منديس Mendis وبالقبطية فا نِب تيتي Ba Neb tet أي نعيم تيتي، وهي الآن ناحية من نواحي مركز السنبلاو ين بالدقهلية. ومعروف أنها كانت سابقاً مركزاً لأسقفية كبرى.

وكان سيرابيون صديقاً حميماً لأنطونيوس الكبير، وقد رافقه مدة طويلة من حياته حتى آخر لحظة. وقد باح لأنطونيوس برؤياه، وكان أنطونيوس يشرحها له. وقد استودعه أنطونيوس إحدى جلود الغنم، التي كان يلبسها كتذكار محبة، أما الجلد الآخر فأرسله إلى أثناسيوس؛ كما ورد في كتاب حياة أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس.

ويقول سوزومين المؤرخ أن من الأمور الهامة في حياة سيرابيون أنه كان أباً رئيساً لجماعة رهبانية في الصعيد، «وقد ذاع صيت قداسته وتقواه وقوة بيانه ومنطقه(٨٠). وقد بُنيت كنيسة في الإسكندرية بعد نياحته على إسمه، وعُرفت بكنيسة سيرابيون»(٨١).

أما چيروم فيقول أنه لُقِّب بالمعلم بسبب غزارة علمه ومعرفته.

وأول خطاب وصله من أثناسيوس كان مؤرَّخاً في سنة ٣٣٩م. بعنوان: «إلى الأخ الحبيب وزميلنا في الخدمة»(٨٢). وهذا يدل على أن سيرابيون كان قد رُسم أسقفاً قبل هذا التاريخ. وخطاب آخر وُجد بتاريخ سنة ٣٥٨م. فيه يصف موت أريوس. ولكن أهم الخطابات قاطبة هي الأربعة(٨٣) التي خصصها القديس أثناسيوس للكتابة عن لاهوت الروح القدس رداً على سؤال سيرابيون، والتي تعتبر أول بحث لاهوتي عن الروح القدس.

وفي سنة ٣٥٦م. أرسل البابا أثناسيوس أربعة أساقفة وعلى رأسهم سيرابيون، ويرافقهم ثلاثة كهنة، ليقنعوا الإمبراطور قسطنطيوس لكي يعدل عن فكره الآريوسي، فما كان من الإمبراطور إلا أن نفى سيرابيون ونكَّل به، لذلك دُعي في التاريخ بالمعترف.

وبعض الوثائق تثبت أن سيرابيون كان يعيش حتى سنة ٣٦٢م. ويرجح العلامة ليتزمان(٨٤) أنه تنيح سنة ٣٧٠م..

كتاباته:

يقول چيروم إن سيرابيون الأسقف ترك رسالة هامة ضد المانيين، وبحثاً قيِّماً عن عناوين المزامير، ورسالة هامة للرهبان، بالإضافة إلى عدة رسائل ناقصة لأشخاص كثيرين. ولكن قد أمدَّنا التاريخ حديثاً، وفي القرن الحادي عشر على وجه التحديد(٨٥)، بمؤلَّف لسيرابيون الأسقف في غاية الأهمية التاريخية والروحية على وجه العموم، وُجد في مكتبة جبل آثوس. وهو عبارة عن

---

(80) Sozom., E. H., 4, 9.
(81) Epiphan., Haer., XIX, Cap. 2.
(82) M.G., 26, 1412-1414.
(83) Patr. Gr., XXVI, 530-676.
(84) Lietzman (Appolinaris p. 279).
(85) J. Wordworth. *Bishop Serapion's Prayer Book S.P.C.K. 1899.*

خولاجي كامل منسوب لسيرابيون أسقف تمّي، على وجه الدقة والتحديد، ويحتوي على ثلاثين صلاة تبدو بوضوح أنها مصرية، ومن مكتوبات القرن الرابع بلا أدنى شك. ويقول العلماء إنها ترجع إلى ما قبل سنة ٣٥٠م. ومن هذه الصلوات جاءت ثماني عشرة تختص بالقداس (الإفخارستيا)، وسبع تختص بالعماد، وثلاث برسامة الكهنوت وإثنتان في تقديس الزيت والصلاة على الموتى. ويلي الصلوات الثلاثين خطاب ضاف عن الآب والإبن. ولأهمية وخطورة هذه الصلوات سوف نفرد لها بحثاً خاصاً في كتاب آخر. ويلاحظ أننا أوردنا حياة هذا الأب العالم القديس والأسقف لأهمية مركزه باعتباره راهباً أصلاً، وأباً لجماعة رهبان، وكتب عدة رسائل لرهبان الإسكندرية. وقد يلتبس اسمه في ذهن القارىء مع سيرابيون آخر.

٢ ـ سيرابيون الكبير تلميذ أنبا أنطونيوس:

ورفيق أنبا مقار وكاتب سيرته بالقبطية. وهو شخصية يحتفظ لنا التاريخ بأثر خالد لها وهو كتابه بعنوان: «حياة مقار يوس المصري بقلم صراباموّن (أو سيرابيون)» (٨٦). وهو مكتوب باللغة القبطية ومترجم للسريانية بواسطة الكاتب «بيدچان»، وقد ترجمه العلامة أميلينو. وفيه يتكلم المؤلف كشاهد عيان بضمير الحاضر «أنا سيرابيون»، متحدثاً فماً لفم مع أنبا مقار، ومع أنبا أنطونيوس. وقد قام اميلينو بتحقيق هذه المخطوطة وانتهى إلى صحتها ونسبتها إلى كاتبها المعاصر، واعتبرها وثيقة تاريخية بالغة الأهمية. وإن كانت بعض المخطوطات أضافت إلى اسم سيرابيون صفة «أسقف تمّي»، فهذا خلط من الكُتَّاب، وقد جاء عفواً بسبب شهرة سيرابيون الأسقف. ولكن المخطوطة السريانية (٨٧) وهي قديمة العهد جداً جاءت غفلاً من هذه الصفة، ولكن تحمل شخصية سيرابيون تلميذ أنطونيوس وهو يتكلم بصيغة الحاضر.

وينضم بطلر إلى أميلينو في اعتبار صدق هذه الوثيقة مكسباً تاريخياً منقطع النظير، إذ يحقق لنا أصالة سيرة كل من أنطونيوس ومقار يوس معاً (٨٨).

ونحن نعتقد أن سيرابيون هذا المعتبَر تلميذاً لأنبا أنطونيوس، هو الذي ترك جبل أنطونيوس بعد نياحة معلمه والتحق بشيهيت، وصار رفيقاً لأنبا مقار الكبير وعاصره حتى نياحته. لذلك فكاتب سيرة أنبا مقار هو نفسه المسمى سيرابيون الكبير، ناسك نتريا الشهير، وقد ذكره سوزومين المؤرخ (٨٩) كأحد الذين دافعوا عن معتقد مجمع نيقية. ويذكره المؤرخ چيروم (٩٠) بين الذين

(86) Monuments, III (Musée Guimet, XXV, 1894).
(87) Bedjan, 205 (Deutsche Lit., Zeitung 1896, No. 12).
(88) Butler, L. H., II, 220.
(89) Sozom., H. E., 3, 13f.
(90) Jerome, Ep. 108, 14.

زارهم مع باولا السائحة في سنة ٣٨٦م. وميلانية سنة ٣٨٧م. و يذكره أيضاً المؤرخ بالليديوس مع أول من تعرّف عليهم في نتر يا عند وصوله إليها سنة ٣٩١م. : [وقد مكثت سنة كاملة في نتر يا، وقد حصلت على مؤازرة عظيمة من كل من أرسيزيوس الكبير و بوثو باسطس وأسيوس وكرونيوس وسيرابيون الكبير]. ومعروف أن كرونيوس أمضى فترة تلمذة طو يلة لأنبا أنطونيوس، فجماعة نتر يا بدأت في الواقع بتلاميذ لأنطونيوس، وظلت تتقبل الوافدين من دير بسبير والطبانسيين سنة بعد سنة وخصوصاً بعد نياحة أنبا أنطونيوس سنة ٣٥٦م..

و يؤكد المؤرخ سوزومين أن سيرابيون الكبير، ناسك نتر يا المشهور، هو أحد رفاق أنبا أنطونيوس الذين عاشوا معه وخدموه وتتلمذوا على يديه (٩١).

وكذلك فإن بطلر يؤكد أن سيرابيون الكبير كان معدوداً ضمن مجمع رؤساء الآباء الذين وضعوا قانون الرهبنة المشهور باسم Regula Patrum (٩٢).

ومن هذا يتضح أن سيرابيون الكبير عاش إلى ما بعد نياحة أنبا مقار. وهذا يرجح جداً أنه هو الذي اضطلع بكتابة كل ما رآه وسمعه عن حياة مقار يوس وز يارته لأنطونيوس مرتين، كشاهد عيان، وتلميذ صديق للأبو ين الكبير ين أنطونيوس ومقار يوس.

٣ ــ سيرابيون المتوحد بشيهيت المتحدث مع كاسيان:

وهو الذي تقابل معه كاسيان وأجرى معه المحادثات التي تسجلت تحت رقم ٥، (وربما ٣ و٤ أيضاً حسب تقدير بطلر) (٩٣).

٤ ــ سيرابيون الفيومي:

(من أرسينوا) وهو من أشهر الآباء الرهبان الذين تنسكوا في براري الفيوم. وكان رئيساً لعدة أديرة ومدبراً لعشرة آلاف راهب. وقد نقل إلينا (بترونيوس) شيئاً عن قصة حياته، وكيف أنه بمحبة أولاده (١٠٠٠٠ راهب) الذين كانوا يقدمون إليه جزءاً من مكاسبهم أثناء عملهم في الحصاد في كل سنة، استطاع وضع خطة شاملة ناجحة للقضاء على الفقر والتسول في كل المنطقة (٩٤).

٥ ــ سيرابيون البسيط بشيهيت:

وهو الناسك الغيور الذي قاد حركة مقاومة الخطاب الفصحي لثاوفيلس البطر يرك، الذي

---

(91) Sozom., H. E., VI, 30.
(92) Butler, L. H., II, 214.
(93) Butler, L. H., II, p. 214.
(94) Rufin., Hist. Monach., 18.

فنّد فيه بدعة تصور الله بصورة إنسان (وللأسف لا يزال الكاثوليك يصورون الله الآب بصورة شيخ عجوز). وبسبب بساطة سيرابيون وغيرته انضم إليه جميع رهبان شيهيت ما عدا بافنوتيوس القس المترأّس على الجماعة وقتئذ، الذي استطاع بحكمته أن يعيد الهدوء للبرية كلها ويقنع سيرابيون بصحة وجهة نظر ثاوفيلس، وجعله يتنازل عن رأيه ويصلي مع الجماعة كلها بوحدة الرأي والفكر والإيمان (أنظر ص ٢٤٢). والمؤرخ كاسيان يقص علينا القصة بكاملها في كتابه(٩٥).

٦ ـ سيرابيون أسقف دندرة (تانتيرا):

وهذا الأب المبارك مذكور في قصة أنبا باخوم باعتباره أنه هو الذي شجع أنبا باخوم على بناء ديره الكبير في تابنا (طبانسين)، وهي إحدى المناطق المتطرفة في أبروشية دندرة. وسيرابيون هو أحد الأساقفة الذين وقّعوا مرسوم مجمع سرديقا سنة ٣٤٣م.(٩٦)، وهو مذكور أيضاً في أعمال أثناسيوس ضد الأريوسيين. وكل قارىء لسيرة أنبا باخوم سوف يواجه اسم سيرابيون كثيراً، ولذلك وضعناه هنا حتى نميزه عن بقية الأسماء الخاصة برهبنة شيهيت.

٧ ـ سيرابيون أو صرابامون المعروف بالسباني(٩٧):

وهذه التسمية ترجع إلى أنه كان يرتدي «سبانية» أي «جبّة» واحدة من الكتان لا يخلعها أبداً. وقد رآه بالليديوس وتحدث إليه سنة ٣٩١م. وقيل خطأ أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولكن الحقيقة أنه كان متعلماً يجيد اليونانية جداً. وكان يحفظ أسفار الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وهو صاحب معظم الأقوال التي جاءت تحت اسم «سيرابيون» أو «صرابامون» في كتاب أقوال الآباء. ويقول بالليديوس أنه بعد أن أتقن الجلوس في القلاية، وحفظ الكتاب كله عن ظهر قلب، وضبط حفظ العقل جداً فلم يكن أي شيء يستطيع أن يشغل عقله إلا الإنجيل، خرج من قلايته مدفوعاً بغيرة رسولية مقدسة ليبشر في مصر والإسكندرية وخارج مصر. وقد اشتهر هذا الأب القديس بحبه للتبشير والكرازة وتثبيت إيمان الناس وتصحيح معتقداتهم بصورة جارفة، كما اختص بنوع من التبشير نادر المثال يشهد له بعلو الفضيلة وقوة الشخصية وضبط الشهوة، وهو تبشير النساء المنحرفات والممثلين والممثلات من ذوي الشهرة الماجنة باعتبارهم مركز إفساد الشباب. ومن أعظم أعماله قصة توبة تاييس الخاطئة على يديه، التي بلغت شهرتها إلى أقصى أنحاء العالم، حتى أنهم من فرط تأثر رجال الغرب بهذه القصة، جاهدوا حتى حصلوا على جسدي تاييس وسيرابيون بعد نياحتها وحملوهما إلى متحف جيمة Guimet بباريس. ويقال أنهما لا يزالان راقدين هناك!(٩٨). ولكن قامت حديثاً إحدى البعثات الأثرية برئاسة مسيو

---

(95) Cassian Collact., X, 1-6.

(96) Bolland., Acta SS., 14 May iii, p. 303, 306.

(٩٧) كلمة السباني يونانية الأصل وتكتب σεβέννια ، أي «ثوب من الليف».

(98) Butler, L. H., II, p. 216.

M. Gayet (٩٩) بحفائر في منطقة أنتينوا، فاكتشفوا إحدى المقابر للرهبان بجوار أحد الأديرة المخصصة للراهبات (الدير الذي أرشد سيرابيون تاييس إليه)، ووجدوا في القبر الحجري هيكلاً متكاملاً ملفوفاً بسبانية وعلى وسطه حزام وقلنسوة وفي رقبته طوق حديد (كان يلبسه بعض النساك لإخضاع الجسد)، وعلى يافطة خزفية موضوعة بجوار الجسد مكتوب هذه الكتابة [ⲥⲁⲣⲁⲡⲓⲱⲛ ⲕⲟⲣⲛⲱⲥⲉⲑⲁⲗⲟⲩ] ويؤكد العلامة الفرنسي Nau (١٠٠) أن في المخطوطة السريانية لسيرة سيرابيون(١٠١) تذكر القصة أن سيرابيون بعد عودته من روما اتجه إلى دير باخوميوس، ومات ودُفن هناك في مقبرة حجرية. وإن الرهبان عند تحضيرهم الجسد للدفن وجدوا في رقبته طوقاً من حديد ومن حوله جروح غائرة. والعجيب أنهم وجدوا بجوار هذه المقبرة وامتداداً لها مقبرة أخرى تحوي هيكلاً لجسد امرأة، وعلى مكلس الحائط مكتوب هذه العبارة ⲕⲁⲓⲣⲓⲁⲑⲁⲓⲁⲥ (١٠٢). كل هذا جعل العلماء وبالأخص العالم Nau يعتبرون أن سيرابيون وتاييس دُفنا في هاتين المقبرتين المتجاورتين تخليداً لذكرى هذه الكرازة المقتدرة التي أنقذت من الجحيم نفساً طيبة، صارت مثلاً للقداسة والطهارة والتوبة العالية.

هذا الإكتشاف الجليل يؤكده كتاب «شرح الفردوس» لفيلوكسينوس، المخطوط رقم س ٩ مكتبة دير أنبا مقار ص ٧٧.

فإذا أخذنا برأي العلامة Nau اعتماداً على الحفائر المذكورة والمدعمة بالأسماء المكتوبة، علينا أن نعيد النظر في الرواية التي أوردها بالليديوس عن سيرابيون السباني في نهاية قصته أنه تنيح في روما ودُفن هناك(١٠٣).

والمذكور في أقوال الآباء عن هذا الأب أنه بشَّر بلاد خارج مصر، في فقر رسولي حقيقي. فذهب إلى أثينا وأسبرطا وروما، وتقابل مع علمائها وحبسائها، فقابل دومينوس(١٠٤) تلميذ أوريجانس، وعلم منه أماكن النساك. وتذكر سيرته أيضاً أن غيرته في تخليص النفوس هناك جعلته يبيع نفسه عبداً مرات كثيرة حتى للممثلين والممثلات، ولا يتركهم حتى يأتي بهم إلى حضن المسيح تائبين. كما يُذكر عنه أنه أعطى سبانيته لإنسان فقير وسار عرياناً في السوق، كما باع إنجيله وسدد به دين انسان محكوم عليه، ولما سأله تلميذه عن إنجيله مصدر عزائه قال له:

---

(99) Analles du Musée Guimet, XXX, 35. & Crum Archaeological Report 1900.
(100) Histoire de Thais (A.M.G.) Ibd.
(101) Serapion Sindonita, by Bedjan (Acta Mart., 263-341).
(102) Ibid.
(103) Pallad., L.H., 37.
(104) Pallad., L.H., 83, 84.

«الذي أمرنا أن نبيع كل مالنا ونعطي للفقراء بغْتُه، وأعطيت ثمنه للفقراء، لكي يكون لنا شجاعة ضمير في اليوم الأخير».

والمتحقق لدى العلماء أنه تنيح سنة ٤٠٠م. عن ستين عاماً(١٠٥). وتكرِّم الكنيسة اليونانية (الروم) سيرة هذا القديس جداً وتعيِّد له في ٢١ مايو(١٠٦)، ولكنها تنعته باسم «الصيدوني» نسبة إلى «صيدا» خطأ، بدلاً من «السيبذونيتي» التي هي «السبانية» أي الرداء.

وفي نهاية هذه السيرة المباركة نلفت نظر القارىء إلى هذا النوع من الآباء الذي جعل الإنجيل حياته، فلم تستطع البراري أن تحد لجة محبته لخلاص الناس، فانطلق من كل قيد يبشر و يكرز و يقود إلى التوبة أخطى الخطاة، حاملاً بر يته المقدسة في قلبه، وعائشاً في وحدته النفسية والفكر ية أينما حلَّ، ضابطاً لفكره في السوق كما في القلاية، ومتقشفاً صائماً في السفينة كما في الصحراء، فقيراً جائعاً في شوارع أثينا أكثر مما كان في شيهيت!!

٨ ـــ اسحق

يوجد اثنان من الآباء العظام بهذا الإسم: اسحق «نتر يا» وهو المعروف بالصعيدي أو التبايسي، واسحق «شيهيت».

أولاً: اسحق «نتر يا»:

وهو المدعو قس القلالي. وهو أصلاً من الصعيد، وتتلمذ أولاً على مقار يوس رئيس دير بسبير. وقد رأى القديس أنطونيوس وتعلم منه عن الصلاة، كما هو مدوّن في محادثاته مع كاسيان في الحديث ٩ الفصل ٣١. وقد خلف القديس كرونيوس في رئاسة كنيسة نتر يا سنة ٣٩٥م. (١٠٧)، وذلك أثناء حياته لكبر سنه، إذ كان قد بلغ آنئذ ١١٠ سنة من عمره. وكرونيوس أبوه هو تلميذ أنبا أنطونيوس الذي عاش مع أنطونيوس فترة طو يلة، وكان يعمل له مترجماً لأنه كان يجيد اليونانية. ولما حضر كرونيوس إلى نتر يا تبعه اسحق بعد مدة. ومعروف أن اسحق قس القلالي تتلمذ أيضاً على ثيئوذور البرامي بعد نياحة كرونيوس أبيه.

وقد ذكر بالليديوس اسحق «نتر يا»، وتكلم عنه في حديثه عن يوحنا فم الذهب(١٠٨).

---

(105) Dict. of Chr. Biog., p. 614.
(106) Synax. Gr. Menaea.
(107) Hist. Monachor., Ch. XXVI. & Butler on Pallad., Ch. XXI.
(108) Dialog. Migne, XLVII, Col. 59, 60.

فقال إنه كان رئيساً لجماعة من المتوحدين في القلالي عددهم ٢١٠ ناسكاً. وكان مشهوراً بالمحبة الفائقة ولطف أخلاقه واتضاعه. وهو الذي كُتب عنه أنه قام ببناء أول مضيفة للزائرين والغرباء ومستشفى للمرضى في منطقة القلالي، بسبب بُعدها عن «نتريا» وعن الريف. وكان مشهوراً بإتقانه لمعرفة الأسفار المقدسة، وقد برع في دراستها مثل سميِّه اسحق «شيهيت». و يقول بالليديوس أنه أصابه الطرد من نتريا على يد ثاوفيلس ٢٣ بعد أن أمضى ٣٠ سنة في النسك وخدمة الكنيسة وضيافة الغرباء. وكان نفيه سنة ٤٠٠م. مع سميِّه اسحق قس شيهيت (والعجيب أن ثاوفيلس كان قد اختار عدة أساقفة من تلاميذ اسحق قس القلالي ورسمهم على كراسي هامة بسبب عظم تقواهم وعلمهم). ومن هذه البيانات نستدل أن اسحق ترهب في نتريا على يد كرونيوس سنة ٣٧٠م. ومن قصته في أقوال الآباء نستدل أنه قدم إلى نتريا صغير السن، فلم يكن يتجاوز العشرين سنة: [كنت في شبابي وأنا صغير السن أسكن مع أنبا كرونيوس. وكان قد تقدم في السن، وابتدأت ترتعش أطرافه. ولما رأيت أنه لا يأمرني قط بأداء أي عمل بل يقوم بنفسه ليحضر القُلّة لنفسه ولمن يكون عطشاناً منا، وليس كرونيوس فقط كان يعمل ذلك بل وثيئوذور البرامي الذي كنت أعيش معه أيضاً كان يعد المائدة بنفسه و يدعوني أن آكل؛ فلما رأيت ذلك قلت له: «ياأبي أنا جئتك لأربح من خدمتك، فلماذا لا تأمرني لكي أعمل شيئاً؟». فلم يجبني بكلمة واحدة. فلما راجعه الشيوخ في ذلك قال لهم: «وهل أنا رئيس كنوبيون حتى آمره؟ إنه حر يفعل مثلما أعمل أنا». وهكذا بدأتُ أتعرف على حاجات ومطالب الشيخ قبل أن يطلبها حتى أعملها في وقتها، كما بدأت أتعلم منه أن أعمل عملي في سكون] (١٠٩).

وقد عاد اسحق بعد نفيه سنة ٤٠٣م. من فلسطين إلى نتريا. وقد أُصيب في آخر أيامه بمرض شديد، يُعتقد أنه نزيف مستمر، بسبب البواسير، أنهك قواه فأقعده المرض زمناً طويلاً عن القيام بالخدمة. وفي ذلك ذُكر عنه في أقوال الآباء: [إن أحد الإخوة عمل له طبيخاً (عصيدة بالقراصيا)، ولكن أبّا اسحق رفضها بالرغم من توسلات الأخ الكثيرة لكي يأخذ منها قليلاً لأجل مرضه. فكان تعقيب أبا اسحق: «اسمع ياأخ: إني سأكون راضياً شاكراً لو عشت وأنا في حال مرضي هذا ثلاثين سنة»] (١١٠).

وقد كان هذا الأب القديس يستخدم تراب الشورية المتخلِّف عن الفحم والبخور كدواء لشفاء مرضه (١١١).

---

(109) Apoph. Patr., Syr. V., p. 135.
(110) Dict. of Chr. Biog., Isaacus, p. 294.
(111) Apoph. Patr., Syr. V., p. 23.

ولما كان القديس اسحق قد تتلمذ أيضاً على يدي الأب بامو، فقد أخذ عنه الزهد والتقشف في الملابس. ولاسحق قس القلالي يُنسب الفضل في توصيل مبدأ باموعن هذا الأمر: [أبا اسحق قس القلالي كان يقول دائماً إن أنبا باموكان يعتقد أن حالة ملابس الراهب ينبغي أن تكون من الإتضاع، حتى أنها إذا تُركتْ خارج القلاية ثلاثة أيام لا يرضى أن يأخذها أحد](١١٢). وكان اسحق قس القلالي يحكي للإخوة الجدد أن: [ملابس الآباء الشيوخ الذين رآهم وملابس بامو بنوع مخصوص كانت قديمة موصولة ومرقَّعة بخرق، أما أنتم الآن فتلبسون ملابس جديدة وغالية، لقد أفسدتم ناموس هذه البرية وخربتموها. أمضوا من هنا فلن أعطيكم وصايا لأنكم لا تحفظونها](١١٣).

وكان هذا الأب الفاضل اسحق قس القلالي مشهوراً بالتحفظ الشديد، وكان دائماً يروي قصة الراهب الذي اشتهى أن يفرك سنبلة قمح أثناء عمله في الحصاد فاستأذن صاحب الحقل الذي اندهش لطلبه، وأدرك مقدار تحفُّظ الرهبان(١١٤).

ويقص هوعن نفسه أنه ظهر له مرة الشيطان، مطلاً من الطاقة، يقول له: أنت صرت من أتباعنا. فلما استفسر عن علة الأمر وفحصه مع نفسه، تذكر أنه تجرأ على الإشتراك في جسد الرب ودمه ثلاث مرات على ثلاثة أسابيع وهوغير صافح عن أحد الإخوة. فللحال قام مسرعاً إلى هذا الأخ وطلب منه الصفح والسماح ببكاء وتوسل. ومرة ذهب إلى قلايته وهوحاقد على أحد الإخوة بعد أن طرده من الكنيسة، فقابله ملاك الله وقال له: الله يقول لك أين تريد أن نلقي بأخيك الذي طردته وأدنته؟ فندم في الحال وأعاد الأخ.

وقد اشتهر هذا الأب الفاضل بغيرته على السيرة الرهبانية وسهره على قطع أسباب العثرات فكان يمنع الرهبان صغيري السن، دون ١٨ سنة، من الرهبنة. وكان يعزو خراب الأربعة أديرة إلى وجود رهبان صغار منحلين: [لا تحضروا هنا شباناً صغاراً. فقد تخربت أربعة كنائس شيهيت بسبب هذا الأمر]. ومن هذا القول نتبين أنه عاش بعد الغارة الأولى.

وكان اسحق قس القلالي غيوراً على الحشمة فيما يخص ملابس الراهب. وقد حُكي عنه: [دخل أخ الكنيسة في القلالي (سِلْيا)، لابساً كوكلسة (غطاء الرأس النازل على الظهر) قصيرة عن المعتاد، فطرده اسحق قائلاً: «إن هذا الرداء الذي تلبسه رداء رهبان وقد حولته أنت إلى رداء علمانيين، فلا ينبغي أن تبقى في وسطنا»](١١٥).

(112) Apoph. Patr., Syr. V., p. 48.
(113) Apoph. Patr., Syr. V., p. 50.
(114) Apoph. Patr., Syr. V., p. 87.
(115) Dict. of Chr. Biog., Isaacus, p. 294.

وقد شغل اسحق قس القلالي مركز أحد الكهنة الثمانية الذين يدبرون كل نتريا وشيهيت، وذلك طول حياته، خلفاً لأبيه القديس كرونيوس الذي كان رئيساً على الثمانية. [وعند دنو ساعة نياحته اجتمع تلاميذه حوله باكين وسألوه: ماذا تشير علينا أن نعمل من بعدك؟ فقال لهم: اجتهدوا أن تسيروا كما كنت أسير بينكم، والله قادر أن يحافظ عليكم، وإلا فلن تستقيم لكم السكنى في هذا المكان].

ثانياً: اسحق «شيهيت»:

وهو قس المتوحدين بشيهيت. ومعروف عن هذا الأب الفاضل أنه قدم إلى شيهيت صغير السن جداً، إذ ترك العالم وانضم إلى زمرة آباء شيهيت وهو ابن ٧ سنوات، وتولى تربيته القديس أنبا مقار الكبير، وابتدأ يتعلم على يديه الأسفار المقدسة في هذا السن حتى شبّ على حبها وأتقن حفظها بطلاقة وعن ظهر قلب، وقد اشتهر بطهارة السيرة إلى أقصى حد حتى تصالحت معه الوحوش، فقد كان يمسك الحيات والعقارب بيديه دون أن تؤذيه... وقد أغرم بالوحدة إلى أقصى حد فعاش أميناً لها خمسين سنة، وترأّس على ١٥٠ متوحداً، وقد كان القديس أثناسيوس شديد الشغف بسيرته دائم السؤال عنه، وقد ورد اسمه في الرسائل المتبادلة بين أثناسيوس وأمونيوس قبل سنة ٣٦٣م. (١١٦). وقد نُفي على يد ثاوفيلس البطريرك الـ٢٣، سنة ٤٠٠م.، وهو ابن خمسين سنة مع سميه اسحق قس القلالي وثلثمائة آخرين من متوحدي نتريا والقلالي وشيهيت، وكان من بينهم هيراكس تلميذ أنطونيوس وكان ابن ٩٠ سنة.

ويحكى عن هذا الأب الفاضل أنه (لما أراد شيوخ شيهيت أن يقدموه عليهم كاهناً، قام وهرب إلى مصر (منف) ناحية الريف واختفى في حقل، وكان أن الآباء الشيوخ قاموا بأنفسهم وسافروا خلفه خوفاً عليه وتقصوا جُرّته حتى بلغوا الريف، ولما أعيوا من المسير جلسوا يستريحون، فانفك منهم الحمار وأخذ يسرح في وسط الحشائش حتى جاء ووقف عند اسحق وهو مختبيء، فكان واسطة لإكتشاف مخبئه، فلما أرادوا أن يقيدوه استسلم لهم قائلاً: «الآن علمت أنها إرادة الله فماذا ينفع هروبي!»، ورسموه قساً سنة ٤٠٣م. أي بعد عودته من المنفى أيام اضطهاد ثاوفيلس(١١٧). علماً بأن هذه القصة تنسب خطأً إلى اسحق قس القلالي، ولكن ذكر شيوخ شيهيت وذكر ريف مصر (منف) في القصة ينفي نسبتها إلى اسحق قس القلالي، ويحددها بشخصية اسحق قس شيهيت.

وقد ظل اسحق قس شيهيت يعيش ويُروَى عنه حتى سنة ٤٠٨م. ولا يُعلَم متى تنيح هذا الأب الفاضل.

---

(116) Acta SS., May III, Appendix, p. 71.

(117) Apoph. Patr., Syr. V., p. 307. & Dict. of Chr. Biogr., Isaacus, p. 294.

٩ ــ ثيئوذور

«تادرس»، أو «تودري» هي الأصح.

عاش في القرن الرابع عدة شخصيات باسم «ثيئوذور» مذكورة أسماؤهم في تاريخ الآباء، ولهم أقوال. وأهمهم ما يلي:

١ ــ ثيئوذور تلميذ آمون: وسيرته مذكورة في ص ١٩٤.

٢ ــ ثيئوذور الإسكندراني: الذي كان يعيش في الدير التاسع (إناتون τὸν 'Ενάτον) بظاهر الإسكندرية، وله أقوال قليلة في كتاب الأبوفثجماتا. ومن أهم أقواله: [إن كان الله سيحسب علينا إهمالنا وتشتتنا في صلاة المزامير ويحاسبنا عليها، لما خَلُص راهب] (١١٨).

وقد جاء خبر عن هذا الأب الفاضل في البستان العربي المطبوع: [ذهبنا مع إخوة إلى دير بظاهر الإسكندرية على بعد ١٥ ميلاً (وهو المسمى بالدير التاسع) فلقينا أبا تودري (ثيئوذوروس الإسكندراني). وكان رجلاً كثير التعب في الرهبنة ومعه موهبة الصبر... وقد حدثنا عن الدموع] (١١٩).

وثيئوذور الإسكندراني رأى ميلانية الصغيرة سنة ٤١٢م.، وتحدث معها. وقالت هي عنه إنه نبي وله مواهب النبوة.

٣ ــ ثيئوذور تلميذ باخوم: وهو المشهور باسم تادرس، وسيرته موجودة بكاملها في كتاب حياة باخوم.

٤ ــ ثيئوذور شيهيت: وكان موطنه مصر (منف) من الريف المتاخم لمنطقة أهرامات الجيزة. لذلك دُعي في التاريخ باسم ثيئوذور البرمي (وتُكتب خطأ الفرمي). وهو الذي غادر شيهيت على أثر غارة البربر سنة ٤٠٧م. وأقام بالقرب من موطنه الأصلي في جبل بي هرما πέρεμε (١٢٠) المتاخم لمصر (منف)، في الطريق الذاهب إلى شيهيت. ونعتقد أنه هو الجبل المتاخم للأهرام أي منطقة الأهرامات في الجيزة الآن حيث كانت هناك عدة أديرة، وكانت ملجأ دائماً لرهبان شيهيت بعد كل غارة.

---

(118) Dict. of Chr. Biogr., Theodorus, p. 955.

(١١٩) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص٢٨٣.

(١٢٠) وقد جاءت مرة أخرى في كتاب أقوال الآباء هكذا: Parmûs ص١٧٤ النسخة السريانية المترجمة، وجاءت مرة أخرى هكذا: Perâmê ص٢٣٠ في نفس الكتاب. وهذا أقرب ما يكون لنطقها بالإنجليزية Pyramid حيث أن الحرفين الأخيرين îd تدل على الناحية مثل: Thebee Thebaîd

ولقد تحير العلماء جميعاً في تحديد موضع جبل Phermê أو Peremê ، فنهم من قال إنها جنوب بحيرة مريوط ، ومنهم من قال إنها بين نتريا والقلالي ، ومنهم من قال إنها بالقرب من ترنوط ، ومنهم من قال إنها قرب الواحات . ولكن بالليديوس وصف الموقع بكل دقة وتحديد بحيث لم يترك مجالاً لمثل هذا التخبط . فقد شرح بالليديوس في الفصل العشرين موقع جبل أو برية البيرما Pherme هكذا : [يوجد بمصر (منف) جبل يدعى بيرما في الطريق الذاهب إلى شيهيت نحو الصحراء (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب) . في هذا الجبل يسكن خمسمائة راهب في حياة نسكية] . لذلك فإن هذا الجبل هو ، بما لا يقبل الشك ، منطقة الهرم بالجيزة الآن . وهذا يؤكده أن هروب ثيئوذوروس من شيهيت ، على أثر غارة البربر الأولى ، كان أساسه هو الإلتجاء إلى هذا المكان الأمين ، لأنه برية تصلح للتوحد وفي نفس الوقت بالقرب من العاصمة مصر (منف) . ومن غير المعقول أن جبل بيرما يكون بجوار شيهيت أو نتريا حيث مكان الخطر . كذلك من المعروف تاريخياً أن منطقة مصر (منف) كانت ملجأ دائماً للرهبان الهاربين من وجه الغارات على ممر العصور . كذلك فإن كلمة Phereme وإن كانت تكتب باليونانية Φέρμη فهي أصلاً مأخوذة عن القبطية . فالحرف الأول Φ هو أداة التعريف وهو ليس من أصل الكلمة . وقد جاءت في كتاب الأقوال عن القبطية رأساً ⲡⲉⲣⲙⲓⲥ̀ (١٢١)، كما جاءت أيضاً Parmê ص٤٦ ، ومرة أخرى هكذا Perâmê (١٢٢) حيث يبدو الحرف الأول الذي هو أداة التعريف بنطقه الصعيدي . وهنا يقترب النطق القبطي الصعيدي جداً من الأصل الذي أخذت عنه الإنجليزية Pyramid حيث الزيادة الأخيرة id هي لإطلاق الإسم على الناحية . لذلك فإن النطق الأصلي للكلمة العربية ينبغي أن يكون البرمي وليس الفرمي ، حيث الفرما هي مدينة أخرى بجوار بورسعيد شرقاً ولا محل لها هنا في سيرة ثيئوذور على الإطلاق . أما لقب بَرَامي فرادفها بالعربية الآن « الجيزاوي » ! ومن الأمور التي تلقي ضوءاً على طبيعة منطقة « برما » هذه أنها بالقرب من مصر (العاصمة) . راجع القصة التي وردت عن زيارة أمير البلاد مع حاشيته للقديس ثيئوذور في قلايته أنظر ص ٢٨٠ .

وهذا الأب الفاضل هو الذي زاره كاسيان ، وأخذ منه الحديث رقم ٦ في كتاب المحادثات ، وذلك قبل أن يرحل ثيئوذور من شيهيت إلى جبل « بيراما » . وقد أعجب به كاسيان أشد الإعجاب ووصف قداسته وحكمته ومعرفته العميقة بالكتاب المقدس التي اكتسبها ، لا بالتعليم ولا بالدراسة الحرفية ، وإنما بواسطة نقاوة القلب . حتى أنه عندما كانت تقابله صعوبة في فهم الأسفار كان يقضي سبعة أيام مصلياً ومتأملاً ، حتى تشرق عليه المعرفة بإعلان سماوي (١٢٣) .

---

(121) Apoph. Patr., Syr. V., p. 174.
(122) Apoph. Patr., Syr. V., p. 230.
(123) Cassian Instit., Book V, Ch. 33.

وعندما زاره كاسيان كان ثيئوذور مقيماً في منطقة القلالي. وكانت القلالي تُدعى في نهاية القرن الرابع أيضاً «شيهيت» تجاوزاً(١٢٤).

ولكي يميزه الآباء عن سميه المشهور ثيئوذور تلميذ آمون الكبير، فدعوه باسم «ثيئوذور البرامي» لأنه من منطقة البراما أصلاً.

وكان مشهوراً بحبه الشديد للوحدة، حتى أن رفيقه وصديقه أنبا يوسف الكبير كان مريضاً جداً فأرسل إليه يستدعيه لإفتقاده وكان وسط الأسبوع. فكان رد ثيئوذور: «إنه عندما يأتي يوم السبت سيحضر لإفتقاده إن كان لايزال حياً، أما إذا كان قد مات فسوف يراه كثيراً في السماء»(١٢٥).

وقد كانت في حياة ثيئوذور البرامي معاناة كثيرة بسبب جهاداته ونسكه الذي أمضى فيه أكثر من ٧٠ سنة، حسب ما يروي هو عن نفسه: [كان أخ يعيش بمفرده في الوحدة، وقد أضنكته أفكاره جداً. فقام وكشف أفكاره لأبا ثيئوذور البرامي، فقال له الشيخ: «اذهب واتضع بقلبك، واخضِعْ فكرك، وعش في المجمع مع الإخوة». فقام وذهب إلى المجمع وعاش هناك كما قال له الشيخ. ولكن سرعان ما أقلقته أفكاره مرة أخرى، فقام واشتكى للشيخ إنه لا يريد أن يعيش مع الناس، فقال له الشيخ: «في الوحدة لا تتنيح، وفي المجمع لا تريد أن تعيش، فلماذا لبست إسكيم الرهبنة؟ ألا ينبغي عليك أن تحتمل التجارب، التي تأتي عليك، بصبر؟ قل لي كم لك في هذا الطريق؟»، فأجابه الأخ: «ثماني سنوات»، فقال له الشيخ: «هوذا الآن لي سبعون سنة في هذا الطريق ولم تصادفني فيه ولا راحة واحدة حتى اليوم، وأنت تريد الراحة تأتيك في ثماني سنوات؟»](١٢٦).

وقد عاصر ثيئوذور البرامي القديس أنبا مقار الكبير، وتعلم منه التجرد والفقر الكلي. فقد ذهب إليه مرة يستشيره أيهما أفضل أن يُبقي على ثلاثة كتب قيِّمة لمنفعة نفسه والإخوة، أو أن يبيعها ويحيا حياة التجرد. فأشار عليه الأب الكبير أن يبيعها أفضل قائلاً: «إن تعلم النسكيات حسن، ولكن أفضل الكل الفقر الإختياري». فقام وباعها وأعطى ثمنها للفقراء(١٢٧).

وكان ثيئوذور واضحاً صريحاً في سلوكه، أصيلاً في تصرفاته. فقد زاره مرة وهو في براما أمير البلاد، وكانت عليه القصارية فقط بدون الكوكوله وصدره عارياً. فما كان من تلميذه إلا أن

(124) Cassian Confer., p. 352.
(125) Dict. of Chr. Biog., p. 955.
(126) Apoph. Patr., Syr. V., p. 62.
(127) Apoph. Patr., Syr. V., p. 46.

أحضر الكوكوله بسرعة وحاول وضعها حول كتفه. ولكن القديس مسكها وطرحها بعيداً عنه. فلما خرج الأمير عاتبه تلميذه خوفاً من عثرة الناس، فقال له ثيئوذور: «دعه يذهب ياأبًا. هل سنظل نخضع لآراء الناس ومشيئاتهم؟ نحن نعمل عملنا والذي يريد أن ينتفع فلينتفع. ومن يريد أن يعثر فليعثر. أما أنا فسأواجه الناس كما أنا». وأمر تلميذه قائلاً: «إن أتاني أي إنسان ليراني، فلا تقل له شيئاً حسب سياسة الناس، بل قُلْ له ما أنا عليه. فإن كنت آكلاً قل له إنه يأكل، وإن نائماً قل له إنه نائم، وإن مصلياً قل له إنه يصلي» (١٢٨).

وكان يقول دائماً إن الراهب الذي يحيا حياة التوبة، ليس عليه أن يهتم بناموس الناس (١٢٩).

وكان ثيئوذور لا يعلِّم قط بالكلام ولكن بالعمل. وهو الذي علَّم اسحق قس القلالي الذي تتلمذ على يديه بعد موت كرونيوس كيف يعمل ويخدم في صمت و بدون سؤال أو إشارة أو توجيه منه. أنظر ص ٢٧٥.

وعندما هجم البربر على شيهيت في الغارة الأولى تشتت الشيوخ في أماكن عديدة. وقيل عن ثيئوذور البرامي أنه قام وانحدر إلى جبل برامي (موطنه)، وعاش هناك (١٣٠).

وقد حزن ثيئوذور إذ وجد الرهبان هناك يهتمون بعمل اليدين كأساس، أما العمل الروحي فيأتى كيفما اتفق؛ بعكس ما تعلَّمه في شيهيت حيث كان العمل الروحي هو الأساس، أما عمل اليدين فيأتى تابعاً (١٣١).

وقد قدَّم لنا هذا الأب الفاضل ثمرة صالحة كعينة ممتازة من تعاليمه، في شخصية اسحق قس القلالي. مع أن ثيئوذور نفسه رفض أن يمارس وظيفته حتى كشماس، بالرغم من إلحاح جماعة الآباء الشيوخ عليه مراراً!! لأنه كان حريصاً من جهة السبح الباطل مجتهداً دائماً أن يتجنب حتى ملاقاة الناس. [وقد قيل عن أرسانيوس وتادرس البرامي أنهما كانا مبغِضَين للسُبح الباطل جداً أكثر من غيرهم من الناس. فأرسانيوس كان لا يلتقي بالناس جملة، وأما تادرس فكان يلتقي بهم، ولكنه كان يجوز بينهم بسرعة كالسهم] (١٣٢).

أما علم ثيئوذور وأما معرفته فكانت عن أصالة ودراية وخبرة عملية. ولم يكن يطيق أن

---

(128) Apoph. Patr., Syr. V., p. 145.
(129) Apoph. Patr., Syr. V., 185.
(130) Apoph. Patr., Gr. V., Theod., XXVI.
(131) Apoph. Patr., Gr. V, Theod., X.

(١٣٢) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص ٤٩.

يتحدث أو يسمع عن شيء لم يختبره: [مرة جاء أخ إلى أنبا تادرس البرامي يستقصي عن أمور لم يصل إليها بعد ولا مارسها قط، فقال له الشيخ: كيف تدَّعي وصولك إلى المدينة قبل ركوبك السفينة؟ أَوْلَى بك أن لا تتحدث في أمر ما إلا بعد اختباره أولاً] (١٣٣).

وكانت معاملته للناس تنم عن إفراز وكرم وهِمَّة عالية: [جاء مرة إنسان يبيع بصلاً (في بيراما) فابتاع منه كيلاً وقال لتلميذه: «امض واملأ الكيل قمحاً». وكان يوجد نوعان من القمح نوع جيد وآخر رديء، فمضى التلميذ (ولعله اسحق قس القلالي أيام تلمذته) وملأ الكيل من القمح الرديء. فنظر إليه الشيخ بحزن، فوقع الكيل وانكسر (من الفخار)، فصنع الأخ مطانية. ولكن الشيخ قال له: «ليس الخطأ منك ولكن الخطأ خطإي لأني قلت لك»، ثم دخل وملأ حِجْره من القمح الجيد ودفعه للرجل] (١٣٤).

وكان ثيئوذور قنوعاً في مأكله: [قيل أنه لما خرب الإسقيط، أتى فسكن البراما. وشاخ وتقدم في الأيام، فضعفت قواه. فكانوا يأتونه بالأطعمة، ولكنه كان يعطيها لكل من يطرقه] (١٣٥).

ومن سيرة هذا الأب الفاضل نعلم أنه أمضى في الحياة الرهبانية أكثر من ٧٠ سنة، فإذا أضفنا عليها ٢٠ أخرى قبل مجيئه إلى الدير، تكون سنو حياته أكثر من ٩٠ سنة. وبما أنه عاش بعد الغارة الأولى إلى ما بعد سنة ٤٠٧ م.، يكون دخوله للرهبنة قبل سنة ٣٤٠م.، و يكون قد عاصر بذلك كل القديسين الكبار، و بالأخص القديس أنبا مقار الكبير، وأخذ عنه هذه المثل والصفات الرهبانية الفاضلة.

١٠ ــ إشعياء الإسقيطي

شخصية من كبار الآباء الشيوخ الذين ظهروا في شيهيت في القرن الرابع، عاصر القديس مقاريوس الكبير، ورافقه كثيراً، وتعلم منه. وكان تلميذاً أيضاً للشيخ أخيلس الذي دربه على النسك الشديد، فشب نحريراً ومدبراً للرهبان من أعلى طراز، وقد كان رئيساً من ضمن رؤساء الكنيسة في شيهيت. وكان ضمن مشاهير النساك في شيهيت الذين شغف بهم البابا أثناسيوس، وكان يسأل عنهم في رسائله التي كان يتبادلها مع أمونيوس(١٣٦): [وقد سألني (أبّا أثناسيوس

(١٣٣) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص١٠٣.

(١٣٤) و(١٣٥) شرحه، ص١٠٤.

(136) Acta SS., May III, Appendix, p. 71.

البطر يرك) عن النساك القديسين المتوحدين: بائيسيوس وأخو يه و پول و بيشوي وإشعياء و بيسير واسحق (قس شيهيت) و پول].

وترك عدة مقالات في التدبير الرهباني ووصايا للمبتدئين، موجودة كلها في مجموعة الپاترولوچيا جر يكا(١٣٧). أهمها:
١ ــ ميمر عن المنافع العظمى للنفس.
٢ ــ أخبار عن الإثنى عشر سائحاً (الآباء المتنقلين).
٣ ــ كيف يسلك الإخوة معاً.

وكتابات أخرى قيِّمة غير موجودة في مجموعة الپاترولوچيا وُجدت في مصادر أخرى هامة باللغة السر يانية(١٣٨) مع سيرته المطولة(١٣٩). وقد اهتم به السر يان جداً ورفعوه إلى أعلى مستوى من التكريم، مع أنه قبطي صميم، وذلك لأنه أمضى بقية حياته هناك عندهم مع تلاميذه الكثير ين(١٤٠)، الذين خرجوا من مصر وتركوا شيهيت ضمن الذين تشتتوا في أنحاء العالم بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧م.، وأقاموا جنوب مدينة نصيبين على نهر موسكاس، وانضموا لرهبنة القديس يوچين (أو أوكين)، أول من أدخل الرهبنة إلى سور يا و بلاد فارس.

وقد وصلتنا أخبار هجرته إلى سور يا من كتابات المؤرخ بطرس الإيبيري Iberian ابن ملك الإيبير ين الذي وقع في أسر ثيئودوسيوس الثاني. و يقول: [وأني أذكر أيام أن جاءوا بي من قصر (أبي) الملك وكنت آنئذ صغيراً، إني ذهبت إلى جبل الفسجة الذي يقع عبر الأردن تجاه الشرق، وسمعت خبراً عن أحد عظماء رهبان شيهيت كان يسكن هناك في هدوء وسلام، وكان قد جاء من شيهيت مع جمع كبير من الرهبان الذين كانوا معه في شيهيت وتركوها إثر غارة المازيس (البربر) التي وقعت على الأديرة هناك. وأخذت أترجى... وهذه القلاية التي ترونها الآن هي القلاية التي عاش فيها القديس أربعين سنة دون أن يغادر بابها... فقد كان ناسكاً ونبياً ومملوءاً من نعمة الله](١٤١).

ويجيئنا السنكسار القبطي الكبير و يكشف لنا عن شخصية أنبا إشعياء، أنه هو بعينه هذا الراهب العظيم والنبي المصري الذي جاء من شيهيت، فيقول تحت أول كيهك: [في هذا اليوم تنيح الراهب القديس بطرس الرهاوي الأسقف. هذا كان من جنس كريم فأعطوه لثيئوذوسيوس

(137) Migne, Patr. Gr., XL.
(138) Wright's Cat., Syr. Mss., Vol. II, p. 458-465.
(139) Syriac Cod. (dccccLX), A.D. 1197, Brit. Mus. & Wright's Cat., Syr. Mss. pt. III, p. 1129.
(140) Dict. of Chr. Biog., Isaias, p. 301.
(141) Ev. White, II, p. 157.

الملك ليصير أميراً (يظهر أنه وقع خطأ في النساخة وكانت «ليكون أسيراً»). وكان يستعمل النسك والعبادة في بلاط الملك وكان عمره وقتئذ ٢٠ سنة. وبعد هذا خرج (أطلقوا سراحه)، وترهب ثم جُعل أسقفاً على أورشليم رغماً عنه. وقيل أن أول قداس قدمه فاض الدم بغزارة من الجسد الذي كان قدامه على المذبح حتى ملأ الصينية... وفي أرض فلسطين اتفق اجتماعه بالقديس أنبا إشعياء المصري، واتصل خبره إلى الملك زينون فاشتهى أن يبصره، فلم يقبل لأنه كان يهرب من مجد هذا العالم](١٤٢).

ومن الخبر الذي أورده بطرس الإيبيري نعلم أن القديس إشعياء الإسقيطي عاش في الشام (سوريا) أربعين سنة متغرباً عن شيهيت، بعد غارة البربر التي وقعت سنة ٤٠٧م. أي أنه تنيح سنة ٤٤٧م. تقريباً، وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر أبيب. وقد قننته الكنيسة، ويذكره السنكسار تحت هذا اليوم. فلو علمنا أنه رأى القديس أنبا مقار وتتلمذ عليه بل وكان ناسكاً عظيماً ومشهوراً في شيهيت في زمن مراسلات البابا أنبا أثناسيوس مع أمونيوس حوالي سنة ٣٦٣م.، كان هذا يعني أنه بدأ حياته الرهبانية قبل ذلك، أي أنه دخل شيهيت سنة ٣٥٥م. تقريباً. فإذا كان إشعياء ترهب في الثامنة عشر من عمره، يكون إشعياء قد وُلد سنة ٣٣٧م. وتنيح سنة ٤٤٧م. أي أن سني حياته كانت تربو على المائة والعشر سنين.

وينبغي أن نفرق بين أنبا إشعياء الإسقيطي الذي تغرب في سوريا بعد غارة البربر الأولى وعاش جنوب مدينة نصيبين على نهر الماسكاس مدة أربعين سنة وتنيح سنة ٤٤٧م.، وبين إشعياء آخر عاش في غزة وتنيح سنة ٤٩٠م. وإشعياء الغزاوي ليست له كتابات مأثورة، أما إشعياء الإسقيطي فله عدة مقالات جُمعت في كتاب له معروف باسم نسكيات إشعياء: «الأسيتيكون»، وفيه ثلاثون مقالة.

وقد احتفظت أقوال الآباء «الأبوفثجماتا» (النسخة السريانية) بسبعة أقوال، أما النسخة اليونانية فاحتفظت له بأحد عشر قولاً. أما أقواله المحفوظة بالسريانية والحبشية والقبطية، والتي بقيت مجهولة فترة طويلة، فهي كثيرة جداً. أما البستان العربي المطبوع فأمدّنا بكمية لا بأس بها من تعاليمه ووصاياه وأقواله المشهورة. ولعل من طرائف غيرة هذا الأب القديس على التعلُّم والإستفادة من أقوال الشيوخ، أنه جلس مرة يسجل حواراً بين القديس أنبا مقار الكبير وبعض رهبان أديرة ظاهر الإسكندرية الذين جاءوا يستفسرون عن بعض الأمور من أب البرية الكبير.

كتابات القديس أنبا إشعياء الإسقيطي:

لقد ظلت كتابات أنبا إشعياء النسكية منتشرة بين الرهبان في الشرق المسيحي كله، وبكافة

(142) R. Basset, Kiahk 1, p. 367.

اللغات القبطية والسريانية والحبشية واليونانية، كمصدر إلهام ومعرفة نسكية عميقة. ولم تكن معروفة عند الغرب إلا على هيئة بعض أقوال متناثرة في كتاب « قانون السلوك » للقديس الغربي بنوا دانيان : «Benoît d'Aniane» (P.L. 103, 427-434) : وقد نُشرت أقواله في ترجمة لاتينية في ڤينيسيا (البندقية) سنة ١٥٥٨م. ، ونُقحت هذه الترجمة وأُدمجت في مجموعة الپاترولوچيا اليونانية Migne, P.G., 40, 1105-1206 ثم قام العلماء بعد ذلك بنشر أقواله على فترات متتابعة في سنة ١٩١١، ١٩٥٦، ١٩٦٢، ١٩٦٩ مع تحقيقات ومطابقات النسخ السريانية والقبطية واليونانية معاً، وألحوا جميعاً إلى أهمية هذه الأقوال، إلى أن قامت جماعة رهبنة «بلْ فونتان» سنة ١٩٧٠م. «Abbaye de Bellefontaine» بالترجمة الفرنسية لكل أقوال أنبا إشعياء في كتابه المسمى: «الأسيتيكون Asceticon » أي نسكيات إشعياء. والكتاب بالقطع المتوسط في ٣٠٠ صفحة، ويحوي ثلاثين موضوعاً من الموضوعات النسكية الهامة، وأشارت الترجمة إلى فائدتها الكبيرة في هذه الأيام. ونحن نقدم هنا رؤوسها للقارىء ثم نعلّق على مضمونها باختصار سريع، لأننا بصدد ترجمتها وتقديمها لقراء العربية قريباً إن شاء الله.

المنهج النسكي والروحي في كتابات إشعياء الإسقيطي

إن كتابات إشعياء الإسقيطي بدأت تأخذ مجالها التأثيري الكبير في الفكر المسيحي لدى الشرق كله، لدى الرهبان الأقباط والسريان واليونان، منذ القرن السادس. ولا تزال تعاليم إشعياء الإسقيطي مصدراً حياً فعالاً في الفكر الرهباني في كل العالم حتى اليوم.

ويمكن تقسيم تعاليم إشعياء الإسقيطي بحسب ما جاء في هذه المقالات الثلاثين إلى اتجاهين أساسين:

الإتجاه الأول: اتجاه عملي نُسكي صِرف، يقوم على أساس إنجيلي واضح.

الإتجاه الثاني: اتجاه تعليمي فكري، وتسنده النصوص الكتابية دائماً.

الإتجاه الأول: النسك العملي عند إشعياء:

١ ــ احترام القوانين النسكية:

الإتجاه العملي النسكي عند إشعياء يبدو جاداً صارماً. ففي المقالة الثامنة نسمعه يقول لأولاده:

+ إذا أراد أحد أن يبقى معنا هنا، عليه أن يلتزم بتقليد الآباء الذي تسلمناه منهم، ولا تطلبوا أن أكون لطيفاً معكم لأن هذا سيضر بخلاصكم، فإذا لم يلتزم كل واحد منكم بالطاعة وأراد أن يسير بحسب مشيئته الشخصية، فليغادرنا بسلام؛ وإني بريء من دمه أمام الله، ودمه سيكون على

رأسه يوم الدينونة.
+ أما أنا فكنت مع أبي القديس (أخيلس) أنا وأخواي، نسلكُ بحسب إرشاداته التي كان يكتبها لنا بخط يده.

ونسمع أنبا إشعياء أيضاً في المقالة الثامنة يخاطب بطرس تلميذه قائلاً:
+ لا تهمل أن تحفظ ذلك ياأخ بطرس وإلا أبعدتك خارجاً، ولن أجعلك تعيش معي.

وفي مقدمة كتاب الأسيتيكون (نسكيات إشعياء) المطبوع في موسكو، نجد ملخصاً لمبادىء إشعياء؛ وتقول المقدمة إنه حرص على عدم قبول أي واحد من التلاميذ إلا إذا تعهد بقبول القانون العام بكل إصغاء ودقة، وكان يكتب لهم كل القوانين حتى لا يقدر التلاميذ على التهرب من اتباع متطلباته.

ونجد عناوين هذه النصائح والقوانين هكذا: (وصايا للمبتدئين)، (القوانين التي يجب أن يتَّبعها كل من ترك العالم)، (إلى الإخوة الذين أتوا بغرض التعليم والتوحد).

٢ ــ خوف الله حتى النهاية:

وكان الهادي الأول للطريق النسكي لدى إشعياء هو خوف الله. فكلمة خوف الله تتردد على كل صفحات كتابه:
+ لكي لا تبعد عنك خوف الله.
+ لكي يسكن خوف الله فيك...
+ لئلا تخطىء إلى الله وتغيظه فيتركك خوف الله...
+ لأننا لا يمكن أن نستهين بخوف الله لأنه يرى كل شيء...
+ تذكر الله لأنه دائماً يراك...
+ إعلم أن الله ينظرك في كل ما تفعله...
+ إجعل فكرك مكشوفاً لله حتى يحفظك...

٣ ــ محاسبة النفس:

والبوصلة التي ترشد إلى صحة المسير من عدمه هي محاسبة النفس وعدم تشتت الذهن:
+ إن زهد الروح لابد يصل إلى كراهية التشتت.
+ يلزم أن تتذكر كل يوم فيما أخطأت، وتطلب الغفران، امتحن نفسك. اكشف نفسك لأبيك لأن هذا يساعد كثيراً في معرفة الذات وإصلاحها.
+ ينبغي للراهب الشاب أن يسلك بمعرفة.

٤ ـ المعرفة العملية:

المعرفة عند إشعياء الإسقيطي هي الإفراز والتحكم والتأمل في أحوال النفس، وهي تحتل مكانة عظمى في نسكياته، فهو دائماً أبداً في كل مناسبة يقول:

+ طوبى لمن كانت أعماله بمعرفة.

+ طوبى لمن سلم نفسه لله بمعرفة.

+ الذي ليس عنده معرفة ليس عنده خوف الله...

٥ ـ الإتضاع بالمعاملة:

الإتضاع عند إشعياء هو حالة عملية لا يمكن ممارستها أو النمو فيها إلا بالمعاملة مع الناس.

+ يستحيل أن يملك علينا السلام الداخلي إذا لم نكن في سلام مع الناس، ولا يمكن أن تكون في سلام مع الناس إلا إذا كنت لا تفتكر في نفسك أنك شيء، اخفض نفسك، انزع رغباتك، لا تكن عنيداً.

الحياة الرهبانية لا يمكن أن تبلغ حالة الهدوء والسلام إلا إذا اجتمع فيها:

+ التخلي عن المشيئة الذاتية مع اتحاد النفس بالإتضاع.

+ كن خاضعاً للآخرين بدون تذمر أو غضب لأن خضوعك هذا هو لله وليس للناس.

+ أهم كلمة رهبانية تنفعك هي هذه: انحنِ لأخيك.

+ الذي يتمسك بمعرفته هو ناقص المعرفة.

+ الله لا يسمع لإنسان لم يُخضع بعد رغباته.

+ التجرد الحقيقي هو التخلي عن المشيئة.

+ لا ينبغي أن يعتمد الإنسان على بره الذاتي، ولا على شدة زهده ولا على كثرة أعماله.

+ لا ينبغي أن نعتمد على قوتنا الذاتية في جهادنا ضد الخطايا.

٦ ـ طرح النفس أمام الله:

الإعتماد على الله جداً هو رأس المال الوحيد للناسك عند إشعياء:

+ ألقِ بنفسك أمام الله، واسأله من كل قلبك وقل له بصراحة أنا لا أستطيع أن أعمل شيئاً. وهو يعضدك سريعاً.

+ ألقِ بنفسك أمام الله دائماً.

+ السلاح الأقوى والفعّال في جهادنا ضد الشيطان هو أن نلقي بذواتنا أمام الله وعلى المسيح.

+ لا ينبغي أن نلاجج مع الشيطان، يلزم فقط أن نسلم ذواتنا لله من كل القلب.

+ إذا ألقيت بنفسك أمام الله، الله يكشف لك اللصوص المخفيين داخلك، وحينئذ تستطيع أن تطردهم.

+ سلِّم نفسك لمحبة الله تكشف اللصوص الذين في داخلك.
+ سلِّم نفسك لرحمة الله تنجو من الخطر وتتخلص من العبودية للخطية.
+ فليُصلِّ كل إنسان بلا انقطاع، و يلقِ بنفسه أمام الله كل حين، كاشفاً للرب عن كل أوجاعه بشعور الخاطىء، وعليه حينئذ أن لا يدين أو يحكم على أحد بالمَرَّة.

٧ ــ اللطف مع الإخوة:

امتياز الراهب الذي يرفعه فوق كافة المستويات هو لطفه ووداعته من نحو الآخرين. إشعياء لا يمل أبداً من توصية الرهبان لإحترام الآخرين، واحترام أشخاصهم يُلزمنا أن نحترم آراءهم، واحترام آرائهم يُلزمنا أن نحترم شعورهم وإحساسهم.
+ احترسوا من أن تجرحوا ضمير أحد الإخوة بالنسبة لأي فكر أو عمل مهما يكن الأمر.
+ احترسوا من أن تُحزنوا قلب أي أخ.
+ احترسوا من عمل أي شيء من شأنه أن يؤلم نفسية أخ.
+ أخِّروا إرادتكم بعد إرادة أخيكم حتى تُدخلوا في قلب أخيكم السرور.

وهكذا بالرغم من صلابة إشعياء النسكية، و بالرغم من دقته في تنفيذ الوصايا الرهبانية إلى درجة احتمال طرد تلميذه أو أي تلميذ آخر لا يستجيب لأوامر ووصايا الآباء التي استلمها هو منهم، نجده لطيفاً غاية اللطف مع الضعيف والمبتدىء والسائر في الطريق. فهو لا يطيق القلب القاسي:
+ إن عدم اهتمامك بآلام أخيك هو دلالة على قساوة قلبك.

الإتجاه الثاني: التعليم الروحي عند إشعياء:

وهو الإتجاه التعليمي الروحي الذي يسنده الإنجيل من الأساس للقِمَّة. يقول أحد العلماء الأجانب الذين قاموا بتحقيق كتاب الأسِتيكون (نسكيات إشعياء) واسمه دراجويه Chanoine Draguet ، إن إشعياء هذا حكيم من حكماء الأجيال، وهو يدهشنا حقاً بكتابه هذا، لأن وصايا إشعياء فيها قوة الترابط الوثيق بين ما هو فوق الطبيعة و بين ما هو بشري محض!

كما أن تعليمه يحمل قوة توازن حساسة بين ما هو روحي وما هو جسدي! ويحتفظ إشعياء في توجيهاته بنسبة دقيقة بين متطلبات التوحد و بين متطلبات المعاملات الأخوية في الحياة النسكية!

المركز الرئيسي للمسيح في الحياة النسكية:
الخليقة الجديدة هي هدف الناسك:

لقد جدد المسيح بتجسده وتأنسه طبيعة الإنسان الجسدية لأنه صار إنساناً منزَّهاً عن

الخطيئة!! وبالصليب فتح للإنسان طريق الخلاص عن طريق الطاعة والإتضاع والتوبة. وبسفك دمه أوجد للإنسان فرصة الإرادة لنزع الشهوات والموت عنها:

+ من أجل هذا جاء المسيح، ولكن ثقل قلوبنا أعمانا عنه، شهوات قلوبنا أخفت عنا شهوة حب المسيح، (الذي هو صحتنا وإنساننا المنزَّه عن الخطيئة)!

+ فلنسرع وننزع عنا شهوة قلوبنا ونقتني الإتضاع حتى نستطيع أن نثبت في خلقتنا الأولى، مسكن راحتنا الذي يهبه لنا الرب يسوع المسيح بفعله المقدس.

هنا نلاحظ أن القديس إشعياء جعل الإتحاد بالمسيح (الخليقة الجديدة) غاية النسك، وجعل التجسد والصليب وسفك الدم قوة النسك التي بدونها يصبح الجهاد عبثاً وكأنه ملاطمة في الهواء!!

الإلتصاق بالمسيح معناه ترك العالم:

ترك العالم عند إشعياء هو الباب الذي ندخل منه إلى خلقتنا الجديدة!!

+ إذا كنت قد تركت العالم حقاً فاعمل على التخلص من خطاياك ولا تحتقر وصايا الرب.

+ إن أردت أن تكون تلميذاً للمسيح، أصبح فرضاً عليك أن تتخلى عن العالم.

ولا يوجد عند إشعياء خلط بين التعريج في محبة العالم ومحبة المسيح، هنا يبدو إشعياء قاطعاً صارماً في منهجه الفكري الإنجيلي، كما رأيناه قاطعاً صارماً في مبدأه النسكي العملي!!

+ طريق للحياة وطريق للموت والذي يسير في الواحد لا يستطيع أن يسير في الآخر.

+ الذي يشتهي الملكوت يعمل أعمال الملكوت.

+ الذي يحترق قلبه ويذوب بمحبة الله لا يعود يطيق أعمال الخطية وشهوة الشر.

+ لا يستطيع أحد أن يهتم بخلاص نفسه طالما هو يهتم بالعالم.

+ كما لا يمكن أن تنظر إلى السماء بعين وتكون العين الأخرى ناظرة إلى الأرض في نفس الوقت، كذلك الذهن لا يمكن أن ينشغل فيما لله وفيما للعالم معاً.

+ الذي يود أن يكون تلميذاً للمسيح إذا لم يقطع من قلبه كل ميل ناحية الشهوات فإنه لا يستطيع أن يكون له تلميذاً.

+ الرب يسوع يحب حباً تاماً من يقبل إليه من كل قلبه، ولهؤلاء قال: اثبتوا فيَّ!! إذا كنتم تحبونني احفظوا وصاياي... الذي يحفظ وصايا المسيح هو ليس بعيداً عن المسيح، لأن الذي يفصلنا عن المسيح هو فقط شهوات قلوبنا الشريرة. فإذا قلت أنك قد انفصلت عن العالم وأنت لازلت مأخوذاً بأمور العالم فإنك تخدع نفسك، لأن المسيح قال: الذي لا يحمل صليبه ويتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً.

وهكذا نجد هذا القديس الحكيم يصيغ كل المبادىء النسكية في قالب إنجيلي صرف، جاعلاً المسيح مركزاً وحيداً لكل أعمال النسك، وهدفاً وحيداً لكل السائرين على الطريق النسكي، والقوة الوحيدة التي تدفع الناسك في جهاده.

حمل الصليب هو الموت عن الشهوات:

معنى حمل الصليب عند إشعياء هو صلب العقل والقلب إزاء شهوات العالم وشرور الجسد.

+ وما هو هذا الصليب، الذي قال عنه المسيح أن نحمله، إلا العقل (القلب) الذي يجب أن نحفظه بالأعمال الحسنة حتى لا يميل أو يهبط إزاء الشهوات الشريرة، حتى إذا تخلَّص منها يأخذ الحرية؛ حرية الروح التي أكَّدها لنا المسيح: وحيث أكون أنا يكون خادمي أيضاً.

الموت عن شهوات الجسد يهيىء للبس المسيح:

وإشعياء يطبق بسهولة ووضوح وتأكيد مبادىء بولس الرسول على المنهج النسكي بجمال منقطع النظير:

+ إن كنتم قد قمتم مع المسيح... فاهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم الآن مستترة مع المسيح في الله، اخلعوا الإنسان العتيق مع كل أعماله وألبسوا الإنسان الجديد الذي هو الرب يسوع نفسه!! لأنكم أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح!

إذن فلنفحص ذواتنا ياإخوتي إن كنا قد لبسنا المسيح بعد أم لا؟ لأن به تتقدس أرواحنا، ولا نعُدْ نتبع شهوات الجسد.

ثم يعود إشعياء يفسر كلام بولس الرسول عن الصليب والموت مع المسيح بطريقة نسكية غاية في القوة وغاية في الإختصار بقوله:

+ الرب يسوع قال: من يحبني يحفظ وصاياي... ولكن الذي يحفظ كلام المسيح يسير معه حتى الصليب. ولكن ما هو الصليب إلا قوة الموت عن كل الشهوات موتاً كاملاً!!؟ ولأن بولس الرسول قد تخلَّص من هذه الشهوات كلية قال: «مع المسيح صُلبت فأحيا الآن لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ»!! معنى ذلك أن كل من يهدم شهوة الشر يحيا المسيح فيه... كذلك قيل: إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا، فمن هو الذي ينكر المسيح إلا الذي يصنع مشيئات الجسد و يسيء إلى العماد المقدس (الخليقة الجديدة في المسيح) الذي اقتبله من الرب؟

الخلاص من شهوة العالم يهيىء لسكنى الروح القدس:

أما غاية النسك عند إشعياء فهي تنطبق تماماً مع غاية المسيح والإنجيل.

+ إن الذين **يخلصون من هذا العالم** مع شهواته واضطراباته يرسل لهم الله الروح الذي وعد به

المسيح، روح القداسة الذي **لا يستطيع العالم أن يقبله!!** لأن الروح الوديع الهادىء لا يسكن إلا في القلب الوديع الهادىء ويجعله يأتي بثمار، ولكن الخلاص من العالم ليس بمعنى المكان عند إشعياء، فهو الذي يقول:

+ الذي يحب الله لن يجد في العالم ما يفصله عن الله كما قال بولس الرسول: من سيفصلني عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم جوع أم اضطهاد أم خطر أم سيف؟ فلتحلّ محبة ربنا يسوع المسيح في قلوبنا آمين.

الإحساس بالقيامة والراحة الأبدية رهن الوصول إلى حالة طهارة كاملة:

وإن كانت القيامة والدخول إلى الراحة الأبدية هي غاية المسيح التي بلغها، وغاية الإنجيل التي ينتهي عندها وإليها، فهي عند إشعياء مطبقة على العمل النسكي تمام التطبيق.

+ إن حالة الراحة الكاملة، راحة ابن الله، راحة عدم التأثر وعدم الموت وعدم الفساد، الراحة السبتية العظمى أي القيامة، تتطلب منا أن نتبع المسيح بأمانة في حياته وآلامه وموته على الصليب، ليس أننا ندخل فقط إلى راحته إذا تطهرت أرواحنا، بل إنه هو نفسه يستريح في تلك الروح إذا أصبحت مِلكاً له، لأن الذي يلتصق بالرب يصير معه روحاً واحداً، لأنه يعلمه حينئذ كيف يصلي باستمرار وكيف يعبده بلا فتور، لأن الروح تكون متحدة به على الدوام.

+ + +

وهكذا في ختام هذا العرض المختصر جداً لمنهج إشعياء النسكي، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام هذه الشخصية النبوية الحكيمة، التي رفعت مصاف آباء الإسقيط إلى مستوى الرسولية وحققت النسك إنجيلاً حياً مُعاشاً.

١١ ــ سلوانس

وإن كان يوجد أكثر من واحد من الرهبان حملوا هذا الإسم، إلا أنه في الحقيقة لا توجد لهم أقوال معروفة. فكل الأقوال التي وردت في كتاب أقوال الآباء تحت هذا الإسم هي لشخصية واحدة عظيمة قديسة عالمة، هي شخصية الأب سلوانس الذي عاصر أنبا مقار وتتلمذ عليه. وقد جاء عنه في السنكسار القبطي لرينيه باسيه تحت أول برمودة هكذا:

[في هذا اليوم تذكار الأب القديس سلوانس، هذا الطوباني كان قد ترهب منذ حداثته عند الأب القديس مقاريوس بشيهيت، وسار في الطريق الضيقة، وأجهد نفسه بالصوم الطويل

والسهر الكثير والإتضاع والمحبة، وصار أباً عظيماً، وكان الله يعلن له المناظر الإلهية و يوحي إليه بأمورٍ كثيرة...].

وقد عُرف سلوانس بلقبين:
الأول: «الشيهيتي» أي الذي عاش حياته في شيهيت:
والثاني: «السينائي» لأنه عاش فترة من حياته في شبه جز يرة سيناء، ولذلك ظن بعض المؤرخين أن موطنه الأصلي فلسطين.

تلاميذ سلوانس:

من المعروف أنه كان للقديس سلوانس تلميذان من أفضل التلاميذ الذين عرفتهم الرهبنة في الطاعة والمحبة والإخلاص للمعلم، الأول **مرقص**، والثاني **زكريا**. وكان الأول يلازمه في شيهيت والآخر لازمه في سيناء. كما عُرف له تلميذ ثالث رافقه أيضاً في رحلاته وهو **زينو**.

أما تلاميذه جملة فكانوا اثنى عشر تلميذاً. وهذا نعرفه من القول الآتى:

[قيل عن الأب سلوانس أنه كان له في شيهيت تلميذ اسمه مرقس، وكان قد نال درجة عالية في موهبة الطاعة، وقد كان كاتباً. وكان الشيخ يحبه كثيراً من أجل طاعته، وكان مع مرقس أحد عشر تلميذاً آخرين، كانوا متضايقين بسبب رؤياهم للشيخ وهو يغدق محبته على مرقس أكثر منهم جميعاً، فلما بلغ هذا الخبر الآباء الشيوخ (مجمع الشيوخ الكبار الذين يدبرون ناموس البرية كلها)، لم يرضوا بذلك. وعندما أتوا إلى سلوانس ليراجعوه في الأمر أخذهم سلوانس وذهب معهم إلى قلالي تلاميذه وقرع باب قلاية كل واحد منهم قائلاً: «ياأخ احضر لأني محتاج إليك». غير أنه ولا واحد منهم قام في الحال مطيعاً للأمر، إلا مرقص الذي لما سمع مجرد صوت معلمه يقول: «ياأخ مرقص» قفز في الحال وخرج، فأرسله معلمه بعيداً. والتفت سلوانس إلى الآباء الشيوخ قائلاً: والآن ياآباء أين بقية الإخوة؟ ثم أخذهم ودخل قلاية مرقص ونظروا في الكتاب الذي ينسخه فوجدوه قد توقف عند البدء في كتابة حرف (ω) ولم يكمله عندما سمع صوت معلمه يناديه، فلما نظر الشيوخ هذا قالوا لسلوانس: «بالحق أيها الشيخ نحن أيضاً نحب هذا الأخ الذي تحبه أنت والله يحبه أيضاً»](١٤٣).

اتساع روحي مدهش:

والمعروف عن سلوانس أنه كان قديساً كبيراً وعالماً فيلسوفاً ذاعت شهرته في العالم كله بسبب علمه وحكمته مع فضائل نسكية عالية، فقد جمع هذا الأب بين «المعرفة والنسك» وبين «الحكمة والفضيلة» وبين «قراءة الكتب العميقة وبساطة السيرة جداً». كما جمع بين «التأمل في

(143) Apoph. Patr., Syr. V., p. 68.

الإلهيات وعمل اليدين» وبين «الإهتمام الكبير بلوازم الحياة الجسدية مع قمع الطموح والإتساع». وكل هذه تنطق بها سيرته وأقواله، مما يجعلنا نضع هذه الشخصية النادرة المثال بين أعاظم القديسين الذين تتلمذوا على القديس أنبا مقار، فصاروا نموذجاً عالياً في الحياة الرهبانية وركيزة هامة في التدبير النسكي.

فمن جهة الإهتمام بلوازم الحياة اهتماماً كبيراً مع ضبط الفكر في الروحيات بآن واحد نقرأ له: [لما كان الأب سلوانس بطور سينا حدث أن زكريا تلميذه تركه وذهب للخدمة (في الكنيسة)، وكانت قنوات المياه مفتوحة على الجنينة، فما كان من الأب سلوانس إلا أن ذهب بنفسه ليروي الحديقة ولكنه أنزل الكوكلسة (غطاء الرأس) على عينيه فلم يعد يرى إلا قدميه فقط وأخذ يروي الحديقة، وبينا هو على هذا الحال أتاه أخ ورآه وتعجب مما يعمل فذهب إليه مستفسراً وهو يعتذر: «حاللني ياأبي لماذا تغطي عينيك وأنت تسقي؟»، فأجابه الشيخ: «لقد فعلت ذلك حتى لا تنشغل عيني برؤية الشجر فيتشتت فكري عن عمله (التأمل) و يضيع عقلي بين الشجر!»](١٤٤). وهكذا نجد هذا الراهب الحكيم لا يتأخر عن أن يهتم بالبستان ليعطي جسده ما يلزمه، ولكن لا يدع اهتمامه بالبستان يطغى على اهتمامه القلبي الذي يغتذي منه روحياً!

ولم يكن هذا المبدأ مجرد فكر عابر، ولكنه كان ناموس الحياة كلها عند سلوانس وكل تلاميذه بل وحتى زائريه. فقد حدث أن: [مرة زار أحد الإخوة الأب سلوانس في جبل سيناء، فلما رأى الإخوة منكبين على العمل، قال للشيخ: «لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب، لأن مريم اختارت لها النصيب الصالح». فقال الشيخ لتلميذه زكريا: «أعطِ الأخ إنجيلاً وأدخِله في قلاية فارغة»، ففعل. فلما حانت ساعة الأكل بقي الأخ منتظراً على الباب مترقباً وصول من يسأله المجيء إلى المائدة، فلما لم يدعُه أحد، نهض وجاء إلى الشيخ وقال له: «أما أكل الإخوة اليوم ياأبانا؟». أجابه: «نعم». فقال له: «ولماذا لم تدعُني للأكل معهم؟»، فأجابه الشيخ: «ذلك لأنك رجل روحاني لست بحاجة إلى طعام وأما نحن فجسديون نحتاج إلى طعام ولذلك نمارس الأعمال. أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح، تقرأ النهار كله ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاماً». فلما سمع الأخ هذا الكلام خرَّ ساجداً وقال: «اغفر لي ياأبانا». فأجابه الشيخ: «لاشك أن مريم تحتاج إلى مرثا. لأن مريم بمرثا مُدِحت»](١٤٥).

أما قدرة هذا الراهب الحكيم على الجمع بين الحرية في التصرف اللازم مع القدرة على الحد من الحرية إلى درجة القمع، فهذه القصة تشرح ذلك بدِقة: [عزم الأب سلوانس على السفر إلى

(144) Apoph. Patr., Syr. V., p. 280.

(145) Apoph. Patr., Syr. V., p. 206.

أحد الأديرة البعيدة ومعه تلميذه، فقام ورتب شيئاً من الطعام وأكلا وشربا معاً استعداداً للسفر (وكان ذلك اليوم يوم صيام). وبينا هما سائران وجد زكريا ماءً في الطريق فمال ليشرب، وإذ بالشيخ ينهاه قائلاً: «زكريا، إن اليوم صيام»، فاندهش زكريا وقال: «نعم ياأبي ولكننا أكلنا»؛ فرد عليه الشيخ الحكيم قائلاً: «إن الأكل الذي أكلناه كان بحكم الضرورة والآن ينبغي أن نحفظ الصوم ياإبني»](١٤٦).

أما قدرة هذا الأب الحكيم على ضبط الفكر عن الطموح في الإتساع في الأمور الجسدانية مع الإهتمام بالضروري منها فندركه من القصة الآتية:

[حدث أن زكريا تلميذ الأب سلوانس أخذ معه بعض إخوته، بدون علم الشيخ، وذهب إلى الحديقة (التي تنتج لهم الخضار والفاكهة في سيناء)، وهدموا أسوارها وأضافوا إليها مساحة جديدة بغية اتساعها، وأعادوا بناء السور. فلما علم سلوانس بالأمر، لبس الكوكلسة ولف نفسه بردائه وهمَّ خارجاً لمغادرة المكان قائلاً: «صلوا من أجلي». فلما رأوا ذلك خروا وسجدوا أمامه قائلين: «ما الذي حدث ياأبانا؟»، فأجابهم: «اسمعوا، إني لن أدخل مرة أخرى إلى داخل القلاية ولن أخلع ردائي حتى تعيدوا السور إلى ما كان عليه أولاً». فلما أتموا إعادة السور إلى وضعه القديم دخل أمامهم](١٤٧). وهكذا استطاع هذا الأب المبارك أن يهذب تلاميذه بالقدوة والحكمة والحزم، وسقاهم من نبع الحكمة الإلهي حتى أوصلهم إلى الميناء، فكانوا مثلاً رائعاً في السلوك الرهباني، ومنهم من صار أسقفاً مثل الأب «ناتيرا» الذي اختير أسقفاً على مدينة رايثو (مدينة الطور حالياً)، الذي نقرأ عنه: [قيل عن الأب ناتيرا تلميذ الأب سلوانس الذي ظل يسكن في قلاية معلمه من بعده (سلوانس رجع إلى شيهيت) أنه كان رفيقاً بجسده ومتلطفاً في تدبيره ونسكه، ولكنه لما اختير إلى الأسقفية رغماً عنه اشتد على نفسه وتجبر على جسده بالضيق والنسك الشديد. فاندهش تلميذه وسأله يوماً: «ياأبي عندما كنا نعيش في البرية لم تكن تحيا بمثل هذا الشظف والضيق واحتقارك لذاتك فما هو السبب؟»، فأجابه: «ياإبني لما كنا في البرية كانت الصحراء والسكون والفقر يسندنا فما كان علينا وقتئذ إلا أن نحفظ الجسد من المرض، لكن نحن هنا في العالم وتحيط بنا الشهوات، فأصبح علينا أن نضبط الجسد ونقمعه حتى لا يسقط منا في فخ الشهوة، فنفقد كل تعبنا وجهادنا»](١٤٨). وهكذا أثمرت حكمة سلوانس وأثمر تعليمه وتهذيبه لتلاميذه هذه الثمرات التي زينت الكنيسة.

أعلى درجات الدهش:

أما سلوانس فظل ينمو في النعمة التي تاجر بمواهبها الروحية يوماً بعد يوم، كما تعلم وتسلم من

---

(146) Apoph. Patr., Syr. V., p. 28.
(147) Apoph. Patr., Syr. V., p. 281.
(148) Apoph. Patr., Syr. V., p. 310.

القديس مقار يوس، حتى بلغ إلى أعلى درجات الدهش: [أتى مرة زكر يا ليفتقد الأب سلوانس فوجده قائماً في الصلاة إنما دون أي حركة. و يداه مرفوعتان نحو السماء. فخرج وأغلق الباب وعاد في الساعة السادسة ثم التاسعة فوجده بهذا الحال عينه دون حركة. فخرج وعاد في الساعة العاشرة (الرابعة بعد الظهر) فوجده لا يزال كما هو، فدقَّ على الباب ودخل، فانتبه الأب سلوانس. ولما سأله تلميذه: «ماذا حدث لك اليوم أيها الأب؟»، أجابه: «أنا اليوم أشعر أني ضعيف ومريض». ولكن زكر يا وقع على رجليه وأمسكها قائلاً: «إني لن أتركك حتى تقول لي ماذا رأيت». فقال له: «تعهد لي أولاً أنك لن تبوح بالأمر لأي أحد حتى أخرج من هذا الجسد وأنا أقول لك». فلما تعهد له تلميذه قال له: «لقد اختُطفتُ إلى السماء اليوم ورأيتُ مجد الله ومكثتُ إلى الآن هناك حتى أخرجوني»](١٤٩).

وقد اعتاد سلوانس الدخول في الدهش الإلهي حتى أصبح يباغته وهو جالس بين الإخوة جهاراً: [حدث بينما كان الأب سلوانس جالساً بين الإخوة أن دخل في الدهش الإلهي فجأة فسقط على وجهه، وظل مدة طويلة قام بعدها باكياً، فأخذ تلاميذه يتوسلون إليه أن يكشف لهم الأمر ولكنه ظل ساكتاً مدة. ولما شددوا عليه السؤال بإلحاح قال لهم: «لقد أُخذتُ حالاً إلى السماء ورأيت الله قائماً، ومنظر الدينونة، وإذا كثير من أصحاب طريقنا يُساقون إلى العقاب وكثيرون من الذين في العالم أُعطوا أن يدخلوا ملكوت الله»، وأخذ القديس بعدها يبكي ورفض أن يخرج من قلايته مدة، وعندما أُكره على الخروج كان يحجب عينيه عن نور النهار قائلاً: «أي ربح لنا في هذا النور؟»].

ولم يكن سلوانس في ذلك متذمراً على النور الذي في العالم، ولكنه كان قد أشرق في قلبه نور آخر حجب عنه كل لذة وكل اهتمام بنور الدنيا وجمالها وأمجادها، فقد حُكي عنه: [لقد عُرف عن الآباء أن بامو كان يضيء كوجه موسى الذي لما تسلم مجد آدم الأول أضاء وجهه وكان كمثل ملك جالس على عرشه، وكان سلوانس كذلك وشيشوي أيضاً](١٥٠).

سلوانس مع الأب يوسف:

وكان الأب سلوانس يعيش مع الأب الكبير يوسف في بدء حياته وقد تعلم منه كثيراً من الحكمة، لأن الأب يوسف كان مدبراً من أعلى طراز، وقد علمنا من سيرته أنه كان هو وتلاميذه لا يُصلُّون طالما كان عندهم زوار، ولا يأكلون أكلهم النسكي إلا في ستر، ولم يكن يعلم أحد بتدبيرهم، فلما كان يأتيهم ضيف، كانوا يقدمون له أفخر الأطعمة والنبيذ و يأكلون و يشربون

---

(149) Apoph. Patr., Syr. V., p. 264. وقد راجعنا هذا القول على النص القبطي الصعيدي.

(150) Apoph. Patr., Syr. V., p. 190.

معه، فإذا خلوا لأنفسهم كانوا يأكلون اللقمة يابسة، و يشربون الماء مالحاً، ولا يكفُّون عن الصلوات(١٥١).

سلوانس ينطلق إلى سيناء بعد الغارة:

وقد حل بسلوانس ما حل بالشيوخ العظام مثل يوحنا القصير و بيشوي وأرسانيوس وإشعياء و بيمن وأنوب وإخوتها و بقية الآباء، فقد تشتتوا جميعاً بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م.، وكان نصيب سلوانس أن انطلق مع بعض تلاميذه إلى سيناء وعاش فيها، وعمَّر موضعاً كبيراً للرهبان بالمكان المعروف في التوراة باسم «وادي جرار». وقد أخبرنا المؤرخ سوزومين عن ذلك بقوله: [وإني أعتقد أن سلوانس كان موطنه فلسطين، الذي بسبب فضائله العالية رأى الشيوخ ملاكاً يخدم معه (الصلوات). وكان يمارس الفلسفة في مصر (أي فلسفة الحياة النسكية)، ثم عاش في سيناء، وعرج إلى وادي جرار، وأسَّس هناك ديراً عظيماً مشهوراً يتسع لعدد كبير من النُّساك الفضلاء، وقد أقيم زكريا تلميذه من بعده رئيساً عليه](١٥٢). ولكننا نعلم علماً يقيناً من كتاب أقوال الآباء (النسخة السريانية) أن سلوانس عاد إلى شيهيت مرة أخرى بدعوة من الأب الكبير يوسف، واستقبله الآباء بفرح لا يوصف، وذلك في قصة طويلة ممتعة نكتبها هنا لمنفعة جيلنا، لعل يكون فيها تذكرة للعودة إلى صلابة المنهج النسكي الآبائي:

صلابة المنهج النسكي عند الآباء:

[حدث في شيهيت أن لاحظ الإخوة أن الأب يوسف الكبير أصبح حزيناً وقد صار في ضيق عظيم، فسألوه أن يحكي لهم عن سبب كآبته الشديدة ولكنه آثر الصمت جداً. فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم ما عسى أن يكون سبب حزن الشيخ، هذا الحزن الذي صار لا يُحتمل: «لأنه هوذا لنا الآن سنين كثيرة وهو يحيا بيننا ولم نره من قبل حزيناً متألماً بمثل هذا المقدار؟ لربما نكون قد أسأنا للرجل في شيء؟». وأخيراً جاءوا إليه وطرحوا أنفسهم عند قدميه: «لربما ياأبانا نكون نحن السبب في حزنك؟ فإن كان كذلك فسامحنا من أجل خاطر يسوع!». فأجابهم الشيخ وهو مازال في حزنه: «اغفروا لي ياإخوتي فأنا لست متضايقاً منكم ولكني متضايق من نفسي، لأني أرى نفسي أعود إلى الوراء ولا أسير إلى قدام وأنا العلة في هذه الخسارة التي أصابتني، ليس وحدي فقط بل والآخرين أيضاً معي. فها أنا أرى أننا نخسر أنفسنا على طول الطريق أكثر من أي وقت مضى، حتى خسرنا كل ما ربحناه سابقاً من الرب، لأن عدم الحياء وعدم مخافة الله ملكت علينا، ففيما مضى حينما كان يجتمع الآباء معاً كانوا يدفعون بعضهم إلى فوق نحو السماء، ولكننا أصبحنا قطيعاً مُنحلاً والخطية أماتت أنفسنا؛ وإذا اجتمع بعضنا مع بعض نتكلم بما لا يليق نحو بعضنا

---

(151) Apoph. Patr., Syr. V., p. 94.

(152) Sozom., E.H., VI, 32.

البعض، فأصبح الواحد منا يشد الآخر ليدفعه نحو جهنم، وأصبحنا لا نكتفي بخسارة أنفسنا بل كل أخ جديد يأتي إلينا أو كل غريب يحل في وسطنا أو حتى كل زائر يأتينا من العالم يعثر ويخسر بسببنا!! لقد جاء إليّ من مدة الأب سلوانس والأب لوط وتكلموا معي بسبب هذا الأمر قائلين: «نحن لن نسكن هنا بعد ذلك». فلما سألتهم السبب في ذلك قالوا: «نحن إلى هذا اليوم كنا ننتفع بسكنى الآباء، ولكن منذ أن رقد أنبا بامو وأنبا أغاثون وأنبا بترا وتركنا أنبا يوحنا (القصير) استخفَّ الإخوة بوصايا الآباء والشيوخ، فأصبحنا لا نقيم وزناً لأوامرهم وقوانينهم التي وضعوها لحياتنا. وأصبحت اجتماعاتنا معاً سبب خسارة أكثر فأكثر كل مرة، بسبب الكلام في الأمور التي لا تنفع، وعندما نجلس على المائدة لا يضبطنا خوف الله، ولا حتى ينشغل قلبنا بالشكر والحمد من أجل الطعام الذي أرسله لنا الله بل نتلهى بالحديث معاً ونظل نحكي في الفارغ؛ وهكذا لا يستطيع الواحد منا أن يفهم أو يتابع ما يُقرأ علينا أثناء الأكل بسبب الضوضاء التي نصنعها. وحتى بعد أن نقوم عن المائدة نظل نتكلم في الفارغ. فما هي الفائدة بعد ذلك من المعيشة في البرية ونحن لا نربح شيئاً؟». ثم قال الأب لوط أيضاً: «كم مرة سمعت بنفسي ما يقوله الإخوة الغرباء ومن العلمانيين أننا أصبحنا نسلك في وصايا الآباء بانحلال، وسمعتهم يقولون عنا أنه بهذه الكيفية من غير المعقول أن نُدعى رهباناً!! وقد سمعت أحد الإخوة الزائرين يقول: إني قد لاحظت في مجيئي سنة بعد سنة أن الرهبان ينحلون شيئاً فشيئاً ويهملون وصايا الآباء قليلاً قليلاً». فالآن ماذا تريدون أيها الإخوة؟ هل أنتم مستعدون أن ترجعوا عن انحلالكم وتمسكوا بوصايا الآباء بكل اعتناء واهتمام، أو أرحل أنا أيضاً بعيداً عنكم؟». وحدث لما سمع الإخوة هذا الكلام أن دقوا الناقوس فاجتمع جميع الرهبان وأعاد أنبا يوسف عليهم هذا الكلام عينه، فلما سمع الجمع هذه الأمور وعلموا بحزن أنبا يوسف وتوجُّعه وأنه مزمع على الرحيل أيضاً سقطوا جميعاً على وجوههم باكين، وأخذوا يتوسلون لديه بانسحاق وانكسار قلب قائلين: «سامحنا أيها الأب من أجل خاطر يسوع فقد أغضبنا الله بأعمالنا، ونحن السبب في كل أحزان نفسك».

وابتدأوا يشرحون له حالهم معتذرين: «لماذا لم تغضب علينا منذ أن سمعت من الآباء عن (ضعفنا)؟ ولكن الآباء لم يتركونا بالرغم من أننا لم نقم من رقادنا وتوانينا، ولكن ماذا نعمل فالشيوخ لم يعلمونا والقديسون لم يكونوا يجلسون في وسطنا كالمعتاد ولا كانوا يأخذون موضعهم على المائدة معنا. فكلنا يشتهي أن يسمع تاريخ الشيوخ وسيرتهم ووصاياهم سواء على المائدة أو حينما نجتمع معاً، ولكننا محرومون من سماع كلامهم؟».

ثم استطرد الأب إيليا معتذراً: «إن الأب ابراهام والأب يوحنا كانا يتحدثان معنا كثيراً أثناء المائدة، وفي الأوقات التي كنا نجتمع فيها للقراءة وأثناء الخدمة». وابتدأ الإخوة يحتجون بحزن وانفعال شديد.

فلما رأى الأب يوسف أن الجماعة كلها قد تحرك قلبها والكل يتوجع، طلب منهم أن يهدأوا وينصتوا، قائلاً: «اطلب إليكم أيها الإخوة أن تكفُّوا عن هذا التشويش فالله دعانا للسلام. فالآن أنا أدعوكم أن تصلُّوا وتتوسلوا لدى الله أن يصرف عنا جماعة الشياطين التي أحدقت بنا لتقاومنا، فأنا أراهم أنهم قد استعدوا ضدنا بغضب، وهم مزمعون أن يمزقونا إذا لم تتداركنا رحمة الله ومعونته».

وبصعوبة استطاع الأب يوسف أن يُهدىء روع الجماعة، وابتدأ بنفسه يسبِّح المزمور «فلترتد سيوفهم إلى نحورهم ولتنكسر أقواسهم وليصيروا مثل العصافة التي تذريها الريح. فليقم الله ولتتبدد جميع أعدائه. يارب خلصني يارب كن معي وأعني» (مز٣٧: ١٥، ٨٣: ١٣، ٦٨: ١، ١: ٧). وابتدأوا خدمة المزامير معاً وسبَّحت كل الجماعة وختمت الصلاة، ثم قالوا في الختام بنفس واحدة: «قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت ارحمنا»(١٥٣). وركعوا جميعاً وصلُّوا، وأثناء الصلاة سُمِعت أصوات الشياطين في الهواء ومعها أصوات آلات حرب!... وقام الآباء من ركوعهم بعد أن سكبوا أنفسهم في الصلاة وبلُّوا الأرض بدموعهم، وعادوا فقدموا توبتهم ومطانيتهم للأب يوسف قائلين: «سامحنا وصلِّ إلى الله ليسامحنا لأننا أخطأنا وأغضبنا الله». فقال لهم الأب يوسف: «قوموا انهضوا ياإخوة والتفتوا إلى حياتكم، فقد سمعتم بأنفسكم الشياطين كيف تسعى لهلاكنا، تصالحوا كل واحد مع أخيه واصفحوا عن كل إساءة لكل إنسان من كل القلب. واربطوا قلوبكم بمحبة الرب ومحبة بعضكم البعض بغيرة حارة وضمير نقي. واقتربوا من الله ليقترب الله إليكم، وقفوا بعزم قبالة حروب الشيطان. فإذا حفظتم وصايا الآباء بالحق فأنا سأكون ضميناً لكم (أمام الله) أن الشيطان لن يؤذيكم، وأن البربر لن يأتوا هنا، ولكن لو أهملتم وصايا الآباء فصدقوني أن هذا المكان سيصبح خراباً».

فندم الإخوة جداً وتابوا كل واحد من نحو أخيه، وتصالحوا معاً، وبدأوا يعيشون في محبة وسلام. ووضعوا على أنفسهم قانوناً في ذلك اليوم أن يضبط كل إنسان نفسه ضد أي توان أو إهمال أو عدم مخافة الله، وأن لا يتكلموا قط على المائدة ولا يتحركوا حركة واحدة. وقرروا معاً أنه إذا وُجِد أي واحد مزدرياً بوصايا الآباء أو مستخفاً بقوانينهم وصار سبب عثرة أو خسارة سواء لنفسه أو لإخوته أو للزائرين، فإنه يكون قد جلب على نفسه العقوبة، ويكون قد حكم على نفسه أنه أصبح غريباً عن جسم الجماعة كلها.

وأرسل الأب يوسف رسولاً إلى حيث الأب سلوانس والأب لوط يدعوهما. فلما علم هذان القديسان ما حدث في شيهيت مع الإخوة، وأنهم قد وضعوا قوانين صارمة لحفظ وصايا الآباء،

---

(١٥٣) الثلاثة التقديسات التي تُقال في نهاية كل خدمة والتي لا تزال تُقال حتى اليوم.

سبّحا الله وقاما وأتيا إلى شيهيت، ولما وصلا قابلهما الأب يوسف [illegible]
الأب يوسف بكل ما حدث، فمجدوا الله الذي لم يتخلّ عن الذين يخافونه. أما بخصوص القوانين والتعليمات التي وضعوها معاً فقد التزم بها الإخوة وطبّقوها في حياتهم كل الأيام، وتنيحوا في شيخوخة صالحة بعد حياة مفرحة لقلب الله](١٥٤).

وهكذا نرى أن سلوانس أكمل سعيه المبارك وختم جهاده النسكي في برية شيهيت. وقد أمدّنا كتاب أقوال الآباء باللغة القبطية الصعيدية(١٥٥) قولاً يثبت ما سبق أن قلناه أن سلوانس ختم حياته المباركة في شيهيت:

[قال الآباء عن الأب سلوانس أنه أراد مرة أن يذهب إلى سوريا ولكن مرقص تلميذه منعه من ذلك قائلاً: «ياأبي أنا لا أريد أن أذهب إلى هناك ولا أنت أيضاً، فياأبي لن أتركك تذهب إلى هناك، اسكن هنا ثلاثة أيام أيضاً. وإذ بهم في ثالث يوم يموتان معاً](١٥٦).

وهكذا يكون سلوانس قد بدأ حياته المبكرة تلميذاً لأنبا مقار، وحضر غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧م.، وذهب إلى سيناء وعاش هناك فترة طويلة، عاد بعدها إلى شيهيت بدعوة من الأب يوسف الكبير، حيث أكمل جهاده فيها بعد شيخوخة صالحة.

وفي نهاية هذه السيرة الحلوة العطرة برائحة النسك الأصيل والأمانة المطلقة لطريق الآباء، والأفق المتسع بالرؤيا الصحيحة، مع التدقيق الفائق في السلوك، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام روح القديس سلوانس المبارك نطلب شفاعته، ذاكرينه في كل أول برمودة، اليوم الذي انطلقت فيه روحه الصالحة إلى ملكوت الله. اشفع فينا أيها القديس سلوانس ليعطينا الله أمانة في طريق نسكنا وخاتمة صالحة كما أعطاك.

١٢ ــ الأب يوسف الكبير

راهب من المهد حتى اللحد!!

ثلاثة أشخاص يحملون هذا الإسم والثلاثة لهم أقوال في البستان وفي كتاب أقوال الآباء، لذلك يلزم جداً التفريق بينهم:

الأول: الأب يوسف الذي نزل عنده كاسيان أول ما وصل إلى مصر عند ميناء تانيس على بحيرة المنزلة، وكان هذا الأب ضمن ثلاثة رؤساء على متوحدي منطقة تانيس وبانوفيس كلها،

(154) Apoph. Patr., Syr. V., p. 271-276.

(155) Apoph. Patr., Copt. V., Sahidic dialect, 187.

(156) Saying No. 187.

وهم الآباء يوسف ونستير وشيرامون، وقد أخذ كاسيان أقوالاً عنهم في مواضيع شتى، لذلك فكل الأقوال الواردة للأب يوسف في البستان أو كتاب الأبوفثجم و يُذكر فيها اسم نستير(١٥٧) أو أسماء أخرى غير أسماء جماعة شيهيت، أو يُذكر فيها شربهم للماء المخلوط نصفه من النهر ونصفه من البحر(١٥٨)، فهي أقوال تخص الأب يوسف التانيسي. وهذا الأب كما وصفه لنا كاسيان كان من أسرة غنية كبيرة، وكان متقلداً وظيفة رئيس مدينة على مدينة تمو يس(١٥٩) قبل رهبنته، وكان متضلعاً في اللغة اليونانية، وعالماً فاضلاً، وهذا تُحقِّقه أقواله التي أخذها عنه كاسيان والمسجَّلة في كتاب المحادثات.

الثاني: وهو الأب يوسف أحد الإخوة السبعة الذين ترهبوا معاً وهم: أنوب و يعقوب و بيمن و يوسف و بائيسيوس و بولا و(؟).

و يبدو في جميع الأقوال التي جاءت عنه أنه أصغر من بيمن، وفي موقف من يسأل عن أمور كثيرة، ومنها الصوم والأفكار النجسة لأنه كان وقتها شاباً بالنسبة لبيمن.

والثالث: وهو القديس يوسف الكبير موضوع اهتمامنا، فهو الذي تتلمذ على كل من الأب أنطونيوس والأب مقار يوس، وعاش وتنيح في شيهيت، وارتفع اسمه وصيته حوالي عام ٣٥٠م.، وهو الوحيد من بين الشخصيات التي دُعيت باسم يوسف الذي قننته الكنيسة وأعطته لقب قديس، وله تذكار نياحة في ١٧ يونيو حيث تتشفع الكنيسة بصلواته. وكان أباً عالماً فاضلاً قديساً حكيماً في تدبيره الرهباني إلى أقصى حد، وكان له تلاميذ كثيرون، و يبدو في جميع الأقوال التي وردت عنه أنه أكبر سناً وعلماً من الأب بيمن ومن كل من الأب سلوانس والأب لوط والأب إيليا والأب أغاثون. وفي مواضع كثيرة يبدو الأب بيمن تلميذاً للأب القديس يوسف يسأله و يتعلم منه، أو على حد قول الأب بيمن نفسه: [فقام الأب بيمن وجاء إلى الأب يوسف قائلاً: ياأبي إني أثق فيك كالله، وإني أكشف لك كل أفكاري](١٦٠).

و يوسف هذا هو في الواقع ذلك الصبي الذي حمله أبوه بعد الفطام مباشرة وأخذه معه إلى البر ية وترهب معه، فشبّ يوسف منذ صباه على حياة الشظف والنسك والجهاد، وتفتَّحت كل مواهبه أول ما تفتحت على فردوس الشيوخ وعلى معنى القداسة، ولما بلغ دور الشباب شكى لأبيه عن أفكار الشهوة وكيف أن أفكاره تقلقه بخصوص النزول إلى العالم، فنصحه أبوه بالتر يث وأعطاه خبزاً جافاً وليفاً وخوصاً يكفي لأربعين يوماً، وقال له: اذهب منفرداً إلى البر ية الداخلية

---

(157) Apoph. Patr., Syr. V., p. 8.
(158) Apoph. Patr., Syr. V., p. 95.
(159) Cassian, N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XI, p. 185.
(160) Apoph. Patr., Syr. V., p. 261.

وعش هناك إلى أن يقول الله كلمته. فأطاع الشاب، وكان أن تعمق بالروح فانكشف له بالمنظر المعقول جوهر الناحية الجنسية، في صورة امرأة سوداء كريهة الرائحة تقول عن نفسها أن هذه هي حقيقتها حسب الواقع العملي، أما من حيث التصور الغريزي المُخادِع فتبدو جميلة ولذيذة لإغراء القلوب وهزيمة الضمائر. فلما انكشفت له حقيقة الإغراءات التي كانت تعصف بضميره كفَّت عنه حرب النجاسة، فقام وعاد إلى أبيه وبهجة الظفر تملأ وجهه مصمِّماً أن لا يرجع إلى العالم (١٦١).

وأول مصدر استقى منه يوسف معرفته الروحية كان هو القديس أنطونيوس، فكان يتردد عليه مع الإخوة كثيراً يسمع و يتعلم دون أن يسأل، وكان القديس أنطونيوس يمتدح حكمته (١٦٢) وكان ذلك حوالي سنة ٣٥٠م.، فلو قلنا أن عمره كان وقتئذ ثلاثين عاماً يكون مولده حوالي سنة ٣٢٠م..

وظل هذا الأب القديس يحمل روح الآباء الكبار وحكمتهم و يتغنى بمآثرهم وفضائلهم، يعلِّم و يعظ و يوبِّخ بكل حكمة وطول أناة من جيل إلى جيل، لأنه عمَّر كثيراً جداً حتى إلى ما فوق التسعين سنة، لأنه حضر غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧م. وعاش بعدها أيضاً.

وكان دائماً يقول: [نحن معشر إخوة هذا الزمان نأكل وننيح هذا الجسد (متكلماً عن الإخوة حوله)، من أجل ذلك لا ننمو مثل آبائنا، لأن آباءنا كانوا يبغضون جميع نياح الجسد ويحبون الضيقات من أجل الله، ولهذا اقتربوا من الله الحي] (١٦٣).

وكانت تعاليم القديس يوسف وأنبا بيمن متوافقة دائماً، وكانت قد أصبحت كعلامات ثابتة في الطريق الرهباني لدى أجيال الآباء، فنسمع الإخوة يقولون: «لأن أبًا يوسف وأبًا بيمن قسموا الحياة النسكية الكاملة إلى ثلاثة أقسام» (١٦٤).

وفي أواخر حياة هذا الأب القديس كان قد أصبح بمثابة أب ورئيس على كل جموع الرهبان في شيهيت، وذلك واضح من القصة المشهورة التي أوردناها في ص٢٩٦، وفيها نرى كيف استطاع الأب يوسف أن يُعيد إلى الإسقيط كله الحرارة الروحية وروح النسك الأولى بعد أن كاد الجيل كله ينحل و يضعف، والتي منها نعلم أيضاً أنه أمضى بقية حياته في شيهيت بصحبة الأب سلوانس والأب لوط (بعد أن عادا من سيناء) ومع الأب إيليا وذلك بعد سنة ٤٠٧م.، وقد تنيح في شيخوخة صالحة كما جاء في القصة.

---

(161) Apoph. Patr., Syr. V., p. 171. البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص٤٣٩.

(162) Apoph. Patr., Syr. V., p. 163.

(١٦٣) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص ١٧٤.

(164) Apoph. Patr., Syr. V., p. 374.

وفي ختـام هـذه السـيـرة المباركة التي لهذا الأب القديس المجاهد منذ الرضاعة، والذي قدَّم طفولته وشبابه ورجولته وشيخوخته جميعاً على مذبح الحب والنسك الآبائي الأصيل، لا يسعنا إلا أن نـنحني أمـام اسمه المبارك متشفعين بصلواته معيِّدين لذكراه العطرة في ١٧ يونية (١٦٥) من كل عام.

اشفع فينا أمام الله أيها الأب القديس يوسف ليعطينا الطهارة ومحبة النسك كما أعطاك.

١٣ ــ القديس أنبا مقار وأبولينار يا الراهبة (١٦٦)

ربما كـانـت هـذه أول راهـبة تطأ أقدامها بر ية شيهيت متخفية في زي رجل، لأننا على مدى الـزمـان سـنـسمع عن أمثلة مطابقة مثل إر بسيا وهي تلميذة أخرى للأنبا مقار، وكذلك أنستاسيا وأثـنـاسـيـا، اللتين تتلمذتا على أنبا دانيال في القرن السادس. كذلك المتوحد الذي عثر عليه أنبا بـيـصار يون راقداً في مغارته وقد فارق الحياة، ولما قام بدفنه هو وتلميذه ذولاس وجداه امرأة متز ية بزي الرهبان (١٦٧).

وكـانـت الحياة في بر ية شيهيت آنئذ تصلح لمثل هذا التخفِّي، أولاً من جهة القداسة والنسك الـفائق الذي جعل الآباء عادمي التطلع في الوجوه وفاقدي شهوة حب الإستطلاع وقليلي الإهتمام بأمور الآخر ين، لأن كل واحد كان يبكي على خطاياه، وثانياً فإن الحياة الرهبانية كانت مطلقة الحر ية خارج الأسوار والحصون.

أمـا أبولينار يا فهي المسماة سينكلتكا ومعناها: «ر بيبة القديسين»، وقد قيل خطأ أنها بنت الإمـبـراطور أنثيميوس Anthemius، لأن الإمبراطور أنثيميوس هذا حَكَم من سنة ٤٦٧ إلى سنة ٤٧٢م.، حـسب تحقيق التار يخ المدني. غير أن هذا الإمبراطور كان له جد اسمه أنثيميوس الذي كـان في الـبـلاط الملكي برتبة مستشار (قنصل) سنة ٤٠٥م. وهو الذي يصح أن تكون أبولينار يا ابـنـتـه، لأنـه في تـاريخـه نجـده مـعـاصراً بالفعل لأنبا مقار. وتقول السيرة أنها لما اشتاقت إلى حياة الـعـبـادة والـنـسـك رفـضـت الـزواج وذهـبـت في رحلة إلى أورشليم كأنها للز يارة المقدسة، ولكنها انحـدرت بـعـد ذلـك إلى الإسـكـندر ية متخفِّية، وتوجهت إلى كنيسة مارمينا، ومن هناك أعد لها

---

(165) Dict. of Chr. Biog., Josephus 22, St. Boll. Acta SS., Jun. III, 296.

(166) (a) For her life: see Acta SS., Jan. I, p. 258, Gr. V.
(b) Bollandist, Bil Hagiogr. Graeca, p. 22.
(c) Synax. Const. ed. Delehaye, Col. 369f.

(167) Apoph. Patr., Bisarion, IV.

الرؤساء بعد أن علموا بوجهتها قافلة قامت بها إلى شيهيت، وفي المساء وفي أثناء الرحلة غيَّرت ملابسها وتزيت بزي الرهبان الذي اشترته لنفسها. وعندما وقف بها الركب عند أول بحيرة وعلمت أنها أصبحت في قلب شيهيت تنحت عن القافلة وتوغلت في منطقة الأحراش وبقيت هناك تحت رحمة الناموس حتى تغير لون جلدها، واستمرت هناك حتى اختفت كل ملامح الأنوثة فيها. ولما شعرت بالأمان توجهت إلى القديس أنبا مقار وانضمت إلى جماعة الرهبان تحت اسم «دوروثيئوس» واكتسبت بسرعة شهرة فائقة في النسك والقداسة. وقد حدث حادث عجيب في حياتها إذ أن أختاً لها أصيبت بمرض قيل لها أنه روح رديء سكن فيها. فأرسلها أبوها إلى قديسي شيهيت ليصلُّوا عليها فوقعت من نصيب دوروثيئوس (أي أختها أبوليناريا)، وذلك على الأرجح بترتيب من الأب القديس أنبا مقار، فصلَّت عليها وتحنن الرب وشفاها. وعادت تقص على والديها خبر الراهب الذي كان يعاملها معاملة خاصة استرعت انتباه أبيها. فأرسل القنصل واستدعى هذا الراهب ليستخبر عن هذا الأمر، فأطاع الراهب دوروثيئوس (أبوليناريا) وذهب إلى أنثيميوس، وهناك كشفت الراهبة أبوليناريا حقيقة سيرتها واستحلفت أبوها أن يتركوها لتكمل حياتها بين القديسين، فتركوها وعادت إلى شيهيت محتفظة بسرِّها حتى تنيحت. وفي تكفينها كشف الرهبان القديسون حقيقتها، فأكرموها أيَّما إكرام وأقاموا لها كنيسة باسمها دعيت كنيسة أبوليناريس شرق كنيسة أنبا مقار، رآها الرحالة سيكار سنة ١٧١٢م. (١٦٨)، وهي خرائب القصر الذي كان يدعى بقصر البنات، الذي يُعتقد أن أجساد القديسة أبوليناريا والقديسة إيلاريا والقديسة إربسيما تلميذة القديس أنبا مقار(١٦٩) كانت مدفونة فيه. وهناك الآن رواية متواترة بين رهبان دير أنبا مقار تقول أن أجساد هؤلاء القديسات في أسفل الحصن القديم. وتعيِّد لها الكنيسة اليونانية في ٥ يناير من كل عام.

أما بخصوص القديسة إربسيما(١٧٠) تلميذة القديس أنبا مقار، فأخبارها ناقصة عندنا جداً ولا نعرف عنها شيئاً إلا أنها ذُكرت في ذكصولوجية القديس أنبا مقار وأولاده (أنظر ص١٦٦ من هذا الكتاب).

والكنيسة تعيِّد لتذكار نياحة إيلاريا بنت الإمبراطور زينو في ٢١ طوبة، أما إربسيما فتذكار نياحتها ٢٩ توت.

---

(168) Sicard, Lettres edificiantes, t. v., p. 24.

(169) Ev. Wh., 117 N., 470 append.

(170) H.N.S. IV, V, Ch. 4. & Von Lemm, Studien No. IX.

١٤ ــ أرسانيوس

ربما يكون هو الوحيد بين الآباء العظام الذي لم يتعلم على يد القديس أنبا مقار وإن كان يُظن أنه رآه، لأن المعروف أن القديس مقاريوس تنيح بعد وصول أرسانيوس بأيام قليلة. ولكن يعسر علينا أن لا نذكره في هذه المذكرات، **أولاً**: لأنه وإن لم يكن من أولاد أنبا مقار الذين عاصروه، فهو لا شك رضع من تعاليمه على يد أولاده بافنوتيوس و يوحنا وموسى الأسود ومقاريوس الإسكندراني، **وثانياً**: أنه سار على نهجه ونظامه واستمتع بمبادئه وعشق وحدته وتجمَّل بوداعته وتمرَّس بنسكه.

سيرته (١٧١):

إيطالي الجنس، ولكنه أحد مشاهير رهبان مصر الذي انطلق إلى السماء يحمل الشكر والفضل والجميل لآباء شيهيت الأقباط الذين خَلُص على أيديهم واستقى الروح من أفواههم وتعلم منهم حكمة الألفا ڤيتا التي أوصلته إلى الأوميجا، أي النهاية السعيدة، لا عن طريق العلم والعقل، ولكن عن طريق قلب يسوع الذي اكتشف هؤلاء الأميون أسراره وتعمقوا الطريق الضيقة الموصِّلة إليه التي ظلت ولا تزال مخفية عن حكماء هذا الدهر. وكان أرسانيوس حكيماً بين حكماء «اليونان» قبل أن يتَّجر في جهالة الصليب على يد هؤلاء المخلِّصين، فلمَّا لاح له بالروح سر القوة في التخلِّي، تخلَّى في الحال دون أن يستشير لحماً ولا دماً... ولما وجد في يد هؤلاء الأميين مفتاح السر، باع كل مجد العالم وكرامته وفلسفته الباطلة، وجلس تحت أقدامهم مستسلماً لمشوراتهم الأمِّية حتى بلغ إلى عمق الحكمة الحقيقية التي ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين سيبطلون!

كان أرسانيوس من عائلة إيطالية غنية، و يُظن أنه من مواليد ٣٥٤م.، كما يُظن أنه كان شماساً في الكنيسة الرومانية، وكان ضليعاً في الأدب والفلسفة اليونانية. ولعلوِّ شهرته في الأدب والعلم استدعاه ثيئوذوسيوس الكبير أفضل أباطرة ذلك الزمان ليكون معلماً ومهذباً لولديه أركاديوس وأنوريوس، وكان الكبير فيهم حينذاك لا يتعدى ست سنوات. أما الذي زكَّى أرسانيوس لدى الملك بصفته أكفأ من يليق لتربية أولاده، فهو الأسقف جراتيان الذي كان أسقفاً على باريس.

وكانت وظيفة أرسانيوس في القصر تفوق درجة المعلم، إذ كان في حقيقته أباً روحياً، لذلك

---

(171) (a) Life of Arsen., by Theodore of Stud., (Acta SS., July IV, pp. 617f.).
(b) Apoph. Patr., The Chief original authority.

كـان أرسـانـيوس «أب حكمة وحُكام» أي معلم الحكمة والحُكم، كما يقول جبون المؤرخ(١٧٢)، إذ كان لقب «أغسطس» حينئذ لا يُطلَق إلا على الحاكم الحكيم!! وكان أرسانيوس مقرباً دائماً إلى الإمـبـراطـور، مـقدَّماً على أكابر مملكته، ونعلم من سيرته أن الإمبراطور ثيئوذوسيوس دخل مرة على أرسـانـيـوس وهـو يـعـلم أولاده فوجدهم جالسين وأرسانيوس واقفاً، فغضب وأمره أن يعكس الـوضـع؛ وقـد كـان يـعـامـل أرسـانـيوس في القصر معاملة الأرباب «فكان يخدمه الخدم والحشم المسربلين بالحرير والأطواق الذهب». وظل أرسانيوس في القصر الملكي حتى بلغ سن الأربعين أي ٣٩٤م.، و يُـقـال أنـه هـرب إثـر تهديد الإبن الأكبر له بالقتل بسبب شدة معاملته الأولى له، ولـكـن هذا غير صحيح، أما الحقيقة فهي عزوفه عن مجد الدنيا وغرورها وهمومها، و بلوغ عزمه إلى نقطة الإنطلاق من العالم ليجد فرصة «يغتسل فيها روحياً» كما عبَّر هو نفسه بعد ذلك.

والـذي غرب عن ذهن المؤرخين وتحقيقهم أن أرسانيوس كان قد تهذب فترة طويلة من حياته على يد روفينوس المؤرخ الرهباني الشهير فتشبعت روحه بعشق الرهبنة المصرية، وهام بأقباط مصر قـبـل أن يـراهـم!! لـذلـك كـان قـلـبـه مـفلَّحاً و بابه مفتوحاً لسماع الصوت السمائي حينما أتاه: «ياأرساني اهرب من الناس وأنت تخلص»!!

إلى شيهيت:

لم يتردد أرسانيوس، فكان عزمه سبيل النجاة، وكان حزم إرادته مفتاح الخلاص، فقام وأبحر إلى مصر ووصـل الإسـكـنـدرية، وللـحـال طـلـب شيهيت ووصل إلى ميناء الخلاص كما اشتهى تـمـامـاً، وسـلـم نفسه للكهنة لكي يقبلوه في صف الرهبان و يُلبسوه زي الخلاص المقدس: «من أجل خاطر الرب اجعلوني راهباً وأروني الطريق الذي به أخلص». وكانت مظاهر النعمة والنبل تـطـل مـن هـيـئته بالرغم من محاولته الجاهدة في الظهور بمظهر الإنسان الفقير الجاهل!... وكان أن سـلـمـه أنـبـا بـافـنـوتيوس إلى يوحنا القصير كاهن الكنيسة ليدبر خلاصه و يعلمه أصول الطريق الـضـيـق!... وفي أثـنـاء ذلك جـاءت الـسـاعـة التاسعة فاقترح أنبا يوحنا القصير أن يجلس الآباء و يـشتركوا معاً في الأغابي، فجلسوا جميعاً ولكن تعمد الأب يوحنا أن يختبر أرسانيوس كأول درس له يـتـنـاسـب مـع كـرامته ومظهره العالي، فتركه واقفاً والآباء جلهم جلوساً، ثم أمعن في الدرس الـثـاني بـأن ألقى له لقمة جافة على الأرض على مسافة منه، فما كان من هذا العملاق إلا أن تقدم وهو منحني وركع على رجليه و بدأ يأكلها وهو راكع!!

فـنـظـر يوحنا إلى الآباء في الحال وأعطى تقريره النهائي: «إنه يصلح للرهبنة». فما كان من أرسـانـيـوس إزاء هـذا الـتـسرع في الحكم أن رد عليه في الحال: «ولكن بعد أن يستقي الرهبنة من أربابها»!!

---

(172) Gibbon c. 27.29.

وقد كان، إذ ظل هذا المبارك كالنحلة النشيطة يستقي من يوحنا المعرفة الروحية وأصول الطريق بسرعة، حتى اختزن لنفسه ما يكفيه، ثم اعتزل ليتعلم من القلاية الحكمة الروحانية أربعين سنة!!

الموت الحقيقي:

وقد حدث أن أركاديوس أوصى له بوصية قبل موته سنة ٤٠٨م. (١٧٣) مضمونها أن يؤول إلى أرسانيوس كل خراج مصر يتصرف فيه كما يشاء و ينفق منه على الفقراء والرهبان في كافة الأديرة (و يقال أن صاحب هذه الوصية هو مجرد إنسان شريف اسمه جسر يانوس قريب له)، فكان رده على الرسول هكذا: «الذي مات عن العالم لم تعد له فرصة بعد أن يوزع الأموال على الناس، لقد مات أرسانيوس قبل أن يموت هو» (١٧٤). ولما همَّ بتمزيق الوصية، صرخ إليه الرسول مستعطفاً لأن رقبته رهن سلامتها!!

وقد أمعن أرسانيوس بعد ذلك في الوحدة عندما ازداد إقبال الرهبان على رؤيته والإستماع إلى كلامه، فبعد صلاة وتضرع أتاه الصوت الأول نفسه قائلاً: «ياأرساني إن أردت أن تهدأ، اجلس وحدك واصمت، لأن هذه هي جذور البر (عدم الخطيئة)» (١٧٥).

ويخبرنا دانيال تلميذه المخلص أنه بقي في هذه الوحدة و بقي في هذا الصمت أربعين سنة!! لأن أرسانيوس، كما يخبرنا دانيال أيضاً، عاش حتى بلغ عمره ٩٥ سنة، أربعين سنة منها قضاها في العالم وفي قصر الإمبراطور، وأربعين سنة في شيهيت، وعشر سنوات في طره، وثلاث سنوات في كانوبي (بجوار أبو قير الآن)، ثم سنتين في طره مرة أخرى. والمعروف أن أرسانيوس ترك قصر الإمبراطور ثيئودوسيوس في آخر أيام حياته، ومعروف أن ثيئوذوسيوس مات سنة ٣٩٥م.. إذن يكون خروج أرساني من روما وتوجهه إلى الإسكندرية في سنة ٣٩٤م.، عندما كان الإمبراطور مريضاً في خريف هذه السنة (١٧٦).

وحدته وصمته وصلاته:

كانت أهم مبادئه التي حافظ عليها طول حياته، هي الإبتعاد عن الناس والخلود إلى العزلة والصمت. ولكن عزلته كانت إيجابية مخصبة وليست مَرَضية، إذ كان له ثلاثة تلاميذ يحبهم ويحبوه: اسكندر ودانيال وزويلة، وكان يرشدهم وكانوا يخدمونه وذلك مدى الحياة كلها. وكان دقيقاً في حفظه لمواعيد الصلاة ويحث تلاميذه أن يسرعوا إليها، ولم ينقطع هو قط عن حضور

(173) Ev. White, II, p. 163.
(174) Apoph. Patr., Arsen., XLII.
(175) Apoph. Patr., Arsen., II.
(176) Socrate, H. E., V, 26.

الكنيسة يومي السبت والأحد!!

ومرة سأله أنبا مرقس: «لماذا تهرب منا ياأبانا؟»، فأجاب أرسانيوس: «الله يعلم أني أحبكم، ولكن لا أستطيع أن أبقى مع الله ومع الناس في وقت واحد»(١٧٧).

وقصة معارضته لزيارة البطريرك له مشهورة، إذ لما أرسل له ثاوفيلس (البابا ٢٣ في عداد البطاركة) أن يسمح له بزيارته (مستخدماً سلطانه بطريق ما)، لم يكترث أرسانيوس وردَّ عليه: «إذا فتحت لك فسأفتح لجميع الناس، وإذا فتحت لجميع الناس فلا معنى بعد لوجودي في الصحراء». ثم لما تماحك ثاوفيلس في طلب كلمة منفعة من على بُعد، ردَّ عليه أشد من الأول: «أينما سمعت عن أرسانيوس أنه موجود فلا تذهب إليه»(١٧٨). وهذه هي كلمة المنفعة طبعاً في نظر أرسانيوس! واضطر بعد ذلك أرسانيوس أن يُبعد مغارته عن مركز الدير ٣٢ ميلاً.

وقد ترهفت أحاسيس أرسانيوس في الوحدة جداً حتى أن مجرد صوت حفيف الهواء في الشجر كان يعتبره مثل الزلزال.

وكان يقطع أوقاته عاملاً بيديه ست ساعات يومياً. وكان يقضي الليل كله في الصلاة والبكاء متأملاً صامتاً، وهو صاحب المبدأ المشهور: «**كثيراً ما تكلمت وندمت وعن السكوت قط ما ندمت**». ولكن لم يكن صمته وسكونه في الطياشة عبثاً أو مجرد صمت وسكوت للإفتخار كفضيلة، بل كان صمت الصلاة الحارة والتأمل، لذلك لم يكن قط في حاجة إلى عزاء الناس. وكان إذا فاجأه زائر يرفض بشدة أن يسلم عليه أو يفسح له في الدخول إلى قلايته، وكان لما يضطر أحياناً إلى كسر هذا المبدأ و يُدخِل إليه أحداً، كان يظل صامتاً أمامه حتى يقوم!! وقد اضطره مرة ثاوفيلس أن يقبل زيارة سيدة شريفة جاءته من روما خصيصاً، فكان أن قابلها بعنف وتوبيخ حتى ندمت على جرأتها وندم معها ثاوفيلس على عدم احترامه لحرمة المتوحد.

ولكن من الحماقة أن يحاول أحد في هذا الزمان تقليد أرسانيوس مجرد تقليد، لأن أرسانيوس كان يسلك كذلك بناء عن دعوة إلهية وصوت سمائي!! وكان صاحب الصوت يلهمه التصرف و يسنده في ضعفه و يُنزل الهيبة على وجهه واسمه!!

هيئته وملابسه:

ولقد أمعن أرسانيوس في إهمال الإهتمام بمظهره لا عن تظاهر ولكن عن زهد حقيقي، حتى قال الآباء عن أرسانيوس: كما أنه لم يوجد أحد في البلاط الملكي يلبس أشرف من لبسه، كذلك

---

(177) Apoph. Patr., Arsen., XIII.

(178) Apoph. Patr., Arsen., VII.

كـان أرسانيوس بعد دخوله إلى الرهبانية لم يكن يلبس أحد أحقر منه! ولم يكن في قلايته أي متاع لأكثر من حاجته الضرورية. كذلك فإن أرسانيوس أمعن في إهمال إرضاء ذوقه ومزاجه، للدرجة التي كـان يـتـرك فيها ماء الخوص الذي يبل به الضفيرة راكداً في الوعاء داخل قلايته حتى ينتن ــ والخوص المنتن تتصاعد منه رائحة عفنة شديدة العفونة ــ وكان يعتبر ذلك تعويضاً لما تنعمَّ به من روائح زكية في العالم الفاني.

ويظهر أنه في تنسكه الشديد أهمل نفسه حتى مرض، واضطر قسيس الكنيسة أن يحمله ويمرضه داخل الكنيسة فترة طويلة.

أقواله وكتاباته:

كنا نظن أن يكون لهذا الأب تراث فكري مكتوب، ولكن على العكس من ذلك تماماً فلم يترك كتاباً واحداً أو رسالة لأحد، بل وأقواله شحيحة للغاية وليس فيها ما ينم عن أنها كانت تحمل منهجاً فكرياً عاماً. ولكن كلها تدور حول حقيقة رهبانية واحدة سمعها أرسانيوس بقلبه من الله مرة فأحبها وكان أميناً عليها حتى آخر نسمة من حياته، وهي أن يجلس وحده صامتاً ويهدأ والقلاية تُعلِّمه كل شيء، وهذه تُعتبر أثمن نصيحة يمكن أن يعطيها ناسك حكيم لهذا الجيل، فهي أعظم من كتاب وأعظم من عظة لأن فيها سر النجاح الرهباني كله!!

تنقلاته ونياحته:

ظل أرسانيوس كما يفيدنا دانيال تلميذه، أربعين سنة متواصلة في وحدته المطلقة بمغارته التي كـانت تبعد ٣٢ ميلاً عن مركز شيهيت (الكنيسة)، وهذا هو سر عدم تشتته بعد الغارة الأولى التي حدثت سنة ٤٠٧م.، لأن بُعد مغارته عن مركز التجمع الرهباني أعفاه من رؤية ذلك اليوم الرهيب. وفي نهاية الأربعين سنة حدثت الغارة الثانية سنة ٤٣٤م. التي غادر على أثرها أرسانيوس شيهيت حزيناً باكياً على خراب الإسقيط بقوله المشهور: «العالم خرَّب روما والرهبان خرَّبوا شيهيت». ويقصد أن الرهبان كانوا سبباً في خراب الإسقيط، بسبب توانيهم عن الصلاة الدائمة والبكاء والتذلل أمام الله.

وهكذا نزل أرسانيوس إلى طره، وأقام عشر سنوات في دير شهران بجبل المقطم أمام منفيس (منية رهينة)، ثم بعدها رحل عن طريق النيل وسافر إلى الإسكندرية، ومنها إلى كانوبي بجوار أبو قير، وأقام في دير للطبانسيين (الباخوميين) مدة ثلاث سنوات عاد بعدها إلى طره سنة ٤٤٧م. مرة أخرى، ولما عاتبه تلاميذه على تركهم بدون سبب أجابهم: «ولما لم تجد الحمامة موضعاً لقدميها عادت إلى الفُلك». فاعتبروا ذلك أكثر من اعتذار لهم ففرحوا به.

وبدأت الشيخوخة تدب في جسده النحيل فبدا كالخيال لأنه «كان فارع الطول ولكنه انحنى من طول العمر، وكانت لحيته مسترسلة طويلة نازلة حتى إلى وسطه، وشعره أبيضاً كله كالثلج، فبدا في ثوبه الأبيض كالملاك. وكانت عيناه ذابلتين وقد تساقط شعر رموشها من كثرة الدموع». وظل سنتين في طره مريضاً ضعيفاً. ولما قربت أيام نياحته أوصى تلاميذه: «لا تقيموا عليَّ أغابي»، وهي عادة الرهبان أن يولموا وليمة محبة للفقراء ترحماً على روحه، وكذلك أوصاهم أن «لا تسلِّموا جسدي لأحد ليكفنه (يحفظه)». فلما وجدهم قلقين ماذا يعملون بجسده، قال لهم: «ألا تعرفوا أن تربطوه بحبل وتجروه في الجبل وتطرحوه هناك».

وفي ساعته الأخيرة وجدوه يبكي فاندهشوا وسألوه: «هل تخاف من الموت ياأبانا؟». فأجابهم: «منذ ترهبت وأنا أحسب حساب هذه الساعة».

وأغمض عينيه، وطارت روحه الطاهرة إلى بارئها، وبدا وجهه في سلام ملائكي والنور يشع منه، وكان ذلك في ٨ مايو= ١٣ بشنس سنة ٤٤٩م.، وهو يوم تذكاره في الكنيسة القبطية. أما الكنائس اليونانية واللاتينية فتعيِّد له في ١٩ يولية(١٧٩). فأخذ تلاميذه الجسد ودفنوه في موضع الدفن بالدير، ويقول أبو صالح الأرمني المؤرخ إن في موضع جسده بُني الدير القائم الآن بيد ملك الروم(١٨٠) وقد وُضع جسده تحت مذبح الكنيسة الرئيسية هناك.

ويعتقد إڤلين وايت أن تسمية دير البراموس تعود إلى أرسانيوس وليس لمكسيموس ودوماديوس لأسباب كثيرة، منها وجود أداة التعريف المفردة في كلمة برموس= پي روميئوس، وأيضاً لأن رُوميَّة أرسانيوس أكيدة حيث تُعيِّد له الكنيسة اليونانية، بعكس مكسيموس ودوماديوس اللذين لا تعرف عنهما الكنيسة اليونانية شيئاً ولا تعيِّد لهما(١٨١).

مركز أرسانيوس في التاريخ الرهباني لشيهيت:

لم يكن أرساني صاحب دير ولا مدرسة ولا تلاميذ كثيرين، ولكن بالرغم من ذلك فإن مركزه في التاريخ الرهباني كبير، وهذا يعود إلى عمق وأصالة الحياة الرهبانية لهذا الناسك الفريد. فبالرغم من أنه كان غريباً عن الديار المصرية، وبالرغم من المفارقة الشديدة بين مستوى ثقافته وحياته الإجتماعية وبين مستوى رهبان شيهيت الأُميين البسطاء الفلاحين أصلاً، إلا أنه استطاع أن يقبل تهذيبهم الروحي والإجتماعي، ويخضع لكل تعاليمهم بدقة، معتبراً أن عدم التمييز في الأكل بين الفول المسوس والفول الأبيض السليم فلسفة روحانية أعلى بكثير من الأدب اليوناني والثقافة اللاتينية!!، وأن تقديم نوعين من الأطعمة على المائدة نوع من البذخ والإتلاف

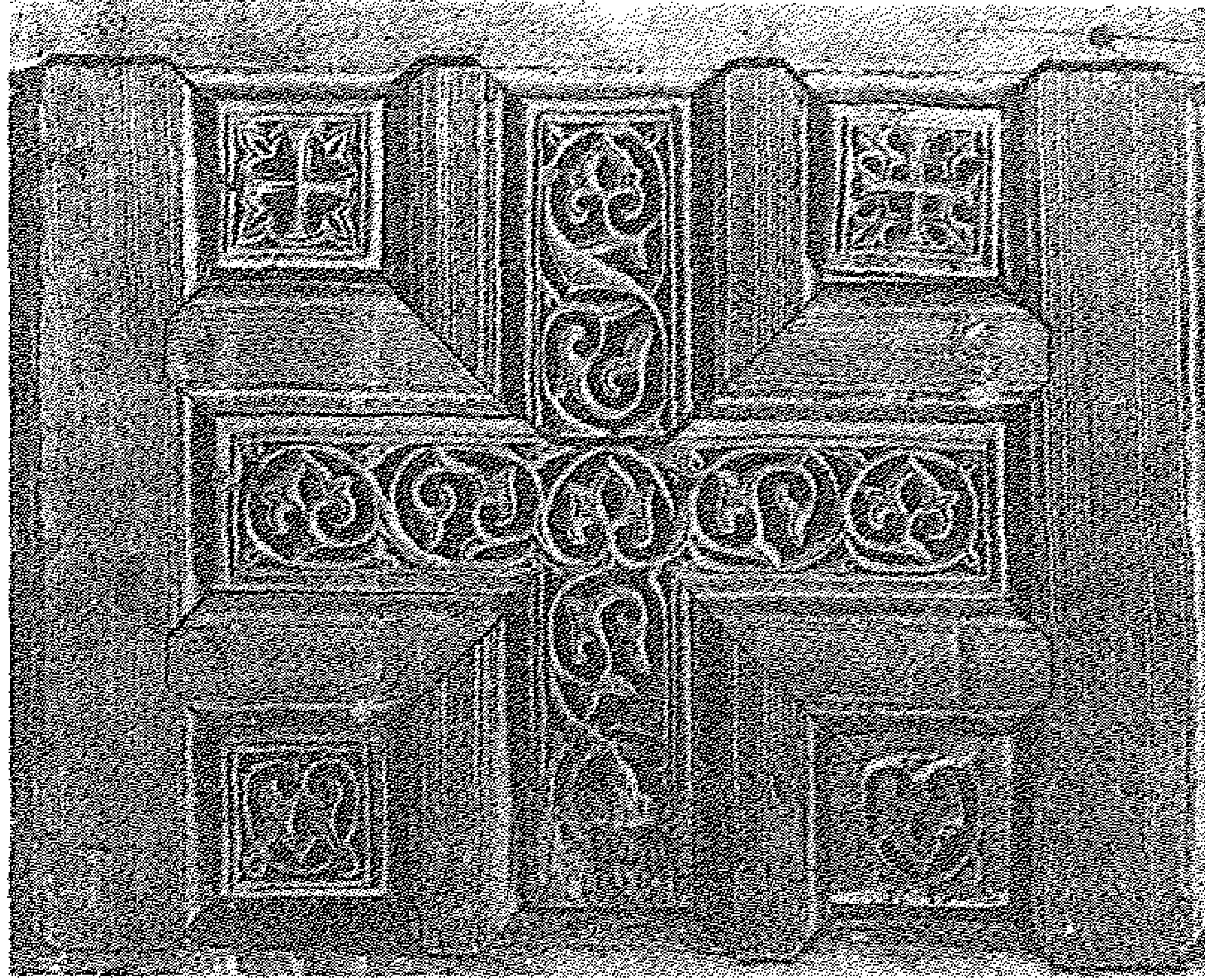
(179) Synax. Constant, ed. Delehayé, July 19.

(180) Evetts, Ch. & Monast., pp. 145f.

(181) Ev. White, II, pp. *101*, *164*, *406*.

للنفس، وأن عمل الضفيرة وشغل المقاطف أسمى من تعليم الحكمة لأولاد الملوك، وأن الجلوس الصامت في قلاية ضيقة على الحصير يُعلِّم الإنسان عن الحق والخلود مالا يُعلِّمه الفلاسفة!!

وفي نهاية هذه السيرة المنيرة بالحكمة العملية، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام ذكرى هذا المواطن الرومي، الذي دخل ضمن تراثنا الروحي كعمود من أعمدة شيهيت، ما فتىء حتى اليوم يضيء أمام أقدام السائرين على الطريق الضيق!!



حشوة محفورة من الخشب تتوسط الجزء العلوي من حجاب أحد هياكل الكنائس داخل منطقة دير القديس أبو سيفين بمصر القديمة ـ الزخرفة الأساسية للصليب هو فرع نباتي يدور في أشكال بيضاوية تحيط بورقتي شجر أو زهرة زخرفية ـ ترجع إلى القرن الحادي عشر

الفصل السابع

صورة عامة للحياة الرهبانية
وكيف بدأت في نتريا وكملت في شيهيت

الحياة في الوحدة والحياة في المجمع:

القديس آمون بدأ حياته متوحداً، كما بدأها القديس أنطونيوس وكما بدأها أيضاً القديس مقاريوس، ولكن بسبب التفاف الإخوة الجدد حول كل من أنطونيوس وآمون ومقاريوس نشأت عند كل واحد منهم الحياة المشتركة Coenobion ، فصار كل واحد منهم أب شركة أو أب دير أو أب مجمع مع احتفاظه بحياته الخاصة كمتوحد. وسرعان ما نضج كثير من الإخوة في كل شركة وتحولوا إلى متوحدين أيضاً Anachorite ، أي انعزلوا عن الشركة (حسب ما تفيد الكلمة اليونانية ἀναχωρητής)، وعاشوا عيشة منفردة تماماً.

لذلك نستطيع أن نقرر من حكم الواقع أن دعوة الرهبنة الأصيلة إذا كانت كاملة وقوية تبدأ بالتوحد أو على الأقل تنتهي بالتوحد، فهي تبدأ بالتوحد عند الأشخاص الذين تتكامل عندهم منذ البدء المواهب الروحية والجسدية معاً، و يكونون قد أوتوا درجة من الإفراز ونضوج الشخصية والقدرة العالية على ملاءمة الظروف واحتمال الضنك.

وقد تنتهي الرهبنة بالتوحد بعد فترة، تطول أو تقصر في المجمع أي في العيشة المشتركة، حسب سرعة الراهب في الإنسلاخ من الإنعطاف الروحي والفكري والجسدي نحو الجماعة، إلى الإلتصاق بالله وحده كمعين ومدبر ومعزي للروح والفكر والجسد.

ولكن بقيت طبقة معينة من الرهبان في كل شركة وفي كل عصر غير قادرة على الإنسلاخ من حياة الشركة إلى حياة التوحد، إما بسبب نقص في المواهب الروحية، وإما بسبب نقص في الإمكانيات الجسدية، وإما ليس بسبب أي نقص على الإطلاق، وإنما بسبب طغيان مواهب الخدمة على مواهب التوحد والإستغراق في البذل من أجل الآخرين.

ومصداقاً لهذا التقسيم، وجدنا في كل من شركة أنطونيوس وآمون ومقاريوس نماذج كاملة في

القداسة ومتكاملة في الفضائل في كل من الحياتين، أي متوحدين قديسين وكاملين، ورهبان مجمع قديسين وكاملين أيضاً.

ولكن بحسب طبيعة الدعوة الرهبانية التي أساسها هو الخروج من العالم والانعزال عن الأهل والناس عموماً حباً في الله وحده، أصبح طقس التوحد أقرب إلى جوهر الرهبنة من طقس الشركة، ولكن يتحتم أن يكون ذلك على أساس هام جداً هو أن يكون الإبتعاد عن الكل (الناس) إيجابياً وليس سلبياً، أي من أجل الإتحاد بالواحد (الله) وليس نفوراً من الناس. لذلك أصبح التوحد في المفهوم الروحي الصرف ليس هو البعد الظاهري أو المكاني عن العالم والناس، بل هو الإبتعاد القلبي عن الدنيا، وليس هو لمجرد التقابل مع الله في الصحراء والقفر، ولكن هو من أجل الإتحاد الداخلي مع الله بالروح. أما الإبتعاد المكاني والظاهري عن العالم والناس لتهيئة الجو الملائم للإتحاد بالله في عزلة الصحراء والقفر؛ فهي تبقى دائماً عند الآباء ضرورة لمن أراد أن يبلغ إلى الإتحاد بالله على المستوى الكامل.

وقد وصف لنا كاسيان في كتابه هاتين الحياتين اللتين رآهما ومارسهما هو بنفسه: [وأول درجة من الحياة الرهبانية هي التي في الشركة التي يعيش فيها الرهبان في الجماعة و يدبرهم شيخ واحد، أما الدرجة الثانية فهي التي للمتوحدين الذين يسبق تدريبهم على الوحدة داخل الحياة المشتركة في المجمع، فإذا كملوا في الحياة العملية يختارون العزلة في داخل الصحراء](١). وقد سمى كاسيان المجمع primae scolae coenobii أي مدرسة المجمع الإبتدائية، وسمى الحياة المنفردة Secundus gradus anachoreseos أي درجة التوحد الثانوية. و يقول على نفسه أنه لما أتقن مستلزمات عناصر الوحدة خرج من المجمع وعاش منفرداً(٢) تحت إرشاد أب متوحد.

ولكي يُكوِّن القارىء صورة واقعية للحياة الرهبانية في نتريا والقلالي وشيهيت، يلزم أن يدرك أن تدرج هذه الثلاث براري في الظهور كان متناسباً ومتمشياً مع عامل النضوج الرهباني القائم على أساس التقدم في اكتساب مواهب الوحدة، فكانت نتريا هي المدرسة الأولى للمجمع، ثم تخرج منها متوحدون انعزلوا عن نتريا وسكنوا منطقة القلالي فرادى، ومن القلالي نزح بعض الشيوخ الكبار الذين أرادوا تعمقاً أكثر في الوحدة وفي ارتياد مجاهل الصحراء ودخلوا شيهيت. فلما بدأت الحياة الرهبانية في نتريا ظلت فترة طويلة منعكفة على نفسها في هيئة حياة شركة عامة كبرى من داخلها شركات منفصلة صغيرة. ولكن سرعان ما نضجت فيها عوامل الوحدة فظهر الإلحاح على الإنفراد الذي باركه كلٌّ من آمون وأنطونيوس، وعينوا للآباء مكاناً يبعد ١٢ ميلاً

(1) Cassian Coll. XVIII, 4.

(2) Cassian Coll. XVIII, 16, 4.

عن نتر يا وصلّوا عليه وكرّسوه لسكنى المتوحدين. فابتدأت نتر يا تأخذ شكل المدرسة الإعدادية للقلالي، وهذا نعلمه من أقوال كل من إيڤاجر يوس و بالليديوس. فيقول الأول: إنه بعد أن مكث في نتر يا سنتين، غادرها والتحق بالقلالي(٣). و يقول بالليديوس: إنه بعد أن درس الحياة الرهبانية على أرسيز يوس وآخر ين سنة واحدة، دخل إلى الصحراء الداخلية (القلالي)(٤).

أما في شيهيت فهذا التحديد القاطع بين الحياتين لا نجده واضحاً، إذ نجد أن المتوحدين أنفسهم هم الذين كانوا يعدُّون الراهب الجديد لحياة الوحدة، فكل متوحد كان يحيط به تلاميذ سرعان ما يتركونه لينعكفوا في حياة التفرد. فلم يكن في شيهيت حتى القرن التاسع تقر يباً ما يمكن أن يسمى مجمعاً بالمعنى الذي نعرفه، بل إن المجمع في شيهيت، إذا صحَّ تسميته بذلك، كان يجمع عدة متوحدين يُعِدُّون الإخوة للحياة التوحدية (ولكن في دير أنبا مقار ظل التوحد قائماً خارج أسوار الدير حتى القرن الرابع عشر).

أولاً: صورة واقعية منظورة للحياة المجمعية في نتر يا:

يقص علينا مؤلف كتاب «هستور يا موناخورم» عن مشاهدة واقعية للحياة في نتر يا فيقول: [في هذا المكان رأيت خمسين تجمعاً (التجمع عبارة عن عدة قلالي مبنية متلاصقة في حِطِيَّة أي دير) متقاربة مع بعضها، يرأسها أب واحد، وفي بعضها يعيش الرهبان بأعداد كبيرة معاً، و بعضها قليل العدد، و بعضها يسكنها الرهبان فرادى](٥).

وفي كتاب أقوال الآباء يظهر أن أب الجماعة كلها كان كمسئول عام، وكان هو الذي يتحدث بلسانها: [مرة زارثاوفيلس البطر يرك جبل نتر يا فخرج أب الجبل لإستقباله...](٦).

ولكن بالليديوس بدقته المعهودة يتغلغل النظام الآبائي في نتر يا أكثر و يقدم لنا عنه صورة واضحة بديعة: [و يوجد في نتر يا ثمانية كهنة شيوخ مدبرون على الكنيسة كلها، وطالما يكون الشيخ الأول بينهم حيًّا فلا يجترىء أي كاهن آخر من السبعة الباقين على الخدمة أو تقديم الذبيحة أو إلقاء كلمة وعظ أو إبداء رأي في الحكم على الأمور، بل يجلسون فقط بجواره هادئين صامتين](٧). و يقول إڤلين وايت، معلقاً على تقر ير بالليديوس، إن وظيفة الأب كانت في الحقيقة تعبِّر فعلاً عن لقبة كرأس للجماعة كلها ورأس للسبعة شيوخ مدى الحياة، حيث يكون له

(3) Pallad., L.H., Ch. XXXVIII.
(4) Pallad., L.H., Ch. VII.
(5) Latin V., Ch. XXI.
(6) Apoph. Patr., Gr. V., Theoph. 1.
(7) Pallad., L.H., Ch. VII.

الحق المطلق وحده في: **أولاً**: إقامة القداس، **ثانياً**: إلقاء العظات والدروس على الجماعات، **وثالثاً**: التدبير والتلمذة والحكم بالقطع أو الحرمان من الذبيحة(٨) والشركة.

أما وظيفة السبعة شيوخ فكانت تنحصر في معاونة الأب الرأس، والقيام بعمله مجتمعين في حالة غيابه أو موته، إلى أن يتم اختيار من يخلفه، و يتضح لنا ذلك من رسالة أمونيوس إلى ثاوفيلس البطريرك يصف له كيفية تسليمه الرسالة سنة ٣٥٥ (بعد موت آمون) إلى الشيوخ مجتمعين: [وقد قمت بتسليم الرسالة إلى الذين كانوا مع القديس بيثور و بامو و بقية الكهنة في نتريا](٩).

و يصف لنا أمونيوس أيضاً التدرج الذي كان متبعاً في عرض الأمور على الجماعة وقراءة الرسائل المرسلة، فهي تُقرأ أولاً في حضرة الكهنة مجتمعين ثم تُعرض على كل الجماعة يوم الأحد(١٠). ومن رؤساء نتريا الذين نعرفهم، كانوا بالتتابع بعد آمون، كرونيوس واسحق ومقاريوس الإسكندراني و بنيامين. ونقرأ كثيراً في حوادث الحياة اليومية كيف كانت الجماعة تلجأ إلى مجمع الشيوخ الثمانية لحل القضايا التي كان يعسر على الآباء المحليين حلها بمفردهم، مثل حادثة الراهب الذي مات فوجدوا في قلايته ديناراً ذهبياً، فارتبكوا في كيفية التصرف بهذا الدينار لأن الراهب كان يتبع المجمع، ومعروف أن الذي كان يعيش في المجمع يحرّم عليه اقتناء المال بأي حال من الأحوال. فلما عجز الرهبان عن إيجاد حل ذهبوا إلى [مكار يوس و بامو وإسيذوروس و بقية الآباء الشيوخ](١١)، الذين أفتوا بضرورة دفن الدينار معه في المقبرة أخذاً بقول الإنجيل: «فلتذهب فضته معه للهلاك» (أع٨: ٢٠). كذلك نقرأ في سيرة الأب بيثور كيف ذهبت أخته إلى القديس أنطونيوس تستعطفه لكي يأتي بيثور ليزورها لتراه قبل أن تموت، وكيف أرسل القديس أنطونيوس رسالة إلى «الآباء شيوخ نتريا» باعتبارهم مدبري الجماعة يستحثهم لإقناع بيثور لزيارة أخته، فلم يتأخروا عن قبول توسط الأب أنطونيوس، ولم يستطع بيثور مخالفة أمر الشيوخ.

وكذلك حينما أمر «**الشيوخ**» اسحق متوحد شيهيت أن يقبل الكهنوت لم يستطع أن يرفض، فاضطر أن يهرب، ولكنهم حفظاً لكلمتهم ووثوقاً منهم بصدورها من الله، نزلوا وراءه بأنفسهم إلى الريف، حيث أظهر الله لإسحق صدق دعوة الشيوخ له وأنها من الله، فخضع لهم وقام معهم.

وتظهر مسئولية الشيوخ فيما يختص بمنهج السلوك والتدبير عند بقية الآباء في قصة القديس

---

(8) Ev. White, II, p. 170.
(9) Act. SS., May III, appendix 70.
(10) Ev. White, II, p. 170.
(11) Jerome, Epist. XXII, Ch. 33.

سلوانس لما تذمر عليه تلاميذه الأحد عشر بسبب محاباته لمرقص، كيف تدخل **«الآباء الشيوخ»** ليتحققوا من هذا الأمر بأنفسهم، وكيف أقنعهم سلوانس بوجهة نظره في الأمر، فاقتنعوا وسكتوا عنه.

من كل هذه الحوادث تظهر شخصية «الآباء الشيوخ» كمصدر سلطة كبيرة مهابة حاكمة، وحكمها نافذ بسبب وزنها الروحي العالي، حيث تبدو طاعتها كطاعة الله عند الإخوة عموماً، لأنهم ليسوا كهنة وحسب، بل إنهم كانوا رؤساء شركة، فكل أب يرأس جماعة أو ديراً. وكانوا هم الذين يتولون مقابلة الضيوف الكبار والعلماء وطالبي الرهبنة الجدد لاختبارهم، كلٌّ في دائرة جماعته، ولا يجمعهم إلا الأمور التي تخص البرية كلها، و يتضح هذا من تقرير بالليديوس عن نفسه: [وقد انتفعتُ كثيراً بتعليم الآباء المبارَكين أرسيز يوس الكبير و بثيو باسطس وأصيون وكرونيوس وسيرابيون، وامتلأت نفسي غيرة من حديث الآباء الشيوخ](١٢).

تعداد رهبان نتريا في أواخر القرن الرابع وتدبيرهم:

يخبرنا المؤرخ روفينوس أن تعداد نتريا زمن تواجده هناك، أثناء زيارته المشهورة سنة ٣٧٣م.، كان قد بلغ ثلاثة آلاف راهب(١٣). ثم يعود المؤرخ چيروم فيذكر لنا أن تعداد نتريا أثناء زيارته لها كان قد بلغ خمسة آلاف راهب(١٤). و يعود بالليديوس و يصدق على تعداد نتريا بنفس الرقم أثناء زيارته الخاصة أيضاً(١٥). ثم يأتي كاتب الهستوريا موناخورم سنة ٣٩٥م. و يذكر لنا أن الجماعة في زمان زيارته كانت قد التأمت في نتريا على هيئة خمسين محلّة أو خيمة أو جماعة سكنية، أو دير.

فلو قسَّمنا الخمسة آلاف راهب على الخمسين وحدة سكنية (أو خمسين جماعة أو ديراً) يكون كل دير به مائة راهب أو أكثر أو أقل. فمثلاً جماعة اسحق قس القلالي أو ديره كان به ٢١٠ راهباً.

أما نوع الحياة الديرية التي كان يعيشها رهبان كل مجمع أو دير في نتريا فكانت وسطاً بين حياة الشركة وحياة الوحدة، فالراهب يعيش بمفرده ولكن يلتزم بقوانين عامة للجماعة في الصلاة وكل ترتيباتها وفي الأكل والشرب واللبس وعمل اليدين و بيع عمل اليدين و بناء القلالي والكنائس. ولكن كل فرد يدبر نفسه حسب إمكانياته ومواهبه(١٦)، ولكن كان يعتمد في نظام

(12) Pallad., H.L., Ch. VII.
(13) Ruf., H.E., II, 3.
(14) Jerome, Epist. XXII, 33.
(15) Pallad., Ch. VII, XIII.
(16) Ev. White, (cit. Pallad.) II, p. 172.

الجماعة وتدبيرها على غيرة وحرارة كل راهب أكثر من سلطة القانون بوجه عام.

أما في الحوادث الخارجة عن النظام والمُخلَّة بالحياة الرهبانية، فكان الشيوخ لا يرحمون في حكمهم، لردع الأشرار والمنحلين. ولم يخلُ الحال من العقوبة الجسدية، فكان داخل فناء الكنيسة ثلاث نخلات يُعبَط عليها المحكوم عليهم في المخالفات الخطيرة، و يُضربون بالكرباج: [وفي نتريا يوجد كنيسة عظيمة في فنائها ثلاث نخلات مُعلَّق على جذع كل واحدة منها كرباج، وكانت مقسَّمة واحدة لجلد الرهبان على ظهورهم، والثانية مخصصة للصوص الذين يُضبطون وهم يقتحمون مساكن الآباء، والثالثة للسرقات العارضة](١٧).

الشغل اليدوي:

وكان الشغل اليدوي لكل راهب ضرورة حتمية من الوجهة الروحية الصرف، ومن الوجهة الإقتصادية أيضاً. وجماعة نتريا اختصت بغزل الكتان ونسجه نظراً لقرب نتريا من حقول الكتان بمنطقة البحيرة، ولخلوها أصلاً من النخيل الذي يصلح لعمل المقاطف والحبال، لذلك فآباء نتريا كانوا مختصين بغزل الكتان ونسيجه، بخلاف رهبان شيهيت الذين اختصوا بالمقاطف وحبال الليف من النخيل والحصر من البردي.

كما كان معظم الآباء ينزلون في شهور حصاد القمح وهي أيام الخمسين بالذات، فكانوا يعملون أثناءها كأجراء في الحقول طول هذه الفترة، فنسمع عن بيئور أنه اعتاد أن ينزل أجيراً عند صاحب حقل معين ثلاث سنين متوالية(١٨)، وكان ما يوفره كل راهب في زمن الحصاد يفوق حاجته، فنشأت فرصة لتقديم الصدقة، ونعلم من سيرة الأب «بامو» أنه استطاع اقناع كل راهب في جماعة نتريا بتقديم أردب للصرف منها على فقراء الآباء والأهالي(١٩).

أما موضوع بيع عمل اليدين وشراء لوازم الآباء، فلم يكن من عمل الرهبان فرادى بل كان مخصصاً له جهاز خدمة متناسق، للإتصال بالآباء من ناحية، والعالم من ناحية أخرى، واستحضار اللوازم جملة، وكان هذا الجهاز يسمى «الخدمة» بالقبطية تدعى «الداجونية» وباليونانية «إيكونومية» والمسئول الأول فيه يدعى الأقنوم Oeconomus ، فنحن نسمع عن «أوريجنس» أقنوم قلاية لاڤرا (أو دير) الأب «بامو» الذي استدعاه لإستلام كيس النقود من ميلانية الكبيرة، وأوصاه أن يقوم بالسفر إلى ليبيا لتوزيعه على الأديرة الفقيرة هناك(٢٠) (أي أديرة الواحات وكانت محسوبة ضمن حدود ليبيا).

---

(17) Ibid., p. 172.
(18) Apoph. Patr., Gr. V., Pior, I.
(19) Ev. Wh., II, p. 54.
(20) Laus. Hist., Ch. X.

وكذلك نسمع من كاسيان أنه تحت رئاسة بافنوتيوس في شيهيت (البراموس الآن) كان يوجد إيكونوموس (أقنوم) أو ما ندعوه اليوم رُبيّته يدعى يوحنا، وطبعاً كان هو يوحنا القصير قبل تقلُّده رئاسة ديره جنوباً.

ومن هذا يتضح لنا أن كل دير كان يرأسه أب روحي يدبر شئون الرهبان روحياً، وهذا يكون عضواً في جماعة الآباء الشيوخ المدبرين، وتحت هذا الأب يوجد الإيكونوموس أو المدبِّر للحاجات الجسدية.

المخبز والحديقة والمطبخ ومنزل الضيافة:

يخبرنا بالليديوس أن نتريا كانت مجهزة بسبعة أفران، أو مخابز، يتوفر فيها العجين والخبز. ولكن نتريا كانت مسئولة أيضاً عن تموين جميع الآباء المتوحدين في القلالي بالخبز، لذلك فإن السبعة مخابز كانت موزعة باعتبار مخبز لكل عشرة أديرة من أديرة نتريا، ومخبزين للمتوحدين بالقلالي. علماً بأن تعداد متوحدي القلالي زمن بالليديوس كان ستمائة متوحد.

وهكذا نعتقد أن كل أب من الآباء الشيوخ السبعة (المساعدين) كان يدخل ضمن حدود مسئوليته مخبزٌ من المخابز السبعة، ولكن كان يدبِّر كل واحد منها أقنوم بمساعدة عدة رهبان (قصة الأب الذي كان يمضي اليوم كله يخبز لغيره). كذلك نسمع من بالليديوس أن كل دير من الأديرة الخمسين كان له حديقة خضروات وفاكهة ومطبخ عام.

أما المضيفة فهي ملاصقة للكنيسة، حيث يستقبل الرهبان الضيوف و يسمحون للضيف بالإقامة أي فترة حتى يغادر المنزل بحريته. ويمكث الضيف أحياناً إلى مدة قد تطول إلى سنتين أو ثلاث (الضيوف المرغوب فيهم الذين يحافظون على ناموس الدير). و يُسمح للضيف أن يبقى أسبوعاً بدون عمل، ولكن بعد الأسبوع يُستدعى للمساعدة إلزامياً في المطبخ أو المخبز أو الحديقة. أما إذا كان شخصية كبيرة فإنه يُعطى كتاباً ليقرأ فيه، ولكن لا يُسمح له بالحديث مع أي راهب قبل الساعة السادسة. وكان يُعيَّن على بيت الضيافة أب، وكان يُختار من بين الآباء الفضلاء جداً، فأصحاب منازل الضيافة كانت لهم شهرة خاصة في الرهبنة والكنيسة أيضاً. وقد نزلت ميلانيا مع روفينوس في هذا البيت وأقاما فيه مدة طويلة.

وكانت هذه الملحقات من مطبخ ومخبز ومنزل للضيافة وحديقة، كلها ملاصقة للكنيسة.

الأطباء والدواء:

وفي نتريا يوجد أطباء يعيشون هناك مع الرهبان، و يقص لنا بالليديوس عن [طبيب مقيم في نتريا شاهده بنفسه، يدعى أبوللونيوس، اعتزل العالم وأقام في نتريا، وكان قد تقدم في الأيام

بدرجة لا تسمح له باكتساب خبرة صنعة أخرى يتعيَّش منها وسط الرهبان. هذا عاش في نتريا عشرين سنة يزاول مهنته، ومن ماله كان يشتري بنفسه الأدوية والعقاقير من الإسكندرية ويحضِّرها لمعالجة المرضى بين الرهبان، وكان يُرى في كل أنحاء نتريا وهو يخرج كل يوم يمر على الجماعات والقلالي من الصباح الباكر حتى الساعة التاسعة (٣ بعد الظهر) منتقلاً من باب إلى باب يسأل عن المرضى. وكان يحمل معه دائماً كمية من العنب والرمان والبيض والبسكوت لغذاء المرضى، وكان يحس بمنفعة عظمى من هذه المهنة وهو في هذا السن. ولما تنيح هذا الأخ الطبيب الحبيب كان قد سلم المهنة إلى شخص آخر في مثل رجاحته المهنية والروحية، وشجعه أن يؤدي من بعده هذه الرسالة بإخلاص ومحبة. لأن نتريا كان بها خمسة آلاف راهب كانوا دائماً في حاجة إلى هذه الإفتقادات لأن المكان كان قفراً](٢١).

الخدمات الروحية الطقسية:

كان في نتريا كنيسة عظيمة، على حد رواية بالليديوس كشاهد عيان، ولكنها لم تكن تستخدم قط إلا في يومي السبت والأحد فقط من كل أسبوع للعشية والقداس(٢٢).

ولم يكن في نتريا خدمات أخرى طقسية عامة ولا حضور لصلوات السواعي على مدى النهار والليل. ولكن كان الآباء جميعاً يقفون كل واحد في حوش قلايته و يتلو مزامير الساعة التاسعة بصوت مرتفع، فكان الواقف في نتريا يسمع الجبل كله وهو يترنم بالمزامير: [وفي الساعة التاسعة كان الواقف في جبل نتريا يسمع تسبيح الأبصلمودية يرتفع من كل قلاية، فيتهيأ للإنسان أنه واقف في السماء في الفردوس](٢٣)، وذلك إما واحداً واحداً أو إثنين إثنين حسب سكنهم، وإما جماعة جماعة.

وكذلك بخصوص صلاة نصف الليل فإنها كانت تقام أيضاً في القلاية كل واحد بمفرده بدون حضور للكنيسة على مدار الأيام، ما خلا يوم السبت فقط الذي كانوا يجتمعون فيه في الكنيسة للصلاة حتى الصباح(٢٤).

---

(21) Pallad., L.H., p. 13 apollo.
(22) Pallad., L.H., Ch. VII.
(23) Ibid.

(٢٤) كتاب مار اسحق، الجزء الأول الفصل الأول.

ثانياً: نشأة منطقة القلالي وعلاقتها بنتريا:

بدأت منطقة القلالي كملحق خاص أو امتداد روحي وسَكَني لمنطقة نتريا، ولكن سرعان ما استحوزت القلالي على الشهرة فوق نتريا بسبب التزام السكان فيها بالوحدة المطلقة. وما أن قارب القرن الرابع على الإنتهاء، حتى صارت نتريا مكان إعداد وتلمذة للسَكَن في القلالي كطقس حياة أعلى.

وقد جاء هذا الوصف لمنطقة القلالي في كتاب الهستوريا موناخورم: [و يوجد غير نتريا مكان آخر في الصحراء الداخلية يبعد عشرة أميال (هو إثنا عشر ميلاً) عن نتريا، الذي يُدعى باسم القلالي، نظراً لظهور قلاليه متفرقة بعضها عن بعض. وكل الذين تعلموا (الطقس الرهباني وكيفية التصرف حسب نواميسه) و يرغبون في حياة التوحد، فإنهم يلتجئون إلى القلالي لأنها برية قفر منعزلة تماماً وقلاليها متباعدة، للدرجة التي فيها لا يسمع ولا يرى الواحد الآخر. والرهبان هناك يعيشون كل واحد بمفرده تماماً، حيث هناك الصمت بينهم والهدوء عميق للغاية، ولا يرى الواحد منهم الآخر على مدار الأسبوع قط إلا يومي السبت والأحد داخل الكنيسة، حيث تصبح رؤية وجوه بعضهم لبعض متجلِّية كأنها سماوية. فإذا حدث أن تعوَّق أحدهم عن الحضور إلى الكنيسة في هذا الإجتماع، يدرك الجميع أنه حتماً بسبب مرض أصابه، فيتجه الآباء نحو قلايته بعد الكنيسة، ولكن ليس جماعة واحدة وإنما واحداً بعد الآخر حيث يتبارى كل واحد في تقديم شيء يُسرُّ به قلب المريض. ولا يوجد أي عذر آخر يتسبب عن كسر ناموس الوحدة التي يعيش فيها كل واحد، إلا إذا كان بسبب زيارة المريض لتقديم كلمة عزاء، وهذه يتبارى الشيوخ في تقديمها للمحتاج. والكنيسة هناك تبعد عن بعض القلالي ثلاثة أو أربعة أميال. وكان سخاؤهم في البذل كبيراً للغاية ورباط المحبة الذي يربطهم بعضهم ببعض و بكافة الإخوة من القوة إلى درجة تثير العجب والدهشة، فهو نموذج عال] (٢٥).

نظام الرئاسة والتدبير في القلالي:

والمتوحدون في القلالي يكونون دائماً على درجة من التلمذة والنضوج والحكمة الروحية لا يلزم معها وجود مدبِّر، ولكن كان قس الكنيسة يقوم بكل أعمال الرئيس، فنسمع عن مقاريوس الإسكندراني واسحق قس القلالي أنهما كانا بصفة شيوخ، لهما المشورة والكلمة الفَصْلُ (٢٦)، وقد ظهر ذلك بالفعل في القصة التي تروي كيف طرد اسحق قس القلالي أحد المتوحدين الجدد في القلالي، حينما رآه داخل الكنيسة بغطاء للرأس قصير وليس له الشكل المحترم القانوني حيث قال

---

(25) Hist. Monach., Lat. V., Ch. XXII.
(26) Pallad., L.H., Ch. XVIII.

له: «هنا مكان رهبان، أما أنت فقد صرت علمانياً بلباسك هذا، هيا أخرج من وسطنا» (٢٧).

ولكن لم يخلُ مجمع المتوحدين في القلالي من رهبان متعجرفين اتخذوا من التوحد والإنعزال والإعتماد على النفس فرصة للإفتراء على قس القلالي والحط من سلطان رئاسته، وهذا يتضح من مَثَل المتوحد المفضوح المدعو ڤالنس، كيف رد عطية مقار يوس الإسكندراني التي أرسلها له على سبيل بركة من الكنيسة، بعجرفة وتعالٍ، قائلاً: «أنا لست أقل منك حتى ترسل لي بركة» (٢٨). ومن هذا يتضح أن هيبة ورئاسة قس القلالي كان المتوحدون يفرضونها على أنفسهم، ولكن لا تُفرض عليهم.

غير أنه كانت هناك سلطة أعلى من سلطة قس القلالي، وهي سلطة مجمع الشيوخ المتوحدين الذي كان يُعقد دائماً برئاسة قس القلالي. وهذا كان سلطانه قاطعاً بتَّاراً ومخيفاً لا ينظر إلى الوجوه، فإذا لفظ المجمع حكماً على أي متوحد كان نافذاً كالسيف، وكان الرهبان يخشون بأس المجمع جداً، وهذه السلطة تبدو واضحة في القصة التي تقول: [عُقد المجمع συνέδριον في القلالي مرة من أجل أمر من الأمور، وبينما الشيوخ جالسون تكلم إيڤاجر يوس (بدون إذن وكان متحذلقاً بعلمه)، فما كان من القس إلا أن انتهره قائلاً: «نحن نعلم ياأبَّا أنك لو كنت في بلدك لكانوا رسموك أسقفاً، ولكن اعلم أنك تجلس هنا كغريب (٢٩) فعليك ألا تفتح فمك». فحزن إيڤاجر يوس وتأسف ولكنه لم يغضب، غير أنه هز رأسه وطأطأها ناظراً إلى الأرض قائلاً: «إن ما قلتموه هو حق ياآبائي، وها أنا تكلمت مرة ولكني لن أعود إلى ذلك مرة أخرى»] (٣٠).

كذلك نعلم عن سلطة مجمع «الشيوخ» من قصة الأخوين المتوحدَين اللذين نزلا إلى العالم بدافع الشهوة فأفسدا عفتهما، ولما عادا للتوبة حكم عليهما «الشيوخ» بالحبس سنتين، الذي كان دواءً شافياً لهما، فخرج الأول معبساً من شدة لوم ضميره، وخرج الثاني متهللاً من شدة فرحه بالتوبة.

نظام الخدمة الجسدية والمعيشة في منطقة القلالي:

كانت القلالي تعتمد اعتماداً كلياً على نتريا في معيشتها، فالخبز كان يُصنع في أفران (فرنان على الأقل)، خاصة بمتوحدي القلالي، الذين كان عددهم في نهاية القرن الرابع ما يقرب من

(27) Apoph. Patr., Ch. VIII, Isaak.

(28) Pallad., L.H., Ch. VIII.

(٢٩) وكم من مقالات كتبها إيڤاجر يوس ليعلّم الناس عن الغُربة، وهو لم يستطع أن ينتفع بغربته العملية، وهذا يثبت أنه كان بائع كلام. ومما يُثبت هذه القصة أنه ذهب مرة إلى أحد الشيوخ يطلب نصيحة يخلص بها، فقال له: «لا تتكلم دون أن تُسأل». فتضايق جداً، ولكنه قَبِل النصيحة لأنها كانت حقاً.

(30) Apoph. Patr., Syr. V., p. 19.

ستمائة متوحد. وكان على القلالي متولون للخدمة مثل أوريجنس خادم دير (لاڤرا) الأنبا بامو، الذي كان يقوم بإعداد وتوصيل لوازم المتوحدين من نتر يا إلى القلالي(٣١).

أما شغل الأيدي لمتوحدي القلالي فكان إما غزل ونسج الكتان وإما عمل المقاطف والليف، لأن منطقة القلالي كان يوجد بها نخيل، وهذا يتضح لنا من سيرة بامو الذي كان يشتغل في عمل المقاطف، وقد أهدى ميلانية آخر مقطف عمله في حياته قبل موته بدقائق.

كذلك كان المتوحدون يعتمدون أساساً على موسم الحصاد الذي كان يدر عليهم كل مصار يفهم من العمل في الحقول كأُجراء(٣٢).

وبالإضافة إلى هذه الحِرَف الناجحة كان بعض المتوحدين يعملون كنُسَّاخ، وهذه المهنة كانت مربحة أيضاً، ولكن كانت وقفاً على المتعلمين ذوي الخطوط الحسنة(٣٣).

وكان المتوحدون لا يعرفون شيئاً عن بعضهم إلا يومي السبت والأحد. فالمريض أو حتى الذي يموت كان لا يُعرف إلا بواسطة غيابه يومي السبت والأحد، لذلك كان الحضور للكنيسة أمراً يقع في أقصى درجة من الأهمية، ولا يعوق المتوحد عن الكنيسة إلا المرض أو الموت. فكثير من المتوحدين لم ينكشف أمر نياحتهم إلا رابع يوم(٣٤).
وخدمة مزامير الغروب ونصف الليل كانت هامة، ولكن كان المتوحدون يصلونها في قلاليهم(٣٥).

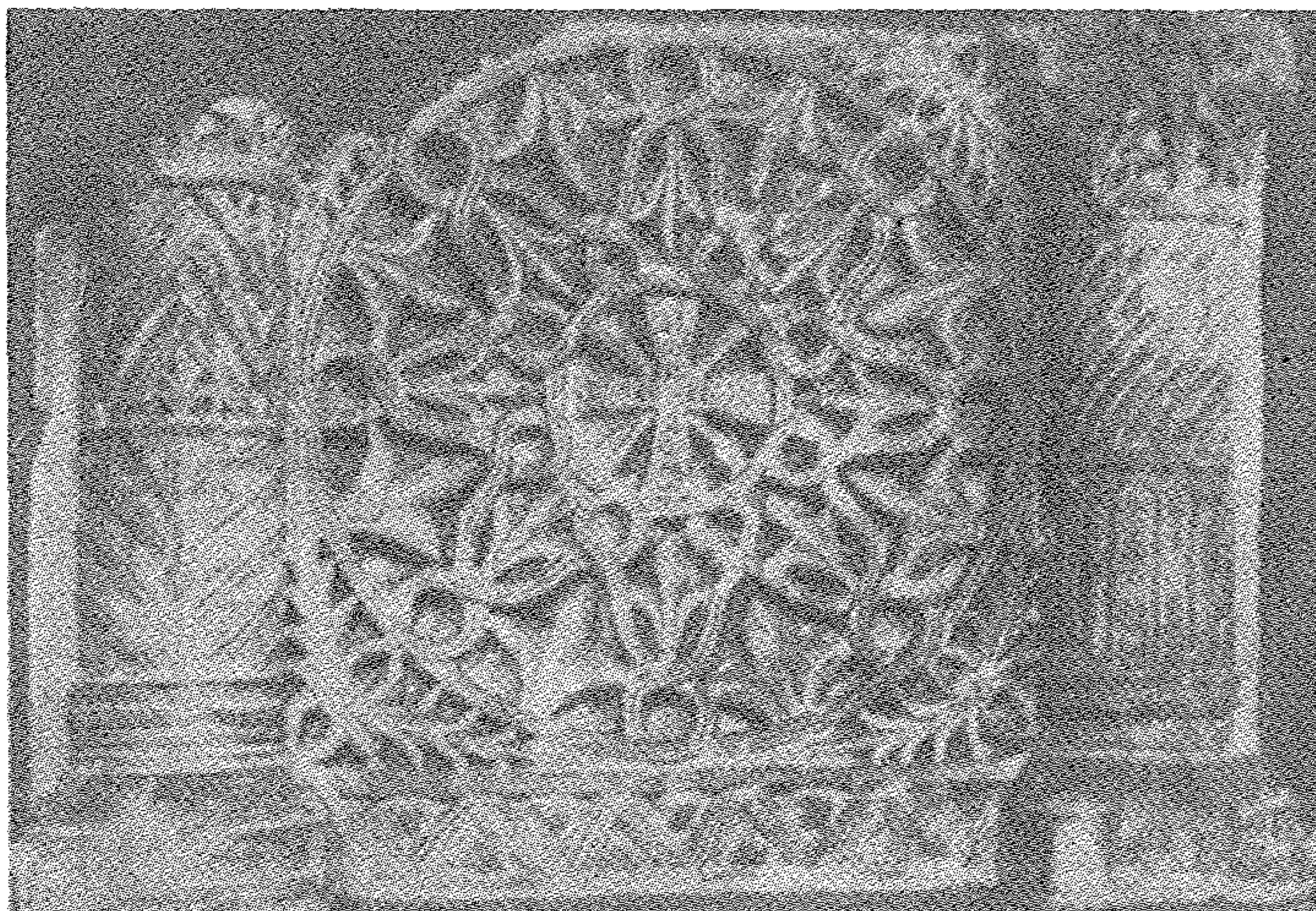
والمعروف أن كنيسة القلالي بُنيت مبكراً جداً بعد زيارة أنبا أنطونيوس للمنطقة في المكان الذي وقف وصلى فيه مع آمون صديقه (ارجع ص٤٩)، وكان ذلك قبل سنة ٣٥٠م..

بيت للضيافة ومطبخ ومخازن:
يخبرنا بالليديوس أن اسحق قس القلالي وتلميذ الأب كرونيوس قام ببناء بيت للضيافة بجوار الكنيسة للمرضى من الرهبان ولراحة الزوار والآباء الذين يأتون من أسفار بعيدة نظراً لبُعد المكان(٣٦).

---

(31) Pallad., L.H., Ch. X.
(32) Apoph. Patr., IV, VII.
(33) Pallad., L.H., Ch. XXXIII.
(34) Hist. Monach., Ch. XXIII, 3.
(35) Ev. Wh., II, p. 177.
(36) Pallad., Dial. de Vita. John. Chrys., ch. XVII.

ويُعتقد أن هذا البناء ظهر في القلالي بعد سنة ٣٩٥م.، لأن كاتب الهستوريا موناخورم لم يأتِ إلى ذكره في وصف المنطقة، ومعلوم أن زيارته كانت سنة ٣٩٥م. لذلك يُرجَّح أن بناءه تم ما بين عامي ٣٩٥ و٤٠٠م.، قبل طرد اسحق من القلالي أيام اضطهاد ثاوفيلس البابا الثالث والعشرين.



قطعة منحوتة من الحجر الجيري من دير باويط (ق ٦/٧) يتوسطها صليب
[معروضة بمتحف الدولة Staatliche Museen في برلين]

القلالي
ملخص الأبحاث الحديثة
إستناداً على الحفريات التي قام بها العالمان الأثريان:
چيومون، ودوما من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة
(١٩٦٤ـ١٩٦٥)(١)

يشاء الله قبل أن نختم بحثنا هذا عن حياة أنبا مقار وتاريخ الديرية في شيهيت، أن نتلاقى مع المسيو «دوما» مدير معهد الآثار الفرنسي ونتعرف على الكشف الكبير الذي قام به هذا العالم الفاضل المتديِّن في منطقة القلالي، وهي المنطقة التي سبق أن حددناها بدقة في بحثنا الصغير في هذا الكتاب. فجاءت أوصاف الموقع كما اكتشفته البعثة الفرنسية على الطبيعة مطابقاً تماماً لما تصورناه، وسنحاول هنا تلخيص كل ما عثرت عليه هذه البعثة في اكتشافها.

وهنا يجدر بنا تنبيه ذهن القارىء أن منطقة القلالي لها أهمية كبيرة للغاية في التاريخ الرهباني، فهي مهد الرهبنة التوحدية والمدرسة الأصيلة للنسك والتقوى والإستنارة الروحية، وموطن الأبوفثجماتا الأول.

والرجاء من القارىء أن يطلع على مجموعة الصور التوضيحية لهذه المنطقة التي قام المعهد الفرنسي بإلتقاطها، ويجد القارىء الشرح واضحاً على كل صورة في ملزمة الصور في آخر الكتاب.

الموقع:

على هدى الأبحاث النظرية التي وضعها إڤلين وايت(٢)، ومسيو كورزون، توجهت البعثة إلى دمنهور ومنها إلى قرية البرنوجي (عاصمة نتريا قديماً) ١٥ كيلومتراً جنوبي دمنهور، فوجدوا قرية البرنوجي (التي كانت مسماه نتريا) في وسط المزارع، وبيوتها مبنية على تلة عالية مليئة ببقايا آثار، كلها تنمُّ عن حقيقة واحدة أن هذه هي مدينة نتريا الشهيرة. ولكنهم وجدوا أنه ممنوع عمل حفريات هناك. ومنها وفي وسط المزارع أخذوا طريقهم نحو الصحراء في تخوم ضواحي البرنوجي فوصلوا إلى حدود منطقة القلالي، وقد أصبحت متاخمة للريف، وهذا معناه أن منطقة

---

(1) Kellia, I, Kom. 219 (Fouilles de Instit. Franc. Dareh, Or., Tome XXVII (1969).

(2) The Desert City of El Muna, Fasc. 31, p. 247-253.

نتريا بأكملها قد غطتها المزارع نهائياً مع جزء من منطقة القلالي نفسها يقرب من نصفها تقريباً. وعبرت البعثة «كوبري العبد» على ترعة النوبارية (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب)، فدخلت منطقة الصحراء، وعلى مسافة ٣ كيلومترات في الإتجاه الجنوبي الغربي كانت حدود منطقة القلالي، أكوام كثيرة لونها أغمق من الرمل المحيط بها، طول المنطقة التي تحمل هذه الأكوام من الأتربة ثلاثة ونصف كيلومتراً وعرضها أكثر من كيلومتر واحد، كلها مغطاة بقطع من كسر الفخار (الشقافة) وقطع من البياض الملون والأبيض، و بعضها مدفون على سيفه دلالة على أنه بياض حوائط تحللت مادتها و بقي البياض وحده.

وتظهر أساسات المباني واضحة، كلها ذات اتجاه واحد في عمارتها مما يدل على حذق الرهبان في تلافي الرياح العاصفة. فظهور المباني كلها ضد الرياح الآتية من الشمال الغربي، وهي الرياح الباردة العنيفة التي تحمل الرمال.

و بعض الأكوام تخفي تحتها مباني ضخمة عالية ومتسعة، طولها أحياناً ١٠٠ متراً. والجزء المتبقي من منطقة القلالي يحوي في جملته ٦٠٠ كوماً تشير إلى وجود مدينة رهبانية ضخمة (هي المعروفة بالقلالي أو المونا)، كانت عبارة عن ٦٠٠ منشوبية (أي قلاية يسكنها عدة رهبان).

و يقرر مسيو دوما ومسيو چيومون أن الآثار الموجودة تشير إلى كثافة رهبانية ضخمة في هذا المكان لم يُشهد لها مثيل في كل مصر(٣). وهذه الحقيقة تبدو واضحة جداً على الطبيعة!! و بعض الأكوام صغيرة ومتباعدة تشير إلى نظام التوحد الذي كان مُتَّبعاً في هذه المنطقة. وهذا يطابق ما نقرأه في أقوال الآباء تماماً وفي كتاب «هستور يا موناخورم» [إنهم يسكنون في قلالي متباعدة بعضها عن بعض، بحيث أن الواحد منهم إذا رآه آخر لا يمكن أن يتعرف على شخصيته ولا يقدر أن يعرف صوته. إنهم يعيشون في صمت تام، وكل واحد منهم يبقى معتكفاً في وحدته](٤). وابتعاد آثار هذه القلالي بعضها عن بعض بطول هذه المسافات تعيد إلى ذاكرتنا أبّا أبولونيوس الطبيب (الصيدلي) الذي كان يمر على هذه القلالي من واحدة لأخرى، ومعه العقاقير الطبية لمعالجة المرضى والضعفاء، وكان يدخل في كل باب حتى ولو لم يرد عليه صاحبها لئلا يكون راقداً ولا يستطيع الكلام(٥).

وفي أطراف هذه المنطقة لاحظت البعثة مجموعة قلالي منفردة بصورة أكثر من البقية وذلك في

---

(٣) باللاديوس يشهد بوجود ٥٠٠٠ راهب في نتريا (القرن الرابع) و٦٠٠ راهب في القلالي. أما يوحنا موسخوس فيشهد بوجود ٣٥٠٠ راهب (القرن السادس).

(4) Hist. Monach., Aegp., XX, 7.

(5) Pallad., H. Laus., XIII, 2.

الشمال الشرقي وأخرى في الجنوب الغربي. ومن الحفريات تبين أن كل قلاية من قلالي المتوحدين كانت عبارة عن حجرتين، وسقفها كان بالقبو أو قبة.

نظام ومواصفات المباني التي كانت قائمة في منطقة القلالي([6]):

من بين حوالي ٦٠٠ مبنى، بين كبير وصغير، وهي عبارة عن أنقاض مدفونة حيث وضعت البعثة أرقامها على الأكوام التي تشير إلى مواضعها؛ اختارت البعثة الكوم رقم ٢١٩ لإحتمال وجود شيء مهم من المباني تحت أتربته. ويمتاز هذا الموقع بوجود القلالي من حوله، ولما بدأوا الكشف وجدوا الطوب من نوع الطَفْلة النيئة المخلوطة بالرمل وأحياناً من الرمل والجير ومقاساته: (١) ٤٠×٢٠×٧ (٢) ٤٢×٤٢×١٠. والمونة عبارة عن طَفْلة مأخوذة من بعض الطبقات السفلية من الأرض، ولهذا كان ضرب الطوب وعمل المونة والمباني من الأمور السهلة والتي لا تحتاج إلى زمن كثير. وهذا يفيد كيف كان يجتمع الآباء معاً و يبنون قلاية أو عدة قلايات في يوم واحد.

وأرضية القلالي كانت عبارة عن دكة من الزلط والجبس ومغرة حمراء، والأرضية تمتد لتغطي جزءاً من أسفل الحوائط (وزرة) بارتفاع ٥٠ سم. وفي بعض القلايات توجد مربعات من الحجر الجيري الأملس في اتجاه الشرق دائماً، مما يفيد أن الراهب كان يصلي في مكان معين من القلاية.

و يلاحظ أن بعض أجزاء القلالي كانت مبنية بالطوب الأحمر مثل السلالم وعتبة الأبواب وأرضية المطبخ وكل الأفران والكوانين، وكل الأجزاء المعرضة للماء مثل خزانات المياه والآبار وأحواض الغسيل والمراحيض، وفي المواضع التي يتساقط عليها مياه المزاريب (المنطقة مطيرة ومطرها غزير جداً). وكذلك كل المصاطب المبنية على جوانب الصالة المتوسطة في وسط القلالي (لجلوس المجمع) وهي مغطاة بطبقة من القُصْرمِل الأحمر المتين (شبه الخرسانة)، وكل أحواض الزراعة.

الطاقات في الحوائط ظاهرة منتشرة جداً، فكل قلاية بها عدد كبير من الطاقات المتنوعة الأشكال والأحجام، بعضها على هيئة دولاب حائط يوجد بداخله دعائم الأرفف باقية، وهو ممتد بالطول حتى الأرضية، وحوله زخارف، مما يفيد أنها كانت دواليب كتب، ومنها ما هو غير عميق (١٠ سم فقط) وحوله الصلبان مما يدل على أنها كانت مقصورة لتعليق الأيقونات. وقد وُجد في الغرفة رقم ١٧ ثماني طاقات؛ وواضح أنها كانت تُستخدم لحفظ حاجات الراهب مثل الملابس والمصابيح والأدوات والأوعية الصغيرة.

وفي شرقية الصالة رقم ١٢ يوجد رسم المسيح على الصليب (أنظر اللوحة في ملزمة اللوحات في

(6) I.F.A.O., Kellia, Tome XXVIII, Fasc. I, ch. II.

آخر الكتاب). والصالة مبنية باعتناء كبير، و بعض الطاقات يأخذ أشكالاً هندسية دقيقة جميلة.

وقد وُجد في بعض الحوائط أجران مدفونة لا يظهر من الحائط إلا فوهتها، وغالباً كانت لتخزين الخبز والمأكولات الجافة، وهي مرتفعة بارتفاع كتف الرجل تحاشياً للفئران.

الكتابات والرسومات على الحوائط:

توجد كتابات محفورة بدقة وعناية كبيرة مثل أسماء الرسل و بعضها على هيئة لوحة تذكارية لأسماء قديسين أو لحوادث أو دعاء أو مرثية. وقد عثرت البعثة على عدة كتابات منها يحمل تاريخ سنة ١٧٣ للشهداء أي سنة ٤٥٧م. وهو تاريخ وفاة أحد الرهبان و يُدعى أدِلْفوس، مما يدل قطعاً أن تاريخ المبنى نفسه قبل ذلك بزمن كثير.

وقد عثرت البعثة أيضاً على قطعة كاملة عن صلاة «ياربي يسوع» منقوشة على الحائط(٧) باللغة القبطية البحيرية، وهي رد على الأفكار التي يزرعها العدو في عقل الإنسان أنه إذا صلى للرب يسوع فقط و باستمرار فإنه يُحرم من الدعاء للآب والروح القدس. و يلاحظ أن هذه القطعة بعينها واردة في البستان العربي المطبوع (١٩٥٦) ضمن حياة القديس أبينا مقار صفحة ٢٧ و يظن أنها من أقواله. وتوجد قطع أخرى باللغة القبطية البحيرية واللغة اليونانية وهي تعليمية بالنسبة للأسرار والصلوات والتذكارات تقول:

+ طوبى لمن تقدس في قلبه بالتناول من الأسرار المقدسة(٨).
+ «صوت الرب على المياه». ولعلها كانت محفورة فوق موضع المياه التي يصلى عليها.
+ يسوع المسيح هو اسم الخلاص.
+ ياالله أعطني فهماً آمين.
+ ياربي يسوع أعني.
+ لقد رقد أبونا ديسقوروس رئيس الأساقفة في ٧ توت آمين(٩).
+ ياربي يسوع المسيح مخلصنا الصالح محب البشر الذي تجسد من أجل خلاصنا، أعطِ نياحاً لروح جورجى بن داميان الإتربيي الذي رقد في ٢٥ طوبة الساعة السادسة في سنة «...» لدقلديانوس. أسألكم (ياإخوة) أن تصنعوا تذكاراً له حتى ينيح المسيح يسوع روحه آمين(١٠).
+ اذكرني يارب عند مجيئك في ملكوتك.
+ ياربي يسوع أعني أنا المسكين مينا القس آمين.

---

(7) I.F.A.O., Kellia, ch. IV.
(8) Ibid., p. 100.
(9) Ibid., p. 102.
(10) Ibid., p. 103.

+ ياربي يسوع مخلصي إصنع رحمة مع عبدك جورجى آمين.

وهذه النقوش كلها يتراوح عمرها من القدم حتى القرن الثامن.

كما يوجد في الصالة ٣٤ على الحائط الغربي رسم جميل لمارمينا، وهومن وضع رسام محترف، وهو مختلف تماماً عن بقية الرسومات الأخرى مما يدل على أن راسمه متخصص وليس من رهبان نتريا على الأقل. وهويطابق رسماً آخر محفوظاً في المتحف الروماني بالإسكندرية.

ولكن تحفة هذا الدير الصغير الذي وقعت عليه القرعة في الحفريات هي صورة للمسيح موجودة في الصالة رقم ١٢، ولوحة رقم ٣٩ يظهر المسيح فيها ماسكاً الإنجيل بيده اليسرى، واليمنى في وضع البركة حيث يكون أصبع الإبهام على طرف البنصر. والمعروف عن الأقباط القدماء أنهم رسموا صلباناً كثيرة متنوعة، ولكن لم يُعثرقط على صورة أثرية للمسيح مصلوباً، و يقول مسيو دوما أن ذلك مرجعه أن الأقباط أحجموا عن تصوير اللاهوت متألماً تمشياً مع العقيدة اللاهوتية. ولكن ربما لو قال أن الأقباط أحجموا عن أن يرسموا المسيح عارياً يكون أكثر قُرباً من الحقيقة. وقد تعمد الرسام القبطي هنا أن يرسم المسيح على الصليب في موقف النصرة. وعلى كل حال، فإن الذوق الفني عند الأقباط ينبثق دائماً من الإحساس اللاهوتى العميق، فكل حياتهم المادية والفكرية كانت انعكاسات لتأملاتهم وأحاسيسهم الروحية.

دورات المياه:

من الأشياء الملفتة للنظر في خرائب القلالي كثرة الغرف الخاصة بالمراحيض. وكان يراعى أن تكون دائماً مرتفعة، وغالباً تكون في الدور الثاني، حتى يسهل انحدار مجاري المياه منها إلى الخزانات فتبقى دائماً نظيفة. وهي متقنة و بعضها له كراسي للجلوس (أفرنجي) وتصريفها بمجاري خاصة تخترق السور وتصرف خارج المبنى.

أحواض للزراعة:

كانت زراعة الخضروات ولعلها الفجل والجرجير والسريس والهندباء والباذنجان والطماطم وغيرها، كانت تربى في أحواض خاصة، ولا تزال هذه الأحواض موجودة بجدرانها بجوار البئر وأحواض المياه التي كانت تُستخدم كمخزن للمياه سواء للزراعة أو الشرب.

التصميمات الهندسية لهذا الدير الصغير:

يوجد فارق كبير بين التصميمات الهندسية للأديرة الصغيرة بمنطقة القلالي و بين بقية الأديرة الأخرى في الصعيد المقامة على أساس نظام الشركة. في أديرة الصعيد مثل دير أنبا سمعان

بأسوان ودير الفاخوري بإسنا نجد أن القلالي تتكون من حجرة واحدة فقط للنوم، و يتصل هذا الصف من القلالي، أي غرف النوم جميعها، بطُرقة واحدة عمومية تنتهي بصالات عامة للمطبخ والمائدة، لأنها كانت عيشة مشتركة. و بعكس هذا الوضع نجد أن أديرة نتر يا والقلالي وشيهيت تميل إلى نظام التوحد على طقس أنبا أنطونيوس وأنبا مقار، فقلاية الراهب بدأت منفردة تماماً، فكانت تحوي أكثر من حجرة واحدة، لأن معيشة المتوحد مستقلة، وهو في قلايته يكمل كل حاجات معيشته من طهي وأكل وقراءة وشغل ونوم. ولكن بعد ذلك وتحت اضطرار الظروف والمخاطر والغارات بدأ الرهبان يجتمعون في مجموعات صغيرة لا تز يد عن ثلاثة أو أر بعة (و بعد ذلك عشرة)، لكي يتعاونوا معاً وقت الخطر. ولكن مع ذلك كان كل راهب يعيش عيشة منفردة مستقلة تماماً ولا يأكل إثنان معاً قط. وكان هذا النظام المعيشي وما يتبعه من بناء يسمى λάυρα = Lavra ، و يُذكر في المخطوطات القديمة باسم «السيق» وجمعها «الأسياق» (أنظر الفهرس للمخطوطات العربية للمكتبة الأهلية بپار يس ص ٦٩). ثم في بداية القرن السابع بدأت تظهر الأسوار الحصينة العالية والأبراج لصد هجمات المغير ين واللصوص.

ثم منذ القرن التاسع بدأت تظهر الأديرة بأسوارها العالية المنحصرة وأبوابها المغلقة دائماً، حيث يعيش داخلها الرهبان عيشة نصف مستقلة.

والعجيب في هذه البعثة أنها وُفِّقت لاكتشاف هذه العصور المتتابعة أثناء عمليات الحفر وسط الاساسات.

أولاً: العصر الأول:

أصل المبنى بحسب ما تدل عليه الآثار:

هو من منشآت ما قبل منتصف القرن الخامس أي قبل سنة ٤٥٠م. وكان عبارة عن قلاية ذات ثلاث غرف، وأرقامها في اللوحة في صفحة ٣٣٠ هي غرف أرقام ١٠ و١١ و١٢. و يبدو أنها كانت قلاية أحد الآباء المشهور ين الكبار واتُّخذت بعد ذلك مركزاً لرئاسة محلية، وذلك يتضح من الصالة الضخمة التي أُلحقت بها بعد ذلك، وكان طولها ٣٠ متراً وعرضها ٧ أمتار!! والتي حاول الرهبان الاحتفاظ بها كتذكار لهذا العصر فيا بعد، فأقاموا تدعيمات متوالية لسقفها القبو المحمول على قواصر عرضية لتقويته. ومن الأشياء التي تشير إلى قدم هذه القلاية هو التصاقها بالسور مع انفصالها عنه، مما يشير إلى أن السور الخارجي حولها بُني بعد بناء القلاية بمدة زمنية.

والغرفة رقم ١٠ كانت في الأصل مطبخاً صغيراً وحجرة للطعام تكفي لمتوحد واحد، وبها آثار حوض ماء في الركن البحري الشرقي يَصرف خارج جدار القلاية، وعُمل له بعد ذلك فتحة في

السور نفسه ليصرف خارج الدير أيضاً. وكان الفرن والكانون في الركن القبلي الغربي من الغرفة نفسها رقم ١٠، وإنما بدون سقف.

و يقرر مسيو دوما أن هذه القلاية عموماً بغرفها الثلاث تبدو غريبة وقديمة جداً وليس لها مثيل في كل ما كشفوا عنه، و يعتقد أنها من القرن الرابع مستدلاً على ذلك بأدلة عملية.

أما ترتيب استخدام هذه الغرف الثلاث، بحسب ما هو واضح من تنسيقها الهندسي وعمارتها، فهو أن المتوحد كان يطبخ و يأكل في الغرفة رقم ١٠، وكان يصلي و ينام في الغرفة رقم ١٢، وكان يصعد على سقف الغرفة رقم ١٠ لإستخدام المرحاض الذي كان موجوداً أعلى الركن البحري الشرقي و يكشف عنه آثار مجرى الصرف الرأسية التي لا تزال موجودة.

ثانياً — العصر الثاني

وبجوار هذه القلاية توجد قلاية أخرى ذات غرفتين ٧ و٨ وهي قديمة أقدم من عصر السور الخارجي أيضاً، لأن بناء السور حول القلاية اضطر البنائين إلى سد باب للقلاية كان متجهاً إلى الجهة البحرية، وآثار السد موجودة في الغرفة رقم ٧.

ولكن مسيو دوما يعتقد أن هذا المبنى كان برجاً أو حصناً صغيراً كان يأوي إليه المتوحد وقت الخطر وذلك لضخامة أسواره، و يرجع زمن هذا البرج الصغير إلى القرن الخامس وذلك باستقراء الشقافة التي وُجدت في أساساته.

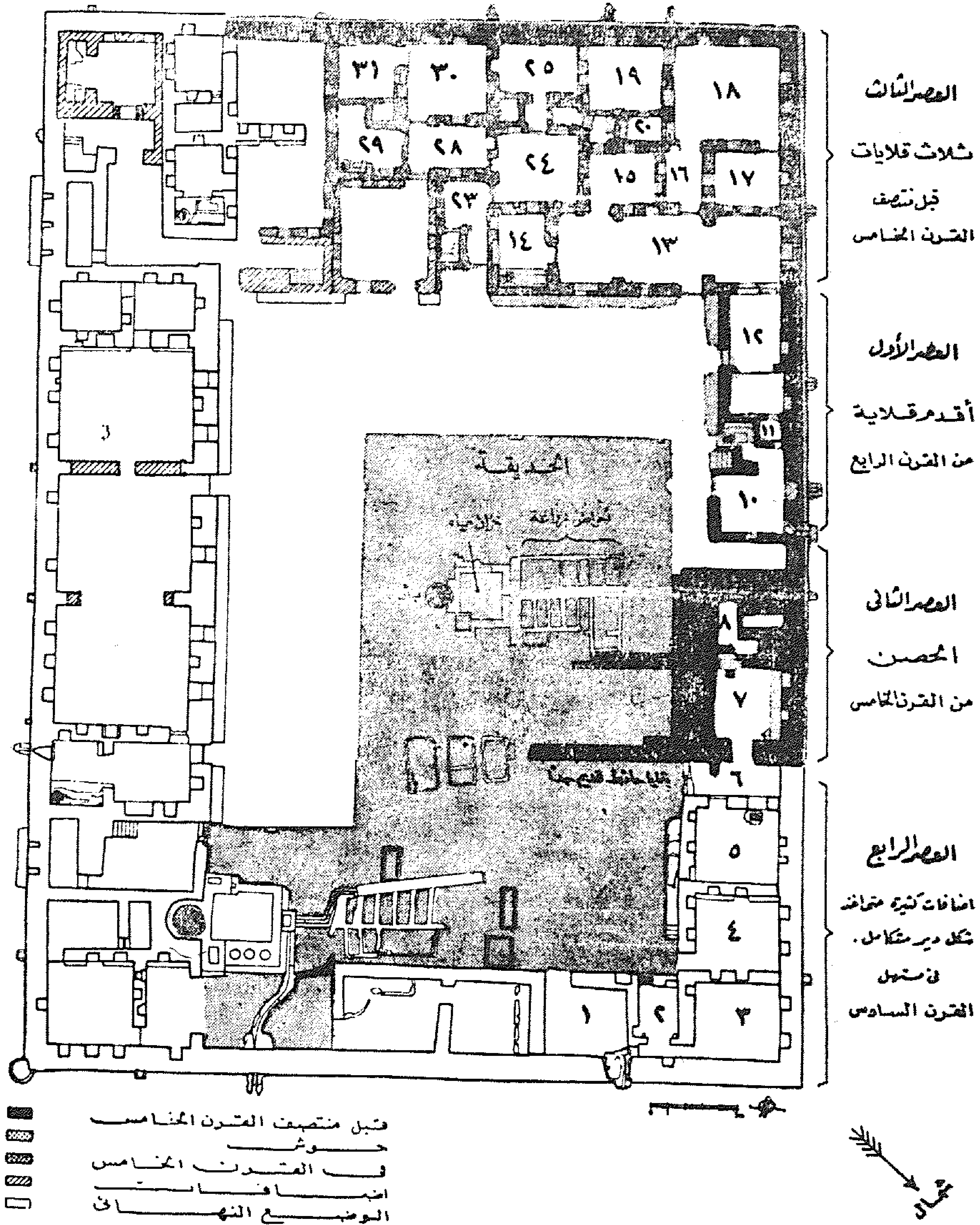
ثالثاً — العصر الثالث

وفي عصور لاحقة تم إضافة ثلاث قلالي في الجهة الغربية، ومن نظامها الهندسي يتضح أنها كانت لثلاثة متوحدين لأن كل قلاية بها مطبخها ومخزنها الخاص، ثم أضيف إلى هذه المجموعة بعض صالات للإستقبال والصلاة. ولكن كل قلاية من هذه القلالي الثلاثة زيد عدد غرفها شيئاً فشيئاً حتى صارت: القلاية الأولى تشمل سبع غرف من رقم ١٣ — ٢٠، والقلاية الثانية تشمل أربع غرف من رقم ٢٣ — ٢٦، والقلاية الثالثة تشمل خمس غرف من رقم ٢٨ — ٣٢.

رابعاً — العصر الرابع

اتسع المسكن وهُدمت بعض مبانيه القبلية وصارت حوشاً متسعاً، وفي جزء منه بُنيت قلاية كبيرة ١٠ متراً × ٥ متراً ربما للإجتماع العام أو الصلاة.
أما التحديد الزمني للمبنى عند هذه المرحلة، فقد كشف عنه بتدبير العناية الإلهية حتى يتكلل

رسم هندسي يبين احدى الأديرة الصغيرة بمنطقة القلالى القديمة
فى أطواره المختلفة عبر القرون ، الذى أتم الكشف عنه مسيو دوما ومسيو جيومون سنة ١٩٦٤ م
وهو واحد من ستمائة دير مماثل تقريباً



عمل هؤلاء العلماء الأفاضل المخلصين، إذ وجدوا محفوراً على جدار الغرفة رقم ٢٣ القبلي كتابة تقول: [تذكار الشهيد أبا ذيوسقوروس رئيس الأساقفة الذي رقد في السادس من توت آمين]. والخط يدل أنه بيد أب راهب كتبه بإلحاح الظرف لما وافتهم الأنباء بنياحة هذا البطل الأرثوذكسي والمجاهد الشهيد، الذي تنيح فعلاً في السادس من شهر توت سنة ٤٥٤ م. وفعلاً يقول عنه تاريخ البطاركة أنه نال «**إكليل الإستشهاد**»، لذلك يُعتقد أن تسجيل هذه الحادثة بهذه الصورة وبدون ذكر السنة يفيد أنها نُقشت يوم سماع الخبر. وهكذا اتضح لهؤلاء العلماء أن الدير بوضعه الصغير بعد أن أضيفت إليه القلالي الثلاث الغربية، كان قد بُني قبيل منتصف القرن الخامس بقليل.

خامساً ـــ العصر الخامس والأخير

حيث اكتملت مباني الدير واتسعت أحواشه وأضيفت إليه قلالي جديدة وصالات للصلاة والأكل العام والإستقبال وأبراج حصينة، وبني حوله سور ضخم يضم جميع المباني، وحُفرت بئر جديدة في الناحية الشرقية، وأقيمت أحواض كثيرة للزراعة وأحواض لتخزين الماء. فظهرت معالم الحديقة وبدا الدير كمنشوبية تَسَع عشرة رهبان. ويُظن أن هذه العمارة الأخيرة تمت في عصر أنبا بنيامين البطريرك ٣٨، كما جاء في كتاب تاريخ البطاركة عندما جاء أنبا بنيامين إلى المونا (منطقة القلالي) في هروبه من وجه قورش البطريرك الملكي المرسَل من القسطنطينية: [ولكن لم يجد فيها إلا رهباناً قليلين، لأن ذلك كان بعد وقت قصير من الخراب الذي حل في أيام البطريرك أنبا داميان عند هجوم البربر المستمر، الذي لم يدعْ الرهبان يعودون بكثرة إلى هذا المكان]، [ولكن بصلوات أنبا بنيامين بُدىء في بناء أديرة وادي هبيب والمونا من جديد](١١).

غروب شمس النهضة الروحية من إقليم (القلالي) المونا:

وقد عثرت البعثة على كتابات عربية على الحوائط بخط يُقرأ بغاية الصعوبة، وهي عبارات إسلامية مع محاولات لتشويه الصور الموجودة، وتفيد دخول العرب هذه القلالي وتخريبها والسكنى فيها فترة. أما آخر التسجيلات الزمنية التي عثرت عليها البعثة والتي تفيد وجود آخر نبضات حياة رهبانية قائمة في ذلك المكان، فهو تاريخ نياحة أحد الآباء وُجد محفوراً في إحدى الطاقات التي كان يسجّل فيها هذه التذكارات، وهو تذكار نياحة [الأخ السعيد المطوب مينا بن خائيل الذي من مدينة **الأميرية**(١٢) وكان هذا الأخ إنساناً بحق وقد أكمل وحفظ وصايا آبائنا القديسين

(11) Evetts, Hist. of Patr., p. 490.

(١٢) هذه المدينة كانت واقعة بين دمنهور ونتريا وكانت تنطق ديميريا فحصل خلط عند العلماء بينها وبين مدينة دميره التي بقرب =

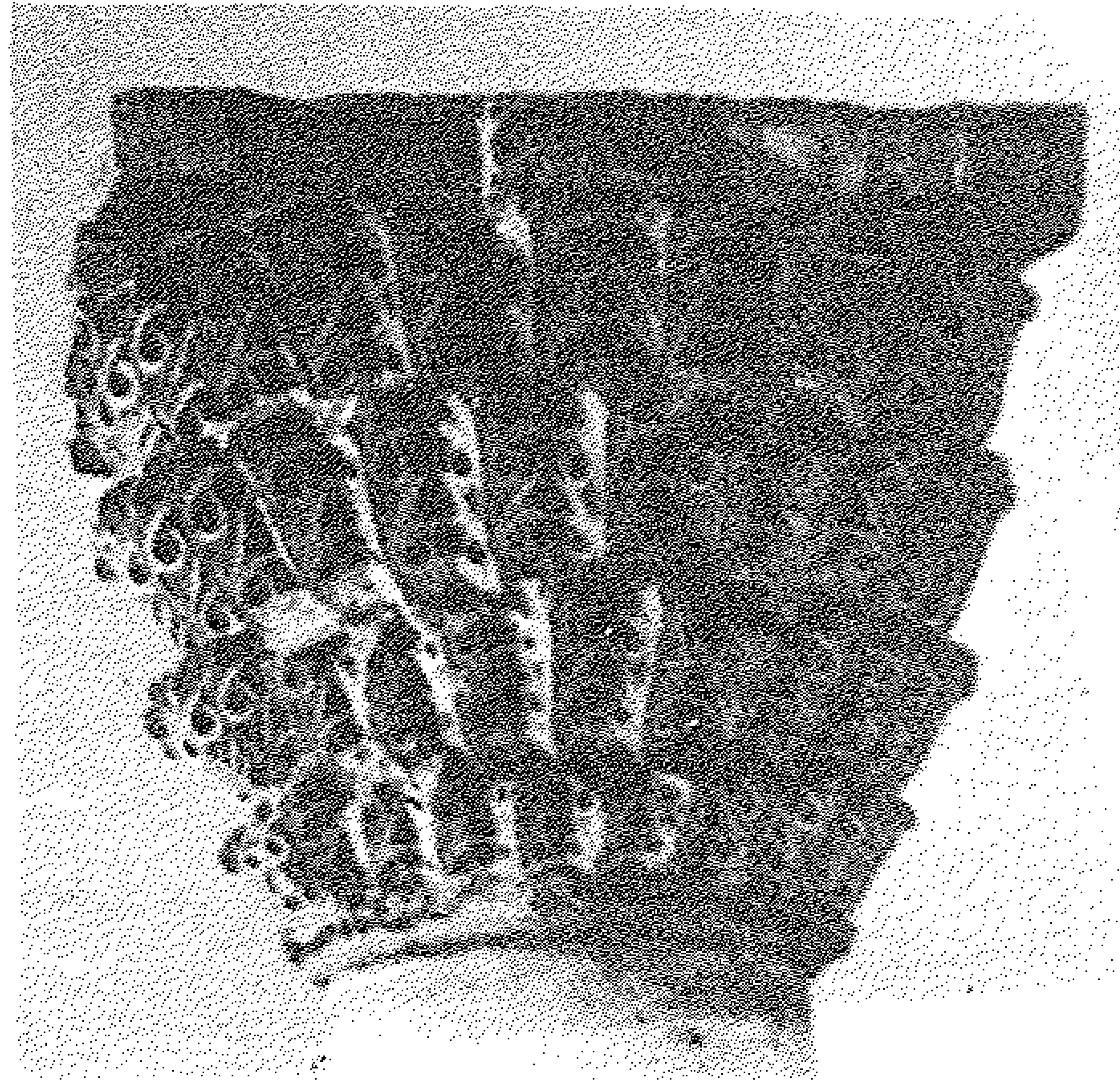
ورقد في الساعة الثانية عشرة من ليلة الخامس من أمشير سنة ٤٤٥ لدقلديانوس (٧٢٩م.). أذكروه ياإخوة ليعطي المسيح راحة لروحه، آمين آمين مع كل قديسيه، واذكروني أنا أيضاً الخاطىء الضعيف الذي كتبتُ هذا حتى يقبل المسيح توبتي و يصفح عن خطاياي آمين آمين آمين].

+ + +

هذه هي منطقة القلالي (المونا) التي طالما رحل إليها القديس أنبا مقار ليزور الإخوة هناك و يصلي معهم، والتي طالما انحدر منها الآباء إلى القديس أنبا مقار في شيهيت ليسلموا عليه و يتعلموا على يديه و يتباركوا بدعائه وصلواته.

(انتهى البحث)

وراجع اللوحات الخاصة به في ملزمة اللوحات في آخر الكتاب



تاج لأحد الأعمدة يبدو زخارفه مثل عش النحل يرجع إلى القرن السادس
[واردة من القاعة B في دير باويط ومعروضة بمتحف اللوفر بباريس]

= سخا، لذلك لزم التنبيه، وقد جاء ذكر اسم هذه المدينة بوضوح في كتاب تاريخ البطاركة في قصة زيارة أنبا خريستوذولو لدير أنبا مقار:

[وفي هذه الأيام قام البطريرك إلى مدينة دمنهور، وفي اليوم التالي توجه إلى مدينة ديمرو Dimru ومنها اتجه صوب وادي النطرون حتى وصل دير أنبا مقار...].

الحياة الرهبانية في شيهيت

الحياة الرهبانية في شيهيت ــ أي في برية وادي النطرون ــ في كل من مجامعها الأربعة: (البراموس شمالاً وأبو مقار جنوباً و بيشوي شرقاً و يوحنا القصير غرباً)، والتي ظهرت للوجود واكتملت في حياة أنبا مقار الذي عاش حتى رآها في أوج نضوجها، بدأت كلها مباشرة بحياة الوحدة، فلم تظهر فيها الحياة الجمعية المشتركة داخل الأسوار إلا بعد القرن التاسع، باستثناء دير أنبا مقار جنوباً الذي لم تظهر فيه حياة الشركة داخل الأسوار إلا في القرن الرابع عشر بعد كارثة الطاعون التي قضت على أعداده الهائلة دفعة واحدة.

ومتوحدو شيهيت كانوا ذوي صيت عال في كل العصور وفي كل أنحاء العالم وخصوصاً في العصور الأولى الناهضة، وقد بلغت أخبار نسكهم وفضيلتهم ومعرفتهم إلى أسماع القديس أثناسيوس الرسولي فامتدحهم وكان يرسل خطابات يسأل عنهم بأسمائهم: [وكان يسألني عن المتوحدين القديسين الذين في شيهيت](١٣).

وتميزت شيهيت في كل عصورها الناهضة روحياً بوجود أب واحد ورئيس مدبر على جميع متوحديها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وكان هو المسئول عن الجماعة كلها أمام الكنيسة والبطريرك. وقد بدأ هذا التقليد الروحي بالأب القديس أنبا مقار، ثم سلمه هو بنفسه وفي أثناء حياته لإبنه إسيذوروس ثم إلى بافنوتيوس. و يُعتبر أب شيهيت بالنسبة للحياة الرهبانية فيها على مدى عصورها روحها وقلبها النابض، فهو الذي يضم شمل الصفوف، و يعزي صغيري القلوب، و يشجع السائرين على الطريق، و يوقظ النائمين والمتوانين، و يؤدب الخارجين على التدبير، و يقطع ويحرم الفاسدين والمفسدين، ويختبر المبتدئين، و يقبل الجدد في شركة القديسين، يقنّن و ينظم الخدمة في الكنيسة والقلاية، و يدبر حياة الأفراد والجماعة، و يرعى النفوس؛ وأخيراً يسلم الأمانة إلى من يخلفه.

أب شيهيت: ⲫⲓⲱⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ϣⲓϩⲏⲧ

كان هذا هو اللقب الذي أُعطي لأنبا مقار في أواخر أيامه، كما جاء في المخطوطات؛ ولكن في بداية الحياة في شيهيت لم يكن هناك نزوع إلى ألقاب أو قوانين، لأن هيبة القديس أنبا مقار وحكمته كانت بمثابة تنظيم كامل وقوانين وكل شيء. غير أنه في نهاية حياته بدأ يسلم المسئولية إلى

(13) Letter to Theoph., Acta SS., May 111.

قس الكنيسة: أولاً إسيذوروس ثم بافنوتيوس. ولكن بنياحة القديس أنبا مقار أمست شيهيت في حاجة إلى التنظيم، وكان أول لقب أُعطي لرئيس شيهيت هو قص شيهيت ⲏⲅⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ.
وكان لقب الأب يكتب باليونانية ὁ πατὴρ τῆς Σκήτεως ، أما بالقبطية فكان يكتب ⲫⲓⲱⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ϣⲓϩⲏⲧ

ولكن قليلاً قليلاً بدأت كل جماعة رهبانية يكون لها قس مدبر، فبدأ اللقب يأخذ صفة الجمع (πατέρας)(١٤) و(ἡγούμενοι)(١٥).
ولكن لم يكن يُطلق هذا اللقب على الأب المدبر جزافاً، بل كان يعتمد أصلاً — كما هو الحال مع القديس أنبا مقار — على ثلاثة عوامل أساسية لا غنى عنها:
الأول: أن يكون أباً حقيقياً قادراً أن يبني النفوس، قبل أن يتبناها، بمواهبه الروحية وليست الشخصية.
والثاني: أن يكون كاهناً له سر الروح القدس، يعطيه و يزكيه مع الحِلّ والربط.
والثالث: أن يكون قد تسلم الروح الرهبانية عن أب مدبر، ضماناً لتسلسل التقليد الرهباني بروحه الأولى الأصيلة.

ومهام الأب كما نراها في حياة القديس أنبا مقار تشمل نواحي متعددة:
أولاً: فهو وحده الذي يوافق على دخول شخص جديد في الشركة، كما في حالة مكسيموس ودوماديوس(١٦).
ثانياً: وهو وحده الذي يحاكم و يقطع بالكلمة على المخالف مهما كانت شخصية هذا المخالف، كما في حالة مقاريوس الإسكندراني، إذ نعلم كيف أوقع عليه أنبا مقار الكبير عقوبة الحرم بسبب جوره في الحكم على راهب(١٧).
ثالثاً: وهو وحده الذي يوبخ المتوانين والكسالى والمنحلين، كما في حالة الأخ ثيئوبمتس(١٨)؛ وكما في انتهاره للرهبان الذين يتباطأون في خروجهم من الكنيسة و يقفون على بابها يتسامرون(١٩).
رابعاً: وهو وحده الذي يضع القوانين والأنظمة و يأمر بالأصوام على كل الجماعة حسب الظروف، كما في حالة الأسبوع الذي فرضه على البرية كلها، وخالفه أنبا موسى الأسود لما أتاه

---

(14) Rufinus, H.E., II, 4, & Socrates, H.E., IV, 24.
(15) Theodoret, H.E., IV, 18.
(16) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.
(17) Apoph. Patr., Macar., XXI.
(18) Apoph. Patr., Macar., III.
(19) Apoph. Patr., Macar., XVI.

ضيوف (٢٠).

وقد استلم بافنوتيوس الرئاسة والأبوة من أنبا مقار وصار أب المواضع كلها أي أب الأربعة أديرة و يكتب لقبه هكذا: ⲧ̀ⲙⲉⲧⲓⲱⲧ ϧⲉⲛ ⲛⲓⲧⲟⲡⲟⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ (٢١)

ومن بعد بافنوتيوس استلم الرئاسة والكهنوت أنبا يوحنا القصير، وكان لقبه قمص شيهيت (٢٢) ⲡⲓϩⲏⲅⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ϣⲓϩⲏⲧ ، حيث ظل هذا اللقب الوظيفي «قمص شيهيت» متوارثاً ومتداوَلاً حتى القرنين السادس والسابع أيضاً ، حيث ظل هو بنفسه اللقب الذي كان يحمله دانيال قمص شيهيت (٢٣).

وكان من واجبات أب شيهيت أو قمص شيهيت أن يزور البطريرك في الإسكندرية مرة في السنة وذلك في عيد القيامة ، وهذا التقليد يعود إلى القرن الرابع ؛ ونسمع عن مثل هذه الزيارة في حياة إسيذوروس القس وله في ذلك قول مأثور: «إني لم أرَ في الإسكندرية إلا البطريرك» (٢٤).

و بنهاية القرن الرابع و بالتحديد سنة ٣٩٩م. تحددت الأربعة مجامع ، واستقل كل منها حول كنيسة وحول أب ؛ كما يخبرنا كاسيان وذلك عند ذكره لموضوع خطاب ثاوفيلس الفصحي سنة ٣٩٩م. الذي تعرض فيه لموضوع بدعة «شكل الله الإنساني» حيث كان كاسيان موجوداً بدير «البراموس» في تلك السنة ، وذكر الأربعة مجامع بأربعة كنائسها وأربعة رؤسائها القسوس حيث كان بافنوتيوس قس منطقة شيهيت السفلى (البراموس الآن): [وقد رفض هذا الخطاب كل متوحدي شيهيت الذين كانوا متفوقين في الكمال والمعرفة على كافة أديرة مصر كلها عدا الأب بافنوتيوس قس جماعتنا (كاسيان يتكلم بصيغة الجمع باعتباره كان حاضراً). ولم يشاركه في ذلك القسوس الآخرون الذين كانوا يترأسون على الكنائس الثلاث الأخرى في نفس البرية (شيهيت) الذين رفضوا حتى قراءته] (٢٥).

وهكذا يتضح لنا قوة مركز كل قس على جماعته الرهبانية باعتباره حارساً للإيمان والعقيدة والمسئول الأول والوحيد عن صحة وسلامة كل ما يُقرأ أو يعلَّم في الكنيسة ، حتى ولو كان خطاب البطريرك نفسه!!

---

(20) Apoph. Patr., Moses, V.
(21) Serapion, Life of Macar.
(22) A.M.G., XXV, p. 150.
(23) Daniel: Coptic life by Clugnet p. 83.
(24) Apoph. Patr., Isidore, VIII.
(25) Cassian Collec., X, 2f.

وتتعدى هذه المسئولية الأمور الروحية لتشمل كل الأمور المادية والجسدية أيضاً، إذ نسمع عن إسيذوروس القس أنه تولى بنفسه تمريض أنبا موسى الأسود عندما ضربه الشيطان في ظهره وهو يملأ الجرار من البئر وظل مريضاً في الكنيسة نحو سنة كاملة(٢٦). كذلك نسمع عن أرسانيوس في مرضه كيف [حمله قس الكنيسة ووضعه في الكنيسة على وسادة وكان يمرِّضه بنفسه](٢٧).

ولكن ربما في كافة ما سردناه عن سلطان القس لا يتضح لنا قوة هذا السلطان كما يتضح في ما أورده كاسيان عن قصة الراهب الذي ادعى زوراً سرقة مخطوطته التي تحوي الأسفار المقدسة من قلايته، وكان ذلك يوم الأحد، مما حدا بالقس إسيذوروس أن يُبقي جميع الآباء في الكنيسة ويرسل ثلاثة شيوخ ليفتشوا قلالي الإخوة(٢٨)!!

جماعة الإكليروس:

لم يكن قس الكنيسة في كل جماعة هو الكاهن الوحيد، بل كان يعاونه قس آخر، وربما أكثر، وبعض الشمامسة. وكانوا يطلقون عليهم «جماعة الإكليروس»(٢٩)، وقد ورد هذا الإصطلاح في قصة موسى الأسود لما كسر وصية الصوم «فبلغ الخبر إلى جماعة الإكليروس τοῖς κληρικοῖς »(٣٠)، وكانوا مسئولين عن أنظمة الكنيسة وصلواتها وترتيب اجتماعاتها وخدماتها. وكان القس الرئيس هو الذي يقدم الرهبان للكهنوت؛ فنسمع عن القس بافنوتيوس كيف قدم الأب دانيال(٣١) لينال الكهنوت، ونسمع عن القس إسيذوروس كيف قدَّم الأب موسى الأسود(٣٢) لينال الكهنوت وذلك أثناء زيارات ثاوفيلس البطريرك التي كان يقوم بها من حين لآخر.

المتوحدون الكاملون والحبساء:

وقد تميزت برية شيهيت بوجود متوحدين أتقنوا الوحدة إلى أقصى حدودها، فكان منهم من يقضي حياته كلها بعيداً لا يُرى إلا نادراً، ومنهم من ظل حبيساً في مغارته لا يرى أحداً على وجه الإطلاق. وقد برع في ذلك المضمار كثير من الآباء المعروفين العظام مثل مقاريوس وأرسانيوس وأموناس، ويحكي أرسانيوس عن «بعض المتوحدين الذين لا يتقابلون مع أحد على

(٢٦) أنظر صفحة ٢٦٤.

(27) Apoph. Patr., Arsen., XXXVI.
(28) Cassian Collec., XVIII, 15, 4.
(29) Apoph. Patr., Moses, V. Arsen., XXXVIII.
(30) Apoph. Patr., Moses, V.
(31) Cassian Coll., IV, 1.
(32) Apoph. Patr., Moses, IV.

الإطلاق»(٣٣). ونقرأ عن بطليموس الذي كان يعيش في المنطقة القفرة المدعوة كليماكوس سنين طويلة لا يُرى على الإطلاق إلا نادراً تحت اضطرار التناول من الأسرار المقدسة(٣٤).

وقد تمادى متوحدو شيهيت في اختيار المغاير البعيدة، حتى أن بُعدها وصل أحياناً إلى ٣٠ ميلاً عن الكنيسة. وفي المتوسط كانت خمسة أميال مثلاً كما في حالة بافنوتيوس أب الجماعة(٣٥). أما شيرامون(٣٦) فكانت مغارته على بعد ١٢ ميلاً من الكنيسة.

التلمذة في شيهيت:

بدأت التلمذة في شيهيت على نظام الأب والأبناء. فكل أب متوحد اشتهر فضله وذاع صيت قداسته قصده في الحال جماعة التلاميذ الذين كان يزيد عددهم بقدر استطاعة الأب على استيعاب البنين، ولكن كان كل أب يحتفظ بواحد أو إثنين من تلاميذه ليكونوا من الأخصاء الذين يرافقونه مدى الحياة، كما رأينا في حياة أنبا أموي وتلميذه يوحنا القصير، وأنبا مقار يوس الكبير وتلميذيه بافنوتيوس و يوحنا.

ونجاح التلاميذ كان إحدى المميزات الهامة لنجاح الأبوة وصلاحها. فرقص الأمين المطيع تلميذ سلوانس كان بحد ذاته صفة من صفات سلوانس نفسه. وقد ترك لنا سلوانس اثني عشر تلميذاً(٣٧)، كما ترك لنا موسى الأسود سبعين(٣٨)، واسحق تلميذ مقار يوس كان أباً لمائة وخمسين(٣٩)، وأنبا بلو كان على خمسمائة أخ، وأنبا أُور رأسَ على ألف، وأنبا إسيذوروس رأسَ على ألف أيضاً. أما خارج شيهيت فنسمع أن أنبا سيرابيون الفيومي كان على عشرة آلاف، وأسقف البهنسا كان على عشرة آلاف أخ وعشرين ألف أخت(٤٠).

وفي حالة كثرة عدد التلاميذ كان الأب يضطر إلى تعيين آباء من تحته لإرشاد الإخوة، يكونون خاضعين له، كما أشار بافنوتيوس على يونس القصير أن يرشد أرسانيوس و يدبره عندما حضر إلى الإسقيط(٤١).

و بسبب كثرة التلاميذ ضعف الإرشاد في شيهيت فنشأ جيل ضعيف، ولكن كان التلاميذ

---

(33) Apoph. Patr., Arsen., XLIV.
(34) Pallad., Hist. Laus., ch. XXVII, p. 38.
(35) Cassian Coll., III, I.
(36) Apoph. Patr., Chaeremon.
(37) Apoph. Patr., Marc 1.
(38) Pallad., L.H., ch. XIX.
(39) Ev. White, II, p. 141.
(٤٠) تفسير البراديسوس، مخطوط بدير أنبا مقار رقم ٩ س، ص٦٧.
(41) Theodore of the Studium, (Life of Arsenius, ch. 6).

الأكثر طاعة ومحبة للأب هم دائماً المقرَّبون والمستفيدون، فكانت الطاعة إحدى وسائل التصفية التي استخدمها الآباء؛ كما رأينا في قصة سلوانس ومرقس ابنه الذي كان يحبه أكثر من بقية أولاده الأحد عشر الباقين بسبب طاعته الكاملة.

أما أصول العلاقة الروحية التي ينبغي أن يكون عليها التلاميذ فشرحها إسيذوروس قس شيهيت هكذا: [كل الذين يريدون أن يعيشوا تلاميذ، عليهم أن يحبوا معلميهم المخلصين كآباء ويهابونهم كما يُهاب الحاكم](٤٢).

ويصف هذه العلاقة الأب اسحق الشيهيتي هكذا: [إن التلاميذ الذين يبدأون حياتهم بداية حسنة في خضوع آبائهم الروحيين، ينالون صبغة ثابتة كالصبغة الحمراء التي لا يمكن محوها](٤٣).

وقد لجأ معظم الآباء إلى طرق القمع النفساني اللاذع لكشف كبرياء المبتدئين وعلاجهم، كما نقرأ في حالة أرسانيوس كيف تركه أبوه يوحنا القصير واقفاً والآباء يأكلون ثم بعد مدة ألقى له يوحنا كسرة خبز على الأرض بعيداً(٤٤)!

ويوحنا القصير نفسه يشهد أنه لم يسمع من معلمه كلمة تشجيع واحدة أو تعزية طول مدة حياته، بالرغم من الآلام المرة التي عاناها في تمريض معلمه أنبا أموي وهو شيخ مريض غير كلمة واحدة في نهاية حياته قالها له أبوه في محضر الشيوخ وهو يلفظ نفسه الأخير: «تخلَّص، تخلَّص، هذا ملاك وليس إنساناً!!». وعلى طول سيرة حياته نسمع أن أباه لم يكن يسمح له على الإطلاق أن يمشي بجواره وكان يطرده من القلاية أوقاتاً كثيرة ليجلس على الباب خارجاً، ومرة من المرات أمره أن يغادر القلاية نهائياً، فلما وجده خارج الباب ضربه بالعصى، فلما رأى صبره واحتماله وأمانته له قبَّل رأسه وقال له: «منذ الآن تكون معلمي وأنا أكون تلميذك!!»(٤٥).

وحتى أنبا أنطونيوس الكبير قفل الباب في وجه مقاريوس عند زيارته له ليختبر احتماله واتضاعه(٤٦). وهكذا شرب القديس مقاريوس روح التعليم وتهذيب النفوس المتعالية، فكل نفس تحتمل اختبار عنف توجيه الأب تلبس في الحال إكليل الإتضاع. فقد رأى أنبا أموي، بعد أن ضرب تلميذه يوحنا القصير بالعصى وطرده خارج القلاية لمدة أسبوع، سبعة أكاليل مضيئة تحملها أيدي سبعة ملائكة فوق رأس يوحنا، لهذا نطق أموي أخيراً: «هذا ملاك وليس إنساناً!!»(٤٥).

(42) Isidore Presbyter, V Ap. Patr.

(43) Apoph. Patr., Isaïas, II.

(44) Theod. of Studium, Life of Arsen.

(45) Apoph. Patr., Ammoï & A.M.G., XXV, pp. 334f.

(46) Apoph. Patr., Macar. of Egypt., IV.

كما كانت الطاعة للأب مقياساً مبكراً لا يخيب لمقدار نجاح التلميذ في مستقبل حياته . وقصة يوحنا القصير وشجرة الطاعة التي أثمرت من العدم في وسط الصحراء القاحلة رمز لا يتزعزع لمفهوم الطاعة المثمرة . والأوميجا الناقصة التي تركها قلم مرقص على صفحة الكتاب تشير إشارة لا تخيب إلى مقدار الطاعة والتكريم الذي كان يملأ قلب ذلك التلميذ .

ومن الأمور المميزة لرهبنة شيهيت أن هذه الأعداد الهائلة من الرهبان لم يكن يجمعها نظام واحد ولا تقليد معين ولا كتاب ولا قانون إلا روح الأب نفسه وطاعة التلاميذ !! فلم يكن في شيهيت كلها حياة مشتركة على مدى العصور حتى القرن التاسع (والرابع عشر في دير أنبا مقار) فكل أب يعيش بمفرده وكل تلميذ يعيش بمفرده ، وكأنما تجمعهما الوحدة والإنفراد لو جاز التعبير .

الإحتياجات المادية وعمل اليدين :

ومن أقوى الروابط التي كانت تربط كل جماعة من التلاميذ معاً : « المنشوبية » التي ينتمون إليها ، وهي عبارة عن البناء الذي يشبه الدير الصغير حيث كانت تُخزن مؤنهم وكل احتياجاتهم المادية وعمل أيديهم ، لأن حياتهم كان معظمها يُقضى في الإنفراد في المغائر خارج المنشوبية ولا يجتمعون إلا للصلاة معاً أو لتوزيع احتياجاتهم المادية المشتركة .

ونحن نسمع في سيرة حياة أنبا أموي أنه ترك لتلاميذه خمسين أردباً من الحبوب (٤٧) .

ومن أعظم الدعائم التي كانت تحفظ حياة التلاميذ وتقوّمها بشدة و باستمرار وتجنّبهم الطياشة والقلق والكآبة والضجر ومحبة الفسحة والإتساع ، هو شغل اليدين الذي كان ضرورة حتمية لا غنى عنها . فكل راهب كان يعمل بيديه المقاطف والحصر وحبال الليف وشغل الصوف أو الكتان طول اليوم بدون ملل ، لأن عمل اليدين كانت تحتمه الحياة اليومية ، إذ لا مورد آخر كان يصرَّح للراهب المبتدىء أن يستخدمه لشراء لوازم معيشته ؛ ومع شغل اليدين كان الهذيذ طوال اليوم بالمزامير بدون تحديد أوقات أو مواعيد أو أعداد ، مع تلاوة فصول بأكملها من الإنجيل والتوراة بالتبادل .

ومعروف أن علامة التلميذ الناجح هو قدرته على الهذيذ الدائم أثناء عمل اليدين مع ارتفاع قيمة الهذيذ والصلاة أثناء الشغل اليدوي أكثر من قيمة العمل ذاته ، وهذا نسمعه بوضوح من فم ثيئوذور البرامي مبكِّتاً الإخوة المنحلين في شيهيت في أواخر أيامه : [عندما كنت في شيهيت كان عمل النفس هو عملنا ، أما شغل اليدين فكان محسوباً أنه مُضاف لعمل النفس παρέργον ، ولكن الآن أصبح عمل النفس هو المضاف وأما شغل اليدين فهو المهم] (٤٨) .

(47) Apoph. Patr., Ammoï, V.

(48) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, X.

وكانت الموارد الطبيعية المحلية في شيهيت تسد احتياجاتهم، هذا نسمعه من قول الإخوة ليوحنا القصير: [نشكر الله ياأبانا أنها أمطرت كثيراً هذه السنة، وقد ارتوى النخيل وأخرج خوصاً كثيراً، فسوف يجد الإخوة ما يكفي عمل أيديهم] (٤٩).

أما وسيلة بيع المقاطف وبقية الأعمال اليدوية فكان لها وسائل متعددة، إما بالمبادلة بالخبز والملح وذلك يتم مع خفراء النطرون، وهذا نعلمه من بدء سيرة مقاريوس (٥٠)، ومن وصية مقاريوس لمكسيموس ودوماديوس (٥١)؛ أو بالنزول على القدمين إلى الريف في رحلة تستغرق يوماً بليلة ليبيعوا إنتاجهم في سوق ترنوط (٥٢)، أو بتأجير جمل يحمل المقاطف ويسير وراءه الراهب أو جماعة الرهبان حتى الريف، وهذا نسمعه في حياة يوحنا القصير لما غضب الجمَّال في الطريق فتركه يوحنا وترك مقاطفه وعاد إلى قلايته (٥٣)، أو بتسليم شغل اليد أسبوعياً لصاحب الذياكونية في الكنيسة الذي يقوم ببيعه وتسليم الراهب حاجته الأسبوعية كما سيأتي في خدمة صاحب الذياكونية.

النزول إلى الحصاد:

وكان هذا يُعتبر عملاً ثانوياً بالنسبة لشغل الخوص، ولكن كان يُقبِل عليه الرهبان بسبب تمكنهم في مدة يسيرة من الحصول على تموين السنة كلها من القمح وبقية الحبوب والبصل وخلافه، وخصوصاً أنها تكون من المحصول الجديد. وأول ما نسمع عن النزول للحصاد كان في سيرة القديس مقاريوس، فيروي الأب شيشوي عن كيفية نزولهم للحصاد، وكان عددهم سبعة مع القديس أنبا مقار (٥٤).

والحصاد يُقصد به حصاد القمح والشعير والفول والبصل، إذ كلها لها موسم واحد يبدأ من بعد عيد القيامة مباشرة. فكان يقضي الرهبان مدة الخمسين في الريف يعودون بعدها محملين من خيرات الأرض التي طالما صلوا من أجلها طول العام. وكان الآباء معتادين أن يحضروا معهم تموين الزيت أيضاً للسنة كلها، وهو إما زيت حار (زيت بذر الكتان) أو زيت زيتون (زيت طيب) في أقساط من الزجاج.

النساخة:

وكانت تُعمل ضمن أشغال اليد التي يتخصص لها بعض الرهبان ذوي الخطوط المليحة

(49) Apoph. Patr., John Colobos.
(50) A.M.G., XXV Macar., pp. 76f.
(51) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.
(52) Apoph. Patr., Macar., XIII, XIV.
(53) Apoph. Patr., John Colobos, VI, XXXV.
(54) Ibid., Macar., VII.

والمعرفة اللغوية، وكان يخاف منها بعض الرهبان بسبب أنها كانت تهيىء النفس الضعيفة للكبرياء باعتبارها أصبحت عالمة(٥٥)، فكانت تُمنح غالباً لذوي النفوس الطيبة المطيعة؛ كما نسمع عن مرقص تلميذ سلوانس لأنه كان ناسخاً καλλιγράφος . وكانت النساخة خطرة بالنسبة للتأمل والهذيذ الحر، لأن مجرد شرود الذهن كفيل أن يجعل الناسخ يخطىء، كما نقرأ في القصة التي أوردها ابراهيم عن أحد النساخ كيف اكتشف صاحب المخطوطة عند استلامها منه أن عدة صفحات كانت قد أُغفلت، فلما تذمر صاحب الكتاب تألم الناسخ وقال له: «اذهب اعمل بالذي نسخته لك، ولما تتقن عمله تعال وأنا أنسخ لك الباقي» (٥٦).

التأليف:

كثير من الآباء اتخذوا التأليف مادة عمل أو شغل بحد ذاته، والمعروف عن القديس أنبا مقار أنه ألّف كتباً وكَتَب مقالات عن الفضائل، وذلك كعمل من أعمال الوحدة والتأمل(٥٧)، كما كتب إسيذوروس الفرمي ما ينوف عن ألفي رسالة لكافة فئات الناس كلها وعظية وتعليمية. كذلك وصل إلى أيدينا مقالات للأب إشعياء الإسقيطي يفوق عددها ثلاثين مقالة، وكتب أيضاً عن النسك وحياة التوحد(٥٨).

أعمال البستان:

كانت في شيهيت قاصرة على المنشوبيات، فكل منشوبية يتاخمها حديقة خضروات تكفي لعدد الرهبان المنتمين للمنشوبية، ولم تنتشر أعمال الفلاحة بين الرهبان بالصورة التي كانت عليها أعمال الخوص وشغل اليد؛ لأن الفلاحة كما اتفق الآباء لا تتناسب مع التأمل وهدوء الفكر، وقد استعلن لأحد الآباء الشيطان وهو رابض للرهبان على يد فأس يحسِّن لهم صنعتها(٥٩). وقد روى الأب مرقص لأرسانيوس عن أب غواه الشيطان ليزرع خضروات كثيرة فوق حاجته، فما كان منه إلا أن قلع كل ما زرعه ورماه(٦٠).

وقد اتفق يوماً تلاميذ سلوانس وهم في سيناء على هدم سور الحديقة وتوسيعها رغبة في الإتساع، فما كان من سلوانس إلا أن هددهم بترك سيناء كلها إذا لم يعيدوا السور على ما كان عليه؛ لأنه كان يرى في عملهم خروجاً عن حدود النسك وانزلاقاً نحو الطمع في الدنيا والإتساع فيها(٦١).

---

(55) Ev. Wh., II, p. 185.
(56) Apoph. Patr., Ibrahim, III.
(57) Greek Text, P.G., XXXIV.
(58) P.G., XL, Col 1105f.
(59) John Moschus, Pratum Sprituale, LV.
(60) Apoph. Patr., Arsenius, XXII.

(٦١) أنظر صفحة ٢٩٣.

ولكي يقرن سلوانس بين الفلاحة في البستان و بين العبادة والهذيذ اضطر، كما هو معروف، أن يعصب عينيه وهو يسقي الشجر.

أما قصة البستاني وزميله وما دار بينهما من حوار لطيف عن معنى البستان الداخلي وسقي الزرع وسقي الدموع، فيكشف لنا عن عزوف العمالين بالروح عن هذه الصناعة حتى ولو كان فيها موت للزرع وإتلاف للثمر الأرضي(٦٢).

صاحب الذياكونية (الإيكونومس=الربيتة) ووظيفته الإجتماعية:

كانت وظيفة الإيكونومس (الأقنوم) أو صاحب الذياكونية أو الرُّبِّيتة، كما نسميه الآن، تختص بالشئون الجسدية. وكانت وظيفته من الوظائف الهامة والكبيرة التي بدأت ببداية الحياة الرهبانية في شيهيت، فكان الأب نفسه أحياناً هو المدبر لشئون أولاده المادية، كما كان في حياة أنبا أموي و يوحنا وإخوته، أو مقار يوس الكبير نفسه في بدء حياته بشيهيت حينما كان يجمع الإخوة و ينزل معهم للحصاد لتدبير شئون احتياجاتهم وخزنها من السنة للسنة. ثم بعد ذلك تعين لها أب متخصص من بين الرهبان الحكماء ليكون مسئولاً عن كل حاجات الإخوة وصحتهم، وكان مركزه دائماً الكنيسة الكبيرة (التي داخل الدير) كما نسمع ذلك في أثناء مرض موسى الأسود وعناية أنبا إسيذوروس به مدة ثلاث سنين داخل الكنيسة (أي داخل الدير).

وكان الإيكونوم (الأقنوم = الربيتة) مسئولاً بالدرجة الأولى عن شغل اليدين للرهبان المتوحدين، يستلمه منهم كل أسبوع و يسجله عنده و يرسله للبيع على قوافل الجمال و يقوم بنفسه بشراء ما يلزم الإخوة من كل الحاجات الجسدية و يوزعها عليهم بما يساوي ثمن عمل يديهم. كما كان مسئولاً عن المرضى يعتني بحاجاتهم ويمرضهم بيديه...

وقد أصبحت وظيفة الإيكونوم على ممر الأيام غير وظيفة الأب الروحي أو الكاهن العام. وهذا الفصل في الإختصاص نراه واضحاً في أواخر حياة بافنوتيوس أب الجماعة في شيهيت حينما سلم الذياكونية (الخدمة العامة) للأب يوحنا، كما يفيدنا كاسيان بوضوح(٦٣)، وكان يوحنا يدعى رئيس الكينونيون(٦٤). وكان نشاط الإيكونوم يبلغ أقصاه يومي السبت والأحد عندما يأتي الإخوة المتوحدون من كافة الأنحاء المحيطة وكل واحد معه شغل يديه مطالباً بحاجات الأسبوع ومعهم أخبار المرضى. وكانت مخازن الدير ــ الداجونية أو الكينو بيون أو الجَوّ (الكلمة السريانية) ــ بجوار الكنيسة، وكان يحتفظ فيها الأقنوم بكل حاجات الإخوة و بالهدايا والعطايا

---

(٦٢) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص٢٨٢.

(63) Cassian Inst., V, 40.

(٦٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص٢٥٥.

التي تصل إلى الدير ليقوم بتوزيعها يومي السبت والأحد، إلا فيما يختص بالفاكهة الطازجة فكان يُنفذها إلى الإخوة بواسطة رسل يقومون بتوزيعها على المغائر.

ونسمع عن أنواع أطعمة كثيرة كانت محفوظة بالمخازن [كالسمك والبيض والفراخ واللحم والتين الجاف والزيتون والمشمش والنبيذ] (٦٥).

المطبخ العام:

كان يتناول جميع الآباء، حتى النساك والمتوحدون، وجبة يوم الأحد المسماة بالأغابي معاً على مائدة واحدة، إذ كان هذا معتبراً طقساً متمماً لسر الإفخارستيا، فمائدة الرب هي مائدة الشكر ومائدة الإخوة هي مائدة المحبة، والشكر والمحبة كانا محسوبين معاً أنهما «سر الشركة».

وكان الطعام الذي يقدَّم يوم الأحد يلزم أن يكون طبيخاً، وهو غالباً عدس أو سليقة خضروات مع بقل وخل (أي سلاطة). وكان الطبيخ يتم طهيه داخل المطبخ العام الذي كان قريباً أيضاً من الكنيسة وملاصقاً للمائدة.

وقد جاء ذكر هذا المطبخ العام في قصة مرقص تلميذ سلوانس لما طالبه معلمه الروحي بأن يقابل أمه التي جاءت لزيارته وكان متضرراً من ذلك، فذهب إلى المطبخ العام وسوَّد وجهه بالهباب حتى لم يعد له منظر على الإطلاق وذهب ليقابل أمه (٦٦). كذلك نسمع عن المطبخ العام في قصة زيارة أنبا شنودة لمجمع دير أنبا مقار عند عودته من مجمع أفسس سنة ٤٣١ م. حيث وجد الإخوة في المطبخ العام يطهون لحم العيد (٦٧).

وكان المطبخ العام تحت إشراف وتدبير صاحب الدياكونية أي «الأقنوم».

المخبز العام:

كان المخبز العام من أهم دعائم الحياة الرهبانية، فكل دير كان له المخبز العام الذي يقوم فيه الإخوة بالخبيز، إما جماعات جماعات وإما كل واحد لنفسه. وكانت عملية التطوع معروفة بين الإخوة، فالذي كان يجيد صناعة الخبز كان من نفسه يقوم بالتطوع للخبيز للإخوة الضعفاء أو المرضى أو غير القادرين على هذا العمل الشاق. فنسمع عن الأب الذي كان يذهب ليخبز خبزه في الصباح فيضطر إلى العودة في المساء لأنه كان يظل هناك يخبز لكل أخ ضعيف.

---

(65) Apoph. Patr., Arsen, XVI; Cassian Inst., V, 40; Achilllas., II; Hist. Monach., L. ch. XXIX.
(66) Apoph. Patr., Marcus, III.
(67) A.M.G., XXV, pp. 149f.

الكنيسة كمكان اجتماعات:

لم يكن في شيهيت أمكنة يجتمع فيها الآباء للمناسبات العامة إلا الكنيسة، فنسمع أن الشيوخ يعقدون فيها اجتماعاتهم في كل الأمور التي تخص الإخوة عامة، ففيها كما نعلم نوقشت أفكار بدعة ملكي صادق(٦٨) (أنه هو المسيح)، وفيها أيضاً عُقدت الإجتماعات الخطيرة بخصوص خطاب ثاوفيلس البطريرك ٢٣ الفصحي الذي فيه دحض بدعة «شكل الله الإنساني».

كما كانت الكنيسة تُستخدم لمبيت المرضى الذين يجيئون من العالم طلباً للشفاء على أيدي الشيوخ، وكان المرضى من الرهبان يُنقلون أيضاً إليها و يقيمون فيها حتى يتم شفاؤهم كما قرأنا في سيرة أنبا موسى الأسود وكما نقرأ في سيرة القديس أرسانيوس.

وقبل أن يقام في شيهيت بناء خاص للمائدة كانت الأغابي تُعمل داخل الكنيسة(٦٩).

أما الضيوف والزائرون من الأجانب والبلاد فكانوا ينزلون في الحصون القديمة التي كانت ولا تزال بسبب ذلك تدعى «القصر القديم».

الرهبان الأجانب:

اكتظت شيهيت دون غيرها من البراري بالرهبان الأجانب من كل قطر وذلك بسبب ارتفاع درجة الروحانية بين الآباء الشيوخ مما جذبت أنظار العالم كله، و يقص علينا سيرابيون كاتب سيرة أنبا مقار: [إنه كان بين رهبان شيهيت رهبان أجانب من رومانيا (بلاد الروم أي اليونان) وأسبانيا وليبيا والمدن الخمس بشمال أفريقيا وكبدوكيا و بيزنطة (القسطنطينية) وإيطاليا ومقدونيا وآسيا وسوريا وفلسطين وغلاطية](٧٠). ونحن نعلم فعلاً أن بورفيري الغزاوي جاء سنة ٣٧٨م. من تسالونيكي(٧١)، وفوثينوس العالم المشهور جاء من كبدوكيا(٧٢) سنة ٣٩٩م.؛ كما نعلم أن مكسيموس ودوماديوس جاءا من اليونان وأرسانيوس جاء من هناك، كذلك ألبانيوس جاء من غلاطيا، وإيڤاجريوس جاء من بُنْطس، هذا بالإضافة إلى إيلاريا (من اليونان)، وكذلك أنستاسيا وأثناسيا أيضاً.

وقد كان مجيء هؤلاء الأجانب وسفرهم أحياناً إلى بلادهم سبباً في ذيوع سيرة الآباء

---

(68) Apoph. Patr., Copres, III.

(69) Cassian. Instit., II. 18; Ev. Wh., II, p. 187, 211.

(70) A.M.G., Life of Macar., XXV, p. 99.

(71) Life of Prophyry by Marc., P.G., LXV, col. 1213.

(٧٢) هذا الأب الفاضل هو الذي كان سبباً في هدوء العاصفة التي اجتاحت شيهيت كلها غضباً على خطاب ثاوفيلس الـ٢٣، فقد أقنع الرهبان برجاحة إيمان ثاوفيلس. Ev. Wh., II, p. 133.

المصريين القديسين في الخارج، حتى صارت شيهيت لها الكرامة والتقدير كأورشليم القدس تماماً.

التوقير الذي كان يقدَّم للرهبان من عظماء العالم!

وبالرغم من أن عظماء قديسي شيهيت كانوا جميعاً من فلاحين ورعاة غنم وجمالين، ومعظمهم كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، إلا أن الإحترام والكرامة والتوقير الذي كان يقدمه إليهم كبار الزائرين، سواء كانوا أجانب أو ولاة أو رؤساء، شيء يفوق الوصف؛ لأنهم كانوا محسوبين في أعين الناس مثل الملائكة، وقد كانوا بالفعل يمارسون «حياة ملائكية» سواء بالنسك أو الصلاة.

وقد كان الآباء أنفسهم يحسون بهذه الحياة وعلو قدرها؛ فيحكى عن أنبا بامو (بموا) أنه بينما كان مرتحلاً مع بعض الآباء قابل أناساً علمانيين جالسين فخاطبهم قائلاً: «قوموا وحيوا الرهبان حتى تتباركوا من أفواههم الطاهرة لأن أفواههم لا تكف عن الحديث مع الله» (٧٣). ويُحكى عن القديس أثناسيوس أنه كان يحترم الآباء الرهبان المتوحدين غاية الإحترام وكان دائم السؤال عنهم طالباً بركاتهم وكان يفتخر أنه خدم الأب أنطونيوس وصب الماء على يديه كتلميذ، وثاوفيلس البطريرك ٢٣ كان كلما أصيب بالضجر وصغر النفس كان يذهب ليستشفي في شيهيت ويتعلم الحكمة من الآباء ولكنه لم يتعلم أبداً. والإمبراطور كونستانتيوس أرسل يدعو أنبا أنطونيوس لزيارة القسطنطينية ويطلب صلواته، وثيئوذوسيوس الأول كان يرسل الخطابات ويستشير الأب يوحنا الأسيوطي.

أما عامة الشعب فكانوا يعتبرون الآباء الرهبان بمثابة أنبياء ورسل، وكانوا يعتقدون بقدرتهم على الشفاء وصنع المعجزات بصورة إيمانية فائقة.

الدخول في الحياة الرهبانية:

كان لا يمكن لأي إنسان أن يُقبَل راهباً ضمن الجماعة أو تُحسب رهبانيته قانونية إلا إذا قدمه أحد الآباء المسئولين رسمياً في المحيط الرهباني والكنسي، إذ لابد أن يُشهد للإنسان أولاً أنه مستحق للبس الرهباني وأن يُزكّى ليُقبل وسط الجماعة.

وكان الإعتقاد السائد أن الأب إذا قدم تلميذاً للرهبنة فهذا معناه أن التلميذ ليس فقط قد أخذ العلم والمعرفة اللازمة للرهبنة بل قد أخذ أيضاً من روح الأب، أو بمعنى آخر أن بركة ونعمة الأب حلت سراً على ذلك التلميذ، فأصبح أهلاً أن يدخل في زمرة الطقس الملائكي. فالرهبنة

(73) Apoph. Patr., Pambo, VII.

بنوع ما كان يُنظر إليها أنها تسليم روحي سري كتسليم الرسل للأساقفة بوضع اليد، ولهذا فأي راهب قديم مشهود له بالتقوى والقداسة كان في استطاعته رسامة رهبان. أما في العصور المتأخرة نوعاً ما، في بداية الحكم العربي، لما اندس في الرهبنة بعض الهاربين من الضرائب فقد التزمت الأديرة بحفظ سجلات للرهبان ليتحقق منها الرؤساء صلاحية المتقدم وصدق نذره. وقد تم هذا حسب طلب الحكومة وذلك في زمن بطريركية ألكسندريوس الثاني في زمن الوالي الأصبغ أيام الخليفة عبد العزيز ٦٨٥ــ٧٠٥م.

ولكن عندما أصبح نظام الرهبنة يحتم وجود أب مسئول عن الدير أو الجماعة الرهبانية، صار مستحيلاً على أي إنسان أن يُعترف به راهباً إلا إذا زكاه أب الدير المسئول.

النذر الرهباني:

لم يكن هناك في بداية الرهبنة أي صيغة خاصة ينذر بها الراهب نفسه، ولكن المعروف أنه عندما يقدم نفسه لقبول الشكل الرهباني فهذا معناه أنه نذر نفسه لله حتى الموت. فإذا غير رأيه وانتكص على أعقابه فلا يوجد أي شيء يمنعه من العودة إلى العالم إلا ضميره الذي يقف شاهداً ضده أنه حانث في عهده. فعهد الرهبنة كان موضوع ضمير وأمانة شخصية أمام الله يتم سراً في القلب في لحظة من لحظات الحياة.

وكثير من الرهبان حنثوا في عهدهم وارتدوا إلى العالم وعاشوا فيه و بعضهم تزوج، ولكن لم يطيقوا ثقل تأنيب الضمير فرجعوا مرة أخرى وقُبلوا كتائبين. ونحن نعرف قصة هيرو(٧٤) الذي عاد من العالم وقُبل كتائب؛ و بافنوتيوس أيضاً قَبِل بعض الرهبان الذين عادوا من العالم بعد أن تركوا الرهبنة، ووضع عليهم قانون توبة(٧٥).

معنى ترك العالم:

إن الشرط الأول والأعظم الذي يؤخذ على الأخ المبتدىء ليؤهّل لقبول الرهبنة هو أن يترك العالم تركاً كلياً بكل ما فيه من مسرات واهتمامات.

وقد أعطانا القديس مقاريوس هذا المعنى في قانون واضح قاطع استلمه من الراهبين اللذين قابلهما في البرية الجوانية: [إذا لم يتخلَّ الإنسان عن كل شيء في العالم فإنه لا يستطيع أن يصير راهباً](٧٦). وهذا كان يعني الآتي:

أولاً: أن يقطع الإنسان نفسه كلياً من أهله سواء كان أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً، أو زوجة أو

---

(74) Laus. Hist. Pallad., ch. XXVI, XXVII.

(75) Apoph. Patr., Paphnutius, IV.

(76) Apoph. Patr., Macar., II.

أولاداً كوصية الإنجيل، وتطبيقاً لذلك نسمع عن بيمن وأنوب وإخوته أنهم رفضوا رفضاً قاطعاً أن يسمحوا لأمهم العجوز أن ترى وجوههم (٧٧). و بيئور لما صار راهباً أخذ عهداً على نفسه أن لا يرى وجه إنسان من أهله طالما كان حياً (٧٨)؛ ولما أجبره القديس أنبا أنطونيوس أن يسمح لأخته أن تراه بعد إلحاح مر ير و وساطة الآباء وأسقف دمنهور تقدم إلى أخته وهو مغمض العينين ثم تركها وعاد من حيث أتى. أما مرقص تلميذ سلوانس فقد سوَّد وجهه بالهباب وتقدم إلى أمه التي لم تعرفه، وعاد من حيث أتى (٧٩).

ونسمع عن أنبا قار يون كيف ترك زوجته وولدين وذهب إلى شيهيت (٨٠)؛ وأرسانيوس لما أتاه رسول بوثيقة ميراث واحد من أقار به الذي مات وترك له ميراثه قال له: «أنا مُتُّ قبلاً منه» (٨١)؛ وإيفاجر يوس لما أتى واحد ليعز يه في أبيه الذي مات بادره قائلاً: «صَهْ! إن أبي لا يموت» (٨٢).

و بالتالي إذا كان على الراهب أن يتخلى عن عواطف اللحم والدم فيقطع صلته بأهله وأقار به وأصدقائه، فبالحري يكون مطالَباً أن يقطع صلته بالمال والقِنْية؛ وقد صور القديس أنطونيوس للراهب الذي أراد أن يأتي إلى الدير ومعه أمواله، تصو يراً عملياً، كيف أن الشياطين تقطعه قطعاً قطعاً (٨٣).

وإن الحكم الصارم الذي قطعه الآباء الشيوخ على الأخ الذي مات فوجدوا في قلايته ديناراً ذهبياً مع أنه كان يقتات و يُعال من الجمع، صورة مفزعة لخطورة اقتناء المال بالنسبة للراهب: «لتذهبْ فضته معه للهلاك» (٨٤).

ومعروف أن الرهبنة في عصورها الأولى الحارة والمزدهرة كان الراهب لا يُسمح له ولا يسمح هو لنفسه أن يقول أن شيئاً ما ملكه الخاص. وكان قانون الرهبنة بحد ذاته يلغي قانون الملكية إلغاءً بائناً. فنسمع أن أنبا ثيئوذور البرامي عندما ذهب ليستشير القديس أنبا مقار هل أفضل أن يحتفظ بثلاثة كتب روحية لمنفعته ومنفعة الإخوة، أم أن يتخلى عنها و يبيعها أفضل؟ فأشار عليه مقار يوس في الحال بأن الفقر في الرهبنة أفضل من الأعمال الحسنة (٨٥).

---

(77) Apoph. Patr., Poemen, LXXVI.
(78) Vitae Patrum Rosweyd, III, p. 503.
(79) Apoph. Patr., Marcus, III, IV.
(80) Apoph. Patr., Kario, II.
(81) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.
(82) Pallad., Hist. Laus., Ch. XXXVIII.
(83) Apoph. Patr., Antony XX.
(84) Jerome, Epistle XXII, ch. 33.
(85) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, 1.

وفي كلمة، يمكن تلخيص معنى الرهبنة لدى المصريين الأوائل، فهي التضحية بكل أمل وكل هوى وكل مسرة مهما كانت بريئة أو حلالاً وبكل ما يعطل صلته القلبية بالله وخدمته وصلواته التي لا تنقطع.

لِبْس الشكل الرهباني:

كان العرف السائد في شيهيت منذ بداية الحياة الرهبانية ألا يلبس الشكل الرهباني أيٌّ من كان عمره دون الثمانية عشر. وإن كانت شيهيت قد رأت بعض الصبيان فكان هذا استثناءً، لأنهم كانوا برفقة الأب الجسداني، مثل زكريا الذي ترهب وهو طفل مع أبيه قاريون.

ولم يكن اللبس الرهباني يستدعي في البداية أي طقس أكثر من أن يصلي عليه الأب ويرشمه بعلامة الصليب ويعطيه للمبتدىء ليلبسه بنفسه. ولكن في القرون الوسطى بدأ لبس الشكل الرهباني يأخذ طقساً كنسياً وصلاة جماعية(٨٦).

ولكن بالرغم من ذلك ظل طقس الصلاة في شيهيت الذي يصاحب الشكل الرهباني بسيطاً للغاية وخاصاً لا يتعدى الأب وولده. فنقرأ عن مكسيموس ودوماديوس أنهما قَبِلا الشكل الرهباني لشيهيت في الحال بدون صلاة(٨٧) (خلعا اللبس الأسود الخاص بالسريان ولبسا اللبس الأبيض الخاص بالأقباط)؛ ونقرأ عن بُرفيري الغزاوي أنه بعد أن وصل إلى شيهيت ومكث أياماً قليلة وُجد مستحقاً للشكل المقدس(٨٨)؛ وفي رسامة يوُنس القصير على يدي أبيه أنبا أموي نقرأ تفصيلاً دقيقاً ممتعاً لكيفية لبسه للإسكيم الروحي أولاً ثم المادي هكذا: [وبعد أن بناه أنبا أموي بكلمة الله وأعده بالشجاعة ليكون مهيَّأً للنزاع مع الأعداء الخفيين وألبسه القوة ليتمنطق ويغلب جيوش المقاومين، ثم حلق شعر رأسه، وضع الشكل الرهباني على الأرض وظل يصلي عليه مع تلميذه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وفي الليلة الأخيرة رأيا ملاكاً يرشم بيده الملابس ثلاث مرات بعلامة الصليب ثم اختفى. وفي فجر اليوم الأخير ألبس أموي تلميذه يوحنا الشكل المقدس].

ويلاحظ أن في هذه السيرة يتقارب وصف لبس الإسكيم بما بدأ يظهر في القرون الوسطى، أما الوعظ الروحي الذي يسبق لبس الإسكيم فهو من روح الرسالة إلى أفسس أصحاح ٦.

ويلاحظ في هذه الرسامة أنها حدثت مباشرة بعد حضور يوحنا إلى أنبا أموي، فلم تكن هناك فترة اختبار طويلة، وذلك كان يعتمد أساساً على قدرة الأب أنبا أموي في كشف النفس ومعرفة استعدادها وقداستها. ثم نلاحظ أن الرسامة كانت خاصة جداً، فلم يحضرها إلا أموي ويوحنا

---

(86) Le Rite copte de la prise d'habit, ed. B. Evetts, in R.O.C., XI, pp. 60f.

(87) A.M.G., XXV, p. 296.

(88) Life of Porphery by Mark., ch. IV.

فقط ولم يسبقها أو يعقبها أي إجراءات أخرى.

ومن ذلك نتأكد أن طقس الرسامة في العصور الأولى لم يكن طقساً كنسياً بالمرة، ولا علاقة له ببقية الأسرار، فهو قد يُعتبر بحد ذاته سراً كاملاً يختم على بقية الأسرار ويسمو بها جميعاً.

وظلت أوصاف هذه الرسامة البسيطة الروحية العميقة كما هي حتى القرن السابع، إذ نقرأ في سيرة أنبا صموئيل المعترف نفس خطوات الرسامة بالضبط على يد أغاثون المتوحد(٨٩) كما حدثت على يد أموي تماماً.

ولكن الذي زاد على هذا الطقس منذ البدء أيضاً هو فترة الإختبار التي كانت تطول أو تقصر حسب همة المبتدىء وطاعته ورضى الشيوخ عنه. إذ نقرأ في أحد أقوال الآباء عن راهب لبس الإسكيم قبل ميعاده فاضطر الشيوخ إلى تهذيبه وإسقاط درجته إلى «مبتدىء» حتى يكمل طقس الإتضاع: [يُحكى أن أخاً بعد أن لبس الإسكيم σχῆμα أغلق على نفسه ودعا نفسه متوحداً، فلما سمع به الشيوخ طردوه من القلاية ووضعوا عليه أنْ يظل يمر على قلالي الرهبان والإخوة يسألهم الحِلَّ والصفح وأن يقول لكل واحد: «أخطأتُ حاللني لأني لست متوحداً ولكني مبتدىء»](٩٠).

الزي المقدس (الملابس الرهبانية):

كان الأقباط أول من وضع زياً خاصاً، ويؤكد العلامة أميلينو أن القديس أنطونيوس هو أول من رسم الشكل وحدد قطعه، وأن معظمها مأخوذ من ملابس الكاهن(٩١). ولكن يقول كاتب «التاريخ الرهباني» «هستوريا موناخورم» أن الأب متيوس هو أول من وضع شكل الزي الرهباني(٩٢).

ولكن أياً كان وضْعُ الزي المقدس وواضعه، فإن الكل يتفق عند حقيقة واحدة وهي أن قطع الملابس تحوي في لبسها بعد الصلاة عليها قوة الفضائل اللازمة للحياة الرهبانية! ويقص علينا القديس أنبا أنطونيوس أنه رأى مرة الشياطين بالمنظر المعقول وهي تُظهر غضبها على الملابس الرهبانية فتعجب من سذاجتهم، ولكنه أُعلم بواسطة الملاك أن الشياطين تكره هذا اللبس بسبب أصحابه.

وقد اعتاد الرهبان منذ البدء أن يحتفظوا بالثوب الرهباني والقلنسوة (غطاء الرأس) التي قبلوا

---

(89) Vita de Abba Samuel, p. 140 (Periera).

(90) Apoph. published by Nau (R.O.C., XIV, p. 364 No. 243).

(91) Amélin., A.M.G., XXV, pp. XXIIf.

(92) Hist. Monach., Gr. V., ch. XI.

بها الرسامة الأولى حتى يوم الممات ليُدفنوا فيها، وكانوا لا يلبسونها إلا في يوم الأحد لقبول سر الإفخارستيا ثم يخلعونها بعد ذلك في الحال(٩٣). وكانت هذه الملابس ثمينة في عين الراهب العَمَّال جداً، فنسمع من سيرة ثيئوذور البرامي أنه لما أتاه اللصوص وسرقوا كل كتبه وسرقوا معها ثوبه صرخ إليهم متوسلاً أن يأخذوا الكتب و يتركوا له الثوب(٩٤)!!

ومهما قيل في سبب احتفاظ الراهب بثوبه، فالأرجح هو لكي يظل الراهب على عهده الأول و يتذكر يوم رسامته وخروجه من العالم بإرادته حتى يوم الإنتقال!

ويمدنا الراهب والمؤرخ يوحنا كاسيان(٩٥) بدقائق الملابس الرهبانية ومعناها الروحي، وقد حاول إيڤاجريوس(٩٦) أن يقلد كاسيان و يضيف من عنده أوصافاً كثيرة قائلاً أن هذا كله كان يعمله الآباء الرهبان.

الثوب المقدس ومِنْطقة الجلد:

وأول ما يذكر كاسيان من هذه الملابس: الثوب والمنطقة الجلد.

فالمنطقة الجلد: σχῆμα = ζώνη وهي جزء أساسي من الإسكيم المقدس، فهي تشير إلى الشجاعة أو الرجولة. ومن سيرة مكسيموس ودوماديوس نعلم أن الراهب لا يخلع منطقته إلا عند النوم فقط(٩٧).

و يصفها لنا المؤرخ المقريزي هكذا: [وهي شريط من الجلد عليها رسم صليب، لا يلبسها إلا الرهبان، وهم يمنطقون بها أنفسهم].

ثوب الشعر:

وهو ثوب خشن من شعر الماعز، وحينما يلبسه الراهب فذلك معناه الإماتة الكلية، ونعلم من حياة أرسانيوس أنه استبدله بثوب من الجلد و يدعى قيطونة χιτῶνα δερμάτινον. وأرسانيوس جعل ثوب الشعر هو القميص (من الداخل) ليكون أكثر تعبيراً عن الإماتة، وقيص الشعر اسمه Τρίχινον Κάμαβιν. وقيص الشعر يدوم سنين طويلة لا يبلى، وقد أهداه أرسانيوس عند موته إلى تلميذه دانيال(٩٨).

---

(93) Apoph. Patr., Phocas., I.
(94) Apoph. Patr., Theodore Pherme, XXIX.
(95) Cassian Inst., I, 3f.
(96) P.G., XL, col. 1221.
(97) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.
(98) Ibid., Arsen., XLII.

ونعلم من سيرة يوحنا القصير أنه كان يلبس قميصاً من الليف(٩٩): [وهو ربما يكون من نسيج رفيع يشبه المزبلة (الغبيط) التي نستخدمها الآن].

وقد يكون هذا الثوب من الكتان و يسمى λεβίτωνα ، وهو الذي يحتفظ به للتناول كل يوم أحد وكان لونه أبيض؛ لذلك فالمعروف عن زي الرهبان الخارجي أنه كان أبيض اللون، وهذا نعلمه بوضوح من سيرة أنبا دانيال قمص شيهيت التي فيها يقص الكاتب عن ذهاب رهبان نتريا وشيهيت وهم في ملابسهم البيضاء: [وانحدر كل رهبان شيهيت وهم بملابسهم البيضاء إلى الإسكندرية للإحتفال بجنازة مرقص] والتبرك من جسد المغبوط مرقس القديس الذي ظل متخفياً في شكل شحاذ إلى أن اكتشف حقيقته أنبا دانيال(١٠٠).

ونسمع عن الراهب المدعو يوحنا الجنايني بدير أنبا باخوم بالصعيد الذي [ظل يحتفظ بهذا الثوب نظيفاً يلبسه كل يوم أحد ويخلعه بعد التناول مباشرة فعاش عنده ٨٥ سنة](١٠١).

ويحكي الأب يوسف الذي من البيلوز يوم (بورسعيد الآن) عن الراهب الذي من سيناء [الذي كان يحضر القداس كل يوم أحد لابساً ثوبه Μαρφορίον العتيق وقد انكمش وامتلأ رقعاً فكان يبدو بالرغم من ذلك كأنه ملاك وسط الإخوة]، فلما غضب عليه الأب يوسف بسبب ذلك علم منه أنه لا يملك غيره، فأعطاه الأب يوسف λεβίτωνα جديدة(١٠٢).

غطاء الرأس:

و يدعى كوكولاً، أو كوكوليون κουκούλιον ، أو بالمصري «كلفت». وهو غطاء يغطي الرأس والقفا معاً (الرقبة)، لذلك فهو يشبه غطاء رأس الأطفال تماماً، لذلك فهو محسوب أنه يشير إلى روح البساطة التي للطفل، وكل الإشارات التي جاءت عنه في أقوال الآباء تفيد أنه قطعة منفصلة بذاتها لا تتصل بأي ملابس أخرى، ويمكن خلعها في الحال فتسقط إما إلى الأمام أو إلى الخلف لأنها تكون مربوطة حول الرقبة(١٠٣).

ونرى هذه «الكوكوليون» مرسومة على رأس أنبا أنطونيوس في صورته بالهيكل البحري بالحصن بكنيسة أنبا مقار.

و يقرر إڤلين وايت أنه رأى بعض الرهبان الشيوخ يلبسونها في وادي النطرون و بالأخص في

---

(99) A.M.G., XXV, p. 351.

(100) Ev. Wh., II, p. 243; Clonget, Vie de l'abba Daniel, pp. 12f.

(101) Patrologia Orient. by Graffin & Nau, IV, p. 474.

(102) Apoph. Patr., Cronius, V.

(103) Apoph. Patr., Zacharias, III, Theodore of Pherme, XXVIII.

رحلاتهم خارج الدير(١٠٤).

الكولوبيون أو القصارية:

وهو الثوب الدائم الذي يلبسه الراهب طول النهار وخصوصاً أثناء العمل، وهو ثوب واسع من الكتان أكمامه قصيرة جداً فوق الكوع، لذلك سمي بالقصارية، وهذا هو ترجمة الإسم اليوناني κολόβιον والتي حُرِّفت بالعربي فصارت «جلابية». و يلزم أن تكون قصيرة أيضاً في طولها فهي لا تتعدى أسفل الركبة إلا قليلاً حتى تصلح لأن تكون ملابس عمل، كما أنها متسعة حول الرقبة تترك كل الرقبة عارية وجزءاً من الأكتاف والصدر مفتوحاً، وهذا الوصف نجده بوضوح في سيرة أنبا ثيئوذور البرامي(١٠٥).

المرقعة:

ومن اسمها يتضح أنها ثوب قديم جداً أو قصارية مرقعة، وتسمى باليوناني κεντονάριον، ومن بداية الإسم نعلم صفتها (كانتو)، وهذه يلبسها الرهبان لتأدية الأعمال القذرة أو الخشنة جداً. ونقرأ في سيرة مرقص تلميذ سلوانس أنه عندما جاءت والدته لتزوره وتراه، وكان هذا ضد رغبته جداً، فلما اضطره أبوه لرؤيتها ذهب ولبس هذه المرقعة وسوَّدها أكثر بهباب المطبخ(١٠٦).

وفي أيامنا هذه كان الآباء الرهبان الإثنا عشر الذين كانوا يعيشون في مغائر وادي الريان يلبسون القصاريات هذه أثناء العمل طول اليوم، وكانت أيامهم كلها عمل، وقد ثبت صلاحية هذه القصارية للعمل جداً. و بعضهم كان لا يُرى إلا بالمرقعة سواء وقت العمل أو الراحة. أما في دير أنبا صموئيل فالراهب الفاضل المتنيح أبونا صليب كنت لا تراه إلا بها فهو لم يكن يخلع المرقعة عنه أبداً ولا يلبس تحتها إلا وزرة تستر جسده.

القطعة الثالثة: الإسكيم: σχημα

و يدعى بالقبطية ϯⲙⲁⲣ ⲡϭⲛⲁϩ وباليونانية ἀνάλαβοι، وهذا عبارة عن شريطين من الجلد يلتحمان خلف الرقبة ثم يمران حول الرقبة و يتقاطعان أمام الصدر ليعبر كل منهما الآخر تحت الإبط ليدور حول الوسط.

وقد ازداد هذا الإسكيم على مضي الزمن فأصبح مشغولاً من الجلد المضفور و به عدة صلبان في الظهر والصدر، وأصبح يلتحم بالمنطقة ليشد الجسم كله.

---

(104) Ev. Wh., II, p. 195.

(105) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, XXVIII.

(106) Apoph. Patr., Marcus, III.

وكان الإسكيم من المميزات الهامة التي تميز الراهب الذي قبل الشكل الرهباني، فكان لا يُدعى راهباً إلا مَنْ لبس هذا الإسكيم. ثم تطور الإسكيم بعد ذلك فلم يكن يُعطى إلا للمتوحدين فقط الذين يعيشون في الجبال خارج الأديرة. وللأسف أصبح الرهبان الذين يلبسون هذا الإسكيم في الوقت الحاضر في مصر كلها قلائل أو ربما واحداً، وهم ليسوا متوحدين. واكتفي الآن في رسامة الرهبان بالمنطقة الجلد فقط، ولكن هذه لا تزيد في تعبيرها الطقسي عن الإبتداء الرهباني فقط وهي تسمى وحدها بالإسكيم الصغير.

لذلك نتطلع إلى الوقت الذي يصبح فيه التوحد طقساً رهبانياً رسمياً، حيث يمكن إعادة لبس الإسكيم الكبير حسب الطقس الرهباني الصحيح.

والعجيب أنه لا يجوز رسامة أسقف الآن في مصر إلا بعد إلباسه الإسكيم، لأنه فضيحة أن يُدعى راهب للأسقفية وهو ليس في طقس الرهبان، فالراهب بدون إسكيم لا يمكن أن يدعى راهباً.

فلعل إلباس الأسقف الإسكيم قبل رسامته أسقفاً يكون تذكيراً لنا أن الطقس الرهباني متعطل، والطقس الرهباني متعطل بسبب تعطُّل الوحدة، والوحدة متعطلة بسبب ضعف الحياة الرهبانية.

القطعة الرابعة: الشَمْلة أو التلفيحة (الشال):

وكانت تسمى μαφόριον وهي من القطع الأساسية في ملابس الراهب، وكانت تغطي الرقبة دائراً والكتفين، أي أنها كانت تكمل ما ينقص في القصارية مثلاً. ونسمع عن وظيفة هذه القطعة من الملابس في سيرة ثيئوذور البرامي وتلميذه: [ولما جئت وقت الغروب وجدت أبا ثيئوذور لابساً قصاريته وقد تعرى صدره، وكوكوليته (غطاء الرأس) ساقطاً إلى الأمام. وبينما هو بهذا الحال، إذا بالحاكم (المأمور) قادم لزيارته، فأخذت أنا الشملة وطرحتها على كتفيه](١٠٧).

القطعة الخامسة: الملوطة الجلد:

وهذا يعتبر أكثر ملابس الراهب تمييزاً له، وهو عبارة عن جلد ماعز أو خروف ويسمى الشار ϣⲁⲣ وباليونانية μηλώτης ، ونسمع عنه في سيرة القديس أنبا أنطونيوس الكبير أنه: [عند نياحته أوصى بعكازه لمكاريوس والفروة لأثناسيوس والملوطة الجلد لسيرابيون](١٠٨).

ولبس الملوطة يشير إلى الموت عن الشهوات والملذات الجسدية، أما استخدامه العملي فكان

---

(107) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, XXVIII.

(108) Synax. R. Basset, p. 666.

للوقاية من صقيع الشتاء، وكان من ملابس السفر التي لا غنى عنها. وفي غير ذلك كان يحتفظ به في أحد أركان القلاية، لذلك فعند قول الكاتب في أي قصة «وقد أخذ الجلد» يكون معناها الرحيل أو السفر. ففي الرواية عن اضطهاد ثاوفيلس البطريرك ٢٣ للرهبان، نقرأ أن الرهبان أخذوا الجلد وتوجهوا إلى آيليا Aelia (أورشليم). وهناك اصطلاح شعبي متداول قلّ من يعرف أصله وهو هنا يتضح معناه، فيقول قائل: «وفلان نفد بجلده» أي استطاع أن يهرب ومعه الجلد وهو أثمن شيء تقريباً في قلاية الراهب.

الصندل (النعل):

ويذكر كاسيان أن الرهبان كانوا يستخدمون الصندل لإتقاء صقيع الأرض في الشتاء وحرارة الصيف الملتهبة، وكانت من عاداتهم أن يخلعوه قبل الدخول للتناول. ونسمع في سيرة أرسانيوس أنه ترك صندلاً مصنوعاً من الليف σανδάλια σεβένινα (١٠٩)، وأن الأم ثيئوذورا لبست الصندل قبل الرحيل(١١٠).

العكاز (الشبوتة):

واسمه ϣβωⲧ، وكان يُصنع من جريد النخيل، وكان يحمله الراهب في الأسفار فقط، وهو من أمتعة الراهب الهامة والعزيزة عنده لأنه يحمل له ذكريات رحلاته وأسفاره. وبالنسبة للآباء الكبار يُعتبر العكاز رمز الأبوة والقوة الروحية باعتبار أن عصاة موسى فلقت البحر. لذلك لما سلّم أنطونيوس عكازه الذي طالما اتكأ عليه وارتحل به، لمكاريوس، كان ذلك يعني تسليمه روح الأبوة والقوة الروحية إلى من سيحمل لواء الرهبنة من بعده(١١١).

ويؤكد العلامة تشندورف أن في كل العصور حتى القرن التاسع عشر كان عكاز الراهب يسمى عكاز مكاريوس(١١٢).

+ + +

هذه الملابس الرهبانية كانت مفروضة بحكم العرف والتقليد الرهباني، وكان على الراهب أن يتزيا بها، ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا بعض القديسين الشيوخ عندما يتقدمون في السن(١١٣).

---

(109) Apoph. Patr., Arsen. XLII.
(110) Apoph. Patr., Amma Theodora, VII.
(111) A.M.G., XXV, p. 26.
(112) Travels in East, p. 51.
(113) Apoph. Patr., Isaac the Priest, VII.

الفصل الثامن

حياة الراهب اليومية في شيهيت



راهب شيهيت متوحد لا يجتمع بإخوته إلا في يومي السبت والأحد، ولا يجمعه بهم إلا الصلاة في الكنيسة والأغابي في المائدة. أما بقية الأيام الخمسة فلا يُسمح فيها للراهب بالخروج من قلايته، وعلى مدار السنة يجتمع الإخوة عشية السبت للصلاة وسماع كلمات الوعظ التي يرتبها الشيوخ، حيث في آخرها تُقدَّم الأسئلة من الإخوة المبتدئين و يرد عليها الشيوخ بترتيب، و يقدم لنا القديس مار اسحق في كتابه الأول صورة لحياة الإخوة في شيهيت:

[لأننا نعلم من الكتاب الذي صنعه القديس مقار يوس أن الأخ المبتدىء لا يخرج بالكلية من قلايته وسط الأسبوع ولا يستطيع أحد أن يزور أخاه، بل في يوم السبت يخرجون من قلاليهم وقت العشاء و يأتون إلى المجمع وهم صيام لأن طول السنة صيف شتاء كانوا يتقربون «يتناولون من الأسرار المقدسة» عشية السبت.

ولما كانوا يخرجون و يأتون إلى المجمع ليسمعوا القراءة، كان الذي يتهاون ولا يحضر، يقطع عليه الآباء حكماً صعباً، ومن بعد أن يتقربوا كانوا يدخلون المائدة (لأكلة الأغابي مساءً).

ومن بعد الأكل يقفون للصلاة ليلة الأحد (صابح الأحد) ساهرين بلا نوم من العشية إلى بكرة بخدمة المزامير والتسابيح والقراءة في الكتب مع تفاسيرها ومسائل الإخوة وأجوبة الشيوخ الذين يرتبون أنفسهم للوعظ.

وما كانوا يعطون فسحة لا للشيطان ولا لأحد من الإخوة المنحلين أن يتكلم كلمة تجلب خسارة لأحد. ولا أحد يُسمح له أن يثلب رفيقه أو يُحرك خصومة، ولا أحد يجلب ذكر شيء من العالم أو من سيرته البطالة لكيلا يتأذى أحد من الإخوة المحترصين.

فإذا كان أحد يتأذى من قتال أو ضجر في قلايته كان إذا خرج إلى المجمع (يومي السبت والأحد) كان ينتفع بمنظر الآباء وتأخذه حرارة الغيرة مثل النار عندما ينظر أعمال الآباء و يسمع كلامهم و يشاهد فضائلهم فيتزود بمنفعة عظيمة كلها تكون من اجتماعهم ليلة الأحد، ومع ذلك

ما كانوا يفسحون للإخوة أن يخرجوا في وسط الأسبوع](١).

ثم يعود القديس مار اسحق و يعطينا صورة حز ينة لحال المجمع يومي السبت والأحد في بداية القرن السابع أي في أيامه فيقول:

[أما في زماننا هذا العادم من الإستقامة الذي برد في الحب، والحرارة تخلفت مع عدم التحفظ، فكل وقت نخرج فيه إلى المجمع نوسق بخسارة ليست بقليلة بسبب كلامنا البطال، حتى أنه لم يصبح لصلاتنا قوة، وإن كان فينا إخوة محترصين يتشتت حرصهم طول الأسبوع بسبب الكلام الرديء الذي يسمعوه من المعتادين بالإنحلال.

فالضرورة تلجىء الذين يهتمون بخلاص أنفسهم و يشتاقون لمحبة ربنا وتكميل وصاياه المقدسة أن يداوموا الثبات في السكون كل واحد حسب رتبته، **أولاً يُبعد الإنسان نفسه من كل شيء** ويحدُّ لنفسه قانوناً أن في مدة الأسبوع لا يخرج من قلايته بالكلية، ولا يُفسح لأحد من الإخوة أن يعبر إليه، وإن أمكن ولا من الطاقة يتكلم مع أحد، حتى يأخذ لنفسه تجربة في جميع الضوائق التي تحدث عليه من الآلام والشياطين المنوطين بمقاومة أصحاب السكون الأسبوعي، ولتمييز الأفهام الروحانية والعزاء الإلهي الذي يعطَى له بنعمة الله حسبما يليق بطقس عمل السكون الصغير أي حبس الأسابيع](٢).

من هذا القول المنير ندرك أن القديس أنبا مقار ألّف كتاباً فيه قوانين للمتوحدين في شيهيت، وأن اعتكاف الإخوة وسكونهم طوال الأسبوع كان من أهم الوصايا التي لا يمكن التفر يط فيها بالنسبة للرهبان جميعاً كباراً وصغاراً ومبتدئين. فالتوحد طقس رهباني إلزامي، الذي من خلاله يمكن فقط للراهب أن ينال الإفراز والحكمة والعزاء والنعمة!

لذلك نسمع القديس مقار يوس يرد على الأب إشعياء عندما سأله: «قل لي كلمة لأحيا بها»، فقال له: «اهربْ من الناس وأنت تحيا». فلما أمعن في السؤال: «وما معنى الهروب من الناس؟» قال له: «هو أن تجلس في قلايتك وتنوح على خطاياك»(٣).

كذلك لما ذهب أحد الرهبان المبتدئين إلى القديس أرسانيوس، وشكى له أنه بسبب ضعفه وعدم مقدرته على الصوم قرر أن يفتقد المرضى ويخدم المتعبين؛ كان رد أرسانيوس له: «هذا الإقتراح من الشيطان، اذهب أنت كُلْ واشرب ونم ولا تشتغل، ومن قلايتك قط لا تخرج، لأن

(١) كتاب مار اسحق الميمر الأول.

(٢) شرحه.

(3) Apoph. Patr., Macar., XXVII.

بصبرك ومداومتك في قلايتك سوف تأتي إلى القدرة على تنظيم حياتك» (٤).

كيف يقضي الراهب يومه داخل القلاية:

يمكننا أن نعرف كيف كان يقضي الراهب يومه من حديث للأب أنبا بيمن لراهب سأله عن كيف يقضي يومه، فكان رده أن لا يكف عن عمل اليدين، وأن يأكل مرة واحدة في النهار، وأن يحفظ الصمت ويهذّ بالصلاة ولا يهمل قوانين السواعي(٥).

أما الأب إشعياء فيعطي قانونه واضحاً مختصراً: [إذا جلست في قلايتك فاهتم بثلاثة أمور، الأول: أن تدمن الصلاة بالمزامير، وأن لا تكف عن التأمل مع شغل اليدين] (٦).

و يزكّي الأب إشعياء الإسقيطي أن يمضي الراهب نصف ليلته في النوم ونصفها في سهر بالصلاة(٧).

و يبدأ اليوم عند الآباء الرهبان من بعد نصف الليل مباشرة، وهويبدأ بخدمة تسبيح صلاة نصف الليل، أما تحديد الساعة بالضبط فهي متغيرة، ويحددها كاسيان بصياح الديك الأول.

وتسبحة نصف الليل خاصة يكملها الراهب في قلايته على مدار الأسبوع، ما خلا ليلة الأحد فقط فإن الجماعة تكملها معاً في الكنيسة(٨). وفي حالة وجود أكثر من راهب في القلاية (المنشوبيات) فإنهم يخدمونها معاً، باتفاق، بكل مزاميرها وألحانها.

فإذا انتهت تسبحة نصف الليل، **و يتحتم أن تنتهي قبل ظهور ضياء الفجر**، فإن الراهب لا يعود إلى النوم بل يتبع الصلاة بالهذيذ في الكتاب المقدس حتى يبزغ نور الفجر(٩)، «سبقَتْ عيناي وقت السحر لألهج في أقوالك» (مز١١٩: ١٤٨)، وذلك تتميماً لوصية أنبا أنطونيوس الأولى والعظمى: «أن تصلي دائماً وترنم بالمزامير قبل النوم و بعد اليقظة من النوم، وأن تهذّ في قلبك بمقولات الأسفار المقدسة» (١٠).

فإذا أشرق نور النهار يهبُّ الراهب نشيطاً ليبدأ عملاً من أعماله اليدو ية، [وهكذا بواسطة ترديد مزمور أو فصل من الكتاب المقدس في هذه الساعة يمنع الفرصة عن الأفكار الشر يرة] (١١).

---

(4) Apoph. Patr., Arsen., XI.
(5) Apoph. Patr., Poemen, CLXVIII.
(6) Rule of Isaïas, ch. XI (P.L. CIII, col. 429).
(7) Isaïas Regula, ch. LVII (P.L. CIII, col. 432).
(8) Ev. Wh., II, pp. 174, 186, 198.
(9) Cassian Inst., II, 12.
(10) Athanas., Life of Antony, 55.
(11) Cassian Inst., II, 15.

[أما العمل اليدوي فهو دائماً داخل القلاية، يقوم به الراهب بلا انقطاع مع الهذيذ بالمزامير وقطع من الكتاب المقدس بصفة مستمرة مع العمل](١٢).

والمصدر الأساسي في الشغل اليدوي في شيهيت هو النخيل، الذي كان ينمو بكثرة على ضفاف البحيرات (الآن زادت ملوحتها فقلت الأشجار جداً)؛ وكذلك في مناطق العيون حيث المياه الباطنية تكون قريبة من سطح الأرض.
وتُقطع عادة فروع الجريد في مواسم معينة وبنسبة معينة، حتى تستطيع شجرة النخيل الإستمرار في النمو وتغذية فروعها أولاً بأول، وتُجرَّد الأوراق بسكين خاص. ونسمع أن هذه العملية كان يختص بها الأب ألكسندر تلميذ أرسانيوس(١٣)، وعندما تجف الأوراق (السعف)، تُنقع في أحواض للماء كانوا يحتفظون بها داخل قلاليهم، غالباً من الفخار(١٤)، ونسمع عن هذه الأحواض المليئة بالخوص المبلول، في قصة زيارة مقاريوس لأنطونيوس، وفي قصة بولا البسيط عند حضوره لأنطونيوس أول مرة.

ونسمع عن أرسانيوس أنه لم يكن يغير ماء الخوص إلا كل سنة، فكان يتعفن وتملأ رائحته النتنة كل القلاية، وكان يرى ذلك تعويضاً للتنعمات والروائح الزكية التي كان يتعطر بها في العالم.

وكانت صناعة الخوص تقوم أساساً على معرفة جدل الضفيرة، لذلك نسمع أن مكاريوس لم يسلِّم مكسيموس ودوماديوس إلا بداية الضفيرة وكيفية خياطتها بالمسلَّة لتشكيل المقطف.

ونسمع أيضاً من كاسيان عن الأخ الحاقد الذي اتهم أنبا بافنوتيوس (في صغره) بسرقة كتبه المقدسة، مع أنه هو نفسه الذي اقتحم قلاية بافنوتيوس وخبأ المخطوطة وسط «الضفائر»(١٥) وتسمى σειρά = صيرا.
وهذا يعني أن الراهب يجدل كميات كبيرة من الضفيرة أولاً، وبعد ذلك يقوم بخياطتها إلى عدة مقاطف بعد أن يبلها مرة أخرى.

والمقاطف والقفاف يبدأ عملها من عقدة القاع أولاً، وهي أصعب مرحلة في خياطة الضفيرة. ونسمع عن ذلك في سيرة أنبا ثيئوذور البرامي: [جاء أحد الإخوة إلى الأب ثيئوذور ليعلمه خياطة الضفيرة، وقد أحضر الخوص معه، ولكن قال له الشيخ: «اترك الخوص وعُد باكراً»، وفي

---

(12) Cassian Inst., III, 2.
(13) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.
(14) Pallad., Hist. Laus., ch. XXII.
(15) Cassian Coll. XVIII, 15, 4.

الصباح الباكر قام الشيخ و بلّ أمامه الضفيرة و بدأ له بعمل العقدة الأولى وهو يشير إليه كيف يعملها هكذا وهكذا...] (١٦).

والمقاطف في صناعتها متعددة الأشكال ، فمنها السلال المشغولة بالخوص الملون ولها أغطية ، وتحتاج إلى عناية أكثر، والسلال الكبيرة تسمى σπυρίδες (سبر يدس) ولها عمال مهرة نسمع عنهم ضمن أصناف الصُناع لدى باخوميوس ، « وصُناع قفف (سلال) كبيرة » (١٧). أما المقطف أو السَبَت الصغير فكان يسمى ⲙⲁⲗⲁⲕⲓ ونسمع عن أنبا يونس الشهيد ، أول من ذُبح من التسعة والأربعين شهيداً في البرية ، أنه كان صانع مقاطف أو سلال ⲡⲓⲥⲁⲛⲙⲁⲗⲁⲕⲓ . ولا زالت في واحة الخارجة (أكثر الواحات اتصالاً بالحياة الرهبانية) تُعتبر صناعة المقاطف (السلال ذات الغطيان) من الصناعات الأساسية . والمقطف أو السَبَت المعمول بالخوص الملون الجميل ، يسمى بالعربية هناك « مَلَقون » وهو نفس النطق اليوناني القديم . وكان هذا الإسم متداولاً بين الرهبان ، فنسمع في سيرة بولس الكبير أنه أمضى الأربعين المقدسة يجدل ملقوناً (سَبَت من الخوص المتقن) و يفكه ثم يجدله مرة أخرى (١٨).

أما مقدرة الراهب على إنجاز كميات كبيرة من الجديلة أو المقاطف ، فهذا نفهمه من الخبر الآتي : [وكان أنبا أخيلاس يعمل عشرين باعاً من الضفيرة في الليلة الواحدة وهو ساهر] (١٩). أما ٢٠ باعاً فتساوي الآن حوالي ٤٠ متراً .

وإن كانت صناعة المقاطف سهلة ولكن تحتاج إلى الإنتباه أحياناً ، لأننا نسمع عن يوحنا القصير أنه وهو في تأملاته ، غاب فكره ، فخاط الضفيرة مقطفين بدلاً من مقطف واحد ، ولم ينتبه حتى وصل إلى الحافة (٢٠).

ولكن كان الآباء يضعون أمامهم القرّاية وعليها الكتاب المقدس أو كتاب المزامير؛ وكانت عيونهم طول الوقت لا تكف عن القراءة أثناء عمل الأصابع ، فكانوا بهذه الطريقة يحفظون كميات هائلة من الأسفار المقدسة بدون أي جهد . فنسمع عن أمونيوس الطويل أنه حفظ بهذه الطريقة العهد العتيق والعهد الجديد عن ظهر قلب (٢١)، وأن الأب هيرو الذي من القلالي تلى أثناء ذهابه من القلالي إلى شيهيت ، ١٥ مزموراً والمزمور الكبير، والرسالة إلى العبرانيين ، وسفر

(16) Apoph. Patr., Theodore Pherme, XXI.
(17) Pallad., L.H., XXXII.
(18) Apoph. Patr., Paul the Great, III.
(19) Apoph. Patr., Achillas, V.
(20) Apoph. Patr., J. Colobos, XI.
(21) Pallad., Hist. Laus., ch. XI.

إشعياء وجزءاً من إرميا، وإنجيل لوقا، وكل الأمثال(٢٢).

الإستراحة من عمل اليدين:

والمعروف عند الآباء الرهبان أن شغل اليدين ينتهي ظهراً، أي بحلول الساعة السادسة؛ فنقرأ في سيرة أرسانيوس [وكان من عادة أرسانيوس أنه يستمر في الضفيرة وخياطتها حتى الساعة السادسة من كل يوم](٢٣). و بعد ذلك يُترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته.

وجبة الغذاء وفترة الصوم الإنقطاعي اليومي:

وقد أجمع الآباء جميعاً على تحديد موعد الوجبة الأولى والوحيدة التي يصرح للراهب أن يأكلها كل أربع وعشرين ساعة، أن تكون في الساعة التاسعة من النهار أي الساعة الثالثة بعد الظهر الآن. وكان هذا التحديد نتيجة خبرة عملية انتهى إليها جميع الآباء النساك العمّالين بالروح؛ لذلك لم يكن يُسمح للراهب العادي أن يتجاوزها في التبكير أو التأخير.

و يقدم لنا الأب بيمن هذه النصيحة، بل هذه الخبرة، بل هذا القانون كالآتى: [سأل أبا يوسف أبا بيمن عن مقدار الصوم اللازم للراهب يومياً، فأجاب أنبا بيمن: إني أشاء للراهب أن يأكل مرة واحدة خفيفة كل يوم. فرد عليه أنبا يوسف: وأنت حينما كنت شاباً ألم تصم يومين يومين؟ فأجابه الشيخ: حقاً هذا، وكنت أيضاً أصوم ثلاثة أيام وأربعة أيام وأحياناً أسبوعاً، والآباء أيضاً الذين كانوا أقو ياء في الفضيلة صنعوا كل هذا، ولكنهم وجدوا أخيراً أنه أفضل جداً للراهب أن يأكل كل يوم مرة واحدة، ولكن ليس إلى الملء، وسلّمونا هذا الطر يق الملوكي لأنه سهل](٢٤).

ويحكي لنا كاسيان أنه رأى في شيهيت في نهاية القرن الرابع، أن هذه العادة كانت سائدة بلا استثناء(٢٥).

ولكن أول من حدد الساعة التاسعة لتكون ساعة الإفطار اليومي للرهبان هو القديس أنبا أنطونيوس، وذلك حسب رواية البابا أثناسيوس(٢٦)، وأيضاً حسب ما نقرأه في سيرة أنبا أنطونيوس، و بداية نشأة إقليم القلالي حينما قال أنطونيوس لآمون: [«حينما نأكل الساعة التاسعة نقوم ونذهب لنرى المكان المناسب»](٢٧). وكذلك يعود أنبا أنطونيوس و يشدد على تحديد هذه

---

(22) Ibid, ch. XXVI.
(23) Apoph. Patr., Arsen., XVIII.
(24) Apoph. Patr., Poemen, XXXI.
(25) Cassian Coll., II, 19f.
(26) Life of St. Antony, 65.
(27) Ibid.

الساعة عرضاً أثناء الحديث عن صلاحية المكان الذي اختاره ليسكن فيه المتوحدون، على أساس أن المسافة من نتريا إلى القلالي ينبغي أن لا تزيد عن الوقت من بعد الساعة التاسعة ــ موعد الإفطار ــ (٣ بعد الظهر) حتى الغروب: [حتى إذا أراد رهبان نتريا زيارة إخوتهم في القلالي يستطيعون، بعد أن يأكلوا لقمتهم الساعة التاسعة، أن يقوموا ويَصِلوا إلى هناك قبل الغروب](٢٧).

استثناءات:

وكان يُستثنى من هذه القاعدة الإخوة الرهبان الذين في قتال شديد، مثل الأخ «ثيئوبمْبتُس»، الذي أوصاه أنبا مقار أن يصوم للغروب بدل الساعة التاسعة تكميلاً للتوبة(٢٨)؛ كذلك إذا دخل للراهب ضيف من بعد سفر فإنه يكسر اللقمة ويأكل معه قبل الميعاد تكميلاً لوصية المحبة(٢٩).

وكان يستحسن الآباء أن لا يستمر الراهب في الصوم أكثر من الساعة التاسعة، لأن ذلك يؤثر على نشاطه في الصلاة والقراءة والتأمل، ويحرمه من بهجة الوقوف والتسبيح لله، وخصوصاً في صلاة نصف الليل(٣٠). **لذلك ينبغي لكل قارىء في بستان الرهبان أن يحترس حتى لا يتسرب إلى ذهنه صورة الإستثناءات التي كان الكُتَّاب مغرمين بتقديمها**، تاركين القاعدة الذهبية التي كان الآباء يتشددون فيها إلى أقصى حد.

فالأمثلة الفائقة في الصوم والنسك، مثل بيصاريون الذي ظل أربعين يوماً وليلة واقفاً وسط الشوك بلا نوم(٣١)، أو الصوم يومين يومين باستمرار، كل هذه شجبها الآباء وقرروا أنها ضارة بالراهب(٣٢). بل إن الأب موسى الذي كان يتحدث معه كاسيان قال إن الصوم يومين يومين ينشىء لدى الراهب على مدى الأيام إحساساً بالحنجرة، أي بالنهم أثناء الأكل(٣٢).

كمية الطعام:

كان من عادة الآباء أن يضعوا حداً أقصى لأنواع الأطعمة ويتركوا الحد الأدنى لتدبير الراهب، فمثلاً يضع الأب موسى صاحب الحديث مع كاسيان الحد الأقصى للخبز، حسب تسليم الآباء، خبزتين فقط في الوجبة إذا كانت الوجبة معظمها من الخبز، حيث الخبزة الواحدة تزن ٦

---

(27) Ibid.
(28) Apoph. Patr., Macar., III.
(29) Apoph. Patr., No. 229 (R.O.C. XIV, p. 361).
(30) Cassian Coll., II, 26, 2f.
(31) Apoph. Patr., Bisarion, VI.
(32) Cassian Coll., II, 24, 1.

أوقيـات تـمـامـاً أي نـصـف رطل(٣٣) بمعنى أن الأقة تزن ست خبزات. والمعروف أن الخبزة في شيهيت في القرن الرابع هي نفسها بحجمها وشكلها كما تُصنع الآن في شيهيت.
و يقـرر لنا إيڤاجر يوس أنه كان يأكل كل يوم لتراً واحداً من الخبز(٣٤) (واللتر يساوي ١٢ أوقية).

وبالليـديـوس يـقـص لـنـا قـصـة أول لقاء وغذاء تم بين أنبا أنطونيوس و بولا البسيط هكذا: [فـأعد أنطونيوس المائدة وأحضر الخبز و بلّ خبزة واحدة لنفسه، لأن الخبز كان يابساً، و بلّ لبولا ثـلاث خـبزات، وكلُّ خبزة كانت تزن ست أوقيات]. ومنها يُستدل أن أنطونيوس أراد أن يعطي نصف نصيبه لبولا تحية منه للضيف الجديد.

والمعـروف عـنـد المصر يين، وخصوصاً الرهبان، أنهم كانوا يختزنون الخبز بأن يجففوه، فكان يمكث عندهم شهراً أو أكثر وكان يسمى παξαμάτια (بقسماط)، وكان يستحيل أكله إلا بعد أن ينقع قليلاً في الماء.

ونـقـرأ في قـصـة إشعياء مع أخيلاس، كيف كان يعتبر بلّ الخبز الجاف في ماء وملح نوعاً من الـتـرف: [تـعـالـوا انـظـروا إشـعياء كيف يأكل مرقاً في شيهيت. ياإبني إذا أردت أن تأكل مرقاً فـاذهـب إلى مصر](٣٥). وهـذا طـبعاً شيء مغالى فيه، والقصد منه كان تعليم أخ آخر يأكل عدة أنواع من الأطعمة في الوجبة الواحدة.

ومـن حـديـث آخر ليوحنا القصير، نفهم فعلاً أن بعض الآباء العمّالين بالروح كانوا يعتبرون أكـل الخـبـز والملح شيئاً يمكن الإقلال منه!! [و بينا نحن نأكل خبزاً بملح قال لنا يوحنا أن الآباء كانوا يوصوننا أن لا نجعل حتى أكل الخبز والملح ضرورة لنا](٣٦).

ولـكن يلزم أن نعلم تماماً أن تدبير شيهيت النسكي كان يقوم على أساس تحديد الطعام بالخبز والمـلـح فقط، على مدى الخمسة أيام من كل أسبوع، على أن لا يُحلُّ هذا القانون إلا يومي السبت والأحـد، حينما يـؤكـل الـطـبيخ على المائدة العامة مع بقية الآباء بعد الشركة من الأسرار. كذلك يُـحـلُّ هـذا الـقـانـون في حالة ز يارة إخوة غر باء في أي وقت؛ كما رأينا موسى الأسود كيف حلّ قـانـون الـصـيـام العام بأن أصلح طبيخ عدس لإخوة ضيوف غر باء جاءوا لز يارته(٣٧)؛ وكذلك

(33) Ev. Wh., II, p. 202.
(34) Pallad., L.H., ch. XXXVIII.
(35) Apoph. Patr., Achillas, III.
(36) Apoph. Patr., J. Colobos, XXIX.
(37) Apoph. Patr., Moses, V.

كيف أخذ إشعياء حفنة عدس وجعلها تغلي على النار قليلاً ورفعها قبل أن يتم نضجها، وقدّمها للراهب الذي كان نازلاً عنده كضيف (٣٨) من مكان بعيد.

أنواع الأطعمة الأخرى:

نسمع عن بعض رهبان كانوا يتنسكون حتى عن الخبز، فكانوا يضطرون إلى الإعتماد على القطّاني، وهو الحمص والفول، أو على الخضر أو الشعير(٣٩)، كما كان يعمل إيڤاجر يوس. ونسمع عن سلوانس أنه عاش فترة من حياته على الحمص فقط (٤٠)، أما الفاكهة مثل التين والعنب والتفاح والخضروات مثل البصل فكانت تُحسب أنها ترف. لذلك لم يكن الرهبان يقتنونها ولكن كانت توزَّع عليهم من المخازن العامة لأنها كانت تأتي كهبات، وكان يختص بها في غالب الأحيان الشيوخ الضعفاء والمرضى.

الزيت:

وكان يُستخدم الزيت بنوعيه، زيت حار (بذر كتان) وزيت الزيتون (ويسمى «زيت طيب»). وكان استهلاك الآباء منه يتناسب مع نسكهم. فنسمع عن إيڤاجر يوس أنه كان يستهلك كل ثلاثة شهور مقدار پنت وهو يساوي ثُمن جالون (أي ٠٫٥٦٨ لتر) أي نصف كيلو تقريباً(٤١).

ويحكي لنا بنيامين الراهب أنه جاء من الإسكندرية هدية للآباء زجاجة زيت لكل راهب، ولكن معظم الآباء لم يستخدموها. أما هو فثقب السدادة بدبوس وكان ينقط منها على الطعام(٤٢).

النبيذ:

كان النبيذ في الحياة الرهبانية الأولى غذاءً مباحاً بلا أي حرج، حتى أننا نسمع عن القديس مقاريوس نفسه أنه كان لا يمانع في أن يشرب منه كلما كان يُقدَّم إليه(٤٣). ولكن لما زاد الإخوة من تقديمه إليه، بدأ يصوم عن كل كأس نبيذ يشربه معهم يوماً كاملاً بلا ماء ولا طعام. غير أن قبوله لشرب النبيذ هو في حدّ ذاته دليل قاطع أنه كان أمراً مباحاً بلا حرج.

ومعظم الآباء الكبار كانوا في شرب النبيذ معتدلين، حتى أنهم أوصوا بأن لا يزيد الراهب في

---

(38) Apoph. Patr., Isaïas, VI.
(39) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVIII.
(40) Apoph. Patr., Silwan, VII.
(41) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVII.
(42) Apoph. Patr., Benjamin, I.
(43) Apoph. Patr., Macar., X.

شربه للخمر عن ثلاث كؤوس. ونسمع عن أنبا شيشوي أنه كان يقبل كأسين و يرفض الثالث(٤٤)، معتبراً أن الكثرة منه هي إيحاء شيطاني.

ولكن كان للنبيذ أعداء علنيون، فأنبا بافنوتيوس(٤٥) كان لا يذوقه ولا يشجع أحداً على شربه، وأنبا بيمن أعلن: [إن الراهب ليست له حاجة إلى شرب النبيذ البتة](٤٦).

ولكن من المعروف أن النبيذ كان يقدم على المائدة العامة يومي السبت والأحد: [وعندما كان الإخوة مجتمعين للأكل في الكنيسة (المائدة) في يوم عيد القيامة أعطوا أخاً كأساً من النبيذ](٤٧).

وفي سيرة اسحق التبايسي: [وكان دائماً يعمل الأغابي بعد الصلاة و يقدم للإخوة كأساً من النبيذ](٤٨).

أما الماء فظل هو مشروب الآباء النساك الوحيد، فنسمع عن مقاريوس الكبير أنه كان يشربه بالميزان، بل وكان بمثابة الفاكهة التي يشتاق إليها العابد بعد فترة الصوم المجهدة. فيقول أرسانيوس لألكسندر تلميذه أن يبكر في صلاته (الساعة التاسعة)، حتى يستطيع أن يشرب ليبلّ ريقه بعد وصوله من تقطيع الخوص في الصحراء الشديدة القيظ(٤٩).

ومقاريوس الكبير بعد أن اشترك في مائدة الخبز الجاف مع ولديه مكسيموس ودوماديوس، ناوله الأخ الأكبر كوز الماء فشرب كفايته(٥٠).

صلاة الساعة التاسعة وميعاد الأكل:

يقرر بالليديوس أن في الساعة التاسعة تُسمع الأبصلمودية بوضوح من كل القلالي و يتردد أصداؤها في الجبل كله، و يؤكد كاسيان أيضاً هذه الحقيقة. ولكن نعلم أيضاً من كاسيان أن آباء مصر الرهبان كانوا يحافظون على ساعتين فقط من ساعات النهار يقدمون فيها الأبصلمودية بصورة محددة قانونية، وهي صلاة الغروب وصلاة الليل في قلاليهم. إذن فصلاة الساعة التاسعة التي يسبِّح بها الرهبان قبل ميعاد الإفطار هي نفسها أولى هاتين الساعتين أي صلاة الغروب، وهذا كان المتبع لدى عامة الرهبان في العصور الأولى وفي حياة أنطونيوس أيضاً(٥١).

---

(44) Apoph. Patr., Sisoes., VIII.
(45) Apoph. Patr., Paphnotius, II.
(46) Apoph. Patr., Poemen, XIX.
(47) R.O.C. XIII, p. 53; Ev. Wh., II, p. 203, 211, 212.
(48) Apoph. Patr., Isaak of Thebes, II.
(49) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.
(50) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.
(51) Athanas., Life of St. Antony, 65.

ولكن أحياناً كان يؤخر الآباء ميعاد هذه التسبحة قليلاً وكذلك ميعاد الأكل، كما رأينا في أول يوم لمقابلة القديس أنطونيوس لبولا البسيط حيث كان جلوسهم للأكل بعد غروب الشمس مباشرة، وهكذا أيضاً كان يسلك الآباء الذين تمكنوا من حياة النسك في شيهيت. و ينقل لنا كاسيان رأي أنبا موسى في أهمية الأكل الساعة التاسعة حتى يكون الراهب قد هضم أكله قبل الوقوف للصلاة في الغروب(٥٢). والحقيقة أن صلاة التاسعة كانت ولا تزال تتداخل في صلاة الغروب في أوقات الشتاء، لأن غروب الشمس في الشتاء يكون بعد التاسعة بقليل جداً.

ما بين التاسعة والغروب، ميعاد الزيارة:

وإن كان من المعروف أن متوحدي شيهيت لا يجيزون الزيارات على وجه الإطلاق حتى بين الأب وتلاميذه إلا للضرورة القصوى، لأن التوحد عندهم مقدس وهو على أعلى مستوى من المحبة؛ لأنه من أجل محبة الله يعتزل الراهب خمسة أيام، ومن أجل محبة الإخوة يحضر يوم السبت لسماع العظات أو إلقائها. ولكن بسبب الضجر الذي يُصاب به المبتدئون، أفسح الآباء الشيوخ صدرهم للزيارات في حدود معقولة، ليأتي فيها المتعبون أثناء الأسبوع يسألون كلمة خلاص أو نصيحة «قل لي ياأبي كلمة لأحيا»... وقد علمنا من كلام أنبا أنطونيوس لآمون أنه مباح زيارة المتوحدين في القلالي فيما بين التاسعة والغروب.

قبول الغرباء:

والغريب الآتي من بعيد لا يتحكم في ميعاد وصوله، لذلك فإن المسافر الآتي من الدلتا مثلاً كان له قبول وترحاب لدى الآباء بلا أي قيد أو شرط في ميعاد وصوله. وكان طقس مقابلة الزائر والغريب هاماً ومميزاً للآباء والرهبان. فأولاً يخلعون عنه ملابسه وجلده، وثانياً يدعونه للصلاة، ثم يأمرونه بالجلوس والراحة على الوسادة المخصصة للضيوف المسماة «امبريميا»، ويحرمون على أنفسهم وعلى ضيفهم أن يتكلم بأخبار العالم، فليس من حديث مباح إلا فيما يخص راحته وسلامه وروحياته فقط، ثم يدعونه لغسل رجليه، و بعد ذلك يعدون له المائدة بأفخر ما عندهم من طعام. وكان قبيحاً بالراهب جداً أن لا يحيي ضيفه، فيُحكى أن جماعة إخوة ذهبوا لزيارة يوحنا الخادم، فلما فتح لهم استمر في عمل يديه، فما كان منهم إلا أنهم و بخوه بالرغم من علوّ مرتبته [يايوحنا مَنْ الذي رهبنك؟ وهل الذي رهبنك لم يعلمك كيف ترفع عن الإخوة ملابسهم (جلدهم) أو تقول لهم هلموا للصلاة أو تفضلوا اجلسوا؟؟](٥٣).

والمفروض إذا كان الزائر آتياً من سفر أن يُعمل له طبيخ خاص، كما صنع موسى الأسود

(52) Cassian Coll., II, 26.

(53) Apoph. Patr., John Coenobitae.

لضيوفه، و يأكل بدون النظر إلى سواعي الصلاة أو الصوم، إذ هنا تكون المحبة فوق قانون النسك والصلاة.

أما الأطبخة الشائعة آنذاك فهي العدس والفول المدشوش.

وحينا يتقدم الراهب الضيف ليأخذ صحناً أو فنجالاً، فإنه يسبق أخذه بكلمة «حاللني» وهي συγχώρησον ϫⲱ ⲛⲏⲓ ⲉⲃⲟⲗ وذلك تأدُّباً. وكانت هذه من مميزات الأدب الرهباني ولا تزال. وقد حدث مرة أن زار أنبا ثيئوذور البرامي مع بعض الإخوة أخاً من شيهيت، فوجدهم يمدون أيديهم على الأكل بدون كلام صامتين فانتهرهم: [لقد أضاع الرهبان شرف اسمهم بضياع كلمة «حاللني»](٥٤)، فانتبهوا واعتذروا.

وليس من عادة رهبان مصر على الإطلاق أن يأكلوا بلذّة أو بشره، سواء في قلاليهم أو في الأغابي العامة أو في زياراتهم(٥٥).

وعند حلول ساعة الغروب يُدعى الضيف للصلاة ثم يمهَّد له مكان للنوم. والزائر في ارتحاله يطلب دائماً الحِلّ والصلاة. وغير مصرح للزائر في شيهيت أن يمكث أكثر من ثلاثة أيام(٥٦).

النوم:

بعد صلاة الغروب يخلد الراهب إلى النوم — إلا إذا كان محباً للسهر بنوع النسك — فيخلع نعليه ومنطقته وجلده إذا كان الوقت شتاءً. أما فراش الراهب فهو بسيط للغاية لا يزيد عن حصير Ψιάθος من السمار أو البردي مفروشة على الأرض العارية، وأحياناً يوضع عليها فرو خروف. و يذكر كاسيان نوعاً من الوسادة يسميها(٥٧) ἐμβρίμια، و يصفها بأنها حزمة من البردي مربوطة من طرفيها وعلى مسافات متساوية كل ٣٠ سم، فتصلح كوسادة وشلتة للجلوس في الكنيسة(٥٨) أثناء الخدمة.

و ينام الراهب العادي من ساعة الغروب مباشرة حتى ميعاد صلاة نصف الليل، فيقوم للخدمة داخل قلايته.

الإجتماع الأسبوعي العام:

يفيدنا كل من پالليديوس وكاسيان أن في شيهيت كان يجتمع كل الآباء الرهبان في يومي

---

(54) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, VI.

(55) Apoph. Patr., No 229 (R.O.C., XIV, p. 361).

(56) Ev. Wh., II, p. 207.

(57) Cassian Coll., II, 26.

(58) Cassian Coll., I, 23, 4.

السبت والأحد من كل أسبوع للعبادة والصلاة وسماع كلمة وعظ (٥٩).

وفي هذا الإجتماع الكبير كانت تقام تسبحة صلوات خدمة الغروب وخدمة نصف الليل، ثم الإشتراك العام في القربان المقدس يومي السبت والأحد صباحاً، كما يقرر ذلك كل من كاسيان: [وكانوا يجتمعون معاً في يومي السبت والأحد في الساعة الثالثة للشركة في القربان المقدس] (٦٠)، والقديس مقار يوس يقول عن نفسه [ولا يمر عليَّ أي سبت أو أحد دون أن أرى ملاك المذبح عندما أرفع الصعيدة الطاهرة أمام الله] (٦١).

ولكن يضيف لنا القديس مار اسحق بتدقيق ووعي كامل، أن ذبيحة يوم السبت كانت تقدم مساءً، وذبيحة يوم الأحد كانت تقدم صباحاً.

ولكن بعد مدة وجيزة من نياحة القديس أنبا مقار، اختُصر قداس يوم السبت وصار عشية فقط ثم تسبحة طويلة تنتهي بقداس واحد يقام في نهاية تسبحة صلاة نصف الليل و ينتهي بالصباح، وسُمي هذا بقانون القديس مقار يوس (٦٢). وظل هذا الطقس معمولاً به حتى بداية القرن الثامن عشر، كما يقرر السائح سيكار أنه اشترك في خدمة صلاة نصف الليل التي بدأت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وانتهى القداس في الصباح (٦٣)، وهذا هو الطقس الذي لا يزال معمولاً به في الكنائس النشيطة بشيهيت حتى اليوم.

وعلى مدى أقوال الآباء وتراجم حياتهم التي قدمتها لنا المخطوطات، نستطيع أن نلمح بعض مواصفات القداس القبطي في شيهيت في العصور الأولى:

١ ــ كان الآباء يقفون (أو يجلسون) فوق وسائد من البردي، وهي التي تسمى إمبريميا embrimia ، وكان بعضها طويلاً يكفي لوقوف ثلاثة معاً، وهذا نقرأه في حياة أرسانيوس على لسان دانيال تلميذه (٦٤).

٢ ــ كان المذبح يُرى من بُعد و بدون حجاب أو ستارة.

٣ ــ كان الآباء وقت الإشتراك في القربان يغادرون مكانهم بهدوء و يدخلون الهيكل.

٤ ــ كان المتناولون يشتركون في الجسد والدم.

---

(59) Pallad., ch. VII; & Apoph. Patr., Daniel, VII; Moses, V; & Cassian Collect., III, 1.

(60) Cassian Inst., III, 2.

(61) A.M.G., XXV, pp. 254 f.

(62) Rule of Macarius, ch. 15 (P.L., CIII, col. 449).

(63) Sicard., Lettres edifiantes t. V. p. 45.

(64) Apoph. Patr., Daniel, VII.

نظام خدمة التسبيح الجماعي في الغروب ونصف الليل (٦٥):

يقدم لنا كاسيان وصفاً غاية في الدقة لتسبحة كل من الغروب ونصف الليل، وهما الساعتان الوحيدتان اللتان كان يشترك فيهما جماعة المسبحين معاً في الكنيسة على مدار الأسبوع. يقول كاسيان إن الرهبان يسبحون في كل ساعة اثني عشر مزموراً، و يقومون بعدها بتلاوة فصلين من الكتاب المقدس فصل من العهد القديم والآخر من العهد الجديد، (ومن العهد الجديد فصلان واحد من الرسائل والآخر من الأناجيل).

أما المزامير فيتحتم أن يكون المزمور الأخير من المزامير المنتهية بهليلو يا، حتى يختم التسبيح بها ثم بالذكصا. والمزمور إذا كان من المزامير الطو يلة، يقسَّم بواسطة وقفات معينة إلى عدة أقسام، كل قسم يُحسب مزموراً مستقلاً تُتلى بعده صلاة.

وتسبيح المزامير لا يكون مرة واحدة، بل بعد التسبيح بكل مزمور يكون هناك وقفة قصيرة للصلاة. ولذلك نسمع أن أنبا أنطونيوس مع بولا البسيط سبح اثني عشر مزموراً مع اثنتي عشرة صلاة. وفي كل صلاة يقف الرهبان و يرفعون أيديهم بالصلاة، ثم يخرون جميعاً ساجدين معاً مرة واحدة، و بعد لحظة وجيزة يقومون جميعاً.

أما خورس المسبِّحين فكان لا يز يد على أر بعة على الإطلاق، وقد يقوم بالتسبيح كله شخص واحد أو إثنان أو ثلا ثة يقسمون المزامير بينهم.

وإذا تباطأ الراهب في التسبيح أو عمد إلى التطو يل، فإن رئيس التسبحة يصفق بيديه، وفي الحال يقف الرهبان معاً للصلاة باعتبار أن المزمور قد انتهى، وهنا يضطر الراهب إلى قطع التسبيح في الحال والنزول.

وفي أثناء تسبيح المزمور يكون الآباء كلهم جلوساً على وساداتهم المنخفضة، وفي منتهى الصمت والإصغاء، فإذا انتهى المزمور يقومون جميعاً للصلاة برفع الأيدي والسجود والقيام ثم الجلوس مرة أخرى للإنصات إلى المزمور الآخر.

السهر في التسبيح:

وفي وصف شيِّق، إنما مؤسف للغاية، يصف لنا كاتب المستور يا موناخورم حال الرهبان في أثناء سهرة من سهرات السبت التي تنتهي بقداس الأحد صباحاً هكذا: [وفي يوم من الأيام دخل القديس أنبا مقار ليحضر السهر، فلما دخل رأى (بالنظر المعقول) أن الشيطان يأخذ نصيباً كبيراً في خدمة هذه السهرة، إذ لما دخل الكنيسة رأى أن المكان مملوء بقرود لها منظر الأولاد الصغيرة

(65) Ev. Wh., II, p. 209.

سوداء الجلد يعبثون ويجرون هنا وهناك ــ وكان من عادة الآباء أن يقف واحد منهم يتلو المزمور بينما يكون الآخرون جالسين يصغون ــ فرأى أنبا مقار بعض القرود وهي مهتمة جداً بتغميض عيون بعض الرهبان ليجلبوا عليهم النعاس الشديد، و بعض القرود الأخرى تضع أصابعها في أفواه الرهبان الآخرين لكي تتثاءب باستمرار. وعند انتهاء المزمور ويحين الوقوف للصلاة ثم السجود يتحايل القرود بشتى الوسائل والحركات لتشتيت ذهن الرهبان.

وحينما حان ميعاد التناول رأى القديس مقار يوس هذه القرود عينها وهي تضع جمرة نار في أيدي بعض الرهبان غير المستحقين، وفي نفس الوقت رأى قطعة الجسد وهي تعود مرة أخرى من أفواههم إلى الصينية!!](٦٦).

من هذا الوصف يتضح لنا ترتيب طقس السهر ونظام التسبيح والصلاة والسجود وكيف ينتهي السهر والتسبيح بالقداس.

الأغابي وكأس المحبة:

كانت الأغابي هي الأكلة الوحيدة التي يأكلها الآباء معاً بعد الإنتهاء من القداس مباشرة كل يوم سبت وكل يوم أحد، ثم صارت كل يوم أحد بعد أن أُلغي قداس السبت. وكان يتناولها الآباء في بادىء الأمر داخل الكنيسة الجامعة، ولكن بتقدم الزمن صار يلحق بكل كنيسة خورس أخير للمائدة.

أما كلمة «أغابي» نفسها فهي تفيد معنى المحبة، وكان يستخدمها الرهبان في مناسبات كثيرة. فمثلاً:

١ ــ حينما يطلب راهب شيئاً من راهب آخر يتحتم أن يقول له «اصنع محبة واعطني هذا أو ذاك».

٢ ــ وكذلك حينما يقرع الراهب باب راهب آخر يلزم أن يقول كلمة «أغابي»، أي **بسبب** «المحبة» أنا أتيت **ومن أجل** «المحبة» افتح لي!!

٣ ــ كذلك فإن أي تذكار لأي قديس، إن كان يقام له قداس، يلزم في نفس الوقت أن يُقام بعد القداس مائدة تسمى «مائدة أغابي» باسم القديس. وهذا شائع في العالم فقط، لأن طقس القداس في شيهيت كان يختص بيوم الأحد فقط، ولم يكن يقام تذكارات وقداديس خاصة للقديسين في أيام الأسبوع الأخرى إلا عند نياحة أي أب كجزء من التجنيز، كما نسمع من قول أرسانيوس لتلاميذه عند دنو وفاته: «لا تفكروا في إقامة أغابي بإسمي»](٦٧).

---

(66) Hist. Monachor., Latin Version, ch. XXIX.

(67) Apoph. Patr., Arsen., XXXIX.

٤ ــ كذلك فإن أي مائدة تُقدم لضيف غريب أو مريض أو جماعة رهبان كانت تسمى مائدة أغابي، وكان الرهبان لا يقيمونها إلا يومي السبت والأحد فقط، وهذا نعلمه من سلوك الأخين بائيسيوس وإشعياء اللذين [كانا ينيّحان كل غريب وكل إنسان ضعيف وكل شيخ عجوز وكل فقير، فكانا يقدمان مائدة المحبة ثلاث مرات كل يوم سبت وأحد](٦٨).

٥ ــ وأخيراً فإن المائدة العامة التي كانت تقام كل يوم سبت وأحد في شيهيت كانت تسمى الأغابي، لأن هذين اليومين في عُرف الآباء والكنيسة الأولى كانا محسوبين أنهما عيدان من الأعياد الروحية. فكان أقباط مصر [يمتنعون عن إحناء الركب (الركوع) وعن الصوم](٦٩). لذلك جعلها الرهبان فرصة لإظهار الفرح وشعور المحبة والألفة بإقامة المائدة العامة، التي وإن كانت تظهر بمظهر الترفيه الجسدي لأن الخمر كان يُقدَّم عليها للرهبان، إلا أنها في الحقيقة ــ التي خفيت عن جميع المؤرخين والعلماء ــ هي أن هذه المائدة وهذا الخمر بالذات يعتبر جزءاً أساسياً في طقس الإفخارستيا أي طقس العشاء السري. لأنه كان يقام أصلاً بكسر الخبز وكأسين من الخمر، الأول هو الكأس السري والثاني كأس المحبة أو كأس الأسرة؛ لذلك اعتبر أقباط مصر عموماً والرهبان بصفة خاصة أن مائدة الأغابي جزء هام أساسي في سر الإفخارستيا، وكأس الخمر الذي يقدَّم فيها باسم المحبة متمّم لكأس العشاء السري!!

ولذلك لا نتعجب إذا سمعنا أن الأغابي كانت تُعمل داخل الكنيسة في العصور الأولى، وهذا عين الحق لأن المسيح يكون حاضراً أيضاً وهو الذي يوزع بيديه كأس المحبة هذا. و يعتبر إڤلين وايت نفسه أن هذه المائدة المسماة بالأغابي تُعتبر «نصف طقسية» (٧٠)؛ وقد ذكر لنا التاريخ عن أقباط مصر **قديماً** كما يروي المؤرخ سقراط (٧١) (٣٨٠ــ ٤٥٠م.) أنهم [يقيمون القداس في يوم السبت ولكنهم لا يشتركون في الأسرار على نظام بقية المسيحيين (في العالم)، بل بعد أن يولموا الوليمة و يأكلوا من جميع أنواع الأطعمة حتى الملء، يقدمون بعد ذلك القرابين عند المساء و يشتركون في الأسرار].

أما هذا الترتيب فكان هو نظام سر العشاء الذي أقامه المسيح والذي كان يتممه الرسل ومار مرقس نفسه في بادىء الأمر، لأن كأس البركة وكسر الخبز كان يقدَّم في نهاية العشاء كما جاء في إنجيل مرقس: « **وفيما هم يأكلون** أخذ يسوع خبزاً و بارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم هذا هو دمي» (مر١٤: ٢٢ــ ٢٤)، وكما جاء في إنجيل يوحنا بوضوح أكثر: « **قام عن العشاء...** ثم صبَّ ماءً

(68) Pallad., Laus. Hist., ch. XIV.
(69) Cassian Inst., II, 18.
(70) Ev. Wh., II, p. 211.
(71) Socrate, H.E., V, 22.

في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ (التمهيد لطقس السر)... فلما كان قد غسل... فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا» (يو١٣: ٤ــ٢٦).

وهكذا يتضح أن العشاء السري أصلاً كان يشمل العشاء العادي أولاً، ثم بعد غسيل الأيدي والأرجل يتقدمون لنوال سر اللقمة المكسورة وكأس البركة اللذين يصيران جسد الرب ودمه. وهكذا ظل اليهود المتنصرون محافظين على طقسهم اليهودي حتى استطاعت الكنيسة تعديل هذا الطقس بما يتناسب مع هيبة وقداسة السر الإلهي. وابتدأت الكنيسة في هذا التعديل منذ أيام بولس الرسول نفسه، وهو يشرح هذا الترتيب في رسالة كورنثوس الأولى في الأصحاح الحادي عشر: ١٧ــ٢٢؛ حيث يتضح لنا أنه بسبب استهتار الكثيرين والتمادي في شرب الخمر قبل التناول، فصلت الكنيسة منذ البدء بين العشاء وسر العشاء، وقطعت بسلطة القانون كل من يتقدم إلى الأسرار وهو غير صائم، إذ جعلت سر العشاء هو الأول و يليه أكلة العشاء نفسها التي سميت بالأغابي. وهكذا استمر الآباء الأقباط، وخصوصاً الرهبان، محافظين جداً على أكلة الأغابي بعد التناول مباشرة بكل دقة واهتمام، ولا يزال هذا الطقس حتى زماننا هذا في بعض الكنائس والأديرة إنما بصورة ضعيفة.

ولما قام بعض الأساقفة وعلى رأسهم ميليتوس مترو بوليت أسيوط (٣٠٢ــ٣٣٠م.)، ومعهم بعض الرهبان وأرادوا استرجاع عادة اليهود في أكل العشاء قبل السر المقدس قطعتهم الكنيسة وحاربهم القديس أثناسيوس الرسولي واعتبرهم هراطقة، ولم يأتِ القرن السادس حتى انقطع جذرهم من الكنيسة(٧٢).

وأما لماذا كانت الأديرة تقيم قداس السبت وترفع القرابين **مساءً**، فلأن هذا هو الميعاد الأصيل الذي أقام فيه الرب سر العشاء الأول، أما القداس الثاني في فجر يوم الأحد فهو لتذكار قيامة الرب من بين الأموات، فقداس السبت كان يحمل في ملابسات الوقت، الوقت الذي أُقيم فيه سر ذبيحة المسيح أي موته، والثاني أي قداس الأحد فكان يحمل في ملابسات الوقت، الوقت الذي أُقيم فيه سر قيامته من الأموات.

وأغابي يوم السبت واضحة في أقوال الآباء: [وكان هذا الأب يأتي متأخراً يوم السبت

---

(٧٢) وقد تشيع لميليتوس هذا بعض الرهبان في شيهيت كما يخبرنا كتاب تاريخ البطاركة: [وكان من بين رهبان شيهيت بعض الميليتيين أتباع ميليتوس الذين اعتادوا أن يشربوا عدة كؤوس من الخمر قبل أن يتقدموا للتناول، وظلوا هناك حتى جاء البابا داميانوس (٥٦٩ــ٦٠٥م.) وأمر بطرد من تبقى منهم]؛ كما يقص لنا السنكسار لباسيه ص٤٨٨ أن في رئاسة أنبا دانيال قمص شيهيت كان على دير أنبا مقار الأب يوحنا الذي صار أسقفاً على البرلس، وفي أيامه نصح الميليتيين أن يرتدعوا فلم يرتدعوا، فدعى عليهم فنزلت النار وحرقت رئيسهم.

لـيشترك في القداس، فإذا خرج القداس يهرب سريعاً لئلا يجبره الإخوة على الإشتراك في الأكل مع الإخوة في الكنيسة](٧٣)، وطبعاً كان هذا السلوك مذموماً من الآباء جداً لأن الأغابي كانت مقدسة!! و يؤكد كاسيان أن في شيهيت كانت تقام أكلتان للأغابي واحدة يوم السبت والأخرى يوم الأحد(٧٤).

أما كون الأغابي كانت تقام داخل الكنيسة فهذا ليس فيه أي مجال للشك، لأن النصوص التي وصلتنا كلها واضحة صريحة، إذ لم يكن للمائدة مكان خاص بل كان الأكل يتم داخل الكنيسة نفسها:

ـــ [و بينما كان الإخوة يأكلون داخل الكنيسة وأعطوا لأخ كأس نبيذ...](٧٥).

ـــ [وكان عيد في القلالي وكان الإخوة في الكنيسة يأكلون...](٧٦).

ـــ [و بينما كان الإخوة يأكلون داخل الكنيسة أمروا بطرس وأبيماخوس بالإنتقال للأكل على مائدة الشيوخ](٧٧).

ومن ذلك يظهر أن المائدة كانت أقساماً، منها ما هو للمبتدئين ومنها ما هو للشيوخ. ومعلوم أن تكاليف مائدة الأغابي كانت تؤخذ من أموال الكنيسة، أي من الهبات والتبرعات ومساعدة الإخوة النشطاء الذين كانوا يموّنون الكنيسة من عمل أيديهم سواء من صناعة السلال أو النساخة، وقد وصل إلينا أيضاً أن بعض الآباء كانوا يقيمون هذه الأغابي العامة على نفقتهم الخاصة محبة للإخوة(٧٨)، فيحكى عن الأب اسحق التبايسي أنه [كان دائماً يوزع على الآباء بعد خروجهم من الكنيسة خبزة وكأس نبيذ](٧٩).

والمفروض في اجتماع الأغابي أن لا يتكلم أحد على المائدة إطلاقاً، لأنها كما سبق وعرفنا طقس روحي صرف وفرصة لشركة المحبة الصامتة، ولكن في بعض العصور المتأخرة نسمع عن تهاون كثير حتى أن أبا يوسف ظل يوبخ الإخوة كثيراً على انحلالهم في الكلام أثناء المائدة (أنظر ص٢٩٧ من هذا الكتاب).

كذلك نسمع أيضاً عن راهب قسيس من البيلوز يوم (بورسعيد الآن) كان حاضراً وقت

---

(73) Rosweyd, Vitae Patrum, p. 572.
(74) Cassian Coll., II, 19, 1.
(75) R.O.C., XIII, p. 53.
(76) R.O.C., XIV, p. 367.
(77) Apoph. Patr., Peter the Pionete, III.
(78) Apoph. Patr., Agatho, XVII.
(79) Apoph. Patr., Isaak of Thebes, II.

الأغـابي ، ولـما سـمع الإخوة يتحدثون على المائدة وبخهم قائلاً : [ياإخوة ألا يمكن أن تصمتوا على المائـدة؟ إني أرى في وسـطـكـم أبـاً يـأكل ما تأكلون و يشرب معكم عدد الكؤوس التي تشربون ولكن هوذا صلاته ترتفع أمام الله مثل عمود النار] (٨٠).

وكان دائماً للمائدة هيبة ووقار كهيبة المذبح ووقاره تماماً ، فيُحكى عن يوحنا القصير أنه رأى واحـداً من الرهبان يضحك على المائدة فما كان منه إلا أنه بكى قائلاً : [ماذا أصاب هذا الراهب في قـلـبـه حتى أنـه يـضحك بينما كان ينبغي عليه أن يبكي لأنه إنما يأكل هنا خبز الأغابي (المحبة) كصدقة ؟] (٨١).

كـل هـذا يـشير تـمـامـاً إلى أن الأغـابي في شيهيت لم تكن إلا طقساً متصلاً بالقربان المقدس وكأس الإفخارستيا الذي كان من أهم مميزات المسيحية الأولى (١كو١٠ : ١٦و١٧).

العودة إلى القلاية يوم الأحد:

كـانـت نصيحة أنبا مقار لأولاده أن يسرعوا إلى قلاليهم بعد الخروج من الكنيسة ، أي بعد أن يخرج الإخـوة مـن الأغابي التي كانت تُعمل لهم داخل الكنيسة ، و يُقرأ في نهايتها البركة كعلامة للإنـصـراف : «إذا سُرِّحت الكنيسة فاهربوا ياإخوة» . لأنه كان من عادة بعض الإخوة التلكوء خـارج الكنيسة وتجاذب الحديث . ولكن كان الآباء العمّالون يسرعون بأخذ ما كان يلزمهم طول الأسـبـوع مـن الخـبـز والمـاء الـذي يـكـفي لخمسة أيام . والمعروف أنه كان لكل واحد قدر من الماء وسـبـت يـد صـغير يحـمـل فيه خبزه و يسمى Prochirium (٨٢). ونعلم من سيرة يوحنا الخادم أنه كـان يحـمـل لـنـفـسـه «سبعة أزواج من الخبزات تكفي لسبعة أيام» (٨٣)، وكان يعرف من عدد الخبزات ميعاد مجيء يوم السبت حتى لا ينسى الحضور إلى الكنيسة ، لأنه كما علمنا من مار اسحق «أن الـذي يـتـغـيـب عـن الحـضـور يـوم الـسـبـت بدون سبب مرض كان يقطع عليه الآباء حكماً صـعـبـاً» . أمـا الـذيـن يـتـغـيـبـون فكان على قس الكنيسة والإخوة خدام المجمع أن يتوجهوا إليهم ويخدموهم .

قلاية الراهب وأثاثها:

كـانـت قـلايـة الـراهـب في منطقة نتريا تُعمل من الطوب ، ومعظمها كان يُعمل من الطوب الأحمـر وكـان لها حوش متسع حولها . و بعضها ، كما نعلم ، كان له سور مثل قلاية أمونيوس (٨٤) .

(80) Apoph. Patr., Isaïas, IV.
(81) Apoph. Patr., John Colobos, IX.
(82) Rosweyd, Vitae Patr., p. 493.
(83) Cassian Coll., XIX, 4, 2.
(84) Hist. Monach., Lat. ch. XXIII.

و بعض قلالي نتريا ظلت قائمة بأسماء أصحابها عدة قرون مثل قلاية إيفاجريوس التي تُركت مهجورة لأن الآباء كانوا يقولون أنه كان يسكنها شيطان، وظلت قائمة حتى القرن السادس(٨٥).

أما المساكن الرهبانية في نتريا (وكانت تدعى إسكيني على قياس اسم خيمة الإجتماع لدى شعب إسرائيل في البرية)، فكانت الواحدة تسع مائة راهب تقريباً(٨٦). وكانت القلالي، كما نعلم، واسعة ومريحة حتى أننا نسمع عن آمون الذي من نتريا أنه بنى لنفسه قلاية ذات غرفتين ولها قبتان، وأن الرهبان بعد ذلك اقتدوا به جاعلين الغرفة الأولى من القلاية للنوم (محبسة)، والأخرى للاستخدام اليومي(٨٧).

أما في شيهيت فكان يوجد نوعان من القلالي، قلالي داخل منشوبيات وكانت هذه للضعفاء والمرضى والشيوخ، وقلالي في الجبل وهذه كانت مغائر، إما محفورة حفراً كاملاً بحيث تكون كلها تحت سطح الصخرة، وإما نصف محفورة و يكملها حوش من الخارج مبني جداره بالحجارة والطين و يسقف بالنخيل والجريد. وهذا يوضحه قول القديس مقار يوس للإخوة الغرباء مكسيموس ودوماديوس [وأراهم صخرة صلبة (أي تصلح أن تكون سقفاً للمغارة) وقال لهم: احفروا هنا... وأحضروا لأنفسكم جريداً من البحيرة وسقّفوها واسكنوا فيها](٨٨).

وكان لكل قلاية أو مغارة باب يمكن إغلاقه، وداخل المغارة غالباً كان مقسَّماً إلى قسمين: قسم داخلي للنوم، وقسم خارجي لمقابلة أي زائر فيه؛ وجدران المغارة كلها مطلية بالطين. وهذا نسمعه جيداً من قصة أبا أور وزميله اللذين كانا مشغولين بطلاء جدران قلايتهما بالطين، وتذكرا إمكانية مجيء الرب في هذه اللحظة فخجلا من أنفسهما لئلا يجدهما الرب في مثل هذا العمل التافه فنزلا من على الحائط وصلّيا(٨٩).

وكل قلاية أو مغارة كان لها شباك أي طاقة أو أكثر، ونسمع عن تقشف أنبا مقار يوس الإسكندراني أنه كانت له قلاية خالية من النوافذ كنوع من شظف المعيشة(٩٠). كما نعلم أن كل قلاية كان بها دولاب أو عدة دواليب حائطية (طاقة) وكانت تسمى بالقبطية ϣⲟⲩϣⲧ و باليونانية θυρίδες (٩١)، حيث كانت تُحفظ بها الأشياء الثمينة كالمخطوطات والودائع والنقود

(85) John Moschus, Prat. Sprit., CLXXVII.
(86) Jerome, Epist. XXII, ch. 33.
(87) Pallad., Hist. Laus., ch. VIII.
(88) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.
(89) Apoph. Patr., Or, I.
(90) Pallad., Hist. Laus., ch. XVIII (Butler).
(91) Zoëga cat., No. LXXI.

أحيـاناً، فنسمع في سيرة أنبا بامو (بموا) أنه أمر تلميذه أن يضع صرة النقود التي أحضرتها القديسة ميلانية له في الدولاب(٩٢). كما نسمع أيضاً في كلام سرابيون لأحد المغرمين باقتناء الكتب دون العمل بما فيها هكذا: [لقد أخذت قوت الأرامل وملأت به هذا الدولاب أوراقاً، لأنه رأى دولاب الأخ مملوءاً بالكتب](٩٣). و يعز ينا القديس أموي في وصفه لبعض الآباء الذين ملأت حرارة الروح قلوبهم [فتركوا دواليب كتبهم ملآنة بالمخطوطات، وحتى لم يعتنوا أن يقفلوا ضلفتها بل تركوها مفتوحة، وخرجوا (ليستشهدوا)](٩٤).

وهكذا نأخذ صورة واضحة جداً لمنظر هذه الدواليب ورفوفها المنسقة بالمخطوطات الثمينة وضلفها المحكمة التي يمكن إغلاقها.

الكتب في قلاية الراهب:

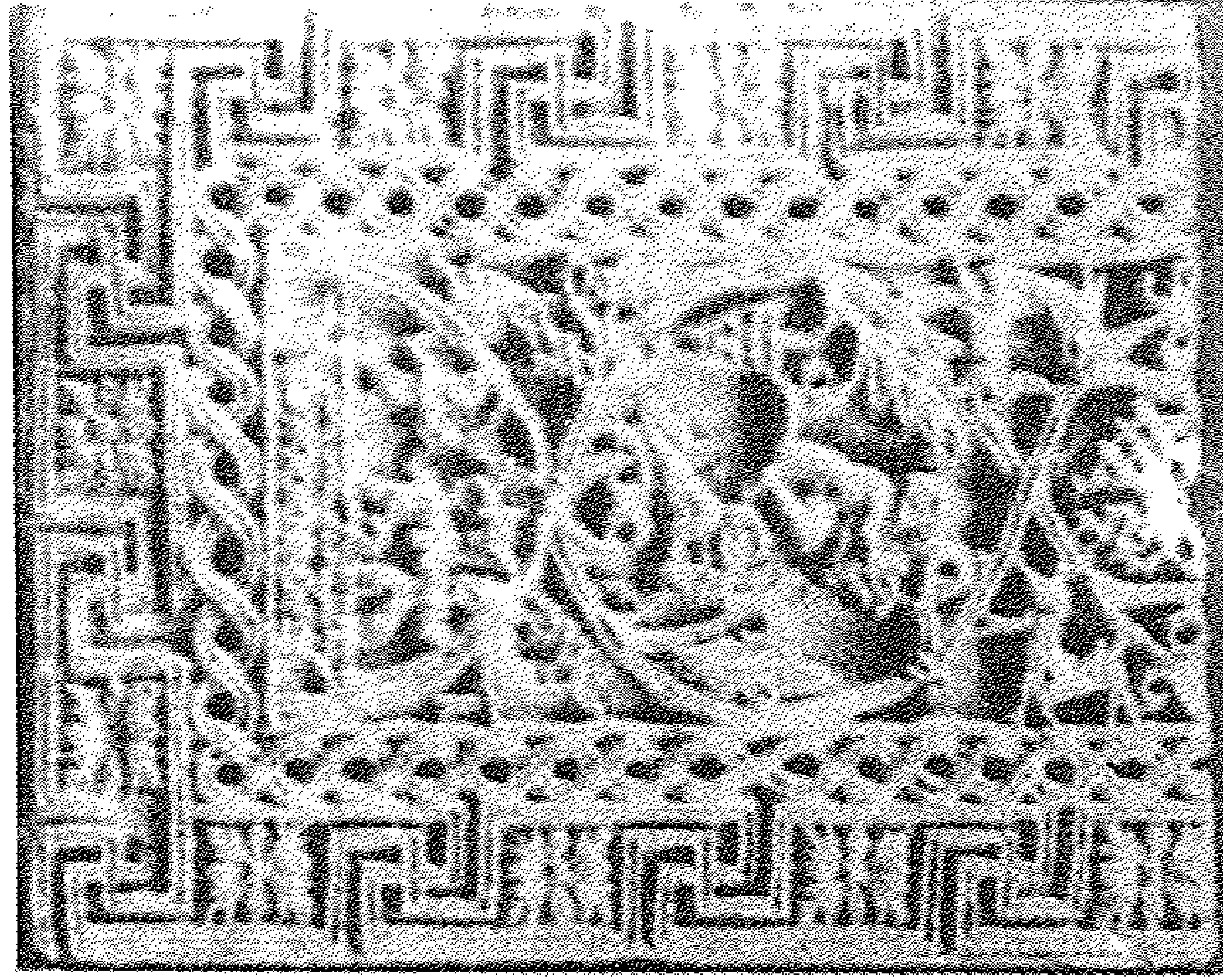
كان كثير من الآباء يقتنون الكتب الروحية الهامة بالإضافة إلى الكتاب المقدس الذي لم تكن تخلو منه قلاية الراهب إذا كان مجيداً للقراءة، فنسمع أن الأب شيشوي كان يقتني الكتب الخاصة بلاهوت القديس أثناسيوس(٩٥)، والأب ثيئوذور البرامي كان يقتني ثلاثة كتب هامة(٩٦)، والإخوة الطوال كانت لهم مكتبة تحوي الأسفار المقدسة والكتب الأخرى الهامة(٩٧)، ومرقس تلميذ سلوانس كان يقتني المخطوطات و ينسخها فكان لديه الحبر والأقلام البسط وأوراق الرق أو البردي.

الآلات والأدوات المستخدمة في ذلك العصر:

وكانت قلاية الراهب لا تخلو من كومات الخوص ولفات حبال الليف الرفيع والكتان لعمل السلال والمقاطف، ومسلة وخيوط الكتان الرفيع لترقيع وخياطة الملابس، والبلطة آلة ضرور ية لتقطيع جر يد النخيل، والمنجل للحصاد والفأس للعز يق، ونول الحصير وقدر من الفخار أو النحاس χύτραι للطبيخ، وقدر أو ز ير فخار للماء ὑδρῖαι (البوكلة)βαυκάλια، وكوز للماء للشرب وأوعية فخار ية لحفظ الأطعمة، وأطباق من الفخار أو الحجر البازلت أو الخشب πινάκια، ومغارف وملاعق من الخشب (الكورناب)، وزجاجات لحفظ الز يت وزكايب للقمح (تليس)، وكانون وقطع خشب للوقود، وحجر المحك لإشعال الشرارة، ومصباح من الفخار

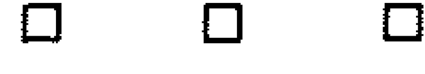
(92) Pallad., Laus. Hist., ch. X.
(93) Apoph. Patr., Serapion, II.
(94) Apoph. Patr., Ammoës, V.
(95) Apoph. Patr., Sisoes, XXV.
(96) Apoph. Patr., Theodore of Pherme.
(97) Pallad., Vita John Chrys., XVII.

وز يت للوقود، والمائدة وكانت تصنع من الخشب (الطبلية، و يلاحظ أن كلمة «طبلية» هي أصلاً Table)، والمتكآت وكانت تصنع من البردي على هيأة حزم مر بوطة؛ والحصير وكان يُستخدم للجلوس عليه أو النوم مع جلد الغنم ووسادة خشنة من البردي؛ وسلة الخبز المعلقة على الحائط خوفاً من الفئران؛ وحُق الملح (من الخشب) κάμψιον ؛ ومغسل من الفخار λαγύνια .



لوحة من الرخام المنحوت تمثل مشهداً لعملية جمع الكروم وعصره،
يحيط بها إفر يز من زخرفة الصليب المعقوف Swastika مع زهرة ر باعية الأوراق بالتبادل
ترجع إلى القرن السابع
[معروضة بالمتحف البر يطاني]

الفصل التاسع
القوانين الديرية لمتوحدي شيهات



هذه القوانين الديرية لمتوحدي شيهات مأخوذة مما جمعه عنهم القديس بِنْوا دانيان St. Benoit d'Aniane ، ومما ذكره عنهم مؤرخو الرهبنة. ولو أن شيهات تبعد عن جبل نتريا كما بيَّنا، إلا أن المتوحدين في كل منها كانوا على صلة ببعضهم البعض. وكان آباؤهم، أمثال المكاريوسَين وسيرابيون و باموي وأغاثون وغيرهم، لهم قلالي في هذه الصحاري، حيث يجتمعون في بعض الأحيان ليتباحثوا فيما بينهم بما يؤول لخير الرهبان تحت قيادتهم، أو لبحث حالات شاذة تعرض لهم، أو لأجل وضع قواعد وقوانين لأجل السلوك والنظام في أديرتهم، ولذلك فإن القواعد التي سنذكرها ليست خاصة ببرية شيهات، أو أنها سُنَّت لأجل جبل نتريا أو القلالي.

وقد عُثِر على قواعد وضعتها جمعية مكوّنة من القديسين سيرابيون ومكاريوس و بفنوتيوس ومكاريوس آخر. وهذان المكاريوسان هما بلا شك مكاريوس الكبير أو المصري ومكاريوس الصغير أو الإسكندري.

وهناك أيضاً مجموعتان من القواعد تليان هذه المجموعة، في ما جمعه القديس بنوا دانيان، لا يُذكر واضعوها أو لأيٍّ من المتوحدين قد وُضعت، ولكنها تشبه تلك التي وضعها القديس مكاريوس الإسكندري إلى حد أنه لا شك في أنها وُضعت لرهبان هذه المؤسسات الديرية. ففيها نفس الروح وكثير من القواعد التي لا تعدو كونها تكراراً لما وضعه هذا القديس، وإذا لم تكن مطابقة كل التطابق فهي على الأقل تشبهها، فجميع هذه القوانين تبين لنا ما كان يصنعه متوحدو شيهات وجيرانهم، ونتبين فيها يقظة الآباء وأمانة أولئك الذين كان عليهم اتِّباع هذه التعاليم.

وتتضمن قوانين الآباء القديسين سيرابيون و بفنوتيوس والمكاريوسين ستة عشر فصلاً غير المقدمة، التي يذكر فيها أن أولئك الآباء وقد اجتمعوا في مجلس خلاصي، صلّوا للرب لأجل أن ينيرهم بنور روحه القدوس، لأجل أن يعلموا ما يجب عليهم وضعه للإخوة لأجل أن يسلكوا في قداسة. ثم قال الأنبا سيرابيون: بما أننا نرى، كما يقول النبي الملك، أن الأرض امتلأت من رحمة الرب، ونرى أن جيوشاً غفيرة من المتوحدين قد تجمعت من جميع الأنحاء للعمل على الحصول على

الكمال الديني، وبما أنه من الخطر أن يعيش الإخوة وحدهم في الصحاري المترامية الأطراف، بسبب الأطياف الشريرة التي قد تسبب لهم مخاوف كبيرة، فلنتبع ما يعلنه لنا الروح القدس في الكتب المقدسة التي تقول: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً» وتقول في موضع آخر: «الله مُسكِنٌ المتوحدين في بيت». فباتباع هذه القاعدة التقوية التي يمليها علينا الروح القدس، نريد من الإخوة أن يتحدوا في فرح مقدس وتعزية قلبية كبيرة، لأجل أن يعيشوا معاً في دير واحد. ولكن لأجل أن يزداد هذا الإتحاد وثوقاً، وأن تكون هذه الجماعة معزية حقاً، نريد أن يكونوا تحت إرشاد أحد الشيوخ يخضعون له في فرح، لا يبتعدوا عن نصائحه وأوامره، وفقاً لأقوال بولس الرسول: «أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم». وكذلك قول الرب: «أريد طاعة لا ذبيحة» (١صم ١٥: ٢٢)، فيجب على الإخوة المجتمعين في الأديرة أن يبادروا بتنفيذ هذا الخضوع وهذه الطاعة بكل أمانة، ذاكرين أنه بهذه الفضيلة أصبح ابراهيم محبوباً لدى الرب ودُعي خليله، ووُجد الرسل جديرين بالشهادة لمعجزات يسوع المسيح أمام الأسباط والشعوب، وأخيراً عندما نزل يسوع المسيح من السماء قال: «جئت لأفعل لا إرادتي ولكن إرادة الذي أرسلني».

وتكلم بعد ذلك الأنبا مكاريوس عما يجب على الرؤساء من السلوك، والنظام الذي يجب أن يتبعوه في التسبحة عند اجتماع الإخوة. والإمتحان الذي يجب عليهم عمله لمن يتقدم للحياة النسكية، والمحبة التي يجب بها استقبال الضيوف، وقال: «بعد الذي سُنَّ فيما يختص بالكمال الذي يجب أن يكون عليه الإخوة فيما يختص باجتماعهم المقدس في الأديرة، وبطاعتهم للرؤساء، يجب إرشاد هؤلاء الرؤساء في الواجبات التي يجب عليهم شخصياً. يجب عليكم إذن أن تسلكوا، أنتم الذين عُهد إليكم أن تكونوا آباء للآخرين، كما يأمر به القديس بولس عندما قال: «صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون»، أي أنكم باتباع الوسائل الخلاصية التي تمليها التقوى والحزم بمحبة، تجعلون الإخوة يتخلون عن الأرضيات ويتجهون إلى السماويات، وفق قول نفس الرسول: «وبخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم». كما يجب أيضاً على من يقام لقيادة الآخرين أن يكون من ناحية ذا محبة رقيقة وتقوية نحو كل من الإخوة بوجه خاص، ومن ناحية أخرى أن يكون متيقظاً للمحافظة على النظام، متذكراً ما قاله الرب «بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم».

وقال أيضاً: «عند الإجتماع للصلاة، لا يتلو أي أخ التسبحة دون أمر ممن يترأس الإجتماع، وهذا هو النظام الذي يجب أن يُتبع: لا يتقدم أحد على من يترأس الإجتماع سواء في القيام أو في تلاوة المزامير، إذ يقول الكتاب المقدس «متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكىء في المكان الأول». فإذا تأخر عن الحضور من له حق الرئاسة، فلينتظر حتى يتبين ما يجب عمله، ثم يتبع بروح الطاعة ما يؤمر به».

وقال أيضاً: «لنبين أيضاً كيف يجب امتحان من يتركون العالم ليدخلوا الرهبنة. يجب بصفة خاصة التمسك بأن يتركوا كل غنى الدهر، وأن ينتزعوا من قلوبهم كل ما تبقى فيها من علاقة به، فإذا كان المتقدم فقيراً فلا تحسبوا أنه لذلك ليس لديه أي ثراء يجب أن يُجبر على تركه، فقد يكون لديه ذلك الغنى الذي يرفضه الروح القدس على لسان الحكيم عندما يقول «قلبي يكره الفقير المتكبر والغني الكاذب»، و يسميه في موضع آخر «متكبر تكسوه الجروح».

فيجب إذن على الرئيس أن يلاحظ بعناية كبيرة، إذا كان المتقدم فقيراً فليمتحنه جيداً ليعلم إذا ما كان متكبراً، ليخلع عنه هذه الحُلة الخبيثة وليطلب منه بصفة رئيسية أن يتخلى تخلياً تاماً عن إرادته، فهي الذبيحة التي يفضلها الرب على ما عداها، وهي التي تُعدُّ القلب للخضوع بتواضع لكل ما يؤمر به. فالذين يُقبَلون بذلك في الدير يجب عليهم الخضوع لكل ما يحدث لهم مما يتعارض مع رغباتهم، وأن يتذكروا أن بولس الرسول يوصينا بالصبر في الضيق، وأن نتوخى الحق في كل ما نعمل، وأن نكبت في نفوسنا أقل ثورات الغضب، وأن نثابر على ممارسة الفضائل.

وز يادة على ذلك فأولئك الذين يتقدمون لقبولهم يجب أن يظلوا خارج باب الدير لمدة أسبوع بأكمله، دون أن يتصل بهم أي من الإخوة، ولكن يُمتحنون بأن لا يعهد إليهم سوى بكل ما هو خشن ومؤلم، فإذا تحملوا هذا الإمتحان وثابروا على الصلاة فليُقبلوا، وليُدخلهم الرؤساء في الدير، وليلَقِّنوا القوانين التي يجب اتباعها، والواجبات التي يجب عليهم القيام بها.

فإذا كان طالب الدخول يمتلك أشياء عالمية، فيجب أن يُعرض عليه قبل كل شيء، الذي ينص عليه الإنجيل وهو قول السيد المسيح للشاب الغني (مر١٠) «بع كل ما تملك واعط ثمنه للفقراء واحمل صليبك واتبعني»، ثم يأمره الرئيس بألا يحتفظ بشيء سوى صليب يسوع المسيح الذي يحمله بين يديه ثم اتباع ذلك المعلم الإلهي. ثم بعد ذلك يجب أن يعلم أن طر يق الصليب الذي يجب عليه السير فيه هو، قبل كل شيء الطاعة التامة، وعدم اتباع رغبته الخاصة كلية، ولكن رغبة الآخر ين فقط، وإذا كان ير يد أن يهب بعض ما يملك للدير، فليعلم أنه غير مسموح له أن يتصرف فيه بعد ذلك إطلاقاً، مثله في ذلك مثل شخصه. وأخيراً إذا أراد أحدُ خَدَمِه أن يقتفي أثره، فبمجرد دخوله الدير لا يجب أن يعامله كما لو كان في خدمته، ولكن كمن صار أخاً له، حتى يكون راهباً كاملاً من كل ناحية.

وقال أيضاً: «غير مسموح لأيٍّ من الإخوة أن يتقدم لإستقبال من يقصدون الدير، هذا الواجب موكول إلى الشخص الذي يعينه الرئيس لإستقبال الضيوف فقط. كذلك غير مسموح لأي من الإخوة أن يصلي معهم أو أن يعطيهم قبلة السلام قبل أن يروا الرئيس. فلا يتصل بهم سوى الرئيس أو من يعينهم. ولا يسألهم أي من الإخوة عن المكان الذي أتوا منه، أو ما ير يدونه

أو إلى أين يقصدون. وإذا حضر إلى الدير أخ غريب فلا يجلس على المائدة مع الإخوة، ولكن يتناول الطعام معه الرئيس فقط، ولا يُسمح للإخوة الآخرين بأن يتحدثوا معه. وأخيراً فلتُعتبر قاعدة أنه غير مسموح للإخوة أن ينشئوا صلات غير مفيدة مع أشخاص من الخارج، حتى ولو كان ذلك لأجل مواضيع روحية. ولا يستمعون لتعاليم غير تلك التي يلقيها عليهم رئيسهم عن الكتب المقدسة، أو يلقيها عليهم من يعهد إليه الرئيس بذلك».

وتحدث بعد ذلك الأنبا بفنوتيوس عن الصيام وعن تقديس الأحد وعن العمل وعن المحبة المتبادلة التي يجب أن يمارسها الإخوة، فقال: «ياإخوتي، كل ما قلتموه نافع جداً لخلاص النفس، ويجب الآن التحدث عن الصوم، فلنعلم من الكتب المقدسة الساعة التي يجب فيها أن نتناول الطعام، إذ ذُكر في سفر الأعمال: «وصعد بطرس و يوحنا إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة». فلا يُسمح إذن للإخوة في الدير أن يتناولوا طعامهم قبل الساعة التاسعة، ما عدا يوم الأحد والخمسين يوماً منذ الفصح إلى العنصرة، و يضاف إلى ذلك أن يتفرغ الإخوة للرياضة الروحية كلية أيام الأحد؛ ولا يشغلوا أنفسهم بأي شيء آخر مهما كانت الأسباب، فيمضون هذا اليوم بأكمله في تمجيد الرب بالتسابيح والأبصلمودية والألحان المقدسة.

ويجب أن يتبع الإخوة أيضاً النظام الذي سأمليه في أعمالهم اليومية. فيتفرغون للأعمال التقوية من الساعة الأولى إلى الثالثة، ومن الثالثة إلى التاسعة يقومون بما يأمرهم به الرئيس، و يؤدونه بخضوع ودون تململ كما يوصي القديس بولس: «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة». إذ يجب أن يخافوا ذلك التهديد المخيف لهذا الرسول الذي يقول: «لا تتذمروا كما تذمر أناس أيضاً منهم فأهلكهم المهلك». ويجب على الرئيس أن يعطي أوامره عن العمل الذي يجب أن يتم لأحد الإخوة الذي يخضع له جميع الباقين ليتجنب بذلك أي جدال».

وقال أيضاً: «لقد أعطى لنا الرسول المثل للعمل عندما قال لأهل كورنثوس أنه يكسب قوته بعمل يديه لأجل ألا يكون عالة على أحد، فيجب على الرئيس أن ينظم هذا العمل بحيث يُدخل في حسابه حاجة الإخوة. وأيضاً إذا توعّك أحد الإخوة، يجب أن يُفحص سبب ذلك التوعك و يُعمل على علاجه بأن يُرفع عنه الصوم والعمل، وإذا كان المرض روحياً أكثر منه جسدياً، كأن يكون قد وقع في تجربة، فيجب أن يزيد من انكبابه على العمل، بما أن الرسول يقول عن نفسه أنه قد استعبد جسده. كما يجب الإهتمام بمنع هذا الأخ من أن يمارس إرادته الخاصة».

وقال أيضاً: «عندما تكون الجماعة كبيرة، فإن الإخوة يتولون الخدمة كلٌّ بدوره لمدة أسبوع، حسب ما يتراءى للرئيس، الذي يعين أيضاً من يتولى شئون المخازن ويهتم بما يحتاج إليه الإخوة. على أن ينتقي لذلك أحد الإخوة الذين لم يشتهروا بالشراهة في الطعام، و يعرف كيف يوزع على

كـل شـخص ما يحتاج إليه تبعاً لقوانين المحبة الإنجيلية، ويخشى أن يقع في جريمة يهوذا الذي ينسب إليـه الكتاب المقدس تهمة السرقة. هذا (الربيتة) يجب أن يتمثل في نفسه تلك الجملة التي كتبها بـولـس إلى تيـمـوثاوس: «الذين تشمسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة» و يفعلون لخلاص نفوسهم.

يُضاف إلى ذلك، أن الإخوة يجب أن يعتبروا كل شيء يستعمل في الدير شيئاً مقدساً، سواء كـان كـؤوسـاً أو آلات أو أشـياء أخرى. فإذا لم يعتنوا بها كما يجب، حق عليهم الحكم الذي على الملك الـذي تجرأ فشرب مع صويحباته من الكؤوس المقدسة التي في بيت الرب. وأخيراً، يجب أن يُذكّر الإخوة يومياً بهذه التعليمات حتى لا يحيدوا عنها ولا تقع عليهم مسئولية.

وتـكـلـم أنـبـا مـكـار يـوس الآخر عن وسائل حفظ السلام والإتحاد في الأديرة وعن واجبات الـضـيـافـة نحـو رجال الدين، وعن قواعد العدالة التي يجب اتباعها وقال: «تعرفون أن الحقيقة قد علـمـتـنـا أن «كـل كـلـمـة تـقـوم على فـم شاهدين أو ثلاثة» فيجب أن نتبع دائماً هذه القاعدة الـتـقـوية، كما يجب أن نتحدث أيضاً عن الوسائل لدعم الإنسجام الذي يجب أن يسود الأديرة في عـلاقتها مع بعضها. ولذلك لا يجب على الإخوة أن يقبلوا أخاً من دير آخر، دون إذن من رئيسه، وفي ذلـك يـقـول الـقـديـس بولس في رسالته إلى تيموثاوس «أن من يرفض الإيمان الأول فذلك له ديـنـونـة». وأمـا إذا كان رئيسه هو الذي رأى من الأوفق له أن ينقل إلى دير آخر، فليبعث بذلك إلى رئـيـس الدير الذي يريد أن ينتقل إليه الأخ. وفي كلمة واحدة لا يُقبل أي أخ في أي دير دون مـوافـقـة رئـيسه السابق. فإذا خالف أحد الرؤساء ذلك فلتُقدم فيه شكوى إلى الأسقف، أو يُرغم على المثول أمـام مجـمـع الإخـوة و يوقف عن وظيفته إلى أن يُصلح خطأه وذلك بطلب الصفح من الشخص الذي أساء إليه، و بذلك لا تُعطى فرصة لأي أخ لأن يسيء إلى الرؤساء.

«وأيـضـاً فـإن ذلـك الأخ الـذي انـتـقـل إلى ديـر آخر بإذن رئيسه، يجب أن يعلم أنه يُعتبر في الـتـرتـيـب آخر الرهبان في الدير الجديد، دون أي اعتبار للرتبة التي كانت له في الدير السابق. بل يجـب أن يـعـامـل كما لـو كان مبتدئاً ولا يجب أن يمتلك أي شيء أحضره معه، سواء كان أثاثاً أم كتباً أو أشياء أخرى. يجب تجريده من كل شيء حتى يصير كاملاً إذا لم يكن قد عمل في الماضي للحصول على مرتبة الكمال.

«وأخـيـراً عـنـدما يجتمع الإخوة معاً لأجل العظة الروحية، فلا يُسمح له بالكلام مطلقاً، دون إذن من الرئيس، مهما كان عالماً بالجزء موضوع البحث.

«يجـب أن يُـسـتـقبل خادم الهيكل باحترام، و يُعطى له شرف ختام التسبحة عندما يوجد في

المجمع مهما كانت درجته الكهنوتية. أما إذا بدرت منه سقطة كبيرة، أثبتها التحقيق، فلا يستطيع أن يختم التسبحة في حضور الرئيس أو من يليه. ولا يقبل الكهنة للإقامة في الدير، إلا إذا شعر أحدهم بارتكاب خطيئة كبيرة، وأراد دخول الدير للتوبة والتكفير. واجدين في ممارسة الخضوع والإذلال لنفوسهم دواء للجرح الذي أحدثوه في أرواحهم بالخطيئة. هذا هو السلوك الذي يجب أن يتبعه الإخوة نحو الكهنة الذين يقصدون الأديرة حتى لا يكون عليهم لوم أمام الله أو أمام الناس.

«أما الإخوة الذين تصدر عنهم غلطات، فالطريقة لتهذيبهم أن يُفرزوا من بين الإخوة بنوع من الحرم، يتناسب مع نوع الجريمة.

«وهذه هي القاعدة: إذا أضاع أخ وقته في أحاديث باطلة فيمنع لمدة ثلاثة أيام من حضور اجتماع أو أحاديث الإخوة، كما يُحرم عليهم أن يتحادثوا معه. أما إذا أطلق أحدهم العنان لضحكاته، أو انغمس في أحاديث سخيفة (لا تليق) كما يقول الرسول، فيعاقب بالقيام بأعمال فيها تحقير وإذلال لنفسه لمدة أسبوعين حتى يرعوي، ولا يكون العقاب بروح الكراهية، بل يكون مشوباً بروح الرغبة في الإصلاح. ولذلك يقول هذا الرسول أيضاً «إن انسبق إنسان فأُخذ في زلةٍ ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة». بهذه الروح أصلحوا أنتم أخاكم، حتى يرجع إلى طريق الفضيلة، ولا يضيع في الحالة التي هو عليها.

«وأخيراً أوصي الرؤساء بكل إلحاح ألا يفرقوا في معاملتهم، ولكن ليُصلحوا الجميع بوسائل المحبة، لأن الرب يحب التزام مساواة عادلة، إذ قال على لسان نبيه في المزمور: «بالمستقيمات تقضون يابني آدم».

«يجب علينا أن نبين للرؤساء أن من لا يؤدِّب منهم الذي يخطىء، سيسألهم الرب عن ذلك. كونوا إذن أيها الرؤساء مرشدين صالحين وأمناء، ابنوا النفوس القلقة غير المطيعة، اعطفوا على المرضى، واستعملوا الصبر والعطف نحو الجميع، وفكروا أن الرب سيعطيكم من الأكاليل عدداً بقدر النفوس التي كسبتموها له مكافأة لكم، باسم الآب والابن والروح القدس».

هذه هي القوانين الخلاصية التي وضعها آباء البرية المشهورون، لسلوك رهبانهم، وهي تمدنا بأضواء قوية على النظام النسكي، ونرى فيها جميعاً روح الحكمة والرزانة والحزم والمحبة، مما يعطينا فكرة عظيمة عن فضائلهم وعن قوتهم العقلية، وعن حماسهم لخلاص الإخوة، ولسعادة أولئك الذين يعيشون تحت إرشادهم.

كان المتوحدون في شيهات يعيشون بعضهم في جماعة، و يعيش البعض الآخر كل منهم في

قلاية خاصة، أو كل إثنين أو ثلاثة أو أربعة في قلاية، كما كان بعض الشيوخ يعيش مع عدد من تلاميذه. ويجب الملاحظة أنه لم تنشأ في شيهات أديرة كبيرة لغرض العيش في داخلها عيشة الشركة الرهبانية، كما في الصعيد أو في ضواحي الإسكندرية. ولكن كان مع ذلك يوجد أديرة، بما أنه ذُكر في القوانين التي ذكرناها، أن من يريد الدخول في دير فعليه أن يسأل ذلك لمدة ثمانية أيام في خضوع على باب الدير. كما كان يفعل ذلك أيضاً في البراري الأخرى.

وكان جميع النساك في شيهات خاضعين لما يمكن أن نسميه مجمع الشيوخ، مما يفسر لنا ذِكْر ذلك كثيراً في حياة وأقوال الآباء.

وكانت هذه المجامع تلتئم عادة في الكنيسة، حيث كان يعلن عنها الكاهن في الأحد السابق. وكان الشيوخ فقط لهم حق حضورها والكاهن على رأسهم، وكانوا يستعرضون فيها المواضيع الروحية أو التي يشترك فيها جميع المتوحدين، أو العقوبات التي تُوقع على من بدر منه أفعال شائنة، أو اختيار من يُقدَّم للأسقف لنيل بعض رتب الكنيسة، إذا كانت كنائسهم في حاجة إلى ذلك.

و يقول بلتو (M. Bulteau) وهو مؤلف دقيق، عن كنائس النساك: «يبدو بوضوح أنه قبل القرن الخامس، كان للنساك الذين كانوا يعيشون جماعة، كنائس خاصة، وإذا أعوزهم الكهنة، دعوا أحد الكهنة من الخارج ليقيم لهم القداس. وكان مكان النساك الذين لا يحملون أي رتبة كنسية بجوار الخورس، و يتناولون بعد الكهنة مباشرة وقبل العلمانيين».

وكان في شيهات كنيسة واحدة في البدء، ولكن نظراً لازدياد عدد النساك ولا تساع أرجاء الصحراء فقد بنيت بعد ذلك ثلاث كنائس أخرى ضماناً لراحة الإخوة. وكان الكهنة الذين يقومون بالخدمة فيها من الرهبان. وكانوا يجمعون المجامع ــ كما بيَّنا سواء كان من تلقاء أنفسهم أو بناء على رأي الشيوخ. وكانوا إما يقومون بالكلام في المجتمعات أو بأعمال النشر، أو أن يأذنوا بذلك للغير، وكان لهم الحق في الدعوة إلى أصوام خاصة لأحوال ضرورية.

واشتهر نساك شيهات بتطرفهم في التقشف، وكانوا في بعض الأحيان يصومون عن الطعام يومين أو ثلاثة أيام، وكان كثير منهم لا يأكل شيئاً لمدة أسبوع. ولكنهم اضطروا إلى التخفيف من شدة هذا الصوم، وكان الشيوخ الذين جربوه ينصحون بعد ذلك المستجدين بالإكتفاء بتناول الطعام مرة واحدة في اليوم، ولكن دون أن يشعروا بالشبع، فيتناولون فقط ما يقوم بأود الجسد دون أن ينعموا عليه بما يزيد عن حاجته، حتى يستطيع أن يقوم بالأعمال التي تتطلبها الحياة النسكية. ومنذ هذا التخفيف صاروا لا يتناولون طعاماً مطبوخاً سوى يوم الأحد، بل حتى في ذلك اليوم كان الكثيرون يمتنعون عن الطعام المطبوخ.

ومهما كان من أمر حدة هذا الصوم، فقد كانوا يعنون بحاجة الزوار الذين كانوا يذهبون إليهم، بل لم يمانعوا في تقديم مواعيد طعامهم لأجل أن يتناولوا الطعام معهم، وكانوا يعدون لهم أيضاً طعاماً مطبوخاً.

وإذا أرسل بعض الأتقياء إليهم فاكهة أو أي عطية أخرى، فإنهم يحملونها عادة إلى الكاهن، الذي إما أن يوزعها على كل منهم يوم الأحد، أو يرسل إلى كل منهم بنصيبه في قلايته. وكانوا يمارسون هذه العادة لأجل أن يزيدوا اتحادهم توثيقاً، وحتى لا يستأثر أي منهم بأي شيء دون الآخرين. وفي أحد المرات لم يتسلم القديس أرسانيوس نصيبه الضئيل من التوزيع، ولم يرسل له ذلك النصيب عن احترام له نظراً لضآلته، فتذمر في وداعة عميقة وقال بما أنه قد اعتُبر غير جدير بالمشاركة في محبة الإخوة، فهو يعد نفسه غير جدير بحضور مجمعهم.

ونقرأ عن تقشفهم وقمعهم لجسدهم أمثلة صارخة، إلى درجة لا يسعنا إلا أن نقرر معها أن حياتهم كانت استشهاداً متواصلاً. كان هؤلاء النساك المتحمسون يقمعون الفكر والقلب والشهوات والحواس والجسد، وكان كل ما فيهم خاضعاً لهذه الفضيلة التي تقهر الطبيعة. كانت الصلاة مستحوزة على الفكر، وكذلك ذكر الرب الذي كان دائماً ماثلاً أمامهم حتى وقت العمل. أما القلب فكان مأخوذاً بالطاعة والإنطلاق، وأما الشهوات فقد حاربوها باليقظة على أنفسهم، وبما كانوا يستعملونه من القوة في البعد عنها، واستخدموا ضد الحواس الوداعة النسكية، وحاربوا الجسد بالأصوام الطويلة والسهر والقمع العنيف. يضاف إلى ذلك أن برية شيهات، كما قلنا في موضع آخر، كانت مكاناً قحلاً ليس فيه أي تعزية عالمية. ولذلك كان المعروف أن نساك شيهات أكثر نساك الشرق تعبداً وممارسة لأعمال التوبة، سواء في ذلك نساك أفريقيا أم فلسطين أم بلاد العرب أم سوريا أم العراق أم الهند. كانوا يشربون الماء فقط، وكان البعض منهم يتناولون قليلاً من النبيذ في بعض أيام الآحاد أثناء تناولهم الطعام معاً، بينما الكثيرون يمتنعون كلية، وحتى الذين كانوا يتناولونه، كانوا يفعلون ذلك بكل رزانة، ولأجل ألاّ يجرحوا شعور أولئك الذين كان يقدّم لهم الخمر بروح المحبّة والإحسان، وحتى الماء الذي كان من القلّة في هذه البرية، كانوا يتناولونه بروح القمع أيضاً، إذ كان عليهم ليس فقط أن يذهبوا لإحضاره من مسافات طويلة بما يتحملونه من تعب في هذا السبيل، بل كان عليهم أيضاً أن يتحملوا رائحته الكريهة وطعمه الكبريتي. وفوق ذلك فكانت أحسن بقعة في هذه البرية بجوار بحيرات ملأى بالذباب والناموس الذي كان يُحدث إلتهابات قوية في الجلد. فلم يكن هذا المكان غير ملائم للسكنى نظراً لطبيعة أرضه ولصعوبة الحصول على الماء فقط، بل كانت هذه الحشرات تزيد من عدم الملاءمة هذه. وكان إذا وُجد مكان ملائم في تلك الأنحاء فلم يسع هؤلاء النساك في الإستفادة منه، كما نعلم من حياة مكاريوس الإسكندري، إذ كانوا يعتقدون أننا لن نكون

جديرين بالتمتع بمباهج السماء، لو سعينا حثيثاً في التمتع بالهناء في الأرض.

لقد كان هؤلاء النساك يعيشون بذلك، وقد اعتقوا أنفسهم من كل شيء بل ومن أنفسهم، واضعين كل رجائهم في الحياة الأبدية، ولذلك كان فقرهم الإختياري إلى حدٍّ نستطيع معه أن نقول أنهم لم يتملكوا شيئاً على الأرض، فلم يخلعوا عنهم ثوباً إلا إذا وصل إلى حالة صار معها غير ملائم ليسترهم. ونستطيع أن نتبين ما كانت عليه قلاليهم من فقر أيضاً إذا علمنا الوقت الذي كانوا يستغرقونه في بنائها. لقد كانوا يقيمونها في يوم واحد، و يتركونها طواعية واختياراً لأول قادم، بكل ما فيها من أثاث أولي. ولم يحتفظوا إلا بما كان يساعدهم على التنقل، وكانوا يأكلون من نتاج ما كانوا يصنعونه بأيديهم، ونظراً لشدة تقشفهم لم يحاولوا جمع أو تخزين شيء مما كانوا يستطيعونه لو أنهم كانوا أكثر تعلقاً بالحياة أو أقل ثقة في القدرة الإلهية.

كان عملهم الرئيسي صنع السلال المتنوعة الأغراض، وكانوا يفضلون مثل هذه الأعمال على الأعمال الأخرى التي تتضمن حركة أكثر، سواء أكان الدافع إلى ذلك ما كانوا عليه من ضعف لصيامهم، أو لعدم قدرتهم على القيام بأعمال أشق، أو لأن القيام بالعمل بينما هم جالسون يساعدهم على عدم الشرود و يسهل عليهم التأمل بينما هم يعملون، ومع ذلك ففي زمن الحصاد كانوا يؤجرون أنفسهم للحصاد، ولم يجسروا أن يتناولوا حبة دون إذن صاحب الحقل، ولم يكن أجرهم عن ذلك محل نزاع يوماً ما، وكانوا يصبرون على دفعه حسب إرادة صاحب العمل، وفي بعض الأحيان كانوا يقومون بالعمل دون مقابل، نظراً لشدة تجردهم.

وكانوا يحتِّمون حفظ مواعيد التسابيح بكل دقة، فيترك الناسك كل شيء ليذهب للتسبحة عند أول إشارة، وكان أول واجب الناسك وأهم ما يجب أن يمرن نفسه عليه التأمل والتسبيح الفكري، وكان ذلك أشق عمل يجب أن يقوم به نظراً للحرب التي كانت تشنها أرواح الظلمة على المتوحدين لتحولهم عنه، ولذلك كان الشيوخ يشجعون المبتدئين على محاربتها، وعلى ألا يستسلموا لها بالإهمال أو بالشرود الذهني أو بالنكوص النفساني.

كان من عادة أولئك النساك أن يصلوا وأيديهم مرفوعة نحو السماء، وكان القديس مكار يوس يقول لتلاميذه: لأجل أن نصلي جيداً ليس من الضروري أن نتكلم كثيراً، ولكن يكفي أن نرفع أيدينا نحو السماء كلما أمكننا ذلك.

كانوا ينصحون النساك المستجدين بأن يلزموا قلاليهم، و بألا يخرجوا منها دون موجب، وذلك ليحفظوا أنفسهم في التأمل وفي حالة قريبة من الصلاة.

يقول أنبا موسى لأحد النساك المستجدين وقد أتى إليه يطلب نصائح: «احفظ نفسك هادئاً في قلايتك، فتتعلم كل ما يجب أن تعمله». وذهب متوحد مبتدىء آخر يوماً ما إلى القديس

أرسانيوس وقال له : «ياأبتِ إن نفسي لفي قلق إذ لا أستطيع أن أصوم أو أن أعمل ، أو أن أخدم المرضى ، مع أن هذه هي وسائل نيل مكافأة السماء» . فأجابه القديس : «ارجع إلى قلايتك وكُلْ واشرب ونَمْ فيها كما تشتهي ، وأنصحك فقط ألا تخرج منها دون حاجة لذلك ، فالمثابرة في الإقامة فيها لا تلبث أن تضع الناسك في الحالة التقوية التي يجب عليه أن يكون فيها» . وأراد الناسك أن يفيد من هذه النصيحة فلزم قلايته ، ولم يلبث أن شعر بملل في اليوم الثالث ، ولكنه وجد بعض سعف النخل فتسلى في قطعها ، وفي اليوم التالي عكف على عمل سلة ، ثم شعر بعد ذلك بالرغبة في تناول الطعام فقال في نفسه : سأرتب أولاً السعف ثم أتناول الطعام . وبعد أن عمل في هذا الترتيب عوضاً عن أن يأكل ، قال أيضاً فلأجلس الآن لأقرأ قليلاً ثم أتناول الطعام ، وبعد القراءة قال : من المستحسن أن أتلو الآن بعض المزامير ، وعند الإنتهاء من قراءتها يكون قد حلّ وقت الطعام فأتناوله بكل ثقة ، وظل كذلك بعض الوقت ، وبالتدريج بمساعدة الرب وصل إلى أن ينزع عنه الأفكار التي كانت تؤرقه ، واتبع القوانين التي يسير عليها النساك الآخرون .

كان إذن التزام القلاية إحدى الوصايا الرئيسية التي كان الشيوخ يوصون بها الشبان المتوحدين ، ولكن لم يكن ذلك أبداً على حساب الصلاة الجماعية وما توجبه عليهم الطاعة ، وكانت أهم تعاليمهم أن المبتدئين في الحياة النسكية يجب عليهم أن لا يسلكوا طبقاً لما يتراءى لهم ، ولكن وفقاً لما ينصح به آباؤهم الروحيون . وبعد ذلك إما أن يعاقبوهم أو أن يسرحوهم . وفي أحد الأيام أراد أحد المبتدئين في لبس الرهبنة أن يقفل نفسه في قلايته كحبيس قائلاً : أريد أن أكون متوحداً . ولكن الشيوخ في القلالي المجاورة عندما علموا بعزمه هذا ، أجبروه على أن يذهب إلى قلالي جميع الإخوة قائلاً لكل منهم : أرجو أن تسامحني ، إني أعلم بأني ما زلت مبتدئاً في حياة النسك ، ولست بمتوحدٍ .

ولم يكونوا يسمحون لأي متوحد أن يعيش بمحض إرادته ، عيشة نسكية لم يمارسها الشيوخ الذين سبقوه ، خوفاً من أن يقذف به الشيطان في طريق الغرور والأوهام ، أو أن يقتفي غيره أثره ، إذ أن من الطبيعي أن يحب الإنسان كل ما هو جديد ويتمسك بأفكاره ، عوضاً عن أن يلهمه الروح الإلهي التواضع وإنكار الذات وحب القريب .

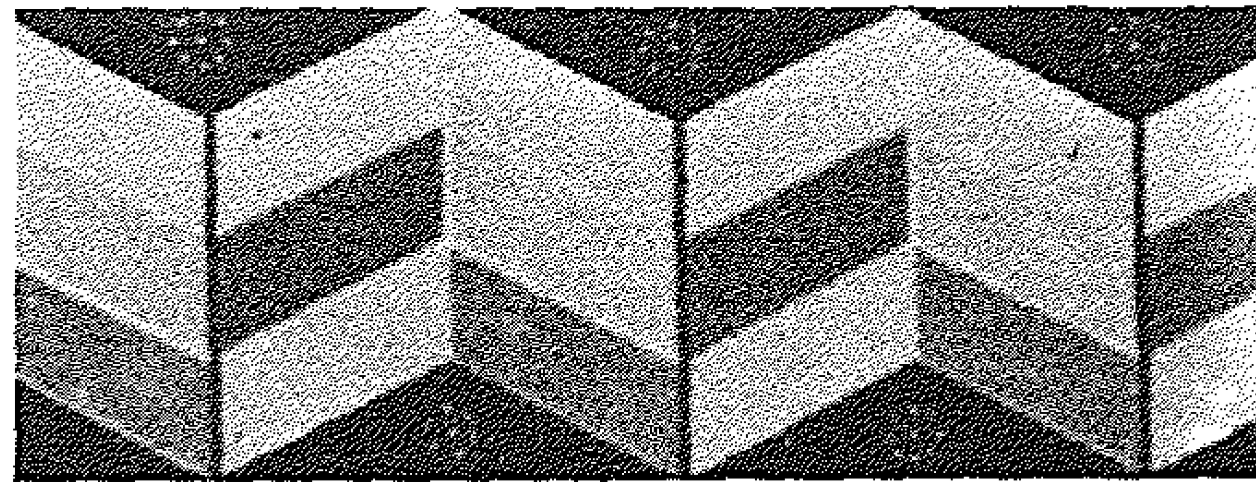
ولذلك كانوا في غالب الأحيان يمتحنون فضائل النساك بالتواضع والطاعة ، وخصوصاً المبتدئين منهم ، الذين كانوا يكلون أمرهم إلى أحد الشيوخ وكانوا ملزمين بطاعته ، وكان يمتحنهم بأعمال فيها تحقير لهم وكانت غالباً ما تتعارض والتفكير السليم ، حتى يتعوّدوا تسخير إرادتهم لنير إرادة عمياء . وقد رأينا في تاريخ حياة القديس أرسانيوس ، كيف امتحنه أنبا يوحنا القصير امتحاناً فيه امتهان ، ليتبين صدق نيته في النسك .

لقد كان هذا السلوك مملوءاً حكمة، وعندما يخضع المبتدئون لآبائهم الروحيين طوال عدد من السنين، إذ لم يكن هناك وقت محدد، يصبحون في وضع يستطيعون معه أن يقودوا آخرين في طريق النسك، ولذلك نلاحظ في تاريخ الرهبنة في مواضع كثيرة تعاقب المعلمين والتلاميذ. فالقديس أرسانيوس الذي كان أنبا يوحنا القصير معلمه، صار له أيضاً تلاميذ، وهؤلاء تتلمذ عليهم آخرون أيضاً. وكان هناك من التلاميذ من يلازم آباءهم الروحيين إلى أن يتنيحوا، وكانوا يقومون بخدمتهم في شيخوختهم بمحبة واحترام وعناية تفوق حد الإعجاب.

ولا يفوتنا أن نذكر أنهم كانوا يعوّدون المبتدئين على الإعتراف بخطاياهم وعلى أن يخضعوا للعقاب، إلى حد أن كانت هذه الفضيلة كشيء طبيعي لديهم طوال حياتهم فكانوا دائماً خاضعين لتوجيه الشيوخ، وكان الشيوخ أنفسهم خاضعين لتوجيه كهنة الكنائس ومجمع الإخوة.

و يذكر روفينوس أن متوحدي شيهات، كانوا يميلون دائماً إلى القيام بأعمال المحبة والإحسان، ليس فيما بينهم فقط، بل نحو الأغراب أيضاً الذين كانوا يقصدونهم في وحدتهم. لكن كان سلوكهم نحو السيدات يختلف، فإذا حضرت إحداهن لرؤية أخيها أو أحد أقاربها فكانت العادة أن يحدثوهن عن بعد.

عن كتاب:
أديرة وادي النطرون
للدكتور منير شكري
من ص ١٢٨ — ص ١٤٢



نوع من الزخارف الهندسية الملونة التي تزين الحنيات الحائطية niches في دير باويط - محافظة أسيوط ترجع إلى القرن السادس/السابع

الباب الخامس

دير أنبا مقار

تاريخ مفصل للحياة الرهبانية فيه على مدى العصور حتى اليوم

مع دراسة هندسية دقيقة لعمارته

منهج البحث

رجعنا في هذا البحث الهندسي التاريخي إلى المراجع العلمية الدقيقة وأهمها بلا نزاع هو كتاب هيو ج. إڤلين هوايت Hugh G. Evelyn White الجزء الثالث المتخصص في تاريخ العمارة الهندسية لأديرة وادي النطرون الذي استعان بالمهندسين و. ج. پالمرچونز W.J. Palmer-jones الذي أكمل أبحاثه الهندسية في دير أنبا مقار من صور فوتوغرافية ولوح هندسية ومساقط وأبعاد وقياسات في سنة ١٩٠٩ــ١٩١١، ولحق به إڤلين هوايت مع مساعديه هـ. بورتن H. Burton وزميله و. هوسر W. Hauser في نوفمبر ١٩٢٠ ومايو ١٩٢١. وفي الحقيقة تعتبر أبحاث إڤلين هوايت عن دير أنبا مقار بالذات، والتي استغرقت هذه السنين، من أدق وأعمق الأبحاث التي عرفها التاريخ الكنسي في فن العمارة. وقد رجع هذا المؤرخ العلامة في كتبه إلى كافة المراجع التي يمكن أن يحصل عليها باحث مقتدر مزود بالأموال الطائلة والإمكانيات العلمية النادرة. وعدد المراجع والمخطوطات التي استخدمها يربو على الأربعة والثمانين مرجعاً من كافة اللغات بما فيها اللغتان القبطية والعربية.

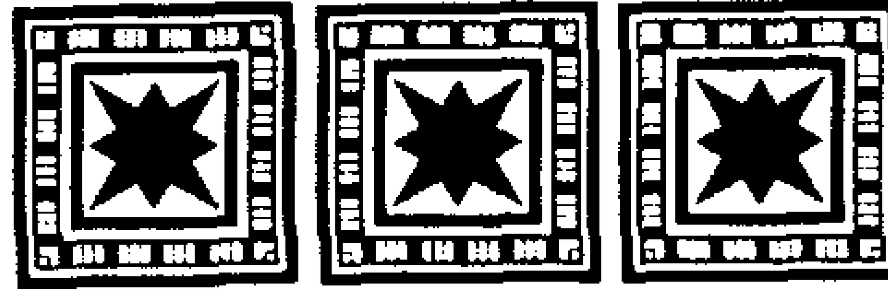
ويجدر الإشارة هنا إلى أن أبحاث إڤلين هوايت كانت تكليفاً من متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك، فهو عمل أكاديمي من الدرجة الأولى، ولا نملك إلا أن نشكر الله عليه ونشكر هؤلاء العلماء الذين بذلوا من الجهود المضنية في السفر والإقامة ما يعجز اللسان عن وصفه.

وقد رجعنا بالإضافة إلى كتب إڤلين هوايت الثلاثة إلى مصادر أخرى كثيرة للإستيضاح وتكميل الثغرات التي واجهت إڤلين هوايت، وأهمها:

١ ــ مخطوطة رحلة أنبا بنيامين مع تكريس هيكل أنبا مقار، رقم ٢٠٧ س.

٢ ــ مخطوطة رقم ١٨ سير قديسين.

وذلك بالإضافة إلى أبحاثنا وملاحظاتنا العينية كسكان في الدير ولهذه البرية سنين طويلة.



مقدمة عامة
للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار

الفصل الأول
نشأة الدير

١ ــ لم يكن أسوار بالمرة.
٢ ــ مغائر مسقوفة بالجريد والبردي.
٣ ــ هندسة المباني تقوم على أساس الفقر والصمت.
٤ ــ الكنيسة والمائدة لممارسة الإفخارستيا والأغابي.
٥ ــ الميراث الوحيد: جسد القديس.

حينما بدأ دير أنبا مقار في الظهور في الثلث الأخير من القرن الرابع[١]: لم يكن بشكله الحالي على الإطلاق، وكذلك بقية الأديرة الثلاثة، بوادي النطرون، فلم يكن له أسوار بالمرة ولا حصن ولا قصور للضيافة ولا طواحين للجبس ولا سواقي ولا حظائر للبهائم ولا شيء من كل هذه الصورة التي يبدو فيها الدير اليوم.

بل بدأ الدير بقلاية الأب الكبير مقاريوس التي بناها في طرف الصخرة (الصخرة يُقصد بها الجبل الواقع الآن غرب دير الأنبا مقار مباشرة). وكانت عبارة عن مغارة مسقوفة بالجريد والبردي. ثم تجمع حوله التلاميذ وبنوا قلاليهم على مسافات متباعدة من قلاية الأب، وعلى نفس النمط. وكان لا يتحكم في نظام هذه القلالي وبنائها إلا عاملان أساسيان وهما التزام الفقر منتهى الفقر، والرغبة الشديدة في الوحدة والصمت[٢].

ومع بناء القلالي كعادة الآباء بُدىء ببناء الكنيسة لإقامة الصلوات؛ وبظهور الكنيسة ظهر معها في الحال قلالي ملاصقة لخدام الكنيسة من كهنة وشمامسة ومخازن وبرقريب وغرف

(١) بعد نياحة مكسيموس ودوماديوس مباشرة. أنظر ص٢١٣ من هذا الكتاب.

(2) Ev. White, III, p. 5.

للمرضى والزائرين.

ولم ينته القرن الرابع إلا وكانت الجماعة الديرية التي تعيش في هذا المكان لها هذه الأوصاف:

كنيسة حولها قلالي كثيرة متفرقة على مساحة كبيرة، وبيت متواضع للضيافة ليس أكثر من قلاية كبيرة، ومكان للمرضى ملاصق للكنيسة، وبئر، وبعض المخازن. ولكن لم يكن هناك أسوار على الإطلاق. فكانت المجموعات الديرية عموماً (Lauras) تعيش عيشة الإيمان وتسليم الحياة لله بصورة كاملة. وكان عددهم في كل البرية في أيام أنبا مقار قد بلغ ٢٤٠٠ راهباً(٣) موزعين على أربعة أديرة. ولم يكن يجتمع الرهبان المتوحدون في الكنيسة إلا يومي السبت والأحد من كل أسبوع للتناول وسماع كلمات الوعظ والتعليم من القديس مقاريوس أو بقية الشيوخ الذين كان يكلفهم القديس بهذه الخدمة حسب ترتيب ونظام خاص ــ كما يخبرنا القديس مار اسحق في كتابه(٤)ــ وذلك مساء السبت حتى مطلع فجر الأحد، ثم يتناولون معاً من الأسرار المقدسة، ثم يجتمعون مباشرة في المائدة لتناول وجبة الأغابي المشهورة باعتبارها جزءاً هاماً من طقس سر الإفخارستيا (سر العشاء).

وهكذا نجد أن الكنيسة ارتبطت في البرية منذ البدء ارتباطاً جوهرياً بالمائدة، فصارت المائدة جزءاً لا يتجزأ من الكنيسة، سواء من الوجهة السرائرية أو الهندسية أو المعمارية، فصار من المحتم أن يلحق بالكنيسة الجامعة (الكاثوليكا) التي يجتمع فيها جميع الرهبان: مائدة تفتح على الخورس الثالث منها، حتى بعد أن يفرغ الرهبان من طقس الإفخارستيا يدخلون المائدة مباشرة ليكملوا طقس الأغابي(٥). وبقيام المائدة ظهر المطبخ بمبانيه كجزء أساسي في مجموعة الأبنية التي يتحتم أن يتكون منها الدير حتى في صورته البدائية. ودُعي المطبخ بملحقاته من أفران وكوانين باسم «الدياكونية» أي «مكان الخدمة» ويُطلق عليه بالصعيدية «داجونية».

ومما يؤيد هذا الكلام خبر الزيارة المشهورة التي قام بها القديس أنبا شنودة لدير أنبا مقار سنة ٤٣١م.، عند عودته من مجمع أفسس، التي يذكر فيها أنه دخل على الآباء في المطبخ(٦) (الداجونية)، وكان وقتها عيد الميلاد وكان الآباء يطهون اللحم في قدر يغلي على النار، فلما استنقص شنودة عمل الآباء إذ كيف يأكلون اللحم وهم نساك، أمر رئيس المطبخ تلميذه أن يضع يده في القدر وهو يغلي وأن يخرج قطعة لحم منه للقديس، فما كان من التلميذ إلا أن مد يده

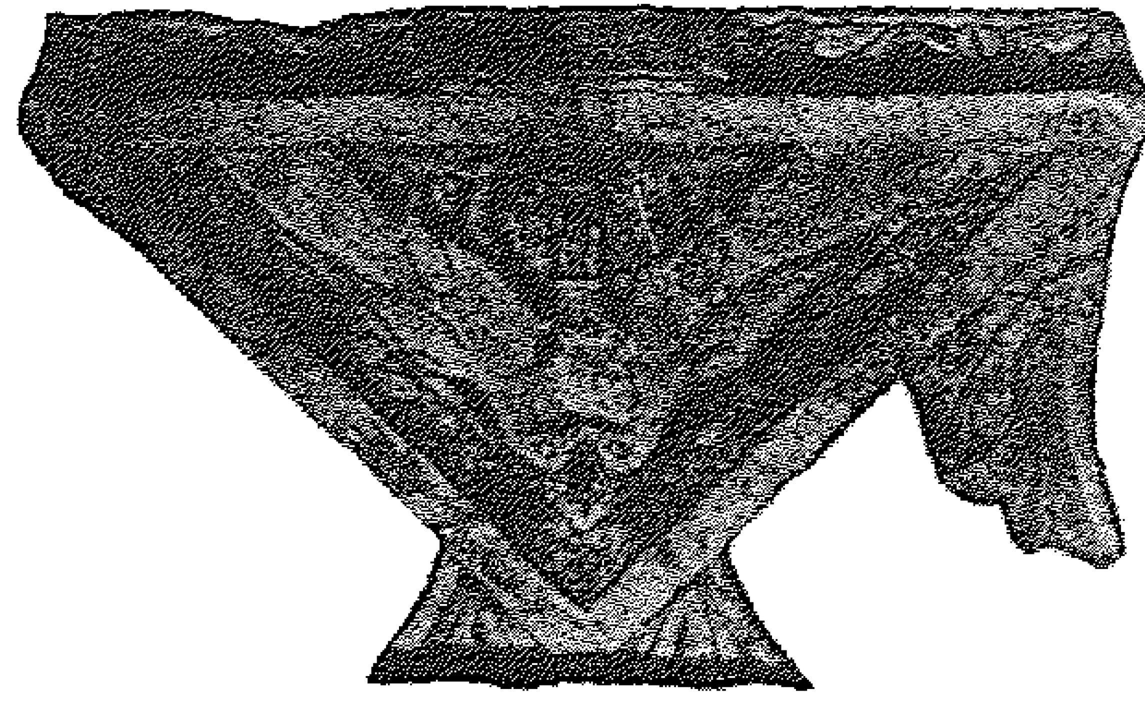
(٣) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٩.
(٤) مار اسحق الباب الأول.

(5) Ev. White, III, p. 6, Note 3.
(6) Amélin. A.M.G., XXV, p. 149 f; & Ev. White, II, p. 161.

العارية بهدوء في القدر وهي تغلي وأبقاها فترة ثم أخرج قطعة لحم دون أن يمسها سوء. فلما رأى القديس هذه المعجزة تعجب ولام نفسه واعتذر للآباء إذ تيقن أن القداسة تسمو فوق النسك، وبساطة الروح تطفىء لهيب النار.

وبنياحة القديس مقار ودفنه في مغارته التي أحبها وعاش فيها كل حياته، كما تقول المخطوطة التي بها سيرة حياته، ارتبطت الجماعة كلها بالمكان وصارت القلاية التي تحوي جسده الطاهر نقطة الارتكاز الأساسية لتثبيت المكان واسمه على مدى الدهور، وهكذا صار جسد القديس جزءاً جوهرياً في كيان الدير سواء من الوجهة الروحية الصرف أو من الوجهة الهندسية المعمارية. فمن أجل هذا الجسد وكرامته شيدت الكنائس وزينت الهياكل من جيل إلى جيل دون ملل حتى هذا اليوم.

وهكذا نجد أن ظروف الحياة الجماعية للمتوحدين ووجود الكنائس هي التي حتمت بهذا النمو المتواصل والتطور السريع في شكل الجماعات الديرية وفي هندسة مبانيها.



قطعة من الحجر المنحوت تمثل طاووسين متواجهين يشربان من نافورة مياه [واردة من كنائس قديمة في صعيد مصر ترجع للقرن ٤/٥ الميلادي ـ معروضة بالمتحف القبطي].

الفصل الثاني
عصر الحصون والأعمدة الرخامية

١ ــ الحصن يجمع كل مقومات الحياة والصلاة.
٢ ــ النزول من على الصخرة أمر حتمي.
٣ ــ هبات الإمبراطور زينو تقلب المصير الهندسي والمعماري من طين وبردي إلى حجارة ورخام وتيجان.

بحدوث الغارة الأولى التي قام بها البربر سنة ٤٠٧م. ثم تكرارها سنة ٤٣٤م. وما نتج عن ذلك من تخريب ونهب وقتل، نجد الجماعات الديرية بدأت تفكر جدياً في إقامة حصون متينة يلتجئون إليها وقت الغارة بحيث تكون مهيأة بمخازن تحوي القوت الضروري لفترة طويلة **وبئر ماء** وكنيسة يصلون فيها. وهكذا تحتم على النظام الرهباني إقامة الحصون التي نراها الآن بشكلها المتكامل(١). وهكذا تم بالفعل إقامة أول حصن المدعو حصن «بيامون» وصار صالحاً بالفعل لإيواء الرهبان قبل حدوث الغارة الثالثة التي حدثت سنة ٤٤٤م.

تاريخ طبوغرافية الدير:

ينبغي أن نعلم أن المباني الجماعية الأولى التي يُظن أنها كانت بدائية ومعظمها بالطين(٢)، والتي كانت تضم الكنيسة والمائدة والمطبخ وبيت الضيافة والمرضى، كانت تحت الصخرة بسبب عدم وجود الماء فوق الصخرة. لذلك اضطر كثير من الآباء الشيوخ والضعفاء والمرضى أن يبنوا قلاليهم بالقرب من الماء، فابتدأت مباني الدير تزحف من فوق الصخرة لتستقر في المنخفض المتاخم لها، وهو موضع دير أنبا مقار الحالي.

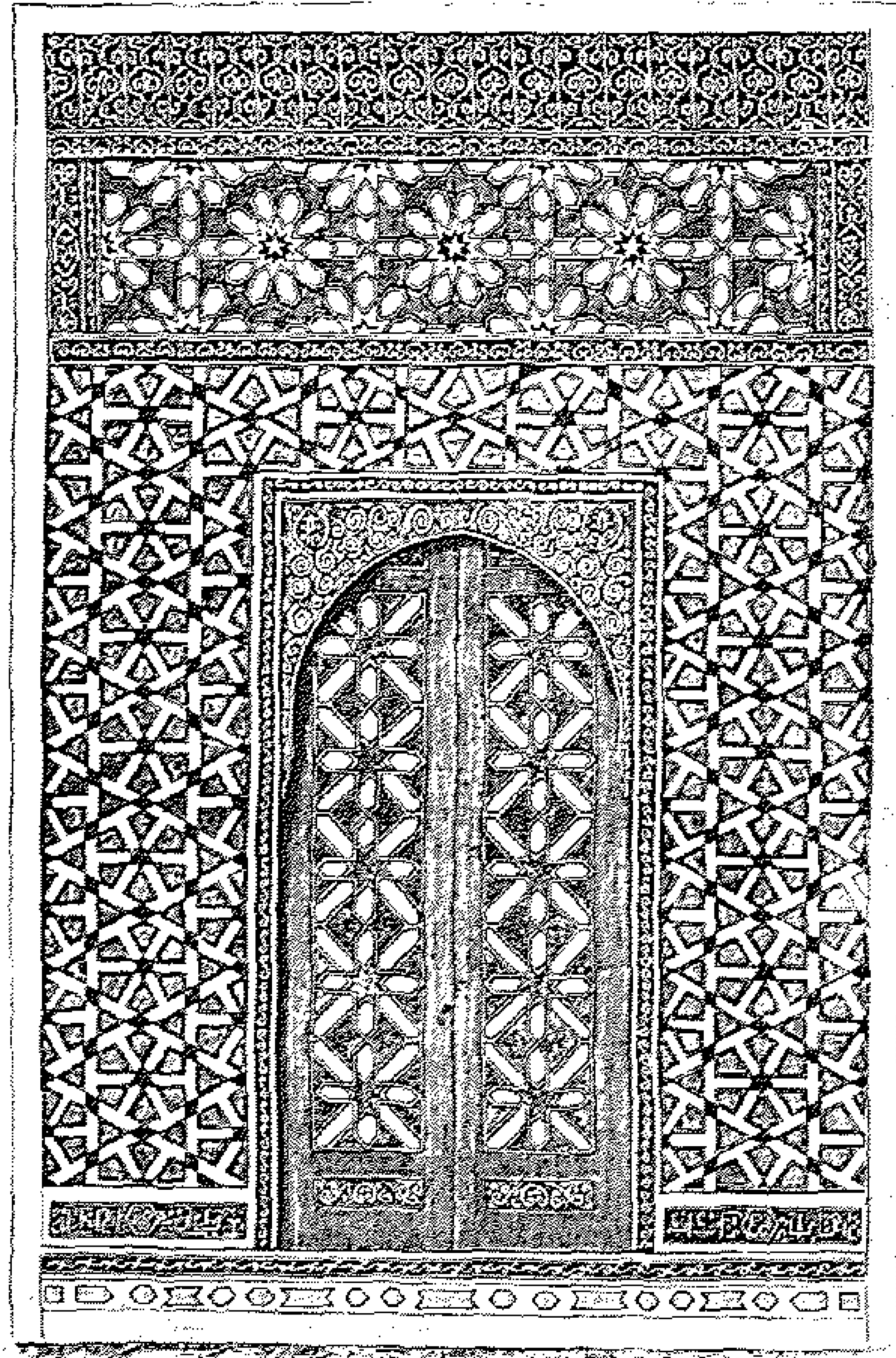
أما بداية الظروف التي حتمت نهائياً النزول من فوق الصخرة، فكانت فكرة بناء الحصون التي يأوون إليها وقت الغارات والخطر والتي كان يتحتم وجود بئر ماء داخلها، الأمر الذي يستحيل

(1) Ev. Wh., I. X, p. 7.
(2) Ev. Wh., III, p. 5.

توفره فوق الصخرة.

لذلك كان بناء أول حصن لدير أنبا مقار المدعو بحصن «بيامون» بعد الغارة الثانية، أي بعد سنة ٤٣٤م.، وقبل الغارة الثالثة ٤٤٤م.، هو بداية تحديد مكان أو طبوغرافية الدير في وضعه الراهن. ولكن أين تحديد مكان حصن البيامون بالضبط؟ هذا ما سنرجىء بحثه للفصل القادم.

وفي نهاية القرن الخامس تقريباً (٤٨٢م.) حدث أمر هام كان له الأثر الكبير في مصير دير أنبا مقار وتطور عمارته تطوراً سريعاً وتركزه بصورة نهائية في المنخفض المتاخم للصخرة شرقاً، ألا وهو دخول الراهبة إيلارية بنت الملك زينو(٣) التي هربت من قصر الإمبراطور متخفية وصارت ضمن مجموعة متوحدي دير أنبا مقار متخفية في زي رجل: الأمر الذي لما كشفه الملك زينو بعد ذلك بزمن طويل جعله يغدق على دير أنبا مقار بعطف متزايد، وبقية الأديرة معه، من هبات وأوقاف ومباني، الأمر الذي تسبب في ظهور الحصون الضخمة والكنائس والمنشوبيات والمباني ذات الأعمدة الرخامية العديدة، والتي لا تزال آثارها بدير أنبا مقار تشهد لعصور سالفة بلغت فيها عمارة الدير أوج عظمتها، فقد ذُكر أن صحن كنيسة أنبا مقار كان مرفوعاً فوق عشرين عموداً رخامياً... ولا تزال التيجان الكثيرة المتعددة الأحجام والأشكال والألوان تملأ الدير حتى يومنا هذا.



(٣) تُوُفِّي هذا الملك سنة ٤٩١م. Ev. Wh., II, 1, § 3.

الفصل الثالث

عصر ازدهار رهباني وبدء المساكن الجماعية المتفرقة

١ ــ الدير ملجأ أمين للبطر يرك.
٢ ــ الشعب ينتبه إلى قيمة العمارة في الأديرة.
٣ ــ بدء ظهور المنشوبيات كمنهج روحي عالي.

وثمة حادث آخر أثر تأثيراً مباشراً في عمارة دير أنبا مقار وتطورها وهو انتقال كرسي البطر يركية مؤقتاً من الإسكندر ية إلى دير أنبا مقار(١). وذلك سنة ٤٥١ م. على أثر فظائع مجمع خلقيدونيا ونفي ديسقوروس وطرد البطر يرك الذي انتخبه الأقباط خلفاً لديسقوروس من الإسكندر ية مقر رئاسته الذي التجأ إلى دير أنبا مقار، فصار منذ ذلك الوقت مقر رئاسة البطر يرك ومحط الأنظار ومكان تدفق الشعب من كافة أنحاء البلاد في أيام الشدة والضيق.

و يقول تار يخ البطاركة لأنبا ساو يرس:
[ولم يشعر الرهبان القاطنون في الأديرة آنذاك بأي احتياج لأن المؤمنين كانوا يتبارون في تقديم عطاياهم للأديرة، فكانت فترة هدوء اهتم فيها الرهبان بعمارة وترميم أديرتهم وتجديد مبانيها بعد أن كانت قبائل البربر قد خربت منها الشيء الكثير](٢).

وقد بلغ عدد الرهبان في بر ية الإسقيط في هذه الحقبة الزمنية الزاهرة ٣٥٠٠ راهباً. ونتيجة لكثافة هذا العدد ظهرت القلالي الجماعية على هيئة «منشوبيات ⲙⲁⲛϣⲱⲡⲓ» (أماكن سكن جماعية) أو قلالي كبيرة (تي نشتي ري)، متفرقة ولكن تحيط كلها بالكنيسة والحصن وملحقاتها بدون أسوار.

وفي الواقع أن هذه المنشوبيات تصور لنا بل وتشرح لنا أيضاً منهج الحياة الروحية السائدة في النظام المقاري. فالمنشوبية تقوم أساساً على وجود رئيس روحي أب:

---

(1) Ev. Wh., II, iii, § 1 & 2; I, p. 7.

(٢) كتاب تار يخ البطاركة للأنبا ساو يرس أسقف الأشمونين، طبعة إفتس ص٤٧٣.

أولاً: يكون قد بلغ المستوى الكامل الذي يؤهله للتعليم والبناء الروحي وشفاء النفس وتهذيبها.

وثانياً: يكون على مستوى المسئولية الكنسية أي له يمين الشركة والمشورة رسمياً في الأوساط الكنسية الديرية خاصة وعامة، أي يكون مشهوداً له من كافة الآباء المعاصرين بالصلاحية الكاملة لاهوتياً وطقسياً وروحياً.

وثالثاً: يكون للمنشوبيات كلها رئيس واحد مدبر يدعى «القمص» أو «الهيجومينوس» أي «المدبر العام» أو «الرئيس»، يخضع له كافة آباء المنشوبيات خضوعاً روحياً وأدبياً ورسمياً معاً. فالقمص يأخذ اعترافات الشيوخ ويمثل كل جماعة الرهبان أمام الكنيسة ولدى البطريرك.

والمعروف في كل العصور تقريباً أن قمص جماعة دير أنبا مقار هو بالتالي قمص شيهيت عموماً، حتى في العصور التي ضعف فيها نفوذه العملي والروحي ظل وضعه الرسمي الصوري كما هو.

كذلك فالمعروف أيضاً أن كافة آباء منشوبيات (أديرة) أنبا مقار كانوا جميعاً ذوي ترتيب واحد وطقس واحد التزموا به وألزموا به الكنيسة كلها في ظروف متعددة.

[ولكن انهار هذا النظام العملاق أي نظام المنشوبيات في دير أنبا مقار روحياً و بالتالي هندسياً في منتصف القرن الرابع عشر حينما دخل كافة الرهبان داخل الأسوار وصاروا تحت ناموس واحد التزم أن يتوافق مع الضعفاء و يتمشى دائماً مع المبتدئين فقط].

و بعد هذا الإزدهار السكاني والمعماري أصيبت الأديرة فجأة بالغارة الرابعة، وذلك في نهاية القرن السادس سنة ٥٧٠م. تقريباً التي تركت الأديرة فارغة مهدمة. وجاء بعدها اضطهاد كيرش الخلقيدوني سنة ٦٣١م. الذي بدد شمل كثيرين من الرهبان الذين انحدروا جنوباً وسكنوا في قلالي منفردة خارج دير نهيا بالجيزة، كما يخبر أبو صالح الأرمني في كتابه: «تاريخ الكنائس والأديرة»: [فخارج دير نهيا وبجواره توجد قلالي كثيرة تابعة للآباء الرهبان الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمن بطريركية أنبا بنيامين](٣).

(3) Churches & monast. of Egypt, fol. 63 b.

الفصل الرابع

عصر المنشوبيات الكبرى والكنائس

١ ــ تأمين حياة الرهبان وعمارة الأديرة.
٢ ــ أسماء أشهر المنشوبيات.
٣ ــ نقل جسد القديس أنبا مقار.
٤ ــ الدير: قلعة أديرة بها ألف قلاية.

استهل القرن السابع بدخول العرب مصر سنة ٦٤١م، وقد بدأ عمرو بن العاص حكمه بأن أمَّن للرهبان عبادتهم ومنحهم حق تشييد الكنائس والمباني وتجديد عمارتها (١).

وسرعان ما انتشرت المباني الجديدة بهمة القديس يؤنس قمص شيهيت، وكانت على هيئة منشوبيات كبيرة أو أديرة صغيرة. وتسمت هذه المنشوبيات بأسماء القديسين أو بلادهم خاصة الذين كانوا يدبرون حياة الرهبان فيها، وظلت عامرة قروناً عديدة حتى القرن الرابع عشر. وقد خرج منها بطاركة كثيرون ومطارنة كثيرون جداً. والملاحظ أن بعض هذه المنشوبيات ظل محتفظاً باسمه الأول مثل القلاية الكبرى التي كانت تدعى «دنشتيري» حتى صارت لقباً لكل راهب يتخرج فيها. كما أصبح لبعض هذه المنشوبيات صفات أو تقاليد خاصة، مثل قلاية «دورودي» التي أصبح من تقاليدها أن لا يصلي فيها إلا من كان حافظاً المزامير والتسبحة عن ظهر قلب.

وسنحاول هنا تجميع كافة أسماء المنشوبيات التي وصلت إلينا عبر التاريخ كله (٢)، لأننا لا نستطيع أن نحدد زمان بناء كل منشوبية. كذلك فربما تكون منشوبية واحدة قد أخذت عدة أسماء على ممر العصور، ولكن على أي حال فإن القرن السابع يعتبر بداية واضحة جداً لتأسيس معظم المنشوبيات في منطقة البيامون أي وادي القديس أنبا مقار. وقد أصبحت هذه المنشوبيات في مدة وجيزة عبارة عن أديرة متاخمة بعضها لبعض:

(1) Ev. Wh., III, p. 8; H.N.S., III, ii, ch. 1.
(2) Hist. of Monast. of Nitria & Scetis, by Ev. White.

١ ــ قلاية البهابسيت: أي الـ٤٩ شيوخ شيهيت الشهداء. وقد صارت نواة لكنيستهم التي دخلت ضمن أسوار الدير فيما بعد.

٢ ــ منشوبية أنبا يؤنس: قمص شيهيت ومدبر جماعة أنبا مقار.

٣ ــ منشوبية ابراهيم وجورجى: وهما القديسان الشهيران وكانا تلميذين لأنبا يؤنس قمص شيهيت.

وهاتان المنشوبيتان (٢) و(٣) تسميان قلاية بيجيج (٣).

٤ ــ منشوبية أنبا زكريا: وتعرف بدير أنبا زكريا (الذي صار أسقف صا أو صايص)، وتعرف أيضاً بالقلاية الكبرى «دنشتيري». وظلت عامرة حتى القرن الرابع عشر، وتخرج فيها بطاركة كثيرون منهم ميخائيل الخامس (١١٤٥ــ١١٤٦م.).

٥ ــ قلاية أنبا أغاثون: التي تخرج فيها القديس أنبا صموئيل المعترف، وكذلك صاحبها أيضاً وهو القديس الشهير أنبا أغاثون العمودي تلميذ القمص يؤنس قمص شيهيت.

٦ ــ منشوبية البتانون: ورئيسها كان من البتانون، فدعيت باسم بلده. وذُكرت في خبر التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت. «وكان رئيسها شيخاً راهباً من البتانون وكان أب قلاية البتانون».

٧ ــ قلاية درودي: أو تيروتي، وعُرفت أيضاً بقلاية دوروثيئوس، وهو قديس عظيم معلم القديس يؤنس كاما (قديس دير السريان حالياً)، وقد ألبسه الإسكيم. وقد تخرج في هذه القلاية البطريرك أنبا غبريال الـ٥٧ (٩٠٩ــ٩٢٠م.)(٤).

٨ ــ قلاية ديرنبا: أو درنبا أو دنهيا، وهي أسماء وردت في عصور مختلفة لقلاية واحدة على أغلب الظن. وقد تخرج فيها البطريرك أنبا مينا الثاني (٩٥٦ــ٩٧٤م.) البطريرك الـ٦١ في عداد البطاركة، الذي من أهل صندلة(٥).

٩ ــ قلاية ذكر كفري أو دكنكفرى: وتخرج فيها البطريرك الأنبا فيلوثيئوس الـ٦٣ (٩٧٩ــ١٠٠٣م.).

١٠ ــ قلاية دنجاية: وتخرج فيها البطريرك أنبا شنودة الثاني الـ٦٥ (١٠٣٢ــ١٠٤٦م.).

١١ ــ قلاية بربيروس: كانت عامرة أيام البطريرك يوحنا السادس (١١٨٦ــ١٢١٦م.).

١٢ ــ قلاية الدماهرة: ربما لوجود عدد من الرهبان من بلد واحدة، وهذه محض صدفة. ويذكر تاريخ البطاركة أنه كان يوجد بها كتبة ماهرون سنة ١٢٧٥م..

---

(٣) بجيج أو بجبيج (بشبيش) بلدة في الفيوم وفي المنوفية أيضاً، وقد ورد ذكرها ضمن تاريخ البطريرك كيرلس ابن لقلق.

(٤) ارجع لتاريخ البطاركة لأسقف فوه.

(٥) أنظر كتاب وادي النطرون للأمير عمر طوسون ص ٢١١.

وفي رحلة البطريرك أنبا بنيامين الثاني التي قام بها سنة ١٣٣٠م، يقول المؤرخ أنه زار القلالي الملحقة بدير أنبا مقاريوس وهي كالآتى:

١٣ ــ قلاية البرصيني.

١٤ ــ قلاية عوزيال.

١٥ ــ قلاية داكنونية (الخدمة؟).

١٦ ــ قلاية بلتوس.

١٧ ــ وفي أيام البطريرك يوحنا الخامس (١١٤٧ــ١١٦٧م) نسمع عن رهبان يسكنون قلاية **بشبيش**، بدير أنبا مقار.

١٨ ــ وفي أيام البطريرك يوحنا السادس (١١٨٦ــ١٢١٦م) نسمع عن راهب رسام يدعى عبد المسيح من القلاية التي تدعى **اسكسيك** بدير أنبا مقار.

١٩ ــ وفي أيام البطريرك أنبا ميخائيل الخامس بن الدنشتيري البابا الـ٧١ (١١٤٥ــ١١٤٦م) نسمع عن: **قلاية كدران** التي رشح منها يؤنس بن كدران للبطريركية ورُفض.

وعلى العموم ينتهي القرن الثامن (٨٠٠م) بصورة رائعة عن دير أنبا مقاريصفه أحد الرهبان الزائرين من أورشليم يدعى إبيفانيوس بقوله: [وكان الدير عبارة عن قلعة يحيط بها ألف قلاية](٦).



حشوة من الخشب المحفور ترجع إلى القرن الحادي عشر، تكوينها الأساسي هو فرع نباتى يبدأ في المحور ثم يتفرع إلى الجانبين في طيات لينة مخلفة زهوراً زخرفية، ثم يدور في منحنى واسع ليحتضن الصليب بتفرعات نباتية دقيقة حتى ينتهي في الزاوية العليا للحشوة ــ من حجاب كنيسة مارجرجس إحدى كنائس دير أبو سيفين بمصر القديمة

(6) Epiphanii monachi, ed. Dressel p. 6.

الفصل الخامس

عصر الأسوار والحصون

وبدء انحصار الرهبنة داخل الأديرة

١ ــ أنبا يعقوب يبدأ بالأسوار لتغطي المساكن.
٢ ــ أنبا شنودة يرتفع بالأسوار والأبراج إلى حد الضخامة والمناعة.
٣ ــ غلطة هندسية أودت بالتوحد وقضت عليه. متوحدو أنبا مقار يقاومون إغراء الأسوار خمسة قرون.
٤ ــ تاريخ الطافوس الحالي.
٥ ــ أمور ساعدت على ازدهار عمارة أنبا مقار فترة طويلة.

كان القرن الثامن امتداداً للقرن السابع، الذي ظل طابع الدير فيه هو طابع المنشوبيات، الكبرى منها والصغرى، والتي كانت مستقلة عن بعضها. غير أنه كان يجمعها منهج فكري وروحي واحد.

وتحكي لنا إحدى المخطوطات خبراً يفيدنا من الوجهة الهندسية المعمارية يقول أنه في مستهل القرن التاسع قدم إلى دير القديس مقاريوس الشاب المختار من الله المدعو يوحنا كاما(١)، وقرع باب المنشوبية المدعوة قلاية درودي أو تروتي. ومن ذلك نعلم أن في هذا العصر بدأت كل منشوبية تعمل لنفسها سوراً متوسط الإرتفاع يحميها من اللصوص الصغار أو العرب عابري السبيل. ولكن لم يكن القصد من هذه الأسوار المختصرة أن تحمي المنشوبيات من هجمات البربر، أي أنها لم تكن أسوار حصون ولكن أسوار مساكن.

ولكن للأسف لم يدُم هذا التعمير طويلاً، إذ فجأة هجم البربر على الأديرة وخربوها وهدموا مبانيها بقسوة وأحرقوا الكثير منها بالنار، وذلك سنة ٨١٧م. وكانت هذه هي آخر غارات البربر العنيفة على برية الإسقيط ووادي النطرون بصفة عامة (إذا استثنينا غارة اللواتيين التي حدثت سنة ١٠٦٩م. وكان أثرها محدوداً). وتهمنا هذه الغارة الأخيرة أهمية عظمى من الوجهة الهندسية لدير أنبا مقار ولبقية الأديرة عموماً، إذ تجعلنا حريصين في أن لا نغالي في قدم الأبنية الموجودة

(1) Life of John Kamé, Patrol. Orient, XIV, fase 2 p. 23.

حالياً، إذ لم يفلت أي مبنى من الهدم والتخريب في هذه الغارة، فعلى أحسن وجه نستطيع أن نقول إن عمليات الترميم هي التي أوقفت هذه المباني القديمة مرة أخرى بمنظرها القديم خصوصاً الحصون الكبيرة.

ولكن بعد هذه الغارة الأخيرة مباشرة، عاد الرهبان إلى قلاليهم أي منشوبياتهم، وكانوا يُصلُّون في مواضع الكنائس المخربة تذللاً أمام الله ليعيد بناءها؛ وبدأوا عصر التعمير والبناء فامتدت مرة أخرى عمارة المنشوبيات وتحصينها.

فقد ورد في خبر رسامة الأب البطريرك الخمسين أنبا يعقوب سنة ٨٢٥م. أن هذا الأب المبارك كان راهباً بالدير وكان ممن نجوا من فتك البربر في الغارة الأخيرة؛ وقد توجه إلى الصعيد الأعلى وعاش في دير مهجور وكان يتحيَّن الفرصة للعودة إلى ديره المحبوب، وقد رأى رؤيتين: الأولى تحثه فيها السيدة العذراء للرجوع إلى ديره، والثانية عند وصوله للدير؛ فقد ظهرت له وقالت: «مبارك قدومك إلى هذا الدير العظيم أيها الثابت على الإيمان، تقوَّ ولا تخف لأن رجوعك إلى هذه البرية المقدسة سيجتذب الكثيرين، فيأتون إليك ويعمرون الدير من جديد فتجمعهم الألفة والمحبة ويعيشون كآبائهم في ألفة الروح».

وفي هذا العصر قام المسئولون عن عمارة الأديرة بإقامة الأسوار الحصينة العالية والحصون والأبراج لاتقاء هجمات البربر. ولكن لا نستطيع أن نقطع بوجود أسوار متكاملة عالية وحصون مرتفعة مهيأة تماماً لحماية الرهبان من الغارات العنيفة إلا في نهاية القرن التاسع، وعلى وجه التحديد سنة ٨٧٠م. وهو تاريخ أول خبر بوجودها. وكان ذلك على يد البطريرك أنبا شنودة الأول (٨٦٥—٨٧٧م.). وعندما اعتكف هذا القديس في دير أنبا مقار، وعانى في بداية زيارته للدير من مناوآت البربر الذين قذفوا الدير بالحجارة والطوب، فما كان من هذا القديس إلا أن صمم على تحصين كنيسة أنبا مقار بسور عال وترميم الحصن الملاصق لها وبناء قلالي جديدة للرهبان في داخل السور.

ولكن إقامة الأسوار العالية المحيطة بالكنيسة الكبيرة: أي كنيسة أنبا مقار (وكانت ملاصقة للسور الشرقي القديم ومنتهية بالسور الغربي وامتدادها جنوباً كان حتى إلى الحصن القديم)؛ كل ذلك لم يمنع وجود المنشوبيات العامرة بالرهبان في المنطقة الواسعة المحيطة بكنيسة أنبا مقار من خارج الأسوار. فالأسوار جُعلت لزمن الخطر فقط.

وقد حذت المنشوبيات حذو كنيسة أنبا مقار، فأقامت كل جماعة حول منشوبيتها أسواراً حصينة نوعاً ما، فبدت المنطقة وكأنها منطقة قلاع وحصون عالية.

في حين أن بـقـية الأديرة الأخرى الثلاثة (أنبا بيشوي والسريان والبراموس) اكتفى الرهبان فيها بأسوار الدير العالية وتجمعوا جميعاً داخل الأسوار، وبدأت الحياة المشتركة الجديدة داخل الأسوار في صورتها الفاقدة لمظهر الوحدة وجوهرها، كما يصفها إڤلين وايت: [نساك ساكنون في قلاع، وهذه هي الغالبية العمومية، ومتوحدون خارج الأسوار وهؤلاء قلة مستثناة](٢).

كما يضيف إڤلين هوايت قائلاً: [ظاهرتان بدتا على الحياة الرهبانية داخل الأسوار: **الأولى:** بدأت الجماعة تجتمع معاً لتلاوة قانون السواعي معاً في مواعيد محددة. **الثانية:** احتفظ كل راهب ببقية من تدبير توحده السابق، وهو أن يعيش منفرداً في قلاية وحده يأكل و يشرب و ينام وحده. و بقيت المائدة العمومية للمناسبات](٢).

ولكن في كل ذلك بقيت جماعات المتوحدين الساكنين في المنشوبيات والقلالي المنفردة خارج دير أنبا مقار وخارج الأسوار مزدهرة وقوية حتى القرن الرابع عشر، ولكن بعد ذلك التاريخ توقف تدبير الوحدة كطقس رهباني متكامل.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن مدافن الرهبان بقيت خارج الأسوار حتى القرن الرابع عشر، هذا ما تنص عليه المخطوطات(٣). وهذا معناه أن تاريخ الطافوس الحالي داخل دير أنبا مقار يبدأ منذ ذلك التاريخ فقط أي منذ القرن الرابع عشر، وهذا أمر يثير الحزن والشجن، فحتى الأجساد انحبست مع الرهبان داخل الأسوار بغير ما سبب!

والملاحظ أنه من الأمور التي ساعدت على بقاء ازدهار الرهبنة والعمارة معاً في دير أنبا مقار أكثر من أي دير آخر بعد ذلك حتى القرن الرابع عشر هو التمسك بتقليد طبخ الميرون بدير أنبا مقار، وتقليد تجليس البطاركة في هيكل أنبا بنيامين، هذا بالإضافة إلى رسامة عدد عديد من البطاركة من رهبان هذا الدير مما جعله قبلة أنظار البطاركة والمطارنة وأراخنة الشعب والزوار؛ كل هذا بالإضافة إلى المكانة المرموقة لهذا الدير بسبب جسد القديس مقاريوس الذي ظل فيه مصدر عزاء وبركة لكافة الناس من جميع أنحاء العالم، مما جعل الكثيرين يتبارون في تقديم الأموال والمساعدات لعمارته.



(2) Ev. White, III, p. 10.

(٣) كتاب تكريس الميرون: في تاريخ طبخ الميرون سنة ١٣٣٠م. على يد أنبا بنيامين الثاني يذكر المؤرخ أنه في يوم أحد الخوص ركب أنبا بنيامين ركوبته من الدير حتى وصل إلى مدافن الآباء فوق الصخرة وصلى على جسدي ابراهيم وجورجي.

الدراسة التفصيلية
للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار

الفصل الأول
من القرن الرابع حتى القرن السادس

١ ـ إرشاد الملاك إلى موضع الدير.
٢ ـ البيامون وحصن البيامون.

١ ـ شيهيت الأولى

يبدأ تاريخ دير أنبا مقار في المخطوطات التي تسلمت لنا بظهور الشيروبيم للقديس مقاريوس بعد نياحة القديسين الشابين مكسيموس ودوماديوس بمدة وجيزة، حيث اقتاده «إلى مكان الصخرة جنوب البحيرات في مكان غرب البئر مباشرة يعلو الوادي» (١). وهناك باركه الشيروبيم باسم الرب وقواه وأمره أن يبني كنيسة [فقال له الشخص النوراني: اسكن هنا، واعمل لك قلاية، وابنِ كنيسة، فإن شعباً كثيراً يجيء إليك و يسكنون عندك، فعمل ذلك وسكن في ذلك الموضع إلى آخر نسمة من حياته. لذلك سمي الموضع بعد نياحته باسم برية مقاريوس منذ ذلك الزمان وإلى آخر الدهور لأن فيه أكمل سعيه] (٢).

وبسكنى القديس في هذا المكان، بدأ في الحال تلاميذه في بناء القلالي في السفح تحت الصخرة(٣) حيث بنوا أيضاً كنيسة، التي كانت أول مكان يجتمعون فيه معاً. وكان بجوارها بئر ومخبز ومطبخ ويجاورها أيضاً بيت للضيافة، وكانوا يكلفون الزائرين بالعمل إما في الحديقة أو المطبخ أو المخبز، ولم يكن يُسمح لهم بالكلام أو الأكل إلا بعد الساعة السادسة.

(١) مخطوطة ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار. Ev. White III, p. 31; A.M.G. Amélineau, XXV, pp. 88 f.

(2) Ibid., 31.

(3) Pallad., Laus. Hist., New ed., p. 40, 41.

وحفر القديس مقاريوس لنفسه سرداباً تحت قلايته يمتد نصف ميل و ينتهي إلى مغارة مختفية كان يلجأ إليها للخلوة بسبب كثرة الزائرين له. و يقول پالليديوس أنها استغرقت منه زمناً طويلاً(٤). وقد ذكر روفينوس أن مغارة القديس كانت مطلية بالطين(٥).

وقد ذكر في قاموس «الآثار النصرانية» ص٣١٢٥، أن دير أنبا مقار أقيم على موقع سكنى القديس مقار.

ولما تنيح القديس مقاريوس استودع تلاميذه جسده الطاهر في نفس المغارة التي حفرها لنفسه بجوار الكنيسة(٦).

٢ ــ البيامون وحصن البيامون

وأول بناء هندسي يذكره التاريخ في مجموعة قلالي دير أنبا مقار هو حصن البيامون، و يأتي ذكره في قصة استشهاد الآباء التسعة والأربعين شيوخ شيهات القديسين الذين استشهدوا في الغارة الثالثة التي حدثت سنة ٤٤٤م.

وهنا يجدر الإشارة أن «**البيامون**» ذكرت مع «**الإسقيط**» و«**نتريا**» باعتبارها أماكن تجمعات Lavra أي شبه مدينة رهبانية صغيرة. وكلمة Lavra اصطلاح رهباني عند الغرب يفيد معنى دير في وضعه البدائي الأول حيث مئات القلالي المتفرقة حول كنيسة الدير. **والإسقيط:** أول من ذكره هو المؤرخ بطليموس أحد العلماء الجغرافيين من القرن الثاني الميلادي باعتبارها مدينة صغيرة، وأخذ عنه المؤرخ شامپليون. أما **نتريا:** فأول من ذكرها هو المؤرخ چيروم، وهو قديس من القرن الرابع الميلادي باعتبار نتريا مدينة صغيرة من الوجهة العمرانية الصرف: «مدينة يقال لها نتريا». أما **البيامون** فهي المدينة الرهبانية الثالثة التي ذكرها أميلينو (في كتابه جغرافية مصر) بقوله: [والذي صان اسم هذه المدينة من الاندثار هو مخطوط الفاتيكان الذي ذكرت فيه قصة نقل أجساد هؤلاء القديسين التسعة والأربعين شيخاً الذين ذبحهم البربر في شيهات](٧). وأجساد هؤلاء الشهداء القديسين دفنت في مغارة بجوار برج أو حصن هذه المدينة الرهبانية الصغيرة Lavra التي تدعى بيامون.

---

(4) Pallad., Laus. Hist., p. 57.

(5) Ruf., H.E., II, 4.

(٦) ملاحظة هامة جداً: إن كنيسة أنبا مقار هي هي لم يتغير مكانها على الإطلاق، ولكن لما تهدمت على أيدي الفرس («وادي النطرون» تأليف عمر طوسون ص٢٠٠) كان الرهبان الشيوخ يضطرون للذهاب إلى الكنائس العامرة على الصخرة التابعة للمنشوبيات. فكان هذا تعباً عليهم جداً بالإضافة إلى أنهم لم يطيقوا أن تبقى كنيسة مقاريوس أبيهم مهدمة فأعادوا بناءها وذهبوا للأنبا بنيامين في طلب تكريسها.

(7) Amélin., Notices et Extrait, XXXIX, pp. 330, 336.

قصة استشهاد التسعة والأربعين شهيداً والبيامون (٨)

كان على زمان ثاؤذوسيوس الملك ابن أركاديوس، أن ثاؤذوسيوس لم يكن له ولد، فأرسل إلى الشيوخ بشيهات يسألهم أن يسألوا الله من أجله فيعطيه ولداً. وكان من بين هؤلاء الشيوخ شيخ كبير يسمى الأب إيسيذوروس كتب إلى الملك يعرفه أن الله ما أراد أن يخرج منك ولد حتى لا يشارك أرباب البدع بعدك. فلما وقف الملك على رسالتهم بذلك شكر الله وسكت، فأشار عليه قوم أردياء أن يتزوج امرأة أخرى ليرزق منها ولداً يرث المُلك من بعده، فأجابهم: ما أفعل شيئاً بخلاف أمر الشيوخ ببرية مصر، لأن صيتهم كان قد خرج في أكثر الدنيا، فأرسل رسولاً يستأذنهم في ذلك. وكان للرسول ابن وحيد فطلب منه أن يصحبه فأخذه معه ليتبارك من الشيوخ. ولما وصلوا إلى الشيوخ وقرأوا كتاب الملك، وكان أنبا إيسيذوروس قد تنيح، فأخذوا الرسول وأتوا به إلى حيث جسده وقالوا للجسد: ياأبونا قد وصلت هذه الكتب من عند الملك وما نعرف بما نجاوبه. فجلس الشيخ وقال: ما قد قلته للملك أن الرب ما يرزقه ولداً، فمن أعلمه شيئاً آخر يتنجس. فلو أنه يتزوج عشر نساء فلن يرزق منهن ولد. ثم عاد القديس وانضجع. فكتب الشيوخ للرسول جواب الكتب. ولما عزم على الخروج، إذا البربر قد أتوا، فوقف شيخ كبير يقال له أنبا يونس وقال للإخوة: هوذا قد أتوا وهم لا يطلبون إلا قتلنا، فمن أراد الشهادة يقف معي ومن خاف يصعد إلى القصر (الحصن) فهرب بعضهم، وبقي مع الشيخ ثمانية وأربعون فأتى البربر وذبحوا الشيوخ، فالتفت ابن الرسول من الطريق فرأى الملائكة وهم يضعون الأكاليل على رؤوس الشيوخ المقتولين. وكان اسم الصبي ذيوس، فقال لأبيه: هوذا أنا أبصر قوماً روحانيين يضعون الأكاليل على رؤوس الشيوخ، والآن أنا ماض لآخذ إكليلاً مثلهم. فأجابه والده وأنا معك ياابني. فعادوا وأظهروا نفوسهم للبربر فقتلوهم وأخذوا الشهادة. وبعد مضي البربر نزل الرهبان من القصر وضموا الأجساد معاً وجعلوهم في مغارة، فصاروا يصلون قدامهم كل ليلة ويرتلون ويتباركون منهم فجاء قوم وسرقوا جسد أنبا يونس وذهبوا به إلى البتانون وأقام عندهم مدة، ثم أعاده الشيوخ إلى مكانه. وآخرون من أهل الفيوم سرقوا جسد الصبي، وعندما وصلوا به إلى البحيرة بالفيوم خطفه ملاك الرب وأعاده إلى حيث جسد أبيه.

ولما خربت البرية خافوا على الأجساد فنقلوهم من مكانهم وأتوا بهم إلى جانب كنيسة أنبا مقار، وبنوا لهم مغارة، وعملوا عليها كنيسة في زمان ثيئوذوسيوس البطريرك.

ويقول أميلينو، وهو جازم بصحة ما يقول، أن حصن البيامون كان قائماً في الصحراء على مسافة قريبة من دير القديس أنبا مقار(٩).

---

(8) René Basset, Le Synaxaire A.J., 26 Toubeh, pp. 699-703.

(9) Amélin. Geographie, p. 343.

و يعود المؤرخ العربي أبو عبيد البكري (١٠٩٤م.) في كتابه: «المسالك والممالك» ص٢ فيما يختص بالمدن والقرى الواقعة في الطريق من مصر إلى برقة والمغرب فيذكر أطلال هذه المجموعات الرهبانية الثلاث باعتبارها ثلاث مدن هكذا:

[وهي ثلاث مدن قائمة البناء، معظمها خالية، فيها قصور شريفة في صحراء رمل، وتلك القصور محكمة البناء (محصنة) منجدة الجدران، أكثرها على آراج معقودة (أقبية القلالي والحصون) يسكن بعضها رهبان وبها آبار عذبة قليلة الماء].

فهذه المدن الثلاث: (سكيتيس، ونتريا، وبيامون التي في إقليم نتريوتيس أي وادي النطرون)، التي ذكرها المؤرخون بطليموس وشمپليون وچيروم وأميلينو وأبو عبيد البكري، ليست إلا مراكز أديرة وادي النطرون التي كانت منتشرة على طول الوادي على هيئة ثلاث جماعات كبيرة. وهكذا التجأت جماعة رهبان دير أنبا مقار التي كانت منطقتهم تدعى «بيامون» إلى حصنهم المدعو حصن البيامون، وتسميه إحدى المخطوطات وبها سيرة أنبا بيشوي بقلم يوحنا القصير نفسه ـ المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ـ تسميه باسم «الحصن الشرقي، حيث ذُبح بجواره التسعة والأربعون شيخاً في شيهات» (١٠)، نظراً لأن مجموعة قلالي رهبان دير أنبا مقار وحصنهم كانت تقع في أقصى الشرق بالنسبة لكل المجموعات الرهبانية الأخرى.

و يؤكد إڤلين هوايت مرة أخرى [إنه من المؤكد أن حصن البيامون تعود تسميته إلى أحد الآباء القديسين المدعو آمون، وهو يكون جزءاً من مجموعة مساكن Lavra القديس مقاره] (١١).

و يضيف المؤرخ إڤلين وايت قائلاً:

[وذلك معناه أن دير أنبا مقار أضاف إلى مبانيه حصن البيامون التاريخي المشهور قبل منتصف القرن الرابع، الذي أصبح النواة الأولى التي قام على أساسها الحصن أو القصر القديم الحالي] (١٢).

الإمبراطور زينو وإيلارية الراهبة ونهضة معمارية بدير أنبا مقار:

في سنة ٤٨٢م. حاول الإمبراطور زينو (Zaënoun) توحيد الخلقيدونيين في مملكته مع اللاخلقيدونيين (الأرثوذكس أصحاب الإيمان بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد) فأصدر، بعد مداولات ومشاورات، المنشور المسمى «هنيتيكون» أي «وثيقة الإتحاد» برجاء ضم الصفوف بعد انفصالها سنة ٤٥١م. في مجمع خلقيدونية المشئوم. ولو أن هذه الوثيقة أخفقت في مسعاها إلا أن نتيجتها المباشرة كانت تقرُّب الإمبراطور زينو إلى الرهبان في شيهيت الذين اعتبروه ملكاً

(10) Ms., B.N., Fonds Arabe, No. 4796, fol. 162.

(11) Ev. Wh., II, p. 39.

(12) Ev. Wh., III, p. 31-32.

صالحاً ذا ميول سلامية واشتياقات وحدو ية صادقة، فكرموه جداً وراسلوه وراسلهم. وكانت هذه المراسلات والتكريمات سبباً بالتالي إلى اشتياق قلب إحدى بناته المدعوة إيلار ية نحو حياة النسك والمعيشة في البراري مع هؤلاء القديسين.

سيرة إيلار ية وعلاقتها بالدير(١٣):

أما سيرة إيلار ية (ترجمة اسمها بنت الفرح) فهي تكاد تكون طبق الأصل من سيرة أبولينار يا من كافة الوجوه، فهي تتخفى وتنزل إلى الإسكندرية ثم إلى شيهيت و يستقبلها شيخ قديس اسمه «بامو» قس شيهيت، و يُلبسها الزي الرهباني و يسميها «إيلاري»، وتتقشف حتى يتغير شكلها وطبيعة جسدها فقالوا إنها خصي. ثم تمرض أختها في القصر الملكي فيرسلوها إلى الشيوخ في شيهيت و يسلمونها إلى إيلار ية التي تسمت بالراهب إيلاري وتصلي عليها فتُشفى، وتعود بنت الملك إلى أبيها وتقص عليه خبر إيلاري الخصي الذي كان يعاملها معاملة خاصة استرعت انتباه الملك، فيرسل الملك و يستدعي هذا الراهب ليحقق في أمره فيجده ابنته التي فقدها منذ سنين كثيرة، ولكن إيلار ية تستحلفهم ليطلقوها لتكمل حياتها في البراري. فأعادوها ومعها خطابات توصية وأرزاق كثيرة وأموال لعمارة القلالي والكنائس، فكان ذلك سبباً في نمو الأديرة وازدهارها، وعاشت إيلار ية بصفتها الأولى تحت اسم إيلاري الخصي خمس سنوات، وتنيحت ولم يُعرف أنها امرأة إلا بعد نياحتها حينما أعلم القديس بامو في شيهيت الإخوة بأمرها.

وقد تنيحت هذه البارة القديسة في يوم تذكار نياحة العذراء مريم في ٢١ طوبة، فجعلته الكنيسة تذكاراً لها مع سيدتنا كلنا والدة الإله ــ بركة صلاتها فلتكن معنا آمين.



والحقيقة التي ينبغي أن ينتبه إليها القارىء أن قصص كثير من الآباء القديسين والقديسات يحوطها الغموض الشديد بسبب تمسك أصحابها بسر ية أخبارهم وحياتهم وتمسك آباء اعترافهم بهذه السر ية عينها مما يضطر الكاتب إلى تكميل الفجوات التي تبدو أمامه، من عنده. وهذا مما جعل كثيراً من تراجم حياة هؤلاء القديسين والقديسات متشابهة.

والذي يهمنا من قصة إيلار ية ثلاثة أمور:

الأول: الناحية الروحية: كيف تستطيع شابة رهيفة بنت ملك أن تحيا حياة الشظف والجهاد والجوع والفقر المتواصل مما يوبخ ضمائر الشباب الذي يستصعب حياة القداسة والنسك.

الثاني: جرأة آباء الإعتراف الأوائل في تحمل مسئولية إعالة شابة في هذه البراري مما يوبخ

(13) (a) Amelineau in P.S.B.A., X, pp. 194 f. (b) Giron, Légendes Coptes, pp. 44 f. (c) Syriac V.: Wensink's Legends of East. Saints, II. (d) Coptic V.: Ibid. (e) Synax., R. Basset, pp. 590 f.

ضمائر آباء الإعتراف الذين يحجزون الشباب عن تكريس حياتهم ناظرين إلى الصعوبات التي تعترضهم في البراري أو إلى أحزان أهلهم.

الثالث: البركة العظيمة التي صارت لبراري شيهيت بسبب رهبنة هذه الفتاة القديسة، إذ صارت واسطة صلح وسلامة بين إمبراطور الروم ورهبان مصر مما كان له أثر كبير على نمو الرهبنة وازدهار عمارة الأديرة، إذ تقص علينا المخطوطة السريانية التي تحمل سيرة هذه الراهبة المغبوطة ذات الذكرى العاطرة السعيدة هكذا:

[وأخبرت إيلارية أباها الملك أن في شيهيت متوحدين لا يجدون المأوى ولا الماء للشرب، و يعيشون حياة مضنية غاية التعب لبُعد منابع المياه، ولا يجدون قدرة على البناء، ولا المواد التي تلزم البناء متوفرة هناك، وترجت أباها أن يرسل معها من يأتمنه لكي يحفر الآبار للآباء والمغائر المريحة للذين يتعشقون العبادة في الخفاء... فأرسل الملك معها إنساناً مؤتمناً وزوده بالأموال اللازمة للإنفاق على عمارات الأديرة وإقامة حصون فيها للنجاة، فذهب وعمل ما أوصاه الملك وأقام منشوبيات كثيرة (حول دير أنبا مقار) و بيوتاً حصينة (أبراجاً)، و بنى كنائس في كل البرية وخصوصاً كنيسة أبومقار في وادي هبيب](١٤)، [وقرر الملك أن يكون للأديرة في شيهيت من مخصصات الملك ثلاثة آلاف أردب قمح وستمائة مكيال زيت كل سنة وهي عادة مستمرة حتى اليوم](١٥).

و يقرر المؤرخ إڤلين هوايت مع كل المؤرخين القدامى والمعاصرين أن قصة إيلارية بالرغم مما يبدو فيها من الخيال إلا أنها حقيقة تاريخية مدموغة بكل صحة و يقين.

الإمبراطور زينو وهندسة الدير:

وهكذا لم ينته القرن الخامس (٤٨٢م.) حتى بدأت العمارة الهندسية للدير تأخذ وضعها التأثيري بفضل المساعدات التي انهالت على الدير من الإمبراطور زينو، وهو ــ كما قلنا ــ الإمبراطور الذي كان ذا ميول سلامية لوحدة الإيمان. وأصدر الهنيتيكون أو وثيقة الإتحاد سنة ٤٨٢م. وقد توفي سنة ٤٩١م. وتاريخ البطاركة يذكر هبات هذا الإمبراطور الصالح فيقول: [وكان يوحنا الناسك (ربما قمص دير أنبا مقار) يعيش في زمن الملك زينو ذلك الرئيس الصالح. ولما علم زينو بإيمان يوحنا وطيبته، **أمر في أيامه أن يرسل إلى دير أنبا مقار كل ما يحتاج إليه الدير من قمح ونبيذ وزيت وما يحتاجون إليه لأجل تأسيس القلالي].**

وهكذا قامت المنشوبيات المحصنة، وارتفع حصن الدير، و بُنيت كنيسة أنبا مقار(١٦) التي أخذت نصيبها من الإتساع ومن العمارة اللائقة لتكون الأساس الدائم الذي ظل يتجدد من قرن إلى قرن.

---

(14) Syriac Vers. & Karshuni, Wensinck, p. 62.

(15) R. Basset, p. 602. (16) H. N. S., II, 1 § 3.

قديسو دير أنبا مقار في القرن السادس

أنبا دانيال قمص شيهيت:

في مستهل هذا القرن وحتى السبعينات منه، ظل اسم أنبا دانيال قمص شيهيت يملأ الوادي كله، ليس وادي النطرون فحسب بل وادي النيل، فقد كانت قداسة هذا الأب الفاضل وحكمته وإفرازه الروحي سبب إحياء شيهيت بعد نكسة خلقيدونية المرة التي أطفأت جذوة المحبة والحرارة بين النساك بسبب الإضطهاد والتشتيت.

وسيرة هذا الأب غير مكتوبة، ولكن أول من جمعها من شتات المخطوطات اليونانية والقبطية والسريانية والحبشية والعربية[17] هو العالم المدقق إقلين هوايت، وأضاف إليها عدة ملاحظات وردت في السنكسار الحبشي (هملا ١) والمرج الروحي ليوحنا موسخوس (١١٤).

ولد هذا القديس في سنة ٤٨٥م. (*) لأن في سيرته نعلم أنه كان ابن أربعين سنة لما عثر أولوجيوس (أحد الأشخاص البارزين في سيرة دانيال القمص) على الكنز الكبير، وأولوجيوس معروف أنه عثر على هذا الكنز على وجه التحقيق سنة ٥٢٥م.

وتقول المخطوطات أنه ارتحل إلى برية شيهيت وهو صبي صغير. ولا ندري كيف كانت رهبنته، ولكن قيل أنه وقع في أسر البربر ثلاث مرات في مدة رهبنته المبكرة، ولعلها كانت لسبب كثرة حبه للإرتحال والدخول إلى البرية الجوانية. وفي أول مرة ظل أسيراً لمدة سنتين وقد عتقه من الأسر رجل بحار (دفع ثمن رقبته)، وفي ثاني مرة هرب من الأسر بعد ستة شهور، أما ثالث مرة فقد فرغ صبره وأتى عملاً عنيفاً، فقد صرع أسيره بحجر أرداه قتيلاً، وهرب، ولكنه ظل تحت عذاب الضمير طول حياته، فذهب إلى بابا الإسكندرية أنبا تيموثاوس الثالث (٥١٨-٥٣٦م.) وسأله عن العقوبة التي ينبغي أن يتحملها ليكمل توبته، ولكن تيموثاوس حاول عبثاً أن يرفع عن ضميره ثقل هذا الكابوس، عندما أراد أن يقنعه أن الرجل الذي أسره هو في مرتبة الوحوش الكاسرة المفترسة، والدفاع عن النفس لا يكون إلا بقتلها؛ فلم يقتنع ورحل إلى روما، فقالوا له ما قاله تيموثاوس، فلم يسترح. ومنها أقلع إلى القسطنطينية ثم أفسس ثم أورشليم ثم أنطاكية ليسأل أساقفتها، فلم يسترح. وأخيراً عاد إلى الإسكندرية وسلم نفسه للسلطات القضائية باعتباره قاتل نفس، ولكن القاضي أخلى سبيله وتمنى لو كان قد قتل سبعة برابرة آخرين.

---

(17) Greek, Coptic, Syriac Versions of Ms., are edited by: Clugnet, Guidi & Nau, respectively in Vie et Récit de l'Abbé Daniel le Scétiote (R.O.C., V, pp. 49 f., 254 f., 370 f., 535 f). The Ethiopic Version is edited by: Goldsmith, E. Periera.

(*) وتذكر مخطوطة س ٣ ورقة ٥٦ مكتبة دير أنبا مقار أنه وُلد في الصعيد.

وأخيراً لجأ إلى أعمال النسك والرحمة ليعزي ضميره، فأضاف في قلايته رجلاً كسيحاً مقعداً أخذ يعتني به بنفسه.

دانيال وألوجيوس قاطع الأحجار:

وتتخلل حياة دانيال قصة أولوجيوس قاطع الأحجار الذي صلى دانيال من أجله على أن يكون ضامناً له ليعطيه الرب مالاً ينفقه على نفسه وعلى ضيوفه، لأنه كان يحب ضيافة الغرباء الذين كان دانيال واحداً منهم، إذ اعتاد أن يزوره في كوخه الصغير. وفعلاً وجد أولوجيوس كنزاً كبيراً ولكنه بدلاً من أن يكون مضيافاً كريماً ذهب إلى القسطنطينية يطلب وظيفة وجاهاً لدى الملوك. واشترك أولوجيوس في مؤامرة سياسية ضد جوستنيان سنة ٥٣٢م.، وكان وشيك الوقوع في القبض لولا أنه هرب من القسطنطينية تاركاً كل ثروته وعاد إلى مصر إلى مهنته الأولى، وبالتالي إلى فقره الكريم وغنى محبته في إضافة الغرباء. فتعلم دانيال أن لا يكون ضميناً لغنى ولا مشتهياً للغنى سواء لنفسه أو لغيره.

دانيال والراهب الهبيل:

وكان دانيال قمصاً على شيهيت قبل سنة ٥٣٥م.(السنة التي بدأ فيها النزاع مع الغيانيين)، وقام كعادة رؤساء شيهيت بزيارة بابا الإسكندرية في عيد الفصح. [وهناك كشف دانيال للبابا عن شخصية أحد القديسين الرهبان الذين كانوا يعيشون عيشة النسك الشديد وإنكار الذات في زي شحات فقير يتظاهر بالبلاهة حتى يخفي أعمال حسناته ويكفر عن حياة الخطيئة التي عاشها سابقاً، وكان اسمه مرقص، وقد كشفه دانيال بالروح عندما وجده على باب البطريركية يطلب حسنة، وقد اعترف مرقص للبابا بكل سيرته. ولما أحضروه بالكرامة وأدخلوه دار البابا وجدوه ثاني يوم راقداً وقد تنيح. فكان لنياحته أثر كبير في نفس البابا الذي كرم جنازته إذ أرسل يستدعي قديسي شيهيت ونتريا، ودعا كل أكابر الإسكندرية الذين اشتركوا في تشييع جنازته بكرامة فائقة. وقد حضر فعلاً كثيرون من قديسي شيهيت بملابسهم البيضاء وكل نساك الإيناتون والبيمبتون (الدير التاسع والدير الخامس الذي كان يعيش فيه مرقص سابقاً) وكل أديرة ظاهر الإسكندرية، وخرج الشعب وراء نعشه بالأغصان والشموع والدموع].

دانيال والراهبة الهبيلة(١٨):

وعلى نفس مستوى القصة السالفة قصد أنبا دانيال ديراً للراهبات وأخذ تلميذه معه، وكشف بالروح أمر الراهبة التقية التي كانت تعيش بإرادتها كهبيلة داخل ذلك الدير لتكسب فضيلة تحمُّل الإهانات التي كانت تنهال عليها من كافة أخواتها حتى من الرئيسة نفسها، فلما كشف

(18) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, pp. 24, 25.

أمرها القديس دانيال وأراها للرئيسة وهي في حالة تجلي، والنور ينبعث من جسدها وهي واقفة للصلاة خفية في قلايتها في نصف الليل، كان ندم الرئيسة كبيراً وكان حزن الأخوات المستهزئات بها لا يوصف. أما هي فلما رأت أن سيرتها انكشفت وأنهن مزمعات أن يكرمنها هربت وتركت اعتذاراً ومديحاً لهن على ورقة ثبتتها على قصبة واختفت قبل أن يبزغ نور النهار!...

دانيال يهب البنين بالصلاة ويدافع عن سر قداسته (١٩):

وكان دانيال يعيش عيشته النسكية في شيهيت كأي متوحد من متوحدي ذلك الزمان، يكد بيديه ويبيع شغله في ترنوط (الطرانة) التي كانت سوقاً كبيراً لمبيعات أعمال الرهبان وقضاء حاجاتهم المعيشية، كما يخبرنا السائح يوحنا موسخوس في المرج الروحي. وبينما هو مرة في سوق ترنوط أتاه شاب متوسلاً أن يأتي ويصلي على زوجته لكي يهبها الله ولداً، فلما أنجبت الشابة وليدها في الميعاد أشاع أناس أشرار من أرباب السوء الذين يتكلم الشيطان على أفواههم دائماً لإزعاج قديسي الله وبلبلة أفكار الناس من جهة قداسة قديسيه أن الولد هو ابن دانيال. فما كان من القديس لما سمع هذا إلا أن أحضر الصبية والزوج والولد في وسط الناس وأمام هؤلاء الأشرار وحمل الولد على ذراعيه وأمره أن يتكلم من هو أبوه؟ فأشار الولد بيده إلى أبيه وفتح فه وهو ابن أسبوعين وقال: «هذا أبي».

دانيال وأسفاره الكثيرة:

ويؤخذ على هذا القديس أنه كان كثير الأسفار والتنقل، فمعروف أنه زار روما والقسطنطينية وأفسس وأنطاكية وأورشليم يسأل أساقفتها، ومرة أخرى نسمع أنه سافر إلى القسطنطينية ليقنع أولوجيوس قاطع الأحجار أن يعود إلى رشده، ثم نجده في صعيد مصر (*) حيث قابل أولوجيوس هناك، وفي أديرة للراهبات الباخوميات بطبنيس (إسنا) يكشف أمر الهبيلة، وفي الإسكندرية يطوف بأديرة الساحل في ظاهر المدينة. ولكن إڤلين هوايت (٢٠) يدافع عن دانيال، إنما في ريبة وشك أنه ربما يكون ذلك بسبب إضطهاد خلقيدونيا والغيانيين مما فرق شمل الأرثوذكس (الثيئوذوسيين) وجعلهم يغادرون دير أنبا مقار تحت وطأة التهديد بالضرب والقتل.

دانيال والقديسة أنستاسيا:

من أشهر القصص التي تروى عن أنبا دانيال قمص شيهيت قصة القديسة أنستاسيا والتسعة والأربعين شيخاً شهداء شيهيت. ويقول كاوفنمبرج المؤرخ الذي جمع شذرات هذه السيرة أن

---

(19) John Moschos, Patrum Spirituala., CXIV.

(20) Ev. White, II, p. 244.

(*) ذكرت مخطوطة س ٣ رقة ٥٥ مكتبة دير أنبا مقار أن القديس دانيال توجه دفعة إلى صعيد مصر ومعه تلميذه، ووصلوا ضيعة صغيرة، فقال الشيخ: ههنا نقيم اليوم. فتذمر تلميذه قائلاً: إلى متى نطوف؟ سر بنا إلى الإسقيط.

أنستاسيا هذه هي إحدى الشماسات اللاتى هربن مع أنبا ساو يرس بطر يرك أنطاكية إلى مصر(٢١) سنة ٥١٨م. والمعتقد أنها كانت متزوجة أحد القناصل وكان لها ابنة كانت من خواص أنبا ساو يرس بطر يرك أنطاكية، والتي كان يراسلها(٢٢). و يقرر المؤرخ كلونييه أنها كانت من عائلة غنية من أكابر المدينة(٢٣) «بَطر يقة» (وهذه اللفظة منقولة حرفياً من الكلمة اليونانية «پاتر يك»). وتحت الخوف من تهديدات الملك جوستنيان للأرثوذكس هر بت من أنطاكية مع البطر يرك أنبا ساو يرس وحضرت إلى الإسكندر ية في زي أستاذ وترهبت(٢٤)، وعمرت ديراً على نفقتها سُمي فيا بعد «دير السيدة النبيلة»، عند الميل الخامس في ظاهر الإسكندر ية. وعاشت هناك حتى زمن وفاة الإمبراطورة ثيئوذورا (سنة ٥٤٨م). وعندئذ بدأ جوستنيان من جديد اضطهاده للأرثوذكس الهار بين من وجهه، فهر بت أنستاسيا مرة أخرى متخفية في زي راهب بسبب ذيوع شهرتها واسمها في شيهيت حيث توجهت إلى دير القديس أنبا مقار وسجدت تحت أجساد الشهداء التسعة والأر بعين(٢٥)، وصلّت فسمعت منهم في قلبها مشورة أن تسلم حياتها للقديس أنبا دانيال الذي كان وقتها قمصاً على شيهيت، الذي أخذ اعترافها وآواها في مغارة تبعد عن الدير ١٨ ميلاً حيث عاشت متوحدة حبيسة لا تخرج إلا لز يارة أنبا دانيال مرة كل أسبوع لأخذ الأسرار المقدسة. وكان يعولها أحد أولاد أنبا دانيال الأكفاء المخلصين. وظلت هذه الحبيسة تمارس عباداتها ونسكياتها وتقدم صلواتها الطاهرة عن العالم ثمانية وعشر ين سنة في مغارتها بعد مجيئها إلى شيهيت. وفي أحد الأيام ذهب التلميذ كالعادة ليعولها بالماء والخبز فوجد خارج القلاية (إذ كان لا يقابلها ولا يراها) شقفة (كانت إحدى الوسائل السائدة لكتابة الخطابات في ذلك العهد) مكتوب عليها: «احضر ومعك الأدوات» (وكانت تقصد الأسرار، والفأس لدفنها). فلما قرأ التلميذ الشقفة علم أن المتوحد الحبيس يحتضر، فجرى بسرعة إلى معلمه الذي حضر ومعه الأسرار وأدوات الدفن، فوجدها تلفظ أنفاسها الأخيرة. فأخذ آخر الكلمات من فمها الطاهر وناولها من الأسرار المقدسة ثم كشف لتلميذه سر حياتها وقاما بدفنها معاً. وهكذا عاشت هذه القديسة كأحد رهبان دير أنبا مقار من سنة ٥٤٨م، وهو ميعاد مجيئها لتسجد في دير أنبا مقار، وهو نفسه تار يخ نياحة الإمبراطورة ثيئوذورا، حتى سنة ٥٧٦م، وهو ميعاد نياحتها.

وتعيِّد لها كل من الكنيسة القبطية في يوم ٢٦ طوبة والكنيسة اليونانية أيضاً، وهو يوافق نفس اليوم الذي تعيِّد فيه الكنيسة لاستشهاد التسعة والأر بعين شهيداً شيوخ برية شيهيت.

---

(21) Cowvenbergh, Hist. Patr., p. 189.

(22) Select Letters of Severus, Section X, No. 8.

(23) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, pp. 2 f.

(24) Synax. R. Basset, p. 365, 8 Bachons.

(25) Notices et Extraits, XXXIX, p. 349.

أنبا دانيال وأثناسيا وزوجها أندرونيكس (٢٦):

توضع هذه القصة دائماً في مقدمة القصص المنسوبة لأنبا دانيال قمص شيهيت لما فيها من طرافة.

كان أندرونيكس هذا صائغ فضة، وكان هو وزوجته من الأثرياء ومن كرام شخصيات أنطاكية. وقد أصيب هذان الزوجان بتجربة شديدة وهي موت أولادهما جميعاً فجأة، وفي حزنهما قررا أن يترهبا، فتركا كل أموالهما وخرجا يحجان إلى أورشليم ومنها انحدرا إلى مصر وذهبا وتبركا من كنيسة أنبا مينا في الإسكندرية (٢٧). ومن هناك انحدر أندرونيكس وحده إلى شيهيت ليتبارك من أديرتها الطاهرة وقابل أنبا دانيال قمص شيهيت وقص عليه قصته هو وزوجته، فأمره بالذهاب إلى الإسكندرية وأن يستودع زوجته إحدى أديرة الراهبات التي هناك وأعطاه خطاب توصية لرئيسة الدير، فعمل أندرونيكس كل ما أشار به أنبا دانيال، وعاد إليه حيث ألبسه الزي المقدس وعلمه التدبير الرهباني، وعاش أندرونيكس متتلمذاً على يدي أنبا دانيال اثنتي عشرة سنة، ولكنه عاد وأراد أن يزور الأماكن المقدسة بأورشليم (شأن جميع الذين يكون معهم أموال). وفي الطريق تقابل مع راهب قاصد هذه الديار المقدسة أيضاً وتحادث معه ولم يعرفه أنه هو أثناسيا روجته!! لأنها كانت متخفية في زي رجل راهب! وتعاهدا في الطريق أن يعيشا معاً عند عودتهما، وتمما ذلك فعلاً فأتيا وعاشا بالإسكندرية في الدير المدعو «أوكتوكا يديكاثون» أي «الدير الثامن عشر». ومكثا هناك معاً إثنتي عشرة سنة يزورهما أنبا دانيال من حين لآخر. وأخيراً ماتت أثناسيا فعرف زوجها أمرها بعد هذه السنين الطوال؛ ولكن أندرونيكس لم يعش بعدها كثيراً، إذ تنيح بعد قليل ودُفن بجوارها. (ولا تخلو هذه القصة من ملابسات نسجتها براعة المؤلف).

أنبا دانيال يواجه العذابات من أجل الأمانة المقدسة (٢٨):

وفي سيرة حياة أنبا دانيال يسجل الكاتب قصة العذابات التي تحملها هذا القديس في سبيل الأمانة المقدسة: إذ لما كان بشيهيت وحضر مندوب الملك جوستنيان ليضطر الرهبان على الموافقة على عقيدة خلقيدونيا، وقف دانيال بصفته قمص شيهيت وشجب طومس لاون وعقيدة خلقيدونيا علناً أمام الوالي وثبت إيمان الآباء وقوى شجاعتهم، فما كان من الوالي والجنود إلا أن أوقعوا به ضربات كثيرة حتى قارب الموت، وبعدها قام هو وكثير من الآباء وانحدروا إلى نواحي مصر وتشتتوا في البلاد. وتقول سيرة حياته أنه التجأ إلى مدينة تسمى «تامبوك» (مركز شبراخيت) حيث أقام بجوارها ديراً ومكث فيه يجاهد بإماتات كثيرة حتى مات جوستنيان سنة ٥٦٥م.

---

(26) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, p. 50 (not Menas Sanc. found by Kaufmann).

(27) Coptic text, edited by Guidi, see Clugnet, pp. 95 f.

(28) Clugnet, pp. 95 f.

حينئذ قام وعاد إلى شيهيت إلى ديره حيث كانت الأديرة في ذلك الوقت قد دخلت في عصر نهضة ونشاط روحي، حيث يقول كاتب تاريخ البطاركة في سيرة أنبا بطرس الرابع (٥٦٧ـ٥٦٩م.): [وكانت الأربعة الأديرة في ذلك الوقت تُبنى وتنمو مثل الغروس الناضرة التي في الحقل، وكان الشعب يأتي إلى الأديرة بكل ما تحتاج إليه من جهة البناء والتعمير](٢٩). وربما كان لصيت أنبا دانيال وقداسته دخل كبير في هذا النشاط وفي مجيء أفواج الزائرين للتبرك والإستشارة وخصوصاً في دير أنبا مقار.

نياحة أنبا دانيال بعد الغارة الرابعة مباشرة(٣٠):

تقول المخطوطة القبطية أن أنبا دانيال تلقى إعلاناً سماوياً بعد وقوع غارة البربر الرابعة على شيهيت سنة ٥٧٠م.، إذ بينما كان في نسكه وصومه وإماتاته الكثيرة أتاه ملاك في أول بشنس وأعلمه أن يوم نياحته قد قرب. وفي اليوم الثامن من بشنس تنيح وهو يقول:

[ياربي يسوع المسيح حبيب روحي إقبل نفسي بين يديك].

وهكذا تنيح هذا القديس عن ٨٥ سنة قضاها في النسك والتطواف.

وتعيد له الكنيسة في اليوم الثامن من بشنس، و يُذكر اسمه في القداس مرتين: مرة في المجمع وهذا يقوله الكاهن، ومرة في لحن «بي نيشتي» الذي يقوله الشماس.

وفي الحقيقة قد أساء المؤرخون القدماء والمحدثون لشخصية هذا القديس كثيراً باعتباره من أصحاب عقيدة «الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد» ومن المجاهدين الأبطال، فحاولوا تلويث اسمه وسمعته كثيراً، فمنهم من قال أنه يوناني الأصل ومنهم من قال أنه شخصية خيالية؛ وكل ذلك لأنه كان أبرز القديسين فيما بعد خلقيدونية، فكان أحد الضحايا التي فتك بها المؤرخون كمحاولة لتحطيم سمعة الأقباط الراسخين على عقيدة آبائهم المستقيمة.

اذكرنا أيها القديس المجاهد واعطنا اعترافاً حسناً في لحظات الآلام والإضطهاد.

البدعة الغيانية وكنيسة المغبوط أريستوماخوس:

ظل هذا النشاط المعماري في أوجه حتى القرن السادس: و بالتحديد حتى سنة ٥٣٥م.(٣١) عندما قامت البدعة الغيانية Gaïnites نسبة إلى غايانس. وغايانس هذا اسكندري الجنس، شماس كبير السن، من شيعة المانيين(٣٢). كان ذا معرفة مع كبرياء وتعظم، وكان صاحب بدعة القائلين بعدم تألم المسيح بالجسد، إذ نسبوا آلام المسيح إلى الخيال أو الظاهر فقط، وكان

(29) Hist. of Patr., Evetts., p. 209.

(30) Ev. White, II, p. 250.

(31) Ev. White, II, p. 96.

(32) Ev. White, p. 229.

تابعاً في معتقده لأسقف يوناني خلقيدوني يسمى «يوليانس» أسقف هاليكرناسوس في «أرخبيل اليونان» (٣٣)، فتشيَّع له بعض الإسكندريين وأخذوه ورسموه بطريركاً سراً، مع أن ثيئوذوسيوس الأول البابا الـ٣٣ كان جالساً على عرش مارمرقس آنذاك. وكان حينئذ أنبا ساويرس بطريرك أنطاكية قد التجأ إلى مصر (٣٤) بعد نفيه من كرسيه سنة ٥١٨م. وكان يعيش في الأديرة متنقلاً من دير إلى دير يشدد الرهبان و يثبتهم في العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة. ولما بلغ دير أنبا مقار قاومه المنشقون وضربوه هناك ــ كما يروي لنا السنكسار الأثيوبي (٣٥).

وقد نشأ عن هذه البدعة بلبلة وانقسام عانت منها الكنيسة أشد معاناة. وتشيع لهذا المبتدع بعض الرهبان من جماعة دير أنبا مقار. و يقص كتاب تاريخ البطاركة هذه القصة هكذا:

[وقد وقع في هذه الهرطقة في دير أنبا مقار كثير من الرهبان ما عدا سبعة منهم أنار الرب قلوبهم، عند ذلك قام عليهم الذين وقعوا في بدعة غايانس وقتلوا منهم إثنين وتفرق الباقون، و بدأوا يقيمون القداسات في منشوبياتهم في دير أنبا مقار].

وقد وقع هذا الحادث قرب نهاية بطريركية أنبا تيموثاوس الثالث ولكن قبل سنة ٥٣٥م.

و يعود تاريخ البطاركة و يكمل هذه الحادثة المؤلمة هكذا:

[و بقوة ونعمة الروح القدس جاءت مساعدة للرهبان الخمسة الذين بقوا من السبعة، فاستطاعوا أن يقنعوا الرهبان المنشقين برفض هذه البدعة].

وربما تكون هذه المساعدة قد أتت بفضل أنبا ثيئوذوسيوس الأول بعد نياحة سلفه، وذلك في سنة ٥٣٥م. و يُعتقد أنها جاءت بتوسط أرخن مبارك متقرب للولاة يدعى دوروثيئوس يقول عنه تاريخ البطاركة: [رجل يدعى دوروثيئوس كان يعنى بأمور الشيوخ الرهبان الذين رفضوا هرطقة جايانوس. وقد سُمح لهذا الرجل أن يزور حاكم مصر المدعو أرستوماخس ورجاه أن يشمل الرهبان الشيوخ المقيمين في برية شيهيت بعطفه فيسمح لهم بأن يقيموا كنائس وأبراجاً (حصوناً) عوض تلك التي انتزعها منهم يوليانس. فأمر الحاكم بأن يسمح لدوروثيئوس بأن يصنع ما يريد] (٣٦)، وهذه المساعدة هي التي تلقاها الرهبان الخمسة في عزلتهم بدير أنبا مقار، أي

---

(٣٣) وهو أسقف يوناني خلقيدوني طرد من كرسيه عام ٥١٨م. وقد وصف الأسقف يوحنا النقيوسي المؤرخ(*) عقيدته بأنها كانت تتلخص في اعتقاده بأن جسد المسيح كان قابلاً للفساد وإلا ما كان يمكن أن تقع عليه الآلام، فقام القديس ساويرس الأنطاكي الذي كان قد نفي من كرسيه على يد الخلقيدونيين وقاومه مبرهناً أن الجسد كان غير قابل للفساد. وقد وضع في الأجبية في صلاة الساعة السادسة جملة ترد على هذه الهرطقة: [نسجد لشخصك غير الفاسد أيها المسيح إلهنا].

(*) John of Nikia, Chronic; XCIV.

(34) Hist. of Patr., Evetts, pp. 189.

(35) Conflict of Sev., Ethiopic Ed. (Goodspread & Crum, p. O., IV, pp. 714-15).

(36) Hist. of Patr., pp. 133 f.

مساعدة الوالي التي لابد أنها كانت مشفوعة بأوامر وأموال التي بواسطتها أقام الرهبان الكنيسة المعروفة بكنيسة أريستوماخس وحصنها الملاصق لها. فانقسم الدير، ونتج عن ذلك أن انفصل جماعة الغايانيين، وكانوا الحزب المشاكس الذين تملقوا يوليانس فأمدهم بالمساعدات واغتصبوا لأنفسهم كنيسة وحصناً مستقلاً.

ولكن سرعان ما تم الصلح بين البابا ثيئوذوسيوس وغايانس على يد والي البلاد بإيعاز من الإمبراطور يوستنيان، على أساس أن يتنازل غايانس عن البطريركية (التي ظل فيها سنتين)، ورضي أن يعود برتبة رئيس شمامسة كسابق عهده، فعاد الهدوء والسلام سريعاً في الكنائس والأديرة.

ولكن ظلت بذور هذه البدعة ضاربة في أعماق البراري بين الرهبان وبالأخص في إقليم المونا (القلالي)، ووجدت بين كثيرين منهم متسعاً للنقاش والجدل حتى إلى قرن ونصف، أو بحسب التحديد الذي يذكره تاريخ البطاركة حوالي ١٧٠ سنة منذ أيام يوليان وغايانس حتى أيام يوحنا أسقف صا سنة ٧٠٥م.، الذي قام بنفسه بحملة توعية وعمَّد من تبقى من الرهبان الغيانيين المنشقين في منطقة المونا، وذلك في بطريركية اسكندر الثاني (٢٥ أبريل سنة ٧٠٤م.)(٣٧).

وهذه الكنيسة الجديدة التي بنيت بمساعدة أريستوماخس لأتباع ساويرس هي الكنيسة المشار إليها في جميع المخطوطات القبطية بكنيسة «المغبوط أريستوماخس»(٣٨).

والمعروف في التاريخ على وجه الصحة واليقين أن أريستوماخس هذا كان فعلاً والياً صالحاً على البلاد أحب المصريين جداً وساعدهم كثيراً (على يد الأرخن دوروثيئوس)؛ وقد أقامه الإمبراطور يوستين الثاني بدلاً من الوالي السابق أبوليناريوس الذي كان خلقيدونياً متعصباً وكان عمله الوحيد هو بذر الشقاق والإيقاع بالأساقفة ونفيهم، فقد نفى كل الإكليروس وطردهم من الإسكندرية، فتوجه معظمهم إلى دير أنبا مقار حيث كانت تقام جميع الإحتفالات الرسمية من تكريس ميرون أو رسامة أساقفة أو حتى رسامة البطريرك نفسه طوال هذه الفترة(٣٩).

ومن أعمال أريستوماخس العجيبة أنه أوعز للأساقفة سراً، وبدون علم الإمبراطور، بالذهاب لأحد الأديرة ورسامة بطريرك جديد لهم عوض البطريرك ثيئوذوسيوس الأول الذي مات منفياً في سجون القسطنطينية(٤٠).

---

(37) Hist. of Patr., pp. 316 f.

(38) Amélineau, Notices et Extraits, XXXIX, p. 353.

(39) Ev. White, III, p. 231-32.

(٤٠) قصة الكنيسة القبطية، الجزء الثاني ــ إيريس حبيب المصري ــ ص١٥٨.

هذا هو أريستوماخس الذي انفق على عمارة الكنيسة المذكورة باسمه وعلى حصنها الذي نعتقد أنه كان ملاصقاً لها من الجهة الشرقية والذي كانت قلاليه السفلية ملاصقة لهياكل الكنيسة.

ولم تكد تنتهي عمارة الكنيسة المذكورة «أريستوماخس» وحصنها حتى كان قد تم الصلح والسلام وتنازل غايانس عن موقفه، فحضر البابا ثيئوذوسيوس وكرسها بنفسه في سنة ٥٣٥م. وضُمت إلى مباني الدير(٤١)، وكانت تدعى بالكنيسة القبلية. وهذه الكنيسة يعتقد أنها سميت فيما بعد باسم الشهيد أبسخيرون القليني، لأن الأقباط ليس من عاداتهم إطلاقاً أن يسموا كنائسهم بأسماء الولاة، وهي معروفة في المخطوطات أيضاً باسم الكنيسة القبلية، بحسب موقعها من الكنيسة الكبيرة الجامعة، كنيسة أنبا مقار.

كنيسة أريستوماخس وأجساد الشهداء:

وهذه الكنيسة ضمت أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت (شرقي الهياكل أي في أسفل صحن الكنيسة) مدة مائة سنة تقريباً، أي من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع في أيام البابا بنيامين الأول (٣٨) الذي أمر برفع الأجساد ووضعها في كنيستهم الخاصة التي كرسها في ٥ أمشير(٤٢). وكان ذلك في أيام القمص يوحنا قمص شيهيت.

الإضطهاد الخلقيدوني وزيادة عمارة الدير:

وظلت العمارة قائمة في دير أنبا مقار على أوج نشاطها، وعدد الرهبان يزداد في شيهيت حتى بلغ ٣٥٠٠ راهباً في منتصف القرن السادس، وذلك في زمان القديس أنبا دانيال قمص شيهيت المشهور وبعده أيضاً، وذلك بسبب انتقال كرسي البطريركية من الإسكندرية إلى دير أنبا مقار بسبب النزاع الخلقيدوني(٤٣).

يقول سعيد بن بطريق الملقب بأفتيخوس وهو بطرك الملكيين الذي عاش في النصف الأول من القرن العاشر أن النزاع الخلقيدوني في أيام الإمبراطور جوستنيان أدى إلى زيادة اتساع وأهمية دير أنبا مقار(٤٤).

وفي هذا الزمان كان قمص دير أنبا مقار يدعى يوحنا و يساعده القمص صموئيل(٤٥)، وهو

---

(41) Ev. White, III, p. 231-32.

(42) Synax. Basset, p. 668; Hist. of Patr., p. 193.

(43) H.N.S., II, III, ch. 2,3.

(٤٤) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص١٥٧.

(٤٥) قصة الكنيسة القبطية، الجزء الثاني ــ إيريس حبيب المصري ــ ص٢٤٢.

الذي عُرف فيما بعد بالقديس أنبا صموئيل المعترف قص القلمون الذي تولى الدفاع عن الإيمان المستقيم أمام قورش والي البلاد الخلقيدوني داخل كنيسة أنبا مقار الكبرى ومزق طومس لاون، فضُرب حتى قارب الموت وحملوا جسده إلى الجبل الذي يقع قبلي الدير حتى عوفي، فقام وغادر شيهيت إلى برية النقلون بالفيوم، و بعدها أقام في الدير الذي عُرف باسمه فيما بعد (دير القلمون بوادي الريان)(٤٦).

أما القمص يونس فلما علم بقرب قدوم البربر (سنة ٥٧٠م.) حمل أواني البيعة ونفائسها وأموالها المرصودة لعمارة الدير وخرج ليدفنها على الصخرة بقرب البحيرة، فلاقاه البربر وأخذوه أسيراً(٤٧)، والتقى في الأسر — بعد أربع سنوات — مع القمص صموئيل قديس القلمون، الذي كان قد أُسر هو الآخر وهو يصلي في دير أنبا صموئيل بالقلمون.

انتهاء نشاط العمارة بغارة البربر سنة ٥٧٠م. التي دامت حتى نهاية القرن السادس:

ولكن فجأة توقفت العمارة بحدوث غارة البربر التي اجتاحت الأديرة كلها سنة ٥٧٠م. وما بعدها، إذ ظل البربر مرابطين حول الأديرة ما يقرب من خمسين سنة يعاودون النهب والسلب ويجردون الرهبان من قلاليهم وأمتعتهم حال ظهورهم خارج منشوبياتهم المحصنة.

وهكذا انتهت فترة نشاط العمارة في القرن السادس بهذه الغارة التي هدمت كثيراً من المباني، فغادر كثير من الرهبان الدير و بقيت شيهيت تعاني من إغارات متعددة لهؤلاء البربر حتى سنة ٦٣١م. (٤٨).

وقد وُجد في مخطوطة لأبي صالح الأرمني في وصفه لدير نهيا بالجيزة أن [أمام الدير وخارجه كان يوجد عدد من القلالي التي كان يسكنها الرهبان الذين أتوا من دير أنبا مقار، في أيام الإضطهاد الخلقيدوني الذي كان امتداداً لغارة البربر، وفي أيام بطريركية أنبا بنيامين الأول الـ٣٨ (٦٢٢—٦٦١م.)].

(٤٦) وقد رأينا آثار خرائب هذا الدير بوادي الريان، وعثرنا على مدافن الآباء هناك وعليها نقوش وصلبان وأسماء.

(٤٧) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص ١٧٢.

(48) Ev. White, III, p. 32.

الفصل الثاني

القرن السابع والقرن الثامن

١ ــ كنيسة أنبا مقار تُبنى من جديد.
٢ ــ هيكل أنبا بنيامين يتزين بالصور.
٣ ــ هيكل جديد للتسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهات.
٤ ــ عمارة القلالي.

كنيسة أنبا مقار تُبنى من جديد:

بدخول العرب مصر سنة ٦٤١م. بقيادة عمرو بن العاص نال الرهبان وثيقة أمان مكتوبة بخط يده يصير بمقتضاها تسليمهم مطلق الحرية في استغلال مواردهم بالريف(١) و بشفاعة القديس أنبا بنيامين لديه، نالت الأديرة حق العمارة والتجديد من جديد(٢).

وقد بُدىء هذا العصر بعمارة كنيسة أنبا مقار التي تم تكريسها في سنة ٦٥٥م. وقد أخطأ إڤلين هوايت في ظنه أنها كنيسة أخرى لأنبا مقار غير كنيسته الأولى التي يعتقد أنها كانت في موضع آخر فوق الصخرة، معتمداً على الحديث الذي دار بين شيوخ الدير و بين أنبا بنيامين حينما قالوا له: [أن يكرس لهم الكنيسة الجديدة التي بُنيت على اسمه عند سفح الصخرة بين القلالي، لأن كثيرين من الشيوخ والمرضى يسكنون بجوار الماء و يتعبهم أن يصعدوا إلى أعلا الصخرة]. والحقيقة أنه لما تهدمت كنيسة أنبا مقار الكبرى في الغارة الرابعة اضطر الشيوخ والمرضى الساكنون بجوار كنيسة أنبا مقار التي تهدمت والتي كانت بجوار الماء أيضاً أن يسيروا غرباً مسافة ميل. وأن يصعدوا على الصخرة لحضور الصلاة في الكنائس الصغيرة بالمنشوبيات التي نجت من التخريب بسبب صغرها و بساطتها.

---

(١) يقول المقريزي: «إن في دير أنبا مقار يوجد خطاب كتبه عمرو بن العاص عن موضوع أموال الوجه البحري»، وهي التي كانت موهوبة للدير بواسطة الملك زينون كما يقول إڤلين هوايت (أنظر كتاب أديرة وادي النطرون ــ دكتور منير شكري، ص١٨٢). و يقول الأمير عمر طوسون في كتابه «وادي النطرون»: «وعن جراية الأديرة أن هذه الجراية بلغت في سنة من السنين أكثر من خمسة آلاف أردب قمح. و يضيف أنها الآن لا تزيد عن ١٠٠ أردب».

(2) Ev. White, III, p. 32.

فلما حل عصر الأمان، بُديء أول ما بُديء بعمارة كنيسة أنبا مقار بطبيعة الحال. ودليلنا على ذلك ما جاء في كتاب تاريخ البطاركة أن: [في أيام أنبا أغاثون (قس الدير) بُنيت الكنيسة **التي كانت مقامة باسم الأب مكاريوس** وازداد عدد الإخوة...].

ومن هذا يُفهم تماماً أن الكنيسة التي بنيت في أيام أنبا بنيامين وتلميذه القديس أغاثون، **هي هي نفسها الكنيسة التي كانت مقامة سابقاً باسم الأب مقاريوس.**

ويضيف كتاب تاريخ البطاركة أمراً له علاقة كبيرة بعمارة كنيسة أنبا مَقار إذ يقول: [وساعدهم ــ أي ساعد رهبان دير أنبا مقار ــ الإخوة المؤمنون]. وهكذا يعطينا فكرة أن عمارة الكنيسة استنفذت جهوداً كبيرة لائقة بقيمة هذا العمل العظيم وأهميته الروحية والتاريخية.

أما شكل الكنيسة ورونقها وهيبتها، فتدلنا عليه كلمات القديس أنبا بنيامين نفسه وهو يصف شعوره وقت دخوله الكنيسة إذ يقول: [وأخيراً اتجهنا شطر دير الأنبا مقار، وعندما اقتربنا منه تلقانا شباب النساك بسعف النخيل في أيديهم وجاء خلفهم الشيوخ يحملون المباخر، ثم الكهنة يرتلون كالملائكة... ثم سار أمامي جميع النساك والكهنة والإخوة إلى أن دخلت الكنيسة الجديدة، وهناك خُيِّل إليَّ أني دخلت **الفردوس**].

ويروي لنا القديس البابا بنيامين بنفسه قصة تكريس الكنيسة كما نقلها إلينا تلميذه أغاثو القس. يقول البابا بنيامين(٣):

قصة تكريس كنيسة أنبا مقار
(قبة أنبا بنيامين)

[لما كنت في مدينتي (الإسكندرية) في قلايتي، وعندما وجدت زماناً يسيراً سالماً من الإضطهاد الذي للهراطقة، وإذ قد حضر يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح ــ تمجد اسمه ــ الذي هو الثامن والعشرون من كيهك، كنا مجتمعين في كنيسة والدة الإله القديسة مرتمريم التي تدعى «أسطوا أنجيلون» أعني مجمع المسيحيين وقد عملنا فيها صلوات كثيرة وقداساً بمحضر من جماعة الكهنة ومقدمي المدينة وجميع الشعب الكبار والصغار، والأغنياء والمساكين، وجمع كثير من النساء المؤمنات المحتشمات... تطلعت فرأيت رهباناً فضلاء قد دخلوا في وسط الشعب، وقوم منهم كهنة، قد جاءوا من برية أنبا مقار الرجل الصدِّيق. وكنت أنظرهم واقفين في هدوء وثبات بشكل ملائكة الله. وأنا عرفتهم من مشيهم المهتدي المتواضع أنهم من جبل شيهات. أما هم فلم

(٣) عن مخطوطة ١٨ سير ــ محفوظة بدير القديس أنبا مقار.

يستطيعوا أن يصلوا إليَّ من كثرة الجموع التي كانت تزاحمهم. حينئذ تطلع واحد من كبار الكهنة الذين في الإسكندرية، فعلم أنهم من برية أنبا مقار، فمشى آتياً نحوي وأعلمني عنهم. فأمرت أن يأتوا بهم إليَّ. ولما نظرت ثباتهم الحسن وكثرة تواضعهم علمت أنهم كاملين، وقد جاءوا من الأرض المقدسة. وحينئذ سألتهم: «من أين أتيتم ياآبائي إلى ههنا، ومن أجل أي عمل؟» أما هم فقالوا لي: «أبوتك تعلم!» وأنا قلت لهم: «أعلموني ياأولادي لماذا أتيتم ومن أجل أي عمل قبلتم هذا التعب وهذا العناء العظيم وهذه الطريق المقفرة؟» فأجابوا: «أتينا لأبوتك نطلب إليك كي تتكلف مشقة الطريق إلى جبل شيهات المقدس مسكن أبينا الصديق البار العظيم أنبا مقار، من أجل الله، لكي تكرِّز لنا البيعة الجديدة التي صنعها في الصخرة القائمة بين القلالي، من أجل أن كثيرين من الشيوخ والضعفاء ممن يسكنون في القلالي السفلية يتعبون في صعودهم إلى المواضع العلوية، والآن ياأبانا نيحنا من أجل الرب لتأتِ مع عبيدك لتصنع معنا رحمة ومع إخوتنا ليأخذوا بركتك المقدسة لأنهم جميعاً منتظرون ومشتاقون لرؤياك».

وأنا لما سمعت هذا من أولئك الإخوة المحبين لله أخذني فرح عظيم تجاوز حد مسكنتي وقلت: «ترى هل يجعلني الله مستحقاً لهذا الأمر؟» ثم قلت لهم: «ياآبائي أقيموا عندي اليوم وغداً حتى نصنع عيد ربنا يسوع المسيح ونجتمع بالشعب ونعظهم بكلام الرب وبعد ذلك نستعد للسير معكم بإرادة الله لنأخذ بركتكم».

وعندما صنعت العيد الذي لربنا يسوع المسيح الذي هو الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر كيهك، قمنا في نهاية هذا الشهر وقلت لأغاثو القسيس الذي لي وقسها كاتبي: «اهتموا بنا ياأولادي لكي نمضي إلى جبل شيهات ونأخذ بركة آبائنا الرهبان أولاد أبينا الصديق العظيم أنبا مقاره».

وفي اليوم الثاني من طوبة قمنا وتقدمنا في المسير في الطريق، وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على فم بحيرة مريم وأتينا إلى تروجه، فقبلونا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع بفرح عظيم. ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس الذي لأبينا أنبا إيساك على رأس جبل برنوج. فيالعظم فرح الإخوة بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية. وأمسكونا عندهم يومين. ومن بعد هذا قمنا باكراً وركبنا دوابنا وهم يودعوننا، هؤلاء الإخوة المحبين لله الذين وجدنا منهم ربحاً عظيماً وافتقاداً. ثم ابتدأنا بالمسير في الطريق المقفرة في البرية الداخلية، وكانوا يمشون معنا ــ أي الإخوة الذين من جبل نيري ــ ليدلونا على استقامة الطريق. وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله، حتى أشرفنا على فم الوادي الذي في داخل جبل النطرون. ثم استقمنا إلى دير أبوينا الروم مكسيموس ودوماديوس واسترحنا هناك في كنيسة القديس إيسيذوروس القس يوماً.

حينئذ مضى الإخوة الذين كانوا قد أتوا إلينا في الإسكندرية متوجهين إلى دير أبينا أنبا مقار وبشروا الإخوة كلهم والشيوخ بمجيئنا إلى البرية. وبقي معنا إثنان من كهنتهم مع الإخوة الذين صحبونا من نيري.

ومن بعد هذا قمنا في السابع من الشهر ومررنا على ديارات آبائنا أنبا بيشاي وأنبا يحنس وأخذنا بركتهم المقدسة وسرنا إلى دير أنبا مقار فلما قربنا من البيعة نحو ميلين، وهوذا قد تلقانا منه أولاً شباناً حاملين سعوف نخيل في أيديهم، ومن بعدهم شيوخاً حاملين مجامر وصلبان يسبحون بمدائح وتراتيل بأصوات تشبه أولاد العبرانيين لما خرجوا يسبحون قدام ربنا يسوع المسيح حتى أتوا به إلى أورشليم. وهكذا صنعوا بمسكنتي. وعندما خرج الشيوخ يرتلون أمامي تزلزل الجبل من كثرتهم. وكانت صفوفهم مثل جنود السماء طغمة طغمة، وكان معهم المعلم باسيليوس أسقف مدينة نقيوس.

وأنا عندما نظرت هذه الثيئوريا (الرؤية) هكذا، ومحبتهم فيَّ؛ مجدت المسيح إلهنا قائلاً: «أشكرك ياسيدي يسوع المسيح، لأنك جعلتني مستحقاً أن أنظر علانية الأمانة الأرثوذكسية مرة أخرى، وازدهار الكنيسة المقدسة، وانقلاب وهدم كل الهراطقة الكفرة. نعمتك مقبولة يامخلصنا الصالح بالمثال الذي أريتني فيه الكنائس مرة أخرى في مجدها واستقامتها. أشكرك ياسيدي يسوع المسيح لأنك خلصت نفسي من المارد التنين المنافق، هذا الذي كان يطاردني من أجل الأمانة المستقيمة. أشكرك يامالكي المسيح لأنك جعلتني أنظر أولادي مرة أخرى وهم محيطون بي في كرامتك ياسيدي يسوع المسيح».

وحينئذ كان الكهنة كلهم والرهبان يمشون قدامي، حتى دخلنا إلى الكنيسة الجديدة التي بنوها، فقلت أنا في ذلك الوقت: «إني قد حُملت إلى فردوس الله، مجمع الملائكة، فرح القديسين، راحة الصديقين». واسترحنا ذلك اليوم... ثم دعوت أغاثون القس الذي لي، الذي تعب معي من أجل الأمانة في زمان تجاربي عند مطاردة كيرش المقوقس، عدو كل حق، لضعفي. وقلت له: قم ياابني لتخرج كتب القراءة المختصة بتكريس الكنيسة لأكرسها مع المذبح. وحينئذ لما ابتدأت بأول صلاة، كان يساعدني أنبا باسيليوس أسقف بشادي وكل الكهنة حولي.

وفيما أنا أشاهد جموع الرهبان والكهنة، إذ بي أرى واحداً منهم ووجهه يضيء جداً، يسطع منه بريق، في وسط الكهنة. وكنت أتأمله وقتاً طويلاً، ولم أكن أعلم أنه هو العظيم أنبا مقار أب هذا الجبل الذي جاء في وقت تكريس الكنيسة. بل كنت أفكر قائلاً: هوذا أب الشعب وراعي الخراف. إذا أراد الرب وخلا كرسي فإني أجعله أباً عليه، لأن هذا الرجل قديس ويليق به هذا الأمر وهذه الأبوة تصلح للكاملين بهذا المقدار. وفيما كنت أتفكر بهذه الأمور وفي ذلك القديس إذا

بشاروبيم ذي ستة أجنحة وقد ظهر مقابلي وقال لي: «ياأسقف، لماذا تخطر هذه الأفكار في قلبك؟ هذا هو أبو مقار أب البطاركة والأساقفة. هذا هو لابس الروح أب الرهبان كلهم الذي لهذا الجبل». أما أنا فقد صرت داهشاً وأنا أنظره في وسط بنيه يفرح معهم. وكان صوت ذلك الشاروبيم يطن في مسامعي، وقد خفت منه. ثم قال لي ذلك الشاروبيم: «إذا سلك أولاده الطريق المستقيم وسعوا السعي الملوكي الذي مشى فيه أنبا مقار والذي علمه لهم، فإنهم يدخلون معه في طريق الملك و يفرحون معه في دهر الأنوار. وإذا لم يسمعوا منه ولم يتبعوا وصاياه فليس لهم معه نصيب لكنه يطردهم من قطيعه ولا يكون لهم نصيب في ميراثه». فأجاب البار أنبا مقار بتحنن ومحبة لبنيه: «ياسيدي لا تقطع على أولادي بهذا. لكن إذا بقي في العنقود حبة واحدة، قيل «أنه لا يهلك»، لأن بركة الرب تكون فيه. وأنا أؤمن بالمسيح حبيب نفسي أنه إذا وجد في أولادي وصية واحدة لله التي هي محبة الأخوة بعضهم لبعض والرأفة لكل أحد أو وصية أخرى من الوصايا، أو يرفعوا عيونهم إلى السماء إلى المسيح ملكنا يسوع دفعة في كل يوم، فأنا أؤمن بصلاحه أنه لا ينسى تعبهم بل يخلصهم من العذاب الأبدي. لأن محبة الرب تسهل التوبة للخاطىء ولا تريد أن الخاطىء يموت في خطيته بل يرجع ويحيا بالتوبة».

وحينئذ لما سمعت هذا الكلام من رجل الله أنبا مقار علمت أنه محب لأولاده بالحقيقة. هذا هو مقار الحقيقي المكرم عند الله والناس. هذا هو الشبكة التي تجمع من كل جنس إلى ملكوت الله، أعنى الأب أبا مقار، تلميذ الرب. فأجبت حينذاك: طوباك ياأنبا مقار، طوبى لطغمتك. طوبى لبنيك لأنهم استحقوا أن تكون أنت طالباً عنهم أمام منبر الله الآب ووحيده الابن ربنا يسوع المسيح والروح القدس إذا جاء ملكنا وإلهنا يسوع المسيح في مجيئه الثاني ليعطي كل واحد كنحو عمله. بالحقيقة أنك أنت أنبا مقار القديس الذي خلصت أنفس كثيرين، ورسيت بهم إلى ميناء الخلاص، وكنت شفيعاً لهم كلهم. داوود البار أبو المسيح بالجسد يكرم اسمك في أول مزمور و يصرخ لنا هكذا قائلاً: «طوبى للرجل الذي لم يتبع رأي المنافقين. ولم يقف في طريق الخاطئين. ولم يجلس في مجالس المستهزئين» بالحقيقة ياأنبا مقار قد صرت مختاراً في جيلك. طوباك أنت ياشجاع الملك المسيح طوبى للبطن التي حملتك بالحقيقة في العالم. اذكرني ياقديس الله.

فقال باسيليوس وانبيفيوس لي أنا وأغاثون القس: «ياأبانا، لمن تخاطب؟» فقلت لهم: «ياإخوتى، أنا أتكلم مع أنبا مقار النبي، أب هذا الجبل. لكن يوجد زمان للكلام و يوجد زمان للسكوت». وصعدت إلى المذبح وقلت صلاة الميرون المقدس. ولما أخذت الميرون المقدس لأنقط منه على المذبح المقدس، سمعت صوتاً يقول: «تأمل ياأسقف». وفيما أنا أقطر على المائدة نظرت يد المخلص تمسح المذبح. وللوقت اعتراني خوف ورعدة حتى قلت مع البطريرك (رئيس الآباء) يعقوب: «إن هذا الموضع مخوف وهوذا بيت الله وهذا محله وموضع راحة العلي»(٤). وحينئذ لما

(٤) رؤيا يعقوب هذه مصوَّرة في الناحية الغربية البحرية في قبة هيكل يوحنا المعمدان بكنيسة أنبا مقار.

تطلعنا (إلى أنبا بنيامين) رأيناه وقد صار كله ناراً و وجهه يضيء جداً بالنور، ولم يجسر أحد منا أن يتكلم معه، لكن كنا قائمين بهدوء. فأجاب هو وقال: «هذه مظلة (خيمة) الآب والابن والروح القدس» وكان يدور حولها قائلاً ثلاث مرات: الليلو يا. ثم رتل قائلاً: مساكنك محبوبة يارب إله القوات ملكي وإلهي. تشتاق نفسي وجسدي إلى دخول ديارك. مذابحك مقدسة أيها الرب إله القوات ملكي وإلهي إلى أبد الآباد.

ولما كرّز القبة خرج إلى الشعب وكرّز الأعمدة والجدران ثم عاد وجلس في القبة وأجابنا قائلاً: قد حُملت اليوم إلى فردوس الرب إله الصباؤوت، وسمعت أصواتاً لا يُنطق بها ولا تخطر على قلب بشر كقول الحكيم بولس. صدقوني ياإخوتي أنني نظرت مجد المسيح اليوم وقد ملأ القبة. ونظرت بعيني الخاطئة الذراع غير المرئي واليد الغالية، نظرت يسوع المسيح يمسح مائدة هذا الموضع المقدس. ورأيت أيضاً الشاروبيم والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة ورؤساء الكهنة وقوات العلاء كلهم يسبحون الآب والابن والروح القدس في هذه القبة اليوم. ورأيت أب البطاركة والأساقفة أب كل معلمي البيعة الأرثوذكسية قائماً في وسطنا اليوم يفرح وسط أولاده، أعني العظيم أنبا مقار. بالحقيقة أن كرسي الله الضابط الكل أبو ربنا يسوع المسيح والروح القدس فوق هذا الموضع المقدس. بالحقيقة هذا هو المذبح الذي تكلم إشعياء النبي من أجله قائلاً: «يكون مذبح للرب في أرض مصر وعمود الرب في قراه المقدسة» قوموا الآن ياأولادي لنكمل الخدمة المقدسة ونأخذ بركة آبائنا ونمجد الله العلي».

ولما أكملت الخدمة، وفيما أنا أقرب الكهنة، إذ رأيت أيضاً نعمة عظيمة لا يجب أن نخفيها: لما أتيت لأقرب الشيوخ رأيت صفوف الشيوخ كلهم تلق دخاناً إلى فوق القبة. وهكذا انفتح سقف الكنيسة وصعد دخان البخور إلى السماء. وكنت أفكر أن كل واحد من الآباء يرفع البخور حتى يتناول من الأسرار المقدسة التي لابن الله العلي بشكر. فلما تأملت وإذا أولئك الشيوخ يصلون و بخور خارج من أفواههم صاعد إلى السماء. فعلمت بالحقيقة أنهم يقولون صلوات وطلبات قبل أن يأخذوا من الأسرار المقدسة أي الجسد والدم الكريم اللذين للمسيح. ونظرت صلوات القديسين والملائكة تستقبلها وتصعدها أمام كرسي الله(٥). ومن كثرة صلواتهم علمت بالحقيقة أن هذه هي المنارة الذهب التي عليها السراج، والجوهرة الثمينة المختارة وكوكب الصبح المشرق مجداً الذي ينير على المسكونة. وكنت أمجد وأسبح، وأرتل تسبحة الثلاث فتية عزاريا وحنانيا وميصائيل(٦) الذين قالوها وهم في أتون النار: تباركت أيها الرب إلهنا إله آبائنا. تزايدت بركة وعلواً إلى الأبد. مبارك إله الرهبان، بالحقيقة أن العالم كله مستقيم بهؤلاء القديسين و بنسلهم الروحاني. هذا هو

(٥) لاحظ أن قبة أنبا بنيامين الحالية مزينة بصور الأربعة والعشرين قسيساً المحيطين بعرش الله.

(٦) خلَّد الرسام القبطي شخصية الثلاثة فتية برسم على الحائط الشرقي في هيكل يوحنا المعمدان بالدير.

مجمع الملائكة وخلاص الأنفس الذين التجأوا إلى الله منجي كل أحد.

وأنا عندما نظرت هذه الأعمال هكذا، مجدت ملكنا المسيح، الذي جعلني مستحقاً للرؤ يا العظيمة هكذا. وكنت داهشاً من أجل الذين رأيتهم كلهم. وهكذا اجتذبني نوم كثير. ولما غطيت في النوم قليلاً، إذا بإنسان منير وقف معي فوقاً مني وقال لي: قم ياأسقف لترتب قوانين هذه البيعة وهذه القبة الواحدة معاً. ليحترز كل أحد من سلوكه فيها من القسوس إلى الشمامسة بصبر تام وسكون صالح، لأن المسيح ههنا وملائكته المقدسين معه. وهكذا فلتثبت هذه القوانين تذكاراً لهذه القبة إلى الأبد. لأنه سيأتي جيل يحبون فيه مجد الناس أكثر من مجد الله و يدوسون هذا الموضع المقدس بجسارة وقحة بغير حشمة، و يبدلون نعمة الروح القدس التي دفعها بغير حسد للكنيسة المقدسة بالأموال و يقاومون القوانين الرسولية. فمن أراد أن يكون له ميراث في هذا الموضع المقدس وهو بلا مخافة ولا يفتش نفسه، و يبدلون مجد هذا الموضع الكريم و يكون عندهم كمثل موضع البهائم في دخولهم إليه؛ هؤلاء الذين لهم قلوب البهائم لا يقرأون ولا يفهمون. قد زاغوا كلهم وصاروا غير مفلحين وهمهم في بطونهم ومجدهم في عارهم. يمشون على بطونهم مثل الحيات و ينفخون و يلدغون. جاهلون، مبغضون لإخوتهم، مستهزئون، متطلعون للمآكل والمشارب، يشبهون البهائم التي لا فهم لها. هؤلاء تفرزهم هذه البيعة المقدسة السعيدة الجامعة.

(ثم أخذ الملاك يذكر القوانين المختصة بالصلاة في هذه البيعة وختمها بهذه الكلمات):

اعلموا ياإخوتي أن نصيب يعقوب لا يكون لواحد من هؤلاء القوم. لأن هذه القبة والقوة الساكنة فيها مع مذبحها لا ترضى بشيء من هذا. بل من يكون متواضعاً متزيناً بالأناة كاملاً في شكل حسن كمثل ما شهد لنا المعلم بولس الرسول في قوله على هذه الدعوة، أنظروا ولا تظنوا ياإخوتي أنه أتتني هذه القوانين من أجل هذا الجيل، لا بل حينما يتم ما أعلن لي من قبل. والذي أعلمني قال لي أنه لابد من أن يكون هؤلاء في آخر الأيام. ومن أجل هذا كتبت هذا القانون بثبات كثير لمن يأتي في كل زمان. لكي يبتعدوا من الناس ويحبوا مجد الله العلي.

قال لي صاحب الشكل المنير الذي لا أستحقه هذا الكلام أيضاً: إن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة المقدسة لتمضي إلى المسيح الذي أحببته وتستريح مع كافة القديسين كلهم في أورشليم مدينة الفرحين كلهم. فقلت له: ياسيدي، أتُرى الله يجعلني مستحقاً أن يقبلني إليه في هذا اليوم المقدس و يفتقدني فيه أنا عبده الخاطىء؟ مبارك هو المسيح ملكي حبيب نفسي وروحي لأنه صنع رحمة عظيمة معي.

وللوقت غاب عني ذلك الشاروبيم. فدعيت أغاثون القس وقلت له: ياابني أغاثون، أكتب يوم تكريس هذه الكنيسة عندك وذكرني به في كل يوم لكي أكون ذاكراً خطاياي. لأن

الشاروبيم قد قال لي أن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة الجامعة التي لأبينا الصديق أنبا مقار البار.

والآن فلنأتِ إلى هذه الأعجوبة العظيمة التي كانت في يوم تكريس هذه القبة، هذه التي لا ينبغي أن نسكت عنها:

كان أرخن عظيم في مدينة نقيوس حاضراً في ذلك اليوم يدعى اسمه أنادوليس(٧) وهذا كان قد أتى لحضور التكريس وكان ابنه معه وهو أجزم. فاستمع ــ بتأمل ــ القول والعجائب التي تظهر من قبل أبينا القديس العظيم أنبا مقار رجل الله أب هذا الجبل المقدس شيهات، زينة الرهبان كلهم والأساقفة والبطاركة والمعلمين العظماء الذي للمسكونة كلها، هذا الذي بخور فضائله الكثيرة وسعيه الكريم قد ملأ جو السماء كلها وسراجه ينير لكل من يأتى إليه. وهذا الأرخن الذي ذكرناه أنادوليس، هذه كانت عادته أن يأتى إلى شيهات مرات كثيرة ليقتني بركة الشيوخ. وفي هذه المرة أحضر معه ابنه الصغير الضعيف لحضور تكريس الكنيسة الجامعة التي لأبينا المبارك العظيم أنبا مقار. ومن أجل نصيحة الناس حمل أنادوليس ابنه وأحضره إلى الجبل ودفعه لشيخ قديس لله طاهر مع عبد صادق ليخدمه لأنه كان يأتى إلى شيهات عند الشيوخ ثلاث مرات في كل سنة: كان يصنع يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح في شهر كيهك، ومن بعده يقيم في البرية لا يتجاوزها حتى يعمل عيد الغطاس المقدس، وأيضاً يصنع عيد الشيوخ (الشهداء)، ويرجع إلى مسكنه، ثم كان يصنع هكذا أيضاً في عيد القيامة المقدسة. وكان أنه لما أكملنا تكريس الكنيسة المقدسة وصنعنا الخدمة وقربنا الشعب من الأسرار المقدسة، كان الصبي راقداً يصرخ صراخاً كثيراً في النوم حتى انزعجت الشيوخ من كثرة صياحه، وأن واحداً منهم ستر ذلك الطفل الصغير وأخذ له قوة قلب وأيقظه ولما قام الطفل نظروه كلهم، وإذا هو قد عوفي مثل واحد قد ولد الآن معافى في جسده. وكانوا يمجدون الله من أجل هذه الأعجوبة العظيمة التي كانت.

ولما أكملت الخدمة المقدسة جاء إليَّ أبو الصبي وأعلمني بالذي كان من ابنه. وأنا سألت الطفل قائلاً: ما الذي نظرته يابني؟ أعلمني ولا تخفي شيئاً مما نظرته. فأجاب الشاب قائلاً: لما كنت راقداً رأيت إنساناً طويلاً ذا شيبة ولحيته نازلة على صدره قد دغدغ جسدي كله بيديه، فصرخت من الوجع. ثم أمسك طرف ثوبي وأصعده من فوق رأسي. حينئذ رأيت وجعي وجراحاتي ملتصقة بملابسي. فقال لي: تقوَّيابني، هوذا الخلاص قد صار لك. وإن واحداً من الآباء أيقظني بعد ذلك فقمت وأنا معافى. وكا ن لي هذا ياسيدي الأب وأنا رأيته بعيني. وقد صرت كمثل من لم يمرض أبداً بل قوى فيَّ جسدي كله. فمجدت ربنا يسوع المسيح الذي أظهر قواته وآياته من قبل أبينا العظيم أنبا مقار لابس الروح هذا الذي مجده ربنا يسوع المسيح إذ صنع له إرادته كلها.

(٧) ترجمتها «الشرقاوي».

بالحقيقة أن أبانا الصديق العظيم أنبا مقار صار ميناء خلاص للعالم كله يشفي كل مرض النفس والجسد معاً. ومن بعد موت أبينا أنبا مقار اللابس الروح مكث حياً صديقاً كائناً في وسط أولاده يشفي أمراضهم.

طوباك أنت ياجبل النطرون لأنك استحققت هذا الرئيس العظيم هكذا، هذا الذي جمع إليه جنده كلهم. هؤلاء الذين شددهم المسيح ليحاربوا الأرواح الخبيثة. أيها الجبل الذي سُر الله به. أيها الجبل الذي جذب إليه هذه الأنوار العظيمة الذي يضيء أكثر من الشمس في النهار وفي الليل أيضاً. تصعد صلواتهم كمثل النار المشتعلة. أيها الجبل الذي أثمرت فيه الثمار الروحانية ثلاثين وستين ومائة. أيها الجبل الذي قبل إليه الأنفس المسودة بالخطية. وملحه الروحاني التي هي التوبة المقدسة بيضتهم أكثر من الثلج. أيها الجبل الذي صيته شاع في كل مكان وجذب إليه الملوك والأغنياء والمساكين يخدمون الله فيه. بالحقيقة أنت هو الجبل الذي هو الملح الروحاني المملح به الأنفس التي قد فسدت بالخطية، وثبتهم لله الذي خلقهم. أيها الجبل الذي جعل اللصوص قد صاروا معلمين وواضعي ناموس وشهداء أيضاً.

والآن ياآبائي القديسين فلنطلب دوماً لكي ملكنا المسيح يؤسسنا على أساس بيعته المقدسة، ويحصّننا بصلاحه، ويجعل أمانته الأرثوذكسية كائنة دائماً في إعلان بدون خوف في كل حين لنفتخر نحن المسيحيين بها في كل حين، ويخلصنا من قلق الأعداء ومن حسد الصياد عدو كل حق الشيطان.

لأن الملك والقوة والسلطان لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. آمين] أ هـ.

أوصاف الكنيسة وهيكل أنبا بنيامين:

وتعتبر الأوصاف التي تمدنا بها المخطوطات عن تكريس كنيسة أنبا مقار وهيكلها الكبير سنة ٦٥٥م. أول وأهم أوصاف دقيقة بلغتنا عن كنيسة في القرن السابع. ومنها(٨) يستفاد أن الكنيسة كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء: **الهيكل**، ثم **القبة** أو **الأسكنا** أو **الخورس الأول**، ثم **صحن الكنيسة**.

أما من حيث الهيكل فيظن إڤلين هوايت أنه كان ذا ثلاثة مذابح على اسم الآب والابن والروح القدس. ولكن هذا احتمال ضعيف، فالواضح من ترتيب طقس الصلاة والسيرة أنه هيكل واحد ذو مائدة أو مذبح واحد.

وأما القبة أو الأسكنا الأولى («الأسكنا» لفظة ذات أصل عبري تدل على الحضرة الإلهية)

(8) Hist. of Patr., p. 246.

أي الخورس الأول ، فمن الوصف يبدو أنه كان ذا سقف على هيأة قبة أو قباب تتناسب مع طول الخورس (« الخورس » لفظة يونانية تدل على « الصف ») من بحري إلى قبلي .

وأما صحن الكنيسة فيبدو من القصة أنه كان مقاماً على أعمدة . والمعروف في الطقس القبطي في العصور الأولى أنه كان يراعى في هندسة الكنائس أن يكون صحنها مرفوعاً على اثنى عشر عموداً « تعبيراً عن الإثنى عشر رسولاً أول عدد للكنيسة » . وتحقيقاً لهذا الطقس الهندسي ما وجدناه في تاريخ البطاركة بخصوص كنيسة مارمينا بمريوط التي أراد أن ينازعنا فيها الخلقيدونيون في أيام حكم أبي الحسين أيام الخليفة مروان . فلما طلب الوالي من البطريرك القبطي أنبا خائيل الأول أن يثبت حق ملكيته لكنيسة مارمينا ، قال : « لقد شيد أنبا ثاوفيلس (البطريرك الـ٢٣) هذه الكنيسة وزينها باثني عشر عموداً نقش اسمه على كل عمود منها ، ثم أكمل أنبا تيموثاوس البناء ونقش اسمه على أحد جدرانها . فشهودي لديك هم أسلافي الأماجد » .

وكانت الأعمدة بمثابة الأيقونوستات . فكانت صور الإثني عشر تلميذاً أو صور القديسين(٩) وصاحب البيعة تُرسم عليها إما بالبارز أو بالألوان أو بالحفر . وتدلنا المخطوطة التي تصف لنا خبر نقل جسد القديس أنبا مقار من مدينة « ألمي » التي بالقرب من شيشو ير إلى ديره بشيهيت على أن صورة القديس أنبا مقار كانت مرسومة بالفعل على أحد أعمدة الكنيسة التي باسمه داخل الدير سنة ٧٨٤م . . فتقول المخطوطة : [وللوقت نظرته (بالروح) واقفاً فوق التابوت بمجد لا يُنطق به ووجهه يضيء مثل الشمس وكان شكله مثلما هو مصور على العمود الذي بكنيسته في البرية](١٠) .

ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحاً وجود جزء من عمود رخام بكنيسة الملاك ميخائيل بالحصن منقوش عليه كلمة « أنبا مقار » وتحتها صليب صغير ، مما يفيد أن صورة القديس ربما كانت موجودة بالجزء الناقص . (أنظر الرسم في إڤلين هوايت لوحة نمرة XIC) وسوف نرى في عصر قادم أن الأعمدة في كنيسة أنبا مقار زادت حتى صارت عشرين عموداً وذلك في القرن الثامن عشر بالتحديد كما رآها سيكار سنة ١٧١٢م . في رحلته المشهورة ، و يقول أنه رأى خمس قباب متبقية من صحن الكنيسة محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي(١١) .

وتمدنا مخطوطة باللهجة الصعيدية محفوظة في مكتبة باريس ترجمها العلامة كرام(١٢) بمعلومات عن الصور التي كانت مرسومة على الجدران وقت دخول أنبا بنيامين كنيسة أنبا مقار ،

(9) Abu Saleh, Church & Monast., fol. 27.

(١٠) مخطوطة رقم ١٨ س ص٥٨ ــ مكتبة دير القديس أنبا مقار .

(11) See. Ev. White, II, p. 423.

(12) B.N., Copt., 129, 125; Crum, P.S.B.A., XXIX, p. 203.

وهي صورة للأنبا أنطونيوس ومعه أنبا بولا، صورة للأنبا باخوم، صورة للأنبا مقار، صورة للقديس مرقس الرسول، صورة للقديس بطرس خاتم الشهداء، صورة للقديس أثناسيوس، صورة للقديس ليبريوس، صورة للقديس كيرلس الكبير، صورة للقديس ديوسقوروس. وظهرت صورهم على الجدران بالفرسكو، تحيي أنبا بنيامين عند دخوله الكنيسة.

ومن هذه الصور نستطيع أن نفهم أن الكنيسة كانت في حالة عالية من الوجهة الهندسية والزخرفية معاً.

و يقول بطلر(١٣) أن كنيسة أنبا مقار في ذلك العصر و بذلك الوصف كانت مماثلة لكنيسة أبو سرجة الآن بمصر القديمة.

هيكل كنيسة التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت:

وفي هذا العصر أضيف إلى مباني الدير هيكل جديد تقام فيه الصلوات وتُرفع القرابين على اسم التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت.

وقد علمنا سابقاً أن أجساد الشيوخ رُفعت بعد الشهادة مباشرة وأودعت في مغارة البيامون (أي في مغارة قرب حصن البيامون) باعتبارهم شهداءً في دير أنبا مقار. وقد بقيت الأجساد في المغارة المذكورة مدى القرنين الخامس والسادس. وفي مخطوطة باللغة القبطية(١٤) تقول أنه [في عصر ثيئودوسيوس الأول قامت بدعة نجسة وتسربت إلى جبل شيهيت بواسطة جماعة تسموا بالغيانيين. فلما جاء يوم تذكار القديسين الشهداء التسعة والأربعين، اجتمع هؤلاء الغيانيين المراطقة الأنجاس معاً لا لكي يقيموا تذكارهم بل ليريقوا دماء الأبرياء داخل بيت الله. ولكن آباءنا الأرثوذكس الأتقياء تشجعوا و وقفوا ومنعوهم من الدخول إلى الكنيسة المقدسة، ولكن لكثرة عددهم وشدة أجسادهم النجسة هجموا مرة واحدة وأوقعوا بالآباء وقتلوا منهم كثيرين...].

ولكن في تاريخ البطاركة تنجلي هذه المعركة الإيمانية عن قتل إثنين فقط من الأرثوذكس: [وكان أن قام جماعة من الرهبان أتباع يوليانس وقتلوا اثنين من الرهبان فكان على أثرها أن تفرق الرهبان وكانوا يقيمون القداسات في قلاليهم](١٥).

ثم أعيد رفع الأجساد من مكانها (ربما بسبب استيلاء الرهبان الغيانيين على الحصن وملحقاته)، واستودعت الأجساد في الكنيسة التي تدعى كنيسة المغبوط أريستوماخس، وذلك

(13) Butler, op. cit., I, Plan facing, p. 182.
(14) Amélin., Notices et Extraits, XXXIX, p. 353.
(15) Hist. of Patr., Evetts, pp. 189 f.

بـأمر البابا ثيئوذوسيوس الأول(١٦). وهذه الكنيسة كانت تدعى أيضاً كنيسة الجنوب (الكنيسة القبلية) وخصصوا للأجساد غرفة مقفلة من كافة الجهات ملحقة بالهيكل القبلي، نعتقد أن هذه الغرفة كانت أصلاً من ملحقات حصن كان ملاصقاً للكنيسة من الجهة الشرقية ولا تزال هذه الغرفة موجودة حتى اليوم.

ولكن بهجوم البربر عام ٥٧٠م. وتهدُّم أجزاء كبيرة من كنيسة أر يستوماخس المذكورة، لم تعد الأجساد في مأمن مناسب. فلما وصل أنبا بنيامين الأول (الـ٣٨) في ز يارته الأولى للدير سنة ٦٣١ أمر القمص يوحنا هكذا: «ابنِ لهم يايوحنا كنيسة (هيكلاً) في وسط الدير»: [وفي اليوم السادس والعشر ين من شهر طوبة وصل البطر يرك إلى شيهيت وهو يوافق عيدهم. وسار أمامه الشعب بفرح كبير. وفي الخامس من شهر أمشير من ذلك العام رفع أبونا أنبا بنيامين أجساد هؤلاء القديسين واحداً واحداً وناولها للكهنة والشمامسة فحملوها إلى وسط (صحن) الكنيسة ودفنوها في أكفان مقدسة معطرة بالبخور بين تراتيل المزامير. ثم صلى عليهم القداس وكانت تجرى في مقصورتهم معجزات شفاء](١٧).

وعُرفت كنيستهم بقلاية الـ«بي إهميه إبسيت» أي الـ٤٩. ومن ذلك نظن أنها لم تكن برسم كنيسة كالمعتاد وإنما كانت برسم قلاية، ربما في أسفل أحد الأبراج المهدمة التي أعيد عمارتها لتكون مناسبة للأجساد.

وقد كانت أرواح هذه الأجساد الطاهرة مصدر إرشاد ومعونة للكثير ين. فهم الذين أرشدوا إيلار يا وأنستاسيا الراهبتين اللتين عاشتا في شيهيت تحت رعاية القمص دانيال وكثير ين غيرهما. ولا تزال أرواح هؤلاء الشهداء الأبرار تعين وتساعد الذين يجاهدون من أجل عمارة هذا الدير المقدس روحياً ومادياً حتى اليوم، والكاتب يشهد بذلك.

مدبرون لشيهيت يجاهدون لعمارة القلالي:

كانت أيام أنبا بنيامين وتلميذه أغاثون ورفيقه القديس يوحنا قمص شيهيت الذي على دير أنبا مقار، من أزهر أيام العمارة والإتساع والترميم في دير أنبا مقار. ومع الكنائس التي كانت تُبنى كان يُقام معها ملحقات وقلالي ومنشوبيات لإقامة الرهبان جماعات كانوا أو متوحدين.

وظلت عمارة القلالي بدير أنبا مقار مستمرة لا تتوقف. ونسمع عنها في بطر يركية أنبا أغاثون تلميذ أنبا بنيامين الذي صار البطر يرك الـ٣٩ (٦٦٢—٦٨٠م.). ففي أيام بطر يركيته، يقول كتاب تار يخ البطاركة: [إنه كان كثير من المؤمنين يذهبون للتبرك بنساك شيهيت **ولمعاونة**

(16) Amélin., Notices et Extraits, XXXIX, pp. 344 f.

(17) Ev. White, III, 370, 271, 272.

(١٧) أنظر مخطوطة رحلة أنبا بنيامين مع تكر يس هيكل أنبا مقار.

الرهبان على بناء الصوامع (القلالي) التي اقتضى بناؤها ضرورة تزايد عدد النساك في ذلك الزمان. وكان بين المؤمنين رجل مؤمن اسمه يؤنس السمنودي، كان منهمكاً مع الرهبان في البناء بيديه، ولكنه لم ينزل من الدير بعد ذلك بل قبل الشكل الرهباني فيه، وهو الذي صار بطريركاً خلفاً لأنبا أغاثون (٦٨٠ــ٦٨٩م.).

وفي هذه الحقبة أيضاً اختير أحد رهبان دير أنبا مقار المدعو يوحنا أسقفاً على نقيوس، وهو المعروف في التاريخ باسم يوحنا النقيوسي وهو المؤرخ المشهور، وقد رسمه أنبا أغاثون (الـ٣٩) وذلك بعد سنة ٦٦١م. وقد عينه البطريرك سمعان الأول (٦٨٩ــ٧٠١م.) مدبراً على أديرة شيهيت وتسلم مقاليد تدبيرها عام ٦٩٤م.؛ ولهذا عُرف اسمه بـ«المدبر» لأنه كان خبيراً بتدبير الرهبان وقوانينهم.

وفي أيامه، يقول ابن المقفع في تاريخ البطاركة: [**إنهم كانوا يعمرون القلالي بغير فتور، والأراخنة يقومون بسد احتياجاتهم**].

بطاركة من أبناء الدير يتابعون عمارته(١٨):

وقد خلف أنبا يؤنس السمنودي البطريرك (الـ٤٠) تلميذه الراهب اسحق الذي من دير أنبا مقار أيضاً وصار البطريرك (الـ٤١) (٦٩٠ــ٦٩٢م.). وكان هذا الراهب اسحق تلميذاً لأنبا زكريا رئيس دير أنبا مقار الذي رسم بعد ذلك أسقفاً على مدينة صا (صاحب الدير المسمى دير أنبا زكريا المتاخم لدير أنبا مقار من الغرب). وكان الراهب اسحق كاتباً ماهراً في أيام علمانيته وابناً لرئيس كتبة دار الولاية، وقد برع في المعرفة الروحية تحت إرشاد معلمه القديس زكريا اللابس الروح، لأن دير أنبا مقار كان وقتئذ شعلة من النور أو على حد تعبير المؤرخ الفرنسي الشهير أميلينو: [وكان العلم والتعليم أجمل مميزات الحياة الرهبانية].

والمعروف أن أنبا زكريا أسقف صا خلد إلى دير أنبا مقار آخر أيامه لمرضه وقام بتمريضه تلميذه اسحق حتى تنيح ودفنه بيديه، و بعدها انتخبوه مباشرة بطريركاً (٤١) خلفاً ليؤنس (٤٠).

وكان البطريرك اسحق بالرغم من قصر زمان بطريركيته نشيطاً في بناء وتعمير الكنائس والأديرة. وقد كتب سيرته الأسقف مينا أسقف نيقيوس الذي من دير أنبا مقار والذي رُسم خلفاً ليوحنا النقيوسي الشهير. و يقص لنا عن سيرة أنبا اسحق أنه كان وهو راهب ينفرد أيام الصوم وحده وقد أُعجب به القديسان ابراهيم وجورجي لما وجدا أن قلايته لم تكن تحوي سوى الخبز والملح.

---

(١٨) المراجع هنا كلها من تاريخ البطاركة أنظرها في مواضعها.

الصلاة والتلمذة المخلصة هي سر بناء الأديرة وعمارتها:

وهكذا نجد أن استمرار البناء والتعمير في دير أنبا مقار في هذه الحقبة الزمنية المباركة كان يؤازره بناء وتعمير روحي ملحوظ جداً في دير أنبا مقار. فقد كان يغص بالنساك القديسين والتلاميذ الروحيين النشطاء. فتخرج فيه عدة بطاركة متلاحقين قديسين وعظماء بحق، وعدة أساقفة علماء ومؤرخين، وعدة قديسين مشهورين. وهم بالاختصار كالآتي:

قديسو دير أنبا مقار في القرن السابع

١ ــ أنبا صموئيل المعترف (القلموني)(١٩)

حسب تحقيق المؤرخين، ولد صموئيل سنة ٥٩٧م. في مدينة تسمى «داكلوبة» Daklûbe بالقرب من المدينة التي تدعى «بلهيب» Pellhip . ورُسم مساعد شماس وهو ابن ١٢ سنة، وفي الثامنة عشر رفض الزواج ورُسم شماساً، وبعد وفاة والده سلموه الكنيسة التي بناها أبوه، وعندما بلغ سنه ٢٢ عاماً صمم أن يصير راهباً. وحوالي سنة ٦١٩م. انطلق نحو البرية وقد قاده أحد الشيوخ حتى وصل برية دير أنبا مقار، وأوقفه الشيخ (ملاك؟) على تلة عالية تطل على مجموعة قلالي دير أنبا مقار في المسافة بين دير يؤنس القصير ودير أنبا مقار، وأشار إليه بأصبعه على مغارة القديس أنبا أغاثو «راهب متوحد عظيم القدر»، فقبله أغاثو وحياه وصلى على الشكل والقلسوة ومنطقة الجلد وألبسه إياها قائلاً: «إن إله أبينا القديس أنبا مقار وأنبا أنطونيوس يكون معك لتصير تلميذاً لهم». وعلمه الإتضاع والصمت والمحبة والإفراز وكلمة «أخطأت حاللني». وبعد ثلاث سنوات مرض أغاثو، وبالرغم من عناية أنبا صموئيل به تنيح، فبقي صموئيل وحده ناسكاً يصوم مرتين في الأسبوع ويطوي الأربعين المقدسة بدون خبز على قليل من الخضر. وفي مدة بسيطة ذاع صيته بين الرهبان وكانت له مكانة كبيرة بينهم فرسموه قسيساً على كنيسة أنبا مقار.

وعلى يد هيراكليوس تم انهزام الفرس الذين كانوا قد أغاروا على مصر واحتلوها من سنة ٦١٦ــ٦١٧م.؛ فعادت مصر إلى حكم بيزنطة التي أرادت ضم كل إقليم مصر تحت سلطانها، فأرسلت «كيرس» أو «كيرش» أسقف فاسيس في كولكيس وعينته بطريركاً وحاكماً في نفس الوقت على مصر وكان أول هَمٍّ له هو توحيد عقيدة البلاد بالقوة حتى تخضع لسلطانه، وكان أنبا بنيامين (الـ٣٨) هو بابا الإسكندرية في ذلك الوقت (٦٢٢ــ٦٦١م.)، الذي تحت إحساسه بالخطورة من الصدام ترك الكرسي واختبأ في الأديرة لتفادي الصدام مع السلطة الحاكمة وذلك سنة ٦٣١م.؛ فسافر على قدميه ليلاً من الإسكندرية إلى مريوط، وانحدر منها إلى القلالي ثم

---

(١٩) راجع «أوراق متناثرة عن ميمر قبطي لتكريم أنبا صموئيل القلموني» بالفرنسية للأب سيمون نشره في مجلة «ميسيلانيس بيبليسيس» جـ٢ ص١٦١ــ١٧٨، طبع في رومية سنة ١٩٣٤.

اتجه إلى شيهيت، فوجد هناك رهباناً قلائل وليس بعددهم الأول وذلك بسبب غارة البربر سنة ٥٧٠م. التي لم يكن قد مضى عليها كثيراً؛ ومنها انحدر إلى صعيد مصر حيث مكث مختفياً هناك في أحد الأديرة الصغيرة عشر سنوات حسب إرشاد الملاك له.

وقد حاول كيرش عبثاً تقريب وجهات النظر بالقول بالمشيئة الواحدة بدل المشيئتين، ولكن محاولاته ذهبت عبثاً أمام صمود عقيدة مصر بالطبيعة والمشيئة الواحدة للكلمة المتجسد!! ولما وجد كيرش بعض النجاح في أديرة ظاهر الإسكندرية اتجه إلى وادي النطرون وإلى دير أنبا مقار بالذات باعتباره مركز القيادة الروحية واللاهوتية في البلاد مؤمِّلاً إخضاع رهبانه لوثيقته المسماه «طومُس لاون وملحقاته»، والتي حملها قائده مكسيميانوس مع مائتي جندي. وبمجرد وصوله احتل كنيسة أنبا مقار الكبرى معطياً الأوامر لاجتماع رهبان البرية الذين كانوا كلهم تحت إمرة القمص يؤنس! ولكن كان يؤنس قمص شيهيت قد خرج لتوه حاملاً أواني البيعة وكنوزها لدفنها عند البحيرة الداخلية خوفاً من البربر الذين فاجأوه هناك وربطوه وأخذوه أسيراً...

ولما اجتمع الرهبان قرأ عليهم الضابط المذكور منشور «ليو» (طومُس لاون) مع خطاب كوشيانوس (أي خطاب كيرس الكولشي Cyrus the Colchian) مطالباً الرهبان بقبول عقيدة خلقيدونيا، وأمر أحد الشمامسة لينادي داخل الكنيسة إذا كانوا قد وافقوا جميعاً؟ وبعد ثلاث مرات والشماس يسأل عن رأي الشيوخ الرهبان كان يقابَل السؤال كل مرة بصمت قاتل!! فابتدأ يختل هدوء الضابط وهدد بالعقاب، فانبرى القديس صموئيل وكان عمره وقتئذ ٣٤ سنة مُهدداً بصوت جهوري: «نحن لا نوافق هذا الطومُس ولا نقبل مجمع خلقيدونيا ولا نعترف برئيس أساقفة آخر سوى أبينا أنبا بنيامين».

وبعدها طلب صموئيل من الضابط أن يطلعه على الطومس، فلما مسكه أراه للجماعة كلها، ونادى بحرمان الطومس ومجمع خلقيدونيا والبابا لاون جميعاً ومع كل الذين يقولون بعقيدتهم! ثم مزق الوثيقة إلى شرائح وألقاها خارج باب الكنيسة!!

ولكن كان نصيبه بالطبع العقاب بصورة وحشية حتى صار بين ميت وحي، فحمله تلاميذه الذين طردهم الضابط خارج الكنيسة، وذهبوا به قبلي الدير إلى الجبل المتاخم للدير في مغارة أمينة وأخذوا يعالجون جروحه حتى شُفي بأعجوبة!... وبعدها قام أنبا صموئيل وانحدر جنوباً مع تلاميذه إلى إقليم الفيوم تاركاً وراءه شيهيت بتاريخها ليبدأ بنفسه صفحة أخرى من تاريخ برية القلمون!! ويخبرنا المؤرخ أبو صالح الأرمني (والصحيح أبو المكارم) في كتابه: «تاريخ الكنائس والأديرة»، باختصار شديد كيف وأين ومتى نزح رهبان دير أنبا مقار بسبب هذه الضيقة العظيمة هكذا:

[و يوجد خارج دير نهيا بالجيزة قلالي كثيرة تابعة للرهبان الشيوخ الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمان بطر يركية أنبا بنيامين] (٢٠).

٢ — يونس قمص شيهيت

كان القرن السابع من أزهى العصور الروحية التي عبرت فيها بر ية القديس أنبا مقار سواء من جهة العبادة وتدبير طقوسها وصلواتها أو من جهة كثرة القديسين الذين ظهروا في هذا القرن أو من جهة العمارة التي قامت داخل الدير وخارجه ، وكل هذا الفضل يعزى إلى شخصية قديسة عظيمة تجاهلها التار يخ الرهباني مع أنها جديرة بأن توضع فوق منارة ، وهي شخصية الأب الفاضل القديس أنبا يونس قمص شيهيت المعترف . فعلى مدى ٧٠ سنة وهي الفترة بين رهبنته سنة ٦٠٣م. و بين نياحته سنة ٦٧٥م. ، ظل الدير يموج بأعمال العمارة ، والبر ية كلها يتجاوب فيها أصداء نشاط روحي منقطع النظير. وقد استقينا سيرة هذا الأب الفاضل من كتاب تار يخ البطاركة ، وكتاب السنكسار الكبير لناشره «باسيه» ، ومن سيرة القديس أنبا صموئيل المعترف زميل القمص يوحنا الذي عاصره في جهاده في عمارة الدير ، وفي آلامه وتعذيبه على يد قيرش الوالي البيزنطي بسبب طومس لاون الخلقيدوني ، وفي الأسر على يد البر بر.

والمعروف من سيرة القمص يوحنا أنه من مواليد شبرامنصو(٢١)، و يعتقد أنه ولد سنة ٥٨٥م. [وقد وقع في أسر البر بر ثلاث مرات ، فاستعبدوه وأذلوه وحملوه آلاماً كثيرة] (٢٢).

وتبتدىء سيرة هذا الأب تتوضح لنا منذ الأسر الثالث الذي عاناه وقت قدوم قيرش الوالي الخلقيدوني إلى البر ية طالباً قمص شيهيت ليعرض عليه طومس لاون للتصديق سنة ٦٣١م . ولكن يوحنا كان في هذه اللحظة قد خرج من الدير حاملاً أواني البيعة وأموالها وذخائرها ليدفنها عند البحيرة الداخلية (٢٣) (المسماة بالفاسدة الآن). ولكنه فوجىء بالبر بر الذين حملوه أسيراً إلى بلادهم (٢٤). و بعد أربع سنوات في الأسر تقابل هناك مع القديس أنبا صموئيل القلموني الذي أسره البر بر وهو في بر ية القلمون جنوب الفيوم.

و بينما كانت مدة الأسر التي عاناها أنبا صموئيل قصيرة (٢٥) نجد أن فترة أنبا يونس قمص شيهيت تمتد إلى عدة سنوات (٢٦)، حيث كان يعمل راعياً للجمال هناك ولم يرجع من الأسر إلا

(20) Church & Monast., fol. 63 b.
(21) Hist. of Patr., p. 336.
(22) Ibid.
(23) Cauwenbergh, Etudes sur les moines d'Egypte, p. 87.
(24) Morgan, Ms., Life of Samuel, p. 21.
(25) Vida de Abba Samuel, ed. Periera, pp. 153 f. (Ethiop.).
(26) Synax. Basset, p. 467.

في بداية دخول العرب مصر. و بعد رجوع القمص يونس من الأسر أقيم قصاً على شيهيت(٢٧) وذلك سنة ٦٤١م. لأنه كان كاهناً، و يقول كاتب تاريخ البطاركة: [لأنه كانت العادة في برية وادي هبيب أن كل راهب يوهب درجة الكهنوت (على كنيسة أنبا مقار) يُعيَّن قصاً على شيهيت] (٢٨).

وهو الذي قام بنقل أجساد القديسين الشهداء التسعة والأربعين. كما أنه من المعتقد أنه هو الذي اضطلع ببناء كنيسة أنبا مقار(٢٩) وهيكلها المشهور والمذكور على مدى التاريخ الذي كرسه البطريرك أنبا بنيامين (الـ٣٨). و يقول عنه كاتب سير البطاركة أنه [لم يشترك في إقامة الأسرار المقدسة قط إلا ورأى الرب المخلص في الرؤيا مع السيدة العذراء وكُشفت له أسرار كثيرة].

و يعطي كاتب السنكسار(٣٠) نموذجاً لانكشاف بصيرته وقدرته على التعليم وتهذيب النفوس: [إنه بينما كان أحد القسوس في طريقه إلى باب الكنيسة رأى يوحنا بالمنظر المعقول فإذا به تحيطه الشياطين من كل جهة و يضعون شيئاً في فمه، ولكن حينما همَّ بالدخول إلى الكنيسة رأى وإذا ملاك بيده سيف من النار يطرد الشياطين عنه، ولكن عندما أنهى القس تقديمه للأسرار ولبس ملابسه وهمَّ بالخروج من الكنيسة إذا بالشياطين المنتظرين يحتاطون به مرة أخرى و يتسيطرون عليه؛ بهذه الرؤيا كان القديس يوحنا يعلِّم تلاميذه أن يفرقوا بين كهنوت الكاهن و بين سيرته كإنسان، لأن خدمة الكاهن الممسوك بالخطيئة لا دخل لها بخطيئته إذ لها نفس قوة الكاهن الطاهر] (٣١).

وعندما قربت أيام هذا الكاهن البار علم بساعة انتقاله بإعلان سماوي، فلما اجتمع الإخوة حوله أعطاهم نصيحته الأخيرة ثم مرض قليلاً، وفي لحظة انطلاقه رأى جماعة القديسين في انتظار خروجه.

[فأخذه الإخوة ليدفنوه، ولكنهم لشدة أمانتهم فيه وحبهم له اقتسموا كفنه الطاهر فيما بينهم وكان كل واحد منهم يأخذ قطعة منه للبركة والتذكار، وكانت تجرى أشفية كثيرة بواسطتها. وقد عاش هذا الأب تسعين سنة(٣٢) وقد بقيت قلايته التي عاش فيها إلى هذا اليوم (زمن كاتب السنكسار) وعليها علامة في مكان قلاية بيجيج (بشبيش)] (٣٣).

(27) Crum, P.S.B.A., XXIX, p. 289.
(28) Synax. Basset, p. 465.
(29) Ev. White, II, p. 276.
(30) Synax. Basset, p. 336.
(31) Ibid., p. 465.
(32) B.N. Fonds Arabe, No. 256 (XVI Century). & No. 4869.
(33) Synax. Basset, pp. 465 f.

ولكي نعرف تحديد سني حياة هذا الأب الفاضل يلزمنا أن نرجع إلى سيرة أحد أولاده المشهورين جداً المدعو أبيماخوس الذي من أرواط(٣٤)، الذي عاش أكثر من مائة سنة قص دير السيدة العذراء بمنطقة تنيس سنة ٧٤٤ في أيام حكم القاسم(٣٥) (منطقة تنيس جزيرة ببحيرة المنزلة وتبعد ١٠ أميال جنوب بورسعيد الآن). وأُختير بعد ذلك أسقفاً على مدينة الفرما المسماه في التاريخ «بيليوز يوم»، وذلك أثناء بطريركية أنبا ميخائيل الأول (٧٤٤ــ٧٦٨م.)(٣٦). وقد تنيح أبيماخوس أسقف الفرما سنة ٧٥٠م. ؛ والمعروف أنه ولد سنة ٦٥٠م. ؛ وأنه التحق بشيهيت سنة ٦٦٨م. ؛ وتتلمذ على يدي أنبا يؤنس قص شيهيت ومكث تحت تدبيره مدة لا تقل مثلاً عن خمس أو سبع سنوات. ومنها نعلم أن أنبا يؤنس ظل حياً حتى سنة ٦٧٥م.، إن لم يكن بعد ذلك أيضاً.

لذلك يمكن تلخيص سيرة حياة أنبا يؤنس قص شيهيت هكذا:
ولد سنة ٥٨٥، ترهب سنة ٦٠٣، أُسر في المرة الثالثة سنة ٦٣١، أُقيم قصاً على شيهيت سنة ٦٤١، وتنيح سنة ٦٧٥ في الثلاثين من شهر كيهك. وقد جعلته الكنيسة ضمن قديسيها الذين تتشفع بهم وتقيم لهم التذكار السنوي. بركة صلاته تكون معنا آمين.

وإن عظمة هذا الأب القديس لتبدو واضحة أشد الوضوح في كثرة تلاميذه وعلو مقدرتهم في القداسة والعلم وقد تبوأ معظمهم مراكز كبيرة في الكنيسة على مدى قرن من الزمان!

وقد رأى المؤرخ إڤلين هوايت أن يقسم أولاده إلى مجموعتين، وجعل **مميزات المجموعة الأولى:** الحفاظ على ناموس تدبير الحياة التوحدية الساري في شيهيت منذ القدم، **ومميزات المجموعة الثانية:** الاتجاه نحو التجديد في الحياة الرهبانية.

القديسان ابراهيم وجورجي:

وهما أشهر المجموعة التي تميزت بالحفاظ على التراث التوحدي الساري في شيهيت منذ القدم. وهما اللذان يوصفان بـ«آخر القديسين» في شيهيت. ونستقي سيرتهما من مصدرين أساسيين هما:

١ ــ نسخة عربية بها سيرة الأنبا زخارياس أسقف سخا(٣٧)، وقد ورد ملخصها في السنكسار (باسيه) تحت يوم ٩ طوبة.

٢ ــ ملاحظات واردة في السنكسار ذات معلومات إضافية(٣٨).

---

(34) Hist. of Patr., p. 336.
(35) Hist. of Patr., p. 356; Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, pp. 48-9.
(36) Hist. of Patr., p. 456.
(37) B.N.Fonds Arabe, No. 4888, Roc, XIV, p. 276.
(38) Synax. Basset, 9 Tûbeh & 18 Bashans, pp. 531, *1035* f.

٣ ـــ القديس أبرآم

كان أبوه رجلاً ثرياً مشهوراً بكرمه ومحبته التي لا تنتهي، وكانت أمه امرأة تخاف الله، تقية، وقعت في الأسر عند غزو الفرس لمصر وأُخذت عبدة، وقد استردها أهلها بعد أن انتصر هيراكليوس على الفرس في دستاجرد سنة ٦٢٨م.، وقد رأت نجاتها في رؤيا قبل مجيء النجدة إليها...

وقد عول ابراهيم بعد وفاة والده أن يصير راهباً وكان وقتئذ ابن ٣٥ سنة، وقد ودعته أمه بالصلاة وباركت على عزم قلبه، وقد قصد راهباً شيخاً قديساً وهو الأب الطوباني أنبا يونس الذي كان وقتئذ رئيس كهنة وقمصاً على دير أبينا أنبا مقار، وقد درب القمص يونس تلميذه ابراهيم بحزم فلم يدعه يتصل بأي إنسان آخر ولا يميل يميناً أو يساراً، [فعاش ابراهيم في الطريق المستقيمة طريق الطاعة في كل ما هو صالح واقتنى الإتضاع وحسن الظن بكل الناس](٣٩).

وقد بدأ ابراهيم ينمو في القداسة واشتهرت حياته بين الرهبان سريعاً، وفي يوم من الأيام رأى رؤيا ظلت أصداؤها تتردد في شيهيت ودير أنبا مقار إلى قرون عديدة:

[وفي يوم من الأيام في الساعة السادسة من يوم الجمعة الثالثة من الصوم الكبير بينما كان واقفاً في الصلاة في قلايته رأى وإذا بفتحة قد انفتحت في سقف القلاية؛ وفجأة رأى السيد المسيح نازلاً ودخل القلاية راكباً فوق مركبة مضيئة محاطاً بالسيرافيم والشيروبيم، فسجد ابراهيم طالباً البركة، فباركه الرب وصعد إلى السماء مرة أخرى](٤٠).

وقد أخبر أن ملاكاً كان معيّناً لحراسته وتعزيته(٤١). وأخبر القديس ابراهيم أن هذا الحارس كان يوبخه على أفكار الدينونة التي كانت تدور في قلبه من جهة أحد الإخوة، فانتبه القديس وتخلص سريعاً من هذه الخطيئة وأصلح قلبه وابتدأ يتقدم بعد ذلك بسرعة في القداسة حتى أنه كان بمجرد أن يصلب على أي إنسان به روح نجس كان يخرج منه(٤٢).

وقد أخبر عنه أحد الإخوة أن قلايته كانت تُرى مراراً وهي مضيئة عندما يكون واقفاً في الصلاة.

وقد أخبر عنه كاتب سيرته، الأنبا زخارياس أسقف صا، أن أحد الإخوة ذهب إليه فجر يوم الأحد ليسأله عن أمر قبل دخول الكنيسة، فلما قرع بابه وجده في حالة تهليل وفرح مفرط، ولما

(39) Ms. Cited, fol. 190 B.
(40) Ms. Cited, fol. 191 A.
(41) Ms. Cited, fol. 192 B.
(42) Ms. Cited, fol. 195 A.

سأله عن سر فرحه أجابه بصعوبة أن غريغوريوس النيسي أخا باسيليوس الكبير ظهر له وكان يتحدث معه (٤٣).

٤ ـــ القديس جورجي

يلتصق اسم القديس ابراهيم باسم القديس جورجي، فهما الصديقان الوفيان اللذان لم يفترقا في حياتهما وموتهما. وقبرهما كان من معالم شيهيت البارزة الذي ظل إلى قرون عديدة موضع تكريم البطاركة، وكان له رسم زيارة طقسية يقوم بها البطريرك سنوياً وفاءً لذكرى نسكهما وقداستهما وإخلاصهما للحياة التوحدية.

سيرة حياته:

يقص سيرة حياته وظروف لقائه مع جورجي القديس العالم الناسك أنبا زكريا أسقف صا، فيقول أن كلاً منهما كان متعبداً بمفرده، ابراهيم في جبل القديس مقاريوس بشيهيت وجورجي في جبل القديس أوريون، وبتدبير من الله توجه ابراهيم إلى جبل الأب أوريون وتقابل هناك مع القديس جورجي، وبعد حديث دار بينهما اتفقا أن يعيشا معاً في دير القديس مقاريوس. فرجع ابراهيم إلى شيهيت ولحقه جورجي بعد أن رتب أمور معيشته، ولكن بسبب ضعف جسده وعدم درايته بالطريق تعب في السفر حتى يئس من الوصول إلى دير القديس مقاريوس، وإذا به فجأة يجد نفسه أمام الدير؛ فتقابلا ولم يفترقا بعد ذلك طول حياتهما. ويضيف السنكسار (لباسيه) تحت ١٨ بشنس أنهما تتلمذا معاً فترة طويلة تحت تدبير القديس أنبا يؤنس قمص شيهيت، وأن في منشوبيتهما لا تزال الطاقة التي ظهر فيها السيد المسيح باقية (٤٤).

وللتدليل على مكانتهما العالية ما جاء بقلم المؤرخين الكنسيين العظام في تاريخ البطاركة عن سيرتهما العطرة وطريق حياتهما المستقيم والمتمسك بروح الآباء الأوائل:

[لقد سارا معاً في طريق أنطونيوس الكبير وأكملوه حتى الغاية] (٤٥).

وقد أمضى القديس جورجي أواخر أيامه في مرض استطال عليه، ويقول السنكسار: [وحينما تنيح الأب القديس يؤنس القمص، ساق الشياطين على القديس جورجي مرضاً ظل يرافقه ثمانية عشر سنة، فلما قربت أيامه طلب أن يتناول من جسد الرب، وقد حضر إليه بالروح أبوه أنبا يؤنس وأخبره أن الرب يدعوه للوليمة العظمى، فرقد في سلام كامل وهو ابن ثمانين سنة] (٤٦).

(٤٣) يلاحظ أن طقس دير أنبا مقار كان دائماً أبداً لا تقام فيه القداديس إلا يوم الأحد فقط. أنظر أيضاً:

Ev. White, II, p. 279. Ms. Cited, fol. 197 A.

(44) Synax. Basset, pp. 1035.

(45) Hist. of Patr., p. 337.

(46) Synax. Basset, p. 533.

و يضيف أنبا زكريا كاتب سيرته قائلاً: [لم تكن نياحته بدون آية: فكثيرون ممن كانوا ملازمين فراش مرضه في ذلك اليوم ــ وقد كانوا أخوة مختارين ومقدمين ــ رأوا ملائكة ومعهم جماعة الآباء القديسين يوأنس القمص وأنبا مقار الكبير وأنبا بيشوي مع جمع غفير من القديسين، ورفعوا روحه من الوسط إلى مواضع الراحة. وقد أكمل سعيه في شيخوخة حسنة وهو ابن ٨٥ سنة عاش منها ٣٤ سنة في العالم، و٥١ سنة راهباً].

تحديد تاريخ حياته:

نعتمد في تحديدنا لتاريخ حياة القديس جورجي على التاريخ الثابت لأبيه الروحي القديس يوأنس قمص شيهيت. فإذا كان جورجي قد تنيح بعد أبيه الروحي بمدة ثمانية عشر سنة، والمعروف أن أنبا يوأنس تنيح سنة ٦٧٥م.، يكون ميلاده سنة ٦٠٨م.، و يكون قد ترهب حوالي سنة ٦٤٢ أي بعد غزو العرب لمصر مباشرة.

بيجيج، بشيش(٤٧):

وهو اسم القلاية (دير صغير أو منشوبية) التي كان يعيش فيها كل من ابراهيم وجورجي، وكانت تجاور قلاية أبيهما الروحي أنبا يوأنس قمص شيهيت. وظلت قلاية ابراهيم وجورجي من معالم شيهيت البارزة حتى بعد القرن الرابع عشر، وهذا الاسم أُطلق فيما بعد على قلايتهما ربما للدلالة على مدينة معينة أو على شكل القلاية أو هو اصطلاح معين يعود إلى شيء من حياة أنبا مقار كما يقول العلامة كرام. والمعروف حالياً أنها المبنى المتهدم الذي يجاور دير زكريا من الجهة القبلية. و برجوعنا إلى كتاب تكريس الميرون نقرأ عن البطريرك أنبا بنيامين الثاني (١٣٣٠م.) أنه في دورته الطقسية يوم أحد الخوص ركب من الدير وزار «مغارة الآباء» ثم زار «مقبرة الآباء الرهبان حيث صلى الترحيم على مقبرة ابراهيم وجورجي».

٥ ــ القديس أغاثو العمودي

من أهالي تنيس (جزيرة ببحيرة المنزلة على بعد ٩ كيلو جنوب غربي بورسعيد، الآن مغمورة). وكان أبواه تقيين يخافان الله. التهبت نفسه بحب الرهبنة منذ حداثة سنه، ولكنه تعوق كثيراً إذ لم يستطع أن ينطلق إلا بعد أن بلغ ٤٠ سنة. وقد توجه أولاً إلى إقليم مريوط ومنها اتجه جنوباً نحو الصحراء المترامية يقوده ملاك، حتى وصل إلى دير أنبا مقار وتتلمذ على ابراهيم وجورجي ثلاث سنوات. أوقفوه بعدها أمام المذبح مع أنبا يوأنس قمص شيهيت وظلوا يصلون ثلاثة أيام فوق ملابسه ثم ألبسوه إياها ثم منطقوه بالإسكيم السمائي. وعاش أغاثو بعدها عيشة شظفة

(47) Crum, P.S.B.A., XXIX (1807), p. 290.

(٤٧) أنظر تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ساو يرس بن المقفع، المجلد الثاني/جزء ثان ص١١٩.

قاسية، وقد أدمن الصلاة، وشغف جداً بحياة القديس سمعان العمودي مدة عشر سنوات اشتاق بعدها أن يقتفي سيرة حياته. فاستشار الآباء، وبعد أن حصل على موافقتهم وصلواتهم ترك شيهيت واستقر في مكان قريب من «سخا» حيث بنى له المؤمنون هناك عموداً صعد عليه وعاش عيشة العموديين. وقد صنع معجزات كثيرة، وتنيح عن مائة عام في ١٤ توت وهو يوم تذكاره. وقد قضى فيها خمسين سنة عامودياً (٤٨).

والمعروف من السيرة أنه عاش مع ابراهيم وجورجي مدة ثلاث سنوات يخدم مع يونس قص شيهيت حتى تنيح. ومن هذا نعلم أن مجيئه إلى شيهيت كان حوالي سنة ٦٧٨ ونياحته تكون حوالي سنة ٧٢٨. والذي يهمنا جداً من سيرة هذا القديس العمودي هو الفضل الذي أسداه لدير أنبا مقار فيما يختص بالتشديد في نظام العبادة بالسواعي. فبعد أن كانت السواعي المرعية في الصلاة عند الرهبان تقتصر فقط على ساعتين وهما الغروب ونصف الليل ــ كما يخبرنا كاسيان (٤٩) ــ استطاع أغاثو أن يقنع الرهبان بضرورة الصلاة بالسواعي القانونية كلها (٥٠).

وقد جاء هذا الخبر في سيرة القديس يوحنا كاما (٥١)، حيث يقول الكاتب أن الأب دوروثي (ذورثيئوس) ــ وهو صاحب القلاية (الدير) المشهورة باسمه، علم يوحنا كاما «قانون الخدمة المقدسة بالسواعي وكيف يصلي في كل ساعة من الساعات القانونية حسب وصية أبينا أنبا أغاثو العمودي».

٦ ــ أنبا زكريا أسقف صا

ليس عبثاً ما يقوله السنكسار في تطويب ابراهيم وجورجي أنهما **«آخر القديسين»**، إذ أن سيرتهما تقف مساوية تماماً للقديسين مقاريوس وبقية آباء القرن الرابع وذلك في الإنعكاف على التوحد والاهتمام بجوهر الرهبنة أي النسك والصلاة فقد عاش هذان القديسان وكأنما في عزلة كاملة عن العالم المحيط آنئذ، في حين أن رهبان المجموعة الثانية من أولاد يونس قص شيهيت بدأت تظهر على سيرتهم علامات تفيد أن الحياة الرهبانية في جوهرها كتوحد ونسك وصلاة لم تعد الهدف الأخير، وإنما مجرد خطوة أو قنطرة لنيل وظائف كنسية أفضل!!! والمؤسف ــ على حد قول إڤلين هوايت في هامش كتابه الثاني ص٢٨٢ ــ أنه منذ ذلك الحين أصبحت الرهبنة طريقاً سهلاً يؤدي إلى الظهور والتفوق عن طريق الوظائف الكنسية!!!

فبينما يبقى ابراهيم وجورجي وأغاثو العمودي (إذا استثنينا فرصة الظهور والمجد المكشوف في

(48) Synax. Basset, Tût 14, pp. 51 f.
(49) Ev. White, II, 209, 281.
(50) The Copt. Morn. Service for the Lord's day, by Marquis of Bute (1882).
(51) Ed. by M.H. Davis, pp. 24, 25.

المعيشة على العمود) منعكفين على القداسة في جوهرها السري غير المنظور؛ إذ بالفريق الآخر في هذه العائلة الروحية يتبارى في اعتلاء مواقف الكرامة في قائمة المجد المنظور. وأول فارس في هذا المضمار من هذه المجموعة كان زكريا.

حياته الأولى مجهولة، ولكن المعتقد أنه جاء شيهيت في نفس الزمان الذي جاء فيه ابراهيم وجورجي حوالي سنة ٦٤٢، وبسرعة خاطفة اشتهر اسمه. ونسمع عنه مبكراً، فعند زيارة أنبا اسحق البطريرك (٦٥٢ــ٦٥٤م.) كان زكريا على رأس دير أنبا مقار، واتخذ اللقب المشهور «كاهن وقمص الدير المقدس الذي لأبينا أنبا مقار». وشاع عنه أنه «رجل رؤى وإعلانات». وكان مقرباً من أنبا يونس قمص شيهيت كما يقول أنبا مينا المؤرخ أسقف إبشادي(٥٢). ويروى عن أنبا زكريا أنه هو الذي استمع إلى رؤية ابراهيم البلبيسي التي رآها وهو قائم في مغارة الآباء الشهداء الشيوخ التسعة والأربعين(٥٣).

والمعروف أيضاً أنه هو الذي قام ببناء القلاية الكبيرة (دير أنبا زكريا)، وهو الدير (مانشوبي) الذي أصبح من أكبر مجموعات أديرة (مانشوبيات) أنبا مقار في المنطقة، والتي اشتهرت بالقلاية الكبيرة = دنشتيري. وظلت هذه القلاية عامرة «وتخرج» فيها عدة أساقفة وبطاركة(٥٤)، ربما كان آخرهم هو ميخائيل الخامس في القرن الثاني عشر. ويعتقد أن زكريا هذا أخذ لقب «قمص» عند نياحة أنبا يونس قمص شيهيت مباشرة سنة٦٧٥، وذلك أثناء بطريركية يوحنا الثالث (٦٧٧ــ٦٨٤م.). وقد سقفوه على «صا» أو «صايس» كما يؤرخ أنبا مينا أسقف بشادي، ولكن يبدو أنه لم يدم على كرسيه كثيراً(٥٥) إذ دهمه مرض عضال، وإذ علم بالروح أنه مرض الموت قفل راجعاً إلى شيهيت حيث قام بتمريضه ابنه الروحي اسحق. فلما دنت وفاته جمع أولاده وباركهم وتنبأ عن مستقبل اسحق «الكبير» وأسلم الروح، ودُفن في شيهيت حيث ظلت ذكراه والمعجزات التي صنعها في حياته يتردد صداها في شيهيت على مدى السنين.

أما سنة وفاته فكانت ٦٨٤م. المرادفة لزمن نياحة البطريرك يوحنا الثالث الذي خلفه اسحق تلميذ أنبا زكريا.

(52) Menas Vie d'Isaac, ed. Procher, p. 15.
(53) Amélineau, Notices et Extraits, XXXIX, p. 336.
(54) Cod. Vatic. Copt., Nos. LXI, LXVIII.
(54) Zoëga, Cot., Nos. XLIII, LIV.
(55) Menas Vie d'Isaac, p. 36.

٧ ـ أنبا اسحق

يخبرنا أنبا مينا أسقف ابشادي (نقيو أو نقيوس) عن اسحق أنه ينحدر من أبو ين تقيين. وكان يعمل مع قريب له يشغل وظيفة كاتب عند والي البلاد البيزنطي المدعو چورچ، ولكنه كان بالرغم من تقليده لهذا المنصب الرئاسي يمارس حياة النسك، ولما اضطره أبواه على الزواج هرب إلى شيهيت وتتلمذ على أنبا زكريا، ولما خاف زكريا أن يكتشف أبواه مكانه ويجبراه على العودة، أرسله إلى ترنوط (الطرانة الآن)، ثم من ترنوط أرسله مع أب ناسك يدعى ابراهيم إلى جبل «باماهو» (٥٦). ولكن أخيراً رضخ الأبوان لرغبة ابنهما فعاد في أمان لشيهيت مرة أخرى و بدأ حياة النسك التي كانت تعتبر مثالية، فكان يسهر الليل مصلياً وفي النهار يخدم الإخوة في الذياكونية، يوقد المواقد و يعد المائدة و ينظف المراحيض **ⲙⲁⲛⲉⲙⲥⲓ** و ينزحها، حتى دعي على اسحق اسم من أجمل الأسماء «ابن المجمع» (٥٧) **Ⲟⲩϣⲏⲣⲓ ⲛ̀ⲕⲟⲓⲛⲱⲙⲁ**

وفي الوقت المعين اختاره البطريرك أن يكون تلميذاً له Synellos وكاتم سره «Secretery». ولكنه كان مغموماً غماً شديداً بسبب تركه للبرية، وأخيراً اتفق مع البطريرك أن يخدم شهراً واحداً، كان يساعد فيه البطريرك على كتابة الخطاب الفصحي السنوي ثم يعود إلى ديره ليقضي بقية السنة في الدير، وكان ذلك قبل أن يُرسم معلمه أسقفاً على «صا».

وقد اعتاد اسحق عندما يحين فصل الصوم الكبير أن يعتكف في قلاية نائية عن الدير ليمضي الصوم في وحدة كاملة. وكان يزوره فقط كلٌّ من ابراهيم وجورجي اللذين كانا يتعجبان و ينتفعان من نسكه إذ لم يكن يوجد في قلايته إلا الخبز والملح!!

و بعد سنة من نياحة معلمه زكريا، أُعلم البطريرك يوحنا بالروح أن الذي سيخلفه في البطريركية هو اسحق. فأخذه عنده واحتفظ به حتى زمان نياحته.

و بنياحة أنبا يوحنا الثالث انتُخب اسحق، بعد تمنُّع شديد، ليكون بطريركاً. وكان ذلك على أثر سقوط قنديل كنيسة القديس سرجيوس على الراهب اسحق ومسحه بالزيت وهو واقف وسط جماعة المنتخبين المتحيرين، فصرخ الجمع «هذا هو المستحق، هذا هو المستحق».

ولكن حياته كرئيس في الكنيسة لم تكن طويلة، إذ تنيح سنة ٦٨٧م. بعد أن جاء إخوته الروحيون وخدموه في مرضه. وقد استمرت بطريركيته حسب تقدير أميلينو من ٤ ديسمبر ٦٨٥ ـ ٦ نوفمبر ٦٨٨م. (٥٨).

(٥٦) جبل باماهو موجود في إقليم الجيزة ـ أنظر جغرافية إميلينو، ص ٢٩٧.

(57) Menas Vie d'Isaac, p. 27.
(58) Ev. White, II, 284.

و يُعتقد أنه اعتلى الكرسي سنة ٦٨٤ وهو ابن خمسين سنة، فيكون ميلاده سنة ٦٣٤، ومجيئه إلى شيهيت حوالي سنة ٦٥٢م.

٨ ــ أنبا مينا اسقف تمي

وتعيِّد الكنيسة لتذكاره في ٧ هاتور (٣ نوفبر)، وهو أصلاً من أهالي سمنود، وإذ أجبروه على الزواج رغماً عن مشيئته ترك زوجته وهرب إلى دير القديس أنطونيوس وتصادق هناك مع راهب زميل له يدعى ميخائيل الذي صار بعد ذلك بطر يركاً.

وحدث أن اتفق الإثنان على ترك الدير والذهاب إلى بر ية القديس مقار يوس، وتتلمذ مينا على ابراهيم وجورجي وقد نال اعجابهما بمواهبه وفضائله وفي أثناء بطر يركية أنبا سمعان الأول (٦٨٩ــ٧٠١م.) رسموه أسقفاً على تمّي أو تمو يس، ولكنه ندم كثيراً و بكى وأعطى لنفسه الو يل. وفي أثناء أسقفيته أعطاه الله قوة الشفاء وكشف النفوس. وقد كان أباً روحياً لأر بعة بطاركة: اسكندر الثاني الذي رسم سنة ٧٠١م.، وقزماس، وثيئودور، وميخائيل الأول الذي رسم سنة ٧٤٣م.، ووضع اليد على جميعهم وقت رسامتهم. وقد تنيح هذا الأب في سن الشيخوخة (حوالي ٩٥ سنة) وذلك سنة ٧٦٨م.، و بذلك يكون تار يخ ميلاده حوالي ٦٧٣م.، أما وصوله إلى شيهيت فلم يكن قبل ٦٩٠م. (٥٩).

٩ ــ أنبا ميخائيل الأول

وهو الذي رافق مينا من دير أنبا أنطونيوس إلى دير أنبا مقار. وكان له صديق النسك والعبادة. و يغلب الظن أنه تتلمذ أيضاً على ابراهيم وجورجي. وقد ذاع صيت قداسته ونسكه حتى أنه وقت الرسامة قيل عنه «الرجل القديس الفاخر الكاهن ميخائيل الذي بكنيسة أنبا مقار البتول الطاهر الذي نشأ وتربى في البر ية». وقد رسموه بطر يركاً سنة ٧٤٤م.

١٠ ــ أنبا مينا أسقف نقيوس (أبشادي)

المعروف عن هذا الأب أنه كان تلميذاً للأب الكبير القمص يؤنس قمص شيهيت. وكثيراً ما يخطىء المؤرخون بينه و بين مينا أسقف تمّي، والفرق الزمني بينهما كبير، فمينا أسقف تمّي لم يحضر إلى شيهيت إلا بعد نياحة يؤنس قمص شيهيت. وقد خلف مينا أسقف نيقيو (نيقيوس أو إبشادي) سلفه يوحنا أسقف المدينة المذكورة وهو المؤرخ الكنسي المشهور(٦٠).

---

(59) Ibid.

(60) Hist of Patr., p. 287 f.

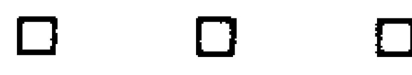
١١ ــ أنبا زكريا أسقف سخا، و بطليموس

وهما آخر تلميذين من عائلة أنبا يونس قص شيهيت الروحية من المجموعة الثانية التي تبوأت المراكز المرموقة في الكنيسة. و يذكرهما كلٌّ من السنكسار لـ«باسيه» صفحة ٨٠٤، وتاريخ البطاركة صفحة ٣٠٠.

وزكريا هذا هو أصلاً من عائلة كتبة، وكان مستخدماً في الديوان قبل دخوله الرهبنة، وقد تعرف أثناء خدمته في الديوان على زميل له اسمه «ابلا توس» (بتولمي= بطليموس). وقد عانى كل منهما صعوبات جمة حتى استطاعا التخلص من خدمة السلطان وهربا معاً سراً إلى شيهيت؛ وتوجها أولاً إلى دير أنبا يونس القصير وظلا من هناك على صلة بكل من ابراهيم وجورجي يستشيرانهما في كل أمور حياتهما، فأحرزا تقدماً سريعاً في المعرفة الروحانية وكان ذلك حوالي سنة ٦٨٠م.

فلما خلا كرسي سخا طلب البطريرك سمعان الأول (٦٨٩ــ٧٠١م.) الراهب زكريا؛ فأحضره من البرية ورسمه أسقفاً على المدينة المذكورة سنة ٦٩٥م. أما رفيقه بطليموس فرسمه على منوف العلا.

وقد خدم زكريا كرسي سخا ثلاثين سنة وتنيح سنة ٧٢٥م.، وقد اشتهر زكريا أسقف سخا في التاريخ الكنسي بصفته مؤلفاً كنسياً ممتازاً، فقد كتب المقالات وألف المواعظ وصنَّف الكتب، وكان فصيحاً مملوءاً من النعمة والمواهب حسب قول كاتب السنكسار. وقد وصلنا أربع عينات من كتاباته: اثنتان عن دخول المسيح أورشليم وتوبة أهل نينوى(٦١)، واثنتان من تراجم لحياة قديسين أولاهما سيرة ابراهيم وجورجي(٦٢) والثانية سيرة يوحنا القصير(٦٣).



وفي نهاية سيرة هذه الجماعة الرهبانية لا يسعنا إلا أن ننحني أمام شخصية يونس قص شيهيت، هذا القديس المتسع القلب والفكر الذي استطاع أن يسقي هذه الغروس من نبع الروح والمعرفة الروحية. فالذين استقوا الروح صاروا قديسين على مستوى الآباء الأوائل تماماً، ولكنهم كانوا قلائل بل اثنين فقط، هما ابراهيم وجورجي؛ أما الذين استقوا المعرفة الروحية فطوَّحت بهم المعرفة إلى كراسي التعليم فصار منهم اثنان من البطاركة وستة من الأساقفة(٦٤).

---

(61) Zoëga Cat. No. XII, p. 10.

(62) B.N. Fonds Arabe, No. 4888, (R.O.C., XIV, p. 276).

(63) Ed. Amélineau, A.M.G., XXV, pp. 316 f.

(٦٤) ولكن يضاف إلى هذين البطريركين أيضاً كلٌّ من أنبا يوحنا الثالث السمنودي وقزمان الأول (٧٣٠ــ٧٣١) الذي كان =

وهكذا نجد أن القرن السابع ازدحم بالنشاط المعماري والروحي بدرجة فائقة.

القرن الثامن شحيح في أخبار العمارة

أما في القرن الثامن فلا نجد إلا اسمين أو ثلاثة كان لهم علاقة بعمارة دير أنبا مقار:

الأول منهم هو أنبا خائيل أو ميخائيل الأول البطريرك الـ٤٦ (٧٤٣-٧٦٧م.)، وكان قساً تقياً ورعاً ورئيساً على دير أنبا مقار، رفيقاً لمينا أسقف نقيوس وتلميذاً لابراهيم وجورجي، وكان مشهوداً له بالقداسة. وقد أبدى اهتمامه بدير أنبا مقار الذي كان رئيسه وقتئذ أثناسيوس قمص دير أنبا مقار(٦٥) الذي وقف بجوار أبيه الروحي خائيل الأول حال آلامه والإضطهادات التي عاناها على يد الخليفة الأموي مروان الثاني بن محمد سنة ٧٥٠م. وقد أُقيمت الصلوات والأصوام داخل دير القديس أنبا مقار مدة أيام كثيرة من أجل البطريرك خائيل الأول، فنجاه الله بصلوات الآباء بأن هزم الخراسنة مروان وأتباعه وذلك في أول يوم أعلن فيه آباء الدير الصوم والصلاة؛ وكان يوم السبت آخر أبيب(٦٦).

وقد خلف خائيل في البطريركية أنبا مينا الأول (٧٦٧-٧٧٦م.) الذي من دير أنبا مقار، وكان الابن الروحي لأنبا خائيل حال وجوده بالدير. وقد خلفه أيضاً في رئاسة منشوبيته ولعلها منشوبية ابراهيم وجورجي.

و بعد مينا الأول جلس أنبا يوحنا الرابع على كرسي البطريركية (٧٧٧-٧٩٩م.)، وكان راهباً تقياً من دير أنبا مقار. وفي أيامه تمت أعمال معمارية هامة بالدير، وأعيد تزيين كنيسة أنبا مقار بما يتناسب واستقبال جسد القديس أنبا مقار. و يعطينا الراهب إبيفانيوس الذي من أورشليم، في مدوناته، صورة أخيرة لدير أنبا مقار في أيام أنبا يوحنا الرابع تصف عمائر وازدهار الدير في نهاية هذا القرن سنة ٨٠٠م. هكذا: [وكان الدير كالقلعة يحوي حوله ألف قلاية!!](٦٧). ووقتئذ (٨٠٠-٨١٠) كان قد تم نقل جسد القديس أنبا مقار، و يقول هذا الزائر عن القديس مقاريوس: [وهناك القديس مقاريوس الكبير الذي أصبح الآن مجاوراً للفردوس].

القرن الثامن يحمل الذكرى العطرة لنقل جسد أنبا مقار

وفي أيام هذا البطريرك المبارك، تم نقل جسد القديس أنبا مقار من كنيسة مدينة «ألمى»

ببرية القديس مقاريوس (تاريخ البطاركة ص٣٣٨). كما يضاف إلى الستة الأساقفة أيضاً كلٌّ من: بطرس أسقف تارنوط، وموسى أسقف أوسيم (تاريخ البطاركة ص٣٦٠ و٣٦١).

(65) Hist. of Patr., pp. 429, 435.

(66) See: Lane-Pool, Hist. of Egypt in the Middle Ages, p. 30; Hist. of Patr., p. 410.

(67) Epiphanius, Hagiographites, Visit., Ed. Dressel, p. 6.

بجوار ششو ير (شبشير الآن) إلى ديره. ونقلوا مع التابوت الذي كان يحوي جسده الطاهر جزءاً من جسد الشهيد أنبا أندونينا في تابوت آخر صغير. وكان ذلك بحسب تحقيق المخطوطة العربية الموجودة بالدير (تحت رقم ١٨ سير آباء) هكذا:

[في ١٧ مسرى سنة ٥٠٩ للشهداء الأطهار (٧٩٣م.) في السنة الثامنة عشر من بطريركية أنبا يوحنا (يوُنس) الرابع... في أيام أنبا جورجي أسقف مصر (القاهرة) الذي كان مهتماً بعمارة البراري المقدسة. وكان في ذلك الوقت رئيس المتوحدين على دير أنبا مقار هو القديس خائيل القس الإيغومينوس على جبل شيهيت خلفاً للقديس أنبا جورجي. وخائيل القس هذا، كان الابن الخصوصي لأنبا خائيل رئيس الأساقفة. وكان أيضاً في ذلك الوقت أقنوم الدير (أو الربيتة) هو أبا كيري اللابس الإله المجتهد الذي من قبل اجتهاده أشرق علينا نور هذه الجوهرة الثمينة (جسد القديس أنبا مقار)].

و يُقال أن جسد القديس أنبا مقار ظل بعيداً عن ديره مدة طويلة من سنة ٤٨٠م. تقريباً حتى سنة ٧٩٣م.، ولم يفكر الرهبان طيلة هذه المدة في كيفية رجوعه لأنهم كانوا منهمكين في عبادتهم الروحية الخالصة وخلاص أنفسهم غير منشغلين بالمظاهر والتفاخر بالأجساد التي بدأت منذ ذلك العصر تأخذ صورة تنافس بين الأديرة كمصدر ثروة مادية بسبب كثرة الزائرين للبركة والتشفع بصلوات القديسين للشفاء(٦٨).

وتذكر نفس المخطوطة(٦٩) أيضاً أن جسد أنبا مقار الإسكندري كان موجوداً وقتئذ بالدير. كما انضم إليهم جسد أنبا مقاره أسقف ادقاو (مدينة بأسيوط) في بطريركية أنبا خائيل الثالث (٨٨٠ـــ٩٠٧م.). أما جسد القديس يوُنس القصير فقد نقل إلى دير أنبا مقار من ديره سنة ١٤١٣م. إثر تداعي سقف الدير وسقوطه بعد أن أكله النمل الأبيض.

نقل جسد أنبا مقار

[وأهل ششو ير بلد أبينا القديس كانوا يأتون إليه مجتهدين لأن يسجدوا عليه و ينظروا الآيات الإعجازية التي تظهر من جسده المقدس، من بعد ما كانوا يرونها منه حين كان في الجسد. فقرروا بعضهم مع البعض أن يحملوه خلسة من البرية إلى بلده ششو ير. ولهذا فقد اجتمع جموع كثيرة وجاءوا خفية إلى شيهيت لأنهم قد سبقوا أن عرفوا الموضع الذي كان فيه جسد أبينا القديس، فذهبوا وأخذوه من الموضع الذي كان فيه، وحملوه على دواب إلى ششو ير و بنوا له كنيسة وزينوها حسناً كما يليق بكرامته ووضعوه فيها من أجل أن أرض مصر كانت في هدوءٍ

(68) Ev. White, II, p. 292.

(٦٩) مخطوطة رقم ١٨ س من صفحة ٥٥ــ٦٢.

عظيم في تلك الأيام، لأن المملكة كانت للروم في ذلك الزمان. ومن قبل البارقليط الكائن فيه كانت أشفية كثيرة ومعجزات كثيرة تحدث في تلك البيعة.

ومن بعد هذا لما ملك المسلمون أرض مصر ابتدأت هذه البيعة تخرب قليلاً قليلاً من جهة نيرهم الثقيل المرّ. وكذلك ششو ير أيضاً خربت ولم يبقَ منها إلا القليل. فلما نظر الأرخن المحب للمسيح يوسف الذي من أهل ألما أنه لم يبقَ من يهتم بتلك البيعة التي كان فيها جسد أبينا النبي العظيم أنبا مقاره، مضى مهتماً مع كهنة كثيرين ليحمله إلى ألما، وكانوا يمشون حامليه بهدوءٍ عظيم في سنة ٥٠٠ للشهداء (٧٨٤م.)؛ وللوقت بنوا كنيسة حسنة ووضعوه فيها لأجل أنه كانت له أمانة كبيرة في رجل الله العظيم أنبا مقاره.

ومن بعد هذا كان في سنة ٥٠٩ للشهداء القديسين (٧٩٣م.) الذين كملوا على عهد دقلديانوس الملك الكافر، في السنة الثامنة عشرة من رياسة أبينا البطريرك اللابس الله أنبا يونس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي زين البيعة مثل أثناسيوس الرسولي، الذي نادى بالأوامر المستقيمة، مثل جرو الأسد كيرلص الذي صار قاطعاً وصانعاً للكتب بحرارة عظيمة على المجمع النجس الذي اجتمع بخلقيدونية، مثل ديسقوروس المعترف الحقيق، الذي أشهر معرفة الأرثوذكسية جهراً من قبل فلسفة أوامره السرية، ومثل ثيؤذوسيوس حجر الماس الذي لا ينكسر، الذي صار مخوفاً لكل شر بدع الأمانة، إذ يطعن — برماح رسائله القوية العجيبة — واحدة واحدة منها، مثل العظيم في البطاركة ساويرس، وبالحقيقة قد صار كفم الذهب الجديد في جيلنا، وذلك أيضاً في أيام أنبا جاورجي الأسقف الفاضل الذي لمصر مدبر جميع كنائس الثيؤذوسيين هذا الذي صار مهتماً بعمارة البراري المقدسة، وكان رئيس المتوحدين لكنيسة أبينا القديس المبارك العظيم أنبا مقاره — أنبا خائيل القس والإيغومانس العابد لله الذي جاء من بعد الطوباني أنبا جاورجي الابن الخاص لأنبا خائيل رئيس أساقفة الإسكندرية، وكان أقنوماً لهذه البيعة الواحدة أبا كيري القس اللابس الله. هذا الذي من جهة اجتهاد اهتمامه، أشرق علينا نور هذه الجوهرة الثمينة أعني جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره، وسُرَّ الثالوث المقدس أن يصنع هذه الرحمة العظيمة على الأربعة أديرة في شيهات، هذه النعمة التي لا ينطق بها، هذه الصعيدة المملوءة من كل ستر ومعونة وخلاص وشفاء للأنفس والأجساد معاً، وفي هذه السنة الواحدة كان صاحب السرائر المخفية المعلم الحقيقي بالحقيقة المصباح المضيء أبينا أنبا يونس رئيس أساقفة الإسكندرية في جبل شيهيت في أيام السار يستيك التي هي الأربعين المقدسة. فلما كان ذات يوم وبينا الشيوخ جلوس حوله وهو يرويهم من ينبوع ماء الحياة النابع من فيه، أتى ذكر أبينا القديس العظيم أنبا مقاره وكأنه متحرك من الروح القدس. فقال للشيوخ باشتياق حسن: كنا نشتهي الآن أن يكون في هذا الموضع عندنا جسد أبينا أنبا مقاره لكي في كل وقت نشتهي أن ننال بركته بسجودنا عليه. ثم امتلأ من روح النبوة، فقال: أنا أرجو أن الله يكمل لنا هذه المسألة. ومن بعد ما فرغ من

الإحتفال بعيد القيامة المقدسة مضى إلى قلاية البطر يركية من أجل اهتمام البيع المقدسة. و بعد ما ذهب، كان الكلام الذي خرج من فيه كأنه من البارقليط روح القدس الساكن فيه، وكان مثل النار التي تتقد داخل قلب أبينا المتعبد لله أبا كيري أقنوم البيعة المقدسة التي لأبينا الصديق العظيم أنبا مقاره وهومثل النار الإلهية التي تتوقد فيه، كان يكمل ما سبق أن يرسم له ليكون في الزمان الأخير من قبل تدبير المسيح وسابق علم الله خالق المسكونة كلها.

و يوماً بعد يوم وهذا الاشتياق والاهتمام ينبع و يتحرك داخله، مضى في اهتمام خدمة البيعة المقدسة في شهر مسرى. و بينما هوفي الكرم الذي للبيعة المقدسة التي على عبر البحر مشهد(٧٠) القديس أبادير، وكان معه القس العابد لله أنبا خائيل الذي كان إيغومانساً لجبل شيهات في تلك الأيام، لأنه هو أيضاً كان في هذه الشهوة الطوبانية، وكذلك أبا كيري كان له هو الآخر الاشتياق الحسن، هذا ذكره قائلاً لأنبا خائيل: ياأبتاه بمشيئة الله فلنبتدىء أن نصنع كل اجتهاد كيما نستطيع أن نُحضر جسد أبينا الطوباني العظيم القديس أنبا مقاره من مصر إلى هذه البر ية المقدسة عزاءً أبدياً وأساساً غير متزعزع لجميع الرهبان العُبَّاد الساكنين بهذا الجبل. أما أنبا ميخائيل ففرح جداً على هذا الكلام لأنه كان يشتاق إليه، وقص هذا الكلام أمام الشيوخ المحبين للإله، فسرَّهم ذلك وتعزوا وطلبوا إلى الرب أن يكمل لهم هذا السؤال سر يعاً، حينئذ اختاروا الشيوخ الذين كانت هذه المشورة أمامهم: أنبا خاييل وأنبا كيري مع عشر ين راهباً من الإخوة وأرسلوهم قائلين: إله أبينا الصديق أنبا مقاره يصحبكم و يعيدكم إلينا حاملين هذا الكنز العظيم المعطر والجوهر المتقد، أعني جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره. أما هم فلما ذهبوا قاموا في ذلك الموضع متطلعين ومشتاقين أن يشاهدوا الجوهر الحقيقي.

ثم أن أحد الشيوخ الذين مضوا ليُحضروا جسد أبينا الصديق أنبا مقاره شهد لنا قائلاً: «إنني رأيت في الليل كأنني مع الإخوة قائم في البيعة التي بناحية ألما التي كان فيها جسد أبينا المبارك. وعندما أطلعناه من الموضع الذي كان مخفياً فيه، كنا واقفين نتشاور بعضنا مع بعض قائلين: ما هي صفة ما أتينا لنحمله؟ وللوقت نظرته واقفاً على الكفن بمجد لا يُنطق به، ووجهه يضيء مثل الشمس في ضيائه، وكان شكله مثلما هو مصور على العمود الذي بكنيسته بالبر ية. وكان يصرخ علينا و يشير إلينا بيده قائلاً: أسرعوا ياأولادي واحملوني من هذا الموضع فقد حان الزمان لأنني لست أحتمل أن تبقى عظامي ههنا وحدها، بل اسرعوا واحملوني من هذا المكان. وهذا ما قاله لنا وكان يستعجلنا بحركة يديه. فلما رأى الشيخ هذا في الرؤ يا استيقظ من النوم وأخبر الإخوة بذلك. فلما سمعوا هذا اعتزت قلوبهم مثل السباع وقالوا: نحن نؤمن أن الله يسهل طر يقنا. وعندما وصل الشيوخ مع الإخوة إلى ألما، ابتدأوا يكملون العمل الصالح الذي كانوا مجتهدين فيه. وحينئذ وقعوا في عقبات كثيرة وجراحات عظيمة. حتى أنه من كثرة جراحاتهم تبللت ثيابهم من الدم.

(٧٠) مشهد أي مكان استشهاد= مارتير يا.

وكان ذلك الوقت ليلاً.

فأما الشماس المحب لله الذي كان في ألما، فإنه اعترف قائلاً: إنني في هذه الليلة الواحدة رأيت كأنني واقف في الكنيسة التي كان جسد أبينا أنبا مقاره فيها، و بينما أنا واقف في الصلاة رأيت كفناً عظيماً قد أُخرج من الكنيسة، وهم صاعدون به إلى السماء، فبُهتُّ متعجباً لما رأيت الكفن صاعداً به إلى السماء، وسمعت صوتاً عظيماً قوي الصراخ من السماء قائلاً: أعطوا القدس للقديسين، ولوقتي نهضت قائماً بخوف عظيم، وكل من سمع بهذا طابت قلوبهم أن هذا الأمر صار من قبل الله ضابط الكل. وعندما رأى الله إيمان المشايخ الثابتة في هذه الخدمة المقدسة طيَّب قلوب الولاة المتسلطين أن يساعدوهم على إتمام غرضهم الكريم.

و بدالة من غير خوف، دخلوا إلى البيعة وحملوا جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره. وكانوا يسيروا به متهللين بفرح عظيم لا يُنطق به، وكان ذلك في السابع عشر من مسرى.

وكان أيضاً جزء يسير من جسد الشهيد اللابس الجهاد القديس أنبا أندونينا الذي من أهل تتا(٧١) مكفناً وكائناً مع جسد أبينا الصديق، وكان في تابوت صغير فحملوا هذا الآخر معهم ووصلوا إلى ساحل ديدا، فصعد للوقت إنسان راعي من سفينة وخرَّ بوجهه يطلب إلى الشيوخ قائلاً: ياساداتى الآباء، فلتدركني رحمتكم أن أحمل جسد هذا النبي القديس في مركبي، وأنتم معه أيضاً، إلى ترنوط. فتعجب الشيوخ جميعهم من هذا أن الرب يسوع المسيح يسهل طريقهم كما هو مكتوب في إشعيا النبي: هوذا أنا مرسل ملاكي أمامك ليسهل طريقك. ولما حملوه إلى السفينة ووضعوه في الوسط، كان الإخوة جميعهم قيام حوله يرفعون أصواتهم أكثر فأكثر و يرتلون بمدائح تليق بطوبانيته، وكانت أصواتهم تتردد في الأصقاع حتى طن البحر كله. ولأن أهل «أنوفاوس» كانوا مستعدين لأن يخرجوا للقائه كيما يحملوه إلى كنيستهم المقدسة بمجد يعجب منه، أقاموا ثلاثة أيام يعيدون له قبل أن يطلقوه، وهذا كان من جهة حرارة أمانتهم القوية فيه. وعندما سمعوا أيضاً أنهم مقبلين إلى القبلة معه، أسرعت جموع كثيرة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً وتمشوا على شاطىء النهر يصرخون و يطلبون إلى الشيوخ قائلين: ارسوا على البر كيما نتبارك من أبينا اللابس الروح، أما الشيوخ فلم يكونوا يطيقون هذا الأمر. وكان يسير على ساحل البحر قوم من بعد قوم يصرخون بأصوات عظيمة قائلين: باركنا يارجل الله إيليا وأليشع الجديد. وعندما كان الشيوخ ينظرون إيمان الجموع، كانوا يتعجبون ويمجدون الله. وفي هذا، كان يسير في الإقلاع معهم الروح القدس الساكن في أبينا العظيم أنبا مقاره السعيد بالحقيقة حتى وصلوا إلى بيعة القديس أبادير في الساعة الأولى من الليل. فحملوا جسد أبينا القديس بأصوات محبة لله إلى دهروط الكنيسة المقدسة التي لأبينا العظيم أنبا مقاره، وأقاموا الليل بأجمعه يسبحون و يرتلون حوله بعظيم ابتهاج.

ولما كان باكر زينوه بالأطياب والسعف وحملوه في مركب، وكانوا يقلعون به إلى ساحل

---

(٧١) تتا مركز منوف وتنطق قديماً ديدا.

ترنوط حتى أن ضجيج أصواتهم ملأ البحر كله . ولما رسوا على البر وجدوا رهباناً كثيرين وكهنة قد سبقوا وجاءوا على البر حاملين الأناجيل والصلبان ومجامر البخور . وحينئذ حمل الإخوة جسد أبينا المبارك على أعناقهم وكانوا يسيروا به بفرح عظيم لا يُنطق به . ومن كثرة الجموع ارتفعت أصواتهم جداً وهم يسبحون أمامه . وكان ذلك باكر يوم الأحد المقدس . وكانت سواحل ترنوط مملوءة رجالاً ونساء نصارى ومسلمين ، وكانوا جميعهم مسرعين بغيرة مملوءة محبة للقديس ، بل محبة للإله في السجود للقديس . ولولا أنهم سبقوا وأوقفوا شباناً أقوياء بسيوف مجردة في أيديهم حول جسد أبينا الصديق ، لما كان أحد من الجموع قد ترك شيئاً من الأكفان واللفائف التي كانت عليه . وكان المسلمون أيضاً يسيرون معهم والجموع يزدحمون بعضهم مع البعض وهم كائنون في سهر وخوف .

ولما وصلوا إلى البيعة المقدسة التي لأبينا الصديق العظيم أنبا مقار فيما بين القلالي ، لم يقدروا أن يدخلوا به لوقتهم من أجل ازدحام الجمع ، بل تركوه خارجاً حتى سجد عليه كل الجمع المجتمع هناك ، ومن بعد هذا حملوه إلى داخل الكنيسة ووضعوه على كرسي . حينئذ دخل النساء والرجال وتباركوا منه ، ثم صنعوا قداساً جامعاً ورفعوا القربان المقدس وتناولوا جميعهم من جسد ودم ربنا يسوع المسيح بتهليل عظيم ، في الثامن عشر من مسرى . ولما كان في الساعة العاشرة من هذا النهار الواحد ، حملوه على جمل وابتدأوا يسيرون به في الجبل ، وكانت جموع الرهبان يسيرون أمامه . وعندما وصلوا إلى نصف الطريق ، قال أنبا خائيل لأنبا كيري : أتختار يا أبي أن نقيم ههنا كيما نستريح نحن والدواب قليلاً ؟ فقال أنبا كيري لأنبا خائيل : لا نحن ولا البهائم نستريح حتى نصل إلى الموضع الذي خاطب فيه الشاروبيم أبانا النبي هناك . وحينئذ ساروا من غير أن يعوقهم شيء البتة مترجين أنهم إذا وصلوا الموضع يريهم الله إياه بآية . وكانوا يجولون حول الجبل من هذه الجهة وهذه الجهة وعيونهم محدقة نحو جسد القديس وكأنهم من السمع ينظرونه مواجهة . ولما بلغوا رأس الصخرة فوق الجبل ، الموضع الذي كتب عنه موسى الجديد ، أعني العظيم أنبا مقاره أنه نظر أول رؤيا فيه ؛ فللوقت وقف الجمل وجذب القود من يد الجمال ورجع بوجهه بهذا الجانب وهذا الجانب ، وكان يلحس الكفن الطاهر الذي لأبينا القديس وكان يحني رأسه على الجسد كمن يسجد له . فتعجب الجمال لذلك ، ولما نظر الشيوخ هذه الآية تعجبوا وتحققوا بقلوبهم أن هذا هو الموضع الذي تكلم فيه الرب مع أبينا القديس من جهة الشاروبيم ، وحينئذ أنزلوا في ذلك الموضع وصنعوا أبصلمودية (تسبحة) عظيمة على جسد أبينا القديس بهدوء عظيم . ولما أشرق النور حملوه على جمل ونزلوا معه إلى أسفل الوادي .

وفي هذا جميعه ، كان معه جسد اللابس الجهاد الشجاع القوي القديس أنبا أندونينا شهيد ربنا يسوع المسيح .

وكانوا قد سبقوا وأرسلوا قوماً من الرهبان إلى الدير لكيما يستعد الشعب بالناقوس ، فاجتمعوا

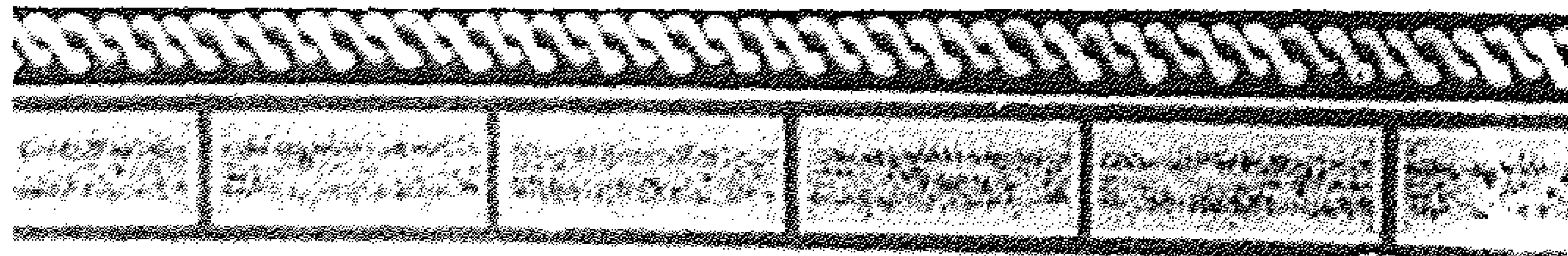
وخرجوا للقائه بكرامة عظيمة وتبجيل كثير بالقراءة والتسبيح قدامه، إلى أن أدخلوه إلى الدير ووضعوه بجانب المذبح.

وكان ذلك في زمن أبينا البطريرك أنبا يوأنس الرابع الذي استحق هذه النعمة أن يكون جسد أبينا العظيم أنبا مقاره في ديره المقدس، بعد زمان كبير؛ واتفق أن يكون جسد أنبا مقاره الإسكندراني عنده ليصيرا مثل حجر الماس بعضهما مع البعض. وبعد زمان كبير في أيام أبينا البطريرك أنبا خائيل الثالث (٨٨٠ـــ٩٠٧م.) فاجتهد أن يكون جسد أبينا أنبا مقاره القديس الأسقف معهم فاتكئوا معاً في موضع واحد، وبهذا صار الثلاثة مقارات كمثال الثالوث المقدس. وهذه نعمة الموهبة التي أنعم الله بها في دير أبينا العظيم اللابس الروح أنبا مقاره أن يشبه جبل تابور عندما أخذ مخلصنا الصالح بطرس ويعقوب ويوحنا الذين صار هؤلاء الثلاثة مقارات متشبهين بهم، فإن بطرس صار متقدم الرسل الأطهار؛ والعظيم أنبا مقاره أب الرهبان. بطرس أُعطي مفاتيح ملكوت السموات وسلطان المغفرة؛ والعظيم أنبا مقاره سمع الصوت من السماء قائلاً: قد صرت يامقاره إلهاً على الأرض. بطرس كان صياداً يصيد السمك فدعاه الرب إلى رسالة نعمته وجعله صياداً يصيد الناس ويجمعهم إلى الملكوت؛ والعظيم أنبا مقاره دعاه الرب إلى هذا الجبل المقدس وصار شبكة تجمع من كل جنس ويشدهم أجناداً للرب الصباؤوت الملك الحقيقي. يعقوب أيضاً أخو الرب الذي يدعى بالصدّيق هو الذي أصعده الرب إلى الجبل لأجل ارتفاعه في الفضيلة والطهارة والعبادة؛ وأنبا مقاره الإسكندراني هو صار صدّيقاً مثله بتقشفاته الصعبة والفضيلة والصلوات الدائمة والأعمال العجيبة. يوحنا البتول أيضاً ابن الرعد صار موسى حاداً يقطع كل بدعة بكلام إنجيله المتسامي؛ وأنبا مقاره الأسقف صار يشبهه في ذهابه إلى مجمع خلقيدونية النجس وكيف قطعه وحرم كل من فيه ... وأصعدهم معه إلى جبل عال، هذا الذي هو جبل شيهات أعلى منه الآن في الفضيلة وتجلى قدامهم وأراهم مجده وظهر له موسى وإيليا، فقال بطرس لمخلصنا: يارب، لنصنع ههنا ثلاث مظال واحد له وواحدة لموسى وواحدة لإيليا؛ فقد كمل الآن هذا على جبل شيهات في دير أبينا أنبا مقاره الذي أخذ شبه إيليا التشبيتي في الصدق، في البتولية، في الفضيلة، في العفة، في السكن في البرية، لأننا قد عرفنا يقيناً بعد ما فحصنا أن اليوم الذي أسلم فيه الصدّيق أنبا مقاره روحه بيدي الرب هو السابع والعشرين من برمهات، وهذا اليوم نفسه هو الذي أسلم فيه ملك السماء والأرض المسيح إلهنا روحه فيه برأيه في يدي أبيه، وهو أيضاً يوم الجمعة وسادس ساعة من الجمعة، اليوم الذي خلق آدم فيه ولهذا سموه الجمعة، وهو أيضاً الذي تسامح مخلصنا الصالح أن يصلب فيه. وفي ثالث ساعة منه خلق آدم، وفيها جُلد مخلصنا وجُعل إكليل الشوك على رأسه ولُطم في وجهه. وفي سادس ساعة أكل آدم من الشجرة وفيها أيضاً تسامح الله أن تصير ظلمة وهو معلق على الأرض. وفي تاسع ساعة أخرج آدم من الفردوس وفيها أيضاً رضي الله أن يسلم نفسه بيدي أبيه وفتح فيها باب الفردوس وأدخل اللص

إليه بمجد ــ وكان ذلك جميعه في السابع والعشرين من برمهات كما قد سبقنا وذكرناه . وهو اليوم الذي أسلم فيه الصديق أنبا مقاره روحه بيدي الرب ، لأن يوم وفاته وافق يوم موت الرب بالجسد . فإن أعماله كلها تشبه أعمال سيده حتى إلى موته أيضاً .

وقد وجدنا في الميمر الذي قاله أنبا يعقوب أسقف بوصير على الصديق أنبا مقاره أن اليوم الذي أقام فيه أبونا اللابس الروح الصديق أنبا مقاره الميت هو السادس والعشرون من شهر برمودة في سنة ٨٢ للشهداء .

ولهذا رأينا و يلزمنا ويجب علينا أن لا نتكاسل أن نكمل تذكاراته أعني رئيسنا والمحارب عنا أبينا أنبا مقاره العظيم اللابس الروح ، ونقتفي آثاره وتواضعه ونرسم داخلنا شكل فضائله المختلفة الأنواع كما نسمعه هو أيضاً يخاطبنا مشافهة ، مثل تيموثاوس أمام بولص قائلاً : أنتم الذين تبعتم تعليمي واقتفيتم آثاري وسرتم بشكلي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري وجميع التجارب والآلام التي صبرت عليها من الشياطين ومقدميهم الأشرار وخلصني الرب من جميعها . هكذا نحن أولاده ، فلنجاهد في الجهاد الصالح ونكمل سعينا جيداً ونحفظ إيماننا كما نقتني معه إكليل الحياة الذي يهبه الرب لمحبيه . فلهذا ينبغي لنا أن نهتم بهم ونكملهم بكل اجتهاد وكل عبادة ولاسيما تذكاره الذي نعيِّد له اليوم رئيسنا والمحارب عنا أبينا العظيم اللابس الروح أنبا مقاره ، هذا الذي تبعنا آثاره ليسهل لنا طرق الحياة وهي العبادة و يكملنا في مخافته الإلهية ، هذا يكون لنا أن نستحقه بطلبات أبينا الطوباوي اللابس الروح العظيم أنبا مقاره الذي أكملنا تذكاره الكريم اليوم كما يصنع هو أيضاً تذكارنا أمام الله الخالق بارىء الخليقة كلها ، الرحيم المتراءف ، ليتحنن علينا و ينقذنا من فخاخ المضاد و يسترنا من حيله القوية و يطهرنا من كل دنس و يوجد لنا راحة ورأفة أمام منبره المخوف . ولنستحق ملكوته العالي بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، هذا الذي إياه نسأل أن يغفر خطاياكم و يسامحكم بآثامكم ويجعلكم ممن يفوزون بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال و يسمعكم الصوت الفرح القائل : تعالوا إليَّ يامباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم بشفاعة ستنا السيدة العذراء الطاهرة مرتمريم وكافة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان إلى دهر الداهرين آمين كير ياليصون الليلو يا] أهـ .



زخرفة حائطية ملونة تجمع شكل الضفيرة مع مستطيلات من القاعة رقم ١٩ بدير باويط ترجع إلى القرن السادس/السابع

الفصل الثالث

القرن التاسع

١ ــ هيكل أنبا شنودة يُبنى على يد راهب بالدير.
٢ ــ إعادة الكنيسة الكبرى، كنيسة أنبا مقاره،
وتزيينها وإضافة هيكل جديد عليها.
٣ ــ كنيسة أنبا ساويرس.

غارة البربر سنة ٨١٧، وتوقُّف قصير في مسيرة التعمير:

ما كاد يهل القرن التاسع حتى قام البربر بهجوم شديد على وادي النطرون سنة ٨١٧م، أغاروا فيه على الأديرة فهدموا مبانيها ونهبوا محتوياتها وأحرقوا كنائسها ومنشوبياتها بالنار. أما الرهبان فنهم من هرب ومنهم من استشهد والقليل منهم من تحصن ونجا. وكان ذلك في بطريركية أنبا مرقس الثالث (٧٩٩ــ٨١٩م)(١) الذي حزن على هذه الخسارة حزناً بليغاً حتى مات!

وقد وُجد في إحدى المخطوطات الخاصة بسيرة مكسيموس ودوماديوس خبر عن هذه الغارة مؤداه هكذا: [وقد أُحضرت هذه المخطوطة من شيهيت إلى دار الضيافة بالإسكندرية في زمن تخريب الأديرة على أيدي البربر، وبقيت هنا حتى زمان بطريركية أنبا ميخائيل (الثالث) (٨٨١ــ٩٠٩) ثم أُعيدت مرة أخرى لتكون ضمن حيازة دير الإناتون (التاسع) على يد الراهب الشماس يوستاثيوس](٢).

الله يُبقي للدير بقية ويقيم من الرهبان عموداً مضيئاً:

وكان بين رهبان دير أنبا مقار الذين نجوا من المذابح راهب تقي نشيط إسمه يعقوب اشتهر بأعماله الصالحة، هذا انحدر إلى الصعيد وعاش هناك فترة في دير مهجور(٣) إلى أن دعته السيدة العذراء في الرؤيا للعودة إلى ديره وتعميره وأخبرته أنه سيكون أباً لشعب كثير. فقام للحال وأتى إلى دير أنبا مقار، وهناك ظهر له القديس أنبا مقار نفسه وعزّاه وفرّح قلبه وشجعه وأنبأه أن عمارة

(1) Hist. of Patr., pp. 552 f.
(2) See: Cauwenburgh, Etude sur Les moines d'Egypte, p. 71, Note 4.
(3) Abu Salih., Churches & Monast., Evett., fol. 806.

الـدير ستكون على يديه وأن رهباناً كثيرين سيعودون وكثيرين سيأتون و يتتلمذون له(٤). وصار فـعـلاً يـاكـوبـوس أب رهـبان دير أنبا مقار. وقد بدأ بعمارة الدير وكان يعمل بيديه كعادته طول حياته. وقد ظهرت له رؤيا وأُعلم أن البطريرك سينتقل في ظرف سنة.

وما أن تـنـيح أنبا مرقس الثاني البطريرك الـ٤٩ حتى انتخب الشعب الراهب يعقوب ليكون باباهم الـ٥٠. وقد حاول كثيراً أن يتخلى عن هذا المنصب ولكنه سمع صوتاً يشجعه بالقبول.

هيكل للقديس أنبا شنودة:

وقـد بـدأ هـذا الـبطريرك النشيط المخلص في عمارة الدير منذ أن عاد إليه من الصعيد وهو بعد راهـب، إذ بـدأ في تـشييد هيكل (كنيسة) باسم القديس أنبا شنودة قبلي هيكل أنبا مقار، حيث بـدأ الـرهـبان يصلون فيه عوض الهياكل الأخرى التي تهدمت من الكنيسة الكبرى أي كنيسة أنبا مـقـار(٥)، و بدأ في تموين الآباء المتوحدين في كافة القلالي المنفردة بكل ما يحتاجونه لأن البربر نهبوا كل قلاليهم ولم يتركوا فيها شيئاً. وهكذا بدأ المتوحدون يعودون من كافة أماكنهم التي تفرقوا إليهـا وصـاروا كـالحـمـام الـعائد إلى أبراجه، وذلك كله تم سنة ٨٢٥م. وكان الرهبان يصلون في هيكل أنبا شنودة الذي هو قبلي هيكل أنبا بنيامين لأن هذا كان قد تهدم وصار أنقاضاً(٦).

تجديد كنيسة أنبا مقار الكبرى:

ثم أخـذ وهـو بـطـريـرك في إعـادة بـنـاء كـنيسة أنبا مقار التي كانت قد تخربت، فأعاد إليها اتـسـاعـهـا وهـيـاكلها الأولى وكرسها في أول برمودة وزينها ــ كما يقول تاريخ البطاركة ــ بكل زيـنـة، فـصـار لـه ذلـك ذكـرى طـيـبـة وللمسيح مجداً أبدياً. وقد دُعي هذا البطريرك بـ«العمود المضيء» (٧).

و يقول المؤرخ الأمير عمر طوسون في كتابه «وادي النطرون»، صفحة ٤٢:
«و يـظـهـر أن بـريـة شيهيـت كانت في هذا العهد كفردوس الرب، فكانت عزيزة في قلب البطريرك أكثر مما كانت عند الرهبان أنفسهم».

العمارة تبلغ أوج نشاطها، زراعة بستان وتربية مواشي:

وقـد خلف أنبا يعقوب، سنة ٨٣٠، في البطريركية أنبا سيمون الذي لم يكمل إلا شهوراً قليلة وخـلـفـه أنبا يوساب البطريرك المشهور، الـ٥٢ (٨٣١ــ٨٤٩). وقد كان راهباً قيّماً على دير أنبا

(4) Hist. of Patr., p. 556.
(5) Hist. of Patr., pp. 566 f.
(6) Hist. of Patr., pp. 573 f.
(7) A.A.C.M. (Ev. White, I), II, i, ch. 3.

مـقـار، وكـان عـالماً مسالماً ومصلحاً كبيراً محباً للأديرة، و يقال أنه نال قسطاً كبيراً من التعليم في قـلاية البطر يرك بالاسكندر ية وأتقن اليونانية، وأنبا مرقس البطر يرك هو الذي شجعه وأرسله إلى ديـر أنـبـا مـقـار لـيترهب هناك عندما كان بولس قمصاً على شيهيت(٨). وقد شجع عمارة دير أنبا مـقـار. وقـد مـنَّ الله على هـذا الـديـر بـعـد اسـحـق بـراهـب آخـر مخلص غيور يدعى شنوده كان «إيـكـونـومـوسـاً» على ديـر أنـبا مقار ــ وكان من البتانون (منوفية) ــ أوقف حياته وصلواته على عـمـارة الـديـر ورعـاية الرهبان، فكان أباً ومرشداً لكافة المتوحدين الذين تكاثر عددهم في أيامه. و يقول عنه كاتب تار يخ البطاركة كلاماً عجيباً:

[أقام المباني الفخمة تمجيداً لاسم أنبا مقار. و بنى الصوامع (القلالي والمنشوبيات)، واعتنى بـتـربـيـة المواشي بالدير، وأنشأ بستاناً وزرع كروماً و بنى مطاحن للقمح ومعاصر للزيت، وأدّى للدير خدمات جليلة لا تحصى](٩).

كما اهتم هـذا الأب المـبـارك بآبـار للـديـر وأعـاد حـفـرهـا واكـتشف ينابيع أخرى وهي التي ساعدت على إقامة الزراعات الجديدة.

و يصف كاتب سير البطاركة الدير أيام هذا الأقنوم المبارك هكذا:

[وكـان في زمـان هذا الأب داخل الدير عدد كبير من الرهبان ليس فقط من الأرثوذكس بل ومـن الـعـقـائـد الأخـرى بسبب المعجزات والعجائب التي كان يظهرها الله في هذا الدير، هذا هو الإيكونوموس شنوده الذي كان يطلب في كل أعماله وجهاده العوض من الله فقط].

كنيسة الآباء التلاميذ:

ومـن الـنـاحـيـة الأخـرى يسجل كتاب تار يخ البطاركة لهذا الأب أيضاً بناء كنيسة جديدة بحري كنيسة أنبا مقار الكبيرة وسماها كنيسة «الآباء التلاميذ» يصفها الكتاب بقوله: [عظيمة الاتساع جميلة البناء]. ولما فرغ من بنائها قام هذا القديس الراهب شنوده مع وفد من أبنائه وطلبوا من البابا أنبا يوساب الحضور لتكريسها، فقام معهم وكرسها سنة ٨٤٧م(١٠)، وذلك في أول يوم من شهر برمودة وفي السنة السابعة عشر لبطر يركيته، و بارك كثيراً على ولده شنوده هذا.

وهـنـا يجـدر بـنـا الإشارة إلى أن المؤرخين حينما يقولون أنه بنيت كنيسة قبلي أو بحري الكنيسة الـكـبـرى (كـنـيسة أنبا مقار)، فإن ذلك لا يعني بناء كنيسة منفصلة وإنما بناء هيكل جديد ذي صـحـن جـديـد يـضـاف لـلـكـنـيـسـة، الهيكل بجوار الهيكل مع عمل فتحات جديدة بين الإثنين. والـصـحـن يـضـاف على الـصـحـن مع عمل فتحات أو هدم الحائط وإقامة أعمدة جديدة أو قوائم

(8) Ev. White, II, 300.

(9) Hist. of Patr., pp. 652 f.

(10) Ev. White, II, 301; A.A.C.M., II, 1, ch. 3.

جديدة حتى يصبح الصحن واحداً للكنيسة كلها.

والرسم التوضيحي في صفحة ٥٠٧ يبين مراحل بناء الأربعة هياكل بصحونها حيث تبدو كنيسة أنبا مقار وكأنها أربعة كنائس ملتحمة، ولذلك كانت تدعى بحق «الكنيسة الكبرى»، وفي منتصف القرن التاسع كان لكنيسة أنبا مقار ثلاثة هياكل وثلاثة أصحن فقط: هيكل أنبا بنيامين الذي أعاد بناءه أنبا يعقوب البطريرك، وقبليه هيكل أنبا شنودة، وبحريه هيكل الآباء التلاميذ.

ويذكر لنا تاريخ البطاركة بناء كنيسة جديدة على الصخرة سنة ٨٣٥. ويُظن أنها شرقي كنيسة أنبا مقار على مرتفع متاخم لها، فهي ليست من ضمن مجموعة هياكل كنيسة أنبا مقار، وذلك في أيام بطريركية أنبا يوساب. ويُعتقد أن الذي قام ببنائها هو نفس الراهب القس أنبا شنودة أب رهبان أنبا مقار في ذلك الوقت. ولا يذكر تاريخ البطاركة أي شيء آخر بخصوص هذه الكنيسة.

دفن أول بطريرك في دير أنبا مقار:

من الأمور التي وطدت الصلة بين دير أنبا مقار وكرسي البطريركية ابتداء عادة دفن البطاركة في الدير، وكان أول من دُفن في الدير هو أنبا خائيل الثاني الـ٥٣ الذي خلف أنبا يوساب الـ٥٢، والذي لم تدُمْ بطريركيته طويلاً (٨٥٠ــ٨٥٢)، وقد تنيح في ٢٢ برمودة ٥٦٧ للشهداء الأطهار، وجعلوا جسده داخل الكنيسة: [فلما كان في أيام الصوم توجه هذا الأب البطريرك إلى البرية المقدسة ليتم هناك عيد الفصح كعادة الآباء البطاركة. فما كان بعد العيد إلا أن توجع قليلاً، فدعاه السيد المسيح إليه وتنيح في ٢٢ برمودة ٥٦٧ للشهداء الأطهار، وتم فيه قول المزمور «شهوة قلبه أعطيته ولم تمنع عنه إرادة شفتيه». وجعلوا جسده في بيعة القديس أبو مقار](١١).

وإذ تنبه البطاركة إلى هذه العادة بدأوا ينقلون حتى أجساد البطاركة السابقين الذين تنيحوا لكي تُدفن بالدير. والمعروف أنه يوجد حالياً بالدير أجساد الباباوات: خائيل الثاني (٥٢) وخائيل الثالث (٥٦) وغبريال الأول (٥٧) وقسما الثالث (٥٨) ومكاريوس الأول (٥٩) وخرستوذولوس (٦٦) وكيرلس الثاني (٦٧) ويؤنس الخامس (٧٢) ومرقص الثالث (٧٣) ويؤنس الخامس عشر (٩٩).

---

(١١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ٢، جزء ١، ص ٢.

أعجوبة أيقونة تسيل منها الدماء:

و يذكر لنا تاريخ البطاركة في سيرة أنبا قزمان البطريرك الـ٥٤ (٨٥١—٨٥٨): [أنه في سنة ٨٥٣ ظهرت أعجوبة، إذ وُجدت أيقونة المخلص في كنيسة القديس ساو يرس التي فوق الصخرة تسيل منها الدماء من جنب المخلص، وقد رأى جميع الرهبان هذه الأعجوبة وأخذوا من الدم ودهنوا به مرضى فشُفوا، وقد أراد الرب بهذه العلامة أن يتقوى المؤمنون وقت الشدة، و يكثروا الرجاء بدمه وصليبه. وقد ظهرت في هذه السنة أيضاً في دير أنبا مقار عجائب كثيرة حتى أن جميع الصور (الأيقونات) كانت عيونها تفيض دموعاً لأن كثيرين تركوا دينهم وأخفوا صليبهم، فكانت هذه العجائب تصبرهم وتثبتهم](١٢). كما أن كثيرين اعتقدوا أن أمراً جللاً وشيك الوقوع، وفعلاً دخلت الأديرة في ضيقات كثيرة سواء من جهة فرض ضرائب على الرهبان أو غارة النومادين التي حدثت سنة ٨٦٦.

أسوار حصينة وأبراج مرتفعة لأول مرة في البرية:

اختير الراهب القس شنوده أب رهبان دير أنبا مقار وإيغومانس شيهيت والمعماري النشط ليكون البطريرك الـ٥٥ (٨٥٩—٨٨٠). و يذكر عنه أنهم قيدوه وأحضروه وهو في القيد لرسامته: [اسمعوا الآن ياأحبائي ما فعله هذا الأب البطرك أنبا شنوده عند جلوسه على الكرسي المرقسي: كان كلامه بشبه تواضعه، وكانت دموعه يسكبها قدام كل أحد، وإذا ما عزوه كان يرد قائلاً مخاطباً الله: ما هي الخطية التي صنعتها الكنيسة يارب ولماذا غضبت عليها حتى قدمت عليها إنساناً خاطياً مرذولاً مثلي؟ هل لكي تفضحها بواسطتي؟ وكان يقول كلاماً أكثر من هذا ولا يكف عن البكاء ولم يقدر أحد أن يعزيه، ولم يكن يعول على إنسان ولا على شيء بل على اسم المخلص متوكلاً عليه كطفل عيناه نحو أمه كل ساعة. فكان في جلوسه نعمة وهيبة واسم المسيح في فمه على الدوام](١٣).

فكان ذلك إشارة إلى عمل جديد سيتم في الدير، ولو أنه تم في أسوأ الظروف، إذ أغار البربر في أول يوم من برمودة سنة ٥٨٢ ش، ٨٦٦م على البرية ونهبوا أمتعتها وأثاثاتها ومخازنها. ولما علموا بوصول البطريرك أنبا شنوده والزائرين الذين معه أغاروا مرة أخرى وأحدقوا بالدير استعداداً لأعمال السلب والنهب والذبح، وقد أبدى هذا البطريرك شجاعة نادرة إذ خرج من الدير وحده رغم توسلات الرهبان والزوار ليواجه تهديداتهم، وطلب منهم أن يقتلوه فاحتشم البدو من مهابته وشجاعته وارتدوا عن الدير.

ولكن كانت هذه الحادثة كفيلة أن تقوي عزيمة البطريرك للقيام بعمل أسوار عالية حول

(١٢) نفس المرجع، ص٩.

(١٣) نفس المرجع، ص١٥ و١٦.

الكنيسة الكبرى ـــ أي كنيسة أنبا مقارــ لتكون كهفاً حصيناً « بعد السيد المسيح » يلتجىء إليه الرهبان وقت الغارة. و يقول في ذلك كتاب تاريخ البطاركة:

[وقد أبدى هذا البطريرك عناية فائقة بالبرية المقدسة، فأقام في كنيسة القديس مقار نصباً عظيماً إذ صمم على بناء سور عظيم حول الكنيسة الكبرى نظراً لما يتعرض له الرهبان والكنائس، حتى صار بمثابة كهف وحصن بعد السيد المسيح الذي لا يقاوَم، وقد جمع الأحجار **وأسرع بالعمل** حتى انتهى بأبراجه وأقام بداخله مساكن وأمكنة للنوم في أقصر وقت إذ كان يعمل بيديه مع العمال كواحد منهم. وكان قد تعود على العمل عندما كان مدبراً بالدير المقدس واستمر في ذلك حتى انتهى من السور] (١٤).

ولكن الملاحظ أن هذا العصر أصيب فيه الرهبان بفتور روحي، فلم يكن يعتني الرهبان بدراسة الكتاب المقدس واكتفوا بتلاوة المزامير مع شغل اليد، فتقهقرت روحياتهم وضعف نسكهم. وقد لاحظ ذلك أحد الزائرين الذين زاروا الدير في ذلك الزمان سنة ٨٢٩ وهو البطريرك ديونيسيوس بطريرك أنطاكية للسريان، أثناء بطريركية أنبا يوساب الأول (١٥).

وهكذا نجد أن هناك علاقة وثيقة بين التهافت على المناصب الكنسية و بين الانسحاب من قهر النفس بالنسك والصلاة ودراسة الكتاب المقدس. كما أن هذه العلاقة نفسها ثابتة بين الركون إلى الراحة والأمان داخل الأسوار و بين إهمال النسك عامة بما فيه دراسة الكتاب. فالرهبنة الحقيقية لا يمكن أن تقوم مع تأمين النفس وأُنس الجماعات.

المتوحدون يقاومون إغراء الأسوار العالية:

و ينبغي أن نعلم أن الأسوار الحالية لدير أنبا مقار هي صورة مكبرة للسور الذي قام به البطريرك شنوده الذي بناه أصلاً لا ليكون ديراً يحبس فيه الرهبان مدى الحياة بل ليكون ملجأ للهاربين من غارات البربر في وقت الشدة فقط، وقد أقامه كما يقول كاتب تاريخ البطاركة حول الكنيسة الجامعة (الكبيرة) مع غرف نوم مؤقتة لا تصلح أن تكون للإقامة الدائمة، وكانت مساحة الدير في ذلك الوقت ضعف مساحته فيما بعد وحتى عام ١٩٧١ بعد تقهقر السور الشرقي والسور البحري.

وقد ظل رهبان دير أنبا مقار بصفة خصوصية يعيشون حياة التوحد خارج هذه الأسوار بعد بنائها، في قلالي ومنشوبيات وأديرة صغيرة متفرقة بلغ عددها حوالي ٤٠ ديراً مع آلاف المغائر(١٦)، وذلك حتى منتصف القرن الرابع عشر حينما قل عددهم جداً بسبب و باء الطاعون

(14) Hist. of Patr., Ms. cit., pp. 39-40.

(15) Ibid.

(16) Ev. White, II, pp. 395, 400.

الذي انتشر وقتئذ وحصد منهم المئات مما جعلهم يأوون داخل الأسوار عن ضعف.

والمعروف أن عدد المتوحدين في القرن التاسع بلغ في دير أنبا مقار ألف راهب، أما في القرن الحادي عشر فكان حوالي ٧٠٠ ناسك. وظل هذا العدد يتناقص حتى منتصف القرن الرابع عشر حينما اضطرتهم الظروف إلى الإلتجاء للأسوار للإحتماء داخلها حينما بلغ عددهم أربعة رهبان!

أما بقية الأديرة بوجه عام، فالتوحد انتهى منها منذ القرن التاسع؛ ودخل مفهوم الدير في معنى الأسوار العالية التي تحتم حياة الشركة داخلها(١٧).

رهبان أنبا مقار في مركز المحكّمين:

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى حادثة نستوضح بها مكانة دير أنبا مقار ومكانة شيوخه الأجلاء الأطهار في هذه الحقبة الزمنية ــ أي أيام الأب البطريرك أنبا شنوده. يقص علينا كتاب تاريخ البطاركة قصة أساقفة إقليم البلينا وما صار منهم من جهة سقوطهم في هرطقة تقول أن المسيح مات بلاهوته وناسوته، وكيفية رجوعهم بواسطة تعاليم البطريرك شنوده هكذا:

[وكتبوا يعترفون بضلالتهم و يسألون الصفح عنهم وأنهم يؤمنون بالإيمان الصحيح، ثم أن الأساقفة الذين في تلك المواضع حضروا إلى الأب البطريرك وسجدوا له على الأرض قائلين له: قد أضأت نفوسنا من السقم بتعاليمك المحيية ولم تتركنا وشعبنا لنبقى في الضلالة. فعمل الأب البطريرك أنبا شنوده عملاً حسناً لكي يكون تأديباً للأساقفة وغيرهم وكل من يحيد عن الأمانة، أن جعل هؤلاء الأساقفة الصعيديين قاموا في وسط جماعة الآباء الرهبان القديسين في بيعة القديس أنبا مقار يوم أحد الفصح المقدس وصنعوا مطانية للجماعة وسألوهم وتوسلوا إليهم أن يصلوا عنهم و يستغفروا لهم، فصلوا عليهم و باركوا عليهم وفرحوا برجوعهم عن الأمانة الردية التي كان الشيطان قد زرعها في قلوبهم](١٨).

ضريبة على الرهبان وعلى البردي والنخيل:

كذلك يوجد في سيرة هذا الأب البطريرك أن في أيامه فرض الوالي (أحمد بن محمد المدبر) الجزية والخراج على الرهبان وعلى البردي الذي بالبهلس (البحيرة) وعلى شجر النخيل والأشجار المثمرة التي بالأديرة.

زيارة خمارويه بن طولون (سنة ٨٨٤م) للدير؛ أنبا مقار يثبت وجوده:

وذلك في بطريركية أنبا خائيل الثالث (٨٨٠ــ٩٠٧م) و يقص هذا الخبر كتاب تاريخ

(17) Ev. White, II, pp. 333, 363.

(١٨) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص٢١.

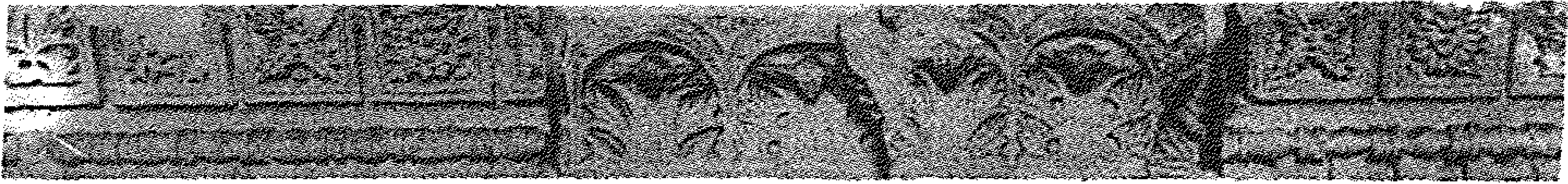
البطاركة هكذا:

[وسمع خمارو ية تقار ير عن وادي «هبيب» ، فقام برحلة إلى ذلك المكان ودخل كنيسة القديس مقار ورأى جسده المقدس وسأل عنه فقيل له أنه مؤسس هذه الكنيسة ، فأمر بأن يُرفع الغطاء و يُنزع عنه الكفن؛ وأمسك بشعر لحيته . وإذا بالقديس يفتح عينيه فارتج على الأمير ووقع على ظهره وظل مغشياً عليه مدة ساعة . فحملوه إلى خيمته وأخذوا ز يتاً من قنديل القديس ومسحوه على جبهته](١٩) . وكانت هذه الز يارة هي أولى الز يارات التي قام بها الملوك والخلفاء المسلمون للأديرة بوادي النطرون .

الشهيد تادرس المشرقي يثبت وجوده أيضاً:

و بعد ذلك حدثت له معجزة أخرى في نفس الكنيسة ، إذ بينما هو يمر من باب الكنيسة البحري بجانب الأسكنا (الخورس الأول) رأى صورة الشهيد ثيئوذورس ، وكان في يد الأمير حزمة ريحان زكية الرائحة ، فقذف بها إلى الأيقونة قائلاً: خذ هذا أيها الفارس الشجاع! وإذ بيد القديس تمتد من الأيقونة وتمسك بالحزمة وظلت معلقة في اليد والجميع يتأملون المنظر، فخاف خمارو ية خوفاً شديداً، وأمر بأن توضع علامة على الأيقونة بحيث تظل ظاهرة فيها دائماً فرسموا صليباً آخر في يد القديس ومازال هذا الصليب في يد القديس إلى يوم كتابة الناسخ لسيرة أنبا خائيل(١٩).

ومن هذه القصة يستدل أن كنيسة أنبا مقار كانت في أوج ز ينتها وأيقوناتها تملأ الجدران. وأن بستانها كان يزرع فيه الريحان . وأنه كان على جسد القديس قنديل مضاء بصفة مستمرة .



كورنيش من الحجر المنحوت مصمم ليوضع فوق تيجان صف من الأعمدة
[من دير باو يط (ق ٧)ـ معروضة بمتحف اللوفرـ بار يس]

(19) Hist. of Patr., pp. 64, 65.

الفصل الرابع

القرن العاشـــر

١ ــ بيع الأماكن المقدسة بدير أنبا مقار.
٢ ــ بيع قطعان جمال دير أنبا مقار سداداً لديون البطر يرك.
٣ ــ بطر يرك ينزح مراحيض دير أنبا مقار.
٤ ــ بدء تكميل طقوس رسامة البطر يرك في دير أنبا مقار.
٥ ــ بطر يرك يهب كل أمواله لعمارة الأديرة.
٦ ــ علماني تقي يهب ألفين من الدينارات لدير أنبا مقار.

بيع الأماكن المقدسة:

كانت هذه القرون الأربعة: العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر قروناً سلامية، كانت عمارة الدير فيها دائمة، ولكن لا يسجل المؤرخون عنها شيئاً يُذكر.

فالقرن العاشر يبدأ بالبطرْ يرك خائيل الثالث (٨٨٠ــ٩٠٧م) الذي من دير أنبا مقار الذي خلف أنبا شنودة البطر يرك الـ٥٥.

و بالرغم من أن أيامه كانت هادئة نوعاً ما، إلا أنه إزاء الوشايات التي قُدمت ضده فُرض عليه من عند الوالي أحمد بن طولون ما قيمته الآن «خمسون ألف دولار!!» فاضطر البابا لبيع الأماكن المقدسة كما يقول تاريخ البطاركة:

[ذهب البطر يرك إلى وادي هبيب وهناك باع الرمارم، وهي موضع وقوف الرهبان في الكنيسة للصلاة؟ وأخذ من كل راهب ديناراً ثمناً للمكان الذي يقف فيه](١).

و يذكر المؤرخ أبو صالح الأرمني في كتابه «الكنائس والديارات» أنه باع أيضاً كنيسة قصر الشمع لليهود وكانت باسم الملاك ميخائيل وما زالت في أيديهم، وكذلك باع قطعان الجمال التي كان يملكها دير أنبا مقار(٢).

بطر يرك ينزح المراحيض إخضاعاً لنفسه:

وقد خلف أنبا خائيل الثالث راهب من دير أنبا مقار يدعى غبر يال، تربى في قلاية تدعى

(1) Hist. of Patr., p. 62.

(2) Abu Salih., Churches & Monast., fol. 44 a.
Butler, Ancient Copt. Ch. I, pp. 169, 232.

قلاية السرياني (التي عاش فيها يوحنا كاما)، وهي أصلاً قلاية القديس تيروتي (أو دوروثيئوس)، وكان وديعاً متضعاً تربى على يدي شيخ وقوريدعى الراهب مكسيموس. و يقص عنه تاريخ البطاركة أنه عندما صار البطريرك الـ٥٧ (٩٠٩ــ٩٢٠م) وجد أن الشهوات ما زالت تقلقه، فاستشار مجمعاً من الشيوخ الرهبان وكان من ضمنهم أبوه الروحي مكسيموس وقديس آخر اسمه دوروثيئوس، فأشاروا عليه بالعمل الجسدي والإتضاع كعلاج. فكان بعد أن ينتهي من صلاة نصف الليل يلبس القصارية (قميص قصير الأكمام ينزل فوق الركبة) و يدور حول القلالي (وهي الأديرة الصغيرة خارج الدير) والمنشوبيات، ينزح المراحيض. وثابر على هذا العمل مدة سنتين حتى استراح (٣).

و يقول تاريخ البطاركة: [و يذكر عن هذا الرجل القديس أنه أمضى جميع أيام بطريركيته في وادي هبيب لا يغادرها إلا إذا دعت الضرورة. وقد رقد في الرب في ١١ أمشير ودُفن في الدير أي دير أنبا مقار] (٤).

ربيتة أنبا مقاريقرأ على رأس البطريرك التحليل:

وقد تعاقب بعد أنبا غبريال البطاركة قزمان الثالث (٩٢٠ــ٩٣٢م) وهو من دير أنبا مقار، ومكاريوس الأول (٩٣٢ــ٩٥٢م). ولا يُذكر شيء في أيامهما فيما يخص دير أنبا مقار سوى أن مكاريوس الأول تمم رسامته التي أجريت في الإسكندرية بطقس رسامة أخرى في دير أنبا مقار، تتلخص في أن ربيتة أنبا مقاريقرأ على رأسه التحليل ثم يصرح له بدخول هيكل بنيامين لرفع القربان. وفي هذا الطقس يظهر مركز دير أنبا مقار بالنسبة للكرسي البطريركي. ومكاريوس الأول هو البطريرك الذي وبخته أمه على فرحه بكونه صار بطريركاً (٥).

بطريرك كان سائحاً:

وكذلك تعاقب بعد مكاريوس البطاركة ثيوفانيوس (٩٥٢ــ٩٥٦م)، ومينا الثاني (٩٥٦ــ٩٧٤م).

ولا يذكر عن هذين البطريركين شيء سوى أن مينا الثاني تربى في دير أنبا مقار في قلاية تدعى دير نبا أو دنهبا مع شيخ قديس كان رئيس القلاية، علّمه مخافة الرب حتى صار في رتبة السياحة(٦). وقد حدثت في أيامه مجاعة كبيرة، وسطا المغاربة على الوجه البحري ونهبوه وحاولوا

---

(3) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 331.
(4) Hist. of Patr., p. 67.
(5) Hist. of Patr., M.S. cit. p. 69.
(6) Hist. of Patr., M.S. cit. p. 71.
Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 351.

اقتحام الأديرة ولكنهم ارتدوا عنها(٧).

بطريرك يهب أمواله للدير ويطلب بركات المتوحدين:

وقد خلف مينا في البطريركية أبرآم بن زرعة السرياني (٩٧٧ــ٩٨١) وكان سابقاً علمانياً. وأول عمل قام به بعد الرسامة هو زيارة دير أنبا مقار، وطاف بالمغارات طالباً بركات المتوحدين. **وقد وهب كل أمواله للفقراء ولعمارة الأديرة**(٨)، وقد اقتدى به رجل علماني اسمه الشيخ أبو اليمن قزمان، فوهب لدير أنبا مقار ألفي دينار ورجا الرهبان أن يذكروه في صلواتهم(٩).

وخلف أبرآم بن زرعة في البطريركية فيلوثيئوس وكان راهباً من دير أنبا مقار تلميذاً للشيخ يوحنا رئيس قلاية ذاكر كفرا (٩٧٩ــ١٠٠٣م). وكان مهتماً بالأكل والشرب وصرف الأموال على نفسه وأقاربه. وقد رسم دانيال أحد رهبان دير أنبا مقار مطراناً على الحبشة(١٠). وكان في أيامه راهب فاضل قديس بدير أنبا مقار مشهور بالتقوى يدعى أنبا بافنوتيوس عاش ٣٥ سنة في التوحد والنسك، هذا رسموه أسقفاً فقضى ٣٢ سنة في خدمة رعيته بنفس التقوى والنسك اللذين كان يعيشهما في التوحد(١١).

ذكرى عاطرة لمؤرخنا العملاق ساويرس بن المقفع:

ومن مآثر القرن العاشر ظهور العالم الكنسي واللاهوتي البارع والمؤرخ المشهور أنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) مركز ملوي ــ محافظة المنيا (حالياً).

والمعتقد أن الذي رسمه أسقفاً هو أنبا مكاريوس الأول الـ٥٩ (٩٣٢ــ٩٥٢م) وقد عاش ثمانين سنة ألّف فيها ما يزيد عن ٢٦ كتاباً في كافة علوم البيعة، أشهرها وآخرها هو كتاب تاريخ البطاركة الذي جعلناه معتمدنا في كتابة هذه الحوادث.

وقد عاصر خمسة بطاركة: مكاريوس الأول، وثيئوفانيوس، ومينا الثاني، وأبرآم بن زرعة، وفيلوثيئوس.

---

(٧) الخطط، للمقريزي، جزء أول ص٣٢٩.

(8) Life of Abrah. ed. Leroy in R.O.C. XIV, p. 381.
(9) Abu Salih, op. cit., fol. 36a.
(10) Hist. of Patr., p. 96.
(10) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 381 f.
(11) Synax. Basset, Bashans, 11, pp. 1015 f.

الفصل الخامس

القرن الحادي عشر

١ ــ بناء هيكل جديد باسم أنبا مقار تكلف ٣٠٠٠ دينار.
٢ ــ كنيسة أنبا نوفر.
٣ ــ وصول رأس مارمرقس إلى دير أنبا مقار وبناء هيكل جديد لها.
٤ ــ غارة اللواتيين على الأديرة.

دير أنبا مقار ينجو من التخريب ويصير ملجأ للأساقفة والبطريرك ٩ سنوات:

وبعد أنبا فيلوثيئوس، جلس على كرسي البطريركية أنبا زخارياس(١) (١٠٠٤ــ١٠٣٢). وهو رجل قديس صانع معجزات ومن دير أنبا مقار. وقد عانى هذا الأب على يد الحاكم بأمر الله كثيراً من الإضطهادات والحبس. ورماه مرة في جب الأسود، وكان ذلك بوشاية الراهب يونس الذي من منشوبية أبا نوفر بحري كنيسة أنبا مقار الذي كان يشتهي الأسقفية. وقد هُدمت في أيامه كنائس لا حصر لها وأديرة كثيرة بالريف وخصوصاً أديرة الفيوم، ولكن أديرة وادي النطرون نجت جميعها. وكانت الكنائس مقفرة ولا يسمح في كل مصر بإقامة القربان الطاهر مدة ٩ سنوات، كانت كلها ضيق وأهوال وخراب وعذاب وقتل وخوف. وفجأة تغير موقف الحاكم بأمر الله وأعاد الأمان للمسيحيين وصرح لهم بعمارة الكنائس والأديرة التي تهدمت. ويذكر رينودت أن هذا الهدوء حدث سنة ١٠٢١م(٢). وهذا من الأمور التي يندهش لها العقل، إذ كيف ينقلب هذا الحاكم بأمر الله من ذئب مفترس إلى حمل وديع. ويقول الأمير عمر طوسون في كتابه عن وادي النطرون نقلاً عن المؤرخ كاترمير أنه عين حراساً بأجر يحرسون أديرة وادي هبيب. والأعجب من هذا كله أن هذا الحاكم بأمر الله ترهب بوادي النطرون وأمضى بقية أيام حياته هناك. ويقول المؤرخ ابن العبري في تاريخ السريان: [وكثيرون يعتقدون أنه رحل إلى الصحراء بالإسقيط (شيهيت) وصار راهباً وأنهى حياته هناك، وأنا نفسي عندما كنت في دمشق سمعت من بعض الكهنة المصريين أنه حينما اضطهد الحاكم المسيحيين

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١١٦.

(2) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 394.

ظهر له المسيح كما ظهر لبولس فقبل الإيمان والتجأ إلى الصحراء ومات هناك](٣).

وقد لجأ بعد ذلك أنبا زخاريا ياس إلى دير أنبا مقار ومعه أساقفة كثيرون للصلاة والشكر وإقامة القرابين التي كانت تشتهيها الناس في تلك الأيام شهوة: [وكانوا يشتهون القربان في ذلك الزمان كما يشتهي الطفل الرضيع لبن أمه](٤). [وهذه التسع السنين التي كان فيها الأدب من الرب منها ثلاث سنين لم يقدر أحد أن يعمل فيها ظورون (ذورون = أي قربان) إلا في الديارات فقط]. وتوجد مخطوطة محفوظة الآن بالفاتيكان جاء فيها وصف مؤثر لهذه الأيام هكذا: [وأنا أتيت بنعمة الله إلى هذا الدير المقدس في هذا الزمان المملوء بالمحن عندما تخربت أديرة الفيوم وكل الكنائس على يد الحاكم بأمر الله، وهذا كله ياآبائي القديسين حل علينا بسبب خطايانا، وقد أتيت إلى دير أنبا مقار لأجل التناول من جسد الرب ودمه لأشترك فيه لأنه لا يتوفر لنا الإجتماع بأمان في أي مكان إلا في هذا المكان المقدس الذي لأبينا أنبا مقار](٥). وقد ذكر الكاتب اسمه: «يوسف بن مكار يوس» والسنة التي كتب فيها «٧٣٠ لدقلديانوس» أي سنة ١٠١٤م.

ومكث أنبا زخاريا ياس في الدير مدة ٩ سنوات متوالية.

و يقص كتاب تاريخ البطاركة قصة عجيبة عن هذا الأب البطريرك زخاريا ياس مؤداها أن واحداً من رعيته إنساناً بسيط الحال أخطأ خطية وخان عهد زوجته فتبرص جسده كله، فلما ذهب إلى البطريرك واعترف له، وضع عليه الأب أربعين يوماً صوماً كاملاً بالخبز اليابس والملح مع الحبس والصلاة. وفي نهاية القصة تبين أن الأب البطريرك وضع على نفسه هذا القانون عينه، إذ صام مع الرجل بنفس القدر الذي وضعه على الخاطىء وكان يصلي عليه حتى شفي تماماً، وخاطبه قائلاً: «حي هو اسم المسيح أني ما تغذيت في هذه الأربعين يوماً إلا بمثل ما غذيتك به ولا كنت أفطر إلا في وقت إفطارك، ثم باركه عليه وأمره بالإنصراف»(٦).

وقد حدث في هذه الأيام حادث ذو علاقة كبيرة بعمارة دير أنبا مقار(٧)، إذ يقص علينا تاريخ البطاركة أن أحد الأساقفة و يدعى اسمه «مكار يوس» أسقف منوف العلا وكان كاتباً للسينودس (سكرتير المجمع المقدس)، كان له أخ اسمه «مينا» أسقفاً على «طانا»، ترك مالاً كثيراً عند نياحته لأخيه حوالي عشرة آلاف دينار، فأخذها أخوه واتجه إلى دير أنبا مقار وأنفق منها

(3) Chron. Syr., ed. Bruns, p. 226, Ev. White, II, p. 346.

(٤) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٣٣.

(5) Cod. Vatican., Copt., No. LXVIII, after Quatermère, p. 249 f.

(٦) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٥٠.

(٧) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١١٨ و١١٩.

على بناء هيكل جديد لأنبا مقار ــ قبلي هيكل أنبا بنيامين ــ كرزه في أول كيهك وزينه بكل زينة: وقد كلفه ٣٠٠٠ دينار. ويلاحظ هنا أن هيكل أنبا بنيامين لم يكن أصلاً إلا هيكل أنبا مقار، ولكي دعي فيا بعد «هيكل بنيامين» بسبب تكريسه على يديه فقط، فلما أطلق عليه اسم «هيكل أنبا بنيامين» وثبتت عليه هذه التسمية، أصبح من الضروري بناء هيكل آخر باسم قديس الكنيسة، أي باسم أنبا مقار.

ولما كان كل هيكل يبنى جديداً يتحتم أن يكون له خورس أول وثان أي صحن كامل، لذلك فإن ما اعتاد المؤرخون أن يقولوه بخصوص بناء هيكل جديد أو بناء كنيسة جديدة هو على حد سواء. أما التعبير عن ذلك باللغة القبطية فكان يقتصر على كلمة «اسكيني» أي «قبة أو مسكن».

ذكر كنيسة أبو نوفر (أونوفريوس) (٨):

وقد جاء عرضاً في سرد حياة أنبا زكرياس البطريرك الـ ٦٤ خبر راهب قسيس مشاكس طماع من دير أنبا مقار من الذين باعوا الحياة الرهبانية طلباً للمال والجاه وكان يتحرق شوقاً لمنصب الأسقفية، ويُقال أنه كان يسكن في القلاية (المنشوبية) التي بها كنيسة أونوفريوس، وكان قيّماً على هذه الكنيسة وهي التي تقع بحري كنيسة أنبا مقار؛ فلما طلب من البطريرك الذي كان من ديره أن يرسمه أسقفاً تحت التهديد مستغلاً شراسة الوالي وضعف البطريرك، رفض البطريرك طلبه بناء على نصيحة أنبا ميخائيل أسقف سخا (وكان ابن أخت البطريرك). فما كان من هذا الراهب ــ الذي يسميه كتاب تاريخ البطاركة: «الوعاء الذي ملأه الشيطان» ــ إلا أن ذهب وقدم شكاية كلها افتراء وكذب للوالي الحاكم بأمر الله الذي انتهز الفرصة وطالبه بأموال كثيرة. فلما اعتذر البطريرك أذاقه أنواعاً من العذاب، إذ سجنه ثلاثة أشهر ثم ألقاه في جب أسود جائعة، لكن الله نجاه.

ويستفاد من هذه القصة أن المنشوبيات المتناثرة حول دير أنبا مقار كانت عامرة حتى هذا العصر، وكان يوجد بها كنائس تؤدى فيها الخدمات الإلهية، ومنها هذه المنشوبية التي كان بها كنيسة القديس أبا نوفر السائح.

وصول رأس مار مرقس إلى دير أنبا مقار وبناء هيكل جديد لها (٩):

وفي زمن أنبا زكريا سرق أحد الضباط الأتراك رأس مار مرقس من كنيسته بالإسكندرية

---

(8) Budge, Copt. Martyrdoms, p. 205 f., 455 f.

(٩) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٣٢ وما بعده.

وذهب إلى مصر و باعها إلى أحد الأراخنة و يسمى «بقيرة الرشيدي» مقابل ٣٠٠ دينار، وسافر هذا إلى دير أنبا مقار مسرعاً وقدمها للبطر يرك هناك. و يضيف كاتب سيرة أنبا زكر يا هكذا: [وهي الآن في دير أنبا مقار]. فلو علمنا أن كاتب سيرة أنبا زكر يا هو ميخائيل أسقف تنيس الذي كتب تار يخ البطاركة حتى سنة ١٠٥١، فهذا يعني أن رأس مار مرقس كانت موجودة بالدير حتى هذا التار يخ.

ونعلم أيضاً من الحوادث الملابسة أنها كانت حتى أيام أنبا خرستوذولوس البطر يرك الـ٦٦ (١٠٤٦–١٠٧٧). وربما تكون قد خرجت من الدير سنة ١٠٥٧م(١٠)، إذ يروي تار يخ البطاركة في سيرة أنبا خرستوذولوس أنها كانت موجودة بالإسكندر ية وظلت تتنقل من بيت لبيت خوفاً من مطالبة الروم لها بواسطة الوالي وطمعاً في ثمنها(١١).

والذي يعنينا في هذا من الوجهة الهندسية أنه وُجد في كتاب تار يخ عمل الميرون في أثناء حياة أنبا غبر يال الثاني (١١٣١–١١٤٥) ذكر لهيكل مار مرقس كهيكل أساسي ورئيسي في الكنيسة الجامعة الكبرى — أي كنيسة أنبا مقار — ولو أنه ذكر عنه أنه «الهيكل الصغير أو القصير» وهو مدخل هيكل يوحنا المعمدان الآن(١٢).

إذن فوجود رأس مار مرقس في حوالي منتصف القرن الحادي عشر بدير أنبا مقار هو الذي نبه الرهبان بضرورة إقامة هيكل يتناسب ووجود هذا الأثر النفيس الطاهر. ولكن في أي عصر بالضبط وعلى أيدي مَن مِن البطاركة تم تشييد هيكل للقديس مار مرقس؟ هذا ما لا نجد له أي إشارة حتى الآن.

ولكن يرجح العالم الأثري إقلين هوايت أن بناء هذا الهيكل يلزم أن يكون قد تم في فترة وجود الرأس المقدسة بالدير، أي في زمان بطر يركية أنبا زكر يا أو شنودة الثاني على الأكثر.

ومن المعلوم أن هناك تقليداً متوارثاً لدى آباء دير أنبا مقار أن رأس مار مرقس لا يزال مدفوناً في هيكله.

---

(١٠) و يقول كترمير نقلاً عن المقر يزي أن أهل ڤينيسيا حصلوا عليها (سرقة) سنة ١٤١٩م.

(١١) تار يخ بطاركة الكنيسة المصر ية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٧٤ و١٧٥.

(١٢) وهذا الهيكل، كان معلوماً من بعض المصادر ومن التقليد المتواتر أن جسد يوحنا المعمدان وجسد أليشع النبي مدفونان تحته على مسافة قامة إنسان، وقد اكتشف رفات الجسدين فعلاً خلال الصوم الكبير عام ١٩٧٦ أثناء إجراء عمليات ترميم وتوسيع كنيسة أنبا مقار — راجع التقر ير الذي نشره الدير بعنوان: «الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي»، ١٩٧٩.

(أنظر كتاب وادي النطرون لعمر طوسون ص٢٠٨و٢٠٩).

رهبان دير أنبا مقار يحملون مسئولية انتخاب البطاركة:

منذ بداية عصر أنبا شنودة الثاني البطريرك الـ٦٥، نجد بادرة جديدة في رسامة البطاركة، إذ مع أساقفة مصر وأراخنة الإسكندرية ذُكر رهبان دير أنبا مقار:

[وبعد نياحة أنبا زكريا اجتمع الأساقفة **مع رؤساء وادي هبيب** وجلسوا يفكرون في قوم يختارونهم ليرسموا منهم واحداً. فذُكر إنسان كان قد ترهب وعمره أربع عشرة سنة اسمه «شنودة» قسيساً في اسكينا أبومقار عارفاً بالكتب المقدسة، ترهب في منشوبية دنهبة](١٣).

ويلاحظ هنا أن كاتب سيرة هذا البطريرك في كتاب تاريخ البطاركة لم يستطع أن يكتب ولا صفة روحانية واحدة سوى أنه عارف بالكتب المقدسة. ولكن ما كانت المعرفة تغني عن القداسة أو النسك، لذلك نسمع في أواخر أيام هذا البطريرك: [وقد تنيح في اليوم الثاني لهاتور سنة ٧٣٣ للشهداء وهو يشتهي الدنيا](١٤).

وهذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها رؤساء الأديرة كعنصر أساسي في انتخاب البطريرك. والمناسبات الأخرى التي ذُكر فيها اشتراك الرهبان هي كالآتي:

١ ـــ كيرلس الثاني: و يُذكر فيها رهبان دير أنبا مقار فقط.

٢ ـــ مكاريوس الثاني: و يُذكر فيها رهبان دير أنبا مقار فقط.

٣ ـــ مرقس الرابع: و يُذكر فيها الرهبان بدون تخصيص.

٤ ـــ كيرلس الثالث: و يُذكر فيها الرهبان بدون تخصيص.

وقد قام جدل كثير بين المؤرخين في معنى وسبب تدخل الرهبان في انتخاب البطريرك، وقد أجمعوا أن كلمة «رؤساء وادي هبيب» معناها «رهبان دير أنبا مقار» بالذات.

فيقول المؤرخ رينودوت أن رهبان أنبا مقار كانوا يُدعَون كخبراء للإستشارة فقط لأنهم هم وحدهم الذين لهم الخبرة في معرفة أحوال الرهبان. ومن المفيد حقاً أن يعطوا تأكيدهم بقداسة البطريرك القادم. والدليل على ذلك أن قمص شيهيت كان وحده له الحق في التوقيع على التزكية.

أما إڤلين هوايت فيؤكد أن الرهبان كان لهم الحق الجماعي في الإنتخاب، لأن في طقس الرسامة يصف جماعات الناخبين بأنهم من الأساقفة، والكهنة، والشمامسة، ثم يذكر «**والرهبان والإيغومانسيون العظام**»، ثم كل شعب الإسكندرية والدلتا، بحسب ترتيب طقس التزكية.

---

(13) Ev. White, II, p. 347.

(١٣) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٥٢.

(١٤) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٥٨.

و يعقب إقلين هوايت على توقيع قص شيهيت وحده الذي كان دائماً رئيس دير أنبا مقار، فيقول أن هذا التوقيع هو بدوره شهادة على صحة تزكية الرهبان الحاضر ين الذين بلغ عددهم في انتخاب كيرلس الثالث أر بعين راهباً.

وطبعاً يُرجع المؤرخون مسئولية رهبان أنبا مقار بنوع خصوصي في انتخاب البطر يرك في هذه الأزمنة إلى المكانة التي صارت لدير أنبا مقار كملاذ للبطاركة وقت الضيق، وقضاء فترات الصوم الكبير وأسبوع الآلام وعيد الفصح، وإلى كثرة عدد قديسيه وشيوخه، وإلى الحالة الروحية والعلمية العالية التي كانت لرهبانه في تلك الأيام، وإلى منزلة قديسه أنبا مقار والمعجزات الكثيرة التي كانت تتم فيه، وأخيراً إلى اعتباره مسئولاً عن لاهوت البيعة ومركز تكر يس ميرونها، ومكملاً لطقس رسامة البطر يرك حيث كان يقرأ الر بيتة التحليل على رأس البطر يرك قبل دخوله الهيكل لإقامة الذبيحة، ثم باعتبار دير أنبا مقار مكاناً مقدساً مختاراً للإحتفاظ بأجساد البطاركة. وقد كان للبطر يرك دائماً أبداً قلاية خاصة به تُدعى «قلاية البطر يرك» ينزل فيها عند وجوده بالدير.

عدد متوحدي دير أنبا مقار في القرن الحادي عشر:

و يذكر موهوب بن منصور الشماس المؤرخ المشهور كاتب سير الآباء البطاركة أنه توجه إلى دير أنبا مقار في زمان بطر يركية أنبا كيرلس الثاني البطر يرك الـ٦٧، وذلك في سنة ١٠٨٨م، فوجد أن عدد رهبان بر ية شيهيت كلها ٧٠٠ راهب، كان منهم في دير أنبا مقار ٤٠٠ بين متوحد وراهب(١٥).

وكان توز يعهم كالآتي:

١ ـــ دير القديس أنبا مقار	٤٠٠ راهب.
٢ ـــ دير القديس يوحنا القصير	١٦٥ راهباً.
٣ ـــ دير السر يان	٦٠ راهباً.
٤ ـــ دير بيشوي	٤٠ راهباً.
٥ ـــ دير كاما	٢٥ راهباً.
٦ ـــ دير براموس	٢٠ راهباً.
٧ ـــ مغارة أنبا موسى	٢ راهبين.

غارة اللواتيين على الأديرة، أسر البطر يرك خرستوذولوس:

كانت انذارات كثيرة قد بدأت تظهر في الأديرة سنة ١٠٦٥م، سواء على فم القديسين أو

(١٥) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٦٠.

بواسطة الأيقونات، تفيد أن هناك كارثة وشيكة الوقوع في زمن بطر يركية أنبا خرستوذولوس (١٠٤٦—١٠٧٧م)(١٦).

فقد نبع دم من أيقونة مار مينا الموجودة بالاشكِنا (الخورس الأول) بكنيسة أنبا مقار الكبرى، وشهد برؤ ية الدم الأب القديس مقاره أقنوم الدير وموهوب المؤرخ نفسه(١٧). وحدثت مجاعة عظيمة في طول البلاد وعرضها سنة ١٠٦٥م، ونسمع أثناءها عن راهب قديس صانع عجائب ومعجزات كثيرة يدعى «بسوس» كان يطعم البدو الخائر ين في الصحراء الذين كانوا يرزحون تحت عبء المجاعة.

وظهرت السيدة العذراء على هيئة نور عظيم فوق أيقونتها التي بكنيسة أنبا بقطر بالجيزة في شرق الهيكل، وثبت النور عليها طو يلاً، وشاهده جميع الشعب الحاضر في العيد، وشهد بذلك القس يؤنس رئيس دير نهيا وأسقف الجيزة أيضاً(١٨).

كما ظهرت الأيقونات في الكنائس والأديرة والأعمدة أيضاً وهي تسيل منها قطرات ماء بشبه الدموع(١٩).

[وهجم اللواتيون سنة ١٠٦٩م على صعيد مصر وانتشروا في البلاد كلها وأخذوا الأب البطر يرك أنبا خرستوذولوس من داره ونهبوا ما فيها واستولوا على أموال كثيرة جداً كانت في حوزته؛ وكان يقول لهم أنها **مال مار مرقس ومال القديس أبو مقار**، ولكنهم لم يقتنعوا بل عاقبوه وأهانوه جداً](٢٠).
ولم يتركه اللواتيون حتى أوفى ٣٠٠٠ دينار.

و وصل اللواتيون إلى وادي هبيب فنهبوا الديارات وقتلوا رهبانها وهرب من بقى منهم إلى الر يف. ولكن لم يمس هيكل أنبا بنيامين بسوء، وقد عثرنا في سيرة هذا البطر يرك خرستوذولوس على وصف إقامة التسبحة (الأبصلمودية) في منتصف الليل في الأديرة التي حبس الرهبان أنفسهم داخلها، وكيفية استيقاظ الرهبان بضرب الناقوس الخشبي(٢١).

ولكن بحلول سنة ١٠٧٣م بدأت المجاعة والمصائب تخف وطأتها، وذلك بظهور بدر الدين

(١٦) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٨٢.
(١٧) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٩٧.
(١٨) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٨٦—١٨٧.
(١٩) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٨٢و١٩٠.
(٢٠) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٨٣.
(٢١) تار يخ بطاركة كنيسة الإسكندر ية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص١٨٨—١٨٩.

الجمالي الذي قتل القواد الأتراك واسترد الإسكندرية وأخضع اللواتيين وقهر الجيوش السودانية.

ولما كان القائد بدر الدين الجمالي أرمني الجنس فقد بدأ الأرمن منذ ذلك الحين يجدون في مصر وطناً جديداً. وقد زار البلاد في هذه الآونة الكاثوليكوس اغريغوريوس الأرمني، وقام بزيارة الأديرة (وكان للأرمن دير جنوب دير أنبا مقار) التي في صحاري مصر، وهذه الزيارة كانت منتهى شهوة قلبه، وترك مصر حوالي سنة ١٠٨٨م(٢٢).

شهيد شجاع محب للمسيح، وبطريرك متواضع محب للشهداء:

[وكان من هؤلاء النصارى بمصر شاب اسمه فام بن بقورة الصواف عمره ٢٢ سنة، كان قد غير دينه فرفضه أبوه وأمه وأبعدوه. فندم وعاد إلى كنيسة الملاك ميخائيل وأقام بها، وعول على الدخول إلى دير أنبا مقار، ولكن في الطريق إلى الدير قال للرهبان: ما منفعتي إذا أنا ذهبت إلى البرية ولم أعترف بالمسيح في الموضع الذي أنكرته فيه؟... فتركهم ونزل إلى مصر وشد وسطه بزنار المسيحيين (حزام عليه صليب)، فأخذوه في الشرطة واعتقله الوالي وضيّق عليه، ولما بقى على إصراره أمر الوالي بقتله فخرجوا به وبأيديهم العصي، ولاطفه نائب الوالي ووعده بهدايا وأموال فرد عليه الشاب: ولو أعطيتني مُلك مصر لن ألتفت إليه! فرفع يده بالسيف وقال له: أنظر حد هذا السيف، فرد عليه الشاب: يامولاي إنه بجريدة أيضاً تقدر أن تقتلني، فأمر نائب الوالي بقطع رأسه.

فجثا الشاب على ركبتيه وحوّل وجهه للشرق وعصب عينيه بيديه ومد عنقه، فضُربت عنقه بحد السيف، فوقعت رأسه قائمة ووجهه ظل نحو الشرق، فحمله أبوه إلى كنيسة الملاك ميخائيل ودفنوه خارج الباب. وفي اليوم الثالث وصل الأب أنبا اخرسطوذولوس من دير الشمع إلى البيعة المذكورة فوجدهم قد دفنوه خارج باب البيعة فأنكر عليهم ذلك وقال: شهيد يُدفن خارج البيعة؟ وأمر بهدم القبر ودخل بالجسد إلى الكنيسة وكشف عنه الكفن وقبله وتبارك منه، ووجد عليه دماً طرياً كأنه نبع لساعته فأخذ منه وصلب على ملابسه، وبنى هناك مذبحاً على اسمه وكرزه ودفنه مقابله على وجه الأرض. وجسده ظل باقياً في كنيسة الملاك ميخائيل](٢٣).

أنبا خرستوذولوس يتنيح ويُدفن بدير أنبا مقار:

تنيح أنبا خرستوذولوس سنة ١٠٧٨ م في مصر ودُفن أولاً في كنيسة المعلقة، ولكن بعد مدة نقلوا جسده الطاهر إلى دير القديس أنبا مقار.

---

(22) Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, p. 151.

(٢٣) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٧٠ — ١٧١.

رسامة قس اشكِنا كنيسة أنبا مقار بطر يركاً:

وكعادة هذه الفترة الزمنية اجتمع جمع غفير من الأساقفة بعد نياحة أنبا خرستوذولوس وتوجهوا إلى دير أنبا مقار مع كهنة الإسكندرية وجماعة المصريين وأقاموا بالدير شهرين يتشاورون فيمن يصلح بطريركاً، ولما أرادوا اختيار الأب القديس الفاضل أنبا مقاره أمنوت (بواب) دير أنبا مقار هرب منهم واختفى، وأخيراً استقر رأيهم وبمشورة شاروت أرشي ذياقون دير القديس أنبا مقار على راهب شيخ وقور اسمه جرجة قس دير أنبا مقار، فأخذوه كرهاً وألبسوه ــ وهو يبكي ــ الثوب واسموه كيرلص، وكرزوه في كنيسة المعلقة وصعد إلى دير أنبا مقار في الصوم الكبير؛ ولما مسك قلة الميرون في يده في اسكنا كنيسة أنبا مقار يوم الخميس الكبير فاضت القلة على يديه وعلى المذبح حتى تعجب الحاضرون ومجدوا الله جل اسمه.

والذي يهمنا من رسامة هذا البطريرك هو أنه، كما يقول كتاب تاريخ البطاركة: [وأوقف ما يتحصل من بعض كراسي الأساقفة على دير القديس أنبا مقار، وهي كراسي أسقفيات دميرة وأبوصير بنا ودمنهور وأهناسية. وكتب في ذلك شروطاً في سنة ١٠٨٦م سلمها للرهبان القائمين بأعمال دير أنبا مقار].

ومن هذه الإشارة ندرك أن عمارة الدير كانت تسير سيرها المعتاد بسبب الأموال التي كان يتحصل عليها الدير من الإيبارشيات المذكورة أولاً بأول.

وقد تنيح هذا الأب الطيب سنة ١٠٩٢م؛ ودُفن في كنيسة الملاك ميخائيل، وحُمل جسده بعد ذلك إلى دير أنبا مقار بوادي هبيب المقدس(٢٤).



نوع من الزخارف الهندسية الملونة التي تزين الحنيات الحائطية niches في دير باويط ــ محافظة أسيوط
ترجع إلى القرن السادس/السابع

(٢٤) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص٢٣٢.

الفصل السادس

القرن الثاني عشر

١ ــ بدء قيام نظام الشركة الجماعية داخل الأسوار جنباً إلى جنب مع نظام التوحد والإنفراد.
٢ ــ كرامة الدير تُطلب قسراً من البطاركة.
٣ ــ إحساس كهنة أنبا مقار بالولاية الكهنوتية على البطاركة والكنيسة.
٤ ــ تعديل في عادة تكريس الميرون في دير أنبا مقار.
٥ ــ رهبان أنبا مقار يقومون بوضع طقس جديد لقراءات أسبوع الآلام.
٦ ــ أنبا ميخائيل الثالث، وقلايته الدنشتيري.
٧ ــ موقف رهبان دير أنبا مقار المتصلب إزاء التغييرات في العقيدة.
٨ ــ ذكر راهب شهيد من دير أنبا مقار.

كان لا يزال في هذا العصر نظام التوحد خارج الأسوار قائماً كما هو في دير القديس أنبا مقار. ففي أثناء انعقاد مجلس الأساقفة والكهنة والأراخنة لاختيار مكاريوس الثاني البطريرك الـ٦٩ (١١٠٢ــ١١٢٨م) خليفة للبطريرك ميخائيل الثاني الـ٦٨ يقول كتاب تاريخ البطاركة: [واستعرضوا أسماء بعض المتوحدين وأيضاً النساك الساكنين في الأبراج](١).

ومن هذه الإشارة نفهم **أن كلمة «أبراج» تعني الأديرة** الآن، أي المساكن المحاطة بأسوار عالية، أما المتوحدون فهم سكان القلالي والمنشوبيات المنفردة خارج الأسوار.

وهكذا نجد أن القرن الثاني عشر شاهد قيام النظامين معاً جنباً إلى جنب في دير أنبا مقار: نظام التوحد والانفراد وهو النظام المقاري الأصيل، مع نظام الشركة الجماعية داخل الأسوار، وهو النظام نصف الباخومي الذي فرضته الظروف القاسية على برية أنبا مقار، وهو نظام لا يتمشى مع الروح القبطية، وكان من الأسباب المباشرة التي أضعفت الروح الرهبانية وأتت على كل مميزاتها الروحية العميقة الأولى.

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص٢.

وقد اختاروا [المبارك مكاريوس، الكاهن بكنيسة أنبا مقار **المعروف بالرسام**(٢) كهل محاجج جيد الكلام، ضابط لقوانين الرهبنة، حاول الهرب فقيدوه وألبسوه الثوب ورسموه](٣). **ومن ذلك نفهم أن دير أنبا مقار كان به رسام، وبالتالي أن صناعة الأيقونات وتزيين الكنائس كانت مستمرة.**

وبخصوص رسامة هذا البطريرك، يذكر كتاب تاريخ البطاركة أنه حاول أن يتملص من الالتزام الذي فُرض على البطاركة السابقين لتكميل الرسامة بدير أنبا مقار، ولكن رهبان الدير هددوه بحرمانه من زيارة الدير وقطع اسمه من صلاة القداس وبقية الصلوات: [إذا لم تتبع هذه القاعدة وأقمت قداساً في كنيسة مصر قبل أن تقيمه أمام مذبح أنبا مقار فلن يكون لنا علاقة بك بعد ذلك، ولن يذكر اسمك في كنيستنا ولن نسمح لك بدخولها أو أن تقيم قداساً فيها في أي وقت حتى ولو قُتلنا جميعاً](٤).

وهكذا أصبحت الكرامة التي كانت تُمنح للدير طوعاً أصبحت تُطلب قسراً، والزيارة التي كانت تُعمل له تبركاً أصبح يُطالَب بها كحقوق تُفرض تحت التهديد. وهذا في الواقع يوضح لنا مقدار الانقلاب الخطير الذي حدث للرسالة الرهبانية العالية التي بدأت في دير أنبا مقار، ومقدار اهتزاز المبادىء الروحانية والمثل العليا لدى كهنة ورهبان هذا الدير في هذا العصر، ولعل السر الأساسي في هذا الانحدار السريع هو كثرة وجود الكهنة المعينين لخدمة الكنيسة داخل الدير وتكالبهم على الكرامة وتزكية طقسهم، ثم الانتفاع المادي!!

ونسمع بالفعل في زمن لاحق عن قصة كاهن سرق أموال الميرون التي كانت تُعتبر ضمن دَخْل دير أنبا مقار وذلك في بطريركية أنبا كيرلس الثاني.

والمعروف أن عدد الكهنة في دير أنبا مقار بلغ في هذا العصر ٨٠ كاهناً. وهذا العدد يبين مقدار التكالب على هذه الرتبة التي كانت من اختصاص أب البرية وحده فصارت عنصر مناوأة للكنيسة، فكانوا يعتمدون بالفعل على عددهم في فرض الحقوق وطلب الامتيازات والكرامات واستخدام السلطان الكهنوتي للتهديد. ومن هذا نستشف أنه من الطبيعي، إذا زاد عدد الكهنة في الدير، فهذا كفيل أن يتحول الدير تلقائياً عن رسالته الرهبانية الأصيلة التي تقوم على الفقر والعفة والطاعة، بل والقداسة أيضاً.

---

(٢) يلاحظ هنا أن هذا الأب مقار كان راهباً بدير أنبا مقار وكان رساماً أو حسب قول تاريخ البطاركة: «كان مصوِّراً». لذلك فإليه يرجع الفضل حسب تقدير العالم الأثري لوروا في تزيين قباب كنيسة أنبا مقار بالصور التي يعتبرها هذا الأب الأثري الفاضل من أروع ما شاهده في فنون التصوير.

(٣) تاريخ البطاركة، المجلد ٣، جزء أول، ص٢.

(٤) تاريخ البطاركة، مجلد ٣، جزء أول، ص٤.

وهذا كله نتيجة مباشرة لتقلص نظام التوحد الكامل وانشغال الرهبان بالكهنوت وهي رسالة لا تخصهم في شيء، فهل من عودة إلى نظام أنبا باخوم وأنبا مقار حينما كان للبرية كلها كاهن واحد؟

وإنه وإن كان أنبا مكاريوس الثاني (١١٠٢ـ١١٢٨م) قد خضع لهم بالفعل ولم يقدس قداساً واحداً في مصر من وقت رسامته أي من ١٣ هاتور حتى منتصف شهر طوبة حين ذهابه إلى دير أنبا مقار، حيث أقام الذبيحة هناك كالعادة القديمة، إلا أن هذه الحادثة نبهت البطاركة اللاحقين إلى خطر ازدياد سلطان كهنة الرهبان على الكنيسة، فبدأت بالفعل عمليات العزل بالتدريج، وبعودة البطريرك إلى القاهرة قُرىء تقليده في كنيسة المعلقة على الإنبل باللغات اليوناني والقبطي والعربي؛ ومن هذا يتبين لنا أن اللغة اليونانية كانت لا تزال حية على ألسنة رجال الكنيسة القبطية.

وقد جاء ضمناً أثناء سرد حياة هذا البطريرك، عدة أسماء لآباء رهبان فضلاء بدير أنبا مقار استعرضوها لاختيار ما يصلح منها لأسقفية مصر عوض أنبا يعقوب أسقف مصر (١٠٦٤ـ١٠٨٨)، الذي كان رجلاً عالماً ناسكاً مشهوراً وهو أصلاً من دير القديس أنبا مقار، ويلاحظ القارىء طريقة هجاء الأسماء لأنها تحمل طابعاً خاصاً وكذلك الوظائف التي تفيد أن الدير كان له نظام ترتيب كهنوتي دقيق(٥):

١ ـ كيييل: (اختصار لكلمة ميكائيل) ـ الأبسلمدس بدير أبو مقار (ميخائيل رئيس التسبحة) وهو أعلا من القسوس.

٢ ـ مينا:

القس باشكِنا (اسكنا أي مسكن الله أو حلول الله) أبو مقار (خادم **كنيسة** أنبا مقار).

٣ ـ تيدر: (اختصار لكلمة ثيئوذوروس) القس بدير أبو مقار. يفيد هنا أنه كاهن عادي في أي منشوبية.

٤ ـ يسيب: الراهب بدير أبو مقار (يسيب أو يوسف).

إحساس كهنة أنبا مقار بالولاية اللاهوتية على البطاركة والكنيسة كلها:

حدث في عهد غبريال الثاني البطريرك الـ ٧٠ المدعو «بن تُريك» (١١٣١ـ١١٤٦م) أن أضاف الأساقفة على الاعتراف الذي يتلى في نهاية القداس جملة «وجعله واحداً مع لاهوته»، فلما استلم منهم البطريرك هذا القول وعلم كهنة الدير بذلك وسمعوا أن البطريرك الجديد يقولها كذلك، نزلوا إليه واعترضوا عليه، مع أنه كان عالماً أيضاً وبارعاً لاهوتياً، وأنكروا عليه إضافة أي شيء على الإعتراف. وقد حاول البطريرك اقناعهم بشتى الطرق فلم يقتنعوا. وأخيراً أرغموه أن

(٥) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص١٥.

يـؤمّـن هـذه الإضـافة بإضافة جديدة بأن يقول: «وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تـغـيير». فـخـضع البطر يرك لمشورتهم، وجرى الإعتراف حسب قولهم حتى اليوم، فكان ذلك موقفاً جريئاً شجاعاً ينم عن ثقة بالنفس لا حد لها(٦).

١ ـــ ومـن هذه الحادثة ندرك أن كهنة أنبا مقار كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب ولاية شرعية على لاهـوت الـكـنـيسة، وكانوا بالحقيقة محقين في شعورهم هذا، إذ كانوا بالفعل على درجة عالية جداً من العلم والمعرفة اللاهوتية والطقسية، إذ كان دير أنبا مقار في ذلك العهد وما قبله مصدر نور ومـعرفة وتقوى، فكان كثيرمن رهبانه أصحاب فضل في وضع كثير من ترتيبات الصلاة والطقوس والـتـسـبحة والنسك، ولا تزال كثير من المخطوطات والكتب السارية في الكنيسة الآن تحمل هذه الـذكـرى الـطـيـبـة لـدير أنبا مقار، إذ تقول في صدر بعض الطقوس والترتيبات والتسبحة كلمة: «حسب طقس دير أنبا مقار».

٢ ـــ كـتـاب الـبصخة: [وقد اجتمع بعض المتعلمين والحكماء مع كثير من الرهبان بدير أنبا مـقـار وجـمـعـوا (ألـفوا) كتاباً فيه مختارات من العهد القديم والعهد الجديد وأسموه قطمارس الآلام «البصخة»]. وهو يستخدم سنوياً في طقس أسبوع الفصح وعيده في الكنيسة](٧).

٣ ـــ طريـقـة رسـامـة الرهبان الجدد بدون أخذ موافقة قص البرية و بدون أي طقس صلاة خاصة كنسية(٨).

٤ ـــ ونـقـرأ في مخـطـوطة سرياني [عن نظام تلاوة المزامير وأوقات الصلاة «حسب طقس دير أنبا مقار»](٩).

٥ ـــ وفي مخـطـوط قـبـطي آخر كتبه «خائيل بن مانوي» عن مديحة وعظة ألفها ثاوفيلس ٢٣ عـن الـثـلاث فـتـيـة: [ثم تُـقـرأ هاتين القطعتين بالتناوب خلال الذكصولوجية في الهيكل القبلي لـكـنـيـسـة أنـبـا مـقـار (وكـان مـكـرسـاً للـثلاث فتية)]. أي أن ذلك كان طقساً خاصاً بالدير فقط(١٠).

٦ ـــ مخطوط عربي في روما يحتوي **أولاً** على ٢٦ قانوناً جمعها يوحنا البطريرك الـ ٩٤ من ثلاث نـسـخ قـديمـة جـداً محفوظة في دير القديس مقار يوس. ولعلها قوانين رهبانية متبعة بالدير، **ثانياً** على طقس

---

(٦) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص٢٧.

(7) Dillmann, Codices Aethiopici, No. XXVII, p. 30.

(8) Ev. White, II, p. 131, 252, 260, 378.

(9) Wright, Cat. Syr. Mss. in B.M. No. CCXVIII.

(10) Zoëga Cat. No. LVI, p. 107.

تكريس المذبح «حسب طقس دير القديس أنبا مقار»(١١). **ثالثاً** قوانين نسكية يُقال أن السيدة العذراء سلمتها للقديس أنبا مقار.

٧ ــ من المخطوطات يتبين أنه كان لدير أنبا مقار طقس بالنسبة لخدمة المذبح، وكان يُحرِّم على الكاهن لِبْس البرنس أثناء الخدمة في الهيكل أثناء القداس(١٢).

٨ ــ كان رهبان دير القديس أنبا مقار يرفضون أن يُقرأ أي شيء في كنيستهم بغير اللغة القبطية(١٣) حتى أن البطريرك ميخائيل الثاني ــ كما يقول المؤرخ موهوب: [لم يستطع أنبا ميخائيل الثاني الذهاب مباشرة بعد رسامته في الإسكندرية سنة ١٠٩٢م إلى دير أنبا مقار بل اضطر إلى الانتظار مدة حتى يدرس الأناجيل بالقبطية لأنه لم يكن يجيد القبطية].

٩ ــ كان لدير أنبا مقار تقويم تاريخي خاص للمناسبات بالكنيسة أخذت به الأديرة الأخرى وكنائس الوجه القبلي، ولكن لا نعلم مدى مطابقته للتقويم الحالي المعمول به الآن لأن ذلك يحتاج بحثاً خاصاً(١٤).

١٠ ــ يقول المؤرخ ڤانسليب في تاريخ كنيسة الإسكندرية أن كل ألحان الكنيسة القبطية الصافية ألفها راهب من دير أنبا مقار كان في صناعته فاخورياً(١٥).

تعديل في عادة تكريس الميرون في دير أنبا مقار سنوياً:

ومن الأمور التي كان يتمسك بها كهنة دير أنبا مقار تكريس الميرون سنوياً بالدير في يوم الجمعة العظيمة أو خميس العهد حسب الإستلام الذي وضعه مار مرقس نفسه، ويقال أنه كان من وضع ثاوفيلس البطريرك الـ٢٣.

وكان يُجرى أولاً في كنيسة مار مرقس بالإسكندرية، ولكن في عام ٤٣٠م أمر البابا ثاوفيلس الـ٢٣ إطاعة لرؤيا ملائكية أن يجرى التكريس في كنيسة القديس أنبا مقار في يوم الجمعة من الأسبوع السادس من الصوم الكبير. ولكن في القرن العاشر تغير هذا اليوم إذ عمله مكاريوس الأول في يوم خميس العهد بدل الجمعة وسار من خلفه بعد ذلك على هذا النظام.

وفي صدر كتاب الميرون نجد هذه العبارة: [العادة المتبعة لعمل الميرون المقدس في دير القديس أنبا مقار الكبير في برية شيهيت التي تدعى ميزان القلوب في يوم الخميس من الأسبوع

---

(11) Cod. Vatic. Arab. No. DCLXII (Mai. S.V.N.C p. 584).

(12) Renaudot, Lit, Orient., col. I, pp. 162 f.

(13) Ibid., pp. 95 f.

(14) Synax. Basset, p. 39.

(15) Wanseleben, Hist. de l'église d'Alex. pp. 56 f.

المقدس (أسبوع الآلام)].

ولكن منذ أيام أنبا غبريال الثاني «ابن تُريك» انقطعت العادة التي كانت تُلزم البطاركة بعمله سنوياً، إذ اختط هذا البطريرك نظاماً جديداً هو أن يُعمل الميرون بكميات كبيرة حتى يتفادى الإلتزام بالذهاب إلى الدير سنوياً، فأصبح يُعمل على مدى سنين متباعدة، إنما احتفظوا بخميس العهد كيوم رسمي لصنعه.

وهكذا نلمح تصميماً خفياً من البطاركة لتفادي طغيان سلطان الأديرة على رسالتهم في العالم، وكان هذا في الحقيقة مفيداً للرهبنة أشد الفائدة ومضراً للكنيسة غاية الضرر، لأن البطاركة استخدموا سلطانهم المطلق بعد ذلك في كل الأمور بغير رقابة ولا خوف ولا رادع.

رهبان أنبا مقار يقومون بوضع طقس جديد لقراءات أسبوع الآلام:

كان من الأمور التي استرعت انتباه أنبا غبريال بن تريك صعوبة تنفيذ الأوامر التي قيل أنها من وضع الرسل بخصوص قراءة الكتاب المقدس بعهديه في الكنيسة في أسبوع الآلام: [وفي الحقيقة كان هذا في ذلك الوقت مناسباً للشعب الذي كان محروماً من الكتاب المقدس الذي لم يكن يوجد إلا مخطوطاً باليد و بأثمان باهظة جداً]. فلما وجد أنبا غبريال بن تريك أن في هذا مشقة عظيمة للشعب سواء للقارىء أو السامع، استعان برهبان دير أنبا مقار في اختيار الفصول الملائمة من العهدين لأيام الأسبوع المقدس: [وقد قام بعض ذوي العلم والفضل والحكمة وكثيرون من رهبان دير القديس أنبا مقار بوضع كتاب فيه مختارات من العهدين وأسموه كتاب البصخة]. إذن فكتاب البصخة بجماله وإتقانه الروحي واختيار فصوله الذي يدل على درجة الإلهام، هو من وضع رهبان دير أنبا مقار(١٦).

ومن هذه الإشارة نفهم أن دير أنبا مقار كان لا يزال يحمل شعلة الإنجيل والمعرفة الروحية، لأن المدقق في تأمل هذه المختارات ومطابقتها للمناسبات لا يشك لحظة في أن الذين قاموا بهذا العمل رجال ملهمون ذوو بصيرة ونعمة وفطنة تكاد تحير فكر الإنسان.

والمعروف أنه كان لدير أنبا مقار تقاليد كثيرة مسلَّمة وموروثة في تدبير الخدمة داخل الهيكل في اللبس وفي الصلوات والتسابيح وتحديد مواعيد بعض الأعياد، والتدقيق الشديد في الارتباط بيوم الأحد لإقامة القداس بحيث لا يُسمح بإقامته إلا في هذا اليوم ما عدا أيام الصوم، فكان يُسمح بإقامته يومي الأربعاء والجمعة فقط.

---

(16) Ev. White, II, p. 378.

أنبا ميخائيل الثالث وقلايته الدنشتيري:

وبنياحة أنبا غبريال الثاني (الـ٧٠) في سنة ١١٤٦م تمت تزكية ميخائيل الراهب بدير القديس أنبا مقار الذي كان يعيش في المنشوبية الكبرى المسماة دنشتيري ليكون البطريرك الـ٧١، وكان قد تنبأ بذلك الراهب أبو الخير رئيس التسبحة بدير أنبا مقار قائلاً أن الدنشتيري سوف يخرج منها البطريرك. ولكن بطريركيته لم تدم كثيراً، فقد تنيح بعد الرسامة بثلاثة شهور، وقيل أن راهباً من قلاية ابن كدران (منشوبية بجوار دير أنبا مقار) وضع له السم فمات.

موقف رهبان دير أنبا مقار المتصلب إزاء التغييرات في العقيدة:

وقد حدث في بطريركية أنبا يوحنا الـ٧٢ (١١٤٧ـــ١١٦٧م) أن بعض رهبان قلاية (منشوبية) بيشيش التابعة لدير أنبا مقار، مع رئيسهم المدعو الأب سلمان، كانوا في زيارة لسمنود، وقد اتفقوا حال وجودهم هناك مع مكاريوس أسقف هذه المدينة على تغيير أو إضافة لفظة جديدة على الإعتراف العلني الذي يقوله الكاهن في نهاية القداس وهي لفظة «المحيي» على كلمة الجسد. فصارت الجملة: «أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد **المحيي** الذي أخذه الإبن الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع...»؛ [فلما وقف البطريرك على كتاب أنبا مقاره أسقف سمنود تغير على أنبا سلمون وإخوته. ولما كثر الحديث في ذلك جمع جماعة كبيرة من الأساقفة ونظروا في ذلك فوجدوه حق وليس فيه شيء يُكره، لأن الجسد محيي بالحقيقة لأنه يؤدي بمن يؤمن به إلى الحياة الدائمة. فكتب البطرك بذلك إلى سائر الأعمال فقبلوه أهل الوجه البحري ومصر والإسكندرية وجميع رهبان الديارات ما خلا قسوس اسكناه (كنيسة) أبو مقار فإنهم امتنعوا عن إضافتها واعتذروا عن ذلك بأنها مضافة ومستجدة ولم يجري بها عادة مَنْ تقدمهم، وانتصب قوم منهم (القسوس) لمناصبة البطريرك والأساقفة... وجرى من وراء ذلك خطوب وأتعاب...](١٧).

ذكر راهب شهيد من دير أنبا مقار:

وإن كان الراهب بحد ذاته كإنسان مات عن العالم طوعاً ويموت كل يوم، فهو شهيد باختياره سراً، إلا أن شهادة الأب القديس الطاهر أنبا شنوفا الراهب بدير أنبا مقار قد تمت علناً وتحت تهديد الحرق بالنار. وهذا الإستشهاد يعتبر بحد ذاته سفراً نفيساً لأعمال الدير لا يقل أثره عن بناء كنيسة. أما مكان استشهاد هذا الشهيد ففي القاهرة أثناء عودته إلى ديره(١٨). أما مكانة هذا الشهيد فلو أنصف التاريخ لجعله مع التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت المكرمين!

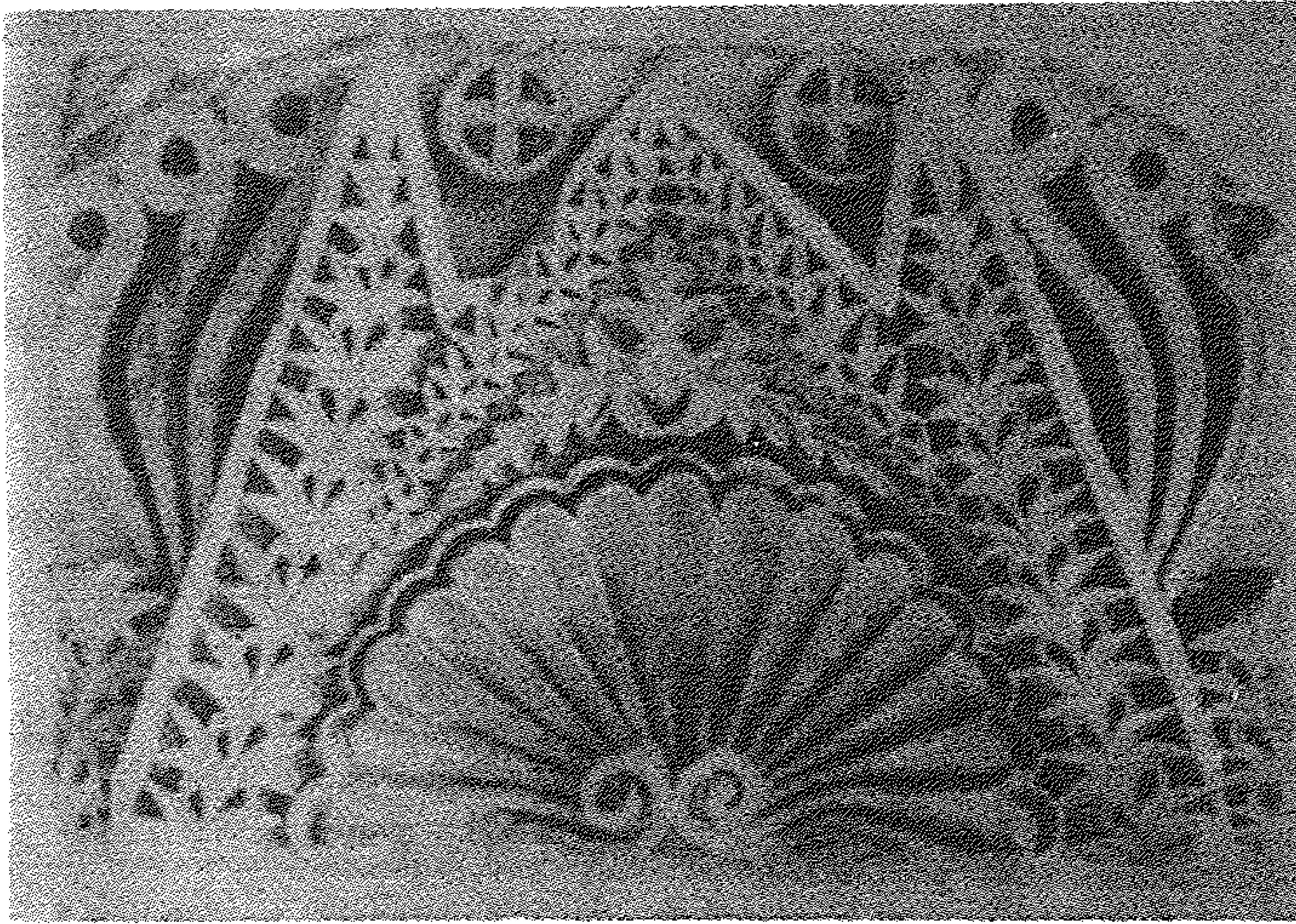
نقل جسد أنبا غبريال مع جسد أنبا يوحنا الخامس للدير:

وقد قام البطريرك أنبا مرقس الثالث الـ٧٣ المدعو ابن زرعة (١١٦٦ـــ١١٨٩م) بنقل جسد

(١٧) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص٥٥.

(١٨) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص٥٢.

أنبا غبريال البطريرك الـ٧٠ مع جسد أنبا يوحنا البطريرك الـ٧٢ إلى دير القديس أنبا مقار، وذلك أثناء الصوم الكبير سنة ١١٧٠م باحتفال كبير: [وكان لإخراجهما ليلة مشهورة من كثرة الجمع والناس الحاضرين ومداومة القراءة والصلوات من أول الليل إلى آخره وحملوا أجسادهم عن طريق نهيا بالجيزة ودفنا في تربة البطاركة بالدير مع آبائهما بسلام](١٩).



قوصرة من خطوط منكسرة Pediment تعلو حنية حائطية nich من القرن السادس
[دير باويط ـ معروضة بمتحف اللوفر بباريس]

(١٩) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص٥٧.

الفصل السابع

القرن الثالث عشر

أنبا يوحنا السادس (الـ ٧٤) لا يُدفن جسده بدير أنبا مقار:

العجيب أن ذلك لم يكن صدفة بل إن نفس هذا الأب البطريرك [وقد كان علمانياً قبل رسامته بطريركاً] أوصى قبل نياحته أن لا يُدفن جسده في دير أنبا مقار(١). ومن هذه الوصية يبدو بوضوح محاولة البطاركة كسر عادة دفن أجساد البطاركة في دير أنبا مقار كما تبدو روح النفور من سلطان الرهبان المتزايد في شئون البطريركية.

والمعروف أن الكرسي البطريركي ظل شاغراً بسبب انقسام رأي الناخبين من سنة ١٢١٦ــ١٢٣٤م، مما كان له أثر مباشر على الأديرة كلها التي كانت في ذلك الوقت تتبع في تدبيرها البطريرك مباشرة، وذلك من جهة رسامة الكهنة أو المعونات المالية، ودير أنبا مقار على وجه الخصوص لأنه كان يعتمد كثيراً على زيارات البطريرك وما تدرُّه عليه من مساعدات ورسامات وكرامات.

وقد فُرضت الضرائب مرة أخرى على رهبان الأديرة في هذه المدة سنة ١٢٢٥م، بسبب وشاية

(١) وذلك يرجع إلى الأهوال التي عاناها سلفه من مصادمة رهبان دير أنبا مقار له بخصوص التغيير الذي أجازه في الاعتراف الذي يتلى في آخر القداس. أنظر صفحة ٤٨٠.

أحدهم، فجمعوا منهم ستمائة دينار (مما يفيد أن عددهم كان يقارب هذا الرقم). ولكن العجيب أن بعض الرهبان الشيوخ نزلوا إلى القاهرة وتظلموا لدى الملك الكامل فأمر بإرجاع أموالهم لهم.

زيارة الملك الكامل لدير أنبا مقار:

قام الملك الكامل بزيارة إلى وادي النطرون ونزل في دير أنبا مقار ضيفاً على الرهبان الذين بالغوا في إكرام وفادته [فغمرهم السلطان برضاه وأهداهم خمسمائة أردب منها ٣٠٠ قمح وشعير ومائة فول ومائة ترمس. وعامل الرهبان بكل احترام]، وأعطاهم صكاً بإعفائهم من الضرائب وبحق أيلولة تركة الراهب إلى ديره، وكان كرسي البطريركية شاغراً في ذلك الزمان بسبب الإنقسامات(٢).

عدد الرهبان الذين كانوا في الدير في ذلك القرن:

ويقال أنه كان في دير أنبا مقار سنة ١٢١٦م حوالي ثمانون كاهناً، وبالتالي كان لا يقل رهبانه عن ٤٠٠ راهب، حسب الجدول الذي تركه لنا موهوب في أواخر القرن الحادي عشر، كما يتفق هذا العدد تقريباً مع حاصل الضريبة المستوفاة من الرهبان التي بلغت ٦٠٠ دينار بحساب دينار على كل راهب. ولكن بسبب استطالة فترة الكرسي البطريركي شاغراً حدث تناقص شديد في عدد الكهنة حتى صاروا في سنة ١٢٣٤ أربعة كهنة فقط بعد أن كانوا ثمانين. لأن الذي كان متوكلاً برسامتهم هو البطرك نفسه(٣).

إقامة الضريبة على من لا يعيشون في الصحراء:

ولكن عاد الملك الكامل وفرض الضريبة على كل راهب لا يقيم في الدير أو الصحراء، لأن كثيرين ترهبوا هرباً من الضرائب وظلوا مقيمين في المدن. ولكن جباة الضرائب لم يستطيعوا أن يفرقوا بين الراهب الهارب من الضريبة والراهب الحقيقي، فقبضوا على كثيرين، فتظلموا، فعاد الملك الكامل وأصدر سنة ١٢٣٥م قانوناً ينص على الآتي:

١ــ يُترك جميع الرهبان بلا ضرائب بدون قيد أو شرط.
٢ــ لا يتستر الرهبان في الأديرة على أي شخص عليه ضريبة.
٣ــ لا يُقبل أحد في الرهبنة قبل أن يُخطَر الديوان للتحري عما إذا كان مطالَباً بضرائب.
٤ــ أن لا يُقبل في الرهبنة إلا اللائقون والذين ليست عليهم ضرائب(٤).

---

(2) Hist. of Patr., MS. 353.
(3) Ibid.
(4) Ev. White, II, p. 386.

أنبا كيرلس الثالث بن لقلق الـ٧٥ (١٢٣٥ـ١٢٤٣م) ودير أنبا مقار:

اختير هذا البطريرك بعد نحو ٢٠ عاماً من نياحة سلفه بسبب الإنقسامات المرة التى وقعت في صفوف الناخبين، وكرزوه في ١٧ يونية سنة ١٢٣٥م، وتوجه بعدها إلى دير أنبا مقار كالعادة ورسم كهنة وشمامسة (بعد أن دفعوا ما تعودوا دفعه) وأجرى هناك بعض التنظيمات، كما يقول كتاب تاريخ البطاركة.

وفي العام التالي أي سنة ١٢٣٦م سافر البطريرك إلى دير أنبا مقار ليمضي فيه أيام الصوم حسب العادة المتبعة من البطاركة أسلافه ولتكريس الميرون الذي كان قد توقف عمله ٢٠ سنة وقارب على النفاذ، وقد أحضر البطريرك ابن لقلق معه بعضاً من زيت البلسم الذي وهبه له السلطان.

وحدث في أسبوع الآلام أن أعطى البطريرك الحِلَّ لبعض الكهنة العلمانيين (أي من غير الرهبان) الذين حضروا معه من القاهرة للدخول في هيكل أنبا بنيامين (و يظهر أن ذلك كان ليلاً)، فأثار ذلك غضب كهنة دير أنبا مقار، فما كان من الرهبان إلا أن احتجوا وأحضروا عكاكيزهم وحطموا المصابيح التى في الكنيسة. وغضب البطريرك أيضاً واعتكف في قلايته؛ ولكنهم اصطلحوا أخيراً وعادت الأمور إلى مجاريها واستلم البطريرك ثمن الرسامات التي أكملها بالدير، لأن غبطته كان محباً للمال متكالباً على السيمونية،[وأتى كيرلس إلى الكنيسة وتعزى وانتهى من إقامة العيد].

وظلت كافة العادات المتبعة سابقاً من تكريس البطاركة بالدير وزيارتهم له في أسبوع الآلام وعمل الميرون سائرة كما هي حتى القرن الرابع عشر. إلا أنه كانت كنائس مصر تتبادل معهم هذه الامتيازات أحياناً.

الملك الظاهر بيبرس البندقداري يزور الدير(٥):

وفي أيام خلو الكرسي بين أنبا أثناسيوس الثالث وأنبا غبريال الثالث قام الملك الظاهر بيبرس بزيارة أديرة أنبا مقار وذلك في سنة ١٢٦٤م.

أنبا غبريال الثالث يُرسم في دير أنبا مقار سنة ١٢٦٨م.

يؤكد المؤرخ إڤيلين هوايت(٦) أنه بالرغم من المحاولات التى قام بها كيرلس الثالث بن لقلق لإلغاء عادة رسامة البطاركة في دير أنبا مقار،فإن خلفه أنبا غبريال الثالث اتجه في عيد رسامته السنوي إلى دير أنبا مقار لنوال البركة وقبول صلاة الآباء عليه كعادة أسلافه(٦). وكان قد

---

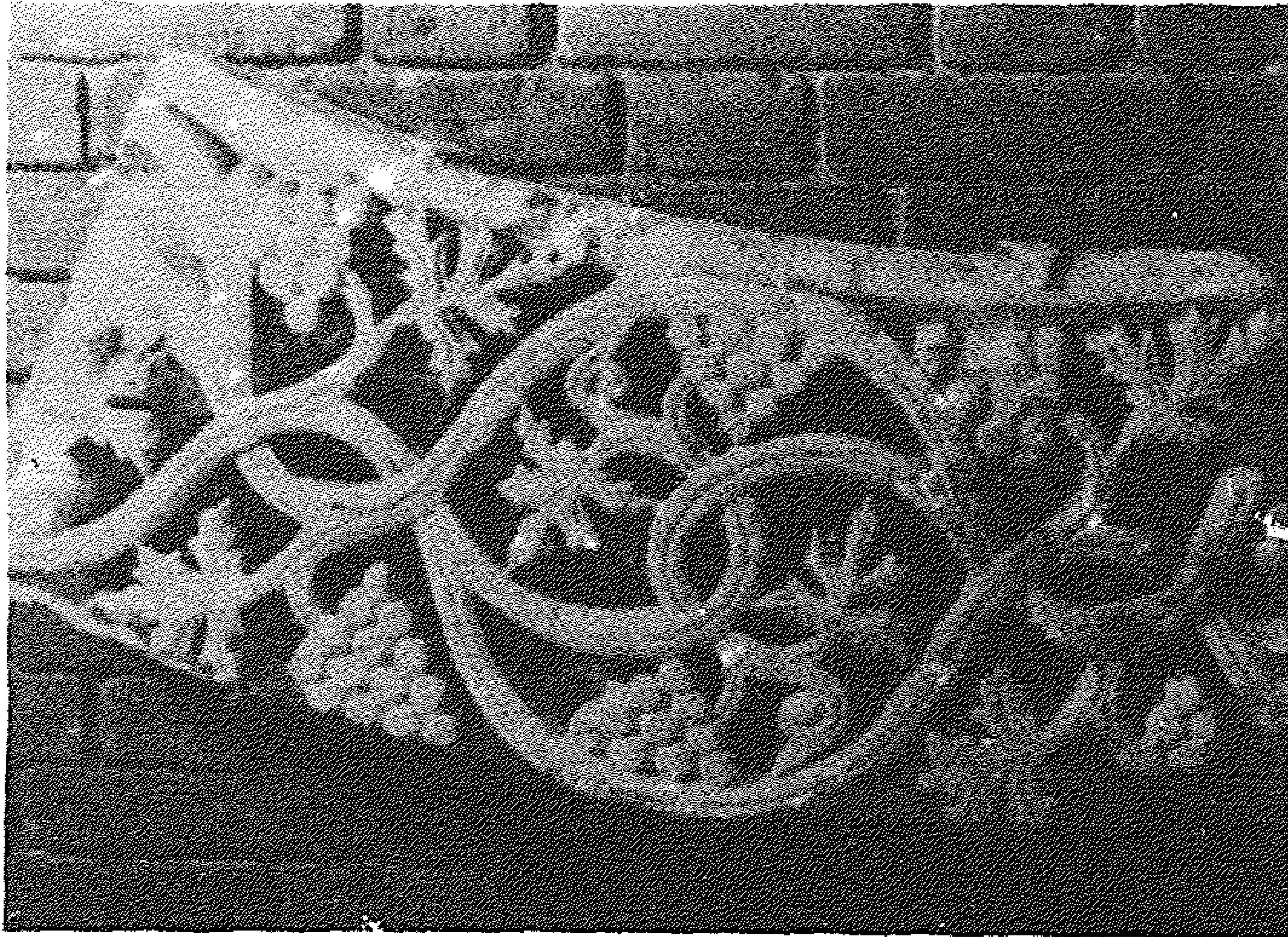
(٥) المقريزي، كتاب السلوك، فصل ٣١٤.

(6) Ev. White, II, p. 391.

أمضى فترة كبيرة من حياته كراهب في دير أنبا مقار قبل أن يتوجه لدير البراموس و يصير رئيساً هناك (٧).

الراهب مكاريوس مؤرخ وجامع للقوانين :

وقد ظهر في منتصف هذا القرن راهب عالم مؤرخ اشتغل بجمع كل القوانين والشرائع القبطية المعمول بها في الكنيسة ؛ وقد أمضى في هذا العمل كل حياته ، وأكملها بعد عمل مضني كما يقول ، و بعد أن رجع لكافة المخطوطات الموجودة في الأديرة بالبر ية ومصر، ياحبذا لو قام أحد الأقباط بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها (٨) ، لأنها لابد تحوي خلاصة قانونية تهم المشتغلين بالقانون !



جزء من عقد حجري منحوت بشكل فروع الكرمة ترجع إلى القرن السادس
[مجموعة تحف Dumbarton Oaks في واشنطن]

---

(٧) السنكسار الأثيوبي شهر هاملا ، يوم ١١ .

(8) See Slane, Cat. Mss. arabes B.N., No. 251.
See Mai, S.V.N.C: (Scriptorum veterum Nova collectis 10 Vols) IV, ii, pp. 275 f. Cod. Vatic. arabes Nos. CXLIX, CL.

الفصل الثامن

القرن الرابع عشر

١ ـ زيارة البطريرك يوحنا الثامن لدير أنبا مقار لتكريس الميرون.
٢ ـ زيارة أنبا بنيامين الثاني لدير أنبا مقار وعمل الميرون، وملاحظات على الدير في زمانه.
٣ ـ زيارة أنبا بطرس الخامس البطريرك ال٨٣ مرتين للدير.
٤ ـ «مار بنوسانيوتو» زائر أوروبي يزور الدير ويترك خريطة بمواقع الأديرة وهيئتها، ومن بينها دير أنبا مقار.
٥ ـ بدء مغيب شمس مجد الدير بتواري الحياة التوحدية قليلاً قليلاً.

النصف الأول من القرن الرابع عشر

زيارة البطريرك يوحنا الثامن لدير أنبا مقار سنة ١٣٠٥:

استهل القرن الرابع عشر برسامة «ابن القديس» يوحنا الثامن (١٣٠٠ ـ ١٣٢٠) بطريركاً (٨٠)، الذي قام في سنة ١٣٠٥م بزيارة دير أنبا مقار لتكريس الميرون(١).

ويقول أبو البركات أنه بسبب الاضطهاد الذي أصاب المسيحيين في زمن هذا البطريرك أُغلقت جميع الكنائس في مصر كلها، ولم يتبقَّ إلا كنائس الأديرة الأربعة في برية شيهيت. وبذلك صار وادي هبيب ملجأ للمسيحيين كما كان في القرن الحادي عشر(٢).

ويحمل لنا كتاب الميرون وصف الزيارة التي قام بها البطريرك يوحنا الثامن داخل دير أنبا مقار هكذا(٣):

[ولما نزلنا من «قلاية الميرون» اتجهنا إلى هيكل مرقس فأنزلوا الأوعية التي تحمل الميرون ثم رفعوها وساروا بها غرباً وعبروا الخورس الأول والثاني واستداروا واتجهوا نحو هيكل بنيامين ودخلوه ثم داروا حوله واتجهوا بحري مرة أخرى وعبروا من باب هيكل بنيامين البحري ودخلوا

(١) كتاب تكريس الميرون ـ مخطوط، ورقة ٢٨ ب.
(٢) كتاب أبو البركات ـ نشر فانسليب في كتابه عن تاريخ كنيسة الاسكندرية ص ٣٢٧.
(٣) نفس المخطوط السابق.

هيكل مرقس مرة أخرى ثم خرجوا وداروا حول الكنيسة كلها واتجهوا نحو هيكل شنودة **متجاوزين هيكل أنبا مقار لأنه كان مغلقاً بسبب قبته التي تهدمت ثم عبروه من بابه القبلي** ودخلوا هيكل بنيامين مرة أخرى ووضعوا الميرون ...]

ومن هذا الوصف يتبين لنا مقدار التلف الذي أصاب كنيسة أنبا مقار الكبرى، **فهيكل أنبا مقار مغلق لأن قبته تهدمت**. ولكن يبدو بكل وضوح أن الكنيسة لا تزال تحمل اتساعها الهائل، فإن صحنها يشمل من بحري إلى قبلي أربعة هياكل.

كذلك بقوله أنهم لما نزلوا من قلاية الميرون دخلوا مباشرة الكنيسة متجهين إلى هيكل مار مرقس، يتضح أن الكنيسة كانت متاخمة من الغرب لقلاية الميرون (الموجودة الآن قرب السور الغربي).

إذن فكنيسة أنبا مقار كانت حتى إلى القرن الرابع عشر تشمل المساحة التي تحتوي على الكنائس الأثرية والحصن والمائدة الأثرية في الدير الآن ... !

وإشارة جديرة بالذكر أن هذا القسم من دير أنبا مقار كان يسمى حتى القرن الرابع عشر بـ «الحصن» أو «القستالية» بما فيه من كنائس ومخازن وقلالي قليلة العدد للمرضى والضعفاء فقط، لأن كل الآباء المتوحدين كانوا يسكنون في قلاليهم ومنشوبياتهم خارج الحصن أو «القستالية»، أي خارج ما يسمى بـ «الدير» حالياً. أما كلمة «دير» فكانت تعني حتى القرن الرابع عشر جميع المنشوبيات والقلالي خارج القستالية ثم القستالية أيضاً.

زيارة أنبا بنيامين الثاني لدير أنبا مقار سنة ١٣٣٠م:

كانت الوجهة الأساسية التي رتب من أجلها أنبا بنيامين زيارته لشيهيت هي إصلاح دير أنبا بيشوي عقب الكارثة التي حلت به بسبب النمل الأبيض وسقوط أخشابه كما عرَّض كل مبانيه للانهيار.

واتجه البطريرك في رحلته إلى دير أنبا مقار أولاً [حيث استقبله الرهبان وبعد أن قرأ عليه إيغومانوس الدير التحليل حسب العادة دخل الكنيسة فتبارك من أجساد المقارات الثلاثة ثم صلى تسبحة الساعة التاسعة. وذهب بعد ذلك إلى قلاية المجمع (بين الهياكل) حيث بدأوا بترتيب مواد الميرون. وبعد أن أقام القداس بالدير توجه لزيارة قلالي ومنشوبيات الآباء المتوحدين قلاية سدري وقلاية دير نابابا. وصرف اليوم التالي في قستالية أنبا مقار (الحصن الكبير أو البرج وهو الدير الحالي) ــ أي البناء المحصن الذي بداخله الكنائس وبعض القلالي. وفي يوم السبت تناول الإفطار في قلاية بيجيج، وسجد له رؤساء الرهبان هناك. وفي الأحد الرابع من الصوم زار قلاية

برسيني والقلالي المجاورة. ثم قام بعد ذلك بزيارة دير أنبا يوحنا، وفي الطريق استراح في طريق الملائكة وصلى وسجد ثلاث مرات، ثم منه إلى دير أنبا بيشوي ودير البرموس ودير السوريان ودير الأحباش، ورجع إلى دير أنبا بيشوي وأكمل هناك الإصلاحات للدير].

وعاد إلى دير أنبا مقار. وفي يوم أحد الشعانين قام بزفة طقسية حول الكنيسة. وتعتبر هذه الزفة بأوصافها التي جاءت في مخطوطة تكريس الميرون هامة جداً لنا من حيث تحديد هندسة الدير وأسواره وبوابته القديمة إذ تقول المخطوطة:

[وركب لزيارة مدافن الآباء(البطاركة) ثم مدافن الآباء الرهبان وصلى على قبر القديسين ابراهيم وجورجي وزار قلاية «عوزيال»، ثم **عاد إلى الدير من الناحية الأخرى،** وفي الطريق عبر من تحت القوس المتبقي من الدير القديم].

وهنا يتضح لنا أن تعديلاً هاماً حدث في عمارة أسوار القستلية قبل زمن أنبا بنيامين الثاني بمدة؛ لأن قول المخطوطة [العقد المتبقي من الدير القديم] يُفهم منه أنه عقد البوابة القديمة. والمعروف أن دخول البطريرك إلى الدير من تحت عقد البوابة القديمة ــ أي المدخل القديم الأصلي للدير ــ يعتبر كأنه تعبير عاطفي عن رجاء عودة الدير إلى وضعه القديم باتساعه الأول.

ووجود هذا العقد القديم وعبور البطريرك من تحته وهو راكب دابته معناه أن البوابة الجديدة رجعت إلى خلف. وهذا يعني أن الأسوار الأولى نفسها قد تداعت وسقطت وأُقيمت أسوار جديدة ذات بوابة جديدة في عصر سابق لزمان أنبا بنيامين، لأن المخطوطة تقول: [ودخل على ركوبته، ماراً تحت القوس الذي تبقى من الدير القديم] **كما فعل البطاركة أسلافه!**

ويقول إڤلين هوايت أن بوابة الدير القديم بعقدها الجميل تُركت للذكرى دون بقية الأسوار القديمة.

وهكذا يتبين لنا أن الدير قبل زمن أنبا بنيامين الثاني بدأ يأخذ مساحة أقل من مساحته ويتخلص من كثير من القلالي والمباني والكنائس القديمة الصغيرة التي كانت ملاصقة لأسواره الأولى. وبالتالي فقدت كنيسة أنبا مقار كل ملحقاتها بعد فقدان هيكل الآباء التلاميذ (هيكل مرقس) من الجهة البحرية(٤).

ومن هذا يتضح لنا أن القسم الأثري من دير أنبا مقار كان قد بدأ يأخذ صورته الراهنة التي هو عليها الآن تقريباً منذ بداية القرن الرابع عشر أو قبل ذلك بقليل.

---

(4) Ev. White, III, 46.

عمل الميرون والعودة إلى مصر:

وقام أنبا بنيامين الثاني بعمل الميرون كالعادة. وفي وصف الزفة الطقسية لمسيرة البطر يرك وهو حامل الميرون داخل الهياكل والكنيسة، يتضح لنا أن قبة هيكل أنبا مقار التى كانت قد تهدمت في زمان بطر يركية أنبا يوحنا الثامن سنة ١٣٠٥م قد أُعيد بناؤها. وكذلك تذكر أخبار هذه الرحلة أنه تم أثناءها تقوية أرضية قلاية الميرون بقوائم خشبية (٥).

ملاحظات على الدير في زمان أنبا بنيامين الثاني:

١ ــ مدافن الآباء البطاركة ومدافن الآباء الرهبان كانت خارج الدير، أي خارج الأسوار.

٢ ــ المنشوبيات خارج الدير كانت عامرة برؤساء الرهبان، وقادرة على أن تستضيف البطاركة.

٣ ــ أسوار الدير القديمة تهدمت وتراجعت إلى خلف وأخذت مساحة أقل من الأول.

٤ ــ عقد بوابة الدير القديم تُرك كأثر صارخ ليستحث البطاركة على إعادة بناء الأسوار التى تداعت وسقطت.

٥ ــ الجزء الذي تبقى من الأسوار الأولى التي أقامها أنبا شنودة الأول البطر يرك الـ ٥٥ هو نصف السور القبلي من الجهة الغربية والسور الغربي كله ما عدا ٢٢ متراً من جهة الغرب.

ز يارتا أنبا بطرس الخامس البطر يرك الـ ٨٣ سنة ١٣٤٠، ١٣٤٦م:

أنبا بطرس كرس الميرون المقدس في هاتين السنتين، وكل مرة كانت له ز يارة جاء كتاب تكر يس الميرون بأوصافها.

الز يارة الأولى:

عند وصوله إلى منطقة البيدس (بئر أنبا مقار نصف كيلومتر بحري الدير) استقبله الرهبان رسمياً؛ وعند وصوله إلى القلاية «دكنونية» التي بجوار الدير الرئيسي وقف المرافقون وقرأ عليهم البطر يرك التحليل كما كان متبعاً. وعند وصوله إلى باب الدير دخل البطر يرك وأعطوه مفتاح الكنيسة ففتحها ودخل وزار أجساد الثلاثة مقارات. ثم جلس (أمام باب هيكل أنبا بنيامين) مع بقية الأساقفة، بينما قرأ عليهم أنبا جرجس إيغومانوس الدير التحليل كعادة دير أنبا مقار.

وفي يوم أحد الشعانين ذهب البطر يرك في موكب رسمي حول السور إلى أن وصل إلى المكان الذي دُفن فيه الآباء البطاركة القديسون. ثم تقدم الموكب إلى المغارة المدفون فيها القديسان ابراهيم وجورجي حيث قرأ البطر يرك الترحيم.

---

(5) Ibid., p. 47.

وبعد تكريس الميرون يوم خميس العهد، وفي يوم الثلاثاء الثاني، جاء راهبان كاهنان من قلاية «**بلتوس**» المسماة باسم القديس فيلوثيئوس يرجوان البطريرك أن يكرس كنيسة قلايتها. وتقول المخطوطة: [وقد لفتت الأنظار الرسومات الدقيقة وجمال هندسة الأبنية وبياضها الناصع والجدران الجديدة التي بعد أن تهدمت بفعل الزمن أُعيد بناؤها وزخرفتها]، وقد سار البطريرك في موكبه بين **القلالي شاكراً الرب الذي أعطى هدوءاً وسلاماً، وبنى الكنائس وأصلحها في كل مكان**، وبعد أن كرس هذه الكنيسة رجع إلى القستلية (حصن أديرة أنبا مقار).

وفي يوم الأربعاء قام برسامة كهنة وشمامسة لدير أنبا يؤنس كاما، الذين حضروا مع قمصهم إلى دير أنبا مقار لهذا الغرض، فرسم منهم أحد عشر شماساً وثمانية عشر كاهناً!! وفي يوم الأحد أقام القداس [كما هي عادة أنبا مقار أن يُقام القداس يوم الأحد على الدوام] كما تقول المخطوطة.

الزيارة الثانية:

كالأولى تماماً ولا يُذكر فيها شيء جديد فيما يختص بحالة الدير الهندسية إلا هذه الإشارة: [سار البطريرك حتى الحائط الغربي وهو أحد جدران الدير. فنزل البطريرك عن الركوبة وصلى لذكرى الآباء البطاركة المدفونين عند هذا الحائط]: إما كان ملاصقاً للحائط الغربي وإما في بناء مستقل.

كما وُجد أيضاً ذكر كنيسة جديدة (أو هيكل) في الدير باسم الثلاثة فتية لم تُذكر سابقاً، يذكرها هنا كتاب تكريس الميرون هكذا: [وبعد صلاة باكر دخل أنبا بطرس البطريرك هيكل الثلاثة فتية وجلس هناك وجلس الأساقفة مقابله].

ويظن المؤرخ إڤيلين هوايت معتمداً على مخطوطة أن هذا الهيكل كان قبلي هيكل أنبا شنودة(٦).

ومن هاتين الزيارتين لأنبا بطرس الخامس يمكننا أن ندون بعض الملاحظات:ـــ

١ ــ حتى سنة ١٣٤٦م كانت لا تزال المنشوبيات خارج الدير عامرة، ليس عامرة فقط بل وكان يُقام فيها كنائس خاصة (على أساسات الكنائس القديمة الأولى) لتوفير الصلاة بسهولة للجماعة التي تعيش حولها، وليس فقط مجرد كنائس بل كما تقول المخطوطة: كنائس جميلة ذات هندسة دقيقة مبيضة ومزخرفة داخل قلالي متسعة ذات جدران عالية على نمط الدير نفسه، وكانت هذه الكنائس موضع فرح كبير لقلب البطريرك الذي كرسها بنفسه.

---

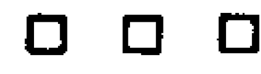
(6) Ibid., p. 46 N.
Zoëga. Cot. No. LVI.

٢ ــ إن مدافن البطاركة في ذلك الوقت كانت ملاصقة و «داخل» السور الغربي للدير. و يقول إڤيلين هوايت أنها قبو ملاصق للسور الغربي في الزاو يةالقبلية الغر بية، و بابها مسدود الآن، وهو يُرى من داخل المائدة القديمة الأثر ية.

٣ ــ بناء كنيسة (هيكل) جديد باسم الثلاث فتية القديسين ضُم إلى كنيسة أنبا مقار من الجهة القبلية بعد هيكل أنبا شنودة.

آثار هامة لز يارة الرحالة مار ينو سانيوتو سنة ١٣٢٠م:

قد قام هذا الزائر الأوروبي بز يارة لمنطقة أديرة شيهيت، وترك لنا خر يطة تقر يبية هامة يوقع فيها أماكن الأديرة وما يجاورها من البحيرات، و يعطينا فكرة مبسطة عن هيئة الأديرة ورسمها الهندسي، فكل دير يظهر في الخر يطة عبارة عن حصن مرتفع يلاصقه مر بع من سور مرتفع يحوي داخله المباني حسب الرسم الكروكي في ملزمة الصور من هذا الكتاب.



النصف الثاني من القرن الرابع عشر

ظلت الأديرة في ازدهار بوجه عام حتى منتصف القرن الرابع عشر سنة ١٣٤٦م تقر يباً، وظل دير أنبا مقار يزهو بجماعات المتوحدين الذين لم يكن عددهم يقل عن أر بعمائة راهب يعيشون في قلاليهم ومنشو بياتهم المتناثرة حول الدير الرئيسي الذي كان يُدعى في ذلك الوقت «القسطلية»، وكان عبارة عن الأسوار الأر بعة العالية تحمي داخلها الكنائس وضعفاء الشيوخ (٧).

وقبل أن يبدأ النصف الثاني من القرن الرابع عشر رأى دير أنبا مقار مغيب شمس أمجاده الأولى، فقد ابتدأت أمجاد الحياة التوحدية تتوارى قليلاً قليلاً من دير أنبا مقار، ثم تقلصت الحياة الرهبانية ودخلت المنطقة المظلمة من عصورها الأخيرة حتى داخل الأديرة نفسها. في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر ما بين عامي ١٣٤٨، ١٣٤٩م حلت بالبلاد كارثتان كبيرتان:

---

(٧) من الأسباب الرئيسية التي جعلت دير أنبا مقار الحالي بوضعه حتى عام ١٩٦٩ مكتظاً بالمباني وليس فيه متسع لسكنى الرهبان، هو أن مبانيه وهندسته كانت أصلاً مصممة ليكون كله حصناً يلتجيء إليه الرهبان وقت الغارة.

الأولى: ازدياد الإضطهاد بدرجة لم يرَ المسيحيون مثلها من قبل(٨).
والثانية: نزول وباء الطاعون الذي كان يُدعى الموت الأسود، فحصد مئات الألوف وترك البلاد في مجاعة والأرض خربة ليس من يفلحها... ويقول عنه المقريزي أنه كان يهلك يومياً بالقاهرة وحدها ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة، وكان يترك شوارع بأكملها وأحياء بأكملها خراباً يباباً.

ثم مرة أخرى وقبل أن تفيق البلاد من الضربة الأولى اجتاحت البلاد مجاعة انتشرت على إثرها موجة طاعون أخرى عام ١٣٧٤ م، يقول المقريزي عنها أن البلاد بسببها كانت تسير سيراً حثيثاً نحو الخراب حتى عام ١٣٨٨ م.

ولكن ماذا حدث للأديرة وقتذاك؟ وماذا أصاب الوادي المقدس وادي هبيب؟

هذا ما لم يعرفه أحد حتى اليوم، فقد انقطعت أخبار الأديرة خمسين سنة عن المؤرخين، إذ لا توجد مخطوطة واحدة تحمل أي إشارة عن كيف تحملت برية شيهيت هذه الصدمات.
+ الرهبان أصبحوا يُعدُّون على الأصابع، وقد أنهكهم المرض والجوع والكوارث، وكلهم محتمون بالأسوار داخل الدير.
+ أما الدير فأصابه الضمور، وظهر بضيقه وقلة قلاليه أوسع من حاجة الساكنين فيه.
+ أما فيما يختص بالمباني التي خارج الدير من منشوبيات محصنة وكنائس عديدة مزينة وأديرة صغيرة كالقلاع وقلالي بالألوف ومغائر بلا عدد فقد دخلت جميعها تحت سطوة الريح والمطر وعبث العابثين إذ كانت كلها تخلو من ساكن واحد. ولم تلبث إلا قرناً واحداً حتى صارت أطلالاً وخرائب حزينة كئيبة تحكي على ممر السنين والعصور وإلى اليوم قصة ماضٍ يحمل أمجد ذكريات الكنيسة والمسيحية على وجه العموم.

ويقول المقريزي المؤرخ الذي مات سنة ١٤٤١ م في كتابه الخطط والآثار صفحة ٣٣٩ عن دير أنبا مقار ــ أي بعد مرور قرن واحد على عصر ازدهار المنشوبيات والقلالي:
[ويقولون أنه كان يقيم به ألف وخمسمائة راهب ولكن لا يوجد اليوم سوى عدد صغير، ويُرى خارجه أطلال عدد كبير من الأديرة.]

---

(٨) [كان هذا القرن شؤماً على الكنيسة، خربت فيه البيع تخريباً فظيعاً، وصودرت أملاكها، وهدم معظم الأديرة وضوعفت الجزية على الأقباط وقُتل من قُتل وأسلم من أسلم، حتى أشرفوا على الفناء. وكان للكنائس أوقاف تبلغ ٢٥ ألفاً من الأفدنة أخذها الملك الصالح بن محمد ابن قلاوون وهو من المماليك البحرية وأنعم بها على الأمراء.

ولم يأتِ آخر هذا القرن حتى كانت أبروشيات عديدة في الوجه البحري قد تلاشت لإنقراض نصاراها] عن كتاب تاريخ المسيحية في مصر ص ١٥٣.

الفصل التاسع

من القرن الخامس عشر حتى العشرين

١ ـ زوال مجد الوحدة والحياة الرهبانية الأصيلة.
٢ ـ عمارة عابرة سنة ١٥١٧م تشفعاً وتطلعاً لعمارة شاملة.
٣ ـ مباني دير أنبا مقار تتداعى وتتهدم أمام عيون الرهبان. شهادة سائح فرنسي سنة ١٦٥٦م.
٤ ـ سائح فرنسي آخر يصف سنة ١٧١٢م ما تبق من خرائب الدير في أوائل القرن الثامن عشر.
٥ ـ حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧١٢م.
٦ ـ حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧٩٩م.
٧ ـ حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٣٧م.
٨ ـ حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٣م.
٩ ـ حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٤م.
١٠ ـ بداية حركة للترميم والبناء في مطلع القرن العشرين.

وأخيراً بزغ فجر القرن الخامس عشر يحمل هذه الحقيقة المرة: أن مجد الوحدة والحياة الرهبانية الأصيلة قد زال.

أما أول إشارة وصلتنا عن دير أنبا مقار بعد هذا الظلام الدامس فجاءت عفواً في مخطوطة بالفاتيكان(١)، ملحقة بتاريخ البطاركة، تحمل تاريخ أول حادثة بعد القرن الرابع عشر سنة ١٤٠٩م، تقول:

[وما أن تنيح أنبا متاؤوس الكبير (الأول) البطريرك الـ٨٧ (المدعو متى المسكين) وكان ذلك أول مسرى سنة ١٤٠٩م حتى أظهر الرب علامات وعجائب، ففي ليلة نياحته تحركت أجساد القديسين إخوته البطاركة الراقدين في دير أنبا مقار فسقط القنديل الذي كان أمامهم فلم ينكسر، وسمع الرهبان من خلال حركة الأجساد صوتاً من الصندوق يقول: قوموا اخرجوا، افتحوا الباب لأن أبانا متاؤوس حضر وهو واقف على الباب، وعندما خرج الأخوة وفتحوا الباب لم يجدوا أحداً. فتعجبوا وظلوا يترقبون الأمور حتى وصلتهم أخبار من مصر أن هذا الأب تنيح في الليلة التي زارهم فيها].

(1) Vatican Ms. E., 686 fols. 219 b, 220 a.

ومن هذه الإشارة يُفهم أنه بقيت للرهبان في هذه المحن كلها بقية في شيهيت تشهد للرب ولحياة الصلاة والنسك، ولكن بسبب الخوف والمرض والضعف وقلة العدد التجأوا جميعاً إلى الأسوار العالية واحتموا فيها فلم يبقَ خارج الدير أحد.

ثم يمضي القرن الخامس عشر كله دون أي إشارة على بادرة نشاط داخل دير أنبا مقار ولا بقية الأديرة التي في وادي النطرون. بل على العكس، إذ نسمع عن تداعي جزء كبير من مجموعة أديرة يوحنا القصير و يوحنا كاما، وتلاشت بعض الأديرة بكنائسها. فيذكر المقريزي في تاريخه وهو ينحصر في زمن ما قبل وفاته سنة ١٤٤١م أن دير يوحنا القصير كان به ثلاثة رهبان!! ودير السريان كان به راهب واحد فقط سنة ١٤١٣م!! وأن دير يوحنا كاما أكله النمل الأبيض وقد تهدم تماماً ولم يبقَ منه إلا الأنقاض، وتهدم معه دير الأحباش ودير الأرمن.

ولا نجد في هذه الحقبة أي إشارة عن ممارسة البطاركة لعادة تجليسهم في دير أنبا مقار بعد رسامتهم ولا عادة عمل الميرون هناك.

عمارة عابرة سنة ١٥١٧م تشفعاً وتطلعاً لعمارة شاملة:

تحكي لنا إحدى المخطوطات عن تشبث رهبان دير أنبا مقار بالرجاء واحتفاظهم بروح العمارة والتجديد حتى في أحلك الأزمنة. فقد جاء في هامش مخطوطة الفردوس العقلي بمكتبة دير أنبا مقار خبر عن إصلاحات تمت في الحصن القديم و بعض الأبنية المتهدمة في زمان بطريركية أنبا يوحنا ١٣ البطريرك الـ٩٤ (١٤٨٤ـــ١٥٢٤م)، وفي عهد رئاسة الأب الراهب أنبا يعقوب القمص(٢).

[وقد تكرست هذه الكنائس الثلاثة (الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس والسواح) حتى تحل بركاتهم وأن يبقى الدير في الحفظ والحماية وأن تجرى عمارته بصلواتهم وتضرعاتهم. وقد صوروا في كل كنيسة الصور المناسبة لقديسيها، ودهنوها بزيت التكريز أي الميرون الذي تكرز به الكنائس وتم ذلك بحضور الأب البطريرك الأنبا يوحنا الرابع والتسعين].

وكانت البلاد في هذه الأيام تعاني كلها من غزو الأتراك لمصر في عهد سليم الأول.

وقد وردت إشارة عابرة في مخطوطة كانت سابقاً في حيازة دير أنبا بيشوي مكتوبة سنة ١٥١٤م تفيد أن أنبا غبريال الثامن (١٥٨٥م) تنيح في برية شيهيت ودُفن هناك أي بدير أنبا مقار(٣).

---

(٢) الفردوس العقلي وتكريس هيكل أنبا بنيامين، مخطوطة بمكتبة دير أنبا مقار رقم ٢٠٧ ط.

(3) Vatican Ms. Hist., Patr. E. 686, fol. 222.

مباني دير أنبا مقار تتداعى وتتهدم أمام عيون الرهبان. شهادة Thévenot :

لم يستطع الرهبان لعددهم الضئيل وفقرهم الشديد أن يذودوا عن كنائسهم وهياكلهم ومخازنهم وقلاليهم داخل الدير وهي تتداعى الواحدة بعد الأخرى أمام عيونهم.

ويحكي لنا سائح فرنسي يدعى Thévenot عن حالة دير أنبا مقار سنة ١٦٥٦م فيقول (٤):

[وكان دير أنبا مقار أكثر الأديرة الأربعة تهدماً وتخريباً، وقد صارت الكنيسة الكبرى بصفة خاصة أكثرها تهدماً وهي كنيسة أنبا مقار ذات الخمسة هياكل سابقاً(٥)، صارت أنقاضاً. ولكنها ظلت مع كل ذلك محتفظة بشيء من مسحة جلالها الأول]. و يذكر أن دير أنبا مقار كان خالياً من أي حديقة وأن ماءه كان مالحاً.

وعلى هذا المنوال ظل دير أنبا مقار يفقد مبانيه الواحد تلو الآخر حتى جاء القرن الثامن عشر.

سيكار السائح الفرنسي يصف سنة ١٧١٢م ما تبقى من خرائب الدير في أوائل القرن الثامن عشر:

و يصف سيكار(٦) كنائس الدير، الذي تخرب منها والقائم، دون أن يوضح تماماً مواقعها، ولكن بشيء من البحث والتدقيق يمكن معرفة ما اختفى من أسماء وملامح هذه الكنائس. يقول سيكار: [إن الحصن كان مرتفعاً عن الأسوار بمقدار نصف ارتفاع الأسوار، ويحتوي دير أنبا مقار على كنيستين، الأولى صغيرة وكاملة وكانت مكرسة على اسم القديس أنبا مقار، والثانية كبيرة ونصف مخربة على اسم القديس يوحنا. وقد تبقى منها خمس قباب محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي ولها خمسة مذابح](٧).

وهنا نعتقد أن سيكار وقع في خطأ غير مقصود، فالكنيسة الصغيرة الكاملة ليست هي كنيسة أنبا مقار، ولكنها غالباً إحدى الكنائس التي كانت تستخدم في الصلاة و بالتالي كانت تحتوي على جسد القديس أنبا مقار(٨). أما كنيسة يوحنا فهي بالطبع الهيكل المتبقي من كنيسة أنبا مقار التي تدعى بالكاثوليكية أي الجامعة أو الكبرى، أما الخمس القباب فهي قباب صحن الكنيسة الكبرى الذي كان لا يزال محمولاً على أعمدته العشرين بالرغم من تهدم قباب الهياكل نفسها (ما عدا هيكل يوحنا المعمدان) وقد ظهرت المذابح الخمسة في هياكلها.

(4) Voyages II, ch. LXXI.

(٥) من قبلي إلى بحري: هيكل الثلاث فتية ــ هيكل أنبا شنودة ــ هيكل أنبا مقار ــ هيكل أنبا بنيامين ــ هيكل مار مرقس (الآباء التلاميذ سابقاً) والذي يدعى الآن بهيكل يوحنا المعمدان.

(6) P. Claude Sicard, a Jesuit missionary: Lettres édifiantes & curieuses. Levant pp. 17f.

(7) Ev. White, II, p. 423.

(٨) جسد القديس أنبا مقار يحمله الرهبان دائماً أينما صلوا. ولذلك اعتقد سيكار أنها كنيسة أنبا مقار.

[وأراني الرهبان في كنيسة يوحنا المعمدان كنيسة صغيرة تدعى كنيسة القديس «أبوليناريس» ، و يعتقد الأقباط أن أبوليناريس «إيلاريا» هي بنت الملك زينون].

و يعتقد إڤلين هوايت أن هذه الكنيسة كانت قبلي كنيسة أنبا مقار (أي قبلي الكنيسة الكبرى التي رآها Thévenot السائح السابق ذكره وهي متهدمة ولم يبقَ منها إلا خمس قباب محمولة على عشرين عموداً رخامياً).

و يصف سيكار «حوض للغطاس» Epiphany Tank متبقياً وسط خرائب الكنيسة الكبرى ، يقول عنه إڤلين هوايت أنه اللقان المستخدم لغسل الأرجل . ولكن الحقيقة التي لا يعرفها إڤلين هوايت أنه حوض ماء كبير جداً كان يستخدمة الرهبان في عيد الغطاس ينزلون فيه إما أفراداً أو جماعة للتبرك كطقس مهم في هذه المناسبة ، وكانوا يستخدمونه أيضاً للعماد ، وربما كان هذا الحوض من الآثار الهامة في دير أنبا مقار الذي يرجع تاريخه إلى زمن القديس أنبا مقار نفسه الذي عمد فيه الكاهن الوثني وآخرين ، كما ورد في البستان . ونعتقد أنه كان بجوار البئر القديم حتى يمكن ملؤه وتفريغه بسهولة . ومعروف أن البئر القديم كان في الركن البحري الغربي من الدير الحالي بحري هيكل كنيسة الشيوخ الآن .

وقد رأى سيكار [شرق هياكل الكنيستين المذكورتين (أي كنيسة أبوليناريس و يوحنا المعمدان) فرناً خاصاً بصناعة القربان الذي يُقدَّم للذبيحة].

ويهاجم إڤلين هوايت فكرة وجود فرن شرقي الهياكل مكتفياً بوجود فرن عام للدير في الجهة القبلية . ولكن الحقيقة أن وجود فرن شرقي الكنيسة هو حقيقة طقسية ، فطقس الكنيسة الأولى كان يحتم وجود الفرن في هذا المكان من الكنيسة ، وكان يسمى «بيت لحم» ، ولا تزال آثار وجود فرن شرقي الكنيسة موجودة بكنيسة الشيوخ حتى اليوم .

أما غرفة فرن القربان التي كانت موجودة غربي بحري خورس كنيسة أنبا مقار الآن ، الذي يقول عنه إڤلين هوايت ، فكانت تُستخدم لعمل الشمع وليس لعمل القربان .

ومن هذا يُستفاد قطعاً أنه بعد زيارة سيكار حاول الرهبان استعادة كنيسة أنبا مقار من وسط الخرائب . ولما كانت كميات الرديم الناتجة عن الهدم كبيرة للغاية ولم يكن لهم قدرة لرفعها من المكان ، فقد كوموها بجوار السور بين السور والهياكل وظلت كما هي حتى اليوم .

خرائب المنشوبيات والقلالي الخارجية في القرن الثامن عشر:

وأخيراً يذكر سيكار في زيارته أن القلالي والأديرة المنفردة خارج الأسوار لم يُرَ منها سوى أساساتها و بعض جدرانها التي تحكي عن مجدها التليد وعن عظم اتساعها وآثار ومواضع توزيع

مبانيها من الداخل، و بعضها يوجد على بعد بضعة مئات من الخطوات خارج الدير(٩).

و يذكر أيضاً سيكار اسم إحدى هذه المنشوبيات «قصر البنات»، وربما تكون هذه المنشوبية بها أجساد القديسات إيلاريا أو غيرها؟

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧١٢م، عن تقرير سيكار:

يقرر السائح الأب كلود سيكار أنه في رحلة قام بها في ٧ ديسمبر سنة ١٧١٢م، وجد بدير أنبا مقار أربعة رهبان بالإضافة إلى القسيس الرئيس و بواب وشماسين من العلمانيين المبتدئين، أي ثمانية أشخاص. في حين أنه كان بالبراموس اثنا عشر والسريان خمسة عشر. أي أن مجموع الرهبان في هذه الفترة الزمنية كان لا يزيد عن أربعين راهباً في برية شيهيت كلها. وأن دير أنبا مقار كان في حالة يرثى لها.

عدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧٩٩م عن تقرير الجنرال أندريوسي:

يقرر السائح الجنرال أندريوسي أنه في رحلة قام بها سنة ١٧٩٩م وجد في دير أنبا مقار عشرين راهباً، ودير أنبا بيشوي إثني عشر، والبراموس تسعة، والسريان ثمانية عشر، وكان تعداد رهبان برية شيهيت في ختام القرن الثامن عشر تسعة وخمسين راهباً(١٠)، وأن الدير كان في حالة يُرثى لها.

عدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٣٧م عن تقرير روبرت كيرزون:

يقرر السائح روبرت كيرزون سنة ١٨٣٧م أنه وجد في دير أنبا مقار أربعة رهبان، وفي دير بيشوي ثلاثة رهبان، وأن دير السريان كان يقطنه الأحباش بسبب سقوط ديرهم، وفي دير البراموس إثنين أو ثلاثة رهبان في حالة فقر.

أما دير أنبا مقار فكان في حالة يرثى لها، والخرائب تحيط به من كل الجهات(١١).

مباني ملاصقة للدير سنة ١٨٣٨م:

وتقرر السيدة بلاط في رحلتها التي قامت بها مع تاتام سنة ١٨٣٨م أنها وجدت [ملاصقاً لسور الحديقة مباني لا تزال متصلة بالدير الحالي].

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٣م:

و يقرر السير جاردنر و يلكنسون أن في الرحلة التي قام بها سنة ١٨٤٣م وجد عدد رهبان دير أنبا مقار إثنين وعشرين راهباً، وفي بيشوي ثلاثة عشر، وفي السريان ثلاثين، وفي البراموس

(9) Ev. White, II, p. 424.

(10) Memoire sur la Vallée des Lacs de Natroun. I, pp. 279f.

(11) Visits to Monasteries in the Levant, pp. 74f.

سبعة، والعدد الإجمالي حوالي ٧٧ راهباً في البرية كلها(١٢).

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٤م عن تقرير الرحالة الإنجيلي قسطنطين تشندورف:

استرعى انتباه هذا العلامة أن مباني الأديرة الحالية تقوم على آثار أخرى مجيدة كان لها رونق ونقوش سواء القلالي أو الكنائس.

وقد وجد في دير أنبا مقار خمسة عشر راهباً، معظمهم مرضى صُفْر الوجوه، يعانون كلهم تقريباً عجزاً في عيونهم ورئيسهم كفيف البصر تماماً. و يُعزى ذلك إلى قلاليهم المنخفضة التي لا تحتوي على نوافذ تسمح بدخول الشمس أو الضوء، وإلى تغذيتهم التي تعتمد على تسقية العدس والبصل والزيت الحار. وقد لاحظ أنهم يستخدمون القهوة و يدخنون الطباق.

و يقرر أنه حضر في يوم الأحد قداساً استمر منذ ما قبل الفجر حتى ثلاث ساعات، والشيوخ واقفون خارجاً مستندون على عكاكيزهم التي تدعى عكاز مكار يوس.

وقد لاحظ أمام مبنى الكنيسة (من الغرب) حوضاً مربعاً سماه Epiphany Tank أي «حوض الغطاس». وشرق مبنى الكنيسة رأى فرن القربان.
وفي دير بيشوي وجد هناك أربعة رهبان ورئيسهم ضرير وله من العمر مائة وعشرون سنة، وفي البراموس وجد عشرين راهباً.

بداية حركة للترميم والبناء في مطلع القرن العشرين (١٩١١–١٩٢٩م):

يخبرنا إڤلين هوايت أنه شاهد، قبل وصوله دير أنبا مقار في رحلته المشهورة، بواسطة الصور التي سجلتها عدسة مهندسه چون پالمر سنة ١٩١١م نهاية حركة قامت في ذلك الوقت بقصد إعادة ترميم كنيسة أنبا مقار حتى يتسنى للرهبان الصلاة فيها، وقد سجل إڤلين هوايت هذه الحركة المعمارية في النواحي الآتية:

١ ـــ إزالة بقايا صحن كنيسة أنبا مقار المتهدم والإكتفاء بالخورس الأول فقط، وكان عبارة عن ثلاث قباب محمولة على أقواس مقبية، ورفعت بقايا السقف الذي كان من أخشاب حديثة.

٢ ـــ سد فتحة الأبواب المتسعة لهيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان بواسطة أكتاف من المباني لإمكانية عمل حجاب خشبي لكل منهما.

٣ ـــ سد الأقواس الكبيرة القائمة في الحائط الفاصل بين الخورس الأول و بقية صحن الكنيسة والمواجهة لكل من هيكل يوحنا المعمدان وهيكل بنيامين وجعلها فتحات مربعة بدل الأقواس.

---

(12) Modern Egypt & Thebes I, pp. 382 f.

أما الفتحة المواجهة للهيكل القبلي الأخير (قلاية المجمع) فقد سدت تماماً، وكلها لا تزال آثارها ظاهرة حتى الآن.

٤ ــ سد القوس الهائل الكبير في الجدار القبلي للكنيسة الذي كان يفتح على بقية صحن الكنيسة المتهدم والذي كان يواجه هيكل الثلاثة فتية وهيكل أنبا شنودة. وأثر هذا القوس لا يزال ظاهراً حتى الآن.

٥ ــ رفع مستوى أرضية كنيسة أنبا مقار وهياكلها ٩٠ سم.

وكل هذه الإصلاحات تمت في عهد رئاسة القمص فيلوثاوس (أبرآم مطران البلينا) والقمص مقار.

ولكن للأسف فإن كنيسة أنبا مقار لم تكن معدة تماماً للصلاة، فبقيت الصلاة فيها معطلة نحو عشرين سنة تقريباً (١٩٠٩ــ١٩٢٩) حينما بدأ أنبا أبرآم سنة ١٩٢٩م تكميل عمارتها وهدم قباب الخورس الأول، وأقام بدلاً منها سقفاً شبه مقبي على كمرات حديد، وأضاف للكنيسة خورساً آخر ورمم حجاب كنيسة أنبا مقار القديم الذي كان في حيازة المتحف القبطي وأعاده في مدخل هيكل أنبا بنيامين، وأقام فيها أول قداس في ٢٧ برمهات (٥ أبريل سنة ١٩٢٩).

وكذلك أقام في هذه السنة أيضاً منارة للجرس القديم الضخم الذي يصفه إڤلين هوايت كالآتي:

«قطره ١٫٢٥ م. مصنوع في إنجلترا من الحديد الزهر في مصانع شفلد سنة ١٨٦٦م شركة تايلور ڤكرز» [١٣].

كما اشترى أنبا أبرآم أيضاً جرساً جديداً زنته ٣٠٠ رطلاً وثبته بجوار الجرس القديم في نفس المنارة.

وقد قام أنبا أبرآم أيضاً باغلاق باب الدير القديم، وفتح بجواره في السور فتحة أخرى لتكون بوابة جديدة أكثر سهولة لدخول القوافل.

وفي زمن سابق لذلك، أي قبل سنة ١٩٢٠م، أقام أنبا باسيليوس مطران أبو تيج قصر الضيافة قبلي كنيسة أنبا مقار، فزاد الدير ضيقاً على ضيق، وفي نفس الوقت بقيت قلالي الرهبان غير صالحة للسكنى.

الحديقة وماكينة المياه:

ظلت مياه الشرب داخل دير أنبا مقار مالحة، وعبثاً حاول الرهبان الوصول إلى المياه العذبة، وظلوا يستقون المياه من بئر أنبا مقار خارج الدير التي تبعد عنهم مقدار نصف كيلو، فكانت

(13) Ev. White, II, p. 90.

الزراعة داخل الدير غير ناجحة على ممر السنين. واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن جاء أنبا أبرآم مطران البلينا واشترى للدير سنة ١٩٣١ ماكينة لرفع المياه، ودقّ المواسير إلى مسافة ٤٦ متراً حتى عثر على طبقة مياه أصلح من سابقتها، وإن كانت تحمل آثار الصودا بدرجة محسوسة إلا أنها مقبولة نوعاً ما. فازدهرت الحديقة داخل الدير وخارجه إلى حد محدود. وقامت الماكينة بإدارة طاحونة للغلال وآلة لتوليد التيار الكهربائي لإنارة الكنيسة والقصر.

وقد حاول أنبا أبرآم مطران البلينا إعادة السور القديم إلى وضعه الأول ولكن فشلت كل جهوده، فتوقف بعد أن ارتفع بالناحية البحرية مقدار مترين ونصف.



شاهد حجري يرجع إلى القرن السادس/السابع
[متحف Glyptothek Ny Carlsberg في كوبنهاجن — الدانمرك]

الفصل العاشر

العمارة الحالية بالدير

+ المشروع من الوجهة الهندسية الرهبانية.
+ المشروع من الوجهة الهندسية المعمارية.
+ المشروع من الوجهة الهندسية الأثرية.

الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي كان ولا يزال يشرق على الكنيسة القبطية وفي قلوب أولادها على ممر الدهور وفي أحلك أوقات الظلام، حتى تبقى دياراتها مشيدة وعامرة شهادة أبدية لحياة قديسيها وشهدائها الذين قادوا الحياة التقوية والنسكية الإنجيلية في العالم كله!

وفي هذا الفصل لو توخيت الاختصار منتهى الاختصار حتى أسرد للقارىء كيف وصلت جماعتنا الرهبانية القليلة العدد والضعيفة الجهد، والتي كان لا يزيد عدد أفرادها عن إثنى عشر راهباً، إلى دير القديس أنبا مقار عام ١٩٦٩، ثم كيف بدأت العمارة الحديثة في الدير منذ هذا التاريخ وكيف سارت حتى اليوم مع باقي الأنشطة الأخرى من استصلاح أرض وزراعتها وتجارب استنبات زراعات غير تقليدية وتحسين الإنتاج الحيواني، يلزمني أن أكتب كتاباً لا تقل صفحاته عن المئات الكثيرة، لأنها كلها تنطق برحمة الله ورضاه ولطفه وإحسانه الجزيل، أقل ما فيها يبهر العقل وأصغر ما فيها مُعجز تمام الإعجاز، ويكفي للقارىء زيارة عابرة للدير ليرى ما لا يمكن شرحه ويتحقق مما يستحيل وصفه.

وأولاً ينبغي أن نذكر بادىء كل ذي بدء أن نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير هو الذي رحب بنا في ديره وشجع أعمالنا منذ بدايتها.

+ ثم ينبغي أن نذكر بالفضل الأستاذ الدكتور أحمد محرم أطال الله حياته وزميله المرحوم الأستاذ الدكتور ميشيل باخوم، اللذين قبلا رعاية المشروعات من الوجهة الهندسية الإنشائية وتحملا كافة المصاريف المكتبية اللازمة للإشراف الفني بواسطة مهندسي مكتبها الأفاضل،

والأستاذ الدكتور صبري سمعان الخبير الإستشاري في الهندسة الإنشائية. وهنا لا يسعنا إلا أن نرفع قلوبنا أمام الله العلي أن يكافئهم عنا المكافأة الحسنة التي ترضي قلوبهم وتنفع أرواحهم وحياتهم.

+ كما ينبغي أن نذكر بالفضل المهندس الدكتور عبده فام خبير الجمهورية الإستشاري في الأساسات والذي تولى عملية اختبار الأساسات ووضع مواصفاتها، وزياراته المتكررة للإطمئنان على عمارة الدير من كل النواحي التي تختص بفنه وعبقريته.

+ كما نذكر بالإعزاز توجيهات المهندس الماهر مفيد الصيفي وكذلك الجهد والمحبة والمؤازرة التي قدمها لنا المهندس التقي محب فؤاد.

+ كذلك نذكر بالفضل المرحوم الأستاذ الدكتور صبحي صدّيق المهندس الخبير في الإنشاءات الصحية الذي تولى دراسة مشروع مجاري الدير على أحدث المواصفات الصحية.

ولزاماً علينا أن نذكر بالفضل الجزيل والعرفان بالجميل أخانا وشريك جهادنا بالروح المرحوم المقاول صبري عياد بالفشن الذي تولى توفير العمالة لنا ما يقرب من عشر سنوات مستمرة معلمين وعمال وقد دخل الآن إلى فرح سيده ليؤتمن على الكثير.

١ ــ المشروع من الوجهة الهندسية الرهبانية:

أولاً: إذا أمعن القارىء في اللوحة رقم ١ معماري يجد مقطعاً أفقياً الجزء الأسود منه يوضح معالم الدير في حالته الراهنة قبل العمارة، حيث المباني الأثرية والمباني المستحدثة في العصور المتأخرة متشابكة معاً، مما جعل آثار الدير العتيقة والهامة تتوه وسط كثرة القلالي والجدران المتهالكة التي أُنشئت أخيراً بلا نظام ولا ترتيب حتى ملأت كل مساحة الدير تقريباً.

وهكذا أصبحت السكنى داخل الدير بالنسبة لرهبان ينشدون الهدوء والسكينة أمراً محالاً. فالمساحة ضيقة غاية الضيق والقلالي متلاصقة والأسوار متقابلة، وأقل صوت يرن في الدير كله ويعكر هدوءه.

ثانياً: ولهذا بدأ المشروع على أساس فصل كامل بين سكنى الرهبان وبين آثار الدير الهامة والعتيقة حفظاً لها وتسهيلاً لصيانتها، على أن تكون القلالي الجديدة متباعدة بقدر الإمكان لتتيح للراهب فرصة الهدوء وتوحي إليه بالتوحُّد الذي هو جوهر الرهبانية، لأن على أساس التوحد تقوم مقومات الرهبنة.

ثالثاً: ثم روعي أن تكون مباني الدير العامة المختصة بالحياة اليومية من معجن وفرن ومطبخ



نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار
تقبل موهبة الأسقفية في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦م

+ عرفته إيبارشيته رجل تعليم و بناء وتعمير، وسيظل جبل العذراء بأسيوط يحمل له بمبانيه الضخمة الجميل إلى الأبد...

+ أما دير أنبا مقار فقد صار برعايته الحكيمة مكان الصلاة الدائمة وموضع الحكمة العالية كما وصفه سابقاً ساو يرس بن المقفع.

+ وعلى يديه قامت داخل الدير النهضة الروحية والمعمار ية الكبرى.

+ عرفته الكنيسة كلها لسان حق ورجل مواقف أطال الله حياته.

ومغسل وغيرها منفصلة انفصالاً تاماً عن مكان سكنى الرهبان، حتى يتاح للحبساء والمتوحدين أكبر قسط من الهدوء.

رابعاً: وكذلك روعي أن تكون أماكن الضيافة المؤقتة والدائمة ومبيت الزائرين منفصلة هي الأخرى انفصالاً كاملاً عن كل أماكن خدمات الرهبان اليومية وعن مساكنهم أيضاً، حتى يحتفظ الدير باستقلاله وحرمته تماماً.

خامساً: أما هندسة قلاية الراهب فقد روعي فيها ما يناسب واقع حياة الراهب اليومية إذا ما نُظر إليه كإنسان متوحد. فقد صممنا القلاية على أساس إمكانية الإقامة فيها لأيام كثيرة دون الحاجة مطلقاً إلى الخروج والدخول. فقد جُعل فيها دورة مياه كاملة ذات تصريف على مجاري حسب الأصول والمواصفات الصحية مع حوض للوجه وآخر للغسيل ومكان للمطبخ في جزء مستقل من القلاية بالإضافة إلى غرفة صغيرة للمبيت أرضيتها من الخشب حتى يتوفر للراهب فرصة النوم على الأرض دون أن يتأذى جسده لو كان رهيفاً. ثم غرفة متسعة للمطالعة والسهر والدراسة بمكتب ودولاب حائط وأرفف وأدراج ثابتة يمكن أن تستوعب مكتبة كبيرة لراهب عالم باحث.

سادساً: أما صفوف القلالي فقد اهتممنا جداً أن لا تلاصق قلاية قلاية أخرى بأي حال من الأحوال. فقلاية أي راهب منفصلة تماماً عن قلاية الآخر، يفصل بينهما ــ من جهة ــ فناء لا يقل طوله عن خمسة أمتار، ومن الجهة الأخرى السلم الذي يصعد إلى الدور العلوي، كما زيدت المادة العازلة للصوت، تحت الأرضيات، وذلك حتى يتوفر للراهب الإستقلال الحتمي الذي تستوجبه العبادة والصلاة والحياة الداخلية التي بحسب روح الإنجيل: «إذا أردت أن تصلي فادخل إلى مخدعك **وأغلق بابك** وصلِّ إلى أبيك الذي يرى في **الخفاء**».

سابعاً: وبسبب خبرتنا السابقة في أهمية الجدران في التأثير على جو القلاية ونفاذ الأصوات، فضَّلنا استخدام الحجر المتوفر في الموقع وفي الجبال المحيطة عن طوب الخرسانة المفرغ لبناء الحوائط الخارجية والجانبية للقلالي؛ إذ ثبت أن طوب الخرسانة المفرغ موصل جيد للصوت بعكس ما يُقال عنه، كما أنه ضعيف في عزل جو القلاية الداخلي عن الجو الخارجي من حيث حرارة الصيف الشديدة أو صقيع ليالي الشتاء القارس. هذا بالإضافة إلى أنه قد ثبت أن الحجر جيد الإلتصاق بالخرسانة المسلحة مما يخلِّص المباني من الشروخات المألوفة بين الأعمدة والكمرات الخرسانية وبين الحوائط، ولم يظهر منها شيء حتى في الأسقف الخرسانية المعرضة للجو مباشرة إلا في حالات نادرة.

لذلك كان اختيارنا لمادة الحجر بدلاً من طوب الخرسانة ــ رغم توافر مواده الأولية في الدير ــ موفقاً أشد التوفيق بالرغم من أنه زاد عبء تسليح القواعد السفلى للأعمدة والسملاَّت التي تقوم

عليها الحوائط و بالأخص بالنسبة للسور الذي سيرتفع إلى أكثر من عشرة أمتار.

٢ ــ المشروع من الوجهة الهندسية المعمارية:

أولاً: لم نحاول أن نعطي العمارة القائمة الآن أي طابع أثري قديم، فلسنا من هواة تزييف الواقع الذي نعيشه(١)، فنحن نعيش نهاية القرن العشرين ومشارف القرن الواحد والعشرين؛ لذلك ينبغي أن تكون هندستنا التي نقوم بها تفصح عن عصرنا. كما ينبغي علينا أن نلتزم بأصولها ومواصفاتها. فالعمارة القديمة كانت لا تقيم وزناً للضوء أو الشمس أو التهوية أو الإتساع، وكان ذلك بتأثير عاملين هامين؛ الأول: الجهل بقيمة هذه الأمور وتأثيرها على صحة الإنسان النفسية والعصبية(٢). أما العامل الثاني فهو الإمعان في التضييق على الجسد بداعي النسك، وهذا لا ينبغي أن يُفرض على الإنسان فرضاً، فرأينا أن نتيح للراهب مسكناً تتوفر فيه الشروط الصحية للإنسان، أي إنسان، كما تنص عليه قوانين الصحة العامة، ونتركه بعد ذلك يختار من النسك ما يوافقه.

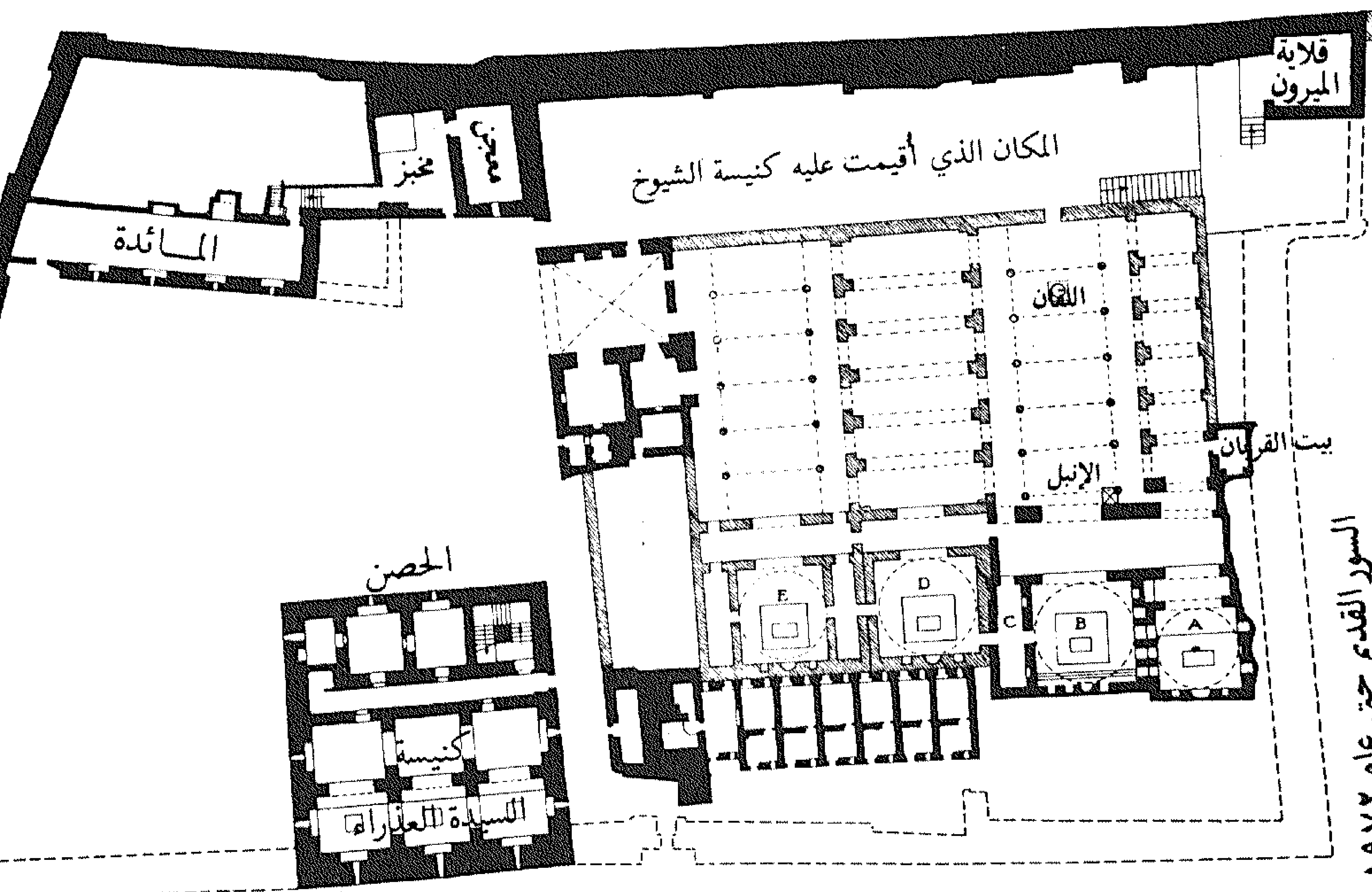
لذلك يجد القارىء أن المواصفات المعمارية من جهة اتساع الأبواب والشبابيك وارتفاع الأسقف وأنواع الخشب والبلاط والبياض، والمواصفات الصحية الأخرى التي التزمنا بها هي واقعة ضمن المواصفات والشروط الصحية العامة المأخوذ بها لدى العرف المعماري السائد في عصرنا الحديث.

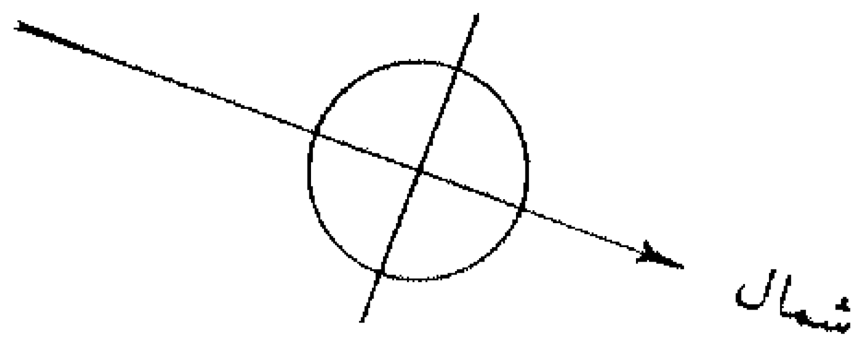
ثانياً: والتزامنا بإقامة ثلاثة أدوار للقلالي يكون ظهرها هو نفسه سور الدير كان في الواقع تصميماً إنشائياً وفي نفس الوقت معمارياً من الدرجة الأولى حيث أصبحت مجموعات القلالي عبارة عن دعائم لتقوية السور. كل مجموعة منها تتكون من ثلاثة أدوار، وكل دور عبارة عن قلايتين يفصلهما سلم. و بذلك أصبح سور الدير على العلو الكافي لدرء خطورة سفّ الرمال ومقاومة الرياح المحملة بالأتربة التي كانت فيما مضى تطغى على الأسوار بسبب انخفاضها. وقد وضعنا تصميماً في نهاية السور من أعلى عبارة عن «كابولي» Cantilever بارز عرضه ٥٠ سم يتكفل بصد الرياح ودفعها إلى أسفل مرة أخرى لتكسح هي بنفسها ما يترسب من الرمال في أسفل السور من الخارج.

---

(١) هذا لم يمنعنا من وضع لمسات جماليّة مأخوذة من الزخارف القبطية الأصيلة مثل الصليب الحديد الذي يزين شبابيك الواجهة الزجاجية لمبنى الضيافة، وزخرف الصلبان والمربعات المصبوب بالخرسانة المسلحة والذي يزين الجزء العلوي من المنارة وواجهات جميع مجموعات القلالي، مما أعطى للمباني الحديثة بالدير طابع الرزانة والوقار.

(٢) علماً بأن الجيل المعاصر نشأ بين أربعة جدران وقضى طفوليته وشبابه منكباً على الإستذكار والدراسة مما استلزم تصميماً يتوافق مع الظروف المعيشية والصحية لهذا الجيل.


قسطلية القديس أنبا مقار
قبل أن تنحصر مساحتها
في القرن الرابع عشر
مباني أثرية ما زالت قائمة
مباني السور وكنيسة أنبا مقار الكبرى
أسوار الدير بعد انحصاره
المائدة
مخبز
معجن
قلاية الميرون
المكان الذي أُقيمت عليه كنيسة الشيوخ
اللقان
الإنبل
بيت القربان
الحصن
كنيسة السيدة العذراء
السور القديم حتى عام ١٩٧٢
السور الأصلي للدير الذي قامت عليه أساسات الأسوار الجديدة المسلحة
بعد عام ١٩٧٢
A = هيكل مار مرقس
B = هيكل أنبا بنيامين
C = قلاية المجلس
D = الهيكل الذي بناه أنبا مقار أسقف منف
E = الهيكل الذي بناه أنبا شنودة البطريرك ٥٥
شمال
المدخل الأصلي للدير



لوحة رقم ١ معماري:

توضح الدير الحالي بعد أن زادت مساحته من ٢٢ ط ١ ف (حوالي ٨٠٠٠ م. مربع) إلى حوالي ١٥ ط ٧ ف (٣٢ ألف متر مربع). وتظهر القلالي الجديدة ملاصقة للأسوار الجديدة لتدعيمها. لاحظ أنها منفصلة تماماً عن أماكن الضيافة المقامة في الركن البحري الغربي، وكذلك عن مباني الدير العامة المختصة بالحياة اليومية (معجن. فرن. مطبخ. إلخ) الكائنة في الركن القبلي الغربي.

أولاً: المباني الأثرية:

١ ــ كنيسة القديس أنبا مقار.
٢ ــ كنيسة الشيوخ.
٣ ــ كنيسة الشهيد أبسخيرون.
٤ ــ الحصن.
٥ ــ قبة الميرون.
٦ ــ المائدة القديمة.
٧ ــ قلالي قبو قديمة.

ثانياً: المباني الحديثة:

ق١، ق٢، ... إلخ مجموعة من ٦ قلالي.
٨ ــ المنارة بارتفاع ٤٢ متراً.
٩ ــ المكتبة ويجاورها متحف صغير.
١٠ــ مباني الضيافة.
١١ــ مطبخ حديث.
١٢ــ مائدة جديدة.
١٣ــ الدياكونية (فرن ومعجن...إلخ).
١٤ــ مخازن أطعمة تابعة للمطبخ.
١٥ــ وحدة طبية وجراحة ومستشفى.
١٦ــ مخازن أدوات.
١٧ــ مطبعة ودار نشر.
١٨ــ جراچات للسيارات.
١٩ــ عنبر ماكينات الكهرباء ومحطة تشحيم.



لوحــة رقم (١)
التخطيط العام لتوسيع الدير

حديقة فواكه

حديقة فواكه

المدخل الرئيسي

مدخل خلفي

المباني الأثرية

المباني الحديثة

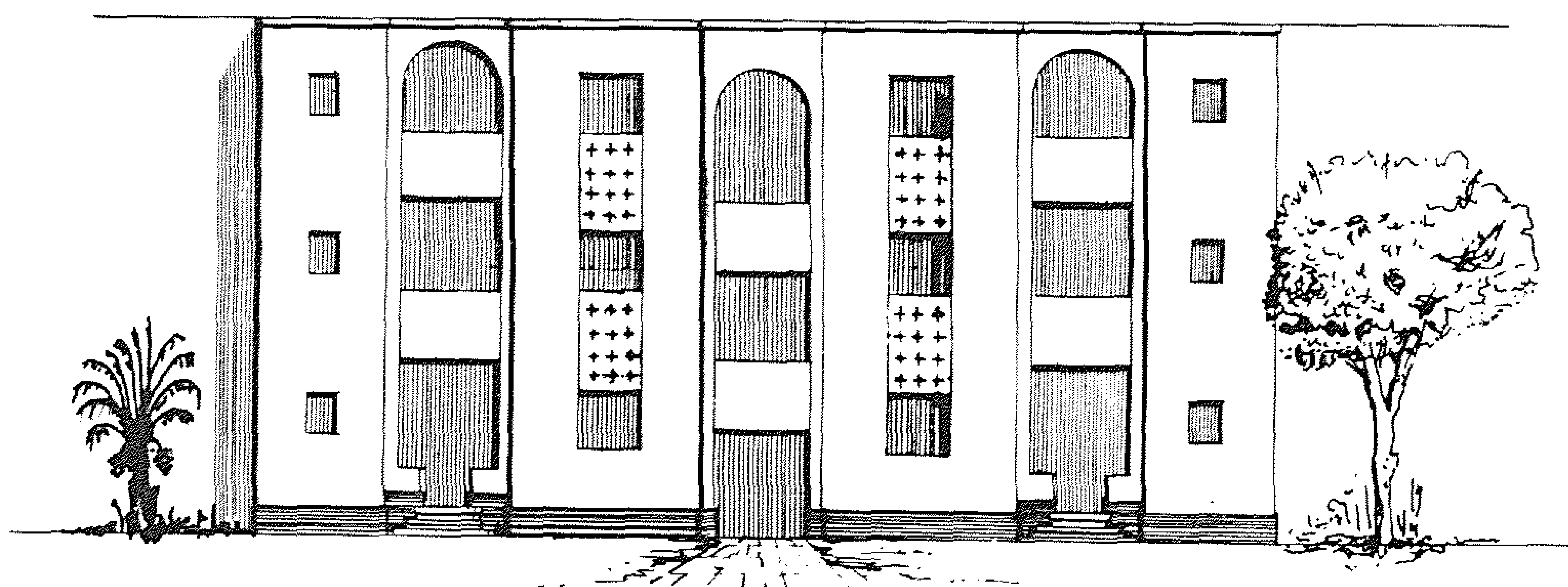
لوحة رقم ٢ معماري:

وهي تبين المسقط الأفقي لوحدة القلالي المتكررة والواجهة الأمامية لها. لاحظ تصميم القلاية أنها منفصلة تماماً عن القلاية المجاورة، من جانب بالسلم المؤدي إلى الأدوار العلوية ومن الجانب الآخر بفناء لا يقل طوله عن خمسة أمتار.

لوحة رقم (٢) قطاع وواجهة لمجموعة نموذجية من ٦ قلالي



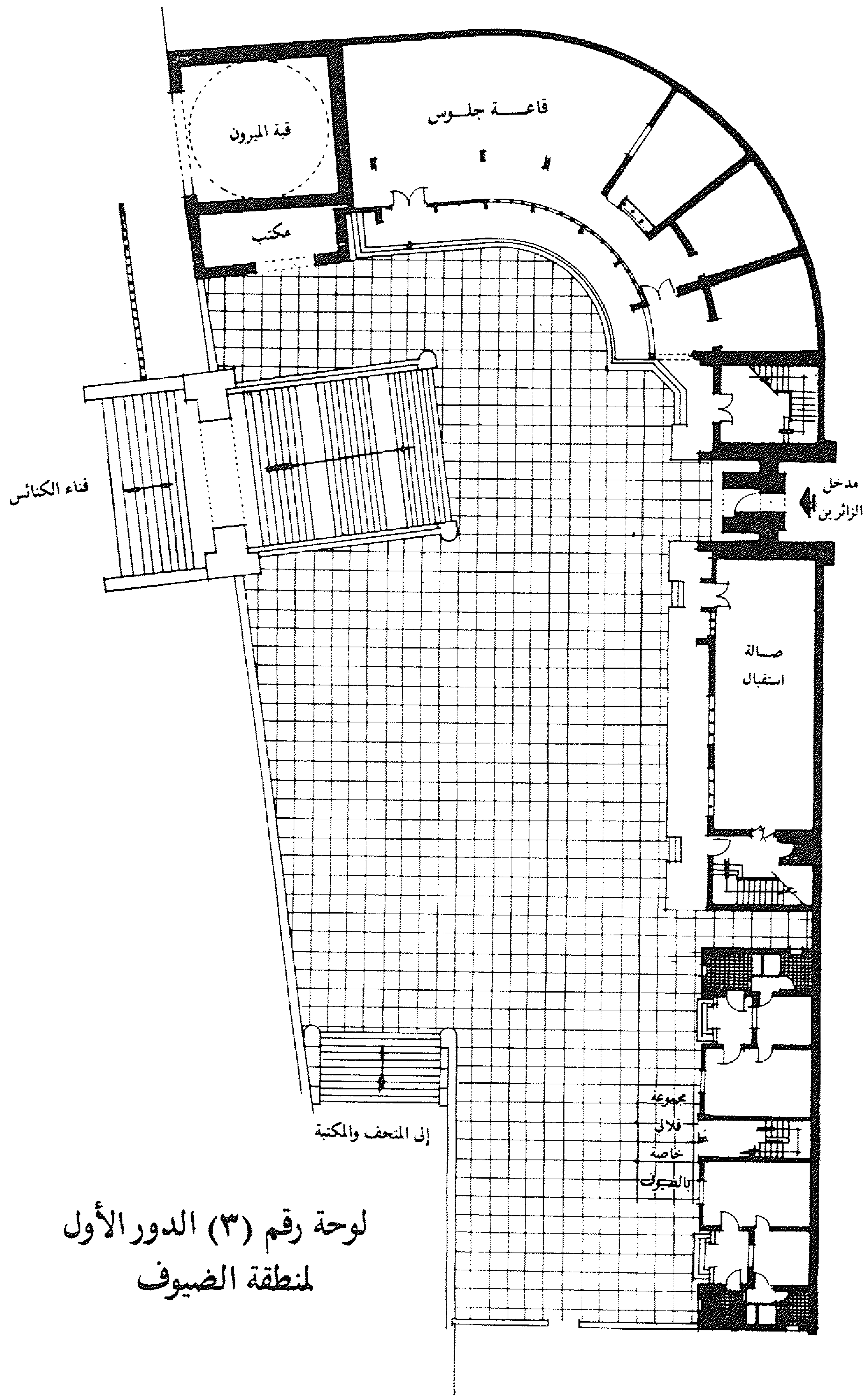
مسقط الدور الأرضي



واجهة أمامية

لوحة رقم ٣ معماري:

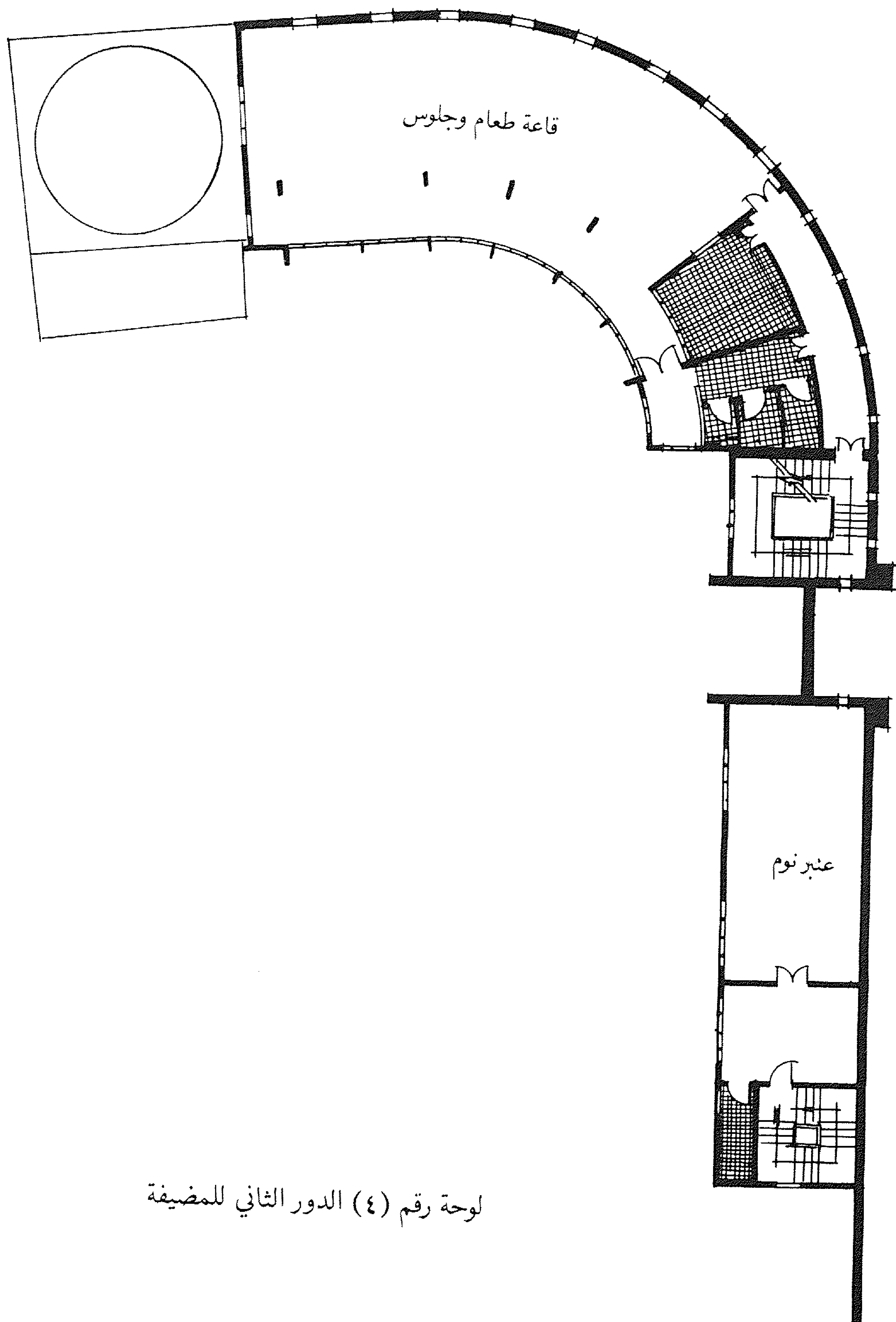
وهـي تـبين الـدور الأرضي لجناح الضيوف بالناحية الغر بية البحر ية . و يظهر فيه إلى يسار المدخل الرئيسي البحري ، الخاص بـالـزوار، صالة كبيرة تتسع لمائة زائر وملحقاتها . وإلى يمين المدخل قاعة لاستقبال الضيوف . و يواجه المدخل سلالم عر يضة هابطة إلى كنائس الدير القديمة . لاحظ في أقصى اليمين السور الفاصل بين جناح الضيوف وقلالي الرهبان .



لوحة رقم (٣) الدور الأول
لمنطقة الضيوف

لوحة رقم ٤ معماري:

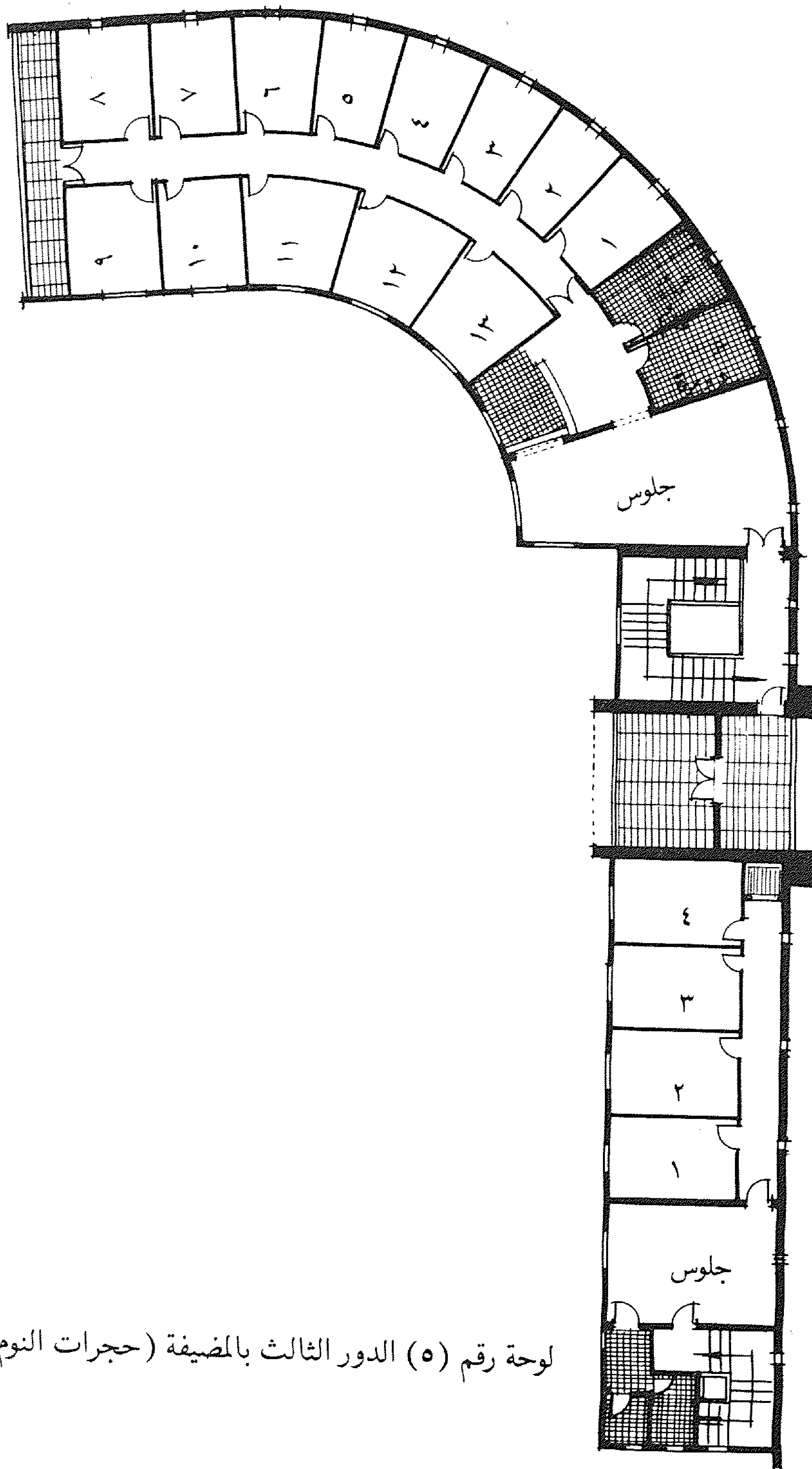
وهي تبين الدور الثاني لجناح الضيوف ــ و يظهر إلى اليسار قاعة استقبال كبار الزوار ومرافقيهم .



لوحة رقم (٤) الدور الثاني للمضيفة

لوحة رقم ٥ معماري:

وهـي تبين الدور الثالث لجناح الضيوف الخاص بالنوم. لاحظ عدد الحجرات المفردة لإتاحة فرصة الخلوة للراغبين من شباب وخدام وكهنة الكنيسة.



لوحة رقم (٥) الدور الثالث بالمضيفة (حجرات النوم)

كما راعينا أن تكون أركان الدير مستديرة على أوسع مدى حتى تصبح مصدًّا للرياح العنيفة توزعها يميناً وشمالاً بنفس عنفها الواقع على الجدار، مما يجعلها تحمل كل الرمال المترسبة بأسفل السور. وقد نجحت هذه النظرية نجاحاً باهراً مما يجعلها جديرة بأن تسجَّل في الفن المعماري الحديث الخاص بالصحاري.

٣ ــ المشروع من الوجهة الهندسية الأثرية:

أولاً: الترميمات وإعادة الآثار إلى رونقها الأول: منذ أول لحظة دخلنا فيها الدير استرعى انتباهنا ضرورة القيام بعملية ترميم شاملة لكافة المباني الأثرية وبغاية السرعة نظراً لخطورة التصدعات الموجودة في كافة القباب العتيقة بالكنائس، وعلى الخصوص قبة أنبا بنيامين المشهورة الكائنة بكنيسة أنبا مقار، وأقبية الحصن وأسقفه وحوائطه وعقوده إلى الدرجة التي تنذر بالانهيار. لذلك لم أهدأ لا عن الصلاة ولا عن السعي الدؤوب يومياً بالإتصال بالجهات الرسمية. وكنت آمل أن أنال معونة من هيئة اليونسكو فرُفض الطلب لعدم الاختصاص. ونصحوني أن ألجأ إلى وزارة الثقافة وتقابلت مع وكيلها السيد الدكتور محمود مختار الذي ألمح إلى أن الأمر يكاد يكون ميئوساً منه. وعدت وتقابلت مع وزير الثقافة حينئذ السيد الدكتور اسماعيل غانم فكان لطيفاً معنا إلا أنه أفتى بأن الأمر قطعاً ميئوس منه وأشار إلى أن مصلحة الآثار ــ حالياً هيئة الآثار المصرية ــ قد يكون عندها الحل. وفعلاً قام مديرها المرحوم الدكتور جمال محرز مع لجنة من مهندسي المصلحة بزيارة الدير سنة ١٩٧١ باعتبار أن الأديرة القبطية تقع بلا شك في دائرة اختصاص المصلحة كونها آثاراً من القرن الرابع. ولقد تفقد السيد المدير أرجاء الدير ورثى لحال المباني الأثرية العتيقة المتداعية ووعد بترميمها جميعاً على أن يتحمل الدير جزءاً من النفقات. وقد قدم فيما يختص بقبة أنبا بنيامين ملاحظات فنية دقيقة كما أشار بإزالة الأكتاف القائمة على يمين وشمال مدخل الهيكل. أما بخصوص الحصن القديم فقد أوصى بإجراء بحوث هندسية لمعرفة أسباب التصدعات وقد أجريناها قبل البدء في ترميمه. واستمرت المصلحة تشرف فنياً على ترميم الحصن القديم إلى أن بدأ الدير في توسيع كنيسة أنبا مقار سنة ١٩٧٦ حيث زار الدير العالم الأثري الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية في الهيئة مع مفتشيه لمعاينة ما كشفت عنه أعمال التوسيع من أساسات الكنيسة الأصلية التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي بحسب تقرير الأستاذ الدكتور جروسمان العالم بمعهد الآثار الألماني بالقاهرة، وقامت لجنة فنية من الهيئة بعملية مسح ورفع لكل الآثار التي كانت مدفونة مثل الثلاث درجات بما عليها من رسوم ملونة جنوبي هيكل أنبا بنيامين الحالي، وأساسات ثلاثة هياكل أخرى؛ كما قاموا باستعمال أساليبهم الفنية العلمية لحفظ وتثبيت هذه الألوان التي ظلت مطمورة قروناً طويلة. واستمر هذا التعاون الفني بين هيئة الآثار والدير حتى عام ١٩٨٢ عندما قدمت الهيئة ٣٧ شباكاً من الجبس المعشق بالزجاج الأخضر اللون تم تركيبها لقبة هيكل أنبا بنيامين على نفس الرسم والشكل الذي

كانت عليه الشبابيك الأصلية.

وسيرى القارىء في الباب السابع «التاريخ الأثري لمباني الدير» وصفاً مجملاً لما قام به الدير من إنشاءات لتدعيم الآثار المختلفة في الدير مع تعليق الأثريين الكبار الذين زاروا الدير وعاينوا ما تم في آثاره.

ثانياً: تخليص المباني الأثرية من الأبنية المستحدثة المتداعية والمتشابكة معها: إن أول ما يسترعي انتباه الزائر للدير قبل سنة ١٩٦٩ هو تشابك الأبنية بعضها ببعض، قديمها مع حديثها، إلى الدرجة التي كان يصعب فيها أن يحتفظ في ذاكرته بصورة محددة لآثار الدير. فالمباني كانت متصلة ومتلاصقة تعترض مسيرة الزائر أينما سار. وقد بلغت جرأة الرهبان في اقتطاع أجزاء من المباني الأثرية لبناء قلاليهم إلى درجة أن بنوها فوق خوارس الكنيسة كما كان حادثاً في كنيسة الشيوخ الشهداء(٣). ولا يخلو الأمر تبعاً لذلك من إلقاء المياه ـــ ونقصد المياه القذرة ـــ فوق سطح الكنيسة. بل والأدهى والأمرّ أن أي راهب ما كان يجد أي مانع من عمل مرحاض خاص لنفسه بجوار قلايته يفتحه على قلاية أسفله أو بجوار السور مباشرة، مما جعل أجزاءً من الأسوار تهبط تاركة شروخاً وتصدعاتٍ طولية وعرضية جعلتها في حالة تلف بالغ. بل ولا مانع من أن يكون المرحاض على بعد أمتار قليلة من الكنيسة فتنشع المياه داخلها كما كان حادثاً في كنيسة أبسخيرون. بل إن التصريف الرسمي لدورات المياه لمبنى الضيافة الذي أزلناه كان يتصرف في أرضية الدير وسط الأبنية في خندق بجوار الحصن مباشرة. فكانت النتيجة أن تسربت مياه المراحيض داخل الحصن وأصبحت أرضيته كلها مشبعة بمياه المراحيض ورائحتها لا تطاق، وتسببت في هبوط الجدران من كل ناحية وأحدثت التصدعات الخطيرة التي عانى منها الحصن، بل وتسببت أيضاً في تصدع جدران وقباب كنيسة أبسخيرون.

كل هذا جعل المختصين من المهندسين ورجال الآثار ينصحون بسرعة إزالة المراحيض ودورات المياه التي بداخل الدير وكان عددها تسعة في كل ركن من أركان الدير القديم.

وهكذا بدا أمامنا كضرورة حتمية تخليص كل الآثار داخل الدير من المباني المستحدثة الملاصقة بها من كافة الجهات، صوناً لها ولإبراز معالمها بعد ترميمها وإعطائها طابعها الأثري الأصيل، بحيث لا يبقى داخل منطقة الدير القديم إلا الكنائس وقبة الميرون والحصن والمائدة القديمة و بعض القلالي القبو العتيقة؛ وهذا ما حدث فعلاً.

ثالثاً: (أ) الأسوار: لقد وصفنا ما آلت إليه أسوار الدير من شروخ طولية وعرضية بسبب

(٣) على القارىء إن يرجع إلى الصورة الفوتوغرافية للدير قبل التعديلات الأخيرة في صفحة ٨٦٣.

تصريف مياه المجاري في أرضية الدير. ولكن الذي أضر أكثر بالأسوار الأربعة هو إقامة حديقة داخل الدير وإغراقها بالمياه على فترات وجيزة، والأشجار مزروعة على بعد متر أو أقل من متر من بعض الجدران كما كان حادثاً في الحصن. وقد زُرعت هذه الأشجار والمباني القديمة في حالة تصدع فعلي، فكانت النتيجة أن زادت التصدعات بسبب انخفاض أجزاء من الأسوار والجدران. وهكذا أتلف الرهبان أعز ما عندهم من آثار وأسوار في سبيل إقامة بعض الأشجار.

أما الأسوار البحرية والقبلية وهي التي كانت على أسوأ حال من الإتلاف فقد تحققنا بعد الكشف عليها أنها لم تعد تحتمل إقامة أية مباني جديدة ملاصقة لها، مما حتم علينا ضرورة النظر في الاتساع خارج الأسوار القديمة وضم أجزاء جديدة للدير، ثم إعادة إقامة أسوار جديدة بالخرسانة المسلحة على قواعد ضخمة وسملاّت شديدة الإحتمال.

وفي أثناء إزالة السور القبلي للدير وجدنا أجزاءً من أساسه مبنية على فراغات هي أقبية قلالي قديمة مهجورة بعضها كان مستخدماً كمقابر. ووجدنا أجزاء أخرى مبنية على تراب فرن، ومعظم السور محشو بالتراب الخالص غير المعجون بالمياه حتى تجعله مونة صالحة للبناء. وكان الشيء الوحيد الذي جعل السور يقف هذه السنين هو غلاف خارجي من الدقشوم وقشرة من الحجر وطبقة سميكة من الجبس.

أما السور البحري فقد وجدناه سوراً مزدوجاً؛ و يبدو أن السور الأول كان في حالة انهيار تماماً. فالشروخ الطولية فيه كاملة من أعلى إلى أسفل مما اضطر الرهبان القدامى أن يقوموا ببناء طبقة أخرى من سور يحمي السور الأول قامت مائلة عليه ميلاً شديداً فلم تَنْجُ هي الأخرى من التصدعات في نفس أماكن تصدعات السور الأول. وكان ذلك بسبب وجود بئر مياه ومراحيض قديمة متاخمة للسور في هذا المكان بالذات. وهكذا كان حال باقي الأسوار القديمة.

(ب) بوابة الدير الأثرية الأولى: كان من المعروف حتى سنة ١٩٧١ أن باب دير أنبا مقار الرسمي جهة الشرق. فمصوِّر الحملة الفرنسية يرسم الباب الأصلي للدير في الجزء القبلي من السور الشرقي. والعالم بطلر يرسم لنا رسماً كروكياً يبين فيه الباب أنه في الجهة الشرقية أيضاً، وكذلك العلاّمة إڤلين وايت. وكنا نشك دائماً في صحة هذه الأقوال ونعتقد اعتقاداً جازماً أن باب الدير الأصلي لابد وأنه كان في الجهة البحرية كبقية الأديرة وكطقس الكنيسة القبطية التي لا تسمح مطلقاً بجعل باب لكنيسة أو لدير في الجهة الشرقية، لأن المعروف أن الرب وحده سيأتي من المشرق. لذلك يقول حزقيال النبي: «ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق. فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز٤٤: ١و٢). وقد صدق حدسنا إذ بينما نحن نقوم بإزالة

السور البحري وجدنا الباب الأصلي والأثري للدير بعقده الجميل الذي من الطوب الأحمر الصغير(٤) إنما في حالة تفكك. ولقد بذلنا مجهوداً فنياً لا يصدق استغرق ستة أشهر حتى استطعنا أن نحصر هذا العقد الأثري العظيم المتداعي في كل أجزائه، نحصره بطبقة حاملة من الخرسانة المسلحة من أسفله ومن أعلاه، ونضمه من جانبيه بدعامتين من الخرسانة المسلحة ذات مدادات أرضية وكتفين من الحجر الضخم لحفظ توازنه، بعد أن كشفناه من كل ناحية وفرغنا داخله من المباني التي كانت تسده. هذا الأمر الذي لما اطّلع عليه مهندسو الآثار تعجبوا كيف وقف لنا هذا العقد طائعاً مستسلماً وهو متهالك. ثم كيف ضبطناه هكذا بهذه القوة. ولكن السر في هذا وفي غيره كانت الصلوات الكثيرة التي قدمناها لله من أجل انفتاح البصيرة والمعونة الإلهية.

ولكن الذي تعجبنا له كثيراً ووقفنا أمامه مدهوشين هو أننا كنا ــ وقبل الكشف عن هذا الباب ــ قد وضعنا أساس السور البحري الجديد الموازي للقديم. وكنا قد حددنا مكان الباب الجديد وأقمنا بالفعل أكتافه منذ عام ١٩٧٠ تقريباً وتم صب عقده بالخرسانة المسلحة. فلما عثرنا بعد ذلك على الباب القديم في الطبقة الداخلية للسور البحري وجدنا البابين على خط واحد. فعرفنا في الحال أن الله يريد أن يقول لنا أنه هو الذي يبني و يعمل ويجدد الأسوار والأبواب بواسطتنا دون حذق منا. كما تأكدنا أنها إشارة من الله خفية تقول لنا أن الرب اختار هذا الجيل ليكون مكملاً لأعمال وتدبير الجيل الأول.

وصف إجمالي لمباني الدير

(١) القلالي: أقيمت ١٦ مجموعة قلالي، كل مجموعة تحتوي على ٦ قلالي، على النمط المرسوم في لوحة ٢ معماري.

أما قلاية الأخ أو الراهب المبتدىء فبحسب التقليد الرهباني تختلف احتياجاته عن الباقين، إذ توصي تعاليم الآباء أن يهتم بقضاء أكبر وقت ممكن في خدمة مجمع الدير، و بذل المحبة، والتواضع، ليكتسب الفضائل التي تهيئه للوحدة بعد ذلك، مثل إماتة الذات والطاعة الكاملة وحفظ الوصية وسط ضجيج العمل. كما أنه غير مُطالَب إلا بالصلوات القانونية والمطانيات في قلايته. لذلك تمَّ تخصيص المباني الغربية والجنوبية لحجرات المبتدئين، نظراً لقربها من أماكن الخدمات العامة في الدير.

---

(٤) يقول الأثريون أن العقد المدبب المبني بالطوب الأحمر «بجنزير من طوب على سيفه» محصور بين «جنزيرين من طوب على بطنه» ظهر في مصر في القرن التاسع، وهذا يتفق مع تاريخ ظهور أسوار الدير التي بنيت على يد البابا شنودة الأول (٨٦٥ـ٨٧٧م) على أثر هجوم البربر على الدير.

و يبلغ عدد الرهبان الذين تستوعبهم قلالي النوع الأول وقلالي المبتدئين مائة وخمسة وعشرين راهباً.

(٢) المائدة الجديدة: عرف رهبان مصر آداب المائدة؛ ووضعوا لها الأصول على أعلى مستوى(٥)، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمة الجهل والبدائية. فالمائدة في الدير امتداد لوليمة الأغابي المعروفة منذ عصر الرسل، والتي شاعت في الكنيسة الأولى، حتى اندثرت بعد ذلك منذ وقت بعيد، إلا في مصر، حيث حافظت عليها الأديرة القبطية.

وفي عصرنا هذا، الذي نسعى فيه للإرتواء من الينابيع الأولى، أُقيمت لأول مرة في الأديرة القبطية مائدة تجمع الرهبان يومياً على نفس مثال مائدة العشاء الأخير يوم خميس الفصح. فكما كان الطقس اليهودي يحتم أن يجلس رب الأسرة أو الجماعة على رأس المتكأ، وإلى يمينه أكبر أفرادها سناً، وهكذا بالترتيب إلى أن تنتهي الدورة بجلوس أحدث الموجودين سناً على يسار رئيس الجماعة، هكذا في مائدة الدير يتصدر الأب الروحي المائدة والصلاة؛ و يقرأ البركة، ثم عن يمينه يجلس أقدم الرهبان، وهكذا إلى أن تنتهي الدورة بأحدث المبتدئين عن يساره.

ومن خلال هذه الوليمة اليومية وتعاليم الأب الروحي وشروحاته على كتاب «بستان الرهبان» الذي يُقرأ على المائدة باستمرار، يحل الروح الواحد على الجماعة، ليكون لها الفكر الواحد والمبدأ الواحد والحياة الواحدة، للكبير والصغير على السواء. ومن خلال الصلاة وكلمة الله تتقدس حياة الراهب كما هو مكتوب: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو١٠: ٣١).

وقد أُلحق أخيراً بالمائدة مطبخ حديث فسيح لإعداد الطعام لما يربو على ١٥٠ راهباً، في فترة وجيزة و بأقل جهد ممكن، لما فيه من معدات حديثة. و يتكون هذا المطبخ من صالتين كبيرتين: الأولى للإعداد والتجهيز، بها ثلاجة لحفظ الأطعمة، والثانية للأفران وطهي الطعام.

(٣) المكتبة: كان لها في الأديرة شأنٌ كبيرٌ، و بالأخص دير القديس أنبا مقار الذي اقترنت فيه التقوى والقداسة مع العلم والمعرفة، حتى قيلت فيه هذه العبارة البليغة: «إنه موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية»(٦). لذلك أقيمت فيه أكبر مكتبة ديرية لحفظ ما تبقى من مخطوطات(٧) أفلتت من أيدي الهواة والسارقين الأفاضل. كما نجتهد منذ ثلاث عشرة سنة حتى الآن للحصول على ميكروفيلم وصور للمخطوطات الهامة التي تسربت إلى الخارج حتى تكون في متناول يد أصحابها

(٥) من تعاليم أنبا إشعياء الإسقيطي للمبتدئين (وهو من آباء القرن الخامس العظام): «إذا جلست على المائدة مدّ يدك إلى ما هو قدامك فقط... لا تتلفت هنا وهناك ولا تتكلم كلمة فارغة... إذا شربت الماء فلا تدع حلقك يُحدث صوتاً».

(٦) كلمة مأثورة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في القرن العاشر في تاريخه عن بطاركة الكنيسة المصرية.

(٧) سينشر الدير قريباً كتالوج المخطوطات القبطية والعربية والحبشية التي بقيت في الدير.

الرهبان الراغبين في البحث والإطلاع، لأن وجود مطبعة حديثة بالدير سيسهل نشر هذه المخطوطات لتعريف العالم، والشعب القبطي خاصة، بالتراث الروحي واللاهوتي والطقسي الذي كان ومازال تعيش عليه كنيسة مصر.

المتحف: وهو ملحق بالجهة البحرية من المكتبة حيث تُعرض القطع الرخامية التي عُثر عليها أثناء تجديد الدير مثل الأعمدة والتيجان والقواعد ولوحات المذبح التي تعتبر من أندر القطع في العالم كله، مع أحواض اللقّان والآنية الفخارية والخزفية الملونة.

(٤) المطبعة: تمكن الدير بتعضيد الغيورين على نشر الثقافة القبطية المسيحية من إقامة مطبعة بها أحدث الماكينات وتشغل الدور الأرضي من المبنى الغربي. وهذا يشمل غرفة متسعة مكيفة الهواء لآلة الجمع التصويري المزودة بذاكرة إلكترونية، وذات إمكانية لجمع وتصوير النصوص إلى ثماني لغات، بالإضافة إلى الآلات الهامة التي تستلزمها الطباعة اليوم خاصة طباعة الأوفست وآلات التطبيق والتدبيس والقص.

و يشرف على جميع هذه العمليات رهبان برعوا في إدارة ماكيناتها الحديثة.

وقد صدر عنها ما ينيف على ٨٠ كتاباً، منها الأحجام الكبيرة التي تزيد صفحاته عن ٨٠٠ صفحة (كتاب القديس أثناسيوس الرسولي)، بالإضافة إلى مجلة الدير الشهرية «مرقس» التي تعبِّر عن رسالة الفكر المسيحي الذي ينبغي أن يكون للشباب والخدام، وقد أضيف إليها مقال مترجم بالإنجليزية بصفة دائمة لمنفعة آلاف الأسرات القبطية في المهجر.

(٥) مباني الضيافة: التزامنا بالفصل الكامل بين أماكن الزائرين و بين قلالي الرهبان جعلنا نخصص الناحية الغربية البحرية لإستقبال الزائرين. وتشمل هذه الجهة كل المباني الملاصقة للمدخل الرئيسي، وتتكون من صالات فسيحة بالدورين الأرضي والأول تتسع كل منها لمائتي زائر. أما المجموعات التي تزيد على هذا العدد فقد أقيمت لها صالة كبيرة على اليمين في فناء الكنائس أسفل السلم الرئيسي الهابط إلى هذا الفناء.

ومن الأمور الملفتة التي تشير إلى أصالة المعرفة الروحية في دير أنبا مقار أن بدأ يفد علينا الكثير من رهبان بل ورؤساء أديرة الغرب، للتعرف على الخبرات الروحية التي هي في واقعها مجرد إحياء لتراث الأقباط الأولين. ولهؤلاء أيضاً خُصصت بعض القلالي في منطقة الضيافة التي لا تزيد في مكوناتها عن قلالي الرهبان الأخرى.

(٦) مبنى المستشفى وملحقاته: وموقعه في المباني القبلية من الدير. وهو تحت الإنشاء و يتكون من غرفة كبيرة للجراحة وأخرى للتعقيم، وصيدلية كاملة بمعمل تحليل وعيادة أسنان وعيون، يشرف عليها أطباء متخصصون وصيادلة من الرهبان.

ونأمل، بعد استكمال تأثيثه وتزو يده بالأجهزة الطبية الحديثة وسيارة إسعاف، أن نقوم بواجبنا الإنساني في نجدة المصابين من خارج منطقة الدير.

(٧) محطة الكهرباء والتشحيم: أُقيمت خارج الدير لآلات توليد الكهرباء، وأُلحق بها محطة كاملة لتموين معدات الدير بالبترول. كما تحوي أماكن إقامة الرهبان المسئولين عن تشغيلها مع الفنيين المساعدين لهم.

(٨) مباني المزرعة: يرى الزائر إلى الشمال الشرقي من الدير مجموعة مباني تفترش مساحة تزيد عن عشرة أفدنة خاصة بالورش والجراجات لمعدات الدير (سيارات نقل ــ جرارات زراعية ــ لوادر ــ بولدوزرات... إلخ)؛ كما تضم حظائر المواشي والدواجن والأغنام، وما يلزمها من مخازن أعلاف جاهزة ومصنَّعة وصالات تصنيع المنتجات الزراعية والألبان.

(٩) مباني العمال الزراعيين: أعدّ الدير قرية عمالية كاملة على أسوار الأرض الزراعية في الناحية البحرية، وهي المباني التي يراها الزائر عند قدومه من البوابة الخارجية. وتستوعب هذه المساكن ٥٠٠ عامل زراعي لمباشرة الزراعات المحيطة بالدير بما يلزمهم من مطابخ وأفران ومخازن وعيادة طبية وصيدلية. وسيخصص الدور العلوي منها للفنيين والصناع المهرة كما سيتم تزو يدها بالكهرباء والمياه.

(١٠) مباني الدير على الساحل الشمالي طريق الإسكندرية ــ مرسى مطروح ك ٦٩: يمتلك الدير حوالي ٣٠ فداناً في هذه المنطقة التي تمتاز بجمال الطبيعة الرائع بين مياه رائقة بلونها الأزرق اللازوردي ورمال بيضاء ناصعة.

وقصة هذه الأرض ترجع إلى عشرين سنة مضت حينما كنا نعيش في وادي الريان، فواجهتنا في السنة الأولى مشكلة المياه المالحة الملوثة. فاتجه التفكير إلى البحث عن مكان آخر تتوفر فيه العزلة والمياه الصالحة للشرب، فأرشدنا أصحاب العلم والفضل إلى الساحل الشمالي وتحركت السيارة من الإسكندرية على هذا الطريق وفيها الأب متى المسكين يتأمل الشاطىء والطبيعة حتى جذبته هذه البقعة بهدوئها الأخّاذ. وتم التعاقد مع صاحبها، وبدأنا إقامة المباني المناسبة. ولكن للأسف أوقفت المباني بإيعاز من المسئولين، لذلك اكتفينا بإحاطتها بحزام أخضر من أشجار الكازورينا، وأقمنا مروحة هوائية على بئر المياه لترفعها وتروي بعض الأشجار.

فلما شاءت إرادة الله وزالت الموانع التي تحول دون البناء على هذا الساحل، أنشأنا عدة مباني على المنحدر الطبيعي المواجه للبحر لاستغلالها لخلوة الرهبان الذين يرى الأب الروحي حاجتهم للإقامة هناك فترة محددة.

* * *

وفي ختام هذا الفصل عن أعمال البناء والتجديد والترميم، نقول أن العمل ليس في حد ذاته غاية نبلغها ونرتاح عندها، بل وسيلة نافعة لنمو الراهب الروحي. فالذي عزم في قلبه أن يعيش حياة الكمال المسيحي يدرك منذ اللحظة الأولى لدخوله الدير أنه قدم من عالم الجسد والخطيئة، حاملاً في جنباته ميراث المجتمع والأسرة والجسد والملذّات التي تتصادم جميعاً مع متطلبات الكمال. فالعمل الجاد يكشف تزييف النفس و يعريها من غطاء البر الذاتي، والراهب الحكيم يتعلم كل يوم من أخطائه وخطاياه كيف يتقدم نحو الكمال المسيحي. ومن خلال تعرُّف الراهب على ضعفاته يتيسر للأب الروحي أن يقوّم و يصحح، فتزداد المعرفة لحساب الله والعمل معاً.

وهكذا فالعمل ليس غاية للراهب بل وسيلة فعالة للتغيير المتواصل لبناء النفس بناءً سوياً ومشاركة حية في أعواز الآخرين.



شاهد حجري يمثل صليب قبطي مفرغ يرجع إلى القرن السادس/السابع
[المتحف البريطاني في لندن]

الباب السادس

مكتبة دير القديس أنبا مقار

مكتبة دير القديس أنبا مقار
وتاريخها على ممر العصور

كلمة «مكتبة» عُرفت باللغة القبطية لدى الرهبان الأقباط باسم «الوولثاكي»(١)، حيث حرف ϐ ينطق «واو» باللهجة الصعيدية. وتُكتب ϯϐⲩϐⲗⲓⲟⲑⲏⲕⲏ حيث «بيبلو» = كتاب، و«ثيكي» = دولاب.

العصور المبكرة: مكتبة الكنيسة:

بدأت مكتبة دير أنبا مقار بطبيعة الحال بدولاب صغير داخل الكنيسة يحوي كل كتب القراءة. والدولاب كان يسمى θυρίδες ، ولم يُعرف الدولاب بوضعه المستقل الحالي بل كان عبارة عن طاقة في الحائط طويلة لها ضلفتان وبها رفوف تُرصُّ فوقها الرقوق. والمخطوط كان يسمى بالقبطية واليونانية «طومُس» τόμος . أما كتب القراءة في الكنيسة فكانت تشمل منذ البدء كافة الكتب المستخدمة الآن، إنما كلا منها على حدة، بترتيب مبسط نوعاً ما، فكان يوجد ــ بحسب ما تحققنا من روايات سارقي المخطوطات ــ مخطوطات تحوي الأناجيل قائمة بذاتها ومخطوطات تحوي الأسفار الخاصة بالعهد القديم فقط ومخطوطات خاصة بالرسائل(٢).

ومن أمثلة ذلك ما يذكره إڤلين هوايت عن مخطوطة الأسفار الخمسة التي كانت تستعمل في الكنيسة وهي محفوظة الآن بمكتبة الڤاتيكان(٣) في قسم المخطوطات القبطية، كذلك وبجوار هذه المخطوطة تماماً في نفس مكتبة الڤاتيكان مخطوطة أخرى لدير أنبا مقار تشمل سفر المزامير بأكمله ونشيد الأنشاد وعليها آثار الخدمة في الكنيسة (نقط شمع وزيت وخلافه)(٤) وهي من القرن العاشر.

ومن أعجب المخطوطات التي كانت في حيازة مكتبة دير أنبا مقار مخطوطة للمزامير مكتوبة بست لغات على ستة أنهر قبطي وعربي و يوناني وأرمني وحبشي وسرياني، ولعلها كانت تخرج في

---

(1) See Zoëga cat., No. XLIV, p. 66.
(2) Hist. Patr., p. 469.
(3) Cod. Vatic. copt. I.
(4) Cod. Vatic. copt. V.

المناسبات عند وجود رؤساء دينيين أجانب، فتُقرأ الفصول بلغتهم جنباً إلى جنب مع قراءة القبطي. وهذه المخطوطة الثمينة دُعيت باسم «مزامير البربريني» وهو الشخص الذي وقعت من نصيبه في عملية نصب ضاعت فيها معظم مخطوطات الدير، لأن المركب التي أقلعت بالصفقة المسروقة وقعت في شرك قراصنة البحر؛ وأخيراً ظهر المخطوط في يد رئيس فرسان فرقة القديس يوحنا بمالطة الذي قدمه هدية إلى الكردينال بربريني (٥).

ومن عينة مخطوطات الأناجيل التي كانت تستخدم في الكنيسة المخطوطة التي سرقها هنتنجتون Huntington وهي موجودة الآن في مكتبة البودليان(٦).

ومن عينة مخطوطات الرسائل، المخطوطة «الجميلة» التي رآها «طاطام» Tattam سنة ١٨٣٩م وتعذر عليه شراؤها ولا نعلم مصيرها بعد ذلك.

وبجوار الأسفار المقدسة بعهديها القديم والجديد، كانت مكتبة الكنيسة بطبيعة الحال تحوي بعض الخولاجيات التي رأى منها طاطام مؤخراً «مائة» مخطوطة بالمكتبة(٧).

وإن كانت هذه المخطوطات تحمل تواريخ متأخرة مثل القرن العاشر مثلاً إلا أن كلاً منها عبارة عن نسخة منسوخة من نسخة أقدم منها كانت مستخدمة في الكنيسة ولكن بالإستخدام المتواتر صارت غير صالحة للإستعمال داخل الكنيسة(٨).

كذلك من الكتب الكنسية التي كانت مخصصة للخدمة داخل الكنيسة فقط القطمارسات الضخمة التي تخدم فصول السنة والمناسبات المختلفة، و يفيدنا الرحالة روبرت هنتنجتون أنه رأى منها في المكتبة سنة ١٦٨٢ أربعة أجزاء ضخمة تخدم قراءات السنة كلها باللغة القبطية، وهذه أيضاً لا نعلم مصيرها الآن.

وهذه القطمارسات تمثل بداية العصر الكنسي الذي فيه اختُزلت كثرة استخدام الكتب المتنوعة من العهد الجديد والقديم والرسائل والمزامير كلٍّ على حدة، فجُمعت منها الفصول حسب ترتيبها وأودعت مجلداً واحداً دعي بـ«القطمارس» لتسهيل القراءة.

وهكذا نعتقد أن الكتب الكنسية كانت هي المصدر الأول الذي منه بدأت ذخيرة مكتبة الدير، كما ظلت الكنيسة مصدر تغذية دائمة للمكتبة على مدى العصور سواء بما كان يُقرأ فيها و يتقادم عهده أو ما كان يُهدى إليها من البطاركة والأساقفة.

(5) See the original documents: Nau P.O.X. p. 217.

(6) Bod. Lib. (Hunt 17) described by Horner.

(7) Ev. White, I, XL.

(8) Ev. White, I, XXX.

كما أن المعتقد أن موضع المكتبة كان في البداية داخل الكنيسة وفي عهدة كاهن الكنيسة باعتبارها المبنى المركزي الوحيد الذي يمكن أن تحفظ فيه الكتب.

عصر المكتبات الفردية في قلالي الرهبان:

وهذا يمثل المصدر الثاني الثمين الذي كان ولا يزال يغذي المكتبة منذ أول يوم حتى الآن، فكل ما يقتنيه الراهب من الكتب كان يوقفه بعد موته على مكتبة الدير.

وكانت هذه الكتب تُحفظ أيضاً في طاقات ذات ضلف داخل الحيطان في القلالي، ونحن نذكر ما قاله القديس سرابيون الكبير لما دخل قلاية أحد الرهبان فوجد طاقة (خزانة) الكتب ملآنة فأنَّبه ربما لكونه من محبي القنية: [لقد أخذت قوت الأرامل واليتامى وملأت به دولابك... لأنه رأى الدولاب ملآناً كتباً](٩).

كما نذكر أيضاً ما قيل للأخ الذي نسخ لنفسه جميع أسفار العهد القديم والجديد: [لقد ملأت الدواليب ورقاً](١٠)، لأن أسفار العهد القديم والجديد إذا نُسخت في مخطوطات على الرقوق فحتماً تملأ عدة طاقات!! وكان معظم الآباء ينسخون لأنفسهم أقوال الآباء التي يسمعونها، فنحن نقرأ في سيرة كل من إشعياء الإسقيطي ومقار يوس الكبير كيف جلس الأب إشعياء يسجل بالكتابة حواراً كان يدور بين إخوة رهبان جاءوا لزيارة القديس أنبا مقار وكانوا من أديرة ظاهر الإسكندرية، [وكان معظم رهبان أديرة ظاهر الإسكندرية يتقنون اليونانية ومحبين للعلم والمعرفة واقتناء الكتب].

إذن فهذه هي بداية الأبوفثجماتا باترم التي كانت أولاً عبارة عن عمل فردي يقوم به الراهب من أجل منفعة نفسه قبل أن تظهر المجموعات الكبيرة. كما نعلم أن الرهبان كانوا ينسخون لأنفسهم الخطابات الدورية التي كان يرسلها الآباء البطاركة وبالأخص خطابات البابا أثناسيوس والبابا كيرلس الفصحية(١١).

كما كان يحتفظ كثير من الآباء بكتب القديس أثناسيوس اللاهوتية، مثل شيشوي الذي كان يحاجج بها الهراطقة(١٢).

وقد ابتدأ الآباء الرهبان النشطاء منذ بداية العصر الرهباني في شيهيت في كتابة سير الآباء القديسين بعد نياحتهم مباشرة، كما فعل الشماس بيشوي القسطنطيني (الذي كتب سيرة

---

(9) Sarapion II.

(10) R.O.C. XVIII.

(11) Cassian Collationes X, 2.2.

(12) Apoph. Patr., Sisoës, XXV.

القديسين مكسيموس ودوماديوس في مخطوط على ورق بردي واستودعه خزانة الكنيسة)([13]).

علماً بأن النساخة كانت في حد ذاتها صناعة رهبانية يقتات منها الرهبان، أو يمارسون من ورائها أعمال المحبة بإهداء الكتب للكنيسة أو المعلمين الكبار.
ومن النساخ المشهورين الذين اشتهروا بالخط المليح مرقس تلميذ سلوانس (لعله مرقس الناسك المشهور)، وأوغريس الذي برع في الخط المعروف باسم خط أوكسيرينكوس([14]) (أي البهنسا) وغيرهم.

أول ذكر لعصر المكتبات المستقلة:

كانت الغارات الكثيرة التي نزلت على شيهيت سنة ٤٠٧م وسنة ٤٣٤م وسنة ٤٤٤م من العوامل التي أخرت وأضرت بتأسيس مكتبات مستقلة في شيهيت، كما تسببت في ضياع مخطوطات ثمينة لا حصر لها.

ونقرأ في حاشية إحدى المخطوطات التي خطها بيشوي الشماس القسطنطيني لسيرة مكسيموس ودوماديوس أن إيسيذوروس بعد هجوم البربر حمل معه هذه المخطوطة إلى الإسكندرية ــ وبالطبع مخطوطات أخرى كثيرة ــ واستودعها في بيت الضيافة.

إذن فمعظم مخطوطات نتريا وشيهيت كانت تُحمل إلى الإسكندرية وتُحفظ في بيت الضيافة إلى أن تعبر أزمنة الإضطراب، ومن يدري إنْ كانت تعود أو لا تعود! ولكن تقول الإشارة الواردة في هذه المخطوطة أن هذا الكتاب أعيد مرة أخرى بيد الشماس أُستاثيوس إلى راهب من شيهيت وذلك في زمان البطريرك ميخائيل.

أما من هو إيسيذوروس هذا فلا نعرف، و يُستبعد أن يكون القس إيسيذوروس قس شيهيت المشهور الذي مات قبل غارة البربر الأولى، وكذلك من هو البطريرك ميخائيل فلا نعرف. ولكن يُظن أن هذه الإشارة تتعلق بالغارة الأخيرة سنة ٨١٧م وأن المخطوطة أُعيدت في زمن أنبا ميخائيل الثاني سنة ٨٥٠م([15]).

وتفيدنا مخطوطة أخرى سريانية عن بداية تكوين مكتبات مستقلة بالأديرة وهي المخطوطة التي استولى عليها «السمعاني» أمين مكتبة الفاتيكان من دير السريان، ومكتوب في حاشيتها الأخيرة هكذا: [هذه المخطوطة اشتريت في يوم ٣٠ من شهر تموز (يولية) في سنة اليونانيين ٨٨٧ =

(13) Morgan. Life of Max. & Domed. (Cauwenbergh p. 71).
(14) Pallad. Hist. Laus., XXXVIII.
(15) Ev. White, I, P. XXIII note.

٥٧٦م، وذلك لحساب الدير المقدس بشيهيت، وذلك في أيام قداسة مار ثيئوذور رئيس الدير بنعمة الله من ماله (مال ثيئوذور) الخاص، وقد اشتراه مع كتب أخرى لفائدة التأملات والقراءة والنمو الروحي لكل من يتصفحه. والرب الإله الذي من أجل اسمه قد صار هذا الكنز الثمين ملكاً للدير يكافئه... ولكن كل من يأخذ هذا الكتاب ليقرأه ولا يعيده إلى أصحابه (رهبان الدير) فليرث نصيب يهوذا إلى الأبد آمين].

و يقول إڤلين هوايت أن دير السريان وقتئذ كان عبارة عن «لاڤرا» أي «منشوبية» صغيرة ملحقة بأحد الأديرة الأربعة، ولكن كان في حيازة هذه المنشوبية كما قرأنا **مجموعة كتب لمنفعة الجماعة كلها، أي «مكتبة» بكل ما في الكلمة من معنى.**

وهكذا نستطيع أن نجزم أن عصر المكتبات الرسمية بدأ في كل دير من أديرة شيهيت (بل وفي كل منشوبية) وذلك في بكور القرن السادس وربما قبل ذلك أيضاً.

ونحن نسمع عن بعض العلماء والرحالة في بداية القرن السابع مثل «حنان عيسو» السرياني الذي حضر إلى شيهيت و بدأ يجمع من مكتبات الأديرة كتابه المشهور «بستان الرهبان»؛ و يؤكد العلامة بطلر(١٦) في تعليقه على بستان الرهبان أن حنان عيسو هذا اعتمد كلياً في تأليف كتابه على مخطوطة قبطية ضائعة الآن وهي في غاية الأهمية وكانت تدعى فردوس شيهيت ⲡⲓⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ ̀ⲛⲧⲉ ϣⲓⲏⲧ وهذه المخطوطة ذُكرت مرتين في سيرة أنبا بسنتي(١٧)، وذُكرت أيضاً في سيرة يؤنس القصير بقلم زكريا أسقف صا و يقول أنه جمعها من الكتاب المعروف باسم «كتاب الآباء الشيوخ» ⲡⲓϫⲱⲙ ̀ⲛⲛⲓϩⲉⲗⲗⲟⲓ أو فردوس شيهيت، و يذكر أنه كان يحوي أعمال الآباء وآلامهم، وكان كتاباً هاماً ومشهوراً، وهو يقابل كتاباً آخراً نسمع عنه ولا نعرف عنه شيئاً بعد و يسمى «فردوس نتريا»(١٨).

أما في دير أنبا مقار فيُعتقد أن مكتبته بدأت مبكرة جداً، أولاً بسبب رعاية الملك زينو المفاجئة للدير، وقد نقل إلينا المؤرخ جورجي تلميذ البطريرك سمعان الأول (٦٨٩ـ٧٠١) وكاتب سير البطاركة (كيرلس الأول ــ ألكسندر الثاني) عن وجود رسالة من الملك زينو محفوظة بمكتبة الدير مع مجموعة كبيرة جداً من رسائل البطريرك أنبا بطرس الثالث (٤٧٧ــ٤٨٩م)(١٩)، ولا تزال توجد مخطوطة بالفاتيكان تحمل هذه الحقيقة(٢٠).

---

(16) Butler, Laus. H., I, 85.

(17) Amélineau, Life of Pisenti, (Memoire de L'inst. Egypt, II, 339, 363).

(18) Crum, Coptic Ostraca, No. 250, C.P.P. 63.

(19) Ev. White, I, p. XXIV, note.

(20) Cod. Vatic. Copte LXII, 4.

كذلك يعزى ازدهار مكتبة دير أنبا مقار في عصوره المبكرة إلى التجاء البطاركة إليه أثناء النزاع الأريوسي والخلقيدوني وانتقال كرسي البطريركية من الإسكندرية واستقراره في هذا الدير مدداً طويلة. ومعروف أن البطريرك كانت عليه أعباء تعليمية للشعب وأعباء لاهوتية لمواجهة الهراطقة، فلابد أن معظم المخطوطات الثمينة التي كانت بمكتبة الإسكندرية والمعتبرة كمراجع لاهوتية انتقلت إليه واستقرت في مكتبته. كما أن نسخاً من المؤلفات التي كتبت فيه ظلت محفوظة بمكتبته، وذلك كما قلنا منذ بدء النزاع الأريوسي وهروب أنبا أثناسيوس واختبائه بين الرهبان حيث كان يكتب رسائله و يبعثها مع رسله لجميع الأساقفة. كذلك أيام أنبا بنيامين الذي كان يتصل بالشعب بواسطة هذه الرسائل أيضاً في أيام اختبائه، وأنبا ساويرس الذي لا تزال بعض مقالاته منسوخة ومحفوظة بشيهيت، كذلك أنبا بنيامين الذي حضر إلى الدير لتكريس هيكله إذ نسمع منه وهو يخاطب أغاثون تلميذه: [أحضروا (من المكتبة) الكتب اللازمة للتكريس](٢١).

وبمجيء العرب إلى مصر وحصول الأديرة على عهد الأمان والتعمير، بدأت تسترجع المكتبة شأنها.

ونتحقق من الأخبار الواردة بكتاب تاريخ البطاركة أنه في أيام البطريرك سمعان الأول (٦٨٩ــ٧٠١م) قام تلميذه المدعو جورجي بتجميع سير البطاركة من عهد كيرلس الكبير عمود الدين حتى ألكسندر الثاني سنة ٧٣٠م، وتقول المخطوطة أنه قام بذلك العمل في [(جبل) دير أنبا مقار بوادي هبيب](٢٢). إذن فالمكتبة وقتئذ كانت قد أصبحت حاوية لكل المراجع والتواريخ اللازمة لتصنيف مثل هذا الكتاب الكنسي الهام.

ونسمع في القرن الحادي عشر بوجود هذه المخطوطة في دير نهيا بالجيزة (بيرامي)، و يظن أن الرهبان حملوها معهم أثناء غارة البربر في بداية القرن التاسع سنة ٨١٧م، ولا تزال بعض ورقات منها محفوظة بالمتروبوليتان بأمريكا(٢٣) ومصورة بكتاب إڤلين هوايت لوحة رقم ٨.

و يعتقد إڤلين هوايت أن حدوث الغارة الخامسة سنة ٨١٧م كان كارثة على مكتبة دير أنبا مقار، إذ أن معظم مخطوطاتها أُتلف أو تمزق أو حُمل بواسطة البربر، والقليل الذي نجا حمله الرهبان إلى دير نهيا بالجيزة، لذلك أصبح بعد ذلك من الصعوبة بمكان أن يعثر الباحث في المكتبة على مخطوطة يعود تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع.

---

(21) Hist. of Patr., p. 243.

(22) Ibid., p. 344.

(23) Ev. White, I, XXIV, 164, pl. No. VIII.

العصور الوسطى :

بدأت المكتبة تستعيد مجدها الأول بسرعة بسبب إقامة البطاركة فترات طويلة بالدير خصوصاً أيام الصوم الكبير وأسبوع الآلام للصلاة والخلوة والدراسة . ولما كان حضور البطريرك للدير يكاد يكون إجبارياً بعد رسامته في الإسكندرية مباشرة كان من الحتمي أن يكون الدير، و بالأخص مكتبته ، على درجة ملائمة لهذا الوضع .

وترتب على وقوف الدير بمثابة موقف الرقيب على العقيدة الأرثوذكسية وعلى طقوس الصلوات كما عرفنا في الأبواب السابقة ، وجود رهبان مقتدرين في المعرفة اللاهوتية والطقسية ، ونسمع بالفعل عن تأليف الكتب وترتيب الطقوس وإعادة اختزالها لتناسب الحياة العملية للمؤمنين في العالم .

كما ترتب على اختيار ورسامة البطاركة والأساقفة من رهبان دير أنبا مقار بكثرة ، إلى ازدياد غيرة الرهبان فيه على التعليم والتأليف والتضلع في اللغات ، وهذا بدوره نشَّط صناعة النساخة التي اختصت بها بعض المنشوبيات .

وقد ظل دير أنبا مقار، كما يقول إڤلين هوايت ، طوال العصور الوسطى الدير الأول بين كافة الأديرة وكان محسوباً مكاناً لكرسي البطريركية جنباً إلى جنب مع الإسكندرية !!

والدليل المادي على كل هذه الحقائق مجموعة المخطوطات القبطية التي خرجت من الدير في هذه العصور الوسطى واستقرت في مكتبات العالم كله و بالأخص مكتبة الفاتيكان . وعلى سبيل المثال فقط نقدم أسماء بعض هذه المخطوطات الموجودة حالياً بالفاتيكان :

ملاحظة : المخطوطات كلها باللغة القبطية و باللهجة البحيرية :

١ ــ «نقل جسد أنبا مقار» تاريخ النساخة ٨٣٠م أجزاء .

٢ ــ «استشهاد يعقوب الفارسي» تاريخ النساخة ٨٨٤م بقلم قرياقس (كيرياك) ابن الشماس استاوروس (صليب) .

٣ ــ سيرة أرخيلاوس الذي من نيابوليس وميمر على رئيس الملائكة جبرائيل . التاريخ والناسخ مثل سابقه .

٤ ــ استشهاد مكاريوس الأنطاكي . تاريخ النساخة ٩١٤م بقلم يعقوب ابن يؤنس كاما .

٥ ــ سيرة موسى الذي من بلدة القفط ، مديح لبسنتي الذي من قفط . تاريخ النساخة ٩١٨م بقلم يعقوب ابن يؤنس كاما .

٦ ــ استشهاد اسحق الدفراوي تاريخ النساخة ٩٢٥م الناسخ ثيئوذور بأمر رئيس الدير ابراهيم القلتي .

٧ ــ ميمر على الثلاثة فتية بقلم كيرلس عمود الدين . تاريخ النساخة سنة ٩٣٣م.

٨ ــ استشهاد القديس مارجرجس. تاريخ النساخة ٩٥٦م.
٩ ــ مديح لمقاريوس أسقف اتكاو بقلم ديسقورس. تاريخ النساخة ٩٥٧م. الناسخ ثيئوذوسيوس بن منياس قس المنشوبية الكبرى.
١٠ ــ على الثلاثة بطاركة (ابراهيم واسحق و يعقوب) بقلم البابا أثناسيوس. تاريخ النساخة ٩٦٢م. الناسخ (راهب من دير القديس أنبا مقار لا يذكر اسمه في زمن بطريركية أنبا خائيل).
١١ ــ نياحة الثلاثة بطاركة. تاريخ النساخة ٩٦٢م.
١٢ ــ مقالة عن الحياة الرهبانية للقديس باسيليوس أسقف قيصرية. تاريخ النساخة ٩٦٢م.
١٣ ــ سيرة أنبا نوفير بقلم بافنوتيوس. تاريخ النساخة ٩٧٩م. الناسخ جبرائيل الشماس.
١٤ ــ استشهاد ثيئوذور المشرقي، نصف، تاريخ النساخة القرن العاشر.
١٥ ــ ميمر على ذبح اسحق للقديس غريغوريوس النزينزي، وتحوي إشارة مؤرخة ٩٩٥م. تاريخ المخطوطة القرن العاشر.
١٦ ــ ميمر على الفقر للقديس غريغوريوس النزينزي، تحوي إشارة مؤرخة سنة ١٠٢٥م. تاريخ النساخة القرن العاشر.
١٧ ــ استشهاد يوسابيوس، تحوي إشارة مؤرخة سنة ١٠٢٥م. تاريخ النساخة القرن العاشر.
١٨ ــ استشهاد القديس لوقا. تاريخ النساخة القرن العاشر.
١٩ ــ حياة القديس أنبا مقار الكبير. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٠ ــ مديح للأنبا ماكروبيوس بقلم منياس. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢١ ــ سيرة سمعان الذي من بين النهرين. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٢ ــ سيرة يوسف النجار. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٣ ــ مديح للأنبا بطرس (خاتم الشهداء) بقلم ألكسندر. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٤ ــ استشهاد أنبا بطرس خاتم الشهداء. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٥ ــ عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم. تاريخ النساخة القرن العاشر.
٢٦ ــ تاريخ حياة يوسف النجار. تاريخ النساخة ١٠٦٧م.
٢٧ ــ سيرة حياة اسحق الدفراوي. تاريخ النساخة ١١٣٥م.
٢٨ ــ استشهاد يوحنا Phanidjoit بقلم القس جرجس. تاريخ النساخة ١٢١١م. الناسخ بطرس بن أبو الفرج.
٢٩ ــ استشهاد يوحنا وسمعان، به رسم يد لبعض الحيوانات موقع عليها اسم داوود المصور (و يظهر أنه كان ماهراً في رسم الحيوان ولذلك دُعي باسم Zoographos). تاريخ النساخة القرن الثاني عشر أو الثالث العشر.
٣٠ ــ سيرة يؤنس كاما بقلم بولس قسيس كنيسة أنبا شنودة بمنشوبية أبجيج (دير أنبا مقار).

والقصد الأساسي من توضيح أسماء هذه المخطوطات ليس فقط الإستدلال على نهوض النساخة في القرن التاسع والعاشر بدير أنبا مقار بصورة نشطة وجادة في كافة الإختصاصات الروحية والتاريخية والرهبانية، بل نقصد أيضاً و بالأساس رفع مظلمتنا لدى رؤساء ومديري هذه المكتبات بالفاتيكان وغيرها التي استقرت فيها هذه المخطوطات أن يعيدوا إلينا ولو صورة ميكروفيلم لهذه المخطوطات، فقد آن الأوان لأولاد دير أنبا مقار أن يستعيدوا ميراث آبائهم، يدرسوه وهم خير من يدرسوه، و ينشروه وهم خير من ينشروه، وأخيراً يعيشوه وهم يعيشوه.

* * *

مشكلة اللغة في القرن الثالث عشر وصعوبة النهوض بالمكتبة:

وما أن طلع القرن العاشر والحادي عشر على الحياة الرهبانية في شيهيت حتى اصطدم الرهبان بحقيقة مرة وهي بدء اضمحلال اللغة القبطية وضعف التخاطب بها بل و بدء دخول الأمية حتى بين الرؤساء، وأنها لمصيبة عظمى لا يمكن تعو يضها! وكلنا يذكر ذلك البطر يرك الذي لم يجرؤ أن يذهب إلى دير أنبا مقار حسب عادة البطاركة في الرسامة، وذلك بسبب عدم معرفته لقراءة الإنجيل باللغة القبطية، فاضطروا أن يحضروا له معلماً ليدرسه اللغة (أنظر ص٤٧٨).

إن الكوارث والمصائب التي منيت بها الحياة الرهبانية في شيهيت على يد البربر خمس مرات وتخر يب الكنائس والمنشو بيات والمكاتب وحرق المخطوطات ونهبها لم يؤثر في الحياة الرهبانية، كما يظن المؤرخون، بقدر ما استبدت بهم الأمية الفكر ية واللغو ية بالرهبنة القبطية!!

مصيبتان كبيرتان أحاقتا بالرهبنة القبطية: الأولى مجمع خلقيدونية الذي على أثره انعزلت الكنيسة القبطية عن العالم الخارجي وتوطدت بواسطته العداوة المرة بين الأقباط والروم. فأثرت تلك العزلة وأثرت تلك العداوة المرة على الثقافة الفكر ية واللغو ية في المعرفة الروحية والكتابية على وجه الخصوص لدى الأقباط بسبب انقطاع الصلة باللغة اليونانية المعتبرة لغة الكتاب المقدس ولغة الآباء ولغة اللاهوت ولغة الإنفتاح على العالم الخارجي كما يقول المثل المشهور: إن كل من لا يتكلم اليونانية فهو بر بري.

أما المصيبة الثانية وهي أثقل من الأولى أن يفقد الأقباط وللمرة الثانية لا التكلم باليونانية بل التكلم بالقبطية ذاتها... لقد فقد الأقباط لغتهم الأصلية بدخول العرب في مدى قرون قليلة. وهكذا نستطيع أن نشبه الأقباط بعد أن تركوا لغتهم برجل بلغ حد الرجولة وتعلم على يد أعاظم الحكماء فصار أحكم زمانه كله، وفي ليلة من الليالي السوداء نام ثم استيقظ وإذا به نسى المعرفة بل نسى الكلام بل نسى حروف الهجاء ذاتها وأسماء المسميات فأحضروا له عر يفاً من الكنيسة يعلمه الألفاثيتا و ينطقه من جديد أبّا أمّا!!

وعلى القارىء أن يتصور جيلاً ينشأ غريباً عن كل ذخائر مخطوطاته، مقطوع الصلة بآبائه ومعلميه وفكر كنيسته ولاهوتها!! وإلى متى؟؟ حتى اليوم، حتى اليوم!!

ولكن إرادة الروح والحياة لدى الرهبان لم تستسلم لمصائب الزمن إذ بدأت تدب فيهم قليلاً قليلاً روح الأمل لملاحقة الماضي، فابتدأ الرهبان يترجمون المخطوطات من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية وكأنما بدأ شعب بأكمله يتعلم من جديد كما يتعلم الطفل كيف ينطق الحروف و يكتبها!!

ونستطيع هنا أن نقدم صورة مادية محزنة ومبكية لهذه المرحلة الحرجة التي مر فيها الرهبان الأقباط عبر هذه الأمية الطفولية. فإليك أيها القارىء بعض فقرات من كتاب بستان الرهبان حاول الأب الروحي في هذه الفترة الزمنية لأولاده الذين وقفوا بين الجهل باللغة القبطية إلا حروفها والجهل باللغة العربية إلا معانيها!! أي أنهم كانوا يعرفون الحروف القبطية ولا يفهمون معنى الكلمات، و يفهمون اللغة العربية ولا يعرفون حروفها!! فكتب لهم هذا الأب المسكين نسخة من بستان الرهبان باللغة العربية إنما بحروف قبطية!!

النص: ([٢٤]) (على القارىء أن ينطق الحروف القبطية بالعربية).

أخ سأل أنبا مقار

ⲁϧ : ⲥⲉⲗ : ⲙⲡⲁ : ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ

قُل لي أصل التوبة

ⲕⲟⲩⲗ · ⲗⲓ · ⲉⲥⲗ · ⲉⲑⲑⲁⲩⲡⲉ

له قال أنبا مقارِ

ⲕⲁⲗⲗⲟϩ · ⲙⲡⲁ ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ

إن التوبة ليس تبلغ بالمطانوه

ⲉⲛ ⲉⲑⲑⲁⲩⲡⲉϩ ⲗⲏⲓⲥ ⲑⲉⲡⲗⲟⲩ ⲡⲉ ⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲩⲃⲉ

كمثل الخشبة

ⲕⲉⲙⲉⲑⲗ ⲉⲗϧⲁϣⲉⲡⲉ

وقراءتها هكذا: أخ سأل أنبا مقارى: قل لي أصل التوبة. قال له أنبا مقارى إن التوبة ليس تبلغ بالمطانوة كمثل الخشبة...إلخ.

ولكن إن كانت هذه صورة محزنة للجيل الثالث عشر (زمن المخطوطة) فالصورة الآن محزنة

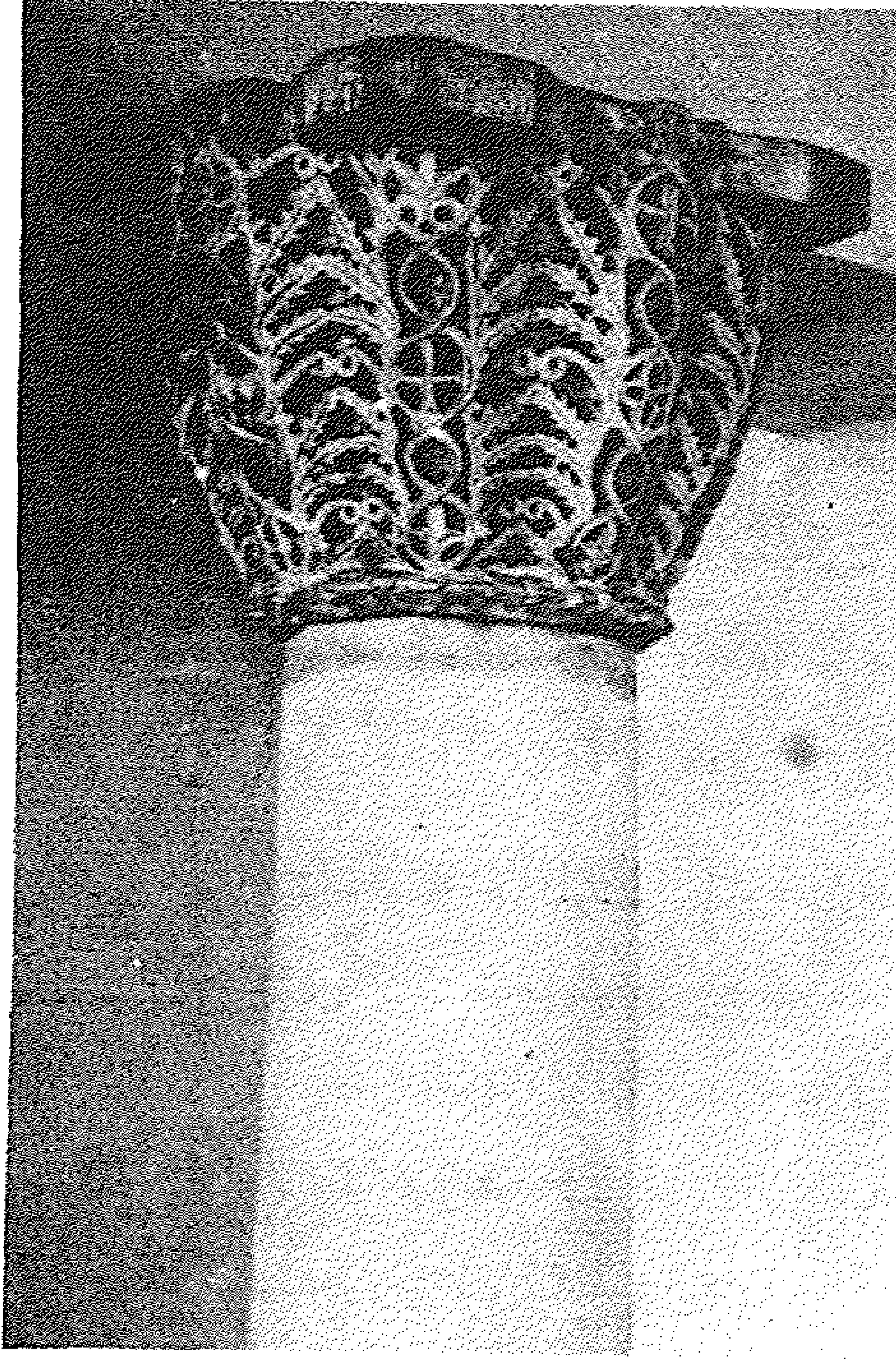
---

(٢٤) مخطوطة عثر عليها الدكتور جورجي صبحي عالم القبطيات المشهور وحققها، وقدمها للعلامة إقلين هوايت الذي نشرها في كتابه المجلد الأول ص ٢٣١ــ٢٦٩، وهو بحث ثمين جداً بالنسبة للذين يبحثون في أصل نطق الكلمات والحروف القبطية كما ينطق بها الأقباط تماماً. ومنها يظهر أيضاً أن نطق اسم أنبا مقاره الأصيل هو مقاره أو مقارِ بكسر الراء.

أكثر، لأن جيل القرن العشرين لا يعرف حتى أن يقرأ الحروف القبطية!!

المكتبة مرجع أساسي للوثائق التاريخية:

بعد انعقاد لسان الرهبان عن النطق باللغة القبطية، لم تعد المكتبة بالنسبة لهم مصدر نور وعرفان، فقد فقدت المكتبة طابعها الشعبي بالنسبة للرهبان وأصبحت وقفاً على العلماء والباحثين والمنقبين.



تاج لأحد الأعمدة ـ مزخرف بورقة الأكانتس ذات الحفر الخفيف ترجع إلى منتصف القرن السادس
[من دير باويط قاعة B ـ معروض بمتحف اللوفر في باريس]

أولاً: مكتبة دير أنبا مقار والمؤرخ ساويرس بن المقفع (نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر):

ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (مركز ملوي) والمؤرخ الكنسي المعروف، أول من كتب وألف باللغة العربية؛ يذكر في المقدمة الأولى من كتابه: «تاريخ البطاركة» أنه لما أراد معرفة سير الآباء البطاركة خلفاء مرقس البشير على الكرسي الإسكندري قال عن نفسه: [وأنا ممن لا يجب له أن يكتب بخط يده البائسة الفانية شيئاً من أخبارهم، فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتى على نقل ما وجدنا منها بالقلم القبطي واليوناني إلى القلم العربي الذي هو اليوم معروف (نحن اليوم في نهاية القرن العاشر الميلادي) عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لانعدام اللسان القبطي واليوناني من أكثرهم](٢٥).

ثم يخبرنا هذا المؤرخ، وهو أول من فكر في جمع سير البطاركة جميعاً في كتاب واحد، أنه وجد في مكتبة دير أنبا مقار المصدر الرئيسي الذي استقى منه كل ما يلزمه في كتابة تاريخ البطاركة، وذلك من البيانات والوثائق القبطية واليونانية الغارقة في القدم. وما تعذر التعرف عليه في دير أنبا مقار، فقد وجده في الوثائق والمخطوطات المحفوظة بدير نهيا بالجيزة. وقد سبق أن عرفنا أن دير نهيا هذا كان الملجأ الأمين الذي كان يهرع إليه رهبان شيهيت إبان الغارات والأخطار التي كانت تحدق بالدير ومعهم تراثهم من مخطوطاتهم الثمينة؛ فيقول العلامة إيفتس Evetts في تنقيحه لكتاب تاريخ البطاركة: [هذه التواريخ جُمعت بمعرفة وهِمَّة أنبا ساويرس بن المقفع... الذي يخبرنا أنه جمعها من دير أنبا مقار ودير نهيا وأديرة أخرى](٢٦).

ومن المؤكد أن ساويرس بن المقفع وجد في دير أنبا مقار مخطوطة جورجي تلميذ البطريرك سمعان الأول (القرن الثامن) الذي كان قد سبقه في جمع سير البطاركة الأوائل من كيرلس الكبير حتى ألكسندروس الثاني. وفي أحد التعليقات التي نصادفها في أبحاث هذا المؤرخ نعلم أن الدير كان به أيضاً بعض الوثائق القديمة جداً فهو يقول:

[وفي تاريخ البطريرك ديونيسيوس (٢٤٧ــ٢٦٤م) وجدت أن المخطوطة التي تختص بسيرته (؟) تقول أنه جلس على الكرسي ١٧ سنة، ولكن نسخة موجودة بدير أنبا مقار تقول أنه استمر على كرسيه سبع سنوات فقط](٢٧).

و يعود نفس المؤرخ مرة أخرى و يشير إلى وثائق دير أنبا مقار: [أن ميخائيل الأول استمر على كرسيه الإنجيلي مدة ٢٣ سنة وذلك بحسب النص الوارد في إحدى المخطوطات بدير أنبا

---

(25) Hist. of Patr., Evetts, p. 4.
(26) Ibid., pp. 8, 32.
(27) Ibid., p. 93.

مقار](٢٨).

وكذلك نعلم تماماً أن ساويرس اعتمد في تحديده لتاريخ كرازة واستشهاد مارمرقس الرسول في مصر على مخطوطة عتيقة بدير أنبا مقار، وهي بعنوان «أعمال الرسل» ، وهي من ضمن كتب الأبوكريفا التي كانت محفوظة بالمكتبة والتي عثر إڤلين هوايت على ٣٩ ورقة مفردة منها (منقولة عن نسخة أقدم منها) داخل غرفة المكتبة التي كانت وقتئذ بالحصن بالدير، وقد اطلعنا على هذه الأجزاء الواردة من هذه المخطوطة في كتاب إڤلين هوايت المجلد الأول الخاصة بدخول مار مرقس الديار المصرية وكيفية استشهاده، ووجدناها فعلاً مطابقة تماماً لما أورده تاريخ البطاركة عن مارمرقس؛ وهذه الأبوكريفا جديرة بالدراسة(٢٩).

كذلك من المؤكد أن ساويرس بن المقفع اعتمد كلية على المخطوطات المحفوظة بدير أنبا مقار في تسجيل كل الحوادث التي حدثت في زمن بطريركية أنبا بنيامين الأول(٣٠). كذلك أيضاً اعتمد ساويرس بن المقفع في تسجيل حوادث بطريركية أنبا اسحق (٦٨٦-٦٨٩م) على السيرة التي صنفها عنه أنبا مينا أسقف بشادي (نيقيوس) باللغة القبطية وكانت محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار(٣١).

ويقول ساويرس بن المقفع: [وفي دير أبومقار اكتشفنا سيرة عشرة بطاركة من خائيل الثالث حتى شنودة الثاني (٨٨٠-١٠٤٦م) وكان قد صنفها سابقاً أسقف تينيسي (مدينة على بحيرة المنزلة) وذلك سنة ١٠٥٥م].

ويعود أيضاً نفس المؤرخ ويذكر بالفضل مكتبة دير أنبا مقار في تصنيف سيرة تسعة بطاركة آخرين هكذا: [وبعد أن صنفنا سيرة عشرة من البطاركة التي ترجمناها (من اللغة القبطية إلى اللغة العربية) من الوثائق التي وجدناها بدير أنبا مقار، عدنا **فترجمنا** أيضاً من الوثائق الموجودة بالدير سيرة تسعة بطاركة آخرين وذلك في سنة ٧٩٦ للشهداء (١٠٨٠م). وقد قام بكتابتها أباكيروس الشماس وميخائيل بن أبادير الدمنهوري، وذلك بنعمة الله مكّننا من العثور على هذه السير في دير أنبا مقار بمساعدة الأخ تاوضروس بن يؤنس أمين الدير (الربّيتة) وذلك في يوم الأحد السادس من شهر بؤونة سنة ٧٩٧ للشهداء الأطهار (يونية ١٠٨١م). وقد قابلنا هذه النسخ بعضها على بعض فوجدناها مطابقة تماماً لما نسخناه فتأكدنا من صحتها](٣٢).

(28) Ibid., p. 469.
(29) Ev. White, I, pp. 27-50.
(30) Hist. of Patr., pp. 239 f.
(31) Ibid., p. 275.

(٣٢) ابن المقفع كتاب ١٣ ص ١٢١.

مكتبة دير أنبا مقار كانت معهد أبحاث الكنيسة القبطية لعدة قرون:

١ ــ في أيام البطريرك غبريال الثاني (١١٣١ــ١١٤٦م) اجتمع بالدير مجمع من بعض العلماء ورهبان دير أنبا مقار(٣٣) وقاموا مستعينين بالمخطوطات والمراجع الموجودة بالمكتبة بتعديل طقوس الصلوات والقراءات في أسبوع الآلام لتناسب الحياة اليومية للمؤمنين، فقاموا باختزال بعضها ورتبوا الآخر ليشمل خلاصة العهدين، إنما بحكمة ونعمة عظيمة يدركها كل من يتعمق في قراءات هذا الأسبوع المقدس.

٢ ــ قام رهبان دير القديس أنبا مقار بعمل من الأعمال الكنسية الهامة التي تعتبر من اختصاص المجمع المقدس الآن، وهو تسجيل عظماء الآباء قديسي شيهيت في القداس القبطي في الصلاة المعروفة بالمجمع مع تعديلات وإضافات هامة على الليتورجيا عموماً(٣٤). وإن نوع وكيفية ترتيب أسماء القديسين في المجمع الذي يتلوه الكاهن في القداس يكشف بصورة واضحة عن قصة هذه الترتيبات واتجاهاتها التاريخية، فمثلاً نجد القديس ساويرس الأنطاكي يُذكر في القداس قبل القديس أثناسيوس، وهذا طبعاً يرجع إلى الصلة الوثيقة التي قامت بين ساويرس ودير أنبا مقار بل والكنيسة كلها أيضاً (ارجع إلى كتاب: «قصة الكنيسة القبطية» تأليف إيريس حبيب المصري، جزء ٢، صفحة ١٣٢ و١٣٨).

ثم نعود فنجد يوحنا ذهبي الفم مذكوراً قبل ثاوفيلس البطريرك الـ٢٣، وهذا يكشف عن استياء الرهبان مما عمله ثاوفيلس معهم ومع يوحنا ذهبي الفم (أنظر صفحة ٢٤٢)، ولكن في نفس الوقت لا يُسقِطون اسمه من القداس، وهذا يكشف عن إخلاصهم لبطاركة الكنيسة مهما كان ظلمهم وجورهم وجنونهم أحياناً. ثم نجد تكريماً زائداً لأنبا ثيئوذوسيوس البطريرك المحسوب كمعترف، الذي ناصر رهبان أنبا مقار ضد الغيانيين. فبالرغم من كونه البطريرك الـ٣٣ فهو يأتي قبل ثاوفيلس رقم ٢٣!!

وبعد ذلك نجد ذكر الثلاثة مقارات معاً وهو إحدى العلامات المميزة لدير أنبا مقار وحده. وبعدهم مباشرة يُذكر أنبا يؤنس القصير الموجود جسده مع الثلاثة مقارات!! ثم يُذكر التسعة والأربعون شهيداً شيوخ شيهيت بدير أنبا مقار قبل موسى الأسود وهو شهيد قبلهم بحوالي أربعين سنة، وبعد يؤنس كاما مباشرة يُذكر أنبا دانيال قمص شيهيت رئيس دير أنبا مقار الذي كان في القرن السادس قبل أن يُذكر أنبا باخوم وأنبا شنودة آباء رهبنة الصعيد في القرن الرابع.

وهكذا نلمح بوضوح كيف صاغت يد رهبان دير أنبا مقار أسماء قديسي المجمع في القداس

(33) See Dillmann Catalogus cod. Aetheopicorum in Museo Britan. No. XXVII (p. 30).

(34) Renaudot, Lit. O.r. Coll. I, p. 17.
Ev. White, I, p. XXVIII.

ليتناسب مع تاريخ الدير نفسه وعلاقاته بهؤلاء القديسين.

٣ ــ في مطلع القرن الرابع عشر سنة ١٣٣٢م قام أحد الرهبان العلماء بدير أنبا يؤنس القصير المدعو القس مقاريوس بتصنيف مؤلفه الكنسي المشهور المعروف باسم Nomocanon أي كتاب «التشريعات والقوانين الكنسية»، وعلى أساس هذا الكتاب قامت بعد ذلك كل التشريعات الكنسية في الكنيسة القبطية. و يقول المؤلف أنه أكمل عمله المضني في سنوات كثيرة، واعتمد على نسخ ووثائق من دير القديس أنبا مقار(٣٥).

و يقول العلامة كرام أن نسخة فريدة من قوانين القديس أثناسيوس الرسولي باللهجة البحيرية والمترجمة إلى اللغة العربية محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار(٣٦).

٤ ــ والمعروف أن مكتبة دير أنبا مقار كانت تحوي خلاصة الوثائق والقوانين الكنسية والرهبانية، باعتبارها مكتبة أديرة برية شيهيت بأجمعها، كما يقول إڤلين هوايت.

وتوجد إحدى المخطوطات العربية محفوظة بالفاتيكان الآن وبها **«قوانين الرهبنة الأنطونية»** جمعها البطريرك يوحنا الثالث (١٥٢١ــ١٥٢٦م)، و يقول فيها أنه جمعها [من ثلاث نسخ **قديمة العهد جداً** للمجامع التي كانت قائمة في برية القديس أنبا مقار] (٣٧).

٥ ــ يؤكد رينودوت أنه كانت هناك علاقة وثيقة بين دير أنبا مقار والكنيسة الأثيوبية من جهة رسامة المطارنة(٣٨) أمثال دانيال وجورجي في القرن الحادي عشر، وكانوا من الرهبان المستنيرين العلماء الذين قاموا بترجمة كثير من المخطوطات وخصوصاً العربية منها إلى اللغة الأثيوبية، و بالأخص مجموعات كبيرة من سير القديسين والأبوكريفا وتاريخ يوحنا النقيوسي الذي تُرجم إلى الحبشية سنة ١٦٠٢م، والذي ضاعت جميع نسخه من اللغات القبطية والعربية ولم يتبقَّ إلا النسخة الحبشية الآن.

٦ ــ ظلت مكتبة دير أنبا مقار المصدر الدائم الذي يقصده كل المترجمين الذين تأخذهم الغيرة لترجمة الكتب من كافة الفروع إلى اللغة العربية:

ــ توجد مخطوطة عربية بباريس(٣٩) تحوي خلاصة متعددة الوجوه لعلم اللاهوت: ففيها أبحاث عن الثالوث الأقدس، والتجسد، ووصايا الله، وسر الإعتراف، وسر الشركة أي

(35) See (a) De Slane, Cat. MSS arabes B.N. No. 251.

(35) See (b) Mai, Script. Veterum Novo Collectio IV, II pp. 275 (Cod. Vat. arab. No. CXLIX & CL).

(36) See Riedel & Crum: Canons of Athan. p. 81.

(37) Cod. Vat. Arabe. DCLXII (Mai. S.V.N.C. IV, ii, p. 584).

(38) Renaudot, Histor. Patr. Alex. pp. 326, 381, 475.

(39) B. Nat. Fondes Arabe No. 184.

التناول، وواجبات الحياة الرهبانية، وذُكر فيها أنها مترجمة ومنسوخة بدير القديس أنبا مقار سنة ١٢١٤م.

ــ كما توجد مخطوطة عربية بمكتبة الفاتيكان(٤٠) عبارة عن شرح الرسالة إلى رومية ليوحنا كاليوبثيوس، مترجمة ومنسوخة بدير أنبا مقار سنة ١٣٧٩م.

ــ كما توجد بالفاتيكان أيضاً(٤١) مخطوطة عربية هي «خلاصة التشريعات والقوانين» للقس مقاره الذي من دير أنبا يؤنس القصير، منسوخة بدير أنبا مقار سنة ١٣٧٢م.

ــ وتوجد بالفاتيكان أيضاً(٤٢) مخطوطة عربية أصلاً من دير أنبا مقار تحوي عدة طقوس منها تكريس الهياكل **«حسب طقس دير القديس أنبا مقار»**.

فكرة عامة عن أنواع المخطوطات وتخصصاتها:

المكتبة بحسب ما لدينا من معلومات الآن واعتماداً على المخطوطات التي خرجت منها على مدى العصور والتي لا تزال باقية الآن، كانت ذات طابع ديني رهباني كنسي أكثر منه لاهوتي صرف، لأن نواتها الأولى كانت عبارة عن تجميع للمقتنيات الفكرية التي كانت تشغل الرهبان المتوحدين. فهي ذات طابع رهباني عام، و بعد ذلك كانت تجميعاً لمقتنيات الكنيسة ذاتها من جهة الكتب الخاصة بخدماتها، لذلك كان الطابع الثاني الغالب عليها هو الطابع الكنسي التقليدي، وأخيراً و بسبب الهرطقات التي أقضت مضاجع الرهبان في شيهيت لزم أن تكون مستوفاة من جهة الأبحاث اللاهوتية والجدلية، لذلك فإن الطابع اللاهوتي الجدلي فيها إضافي وثانوي خصوصاً أنه كان محرماً على المتوحد أن يقرأ الكتب الجدلية التي تبحث في العقائد الأخرى والهرطقات. لذلك فالجزء اللاهوتي فيها كان بالقدر الذي يلزم الراهب في إيمانه الإيجابي فقط.

الأقسام العامة:

١ ــ قسم الكتاب المقدس: يعتبر الآن أضعف قسم في المكتبة، وهذا أمر طبيعي لأن سارقي المخطوطات كان يستهويهم بشدة الأسفار المقدسة وخصوصاً القديم منها. فكان يلتقطها الأجانب أو كبار الزوار أولاً بأول. وحتى المخطوطات الخاصة بالكتاب المقدس التي سُرقت لا نجد فيها نسخاً ذات تواريخ قديمة، لأن معظم هذه المخطوطات كان يُستهلك من كثرة الإستخدام سواء داخل الكنيسة أو في قلالي الرهبان؛ لذلك فالأوراق المفرد منها المتناثر كان دائماً أكثر من المخطوطات السليمة. وكانت عادة الرهبان أن يستخدموا هذه الأوراق المتناثرة في إصلاح كعوب المخطوطات الأخرى أو توزيعها على الزوار السذج على سبيل البركة. والذي تحققناه على قدر جهدنا

(40) Cod. Vat. Arabe. XLIV (Mai. S.V.N.C. IV, II, 80).
(41) Cod. Vat. Arabe. DCLXII (Mai. S.V.N.C. IV, II, 584).
(42) Ibid.

وإمكانياتنا من مخطوطات الدير الموجودة في بعض المكتبات من هذه الأسفار مبين في الهامش (٤٣).

٢ ـ قسم الآبائيات: شرح الآباء للأناجيل كان من أهم ما تعتني المكتبة أن يكون بين مخطوطاتها، لأنه كان يعتبر مصدر الثقافة الروحية الإنجيلية الأساسي للرهبان، ودليلنا على ذلك ما سجله الرهبان على هوامش هذه المخطوطات بكثرة.

(أ) وقد استحوذ السائح كيرزون Curzon على نسخة من شرح الأناجيل الأربعة منسوخة بمكتبة دير أنبا مقار ومِلْكٌ للدير، وجدها بدير السريان فاشتراها منهم (٤٤).
(ب) واستحوذ تشندورف Tischendorf على نسخة أخرى (مفردة) كانت أصلاً من مجلدين (٤٥).
(ج) واستحوذت مكتبة الفاتيكان على مجموعة مقتطفات من الشروحات ليوحنا ذهبي الفم على الأناجيل الأربعة وهي عبارة عن ٣٧ مجموعة كبيرة، وتعتبر أكبر مجموعة قبطية لشرح الأناجيل كان يقتنيها الدير في مكتبته (٤٦).

(د) مجموعة أوراق كبيرة استحوذ عليها لاجارد Lagard، وتشمل المخطوطة شرح الأناجيل، ناقصة استكمل أوراقها تقريباً إِڤلين هوايت في تنقيبه بين الأوراق المفردة، وهي من منسوخات القرن العاشر وخطها دقيق وأنيق ومنتظم (٤٧).
(هـ) نسخة أخرى ناقصة لشرح الأناجيل موجودة الآن في المتحف البريطاني، وهذه النسخة تسمى «النترية»، وهو اصطلاح لمنسوخات دير أنبا مقار خاصة (٤٨).

هذه بخلاف مقالات منفصلة عديدة على شرح مواضيع خاصة جاءت في الإنجيل أو على بعض الأمثال أو المعجزات أو الحوادث وكانت تشمل في الغالب آراء وتأملات عدة آباء كبار معاً.

---

(٤٣) مكتبة المتحف البريطاني: (الأرقام هي أرقام الفهرس لسهولة البحث).
مخطوطات قبطية بحيرية وقبطية عربية للمزامير تحت أرقام (فهرس) ٧١٥، ٧١٦، ٧٢١، ٧٢٣.
مخطوطات قبطية بحيرية لسفر إشعياء النبي تحت رقم ٧٢٧.
أناجيل قبطية صعيدية من القرن السادس والسابع تشمل أسفار التكوين واللاويين تحت رقم ٢، وأسفار يشوع وقضاة وراعوث ويهوديت وأستير تحت رقم ١٢، ومزامير تحت رقم ٣٨. وعهد جديد سفر الأعمال تحت أرقام ١١٦، ١١٩.

(44) Now at Leipzig (cod. Tisch. XXVIII).
(45) Now at Leipzig (cod. Tisch. XXVII).
(46) Cod. Vatican. Copt. LVII.
(47) Lagard's Ms. (Parham, No. 20) Catin. Evang.
(48) Brit. Mus. add. 14740, Crum Cat. No. 914.

٣ ــ كتب الأبوكريفا: كانت مكتبة دير أنبا مقار تعتبر في نظر العلماء (أنظر إڤلين هوايت الجزء الأول ص ٣١) من أقل المكتبات اهتماماً بالأبوكريفا، و يسجل العلماء أنه لم تُنسخ في مكتبة الدير ولا نسخة واحدة لكتب الأبوكريفا عدا مخطوطة واحدة عن صعود العذراء مريم منسوبة للقديس بطرس والقديس يوحنا، وهي محفوظة الآن بمكتبة ليبزج(٤٩).

غير أنه بدأ يتسرب إلى المكتبة في العصور الأخيرة كثير من هذه الكتب التي لم يكن مصرحاً إطلاقاً بحيازتها أو قراءتها بين رهبان الدير حسب قوانين الآباء العلماء الأوائل مثل قانون أثناسيوس(٥٠)، ووصايا الآباء الشيوخ الذين كانوا يحذرون الرهبان من قراءة هذه الكتب بصفة دائمة.

وقد عثر إڤلين هوايت أثناء تنقيبه بالمكتبة على مجموعات من الأوراق هي بقايا لمخطوطات كانت معروفة بالأسماء الآتية: أبوكريفا عن آدم، أبوكريفا الإنجيل، النزول إلى الجحيم، إنجيل الرؤيا، أسرار يوحنا الرسول، أبوكريفا الأعمال للرسل، أخبار الصعود الثاني.

وقد استقت الكنيسة الأثيوبية مؤخراً الكثير من هذه الكتب وترجمتها ودخلت ضمن تراثها الفكري، وهذا مما يؤسف له.

٤ ــ سير القديسين والشهداء: (السنكسار) وهنا تبرز شهرة مكتبة دير القديس أنبا مقار إلى القمة، فقد كانت ولا تزال تحوي أضخم مجموعة من سير القديسين والشهداء الذين تحبهم الكنيسة وتذكرهم في التسبحة والقداسات والسنكسار والدفنار.

ومن هذه المجموعة النادرة قام بعض آباء الدير قديماً بترتيب سيرهم على الأيام بقصد قراءتها في كنيسة الدير يومياً، وعن دير أنبا مقار أخذت الكنيسة بعد ذلك بهذا الترتيب وترجمته إلى اللغة العربية، وجعلته في السنكسار الرسمي الذي يُقرأ في كل الكنائس الآن(٥١).

وعلى سبيل المثال الملموس الذي يثبت هذه الحقيقة نجد أن مديح الثلاثة فتية المنسوب للقديس كيرلس الكبير والعظة المنسوبة للبطريرك ثاوفيلس عن الثلاثة فتية أيضاً مجموعتان معاً في مخطوطة واحدة بواسطة رهبان الدير (موجودة الآن بالفاتيكان)(٥٢) وفي مقدمتها القانونية مكتوب الآتي:

[هاتان العظتان تُقرآن معاً في كل سنة بالتناوب في اليوم العاشر من بشنس في الهيكل القبلي

(49) Ev. White, I, p. XXXI.
(50) Canon of Athanasius (ed. Crum-Riedel p. 33).
(51) Ev. White I, p. XXXI.
(52) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LVII.

(هيكل الثلاثة فتية القديسين) وذلك أثناء التسبحة].

وواضح هنا أن رهبان الدير هم الذين رتبوا الميعاد والطقس والمكان الذي تُقرأ فيه هذه السير.

ومرة أخرى نجد في مخطوطة سيرة القديس أنبا مقار (وهي محفوظة الآن أيضاً في الفاتيكان)(٥٣): [تُقرأ في ١٤ أبيب في هيكل أنبا مقار الجنوبي].

كما نجد في مقدمة سيرة أنبا أباتيل Apatil : [تُقرأ هذه السيرة في يوم ١٦ أبيب مع سيرة يوحنا صاحب الإنجيل الذهب الموجودة في صفحة ١٤٣(؟) في المخطوطة رقم ٩١ وذلك في نفس اليوم](٥٤).

وهذه المخطوطة محفوظة الآن في مكتبة الفاتيكان أيضاً.

كما نجد هذا التوجيه نفسه موجوداً بصورة واضحة أيضاً كقانون قراءة في المخطوطة التي كانت حاوية لكل الرسائل الهامة جداً المتبادلة بين أنبا بطرس الثالث بطريرك الإسكندرية وأكاكيوس بطريرك القسطنطينية هكذا: [تُقرأ في اليوم الرابع من هاتور، أو إذا أردت يمكنك قراءتها في يوم الأحد الأخير من شهر بابة أو شهر هاتور](٥٥). وهذه المخطوطة محفوظة أيضاً في مكتبة الفاتيكان.

ومن هذا نستدل أن الآباء الرهبان العلماء قاموا فعلاً بترتيب الكتب الخاصة بسير القديسين والشهداء بالمكتبة ورتبوها كقراءات كنسية، والمعروف عن دير أنبا مقار أنه كان يقتني أربعة مجلدات ضخمة تحوي سير القديسين مرتبة للقراءة على أيام السنة كلها.

ولكن الذي ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن سير الشهداء كانت في الأصل مكتوبة بلغة تعليمية دقيقة وبيد أشخاص مسئولين (أنظر تاريخ الكنيسة ليوسابيوس مثلاً)، ولكن للأسف قد صارت فيما بعد تحت هوى النساخ وتأملاتهم الوهمية وتهويلاتهم الطفولية حتى صارت عسيرة على النفس كل العسر.

والمعروف أيضاً أن قراءة ميامر سير وآلام القديسين الشهداء كانت هي الوحيدة التي صرح بها مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٨م لتُقرأ أثناء القداس جنباً إلى جنب مع الأسفار المقدسة، وهذا القانون

---

(53) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LVIII.

(54) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. XXI.

(55) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LIII.

(٥٥) قام بترجمتها إلى العربية أنبا إسيذوروس أسقف البراموس (في كتاب الخريدة النفيسة) ويمكن للقارىء الإطلاع عليها للأهمية.

المشار إليه كان سارياً حتى قبل مجمع قرطاجنة. فنحن نعلم كيف قام المؤرخ الكنسي المشهور يوسابيوس القيصري سنة ٣١٣م بجمع كل ما عثر عليه من سير الشهداء وكيفية تعذيبهم واستشهادهم لتصير مادة قراءة قانونية داخل الكنيسة. وعلى هذا الخط سار كثير من أساقفة مصر الأقباط باجتهاد وغيرة حسنة باعتبار أن عملهم هذا يعتبر كنسياً بالدرجة الأولى.

ومن مؤرخي سير الشهداء الأساقفة، عدا يوسابيوس القيصري الأسقف، **قسطنطين أسقف أسيوط** وهو من مؤرخي القرن السادس العظام، وقد رسمه البطريرك داميانوس (٥٧٨ـ٦٠٥م). وهو الذي كتب سيرة الشهيد العظيم يوحنا من هيراكليه المذكور في مجمع التسبحة الذي استشهد على يد دقلديانوس في زمان تملك نوماريوس بمدينته حميور بجوار القوصية بأسيوط (أنظر فهرس المتحف البريطاني ص٣٦٣).

وكذلك نذكر **الأسقف يوحنا النقيوسي** ـ وستأتي سيرته في آخر الكتاب ـ وهو من مؤرخي القرن السابع. كما نذكر **ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين** وهو من مؤرخي القرن العاشر. ونذكر أيضاً **أنبا ميخائيل أسقف تنيس** وهو من مؤرخي القرن الحادي عشر. كما نذكر أيضاً **الأنبا يوساب أسقف فوه** وهو من مؤرخي القرن الثالث عشر.

وإن في المقدمة الرائعة التي قدم بها يوسابيوس القيصري الكتاب الخامس من مؤلفه الشهير «تاريخ الكنيسة» وهو الخاص بالشهداء، توضيح كاف؛ يقول يوسابيوس: [في كتابنا «مجموعة الإستشهادات» يرى القارىء وصفاً كاملاً متضمناً صدق الأنباء، و يعتبر هذا الكتاب لا تاريخياً فقط بل تعليمياً أيضاً... وروايتنا عن ملكوت الله تدوّن بحروف لا تمّحي عن أنباء «حروب السلام» التي أُثيرت من أجل سلام النفس، وتتحدث عن أشخاص ناضلوا بشجاعة من أجل الحق والفضيلة... وتضع أمامنا ذكريات لا تمّحي عن أبطال الديانة وانتصارهم على الأعداء غير المنظورين والأكاليل التي وُضعت على رؤوسهم].

تشتت المخطوطات وتبديدها على مكتبات العالم:

١ ـ وقد فقدت مكتبة دير أنبا مقار أكبر مجموعة من كتب سير الآباء القديسين والشهداء سرقها العالم الفاضل المدعو J.S.Assemani ، وذلك في سنة ١٧١٥م واستقرت الآن في مكتبة الفاتيكان، وهي عبارة عن إحدى عشرة مجموعة كبيرة من المخطوطات بالإضافة إلى أجزاء أخرى كثيرة(٥٦).

٢ ـ كما جاء بعده العالم الفاضل Tischendorf سنة ١٨٤٤ وحمل ما تبقى من مخطوطات ثمينة وأوراق من الرق معظمها من سير القديسين والشهداء وهي مستقرة الآن بمكتبة ليبزج(٥٧).

(56) Cod. Vat. Copt. No. LVIII—LXIX.

(57) Leipzig. Nos. 1086-1090 (Cod. Tisch. XXIV-XXX).

وفي إحدى هذه المخطوطات نجد في الخاتمة اسم الناسخ وهو: [رئيس التسبحة بكنيسة دير أنبا مقار بشيهيت](٥٨) وكلها يبدأ بقانون القراءة الذي وضعه آباء دير أنبا مقار. فمثلاً نقرأ في إحدى هذه المخطوطات: [تُقرأ هذه السيرة في التاسع عشر من شهر مسرى بعد التسبحة بالليل](٥٩).

وإحدى هذه المخطوطات تُعتبر من أثمن ما يمكن أن يمتلكه الدير تاريخياً، إذ أنها فوق كونها تحمل تفاصيل نقل جسد القديس أنبا مقار باللغة القبطية فهي مؤرخة سنة ٨٣٠م. وهذا التاريخ يشير إلى أنها نُسخت بالدير بعد غارة البربر الخامسة بحوالي خمس عشرة سنة فقط!! وهذا يفيد أن الدير استعاد قوته وازدهاره بسرعة!

٣ ـــ ثم جاء السائح الفاضل طاطام Tattam ، وحمل مجموعة أوراق مفردة أو ملازم يزيد عددها عن المائة، وهي تكشف عن أجزاء من مخطوطات تختص أيضاً بسير القديسين وتواريخهم وسير الآباء البطاركة، وقد قام بدراستها العالم كرام Crum وقد استقرت هذه المجموعة في مكتبة رايلاند بمانشستر(٦٠).

محاولات عقيمة لاسترداد صورتها الأولى:

وكان من جراء هذا النهب والسلب أن تمزقت المخطوطة الواحدة فصار نصفها في الفاتيكان والآخر في باريس وملزمة في مانشستر وملزمة في برلين!!! وقد قام العالم زويجا Zoëga بفحص المجموعة بالفاتيكان وقد وجدها مبعثرة بلا أي نظام أو ترتيب، فاكتشف أن هذه المجموعة من الأوراق والملازم والأجزاء المحفوظة هناك تعود كلها إلى موسوعة قديمة كانت منسقة ومرتبة بمكتبة دير أنبا مقار على الأيام والشهور حسب التقويم القبطي(٦١).

كتب ميامر للقراءات التعليمية:

ومما هو جدير بالملاحظة والدراسة أيضاً أن السنكسار في دير أنبا مقار لم يكن مجرد سرد أخبار القديسين؛ ولكن كان يشمل تعاليمهم و بعضاً من مواعظهم أيضاً. وكانت التعاليم البارزة للقديسين يُفرَز لها مواسم خاصة تتمشى مع الدورة الكنسية، أي مواعظ التوبة في أيام الأصوام واللاهوتية في أيام الخمسين مثلاً. وليست المواعظ والتعاليم الآبائية فقط هي التي كان يُفرز لها أوقات معينة في الخدمة، بل و يُعتقد أيضاً أن نفس القوانين الخاصة بالكنيسة والحياة الرهبانية كانت تُقرأ في بعض المناسبات من الكتب الخاصة بها والموضوعة خصيصاً لهذا الغرض، مثل كتاب «المجامع» الذي نسمع عنه في القرن السابع عشر وهو موجود الآن في باريس(٦٢). وإذا

(58) Leipzig. Nos. (No. XXIV, 31, Cod. Tisch.).
(59) Leipzig. (No. XXIV, 22, cod. Tisch.).
(60) Ryland Cat. No. 438, 441, 442, 448.
(61) Zoëga Cat. p. 4.
(62) Ms: «Counsils» Paris Bib. Nat. Fonds arabe No. 251.

رجعنا إلى زمان البطريرك أنبا خرستوذولو وما جرى بينه و بين رهبان دير أنبا مقار من حوار عنيف بلغ إلى حد المقاومة والتحدي من جهة حفظ مواد الإفخارستيا (الجسد والدم) للتناول منها خصوصاً في أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء من أيام أسبوع الآلام التي يمتنع فيها قيام ذبيحة، كيف أن البطريرك خرستوذولو استعان بالمكتبة وأخرج منها ميمراً خاصاً بالموضوع الذي يثبت به رأيه (٦٣).

إذن، فكانت المكتبة مجهزة بعظات ذات صبغة تعليمية من جهة قانون الكنيسة وترتيب أسرارها، الأمر الذي نفتقر إليه الآن بشدة خصوصاً في الأديرة حيث يقتصر على تلاوة السنكسار المختصر.

ميامر للسير والعظات:

ومن أهم كتب الميامر التي كانت تحتفظ بها مكتبة دير أنبا مقار، مخطوطان عربيان محفوظان الآن بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقمي ١٣٢ و١٤٥ (رقم الفهرس)، وتشمل عدة ميامر هامة تهم الباحثين والمؤرخين نذكر منها على سبيل لفت النظر:

١ ــ ميمر على ابراهيم واسحق و يعقوب بقلم القديس أثناسيوس الرسولي.

٢ ــ ميمر لمار أفرآم على تجلي ربنا يسوع المسيح فوق جبل تابور.

٣ ــ ميمر على نياحة أنبا متى الكبير بطريرك الإسكندرية (١٣٧٨ــ١٤٠٩م)، وعن استشهاد كثير من أولاده.

٤ ــ ميمر يصف الرسائل المتبادلة بين أنبا متى الكبير و بين الفرنساويين.

٥ ــ ميمر يصف الحصار الذي أقامه الصليبيون على مدينة دمياط سنة ١٠٧٢م.

٦ ــ ميمر يذكر تاريخ إنشاء الكنيستين المشهورتين: كنيسة القديسة بربارة وكنيسة القديسين سرجيوس وواخس بمصر القديمة.

٧ ــ ميمر يحوي سيرة مار مينا العجايبي.

٨ ــ ميمر بقلم القديس كيرلس الكبير عن عيد الصليب المقدس.

٩ ــ ميمر عن القديس أرجانيوس Argenius وماري ابنته.

١٠ ــ ميمر عن العذراء بقلم قرياقص أسقف البهنسا.

١١ ــ حوار بين عيسى بن اسحق أبو زرعة و يوسف بن أبو الحكيم البحيري سنة ٩٨٨م عن الإسلام والمسيحية.

١٢ ــ استشهاد القديستين بربارة و يوليانة المستشهدتين في مدينة هليوبوليس في زمان مكسيميانوس.

---

(63) For this ritual significance problem see: Renaudot Hist. Patr. Alex. p. 429.

١٣ ــ ثلاثة ميامر للقديس يوحنا ذهبي الفم عن البشارة.

١٤ ــ ميمر الأربعة والعشرين قسيساً بقلم القديس كيرلس الأورشليمي، وذكصولوجية كبيرة بالقبطي والعربي مؤلفة لتذكار عيدهم ٢٤ هاتور، وأخرى للأربعة مخلوقات الحاملة للعرش السمائي.

١٥ ــ ميمر لثيئوذوسيوس بطريرك الإسكندرية على رئيس الملائكة ميخائيل.

١٦ ــ ميمر لأرشيلاؤس الأسقف على رئيس الملائكة جبرائيل.

مخطوطات لاهوتية:

توجد مخطوطة عربية بالمكتبة الأهلية بباريس مأخوذة من مكتبة دير أنبا مقار تحت رقم (فهرس) ١٨٤ و١٨٥، عبارة عن أبحاث لاهوتية يُظن أنها ذات قيمة عالية، نذكر أبوابها على سبيل لفت النظر:

في مقدمتها تذكر المخطوطة أنها مقسمة إلى ٣٣ فصلاً. وتبحث في الثالوث الأقدس، التجسد، وصايا الله عامة، عن الإعتراف، وعن التناول، وعن الحياة الرهبانية، وعن أسئلة روحية يجيب عليها أنبا كيرلس الكبير وأنبا باسيليوس وأنبا سمعان بطريرك الإسكندرية وأنبا ميخائيل بطريرك أنطاكية وكثيرون غيرهم من علماء البيعة.

وهذه المخطوطة منسوخة بمكتبة دير أنبا مقار سنة ١٢١٤م. وواضح أنها منسوخة عن مخطوطة أقدم منها كُتبت بالخط اليوناني.

مخطوطات قانونية:

ويهمنا في هذا المجال أن نقدم تقريراً وافياً عن المخطوطة الكبيرة والهامة جداً التي قام الراهب مقاره من دير يوئنس كاما في القرن الرابع عشر بتأليفها وجمعها من عدة مخطوطات وسجلات محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار، والتي تُعتبر أنها المخطوطة الأولى والعظمى التي جمعت كافة قوانين الكنيسة الأرثوذكسية، والتي على أساسها تقوم كل قوانين وفتاوي الكنيسة حتى اليوم، وهي المسماة Nomocanon ، وهذه المخطوطة محفوظة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس(٦٤) تحت رقم ٢٥١.

وفصولها كالآتي:

الأول: الورقة ٣.

الأعمال القانونية التي قام بها الرسل بعد صعود الرب يسوع، وعن أصالة هذه القوانين.

الثاني: الورقة ١١.

القوانين المعروفة بقوانين الآباء الرسل التلاميذ.

(٦٤) وسيقوم بمشيئة الله دير القديس أنبا مقار بالإطلاع على هذه المخطوطة وتحقيقها ونشرها.

الثالث:

(ورقة ١١) قوانين الرسل المعروفة باسم (ابسطلوسات).

الرابع:

(ورقة ١٨) القوانين المختصة بالإكليروس.

الخامس:

(ورقة ٣٧) قوانين الرسل القديسين بخصوص تدبير الكنائس مجموعة ومشروحة بقلم القديس اكليمندس، وعدتهم ٧١ قانوناً، غير أنه مكتوب في نهايتها أنها مأخوذة من الأصل اليوناني الذي عدتهم ٨١ قانوناً.

السادس:

(ورقة ٣٨) قوانين الكنيسة المقدسة من أنفاس الرسل القديسين ومشروحة بقلم القديس اكليمندس ـ وعدتهم ٥٦.

السابع:

(ورقة ٤٢) الدسقولية (ديداسكاليا) وعدتها ٣٨ فصلاً.

الثامن:

(ورقة ٩٠) قوانين القديس كليمندس معنونة هكذا: «رسالة القديس بطرس».

التاسع:

(ورقة ٩٣) «أحكام العتيقة» أو ما تَسمَّى بـ«قوانين الملوك» وهي موجهة لأحد الملوك بواسطة الرسل بإرشاد الروح القدس. وبها في الورقة (١٠٣) تصور لكيفية القانون الذي ينبغي أن يسود على المجتمع المسيحي.

العاشر:

(ورقة ١٠٤) مجمع أنقرة.

حادي عشر:

(ورقة ١٠٨) مجمع قيصرية الجديدة وأقوال على قرطاجنة.

ثاني عشر:

(ورقة ١٠٩) مجمع غانغرة.

ثالث عشر:

(ورقة ١١٢) مجمع أنطاكية وعدته ٢٥ قانوناً.

رابع عشر:

(ورقة ١٢١) ملاحظات على قسطنطين الكبير وعلى الدوافع التي حملته على دعوة مجمع نيقية.

خامس عشر:

(ورقة ١٢١) ملاحظات على مجمع نيقية بعد الخمسة والعشرين قانوناً.

سادس عشر:

(ورقة ١٢٧) الأربعة والثمانون قانوناً لمجمع نيقية.

سابع عشر:

(ورقة ١٣٨) مجمع نيقية والقوانين الخاصة بتنظيم الأديرة بالمعايير الأرثوذكسية.

ثامن عشر:

(ورقة ١٤٨) ثمانية قوانين في التقليد القبطي وهي مطابقة للقوانين المعمول بها في تقليد الكنيسة اليونانية المأخوذة من مجمع نيقية. وفي نهايتها ملاحظات تاريخية.

تاسع عشر:

(ورقة ١٥٢) المجمع المسكوني الثاني العام بالقسطنطينية وعدته ٢٧ قانوناً.

العشرون:

(ورقة ١٥٤) مجمع أفسس وهو ملخص بسيط للمراسيم.

الواحد والعشرون:

(ورقة ١٥٤) مجمع لاوديكية.

الثاني والعشرون:

(ورقة ١٥٩) مجمع سارديكة.

الثالث والعشرون:

(ورقة ١٦٢) الثمانية والثلاثون قانوناً لهيبوليتس (أبوليدس) رئيس أساقفة روما (شهيد بورتو)، و يقول عنها أن هذه القوانين أعلنها الرسل أنفسهم بالروح القدس.

الرابع والعشرون:

(ورقة ١٧١) قوانين القديس باسيليوس وهم مجموعتان: الأولى ١٣ قانوناً والثانية ١٠٦ قانوناً.

الخامس والعشرون:

(ورقة ١٨٨) الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك (؟؟) وهي من قوانين الأباطرة المتعاقبين ومكتوبة بمعرفة الأساقفة الذين كانوا حاضرين في مجمع نيقية.

الكتاب الأول و يسمى التطلسات (النطق العربي للكلمة اليونانية τίτλος = العناوين) و به أربعون فصلاً.

السادس والعشرون:

(ورقة ٢٢٢) الكتاب الثاني من الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك وهي مائة وثلاثون قانوناً.

السابع والعشرون:

(ورقة ٢٣٣) الكتاب الثالث من الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك.

الثامن والعشرون:

(ورقة ٢٤٧) قوانين بعض الملوك الأتقياء منتخبة من بعض مراسيم آباء نيقية، و يظن أنها للإمبراطور ين يوستين وليون. مجموعة ومترجمة من القبطية إلى العربية. وهي المسماة «الرابع للملوك» أي الكتاب الرابع من قوانين الملوك.

التاسع والعشرون:

(ورقة ٢٦٠) عهد مخلصنا وإلهنا يسوع المسيح صنعه بعد قيامته على هيئة خطبة وجهها إلى الرسل. وهي تتكون من أول أعمال كليمندس، وهي أبوكريفا وتسمى «العهد السيدي».

الثلاثون:

(ورقة ٢٧٨) قوانين الرسل القديسين، وهو العمل الثاني من أعمال كليمندس، و يعقبها المقطوعات نمرة ٣ و٤ و٥ و٦ للقديس كليمندس أيضاً.

الواحد والثلاثون:

(ورقة ٢٩٦) قوانين مجمع قرطاجنة وعدتها ١٢٣.

و يقول الكاتب أن هذا المجمع كان في سنة ٥٩٢٥ للعالم، وهو يوافق سنة ١٥٠ للشهداء (٤٣٤م) حينما كان ثيئوذور الصغير ابن ثيئوذور الكبير يحكم القسطنطينية وأُنوريوس يحكم روما وخرستوذولو بابا المدينة العظمى (الإسكندرية).

الثاني والثلاثون:

(ورقة ٣٠٦) «قوانين المجمع الكبير المنعقد في أنطاكية ولاوديكية». وهذه عبارة عن نسخة لهذين المجمعين مع تغييرات في بعض القوانين، وفيها يجمع المؤلف بين قوانين المجمعين في مجموعة واحدة.

الثالث والثلاثون:

(ورقة ٣١٠) قوانين إبيفانيوس.

الرابع والثلاثون:

(ورقة ٣١٢) قوانين يوحنا ذهبي الفم وعدتها اثنا عشر.

الخامس والثلاثون:

(ورقة ٣١٣) «القوانين الزمانية» وهي من أعمال الآباء التي سبق وذكرناها، وقد أُعيد صياغتها بسبب مضي زمانها و بناء على رغبة الذين يقبلون على التوبة بانسحاق قلب.

السادس والثلاثون:

(ورقة ٣١٦) ملاحظات قانونية للقديس غريغوريوس النيسي.

السابع والثلاثون:

(ورقة ٣١٦) بيان عن السبعة كراسي التي لرؤساء الأساقفة.

الثامن والثلاثون:

(ورقة ٣١٧) «أوامر الآباء الأئمة الرؤساء».

التاسع والثلاثون:

(ورقة ٣١٩) قوانين معلمي البيعة مترجمة عن القبطية وعدتها اثنان وثمانون قانوناً.

الأربعون:

(ورقة ٣٢٣) قوانين البيعة وُضعت بأمر القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية وعدتها ١٠٧ قوانين. وفي نهاية الكتاب اسم الكاتب «ميخائيل أسقف تنيس»، ونحن نعلم أن هذا المؤلف جمعها بطريقة جعلت استخدام هذه القوانين سهلة في متناول كل واحد؛ وفي نهايتها جعل فصلاً بعنوان: «صفحة عن الموجود عند الآباء الفرنجة». و يعتبر هذا الكتاب شرحاً مطولاً للإيمان الأرثوذكسي بقلم اثنين من الأقباط (اليعقوبيين).

الواحد والأربعون:

(ورقة ٣٣٩) مختصر تعاليم القديس أنبا ميخائيل مطران دمياط فيما يختص بأحكام الشريعة وجزاءاتها.

الثاني والأربعون:

(ورقة ٣٤١) نسخة من الأحكام التي كتبها أنبا خرستوذولو بطريرك الإسكندرية.

الثالث والأربعون:

(ورقة ٣٤٣) قوانين كيرلس بن لقلق البطريرك الخامس والسبعين.

الرابع والأربعون:

(ورقة ٣٤٧) قوانين غبريال المسمى ابن تُريك بطريرك الإسكندرية.

الخامس والأربعون:

(ورقة ٣٥١) قوانين تخص الكهنة وكنائس الإسكندرية المكتوبة بقلم غبريال بن تُريك في شهر بؤونة سنة ٨٧٠ للشهداء الموافق (١١٥٤م).

السادس والأربعون:

(ورقة ٣٥٢) مختصر الأحكام والفرائض والمواريث من العتيقة إلى الحديثة بقلم غبريال بن تُريك.

السابع والأربعون:

(ورقة ٣٥٣) نسخة من الأعمال والنزاعات الخاصة بالشروط القانونية التي قامت بين البطريرك كيرلس (بن لقلق) وأساقفته.

الثامن والأربعون:

(ورقة ٣٥٣) الترتيبات التي حددها البطريرك كيرلس بن لقلق مع مجمع الأساقفة وأراخنة الشعب وأقرها وصادق عليها أنبا يوحنا البطريرك الجديد، وهي تخص المعمودية والزواج

والمواريث وتاريخها ٢٠ توت سنة ٩٥٥ش، وهي سنة ١٢٣٩م.

التاسع والأربعون:

(ورقة ٣٦١) عقد الميثاق الذي قطعه على نفسه أنبا كيرلس مع الأساقفة في القلعة بحضرة الوزير معين الدين وجميع الأراخنة سنة ١٢٤١م.

الخمسون:

(ورقة ٣٦٣) تنظيم الأوقاف والهبات الدينية والعشور كما شرعها أنبا كيرلس في برمودة سنة ٩٥٦ش، سنة ١٢٤٠م.

الواحد والخمسون:

(ورقة ٣٦٤) تنظيمات أخرى قام بها أنبا كيرلس في ٢٤ برمودة سنة ٩٥٦ش، سنة ١٢٤٠م فيما يختص بالأعياد.

الثاني والخمسون:

(ورقة ٣٦٤) عشرة أبحاث حول التدبير الكنسي نظمها أنبا خرستوذولو مطران دمياط وأقرها أنبا كيرلس البطريرك في بؤونة ٩٥٦ش، ١٢٤٠م.

والمخطوطة كبيرة الحجم تقع في ٣٦٦ ورقة ٣٤ × ٢٥ سم، والصفحة ٢٤ سطراً وتاريخ نساختها ١٣٥٣ ميلادية.

الليتورجيات:

وهذا القسم يشمل كافة كتب الصلوات من خولاجيات وكتب تسبحة وكتب مزامير، وأجابي، ودفنار باللغات اليونانية والقبطية والعربية. وكانت المكتبة تزدحم بأعداد هائلة من هذه الكتب لأنها كتب خدمة يومية ولا غنى لأي راهب عن مجموعة كاملة منها.

وإن المجموعة الهائلة من هذه الكتب والتي تسربت من مكتبة دير أنبا مقار استطاعت أن تملأ مكاناً كبيراً في كافة مكتبات العالم، وخصوصاً المنسوخ منها في العصور المتأخرة من القرن الثاني عشر فما فوق.

ملاحظات على أهم النسخ:

١ ــ خولاجيات لقداس *القديس* باسيليوس *والقديس* غريغوريوس **باللغة اليونانية.** وقد عثر إقلين هوايت في المكتبة بحصن الدير على مجموعة أوراق من هذا الخولاجي بنهرين يوناني وعربي، وقد استدل على تاريخ نساخة هذا الخولاجي بوجود اسم البطريرك أنبا بنيامين الثاني (١٣٢٧ــ١٣٣٩م) في أوشية البطريرك.

وبعد فحص هذه الأوراق وجد أنها تنتمي إلى خولاجيين: الأول للقديس باسيليوس ٢٥

ورقة، والثاني للقديس غريغوريوس ١٥ ورقة. والخط بديع والناسخ حاذق والكتابة صحيحة ومتينة، و يستدل عليها من ضبط توقيع الحركات على الحروف وتوقيع حركات التنفس على الحروف الخاصة بها أيضاً، وقد قام إڤلين هوايت بفحصها وترجمتها ونشرها(٦٥). وهذه ربما تكون أول وآخر مرة يُسمع أن في شيهيت يقام القداس باللغة اليونانية. ولكن أدلة كثيرة تشير أن اللغة اليونانية كانت لغة متداولة بين رهبان شيهيت، بل وكانت هي اللغة الرسمية لرهبان كل أديرة ظاهر الإسكندرية. والمعروف أن أنبا مقار كان يجيد هذه اللغة و يتخاطب بها مع الرهبان المتعلمين والأجانب.

و يُظن أنه كان على البطريرك عند تجليسه في كنيسة أنبا مقار بعد رسامته بالإسكندرية أن يصلي القداس باللغة اليونانية أيضاً. وقد تعرفنا على بعض الخولاجيات ذات الثلاثة قداديس باللغة القبطية التي كانت بمكتبة دير أنبا مقار ونُقلت إلى مكتبة المتحف البريطاني تحت الأرقام (فهرس) ٧٨٩، ٧٩٢، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، (٨٠١ بتاريخ ٨٣٠م).
كما تعرفنا على مجموعة أخرى ذات القداس الواحد أو المخصصة لمردات الشماس تحت الأرقام (فهرس):

٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٥، ٨٠٧، ٨٠٩، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٦، ٨٢٣
وهو مختلف في ترتيبه وقراءاته عن الخولاجيات الأخرى، و يُظن أنه مترجم من الخولاجي اليوناني الذي كان يستخدم في العصور الأولى تحت رقم ٨٢٣ (فهرس).

٢ ـ **أجابي باللغة القبطية باللهجة الصعيدية:** إن وجود كميات كبيرة من الأجابي (كتاب السواعي) باللغة القبطية و باللهجة الصعيدية يوضح لنا تمسك بعض الرهبان الآتين من الصعيد باستخدام لهجتهم في الصلاة، علماً بأنه كان معروفاً أن لغة التخاطب في شيهيت هي البحيرية كما أن لغة الكنيسة والوعظ كلها كانت باللهجة البحيرية.

إن فصول الأناجيل المنسوخة في هذه الأجابي والمزامير كانت كلها مكتوبة باللهجة الصعيدية والخط الصعيدي، ولكن مقدمات الصلوات والصلوات (القطع) كانت مكتوبة باللهجة والخط البحيري مع نهر مقابل للترجمة العربية. مما يوضح لنا أن زمن هذه الأجابي كان الزمن الذي فيه وقف الرهبان متحيرين بين ضعف اللغة القبطية في الفهم وضعف اللغة العربية في اللسان!! وهو زمن القرن العاشر فما فوق حتى القرن الرابع عشر.

وقد تعرفنا على بعض النسخ القبطية للأجابي (صلوات السواعي) منقولة من مكتبة الدير وهي الآن بمكتبة المتحف البريطاني، وهي تختلف كثيراً عن الأجابي المطبوعة والمستعملة الآن

(65) Ev. White, I, pp. 200-212.

مـن حيـث أنـواع مـزاميرها وحلاوة صلواتها ، وهي تحت الأرقام ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٢٩ (وهي أرقام الفهرس).

٣ ــ **البصخة:** (كتاب سواعي أسبوع الآلام) و بفحص بعض صلواتها بحسب الور يقات القليلة التي عثر عليها إڤلين هوايت كبقايا لمخطوطات سابقة نجد أن ترتيب سواعي البصخة وصلواتها مختصر كثيراً عما هو حادث الآن. وقد علمنا سابقاً أن رهبان دير القديس أنبا مقار قاموا بتعديل صلوات البصخة واختزالها لتناسب ظروف المؤمنين وذلك في أيام بطر يركية أنبا غبر يال الثاني (١١٣١ــ١١٤٦م). ولكن للأسف فقد قام أحد الأساقفة وهو بطرس أسقف البهنسا ــ وكان من المغرمين بحشو الكتب بالصلوات دون وزن أو تكيُّف مع الواقع والإمكانيات ــ عاد فأضاف الكثير على هذه الصلوات(٦٦) وكرر بعضها حتى أصبحت في أشد الحاجة إلى تعديل جديد لتخليصها من التطو يل الممل مع إضافة ما يلزم إضافته ليناسب حال الشعب الآن.

وبمكتبة المتحف البر يطاني الآن عدة نسخ لكتاب البصخة تحتاج إلى من يقوم بفحصها لأنها تحوي الكثير من الأبحاث الهامة التي تفيد الطقس وتوضحه ، فمثلاً توجد نسخة قبطية تحت رقم ٥٩٩٧/١٢٤٧ في غاية الأهمية وهي منسوخة سنة ١٢٧٤م ، وتحتوي هذه المخطوطة على طقس غسل الأرجل يوم الثلاثاء وليس الخميس ، كما أن القداس المعروف باسم قداس خميس العهد نجده أيضاً يُقام بعد طقس غسل الأرجل يوم الثلاثاء. وهذا الطقس له قيمة لدى الباحثين وعلماء اللاهوت الذين يبحثون عن الثلاثة أيام والثلاثة ليالي التي قضاها المسيح في القبر!
كما يوجد قطمارس خاص بصوم يونان وكان يسمى بصخة الثلاثة أيام تحت رقم ٧٧٢ (فهرس).

٤ ــ **كتاب الدفنار** Antiphonarium : وهو عبارة عن سنكسار ملحن أو مرتل. والإسم معناه «اللحن المتبادل» وفيه يقدم خورس الكنيسة مديحاً تردده مجموعتان متبادلتان لتذكار أحد القديسين وكل مرد عبارة عن أربعة سطور.

وقد فقدت مكتبة دير أنبا مقار أربع مجموعات كاملة من كتاب الدفنار، وكل مجموعة تغطي أيام السنة كلها ربما في ثلاثة مجلدات. وهذه المجموعات مستقرة الآن في مكتبات: جوتنجن بألمانيا ، والفاتيكان بروما ورايلاند بمانشستر بإنجلترا ، والرابعة محفوظة بمكتبة البطر يركية بالقاهرة. وعلى العموم فإن نسخ الدفنار الموجودة الآن نادرة ، وتار يخ تجميع أول دفنار غير معروف بالرغم من الأبحاث الكثيرة التي قام بها العلامة كرام في هذا الموضوع(٦٧).

---

(66) Ev. White, I, p. 215.
(67) Crum, Cat. of Copt. Mss. in: The Ryland Lib., p. 213.

ولكن العلامة إڤلين هوايت عثر على مجموعة من الملازم مفردة في أرضية المكتبة بالحصن، و بفحصها وجدها لمجموعتين تعودان إلى القرن الثالث عشر(٦٨).

وفي الدفنار يختص كل قديس أو قديسة أو شهيد أو تذكار أي عيد بلحنين: واحد «واطس» والآخر «آدام»، والواطس دائماً يسبق الآدام، ما عدا في دفنار واحد وهو المحفوظ بمكتبة رايلاند بمنشستر وُجد فيه الآدام يسبق الواطس. والواطس يتميز بالطلبة «اسأل من أجلنا أيها القديس... ليغفر لنا خطايانا». أما الآدام فيتميز بالطلبة: «بصلوات القديس... يارب انعم لنا بغفران خطايانا»، أي أن الواطس لحن الصلاة فيه موجه للقديس، أما الآدام فلحن الصلاة فيه موجه إلى الله.

٥ ــ **كتاب التسبحة للقديسين والأعياد:** وهو عبارة عن تجميع لكافة «الذكصولوجيات» وترتيبها على أساس الشهور و يبدأ من شهر توت. وكل مناسبة لها لحن واحد إما «واطس» أو «آدام» بدون النظر إلى اليوم من الأسبوع، حيث نجد أن اللحن الواطس يختص بالأعياد التي تأتي في **أوائل الشهر** والآدام يختص بالأعياد التي تأتي **أواخر الشهر.** وهذا يماثل بداية قراءة السنكسار. فإذا كان العيد واقعاً في النصف الأول يُقال **«أحسن الرب استقباله»** وهنا يكون **اللحن الواطس،** ولعل ذلك من نوع التنبيه الذهني حتى يستطيع الرهبان متابعة الزمن ولسهولة حفظ الأعياد. أما النصف الثاني من الشهر ابتداء من اليوم الخامس عشر فيقول القارىء: **«أحسن الرب انقضاءه»** وهنا يختار غالباً اللحن الآدام.

و يلاحظ أن في حالة مجيء تذكار عيد للعذراء مريم يقول الكتاب: **«إرجع إلى كتاب الثيئوتوكيات وخذ ثيئوتوكية هذا اليوم» وهو كتاب يبدو أنه كان خاصاً بألحان السيدة العذراء فقط.**

وعدا ألحان الواطس والآدام يذكر هذا الكتاب أنواع ألحان أخرى غير معروفة الآن وهي لحن ⲡⲓⲥⲉⲉⲓⲛⲓ، ولحن ⲡⲓⲁⲕⲁϩⲱⲛ. واللحن الخماسيني و يُرمز إليه هكذا ⲡ̅ ⲡⲓ. ولحن **«أيها الصليب القوي».**

و يلاحظ أن أمام طريقة التسبيح لبعض القديسين يُذكر الموضع الذي ينبغي أن يتم فيه التسبيح. فمثلاً في يوم ٢٠ أبيب وهو تذكار ثيئوذور المشرقي يقول: «وتُقام خدمة التسبيح له في هيكل مار مرقص الصغير» (٦٩).

وفي نهاية الكتاب يوجد فهرس دقيق يشير إلى ما يجب التماسه من الكتب الأخرى وتوضيح

(68) Ev. White, I, p. 215.

(69) Epip. 20, The Holy Theod. the General.

صفحاتها وأماكن وجودها في المكتبة في صناديقها ذات الأرقام!! فعلى سبيل المثال يذكر مثلاً في أعياد الشهر الصغير هكذا: القديس أندريانوس ٦/٢٢/١٥٣. وهذه أرقام المخطوطات والدواليب.

وفي عيد يونان هكذا: يوحنا فم الذهب ٢٣ = ١١٩/٨٢/١٨٥.

عيد الميلاد = ٤٩ ــ ٥
= يوحنا فم الذهب ٩١ ــ ١ ــ ٩٣

٦ ــ **كتاب القراءة للقديسين والأعياد:** (قطاميروس مبسط) هذا الكتاب يشمل كل الترتيب الطقسي اللازم لتذكار أي قديس أو أي عيد أو أي مناسبة إنجيلية. فهو يشمل كل القديسين والشهداء والبطاركة المهمين والأعياد الرسمية وتذكارات معينة من الإنجيل مثل تذكار الابن الضال والسامري الصالح ولعازر والغني.

وترتيبه كالآتي:

العنوان: ١ ــ ذكر اليوم من الشهر.
٢ ــ ذكر العيد التابع لهذا اليوم.
٣ ــ رقم المزمور الخاص بهذا اليوم.

القراءة: ١ ــ بيت واحد أو بيتان أو ثلاثة أبيات من المزمور (سطران أو أربعة أو ستة)(٧٠).
٢ ــ فصل من الإنجيل (يقرأ من كتاب آخر).

والكتاب بهذا الشكل يدلنا على كيفية تذكار القديس أو العيد بدون قداس، لأن المعروف في طقس دير أنبا مقار أن القداس كان لا يقام في وسط الأسبوع على الإطلاق بل كان مخصصاً له يوم الأحد فقط.

لذلك فإن هذا الكتاب، أي التسبحة الخاصة بالقديسين والأعياد، كان يُكتفى بالقراءة منه لتذكار القديس أو العيد أو المناسبة الإنجيلية بعد التسبحة.

وتوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة في مجموعة تشندورف، وقد عثر إفلين هوايت على عدة أوراق وملازم من الرق من هذا الكتاب تعود إلى القرن الحادي عشر وقام ببحثها وتسجيلها.

قطاميروس الآحاد: ومن أعجب المخطوطات التي كانت موجودة بمكتبة دير أنبا مقار ــ

(٧٠) يلاحظ أن بين شطرات المزمور توجد كلمة λεξις وتعني «قراءة» أو «اقرأ» (وربما تقابل كلمة «سلاه» العبرية).

وقد قام العلامة يونكر الألماني ببحث هذه الكلمة. أنظر:

Junker, Koptische Poesie des Zehnten Jarhunderts, I. Teil, pp. 57 f.

وهي الآن بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٧٦٤ — قطاميروس خاص بآحاد السنة كلها فقط. وهذا يشير إلى ما سبق وقلناه عن النظام الذي كان متبعاً قديماً في القداديس بدير أنبا مقار الذي اختص به دون جميع الأديرة والكنائس الأخرى، وهو اقتصاره على إقامة القداس يوم الأحد فقط (يوم الرب).

قطاميروس آخر للسبوت والآحاد: كما تعرفنا أيضاً على مخطوطة أخرى بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٧٦٦، وفيها قراءات السبوت والآحاد فقط للسنة كلها، وهذا المخطوط نعتقد أنه أقدم في استخدامه من قطاميروس الآحاد فقط السابق ذكره أعلاه؛ وذلك حسب النظام القديم جداً الذي كان معمولاً به أيام القديس أنبا مقار حينما كان الآباء يحضرون يوم السبت من كل أسبوع في الغروب، و يقيمون قداساً في مساء السبت، ويمضون الليل كله في الصلاة والتسبيح، و يقيمون قداس الأحد في الفجر.

قطاميروس لآحاد الخمسين فقط: وهذه المخطوطة الموجودة الآن بالمتحف البريطاني تحت رقم ٧٧٧ تشرح لنا اقتصار إقامة القداديس في أيام الخماسين على الآحاد فقط.

٧ — **القواميس وقواعد اللغة القبطية:** وكما هو معروف إذا بدأت لغة في الإندثار بدأ في الحال ترتيب القواميس لها. وهكذا منذ بدء القرن العاشر بدأ نوع من المحاولة لتسجيل اللغة القبطية ومعانيها في قواميس باللغة العربية، وبمضي الزمن كثرت الكتب وكثر معها المؤلفون والمعلمون، وكثر معها ومعهم اضمحلال الأصول الأولى بسبب تعدد الآراء والنطق حتى أصبحت اللغة القبطية شيئاً آخر تماماً غير اللغة القبطية!

المكتبات ممتلئة بالمخطوطات التي تعلم وتشرح اللغة والمحاولات لا تكف عن تعليم اللغة، ولكن اللغة الحقيقية في اضمحلال تام.

وإن كان رهبان دير أنبا مقار ظلوا حتى القرن الرابع عشر يتكلمون و يصلُّون بالقبطية، ولكن فجأة انهار هذا التشبث إزاء طغيان اللغة العربية في الحياة اليومية. وشيئاً فشيئاً وقفت حركة النساخة للمعجمات القبطية وتداولها و بدأ تبديدها و بيعها للزوار الأجانب.

وقد حازت مكتبة البطريركية عشر نسخ من هذه المعاجم القبطية العربية كانت مِلكاً لمكتبة دير أنبا مقار (وهي مقيدة تحت رقم ١٠٠ من ١ — ١٠). هذا عدا غيرها الموجود الآن في انجلترا بمكتبة رايلاند بمنشستر(٧١) والموجود في فرنسا بالمكتبة الأهلية بباريس(٧٢)، وما عثر عليه إڤلين هوايت من أوراق وملازم مفردة قام بفحصها ونشرها في كتابه(٧٣).

(71) Crum Cat. 459.

(72) Bib. Nat. Copt. 44.

(73) Ev. White I, p. 222.

٨ ـــ المخطوطات التي باللغة اليونانية:

كل الدلائل تشير إلى أنه كان هناك مخطوطات كثيرة باللغة اليونانية في العصور الأولى لتغلغل هذه اللغة في كل الميادين الروحية والطقسية داخل الكنيسة وخارجها، وكانت هي لغة التخاطب بين المثقفين من الرهبان، فنعلم أنها كانت لغة الرهبان في أديرة ظاهر الإسكندرية، وأنبا مقار كان يتكلم اليونانية مع زائريه، وقصة الحوار الذي سجله لنا أنبا إشعياء وهو يتحدث إلى رهبان أديرة الإسكندرية معروفة.

ولكن الذي جعل هذه المخطوطات تختفي من المكتبة غارات البربر المتكررة، خصوصاً الغارة الأخيرة التي أنهت على كل التراث القديم تقريباً سنة ٨١٧م.

ولكن نعلم أن في رسامة أنبا مكاريوس الثاني (١١٠٣ــ١١٣١م) قُرِىء تقليده باللغات اليونانية والقبطية والعربية(٧٤).

ولكن المعروف أن اللغة اليونانية بدأت تضعف على ألسنة الرهبان الأقباط منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع، فلم يأتِ القرن العاشر حتى كان الذي يتكلم بها قِلَّة. ولكن ظل كثير من النساخ المهرة يجيدون هذه اللغة قراءة وكتابة، فقد وُجدت مخطوطة تحمل سيرة القديس أنبا باخوم مكتوبة باللغة اليونانية سنة ١٢٥٩م وقام بترجمتها إلى العربية أحد الرهبان(٧٥).

وقد سبق أن تكلمنا عن الخولاجي (أنافورا) المكتوب باللغة اليونانية لقداسي القديسين باسيليوس وغريغوريوس، وكان تاريخ نساخته حوالي ١٣٣٠م وهو منسوخ بدير أنبا مقار.

والمعروف أن قراءات أسبوع الآلام كانت تشمل قراءات كثيرة باللغة اليونانية، ولا تزال حتى اليوم قطع تقال وتلحَّن بالرومي أثناء البصخة المقدسة.

وقد فقدت الأديرة كل هذه المخطوطات التي تحوي صلوات وتسابيح أسبوع الآلام باليونانية لأهميتها وندرتها، وهي الآن موجودة بمكتبات البوديليان، وليدن(٧٦).

الظروف الصعبة التي مرت بها مكتبة دير أنبا مقار:

ونستطيع أن نلخص هذه الظروف في الأسباب الآتية:

أولاً: انعدام اللغة اليونانية واللغة القبطية من على ألسنة الرهبان جعلت هذه المخطوطات الثمينة بلا منفعة وبالتالي بلا أهمية. وفي اعتبارنا كان هذا أول العوامل وأقساها.

(74) Synax., Tût 4, Basset pp. 6f.

(75) Crum, Theological Texts from Copt Papyri, p. 175.

(76) Lectionary of the Holy Week in Greek:
— Crum, B.M. Cat. No. 775 & Bodelian Ms. Copt. 3.
— Leyden C. cod. Scalierg, 243.

ثانياً: غارات البربر المتكررة التي جعلت الرهبان إما يحملون المخطوطات الثمينة خارج الدير فلا تعود إليه مرة أخرى، وإما إخفاء المخطوطات في غرف مسحورة مظلمة رطبة أساءت إلى أنواع المخطوطات سواء التي على الرقوق الجلد أو الورق، فأتلفت الحبر والدوبار فتبعثرت وتناثرت.

ثالثاً: وباء الطاعون الذي حل بالدير وأنهى على الأعداد الكبيرة لرهبان الدير فصاروا أربعة رهبان أو أقل... وبذلك تُركت المكتبة بلا أي عناية تحت رحمة الرطوبة وديدان الكتب.

رابعاً: لصوص المخطوطات، وهم اللصوص الأفاضل الذين استغلوا أموالهم ومراكزهم الأدبية والسياسية في تبديد المخطوطات. ومع احترامنا لأسمائهم ومراكزهم فنهم الكهنة ومنهم أمين مكتبة الفاتيكان ومنهم الضباط والعلماء والسيدات، ومعظمهم كان يقدم أثماناً لهذه المخطوطات، ولكن الحقيقة التي لا مفر منها أنهم كانوا لصوصاً بمعنى الكلمة، وقد تاجروا فيها وربحوا جميعاً حتى على المستوى المادي. ونورد هنا أسماءهم حسب ترتيب زمان تواجدهم بالمكتبة علماً بأنه قد ابتدأ عصر العبث بالمخطوطات وسرقتها منذ القرن السابع عشر. وأبطال اللصوص الذين تم معرفتهم هم كالآتي:

الأول: أجاثاآنج دي فندوم Agathange de Vendome الكبوشي، وكتب بخط يده إلى الذي كان يموله بالمال المدعو بيرسيك خطاباً في ١٨ مارس سنة ١٦٣٤ يبشره بقرب الحصول على الصفقة(٧٧)، ويخبره أنه وجد بالمكتبة ٨٠٠٠ ثمانية آلاف مخطوطة، وأنه حصل على كتاب المزامير مكتوباً بست لغات على ستة أنهر. وأن رئيس الدير نازل ومعه مخطوطة «الجامع» ليبيعها و يشتري بثمنها أواني للمذبح!

الثاني: ڤانسليب J.B. Wansleben، و يُقال أنه لم يستطع الوصول إلى الدير، ولكن بأي طريقة احتال حتى حصل على مجموعته الكبيرة؟ لا نعلم.

الثالث: هنتنجتون Robert Huntington، وهو قسيس «شركة رهبنة لوڤان»، وقد وصف كنوز المكتبة، والذي استرعى انتباهه شرح الأسفار المقدسة وكتب القراءة التي توفى كل أيام السنة. وقد خرج من المكتبة بمخطوطة تحوي الأناجيل!! وغيرها(٧٨).

الرابع: إلياس السمعاني سنة ١٧٠٦م(٧٩)، وقد أُوفد من قبل مكتبة الفاتيكان، وقد استولى على مجموعة ضخمة من المخطوطات السريانية من مكتبة دير أنبا مقار، ولا يُعرف هل وصل دير أنبا مقار أم لا. ولكن كان الوسيط بعد ذلك في مجيء ابن عمه يوسف سيمون السمعاني.

(77) Correspondance de Peiresc p. 24.

(78) Huntingtoni Epistolae No. XXX (ed. Smith p. 69).

(79) See J. S. Assemani B.O. I.

الخامس: يوسف سيمون السمعاني: سنة ١٧١٥م، وكان أكبر الذين سطوا على مكتبة دير أنبا مقار في العصور الحديثة كلها، وأخطر العوامل التي قوضت صرح المكتبة. وقد أُوفد من قبل مكتبة الفاتيكان خصيصاً لهذا الموضوع، و يسجل هذا الأب الفاضل عن نفسه هكذا: [وقد حصلنا من رهبان دير أنبا مقار على مخطوطات **هي على أعلى درجة من الأهمية والقيمة** (Optimae notae) مكتوبة باللغة القبطية... ولم نبق عندهم على أي شيء آخر يمكن أن يحصل عليه أي أحد (سارق) آخر مهما كان طماعاً].

ولكن من اللطيف أن يرد على هذا الكلام الباحث إڤلين هوايت بقوله: [ولكن جاء من يلتقط من وراء هذا السمعاني واستطاع أيضاً أن يخرج بغنيمة] متكلماً بذلك عن نفسه وعن آخرين(٨٠).

السادس: أندريوسي Andréossy سنة ١٧٩٩م: [ووجدت معظم كتبهم نسكية مكتوبة على الرق وعلى الورق السميك، وقد أخذت بعضاً منها وهي منسوخة منذ ٦٠٠ سنة](٨١).

السابع: ب. دروڤتي B. Drovetti سنة ١٨١٨م، وقد استولى على عدة مخطوطات للمزامير باللهجة البحيرية، وهي الآن مستقرة في مكتبة تورين(٨٢) بإيطاليا، ولا نعلم ما حصل عليه من المخطوطات الأخرى.

الثامن: روبرت كيرزون Robert Kurzon سنة ١٨٣٧م، ولو أننا لا نعلم بالضبط هل وصل إلى دير أنبا مقار أم لا، غير أننا نعلم أنه حصل على مجموعة من الكتب معروفة باسمه.

التاسع: طاطام و بنت زوجته پلاط Henry Tattam & his step daughter Platt

[وقد وجدنا بدير أنبا مقار نحو مائة مخطوطة خولاجيات (ليتورچيات)، ونسخة جميلة للرسائل باللغة القبطية التي رفض الرهبان أن يبيعوها، وكان هناك أكوام من الأوراق المفردة والملازم وقد اخترنا منها نحو مائة مجموعة](٨٣). وقد استقرت هذه المجموعة في مكتبة رايلاند بمنشستر. وقد قام العلامة كرم بفحص بعضها فوجدها خولاجيات ومعاجم للغة القبطية.

العاشر: تيشندورف Constantine Tischendorf أبريل سنة ١٨٤٤م، وقد استولى على مجموعة كبيرة من الأوراق. و يقول عن نفسه: [ولحسن حظي فقد عثرت على مجموعة

---

(80) Ev. White, I, p. XXXIX.

(81) Mem. sur La Vallée des Lec de Natroun, Description. de l'Egypte: Etat Moderne 1, 279 f.

(82) Bib. Nazion., di Torino Ser. II, t. XLIII (1893).

(83) Quarterly Review LXXVII, p. 58.

أوراق وملازم على الرق من القرنين السادس والسابع](٨٤). وقد استقرت هذه المجموعات في مكتبات ليبزج وكمبردج.

الحادي عشر:

فورتيون آم Fortune Ame سنة ١٨٧٣م: كل اللصوص السابقين دخلوا المكتبة من أبوابها، إلا هذا الفاضل فإنه قام بالليل وتسلل حتى وصل إلى غرفة المكتبة وقام بسرقته الثمينة التي ربما قذفها من فوق السور ولا نعلم بعد ذلك مصيره.

ولما جاء بعده الرحالة «جر يفيل شستر» منعه الرهبان من دخول الحصن جملة، وقالوا له عن هذا اللص وكيف استولى على [كل المخطوطات الثمينة](٨٥)، و يظن إڤلين هوايت أنها مخطوطات عربية هامة استقرت الآن في المكتبة الأهلية بپار يس.

الثاني عشر:

إن كان هناك إنسان من الأجانب قد أسدى معروفاً لدير القديس أنبا مقار فهو بلا شك هذا اللص الثاني عشر، وهو العالم الأثري الرقيق المشاعر والأحاسيس، الدقيق في أبحاثه واستقراءاته، المخلص في عمله غاية الإخلاص: «مستر هيو ج. إڤلين هوايت» الذي كان آخر من دخل المكتبة سنة ١٩٢١م، وأخذ من أوراقها التي ظنها من سبقه أنها من المهملات، ولكن بصبره ودقته وعلمه بحثها وترجمها وألّف عليها كتاباً ضخماً جملته ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير جداً ٢٥×٣٥. وقد قام أيضاً هذا العالم الأثري بمسح هندسي وتصو يري شامل لدير أنبا مقار مع بقية الأديرة الأخرى بوادي النطرون، واستودع بحثه هذا مجلدين آخر ين هما المجلد الثاني والثالث من كتابه المعروف: «أديرة وادي النطرون» على نفقة متحف المترو بوليتان للفنون بنيو يورك بأمر يكا. وقد جاء عمله هذا من أدق وأصدق الأعمال التي شاهدناها طراً، وقد اعتمدنا عليها في معظم أبحاثنا التي قدمناها للقارىء في هذا الكتاب. لذلك كم نحن مدينون لهذا العالم المبارك، وكم نحن مطالبون أن نصلي من أجل نفسه ليكافئها الرب عنده. وإنه من المؤسف حقاً أن ينعي العالم موت هذا العالم وكتابه مقدّم للمطبعة في صيف ١٩٢٤م، فقام زميله ألبرت م. ليتجو Albert M. Lythgoe وأكمل مراجعته وطبعه.

أما الأوراق (المهملة) التي التقطها إڤلين هوايت من الغرفة المسحورة للمكتبة التي كانت بالحصن فبعد البحث كشفت لنا عن مواضيع كانت قد عدمت مصادرها باللغة القبطية مثل:

١ ــ إنجيل الرؤ يا (V)

(84) Cod. Tisch. XXIV—XXIX=Anect. de Sacra.

(85) Archaeological journal, XXX, 106.

٢ ــ رؤ يا أنبا بنيامين (XXII C)
٣ ــ المناظرة مع يوحنا الرابع (XXXIII)
٤ ــ استشهاد القديس توما الذي من شنتاليت (XVII)
٥ ــ استشهاد استرائول (XIX)
٦ ــ استشهاد أبا كراجون وآمون (XX)
٧ ــ استشهاد بائيسي وتكلا (XXI)
٨ ــ سيرة أنبا بيچيمي (XXIX)
٩ ــ سيرة تيموثاوس أليروس (XXXI)
١٠ــ سيرة أباهور (XXXII)
١١ــ أبوكر يفا آدم (I)

ومعظم هذه الأجزاء غير الكاملة وجد أنها تكمل مخطوطات ناقصة في المواضيع الأخرى من المكتبات التي استقرت فيها هذه المخطوطات. وهذه الأجزاء مسجلة ومشروحة ومترجمة من صفحة ٣ــ٢٧٣ أي في حوالي ٢٧٠ صفحة من كتابه الأول.

□

وتعليقنا على ذلك هو أنه إذا كانت هذه الور يقات المهملة التي تركها أحد عشر مغامراً من المغامر ين الأثر ياء الذين نهبوا المكتبة كلها حتى لم يبقَ فيها شيء، قد كشفت لنا عن سير هؤلاء القديسين الذين لم نسمع عن بعضهم قبل ذلك، فكم كانت المكتبة في وضعها الأول الكامل؟؟ وكم كانت أعداد وسير القديسين والشهداء؟؟ إنه أمر عجب... هل يأتي اليوم الذي يُسمح لنا فيه باسترجاع مجرد صور من مخطوطاتنا الأولى مرة أخرى؟؟

نظام المكتبة وفن تنسيقها:

الذي يقرأ ملاحظات الأجانب على المكتبات القبطية كما وردت في أبحاث إڤلين هوايت على لسان الزائر ين يظن أن رهبان الأديرة أهملوا في الإحتفاظ بمخطوطاتهم وكانوا جاهلين بفن ترتيبها والبحث فيها. ولكن هذا كله افتراء وتبرير لعمليات السرقة ليظهر هؤلاء وكأنهم أسدوا معروفاً للدير أو الكنيسة أو المسيحية بسرقاتهم ونهبهم لهذا التراث المجيد. و يقيناً أنهم لو كانوا أبقوا على المكتبة كما هي ولم ينهبوا محتو ياتها لكانت الآن أقدر وأنسب مئات المرات لبحث ما فيها وتجميع مخطوطاتها المفككة وجمع شمل أوراقها المبعثرة الموجودة الآن موزعة على عدة مكتبات في عدة بلاد بل عدة أقطار.

وما ينبغي أن يعرفه العالم الآن عن المكتبة الدير ية أنها كانت منذ البدء في أيدي رهبان مهرة

في النساخة والتجليد والترتيب، فالمكتبة كانت تحوي عدة صناديق مخصصة للمخطوطات وكل صندوق عليه رقم يشير إلى نوع المخطوطات، وأرقامها وعنوان محتوياتها و بالصندوق من الداخل بيان مكتوب بعدد المخطوطات. والصندوق كان يسمى ثيكي ΘΗΚΗ ، ومن هنا جاء اسم المكتبة «ببليو ـ ثيكي» أي صناديق الكتب. وكانت الكلمة تنطق باللهجة الصعيدية «وولثيكي» أو «الوولثاكي». ونعلم أن الراهب شنودة (٨٥٠ ـ ٨٩٠م) الذي أقام الإصلاحات الكبيرة في الدير اهتم بتزويد الكنيسة والمكتبة بصناديق مطعمة بالعاج والصدف لحفظ الكتب والأواني(٨٦).

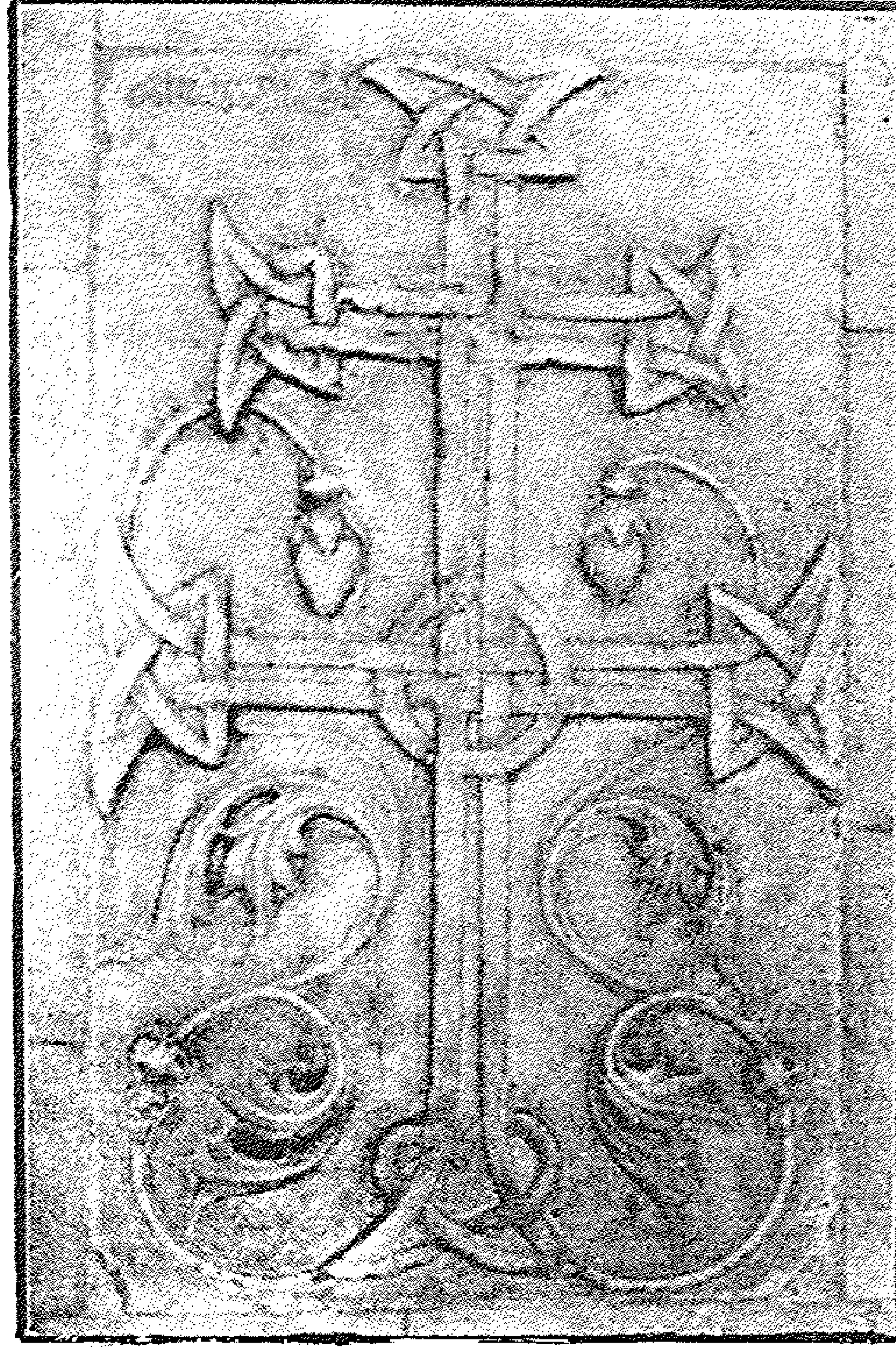
أما المخطوطة فكان عليها رقمها الخاص داخل الصندوق الذي هو رقم الفرع الذي تتبعه المخطوطة. وهذا نجده بوضوح في المخطوطة الموصوفة في أطلس زويجا بالفاتيكان، وهو عن سيرة استشهاد القديس أباتيل في ١٦ أبيب، حيث يذكر الناسخ في ختام الميمر ضرورة تكميل القراءة بموضوع آخر يذكر رقم مخطوطته ثم رقم الصفحة في المخطوطة هكذا: (بالقبطي) [ثم اقرأ ما في صفحة ١٤٣ من المخطوطة ٩١](٨٧).

وكل مخطوطة يوجد بأولها فهرس يحمل عدد الورقات وموقع المواضيع الواردة فيها و بعض تعليمات عن القراءة، وفي آخر كل مخطوطة بيان باسم الناسخ وصاحب المخطوطة وزمن نساختها وربما نوع ورقم النسخة المأخوذة عنها، وهذا البيان الذي في آخر المخطوطة يسمى الخاتمة، واسمه العلمي Colophon .

أما بداية الموضوع أو الميمر فيُكتب بالخط الأحمر غالباً، وفيه ينص الناسخ حسب التعليمات الواردة إليه أو الناقل عنها كيفية قراءة الموضوع وزمن قراءته المناسب ومكان قراءته، و يسمى هذا بقانون المخطوطة أو قانون قراءة السيرة، واسمه العلمي Roobric=Rubric . وكانت دائماً مخطوطات دير أبو مقار لها قانون خاص بها. والمخطوطات الثمينة كان لها جراب إما من الجلد أو الخشب أو الفضة أو الذهب، و بعض من هذه العينات موجودة مع المخطوطات الخاصة بها في مكتبة الفاتيكان ومكتبة المتحف البريطاني، وهي موصوفة بدقة في بحث بقلم العلامة بدج(٨٨). وغالباً يوجد في المخطوطة إشارة إلى كيفية حفظها ومكانها، فنجد مثلاً في المخطوطة رقم ٩ في قسم المخطوطات القبطية بمكتبة الفاتيكان المأخوذة من دير أنبا مقار هذه الإشارة: [لا تُحفظ في الحصن مع بقية الكتب، و ينبغي حفظها داخل الكنيسة مع كتب الخدمة] وهذه المخطوطة زمنها سنة ١٢٧٠م.

(86) Hist. of Patr., pp. 330 f.
(87) Zoëga, Cat. No. XXI, p. 16.
(88) Budge's Miscellaneous, Coptic Texts pp. LVII, LX.

نخرج من هذا الوصف بحقيقة واضحة: أن المكتبة كانت موضع اهتمام بالغ يفوق الوصف بالنسبة للرهبان. فكان ولا يزال يشعر كافة الرهبان في كل دير بأن المكتبة هي أثمن مكان في الدير بعد أجساد القديسين الموجودين فيه. وكان الرؤساء وأمناء الأديرة يعطون المكتبة وحفظها الإعتبار الأول في مسئولية الرهبان.



صليب منحوت على قطعة من المرمر غثر عليها في نقادة، وعليها كتابة تفيد أنه نُقل من بيت المقدس، ويرجع تاريخه إلى القرن العاشر. والمُلاحَظ أن هذا الصليب يبدو وقد اخضرت خشبته وأخرجت أوراقاً وعناقيد عنب، وهو يشير إلى حقيقة روحية تصوفية أن الصليب لم يعُد علامة أو آلة موت؛ بل حقيقة إلهية حية منيرة، فقد امتص آلام الإنسان وحوَّلها في المسيح إلى عصارة حية فأورقت وأخرجت عناقيد الفرح والبهجة والخلاص.

الباب السابع

التاريخ الأثري لمباني الدير

بحسب الوصف الهندسي الدقيق لبعثة إڤلين هوايت التي كانت موفدة من متحف المترو بوليتان بنيو يورك على فترات بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩٢١م. وذلك قبل التعديلات الكثيرة التي قام بها أنبا ابرآم مطران البلينا ورئيس الدير (١٩٢١ ــ١٩٤٣)، والتي غيرت كثيراً من معالم الدير.

كما أدرجنا في هامش الصفحات التالية وصفاً موجزاً للإصلاحات والترميمات التي قام الدير بإنجازها فيما بين سنتي ١٩٧٦ و١٩٧٨ ليستطيع القارىء أن يكوّن لنفسه صورة عن القديم بالمقارنة مع الواقع القائم الآن.

وختمنا هذا الباب بتسجيل تعليقات المختصين من هيئة الآثار المصرية ومن المسئولين في الكنيسة الذين توالت زياراتهم على الدير لمتابعة الجهد المبذول للحفاظ على هذه الآثار من الإنهيار أو الضياع.

ملحوظة هامة:

اللوحات الخاصة بفصول هذا الباب تجدها في الملازم الأخيرة من الكتاب.

مقدمة عامة

فن العمارة في الكنائس القبطية

في وصفه للكنيسة القبطية يقول العالم القبطولوچي ألفريد بطلر أنها: «ما زالت أعظم الآثار الباقية حتى الآن للمسيحية الأولى». وأيضاً «الكنيسة القبطية هي الممثل الوحيد الحي لأعظم أمة مجيدة عريقة في القدم». فالأقباط كانوا من أوائل الذين قبلوا بشارة الإنجيل ووضعوا قواعد للسلوك في الحياة والعبادة وإقامة المباني الدينية، وتمسكوا بالصليب مرفوعاً خلال أجيال طويلة من الاضطهاد المتوالي، وطقوس كنيستهم هي أقل الطقوس تغيراً وتبديلاً بين سائر الكنائس المسيحية في العالم!... وإن هذه الشهادة من عالم كنسي أنجليكاني تعتبر وثيقة غالية القيمة!!

فبمجرد أن زرع القديس مرقس الرسول البذرة الأولى في مصر حتى نمت وأثمرت، فتفتحت تربة مصر السوداء عن عقائد وتعاليم وكنائس على سائر أرضها، وانتشرت أبنية الكنائس على طول ضفاف النيل في الدلتا والصعيد حتى بلغ عددها الآلاف، وبلغ عمقها حتى النوبة وأثيوبيا في الجنوب. أما سكون الصحراء وقفرها المميت في كل أنحاء براري مصر فقد تحول حسب وعد الله في المزمور المائة والثامن: «يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يابسة تفيض ينابيع. يسكن هناك الجياع (أي الصوامون) يهيئون مدينة سكن». وانبثقت الكنائس في المواضع المنعزلة ودشنتها حياة المتوحدين والنساك، وتقدست بدمائهم. وبالرغم من أن الذي تبقَّى قائماً من الكنائس القديمة قليل جداً؛ ولكن لحسن الحظ، فإن هذا القليل الباقي — كما يقول علماء الآثار — ذو قيمة أثرية بالنسبة للتاريخ وللإنشاء المعماري فائقة القدر. ومحور هذه الدراسة الآن هو كنائس مصر وأديرة شيهيت ووادي العربة. ففي مصر «مصر القديمة» لا يزال قائماً حتى اليوم أقدم كنائس العالم التي يمت بعضها إلى القرن الثالث الميلادي.

التصميم العام General Plan :

النمط الغالب في كنائس مصر هو الطراز البازيليكي الذي يقال أن المسيحيين الأوائل استعاروه من العمائر الحكومية الرومانية. فكلمة «بازيل» تعني «ملك»، و «بازيليكي» تعني «ملكي»، وهذا بالطبع إشارة إلى قصور الملوك وحكوماتهم. ولكن هناك فارق كبير بين تصميم الكنيسة المسيحية في نواته البدائية وبين البازيليكا الرومانية. فالكنيسة الأولى عموماً بدأت بصالة مستطيلة بسيطة يقسمها عقد دائري يفصل بين الهيكل والصحن. هذا التصميم الأوَّلي

أُضيف إليه فيما بعد رواقان أو جناحان جانبيان aisles (أي إضافة طولية على كلا الجانبين) ثم إضافة ثالثة في المدخل؛ بينما أصل البازيليكا الرومانية هو ساحة مفتوحة تحيط بها بواكي على أعمدة، ثم تطور هذا التصميم فصارت هذه الساحة مغطاة بسقف، ثم أُهملت البواكي الجانبية فصارت البازيليكا الرومانية عبارة عن صالة عالية يغطيها قبو مستطيل. على أنه جاء وقت تطابق فيه التصميمان معاً: تصميم البازيليكا الرومانية وتصميم الكنيسة المسيحية الأولى، بعد أن صار مهندسو الحكومة هم أنفسهم الذين يقومون بهندسة الكنائس.

و يبقى بعد ذلك سؤال مهم: هل أخذت الكنيسة عن البازيليكا الرومانية الأروقة الجانبية؟ هذا احتمال بعيد لأن المنطق والحقيقة ضده. فكنيسة السبعة الراقدين في أفسس، المنحوتة في الصخر والتي لا يتعدى تاريخها القرن الثالث الميلادي، مقسمة إلى ثلاثة أقسام طولية تمثل الصحن الأوسط والجناحين الجانبيين. وعندنا في مصر شاهد مادي قوي وهو كنيسة المغارة الواقعة أسفل كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة، و يرجع تاريخها إلى القرن الثاني أو الثالث، وهي مقسمة طولياً إلى ثلاثة أقسام. وكانت توجد كنيسة في الإسكندرية قريبة من مدافن السراديب catacombs الصخرية، في منطقة كليوباترة الحمامات، قد هدمتها تماماً نيران مدفعية البحرية الإنجليزية في حرب عرابي سنة ١٨٨٢م، هذه الكنيسة كانت ثلاثية الأقسام. وأخيراً، فإن طقس الهياكل الثلاثة في الكنيسة الواحدة القائم في أقدم الكنائس القبطية هو بحد ذاته برهان قاطع على أن وجود الرواقين الجانبيين هو طقس هندسي أكثر منه فناً!! وهو موغل في القدم إذ يرجع إلى عصور المسيحية الأولى حيث كل هيكل يتبعه صحن خاص. هذا الطقس الهندسي وجدناه يمتد على مر الزمن و يتطور، و يزداد عدد الهياكل حتى يصبح خمسة هياكل، كما حدث في كنيسة القديس أنبا مقار الكبرى حيث كان لكل هيكل صحن خاص به إلى درجة أن اعتُبر كل هيكل بصحنه عبارة عن كنيسة قائمة بذاتها و باسمها الخاص!! وهنا يقرر العالم بطلر أن هندسة العمارة القبطية في كنائسها القديمة تعتبر فريدة في نوعها تستمد أصولها من غير الأصل البازيليكي الروماني.

و يبقى طراز معماري آخر إلى جانب البازيليكي في تصميم الكنائس القبطية، وهو الطراز البيزنطي نسبة إلى مدينة بيزنطة التي اشتهرت بكنيستها «آجيا صوفيا» ذات القباب المتعددة. و يتميز هذا الطراز باستعمال القباب في تغطية مساحات ذات شكل صليب أحياناً، ثم عدم وجود أجنحة جانبية طولية. و يقرر العالم بطلر أن إطلاق لقب «بيزنطي» على هذا الطراز خطأ منطقي، فالمعروف أن القبة عُرفت في مصر منذ أيام الفراعنة وعنها أخذ الإغريق وكل الغرب. فالمصريون عرفوا قطعاً نظام إنشاء القبة قبل الإغريق!! ثم إن انتشار المسيحية في مصر قبل غيرها من أقطار العالم قاطبة هو الذي هيأ لها أن تبدأ إقامة المنشآت الدينية قبل أي مكان في العالم. وفي حفريات

المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في منطقة القلالي (كيليا) عُثر على قلاية كبيرة كان يجتمع فيها الرهبان للصلاة يغطيها قبو نصف اسطواني طوله ٣٠ متراً واتساعه ٨ أمتار، و يرجع تاريخها إلى القرن الخامس، وكانت هذه القلاية ضمن مجموعة خرائب يبلغ عددها ستمائة كوم. و يقرر العالم بطلر أن المهندس الذي صمم كنيسة «آجيا صوفيا» في بيزنطة ــ وتاريخها يرجع إلى منتصف القرن السادس ــ قد أخذ عن المصريين وليس العكس!! مثلما أخذ الإغريق سابقاً عن الفراعنة.

الخصائص المعمارية للكنيسة القبطية:

من جميع الكنائس الموجودة حالياً لا توجد واحدة تماثل تماماً الكنائس البيزنطية، فالمهندسون الأقباط لم يكونوا يميلون إلى تصميم الكنيسة على شكل صليب. ولكن وُجدت كنائس قبطية قريبة في شكلها من الطراز البازيليكي الروماني، ومثال ذلك كنيسة الملاك ميخائيل بقصر الشمع والتي هي الآن كنيس يهودي بمصر القديمة(١). هذا المبنى الصغير بأجنحته الجانبية ودهليزه الغربي وأروقته العلوية وحائطه الشرقي المستقيم الذي تتخلله «الشرقية» المألوفة ذات العقد الدائري، ثم العقد الكبير الذي يتوج مدخل الهيكل، كل هذا يمثل شكلاً من أشكال البازيليكا الرومانية الأصيلة! والعجيب أن في دير أنبا مقار بالحصن القديم توجد أيضاً كنيسة الملاك ميخائيل من نفس الطراز.

ومع أن الأقباط لم يعرفوا المسقط الأفقي للكنيسة على شكل صليب ككنائس البيزنطيين، إلا أن القبة عند الأقباط كانت ولا زالت هي النموذج المفضل لأسقف الكنائس، سواء كانت قبة واحدة أو قباباً متعددة. وأقرب الكنائس القبطية إلى الطراز البازيليكي لا تخلو من قبة تغطي هيكلها الأوسط، وغالباً توجد قبتان جانبيتان للهياكل الصغيرة الجانبية.

نستخلص من هذا أن التصميم المعماري القبطي للكنائس يجمع بين الطرازين البازيليكي والبيزنطي، فلم توجد كنيسة واحدة تخلو من عناصر متناسقة من كلٍ من الطرازين. غير أنه يتحتم أن ننبه الأذهان مرة أخرى إلى أن طقس هندسة الكنيسة القبطية القديمة مستقل في هندسته حتى عن الألفاظ الفنية المتعارف عليها أي كلمة «بازيليكي» و«بيزنطي»!!

في دير أنبا مقار نرى التنوع ظاهراً في عمارة الكنائس، فالآثار التي عثر عليها مهندسو البعثة الأمريكية سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ والتي على ضوئها وضعوا تصميما لكنيسة القديس أنبا مقار الكبرى كما كانت في القرون السابقة توضح أنها كانت ذات أربعة هياكل وأربعة صحون

(١) بيعت هذه الكنيسة إلى يهود مصر في عهد البطريرك أنبا خائيل السادس والخمسين ليتمكن من تسديد الجزية الباهظة التي فرضها عليه الوالي أحمد بن طولون.

متميزة، وصحن الكنيسة العام محمول على ٢٠ عموداً بخلاف الجدارين البحري والقبلي مما يوحي بأن السقف كان عبارة عن تسع قباب أو قبوين هائلين طوليين. هذا بخلاف الخورس الأول الذي يُعتقد أنه كان بسقف مكون من خمس قباب وكانت تسمى «الإسكِنا» أي القباب. فإذا أردنا تحديد الطراز الهندسي لكنيسة أنبا مقار نجده عبارة عن بازيليكا مركبة.

في حين أن كنيسة أباسخيرون نجد صحنها عبارة عن قبوين مركبين على بعضهما يقسمان صحن الكنيسة إلى خورسين مستعرضين (لوحة رقم ٥٨ في الملازم الأخيرة من الكتاب). وهذا الطراز كان مفضلاً في كنائس الصحاري كما هو ملحوظ في كنيسة أنبا بيشوي أيضاً. وهو طراز هندسي لا يمكن وضعه تحت البازيليكي ولا البيزنطي بل هو أقرب إلى نظام السراديب.
ومن جميع الكنائس التي بدير أنبا مقار لا نجد إلا كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن مطابقة للطراز البازيليكي كما قلنا.

وفي دير أنبا أنطونيوس قرب البحر الأحمر توجد كنيستان لكل منهما اثنتا عشرة قبة. وفي أديرة وادي النطرون بالصحراء الغربية نرى قباب الكنائس قليلة لكنها تتميز بالاتساع مع دقة الإنشاء مثل قبة هيكل أنبا بنيامين بدير القديس أنبا مقار التي يبلغ قطر قاعدتها حوالي ثمانية أمتار. وفي مدينة بوش بمحافظة بني سويف يوجد طراز فريد من نوعه بالنسبة للكنائس القديمة: قبة مركزية يحيط بها أربعة أنصاف قباب، ثم أربع قباب صغيرة في أركان البناء المربع.
وبصفة عامة، كان المهندس القبطي يهتم بإبراز القبة التي تغطي الهيكل، ونادراً ما كان يفكر في أية قباب أخرى على الإطلاق.

وتتميز القبة القبطية عن مثيلتها البيزنطية في أن الأولى يظهر خارجها مداميك الطوب الأحمر التي تتكون منها القبة كما هو واضح جداً في قبة الميرون (قبة القديسة إيلاريا) بدير أنبا مقار. كما تتميز أيضاً في الفن القديم بوجود فتحات على هيأة صلبان كما لا يزال واضحاً في قبة أنبا بنيامين وقباب المائدة الأثرية بدير أنبا مقار.
ومن مميزات تصميم الكنائس القبطية في الأديرة عموماً هو وجود قباب (ثلاث غالباً) كاملة فوق الهياكل الشرقية وليس أنصاف قباب كما في الكنائس البيزنطية والسريانية.

ومدخل الكنيسة القبطية يقع دائماً في الغرب بينما الهياكل في الشرق. ومع أن الدراسات الحديثة لأقدم الكنائس في جنوب إيطاليا دلت على وجود المدخل في الشرق والهيكل في الغرب، إلا أنه لم يثبت حتى الآن أي دليل أو تقليد يشير إلى قيام مثل هذا التنظيم في كنائس مصر. على أن الضرورة قد تحتم أن يكون المدخل في غير جهة الغرب وذلك يكون استثناء غير محبوب على الإطلاق كما هو حادث في كنيسة الشيوخ الشهداء بدير أنبا مقار.

واتجاه الكنيسة القبطية إلى الشرق أمر أساسي في تصميمها رغم وجود انحراف قليل عن الإتجاهات الجغرافية المعروفة في بعض الكنائس لأسباب خارجة عن طاقة المهندس وهو أمر أيضاً غير محبوب، والاتجاه ناحية الشرق ينطبق على كل الكنائس القديمة في مصر بينما لم تعرفه كنائس أوروبا إلا في العصور الوسطى، و يعتقد العالم بطلر أن أوروبا أخذت عن الكنيسة القبطية هذا الطقس. و يبدو أن المسيحيين الأوائل في مصر كانوا يميلون إلى أن يكون المدخل الغربي للكنيسة ذا ثلاثة أبواب. ولكن بسبب طول معاناتهم من الاضطهادات في العصر الروماني ثم الفتح العربي جعلهم ينصرفون عن الثلاثة أبواب و يقصرون المدخل على باب واحد فقط في الناحية الغربية من الكنيسة مع الاستغناء عن النوافذ والاكتفاء بفتحات صغيرة للإضاءة والتهوية. ومتى وُجد مدخل بعض الكنائس في جهة أخرى كالجهة البحرية أو القبلية وأحياناً الشرقية ــ كما هو في كنيسة حارة زويلة بالقاهرة ــ فهذا راجع إلى أنه لا سبيل للوصول إلى مثل هذه الكنائس إلا من هذه الجهة بالذات. هذا وإن الطقس الكنسي القديم يشير أحياناً إلى وجود ثلاثة أبواب في الثلاث جهات، واحد غربي في نهاية الجانب البحري وهو خاص بدخول الموعوظين، والآخر شرقي في نهاية الجانب القبلي وهو المخصص لدخول السيدات، والثالث يتوسط الجانب الغربي وهو المخصص لدخول المؤمنين.

والكنيسة القبطية من الخارج لا يميزها عادة شيء عن المباني المحيطة بها، فليس لها مثلاً فناء ككنائس أوروبا؛ بل نرى أن واجهتها المطلة على الطريق العام ــ وغالباً تكون هي الواجهة الغربية ــ تمتد لتلتحم مع المباني المجاورة بحيث لا تبدو مستقلة عما حولها. وواضح أن قصد المهندس القبطي من ذلك هو أن تدخل الكنيسة في صميم الحياة اليومية كجزء لا يتجزأ من واجب البيت القبطي. وغالباً تكون المباني المجاورة هي مساكن الكهنة و بيوت المهتمين بخدمة الكنيسة. والهدف من كل ذلك هو جعل العبادة في الكنيسة مهمة سهلة وحاضرة كل وقت. لذلك لا يوجد للكنيسة القبطية عادة نموذج معماري خاص للواجهة. فلم يكن قصد الفنان القبطي أبداً أن تنتزع الكنيسة الإعجاب بنقوشها الباهرة بل أن يشد نظر العابرين إلى ما بداخلها من تسابيح وطقوس.

و يلاحظ في الكنيسة القبطية ازدحام المبنى الرئيسي بكنائس صغيرة تصل إلى ثلاث أو أربع كنائس داخل الكنيسة الأصلية دون الاهتمام بكيفية الوصول إلى هذه الكنائس. فالبعض منها في الأجنحة الجانبية والبعض الآخر في الأجنحة العلوية، ولا يهم في ذلك أن تكون منفصلة أو مفتوحة على الصحن الرئيسي ... فكنيسة أبو سيفين مثلاً تبدو من الخارج وحدة معمارية كنسية في حين أنها من الداخل مجموعة كنائس متعددة. هذا النظام لا مثيل له في كنائس العالم إلا الكنيسة الأيرلندية التي استعاضت عن الكاتدرائيات الشاهقة بمجموعات من الكنائس الصغيرة

يحيط بها سور واحد تقع بداخله حجرات الخدمة و بيوت الكهنة . وهناك أيضاً تشابه غريب في بناء الكنيسة الأيرلندية ونظيرتها القبطية وهو تغطية الصحن الأوسط مع خورس المرتلين بجمالون واحد أو قبو واحد كما هو حادث في كنيسة أنبا بيشوي بديره بوادي النطرون ، وهو أمر لا نظير له على الإطلاق في كنائس الغرب المسيحي . ولا عجب في هذا إذ يوجد في دير أوليخ بأيرلندا سبعة رهبان مصريون مدفونون فيه تُذكر أسماؤهم في إحدى ليتورجيات هذه الكنيسة . كما أن التصميم المعماري القبطي واضح في كنيسة جلاستنبري بإنجلترا . وقبلما تدخل رهبنة القديس أغسطينوس اللاتينية إلى الجزر البريطانية كان القانون الرهباني السائد هناك هو القبطي فقط .

المنارة «برج الجرس» :

وانعدام المنارات «أبراج الأجراس» المرتفعة من الكنائس القبطية في العصور القديمة سببه قطعاً هو نفور الأقباط من هذا النوع من الإنشاءات المظهرية الباهظة ، كما و يرجع في العصور المتأخرة إلى تعرُّض المسيحيين إلى مزيد من الاضطهاد بسبب هذه المظاهر؛ ولكن هذا لم يمنع وجودها في أديرة الصحراء الآن ، وذلك دخل ولا شك في عصور حديثة تشبُّهاً بكنائس المدن . وتتكون المنارة في الغالب من طابقين ، وذات مسقط أفقي مربع . والطابق الثاني منها تتخلله فتحتان في كل جانب لها عقود دائرية كما يظهر في منارة كنيسة التسعة والأربعين شهيداً بدير أنبا مقار، وهي تعتبر من أصغر وأجمل وأبسط المنارات في الفن القبطي الكنسي على الإطلاق ، وقد أُخذ عنها التصميم الحديث لمنارة كنيسة مار جرجس بمصر الجديدة .

أما موضع المنارة ــ إن وُجدت ــ بالنسبة للكنيسة فهو غير محدد ، ولكن غالباً ما تكون منفصلة عن البناء الرئيسي .

والأصل في المنارة أن تحمل النور، أي يوضع في أعلاها مصباح يرشد السائرين في الظلام إليها ؛ وهذا تعبير سري عن وضع الكنيسة في العالم باعتبارها مركز النور ومصدر روح الله الذي يرشد السائرين في ظلمة هذا العالم إلى المسيح . والواقع أن في بعض الكنائس الأولى كانت المنارة تُستخدم فعلاً لإرشاد الناس كما نعلم من قصة قنديل كنيسة مار مرقس في الإسكندرية الذي أرشد سفينة الخليفة وهي تائهة في أعماق البحر حتى أوصلتها إلى الميناء ، الأمر الذي جعله يخصص وقفاً بحجة رسمية للصرف على إنارة هذا القنديل مدى الحياة .

كما تشير المنارة عادة إلى روح الرب أو إلى الملاك الحارس للكنيسة والشاهد على كلمة الله . والمعروف في الطقس الكنسي أن لكل كنيسة ملاكين حارسين يحضران وقت الذبيحة والصلاة ، ترمز إليهما الشمعتان اللتان توضعان عن يمين المذبح وشماله . لذلك فإن المنارتين اللتين خارج الكنيسة هما إشارة ورمز للملاكين المنوط بهما حراسة شعب الكنيسة ورفع صلواتهم أمام عرش الله . لذلك فحينما نسمع أجراس المنارتين تدعو المؤمنين إلى الصلاة فهذا يكون بمثابة صوت روح الرب أو صوت الملاك . وحينما تُضاء الشمعتان على المذبح فهذا يكون بمثابة حضور الملاكين

الحارسين إيذاناً ببدء الصلاة. على أنه يتحتم ألا تُطفأ الشمعتان إلا بعد صرف الملاك بالصلاة الخاصة بذلك في نهاية القداس.

التقسيم الداخلي:

نتجه الآن نحو الشكل والتنظيم الداخلي مميزين بين ما اصطُلح على تسميته بالطراز الباز يليكي القبطي والطراز البيزنطي القبطي.

و بصفة عامة، يفصل الصحن الأوسط عن الأجنحة الجانبية صفان من الأعمدة البسيطة أو اليونانية أو الرومانية المزخرفة. والنظام المفضل لهذه الأعمدة هو اثنا عشر عموداً موزعة على ثلا ثة جوانب الصحن: القبلي والغربي والبحري، و بذلك يبقى الجانب الشرقي خالياً مفتوحاً على الهيكل بينما تكوِّن أعمدة الجانب الغربي دهليزاً **Narthex** وهو الجزء الغربي من صحن الكنيسة المعتبر مدخلاً. و يندر أن تنتهي الأعمدة الجانبية في حائط الكنيسة الغربي دون وجود صف من الأعمدة موازي لهذا الحائط الغربي. كذلك يندر أيضاً أن تبقى الأعمدة الغربية ظاهرة حرة مكوِّنة رواقاً غربياً كالذي يظهر في كنيسة الملاك ميخائيل (الآن كنيس يهودي) بالحصن الروماني؛ وذلك لأن هذا الصف من الأعمدة الغربية قامت بينه حواجز جعلته يتحول إلى دهليز خارجي أو حوش غرب الكنيسة كما يتضح ذلك في كنيسة أبو سرجة.

والأصل هو أن يكون الرواق الغربي في الكنائس المسيحية بصفة عامة هو المكان المخصص للموعوظين أثناء الخدمات الكنسية، وهو أيضاً مكان وقوف التائبين الراجعين وكلٍّ من كان تحت قوانين التأديب الكنسية، كما كان فيه جرن المعمودية في الجهة البحرية. أما في الكنيسة القبطية بصفة خاصة فقد تطورت بسرعة من كنيسة موعوظين إلى كنيسة قديسين، فلم يخصَّص للموعوظين أو التائبين أي أمكنة خاصة بسبب روح الاتضاع العامة أو ما يمكن أن نسميه الروح الشعبية التي تسود الكنيسة القبطية؛ فهي تُحسب الآن كلها كنيسة موعوظين أو تائبين بسبب عمل الكلمة التي جعلت الكل قديسين فعلاً بسبب روح التوبة الشاملة.

ولكن الرواق الغربي كان يُستعمل في بعض الكنائس القبطية في عيد الظهور الإلهي ـــ الغطاس ـــ حيث كان ينزل عامة الشعب في الجرن الكبير (مكان المعمودية القديمة) الموضوع في أرضية الكنيسة بعد أن يقدس الكاهن الماء بالصلاة؛ ولا يزال هذا المغطس الهائل موجود في الخورس الثالث ـــ ما يقابل الرواق الغربي ـــ من كنيسة العذراء المسماة بكنيسة المغارة بدير السريان.

وفي كنيسة الدير الأبيض ناحية سوهاج ـــ وتاريخها يعود إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي ـــ رواق غربي منفصل عن صحن الكنيسة بحائط يتخلله المدخل الرئيسي الغربي للكنيسة؛ في هذا الرواق كان قائماً، ولا يزال، معمودية تُعتبر من أجمل الآثار المسيحية الباقية منذ العصور المبكرة.

صحن الكنيسة:

حوائط الصحن في الكنائس البازيليكية الطراز محمولة في العادة على إفريز خشبي مستمر فوق الأعمدة، وتتخللها عقود صغيرة مفتوحة بكامل سمك الحوائط لتخفيف ثقلها على الأعمدة. والإفريز يزيَّن عادة بألوان وزخارف ذهبية وآيات مكتوبة باللغة القبطية مع صلبان متقاطعة. ولكن في كنيسة المعلقة استُعملت عقود مدببة في جانب الصحن البحري بدلاً من الإفريز، أما في كنيسة أبو سرجة فقد استُعيض بالدعامات الضخمة المتصلة بعقود علوية عن الأعمدة المستديرة، وذلك لفصل الأجنحة الجانبية عن صحن الكنيسة.

وفي الكنائس البيزنطية خارج مصر لا نجد الدعامات، سواء المربعة أو المستطيلة، على استقامة واحدة بل في مجموعات تحمل عقوداً في جوانبها الأربعة. وكان المعماريون اليونانيون يجعلون الأعمدة متقاربة. أما الرومان فكانوا يفضلون المسافات المتباعدة بين الأعمدة مما جعلهم يلجأون إلى استعمال عقود مدفونة في الحوائط فوق الإفريز لتخفيف أثقال الحوائط على الإفريز. فجاء الأقباط واتخذوا خطوة أكثر جرأة وهي إبراز هذه العقود المدفونة، فظهرت فوق الإفريز، كما نراها في كنيسة أبو سرجة وأنبا شنودة بمصر القديمة، واستعاضوا أيضاً عن الإفريز الحجري بآخر من الخشب يصل بين الأعمدة، والخطوة التالية في هذا التطور هو توسيع العقد ليشمل المسافة كلها بين كل عمودين. وأخيراً، بسبب الحاجة إلى الإفريز استُغني نهائياً عن العقود.

الأروقة العلوية:

و يعلو الأروقة الجانبية والغربية طابق علوي بنفس المقاسات، كان يخصَّص للنساء وقت الصلاة في الكنيسة، وهو أمر معروف على الأقل منذ عصر أوغسطينوس. و يفتح هذا الطابق على صحن الكنيسة الأوسط ببواكي واسعة تتخللها أعمدة صغيرة تمتد بينها ستائر من خشب أرابسك مفرغ أو درابزين منخفض يكفي لإخفاء النساء عن جماعة المصلين بالطابق الأسفل. ومثال ذلك ما زال موجوداً في كنيستي أبو سرجة والست بربارة بمصر القديمة. بينما لا يوجد هذا النظام إطلاقاً في كنائس أديرة الصحراء لعدم وجود النساء. ومع مضي الزمن شغلت النساء الناحية الغربية من الدور السفلي، وأُقيم حجاب يفصل بينهن و بين سائر صحن الكنيسة، وهذا حدث في القرن العاشر تقريباً. وتبع هذا تغيير استعمال الأروقة العلوية حتى أصبحت منفصلة أحياناً في استعمالها عن سائر جسم الكنيسة، لأن طريق الوصول إليها كان من المباني المجاورة وليس من نفس مدخل الكنيسة. فاستُعملت الأروقة العلوية ككنائس صغيرة ملحقة، كما في كنيستي أبو سرجة والست بربارة. و بسبب الفتور الذي حل بالشعب واضمحلال عدد المصلين بطل استعمال هذه الكنائس الصغيرة وانضمت إلى منافع الكنيسة فصارت ضمن بيوت الكهنة وخدام الكنيسة أو اقتُصر استعمالها على مرة واحدة فقط كل سنة.

الخورس الأول :

وهو مكان وقوف المرتلين في الكنيسة . في بعض الكنائس ذات الطراز البيزنطي ــ ككنيسة العذراء بحارة الروم ــ لا يتميز الخورس عن سائر الصحن بأي ارتفاع أو سلالم أو درابزين . وفي كنيسة الأمير تادرس ترتفع أرضيته عن الصحن بمقدار درجة واحدة وكان له فيما مضى درابزين مرتفع من خشب الأرابسك المفرغ تفصله عن سائر الصحن .

و يبدو أن الكنائس في العصور القديمة لم يتميز فيها الخورس عن الصحن بأي شيء ، وأول إشارة إلى وجود خورس منفصل ترجع إلى القرن السابع .

وتمتاز الكنيسة القبطية عن سائر الكنائس الأخرى بأن الخورس الأول يمتد فيها بعرض الكنيسة أمام الثلاثة هياكل الشرقية ، وأحياناً يكون له درابزين من الخشب يفصله عن الصحن كما هو حادث في كنيسة الشيوخ بدير أنبا مقار. وفي بعض كنائس وادي النطرون نجد أن له حائطاً يرتفع إلى سقف الكنيسة مثل كنيسة أنبا مقار الحالية وكنيسة أباسخيرون بدير أنبا مقار وكنيسة المغارة بدير السريان ، و يتخلل هذا الحائط باب أو بابان . وفي بعض الكنائس الأخرى نجد أن الفاصل بين الخورس والصحن عبارة عن حائط منخفض ــ دروة ــ بدلاً من الستارة الخشبية التي كانت توجد في كنائس مصر القديمة .

وكان يعلو حجاب الخورس ــ أي الستارة الخشبية العالية بين الخورس والصحن ــ سلسلة من الصور تمثل مناظر من الكتاب المقدس أو أيقونات الرسل والقديسين ، كما أن القاعدة العامة هي أن تعلو صورة الصلبوت مدخل الخورس(٢) ، ومثال ذلك ما كان موجوداً في كنيسة أنبا أنطونيوس الملحقة بكنيسة أبو سيفين بمصر القديمة . ولكن جميع أحجبة الخوارس قد أُزيلت من معظم كنائس مصر ولم يبق منها شيء إلا في كنائس وادي النطرون . واتساع الخورس مقاساً من الشرق إلى الغرب يتراوح بين عشر خطوات إلى اثنتي عشرة خطوة ، ولا يحتوي على أية مقاعد أو أماكن ثابتة للمرتلين عدا منجليتان متحركتان وحامل شموع مرتفع .

الإنبل : (المنبر) :

وموضعه في صحن الكنيسة هو الزاوية البحرية الشرقية . وأروع النماذج الموجودة منه هو القائم في كنائس المعلقة وأبو سيفين ومارمينا بمصر القديمة . ومكانه ثابت ، يمتد من الشرق إلى الغرب والصعود إليه يكون عن طريق سلم من طبقة واحدة فقط . أما كنائس أديرة الصحراء فالإنبل فيها كان من الخشب المفرغ والمطعّم كما كان إنبل كنيسة أباسخيرون بدير أنبا مقار الذي استخدمت

(٢) لهذا السبب توصي الكتب الطقسية الكاهن أثناء رفع البخور أو في قداس الموعوظين أن يقول هذه الأرباع عند خروجه إلى الخورس الثاني : « يسوع المسيح أمساً واليوم هو هو وإلى الأبد ، بأقنوم واحد نسجد له ونمجده » ، ثم يبخر الكاهن شرقاً ، أي مقابل أيقونة الصلبوت : « هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا... إلخ . » (كتاب الخولاجي المقدس) .

بقاياه في صنع حجاب كنيسة العذراء بحصن الدير.

الهياكل:

لكل كنيسة عادة ثلاثة هياكل بها ثلاثة مذابح، ولكن في كنائس وادي النطرون يقل العدد ويزيد تبعاً لاستخدام الكنيسة وحجمها، فقد كان لكنيسة أنبا مقار الكبرى بديره أربعة هياكل تفتح على بعضها، وكل هيكل له صحنه الخاص به. أما كنائس الحصن فبعضها له هيكل واحد مثل كنائس الطابق الثاني، وأما كنيسة العذراء بالطابق الأول فيلاحظ أن لها هيكلاً واحداً يتسع لثلاثة مذابح متحدة على مصطبة واحدة ممتدة لتشملها جميعاً.

وفي بعض كنائس مصر القديمة تقع الهياكل ضمن المبنى الرئيسي للكنيسة أي في نفس الطابق، وفي البعض الآخر تكون في الأروقة العلوية. وجميع الهياكل تقع على استقامة واحدة في الجهة الشرقية من الكنيسة، وهذا تقليد قديم. ففي كنيستي حارة زويلة والست بربارة، وهما من أقدم كنائس مصر، لا يزال ظاهراً فيهما آثار مذابح أقدم من المقامة حالياً. وحتى الكنائس الصغيرة الملحقة بالكنائس الكبيرة كانت في الغالب ذات ثلاثة مذابح مثل كنيسة العذراء التي بالطابق العلوي لكنيسة أبوسيفين بمصر القديمة، طالما أن المكان يسمح بتقسيم الجهة الشرقية إلى ثلاثة هياكل. ولا بد أن يكون المذبح في وسط الهيكل حتى يسمح بالدورات الإحتفالية في الأعياد أو دورة البخور في القداسات، كطقس الكنيسة القبطية.

ويفصل الهياكل عن الخورس الأول حجاب خشبي مستمر أو حائط سميك كما هو حادث في كنائس أديرة وادي النطرون. أما الهياكل نفسها فتنفصل عن بعضها إما بحوائط أو بواسطة دهاليز توصل بينها. وهي ترتفع درجة أو درجتين على الأكثر عن مستوى أرضية الخورس.

حجاب الهيكل أو الأيقونوستات (حجاب الصور):

أولاً: في الأديرة:

من الأمور الملفتة للنظر جداً أن كنائس الأديرة العتيقة تخلو تماماً من أي أثر للأيقونوستات أو حجاب الصور الذي يفصل الهياكل عن الخورس الأول، أي قدس الأقداس عن الشعب.

كما يلاحظ في الكنائس العتيقة وبالأخص في كنيسة أنبا مقار التي تُعتبر هياكلها القائمة الآن من عمارة القرن السابع الميلادي أن أبواب الهياكل متسعة جداً وعبارة عن عقد دائري ضخم يصل إلى السقف تقريباً.

هذا الإتجاه المعماري لا نستطيع أن نعبر عليه دون أن نشير إلى أن الأقباط الأوائل لم يرتضوا في فهم الكنسي أن تكون صور القديسين حاجباً بينهم وبين الله في قدس الأقداس (الهيكل)، ولا

ارتضوا بأن تكون أبواب الهياكل ضيقة إذ اعتبروا أن المسيح جعل بدمه المقدم على المذبح كل يوم «(دخولاً بِسِعَةٍ) إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي» (٢ بط ١: ١١).

ولكن اقتصر الأقباط الأوائل على رسم صور القديسين والآباء والأنبياء داخل الهياكل وفي الدوائر العليا من القباب والسقوف تعبيراً على أنهم صاروا سحابة شهود لا حاجزاً وحجاباً. وتعتبر الصور المرسومة في هيكلي أنبا مقارو يوحنا المعمدان في كنيسة أنبا مقار ببرية شيهيت نموذجاً رائعاً لدراسة الفن القبطي التعبيري عن هذا الموضوع العقائدي والروحي بآن واحد.

ثانياً: في الكنائس الآن بمصر:

تجده من الخشب المعشق المنقوش بزخارف أرابسك أو أشكال هندسية ومطعم بصلبان ونجوم رائعة من العاج الأبيض. ولكل هيكل مدخل ذو عقد دائري ـــ غالباً على شكل حدوة الفرس ـــ له باب من مصراعين، يعلو كل واحد منهما آية من الكتاب المقدس بالقبطية أو العربية بحروف مطعمة بالعاج. وقد يبرز من حجاب الهيكل الأوسط عن حجابي الهيكلين الجانبيين، كما في كنيستي أبو سرجة وحارة زويلة. هذا البروز يسمح بوجود بابين جانبيين للهيكل الأوسط، وهو طقس قديم له ارتباط بالدورات الإحتفالية في الأعياد داخل الهيكل والخورس، وعلى جانبي فتحة مدخل الهيكل يوجد شباك مربع في الحجاب له ضلفة منزلقة و يرتفع ١٫٥٠ متراً عن الأرضية. وكانت هذه الفتحات موجودة أيضاً في حجاب الخورس في كنيسة أبو سرجة قبل إزالته. وأمام الهيكل تتدلى ثريات من الفضة لإضاءة الخورس والهيكل. و باب الهيكل له ستر من الحرير تزينه آيات كتابية وصلبان ومناظر مقدسة، مشغولة بخيوط الفضة، وستر باب الهيكل ثمين بهذا المقدار لأن المصلي عند دخوله الكنيسة كان يسجد أمام باب الهيكل و يقبل طرف الستر، وهي عادة قديمة عند الأقباط تمتد إلى زمن سحيق. وعند بدء الصلاة يطوى هذا الستر جانباً و يفتح باب الهيكل إلى الداخل.

وأعلى الحجاب مقسم إلى أقسام في كل منها صورة لأحد الرسل أو الأنبياء، أما توزيع الصور على الحجاب من أسفل فله طقس كنسي خاص به حسب ترتيب معين دقيق على كل من جانبي الهيكل مذكور في كتاب دورة الصليب.

من هذا الوصف يبدو أن حجاب الهيكل في الكنيسة القبطية أصبح شيئاً فشيئاً قريباً من مثيله في الكنيسة البيزنطية، بعد أن كان الحجاب أصلاً لا يزيد عن مصبعات خفيفة مفتوحة سواء خشبية أو معدنية. فيحدثنا أوسابيوس المؤرخ الكنسي عن الكنيسة الكبيرة في مدينة صور بفلسطين أنه كان لها مصبعات من الخشب المشغول بدقة فنية تثير دهشة الناظرين. ومعروف أن حجاب الصور (الأيقونوستات) بوضعه الراهن المسدود تماماً ظهر في القرن الثامن كرد فعل لحرب

الأيقونات في العالم البيزنطي. أما حجاب الهيكل في أقدم كنيستين في مصر: أبو سرجة والعذراء بحارة زويلة، فيرجع تاريخهما إلى ما قبل القرن العاشر بقرن على الأقل. وفي هاتين الكنيستين نرى باب الهيكل ذا عقد منخفض وله مصراعان، وهو متطور عن نظام أقدم منه. والدليل الذي نعتمد عليه في هذا التمييز بين تطور الأحجبة في الكنيستين القبطية والبيزنطية هو الإكتشاف الذي اكتشفه مستر ألفريد بطلر في كنائس أديرة وادي النطرون. ففي كنيسة العذراء بدير السريان بابان مرتفعان (وهما من الفن السرياني وليس القبطي) ولكل منهما ثلاثة مصاريع، يرتكنان على أكتاف حائط الهيكل؛ وحين تنفتح هذه المصاريع الستة ينكشف الهيكل تماماً، وحين تنغلق تكون هي حجاب الهيكل الذي يحجب ما في داخله تماماً. ومن طراز الخط السرياني على عتبة وقوائم هذه المصاريع يمكن ترجيح تاريخها إلى سنة ٧٠٠م. وفي دير أنبا بيشوي عُملت أبواب الهيكل على نفس النمط فيما عدا أن لكل باب مصراعين بدلاً من ثلاثة، ثم أغلقت هذه المصاريع فتحولت إلى حجاب ثابت، وعلى ارتفاع ١٫٦٠ متراً من أرضية الخورس أُزيل بالمنشار جزء نصف دائري من الضلفتين الداخليتين فصار بذلك مدخل الهيكل عبارة عن فتحة نصف دائرية من أعلى بضلفة متحركة على كل جانب، وهكذا صار مطابقاً تمام المطابقة لحجاب هيكل كنيسة أبو سرجة. أما الصور المرسومة فقد استُعيض عنها بأيقونات من العاج المطعم على مصاريع الباب المتحركة.

وهنا ينبغي أن نقرر أن حجاب كنيسة أبو سرجة (القرن التاسع تقريباً) بمصر القديمة يُعتبر أقدم الأحجبة الباقية في كنائس العالم حتى الآن سواء كنائس الشرق أو الغرب. فكل كنائس الغرب غُيرت ورُممت واستُبدلت أحجبتها بأخرى أحدث منها على ممر السنين. وأما كنائس الشرق فما نجا منها من أيدي الأتراك في آسيا الصغرى و بلاد اليونان تحول كله إلى مساجد وتحطمت أجزاؤه أثناء استبدال الصليب بالهلال فيها.

ولكل هيكل جانبي مجموعة مستقلة من الأيقونات فوق حجابه. وقد كان لكنيستي أبو سيفين ومار مينا بفم الخليج حجاب خاص للخورس كحجاب الهيكل يتوسط باب ذو مصراعين وتعلوه مجموعة من الأيقونات بدلاً من مصبعات الخشب الخفيفة التي تميز الخورس عن صحن الكنيسة. هذا المثال لحجابين أحدهما للهيكل والآخر للخورس، فريد في نوعه ولم يكن له ما يشابهه في أي كنيسة أخرى.

والحائط الشرقي للهياكل، وخاصة الهيكل الأوسط، مجوف إلى الداخل، ولكن لا يظهر منه شيء خارج الكنيسة، أي أن الناظر من الخارج لا يرى سوى حائط مستو دون أي تقوُّس أو انحناء. وتقوُّس الحائط الشرقي إلى الداخل سمة قديمة أثرية تميز كنائس العصور الأولى في آسيا وأوروبا. ويحتمل أن الكنائس ذات الحائط الشرقي الواحد المجوف إلى الداخل أقدم من تلك التي

لها ثلاثة حوائط مجوفة في هياكلها الثلاثة، ككنيسة العذراء بحارة زويلة والست بربارة بمصر القديمة. لكن هذا ليس شرطاً أساسياً، فكنائس الأديرة بوادي النطرون، الحوائط الشرقية في هياكلها مستقيمة مع أنها قديمة جداً.

وفي وسط الحائط الشرقي المجوف توجد «الشرقية» ولها درجات ممتدة بطول الحائط ومقوسة مع تقوس الحائط، وفوق أعلى درجة منها توجد مصطبة مرتفعة يتوسطها كرسي التجليس — الطرونوس — للبطريرك أو الأسقف حين وجوده في الكنيسة، وحوله كان يجلس على المصطبة إثنا عشر من شيوخ الكهنة. وفي جلوسهم هكذا يكون وجههم متجهاً ناحية الغرب ليتابعوا صلوات القداس في الهيكل. هذا الطقس كان موجوداً في كنائس الغرب القديمة إلا أنه لم يستمر فيها كاستمراره حتى الآن في كنائس مصر. وقد بلغت الدقة في تطعيم منصة التجليس هذه بقطع الفسيفساء الملون حداً رائعاً، كما يظهر في كنائس أبو سرجة وحارة زويلة وأبو سيفين. وخلف كرسي التجليس توجد «الشرقية»، وهي ذات عقد دائري من أعلى حيث كان يعلّق فيها سراج دائم الإنارة(٣). وهذه الشرقية يتحتم وجودها في كل كنيسة قبطية.

واستعمال حائط مجوف شرقي الهيكل قديم جداً في مصر، وتكرار استعماله في الهياكل الجانبية يدل على أنه كان أمراً ذا أهمية كبرى، ففي الهياكل الجانبية بكنيسة المعلقة وهياكل كنيسة أنبا مقار الحالية نرى الدرجات صغيرة جداً مما يوحي بأن القصد منها هو الإحتفاظ بتقليد معين فقط في شكل حائط الهيكل الشرقي. وحتى إذا وُجدت كنيسة حائطها الشرقي مستقيم — مثل كنيسة العذراء بدير أبو سيفين — فلابد أيضاً من وجود «الشرقية» فيه. وكان يغطي «الشرقية» أحياناً رسم حائطي كبير للسيد المسيح وهو يرشم بيده البركة(٤).

الموزاييك القبطي:

و يغطي حائط المنصة ألواح وقطع من الرخام متعددة الألوان بارتفاع حوالي ٢٫٠٠ متراً. هذه التكسية بالرخام قديمة الاستعمال في الكنائس. وقد تداعى هذا الفن في بلاد الغرب من عهد ليس بقريب.

وفن الموزاييك القبطي — الفسيفساء — يختلف عن مثيله خارج مصر من حيث التكوين. فالموزاييك القبطي يتركب من قطع متناهية الصغر من الرخام الملون موضوعة إلى جوار بعضها البعض دون أن يظهر أي أثر خارجي للّحامات، ثم تطعم بعجينة مستخرجة من اللؤلؤ تسمى عرق

---

(٣) قارن (خروج ٢٧: ٢٠و٢١)، (لاويين ٢٤: ١—٤).

(٤) أو أيقونة الصعود كالتي اكتشفت في ديرباويط ومعروضة حالياً في المتحف القبطي، ومثلها أيضاً في شرقية هيكل أنبا بنيامين بدير أنبا مقار (راجع ملازم الصور من هذا الكتاب).

اللؤلؤ تضفي عليه بريقاً خاصاً كاللآلىء. وكان الأماكن الخاصة ذات الكرامة العظمى في الكنائس، وأساساً شرقية الهيكل ــ تغطّى بهذه الفسيفساء. وأقدم مثال لذلك هو جرن المعمودية الدقيق الصنع بالكنيسة الصغرى بالمعلقة، وفي الهيكل القبلي بالكنيسة الكبرى بالمعلقة تظهر الفسيفساء جنباً إلى جنب مع قطع الرخام الدقيقة في تنوع مدهش. والمنبر ــ الإنبل ــ في كنيسة أبو سيفين بمصر القديمة مكسو بالفسيفساء المعقدة، وهي في غاية الإبداع مع أنها خالية من عرق اللؤلو هذا.

أما فن الموزاييك الذي اعتاده الأوروبيون في الكنائس البيزنطية ــ مثل آجيا صوفيا بإستانبول ومار مرقس بالبندقية ــ فهو يتركب من مكعبات متشابهة من الإنامل الملون، أي من عجينة زجاجية معتمة وملونة بأكاسيد معدنية. والموزاييك المذهب كان يتركب من صهر قطعتين من مكعبات الموزاييك الرقيقة بينها ورق الذهب. ولكن عند الأقباط لم تُعرف عجينة الإنامل هذه، فالموزاييك القبطي أساسه قطع الرخام بألوانه الطبيعية في أحجام متناهية الصغر وتشكل على هيئة مربعات أو مستطيلات أو مثلثات أو دوائر تجمع في أشكال هندسية زخرفية حسب ألوانها الطبيعية. و بذلك لم يتيسر لهم تركيب أي صورة من الموزاييك بسبب صلابة الرخام ومحدودية ألوانه الطبيعية التي لا تسمح بأية تكوينات لونية تصلح للصور.

وعن الأقباط انتقل فن الفسيفساء إلى المساجد الإسلامية في مصر. بل إن التشابه الكبير بين أشغال الرخام والموزاييك في المساجد والكنائس يقطع بأن الفنانين الأقباط هم الذين قاموا بتزيين المساجد بالموزاييك. فالشرقية في الهيكل هي أغنى أجزاء الكنيسة بالفسيفساء، تقابلها القِبْلة في المسجد؛ و بالمثل أيضاً إنبل الكنيسة يماثله منبر المسجد.

بعد هذا الاستطراد الذي لابد منه، نعود إلى حائط الهيكل الشرقي الذي يكسوه الرخام المزخرف والفسيفساء الملونة من أسفل، أما من أعلى فتوجد صور الإثنى عشر تلميذاً يتوسطهم السيد المسيح فوق «الشرقية»، أو مرسوماً داخلها و يده في وضع البركة، وكل هذه الصور مرسومة بالفرسكو. أما إذا لم توجد تكسية الرخام ففي هذه الحالة تشمل الصور ارتفاع الحائط كله.

والاتصال بين الهيكل الأوسط والهياكل الجانبية أمر على جانب من الأهمية كقاعدة ثابتة، وفي أديرة الصحراء يتم عن طريق أبواب تخترق سُمك الحوائط الفاصلة بين الهياكل. وعلى ذلك نقول أن مثل هذا الإتصال ذو قيمة طقسية هامة، لأن الطقس يحتم على الشمامسة أن يخرجوا و يدخلوا من أبواب الهياكل الجانبية ولا يعبروا قط من باب الهيكل المتوسط المعتبر أنه الباب الذي لا يدخل ولا يخرج منه إلا الكاهن فقط.

ومع أن الهياكل الجانبية لا تُستعمل إلا مرات قليلة في السنة في أعياد القديسين الذين

تكرست هذه الهياكل على أسمائهم، إلا أن الملاحظ بصفة عامة في كنائس مصر القديمة أن الهياكل القبلية دائماً غنية بالزخارف ومعتنى بها أكثر من الهياكل البحرية، بسبب استخدامها في خدمة المعمودية على مدار السنة، لأن الهيكل القبلي هو الذي يتقدم إليه المعمَّدون للتناول لأول مرة. وفي حالة استعمال الهياكل الجانبية للصلاة لأي سبب، فالقبلية أكثر استعمالاً من البحرية، وإذا استغنى عن أي مذبح جانبي، فيكون هو المذبح البحري(٥). و يلاحظ هذا في كنائس مار جرجس الملحقة بكنيسة مار مينا بفم الخليج وأبو سرجة والمعلقة.

المعمودية:

يلحق بكل كنيسة معمودية. أما موضعها فيختلف اختلافاً كبيراً من كنيسة لأخرى، ففي كنيسة أبو سرجة توجد في الجناح البحري، وفي أبو سيفين توجد في الجناح القبلي، وفي العذراء مريم بدير أبو سيفين بمصر القديمة توجد في الجهة الغربية من رواق المدخل الغربي. وأحياناً وجدت المعمودية في مبنى صغير ملحق بالكنيسة مثلما هو حادث في كنيسة مار مينا بفم الخليج وأغلب الكنائس الأخرى.

ومع أنه في سائر كنائس العالم كانت المعمودية أصلاً خارج مبنى الكنيسة الرئيسي إلا أنه في مصر غير ذلك، لأن الأمر يتطلب نوعاً من السرية. ومع أن التقليد القديم يقول، كما يذكر يوستين الشهيد وترتليان، أن المعمودية كانت خارجة عن الكنيسة، إلا أن جميع الشواهد في كنائس مصر تدل على أن هذا التقليد لم يكن متبعاً فيها. ففي العصور المسيحية الأولى كان جرن المعمودية موضعه في الفناء الداخلي المقابل للكنيسة، وحوض اللقان في الكنيسة القبطية ربما يكون هو الأثر الباقي لهذا التقليد القديم لأنه يقع فعلاً في هذا المكان بالنسبة للكنيسة القبطية، وحوافه الخارجية المصنوعة من الرخام تذكرنا بتقليد قديم عن المنطقة التي اعتمد فيها السيد المسيح في نهر الأردن أنها كانت بدرجات رخامية وحوائطها أيضاً كانت مغطاة بالرخام.

وجرن المعمودية عبارة عن حوض دائري غاطس في الأرضية. والمعمودية القديمة في كنيسة مار يعقوب المقطَّع و يوحنا المعمدان الملحقة بكنيسة أبو سيفين نرى جرنها عميقاً في الأرض وله درجات للنزول إليه، أي أنه مهيأ أصلاً للتغطيس والعماد بالجملة.

وفي المكان المخصص للمعمودية لا يوجد مذبح ولكن نلاحظ وجود ارتداد دائري في حائطها الشرقي مثل «شرقية» الهيكل. في هذا الإرتداد توجد صورة للسيد المسيح وهو يعتمد في الأردن. ولكل معمودية صليب معدني أو من الفضة ومنجلية خاصة بها شمعدان للإضاءة أثناء ممارسة

(٥) كما هو قائم في كنيسة الشهيد أبسخيرون بدير أنبا مقار.

السر. وحسب العادة القديمة، يخصَّص للنساء مكان منفصل بحجاب داخل المعمودية. ولم يوجد في أي كنيسة قبطية جرن معمودية قائم بذاته منفصل عن الحائط كما وُجد في كنائس الغرب القديمة.

مباني أخرى ملحقة بالكنيسة:

وأهمها «المندرة»، وفي كنائس الأديرة «الدوكسار»، وهو ملحق بالكنيسة حيث يجلس المصلون عقب الصلاة للحديث. ففي كنيسة أبو سيفين توجد مندرة منفصلة ولكنها ملحقة بمباني الكنيسة. وفي كنيسة أبو سرجة عبارة عن حوش صغير مفتوح تحيط به المقاعد. ولكن أجمل أمثلة هذا النوع من المباني، وإن كانت الآن خراباً، هي ما يسمى بقاعة العرسان وكانت ملحقة بكنيسة مار جرجس بقصر الشمع، وهي مزينة بزخارف رائعة من المصيص الملون والخشب المشغول بدقة فنية مذهلة. كما توجد إلى الآن مندرة ملحقة بكنيسة المعلقة تبدو بأثاثها المصنوع من الخشب المطعم بالصدف آية في فن الأرابسك يشهد ببراعة الفنانين الأقباط.

وحيث أن الكنيسة تعتبر مؤسسة دينية متكاملة الخدمات لذا كانت تشمل أيضاً بيوت الكهنة وخدام الكنيسة و بئراً وخزاناً للمياه وفرن القربان. وما الدير الآن في حقيقته إلا صورة متكاملة للكنيسة وخاصة بعد أن صار له أسوار تضم بيوت الكهنة والشمامسة وأماكن الخدمات الخاصة بالكنيسة.

المدافن القبطية:

للأقباط مدافن خاصة وتسمى في الأديرة بالطافوس ⲧⲁⲫⲟⲥ وهي كلمة من أصل يوناني وتعني «مقبرة» مفردة أو للجمع.

والمعروف أن البطاركة والأراخنة والأعيان ــ كانت مدافنهم داخل الكنائس كما هو حادث في كنيستي أبو سيفين والمعلقة، لكن دون أي علامة خاصة أو نصب تذكاري يدل على مكان المدفن في الكنيسة. كذلك إذا قدم أحد المحسنين آنية للمذبح، لم يكن ينقش عليها سوى صلاة صغيرة دون أي ذكر لاسم واهبها، بعكس ما هو حادث الآن إذ أن كل من يقدم شيئاً للكنيسة يحاول أن يذكر اسمه واسم أمه وأبيه، وهذا في الواقع وضع قبيح وغير طقسي بل وغير روحي على الإطلاق، فالذي يريد أن يذكره الناس و يذكرون فضله ومعروفه لا يمكن أن يذكره الله ولا يكون له أي أجر فيما قدَّم. أما السكوت عن ذكر الاسم فإنه لا يُثمَّن بثمن. وهذه القاعدة الذهبية ذاتها هي التي نجدها مطبقة مع الذين جعلتهم أعمالهم الخيرية يستحقون الدفن في الأفنية المحيطة بالكنيسة ــ كما هو الحال في كنيسة أنبا شنودة بمصر القديمة، ففي الأقبية المظلمة أسفل الجهة الغربية لهذه الكنيسة يرقد كثير من أعيان الأقباط دون سطر واحد على أي شاهد إلا ما تبقى في

أذهان الناس. و بالمثل أيضاً في مدافن كنيسة الست بربارة أسفل الحصن الروماني، هناك الموتى بدون أسماء.

أما في الأديرة فعسير جداً أن يتعرف الإنسان على أي اسم لأيٍّ من الأجساد المدفونة بالدير.

ولكن في الأزمنة الحديثة بدأ الأقباط يقلدون رجال الغرب وأهل السياسة بإقامة الأضرحة الفخمة التي تعلو على سطح الأرض لتسجل أسماء لا قيمة لها، وقد نسوا الحقيقة التي عاشها آباؤهم وأدركوها حق الإدراك، وهي أنه لا يستحق الذكر بعد الموت إلا من تركوا أعمالاً صالحة تشهد عنهم.

وما زال هذا التقليد الأصيل العريق قائماً في أديرة وادي النطرون. فعلى مدى خمسة عشر قرناً من الزمان وألوف من الرهبان سكنوا هذه الأديرة والبراري لكن من المستحيل أن تميز قبر أي شخص مهما كانت حيثيته، ولكن أعمال كل واحد مذكورة في وعي الكنيسة بل وفي صلواتها!!

[هذه المقدمة مقتبسة من كتاب:

Alfred J. Butler, *The Ancient Coptic Churches of Egypt,* Oxford. 1970, Vol. I.

ويتبعها الوصف الهندسي للمباني الأثرية للدير بحسب ما رآه إفلين هوايت بين سنتي ١٩٠٩ و١٩٢١م، مع رجاء ملاحظة ما يرد في هوامش الصفحات من بيان التعديلات الحديثة التي تمت بين سنتي ١٩٧٦ و١٩٧٨.]

الفصل الأول

أسوار الدير



كان الدير الحالي مقاماً على رقعة من الأرض رباعية الشكل غير منتظمة تحيط بها أسوار عالية رتيبة المنظر (لوحة رقم ٢٦ و٢٧ بالملازم الأخيرة من الكتاب) إلا في الزاوية البحرية الغربية حيث يقطعها بروز مستطيل. والحصن ــ أو القصر أو الجوسق كما يدعى في مخطوطات القرن الرابع عشر ــ ترتفع حوائطه عن أسوار الدير الشرقية. وكان هذا الدير يتميز عن سائر أديرة وادي النطرون بوجود مدخلين في الضلع الشرقي أحدهما كان مسدوداً وهو الواقع في الجزء القبلي من السور الشرقي.

وكانت الحوائط خالية من أية نقوش أو بروزات أو كرانيش، عدا صليب كبير كان في بياض الواجهة الخارجية للسور القبلي، وآخر مماثل في حائط القصر الشرقي. ومتوسط ارتفاع الأسوار هو ١٤ متراً، لكن يبدو أن جزءاً كبيراً من مباني السور الشرقي كانت تختفي تحت كميات الرديم الهائلة داخل الدير حيث أُقيم عليها صف علوي من القلالي الحديثة. أما عرض حوائط السور فصعب تقديره لسبب تراكم مباني الدير على امتداد الحوائط من داخل. وعلى كل حال، فعرض السور عند مدخل الدير كان لا يقل عن ٣٫٥٠ متراً.

ومن المتعذر أيضاً معرفة كيفية إنشاء هذه الأسوار بسبب السُمك الكبير لطبقات البياض عليها. ولكن عند الزاوية القبلية الشرقية للسور، تسببت عملية رفع الحطب من الخارج عبر السور في تساقط البياض فانكشف البناء عن كتل ضخمة من الحجارة المرصوصة بغير نظام وملتصقة مع بعضها بمونة الجبس الأبيض(١).

---

(١) عند هدم السور القبلي للدير اتضح أنه كان مبنياً على مراحل مختلفة وفي أزمنة متباينة. فالجزء العلوي منه كان عبارة عن حائطين من الحجارة غير المنتظمة، والفراغ الذي بينهما مملوء بالخرسانة الطينية المكونة من كسر الحجر والدقشوم المخلوط بالطين. ويلي ذلك حائط ساند من الحجارة المبنية بمونة الجبس سمكها ١٫٠٠ متر تقريباً، ومن داخلها حائط متهدم مبني بقوالب الطوب الأخضر ــ اللّبِن ــ مقاساتها التقريبية ٦٠×٤٠×٨ سم يبدو أنه كان السور الأصلي للدير ثم تهدم نتيجة شروخ كانت ظاهرة فيه. وداخل السور اللبن هذا كميات هائلة من الرديم بعرض ٣٫٧٠م، كان يحجزها من داخل الدير حائط ساند حديث من الحجارة المرصوصة، وكان في حالة سيئة جداً بسبب ضغط كميات التراب الهائلة التي كان محشواً بها.

مساحة الدير:

هو في الواقع عبارة عن قلعة محصنة أو قسطلية (Castle) كانت أصلاً ملجأ الأمان الذي بناه البطريرك شنودة الأول البطريرك الـ٥٥ في القرن التاسع بعد أن اختصر منه شريطاً بعرض متوسط ٢٢ متراً شمالاً وآخر بعرض ٤٠ متراً تقريباً في الجهة الشرقية، وبذلك أصبحت مساحته الحالية نصف المساحة الأصلية (لوحة صفحة ٣٣٠). والدليل الواضح على ذلك هو ما بقي ظاهراً من أساسات في الزاوية البحرية الغربية امتداداً للسور الغربي للدير مسافة ٢٥ متراً بعدها يتجه الأساس شرقاً.

في هذه المنطقة ينكشف الأساس بعرض ٢٫٢٠ متراً عن حائطين من الحجارة، الخارجي سُمك ١٫٠٠ متر والداخلي سُمك ٠٫٢٠ متر. أما قلب الأساس بينهما فهو من الطوب اللِّبن. وإذا ما تتبعنا بقايا البياض الموجودة على الأساس القديم يتضح لنا أن الحد البحري كان بطول ١١٤ متراً. أما تحديد السور الشرقي القديم فليس في وضوح السور البحري، ولكن من متابعة الحجارة المتناثرة حول موضع الأساس يمكننا القول بأن طوله كان ٩٥ متراً، أما ما تلا ذلك فالرمال الناعمة قد دفنت كل أثر ممكن للسور القديم، بحيث لم يبقَ ظاهراً إلا الزاوية القبلية الشرقية، ومنها نستطيع أن نؤكد بأن السور القبلي الحالي كان يمتد شرقاً فيما مضى إلى مسافة أبعد مما هي الآن. وعلى هذا أمكن تحديد الزاوية القبلية الشرقية للسور القديم الأصلي.

أما انحصار الدير إلى نصف مساحته الأصلية فيمكن تعليله بأنه راجع إلى تهدم الحائطين البحري والشرقي في وقت كان عدد رهبان الدير فيه قليلاً لدرجة أمكن معها الإستغناء عن المساحة الأصلية وإعادة بناء الحائطين في حدودهما الحالية. وتاريخ حدوث هذا التغيير لا يمكن تحديده بدقة، لكن هناك إشارة واردة في وصف زيارة أنبا بنيامين الثاني للدير وعبوره من «عقد الباب الذي تبقَّى من الدير القديم»(٢) تجعلنا نرجح بأن هذا التغيير حدث قبل سنة ١٣٣٠م.

أما العوامل التي تدخلت في اختيار الحدود الحالية للأسوار فليس من الصعب تحديدها، فالكنيسة الكبرى — كنيسة القديس مقاريوس — ينبغي أن تشملها الأسوار، وبهذا تحددت الزاوية البحرية الشرقية. والقصر لابد أيضاً أن تشمله الأسوار، بل ويمكن الانتفاع بحائطه الشرقي ليكون جزءاً من سور الدير. وواضح أن حد السور الشرقي مع حائط القصر الشرقي ليسا على استقامة واحدة بل يتقابلان معاً بزاوية منفرجة. والعين المجردة لا يمكن أن تخطىء وجود فاصل بين مباني السور الشرقي للدير وبين حائط القصر رغم تراكم طبقات البياض(٣).

---

(٢) «مخطوط الميرون المقدس» ص ٥٠أ.

(٣) مساحة الدير الآن بعد الإضافات الحديثة هي ثمانية أفدنة تقريباً.

المداخل:

كـان للـدير مدخلان، كلاهما في السور الشرقي، أحدهما قرب الزاو ية القبلية الشرقية والثاني بحري الحـصن مـبـاشـرة. ووجـود مـدخـل ثان أمر غير عادي في الأديرة؛ لذلك نرجح أن المدخل البـحري كان مخصصاً للمواكب الإحتفالية في الكنيسة الكبرى بينما المدخل الآخر كان يؤدي إلى صوامع الحبوب والمخازن حيث كانت منافع الدير تشغل المساحة القبلية داخل الأسوار(٤).

والمـداخـل ــ كما في كـل أديـرة وادي النطرون ــ عبارة عن ارتداد في حائط السور مسافة متر واحـد تـقـر يـبـاً، يـنـتـهـي من أعلى بعقد مدبب من الطوب المحروق قرب نهاية السور العلو ية. ومن داخـل هـذا الإرتـداد تـوجـد فـتـحـة سـر ية مستطيلة تغلق بباب من كتل الخشب المغطاة بشرائط حديدية. ومن الداخل ملاصقاً للمدخل، يوجد ما يشبه مبنى حراسة مكون من طرقة قصيرة يغطيها قـبو إسطواني و ينتهي طرفاها بحجرتين، ثم سلم يؤدي إلى ممر علوي مستعرض فوق المدخل مباشرة، في أرضـيـتـه تـوجـد فـتـحـة مـر بعة تقع بأعلى عقد المدخل المدبب، كانت تستعمل قديماً لإدخال الـرهـبـان الـذيـن يـقـومـون بـسـد بـاب مـدخـل الدير من خارج بحجارة الطواحين الضخمة وقت الإحـسـاس بـخـطـر هـجـوم الـبـر بـر على الـدير. أما الآن فتستعمل هذه الفتحة لاستطلاع الزوار الغر باء، ومن أجل إنزال الطعام والخبز للعرب الذين يقصدون الدير طلباً للمؤونة(٥).

وإلى الآن تـوجد فتحة المَطْعَمة هذه فوق المدخل البحري في السور الشرقي، أما ملحقات مبنى الحراسـة فـلم يبقَ منها شيء. والقبة الحالية التي تغطي المدخل من داخل مبنية من الطوب الأحمر حـديـثـاً سـنـة ١٩١١م، في حين أن المـدخـل القبلي المسدود ما زالت به آثار قلاية خر بة في جهته الـبـحـر ية كان يغطيها إما قبو نصف إسطواني (Barrel vault) أو قبة نصف كرو ية آثار ابتدائها ظاهرة في حائط السور. ونستنتج من هذا أنها كانت مقام راهب البوابة.

وفيما عدا ذلك لا يوجد شيء ذو قيمة.

(٤) والـكـتـاب مـاثل للطبع (الطبعة الأولى ــ ١٩٧٢) اكتشفنا باباً أصلياً للدير كان مطموراً بين طبقات الأسوار القديمة المتوالية على مـدى العصور المختلفة وموقعه في السور البحري وقد التقطنا له صورة تبين مكانه من الباب البحري الحديث الحالي (أنظر صفحة ٥٢٥).

(٥) لأجل ذلك دُعي هذا الممر باسم المَطْعَمَة.

الفصل الثاني

القصر القديم أو الحصن



الوصف العام:

هذا البناء ــ و يعتبر أحسن وأجمل الحصون الموجودة في وادي النطرون ــ وهو مربع المساحة، طول ضلعه ٢١٫٥٠ متراً وارتفاعه ١٦ متراً، حوائطه من الحجارة الضخمة الغشيمة مائلة بدرجة ملحوظة حسب القطاع المبين في لوحة صفحة ٥٩٣ . وفيما عدا قليل من الكوى الضيقة و باب المدخل، فإن هذا المكعب الضخم المكسو بطبقة من بياض الجبس خالٍ من أية سمات معمارية أو زخرفية مميزة، لكن له عظمته التي يتميز بها بسبب ضخامة شكله التكعيبي.

المدخل والقنطرة المتحركة:

مدخله الوحيد عبارة عن باب مستطيل صغير في الجهة البحرية من الطابق الأول. والوصول إليه عن طريق المباني التي تحيطه شمالاً(١) يتم بواسطة قنطرة ضيقة متحركة من ألواح خشبية ثقيلة. والطرف الداخلي للقنطرة وهو الملاصق للجدار البحري للحصن يتحرك حول محور في حين أن طرفها الخارجي كان مشدوداً بسلسلة حديدية كانت تستعمل في الأزمنة القديمة لجذب القنطرة إلى أعلى بواسطة رافعة يدوية (ونش) عبارة عن بكرة خشبية موضوعة في غرفة صغيرة فوق المدخل مباشرة. بهذه الوسيلة كانت القنطرة تُرفع بسرعة وتلتصق بالمبنى عن طريق ارتداد مهيأ لها في حائط القصر البحري(٢).

وللمدخل باب من كتل خشبية يتحرك على محور رأسي بدلاً من المفصّلات المألوفة، ومغطى بشرائح حديدية طولية مثبتة في خشب الباب بواسطة مسامير ضخمة. وله مزلاج من الداخل عبارة عن ذراع من الخشب مربعة القطاع تنزلق من فتحة أفقية عميقة في الحائط الجانبي للباب إلى فتحة أخرى في الحائط المقابل فيستحيل فتح الباب.

---

(١) أزيلت هذه المباني وأقيم بدلاً منها سلم مريح ليتمكن الزائرون من الصعود إلى الحصن.

(٢) هذه القنطرة مثبتة حالياً، وأضيف إليها درابزين خشبي لتأمين سلامة الزائرين أثناء عبورهم عليها.

التقسيم العام الداخلي:

ينقسم القصر من الداخل إلى ثلاثة طوابق: الأرضي والأول والثاني. و بإيجاز، ينقسم أيضاً كل طابق إلى قسمين: الشرقي منهما يشمل ثلثي مساحة الطابق والغربي الثلث الباقي، و يفصلهما دهليز يمتد في اتجاه البحري القبلي، و يستخدم للوصول إلى الحجرات المختلفة في كل طابق، كما أنه واسطة هامة في تهوية كل طابق نظراً لتوافق اتجاهه مع الرياح الشمالية السائدة في إقليم مصر.

أولاً: الطابق الأرضي

كل فتحاته مسدودة، والزائر الغريب يُصدم لأول وهلة عند دخوله هذا الطابق بسبب الصمت الثقيل الذي يخيّم على المكان ولضخامة الحوائط القائمة، ولرائحة الهواء المشبع بالرطوبة، وكأن الإنسان في بيت سحري من بيوت الأساطير. مع أن هذا المكان إذا أُحسن تهويته وإضاءته فلن يبدو بأي حال في مثل هذا الشكل.

والدهليز الذي يقسم هذا الطابق ضيق غاية الضيق، عرضه ١٫٥٠ متراً، شاهق الارتفاع نسبياً ٥٫٠٠ أمتار، مغطى بقبو نصف إسطواني مدبب من الحجارة المكحولة غير المنتظمة، يدعمه عقد مستقيم مستعرض في منتصف طوله. والطرف البحري له هو نهاية السلم الموصل للطابق الأرضي، أما طرفه القبلي فينتهي بارتداد جانبي ناحية الغرب(٣).

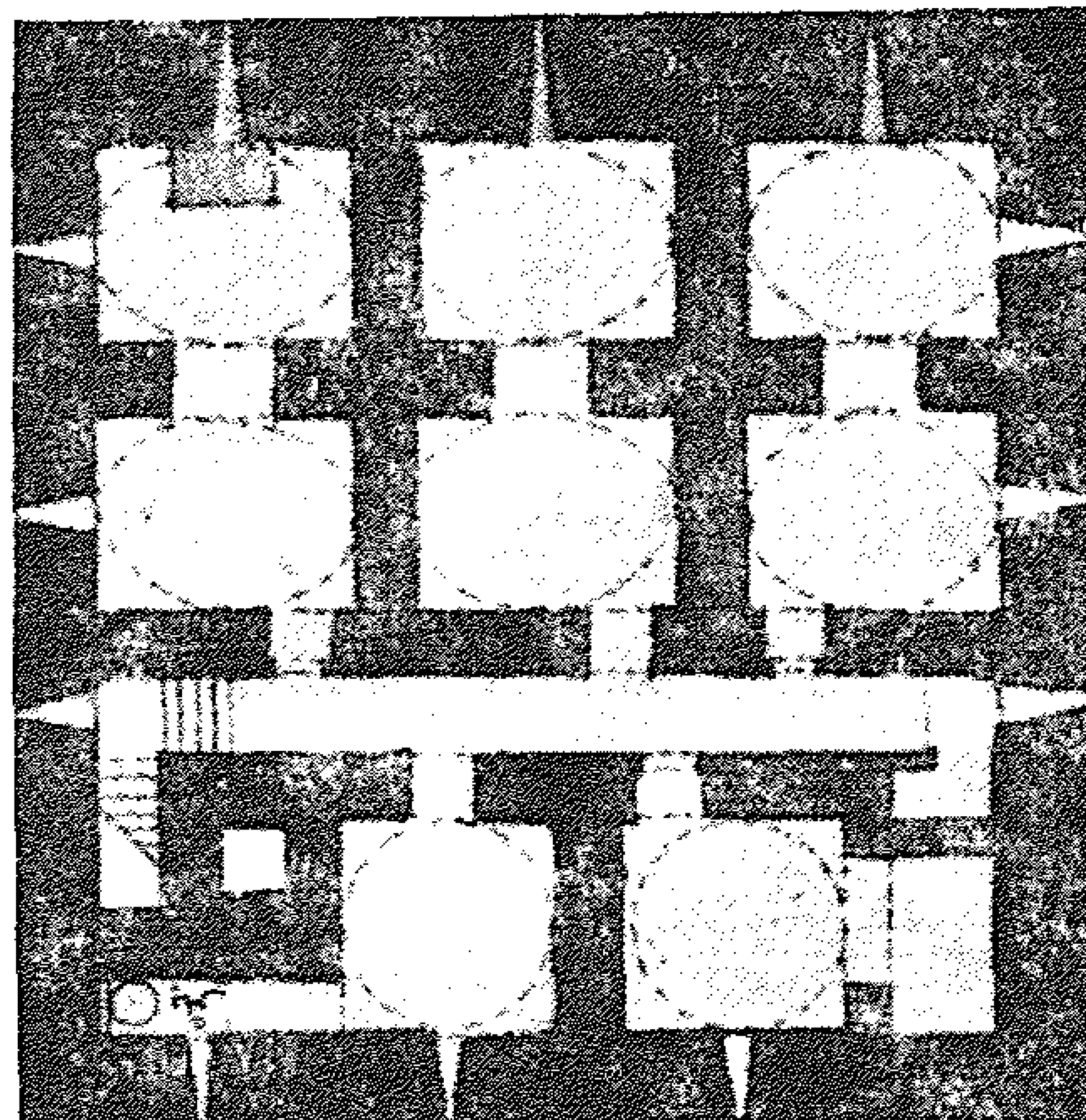
الحجرات الشرقية:

يتخلل الحائط الشرقي للدهليز ثلاثة مداخل لكل منها عقد حجري نصف دائري. وللمدخلين الأول والثالث أعتاب من الطوب المحروق تحت العقد الحجري(٤). وتؤدي هذه المداخل إلى ثلاث حجرات كبيرة مزدوجة ليس بينها اتصال. وكل حجرة مزدوجة تنقسم إلى قسمين متساويين بواسطة دعامتين كبيرتين من الحجارة الضخمة بارزة من الحوائط الجانبية، كل منها تحمل عقداً مدبباً محور دورانه من مركزين مختلفين (two centered arch)، مبني بالطوب الأحمر الظاهر ومونة بيضاء بعناية فائقة مماثلة للنماذج المشابهة في أديرة وادي النطرون. و يغطي كل قسم من هذه الأقسام الستة قبة من الطوب نصف دائرية مفطوسة (Clipped hemi-spherical dome)، وللأقسام الثلاثة الملاصقة لحائط القصر الشرقي نافذة وحيدة (هي الآن مسدودة) في منسوب عالٍ عند خط تقابل القبة مع الحائط الشرقي. أما القسم البحري فالفتحة تسدها دعامة داخلية ضخمة من المباني في حين أن فتحات القسمين الأوسط

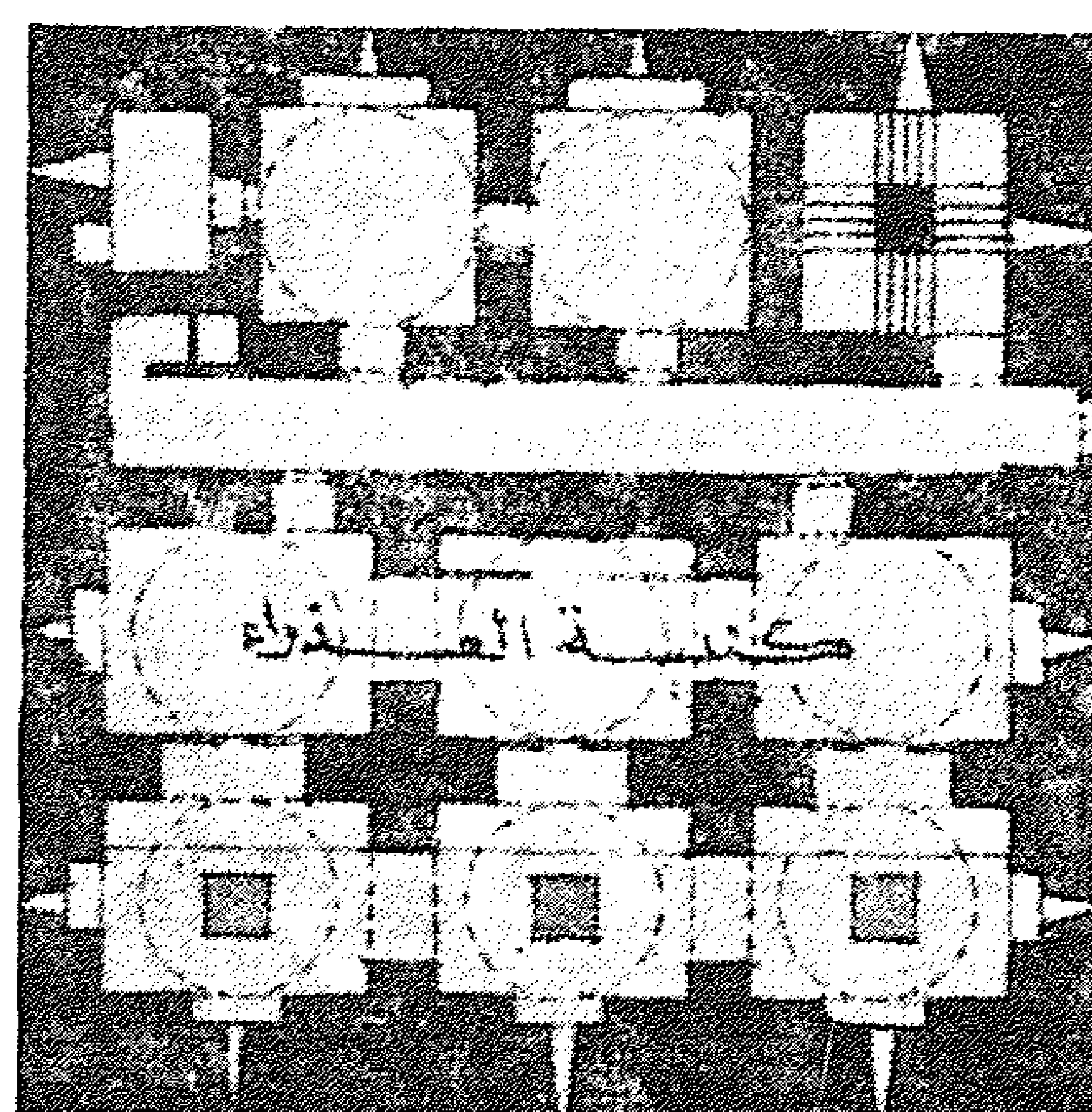
(٣) وكان يستعمل كمجرور لمراحيض الأدوار العلوية.

(٤) وحيث أنها مضافة لذلك أزيلت لتظهر فتحات المداخل بحجمها الطبيعي.

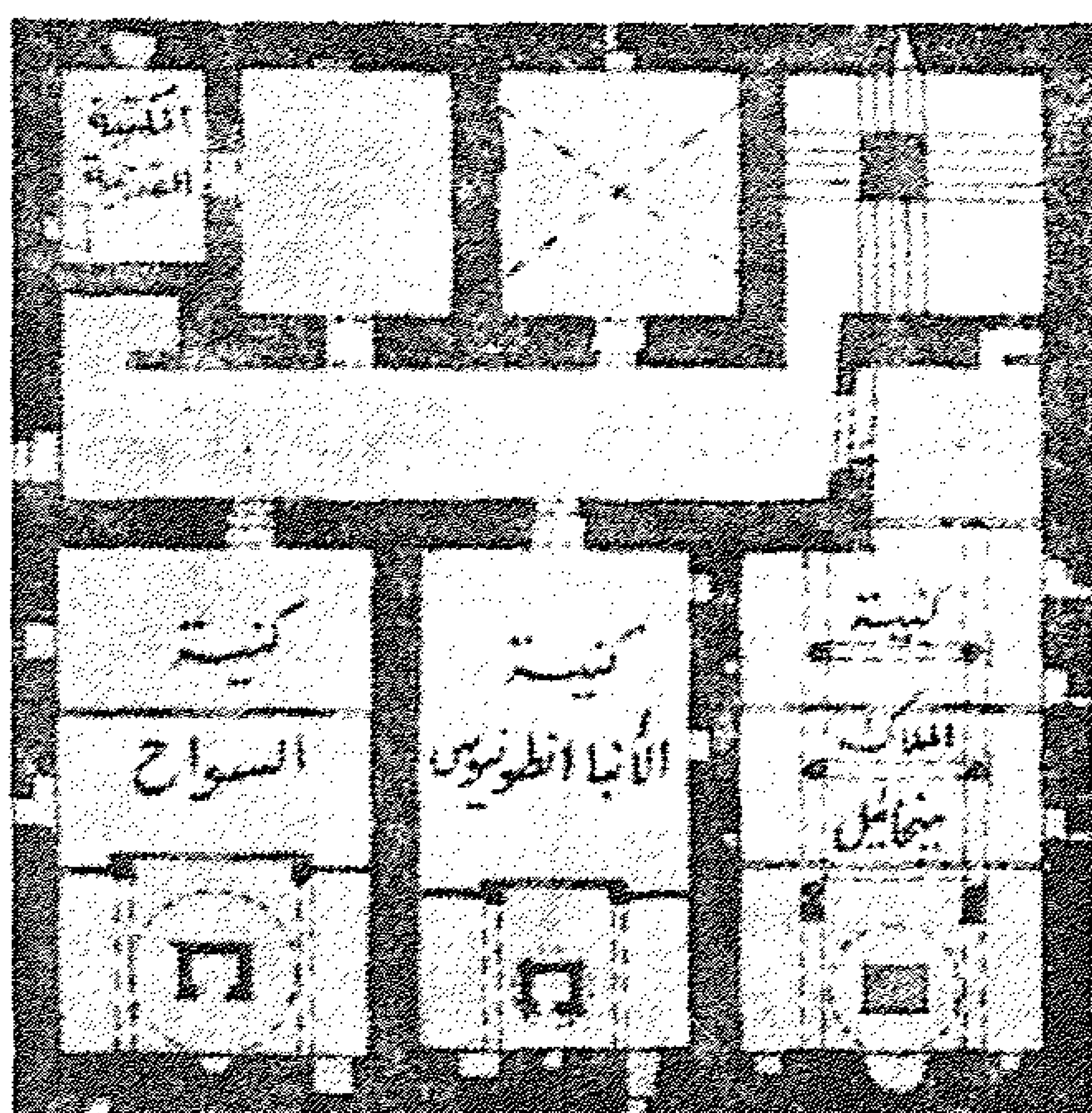
دير القديس أنبا مقار
المساقط الأفقية للحصن



الدور الأرضي



الدور الأول



الدور الثاني

بدأت مصلحة الآثار في ترميم هذا الحصن لاستعادة وضعه الأول ، واستكمل الدير ترميمه تحت إشرافها .

والقبلي مسدودة من الخارج فقط (٥).

أما القسم الأوسط من الثلاثة الباقية فيظهر على أرضيته بعض الحجارة المتناثرة حول فتحة في وسطها توحي بأن في هذا المكان كان يوجد طاحونة غلال. وصعوبة بل استحالة إدخال ثور أو حمار عبر القنطرة المتحركة والسلالم إلى هذا المكان لإدارة حجر الطاحونة يجعل احتمالاً بأنها كانت تدار بواسطة إنسان لا حيوان.

أما الأقسام الباقية فأرضيتها رخوة لكنها مكونة من عروق خشبية تستند على حائط عند منتصف مساحة الأرضية، تحمل فوقها حزماً من الأعواد الصلبة المغطاة بطبقة سميكة من البياض الملاط، وأسفلها فراغ عمقه ١٫٩٠ متراً(٦). وربما كانت هذه الحجرات مستعملة لتخزين الحبوب، والفراغات التي أسفلها كانت بقصد تأكيد جفاف أرضيتها لإبعاد الرطوبة المفسدة للحبوب.

الحجرات الغربية:

القبلية منها مسقوفة مثل الحجرات الشرقية بقبة مفطوسة، وفي حائطها القبلي عقد نصف دائري من الطوب الأحمر المكحول بالمونة البيضاء اتساعه متران، يؤدي إلى غرفة ضيقة ملحقة بها عمقها ٢٫٢٠ متراً وعرضها ٢٫٩٠ متراً، تغطيها قبة أكثر انخفاضاً من الحجرة الرئيسية. و يؤكد الرهبان ـــ وهذا صحيح ـــ أنه كانت هنا معصرة زيوت في الأزمنة السابقة.

وبحري هذه الحجرة هناك حجرة أخرى أقل اتساعاً، في زاويتها الغربية البحرية باب معقود يؤدي إلى طرقة ضيقة مسقوفة بقبو نصف إسطواني حجارته غير منتظمة في نهايتها بئر فتحته ضيقة (٥٠ سم) لكنه عميق مبطن بالمباني (٧). وكان هذا البئر مصدر المياه الوحيد للقصر وقت الحصار، والآن مياهه غير مستساغة إطلاقاً بسبب ملوحتها سواء كانت هذه الملوحة طبيعية أم نتيجة تلوث، ولا توجد أية فتحات في سقفه من فوق ـــ مثل دير السريان ودير أنبا بيشوي ـــ لإمكان رفع المياه إلى الطابق الأعلى.

ونظرة إلى المسقط الأفقي للدور الأرضي ترينا أنه ما زال باقياً جزء شرقي غرفة البئر لا يبدو فيه شيء، فكتلة الدعامة الظاهرة في هذا الجزء لازمة حتماً لحمل السلم. ومع هذا يوجد داخلها فراغ بشكل ماسورة مدخنة رأسية تنتهي من أعلى عند بسطة السلم التي قبل الدور الأول حيث تغطيها

---

(٥) أعيد فتح جميع الطاقات المسدودة وتوسيعها بعد عمل أعتاب خرسانية لها، لتحسين إضاءة وتهوية هذه الحجرات، كما تم بياض القباب من الداخل بالمصيص الأبيض، فكانت النتيجة رائعة حسب توقعات العالم «إڤلين هوايت».

(٦) نظراً لخطورة وجود فراغات أسفل حوائط الحصن اضطررنا لردمها بالرمال الجافة وتسويتها بأرضية باقي الحجرات.

(٧) أقيم حول هذه البئر سور واقٍ حرصاً على سلامة الزائرين.

بلاطة حجرية. وإذ لا سبيل للإستفادة من هذا الفراغ، فالإستعمال الوحيد له هو أن يكون مجرد مكان للإختباء.

نوافذ هذا الطابق:

في الحجرات الغربية السابق التحدث عنها توجد بعض النوافذ، أو بالأحرى طاقات، ما زالت مفتوحة، وهي تشابه سائر نوافذ الحصن عدا الدور الثاني. وهي دائماً توضع في أعلى مكان ممكن. أما اتساعها من داخل فهو ١٫٠٠ متر وارتفاعها ١٫٢٠ متراً أو ١٫٣٠ متراً. وأعتابها إما من بلاطات حجرية مستطيلة أو من الأخشاب التي تحمل نهاية القباب الدائرية أو النصف إسطوانية، وجوانبها شديدة الميل بحيث أن مقاسات الفتحة من الخارج يصل إلى ١٥ سم أو ١٠ سم في العرض، ٩٠ سم إلى ١٠٠ سم في الإرتفاع. وحيث أن عتبها من داخل يرتفع كثيراً عنه في الخارج لذلك استعملت بلاطات حجرية متتالية بشبه درج مقلوب. أما الجلسات فتنحدر بشدة إلى الداخل بسطح أملس مخدوم بإتقان ربما بقصد أن أي متطفل يتمكن من الدخول خلال فتحة القصر فإنه يتدحرج بسرعة ساقطاً على الأرض حيث يُقبض عليه. ولم تُثبت إطلاقاً على هذه الفتحات أية قضبان حديدية أو ستائر خشبية (٨).

ثانياً: بير السلم

يرتفع السلم الحجري من الطابق الأرضي خمس درجات إلى بسطة مربعة، ثم يتجه بزاوية قائمة إلى اليسار صاعداً بـ ١٤ درجة أخرى تنتهي عند بسطة ثانية تقع فوق بئر المياه مباشرة. وبعد ذلك يتخذ بئر السلم شكلاً مربعاً منتظم الأضلاع. وابتداء من هذه البسطة يوجد فراغ مربع بين قلبات السلم حتى يبلغ سطح المبنى. وبين كل ضلع من أضلاع هذا الفراغ توجد أربع درجات ثم بسطة. والدرجة تكون عادة ٢٠ سم في الإرتفاع، ٣٠ سم في العرض، مبنية من حجارة مختارة غير منحوتة (٩).

وكل واحدة من قلبات السلم مع بسطتها يغطيها قبو نصف إسطواني قصير مائل بمحاذاة

(٨) قمنا بتفريغ عراميس الحجارة بالهواء المضغوط compressor وإعادة ملئها بمونة الأسمنت والرمل شديدة القوة، وأصبح لا خطر من إعادة فتح جميع النوافذ والطاقات في هذا الطابق، بل وزيادة اتساعها إلى ٤٠ سم بعد عمل أعتاب مسلحة. وبذلك تحسنت الإضاءة والتهوية وصارت حجراته الآن متحفاً صغيراً للأخشاب الأثرية مثل ضلف الأحجبة القديمة، وأبواب ونوافذ ذات القيمة التاريخية وأدوات عصر الزيوت وتجهيزها والتي كانت مستعملة في إعداد الميرون المقدس، والقواديس الخشبية التي كانت تُستعمل في طحن الحبوب.

(٩) لما كان استعمال درج السلم بالمقاسات المذكورة غير عملي، وبسبب الشروخ العرضية في قبواته، رفعنا الدرج القديم وما تحته من أتربة وقمنا بصب قبو من الخرسانة المسلحة لكل قلبة يشد قبو الطوب الأحمر أسفله ويرتكز على الحوائط الجانبية، ثم أعدنا بعد ذلك صب الدرج بمونة الأسمنت الأبيض وبودرة الحجر مع إعادة تقسيمه ليتناسب مع المقاسات المألوفة في عصرنا هذا.

الدرج، مبني بالطوب الأحمر والمونة البيضاء ويحمل فوقه قلبة السلم العلوية. وطرف القبو الخارجي يبدأ من حائط بير السلم، أما الداخلي فليس هناك ما يحمله سوى الفراغ المبني بين القلبات. والقبو في العادة مبني من صفوف متوازية طولية من الطوب الأحمر فيما عدا الدور الأخير فإنه أوسع قليلاً نظراً لاتساع بير السلم في هذا الجزء. وقد استكمل فرق الإتساع هذا بصفوف عرضية من الطوب (لوحة ٣١).

ثالثاً: الطابق الأول

يفتح بير السلم على الطابق الأول بواسطة دهليز لا يختلف كثيراً عن دهليز الطابق الأرضي إلا أنه أوسع قليلاً، وفي نهايته من بحري يوجد المدخل الوحيد إلى الحصن، أما من قبلي فينتهي بارتداد صغير ناحية الغرب فيه المرحاض. وأرضية الدهليز من حجارة ظاهرة، أما السقف فهو قبو نصف اسطواني مدبب ومغطى بالبياض، يدعمه عقدان مستعرضان. وقرب نهاية الطرف القبلي للدهليز ما زال محفوظاً قادوس خشبي لطاحونة يبدو أنه مأخوذ من الدور الأرضي(١٠) وعليه كتابة عربية منقوشة نقشاً دقيقاً.

كنيسة العذراء:

التقسيم الداخلي: تقع في الطابق الأول شرقي الدهليز الذي يقسم الطابق إلى قسمين: شرقي وغربي، والدخول إليها عن طريق مدخلين في الحائط الشرقي للدهليز عليهما عقدان دائريان. و بينما نرى هذا الجزء في الطابق الأرضي منقسماً إلى ثلاثة أقسام مزدوجة بواسطة حوائط فاصلة، نجده هنا مفتوحاً كله بعضه على بعض بواسطة عقود أو بواكي دائرية تحملها دعامتان كبيرتان يبرز من كل منهما أربعة أجنحة على شكل صليب تحمل عقوداً في أربعة اتجاهات. وهنا كما في حصن دير السريان وأنبا بيشوي، أمامنا صالة فسيحة ربما كان القصد الأصلي منها أن تُستخدم لمعيشة مشتركة بين الزوار أو اللاجئين المتحصنين بالقصر. وفي زمن قريب تحولت هذه الصالة إلى كنيسة من الطراز القبطي نسبة إلى تقسيمها الملائم. فالثلاث وحدات الشرقية استخدمت هيكلاً ثلاثي المذابح، والباقي يصلح كخورس. أما صحن الكنيسة فهو صغير جداً لأنه عبارة عن الإرتداد المحصور بين الدعامتين الكبيرتين اللتين في حائط الكنيسة الغربي، ومفصول بحاجز عن الخورس. وكل قسم مغطى بقبة، والقباب جميعها مع الدعامات والأعمدة مغطاة بطبقة من البياض يبدو أنها حديثة لكن ليست من عهد قريب.

الخورس: فيه بعض الأمور التي تستلفت النظر. في أرضية القسم البحري توجد قطعة من

(١٠) هذا القادوس معروض الآن في متحف الأخشاب بحجرات الدور الأرضي بالحصن.

الرخـام على هـيئة طبق مستدير قطرها ٢٣ سم محفور عليها صليب قبطي داخل دائرة(١١). وقطعاً هـذا صـليب تكر يس Consecration Cross منقول من موضع آخر. كما أنه توجد في الحائط الـقبلي جـلسـة مرتفعة عن أرضية الكنيسة فيها مجرى من الفخار سيأتي فيما بعد شرح استعمالها مع مجرى آخر مماثل في الهيكل المجاور.

أما الحـاجز الـذي يـفـصـل صـحـن الـكنيسة عن الخورس فبصفة عامة ليس فيه شيء جديد بـالملاحـظـة. جـزؤه الـعـلـوي مجـرد إطـار(١٢)، أمـا السفلي فالقطعة القبلية مكونة من تقسيمات مـسـتـطيلة صغيرة موضوعة داخل براو يز. والقطعة البحر ية عبارة عن درابز ين محمول على صفين مـن الأعـمدة الخشبية المخروطة. هذان الجزءان المكوّنان للحاجز رغم صناعتها الجيدة إلا أنهما ليسا ذوي قـيـمة أثر ية مع أن تاريخهما قد يرجع إلى نهاية العصر الوسيط. والجدير حقاً بالإهتمام في هذا الحـاجـز هـو الوجه الغربي للقائم البحري حيث نُقشت عليه زخرفة من كرمة متموجة (لوحة ٣٨). هذا القائم مأخوذ أصلاً من حجاب هيكل، وكما يتبين من مقارنتها مع نظيرتها التي تز ين كمرات الـشـدادات في جامع الصالح طلائع بن رز يق قرب باب زو يلة، والذي يرجع تار يخ إنشائه إلى أواخر العصر الفاطمي، فإنه يمكن تحديد تار يخ هذه القطعة الأثر ية بحوالي سنة ١١٦٠م تقر يباً.

المذابح: المذابح الثلا ثة تجمعها مصطبة واحدة ممتدة لتشملها جميعاً مرتفعة عن الأرض بمقدار درجـة واحـدة. هذه الظاهرة ربما يرجع سببها إلى عدم وجود فواصل بين هذه المذابح الثلا ثة أكثر مما يـرجـع إلى أي سـبـب طقسي معين. البحري منها مبانيه من الداخل مفرغة ومزودة بأبواب خشبية من العصر الوسيط لتجعلها خزانة موصدة و يعلوه بلاطة رخامية مر بعة مقاسها ١٫٤٢ متراً من النوع الـذي يجـمـع بين المربع والدائرة، وموضوعة بحيث يتجه الجزء المستدير ناحية الشرق وقاعدة المر بع نـاحـيـة الـغرب. وسطحها ينخفض عن الحافة بمقدار ٢ سم مكونة ما يشبه الحوض الضحل. مثل هـذه الـبـلاطـات مـستعملة في الكنائس الشرقية والقبطية نقلاً عن تقليد قديم يقول أن المائدة التي تـنـاول عـليهـا الـسـيـد الـمـسيح العشاء الفصحي مع تلاميذه ليلة آلامه كانت بهذا الشكل(١٣). و بـلاطـة المـذبـح الـقبلي مـشـابهة للبحري إلا أنها أصغر مقاساً (٩٠×٩٠ سم) بينما بلاطة المذبح الأوسـط مـسـتطيلة الشكل (١٢٥×٧٧ سم) وكان عليها اللوح المقدس (سنة ١٩٢٠م)، في حين أن المـذبحين الآخر ين كانا خالبين منه. وتنتهي الحافة البحر ية والقبلية للمذبح الأوسط بعمودين أفـقـيـين مـن الـرخـام، مـقـطـعها مر بع و ينتهي طرفها العلوي بشبه مقبض مخروطي الشكل. وفي جوانبها ما زالت توجد قطع حديد صغيرة لأجل تثبيت الأعمدة مع ما يجاورها من مباني في الوضع

---

(١١) لم نعثر على قطعة الرخام هذه عند تجديد أرضية الكنيسة.

(١٢) غير موجود الآن.

(١٣) قارن مع لوحة كنيسة أبو سرجة في مصر القديمة والتي ترجع إلى القرن السادس الميلادي.

الأصلي. أحد هذين العمودين كامل، ارتفاعه ٨٠ سم بخلاف النهاية المخروطية وأما الآخر فمكسور إلى قطعتين. ولا شك أنهما يخصان اللوحة الرخامية الموجودة في مذبح كنيسة القديس مقاريوس([١٤]). واستعمال مواد قديمة منقولة يرجح أن هذه المذابح ليست على قدر كبير من القدم. ربما تكون بلاطاتها قديمة، مأخوذة مثلاً من الخمسة مذابح التي شاهدها Thévenot في القرن السابع عشر وقت أن تهدمت هياكل الكنيسة الرئيسية([١٥]). وبالتالي هناك أساس للإعتقاد بأن هذه الصالة تحولت إلى كنيسة في زمن متأخر، بين سنتي ١٨٧٤ و١٨٨٠م كما سيظهر فيما بعد.

إثنتان من نوافذ الحائط الشرقي للهياكل مسدودة الآن، أما الثالثة التي في مقابل المذبح الأوسط فمازالت مفتوحة حتى الآن. ولا شك أن أسفلها كان يوجد الإرتداد نصف الدائري المعروف في الكنائس القبطية بشرقية المذبح، لكنه الآن مسدود إلا أنه يمكن تحديد مقاساته (٢٫٥٠ متراً ارتفاع × ١٫١٠ متراً عرض) من أثر شروخ البياض حوله([١٦]).

مجاري تصريف طقسية!!: توجد جلسة مرتفعة قليلاً أسفل العقد القبلي في المذبح القبلي فيها مجرى تصريف ثانٍ([١٧]) مشابه تماماً للمجرى السابق ذكره في الجانب القبلي لخورس الكنيسة. وفي كلتا الحالتين لا يوجد أي أثر لحوض، وقطر كل فتحة منها ١٥ سم، وتنحدر بميل شديد خلال مباني القصر حتى السطح الخارجي للحائط، ويمكن رؤية نهاية هذه المجاري من خارج على ارتفاع متر واحد من الأرض الحالية. وهي تتكون من مواسير فخارية يبدو أنها كانت قواريرخمر من النوع المخروطي الطويل ثم أزيلت فوهاتها وقيعانها. وهناك احتمال كبير أنها وُضعت وقت تشييد الحصن، أما الغرض منها فما زال غامضاً. المجرى الموجود في الهيكل القبلي ربما كان لتصريف مياه التطهير التي يستعملها الكاهن قبل البدء في صلاة القداس رغم أن مثل هذا الترتيب موضعه أصلاً هو الجانب البحري للهيكل الرئيسي حسب طقس الكنيسة القبطية. أما مجرى التصريف الموجود بخورس الكنيسة القبلي فغير مألوف إلا إذا كنا نفترض أن الشعب كان

---

(١٤) عثر على هذه اللوحة أخيراً في منقولات المتنيح القمص بولس العابد وهي الآن محفوظة بالمتحف بجوار مبنى المكتبة (راجع ملزمة اللوحات من هذا الكتاب).

(١٥) نُقلت بلاطات المذابح وما عليها من أعمدة رخامية إلى المتحف، وأعيد بناء المذابح بدلاً من المباني القديمة التي كانت بالدقشوم والمونة الطينية.

(١٦) ابتداء من هذا الطابق، وبالتحديد في الحائطين الشرقي والقبلي للهياكل، أقيمت شدادات خرسانية تحمل أعمدة وعقوداً بالخرسانة المسلحة لتقوية قباب الهياكل مما سمح بفتح جميع الشبابيك وتوسيعها، كما تم ملء فراغات العقود في الحوائط بالدبش والمونة القوية. وصار هذا الطابق بمثابة أساس قوي لتحميل القباب والسطح الخرساني للطابق الثاني في الحصن. وأخيراً أُعيد بياض الأجزاء المكشوفة والمستجدة بنفس اللون القديم وتبليط الأرضية بلون الحجر. وهكذا احتفظت الكنيسة والحصن من الداخل بالطابع القديم.

(١٧) لم يُستدل عليها أثناء الترميم.

يستعمله في تصريف مياه التطهير قبيل تقدمهم للتناول من الأسرار الإلهية (مز ٢٦ : ٦). لكن الأرجح هو أن كلاً من المجرين كانا للإستعمالات الداخلية قبلما يتم تحويل هذه الصالة إلى كنيسة.

وعلى الدعامة بحري مدخل الهيكل القبلي وُجدت الكتابة التالية بالمُغْرة الحمراء:
«الذي يتكلم علينا بما لا تراه عينه، الرب يحكم بيننا وبينه».

أحجبة الهياكل:

الأحجبة التي أمام الثلاثة مذابح هي أهم ما في كنيسة العذراء. وقيمتها كمجموعات من القطع الدقيقة أكثر منها كوحدات متكاملة. وأهمها جميعاً:

حجاب المذبح الأوسط: الجزء الأكبر منه مجرد ألواح من الأخشاب الغشيمة تعلوها مصبعات من نجارة المشربيات العربية. ويتوسط هذه المجموعة المتواضعة باب نفيس ارتفاعه ١٩٧٫٥ سم (لوحة ٥٤)، الحلق عبارة عن قائمين جانبيين جزؤهما الأسفل منزوع، تزينهما وحدة زخرفية متكررة من ورق الشجر المتماوج undulating foliage تحمل العتب العلوي للباب. والفواصل الرأسية mullions المزخرفة تقسم هذا العتب ــ أسفل الوحدة الزخرفية المتكررة ــ إلى أربع فتحات مربعة كانت حتماً تحوى تقسيمات منقوشة لكنها غير موجودة الآن. وأسفل الفتحات المربعة عقد على شكل حدوة حصان يتوج الباب ومثبت على كتفي الضلفتين. والمساحة المتخلفة بين عقد الباب والقائمين الجانبيين مع الفتحات المربعة العليا تحوي أبدع نقش بارز رمزي موجود في الدير: طاووس[١٨] يلتقط حبات العنب من كرمة دقيقة الصنع نامية من كأس صغير أسفلها، وأغصانها تفترش المساحة الخلفية.

والآثار الباقية على جانبي القائمين اللذين يحملان ضلفتي الباب تدل على أنهما كانا يحويان زخرفة من تقسيمات مربعة مشابهة للعتب العلوي. وأعلى العتب شريط عريض من نجارة عربية بالحفر البارز ذات أشكال تبدو كأنها منسوجة مع بعضها.

أما ضلفتا الباب فواضح أنهما من طراز آخر غير الحجاب، أي أنهما ليسا أصليين. فالجزء العلوي فيهما عبارة عن مستطيل بسيط تحيطه سدايب خشبية محلاة بخطوط دقيقة الصنع، والجزء السفلي حشوة رأسية من أشكال هندسية سداسية ونجمية تكونها خطوط متقاطعة من السدايب الخشبية السابق وصفها[١٩].

---

(١٨) العيون التي في ذيل الطاووس موجودة بالتأكيد رغم أنها غير ملحوظة. والطاووس من الرموز الهامة في الفن القبطي البيزنطي. قارن القطعة الحجرية رقم ٨٦٧٧ في المتحف المصري حيث نجد طاووسين متواجهين يشربان من كأس موضوعة على قائم يتوسطهما.

(١٩) نقلت هاتان الضلفتان لإستعمالهما كباب لهيكل الثلاثة فتية في كنيسة أنبا مقار بعد تجديدها وتوسيعها سنة ١٩٧٧م.

والحجاب الذي فيه هاتان الضلفتان شبيه إلى حد ما بحجاب هيكل مار جرجس بكنيسة الست بربارة بمصر القديمة والمحفوظ حالياً بالمتحف القبطي. فالشريط العلوي ذو النقش العربي المتداخل يُعتبر من حيث تصميمه في موضعه الأصلي تماماً كما يظهر عند مقارنته بقطعة مشابهة فوق القِبْلة في مصلى الست رقية (يرجع تاريخها إلى سنة ١١٥٥م) والمعروضة بالمتحف الإسلامي. ومن جهة أسلوب التصميم فعندنا مثال يشبهها تماماً وهو بقايا الأرابسك المفرغ في ضريح الإمام الشافعي المحفوظة الآن بالمتحف الإسلامي والتي ترجع إلى أوائل القرن الثالث عشر. فالمدخل إذن يعود تاريخه إلى العصر الأيوبي في حين أن زخرفة أوراق الشجر المتموج يعود تاريخها بالتأكيد إلى عصر أقدم أي أواخر العصر الفاطمي. و بالتالي لدينا ما يرجح تحديد تاريخها إلى أواخر القرن الثاني عشر أكثر من أوائل القرن الثالث عشر. أما ضلفتا المدخل فهما من القرن الرابع عشر، والنموذج الذي يماثلها هو الستارة الخشبية لنوافذ ضريح الناصر بالقاهرة (١٣٠٣م) المطلة على الشارع.

حجاب المذبح البحري: النصف القبلي منه يتكون في أغلبه من مسطحين كبيرين من الخشب المشغول الجيد الصناعة وإن كان عادياً في زخرفته التي هي وحدات مستطيلة مكررة من صلبان متساوية الأضلاع ومربعات تحددها سدايب خشبية متقنة الحفر. لكن الجزء الأعلى يتميز بدقة صناعته المماثلة لضلفتي حجاب المذبح الأوسط. أما الجزء السفلي فصناعته فقيرة وخشبه متواضع.

والنصف البحري من الحجاب (لوحة ٣٩) قطعة واحدة متكاملة لكنها لم تكن أبداً جزءاً من حجاب، لأن تصميم زخرفتها يدل على أن الوضع الصحيح لها أن تكون أفقية وليست رأسية كما هي الآن. فإذا نظرنا إليها في الوضع الأفقي نجدها مكونة من صفين: علوي (أيمن) وسفلي (أيسر) يحتويان على تقسيمات يجمعها إطار مزدوج طوله ٢٫١٧ متراً. العلوي منها (أي الأيمن) يشتمل على حشوة مستطيلة مكونة من عقد هندسية دقيقة تتجمع مثل الأشعة حول نجمة تتوسطها. وهذه العقد بارزة قليلاً ومستوية، ربما كان في النية أن تطعَّم فيما بعد بسن الفيل، وإلى يسارها (أي أعلاها) حشوة مختلفة من الحفر المفرغ على شكل هندسي. أما الحشوة المناظرة على اليمين (أي السفلية) فيبدو أنها ضاعت واستُبدلت الآن بلوح مستوٍ من الخشب. هذا الصف ينتهي بحشوتين مربعتين من نفس زخرفة الحشوة الوسطى.

أما الصف السفلي (أي الأيسر) فيتكون من ثلاثة تقسيمات مستطيلة تختلف عن الصف الآخر في أسلوب تصميمها، و يفصلها عن بعضها فراغان كانا فيما مضى يشغلهما حفر مفرغ، أما الآن ففيهما لوحان منقوشان بالبارز بزخرفة مماثلة لما في الحجاب القبلي، أي ورقة الشجر الخماسية الأطراف مع زهرة الياسمين البري. و بالوجه الداخلي لهذا الصف، أي من جهة المذبح، مثبت جزء مزخرف مماثل للصف العلوي.

هذه القطعة مع أخرى تساويها تماماً موجودة الآن في الصف العلوي لحجاب المذبح القبلي يكوّنان معاً وحدة متكاملة الشكل والطراز.

والمقارنة مع منبر كنيسة أنبا بيشوي (تاريخه سنة ١٣٣٠م) لا تدع شكاً بأن هذه الأجزاء المتفرقة هي بقايا منبر من الطراز المربع؛ النصف البحري للحجاب البحري كان فيما مضى أحد جوانبه، والأجزاء الأخرى معاً تكوّن الجانب الآخر. (في دير أنبا بيشوي، المنبر مقام في أحد أركان الكنيسة فلا يحتاج إلى أكثر من جانبين).

يوجد داخل المذبح البحري قطعة من الخشب(٢٠)، رغم ما أصابها من عبث وتخريب إلا أن إتقان صناعتها ودقة الفن فيها قد بلغا حد الروعة (لوحة ٣٥)، و يبدو أنها كانت مستخدمة كباب لدولاب، مقاسها ٨٢ × ٥٠ سم، تحوي في وسطها مربعاً هندسياً تحدده خطوط محفورة تحوي قطعاً من خشب الأبنوس ومطعمة بسن الفيل. وفوق هذا المربع وأسفله يوجد شريط ضيق كان يحوي في وقت ما قطعاً من سن الفيل المنقوش كالتي كانت على باب حجاب هيكل كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن. ونظراً للتشابه الشديد بين الإثنين فالأرجح أن تكون هذه القطعة هي الناقصة من الجزء السفلي في باب حجاب الهيكل المذكور.

حجاب المذبح القبلي: وهو أيضاً مُجمَّع من عناصر أكثر تنوعاً من الحجاب السابق. فنلاحظ أولاً أن العتبة العليا ذات وحدات زخرفية من ورقة شجر خماسية الأطراف، تليها زهرة الياسمين البري كالتي نألفها في أعمال زخارف المصيص. وتوجد أيضاً قطع أخرى من نفس الشكل الزخرفي تملأ الفراغات بين أجزاء الحجاب المختلفة، وكذلك في حجاب المذبح البحري. وكل نصف من هذا الحجاب يتركب من ثلاثة أقسام رأسية: القسم الأيسر في النصف القبلي (لوحة ٣٣) يكمل جانب المنبر السابق التنويه عنه؛ والقسم المناظر له في النصف البحري (لوحة ٣٤) يتكون من ثلاث قطع مزدوجة كل منها في إطار مستقل وجميعها زخرفة ذات طابع واحد لكنها تشكيلات متنوعة من صلبان هندسية الطراز تتخللها المربعات وتحددها خطوط بسيطة من الخشب البارز المحلى بخطوط محفورة مستقيمة. ومن جهة بساطتها وطابعها الرزين يمكن مقارنتها مع تقسيمات باب هيكل أنبا بنيامين الذي من القرن الثاني عشر (لوحة ٥٩). أما من جهة فن الصناعة فهما مختلفان: إذ بينما تقسيمات باب هيكل أنبا بنيامين محفورة على قطعة واحدة من الخشب، فإن هذه التي للهيكل القبلي في كنيسة العذراء مكونة من نجارة مجمّعة. هذا الإختلاف في فن الصناعة ينم عن اختلاف التاريخ أيضاً؛ فإذا صح هذا، فهذا الجزء من النصف البحري للحجاب يمكن إرجاعه إلى أوائل أو أواسط القرن الثالث عشر.

(٢٠) محفوظة الآن بمكتبة الدير.

بقي أمامنا القسمان الثاني والثالث من النصف البحري للحجاب، والأول والثاني من نصفه القبلي. ومن الواضح أن كلاً منهما مصمَّم أصلاً ليكون أفقياً وليس رأسياً كما هو الآن، كما أن كلاً منهما مع الآخر يكوِّن قطعة واحدة. ترى ما هو الإستعمال الأصلي لهما؟ الجزء البحري بفتحاته الواسعة التي تشبه «شيش» النافذة إما أن يكون واجهة لـ«بلكونة»؛ وإما ـــ وهذا هو الأرجح ـــ أن يكون جزءاً من تقسيمات خشبية كانت أصلاً حاجزاً لحجرة ذات ثلاث نوافذ تناظر الثلاثة أجزاء ذات الحفر المفرغ، في حين أن الجزء القبلي من الحجاب كان موضوعاً في الحائط المقابل لنفس الحجرة؛ والترجيح هنا مرجعه إلى أن الطابع العام لهذه الأجزاء يجعلها أقرب إلى الإستعمالات المنزلية أكثر من الدينية. كما أن هناك تشابهاً كبيراً بينها و بين الزخرفة الخشبية المأخوذة من بيت رشيد والمعروضة بالمتحف الإسلامي. ومن المعقول جداً أن مثل هذه الزخارف الدقيقة كانت موجودة فيما مضى في قلاية البطريرك أو في غرفة خاصة لإستقبال كبار الضيوف مثل السلطان الكامل الذي زار الدير(٢١).

أما القطع المشابهة لهذه الأجزاء فهي كالآتى: قطعة الحفر المربعة والمطعمة بسن الفيل في النصف القبلي للحجاب و يوجد ما يشبهها في هيكل أبا كير و يوحنا بكنيسة الست بر بارة بمصر القديمة. كما أن القطعتين ذات الحفر البارز والأرضية البيضاء في نفس الحجاب تشبهان مصبعات المصيص Stucco-grilles في كنيسة العذراء بدير البرموس. وهذه النظائر قد تحدد زمانها بالنصف الثاني للقرن الثالث عشر.

فإذا صح الإفتراض بأن الأجزاء الباقية من هذا الحجاب مع شبيهتها بالحجاب البحري هما أصلاً مأخوذان من المنبر الذي رآه ووصفه Greville Chester سنة ١٨٧٥ في كنيسة أبا سخيرون والذي لم يذكره بطلر سنة ١٨٨٤ عند ز يارته للدير، يكون إذن زمان تجميع هذه الأحجبة محصوراً بين هذين التاريخين خاصة أن بطلر يذكر أن كنيسة العذراء بالقصر كانت قائمة وقت ز يارته. و بذلك يتحدد تاريخ تحويل هذه الصالة إلى كنيسة فيما بين سنة ١٨٧٥ ـــ ١٨٨٤م.

الحجرات الغربية:

يوجد مدخل واحد قرب نهاية الدهليز من قبلي يمثل السبيل الوحيد لدخول هذه الحجرات الثلاث، و يؤدي إلى الوسطى منها. وهذه الحجرات مسقوفة كالعادة بقبة، وليس فيها ما يستحق الذكر سوى معصرة الكروم الوحيدة الباقية والتي يفتخر بها هذا الدير. وتعمل هذه المعصرة بواسطة الرهبان أنفسهم، وإلى وقت قريب كانوا يصنعون الأباركة من الكروم التي تأتيهم من الدلتا. أما العصير فهو قاتم اللون غليظ القوام.

(٢١) أنظر تاريخ نتريا والإسقيط لإفلين هوايت. (3: IV, IX)

أما طريقة تشغيلها فهي بدائية بسيطة: قائم قصير من الخشب عليه كتلة خشبية مخروطية الشكل مثل الفنجان توضع فيها عناقيد العنب ثم يضغط عليها من فوق قرص من الخشب مستدير ومشكل ليناسب الكتلة الخشبية أسفله بواسطة ذراع طوله ٤ أمتار له مكان يبيت فيه داخل الحائط. وعلى هذا الذراع يصعد الرهبان ذوو الأجسام البدينة فتنعصر العناقيد ويخرج العصير إلى مجرى محفور حولها تنتهي إلى فتحة، وبعد عناء كبير يحفظونها لتتخمر داخل قدور فخارية ضخمة باقية من زمان قديم أو في جدانات زجاجية حديثة العهد(٢٢).

ومن هذه الحجرة يمكن الدخول (بواسطة باب في حائطها القبلي) إلى غرفة صغيرة ملحقة Annex ذات قبة أقل ارتفاعاً من الحجرة الوسطى. ويكوّن الفراغ الذي بين أرضية هذه الغرفة الصغيرة وقبة الحجرة التي أسفلها بالطابق الأرضي — حوالي متران — مخبأً سرياً بغير فتحات، لكن الدخول إليه عن طريق باب صغير في الأرضية، وكان يُستعمل كمخزن لأوعية الزيت غير المستعملة(٢٣).

ويوجد باب آخر في الحائط البحري لنفس الحجرة يؤدي إلى غرفة ثانية مغطاة بقبة كالعادة ولها باب بعقد مغلق في حائطها الغربي كان على ما يبدو مستعملاً لرفع التموينات الكبيرة إلى الحصن، وفي ركن الغرفة يوجد جرنان كبيران من الحجر قطر كل منهما ١٫٢٠ متراً لتخزين الترمس(٢٤).

غرفة رفع القنطرة المتحركة (الونش):

من الطابق الأول نصعد السلم بواسطة أربعة قلبات إلى بسطة لها فتحة ضيقة في حائط القصر البحري فيها غرفة رفع القنطرة المتحركة، وهي صغيرة مكعبة الشكل ضلعها حوالي ١٫٧٠م وتقع فوق الطرف البحري لدهليز الطابق الأول. وفي ناحيتها البحرية توجد بكرة الونش الذي يرفع القنطرة المتحركة الموصلة إلى القصر من المباني المجاورة. أما الحائط القبلي فيؤدي إلى سرداب منخفض يمتد متجهاً إلى حائط القصر القبلي وهو الآن نصف مسدود بواسطة حائط عرضي حديث فيه فتحة ضيقة. هذا السرداب — مثل غرفة الونش — عرضه ١٫٧٠ متراً ومغطى بقبو نصف اسطواني يرتفع ١٫٨٠ متراً عن الأرضية ويمتد بطول دهليز الطابق الأول. ولم يكن هناك أي هدف من وراء إنشاء هذا السرداب أكثر من تهيئة سطح مستوٍ لأرضية الدور الثاني، ولأجل إنشائه اضطر المصمم أن يخفض منسوب قبو دهليز الطابق الأول عن باقي قباب الحجرات المجاورة في

---

(٢٢) هذا الوصف ينطبق على معصرة زيت موجودة الآن مع معصرة الكروم في متحف الأخشاب بالدور الأرضي بالحصن.

(٢٣) تم عمل أرضية بالخرسانة المسلحة محملة على الحوائط وتبليطها بلون الحجر ولسائر حجرات هذا الطابق.

(٢٤) جميع ما وُجد من الأجران معروضة بالمتحف بالدور الأرضي في الحصن.

نفس الطابق. و ينتهي هذا السرداب من الداخل بباب على حجرة المراحيض بالدور العلوي، وهو مسدود من أزمنة قديمة(٢٥).

رابعاً: الطابق الثاني

له دهليز كالعادة يمتد من بحري إلى قبلي حيث يوجد في نهايته ارتداد غربي كان مستعملاً كمرحاض. أما الطرف البحري له فقد انضم إلى كنيسة الملاك ميخائيل ليصير جزءاً من صحن الكنيسة الغربي.

الحجرات الغربية:

يقع غربي الدهليز ثلاث حجرات، البحرية منها تختلف عن الإثنتين الباقيتين في أنها مسقوفة بقبة رباعية = Quadrilateral Vault أي تقابُل قبو نصف اسطواني طولي مع آخر عرضي، ونقطة ابتداء قوس التقاطع = Spring of the groining ليست كما نتوقع عند ركن الحجرة بل على مسافة ٧٠ سم من الأركان(٢٦).

أما الحجرتان الباقيتان فيغطيها سقف خشبي مستوٍ، و باب واحد من الطرقة يؤدي إلى الوسطى التي ليس فيها ما يستحق الذكر. ومنها ندخل إلى الحجرة القبلية وفيها ما يلفت النظر إذ يوجد ارتداد عميق في حائطها الغربي كان له عتب دائري ومسدود الآن من خارج أما من الداخل فيقسمه رف خشبي أفقي. هذا الإرتداد كان فيما مضى واحداً من مجموعة نوافذ سنبحثها فيما بعد. وفي قاعه يوجد حوض مربع ــ منخفض عن أرضية الحجرة ــ له مجرى تصريف مستدير غير معلوم الغرض منه. وفي حائط هذه الحجرة القبلي ارتداد آخر في قاعه باب صغير يؤدي إلى غرفة منخفضة مظلمة محصورة بين الأرضية و بين قبة الحجرة التي أسفلها، وهي بهذا تناظر المخبأ السري الموجود بالطابق الأول. وفي أكوام الأحجار والأتربة المتراكمة والخرق والسلال القديمة توجد رزم من أوراق المخطوطات أغلبها بالقبطية والعربية هي بقايا مكتبة الدير، مما يجعلنا نقطع بأن هذه الزنزانة(٢٧) مع الحجرات التي تعلوها كانت في وقت ما مكتبة الدير.

---

(٢٥) وُجد في هذا السرداب الكثير من قصاصات ورق مخطوطات الدير فجُمعت واحتُفظ بها في المكتبة. ثم رفعنا كل الرديم الذي كان على الأرضية وعملنا قبواً مسلحاً فوق قبو دهليز الطابق الأول، وهو أرضية السرداب، مدعم بعقود خرسانية في موضع الشروخ التي تخللت حوائط وأرضية السرداب. وفي نهايته القبلية أقمنا سلماً خشبياً يصعد إلى الطابق الثاني داخل أرضية كنيسة السواح.

(٢٦) ترجع هذه القبة إلى وقت متأخر، و يبدو في مركزها هبوط خطير حدث بعد بنائها مباشرة على الأرجح مما جعلها آيلة للسقوط. وحدث فعلاً أنها انهارت سنة ١٩٧٥ في يوم زوابع عنيفة وأمطار غزيرة، واستعيض عنها بسقف خرساني مستوي مثل باقي حجرات الطابق الثاني للحصن.

(٢٧) يبدو أن إڤلين هوايت عثر فيها على المخطوطات التي نشرها من دير أنبا مقار. أنظر مقدمة كتابه:
New Coptic Texts from the monastery of St. Macarius

الحجرات الشرقية:

المساحة التي شرقي الدهليز تشغلها ثلاث كنائس، يفصلها عن بعضها البعض حوائط، ولا توجد بها أية تقسيمات داخلية بعقود مثل كنيسة العذراء بالطابق الأول.

وقبل أن نتكلم تفصيلاً عن هذه الكنائس نورد هنا التسجيل التاريخي القيِّم لتكريس هذه الكنائس نقلاً عن المخطوطة الأثرية المحفوظة بالدير، وهي تحوي بالإضافة إلى خبر تكريس كنائس الحصن كتاب: «الفردوس العقلي»(٢٨) و«تكريس هيكل أنبا بنيامين» و«قوانين هذا الهيكل»:

[لما كان بتاريخ سنة ألف ومائتي وثلاثة وثلاثين للشهداء الأطهار السعداء الأبرار (١٥١٧م)، رزقنا الله بركاتهم ورحمنا بطلباتهم، طلع الأب السيد البطريرك أنبا يوُنس (الرابع والتسعون) أدام الله سني حياته سنين عديدة وأزمنة متصلة مديدة آمين، إلى البرية المقدسة لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأربعين المقدسة في دير القديس العظيم أبومقاره وصحبته الأنبا باسيليوس أسقف كرسي زفتى وأنبا يوُنس الأدرنكي ومن كان بصحبتهم... وأقاموا في دير القديس أبو مقاره مدة تقارب خمسة شهور. وقُدِّم أنبا بطرس أسقفاً على كرسي منية صرد (مدينة مسطرد حالياً)، وأنبا ميخائيل وأنبا يوُنس أسقفين أيضاً على كرسي المحرق. وفي طول هذه المدة وهم مجتهدين في عمارة الأماكن المتهدمة بالدير المذكور وبجوسقه بقطع المسالق (؟؟) التي عليه وفي عمل موايد جدد لمذابح الكنيسة الكبرى وعمل سترونس للتجليس بهيكل الأب البطريرك أنبا بنيامين. وكان تكريسهم في يوم الحادي والعشرين من شهر برمهات سنة تاريخه (٣٠ مارس ١٥١٧م)، وكرز أيضاً كنيسة صغرى على اسم القديس أنبا صموئيل المعترف ورفيقه في سبي البربر أبو يحنس القمص والتسعة وأربعين شيوخ شيهيت وأبو نوفر السائح وأنبا أبرآم وجرجه وأنبا أبوللو وأنبا أبيب وأنبا ميصائيل السائح وأنبا بيچيمي وذلك في يوم الأحد الذي هو الثاني من شهر طوبة (١٠ ينايرا١٥١٧م) وكرز أيضاً كنيسة بجانبها على اسم القديس أنبا أنطونيوس وأنبا بولا وأنبا باخوم، وذلك في يوم الأحد العاشر من شهر برمودة وهو أحد الشعانين سنة تاريخه (١٨ أبريل ١٥١٧م) وحضر الراهب الناسك القس المكرم تكلا الحبشي وصوَّر هؤلاء القديسين في الكنيستين المذكورتين ورشموا بزيت تقديس الكنيسة كل صورة باسم صاحبها، وصوَّر أيضاً في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل صورته بمفردها، وقباله في الجانب الآخر واسيليدس وولديه حوله أوسابيوس ومقاريوس، وكذلك السيد يسطس وأبالي وثاوكليا. وكان في تلك الأيام ضيق عظيم في العالم وفي المملكة يغني عن ذكره. وكان المقصود بتكريس هذه الأماكن وتصوير هؤلاء الشهداء والقديسين حلول بركاتهم وحماية الدير وعمارته بصلواتهم وطلباتهم. وفي حال تكريس المذابح التي

(٢٨) يقول إيفتس أن هذا الكتاب لابد أن تكون منه نسخٌ عديدة في كل دير حيث كان على المبتدئين أن يدرسوا فيه.

بـالكنيسة الكبرى والكنيستين اللتين بالجوسق أحضروا أجساد الثلاثة مقارات وأبو يحنس القصير وأجساد التسعة بطاركة، الرب يرحمنا بصلواتهم وطلباتهم، وذلك في خدمة الأب الراهب الناسك الإيغومانس المكرم يعقوب].

والبطريرك الرابع والتسعون هو أنبا يؤنس الثالث عشر (سنة ١٤٨٢ــ١٥٢٤م)، وقد حدث في عهده الغزو التركي لمصر (١٥١٧م) وحسب ما هو معروف حتى الآن، ليس هناك في عهده أي كارثة أخرى غير ذلك.

كنيسة السواح:

هي القبلية من الثلاث كنائس، وعلى اسم السواح الذين سيأتي ذكرهم بعد. والمدخل الذي اختصر عرضه من ١٠ر١م إلى ٨٠ر٠م ما زالت به ضلفة باقية من ضلفتي باب أثري[٢٩] (لوحة ٣٧)، متحركة على محور أفقي مثبت من أعلى ومن أسفل، وزخرفتها مشابهة لباب هيكل كنيسة العذراء بالطابق الأول ومطعمة بسن الفيل. ومع أنه جيد الصناعة إلا أنه يخلو من الدقة والإتقان في التفاصيل التي تميز مثيلاتها في الأديرة الأخرى (مثل أبواب الخوارس في كنيسة أنبا بيشوي والعذراء بالسريان).

والكنيسة من الداخل عبارة عن مستطيل خال من أية تقسيمات عَرْضية، والحاجز عبارة عن درابزين مكون من قوائم خشبية رخيصة يقسم الكنيسة إلى صحن غربي وخورس. و يتخلل هذا الحاجز ثلاث فتحات إحداها هي الوسطى والإثنتان في الطرفين. و بذلك أمكن تهيئة ثلاثة مداخل كالمألوف في الخوارس، هذا الحاجز ليس أصيلاً وقت إنشاء هذه الكنيسة لأن العارضة العلوية فيه تخترق الرسم الحائطي البحري[٣٠] والذي يُعتبر أثمن ما في الكنيسة.

أما الرسم الحائطي الذي قام بتصويره القس تكلا الحبشي فهو مجموعة صور لتسعة من شخصيات النساك الذين على اسمهم تكرست الكنيسة، مرسومة بمقاسات مُبَالَغ فيها بقصد إظهار بطولتهم (لوحة ٦٢ و٦٣). كل شخصية تشغل باكية من سلسلة بواكي تتكون من أقواس دائرية تعلوها صلبان وتحملها من أسفل أعمدة مستديرة كلها ملونة باللون الوردي الزاهي. ولكل منهم هالة نورانية تجلل الرأس. والجميع يرتدون زياً متماثلاً مكوناً من قميص داخلي طويل = Tunic ، ووشاح (شال = Overmantle) معلق على الكتفين بثنيات طويلة رأسية لكنه مشدود إلى الأمام بحركة الذراعين. وبهذا أمكن لبقية الوشاح أن يبقى متدلياً أمام الشخصية ممثَّلاً بأقواس متتالية. والأذرع مثنية عند المرفق، والساعدان يستريحان على الصدر، واليدان ممسكتان

(٢٩) محفوظة الآن بمتحف الأخشاب بالطابق الأرضي في الحصن.
(٣٠) أزيل هذا الحاجز بعد ترميم الطابق الثاني للحصن.

بصليب أو كتاب أو عكاز رهباني رأسه بشكل حرف T (٣١).

والفن والألوان في غاية البساطة : الأحمر القاني ــ يكاد أن ينمحي ــ لتحديد الملامح وثنيات الملابس المرسومة بخطوط عريضة جريئة فوق أرضية بغير تلوين. الأعضاء الظاهرة من الجسم باللون الوردي الزاهي، الثياب الداخلية مع خلفية الصورة في كل باكية من البواكي ملونة بألوان ثقيلة Solid masses ، المُغْرة Ochre الحمراء والصفراء وحدهما لتلوين الثياب. لكن من أجل التنويع، وحينا تكون الثياب الداخلية باللون الأصفر والخارجية باللون الأحمر في إحدى الصور، تُستعمل الألوان بطريقة عكسية في الصورة التي تليها.

أما الشخصيات المرسومة بحسب ترتيبها من الشرق إلى الغرب فهي هكذا:

١ ــ أنبا صموئيل المعترف:

رئيس دير القلمون(٣٢) و يرتدي قلنسوة بيضاء وعباءة حمراء فوقها وشاح أصفر، يمينه تمسك بعكاز و يساره مفتوحة على صدره، و يتدلى من عنقه صليب متساوي الأضلاع. خلفية الصورة باللون الأحمر القاني.

٢ ــ أنبا يؤنس قمص شيهيت:

أحد السواح ورفيق أنبا صموئيل في السبي. يتدثر بوشاح أحمر وأبيض تحته عباءة صفراء تلتف حول جسمه. في يمينه صليب ويمسك بيساره كتاباً. خلفية الصورة باللون الأحمر.

٣ ــ أبو نوفر:

جسمه عاري ولحيته بلون أصفر غامق تغطي جسمه من أمام إلى ما تحت الركبتين. وشعر رأسه يتدلى من خلف على كتفيه إلى أسفل القدمين، يداه مرفوعتان بالصلاة.

٤ ــ أنبا أبرآم:

وقد مُحيت أغلبية الصورة.

٥ ــ أنبا جاورجه:

رفيق أنبا أبرآم، وكانا كلاهما معاصرين ليؤنس قمص شيهيت في القرن السابع. وفي الصورة يرتدي وشاحاً أصفر فوق عباءة حمراء و بيده اليمنى صليب و باليسرى عكاز، وقلنسوة بيضاء فوق رأسه.

٦ ــ أنبا أبوللو:

يرتدي وشاحاً أحمر فوق عباءة صفراء. بيده اليمنى صليب و باليسرى عكاز.

٧ ــ أنبا أبيب:

يتدثر بوشاح أصفر تحته عباءة حمراء. في يده اليمنى عكاز و باليسرى كتاب.

(٣١) مشابهة لعصا أنبا مقار، أنظر كتاب إﭬلين هوايت عن تاريخ نتريا والإسقيط H.N.S. 3, I, XII

(٣٢) لمعرفة علاقته بدير أبو مقاره: أنظر إﭬلين هوايت H.N.S. II & V وسنكسار ٨ كيهك.

٨ ــ أنبا ميصائيل السائح:

من دير القلمون (أنظر سنكسار ١٣ كيهك)، يرتدي وشاحاً أحمر فوق عباءة صفراء واليدان تمسكان بكتاب على صدره.

٩ ــ أنبا بيچيمي:

(أنظر سنكسار ١١ كيهك) يرتدي وشاحاً أصفر وعباءة حمراء ويمسك أيضاً بكتاب على صدره. هذه الصورة تبدو كما لو كانت مضغوطة في إطارها بسبب ضيق المساحة الباقية لها.

وقرب الركن القبلي الغربي للكنيسة توجد فتحة في الأرضية توصِّل إلى السرداب الذي تحت الطرقة الوسطى وقد كشفت عن طريقة إنشاء الأرضية، وهي تتكون من حزم من أعواد البوص ملتصقة مع بعضها البعض على قدر الإمكان وتغطيها طبقة سميكة من مونة الجبس البيضاء ومحملة على مدادات من كتل خشبية مشقوقة بحسب طبيعتها المستديرة(٣٣).

وفي الحائط القبلي نافذتان تبدآن من مستوى أرضية الكنيسة، إحداهما مسدودة من الخارج، لها عتب مستدير ومهيأة من الداخل لتكون دولاباً حائطياً، واتساعها ٨٠ سم و بذلك تكون مشابهة للتي في حجرة المكتبة. في حين أن النافذة الأخرى عرضها متر واحد مسدودة جزئياً ولها فتحة للخارج وعتبها مستقيم (٣٤).

وللكنيسة هيكل وحيد مقتطع من الخورس بواسطة حجاب جزؤه الأوسط من الخشب والباقي على الطرفين حائط مبني. والجزء الخشبي ــ طوله ٤ أمتار ــ عبارة عن حشوات خشبية بسيطة معشقة داخل عوارض أفقية ورأسية تكوِّن أشكالاً مربعة ومستطيلة، والتصميم بسيط من غير تكلف، والصناعة جيدة ربما ترجع إلى العصر التركي(٣٥). أما الفراغ الذي بين الحاجز الخشبي و بين الحائطين الجانبيين فتشغله مباني خفيفة مكسوة بالمونة البيضاء ولكن عند اتصالها مع الحجاب الخشبي يوجد عمود من الرخام داخل الهيكل لابد أنه كان فيما قبل يحمل قوس النصر المألوف في داخل الهياكل؛ والعمودان من الرخام المخطط، ارتفاع الجزء الإسطواني وحده ١٫٧٥ متراً والتاج بارتفاع ٢٢ سم من الطراز القبطي البيزنطي مزخرف بورقة الأكانثس المعروفة(٣٦).

---

(٣٣) بعد عمل الأرضية من الخرسانة المسلحة أمكن رفع كميات البوص ومونة الجبس و باقي الأخشاب.

(٣٤) عند ترميم هذا الحائط وإعادة بنائه بمونة الأسمنت والرمل تعدلت مقاسات الشبابيك المذكورة لتكون مشابهة لباقي شبابيك الحصن.

(٣٥) استبدلت أحجبة كنائس الطابق الثاني والتي بلا قيمة أثرية، بأحجبة أخرى ذات تصميم قبطي أصيل من تصميمات القرن ١٣/١٤ الميلادي.

(٣٦) جميع القطع الرخامية، سواء أعمدة أو تيجان أو قواعد أو كرانيش... إلخ معروضة في المتحف المجاور لمبنى المكتبة الجديدة بالدير، نظراً لقيمتها البالغة الأهمية.

والمذبح مبني بناءً عادياً لكنه مفرَّغ من الداخل، ورخامته الكبيرة لا تتناسب مع حجمه، فهي تبرز من الشرق بمسافة كبيرة. وربما تكون واحدة من الخمس أو الست قطع رخام التي شاهدها Thévenot . وهي من الرخام الأسود اللامع ذي نقط بيضاء، وطرازها من النوع المربع ونصف الدائرة التي لها إفريز مرتفع(٣٧).

وشرقي المذبح توجد «الشرقية» بارتفاع ١٩٠ سم وعرض ٦٠ سم، وعلى جانبيها عمودان صغيران من الرخام ارتفاع الواحد منهما ١٤٧ سم يحملان تاجين من النوع المزخرف بورقة الأكانثس. وظاهر أن التاجين ليسا للعمودين. وبحري «الشرقية» يوجد ارتداد آخر مشابه لها ذو عتب دائري. وأعلى الحائط الشرقي وتحت مستوى السقف فتحتان صغيرتان مستطيلتان ٧٠ سم × ٥٠ سم، إحداهما في منتصف الحائط أعلى «الشرقية» والثانية تبعد عنها إلى الجنوب مسافة ١٢٠ سم. وكانت هناك ثالثة تناظرها من بحري لكنها مسدودة الآن.

كنيسة أنبا أنطونيوس:

الكنيسة التالية من بحري باسم أنبا أنطونيوس، ولا تختلف عن كنيسة السواح إلا أنها تخلو من الحاجز الذي يفصل الخورس عن صحن الكنيسة؛ لكنْ له أثر في أرضية الكنيسة يدل على وجوده في زمن سابق. وعلى الحائط البحري عقب الحجاب مباشرة توجد رسوم لثلاث شخصيات قام برسمها نفس الفنان الذي رسم كنيسة السواح كما يستدل على ذلك من الطابع والأسلوب (لوحة ٤٠). والألوان الباهتة التي تظهر من تحت دهان الجير الأبيض الذي يغطي الحائط يكشف عن أن الرسومات كانت تمتد بطول الحائط من الشرق إلى الغرب(٣٨). أما الشخصيات الباقية فهي من الشرق إلى الغرب:

١ ــ أنبا أنطونيوس:

يرتدي عباءة صفراءَ ووشاحاً أحمر، بثنيات بيضاء، ويمسك صليباً في يمينه وعكازاً في يساره.

٢ ــ أنبا بولا أول السواح:

يتدثر بلباس أبيض بثنيات حمراء، ولا يظهر في الرسم أية ملابس أخرى داخلية. وأسفل الصورة يوجد الأسدان اللذان ساعدا أنبا أنطونيوس في دفنه كما تقول قصته التقليدية.

٣ ــ أنبا باخوميوس أبو الشركة:

يرتدي عباءة حمراء وفوقها وشاح أصفر، ويمسك كتاباً بين يديه.

---

(٣٧) محفوظة مع باقي لوحات المذابح في متحف الدير، وتعتبر مجموعة اللوحات الرخامية للمذابح المعروضة في المتحف من أثمن وأندر المجموعات في العالم (راجع Dict. d'Arch. Chret. et Lit. Tome III).

(٣٨) هذا الإستدلال ثبت عدم صحته حيث لم يذكر في كتاب تكريس هياكل الحصن سوى الثلاث شخصيات الموجودة حالياً.

وحجاب الهيكل مشابه في فنه وصناعته لحجاب كنيسة السواح، إلا أن العمودين اللذين يفصلان بين الحجاب الخشبي والحاجز المبني هما من الخشب المكسو بطبقة من المصيص الأبيض، و يعلوهما قاعدتان مقلوبتان بدلاً من التاجين، وفي الحقيقة هما يحملان المدادات الخشبية الضخمة التي عليها تستند عروق السقف والقبة الصغيرة. والمذبح مغطى بمخلفات الوطاو يط حتى أنه لم يمكن تمييز رخامته. و يبدو أنها مركبة من قطع مكسورة لبلاطة مستطيلة و يظهر على حافتها الشرقية جزء من عمود رخامي طوله ١٠٨ سم. وبجوار المذبح على الأرض يوجد شمعدان من الرخام الأبيض ارتفاعه ٧١ سم ضائع منه الطرف العلوي.

وفي الحائط الشرقي للهيكل توجد ثلاثة ارتدادات، أحدها عبارة عن شرقية المذبح المألوفة لكنها مرتفعة وضيقة مما يدل على أنها معدلة. أما الإرتدادان البحري والقبلي فهما مسدودان من خارج، وأعلى الحائط تحت السقف مباشرة توجد ثلاث نوافذ مستطيلة صغيرة، اثنتان منها مسدودتان وكلها تماثل نوافذ هيكل كنيسة السواح(٣٩).

والهيكل مغطى بقبة صغيرة كروية صغيرة بشكل ملحوظ، وهي من الطوب ومحمولة فوق أربع كمرات خشبية كبيرة وأربعة مدادات خشبية فوق أركان تقاطع الكمرات الكبيرة(٤٠).

كنيسة الملاك ميخائيل:

الوصف العام:

تقع في نهاية الجانب الشرقي من بحري في الدور العلوي من الحصن، ومسجلة في قائمة كنائس البطريركية باعتبارها كنيسة(٤١) مكرسة على اسم الملاك ميخائيل. ومسقطها الأفقي عبارة عن مستطيل له امتداد غربي ربما أضيف فيما بعد باقتطاع النهاية البحرية لدهليز الدور العلوي وضمها إلى الكنيسة. و ينقسم صحن الكنيسة إلى ثلاثة أقسام طولية: الصحن الأوسط وجناحين بحري وقبلي، بواسطة صفين من الأعمدة الرخامية تحمل سقفاً خشبياً من منسوبين(٤٢)، سقف الصحن الأوسط يرتفع ١٣٠ سم عن سقف الجناحين الذي هو في مستوى سطح الحصن. وفي العصر الذي أعقب القرون الوسطى أقيم حاجز عرضي يميّز الخورس عن باقي الكنيسة، مكون من صفين من الأعمدة الخشبية المخروطة، واحد فوق الآخر على شكل درابزين. ثم تمت تعلية هذا الدرابزين

(٣٩) عند ترميم الحائط الشرقي لهذا الهيكل عُملت فيه «الشرقية» المعتادة في وسط الحائط، تعلوها فتحة بنفس مقاسات شبابيك الحصن. وألغيت باقي الفتحات.

(٤٠) بعد إزالة سطح الحصن وإقامة سقف من الخرسانة المسلحة بدلاً منه، أعيد بناء قباب هياكل الكنائس على قاعدة مثمنة بها فتحات صغيرة للإنارة الداخلية.

(41) Somers' Clark: Christian Antiquities.

(٤٢) بسبب نحافة الأعمدة الرخامية وعدم ثباتها انهارت بعض أجزاء السقف الخشبي مما اضطرنا إلى رفع الأعمدة وإزالة السقف واستبداله بآخر من الخرسانة المسلحة على منسوبين، وهكذا كان الحال في باقي أسقف الكنائس بالحصن.

بإضافة قوائم من الخشب الرخيص تصل إلى السقف. و يتخلل هذا الحاجز ثلاث فتحات لتهيئة ثلاثة مداخل للخورس كعادة الكنائس (لوحة ٤٣).

أما الملحق الذي أُضيف غربي الكنيسة فهو بعرض أقل من عرض الكنيسة وله أيضاً حاجز عرضي، جزؤه البحري على شكل درابزين مماثل لحاجز الخورس السابق وصفه، والباقي من خشب مفرغ على شكل نجوم واسعة ذات إثني عشر طرفاً. ولا يبدو أن الجناحين البحري والقبلي قد أُقيم فيهما أية حواجز أو تقسيمات (لوحة ٣٢).

وهيكل الكنيسة يرتفع درجة واحدة عن الخورس، له حجاب رائع من المؤكد أنه مصمم لهذا الغرض بالذات. وتغطي الهيكل قبة نصف كروية من الطوب الأحمر محملة على قاعدة من الخشب مثمنة الشكل تستند جزئياً على عمودين من الرخام ملتصقين بالحائط الشرقي للهيكل.

الملحق الغربي للكنيسة:

المدخل ــ وكان أصلاً أوسع مما هو الآن ــ في الطرف الغربي للناحية القبلية للكنيسة، وله ضلفتان تطويان على جانب واحد، كل منهما تتكون من تقسيمات ثلاثية وسداسية من الخشب غير المحفور وهو بذلك يشبه ضلفتي باب هيكل كنيسة العذراء بالطابق الأول. وتتحركان على مفصلات ذات أربع عقل من النحاس يجمعها مسمار محوري. و يقابله في حائط الملحق من غرب دولاب حائطي كانت تُحفظ فيه كتب القراءات والكتب الطقسية. وأرضية هذا الجزء مغطاه ببلاطات مستطيلة ملساء من الحجر الجيري مقاسها ٣٢×١٦ سم موضوعة في صفوف متوازية ولحاماتها مخلوفة.

و يتقابل الحاجز الخشبي الذي يفصل الملحق عن صحن الكنيسة مع الجناح البحري عند العمود الغربي الأخير لهذا الجناح، وهذا العمود جدير بالفحص إذ يتكون من إسطوانتين من الرخام: السفلية منهما ارتفاعها ١٤٤ سم ومحيطها ١٠٢ سم تقريباً والعلوية ارتفاعها ٨٨ سم ومحيطها ٩٥ سم([٤٣])، وتتميز بوجود صليب تكريس Consecration cross منحوت عليها في واجهتها الغربية أسفله ثقبان dowel-holes لتثبيتها مع ما يجاورها من منشآت، والثقبان محشوان بالرصاص ربما بقصد تعليق قطعة زخرفية من المعدن. وعلى هذين العمودين كتابات عديدة بالسريانية والعربية وآثار زخرفة باللون الأسود والأحمر انمحت بسبب مياه الأمطار، ولكنها تحتاج لعالم باللغات الشرقية ليحل ألغازها. و يعلو هذا العمود قاعدتان مقلوبتان وليسا تاجَيْن من الطراز الدُورّي Doric كما يذكر بطلر.

---

(٤٣) هذا العمود يتساوي في مقاساته مع أعمدة كنيسة الشيوخ، وهو قطعاً مأخوذ من الكنيسة الكبرى ــ كنيسة القديس مقاريوس ــ بعد أن تهدم صحنها وجيء به إلى كنيسة الملاك وقت ضم الملحق الغربي إليها.

أما أعمدة جناحي الكنيسة فهي موضوعة فوق بلاط الكنيسة(٤٤) مما يدل على أنها أُقيمت متأخرة عن وقت إنشاء الكنيسة، ربما في أوائل القرن السادس عشر. فإن كان الأمر كذلك فهي قطعاً منقولة من صحن الكنيسة الكبرى. وهي عموماً أرفع قليلاً، وتتركب من قطعتين إحداهما تعلو الأخرى، وكلٌّ من هذه الأعمدة ارتفاعه ١٤٢ سم وعلى مسافات حوالي ٢٫٥٠ متراً في كل صف. ومن العسير أن نفكر أنها كانت أعمدة مستقلة. أما التيجان، فإثنان منها من الطراز المزخرف بورقة الأكانثس المعروفة، والثالث هو قاعدة مقلوبة لعمود، والرابع من الحجر الجيري وزخرفته على شكل كأس زهرة متعدد الأوراق many petalled calyx . والعمود الثاني القبلي قاعدته هي تاج مقلوب لكنه مزخرف بدقة على شكل ورقة الأكانثس. وتعلو التيجان قواعد من الخشب تحمل قوائم من الطوب الأحمر المكحول بعناية. وفوق القوائم يمتد كورنيش من الخشب يحمل عروق السقف العالي لصحن الكنيسة الأوسط والمباني التي تملأ فرق المنسوب بين سقف الأجنحة الجانبية و بين سقف الصحن الأوسط.

البلاط:

بلاط الجناحين من الحجر الجيري الأملس مقاس ٣٢×١٦ سم مرصوص في صفوف متوازية. أما الصحن الأوسط ففيه تركيبات منوعة. فالنصف الغربي بلاطه موضوع بطريقة زجزاجية تعطي في النهاية نسيجاً على هيئة مربعات متداخلة. والنصف الشرقي بلاطه مسدس غير متساوي الأضلاع، لكنه موضوع في مجموعات كل منها أربع بلاطات متقابلة الأركان. والفراغ الذي يتبقى بين كل مجموعة والتالية لها تشغله قطع صغيرة من الحجر الجيري المربع. وفي النهاية تتكون أشكال متوالية من صلبان أطرافها ثنائية الفروع. أما الخورس فبلاطاته سداسية منتظمة الأضلاع مرصوصة بشكل مشابه لعش النحل(٤٥).

الرسوم الحائطية:

حوائط الجناح القبلي مزدانة برسوم حائطية من يد نفس الفنان الذي رسم الكنيستين السابقتين. فالحائط القبلي تظهر عليه خمس شخصيات من الفرسان، الإثنان في الجهة الشرقية يمتطيان جيادهما من اليمين، والثلاثة الباقون من اليسار. ومع أنهم جميعاً من المحاربين وصورهم مواجهة بعضهم لبعض، إلا أنهم ليسوا في حالة عراك كما يظهر من تصوير أوضاعهم. أما الشخصيات فهي من الشرق إلى الغرب (لوحة ٤٥ و٤٦):

١ ــ أوسابيوس:

وقد امحت صورته بسبب مياه المطر المتسربة من السقف.

---

(٤٤) الملاحظ هو العكس، فالبلاط يحيط بقاعدة العمود مما يعني أن الأعمدة أصلية في الكنيسة وقت إنشائها.

(٤٥) نُقل هذا البلاط بتصميمه وشكله ليكون أرضية هيكل الميرون القائم بحري كنيسة الشيوخ بالدير.

٢ ــ واسيليدس :

والـد أوسابـيـوس ، لـه لحية وعلى رأسه هالة نورانية ، يمتطي جواداً أبيض ، يلبس خوذة مفتوحة وسـتـرة مـدرعـة ، وعـبـاءتـه مربوطة عند العنق وتتطاير خلف كتفه الأيمن . و يبرز من وراء الكتف الأيسر تـرس مـستدير، ويحمل في يده اليمنى رمحاً ينتهي طرفه السفلي بصليب . وفي ركن الصورة الأيمن العلوي توجد يد (الله ؟!) تشير من السماء .

٣ ــ يـواجـه هـذا الـرسم فارس صغير على حصان أحمر هو **مكاريوس** أخو أوسابيوس ، يرتدي سترة مـدرعـة بيضاء تنتهي من أسفل عند الجذع بما يشبه المروحة وتحتها قميص أحمر قاتم ، ثم عباءة عسكرية على الأكـتـاف ، وخـوذة على رأسـه ، ويحـمـل رمحه بيده اليسرى . والأجزاء الظاهرة من الجسم ملونة بـاللون الوردي الزاهي ، أما خلفية الصورة فباللون الأصفر القاتم . والجزء العلوي من الرسم عبارة عن زخارف أفقية كلاسيكية التصميم .

٤ ــ يسطس :

يلي هـذا رسـمٌ ليُسطس الوز ير بمقاس أكبر من سابقه ، يمتطي جواداً وردي اللون و يرتدي سترة حر بية حمراء وفوقها عباءة بيضاء ، وحذاؤه باللون الأصفر القاتم .

٥ ــ أبالي :

وهـذا هـو آخـر رسـم على الحـائـط الـقبلي وقد تشوه بسبب مياه المطر المتسربة من السقف ، وهو لأبـالي ابـن يـسطـس و يـرتدي ملابس صفراء قاتمة فوق قميص أبيض واسع يظهر عند العنق وفوق القدم اليسرى . ومع أنه ممسك برمح إلا أنه بدون المعدات الحربية التي في الرسومات السابقة .

٦ ــ ثاوكليا :

عـنـد تـقـابـل الحـائـط الـقـبلي مع الحائط الغربي توجد صورة باهتة لامرأة واقفة بيدين مرفوعتين بـالـصـلاة ومـلـفـوفة بثياب بيضاء فضفاضة بثنيات محددة باللون الأحمر، والعنوان المكتوب على هذا الرسم بالمُغْرة الصفراء : ثاوكليا امرأة يسطس وأم أبالي(٤٦).

ومـع تـنـوع شـخـصـيـات هـذه الـرسـوم إلا أن الأسـلوب العام والألوان هي نفسها المستعملة في الـكـنـيـستين المجاورتين . أما علة اختيار هذه الشخصيات فهو التشابه بينهم كقديسين محار بين و بين رئيس الملائكة ميخائيل .

وأسـفـل هـذه الـرسـومـات مكتوب عناو ين أصحابها بالعربية . وقرب طرف صورة يسطس من أسفل توجد هذه الكتابة القبطية محفورة على الحائط :

(أذكر يارب عبدك — ⲁⲣⲓⲫⲙⲉⲩⲓ ⲡⲟ̄ⲥ̄ ·ⲡⲉⲕ

الأب القس جرجس — ⲃⲱⲕ ⲅⲉⲟⲣⲅⲓⲟⲥ ⲡ-

(٤٦) بسبب تعديل المدخل الغربي وإلغاء الملحق الذي كان بطرف الكنيسة ، زال رسم ثاوكليا .

عبدك أيها المسيح اصنع معه رحمة	пресвутерос фіωт
في ملكوتك يارب.)	пекв̀ωк п̄х̄с̄
وبلا ريب فإن هذه الكتابة ليست قديمة.	арінаіч ϧеп тепмет
	оүро пос̄ амнп

ولكن هناك كتابات أخرى على هذا الحائط تستحق الإعتبار، كلها مخطوطة بالمغرة الحمراء. فيوجد أسفل صورة يسطس سبعة أسطر بالخط الأرمني، ومع صعوبة نسخها بواسطة فرد عادي إلا أن العالم بالأرمنية يستطيع حل رموزها. ومعرفتنا القليلة بالجماعات الأرمنية التي عاشت في وادي النطرون تجعلنا نؤرخها بالقرن الثاني عشر أو الثالث عشر.

ويعلو صورة أبالي أحد عشر سطراً بالخط السرياني، ولسوء الحظ انطمست بسبب تسرب مياه الأمطار من السقف، وربما ــ وهذا مجرد احتمال ــ تكون أقدم من الرسوم ذاتها. وبجوار صورة أوسابيوس شرقاً توجد كتابتان بالسرياني تحويان تاريخاً محدداً ترجمتها كالآتي:

«أذكر يارب عبدك الضعيف والخاطىء إلياس، بالاسم راهب وكاهن، من بلاد مارد... والراهب السرياني حبيرب و... في ديار الأنبا مقار المقدسة... به. هذه الأمور كانت سنة ١٥٠٧ لجاڤان Javan »(٤٧) (سنة ١١٩٦م).

وفي موضع آخر أسفل منه إلى اليمين:

«أذكر يارب أمي وأبي وأختي وامرأتي... الأنبا مقاريوس وكل القديسين».

وفوق صورة مكاريوس ومغطاة جزئياً بألوانها، توجد كتابة سريانية من أحد عشر سطراً. وبسبب تغطيتها بالألوان وتسرب الأمطار من السقف لم يتبقَّ منها سوى أجزاء قليلة أمكن قراءة الثلاثة أسطر الأولى منها:

(زار) هذا الدير أبانا
مار أغناطيوس البطريرك
الرسولي الأنطاكي(٤٨).

صور الحائط البحري:

على الحائط البحري للخورس توجد صورة بديعة للملاك ميخائيل (لوحة ٤١) مرسومة بنفس

---

(٤٧) أي سنة يونانية.

(٤٨) قد يكون أغناطيوس هذا البطريرك الأنطاكي أغناطيوس الحادي عشر الذي زار أديرة وادي النطرون عدة مرات منها تلك المذكورة في حصن دير أنبا بيشوي: في الصوم الكبير لسنة ١٤٧٣م في شهر أمشير سنة ١١٨٩ش («وادي النطرون»، للأمير عمر طوسون، ص١٩٣).

الأسلوب كباقي شخصيات الحائط القبلي والكنائس المجاورة(٤٩)؛ وأسفل الرسم اسم صاحب الصورة بنفس لون المغرة الصفراء «رئيس الملائكة ميخائيل». والألوان المستعملة هي الأسود لتحديد الخطوط والملامح، والمغرة الصفراء والحمراء مع أرضية الحائط التي بلون الجبس الأسمر، وحول رأسه هالة نورانية وجناحاه مطويان جزئياً و يده اليمنى ممسكة بعصا تنتهي من أعلى بصليب، واليسرى بقرص مستدير عليه صليب، وفوق القميص الداخلي الأحمر يرتدي لباساً أصفر ــ حبرية = Cope مربوطة حول العنق بحِلْية ثمينة من الأمام، والبطرشيل يلتف حول الجسم مرتين في اتجاه واحد مائل من الجنب الأيمن إلى الكتف الأيسر(٥٠). هذا الترتيب في لف البطرشيل صعب التفسير، ومن المحتمل أن الرسام خلط الردائين معاً ورسم ثنياتهما مرتين.

وإلى الشرق قليلاً من رسم الملاك توجد صورة صغيرة، ربما فتاة، رافعة يديها بالصلاة(٥١). ومع أنه لا توجد أية إشارة نستنتج منها شخصيتها إلا أنه من المحتمل أن تكون لإيلاريا ابنة الملك زينون.

حجاب الهيكل:

هذا الحجاب الرائع (لوحة ٥١) قد عانى كثيراً للأسف من الزوار وغيرهم، فالكثير من القطع المحفورة والمنقوشة والمطعمة بسن الفيل أو العظم قد انتُزعت قسراً وما تبقى منها مشوه للغاية بسبب محاولات اقتلاعه(٥٢).

الجزء السفلي:

من الغريب حقاً أن النصف السفلي من الحجاب مع قائمي البـ ـ قد قُطعا وأُزيلا من مكانهما بيد جريئة لا يمكن أن تكون إلا يد راهب متلاف، ثم جرت محاولة لإصلاح هذه الخسارة بتركيب مساحات أخرى أقل إتقاناً، فالجزء الأيمن مقسم بحليات إلى مربعات صغيرة كلٌّ منها

---

(٤٩) من السمات المميزة لهذه الرسومات جميعاً أن إنسان العين يبدو قريباً من عظمة الأنف فتعطي ــ لسوء الحظ ــ انطباعاً بوجود حَوَل في العين.

(٥٠) ربما كان المقصود هو رسم الملاك بالبطرشيل ــ بنفس أسلوب صورته التي بكنيسة أبو سرجة.

أنظر: Butler. II, p. 159, fig. 26.

(٥١) واضح من مقارنة هذا الرسم مع باقي الرسومات أنه بيد أخرى غير يد الفنان السابق. كما أنه لم يرد له أي ذكر في كتاب تكريس كنائس الحصن.

(٥٢) من المرجح أن موضع هذا الحجاب كان أصلاً في كنيسة أنبا مقار الكبرى بالدير. و بسبب ما أصابه من غارات البربر وتدهور حالة الدير في العصور الوسطى، نُقل مُجزَّءاً إلى الحصن في زمن العمارة التي قام بها البطريرك أنبا يؤنس الرابع والتسعين حيث تم تعديله وتجميعه ليتناسب مع وضعه الجديد في كنيسة الملاك ميخائيل. ومع ذلك لم ينجُ من أيدي العابثين التي اقتلعت منه أجزاء كثيرة حتى صار في حالة يُرثى لها. وقد اخترنا الأجزاء التي لم يصبها التشويه لتكون ضمن الحجاب الجديد في كنيسة أنبا مقار الحالية، وأضيف الباب إلى حجاب هيكل كنيسة السواح بالحصن، واحتُفظ بالباقي في متحف الأخشاب بالطابق الأرضي في الحصن.

يحوي صليباً أبيض بالعظم على أرضية سوداء. أما الأيسر فإن هذه الحليات نفسها تحيط بنموذج مكرر من صلبان كبيرة بنهايات ثلاثية مع مسدسات صغيرة وأشكال هندسية أخرى تملأ الفراغات المتخلفة. وهنا أيضاً الأبيض والأسود لتأكيد الطابع العام. وفي وسط الحشوة اليسرى توجد فتحة مغلقة بضلفة خشبية من طراز مخالف تماماً. وتوجد فتحة أخرى على يسارها وأعلى منها بقليل بدون ضلفة. وفي نهاية هذا الجزء من اليسار يوجد فراغ مستطيل كبير مشغول بقطعة من الخشب المفرغ بشكل نجوم ذات ١٢ فرعاً. أما نهاية الجانب الأيمن فيسده باب لا يُفتح، مزخرف بصلبان بسيطة الشكل، ويجاوره أيضاً فتحة تناظر الفتحة التي في الجزء الأيسر، وليس من السهل الحكم على هذه الفتحات إن كانت أصيلة في تصميم الحجاب أم لا.

الجزء العلوي:

وهو ما تبقى من الحجاب الأصلي، مكون من ثلاثة أو أربعة صفوف أفقية من الصلبان المطعمة بسن الفيل المنقوشة نقشاً دقيقاً بزخارف متموجة، والفراغ الذي بين نهايات الصلبان تشغله حشوات سداسية موضوعة مائلة، وهي أيضاً مطعَّمة بسن الفيل ومنقوشة نقشاً مماثلاً للصلبان. ومن كل هذا لم يتبقَّ إلا القليل، وأقل منه ما بقي على حاله الأصلي دون أن تعبث به يد فاقدي الضمير.

و ينتهي الحجاب من أعلى بشريط عريض أفقي تشغله سلسلة من الحشوات المستطيلة، كلٌّ منها يتوسطها صليب كبير من الحفر المطعم، وعلى جانبيه شريطان ضيقان رأسيان، به نقوش عربية قبطية رائعة الحفر والتطعيم.

أبواب الهيكل:

وأخيراً هناك البابان اللذان كانا يوماً ما نموذجاً نفيساً للزخرفة النجمية، أما الآن فحالهما يرثى له، فبالكاد نستطيع أن نعثر على قطعة من هذا التصميم الرائع، فأغلبيته أصابه الإفساد بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٠م(٥٣). أعلى وأسفل كل ضلفة كان يوجد شريط من سن الفيل المنقوش عليه كتابة تحيط بها زخرفة زجزاجية. أما الآن فقد سُرق ثلاث منها ولم يتبقَّ سوى واحدة أسفل الضلفة اليسرى، أما ما كان مكتوباً عليها من أعلى:

«افتحوا لي أبواب البر لأدخلها وأشكر الرب.

دا باب الرب يدخله الأبرار».

والكتابة السفلية والباقية إلى الآن:

---

(٥٣) وُجدت قطع منه ملقاة على سطح القصر وأخرى كاملة محطمة داخل المنجلية سنة ١٩٢٠م. وقارن لوحة ٤٩ و٥٠ التي تم تصويرها سنة ١٩١١ مع لوحة ٥١ التي تم تصويرها سنة ١٩٢٠.

«تمجيدات قد قيلت عليك يامدينة إلهنا. أذكر راحاب و بابل اللتين تعرفاني».
و بالتأكيد كانت الكتابة السفلية على الضلفة اليمنى هكذا:
«أساساته في الجبال المقدسة أحب الرب
أبواب صهيون أفضل من مساكن يعقوب».

تاريخ هذا الحجاب مهم. فالعناصر المميزة في التصميم، وحركة الصليب المكررة، كلها سمات قبطية صميمة قطعاً. لكن التكوين العام وتفاصيل الحشوات الصغيرة والتطعيم بسن الفيل، كل هذا لا يختلف عن الزخارف الإسلامية للقرنين الثالث عشر والرابع عشر. والأمثلة المناظرة هي أبواب جامع البكري (سنة ١٣٧٤م) و بيرسباي (حوالي سنة ١٤٢٢م) وجانب المنبر في مسجد المؤيد (سنة ١٤٦٨ــسنة ١٤٩٦م) والمثل الأخير أكثرهم اقتراباً في تاريخه من تاريخ كنائس الدور العلوي في الحصن. لكن جانب المنبر هذا يبدو في طابعه ميكانيكية التصميم مما يجعلنا نرجع تاريخ الحجاب إلى أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل الخامس عشر على أكثر تقدير. وهذا الإعتبار لو صحَّ يجعلنا نؤرخ كنيسة الملاك ميخائيل هذه إلى ما قبل سنة ١٥١٧م(٥٤) بينما رسومها الحائطية فقط هي التي تعود إلى هذا التاريخ(٥٥).

وعلى الحائط عند النهاية البحرية للحجاب كتابة طويلة في سطر واحد بالخط الأرمني مكتوبة بالمغرة باللون البني الباهت. ولأن الحجاب يغطي جزءاً منها، لذلك لابد أن تكون مكتوبة قبل إقامته. ولم يمكن ترجمتها بدقة، إلا أنها صلاة توسلية. وضياع تاريخها أمر يؤسف له. كما أن ترميم الكنيسة في العصر الحديث طمس جزءاً كبيراً منها.

هيكل الكنيسة:

الأرضية مغطاة ببلاط حجري ٣٢×١٦ سم في صفوف متوازية تحيط بالمذبح. وعلى جانبي المدخل زوجان من الأعمدة الرخامية من النوع المنحوت قطعة واحدة = monolithic لها تيجان مزخرفة بورق الأكانثس بشكل بديع، وواحد منها ما زالت عليه بقايا من ألوان حمراء وزرقاء. وآخر يحمل في حافته العليا نقش صليب بارز. وتعلو هذه التيجان الركائز التي منها يبدأ عقد دائري من الطوب الأحمر المكسو بالبياض. وفي واجهة العمود الأول على يمين مدخل الهيكل صليب تكريس مختفي خلف الحجاب مماثل تماماً للموجود على آخر عمود غربي في صحن الكنيسة، وله أيضاً ثقوب لتثبيت الشرائط المعدنية التي تربطه مع المباني المجاورة =

(٥٤) هذا الإستنتاج الذي وصل إليه المؤرخ إفلين هوايت صحيح، كما اتضح من كتاب تكريس كنائس الحصن، والذي لم يطلع عليه المؤرخ، وهو أن كنيسة الملاك كانت قائمة وقتئذ.

(٥٥) تبليط الكنيسة معاصر للحجاب. أما الأعمدة والسقف فمن المحتمل أن تكون قد أضيفت سنة ١٥١٧م ــ الأعمدة والتيجان نفترض أنها مأخوذة من إحدى مجموعات القلالي الخربة.

Dowel holes. والعمود الشرقي الذي على يسار مدخل الهيكل عليه هذه الكتابة: ⲁⲃⲃⲁ ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ أسفلها صليب على قاعدة نصف دائرية ترمز إلى جبل الجلجثة حيث صُلب السيد المسيح. والكتابة منحوتة بالأزميل بعناية و بعمق حتى أنها ليست مجرد كتابة منقوشة. ألا يجوز أن هذا العمود كان يحمل يوماً ما رسماً للقديس ثم انطمس(٥٦)؟!

أما العمودان الملاصقان للحائط الشرقي للهيكل فهما مماثلان في الارتفاع وفي كل الاعتبارات لأعمدة صحن الكنيسة ذات القطعتين. و يوجد صليب بثمانية أطراف على الواجهة الغربية للعمود الأيمن منهما مشابه للصلبان السابقة.

ورخامة المذبح صغيرة ٩٢×٩٢ سم من النوع الذي يجمع بين المربع ونصف الدائرة ولها حافة قليلة الارتفاع. وعلى أرضية الهيكل بجوار المذبح شمعدان كامل من الرخام غير المنقوش ارتفاعه ٦٣ سم(٥٧).

وفي الحائط الشرقي توجد أيضاً «الشرقية» المعتادة وهي ارتداد نصف دائري يعلوه عقد نصف دائري، وعلى جانبيه عمودان صغيران من الرخام القاتم اللون ارتفاع كل منهما متر واحد. وبجوار الشرقية من قبلي ومن بحري كوّتان صغيرتان مغلقتان من خارج ولهما عتب مثلث الشكل، وفي بياض الحائط البحري للهيكل محفور أسماء ثلاثة من الزوار الأجانب في القرن السابع عشر بالحروف اللاتينية:

كلود دوران ١٦٤٠؛ م. م. سنة ١٦٤٠؛ أنطوان با... سنة ١٦٤٤(٥٨).

صندوق أجساد البطاركة (والآن بكنيسة أنبا مقار):

مقابل الحائط القبلي للهيكل يوجد صندوق خشبي كبير حديث الصناعة فيه أجساد تسعة من البطاركة(٥٩). وكما يظهر من بقاياهم أنها ليست محنطة بل يابسة. ومن النظر إليها خلال فتحة في ثنايا الأغطية التي تلفها، كان لون الجلد ليس بنياً محروقاً أو أسود كالعادة في الأجساد المحنطة لكنه أصفر قاتم في لون الرقوق الجلدية العتيقة. وتوجد صُرَّة صغيرة بها عظام قيل أنها ذخائر إيلاريا ابنة زينون (وهذا رأي أغلبية الرهبان) أو ذيوس ابن الوزير الذي استشهد مع التسعة والأربعين شيوخ شيهيت.

---

(٥٦) من المخطوطة القديمة التي تحكي خبر نقل جسد القديس أنبا مقار إلى ديره ببرية شيهيت في ١٩ مسرى يتأكد لنا أنه كانت للقديس صورة على عمود في كنيسته.

(٥٧) محفوظ مع باقي القطع الرخامية بمتحف الدير بجوار مبنى المكتبة.

(٥٨) من المحتمل أن يكونوا من المبشرين أو من صيادي المخطوطات، وقد زالت هذه الأسماء مع إعادة بياض الحوائط.

(٥٩) يقول بطلر سنة ١٨٨٤م أنه عاين عظام ستة عشر بطريركاً، ولكن الرقم المذكور عاليه هو الصحيح كما يظهر من مخطوطة تكريس كنائس الحصن (راجع ص٦٠٦).

وكما هو في كنيستي السواح والأنبا أنطونيوس، هكذا هنا أيضاً يوجد صفٌّ من الفتحات في الحائط البحري عبارة عن نوافذ صغيرة مستطيلة تحت السقف مباشرة، وصفٌّ آخر تحته من فتحات أوسع بأعتاب مستديرة. وتشاهَد آثار هذه الفتحات في سائر حوائط الطابق الأخير لأنها مسدودة الآن وهذا الطابق أعلى من أن تصل إليه سلالم التسلق، كما أنه لا توجد علّة تجعل المصمم لا يسمح بفتحات أكثر عدداً واتساعاً؛ وحتى في حالتها الراهنة حيث النوافذ الواسعة والمنافذ الضيقة جميعها مسدودة تماماً، ومع هذا فمازالت إضاءة هذا الطابق وتهويته كافيين. وإذا افترضنا جدلاً أن النوافذ المسدودة والسابق الحديث عنها كانت مفتوحة، فالضوء الذي سينفذ لن يكون ذا منفعة كبيرة لانخفاض مستوى النوافذ إلى قرب الأرضية، بالإضافة إلى تسلل الحشرات والذباب وازدياد التيارات الهوائية والرياح والغبار والحرارة. ويوجد البعض من هذه الفتحات مسدوداً من الخارج فقط وأما من الداخل فتصل فتحتها إلى سطح الأرضية، وهذا يوحي بأنها أبواب متشابهة الإتساع والشكل، وربما كانت تؤدي إلى مشاية أو بلكونة معلقة من الخشب تحيط بالدور العلوي كله وتُعتبر بهذا مكان ترويح للرهبان والزائرين(٦٠). فإن صح هذا الإفتراض تكون النوافذ النصف دائرية هي سلسلة من فتحات على شكل بواكي في حائط الفراندة تسمح للضوء والهواء أن يتخللا الحجرات المطلة على الفراندة. أما الإضاءة المباشرة لهذه الحجرات فتكون من النوافذ العلوية الصغيرة المستطيلة حيث نفترض في هذه الحالة أن تكون مباشرة فوق سقف الفراندة الخارجي. ولا أعلم هل توجد آثار في مصر مماثلة لهذا التصور أم لا.

وإذا كان افتراضنا هذا صحيحاً فالتصميم الأصلي لهذا الطابق يختلف كلية عما هو الآن. هذا لا يعني أن التقسيم العام إلى حجرات يرجع إلى تعديلات متأخرة، لكن من الواضح أن الثلاث الحجرات الشرقية لم تكن أصلاً كنائس وإنما حدث تعديل لتهيئتها لهذا الغرض في عصر متأخر نسبياً. فكنيسة الملاك ترجع إلى أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل الخامس عشر. والكنيستان الأخريان في أوائل القرن السادس عشر. أليس من المحتمل أن الطابق العلوي كان معداً أصلاً لاستقبال الزوار(٦١)؟

سطح القصر:

والوصول إليه عن طريق ثلاث قلبات في السلم. وهو سطح مستوٍ لا يقطعه سوى الجزء العلوي في صحن كنيسة الملاك وقباب الهياكل الثلاثة. ويحيط به دروة مستوية من المباني

(٦٠) يذكر أبو صالح الأرمني مراراً أن هذا أو ذاك الحاكم المسلم اعتاد التردد على دير ما لأجل النزهة والترويح. فقال عن دير القصير: «إنه كانت فيه منظرة (مندرة) خماروية ابن أحمد بن طولون في الطابق العلوي لحائطه الشرقي». وفي قصر دير طمويه ــ والدخول إليه من الكنيسة ــ «كانت في طابقه العلوي مندرات جيلة».

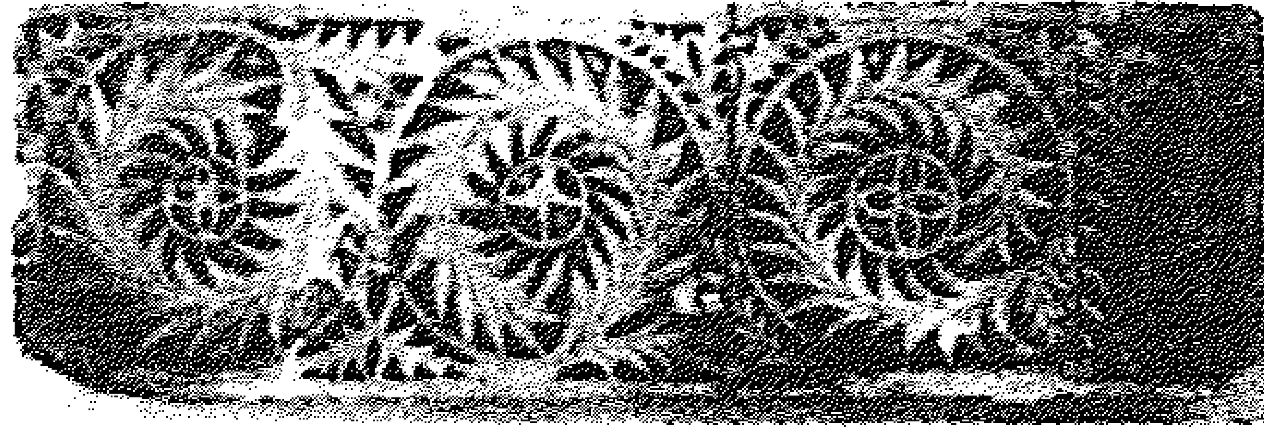
(٦١) من الملاحظات الجديرة بالإهتمام في هذا الصدد أن الرهبان يسمون بيت الضيافة المبني حديثاً: «القصر الجديد» تمييزاً له عن «القصر القديم» أي الحصن وهذا شائع في باقي الأديرة.

المكسوة بالبياض والخالية من أية أفاريز أو كرانيش (٦٢).

تاريخ انشاء القصر:

في وضعه الأخير بعد التعديلات، ثبت وجوده قبل سنة ١١٩٦م حسب ما تحدده الكتابة السريانية الموجودة على الحائط القبلي لكنيسة الملاك. كما أنه ليس من السهل تحديد تاريخه بدقة. وقد رأينا من قبل أن الأسوار التي أقامها البابا شنودة البطريرك (الـ٥٥) شملت حصوناً (= أبراج) ربما منها هذا الحصن، لكن من المستحيل أن نقطع بأن القصر الحالي هو أحدها. لكننا نقرر بتأكيد أن الطابقين السفليين مبنيان معاً وهما من عصر مبكر و يكوّنان وحدة معمارية متكاملة يتحدد تاريخها بالسمات التي يتميز بها شكله وكيفية انشائه. ففي مصر العليا، وفي كنائس المدافن بالبجوات بالواحات الخارجة نجد أمثلة كثيرة من القباب المماثلة ترجع إلى القرن الخامس. وهذا ما يجعلنا نجزم بالقول أن هذا الحصن الأثري العظيم هو كما يروي لنا التاريخ الرهباني من مآثر القرن الخامس، و بالتحديد من أعمال الملك زينون. وفي وادي النطرون نجد الحجرات المقبية في حصن دير السريان تتشابه جزئياً مع هذا القصر. فبينما نجد القبة في كليهما من النوع النصف الكروي المفطوس Clipped hemi-spherical dome إلا أنه توجد اختلافات لا حصر لها بين القبو النصف الإسطواني المنخفض في حصن دير السريان والحجرات العالية القباب في حصن دير أنبا مقار.

وإن قيام هذا الحصن العتيق في هذه البرية الجرداء ليحكي بنفسه قصة الحركة الرهبانية في أوج ازدهارها كما يروي في صمت حزين مقدار ما عانته الأجيال الرهبانية من غزوات البربر على ممر العصور.



إفريز من الحجر المحفور مأخوذ من القاعة B في دير باويط (قرن ٦/٧)
[متحف اللوفر بباريس]

---

(٦٢) بعد تقوية حوائط الطابق الأول للحصن بالشدادات والأعمدة والعقود الخرسانية، وترميم جميع التصدعات الخطيرة في مبانيه، أمكن عمل سطح بالخرسانة المسلحة ذي دروة مسننة ذات شكل خاص بالحصون. و يتميز السطح حالياً بظهور قبوات عالية لصحن الكنائس الثلاث فيها فتحات التهوية والإنارة، وقباب بيضاوية الشكل فوق الهياكل. ثم تمَّ بياض جميع الأجزاء المرممة بنفس لون البياض القديم ليبقى للحصن طابعه القديم.

الفصل الثالث

كنيسة القديس أنبا مقار المسماة بـ«الكنيسة الكبرى، أو الجامعة»

□□□□□

ينقسم الدير من الداخل إلى قسمين متساويين تقريباً بواسطة مجموعة من المباني اتجاهها العام هو الشرق والغرب (لوحة ٢٦)، الجزء البحري مسطح رباعي الشكل تقريباً يشمل فناء مفتوحاً يتوسطه بئر، وساقية(١) بالطوب الأحمر أُقيمت حوالي سنة ١٩١١. ولكن ماء البئر صار مالحاً بدرجة جعلته عديم الفائدة. لذلك تدهورت حديقة النخيل التي كانت أحد معالم الدير المبهجة في وقت ما. ويحيط بالساقية ما تبق من هذه الحديقة. والضلعان الشرقي والبحري للفناء يحدُّهما صفان من القلالي وكنيسة القديس أنبا مقار التي تمتد حتى زاوية السور البحرية الشرقية. وبيت الضيوف أقيم قبلي الفناء مع صف حديث من القلالي. أما غرب الفناء فهو كنيسة صغيرة على اسم التسعة والأربعين شيخاً وبداية صف رابع من القلالي.

والنصف القبلي للدير ليس سهلاً تحديد معالمه. فالأسوار قائمة في الناحيتين الشرقية والقبلية، وبيت الضيوف وكنيسة أباسخيرون في الناحية البحرية، وغرباً توجد المائدة وفرن الخبز. وبعد هذا تتبقى مساحة غير منتظمة يشغل جزءاً منها أكوام المخلفات وبعض حظائر حديثة ثم حديقة موالح زُرعت أخيراً (لوحة ٢٩و٣٠).

هذا التقسيم المرتب بالنسبة للمباني الرئيسية التي تحيط بالفناء البحري تقسيم مزيف. فالأمر لم يكن هكذا في نهاية القرن الحادي عشر مثلاً حيث كانت كنيسة القديس أنبا مقار الكبرى تغطي كل مساحة الفناء مع ملاحظة أن الدير كان أوسع مما هو عليه الآن مما يهييء للكنيسة مساحة خالية محيطة بها من جميع الجهات. والكنيستان الصغيرتان القائمتان الآن كانتا إما من بقايا الكنيسة الكبرى وإما من عصر متأخر. والجزء القبلي حيث كان له باب مستقل كان يحتوي

(١) وهي موضوعة الآن في الفناء قبلي حصن الدير.

على المنافع العامة: أجران حبوب، أنواع مختلفة من المخازن، قلالي ذات صلة بالمنافع... وهناك ما يدعو إلى الإعتقاد بأنه كان يشمل «الكنيسة الجامعة» التي ربما كانت تحتل الجزء القبلي الملاصق للجانب الشرقي للمائدة. علينا إذن أن نتصور هذا الدير بغير أفنية فسيحة حتى زمن قريب.

كنيسة القديس أنبا مقار الحالية:

تشغل، كما قلنا، الناحية البحرية من الفناء. حدُّها البحري يبعد أقل من مترين عن سور الدير البحري في حين أن واجهتها الشرقية تبعد عن سور الدير مسافة كبيرة مردومة حالياً إلى ارتفاع أربعة أمتار لتقوية الأسوار أو حوائط الكنيسة. هذا المسطح المردوم يمتد شرقاً خلف صف القلالي الشرقي حتى بوابة الدير. والكنيسة في حالتها الراهنة (أنظر اللوحة) عبارة عن خورس مستعرض(٢) اتجاهه بحري قبلي، وثلاثة هياكل، الأوسط والبحري منها باتساع معقول، أما القبلي فهو عبارة عن قلاية طويلة ضيقة. وبدون وجود أية قرينة، لا نتردد في اعتبار هذا المبنى بقايا لما هو أكبر وأضخم.

الأجزاء الضائعة من الكنيسة:

مصادر القرنين الثاني عشر والرابع عشر لا تدع أي شك في أن الكنيسة القائمة الآن مجرد أثر ــ ولو أنه ثمين ــ لبناء شامخ عظيم، منها نعلم أن الكنيسة كان لها أربعة هياكل يتوسطها قلاية «المجلس». وغرب الخورس كان يوجد صحن متسع مقسم إلى أربعة أروقة بواسطة صفوف من البواكي اثنان منها (إن لم يكن ثلاثة) كانت لهياكل أو كنائس جانبية معروفة أسماء أصحابها.

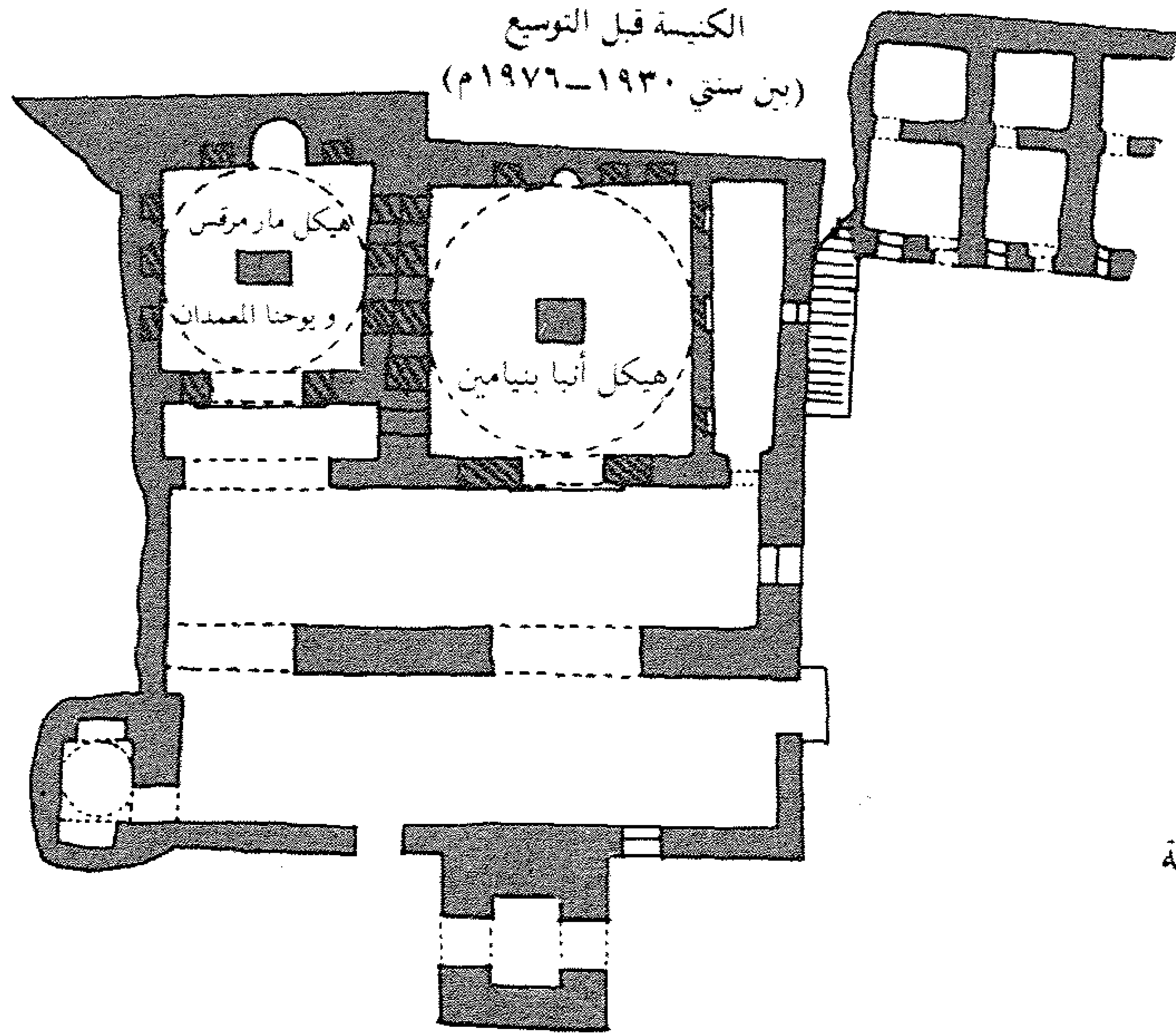
الهياكل الخربة:

البحري والأوسط من الهياكل الثلاثة هما من العصور الوسطى وكانا على اسمي بنيامين ومار مرقس، والقبلي هو قلاية المجلس التي كانت بين «الهياكل». والمصادر القديمة توحي بأن الهياكل الضائعة كانت مساحتها لا بأس بها، فلو افترضنا أن كلاً منها كان مساوياً في مساحته للهيكل البحري ــ وهذا تقدير معقول ــ فلا بد أن الهيكلين الناقصين كانا يشغلان المساحة الواقعة بين حائط الكنيسة القبلي الحالي حتى بيت الضيوف، وربما أبعد من ذلك(٣) إذا كان لهيكل شنودة

---

(٢) هذا الوصف قبل إضافة صحن الكنيسة والمنارة الحالية على أيام أنبا أبرام رئيس وناظر الدير ومطران البلينا سنة ١٩٢٩م.

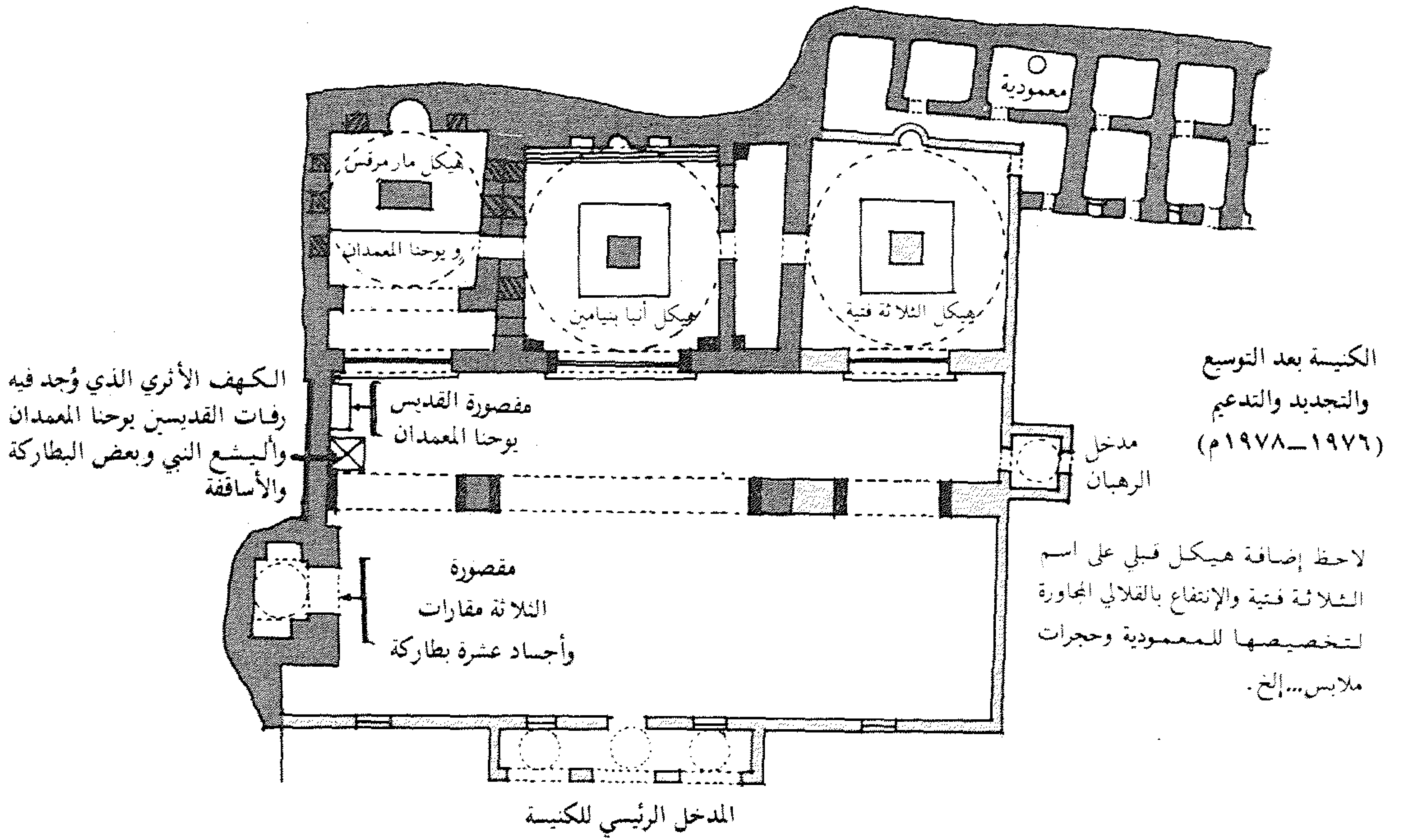
(٣) يؤكد الرهبان سنة ١٩٢٠ أن الهياكل الضائعة قد هدمها ربِّيتة مجنون في عهد قريب، وأن أساساتها ودهان أرضيتها قد عُثر عليها أثناء حرث تربة الجزء الشرقي للفناء لإعداده للزراعة. ويقررون أيضاً أنها كانت أصلاً سبعة هياكل ممتدة جنوباً حتى الحصن. فلو كان هذا صحيحاً فلا بد أنه كان لكنيسة أنبا شنودة في نهاية الحد القبلي للهياكل هيكلان ضيقان على نظام القرن التاسع، وأن سيكار حذفها من روايته لعدم وجود مذابح فيها. وأثناء توسيع الكنيسة سنة ١٩٧٥ قامت هيئة الآثار بعمل حفريات قبلي الكنيسة وقتئذ فعثرت على الأساسات والحوائط التي حكى الرهبان عنها للعالم إڤلين هوايت، وقامت الهيئة برفعها وتسجيلها في ملفاتها. والهيكل القبلي الحالي في الكنيسة والذي تكرس على اسم الثلاثة فتية أقيم على أساسات هيكل قديم ما زالت آثاره ظاهرة على درجات هذا الهيكل.



كنيسة أنبا مقار

قديماً وحديثاً

= مباني قديمة
= فتحات مسدودة
= مباني حديثة
= أعمدة ودعامات مسلحة



مذبحان على جانبيه. ولا يمكن تعيين الحد الشرقي لهذه الهياكل لاستحالة عمليات الجس، والمفروض هنا أنها متطابقة مع الواجهة الغربية لصف القلالي الشرقي(٤)، والذي تبقى من حائطها هو الأساس الذي كانت مقامة عليه درجات السلم الصاعد إلى الحصن. وليس بالأمر المستغرب أن تمتد هذه الهياكل غرباً على امتداد الواجهة الغربية للهياكل الحالية، فكنيسة أنبا شنودة كانت أصلاً مستقلة ثم أقيم هيكل أبو مقار ليملأ الفراغ بينها و بين هيكل بنيامين... وكان هناك اتصال بين هذين الهيكلين و بين الثلاثة الهياكل في الجهة البحرية منها بواسطة أبواب خارجية، كما كان سقفها مقبياً.

صحن الكنيسة الكبرى:

لا بد أن اتساع الصحن كان مساوياً للعرض الكلي للأربعة الهياكل مع قلاية «المجلس» حيث كان كل رواق من الأربعة الأروقة يقابل أحد الهياكل. و بالتالي فالحائط القبلي للصحن كان لا بد قائماً في موضع صف القلالي قبلي فناء الدير الحالي (والذي أُنشىء عام ١٩١٠–١٩١١)، و يُظن أن حائط كنيسة أبسخيرون البحري كان جزءاً منه، وأن خورس وصحن كنيسة أبسخيرون المقبي كانا مدخلاً مسقوفاً (= Porch) للكنيسة الكبرى.

وأما عن الحائط البحري للكنيسة فلا بد أن يكون الهيكل البحري للكنيسة هو نفسه هيكل مار مرقس المذكور في مخطوطات القرن الثاني عشر. ونحن نعلم أنه كان يوجد مقابل هيكل مار مرقس رواق. فإذا امتددنا غرباً بالحائط البحري لهذا الهيكل فسنصطدم بصف القلالي بحري الفناء. هذه القلالي وإن كانت ليست حديثة إلا أنها من وقت متأخر نسبياً، ربما من القرن السادس عشر، كما أنها تغطي غالبية المساحة البحرية للصحن. والواجهة الشرقية لهذه القلالي مقامة جزئياً على أساس حائط قديم(٥)، يبرز واضحاً فوق سطح الأرض الحالية. هذا الأساس غير معروف التاريخ، لكن موضعه واتجاهه يوحي بأنه إما أن يكون الحائط البحري الأصلي لكنيسة أنبا بنيامين في القرن التاسع، وإما أنه أساس أو قواعد صف الأعمدة التي تحدد رواق مار مرقس من سائر صحن الكنيسة. وفي إصلاحاتنا الأخيرة بعد أن كشفنا على السور البحري وجدنا باباً معقوداً يُعتقد أنه كان باب كنيسة أنبا مقار البحري، وهو العقد الأثري الجميل الذي يعبر منه

---

(٤) وهذا للأسباب التالية: ١ – هذا الصف من القلالي كان موجوداً بالتأكيد قبل سنة ١٧١٥م حينما كانت هذه الهياكل ما زالت قائمة، ٢ – يحتمل جداً أن هذا الصف من القلالي كان يفتح شرقاً في الفراغ المحصور بينها و بين السور الشرقي للدير، أما المداخل الغربية الحالية فقد فتحت بعد ما خربت هذه الهياكل، ٣ – في دير البرموس توجد حالة مماثلة، إذ أن القلالي تتاخم الحد الشرقي للكنيسة.

(٥) هذا الحائط مغطى بالبياض المألوف في واجهته القبلية، وهذا يعني أن أرضية هذا الصف من القلالي مرفوعة بقدر ملحوظ. ومن الواضح أن السطح العلوي لطرف القلالي الغربي هو واجهتها بعرض ٤ أمتار. وكلما اتجهنا شرقاً يأخذ حد المباني في الإقتراب من أساس الحائط القديم المقامة عليه.

حالياً الزائر في نزوله إلى فناء الكنائس.

ولتحديد طول الصحن التقريبي هناك معادلتان. يقول سيكار إنه شاهد في الكنيسة عشرين عموداً رخامياً، وهي بالتأكيد كانت قائمة في الصحن، والتي يذكرها كتاب «تكريس الميرون» أنها صفوف أعمدة أروقة الكنيسة المذكورة. وفي الرسم الإفتراضي للكنيسة الكبرى تُرى هذه الأعمدة موقعة على صحن الكنيستين القديمتين «أنبا بنيامين وأنبا شنودة» (و يكون لكل صحن منها ست بواكي). أما بواكي الكنيستين المضافتين ــ مارمرقس وأبومقار ــ فلها دعامات ضخمة(٦) مقتطعة من الجدران السميكة للكنائس الملاصقة لها. فإذا افترضنا أن الأعمدة على مسافات ٢٫٧٥ متراً من بعضها، وأقل اتساع ممكن للممشي الغربي هو ٣٫٠٠ متراً حسب ما هو متبع في كنائس أديرة الصحراء، يكون الطول الإجمالي للصحن هو ١٦٫٧٥ متراً. ولو أنه لا توجد أية محاولة ولو صغيرة للتنسيق المنظم في العمارة القبطية، إلا أنه يوجد قياس تقريبي للنسب على كل حال. فالهيكل الكبير لا بد له من صحن كبير يتناسب معه. ففي كنيسة العذراء بدير السريان وهي معاصرة لكنيسة أنبا بنيامين، نسبة طول الهيكل والخورس إلى الصحن هي ٢ : ٣. فإذا طبقنا هذه النسبة التقريبية على الكنيسة الكبرى يكون طول الصحن هو ١٧٫٢٥ م أي بزيادة قدرها ٥٠ سم عن الإفتراض الأول. وربما يكون انتهاء الأساس القديم المقام عليه صف القلالي البحري على مسافة أقل من ٢٠ متراً من حائط الكنيسة الغربي الحالي (سنة ١٩٢٠) من الأمور ذات المغزى في هذا الصدد. ومهما يكون الشكل الصحيح للكنيسة فما لا شك فيه أن صحن الكنيسة كان يمتد غرباً حتى كنيسة الشيوخ الصغيرة التي ربما كانت متصلة بها بطريقة غير معروفة لنا. وباختصار، كان صحن الكنيسة باتساع أكبر من الفناء البحري الحالي وطوله يغطي ضلع الفناء من الشرق إلى الغرب.

أما نوع السقف الذي استُعمل لتغطية الكنيسة فغير مؤكد(٧). فهناك تلميح عرضي في مصادر القرن الحادي عشر يدل على أن جزءاً ما من الكنيسة ــ غير محدد ــ كان يحمل سقفاً خشبياً، بينما بقايا الصحن التي كُشف عنها سنة ١٩١١ وأمكن تسجيلها بدقة (لوحة ٤٧ و٤٨) يظهر منها أن الطرف الشرقي للرواق البحري كان مقبياً. أما التفاصيل والمشتملات الأخرى فنعلم أنه كان هناك «لقان» للغسلات الطقسية في رواق بنيامين، وأيضاً إنبل (=منبر) ربما في نفس المكان حيث أن موضعه لا بد أن يكون في الجانب البحري كالعادة.

---

(٦) افتراض الدعامات ــ التي تجاهلها سيكار بالطبع ــ لازم، فلا يُعقل أن أربعة صفوف من الأعمدة، بعضها نحيف، تحتمل أربعة أسقف باتساع كبير هو عرض الصحن.

(٧) في المسقط الإفتراضي، اعتُبرت كنيستا القرن التاسع بأسقف خشبية، والإضافات المتأخرة من قباب نصف إسطوانية على دعامات.

تهدّم الصحن:

ليس هناك ما يستحق الدهشة في اختفاء هذا الصحن. فحينما تناقص عدد الرهبان إلى ما يقرب من أصابع اليد، ما عاد هذا البناء الفسيح ذا منفعة لهم، لذلك لم يهتموا إطلاقاً بترميمه. وكما يظهر من وصف Huntington & Thévenot في القرن السابع عشر نعرف أن الكنيسة كانت تهاوى، وفي بداية القرن الثامن عشر شاهد سيكار الكنيسة نصف متهدمة. و بعد ز يارة سيكار هذه لم نسمع شيئاً عنها لأكثر من قرن ونصف، وسكوت كورزون Curzon وتيشندورف يعني أن الخراب المحتوم قد حدث قبل ز يارتيها المتتاليتين. و بطلر هو أول من تحدث في القرن التاسع عشر عن بقايا ما زالت قائمة من الخورس بحائط جزئي يفصله عن باقي الكنيسة غر باً، كما يصف الناحية الغر بية بأنها غير منتظمة الشكل. أما «جاييه» في بداية القرن العشر ين فهو أكثر تفصيلاً، فبعد أن ذكر أن الخورس منفصل عن الصحن بحجاب خفيف يستأنف قائلاً: «توز يع الأروقة أقل انتظاماً أيضاً، فمع أن الصحن غير منتظم على الإطلاق إلا أنه يحوي ثلا ثة أروقة غير محددة جيداً... و يز يد من صعوبة تحديدها وجود ارتداد في سُمك الحائط، وتوجد أيضاً ثلاث دعامات ضخمة موزعة توز يعاً حسناً تعيد شيئاً من النظام إلى هذه الفوضى. والنتيجة هي إبراز رواق واحد فقط. و بيت القر بان؟!= Matronikion موضوع في الزاو ية البحر ية الغر بية و يبدو مستقلاً. والمدخل المسقوف = narthex موجود مقابل الهيكل الأوسط وراء الأكتاف البارزة من الحوائط، كما أنه يبرز في واجهة الكنيسة من الخارج». و يقول أيضاً: «وفي المدخل المسقوف نجد نفس المعالم المميزة وهي قبة مشابهة لقباب الهياكل وأيضاً العقد الذي بينه و بين الرواق مدبب، والدعامتان اللتان أمامه متصلتان بعقد مشابه».

من الصعب أن نحصل من هذا الوصف على شكل الصحن الذي كان وقتذاك. كل ما نعلمه أن المدخل من الصحن إلى الخورس كان عن طر يق عقد له أر بعة مراكز استدارة = Four-centered arch ، وأن الصحن نفسه كان ينقسم إلى ثلا ثة أروقة بواسطة دعامات ضخمة عديدة، إثنتان منها كانتا تواجهان مدخل الخورس وتحملان عقداً. ومقابل الهيكل كان يوجد ارتداد ضيق مغطى بقبة. ربما كان هذا الصحن يشابه صحن كنيسة الشيوخ حيث الثلا ثة الأعمدة منتظمة في صف واحد موازي للحائط الغربي للمذابح. فإذا كان الأمر هكذا، فصحن كنيسة القرن الرابع عشر قد تهدم بالتأكيد، وما رآه بطلر وجاييه هو مجرد بقايا حُفظت من الإنهيار واستُصلحت لاستخدام الكنيسة.

بل إن ما رآه جاييه قد اندثر أيضاً في غمرة التعمير الذي اجتاح الدير سنة ١٩١١. لكن المساقط والقطاعات والصور الفوتوغرافية التي عملت قبل انتهاء التعمير (١٩١٠ — ١٩١١) حفظت لنا الكثير من التفاصيل التي ضاعت تحت الواجهة القبيحة الشكل التي أُقيمت (لوحة

٤٧ و٤٨). ومنها نعرف أن الحائط الغربي للخورس كان يتخلله بواكي كبيرة معقودة مقابل الهيكلين البحري والأوسط، وباب صغير بعتب مستقيم مقابل الهيكل القبلي. وحتى هذا التاريخ كان ما زال باقياً جزء صغير من قبو مدبب بالطوب الأحمر المكحول يستند على دعامة ضخمة كانت لا تزال قائمة قبل مدخل الخورس المواجه للسور البحري. كما أن كتفي دعامة عَقْد المدخل المواجه للهيكل الأوسط يبرزان من الخارج بمنسوب أعلى منها في الداخل، أي أن ارتفاع الكتفين من خارج يصل إلى سقف الصحن الباقي. وعندما نلاحظ أن نهايتها العلوية من خارج على نفس منسوب بداية قبو الخورس نستنتج واثقين أن هذين الكتفين كانا يحملان إما قبواً مدبباً أو سقفاً خشبياً اتساعه يساوي فتحة قبو الخورس.

هذه البقايا البسيطة من الأسقف الممتدة غرباً فوق مداخل الخورس هي آخر آثار رواقي أنبا بنيامين ومار مرقس حيث كان يمر فيها موكب خميس العهد الإحتفالي. وحتى هذه أيضاً قد ضاعت وأُقيم عوضاً عنها واجهة غربية للكنيسة ذات شكل قبيح باللون الأصفر يتخللها بابان من خشب رخيص من إنتاج أحد المصانع الإيطالية أو الفرنسية(٨).

آثار من الصحن القديم:

في الفناء وفي القلالي المجاورة له تُشاهَد أجزاء من الأعمدة الرخامية التي عاينها سيكار. ويبدو أنها من طرازين مختلفين من جهة السُمْك. الطراز الأول له تاج كبير من الرخام الأبيض مزين بحفر قليل البروز بورقة أكانثس acanthus ارتفاعه ٥٤ سم وقطر قاعدته ٣٣ سم. وأما أعلى التاج فهو شكل رباعي غير منتظم، مقاسات أضلاعه ٤٤ و٤٣ و٤٤ و٣٣ سم، والشبيه الوحيد لهذا العمود هو في أقصى الجانب البحري بكنيسة الشيوخ، ولا توجد بقايا من أعمدة تتناسب مع هذا التاج.

والطراز الثاني أكثر نحافة وبقاياه كثيرة ملقاة في الدير أو مستعملة كدرجة في مداخل القلالي، ويوجد واحد منهم كامل في ارتفاعه محفوظ بإحدى القلالي الشرقية وإن كان سطحه متآكلاً، يصل ارتفاعه إلى ١ر٣٠ متراً (بعض الأعمدة المهشمة ارتفاعها ١ر١٤ و١ر٢٠ و١ر٣١ متراً) والقطر السفلي ٢٩ سم والعلوي ٢٥ سم. وهذا الطراز كان مستعملاً في أغراض دينية (أي مباني ذات استعمال طقسي كنسي) كما هو ثابت من بقايا أحد هذه الأعمدة كان محفوظاً بقلاية شرقية أخرى حيث محفور عليها صليب تكريس على بعد ٣٤ سم من أسفله.

وقرب الساقية في الفناء توجد قاعدة تكمل طراز الأعمدة الذي نحاول أن نعيد تركيبه، تتكون من مربع ارتفاعه ٣٤ سم يعلوه ربع عمود ثم تجويف داخلي وأخيراً حلية دائرية. وقطر الجزء

(٨) هذه الأوصاف للكنيسة قبل عمارة أنبا أبرآم الأخيرة سنة ١٩٢٩م.

العلوي الذي يستريح عليه العمود عند تركيبه على هذه القاعدة هو ٢٩ سم.

لوحة رخامية رائعة النقش:

شاهد «إيوالد فولز» قرب كنيسة القديس أنبا مقار قطعة رائعة من الحفر البارز اعتبر أنها جزء من بناء المذبح أو إنبل قديم أثري. و يرجّح أن تكون هي المحفوظة بالهيكل القبلي (لوحة ٤٤)(٩)، وهي لوحة من الرخام الأبيض ارتفاعها ٩٢ سم وعرضها ٦٣٫٥ سم ولكن جانبها الأيمن بكامله ــ وعرضه ٢٦ سم ــ مكسور وضائع، كما أنه ينقص منها الركن الأيمن العلوي. ورِقّة سمكها ونعومة ملمسها من الوجهين تبين أنها كانت موضوعة لتكون مكشوفة من كل من الجانبين. والنقش ينحصر في إطار مربع يتوسط اللوحة طول ضلعه ٦٦ سم يحيط به حافة عالية بعرض ١٣ سم. والشكل الرئيسي في التصميم هو صليب كبير بارز يخرج من أسفله غصنان متماوجان تجلس عليهما حمامتان متواجهتان، وخلفية اللوحة مزدانة بزخارف متماوجة يجمعها قوس دائري من زخرفة ورق الشجر المنتظم، ويحمل هذا القوس من الجانبين عمودان مستويان لكل منها قاعدة وتاج. والمساحة المحصورة بين أعلى القوس وزاوية اللوحة مزينة بزخرفة مأخوذة من سعف النخيل المتماوج. والطابع العام للوحة يدل على أنها من العصر المملوكي، بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

و يوجد شبيه بهذه الزخرفة في ضريح وجامع قايتباي بالقاهرة. وهو لوحة رخامية طولها حوالي ٢٫٠٠ متران ينتهي طرفاها بقائمين مربعين من الرخام، كلٌ منهما ينتهي من أعلى بما يشبه المقبض المخروطي، و يزينها قوسان يحيط كل منها بمجموعة زخرفية من نباتات متماوجة تقارب في مجموعها شكل الصليب الذي في اللوحة التي نحن بصددها، ولكنه مشكَّل بطريقة تتناسب مع المبنى الإسلامي الموضوعة فيه. والتشابه الشديد الذي بين اللوحتين يجعلنا نستنتج أن العمودين المدفونين على مائدة مذبح كنيسة العذراء بالقصر ولهما نهاية مخروطية لا بد أنهما كانا مع اللوحة المذكورة يكوِّنان مجموعة متكاملة رائعة. وأما استعمالها فيحتمل أن يكون أحد جوانب مُنشأ مستطيل الشكل حيث تكون هذه القوائم هي أركانه الأربعة، ربما كانت حاجزاً يحيط باللقان مثلاً أو بأجساد القديسين إذا كانت مكشوفة للعرض.

هناك أيضاً قطعة من الرخام الأبيض ١٨٫٥ × ٢٥ سم تحمل نقشاً لصليب بثمانية أطراف، ربما كان صليب تكريس على أحد الحوائط، وكانت في سنة ١٩٢٠ مستعملة بإحدى القلالي الشرقية شمعداناً(١٠).

---

(٩) هي الآن معروضة بمتحف الدير.

(١٠) الآن في متحف الدير ومُطعَّمة بالصدف اللامع.

الخورس والهياكل الحالية

الخورس:

وهو من الطراز المستعرض كالمألوف. ولو أنه رباعي الشكل إلا أنه ليس مستطيلاً، وعند تجديد الكنيسة سنة ١٩١١ رفعت أرضيتها بمقدار ٩٠ سم(١١) وأعيد دهان الحوائط ونتج عن ذلك أن كثيراً من الزخارف المعمارية قد انطمست أو تشوهت. وهو الآن(١٢) مغطى بسقف خشبي مستوي. وفي الحائط الشرقي إلى يسار الهيكل الأوسط من أعلى ما زال ظاهراً موضع بداية عقد أو قبو نصف إسطواني يدل على أن هذا الخورس كان قديماً مغطى بقبو نصف إسطواني أو قبة كروية تحملها عقود في الجزء المقابل للهيكل الأوسط كما هو الحال في سائر كنائس أديرة الصحراء.

وبالحائط الغربي للخورس بابان حديثان كان يعلوهما عقدان واسعان يؤديان إلى الصحن القديم. ورغم أن الفراغ بين عتب البابين وبين العقدين قد تم ملؤه بالمباني وكُسي بالبياض، إلا أن حدود العقدين ما زالت ظاهرة ويسهل تمييزها من الداخل(١٣). أما العقد الثالث فقد تم سده تماماً. وكان بالطرف الغربي للحائط القبلي للخورس باب بعتب مستقيم يؤدي إلى خورس الهياكل المتهدمة. ومدخل الهيكل القبلي من الخورس قد أُغلق ولم يبقَ سوى باب ضيق منخفض، كما أن العقد الكبير الذي كان يتوج مدخل الهيكل الأوسط قد تم اختصاره بإقامة كتف من المباني على كل جانب. ولم يفلت من هذه التعديلات سوى العقد الذي بين الخورس والهيكل البحري فقد بقي كما هو.

صندوق أجساد الثلاث مقارات:

الشيء الجدير بالإهتمام في الخورس هو صندوق خشبي كبير لحفظ أجساد الثلاث مقارات حينما تنتقل الخدمة إلى هذه الكنيسة. وهو مستطيل الشكل ينقسم إلى طابقين، السفلي منهما هو الذي يحوي الأجساد وجوانبه الثلاثة مغلقة أما الواجهة الرابعة الأمامية فهي المتحركة ولها ستارة من سدايب خشبية أما الطابق العلوي فلا نعرف له استعمالاً، ولكن بواجهته عمودان من الخشب كل منهما على شكل حبل غليظ له عقدة في منتصفه، وربما مأخوذان من صندوق ذخيرة أقدم. وقد

(١١) في الإصلاحات الأخيرة التي باشرها الدير في هذه الكنيسة رُفعت كميات هائلة من هذا الرديم للوصول إلى الأرضية الأصلية حيث اكتشفت آثار كنيسة قديمة أصغر مساحة، يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي حسب تقرير الأثري الألماني د. جروسمان.

(١٢) أي وقت زيارة إڤلين هوايت سنة ١٩٢٠، ١٩٢١.

(١٣) الظاهر أن هذين العقدين قد انكشفا في التعديل الأخير الذي عمله أنبا أبرآم سنة ١٩٢٩ وأزيلت المباني التي كانت تخفيها. وقد أزيل جزء كبير من العقد الأوسط لتوسيعه وعملت له أعمدة وعقود بالخرسانة المسلحة لتقويته حتى يمكنه أن يحمل القبوين المستعرضين في الكنيسة الحالية.

يكون تصميم هذا الصندوق على نسق صندوق ذخيرة قديم، إلا أن صناعته لا تتعدى أواخر القرن التاسع عشر([١٤]).

والجرس الضخم ــ وكان وقتئذ ملق على الأرض جنوبي الكنيسة ــ قطره السفلي ١٫٢٥ متراً، صناعته إنجليزية تاريخها سنة ١٨٦٦ وهو من الحديد الزهر([١٥]).

هيكل أنبا بنيامين:

يعلوه عقد متسع عالي مدبب قليلاً في منتصفه. وبسبب رفع أرضية الكنيسة وبناء أكتاف جديدة لتدعيمه صار المدخل ضيقاً ومشوهاً. لذلك مستحيل أن نعرف شيئاً عن الدعامات التي تحمل العقد. وكان بناء هذه الأكتاف سنة ١٩١١ ــ سنة ١٩١٢، لأن القبة الرئيسية للهيكل تصدعت بشكل خطير من ناحيتها القبلية مما جعل الرهبان يلجأون إلى تقويتها بهذه الأكتاف، ولسوء الحظ أنها حجبت واحدة من أهم معالم هذا الهيكل. فالحافة الخارجية للعقد، وبطنيته، كانت تغطيها معاً كسوة خشبية يبرز منها في الواجهة الأمامية حلقات خشبية مثبتة على السطح على مسافات متساوية. أما الكسوة الخشبية التي تغطي بطنية العقد فقد رُسم عليها أيقونات مستديرة. ورغم وضوحها فلم تسجل تسجيلاً دقيقاً سنة ١٩١١ حينما كان عددها وقتئذ تسعة أيقونات، واحدة في أعلى فتحة العقد من أسفل وأربعة في كل جانب. والتسجيل الفوتوغرافي الذي عُمل وقتها كان ضعيفاً لسوء الحظ فلم يمكن معرفة محتوياته. والآن قد غطت أكتاف التدعيم جميع هذه الأيقونات عدا ثلاثة والجزء العلوي من الرابعة([١٦]).

الأيقونات المستديرة:

يفصل كل واحدة منها عن المجاورة لها زخرف من نبات ذي ستة أغصان مزدهرة ينبع من كأس صغير، ويحيط كل أيقونة إطار أبيض. أرضية الأيقونات باللون الأصفر القاتم، واللون الأبيض لأجزاء الجسم الظاهرة والملابس الخارجية، والأزرق البنفسجي المظلل بالأبيض للملابس الداخلية. وعنوان الشخصيات مكتوب بالأحرف القبطية البيضاء.

الأيقونة العليا مطموسة تماماً. والتالية لها من بحري (لوحة ٦٠) يظهر فيها شخصان ينحنيان فوق جسد مسجى على الأرض ووجهه مكشوف. وموضوع الصورة يعلنه أسماء الأشخاص المكتوبة

---

(١٤) الصندوق الذي يذكره العالم إڤلين هوايت نُقل إلى كنيسة الشهيد أباسخيرون بالدير حيث يُحتفظ فيه برفات القديس يوحنا القصير. أما أجساد الثلاث مقارات مع أجساد البطاركة فهي في مقصورة جديدة في الخورس الثاني بكنيسة أنبا مقار الحالية.

(١٥) معلّق حالياً في المنارة العالية التي أنشئت حديثاً.

(١٦) بعد عمل قوس بالخرسانة المسلحة يحمل عقد الهيكل الأوسط أمكن إزالة المباني الزائدة وظهر العقد بكامل اتساعه الأصلي ورسوماته التي اختفت في الترميم القديم ــ أنظر صور هذه الأيقونات في الملزمة الخاصة باللوحات.

بـالـقبطية ، فالأيسر نيقوديموس ، والأيمن يوسف ، و بينهما جسد الرب يسوع المسيح ــ فالأيقونة إذن تصور تكفين جسد السيد المسيح بواسطة نيقوديموس و يوسف الرامي .

والأيـقـونـة المقابلة لها من الناحية الأخرى (لوحة ٦١) تصور نفس الشخصين يحملان الجسد المكفن . والمنظر التالي من قبلي وهو الذي انطمس جزؤه العلوي ، يظهر فيه رؤوس ثلاثة أشخاص يبـدو أنهـم جـالـسون . الأوسـط والأيمـن ــ حسـب الـكـتـابة الموجودة عليهما ــ هما يسوع المسيح و بطرس ، وعلى اليسار امرأة أو فتى حدَث ربما يكون يوحنا الإنجيلي (أنظر يو٢١ : ٢٠) .

والأيـقـونـة الأخـيـرة التي أمكن تمييزها في الجانب القبلي ، وقد احتجبت الآن تماماً ، تصور شخصين ، السيد المسيح على اليسار بصحبة آخر لم تسهل معرفته (١٧) .

المـنـظـران الثاني والثالث جديران بالإهتمام ، واختيارهما يرجع إلى التقليد المذكور في كتاب المـيـرون وهـو أن الـتـلامـيـذ بـعـد القيامة أخذوا أربعمائة رطل من المر والصبر (aloes) اللذين استـعـملهما نيقوديموس و يوسف في تكفين جسد السيد المسيح ، وصنعوا منها أول ميرون مسحوا به المؤمنين الجدد يوم البنطيقستي ، ونحن هنا نكرر أن الميرون كان يُكرَّس قديماً في هذا الهيكل .

أمـا تـاريـخ هذه الأيقونات فيعود إلى منتصف القرن الحادي عشر لتشابه طابعها مع رسومات الهـيـكـل الـبـحـري . ويخـيـل إلـينا أن هذا الوضع البديع لهذه الأيقونات المستديرة يعبر عن سحابة الشهود التي تحيط بالداخل إلى الهيكل .

حجاب الهيكل :

إن الحجاب الأصلي الذي كان يحمي هذا الهيكل كان يمكن أن يكون الآن تحفة دقيقة فخمة لـو أنـه نجـا مـن غـارة اللواطيين في القرن الحادي عشر والتدمير الذي أصابه على يد الراهب المجنون هـالـوس . و يـبدو أنه قد استُعيض عنه بعد فترة وجيزة بحجاب آخر من طراز معاصر ما زالت باقية منه بعض القطع . وحتى هذا أيضاً استُبدل لسبب ما بثالث من حشوات بصلبان مستوية من طراز العصر التركي ثم أُزيل هذا الأخير وتحطم سنة ١٩١١ (١٨) .

أبواب من القرن الثاني عشر:

لاحـظ بـطـلـر أن أبـواب الهيكل القديمة منقوشة بالحفر البارز على الطراز العربي . وهذا يجعلنا

---

(١٧) إذا كان موضوع ظهورات السيد المسيح بعد القيامة هو هدف الصور كلها ، فهذه الصورة هي لمريم المجدلية في البستان .

(١٨) كـانـت بـقـاياه محفوظة بحجرة خزين البصل بالدير ، ولكن استعاد كل قطعه أنبا أبرآم مطران البلينا وقام بترميمه وأعاده في الجـزء الـصـغير الذي تبقى بين الدعامتين في وسط العقد . وقد استطعنا تجميع ما تبقى من هذا الحجاب ، حشواته وأبوابه ، التي ترجع للعصر الفاطمي والأيوبي (ق١١ / ق١٣) ودخلت كعنصر أساسي في الحجاب الحالي لهيكل أنبا بنيامين .

نتحقق أنه هو الباب الذي رفع من الكنيسة سنة ١٩١١ (١٩) و يبلغ ارتفاع المصراعين ١٨٥ سم وعرض كل منهما ٤٧ سم ، ولكل منهما محور رأسي يتحرك حوله (لوحة ٥٩). و يتركب المصراع من إطار عريض يحيط بصف من التقسيمات المستطيلة مقاس كل منها ١٧٫٥ × ١٧٫٥ سم ، والعوارض الرأسية والأفقية مزخرفة بورق الشجر المتماوج في سلسلة متوالية دقيقة الصنع . والتقسيمات المعشقة ، وعددها ستة ، مز ينة بأشكال هندسية متنوعة تشابه إلى حد ما بعض زخارف حجاب كنيسة العذراء بالحصن . وطابع الزخرفة المتماوجة يوحي بأن تاريخه يرجع إلى العصر الأيوبي . لذلك فن المحتمل أن الحجاب الأصلي الذي ينتسب إليه الباب الحالي استُعيض به عن ذلك الذي أحرقه الراهب هالوس . و بطول الحافة اليسرى للضلفة اليمنى وُجدت هذه الكتابة بالقبطية محفورة حفراً خفيفاً «باسم ربنا يسوع المسيح عُمل هذا التذكار في وكالة المحب لله الأب ابراهيم بن الشماس»...

وليست هناك أية آثار تدل على استمرار الكتابة على الضلفة الأخرى... و باقي الكتابة التي كانت تتضمن التار يخ بلا شك ، قد ضاعت .

الهيكل من الداخل :

الهيكل مربع المساحة ، يز يد ضلعه قليلاً على ثمانية أمتار، وترتفع حوائطه الجانبية مسافة ٦٫٥٠ متراً يعلوها مضلع بثمانية جوانب يرتفع متراً آخر هو قاعدة القبة الرائعة من الطوب الأحمر والتي ترتفع بعد ذلك ٤٫٦٠ متراً آخر ين ، و بذلك يصل ارتفاع الهيكل إلى ١٢٫١٠ متراً . وللوهلة الأولى يبدو الهيكل معتماً غير جدير بالإهتمام ، وهذا مرجعه إلى التشو يه الكلي أو الجزئي لملامحه الأصلية : أولاً بسبب رفع أرضيته حتى غطت آخر درجة من منصة التجليس التي كانت في شرقية الهيكل ، و بذلك تضاءلت نسب الهيكل الشاهقة ؛ وثانياً بسبب غلق الفتحات والمقصورات التي كانت في الأجزاء المنخفضة من الحوائط والشبابيك العلو ية والتي كانت على ثلا ثة صفوف متنوعة ، كلٌ منها يعلو الآخر، فكانت تغمر الهيكل بالأضواء الملونة حين تخترق الزجاج الملون الذي في الشبابيك ؛ وأخيراً بسبب ضياع الرسومات التي كانت تُضفي لوناً معمار ياً قيِّماً على الهيكل ، وما بقى منها خال من أي قيمة زخرفية . ولا شك كان هذا الهيكل في حالته الأصلية «صرحاً خالداً» للبطر يرك الذي بناه ، و«مجداً للرب» بتعبير كاتب قصة تكر يسه أيام أنبا بنيامين البطر يرك .

---

(١٩) في سنة ١٩٢٠ وجد إڤلين هوايت أحد مصراعيه في حجرة خز ين البصل والثاني كان يغطي اصطبل الحمير حيث عانى كثيراً بسبب تعر يضه للشمس والرطوبة عشر سنوات . وقد سعى مرقس باشا سميكة حتى ضمه إلى المتحف القبطي على نفقة متحف المترو بوليتان بنيو يورك . وفي سنة ١٩٢٩ أُعيد هذا الباب ثانية إلى الدير ليُقام في موضعه في الإحتفال بتجديد الكنيسة على يد أنبا أبرآم ناظر الدير السابق .

المذبح:

كان سنة ١٩١١ على أرضية مربعة ضلعها ٤ أمتار وتعلوعها حولها ٢٥,٥ سم. وهذا الترتيب غير مألوف ولكن من الواضح أنه يهيىء أوفر قسط من الحرية لحركة الكاهن الخديم المتقدم، إذا كان هو البطريرك، في دوراته حول المذبح بينما يقف معاونوه أسفل على أرض الهيكل(٢٠). هذا الترتيب الهام قد اختفى بسبب تعلية أرض الهيكل، أما المذبح الحالي فقد أقيم وقت أن كانت له أرضية مرتفعة، ومبانيه عادية يكسوها البياض ومفرغة من الداخل حيث كان يُحفظ فيه الميرون بعد تكريسه وحتى اليوم الثالث من عيد القيامة. وهو مغطى بلوحة من الرخام من طراز يجمع بين المربع ونصف الدائرة، كان لها حافة قليلة الإرتفاع كالمعتاد(٢١).

شمعدانات المذبح «المنارتان»:

لاحظ بطلر في سنة ١٨٨٤ وجود شمعدانين قائمين على جانبي المذبح من الحجر؛ أما الآن فلا وجود لهما. لكن في إحدى القلالي الشرقية يوجد شمعدان رائع من الرخام به أفاريز محفورة على محيطه يعلوها صليب، لاشك أن مثل هذا الشمعدان كان موضعه هناك بجوار المذبح، وهو من الرخام الأبيض الرمادي ارتفاعه ٧٦ سم وقطره السفلي ٢٥ سم والعلوي ٢٠ سم، وفي قاعدته العليا يوجد تجويف مربع لحامل شموع معدني taper holder . وهناك شمعدان آخر يُحتمل أن يكون لهذا المذبح أيضاً، ولكن تاريخه أقدم، وهو من الرخام الأبيض المشوب بزرقة، ارتفاعه ٦٣ سم وحافته العليا ضائعة، قطره ٢٥ سم وعليه صليب كبير بالحفر البارز.

قبة المذبح:

يقول بطلر أنه لم يرَ على المذبح قبة «بلدكان Canopy »، لكن شيئاً كهذا قد يكون موجوداً. وليس من الوهم أن نتصور أن العمود الملفوف twisted القائم الآن في مصطبة ناحية القلالي الشرقية كان يوماً ما أحد أعمدة قبة المذبح. والجزء الباقي من هذا العمود طوله ٥٧ سم وقطره حوالي ١٦ سم. هذا النوع من الأعمدة نادر الوجود في أديرة الصحراء حتى أن استعمالها كان مقصوراً على بعض الأغراض كحالة مثل هذه.

---

(٢٠) في كتاب تكريس الميرون وصف لدورة البطريرك حول المذبح للتبخير في الإحتفال الطقسي بأحد الشعانين سنة ١٣٤٦م، بينما الأساقفة (كان عددهم ١٨ أو ٢٠) واقفون يحيطون به، وحينما يوجد مثل هذا العدد الكبير لابد من ترتيب كهذا.

(٢١) بعد رفع الرديم من الهيكل ظهرت الدرجة المحيطة بالمذبح، كذلك عُثر في مبانيه على لوحة رخامية قديمة مكتوب على أحد جوانبها باليونانية:

+ KE BOHΘHCON + OYλIANW
+ AΓIE ICIΔWPE BNHCΘ...

(أنظر صورتها في ملزمة اللوحات من هذا الكتاب).

منصّة التجليس :

في الحائط الشرقي توجد منصة التجليس ــ الترونس (وقد اختفت تماماً الآن)، وهي من ثلاث درجات تمتد بطول الحائط. وقد ذُكر مرتين أنه في الاحتفالات التي تبعت تكريس الميرون كان يوضع الميرون المقدس على منصة التجليس؛ ولابد أنه كان يوجد وقتئذ مكان لإخفائه في المنصة كما هو موجود الآن بكنيسة أنبا بيشوي. وكالعادة كانت المنصة مزودة بكراسي لجلوس الأساقفة والكهنة الحاضرين في الهيكل(٢٢).

شرقية الهيكل :

و يتوسط المنصة المقصورة المعروفة باسم الشرقية ϢⲞϢⲦ ، وهي تجويف نصف دائري ينتهي من أعلى بعقد مدبب حافته مكسوة بالخشب. هنا كان يجلس البطريرك، وهنا كان مجلس خادم الأسرار mystagogia أثناء تكريس الميرون. هذا المنظر يعني أكثر من معناه التاريخي المجرد، فالرسم الحائطي الباهت الذي يتصدر الشرقية ــ كما وصفه بطلر ــ قوي في ألوانه رغم أنه مسودٌّ ومشوَّه بسبب دخان المجمرة التي اعتادوا تعليقها في هذا المكان. في الوسط رسم متوازن النسب لشخص رافع يديه بالصلاة، وإلى جانبيه ٤ أشخاص على اليمين و٤ أشخاص على اليسار يعلو كل منهم هالة نورانية، فيكون عددهم جميعاً تسعة. وربما كان يوجد أربعة آخرون يملأون المساحة الحديثة الطلاء في جوانب الشرقية. من هذه الشخصيات ثلاثة يحملون كتباً، وجميع الوجود مطموسة مشوهة إلا واحد على اليسار بلحية بيضاء يَشْخص ببصره إلى فوق نحو شيء ما يتوسط قبة الشرقية، طمسته طبقة كثيفة من البياض الحديث. وعلى اليسار يوجد رسم صغير لملاك مجنَّح يبدو كما لو كان يبتعد عن منتصف الشرقية ويحمل ما يشبه الإطار. فالرسم إذن هو للصعود، والشخصيات المصورة أسفل هي العذراء يحيط بها التلاميذ شاخصين إلى أعلى بينما الملاك الظاهر هو أحد الملاكين اللذين يحملان ما يرمز إلى السحابة التي فيها صعد السيد المسيح ــ وهو مطموس كلية ــ إلى السماء. والرسم هو بحسب قواعد تقليدية معروفة، وأعيد رسمه مرة أخرى في كنيسة العذراء بدير السريان، لكن بصورة تتناسب مع حدود المكان. و يعود هذا الرسم التقليدي في ملامحه الأساسية للظهور مرة أخرى في القطعة الخشبية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر والتي كانت في كنيسة المعلقة ومحفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وقطعة أخرى من سن الفيل في مجموعة مورجان بمتحف المتروبوليتان. أما تاريخ الصورة التي نحن بصددها فيرجع إلى القرن الحادي عشر.

(٢٢) ظهرت الآن الثلاث الدرجات المذكورة، ولكن مقاساتها الصغيرة لا تسمح إطلاقاً بوجود كراسي جلوس المطارنة أو الأساقفة، ولذلك فهي مجرد احتفاظ بتقليد قديم.

فتحات أخرى بالحوائط :

في الحائط الشرقي على يمين « الشرقية » توجد مقصورتان ؛ وإلى اليسار توجد إثنتان أخر يان كانتا أصلاً بعقود دائر ية من أعلى ؛ وجميعها الآن مسدودة(٢٣). و بالمثل كان بالحائط البحري أر بع مقصورات تتوسطها فتحة تؤدي إلى الهيكل البحري لتوازن «شرقية الهيكل» وهذه أيضاً اختفت. وربما كانت هناك أر بع مقصورات مماثلة بالحائط القبلي(٢٤). فإذا كان الأمر كذلك فقد تكون قد أُغلقت قبل ز يارة بطلر، ولكن لم يمكن تمييزها في الحائط سنة ١٩١١. والباب الرئيسي في الحائط القبلي بعتب مستقيم حديث العهد.

نوافذ بمصبَّعات من المصيص :

وعلى ارتفاع أر بعة أمتار من الأرضية الأصلية للهيكل توجد ثلاثة شبابيك مر بعة في كل من الحائط الشرقي والبحري والقبلي، هي الآن مسدودة. وكان كل شباك يحيط بنافذتين تشغلهما مصبَّعات من المصيص المفرغ، و يعلوها صف مكون من سبعة شبابيك في كل حائط من الثلاث حوائط السابقة، شكل كل واحد منها غر يب لأنه يشبه الدرع المقلوب، ولحسن الحظ مازال البعض منها يحتفظ ببقايا مصبعات المصيص رغم أنها مسدودة من الخارج. والإطار مفرغ داخله دوائر صغيرة في لوح المصيص، والمساحة الداخلية تشغلها ثلاث دوائر كبيرة متقاطعة، اثنتان في القاعدة والثالثة تعلوهما. وأفضل ما تبقى من هذا الصف هو الشباك الذي في الجانب القبلي للهيكل قرب الطرف الغربي حيث مازال محتفظاً ببعض قطع الزجاج الملون(٢٥). وفي النافذة الوسطى لهذا الجانب أيضاً يوجد حجر منحوت بشكل ما(٢٦).

الأر بعة والعشرون شيخاً :

في الفراغات الثمانية الباقية بين شبابيك هذا الصف في كل من الحائط الشرقي والبحري والقبلي كانت توجد صور الأر بعة وعشر ين شيخاً المذكور ين في سفر الرؤ يا (٤ : ٤) ولكل صورة اسم صاحبها(٢٧). و يُرى وهو جالس على عرش عالٍ مرصع بالجواهر ويمسك في يده جامة

(٢٣) تم فتح مقصورة واحدة على كل جانب من جانبي « الشرقية » ووُجدت عليها آثار كتابة قبطية ربما ترجع إلى القرن التاسع وتحتاج إلى من يقوم بدراستها وترجمتها.

(٢٤) تم أيضاً فتح بابين في كل من الحائط البحري والقبلي للهيكل لتيسير الإنتقال بين الهياكل.

(٢٥) وقد قامت هيئة الآثار المصر ية مشكورة بعمل نماذج متكررة للشباك الأصلي ووضعتها في أماكنها في الهيكل لتعيد له جزءاً من صورته التي كان عليها في البداية.

(٢٦) عند فتح الشبابيك المذكورة وجدنا أن الحجر المنحوت عبارة عن قطعة من الجبس المصبوب والمزخرف بطر يقة رائعة تُعرف في الفن الإسلامي بزخارف سامرا.

(٢٧) لم يتبقَّ سوى الأحرف الأخيرة لواحد منهم فقط. وللأر بعة والعشر ين شيخاً مكانة خاصة عند الأقباط، ولأسمائهم قوة، ومن الواجب تمجيدهم في تسابيح الأقباط.

بشبه كأس . والشيوخ المصوَّرون على الحائطين البحري والقبلي وجوههم متجهة ناحية الشرق ، أما في الحائط الشرقي فوجوههم مرسومة بحيث تشخص نحو وسط الهيكل . والأمر المدهش هو أن وجوههم ليست مرسومة على بياض الحائط بل على دوائر خشبية بارزة مثبتة على الحائط . ومعظم هذه الرسومات صار باهتاً بدرجة لم تمكننا من التعرف عليهم ، ومع هذا فقد أمكن تمييز تاج وهالة نورانية لكل منهم . وربما تكون هذه الدوائر الخشبية قد استُعيض بها عن وجوه أصلية على معدن ثمين . ومن الملاحظ أن وجوههم بغير لحي و بدون أية سمة تدل على أعمارهم .

واختيار الموضوع هنا لائق ، ولنا أمثلة أخرى مماثلة في الرسوم القديمة في شرقية الهيكل القبلي بكنيسة المعلقة ، وفي كنيسة أنبا شنودة ، وفي دير أبو سيفين ، ثم الرسم الحديث المنقول عنه في كنيسة العذراء بحارة الروم . وفي كل هذه الأمثلة يظهر الشيوخ واقفين صفاً واحداً .

رسوم الحائط الغربي :

نظراً لارتفاع عقد المدخل ، اختلفت زخرفة الحائط الغربي ، فبدلاً من رسم صغير لشخص جالس على عرش ، وُجدت شخصيات واقفة بحجم كبير لم يبقَ منهم إلا اثنان أفلتا من الطلاء الحديث ، كلٌّ منهما يحيط به إطار زخرفي من عمودين يحملان قوساً دائرياً ، ورسم نافذة في الفراغ الشاغر بينهما . واحد منهما هو يوحنا المعمدان كما تدل عليه الكتابة القبطية التي بجواره والمكتوبة باللون الأبيض على أرضية قاتمة ، له هالة نورانية ولحية قصيرة سوداء وشعر أسود ، يرتدي قميصاً أحمر غامقاً و يتمنطق بحزام جلدي عند الوسط ، ثم عباءة مفتوحة لونها بني مصفر وطرفها السفلي أبيض ، ومغلقة عند الصدر و يشير بسبَّابة يده إلى «خرطوشة» Cartouche (٢٨) بيضاوية في يده اليسرى تحوي رسم كبش مكتوب عليه «الحمل» . أما الشكل الثاني فلم يتبقَّ منه إلا القليل بحيث لم نتمكن من تحديد شخصيته ، وربما يكون إيليا .

كل هذه الرسومات ترجع إلى القرن التاسع (٢٩) .

---

(٢٨) هي شكل بيضاوي يحمل شعار أو اسم فرعون عند قدماء المصريين .

(٢٩) عند إزالة بياض الحائط الغربي للهيكل عثرنا في الجهة البحرية على رسم يمثل الشهيدين أنبا مينا وأنبا إقلاديوس وبجوارهما صلاة توسلية باللغة القبطية هذا نصها مع الترجمة :

(يا) إله الأرواح ورب كل جسد
يسوع المسيح ربنا ، لتعط نياحاً لنفس
عبدك أيوب المسكين ابن أنبا مقار
احسبه في مصاف قديسيك في ملكوتك .
ومن يقول آمين فلينل بحسب البركة .
آمين ، آمين .

÷ ⲫϯ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲡ̅ⲛ̅ⲁ ⲟⲩⲟϩ
ⲡ̅ⲟ̅ⲥ̅ ⲛ̀ⲧⲉ ⲥⲁⲣⲝ ⲛⲓⲃⲉⲛ
ⲡ̅ⲭ̅ⲥ̅ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ ⲡ[ⲉ]ⲛ̅ϭ̅ⲥ̅ ⲉⲕ ⲉ
ϯ ⲉⲙⲧⲟⲛ ⲛ̀ⲧⲯⲩⲭⲏ ⲙ̀ⲡⲉⲕ
ⲃⲱⲕ ⲡⲓⲉⲗⲁ ⲓⲱⲃ ⲩ
ⲁⲃⲃⲁ ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ ⳨ ⲉ̀ⲕ ⲉ
ⲟⲡϥ ⲉⲡⲭⲱⲣⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ
ⲛⲏ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲁⲕ
ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ ϧⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉ̀ⲧ —

— ⲟⲩⲣⲟ ⳨ ⲫⲏ ⲉⲧⲛⲁ ϫⲉ
[ϫ]ⲉ ⲁⲙⲏⲛ ⲉϥ ⲉϭⲓ ⲕⲁ
[ⲧⲁ] ⲡⲓⲥⲙⲟⲩ ⁘ — ⁘
ⲁ
ⲙ
ⲁ ⲙ ⲏ ⲛ ⁘
ⲛ

القاعدة المثمنة التي تحمل قبة الهيكل:

فوق مجموعة الشبابيك السابق وصفها يوجد حزام رابط من مدادات خشبية يحيط بحوائط الهيكل من أعلى ليدعمها حتى تتمكن من حمل القاعدة المثمنة التي للقبة. هذه القاعدة لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد، والجوانب الأربعة التي تقطع زوايا مربع الهيكل تحملها حمَّالات خشبية. وفي هذا نجد هيكل بنيامين يتماثل إنشائياً مع هيكل كنيسة العذراء بدير السريان. والقاعدة المثمنة التي تكونت بهذا الشكل خلفت مع مربع الهيكل بطنية مثلثة في كل ركن من الأركان الأربعة للهيكل، منها ثلاثة كشفت عن أخشاب عارية تحمل القاعدة المثمنة عليها بقايا زخارف مضلعة، أما الرابعة التي تشغل الزاوية البحرية الشرقية فيحتلها رسم رائع للشاروبيم، رأسه رأس إنسان تحيط به هالة نورانية، وشعر الرأس الغزير يحدده قوس صغير، اليدان بشريَّتان ممدودتان ربما في وضع عبادة رغم أن المرفقين ملتصقان بالجنبين. الجسم بيضاوي يماثل شكل طائر، خاصة مع الرجلين، وينتهي بطرف غريب على شكل بيضاوي. ومن الكتفين يخرج زوج من الأجنحة المنبسطة تشغلان الزاويتين الخارجيتين للبطنية المثلثة. سطح الجناح يبدو خفيف الريش قرب الجسم ولكن عند الأطراف يبدو مرصَّعاً بعيون دائرية، وهو تصوير مدهش لما يُعرف عند الأقباط بالشاروبيم أو الساروفيم(٣٠)، ويبرز من خلف الكتف الأيسر رأس ثور والكتف الأيمن رأس أسد، ويطل من فوق الهالة رأس نسر، وبين الهالة والجناح الأيسر تُرى رأس إنسان باهتة. والشكل مصوَّر على مثال «الأربعة المخلوقات الحية» التي رآها حزقيال(٣١). لكن الأهم من ذلك هي أنها تصور فكرة الأقباط عن الشاروبيم الذي كان ملازماً للقديس أنبا مقار طيلة حياته، والذي ظهر حقيقة للبطريرك أنبا بنيامين الأول أثناء تكريسه هذا الهيكل. وربما كان هذا الرسم تخليداً لهذا الظهور. أكثر من هذا، فالشاروبيم ذو الأربعة الوجوه الذي كان مرافقاً لأنبا مقار كان يُعتبر رمزاً للأربعة الأديرة بوادي النطرون(٣٢).

= ويعلوها رسم بالفرسكا للسيد المسيح يتوسط الصورة جالساً على كرسي مجده في الدينونة الأخيرة، وعلى جانبيه ملاكان ثم الرسل والتلاميذ، كل منهم في داخل نصف دائرة، وقد أمكن تمييز بعض أسمائهم المكتوبة بالقبطية مثل بولس الرسول ومتى ولوقا الإنجيليين واستفانوس أول الشهداء. أما الناحية القبلية فلم نتمكن من كشط دهان الجير الذي يغطيها خوفاً من انهيار طبقة البياض الحاملة للفرسكا، فاكتفينا بتثبيتها مؤقتاً.

(٣٠) يوجد شبيه له في الهيكل البحري.

(٣١) حز ١: ٥، ٥: ١٠. والملاحظ أن مقار يوس نفسه شرح هذا الفصل من سفر حزقيال في موعظته الأولى.

(٣٢) من إفتتاحية ذكصولوجية أنبا مقار يوس وأولاده: «الشاروبيم الذي رافقك ياسيدي الأب الأنبا مقار يوس، حتى أتى بك إلى هذه البراري، كان له أربعة وجوه. وجه أسد ووجه ثور ووجه إنسان ووجه نسر. هذا هو مثال الشاروبيم حسب كلام الكتب المقدسة». ويمضي النص القبطي مفسراً أن الأسد يرمز لمقار يوس، والثور ليوحنا القصير، والإنسان لأنبا بيشوي، والنسر لمكسيموس ودوماديوس. أنظر كتاب إڤلين هوايت عن النصوص القبطية التي نشرها من دير القديس مقار يوس.

تاريخ هذا العمل ربما يرجع إلى منتصف القرن الحادي عشر (هو بالتأكيد معاصر لرسوم الهيكل البحري).

وكان يتوسط كل جانب من جوانب القاعدة المثمنة فتحة مستطيلة منخفضة، سبعة منها مسدودة من زمن بعيد والثامنة في الجانب الغربي مسدودة من الخارج فقط، وهذا يعني أنه كان يوجد صف ثالث من الشبابيك في الهيكل. و ينقسم الشباك بواسطة عمود قصير من الرخام إلى فتحتين متساويتين كلٌ منهما يشغله لوح من المصيص المفرغ، الإطار فيه دوائر صغيرة مفرغة؛ وبالداخل ست دوائر كبيرة متقاطعة تحيط بأشكال هندسية أخرى من دوائر ومربعات وأقواس متداخلة ومفرَّغة؛ وكانت الفتحات المفرغة مغطاة بزجاج ملون مازال بعض من بقاياه موجوداً حتى الآن(٣٣). أما باقي جوانب المثمن فتشغله زخارف من نجوم سداسية الأضلاع متشابكة مع زخرفة زهور بالتبادل مع زخرفة عربية.

وزوايا القاعدة المثمنة مهيأة بمعابر من الخشب لتتناسب مع استدارة قاعدة القبة، و بطنية هذه المعابر مزخرفة بأشكال من أربع دوائر متقاطعة باللون الأبيض ربما تمثل نجوماً. وعلى وجه العوارض كتابات باللغة القبطية غير ممكن قراءتها على الإطلاق.

القبة:

أما القبة فهي مدببة، وراسمها الخارجي عبارة عن قوسين منتظمين كل منهما أصغر قليلاً من ربع دائرة و يبدأ مركز دورانه على مسافة متر من محور القاعدة. وكالمعتاد في القباب القبطية توضع مداميك الطوب الأحمر أفقية وتكوِّن حلقات محورية متتالية، و يُستعمل للصقها مونة الجير، أما القبة من خارج فهي مكسوَّة بالجبس لضمان انزلاق مياه الأمطار.

و يقول بطلر أنه وقت زيارته كان أغلب طلاء القبة الداخلي متساقطاً، ومع ذلك فالبقايا كانت كافية لتكشف عن أن السطح الداخلي كان مزيناً برسوم حائطية. ولكن الآن، و يالالخسارة العظيمة، لم يتبقَّ شيء على الإطلاق. فالرسوم في مثل هذا المكان لابد أن تكون ذات أهمية قصوى. وقد كانت تُضاء من أربع فتحات مستطيلة صغيرة في جوانب القبة بالإضافة إلى كوة عالية واحدة على الأقل (وهي الآن مسدودة). بشكل صليب بنفس الحجم تقريباً في الناحية الشرقية للقبة. و يوجد تقليد متواتر لدى الرهبان بأن الهيكل كان يُضاء بمصباح من حجر كريم يتدلى من القبة. وهناك من يزعم بأن المسلمين أخذوه (في القرن التاسع) وأرسلوه إلى

---

(٣٣) قامت هيئة الآثار المصرية بعمل وتركيب شبابيك بعد أن أخذت طبعة طبق الأصل من الشباك الأثري الوحيد الباقي، وبذلك استكملت قبة هيكل أنبا بنيامين زخارفها الجصية التي ضاعت مع الزمن.

مكة (٣٤).

من الوصف السابق نتحقق بالتأكيد أن الهيكل الحالي (أي عام ١٩٢٠) في طابعه الكئيب المقبض بعيد كل البعد عن الصورة الأصلية التي كان عليها. وقتذاك كانت نسب الهيكل العالية كما هي، والثلاثة صفوف من الشبابيك تجعل القبة شبيهة «بقبة الهواء»، والداخل يلمع بالأشعة الدافئة التي تتساقط من زجاج الشبابيك الملون على الرسومات التي تصور سكان السماء ذاتها، فكم من الأتقياء الروحانيين يعتبرون أنهم وصلوا إلى الأخدار السمائية؟! (٣٥)

تاريخ الهيكل الحالي:

كان زمن تجديد أنبا ياكوبوس البطريرك (٥٠) لهيكل بنيامين عقب غارة اللواطيين (سنة ٨١٧م) بين سنتي ٨٢٥ و٨٣٠م، وهذا يعتبر تاريخ الهيكل الحالي. وأساس هذه النتيجة الهامة هو الأسباب التالية: إن عملية الإنشاء موصوفة في تاريخ هذا البطريرك بحماس بالغ، وهذا يدل على عظمته وصلاحيته. وليس هناك أي احتمال لإعادة البناء في الزمن الباقي من القرن التاسع. كما أن القرن العاشر كان فترة اضطرابات ونكبات لا تسمح بقيام مثل هذا العمل الضخم. وفي القرن الحادي عشر نسمع عن وجود هيكل جديد على اسم أبومقارة (وهو أسقف منوف العلا) قائم في الجانب القبلي للكنيسة الكبرى. أما الهيكل البحري فغالباً ما يكون قد أُلحق بالكنيسة في نفس هذه الفترة وواضح أن طرازه متأخر عن الهيكل الرئيسي. فلا يوجد أي احتمال أنسب من أن نؤرخ هذا الهيكل بأوائل القرن التاسع. واستعمال معابر خشبية في القاعدة المثمنة بدلاً من العقود المقبية squinches لحمل القبة موجود أيضاً في كنيسة العذراء بالسريان التي تحدد تاريخها بأوائل القرن التاسع. وتصميم مصبَّعات المصيص في شبابيك قبة هيكل بنيامين له ما يماثله أيضاً في شبابيك هيكل العذراء في دير السريان والهيكل القبلي الحالي كما سنعرف فيما بعد، وهو ما تبقى من الهيكلين المتاخمين لهيكل بنيامين، وشكله الطويل الضيق شبيه بما هو موجود في كنيسة العذراء بالسريان.

هذه الإعتبارات لا تجعل هناك أي شك في أن هذا الهيكل هو هيكل بنيامين الذي أعاد بناءه البطريرك ياكوبوس سنة ٨٣٠م. فإذا سلمنا بهذا، فنحن إذن أمام أقدم صرح أثري في مصر فيه عقد مدبب (٣٦). كما أن الشبابيك ذات المصبعات المصيص هنا، والمتأخرة عنها قليلاً في دير

(٣٤) بسبب ما أصاب هذه القبة من شروخ نافذة كانت تسمح بدخول أشعة الشمس منها، عُملت خارجها ميدة مسلحة تحيط بقاعدتها ثم غُلِّفت بالخرسانة تغليفاً تاماً مما ضمن التصاق طوب القبة مع الغلاف الخرساني فأصبحت في حالة مأمونة.

(٣٥) يقول أنبا بنيامين البطريرك الذي كرس هذا الهيكل: «هناك يبدو وكأنني أدخل الفردوس موضع اجتماع الملائكة وفرح القديسين ومسكن راحة الأبرار».

(٣٦) كان جامع ابن طولون يُعتبر أقدم بناء من هذا النوع (٨٧٧-٨٧٩م).

السر يان، هي أمثلة فر يدة في طرازها وفي عصرها.

الهيكل القبلي أو قلاية المجلس:

في حالته الراهنة هو قلاية طو يلة ضيقة، اتساعها من الشرق أكثر قليلاً من الغرب، وهنا كما في سائر أنحاء الكنيسة رُفعت الأرضية بمقدار ٩٠ سم. السقف عبارة عن مراين خشبية تحمل طبقة من البوص يكسوها الملاط من الخارج، بالطبع ليس هذا هو السقف الأصلي، فـ«جاييه» يقول أن الجزء الأكبر من القلاية كان مغطى بقبو نصف إسطواني بينما توجد قبة في شرق القلاية يُفترض أنها تغطي مذبحاً غير موجود الآن (هذا النظام مشابه تماماً لسقف الهيكل البحري في كنيسة أنبا بيشوي).

يتوسط حائطها البحري باب بعتب مستقيم — كان أولاً بعتب دائري — يؤدي إلى الهيكل الرئيسي هيكل بنيامين (٣٧)، وقرب نهايته الغربية توجد مقصورة (٣٨) وأخرى نظيرها في النهاية الشرقية لنفس الحائط ولكنها نصف مسدودة، والحائط الشرقي لا يظهر فيه أي أثر لمقصورات، وإن كان هذا لا يمنع من وجودها في أزمنة سابقة، و يتوسط الحائط القبلي باب بعتب مستقيم كان يؤدي إلى هيكل أبو مقار قديماً، أما الآن فهو مسدود (٣٩). وإذا وُجدت أية مقصورات في هذا الحائط فمن المستحيل الآن تمييز آثارها. ولكن فوق الباب مباشرة توجد نافذة غر يبة الشكل هي الآن نصف دائر ية تماماً. وملاصقاً للطرف الغربي لنفس الحائط توجد فتحة أخرى أكثر غرابة إذ أنها ر بع دائرة وتحتها يبدو أنه كان يوجد باب بعتب مستقيم ولكنه الآن مسدود.

والحائط الغربي يستحق الدراسة. فالباب ذو العتب المستقيم الذي يوصِّل من هذا الهيكل إلى الخورس قد أُغلق سنة ١٩١١. و بالإضافة إلى هذا يوجد بروز عن الحائط عبارة عن النهاية الجانبية لقبو نصف إسطواني يبدأ من الحائط القبلي على ارتفاع ٢٫٥٠ متراً من أرض الهيكل (سنة ١٩٢٠م) و يتقابل مع الحائط البحري على ارتفاع ٣٫٧٥ متراً وسمكه ٢٥ سم. وفي نفس الحائط الغربي وملاصقاً للجانب القبلي يوجد مدخل بعتب دائري اتساعه ٨٠ سم وارتفاعه ١٤٠ سم.

---

(٣٧) بعد رفع كميات الرديم الهائلة من الهياكل والوصول إلى الأرضية الأصلية اتضح أن هذا الحائط الذي يُعتبر الحائط القبلي لهيكل أنبا بنيامين هو بدون أساس على الإطلاق، إذ ينتهي على مسافة ١٠ سم تحت الأرضية الأصلية، فتأكدنا أن هذا هو سبب الشروخات الخطيرة في زاو ية الهيكل القبلية الغر بية. لذلك سارعنا بعمل فرشة مسلحة تمتد أسفل الحائط لتحمله ولتكون أساساً لعمودَيْن مسلحين في الناحيتين الشرقية والغر بية من هذا الحائط ليساعدا في حمل ميدة القبة المسلحة فوق السطح.

(٣٨) ارتداد كبير عميق في الحائط بعتب دائري.

(٣٩) عند فتح هذا الباب المسدود للدخول إلى الهيكل الثالث الذي أُضيف أخيراً، وُجدت على جوانبه كتابات قبطية قديمة ترجع إلى القرن التاسع، كما اكتُشف من طر يقة بناء حائطه — مدماك طوب أحمر يتلوه مدّاد خشبي، ثم مدماك طوب أحمر وهكذا — أن الحائط أصلي و يعود إلى القرن السابع وقت تكر يس الكنيسة الكبرى سنة ٦٥٥م. وإن كانت هذه التكو ينات الزخرفية قد بدأت منذ القرن الرابع كما تقول أستاذة علم الأيقونات في معهد فلاديمير الأرثوذكسي بنيو يورك عند ز يارتها للدير سنة ١٩٨٣.

ورغم أنها عُرفت في القرن الرابع عشر بأنها قلاية «المجلس» إلا أنها لم تكن أبداً مصممة لهذا الغرض. فإذا تذكرنا أن كنيسة بنيامين كانت في الأصل كنيسة واحدة متكاملة، فمن الواضح أن الهيكل القبلي هو أحد الهيكلين اللذين يتاخمان الهيكل الرئيسي كالمألوف. والهيكل القبلي هذا بشكله الطويل الضيق، يماثل هيكل القرن التاسع لكنيسة العذراء بالسريان. والفتحتان النصف الدائرية والربع الدائرية اللتان في الحائط القبلي ليستا سوى بقايا سلسلة من الشبابيك مشابهة تماماً للصف الثاني من الشبابيك في الهيكل الرئيسي، وكانت معالمها الخارجية مازالت باقية حتى سنة ١٩١١ (لوحة ٥٥) إلى أن ضاعت في التجديد الذي تم وقتئذ.

وحيث أن المثل المشابه لهذا الهيكل في كنيسة دير السريان عال وضيق وحيث أن قمة القبو النصف الإسطواني أقل من منسوب الشبابيك؛ نستنتج أن القبو لم يكن أصيلاً بل أُضيف لأجل تقسيم المذبح أفقياً إلى حجرتين علوية وسفلية. وكان مدخل العلوية من الباب العالي الذي في الحائط الغربي الذي لابد أنه كان له سلم ربما من الخشب في نهاية الخورس القبلية. ولا يُعرف متى كان هذا التقسيم ومتى أُبطل لأن قلاية المجلس لم تُذكر إلا في مصادر القرن الرابع عشر فقط، ويُفترض أن تكون هي العلوية. وإذا كان القسم السفلي مستعملاً كمذبح فيُحتمل أن يكون بإسم أبوليناريا (إيلاريا) الذي رآه سيكار في أوائل القرن السابع عشر[٤٠].

الهيكل البحري:

هيكل مرقس الرسول الذي كان في القرن الحادي عشر حلّ محل الهيكل الضيق الطويل الذي يناظر الهيكل القبلي[٤١]، ويتكون من جزئين كاملين: الهيكل، ثم ملحق ضيق إلى الغرب من الهيكل يدعوه بطلر «خورس داخلي»، وكل منهما فيه انحراف نتيجة عدم تطابق محور الهيكل الجديد مع تخطيط هيكل بنيامين الذي يحدده الحائط القبلي للهيكل البحري. أما «الخورس الداخلي» فليس سوى فراغ اتساعه ٦٫٥٠م × ١٫٦٠ متر يقع بين عقد مدخل الهيكل وبين العقد الكبير خارجه والذي هو جزء من الواجهة الغربية العامة لهيكل بنيامين. وفي سنة ١٩١١ كانت المقصورة النصف الدائرية التي في الحائط القبلي مازالت ظاهرة من الخورس الداخلي[٤٢]. أما الآن فحوائطه مستوية تماماً وله سقف حديث من الخشب ربما استُعيض به عن قبو نصف

---

(٤٠) هذا الإفتراض غير معقول إذ أن تقليد الكنيسة القبطية قديماً يمنع وجود مباني فوق السقف الذي يغطي المذبح.

(٤١) ويسمى حالياً هيكل يوحنا المعمدان حسب ما جاء في المخطوطات القديمة وبعد اكتشاف رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي مدفونين في الصحن المواجه لهذا الهيكل. اقرأ قصة هذا الإكتشاف في الكتيب الذي صدر عن الدير بعنوان: «الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديسين يوحنا المعمدان وأليشع النبي»، ١٩٧٩ (الطبعة الأولى)، ١٩٨٣ (الطبعة الثانية).

(٤٢) واضح أنها خلفية المقصورة الغربية التي في الحائط البحري لهيكل بنيامين، مثلها مثل باقي مقصورات هذا الحائط التي كانت تخترقه بكامل سمكه.

إسطواني، وأرضيته مرتفعة كسائر أرضية الكنيسة.

حجاب من العصر الفاطمي:

وقت زيارة بطلر سنة ١٨٨٤، وحتى سنة ١٩١١ كان هذا الفراغ المسمى بـ«الخورس الداخلي» مازال عليه حجابان يمتدان عَبْر العقدين، عقد مدخل الهيكل وعقد الواجهة الخارجية، والحجاب الذي كان على العقد الأخير أُزيل في عملية تجديد الكنيسة، و يصفه بطلر بأنه إطار مستطيل يحوي حشوات صغيرة مستطيلة الشكل. و بينما ضاع الإطار الخارجي للحجاب فالحشوات الصغيرة وُجدت ملقاة في غرفة البصل(٤٣)، وهي من نوعين مقاس كل منها ٤٣ × ٢١ سم ولكنها تختلف في السُمك، إحداهما ٤٫٧ سم والثانية ٢٫٠ سم، و بالتالي تختلف في تفاصيل الزخرفة من حيث التصميم وعمق الحفر. بالإضافة إلى ذلك كان هناك قطعتان أو ثلاث مقاس كل منها ١٥ × ٢١ سم وسمكها ٢ سم. كان استعمالها لملء الفراغات الصغيرة المتخلفة فوق الباب مثلاً، حيث لم يكن يتسع لحشوة من النوع الكبير. و يلاحظ بطلر أن هذه الحشوات تتميز بجمال تصميمها وعمق حفر الزخرفة الذي يبلغ ٣٫٠ سم في القطع السميكة. هذا الزخرف من طراز فاطمي معروف، يظهر أيضاً في دير البرموس حيث يُحتمل أن يكون أقدم ما في وادي النطرون من هذا الطراز، وفي دير أنبا بيشوي أيضاً والذي يُعتبر متأخراً عنها. و يوجد في القاهرة كثير من الأمثلة المشابهة سواء في مواضعها أو في المتحف الإسلامي، أهمها جميعاً الأبواب الكبيرة للجامع الأزهر (والمحفوظة بالمتحف الإسلامي) والتي تحمل إسم «الخليفة الحاكم» (سنة ٩٩٦ــ١٠٢٠م) وهي أقدم الأنواع، ثم الحشوات الموجودة في الجانب البحري لإيوان جامع الأقمر (سنة ١١٢٥م).

وأحجبة وادي النطرون ذات الطراز الفاطمي ترجع في تاريخها إلى ما بعد غارة اللواطين سنة ١٠٩٦م على الأديرة. أما تحديد زمنها بدقة فغير ممكن. وهنا نجد أن الحشوات هي لمبنى من العصر الفاطمي أُقيم في النصف الأول من القرن الحادي عشر بعد أعمال العنف التي قام بها اللواطيون. أما الحجاب فلابد أنه من عصر متأخر قليلاً.

ورهبان اليوم لا يعلمون شيئاً عن هذا «الخورس الداخلي» كما يسميه بطلر. ولوجود حجاب غربي هذا الخورس الداخلي ونظراً لضيق مكانه لابد أنه كان معتماً، مما يجعلنا نشك في إمكانية استعماله كخورس طقسي. ومعمارياً، يوجد لهذا «الملحق Annex» شبيه على قياس أصغر في كنيسة العذراء بدير البرموس في كل من الهيكلين المتاخمين للهيكل الرئيسي، وفي دير أنبا بيشوي الدخول إلى الهيكل القبلي إنما عن طريق ملحق مستطيل بقبو نصف إسطواني مستقل و يفصله عن

---

(٤٣) تم تجميع الحشوات الثمينة وهي الآن تزين حجاب هيكل أنبا بنيامين الحالي.

الهيكل عقد دائري. فهذا الملحق إذن ليس سوى حيلة معمارية للإحتفاظ بالواجهة الشرقية للخورس مستقيمة دون أن يشوهها انحراف الهيكل البحري(٤٤).

الهيكل من الداخل(٤٥):

مدخل الهيكل عبارة عن عقد متسع مدبب يفتح من الملحق الغربي إلى الهيكل. وفي التجديد الأخير أُقيمت مباني داخل هذا العقد حتى لم يبقَ منه سوى فتحة مربعة وُضع فيها حجاب خشبي شاذ من تقسيمات مربعة مدهونة ببوية الزيت يرجع تاريخه إلى سنة ١٨٦٦م(٤٦). أما العقد فمازال سهلاً تمييزه من الداخل، وهو مماثل لما جرى استعماله في عصر الفاطميين (مثل جامع الأزهر والأقمر ومسجد الصالح طلائع). والوجه الداخلي للعقد مزدان بزخرفة مزدوجة زجزاجية.

والهيكل من داخل مربع تقريباً ترتفع حوائطه إلى ٥٫٥٠ متر، يعلوها قاعدة مثمنة لقبة حديثة بنيت سنة ١٩١٢ لتحل محل أخرى انهارت أو أُزيلت لخطورة حالتها.

والمذبح الذي أُعيد بناؤه قائم على أرضية عالية قليلاً تحتل الهيكل كله عدا مترين عند المدخل بعرض الهيكل. وهو من النوع العادي وله لوحة رخامية من الطراز الذي يجمع بين المربع ونصف الدائرة. وكان بجواره قديماً شمعدانان من الحجر وقد اختفيا بعد ذلك. وخلف المذبح توجد درجة ممتدة بطول الحائط الشرقي. كل هذا مع أرضية المذبح القليلة الإرتفاع قد اختفى وغطته أرضية حديثة(٤٧).

مقصورات حائطية:

في منتصف الحائط الشرقي توجد «الشرقية» متسعة وعميقة يعلوها عتب دائري مدبب مزدان بصفين من الزخارف الزجزاجية Chevron مماثلة لعقد مدخل الهيكل في الناحية الغربية.

---

(٤٤) وعندنا، الأرجح هو أن هيكل مار مرقس بصحنه كان منفصلاً سابقاً في هندسته عن هيكل أنبا بنيامين، ولما أضيف الهيكلان معاً لكنيسة واحدة ظهر هذا الفارق فاستكملوه بخورس خاص ضيق، على أنه معروف في الطقس القبطي المعاصر لزمن أنبا أثناسيوس الرسَولي أنه كان يوجد بجوار الهيكل هيكل صغير لحفظ القربان قبل تقديمه ولأكل بقايا الذبيحة و يسمى في الطقس «موضع الذورون» أي «موضع الصعيدة».

(٤٥) نلفت نظر القارىء إلى أن قبة هذا الهيكل وجدها مهندسو إڤلين هوايت سنة ١٩١٠ مهدمة تماماً فلما أخذوا صوراً للرسومات التي أسفل القبة ظهرت واضحة وكاملة، ثم لما عاد المهندسون سنة ١٩٢٠ وجدوا أن القبة بنيت بينما ضاعت أجزاء كبيرة من أطراف الصور وقد قمنا بتزويد الكتاب ببعض الصور قبل و بعد بناء القبة.

(٤٦) يقصد عهد أنبا أبرآم ناظر الدير السابق ــ وفي التجديد الذي جرى سنة ١٩٧٥ أزيلت المباني الزائدة فظهر العقد باتساعه الكامل وعُمل له حجاب جديد يجمع الحشوات الفاطمية القديمة وأقيم في العقد الخارجي للهيكل. أي أن ما يسمى بالخورس الداخلي صار الآن ضمن الهيكل البحري ليوحنا المعمدان.

(٤٧) في التجديد الأخير رُفعت كميات الرديم وأعيد الهيكل إلى أصله فظهرت الدرجة الممتدة بطول الحائط الشرقي وأرضية المذبح التي ترتفع قليلاً عن باقي أرضية الهيكل.

الآثار التي رآها بطلر في هذه الشرقية لزخرفة من الشكل المضفور Interlacing Pattern قد اختفت تحت طبقة الطلاء. وكانت توجد مقصورتان على جانبي الشرقية قد تم ملؤها بالمباني، وكان يوجد أيضاً ثلاث أخرى من هذا النوع في الحائط البحري واثنتان في القبلي وكلها قد ضاعت معالمها. واللتان كانتا بالحائط القبلي لابد أنهما كانتا مفتوحتين بسُمك الحائط ومتصلتين بما يناظرهما في الحائط البحري لهيكل بنيامين. وبالإضافة إلى هذا كان يوجد باب في الطرف الغربي للحائط القبلي يؤدي إلى هيكل بنيامين، وهذا أيضاً قد أُغلق بالمباني واختفى عتبه الدائري المنقوش الذي شاهده بطلر(٤٨).

رسومات وزخارف الهيكل:

لحسن الحظ أفلت هذا الهيكل من الطلاء الحديث، وبالتالي فإن بقايا رسومات الفرسكو التي لم يستطع بطلر أن يميزها على الحائط الشرقي لم تُطمس معالمها، بينما زخرفة الأجزاء العليا في الهيكل بقيت بحالة جيدة نسبياً.

الفتية الثلاثة:

عند الطرف البحري للحائط الشرقي، بالكاد تُشاهَد الأجزاء العليا لأربعة أشخاص أقل قليلاً من الحجم الطبيعي، وبسبب ما أصابهم من تشويه لا نقدر أن نصفهم بأكثر من أن اثنين، وربما الأربعة، يرتديان عباءة ثمينة مطرزة مفتوحة من أمام ومعلقة مستقيمة على الكتفين. أما شخصيتها فتحددها الكتابة القبطية الباهتة باللون الأبيض على إطار أحمر! الأول هو حنانيا والرابع ميصائيل. وبالتالي تكون الشخصيتان الثانية والثالثة هما عزاريا وربما ميخائيل(٤٩).

ويقابلها في الناحية القبلية لنفس الحائط رسم دانيال في جب الأسود كما نتوقع. لكن الرسم تلاشى تماماً وسقطت الطبقة الملونة في الجزء الشمالي منه لكن بقيت الخطوط الأولية للرسام بالمُغْرة الحمراء تحدد رؤوس ستة أشخاص مرتَّبين في صفين، ربما يمثلان الجمهور المحتشد لمشاهدة المنظر الرئيسي. وفي الطرف الشرقي للحائط البحري والذي يتاخم رسم الثلاثة فتية توجد بقية مازالت بحالة جيدة ربما تتعلق بالرسم الضائع وتمثل سلاملك Pavilion صغير، معالمه الرئيسية هي باب على جانبيه عمودان وستارتان مطويتان وراءهما. وللسلاملك قبة تعلو شكلاً إسطوانياً Drum فيه سبعة نوافذ. مثل هذا البناء يجوز أن يكون جزءاً من المنظر الغائب في الرسم الضائع، وربما قصراً ملكياً في بابل.

---

(٤٨) اكتفينا بفتح مقصورة واحدة في منتصف الحائط المشترك بين هيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان لتيسير الإنتقال بين الهياكل المختلفة.

(٤٩) الأقباط يشخصون الرابع الشبيه بابن الآلهة الذي ظهر مع الفتية الثلاثة في أتون النار بأنه رئيس الملائكة ميخائيل.

ولحسن الحظ وُجد إمضاء الفنان مكتوباً بحروف قبطية سوداء مرصوصة تحت بعضها في صف رأسي بجانب الطرف الشمالي للمنظر، وترجمته:

« ... الراهب يوحنا النقاش ابن الأنبا بيشوي »

والمفروض أن الزخارف الأخرى في هذا الهيكل هي من يد نفس الفنان.

وعلى جانبي الشرقية من أعلى توجد آثار لشخصيات بمقياس رسم صغير بدرجة تجعل عملية وصفهم وتشخيصهم صعبة. ومناظر الحائطين القبلي والبحري قد اختفت تماماً.

وعلى ارتفاع ٤٫٢٠ متراً من الأرضية الأصلية تبدأ سلسلة من فتحات مستطيلة ارتفاعها ١٫٠٠ متراً واتساعها ١٫٦٠ متراً، ثلاثة في كل من الحوائط القبلية والشرقية والبحرية، أما الغربية فبسبب ارتفاع عقد مدخل الهيكل فليس بها سوى فتحتين فقط، وجميعها الآن مسدودة. والثلاث الفتحات التي في الحائط الشرقي كانت بلا شك شبابيك كل منها ينقسم بواسطة قائم خشبي إلى قسمين متساويين كان يشغلهما أصلاً لوحان من مصبعات الجبس المفرَّغ والمعشق بالزجاج الملون. والشباك البحري في نفس الحائط مازال يحتفظ بجزء من القائم الخشبي الأوسط، أما مصبعات الجبس فقد اختفت. والجانب البحري به الآن ارتدادات خفيفة العمق بدل الشبابيك، ذات أرضية مزينة بنماذج زخرفية عربية رائعة (لوحة ٦٨). وهنا نحن أمام نقطة جديرة بالإهتمام، لأنه كان يُظن أن السور البحري الحالي كان قائماً من قبل ليمنع الضوء عن نوافذ هذه الجهة. وعلينا إذن أن نرجع تاريخ انحصار هذه الأسوار إلى القرن الحادي عشر. ولكن قد يكون اغلاق هذه النوافذ يُقصد به أصلاً إبعاد تأثير الرياح الشمالية المحملة بالرمال(٥٠).

أما فتحات الحائط القبلي، فالوسطى منهم ربما تكون مرحَّلة إلى اليمين لتتطابق مع نظيرتها في الحائط البحري بهيكل بنيامين، في حين أن الفتحتين الباقيتين مسدودتان حيث ليس هناك ما يقابلهما في الجهة الأخرى من هيكل بنيامين.

أما فتحات الحائط الغربي فهي كاذبة، لأنه لو فُتحت حقيقة لكانت تطل على الخورس وهذا ترتيب غير محتمل بأي حال.

المنطقة الثانية من الزخارف:

المساحات المحصورة بين كل نافذة والمجاورة لها مشغولة بسلسلة من صور آباء الرهبنة المشهورين في مجموعات ثنائية. في أقصى الشرق من الحائط البحري يوجد شخصان: الأيمن منهما في حالة صلاة، ملتحي بلحية طويلة وعليه مسوح من ليف النخيل وطائر يحمل إليه خبزاً (لوحة

---

(٥٠) و بالتالي يمكننا أن نتصور وجود كنيسة الآباء الرسل التي أقامها أنبا شنودة البطريرك في القرن التاسع بجوار هذا الهيكل.

٦٨). سمات هذا الرسم مع ما تبقى من الحروف تبين أنه صورة أنبا بولا أول السواح، و بصحبته شخص آخر هو أنطونيوس بلاشك (لوحة ٦٦) وعليه هالة نورانية وعلى رأسه قلنسوة رهبانية خفيفة، و يبدو أن يديه معقودتان على صدره. الجزء الأسفل من الصورة ضائع تماماً.

وفي المساحة التالية غرباً (لوحة ٦٨) صورة لشخصين تحيط برأس كل منهما هالة، أحدهما ملتحي و يرتدي قميصاً «تونية» أحمر قاتماً ووشاحاً أبيض، بينما الآخر بقميص أبيض ووشاح أحمر، على أنه لم يبقَ من هذين الشخصين سوى الرأس والأكتاف فقط، و بينهما لوح مستطيل أصفر عليه كتابة بالقبطية ترجمتها: «هذه هي قوانين ومبادىء الرهبنة».

وعلى الإطار العلوي هذه الكلمات الناقصة: «... ⲁⲃⲃⲁ ⲁ» وأحد هذين الشخصين هو بلاشك باخوميوس وله قوانين رهبانية معروفة والآخر ربما يكون شنودة.

وفي الطرف البحري للحائط الغربي يوجد رسم لشخصين أيضاً (لوحة ٦٥)، أحدهما عارٍ إلا من لحية طويلة تمتد إلى الركبتين وهو قطعاً أبو نوفر السائح، وهذا الرسم ناقص. وفي المساحة المحصورة بين عقد مدخل الهيكل والزاوية البحرية الغربية يوجد رسم كبير لشخص في رداء أحمر وأبيض ينحني تجاه مركز العقد، و بين يديه أو يديها (الجنس غير محدد) كتاب مزخرف، وفي الجانب المقابل (لوحة ٦٩) يوجد رسم مماثل لكنه أقل وضوحاً. ربما هذان الشخصان يرمزان إلى العهدين القديم والجديد. وفي المساحة المناظرة على الحائط الشرقي (لوحة ٦٧) يوجد في الناحية البحرية منها رسم باهت لشخص ملتحي يرتدي حرملة قصيرة ربما هي المافور الرهباني، وإلى يمينه شاروبيم بجسمه البيضاوي الذي يشبه الطيور، وفي الجهة القبلية أيضاً لنفس الحائط يوجد رسم مماثل لشخص وعن يمينه شاروبيم. ومن المحتمل جداً أن يكون أحد هذين الرسمين هو لمقار يوس ومعه كاروبه الحارس(٥١).

و يعلو هذا الصف من النوافذ حزام رابط من المدادات الخشبية يحيط بأعلى الحوائط، وكان في الأصل مكسواً بالمصيص وملوناً باللون الأسود، وعليه كتابات تدشين الهيكل بحروف قبطية بيضاء، وما أمكن قراءته ترجمته هكذا:
«عُمل تذكاراً حسناً... هذا المذبح المقدس (بواسطة) ... الذين تعبوا معه في (البناء) ... (ليت الله) برحمته الواسعة ...»
ضياع باقي هذه الكتابة أمر يدعو للأسف الشديد لأنها حتماً كانت تحوي اسم الذي بنى الهيكل وربما تاريخ انشائه.

---

(٥١) عن هذا الرسم أُخذت صورة القديس أنبا مقار التي تتصدر الكتاب.

القاعدة المثمنة:

يعلو الحزام الخشبي قاعدة مثمنة فيها يظهر التطور المعماري المتقدم في الأساليب الإنشائية عما هو في الهيكل الرئيسي، حيث ترتكز القبة على معابر خشبية فوق أركان الحوائط. أما هنا فالإنتقال من المربع إلى المثمن هو عن طريق مقببات = squinches في الأركان. كما أن الشكل المعماري للمثمن كجزء متميز عن باقي البناء قد تأكد بالعقود المدببة في الأضلاع الأربعة الأصلية المساوية في اتساعها للمقببات الأربعة التي في أركان الحوائط. هذه العقود الثمانية التي تستند على أكتاف قليلة البروز، هي من الطراز الفاطمي المدبب والمستخدم في أماكن أخرى من هذا الهيكل. و يتميز هذا الطراز بأن العقد كامل الإستدارة عند ابتدائه فوق الكتفين ثم يمتد بخطين مستقيمين من الجانبين ليتقابلا في المنتصف بزاوية منفرجة. هذا التصميم موافق جداً لمباني الطوب الأحمر. والعقود هنا يحدُّها من الخارج حلية بارزة باللون الأبيض يحيط بها من داخل ومن خارج إطار رفيع غاطس باللون الأحمر. أما المقببات الأربعة التي عند زوايا الحوائط فلها عقود ثانية لتقويتها ترتد عنها إلى الداخل مسافة ١٢ سم (لوحات ٦٨ ـ ٧١) وهي مجوفة من الداخل بشبه القباب الصغيرة ومبنية بالطوب الأحمر. وللعقود المساعدة واجهة مزخرفة بشكل الزجزاج المألوف في شريطين باللون الأحمر على الواجهة البيضاء. أما العقود الأربعة الأخرى التي على الحوائط الرئيسية (لوحات ٦٨، ٦٤، ٧٠) فيسدها ستارة خفيفة من الطوب ترتد عن الحوائط الأصلية مسافة ١٢ سم و يتخلل كلٌّ منها ثلاث نوافذ، وكل نافذة تنتهي بعقد مدبب من الطراز الفاطمي. والنافذة التي على الحائط القبلي (لوحة ٧٢) مازالت محتفظة بجزء من مصبعات الجبس المفرغ حتى سنة ١٩١١م، أما تصميم مصبعات الجبس هذه فكان عبارة عن دائرة كبيرة يحيط بها إطار من دوائر صغيرة بالتبادل مع مستطيلات مفرغة. وكان بداخل الدائرة الكبيرة ثلاث أو أربع دوائر متقاطعة مكوّنة أشكالاً ذات ثلاث أو أربع نهايات مستديرة الطرف.

رسومات القاعدة المثمنة (المنطقة الثالثة):

وهي غنية بالرسومات، فالمساحات المتخلفة بين فتحات النوافذ الصغيرة في الأربعة الحوائط الرئيسية سمحت بوجود فراغات دائرية متوازنة تتوسطها مستطيلات، كما أن سطح تجويف المقببات الركنية كان مناسباً لبعض المناظر. وجوانب العقود الثمانية كانت موافقة تماماً لمناظر بسيطة التكوين. وفي العادة اختص كلٌّ من جانبي العقد لتصوير شخصين متواجهين. أما في الفراغ الرأسي في الجوانب الأربعة الرئيسية للمثمن حيث ينطبق هذا الفراغ مع الحائط الرئيسي، فنجد صورة صغيرة لشخص واقف. وفوق عقود النوافذ توجد دائرتان فيهما رسوم نصفية لشخصيات مختلفة (اللوحتان ٦٨ و٧٠)، وما تبقى بعد هذا من فراغ تشغله دوائر زخرفية والألوان المستعملة هي الأحمر القاني والأبيض للملابس، والأبيض أيضاً لأجزاء الجسم الظاهرة مع تحديد الملامح والمعالم

بـالأسود والأزرق الفيروزي لخلفية الصورة. وأفضل الموجود حالياً في احتفاظه بالرسوم هو ما كان على الحـائـط الـشـرقي (لـوحة ٧٠) حيث يظهر السيد المسيح واقفاً في الفراغ الرأسي (لوحة ٧٨)، وفي الـدائـرة الـيـسـرى الـعـذراء (لوحة ٨٣)، و يوحنا المعمدان في الدائرة اليمنى وكلاهما في منظر نصفي، وفي الجانب البحري (لوحة ٦٨) صورة لشخص واقف بلحية بيضاء لم يمكن التعرف عليه، وفي الـدائـرتين شـخـصـان بـلـحي سوداء يعرضان كتابين مفتوحين، فهما إذن إثنان من الإنجيليين (لـوحـة ٨٤)، أمـا الإنجـيـلـيـان الإثـنان الباقيان فكانا مرسومين على الحائط المقابل من غير شك (لوحة ٧٢).

الميلاد (لوحة ٧٤):

أغلبية طلاء تجو يف المقببات الأر بعة الركنية قد سقط، ولكن ما تبقى في الزاو يتين البحر ية الـشـرقـية والبحر ية الغر بية يكفي لمعرفة ما فيها. ففي التجو يف الذي في الزاو ية البحر ية الشرقية في أقصى اليسار، المجوس يرشدهم الملاك أن لا يعودوا إلى هيرودس (لوحة ٧٥). وإلى اليمين يوجد اثـنـان مـن الـرعـاة في شكل متناهي في الصغر، يتحادثان بالقرب من سلسلة من الجبال ذات قمم هـرمـيـة الـشـكـل. بـينما يوجد راع ثالث (لوحة ٧٦) أعلى الصورة يخاطبه ملاك (لوحة ٩٠). وفي الجـزء الـعـلـوي يـوجـد مـلاكـان يـطـيـران مبتعدين كلاً منهما في اتجاه، وفوقهما سماء زرقاء مرصعة بـالـنجوم البيضاء، وفي قمة التجو يف نجم بيت لحم. والألوان المستعملة هنا هي نفسها السابقة في رسـومـات الـدوائـر والفراغات الرأسية. ولاشك أن الجزء الساقط من وسط المنظر كان فيه الطفل يسوع. أما الزخارف التي تز ين أسفل أكتاف العقود والبطنيات فهي جديرة بالإعتبار.

نياحة العذراء وصعود جسدها:

والتجو يف الذي يعلو الزاو ية البحر ية الغر بية هو أقل تحديداً. فإلى اليسار امرأة(؟) جالسة أو مـتـكـئـة بـوجـهـهـا نحـو الوسط وأمامها إلى اليمين تقف شخصية لم يمكن التعرف عليها، وخلفها شـخـصـيـتـان في وضـع أفقي يـبـدو أنهما يحملان شخصاً كبيراً لم يبقَ منه سوى جزئه السفلي المغطى بـثـوب أحمـر قـاتم. والمـرجـح أن هذا الرسم يمثل نياحة العذراء وصعود جسدها. فالجسد الراقد هو العذراء، والذي عن اليمين هو الجسد الصاعد والملائكة تحمله إلى الأعالي.

+ + + + + +

وأخـيـراً نـأتي إلى سـلـسـلـة مـن المناظر على جانبي كل عقد من العقود الثمانية للقبة، والألوان المـسـتـعملة هنا هي نفسها المستعملة في الرسومات السابقة بالإضافة إلى لون ذهبي أصفر للخلفية. وعـنـوان هـذه الـشـخـصـيـات مكتوب بالقبطية بحروف بيضاء على شر يط أحمر عر يض فوق كل منظر.

البشارة:

في الجانب البحري الشرقي منظر البشارة (لوحة ٦٦). إلى اليسار جبرائيل الملاك، شاب حدث بغير لحية له أجنحة وهالة نورانية مسربل بالبياض، وإلى اليمين العذراء (مكتوب فوقها «القديسة مريم») في رداء أحمر قاني وعليها هالة النور، جالسة على كرسي مرتفع رجلاه متقاطعان وظهره أسود مستدير (لوحة ٨٢)، وحركة يديها تنمُّ عن الدهشة. وخلفها إلى اليمين بناء مكعب الشكل يعلوه قبة وفي واجهته مدخل له قوسان متقاطعان محمولان على عمودين عليهما أطراف ستارة مطوية. والدائرة ذات النجمة الثمانية الأطراف هي مجرد شكل زخرفي خالص.

والمنظر الذي يعلو عقد الجانب الشرقي صعب التفسير وأسماء شخصياته غير مقروءة (لوحة ٧٠). في الوسط هلال، رمز انفتاح السموات، منه تنبعث أشعة نورانية إلى أعلى وإلى أسفل. إلى اليمين شخص نصف راكع على رأسه هالة وله لحية بيضاء و يرتدي ملابس حمراء خارجية فوق قميص (تونية) داخلي أبيض (هرون؟) يقدم بيمناه علبة صغيرة Casket بقمة هرمية تجاه الوسط ويمسك بيسراه مجمرة، وخلفه بناء ذو دورين بأعمدة يظهر فيه مذبح مغطى بستر، وإلى اليمين رجل بلحية سوداء (موسى؟)، بنفس الملابس ونصف راكع أيضاً و يداه مبسوطتان إما بتقدمة أو بالتضرع (المنظر في هذا الجزء ضائع)(٥٢).

بشارة زكريا:

يعلو عقد الجانب القبلي الشرقي منظر بشارة الملاك لزكريا الكاهن (لوحة ٦٤). على اليسار يظهر جبرائيل بنفس صورته التي في المنظر الأول، وإلى اليمين زكريا (لوحة ٧٩) بلحية بيضاء وقميص أحمر طويل وفوقه الملابس الكهنوتية alb بيضاء قصيرة، وغطاء الرأس مثلث الشكل يتدلى على ظهره، ويحرك يده اليمنى بالمجمرة ويمسك صندوقاً صغيراً بقمة هرمية في يده اليسرى بينما يصعد سلماً من أربع أو خمس درجات يؤدي إلى الهيكل (وهو بناء بثلاثة عقود دائرية) وفيه مذبح مستطيل مغطى بستر أزرق يعلوه قبة مخططة محمولة على أربعة أعمدة(٥٣).

إشعياء والسرافيم:

على الوجه القبلي للمثمن منظران مختلفان (لوحة ٧٢). فإلى يسار العقد إشعياء النبي بلحية بيضاء ووشاح أحمر و يواجهه واحد من السيرافيم بأجنحة وجسم يشبه الطيور، والوجه واليدان هما لإنسان، يقف على مذبح مربع عليه ستر أزرق و يلمس شفتي النبي بجمرة بين طرفي ملقاط (إش٦: ٦).

---

(٥٢) ربما يصور هذا المنظر خر١٦: ١٠ حيث هرون وموسى أمام مجد الله.

(٥٣) تمثيل قبة المذبح هنا في مثل هذا العصر المبكر أمر يستحق النظر، وكذلك المذبح المستطيل.

إبراهيم وملكيصادق:

إلى يمين العقد نفسه رسم لشخصين متواجهين، كلاهما بلحية بيضاء، الأيمن منهما في وشاح أحمر يستعد بانحناءة خفيفة و يدين ممدودتين لاقتبال كأس (؟) من الشخص الآخر الذي على اليسار. فالموضوع إذن هو إبراهيم يَقْبل من ملكيصادق الخبز والخمر (تك ١٤ : ١٨) كما تؤكد ذلك بعض الحروف القبطية الباقية من اسم ملكي صادق.

ورسومات العقدين الغربي القبلي، والغربي، قد اختفت كلها تقريباً، والجزء الوحيد الباقي هو رسم على الجانب الأيسر للعقد القبلي الغربي فيه يظهر شخصان (ورأس ثالث وراءهما) يسرعان إلى شيء ما في الجانب الأيسر للعقد (لوحة ٦٩). من المحتمل أن يكون المنظر إذن لبطرس و يوحنا يهرعان إلى القبر (يو ٢٠ : ٣) الذي يُحتمل أنه كان يشغل الجانب الأيمن مع الملائكة الحارسين.

أما رسومات العقد البحري الغربي فهي باهتة للغاية (لوحة ٤٤)، في وسط الجانب الأيسر للعقد شخص جالس في ملابس حمراء و بيضاء، بلحية قصيرة وحوله هالة مشغولة بصلبان. الرأس منحنى إلى اليسار والذراع الأيمن يبدو كما لو كان مرفوعاً وخلفه ملاك هابط من فتحة في السماء بشكل هلال، فوق قمة العقد. ربما يكون موضوع الصورة هو يسوع في بستان الآلام جثسيماني، فالشخص الذي يتوسط الصورة هو يسوع وخلفه ملاك يعزيه (لوقا ٢٢ : ٤٣). وإن كان الأمر هكذا فلاشك أن الجزء الأيسر كان يحتله رسم للتلاميذ الذين و بخهم المسيح بسبب نومهم (لو ٢٢ : ٤٥و٤٦).

حلم يعقوب:

أما الجانب الأيمن للعقد المذكور فيصور حلم يعقوب (تك٢٨ : ١١)، شاب حدث السن يرتدي قميصاً أبيض وفوقه ملابس حمراء في وضع نصف رقاد، فوق أرض صخرية، ورأسه يستند على راحة يده (للدلالة على النوم). وفي براعة فنية، يبدو السلم أمامه كما لو كان يستند على العقد نفسه صاعداً إلى فتحة في السماء هلالية الشكل، وهي مشتركة بين هذا المنظر والمنظر الذي على الجانب الآخر السابق شرحه. وعلى السلم هيئة ملاكين، وقرب نهايته شخص صغير بهالة نورانية يُفترض أنه يمثل الرب، تحيط به هالة بيضاوية (لوحة ٦٥).

ذبح إسحق:

وفوق العقد البحري يوجد رسمان لمشهد واحد (لوحة ٦٨). على الجانب الأيمن يظهر إبراهيم بلحية بيضاء وملابس حمراء و بيضاء، يده اليسرى ممسكة بشعر ابنه اسحق الذي يظهر في شكل قزم، واليمنى مرفوعة تلوّح بسكين مقوسة وقد أشاح بوجهه عن الفعل الذي يوشك أن يبدأه. وأمامه

مباشرة يظهر ملاك الله في هيئة نصفية داخل إطار بيضاوي يمنعه من أن يباشر العمل. و بعيداً إلى اليسار يمكن تمييز الغابة والكبش الموثق من قرنيه. وفي الجانب الأيسر للعقد يظهر إثنان من غلمان إبراهيم صغار السن حفاة الأقدام، أحدهما في قميص قصير أحمر والثاني بقميص قصير أبيض. ومن ملامحهما يبدو الإهتمام العميق بما يجري أمامهما على الجانب الآخر من العقد، وأمامهما حمار عليه بردعة حمراء.

أهمية زخرفة هذا الهيكل:

في هذا الهيكل نرى بالتأكيد مثلاً نادراً، إن لم يكن وحيداً، للزخرفة القبطية للحوائط الداخلية. وما تبقى منها كافٍ لتعريفنا بأسلوب وطابع تنسيقها، فالفراغات السفلية رُسمت عليها مناظر ذات مقاس كبير، وفوقاً منها شخصيات ثنائية بحجم أصغر تتوافق حركاتها مع الخطوط الرأسية المعمارية أو الإنشائية لهذا الجزء، يعلوها رسومات أكثر تنوُّعاً وأقل جوداً حيث المسطحات صغيرة وأقل انتظاماً. من المستحيل هنا أن ندرس الأساليب التي استعملها الفنان أو نتتبع أصولها، لكن يمكننا أن نشير إلى الخصائص الفنية العامة. فالعناصر العديدة ككل، وعلاقتها بعضها مع بعض، متناسبة تناسباً بديعاً، وقد تناولها الفنان بمهارة فائقة. كل صورة تتناسب مع الفراغ الذي تشغله بحيث أن الناظر إليها من أسفل يستطيع التعرف عليها دون ما جهد. والراهب يوحنا يبدو هنا فناناً زخرفياً حقيقياً في تكييف المناظر والموضوعات حسب المساحات المتاحة دون تكلُّف، مع انسجام خطوطها مع الخطوط المعمارية للمبنى. والمثل الواضح لذلك هو منظر بشارة الملاك للعذراء مريم ومنظر بشارة الملاك لزكريا الكاهن.

أما الملامح فهي وإن كانت سريعة وركيكة كما تظهر في الوجوه الملتحية والأقدام، إلا أنها في رسومات الملائكة كما في منظري البشارة وغيرهما يظهر فيها الدقة إلى حد كبير على الأقل عند النظر إليهم من أسفل كما هو المفروض، وربما كانت الألوان في جدَّتها شديدة ساطعة(٥٤). لكن في بلد كمصر الضوء فيها شديد باهر للعين لا تُعتبر هكذا. وفي الحقيقة أنها ملائمة بطريقة مدهشة لظروف الإضاءة في هذا المذبح. ولو أُتيح للفنان درجات مختلفة من الألوان والظلال لما كان استعمالها هنا موفَّقاً، كما نستطيع أن نقرر أن مزاج الفنان التكويني لمساحات الألوان رائع.

القبة:

القبة الحالية حديثة البناء بين سنتي ١٩١١ و١٩١٢. والأثري شستر Chester يقرر أنه كان في القبة الأصلية كتابات بالخط الكوفي البديع فوق طلائها الداخلي. لكن بطلر يؤكد أنها

---

(٥٤) هذه الشدة انطفأت اليوم واستحالت إلى لون هادىء رقيق. والمثال هنا هو الرسومات الدائرية والشخص الواقف في عقد الضلع الشرقي للقاعدة المثمنة.

ليست سوى شريط من الزخرفة التقليدية في دائر القبة من أسفل، وأضاف أن بقايا طلائها كانت ملونة، وقد نقل «جاييه» بعضاً من زخارفها.

تاريخ الهيكل:

هناك عنصران معماريان لتقرير تاريخ الإصلاحات الأخيرة في هذا الهيكل: شكل العقد، طبيعة المقببات التي في أركان قاعدة القبة. فعقد المدخل ومقصورة «الشرقية» والمقببات الأربعة مع ما يتصل بهم من عقود كلها من طراز كان شائعاً في عصر الخلفاء الفاطميين. والدليل على ذلك هو الجزء القديم من الجامع الأزهر ومسجدي الأقمر والصالح طلائع. أما المقببات والتجاويف التي بداخلها سواء كانت مستوية أو دائرية فلها أمثلة مناظرة مثل المباني التي تحت القباب المتهدمة في طرفيّ إيوان جامع الحاكم والقبة الرئيسية في الرواق القديم في إيوان الجامع الأزهر. فمن الجهة المعمارية لدينا ما يبرر نسبة تاريخ الإصلاحات الأخيرة في هذا الهيكل إلى العصر الفاطمي، ولكن هناك عنصر ينفي هذا التاريخ وهو الزخرفة الزجزاجية في عقود المقببات الأربعة حيث لا نعثر على نظير معاصر لهذا التاريخ المبكر. وعلى هذا فالحشوات الخشبية التي كانت في الحجاب هي فقط التي تعتبر أصيلة.

وبالنسبة لزخارف الهيكل فليس لدينا أساس راسخ لتحديد التاريخ نظراً لعدم معرفتنا الكافية بالأساليب الزخرفية القبطية في العصر الوسيط. ومع هذا فتوجد زخارف تقليدية نلمح منها سمات العصر الفاطمي خاصة زخرفة بطنيات المقببات التي تذكرنا بالزخرفة المتموجة التي في الجانب الأيمن لمحراب جامع ابن طولون، وأيضاً مصبعات الجبس في دير السريان، وسلسلة الزهور المتماوجة في البطنيات الصغيرة لا تتنافى أيضاً مع التاريخ المقترح رغم أنه ليس لها ما يشابهها بشكل صريح.

يتبقى ثلاثة أشياء تتعلق بالكنيسة الكبرى:

فرن القربان:

إلى الشمال من المدخل البحري للخورس يوجد بيت القربان، وهو فرن صغير غير مستعمل. ومن الناحية الأثرية ليس فيه ما يستحق الذكر(٥٥). لكن على حائطه توجد لوحتان من الحجر عليها كتابة منقوشة بالعربية، على إحديها مكتوب ما يلي:

«قال داؤود النبي الرجل الذي ينوي

---

(٥٥) أثناء ترميم وتوسيع الكنيسة اكتشفنا أن لها قبة صغيرة مفطوسة مما يقطع بأنها كانت لغرض طقسي هام. لذلك هيأنا فيها صندوقاً تودع فيه أجساد البطاركة المحفوظين بالدير، وفوقه وُضعت رفات الثلاثة المقارات القديسين. وبذلك تحولت هذه القبة إلى مقصورة ذات أهمية قصوى.

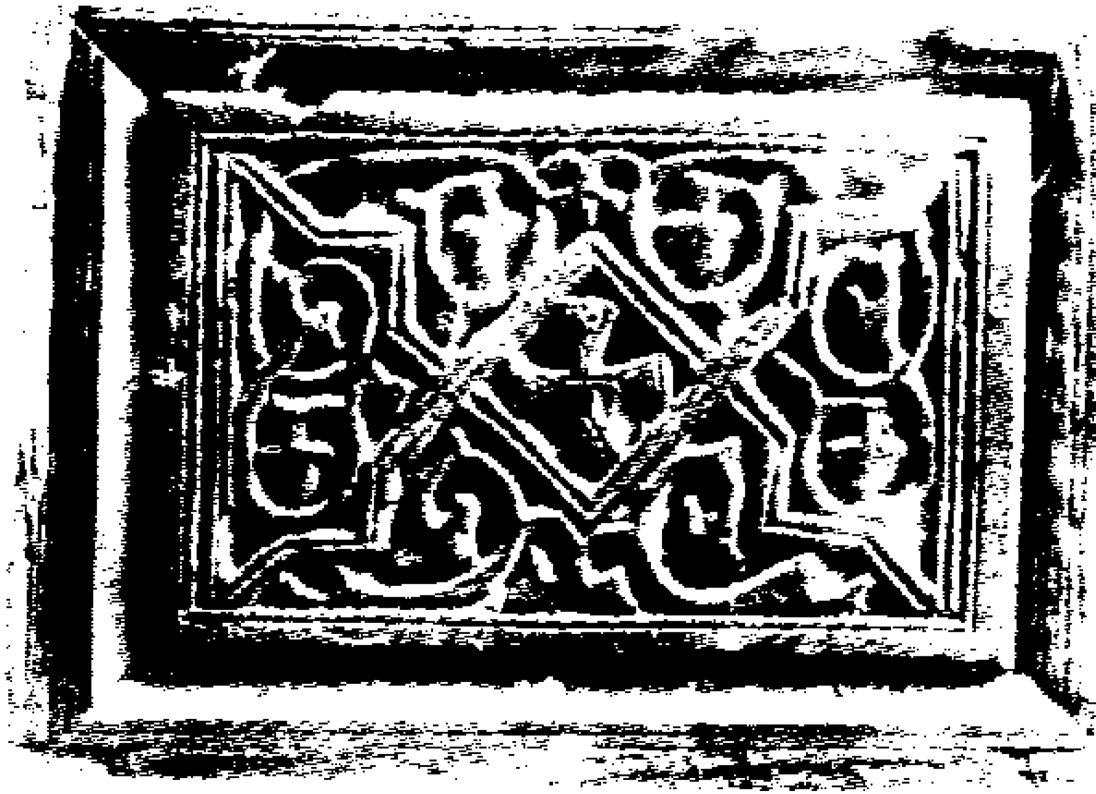
حياة ويحب أن يرى أياماً صالحة
ليكف لسانه عن الشر ...... »
وليس سهلاً تحديد الموضع الأصلي لهاتين اللوحتين، لكن قطعاً ليس هنا.

جرس قديم:

في إحدى القلالي القديمة يحتفظون بجرس غريب قيل أنه لهذه الكنيسة، قطره من أسفل ٣٠ سم وارتفاعه ٣٨ سم بخلاف الحلقة التي تربطه مع قطعة الخشب المتحركة. وجسمه ليس مخروطياً كالعادة بل هو على شكل مخروط ناقص، نُقشت عليه أربعة صلبان بالحفر البارز على مسافات متساوية، وله قة غريبة إذ أنها من قطعة منفصلة مصبوبة بشكل غطاء ومركَّبة أعلى جسم الجرس، ولا يمكن تحديد تاريخ هذا الجرس، ولكن حسب وصف فانسليب، يرجع تاريخه إلى ما بعد القرن السابع عشر. وقطعاً ليس هو صناعة أوروبية(٥٦).

مجمرة برونزية:

شاهد «بالمر جونس» أثناء زيارته للدير سنة ١٩١٠ ــ ١٩١١ مجمرة من البرونز ونقل رسمها، ومن المحتمل أنها تتبع الكنيسة الكبرى. ولكن المؤرخ إڤلين هوايت يذكر أن نظره لم يقع عليها أثناء زيارته سنة ١٩٢٠ ــ سنة ١٩٢١ وإن كان لا يستبعد أنها مازالت موجودة(٥٧).



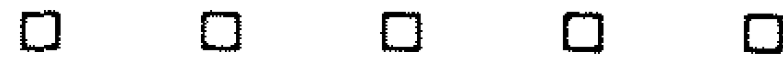
صليب في إطار من حلية مستقيمة تتقاطع في أشكال هندسية بينما تحتل باقي المساحة سيقان نباتات مورقة. [حشوة من الخشب المحفور ترجع إلى القرن الثاني عشر في حجاب أثري لإحدى كنائس دير أبو سيفين في مصر القديمة].

(٥٦) لم يُعثر بعد على هذا الجرس. و يبدو أنه اختفى بعدما رآه المؤلف إڤلين هوايت.

(٥٧) من الشكل المرسوم مع النص الإنجليزي الأصلي يتضح أنه «قنديل زيت» من النوع الذي يوضع أمام الأيقونات في شرقية الهيكل. وهذا قد اختفى أيضاً.

الفصل الرابع

كنيسة الشهيد أباسخيرون



الوصف العام:

مكرسة على إسم الشهيد أباسخيرون المقتدر القلّيني المنسوب إلى قلّين، وهي مدينة في الدلتا تقع شرق دمنهور بمسافة ٥٣ ك، وإلى الجنوب قليلاً من مدينة سخا. وتقع الكنيسة في الجانب القبلي للفناء البحري حيث يحجزها عنه صف من القلالي الحديثة. وهي تبدو من الخارج وضيعة المظهر، مفطوسة (لوحة ٩٦). ولكن يجب ألا ننسى أنه ضاع من ارتفاعها متران إثنان بسبب رفع أرضية الدير. وهي في حالتها الراهنة كنيسة من النوع القصير المستعرض تحوى صحناً وخورساً وثلاثة هياكل. ويجاورها من الشرق بعض الغرف الصغيرة التي يمكن الوصول إليها عن طريق دهليز ضيق يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط. والدخول إليها الآن عن طريق باب منخفض في حائطها الغربي قرب زاويتها البحرية الغربية ثم الهبوط بالسلم ستَّ درجات[١].

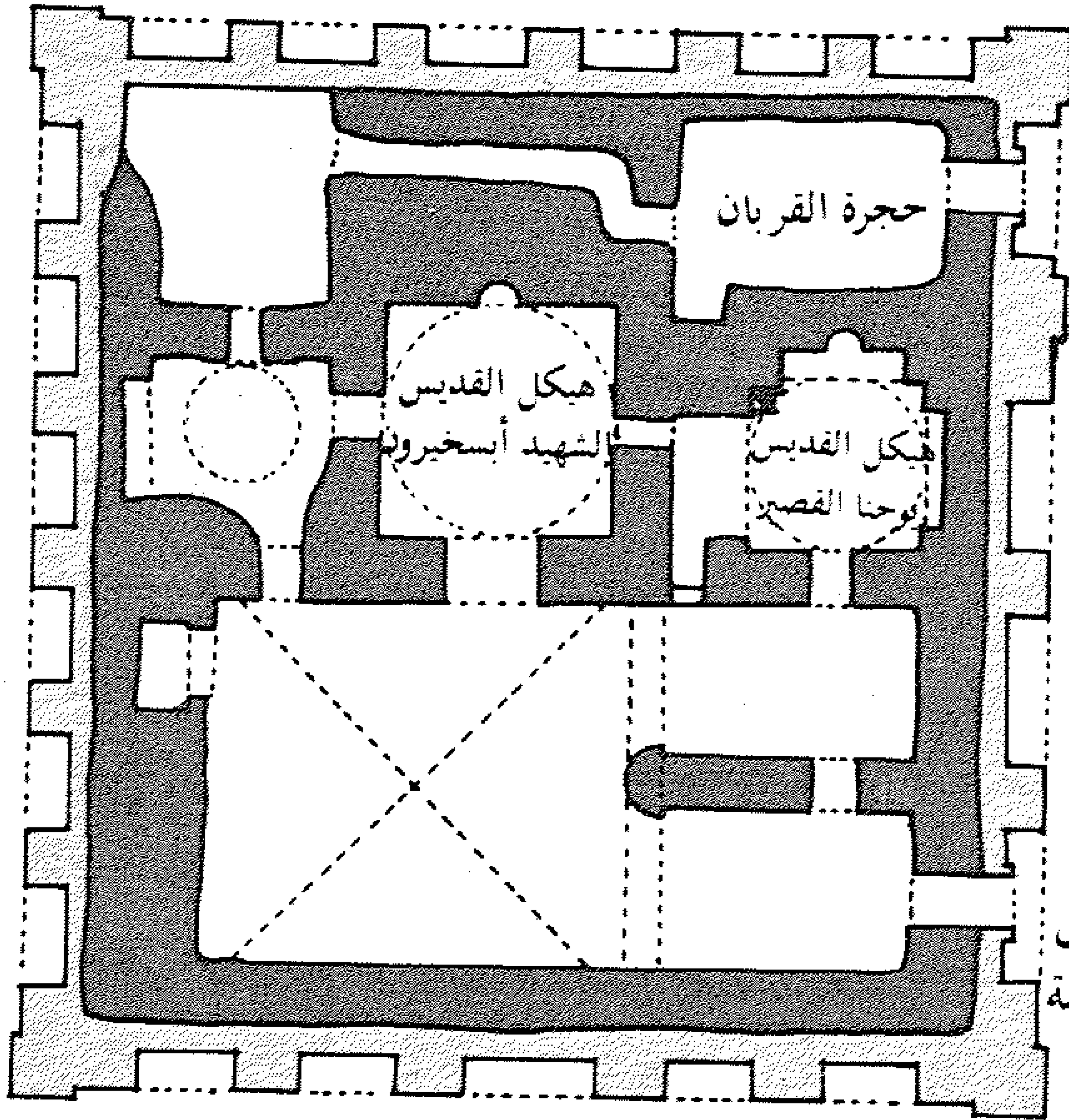
الصحن والخورس:

يفصل بين الإثنين حائط بسيط من المباني تتخلله ثلاثة مداخل. الجزء القبلي من هذا الحاجز أو الحائط يرتفع من الأرضية حتى السقف ويحمل قبوين متوازيين من النوع الإسطواني يغطيان الطرف القبلي لكل من الصحن والخورس. أما الجزء البحري (وطوله ١٠ أمتار) فيرتفع فيه الحاجز إلى مسافة ٣٫٧٠ متر فقط فوق الأرضية (لوحة ٨٨)، ثم يعلوه جزء من عصر متأخر ارتفاعه ٩٠ سم ومنفصل تماماً عن السقف[٢]. والسقف هنا قبو رباعي ينتهي طرفه القبلي بعقد مستعرض كبير، وهو يغطي كل المساحة البحرية من الكنيسة وتشمل الخورس والصحن معاً. ومن هنا يتضح أن الإثنين، أي الصحن والخورس، كانا في الأصل وحدة معمارية واحدة بدون

(١) أزيلت القلالي المتأخرة والمباني التي يذكرها إڤلين هوايت حول الكنيسة، وأقيمت لها من الخارج حوائط واقية لتدعيم قباب الكنيسة، تتخللها بواكي بعقود دائرية، كوّنت مع القباب وحدة منسجمة. أما الباب الغربي فقد تم سدُّه بعد فتح الباب الأصلي في الجهة القبلية من الخورس الثاني للكنيسة.

(٢) أزيل هذا الحائط لتظهر القبة الرباعية بدقتها وفنها الجميل، واستعيض عنه بحاجز خفيف من الحديد المشغول.

كنيسة الشهيد أبسخيرون
بعد تقويتها وتدعيمها سنة ١٩٧٥



▩ = مباني قديمة

▭ = مباني حديثة
لتدعيم الحوائط القديمة

هذا الحاجز. و يتأكد هذا الرأي من فحص الحاجز حيث يظهر واضحاً أنه غير متداخل، غير معشق، مع حائط الكنيسة البحري، كما أنه مقام فوق بلاط الأرضية الحجري الذي يغطي كل المساحة التي يغطيها هذا القبو. فالجزء البحري من هذا الحائط إذن مضاف في عصر متأخر عن المبنى الذي يقسمه. وفي نفس الوقت، هذا الحائط بكامله قطعة واحدة، وهي نقطة مهمة. ونظراً لأن الحاجز ليس أصلياً في الكنيسة، بالتالي يكون القبوان اللذان يحملهما هذا الحائط في ناحيته القبلية ليسا أصيلين(٣). هذه النتيجة تفسر المظهر البسيط الوضيع لهما. لذلك هناك احتمالان: إما أن القسم القبلي للخورس والصحن معاً كان في وقت ما مغطى بقبة أو قبو ثم انهار فاستعيض عنه بالقبوين الحاليين (و بفحص الوجه القبلي للعقد المستعرض الكبير لم نستدل فيه على أية آثار تؤيد هذا الإحتمال)، وإما أن القسم القبلي بأسره مضاف وليس أصيلاً وسنعود إلى مناقشة هذا الإحتمال فيما بعد. **(أنظر رأي مدير مصلحة الآثار المصرية في قدم القبوين، وهو الرأي الأرجح ـ صفحة ٥١٨ وما بعده).**

القبو الكبير:

السقف الذي يغطي القسم البحري من الخورس والصحن معاً هو قبو رباعي ضخم يغطي مساحة قدرها ٨٫٣٠ متر من بحري إلى قبلي، ٦٫٠٠ متر من الشرق إلى الغرب. وجوانبه البحرية والشرقية والغربية تستند على حوائط الكنيسة، أما الجانب القبلي فيحمله عقد رائع من الطوب الأحمر سمكه يزيد قليلاً عن المتر(٤). بدايات أقواس القبو الرباعي ترتد قليلاً عن أركان المساحة التي يغطيها، ربما بقصد توفير أمان أكثر للقبو ضد ضغوطه إلى الخارج، وأيضاً لتقريب أبعاد المساحة التي يغطيها لتصير مربعة على قدر الإمكان(٥). وهنا ينبغي التذكير بأن مثل هذا الترتيب مستعمل في القبو الرباعي الذي يغطي الحجرة البحرية الغربية في الطابق الأخير من الحصن.

(٣) لقد قلب الدكتور جمال محرز مدير مصلحة الآثار السابق ـ رحمه الله ـ هذا التفسير الهندسي رأساً على عقب وكان على حق و يقين.

(٤) لسبب الشروخ الكثيرة التي ظهرت في هذا العقد وأيضاً في القبة الرباعية التي يحملها فَقَد العقد كثيراً من روعته واضطررنا لتغطيته بصلبان من الجبس تتمشى مع الطابع العام للكنيسة من الداخل.

(٥) تبيَّن وجود شروخ خطيرة في أركان هذه القبة الرائعة كادت تطوِّح بها، نتجت عن وجود حجرات مجاورة استعملت لمدد طويلة كمطبخ عام ومعجن وفرن للدير، ونتج عن ذلك كثرة استعمال المياه وصرفها في طرقات الدير المحيطة بالكنيسة (ارجع إلى رسم الدير في ملزمة اللوحات). فلذلك، بعد إزالة الأبنية المتطفلة حول الكنيسة، كان أول عمل هو بناء حائط سميك من الدبش ومونة الأسمنت والرمل القوية بعرض ١٠٠ سم و بكامل ارتفاع حوائط الكنيسة لتكون سانداً منيعاً ضد «رفس» قباب وعقود الكنيسة و بالأخص القبة الرباعية المفطوسة. ثم إحاطة هذا الحائط الساند من أعلى بحزام من الخرسانة المسلحة بعرض الحائط لضمان تماسكه كوحدة واحدة في كامل محيط الكنيسة. و بعد التأكد من ثبات هذه القباب قمنا بعمل «بربقة» من الأسمنت والرمل بنسبة واحد إلى واحد لتغطية سطح هذه القبة الضخمة ولسقية شروخها، نظراً لخطورة عمل غطاء خرساني لهذا النوع من القباب المفطوسة.

والقبو مبني بطوب أحمر محروق رقيق السمك ومونة الجير مع لحامات عريضة نوعاً ما. وكما قصد المصمم، فالوجه الداخلي للقبو مكشوف بدون بياض. هذا القبو الرائع مع الباب الذي سيأتى ذكره فيما بعد، والقبو الصغير في الباكية الوسطى بالمائدة في هذا الدير وأيضاً في دير أنبا بيشوي، ثم العقود والقباب المكشوفة في حصني هذين الديرين، كلها تبين بجلاء الإمكانيات الإنشائية والمعمارية رفيعة المستوى لمباني الطوب المكحول بدون بياض.

الصحن:

بحالته الراهنة قليل الأهمية. في جانبه البحري مدخل صغير مسدود الآن تماماً. و يقابله في الناحية القبلية مدخل آخر مسدود من الخارج فقط، وعليه من الخارج كتابة منقوشة في البياض باللغة القبطية: «يسوع المسيح ابن الله» والحروف بارزة، تبدو عليها مسحة القدم، ربما تكون معاصرة للزمن الذي فيه أضيف الحائط الحاجز الذي فصل بين الخورس والصحن(٦). وفي الإرتداد الداخلي الذي بقى بعد سد هذا المدخل من الخارج، يوجد مغطس من الرخام قطره ٣٠ سم وارتفاعه ١٠ سم، وأطرافه المهشمة حول وأسفل حافته تدل على أن هذا المغطس كان موضوعاً داخل لوح رخامي، وفي هذه الحالة يكون هو اللقان بشكله المألوف ولكن ليس لهذه الكنيسة(٧). والمساحة التي يغطيها القبو الرباعي الكبير هي وحدها مكسوة ببلاط مستطيل من الحجر الجيري الأملس، وهو ممتد تحت الحائط الحاجز إلى الجزء المقابل في الخورس وقد تهشم أغلبه. *وفي أرضية الصحن مقابل المدخل الأوسط للخورس يوجد «اللقان» ومحيط قاعه ٤٤ سم، وهو الآن مملوء بالأسمنت ولم يبقَ ظاهراً منه سوى الحافة.

وذكر العالم الأثري شستر Chester أنه شاهد رسومات حائطية رديئة لمارجرجس وأبو سيفين، وإنبل خشبي. ويحتمل أن هذه الرسوم كانت في الخورس حيث مازالت آثارها باقية إلى الآن. أما الإنبل فقد اختفى إلا أن الآثار الباقية على الأرضية وعلى الحائط الحاجز تدل على أنه كان قائماً بحري المدخل الأوسط مباشرة. أما الإنبل ذاته فثلاثة من أجزائه ـــ وهي التي كانت تكوّن جانبيه(٨) ـــ ربما هي التي استعملت في إقامة حجاب كنيسة العذراء بالحصن.

الخورس:

هناك شيء واحد فقط جدير بالإهتمام. في الحائط البحري للخورس يوجد باب بديع الشكل (لوحة ٨٩)، جوانبه من الطوب الأحمر المنتظم الصفوف واللحامات، وتتخلل المداميك

(٦) بالفحص الدقيق تبين أن هذا المدخل مسدود حديثاً بحائط غير ملتحم بمباني الكنيسة والكتابة الخارجية بالحروف القبطية حديثة أيضاً. لذلك قنا بفتح هذا المدخل ليكون مدخلاً رسمياً للكنيسة كما كان أصلاً، بدلاً من الباب الغربي الذي أغلق نهائياً.

(٧) هذا المغطس مع غيره من اللقانات وأحواض الغسيل الطقسية معروض في متحف الدير.

(٨) الجانب الثالث كان يشغله حتماً السلم المؤدي إلى الإنبل. أما الجانب الرابع فهو الحائط الحاجز بين الصحن والخورس.

مدادات أصلية من الخشب، واللحامات الرأسية مخفاة بطريقة عجيبة. أما اللحامات الأفقية فظاهرة ومكحولة بإتقان. ومن بين مداميك الجانب الشرقي توجد كتابة بالأرمنية كُتبت وقت أن كانت مونة الكحلة مازالت لينة. ومن الخمسة أسطر المكشوطة، أمكن حل رموز الكلمات التالية:

«في (هذا) المكان من يقرأ و يذكرنا ...

سيُذكر في حضرة المسيح في يوم (الدينونة) الرهيب... عقب هذه الحياة الفانية... إلى السابق سيذكرك أيضاً.

أذكر الخاطىء خادم يسوع المسيح طيراط...

... أو ر... »

ولهذا الباب عتب خفيف من الخشب، يعلوه فتحة مربعة أصغر مقاساً ولها جوانب وعقد مستقيم من الطوب الأحمر المكحول بنفس الإتقان. وعلى جانبي هذه الفتحة مستطيل رأسي من الطوب المصفوف بدقة و بدون لحامات حتى أن الناظر إليه يستحيل عليه أن يرى آثار فواصل بينها(٩). والجزء الأكبر من هذا التصميم مشغول بزخرفة هندسية نجمية محفورة في الطوب ومكحولة بالمصيص الأبيض، يحيط بها إطار من سلسلة زخرفية. و يعلو هذا المستطيل، وأيضاً أسفله، توجد كتابة عربية محفورة بنفس الطريقة. و يوجد بالمتحف الإسلامي قطع صغيرة لتصميم زخرفي نجمي محفور ومكحول بالمصيص بطريقة مشابهة مأخوذة من بيت جمال الدين الذهبي(١٠).

وداخل هذا الباب يوجد الآن باب آخر خشبي يؤدي إلى غرفة صغيرة يؤكد الرهبان أنها قاعدة لبرج جرس سقط. لكن مثل هذا الباب البديع قطعاً لم يكن الهدف منه هو أن يوصل إلى مكان آخر، كما أن حائط هذه الغرفة الصغيرة المقام ارتجالياً، هو مجرد ملء فراغ(١١).

وإلى يمين مدخل الهيكل الأوسط مازالت ظاهرة هالة صغيرة باللون الأحمر فوق السطح الذي أعيد طلاؤه في الجزء الأسفل من حائط الخورس الشرقي، ربما كانت لإحدى الرسوم التي ذكرها شستر، أما الرسم الثاني فربما كان موضعه إلى يسار المدخل أسفل الإطار الزخرفي البدائي الذي مازال باقياً هناك حتى الآن(١٢).

---

(٩) يعجز الإنسان أن يصف الدقة «الميكروسكوبية» لهذا العمل. ليس فقط دقة صناعة الطوب، بل إن كل قالب منه موضوع مع ما يجاوره بحيث لا يظهر بينهما أي فاصل ولو بسيط.

(١٠) يعود تاريخها إلى سنة ١٦٣٧م وهو متأخر جداً عن تاريخ الزخارف التي نحن بصددها.

(١١) أزيلت المباني الموجودة داخل الباب الجميل ليظهر ما فيه من مهارات وفنون بناء الطوب الأحمر.

(١٢) لم نعثر على شيء من هذه الرسوم أو بقاياها، و يبدو أن الطلاء الجيري كان قد غطاها.

الهيـاكـل

الهيكل البحري:

مـدخل الهيكل البحري اختُزل كثيراً في عرضه، لكن الحدود الخارجية للعقد الأصلي مازالت ظـاهـرة مـع قـوالـب الـطـوب الـدائـريـة المـدهونة باللونين الأحمر والأبيض(١٣) والتي يحتويها إطار مـسـتـطـيـل تـعـلـوه فتحة مربعة. والحائط الداخلي الغربي للهيكل قد زيد سمكه بمقدار كبير حتى يحتمل ضغط القبو الكبير في الجزء البحري الشرقي من الكنيسة أو لمجرد ملء الفراغ الناتج عن عدم انـطـبـاق محور قـبـة الهيكل مع محور الهيكل ذاته. ولا يوجد في الهيكل مذبح، بل إنه غير مستعمل الآن(١٤). والـقـبـة الأصـلية استعيض عنها في وقت متأخر بأخرى أصغر سيئة الصناعة إلى أقصى حد، والـذين أقاموها ــ ربما الرهبان بأنفسهم ــ كانوا خائفين حتى أنهم اختزلوا المساحة المرغوب تغطيتها بواسطة مدادات خشبية موازية للحائطين البحري والقبلي، وربما ملأوا الزاويتين البحرية الغربية والقبلية الغربية بالمباني. وليس فيها سوى شيء واحد، واحد فقط، هو الجدير بالإهتمام. في حـائـط الهـيـكل البحري يوجد ارتداد وعقد واسع لكنه مسدود من الخلف بحائط بدون بياض، مـبـانيه غير متداخله مع المباني الأصلية. فهو إذن مجرد حائط يسد فراغ العقد المفتوح. فلاشك إذن في أن هذا العقد كان يوصل إلى صحن الكنيسة الكبرى الضائع...

الهيكل الأوسط:

لـيـس فـيـه مـا يستحق الذكر. حجابه حديث مشابه للموجود في كنيسة الشيوخ وتاريخه سنة ١٨٦٦. والـقـبـة المـنـخـفـضـة قائمة على أربعة مقببات بعقود مدببة في زوايا الهيكل... و يبدو أن الـبـيـاض الحديث من عهد قريب. والمذبح مغطى بلوح رخام من طراز المربع ونصف الدائرة. وفي الزاوية البحرية الغربية يوجد حوض أو طست Piscina (١٥).

الهيكل القبلي:

مـدخل سخيف ذو عقد يؤدي إلى الهيكل الثالث، وقد اختصر اتساعه بإضافة أكتاف جانبية داخـل الـعـقـد فيها عـتـب من الخشب عليه كتابة عربية محفورة في سطرين، أحدهما قرأه لي أحد الرهبان.

« أذكر يارب عبد الملاك ... أول برمودة سنة ١١١١ ش »

فـتاريخ الهيكل إذا كان العتب الخشبي من نفس العصر هو سنة ١٣٩٥م. والقبة فقيرة البناء

(١٣) يبدو أن القصد من هذه الدهانات السقيمة هو اصطناع نوع من التماثل بينه و بين الباب البحري الذي في الخورس.

(١٤) عندي شك كبير في أن هذا الهيكل قد استعمل في أي وقت من الأوقات رغم أنه في دورة أحد الشعانين توقف أمامه الكهنة والرهبان قليلاً، مثله مثل الهيكلين الآخرين، وقدموا البخور كما لو كان له بعض التقديس (هذا التعليق للعالِم إفلين هوايت).

(١٥) فُتح في الهيكل الأوسط بابان أحدهما يوصل للهيكل البحري والآخر للهيكل القبلي.

قائمة على مقببات مدببة و يبدو أنها من زمن معاصر للعتب الخشبي. ولوح المذبح من قطع رخام مكسورة وموضوعة بغير انتظام بحيث يصعب تحديد شكله، ولاحظ بطلر وجود طست من الرخام في حوض بالزاوية البحرية الشرقية للهيكل وقيل له أنه مستعمل لإعداد زيت مسحة المرضى. هذا الطست ما زال موجوداً في مكانه لكن رهبان الجيل الحاضر (أي زمن كتابة هذا الوصف ما بين عام ١٩١١ــ١٩١٢) لم يستطيعوا أن يفسروا علة وجوده(١٦).

والحائط الشرقي مجوف إلى الداخل وفيه منصة من أربع درجات بانحناء موازي لها. وفي الحائط القبلي ارتداد خفيف ولكنه متسع وله عقد، و يقابله في الحائط البحري عقد كان مفتوحاً والآن نصف مغلق بحائط. وهذا كان يفتح على دهليز ضيق يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط و يوصل من الخورس إلى الحجرات الصغيرة الكائنة شرقي الهياكل. هذا الترتيب شاذ ولكنه صار محتماً بسبب إضافة الهيكل القبلي إلى المبنى العام حتى يمكن الوصول إلى الحجرات الشرقية خلف الهياكل(١٧).

الحجرات الشرقية:

ينتهي هذا الدهليز شرقاً بحائط منخفض يحمل رفاً عريضاً. وعلى ارتفاع ١٫٥٠ متر من الأرضية توجد فتحة لا يمكن الجزم بمدى أصالتها، وتؤدي إلى حجرة مربعة متوسطة الحجم ليس فيها ما يلفت النظر إلا مدخل في حائطها البحري من الجهة الغربية له عقد مدبب من الطوب الأحمر و يؤدي إلى إحدى الغرفتين الضيقتين خلف الهيكل الأوسط، الأولى منها غاصة بالأنقاض والمخلفات(١٨) بارتفاع لا بأس به، و يبرز فوقها عقد من الطوب المكشوف في الطرف الشرقي لحائطها البحري يوصل إلى غرفة ضيقة بقبو نصف إسطواني تملأها الأنقاض حتى السقف. وربما توجد حجرة أخرى تقابلها من الجهة الغربية، وإذا وجدت فلابد أن تكون مدفونة تماماً. والحجرة الثانية في منسوب أعلى، إذ أنها تقع فوق الحجرة السابقة ذات القبو، والدخول إليها عن طريق

(١٦) هو حوض من حجر شبه الرخام، وجدنا به طبقات متصلبة من زيت زيتون متجمد. وقد علمنا من الطقس أنه حوض لزيت مسحة المرضى حيث كان طقس الكنيسة يحتم وجود زيت على المذبح أثناء تقديس الذبيحة حيث يُقرأ عليه أوشية المرضى ثم يُدهن به جميع المرضى في الكنيسة الذين كانوا يقيمون في بيت خاص يلحق بالكنيسة ويجري عليهم الصلاة والمسح بالزيت بعد كل قداس (أنظر قوانين القديس أثناسيوس).

(١٧) عند ترميمنا لهذه الكنيسة اجتهدنا لإصلاح مثل هذه الأخطاء، فأغلق باب الدهليز الذي كان يؤدي من الصحن إلى الحجرات الخلفية لأنه مخالف للطقس، وفُتح باب في العقد البحري المذكور يوصل بين الهيكلين. وقد تم تكريس الهيكل القبلي على اسم القديس يوحنا القصير، وهو الجيل الثاني من أولاد أنبا مقار، والذي مازال جسده محفوظاً الآن في المقصورة الخشبية داخل الخورس الأول في الكنيسة.

(١٨) هذه المخلفات والأنقاض منقولة بلا شك بقصد تغطية مخلفات كنسية مكسورة أو غير مستعملة كعادة الأديرة. ومن الجائز جداً، إذا أمكن تفريغ هذه الحجرة مما فيها، أن تكشف عن مخطوطات أو أشياء أخرى أثرية يعتبرها الرهبان نفايات، ولو أنها مقدسة.

فتحة غير منتظمة في حائطها القبلي. ورغم صغر حجمها إلا أنها فخمة بقبابها وأعمدتها. يتوسط كلاً من الحائطين البحري والقبلي عمود بارز من الحائط، وفي كل زاوية من زوايا الحجرة نصف عمود وكلها تحمل قبوين صغيرين من النوع الإسطواني، يمتدان من الشمال إلى الجنوب، ويتعامد عليها قبو ثالث من نفس النوع يمتد من الشرق إلى الغرب وجميعها من الطوب الأحمر المكسو بالبياض(١٩). هنا أيضاً الأرضية مشغولة بالركام والسلال المكسورة المنقولة. ليس هناك شك في أن هذه الحجرة محصنة ربما بقصد الإحتفاظ بالميرون أو بالكتب أو المهمات الكنسية(٢٠).

التاريخ المحتمل للكنيسة وملحقاتها:

ليست هناك قرينة واضحة لتحديد تاريخ هذه الكنيسة. وفي اعتقادنا، إذا كان الإنهيار الذي قرر مصير هذا الدير حدث في منتصف القرن الرابع عشر فلابد أن هذا البناء كان قائماً قبل هذه الكارثة. وإذا قررنا أنها هي الكنيسة الجامعة فلابد أنها كانت قائمة قبل سنة ١٣٣٠م عندما قيل أن أنبا بنيامين الثاني (البابا الثاني والثمانين) قد زارها. أما تاريخ ملحقاتها فعلينا أن نستقرئه في مبانيها.

تاريخ القبو الطوبي الكبير والباب الرائع:

القبو العظيم المبني بالطوب الأحمر الذي يغطي القسم البحري من الخورس والصحن معاً لابد أن نعتبره معاصراً بصفة مبدئية لمثيله الكائن في الباكية الوسطى في مائدة الدير(٢١) ــ وإن كان أصغر حجماً. هذه المائدة بلا شك من زمن بناء مائدة دير أنبا بيشوي والتي تحدد تاريخها بالقرن الثاني عشر حينما صار البناء بالطوب المكشوف بغير بياض عملية مألوفة، كما هو في عقود القصر في هذا الدير وفي دير أنبا بيشوي. ومع هذا فيوجد سبب يجعلنا نفضل تأخير هذا البناء إلى القرن التالي وهو الباب الرائع الكائن في الجانب البحري للخورس. فالمستطيلات المحفورة على جانبي عتب المدخل وزخرفة النجمة ذات الستة الأطراف التي هي أساس التصميم الزخرفي تحوي داخلها نجمة أصغر في وسطها بواسطة أشكال سداسية متناسبة، هي هي نفس الحركة الزخرفية المتكررة في مصبعات المصيص بدير البرموس، وأيضاً في بعض الحشوات الخشبية التي أعيد استعمالها في أحجبة كنيسة العذراء بالقصر هنا. إذن كلٌّ من القبو والباب ينتسب إلى القرن الثالث عشر.

(١٩) يحتمل أن تكون هي القلاية التي حفظت بها أجساد التسعة والأربعين شهيداً وكانت ملحقة بكنيسة المغبوط أريستوماخس، أو كمخزن طارىء للميرون.

(٢٠) أضيفت هذه الحجرات للمبنى العام كملحقات للكنيسة، فاستخدمت إحداها لعمل القربان، والأخرى لتجهيز المجمرة للخدمة الكنسية. وأما الحجرة العليا فقد بقيت على حالها بعد نظافتها تماماً من الركام والمخلفات.

(٢١) النظرة الفاحصة للباكية الوسطى في مائدة الدير تكشف عن الفارق العظيم في المهارات الفنية للبناء، وأن ما عُمل من مائدة الدير كان تقليداً متأخراً للأصل في كنيسة الشهيد أباسخيرون.

تاريخ الهياكل:

أما الهيكلان الأوسط والقبلي فملامحها المعمارية غير محددة، مما يجعلها من عصر متأخر، القرن الرابع عشر أو أكثر. ونحن هنا نقف أمام معضلة، فالمدخل الذي يوصل من الدهليز إلى الحجرات الشرقية الواقعة خلف الهيكل الأوسط يشترك في نفس الظاهرة المعمارية التي ترجع إلى القرن الثاني عشر والثالث عشر والتي فيها يترك الطوب الأحمر المكحول بعناية دون بياض لذلك يبقى الهيكل الأوسط دون قرار محدد.

عناصر أصيلة وأخرى متأخرة:

قد رأينا أن القبوين الإسطوانيين اللذين يغطيان الجزء القبلي من الخورس والصحن، مع الحائط الفاصل الذي يحملها، يرجعان إلى عصر متأخر عن القبو البحري الكبير، ثم علقنا على الدهليز الغريب الذي يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط. نعود إلى الدهليز فنلاحظ أن حائطه البحري ــ وهو القبلي للهيكل الأوسط ــ هو امتداد حائط العقد الكبير الذي على نهاية القبو من الجهة القبلية، وأن في هذا الحائط يوجد مدخل من الطوب المكحول كما سبق ذكره (من القرن الثاني أو الثالث عشر) وعلى الجانب القبلي لهذا الدهليز لدينا هيكل من القرن الرابع عشر(؟) وغرفة خلفية لا شك أنها من نفس التاريخ. بالإضافة إلى هذا فالحوائط الغربية للهيكل القبلي وللجزء الجنوبي من الصحن تتقابل مع الحائط المعقود في لحامات رأسية يعني أنها ليست معشقة فيها. والإستنتاج واضح، الهيكل القبلي والأجزاء القبلية من الخورس والصحن هي إضافات، والمقصود من الدهليز هو الوصول إلى الحجرات الخلفية الواقعة شرقي الهيكل الأوسط. وأن المدخل المبني بالطوب المكحول كان قبلاً مدخلاً للهيكل الأوسط من الجهة القبلية ثم امتنع استعماله بعد إضافة الهيكل الجديد ــ القبلي ــ وحجرته الخلفية.

فإذا حذفنا الجزء المضاف إلى الكنيسة، أمكننا التعرف على طبيعة استعمال الجزء الشمالي للصحن والخورس. فقد كان أصلاً مدخلاً فسيحاً بباكية كبيرة مفتوحة في واجهته القبلية(٢٢) ومسقوفاً بقبو رباعي بدلاً من القبة الكروية المفطوسة(٢٣) كالعادة. هذا المدخل الفخم يمكن اعتباره مدخلاً رئيسياً واحتفالياً للكنيسة الكبرى حيث يكون الباب المزخرف بالطوب الأحمر والدقيق الصناعة لأجل الدخول إلى صحنها. والهيكل البحري، كما رأينا سابقاً، فيه مدخل مسدود في حائطه البحري، كان بلا شك يؤدي إلى الكنيسة الكبرى، وفي هذه الحالة يمكن اعتباره ملحقاً بالكنيسة و يتعلق بالخدمة الطقسية فيها.

---

(٢٢) مثلما هو في دير أنبا بيشوي ودير السريان في كنيسة العذراء ثم في دير البرموس.

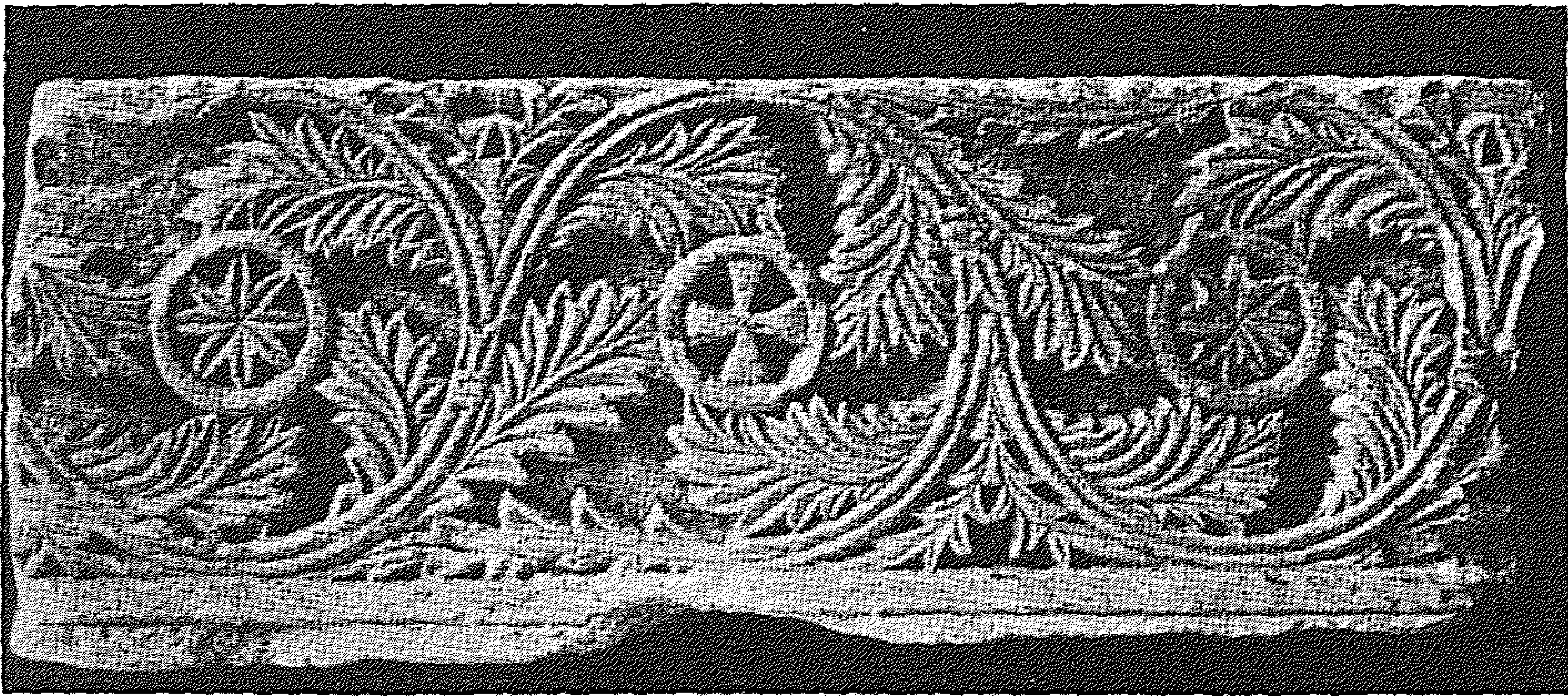
(٢٣) اتساع الرقعة المطلوب تغطيتها جعل من الأفضل استعمال القبو عن القبة.

أما الهيكل الأوسط فهناك احتمالان لإستعمالاته لا يمكن الجزم بأحدهما: أن يكون كله حجرة واحدة أو هيكلاً (في هذه الحالة يصير هو هيكل الفتية الثلاثة المذكور في القرن الرابع عشر)، وإما أن يكون حجرتين أو أكثر ثم انفتحت على بعضها.

أما الحجرات الواقعة خلف الهيكل الأوسط فلأجل عدم انتظام واجهتها الشرقية، فالأرجح أنها كانت ممتدة أكثر جهة الشرق. وهناك احتمال أنه كان في الجزء الواقع قبلي الكنيسة الكبرى صف من القلالي أو مباني المنافع ومتصلة حتى بوابة الدير (لوحة ٩٥).

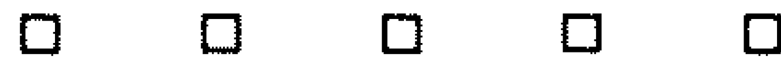
هل هناك تعليل معقول لتحويل هذا المدخل إلى كنيسة؟

عند انهيار الحياة الديرية في القرن الرابع عشر، لجأ الرهبان الذين بقوا أحياء من القلالي الخارجية للإقامة داخل الأسوار. ورغم قلة عددهم نسبياً إلا أن الدير ضاق وقتئذ بهم بسبب المساحات الكبيرة التي كانت مشغولة بالكنيسة الكبرى بحري الدير، والمائدة والكنيسة الجامعة التي نفترض أنها كانت ملتصقة بها، قبلي الدير، ومن ثمَّ لجأوا إلى تحويل الكنيسة السابقة ـ الجامعة ـ إلى قلالي لإقامتهم ثم فصلوا مدخل الكنيسة الكبرى وجعلوه كنيسة مستقلة لإجتماعهم عوضاً عن الأولى.



الفصل الخامس

كنيسة التسعة والأربعين شهيداً
شيوخ شيهيت



الوصف العام:

كنيسة الشيوخ، أو شيوخ شيهيت التسعة والأربعين، أقيمت تذكاراً لإستشهاد الشيوخ الذين ذبحهم البربر مع الوزير وإبنه في غارتهم الثالثة سنة ٤٤٤م على الإسقيط (١) وهي مبنى صغير يقع على الجانب الغربي للفناء البحري، وتشغل الزاوية البحرية الغربية للدير حيث يحيط بها مجموعة من القلالي والأبنية الأخرى (٢). وتستعمل هذه الكنيسة حالياً (زمن كتابة هذا الوصف أي سنة ١٩١١ــ١٩١٢)، مع الإثنتين الأخريين، أربعة شهور في السنة.

وهي من الطراز القصير، تتكون من بهو في الجهة القبلية الغربية، ثم صحن، وخورس يوازيه، وهيكل واحد فقط (اللوحة في الصفحة المقابلة). وفي زاويتها البحرية الشرقية يوجد غرفة لا سبيل للدخول إليها (٣)، فلا يمكن أن تكون هيكلاً جانبياً، كما يتصل بها من الزاوية القبلية الشرقية برج صغير للجرس، لكنه رائع والحجرة التي تقع قبل مدخل الكنيسة، وتشبه الدهليز، كانت مستعملة فرن القربان لهذه الكنيسة (٤).

الصحن:

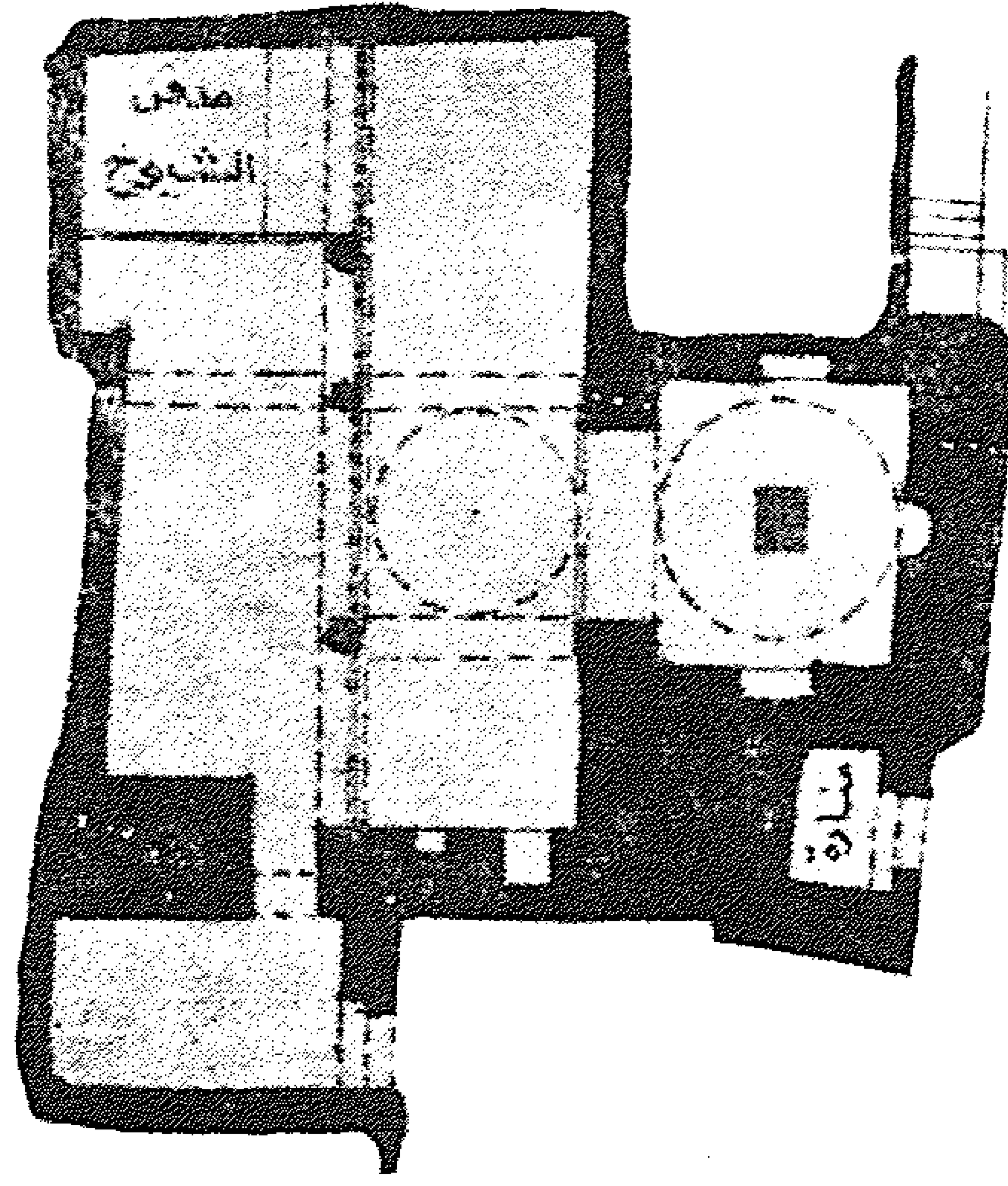
مغطى بقبو نصف إسطواني مدعَّم بعقد واحد مستعرض و ينتهي من بحري بحاجز خشبي، خلفه

(١) يقع تذكارهم في ٢٦ طوبة، والتحقيق التاريخي لهذه الواقعة مذكورة في H.N.S., I, X, S §7

(٢) أزيلت جميع المباني والقلالي المجاورة للكنيسة لما سببته من أضرار بالغة لسطحها (راجع صفحة ٥١٩)، مما اضطرنا إلى رفع جميع الأتربة والمواد المتحللة ثم صب سقف من الخرسانة المسلحة يشد قبوات الصحن و يقوّي السقف الجريد ومدادات النخيل التي تغطي بهو المدخل.

(٣) بعد رفع صندوق ذخائر القديسين الذي كان في الخورس تبين وجود باب لهذه الحجرة في طرفها البحري قمنا بفتحه كما فتحنا باباً ثانياً على هيكل الكنيسة وتوسيع الطاقة الصغيرة الموجودة في حائطها الشرقي للإضاءة والتهوية. وقد ظهر أن سقفها هو قبو مستطيل مبني بالحجارة ومبيض بالمحارة.

(٤) هُدمت هذه الحجرة بسبب تداعيها من كثرة الحرائق التي نشبت فيها.



دير القديس أنبا مقار

مسقط أفقي

كنيسة الـ ٤٩ شهيداً شيوخ شيهيت

ترتفع الأرضية مكونة مصطبة يرقد تحتها أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت. وأما من الشرق فيفصله عن الخورس أربع بواكي على أبعاد غير متساوية، تحمل قبواً نصف إسطواني آخر فوق إثنتين من البواكي يشغلها حاجز خشبي يفصل الصحن عن الخورس. والثلاثة الأعمدة الغليظة الرخامية التي تحمل هذه البواكي تستحق الملاحظة. فقواعدها مدفونة في الأرض، وجسمها الإسطواني ارتفاعه ١٫٩٣ متر و يتكون من قطعتين يتراوح محيطها بين ٨٨ سم و٩٣ سم مع أن ميل جوانبها غير ملحوظ. وأول هذه الأعمدة عليه صليب تكريس ذو ثمانية أطراف في واجهته القبلية(٥). ولهذا العمود والعمود الذي يليه تاجان من قواعد أعمدة مقلوبة. أما تاج العمود البحري فهو من الرخام المنقوش بورقة أكانثس زخرفية رائعة رغم تشوهه بالدهان الأحمر الحديث. وهذا التاج تتناسب مقاساته تماماً مع العمود الذي يحمله، وهو صورة طبق الأصل من تاج العمود الكبير الملقى في الفناء(٦).

الخورس:

مغطى بقبو نصف إسطواني فيما عدا المساحة المقابلة للهيكل حيث تغطيها قبة محمولة على عقدين مستعرضين فوق العمودين الأول والثاني وعلى الحائط الشرقي للخورس. والمقببات التي أسفل القبة لها تجاويف داخلية مزخرفة بخطوط طولية من المصيص. وفي الطرف البحري من الخورس يوجد بروز غير منتظم من المباني طرفه العلوي ربع دائري و ينتهي من أسفل في أرضية الخورس، و يقال أنه يحوي جسدي الوزير وابنه(٧) إذ لم يتسع لهما مكان في مقبرة التسعة والأربعين شهيداً. ومقابل هذا البروز يوجد صندوق ذخائر القديسين الخشبي. هذا البروز مع صندوق أجساد القديسين جعلا الدخول إلى الحجرة البحرية الشرقية مستحيلاً. ولاشك أنها لم تكن أبداً هيكلاً جانبياً، فربما كان الهدف من إقامتها أصلاً هو أن تكون مأوى لأجساد الشيوخ التسعة والأربعين، ولكن بسبب الظروف الطبيعية لهذه الأجساد صار دفنهم في الموضع الحالي

---

(٥) المفروض أن صليب التكريس يكون مواجهاً للغرب، وهو هنا منخفض جداً عن موضعه الطبيعي. هذه الدلائل تقطع بأن الأعمدة هنا منقولة وليست أصلية.

(٦) يتضح من هذا الوصف أن الهيكل الإنشائي للكنيسة يستند بصفة أساسية على الثلاثة الأعمدة المنقولة، وكل منها يتركب من جزءين إسطوانيين مثبتان معاً بخوابير خشبية، كما أن نُقط ارتكاز العقود فوق تيجان الأعمدة هي قطع من الخشب المقوى بأسافين خشبية رقيقة. فإذا حدثت أي هزة في المنطقة، وهو أمر كثير الحدوث نتيجة وجود طائرات تدر يب تخترق حاجز الصوت، فقد تنهار قباب الكنيسة وقبواتها. لذلك كان يتحتم عمل تقويات بأعمدة وعقود خرسانية تحيط بجانبي كل عمود وتمتد إلى أعلى لتسند عقود الطوب الأحمر الحاملة لسقف الكنيسة. وأعيد بياضها من الداخل بنفس أسلوب ولون البياض الأثري، كما أضيف لها «ذكصار»، خارجي حسب التقليد المعماري لكنائس الأديرة و بذلك احتفظت الكنيسة بملامحها القديمة.

(٧) عند ترميم الكنيسة فحصنا هذا البروز فوجدناه كتلة من الدقشوم والطين منفصلاً تماماً عن الحائط البحري الملاصق له، فتأكدنا أنه من عصر متأخر، ولا يُعقل أن يكون بداخله أية ذخائر كما يزعمون، وأثناء إزالته عثرنا بداخله على قصاصة من ورق الجرائد تتحدث عن أنباء الحرب العالمية الثانية مما يعني أنه قد أعيد بناؤه بعد رؤية المؤلف إڤلين هوايت له سنة ١٩٢٠م.

أفضل.

الهيكل:

له حجاب من الخشب مقسم بحشوات صغيرة مستوية مدهونة بألوان زيتية، وعليه تاريخ إقامته سنة ١٥٨٢ ش (١٨٦٦ م). وعقد مدخل الهيكل عليه تجليد خشبي كالموجود في هيكل أنبا بنيامين وليست عليه آثار لرسومات. قبة الهيكل كروية تغطي مساحته المربعة وتحملها أربعة مقببات كل منها ذات ثلاثة أطراف. والمنفذ الوحيد لإضاءة الهيكل هو طاقة صغيرة في شرق القبة، وهي مغلقة(٨). فالصلاة والتقديس كانا يتمان على ضوء الشموع فقط. ويوجد بجوار صندوق القديسين حامل شموع من الحديد بسيط الشكل دقيق الصناعة ارتفاعه ١٫٢٨ متراً، ربما كان موضعه الأصلي إلى جوار المذبح.

برج الجرس:

وعوض الهيكل القبلي المعتاد في سائر الكنائس، نجد هنا كتلاً من المباني المصمتة تشغل موضعه. وفي الزاوية القبلية الشرقية مُقام برجٌ للجرس، وهو مبنى بسيط مفرغ من الداخل. والجرس الوحيد داخله من البرونز، ارتفاعه ٤٥ سم وقطر فتحته ٤١ سم، لا توجد عليه أية نقوش أو كتابات أو علامة المصنع. وبساطة صناعته وشكله توحي بأنه صناعة محلية.

تاريخ الكنيسة:

لا نستطيع تحديد مكان استشهاد هؤلاء القديسين حيث كانت أجسادهم محفوظة حتى القرن السابع. ولكننا نعلم أنه وقت تجميع السنكسار (القرن الثالث عشر ؟) كانت الأجساد محفوظة في قلاية «بهميه ابسيت» خارج القسطلية. وفي مصادر القرن الرابع عشر، فإن البطريرك بالرغم من أنه كان يقيم داخل القسطلية، لكن ليس هناك أي ذكر لزيارته كنيسة الشيوخ، بينما ذُكرت زيارته لمغارة الآباء، التي كانت قطعاً خارج القسطلية؛ وربما هي مكان نياح هؤلاء الشهداء، فقد كانت أحد الأماكن الهامة في موكب أحد الشعانين. إذن فحتى القرن الرابع عشر لم تكن الأجساد داخل الدير، ولم يكن لهم بالتالي كنيسة.

وفي القرن التالي، عند انهيار الحياة الديرية في القلالي الخارجية، يبدو أنه لم تُبنَ لهم كنيسة خاصة لأن الأب سيكار في أوائل القرن الثامن عشر يقول أنه لم يشاهد في الدير سوى كنيستين فقط. والرهبان يؤكدون بقوة أن الأجساد كانت محفوظة في قلاية مجاورة لقلاية البطريرك المقابلة للقصر، ثم نقلت من هناك إلى الكنيسة. هذا التقليد لابد أن له أصلاً واقعياً ولابد أن نقبله كحقيقة. ويؤكد رهبان دير أنبا بيشوي أن هذه الكنيسة قد بنيت منذ مائتي سنة، أي حوالي سنة

(٨) تم فتح هذه الطاقة وتركيب شباك زجاجي عليها لإنارة الهيكل.

١٧٢٠م، وأعطوني اسم الراهب الذي بناها وهو من دير القديس أنبا مقار.

والمرجح أن هذه هي الحقيقة أو ما يقرب منها. فالملامح المعمارية تدل على عصر متأخر، والفصل بين الخورس والصحن بواسطة بواكي مفتوحة أمر غير مألوف في كنائس وادي النطرون، وهذا يعني تجديداً حقيقياً في التقليد القديم. وأعمدة هذه البواكي ربما تكون منقولة من صحن الكنيسة الكبرى التي انهارت قبل وقت قصير من إقامة هذه الكنيسة. وبينما نرى هياكل العصور الأولى والوسطى كافية ومنتظمة الإضاءة، لا يوجد هنا سوى طاقة صغيرة فقيرة، كما أن طراز القبة التي تغطي الهيكل واضح أنه متأخر. كل هذه العناصر مجتمعة لا تجعل هناك أي شك في أن تاريخ هذه الكنيسة يرجع إلى بداية العصر الحديث، وربما هو سنة ١٧٢٠م(٩). ومع هذا، فالحوائط السميكة تجعل شكاً في أن قبو الكنيسة قد يكون قديماً، وأن الكنيسة أقيمت فوق خرائب مبنى له استعمال آخر. فإذا أمكن تحقيق هذا الغرض، فإن ضخامة الحوائط والشكل المستطيل الذي تتميز به هذه الكنيسة يجعلنا نرجح أن المبنى الأصلي كان أحد البروج القديمة التي أقامها البطريرك شنودة داخل الأسوار الحصينة التي أنشأها.



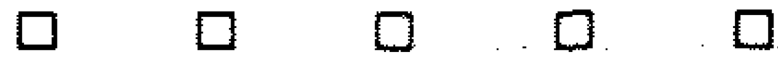
حشوة من الخشب المحفور يحتل فيها الصليبان مركز الأهمية في التصميم
من حجاب ثمين لإحدى كنائس دير أبو سيفين بمصر القديمة من القرن الحادي عشر

(٩) الثابت تاريخياً أن الذي قام بإنشائها على نفقته هو المعلم ابراهيم الجوهري في سنة ١٤٨٩ش (١٧٧٣م).

الفصل السادس

مباني الدير المتأخرة

(أي قبل عام ١٩١١)



القلالي:

على الجانب القبلي للفناء البحري تقوم مباني حديثة (لوحة ٢٦) هي: بيت الضيوف ــ القصر الجديد ــ والقلالي التي تجاوره (بالنسبة لإڤلين هوايت سنة ١٩١١ــ١٩١٢م). كما يحيط بالفناء في الجهات الغربية والشرقية والبحرية مجموعات من ستة أو سبعة قلالي مقامة بمستوى الأرض لكنها ليست من وقت حديث. وكل قلاية تتبع نفس التصميم المألوف. وغياب الملامح المعمارية تجعل من المستحيل تحديد تاريخها. وداخل هذه القلالي، بسبب تراكم الصناج الأسود على الحوائط نتيجة إضاءة عدد لا يحصى من الشموع، صار هناك إيحاء بأنها سحيقة القدم ولكنه استنتاج خاطىء. صف القلالي البحري لا يمكن أن يكون أقدم من الأسوار المتاخمة له وهي ترجع إلى وقت انحصار الدير داخل مساحته الحالية (أي زمن بعثة إڤلين هوايت)، كما أنها قائمة على نفس الأرض التي كانت فيما سبق أحد أروقة الكنيسة الكبرى في القرن الرابع عشر. وبالتأكيد، فإن تاريخ هذه المجموعة من القلالي يرجع إلى القرن السادس عشر أو السابع عشر حينما تحولت الكنيسة الكبرى إلى خرائب، فأمكن إقامتها، وربما يكون حائط الكنيسة البحري هو الحائط الخلفي لهذه القلالي.

أما القلالي الشرقية فتاريخها ليس محدداً بصفة قاطعة كالسابقة. فإما أن تكون مداخلها من الواجهة الشرقية وظهرها هو الهياكل القبلية الضائعة من الكنيسة الكبرى، وحينئذ يكون تاريخها قديماً؛ أو أن تاريخها يرجع إلى ما بعد سنة ١٧١٥م وفي هذه الحالة تكون مقامة على جزء من الهياكل القبلية المذكورة. وقد فضَّلتُ الرأي الأول في الرسومات والمساقط التي عُملت للكنيسه الكبرى. ولكن مازال الرأي الثاني له ما يبرره بسبب أن أرضية القلالي مازالت بحالتها الأولى ظاهرياً، وهي بمستوى أرضية الفناء الحديثة، في حين أن الأرضية الأصلية للكنيسة الكبرى

ولكنيسة أباسخيرون، منخفضة عن الحالية مسافة متر واحد(١).

أما قلالي الصف الغربي فبالتأكيد ليست قديمة.

الركن البحري الغربي:

يحتوي على مجموعة غير منتظمة من المباني، بعضها في مستوى الأرض والبعض الآخر في الطابق العلوي(٢). من النوع الأول حجرة كبيرة للتخزين «مخزن البصل»، وجزؤها القبلي يمكن الدخول إليه، أما باقيها فقد أُغلق. وقد شاهد بطلر هنا حجرة كبيرة بقبة تستعمل لطحن الدقيق، كما يؤكد الرهبان أن البئر كان قديماً في هذه الناحية من الدير(٣)، ولكن أبطل استعماله وصار ردمه. وكلٌّ من الطاحونة والبئر لابد أن يكون في الطابق الأرضي بسبب طبيعة استعمال كل منهما. أما البئر فيحتمل أن يكون موقعه أسفل الحجرة المقبية «غرفة الميرون» التي بالطابق العلوي.

والطابق العلوي لم يبقَ منه إلا قلايتان، وغرفة في الناحية الغربية. القلايتان سقط سقفهما وهو من نوع القبو الإسطواني، في حين أن الغرفة ذات القبة مازالت قائمة، وهي فسيحة مربعة تقريباً. والسقف قبة عالية مدببة(٤) من الطوب الأحمر يحملها في الزاويتين البحرية الشرقية والبحرية الغربية مقببات ثلاثية الشكل، في حين أنها محمولة على بروزات مثلثة خارجة عن الحوائط في الزاويتين الأخريين(٥).

ولا يمكن أن تكون هذه الغرفة هكذا قائمة وحدها، ففي حائطها القبلي عقد عالي وعريض من الطوب الأحمر أُغلق في وقت متأخر فيما عدا فتحة صغيرة هي مدخلها الحالي، لكن قديماً كانت تؤدي إلى حجرة مماثلة. وفي أرضيتها توجد فتحة مستديرة ربما كان القصد منها تيسير رفع المياه من البئر القديم أسفلها.

---

(١) عند إزالة جزء من القلالي الشرقية، اتضح صحة الرأي الثاني للمؤلف إفلين هوايت. فقد اكتشفنا في أرضيتها امتداد الدرجات الثلاث التي في الحائط الشرقي، وهي درجات الهياكل القبلية الضائعة، لذلك تأكدنا أن صف القلالي الشرقية من عصر متأخر.

(٢) تحولت هذه الحجرات في منتصف هذا القرن للأسف إلى دورات مياه أضرّت بالأسوار ضرراً بليغاً.

(٣) لاشك أنه بسبب هذه البئر كان بروز الزاوية البحرية الغربية عن سائر السور البحري للدير.

(٤) رغم دقة المؤلف في وصف المباني عموماً، إلا أن هذه القبة نصف كروية وليست مدببة، كما يذكر.

(٥) نتج عن تسرب تصريف دورات المياه التي أقيمت في هذه الناحية أن أصيبت «قبة الميرون» بشرخين خطيرين، أحدهما قسّمها إلى نصفين يبتعد الواحد عن الآخر مسافة تزيد عن ١٠ سم، لذلك أقيمت لها أكتاف ودعامات ضخمة بالخرسانة تحتضن عقد المدخل، ثم مُيّدة مسلحة تحمل غطاءً خرسانياً يغلف القبة المصابة ويشد الطوب الأحمر إليه. وبهذه الطريقة التأم جزءا القبة وأمكن حفظها من الإنهيار (راجع ملزمة الصور من هذا الكتاب).

ومع أنها حالياً (زمن بعثة إقلين هوايت) تستعمل لصناعة الشمع إلا أنها لم تصمم لهذا الغرض أصلاً. بل يمكننا القول أنها هي «القلاية» المذكورة في مخطوطات القرن الرابع عشر حيث كان فيها يطبخ الميرون. والسلم المؤدي إليها هو نفسه المذكور في كتاب الميرون(٦).

قلاية البطريرك:

في نهاية صف القلالي الشرقية يوجد بناء صغير غير منتظم مقابل بوابة الدير (زمن بعثة إقلين هوايت)، له قيمة تاريخية، وربما كان متصلاً بالركن القبلي الشرقي للكنيسة الكبرى. القسم البحري منه قلاية ذات سقف مقبي مماثلة لسائر قلالي هذا الصف إلا أنها أكثر اتساعاً ومن غير محبسة. و يقول عنها الرهبان أنها كانت قلاية البطريرك(٧)، وفي الطرف الشرقي لحائطها البحري باب صغير يؤدي إلى حجرة بقبو نصف اسطواني متعامد على القبو السابق وأرضيتها ترتفع ٦٠ سم عما حولها. والشيء الوحيد الملفت للنظر هو عقد من الطوب في نهاية القبو القبلية. و بقايا السقف تدل على أنه كان من عروق متوازية من الخشب. و بواسطة باب منخفض في النهاية البحرية للحائط الغربي يمكن الوصول إلى حجرة موازية لقلاية البطريرك منقسمة إلى طابقين منخفضين أحدهما يعلو الآخر. والحائط الخارجي لهذا الجزء حديث كما أن جانبه الغربي البارز أُزيل سنة ١٩١١ لتيسير بناء بيت الضيوف. في هذه الغرفة ذات الطابقين، يقول الرهبان، أن أجساد التسعة والأربعين شيخاً كانت محفوظة فيها إلى أن بنيت كنيستهم الحالية(٨).

مباني الدير القبلية

الناحية القبلية الشرقية:

من مباني المنافع العامة ــ قلالي الرهبان، أماكن إيواء الزوار، مخازن ــ التي لابد أنها كانت في الجهة القبلية من الدير، لم يتبقَ أي أثر على الأرض، وربما يظهر شيء مدفون تحت تلال الأتربة والمخلفات المتراكمة هناك. والمبنى القديم الوحيد الباقي هنا هو بالتحديد غرفة العجين والمائدة. على يمين البوابة التي في هذا الجزء، بين البوابة والقصر الجديد، توجد بقايا حوائط قديمة غير محددة، أقيمت بينها قمينة لحرق الطوب والجبس وطاحونة الجبس. والأخيرة عبارة عن أرضية مسطحة مستديرة الشكل يتوسطها قائم خشبي يعمل كمحور، يدور حوله ذراع خشبي كبير طرفه

---

(٦) نظراً لكرامة هذا المكان المقدس الذي كان يتم فيه تكريس الميرون ما ينيف على تسعة قرون متوالية، أزيل ما حوله من مباني و بُني أمامه صحن صغير وأُقيم للهيكل حجاب تقليدي جديد.

(٧) يستحيل أن تكون قلاية البطريرك في القرن الرابع عشر، إذ قيل أن البطريرك كان يصعد إلى قلايته و ينزل منها بواسطة سلم.

(٨) عند هدم السور الشرقي القديم استبقينا بعض قلالي القبو الملاصقة له لتبقى نموذجاً لقلالي القرن الثامن عشر، وهي التي تقع قبلي كنيسة أنبا مقار الحالية.

الخارجي يمر في مركز حجر دائري ضخم من الجرانيت. وتعمل هذه الطاحونة مثل الساقية بواسطة ثور، وحجر الرحى المستعمل من جرانيت أسوان الأحمر قطره يتراوح بين ٩٠ سم و١٠ر١ متر وسمكه بين ٣٠ و٣٥ سم. وهو ـ مع آخر يماثله ملقى في هذا الفناء ـ جزء من أعمدة منقولة من معبد فرعوني كان بالدلتا. وهي مع الأحجار التي مازالت ملقاة خارج البوابة في كل دير تر ينا أنها كانت من أجل تأمين مداخل الأديرة ضد الهجمات(٩).

الطافوس:

أسفل الحائط القبلي للحصن تتراكم كمية كبيرة من الأحجار والمخلفات، تأخذ في الإرتفاع الشديد التدرج نحو السور القبلي للدير حيث موقع تشو ين الحطب الذي كان يستخدمه الرهبان في الوقود. وفي نهايته من أعلى تمتد مصطبة موازية للسور القبلي حتى مبنى المائدة القديمة، هذه المصطبة هي الطافوس الذي (كان) يستعمله الرهبان كمقبرة، والدخول إليه عن طر يق باب مدفون، وربما كان في الأصل مبنى قديماً خرباً(١٠).

و يتوسط المسافة القبلية الشرقية طاحونة غلال بمظلة للثور الذي يديرها، وبجوارها اصطبل. وهذه كلها مباني حديثة فقيرة(١١). وفي الإصطبل يوجد جرن كبير من الرخام ربما كان لحفظ الميرون، ارتفاعه ٧٠ سم وله طرف سفلي بيضاوي الشكل بدون قاعدة، وعنقه قصير، وأعلاه حافة عر يضة، وفيه ثقب دقيق محشو بالرصاص(١٢).

المائدة:

وتقع قرب الطرف القبلي الغربي للدير، ويجاورها من شرق حجرة صغيرة بسقف مسطح هي المطبخ القديم، وهو غير مستعمل كما أنه ليس أصلياً بالتأكيد. كما يوجد في طرفها البحري الشرقي فرن القربان الذي أقيم في أوائل هذا القرن. أما المساحة المحصورة بين الحائط الغربي للمائدة والركن القبلي الغربي لأسوار الدير فيغطيها الرديم بارتفاع كبير، حتى أنه أقيم فوقه قلالي

---

(٩) بعد رفع تلال الأتربة والمخلفات المتراكمة لم يظهر تحتها أي شيء. أما حجارة الطواحين الضخمة فمازال محتفظاً بها في الفناء قبلي الحصن.

(١٠) استعمل هذا الطافوس للدفن بعد القرن الرابع عشر، عصر الإنحصار داخل الأسوار، وهو عبارة عن حجرة متسعة ذات سقف مقبي بالحجارة. وقد أحيط حالياً بحوائط جديدة تمهيداً لوضع لوحة رخامية تذكارية تُنقش عليها أوشية (صلاة) الراقدين و يوضع أمامها قنديل مضاء، إحياءً للطقس القديم الذي كان البطاركة يمارسونه في القرون الوسطى في أسبوع الآلام برفع البخور أمام مدافن الآباء بالدير.

(١١) نلفت النظر إلى أن هذه الأوصاف هي لمباني كانت قائمة سنة ١٩٢٠م وغير موجودة الآن.

(١٢) الحقيقة أن هذا الجرن هو من الحجر الصلب المنحوت، وموضوع حالياً في قلاية ملحقة بكنيسة أنبا مقار الحالية قبلي هيكل الثلاثة فتية لاستعماله جرن معمودية. ولا يحتمل استعماله لحفظ ز يت الميرون لعدم وجود أية آثار تدل على وجود ز يت داخله.

حديثة(١٣).

والدخول إلى المائدة عن طريق باب في طرفها البحري الغربي. والمائدة هي عبارة عن صالة طويلة ضيقة مقسمة إلى خمس بواكي، اثنتان منها في الجهة البحرية يغطيها قبو إسطواني مكسو بالبياض، بينما الباكية الثالثة أي الوسطى عليها قبو رباعي من الطوب الأحمر المكشوف والملصوق بالمونة البيضاء، أما الباكيتان الرابعة والخامسة فلهما قبتان منخفضتان. و بسبب ترييح العقد الذي بين الباكيتين الرابعة والخامسة فقد أُقيم تحته عمود من الخشب لتدعيمه، له تاج من الرخام المنحوت وقاعدة رخامية مربعة طول ضلعها ٣٣ سم وارتفاعها ٤٧ سم. أما ترابيزة المائدة ذاتها فمبنية بالحجارة ومنخفضة، وارتفاعها عن الأرض ٤٧ سم فقط، ربما بسبب رفع الأرضية، ولعل هذا أيضاً هو سبب اختفاء المقاعد. و ينتهي طرفها البحري بانحناء على شكل ثلاث أرباع دائرة. و يتخلل المائدة عند الباكية الرابعة ممر للعبور من جانب إلى الآخر، وتضاء من فتحتين في قماع الباكيتين الرابعة والخامسة، ومن فتحات في حائطها الشرقي.

وفي الجانب الشرقي أيضاً ارتدادات موزعة توزيعاً منتظماً، بينما لا يوجد مثلها في الجانب الغربي إلا في الباكيتين الثانية والثالثة، وربما كانت توجد ارتدادات أخرى اختفت تحت طبقة البياض الحديثة. ويحتمل أن الإرتدادان اللذين في الباكيتين الثانية والثالثة أيضاً كانا مدخلين، إذ أن عمقهما يصل إلى كامل سُمك الحائط. هذا يرجح الظن أن المائدة هنا كما في دير أنبا بيشوي كانت في وقت ما مزدوجة، فكان يوجد مبنى آخر موازي في جانب المائدة الغربي، ويجوز أن آثاره اختفت تحت كميات الرديم التي تغطي مساحة الركن القبلي الغربي للدير. وقطعاً فإن مائدة بهذا الحجم تبدو ضئيلة بالنسبة لدير مزدحم بالرهبان كهذا الدير؛ فإن صح هذا الإحتمال فلابد أنها انتهت قبيل العصور الوسطى. فالرهبان يحكون حتى الآن عن تقليد متواتر وهو أن الباب الغربي للمائدة والمغلق الآن كان يوصل إلى طافوس قديم، بل يمكننا الآن أن نربط بين هذا التقليد و بين ما ذُكر في القرن الرابع عشر من أن عدداً من البطاركة كان مدفوناً في الحائط الغربي للدير(١٤).

تصميم هذه المائدة والسمات المعمارية للثلاث البواكي القبلية فيها كثير من الشبه بمائدة دير

---

(١٣) جميع هذه المباني والقلالي المتأخرة أُزيلت في العصر الحالي.

(١٤) أثناء إزالة السور الغربي للدير تتبعنا بدقة العمل فيه لعلّنا نعثر على مقبرة البطاركة هذه فلم نجد شيئاً. ولاشك أن أجسادهم قد رُفعت من مقبرتهم في السور الغربي في زمن تكريس هياكل الحصن أي أوائل القرن السادس عشر (راجع ص٦٠٥) ثم جيء بها سنة ١٩٣١ لتحفظ في الصندوق الزجاجي بكنيسة أنبا مقار إلى أن عُملت لهم مقصورة خاصة في صحن الكنيسة الحالي بعد تجديدها.

أنبا بيشوي، حتى أنه من المؤكد أنهما من عصر واحد. فنظام السقف واحد في الإثنين، فيما عدا أن المائدة هنا مغطاة في قسمها البحري بقبو إسطواني، ولا شك أنه قد استعيض به عن قبتين كانتا تغطيان هذا الجزء ثم سقطتا لسبب ما. فإذا كنا نرجح أن مائدة دير أنبا بيشوي ترجع إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، يكون هو أيضاً تاريخ هذه المائدة.

لا شك أن موضع المائدة في هذا المكان من الدير شاذ، ففي كل الأديرة نراها متصلة بالحائط الغربي للكنيسة، ومن خلال المائدة يمكن الوصول إلى الكنيسة، بينما هنا نراها قائمة وحدها. لذلك يُظن أن الكنيسة الجامعة كانت قائمة شرقي المائدة. ولسوء الحظ لا يمكن التحقق من هذا الرأي بسبب كميات الرديم الهائلة التي تغطي هذا الجزء. وحتى إذا صح هذا الظن يبقى انفصال المائدة عن الكنيسة الكبرى أمراً غير مألوف إلا إذا قلنا أنها حلت محل مائدة أخرى كانت قائمة قِبْلي الكنيسة الكبرى أو في طرفها القبلي الغربي. ومن الجائز أن يكون باقياً من هذه المائدة ذاك الأثر الكائن في الغرفة المستعملة حالياً في العجين والتي تقع بحري المطبخ الحالي. هذه الغرفة مغطاة بقبو إسطواني تتخلله ثلاث فتحات دائرية للتهوية في قمته. وقرب حائطها الغربي توجد ثلاث قدور كبيرة دائرية عميقة من الحجارة يتم فيها العجين والتخمير، ويبعد عنها شرقاً بمسافة ٥٠ سم مصطبة ارتفاعها ٣٥ سم ممتدة حتى نهاية الغرفة حيث يطرح عليها الخبز بعد تقطيعه وقبل دخوله الفرن. في هذه الغرفة يوجد من الدلائل ما يجعلنا نشك في أن المصطبة والقدور هي إضافات متأخرة. ومقاسات هذه الغرفة وطابعها الإنشائي وقربها من الكنيسة الكبرى يجعلنا نرجح أنها كانت جزءاً من المائدة القديمة، أما الباقي فكان يمتد نحو الشرق فوق المساحة قبلي كنيسة أباسخيرون، وإما أنها كانت تشغل الفراغ الذي بين الحائط الغربي لكنيسة أباسخيرون وبين صف القلالي الغربي الحالي ــ وفي هذه الحالة يكون سقفها عبارة عن سلسلة عرضية من القباب الإسطوانية وهو نظام غير مألوف، ويحتمل أنه كان هناك دليل باقٍ يرجح هذا الرأي وهو حجر بارز (كابولي) ظاهر في الحائط الغربي لكنيسة أباسخيرون من الخارج قرب طرفها البحري، ربما كان ركيزة لقبو من هذا النوع(١٥).

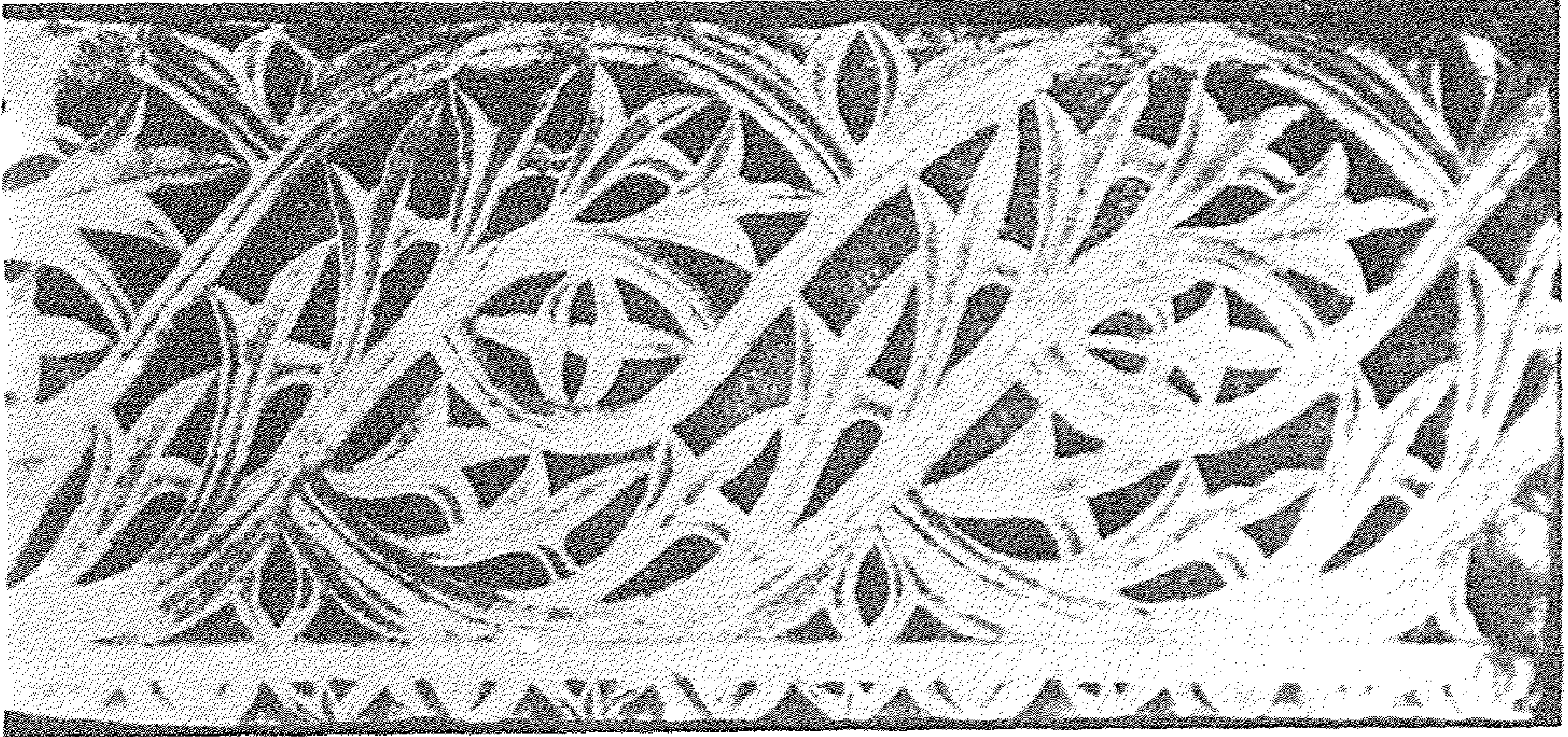
أما المخبز المجاور(١٦) لحجرة العجين ومتصل بالمائدة بواسطة ممر فهو مجرد مساحة مسورة ومغطاة

---

(١٥) لا شك أن المائدة كانت أصلاً متصلة بمبنى كنيسة القديس أباسخيرون، وحجمها أضعاف الحجم الحالي. فلما تهدمت أعاد الرهبان بناءها في القرن الحادي عشر/الثاني عشر بشكلها الحالي محافظة على التقليد القديم للرهبنة في دير أنبا مقار. ولأهميتها من هذه الناحية أُخليت مما حولها من مباني ثم أحيطت من الخارج ببواكي سميكة من مباني الحجر تحددت مواضعها بدقة لتتلقى كسح العقود والقباب الداخلية ثم تمّ تغليف سطحها العلوي بالخرسانة المسلحة بعد تنظيفه لضمان التصاق السطح القديم بالخرسانة الجديدة.

(١٦) جميع هذه المباني من مخبز ومعجن ومطبخ قد أُزيلت تماماً في زمن متأخر. وقد أقيم بدلاً منها حديقة موالح سنة ١٩٥٢م. وهذه أيضاً أُزيلت بسبب الأضرار البليغة التي نشأت عن مياه الري والتي تسببت في تصدع المباني الأثرية المحيطة.

بسقف مسطح من الخشب وأعواد البردي وبداخله فرن مربع الشكل للخبز في الزاوية القبلية الغربية. مثل هذا المبنى الصغير يستحيل أن يكون مخبزاً لدير عامر بالرهبان. لذلك فهو حديث رغم حوائطه التي يبدو عليها القدم.



كورنيش لأوراق نباتية زخرفية
(من حفريات دير باويط)

شهادات معاصرة من العلماء والمسئولين في هيئة الآثار المصرية تحكي عن انطباعاتهم لما شاهدوه من اهتمام بترميم آثار الدير..

- « ... علمت من بعض كبار رجال الآثار المعدودين اليوم، وكذلك من رجال الفنون أيضاً، أن برية شيهيت قد استردت الكثير من مجدها الأمثل وأصبحت تزخر بعمائر هائلة وترميمات وإصلاحات رائعة لأهم أماكنها الأثرية الخالدة... وسنحت لي الفرصة بزيارة المنطقة المباركة المذكورة فرأيت أكثر كثيراً مما سمعت، عمائر ومنشآت وأسواراً هائلة روعيت فيها المحافظة على الطراز القبطي في تنفيذها، وترميمات هائلة للمباني الأثرية ولكل ما هو قديم، أُنجزت بوسائل دقيقة تنتزع الإعجاب، ولا يمكن إنجاز مثل هذه الأعمال ومشاريعها إلا على يد مجموعة من جهابذة في فن المعمار ونخبة من فطاحل رجال الآثار والفنون... »

٢٣ ديسمبر ١٩٧٤ — إمضاء

رؤوف حبيب

مدير المتحف القبطي الأسبق

- « ... أعجبنا أنا ومرافقين، مصريين وأجانب، أشد الإعجاب بالمجهود العظيم المبذول من السادة الرهبان وعلى رأسهم الأب متى المسكين في أعمال الترميم والإصلاح والتشييد. ونرجو للدير كل خير وللقائمين على العمل دوام التوفيق. وإن هيئة الآثار لفي أتم استعداد للمعاونة في هذا العمل الكبير. »

١٨ / ٨ / ٧٥ — إمضاء

د. جمال مختار

رئيس الهيئة العامة للآثار

- « ... عرجنا على دير أبو مقار لنرى الإصلاحات التي تجري. وكان أعظم ما رأيناه هو المحافظة على القديم بكل احترام، مع ابتكار الجديد الذي يتمشى مع عظمة القديم... »

١١ / ٥ / ١٩٧٦ — إمضاء

عباس عباس الشناوي

مفتش الآثار الإسلامية والقبطية

- « ... توقفت لفترة قصيرة لأرى العمل الجديد في دير أنبا مقار وقد انفعلت للغاية ولابد أنني سأعود ثانية بسرعة لأتابع التقدم لأن الأهمية العلمية للإكتشافات الجديدة هنا ذات قيمة عالية . أنا متأثر للغاية للإهتمام الذي يعطيه الأب متى المسكين ورهبانه للآثار...»([1])

١١ / ٥ / ٧٦ إمضاء

د. مهندس بيتر جروسمان

معهد الآثار الألماني بالقاهرة

- « ... حضرت لزيارة دير القديس أنبا مقار ومعي بعثة الآثار ودكتور بيتر جروسمان عضو المعهد الألماني للآثار. وقد وضعنا خطة العمل التي ستبدأ بإذن الله في شهر يوليو القادم وذلك لعلاج الزخارف الفريدة الموجودة في قباب كنيسة الدير([2]) وكذلك الزخارف المكتشفة بمعرفة السادة المسئولين عن الدير([3]) وعلى رأسهم الأب الجليل متى المسكين. وأرجو أن نتعاون سوياً لإظهار الكنيسة الفريدة بما يليق مع حالة الدير الحالية الجميلة . »

١٠ / ٦ / ١٩٧٦

محمد عبد الستار عثمان	عباس عباس الشناوي	د. بيتر جروسمان
مفتش آثار	مفتش الآثار الإسلامية والقبطية	معهد الآثار الألماني
حسان عبد النبي	على بهجت	عبد الرحمن عبد التواب
مراقب عام الشئون الهندسية	مراقب عام الشئون الفنية	مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية

- « ... عدنا لدير القديس العظيم أبو مقار ولاحظنا التقدم المستمر في العمل، وتقرر استمرار إصلاح القصر القديم (الحصن) وتم التفاهم مع سلطات الدير وبين المسئولين بالآثار على منهج العمل وأسلوبه... »

٢٨ / ٨ / ٧٥ إمضاء

عبد الرحمن عبد التواب

مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية

ونختم هذه الشهادات بتقرير اللجنة التي شكلتها هيئة الآثار المصرية لمعاينة الكشف الأثري عن رفات القديسين أليشع النبي و يوحنا المعمدان، وكانت مؤلفة برئاسة مدير عام الآثار

(١) مترجمة عن اللغة الإنجليزية .

(٢) المقصود هي الفرسكات الموجودة في هيكل أنبا بنيامين .

(٣) وهي الموجودة على الحائط الغربي لهيكل أنبا بنيامين وأيضاً المرسومة على الثلاث الدرجات في الناحية الشرقية لهيكل الثلاث فتية الحالي بكنيسة أنبا مقار.

الإسلامية والقبطية مع خمسة مفتشين آثار من الهيئة :

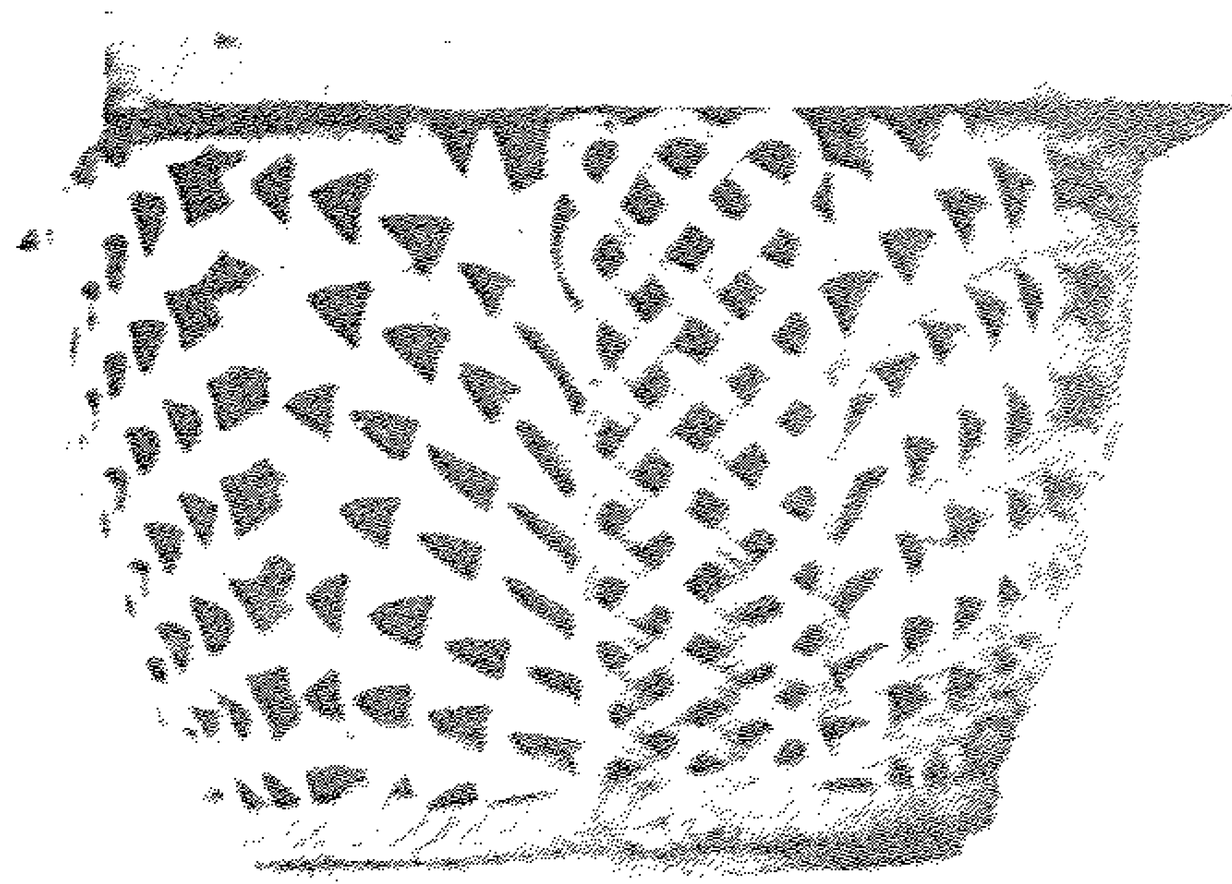
■ « ... مما زاد سرورنا ما شاهدناه من حرص بالغ على ترميم الأماكن القديمة الأثرية مما يبرهن على عبقرية فذة في المحافظة على الآثار وتعتبر مدرسة متقدمة يجب أن يتعلم منها كل دارس لترميم الآثار . »

١٦ / ١١ / ١٩٧٨ سليمان أحمد سليمان

المدير العام للآثار الإسلامية والقبطية

وترجع أهمية التقرير السابق إلى أنه جاء عقب انتهاء جميع أعمال الترميمات والإصلاحات في المباني الأثرية بالدير، شاملة الحصن (القصر القديم) والمائدة الأثرية وكنيسة أنبا مقار و باقي الكنائس بعد تجديدها وتوسيعها ، وكلها تشهد بالجهد الجبار والحساسية المتناهية في تقدير أبعاد كل عملية وقياس خطورة كل تصدع ؛ ثم أولاً وقبل كل شيء الإلهام المستنير المبني على الدقة العلمية التي تحسب جميع الإحتمالات ، وكان الله حارساً لكل خطوة ومباركاً على كل جهد لعمارة دياره المقدسة .

□□□□□



تاج لأحد الأعمدة، زخرفته الأساسية ورقة الأكانثس الهندسية الشكل ذات الحفر العميق

يرجع إلى القرن السادس / السابع

[من دير أبا إرميا بسقارة ـــ معروض بالمتحف القبطي]

البطاركة والأساقفة

الذين خرجوا من دير القديس أنبا مقار على ممر العصور

مع لمحة تاريخية عن رؤساء دير القديس أنبا مقار والكنائس التي بنيت
على اسم أنبا مقار في أنحاء البلاد

هذا البحث (من ص٦٧٩ إلى ص٧٠٠) أعده الأخ الشماس نبيه كامل داود. فله منا جزيل الشكر ومن الله عظيم الأجر وليمنحه المسيح الصحة والعافية بصلوات قديسنا أنبا مقار.

أنبا كيرلس الكبير (عمود الدين) أول بطر يرك تخرج من دير أنبا مقار:

يروي لنا كاتب السنكسار تحت يوم ٣ أبيب ما يؤكد لنا ذلك فيقول:

[في هذا اليوم تنيح لنا الأب كيرلس (الكبير ٢٤) عمود الدين ومصباح البيعة الأرثوذكسية و بطر يرك مدينة الإسكندر ية (٤١٢ــ٤٤٤م). هذا القديس تربى عند خاله أنبا ثاوفيلس البطر يرك على الإسكندر ية الذي أرسله أولاً إلى دير القديس أبو مقار، فتعلم العلوم الإلهية وحفظ في خمس سنين جميع الكتب المقدسة، وأعطاه الرب نعمة وفهم قلب حتى كان إذا قرأ كتاباً دفعة واحدة يحفظه ظاهراً. ثم أرسله للأب سيرابيون الأسقف الفاضل فازداد حكمة وتدرب بالأمور الفاضلة. فلما أكمل جيداً أرسله إلى قلاية البطر يرك ففرح به أنبا ثاوفيلس كثيراً وشكر الله الذي أعطاه ولداً هكذا فجعله يقرأ في قلايته، فكان إذا قرأ لا يشتهيه أحد أن يسكت فلما تنيح الأب ثاوفيلس أجلسوا هذا الأب موضعه فاستضاءت بعلومه البيعة.](١)

كان هذا الأب أول بطر يرك يخرج من دير أبو مقار ثم تلاه بعد ذلك بطاركة عديدون حتى صار عددهم ٢٨ بطر يركاً وصار بذلك أكثر الأديرة التي أخرجت عدداً من الآباء البطاركة لا يضاهيه في هذا العدد أي دير آخر وذلك لسببين:

أولهما: لأنه كان مجمع رهبان بر ية شيهيت وموضع الحكمة العالية والصلاة الدائمة.

وثانيهما: لأنه كان بالحقيقة ــ من تاريخه وسير رهبانه ــ معقل الإيمان المستقيم والأرثوذكسية الحقة.

البطاركة الذين خرجوا من دير أبو مقار(٢)

اسم البطر يرك	ترتيبه في عداد بطاركة الكرسي الإسكندري	سنوات تولّيه البطر يركية
١ ــ البابا كيرلس الأول الكبير عمود الدين	(٢٤)	(٤١٢ــ٤٤٤م)
٢ ــ البابا يوحنا الأول	(٢٩)	(٤٩٦ــ٥٠٥م)
٣ ــ البابا يوحنا الثالث السمنودي	(٤٠)	(٦٨٠ــ٦٨٩م)
٤ ــ البابا اسحق	(٤١)	(٦٩٠ــ٦٩٢م)
٥ ــ البابا قسما الأول	(٤٤)	(٧٢٩ــ٧٣٠م)
٦ ــ البابا ميخائيل الأول	(٤٦)	(٧٤٣ــ٧٦٧م)
٧ ــ البابا مينا الأول	(٤٧)	(٧٦٧ــ٧٧٦م)

(١) السنكسار لمؤلفه ر ينيه باسيه ص ١١٥٩.

(٢) قائمة هؤلاء البطاركة وتار يخ توليهم ونياحتهم نقلاً عن كتاب: تار يخ وجداول بطاركة الإسكندر ية القبط لكامل صالح نخلة.

٨ ـــ البابا يوحنا الرابع	(٤٨)	(٧٧٧ـــ٧٩٩م)
٩ ـــ البابا مرقس الثاني	(٤٩)	(٧٩٩ـــ٨١٩م)
١٠ ـــ البابا يعقوب	(٥٠)	(٨١٩ـــ٨٣٠م)
١١ ـــ البابا يوساب الأول	(٥٢)	(٨٣١ـــ٨٤٩م)
١٢ ـــ البابا قسما الثاني	(٥٤)	(٨٥١ـــ٨٥٨م)
١٣ ـــ البابا شنودة الأول	(٥٥)	(٨٥٩ـــ٨٨٠م)
١٤ ـــ البابا خائيل الثالث	(٥٦)	(٨٨٠ـــ٩٠٧م)
١٥ ـــ البابا غبر يال الأول	(٥٧)	(٩٠٩ـــ٩٢٠م)
١٦ ـــ البابا مقاره الأول	(٥٩)	(٩٣٢ـــ٩٥٢م)
١٧ ـــ البابا مينا الثاني	(٦١)	(٩٥٦ـــ٩٧٤م)
١٨ ـــ البابا فيلوثاوس	(٦٣)	(٩٧٩ـــ١٠٠٣م)
١٩ ـــ البابا شنودة الثاني	(٦٥)	(١٠٣٢ـــ١٠٤٦م)
٢٠ ـــ البابا كيرلس الثاني	(٦٧)	(١٠٧٨ـــ١٠٩٢م)
٢١ ـــ البابا ميخائيل الثاني السنجاري	(٦٨)	(١٠٩٢ـــ١١٠٢م)
٢٢ ـــ البابا مقاره الثاني	(٦٩)	(١١٠٢ـــ١١٢٨م)
٢٣ ـــ البابا ميخائيل الثالث إبن الدنشتيري	(٧١)	(١١٤٥ـــ١١٤٦م)
٢٤ ـــ البابا أثناسيوس الثالث بن كليل	(٧٦)	(١٢٥٠ـــ١٢٦١م)
٢٥ ـــ البابا بطرس الخامس	(٨٣)	(١٣٤٠ـــ١٣٤٨م)
٢٦ ـــ البابا مرقس الخامس	(٩٨)	(١٦٠٣ـــ١٦١٩م)
٢٧ ـــ البابا متاؤس الثالث الطوخي	(١٠٠)	(١٦٣١ـــ١٦٤٦م)
٢٨ ـــ البابا ديمتر يوس الثاني	(١١١)	(١٥ يونيو ١٨٦٢ ـــ ١٨ يناير ١٨٧٠م)

هذه القائمة تروي لنا في صمت وتأمل قصة ازدهار دير أبو مقار ودوره التاريخي طوال العصور الوسطى. فعظم الآباء البطاركة الذين أقيموا على الكرسي المرقسي الإسكندري منذ نهاية القرن السابع الميلادي حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، أي مدة خمسة قرون، ثلثي عدد من أقيم منهم في هذه الفترة وهم ٢١ بطر يركاً (من رقم ٣ إلى رقم ٢٣) كانوا من هذا الدير وحده. و بالتالي لابد أن هؤلاء الآباء البطاركة بدورهم في ذلك الوقت رسموا العديد من رهبان ديرهم (الذي كان مجمعاً للرهبان) أساقفة ومطارنة للكرازة المرقسية، فلا عجب بعد أن نسمع عن القديس أبو مقار أنه يلقب: «أبو البطاركة والأساقفة».

أولاً: الأساقفة الذين خرجوا من دير أبو مقار في العصور الوسطى

من الصعب حصرهم، فقديماً في الحياة الرهبانية لم يكن هناك شيء ما اسمه «راهب مقاري» وآخر «سرياني»، وثالث «برموسي»، فهذه ألفاظ دخيلة على الحياة النسكية التوحدية. كانت كلمة «شيهيت» ذات المعنى والمغزى الروحي هي التي تجمعهم جغرافياً على طول وعرض هذه البرية التي تسمى الآن بوادي النطرون. بل وحتى كلمتا «أسقيط مقاريوس» و«جبل القديس أبو مقار» اللتان تردان في سير قديسي وأساقفة هذه البرية لا تعنيان بالضرورة الموضع الحالي لدير أبو مقار بل هي ألفاظ عامة تعني منهجاً في السلوك والحياة التعبدية في هذه البرية.

وفيما يلي نذكر ما أمكننا معرفته من أساقفة خرجوا من مجمع رهبان دير أبو مقار في العصور الوسطى مع خلاصة سيرهم:

١ ــ يوحنا أسقف البرلس:

وكان رئيساً على كنيسة أنبا مقار في أيام أنبا دانيال قمص شيهيت (٥٠٠ ــ ٥٧٠م)؛ وكان قبلاً يملك منزلاً للمسافرين (لوكاندة). ولما صار أسقفاً ظهرت عليه نعمة الله فكان كلما صعد على المذبح ليقدس صار وجهه كالنار. وهذا الأسقف هو الذي قاوم الميليتيين وطرد الرهبان التابعين لهم من شيهيت(٣).

٢ ــ زكريا أسقف صا:

كان رئيساً على قلاية دنشتيري(٤)، ورسم «إيغومانس» حوالي عام ٦٧٥م بعد نياحة أنبا يؤنس القمص، ثم رُسم أسقفاً من البطريرك يوحنا الثالث (٤٠) (٦٨٠ ــ ٦٨٩م) على مدينة صا(٥) ولكنه مرض بعد قليل واضطر للرجوع إلى شيهيت ثانية حيث قام على رعايته تلميذه اسحق (الذي صار فيما بعد البطريرك الـ ٤١) وتنيح قبل عام ٦٨٤م(٦).

---

(٣) أنظر السنكسار، لباسيه ٤٨٧ تحت ١٩ كيهك، إفلين هوايت، الجزء الثاني، ص٢٤٩.

(٤) المعروفة الآن بدير أنبا زكريا الخرب إلى جوار دير أبو مقار.

(٥) هي اليوم ناحية صا الحجر بمركز بسيون بمحافظة الغربية.

(٦) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطاركة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول جـ٣ ص١٩.

٣ ــ أبا يوحنا أسقف نقيوس (٧):

المؤرخ القبطي الشهير(٨)، ورُسم أسقفاً على نقيوس(٩) ربما في عهد البابا أغاثو(٣٩) (٦٦٢ــ٦٨٠م)، ولكنه كان حاضراً وفاة البابا يوحنا الثالث (٤٠) (٦٨٠ــ٦٨٩م). وعاصر البابوات اسحق (٤١) (٦٩٠ــ٦٩٢م)، وسيمون الأول (٤٢) (٦٩٢ــ٧٠٠م). وفي عهد هذا البطر يرك الأخير عُين مديراً لأديرة وادي هبيب حوالي عام ٦٩٤م. وفي عام ٦٩٨م عُقد عليه مجمع في وادي هبيب بسبب أمره بضرب راهب وقع في الزنا في البر ية فمات، وحكموا عليه بالوقف عن مباشرة عمله الكهنوتي ثم أقاموا آخراً عوضه اسمه مينا من دير أبو مقار وانقطعت أخباره بعد ذلك(١٠).

٤ ــ مينا أسقف نقيوس (أبشاتي):

أقيم عوض سلفه أبا يوحنا المدبر، وهو كاتب سيرة البابا اسحق البطر يرك الـ ٤١ (٦٩٠ــ٦٩٢م).(١١)

٥ ــ الأب القديس أنبا مينا أسقف تمي:

يذكره السنكسار يوم ٧ هاتور، وكان من سمنود وترك امرأته التي أُجبر على الزواج بها، وذهب إلى دير أنبا أنطونيوس هو وزميله ميخائيل الذي صار فيما بعد البابا ميخائيل (٤٦). ثم تركا ديرهما إلى دير أبو مقار وتتلمذا للقديسين أنبا أبرآم وأنبا جاورجه. وقد رُسم على مدينة تِمِيّ(١٢) في زمن البطر يرك سمعان الأول (٤٢) (٦٩٢ــ٧٠٠م). وقد بكى وحزن وأصابه المرض لتركه البر ية. وكانت له موهبة شفاء الأمراض وصار أباً لأربعة بطاركة هم: ألكسندروس الـ٤٣، وقسيا الأول الـ٤٤، وتاودورس الـ٤٥، وخائيل الـ٤٦ (٧٤٣ــ٧٦٧م) زميله في الرهبنة(١٣).

٦ ــ أبا تادرس الأسقف المترانوس أسقف مصر:

كان أرشيدياكون بيعة القديس أبو مقار بوادي هبيب، ورُسم أسقفاً على مصر (أي على حصن بابليون والفسطاط بمصر القديمة بالقاهرة) في وقت لا نعلمه. وأول ما نسمع عن أخباره

---

(٧) أنظر تراجم حياة المؤرخين في نهاية الكتاب.

(8) Chronique de Jean, evéque de Nikiou, Texte Ethiopienne publié et traduit par M.H. Zotenberg, Paris 1883-Clark; The Chronicle of John, Bishop of Nikiu, London 1916 (English translation only).

(٩) اندثرت وحل محلها الآن ناحية زاو ية رز ين بمركز منوف ــ محافظة المنوفية.

(١٠) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول جـ٣ ص ٢٠ و٢٢ و٣٣.

(١١) راجع ما ورد عنه في: تار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول جـ٣ ص ٣٤.

(١٢) هي اليوم ناحية تمي الأمديد بمركز السنبلاو ين بمحافظة الدقهلية.

(١٣) راجع ما ورد عنه في السنكسار العربي اليعقوبي، لناشره ر ينيه باسيه، طبع بار يس عام ١٩٢٩ ص٢٥٨ (١٨٢) يوم ٧ هاتور؛ وتار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، جـ٣ ص١٠٦ و١١٠ و١١١.

كـان بـعـد نـيـاحة البابا تاودورس الـ٤٥ في عام ٧٤٢م على أنه أكبر الأساقفة، واشترك مع البابا خـائـيـل (٤٦) في تحـمل الآلام والإضطهاد من الأمو يين عند فتح جيوش العباسيين لمصر في عام ٧٥٠م. ولا نـعـرف خبر نـيـاحـتـه. وهو أول الثلاثة الأساقفة الذين جلسوا واحداً بعد واحد وكل منهم اسمه تادرس على كرسي مصر(١٤).

٧ ــ بطرس أسقف ترنوط (١٥):

هـذا الأسقف أول مرة نسمع عنه كان بعد نياحة البطر يرك تاودوروس (٤٥) في عام ٧٤٢م فـكـان ضمن المشتركين في اختيار خلف له، ولما كانت المناقشات تطول في هذا الأمر كان ينفرد عـن الأسـاقـفـة لـضـعـفـه وكبر سنه، كما ورد عنه أنه أقام جميع أيامه في بر ية أبو مقار، وهو حسن الـسيرة جيد الفعال. وكان أيضاً يقيم في بيعة السيدة بجبل أوسيم المقدس في دير نهيا(١٦) الذي في بَرّ الجيزة غربي مصر. ومعلوم تاريخياً أن هذا الدير كان وقتئذ بمثابة محل ترحال و وصول للقوافل إلى دير أبو مقار. و بصفته أسقفاً على ترنوط لابد أن هذا الأسقف كان مسئولاً عن الإشراف على هذا الـديـر (الـبـعـيد عن دائرة مقر كرسيه) وعلى دير أبو مقار و بالتالي لابد أنه منه. وأخيراً اشترك في رسامة البابا خائيل الـ٤٦ في عام ٧٤٣م و بعد ذلك لا نقف له على أي خبر(١٧).

٨ ــ بطرس أسقف بوصير:

هـذا الأسـقـف اسـتـلـم كرسيه في مدة فتح العباسيين لمصر وتخليصها من يد الأمو يين في عام ٧٥٠م، وقـد شـارك أباه البطر يرك خائيل الـ٤٦ آلام الحبس والضيق من الأمو يين. و يقول عنه في ذلـك كـاتـب سير الـبـطـاركة: [وولده الروحاني أسقف بوصير(١٨) واسمه بطرس الذي أخذ الكرسي في تلك الأيام]. فغالباً كان من دير أبو مقار كأبيه البطر يرك. ولم نقف له على أي أخبار أخرى غير هذه. (١٩)

٩ ــ الشماس جرجه الذي أخذ كرسي البسراط (٢٠):

أخـبـار هـذا الأسـقـف هي بنفسها أخبار بطرس أسقف بوصير، فقد كان أيضاً: [ولد الأب

(١٤) راجع مـا ورد عـنـه في تار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، جـ٣ ص١٠٤ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٩ و١١٣ و١٢٠ و١٣٥ و١٩٤، جـ٤ ص٥١٩.

(١٥) هي اليوم ناحية الطرانة مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة وتقع شمال الخطاطبة بنحو ٨ كم.

(١٦) ظل هـذا الـديـر عـامراً حتى عام ١٣٧٤م ثم خرب بعد ذلك(؟). و يذكره المقر يزي (ت ١٤٤١م) على أنه خراب في وقته وآثاره تقع بجبل أبو رواش إلى جوار قر ية نهيا بمركز إمبابة محافظة الجيزة.

(١٧) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، جـ٣ ص١٠٦ و١٠٧ و١٠٩ و١١٢.

(١٨) هي اليوم ناحية بوصير بنا بمركز سمنود بمحافظة الغر بية.

(١٩) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة، لناشره إيفيتس، جـ٣ ص١٧٩.

(٢٠) هي اليوم ناحية البصراط بمركز المنزلة بمحافظة الدقهلية.

(ميخائيل الـ٤٦) الروحاني] ؛ ولكنه غالباً أخذ هذا الكرسي بعد انتهاء الفتح العباسي لمصر عام ٧٥٠م بعد أن شارك في آلام الحبس والضيق . وغالباً كان من دير أبو مقار كأبيه البطر يرك ، ولم نقف له على أخبار أخرى[٢١].

١٠ ــ الأب ابيماخس أسقف مدينة الفرما[٢٢]:

ورد ذكره أسقفاً في مدة بطر يركية خائيل (٤٦) وذلك بعد الفتح العباسي لمصر الذي تم في عام ٧٥٠م وغالباً هو الإيغومانس ابيماخوس من دير القديس أبو مقار ثم أقام بدير السيدة مريم قرب تنيس[٢٣] حتى استحق الأسقفية فيما بعد وورد خبره في سيرة البطر يرك ثيئوذوسيوس (٤٥)[٢٤].

١١ ــ أنبا جاورجي أسقف مصر:

كان ابناً خاصاً لأنبا خائيل الـ٤٦ (٧٤٣ــ٧٦٧م)، وأُقيم إيغومانس على دير أبو مقار[٢٥] إلى أن رُسم أسقفاً على كرسي مصر من أنبا مينا الأول الـ٤٧ (٧٦٧ــ٧٧٦م)، وكان رجلاً قديساً رحوماً محباً للصدقة . وأقام زماناً عظيماً على الكرسي الأسقفي يرعى شعبه بطهر وعفاف إلى أن تنيح في عهد البابا يوحنا الرابع الـ٤٨ (٧٧٧ــ٧٩٩م) بعد أن شاهد نقل جسد أنبا مقار إلى ديره في ١٢ أغسطس سنة ٧٩٣م .

١٢ ــ قسما أسقف مصر:

كان الإبن الروحي للبابا يوحنا الرابع الـ٤٨ (٧٧٧ــ٧٩٩م) فرسمه أسقفاً للمصر يين فأقام أياماً ومات . وغالباً كان هذا الأسقف من دير أبو مقار لأن أباه الروحي هو البطر يرك الذي رسمه من دير أبو مقار[٢٥].

١٣ ــ أنبا سيمون أسقف بنا[٢٦]:

وكان من أولاد البابا شنودة الأول البطر يرك الـ٥٥ (٨٥٩ــ٨٨٠م) ورسمه أسقفاً في أواخر مدة بطر يركيته . ولأن هذا البطر يرك كان من دير أبو مقار، فبالتالي يكون هذا الأسقف

(٢١) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة ، لناشره إيفيتس ، جـ٣ ص ١٧٩ و١٨٠ .

(٢٢) اندثرت وآثارها تعرف اليوم بتل الفرما على بعد ٣ كم من ساحل البحر الأبيض بسيناء ، ٢٣ كم شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية التي بين الإسماعيلية و بور سعيد .

(٢٣) اندثرت وآثارها تقع في كوم تنيس في جز يرة تنيس ببحيرة المنزلة ، وتقع هذه الجز يرة في جنوب غربي مدينة بورسعيد على بعد ٩ كم منها .

(٢٤) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة ، لناشره إيفيتس ، جـ٣ ص ١٠٢ و٢٠٢ــ٢٠٣ .

(٢٥) راجع ما ورد عنه في تار يخ البطاركة ، لناشره إيفيتس ، جـ٤ ص٣٩٧ .

(٢٦) هي اليوم ناحية بنا ــ أبو صير بمركز سمنود بمحافظة الغربية .

من نفس الدير أيضاً. وقد احتمل مع أبيه البطر يرك العذاب والإهانة بسبب وشاية أحد الرهبان لدى حكام ذلك الوقت، ولم نقف له بعد ذلك على أخبار أخرى([27]).

١٤ ــ أنبا مقاره أسقف منوف العليا([28]) كاتب السنودس:

عاصر هذا الأب الأسقف كلاً من البابا فيلوثاوس البطر يرك (٦٣) (٩٧٩ــ١٠٠٣م) والبابا زخار ياس البطر يرك (٦٤) (١٠٠٤ــ١٠٣٢م). وغالباً كان من دير أبو مقار، وأمامنا في ذلك دليلان:

الأول: عندما توفى أخوه الجسداني أنبا مينا أسقف طانة، أشار على البابا فيلوثاوس (٦٣) بأن يرسم في محله الراهب الشيخ يوحنا بمنشوبية ذكر قفرى التابعة لدير أبو مقار([29]).

الشاني: بناؤه اشكِنا على إسم أبو مقار قبلي هيكل بنيامين بدير أبو مقار في مدة بطر يركية زخار ياس (٦٤) وذلك من المال الذي تركه له أخوه أنبا مينا أسقف طانة بعد نياحته.

وقد روى لنا ذلك إثنان من المؤرخين الكنسيين هما:

أ ــ ميخائيل أسقف تنيس في تار يخ البطاركة فيقول: [لما قال هذا خرجت روحه فكفنه ودفنه ثم قرأ الرقعة فوجد في المكان عشرة آلاف دينار، وكان مقاره أخوه رجلاً جيداً فأخذ المال و بنى به اشكِنا على إسم أبو مقار بوادي هبيب وهو الهيكل الحسن قبلي هيكل بنيامين فأنفق عليه ثلاثة آلاف دينار وتصدق بجملة كبيرة بيعاً كثيرة في ر يف مصر.]([30])

ب ــ أبو المكارم المؤرخ القبطي في مخطوطة على الكنائس والأديرة (المؤلفة نحو ١٢٠٩م) يقول: [والإشكِنا الذي قبلي هيكل بنيامين أنشأه أنبا مقاره أسقف منوف من المال الذي وجده للأسقف مينا في بطر يركية زخار يا الرابع والستين في العدد. وقيل أن المال الذي وُجد أحد عشر ألف دينار.] (Fol. 65)

١٥ ــ الراهب الشيخ يوحنا، أسقف طانة([31]):

ورد عنه في تار يخ البطاركة أن البابا فيلوثاوس الـ٦٣ (٩٧٩ــ١٠٠٣م) ما أن تسلم البطر يركية، وتنيح وقتئذ أنبا مينا أسقف طانة، حتى عمل بمشورة أنبا مقاره أسقف منوف العليا وكاتب السنودس وأخي ذلك الأسقف المتنيح فرسم الأب الروحي لهذا البطر يرك وهو الراهب

---

(٢٧) راجع ما ورد عنه في تار يخ بطاركة الكنيسة المصر ية، طبع جمعية الآثار القبطية، المجلد ٢ جـ١ ص٦٢ و٦٥ و٦٦.

(٢٨) هي اليوم مدينة منوف بمحافظة المنوفية، وهي غير منوف السفلى التي تُعرف اليوم بـ«محلة منوف» بمركز طنطا بالغر بية.

(٢٩) تار يخ بطاركة الكنيسة المصر ية، المجلد ٢ جـ٢ ص١٠١ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ش.

(٣٠) تار يخ بطاركة الكنيسة المصر ية، المجلد ٢ جـ٢ ص١١٨ و١١٩ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ش.

(٣١) اندثرت ومكانها اليوم غير معروف بالضبط ولكن كان يقع شمالي دير الست دميانة (ببراري بلقاس)، وعلى مقربة من الملاحات على بحيرة البرلس.

الشيخ يوحنا بمنشوبية ذكر قفرى التابعة لدير أبو مقار أسقفاً لطانة (٣٢).

١٦ ــ القديس أنبا بفنوتيوس الأسقف:

تذكار هذا الأب يرد في السنكسار(٣٣) يوم ١١ بشنس وخلاصته أنه ترهب من صغره في أسقيط مقار يوس؛ وأجهد نفسه في فضائل عظيمة؛ وتعلم في البرية علم الكتابة وقوانين البيعة؛ وقُدِّم قسيساً فمكث في البرية ٣٥ سنة. وشاع خبره، وولاَّه البابا فيلوثاوس الـ٦٣ (٩٧٩ــ١٠٠٣م) وقدَّمه أسقفاً (على ...؟) فمكث فيها ٣٢ سنة وتنيح. ويحتمل أن يكون هذا الأب الأسقف هو نفسه الراهب الشيخ يوحنا الذي رُسم أسقفاً على طانة كما سبق ذكره. ولكن لا يوجد عندنا كلام واضح عن هذا.

١٧ ــ الراهب دانيال مطران الحبشة:

ورد عنه في تاريخ البطاركة أنه في أيام فيلوثاوس البطريرك الـ٦٣ (٩٧٩ــ١٠٠٣م) أرسل ملك الحبشة إلى ملك النوبة (وإسمه جرجس) كتاباً يطلب منه أن يساعده من جهة الأب البطريرك بمصر وأن يسأله أن يحالله ويحالل بلاده و يقسم لهم مطراناً بعد الذي جرى مع المطران الذي كان في أيام أنبا قسما البطريرك السابق حتى جلس ٦ بطاركة لم يلتفتوا إلى بلاده وذلك خوفاً من أن ينقرض و يبطل دين النصرانية من عنده: [فلما وصلت الكتب إلى جرجس ملك النوبة ووقف عليها أنفذ من جهته كتباً ورسلاً إلى البطريرك فيلوثاوس وشرح له فيها جميع ما ذكره ملك الحبشة وسأله أن يترأف على شعبه، فأجاب سؤاله ورسم لهم راهباً من دير أبو مقار إسمه دانيال وأنفذه لهم مطراناً فقبلوه بفرح، وأزال الله عنهم الغضب.](٣٤)

١٨ ــ الراهب القس يونُس، أسقف كرسي الفرما:

كان قساً في اسقيطنا أبو مقار في أيام البابا زخار ياس (٦٤) (١٠٠٤ــ١٠٣٢م). ورُسم أسقفاً على الفرما في عهد البابا سانوتيوس (٦٥) (١٠٣٢ــ١٠٤٦م)(٣٥)

١٩ ــ الراهب جرجس مطران الحبشة:

رسمه البابا ميخائيل (٦٨) مطراناً للحبشة في عام ٨١٨ش (١١٠٢م) وكان من رهبان دير

(٣٢) راجع ما ورد عنه في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ جـ٢ ص١٠١ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ش.

(٣٣) راجع ما ورد في السنكسار الغربي اليعقوبي، لناشره «رينيه باسيه»، طبع باريس، سنة ١٩٢٩، ص١٠١٥.

(٣٤) راجع ما ورد عنه في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ جـ٢ ص١١٤ ــ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ش.

(٣٥) راجع تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ جـ٢ ص١٥٢ــ١٥٣، ١٥٦ــ١٥٧ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ش.

أبو مقار.(٣٦)

٢٠ ــ أنبا يونس بن سنهوت أسقف مصر:

رسمه البابا مقاره الثاني البطريرك (٦٩) وذلك في يوم الأحد ١٧ بابة سنة ٨٣٤ش (١٤ أكتوبر سنة ١١١٧م)، وهو من ناحية شبرا رحمة وترهبن بدير أبو مقار فعُرف بإسم الشماس يونس بن سنهوت وقد رُشّح للأسقفية مرتين: الأولى عندما شغر الكرسي البطريركي بعد نياحة البابا ميخائيل (٦٨) في عام ٨١٩ش (١١٠٢م) ولكن اختير غيره، والثانية عندما شغر كرسي مصر، وفي هذه المرة وقعت عليه القرعة. وكانت نياحته في ربيع آخر عام ٥٢٨هـ (أمشير عام ٨٥٠ش الموافق ١١٣٤م) ودُفن في الحبش.(٣٧)

٢١ ــ يعقوب أسقف لقانة(٣٨) من البحيرة المعروف بالعداري.

٢٢ ــ أخرسطودلس أسقف فوه.(٣٩)

٢٣ ــ ميخائيل أسقف طنتنا.(٤٠)

هؤلاء الآباء الأساقفة الثلاثة، ورد ذكرهم في سيرة البابا ميخائيل بن دنشتيري البطريرك (٧١) (١١٤٥ــ١١٤٦م). فبعد نياحة البطريرك أنبا غبريال (البطريرك الـ ٧٠) قام الأساقفة المذكورين بتقديم الراهب يونس بن كدران قصاً على دير أبو مقار تمهيداً لترشيحه للبطريركية. و يرجح أنهم كانوا من نفس الدير وإلا ما كانوا يقدمون على خطوة تقديم مرشحهم للبطريركية فيجعلونه قبلها قصاً على الدير.(٤١)

٢٤ ــ أنبا يوحنا (المعروف بابن نفرا) أسقف طمويه(٤٢) وهو كرسي منف(٤٣):

كان هذا الأب الأسقف من قلاية دنشتيري التابعة لجمع دير أبو مقار. وأخباره كتبها إثنان من المؤرخين الكنسيين:

أولاً: البابا مرقس بن زرعة البطريرك الـ٧٣ وكاتب سيرة البابا ميخائيل (٧١) المعروف

---

(٣٦) راجع تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ جـ٣ ص٢٤٧ ما كتبه عنه يوحنا إبن مساعد بن يحيي بن مينا المعروف بإبن القلزمي الكاتب.

(٣٧) راجع ما ورد عنه في مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية بالأزبكية، ورقة ١٢١جـ ــ ١٢٧جـ، ورقة ١٣٣ظ.

(٣٨) هي اليوم ناحية لقانة بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة.

(٣٩) هي اليوم مدينة فوه بمحافظة كفر الشيخ على البر الأيمن لفرع رشيد.

(٤٠) هي اليوم مدينة طنطا بالغربية.

(٤١) تاريخ البطاركة، مخطوطة رقم ١٢، بالدار البطريركية بالأزبكية ورقة ١٤٠ظ.

(٤٢) هي ناحية طموه بالجيزة.

(٤٣) كرسي منف من أقدم الكراسي الأسقفية وظل مزدهراً حتى خربت المدينة في القرن التاسع الميلادي فانتقل إلى ناحية طموه.

بابن دنشتيري (٢٩ يوليو سنة ١١٤٥ــ٢٩ مارس سنة ١١٤٦م)؛ حيث يقول عن البطريرك (٧١): [وقدم في أيامه من الأساقفة خمسة أولهم المعروف بإبن نفرا. وهذا كان من أولاد الأراخنة بمصر وترهب في دير أبو مقار وكان مقامه في قلاية هذا البطريرك (أي قلاية دنشتيري). فقدم وهو صبي حديث السن جداً وصار شماساً في الاسكِنا في أيام أنبا غبريال البطريرك (٧٠) واستمر مقامه به مدة. وقدمه أسقفاً قبل دخوله إلى مصر وتكريزه في دير الشمع(٤٤)... ومقدار عمره ثلاثون سنة على كرسي منف المعروف بمصر القديمة(٤٥).]

ثانياً: المؤرخ القبطي أبو المكارم في كتابه عن الكنائس والأديرة (١٢٠٩م) يروي لنا عن خبرين في تاريخ حياة هذا الأسقف. الأول اشتراكه في يوليو سنة ١١٥٩م في تعميد صائغ إسرائيلي يدعى أبو الفخر بن أزهر في كنيسة المرتوتى(٤٦) (وهي اليوم كنيسة العذراء بالمعادي). والثاني اشتراكه مع أنبا مرقس بن زرعة (البطريرك الـ٧٣) في تكريز بيعة ماريعقوب بناحية البساتين التي كانت قبلاً في يد الأرمن ثم آلت إلى الأقباط في ٢١ يونيو ١١٧٦م. و يلاحظ أن هذا المؤرخ يذكره بإسم أنبا يوحنا أسقف طمويه، فهو الذي كشف لنا عن إسمه الحقيقي في هذين الخبرين.

٢٥ ــ أنبا غبريال أسقف أسيوط الشهير بإبن كاتب القوصية (الذي كان رئيساً لدير أبو مقار):

ورد ذكره في أيام البابا غبريال الخامس (٨٨) (١٤٠٩ــ١٤٢٧م) عندما قدم من أورشليم أحد رجال الكهنوت الأنطاكي وإسمه مار باسيليوس بهنام لرسامته بطريركاً على كرسي أنطاكية للسريان الأرثوذكس، فقام البطريرك الإسكندري بعقد مجمع تقرر فيه تكليف الآباء الأساقفة أنبا ميخائيل أسقف سمنود المعروف بالغمري وأنبا غبريال أسقف أسيوط هذا وأنبا كيرلس السرياني مطران القدس المعروف بإسم نيشان بالقيام بهذه الرسامة في بيعة القديس مرقوريوس أبو سيفين بحي مصر القديمة. وقد تم هذا في عام ١١٢٨ش (١٤١٢م) بإسم مار أغناطيوس التاسع أو أغناطيوس بهنام الأول البطريرك (٨٢) في السريان.(٤٧)

---

(٤٤) اندثر وموقعه اليوم ناحية ميت شماس بالجيزة. ومنه كانت تبدأ القوافل الطالعة إلى دير أبو مقار مارة بدير جبل أوسيم (دير نهيا)، وفيه كانت تحفظ أواني الميرون بعد عمله في دير أبو مقار.

(٤٥) مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية، ورقة ١٤٢ظ ــ ١٤٣جـ.

(٤٦) راجع تاريخ أبو صالح الأرمني، لناشره إيفيتس، ورقة 44, B

(٤٧) تاريخ بطاركة الكرسي الإسكندري الحلقة الرابعة ص٧.

ملاحظة هامة:

ما سبق هو ما استطعنا معرفته من أسماء أساقفة خرجوا من مجمع رهبان دير أبو مقار طوال العصور الوسطى. وهذه العصور تنتهي في تاريخ مصر مع الفتح العثماني الذي تم في عام ١٥١٧م وأنهى عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة. أما عن الأخبار الكنسية التي تمت في هذا العام فقد وردت بكتاب فريد بدير أبو مقار يتضمن حوليات هامة تتعلق بتاريخ الدير وهو مخطوطة «تكريز وقانون هيكل بنيامين» ورد في المقدمة ورقة (١): [لما كان بتاريخ سنة ألف ومائتي وثلاثة وثلاثين للشهداء الأطهار السعداء الأبرار (١٥١٧م) رزقنا الله بركاتهم و يرحمنا بطلباتهم أن طلع الأب السيد البطريرك أنبا يؤنس الرابع والتسعون إلى البرية المقدسة لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأربعين المقدسة في دير القديس العظيم أبو مقار وصحبته أنبا باسيليوس أسقف كرسي زفتى وأنبا يؤنس الأدرنكي ومن كان بصحبتهم، وأقاموا في دير القديس أبو مقار مدة تقارب خمسة شهور، وقُدِّم أنبا بطرس أسقفاً على كرسي منية صرد(٤٨) وأنبا ميخائيل وأنبا يؤنس أسقفين أيضاً على كرسي المحرق (هكذا؟؟)... وكان تكريزهم في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر برمهات سنة تاريخه (١٧ مارس ١٥١٧م).]

وفي الحقيقة لا نستطيع أن نقطع ما إذا كان هؤلاء الثلاثة الأساقفة الجدد من رهبان دير أبو مقار أو من غيره. كما أنه لم تجرِ العادة أن يرسم البطاركة أحداً من الأساقفة في الأديرة حتى لو كان دير أبو مقار نفسه. ولكن تفسير ذلك يرجع إلى أن هذه الفترة من الزمان التي كانت الجيوش العثمانية تقاتل فيها آخر سلاطين المماليك بمصر وهو طومانباي، و بسبب الحروب التي عمت الوجه البحري والقاهرة لجأ البطريرك و بعض الأساقفة للإقامة نحو خمسة أشهر بدير أبو مقار ورسامة بعض الأساقفة الجدد فيه ريثما تهدأ الأحوال. وقد بينت المخطوطة في ورقة ٢ هذا السبب في اقتضاب غير واضح بما يؤكد كلامنا: [وكان في تلك الأيام ضيق عظيم في العالم وفي المملكة يغني عن ذكره] انتهى.

ثانياً: الأساقفة الذين خرجوا من دير أبو مقار في العصر الحديث

مقدمة:

كان الوباء الأسود (الطاعون) الذي حل على أرض مصر في عام ١٣٤٩م كارثة عظيمة حلت على الشعب المصري وخاصة المسيحيين منهم، ودخل دير أبو مقار منذ ذلك الوقت في ظلمة

---

(٤٨) منية صرد هي اليوم بقسم شبرا الخيمة محافظة القليوبية.

تاريخية مما جعلنا لا نعرف من أخباره إلا القليل؛ وحتى هذا القليل لا يعطي لنا صورة مضيئة عن حال هذا الدير العريق، وإنما يعكس لنا الحالة القاتمة التي مرت بها الحياة النسكية في أديرة برية شيهيت كلها من ضعف واضمحلال. فبعد أن كان مجمع رهبان دير أبو مقار بقلاليه المتعددة المنفردة والتابعة له يضم المئات من الرهبان أصبح طوال العصر العثماني (من سنة ١٥١٧ إلى ١٨٠٥م)، بل وطوال القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، لا يضم من الرهبان إلا أفراداً قلائل معدودين.

لذلك فابتداءً من الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧م حتى عام ١٨٨٠م تقريباً لا نسمع أن أحداً من رهبان دير أبو مقار صار أسقفاً على أحد الكراسي الأسقفية.

البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١):

كان رئيساً على دير أبو مقار بإسم القمص ميخائيل جرجس، ولا نعرف متى استلم رئاسة هذا الدير. ولكن أقدم خبر له وهو رئيس عليه يرجع إلى ٢٣ أبريل سنة ١٨٥٣. ثم اختير بطريركاً على الكرسي المرقسي الإسكندري يوم الأحد ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ واستمر في هذا المنصب حتى تنيح يوم ١٨ يناير سنة ١٨٧٠م. و بعد أن اختير بطريركاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ لم يقدم أحداً من رهبان الدير رئيساً عليه بل أخذ شقيقه القمص يوسف المحرقي وجعله رئيساً على دير أبو مقار خلاف العادة المتبعة.

و يبدو أنه طوال مدة بطريركيته لم يرسم أحداً من رهبان ديره على أحد الكراسي الشاغرة.

□ □ □

أساقفة من دير أبو مقار ابتداء من عام ١٨٨٠م

١ ــ أنبا ياكوبوس أسقف ومطران المنيا:

كان رئيساً على دير الست دميانة بإسم القمص مقار المقاري؛ ورسم أسقفاً على كرسي المنيا في عام ١٨٨٠م تقريباً؛ ورقي مطراناً في يوم الأحد ١٥ نوفمبر ١٨٩٦م؛ وتنيح يوم الثلاثاء ٢١ مارس ١٨٩٩م.

٢ ــ أنبا باسيليوس أسقف ومطران أبوتيج:

وهو القمص يوحنا المقاري وكيل وقف الدير بمصر. وقد رسمه البابا كيرلس الخامس أسقفاً يوم الأحد ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦؛ ورقاه مطراناً في الأحد ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧؛ واستمر حتى ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٠.

٣ ــ أنبا أبرآم أسقف ومطران البلينا:

وهو القمص فيلوثاوس المقاري رئيس الدير (١٨٩٦ــ١٩٠٢م)، ثم سكرتير البابا كيرلس

الخامس الذي رسمه أسقفاً يوم الأحد ٣ أبريل سنة ١٩٢١، ثم مطراناً يوم ٦ نوفبر سنة ١٩٢١. وقد أنشأ مدرسة للرهبان والتلاميذ بعزبة الدير بأتريس؛ وطبع كتاب الصادق الأمين في أخبار القديسين (السنكسار) سنة ١٩١٣ ومواعظ القديس يوحنا فم الذهب وغيرها من الكتب الكنسية والطقسية؛ كما قام بإصلاحات في الدير لتعميره واستقرار الرهبان بالدير. وقد تنيح يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٣م وله من العمر حوالي ٧٤ سنة قضى منها في الرهبنة ٦٠ سنة تقريباً.

٤ ــ أنبا ميخائيل مطران أسيوط، ورئيس دير أنبا مقار حالياً:

وهو القمص متياس حنا المقاري وكيل وقف دير أبو مقار بالقاهرة. وقد ترهبن سنة ١٩٣٩؛ ورسمه أنبا يوساب الثاني (البطريرك الـ١١٥) مطراناً على أسيوط في الأحد ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦م.

٥ ــ أنبا مينا مطران جرجا:

وهو القمص لوقا المقاري. وقد ترهبن سنة ١٩٣٩؛ وصار أميناً على الدير في عام ١٩٤٣؛ وخدم كاهناً على كنيسة العذراء بإسنا (١٩٥٠ ــ ١٩٥٧م)، ثم على كنيسة مارجرجس بمنشاة غالي بالدقهلية، ثم كنيسة مارجرجس بالعجوزة بالجيزة؛ إلى أن رُسم مطراناً على جرجا في يوم الأحد ٧ أغسطس سنة ١٩٦٠م.

٦ ــ أنبا أندراوس أسقف دمياط:

وهو القس موسى المقاري. وكان يعمل مهندساً ببلدية الإسكندرية قبل الرهبنة؛ ثم انضم إلى سلك الرهبنة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤؛ وكان من الاثني عشر راهباً الذين عاشوا في برية وادي الريان من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٦٩ حين انضموا إلى مجمع رهبان دير القديس أبو مقار. ثم اختير أسقفاً على دمياط وتمت رسامته يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٩؛ وتنيح في ٤ أغسطس سنة ١٩٧٢.

٧ ــ أنبا تيموثاوس الأسقف العام:

راهب من دير القديس أنبا مقار، رُسم أسقفاً سنة ١٩٧٣.

ثالثاً: رؤساء دير أبو مقار خلال العصور الوسطى

١ ــ القمص يؤنس بن كدران[٤٩]:

رسمه ثلاثة من الأساقفة قمصاً ومدبراً لدير أبو مقار تمهيداً لترشيحه بطريركاً في الفترة بين

(٤٩) مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية، ورقة ١٤٠ظ.

عامي ١١٢٨ــ١١٣١م عقب نياحة البابا مقاره الثاني البطر يرك (٦٩).

٢ ــ أنبا جرجس إيغومانس دير أبو مقار([٥٠]):

وهو الذي قام بقراءة التحليل كالعادة المتبعة في الدير على البابا بطرس الخامس البطر يرك (٨٣) (١٣٤٠ــ١٣٤٨م) عند ز يارته للدير في سنة ١٣٤٠م، عقب رسامته لعمل الميرون المقدس.

٣ ــ القس يوسف رئيس دير أبو مقار([٥١]):

ورد اسمه في تار يخ عمل الميرون المقدس سنة ١٣٧٤م في زمن البابا غبر يال الرابع البطر يرك (٨٦) (١٣٧٠ــ١٣٧٨م).

٤ ــ أنبا غبر يال أسقف أسيوط([٥٢]):

وكان رئيساً لدير أبو مقار قبل أسقفيته إلى ما قبل عام ١٤١٢م.

٥ ــ الأب الراهب الناسك الإيغومانس المكرم يعقوب:

في مدة خدمة هذا الأب، أقام البابا يؤنس الثالث عشر (البطر يرك الـ٩٤) مدة خمسة شهور في دير أبو مقار لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأر بعين المقدسة وذلك سنة ١٥١٧م. وطوال هذه الفترة اجتهد في عمارة الأماكن المتهدمة بالدير وبجوسقه وتكر يسها. ([٥٣])

رابعاً: رؤساء دير أبو مقار خلال العصر العثماني والحديث

١ ــ القمص تادرس الطوخي:

كان رئيساً على الدير قبل اختياره بطر يركاً بإسم البابا متاؤس الثالث البطر يرك (١٠٠).([٥٤])

٢ ــ القمص بطرس:

كان رئيساً على الأر بعة الأديرة في سنة ١٤٥٨ش (١٧٤٢م)؛ ثم أقيم أسقفاً على نقادة سنة ١٤٦٧ش (١٧٥١م)؛ ثم أصبح مطراناً لجرجا والصعيد الأعلى. ([٥٥])

(٥٠) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص٢٩٧.

(٥١) مخطوطة ١٠٦ طقس، بالدار البطر يركية، ورقة ١٥٠أ.

(٥٢) سلسلة تار يخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، لكامل صالح نخلة، الحلقة الرابعة، ص ٩٧.

(٥٣) مخطوطة تكر يس وقانون هيكل بنيامين، بمكتبة دير أنبا مقار رقم ٢٠٧ط، ورقة ٢جـ بالمقدمة.

(٥٤) سلسلة تار يخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الرابعة، ص ٩٧.

(٥٥) وادي النطرون وأديرته، للأمير عمر طوسون، ص١٨٨.

٣ ــ القس عطية :

كـان رئـيسـاً على الـديـر في عـهـد الـبـابـا يـؤنـس الـثـامـن عشر الـبـطـر يرك (١٠٧) (١٧٦٩ــ١٧٩٦م)، واشتهر بخطه الجميل فكان ينسخ الكتب نظير أجر ينفق منه على الدير وسد أعـواز الـرهـبان؛ وله بمكتبة دير السر يان قطمارس يخدم شهر بابة يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ش (١٧٨٤م). (٥٦)

٤ ــ القمص جرجس :

رافق هذا الأب قداسة البابا بطرس السابع الجاولي البطر يرك (١٠٩) في السفر إلى الإسكندر ية لتكر يس بيعة مار مرقس الرسول في يوم الأحد ٧ بابة ١٥٣٥ش (١٦ أكتوبر سنة ١٨١٨م) بعد أن كان الفرنسيون قد هدموها فأعاد عمارتها بفرمان من محمد علي باشا والي مصر وقتئذ. (٥٧)

٥ ــ القمص ميخائيل جرجس :

وقد كان رئيساً على الدير إلى ما قبل رسامته في ١٥ يونيوسنة ١٨٦٢ بطر يركاً على الكرسي المرقسي بإسم البابا ديمتر يوس الثاني البطر يرك (١١١). وأول ما نسمع عنه أنه حضر تكر يس كنيسة العذراء المعروفة بالمغارة بدير السر يان على يد أنبا إيسآك مطران الفيوم والبهنسا يوم أحد الشعانين ١٦ برمودة سنة ١٥٦٩ش (٢٤ أبر يل ١٨٥٣م). (٥٨)

+ ورد اسـمـه ضـمـن الموقعين على تزكية البابا كيرلس الرابع البطر يرك ١١٠ بتار يخ يوم الأحد ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ش (٤ يونيوسنة ١٨٥٤م)، ومن بين الموقعين أيضاً القمص جرجس كاهن دير أبو مقار. (٥٩)

+ ورد اسمه على صورة العذراء حاملة أمام صدرها السيد المسيح وهو طفل وتحت رجليها ثعبان؛ وكانت بكنيسة الشيوخ، ومكتوب على يسار العذراء [راسم تلك الصورة الحقير جرجس أحد رهبان دير القديس العظيم أبو مقار أب رهبان شيهات]؛ وعن يمينها: [وأبيه يسمى عبد المسيح و بلده تسمى السراقنة من كرسي صنبو بجبل قزقام ورئيس يومئذ **القمص ميخائيل** من جلده على دير أبو مقار سنة ١٥٧٠ش في ١٥ كيهك (٢٣ ديسمبر سنة ١٨٥٣م)]. (٦٠)

---

(٥٦) الأديرة المصر ية العامرة، للقمص صموئيل تاوضروس السر ياني، ص١١٢.

(٥٧) كتاب نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر، جـ١، طبع سنة ١٩١٠، ص٦٩؛ مخطوطة تار يخ عمل الميرون، رقم ١٠١ طقس، بالدار البطر يركية بالأزبكية ورقة 43 V-44 R

(٥٨) وادي النطرون ورهبانه وأديرته، للأمير عمر طوسون، ص١٨٣.

(٥٩) سلسلة تار يخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الخامسة، ص ٢١٠.

(٦٠) وادي النطرون، للأمير عمر طوسون، ص٢٠٥ــ٢٠٦.

+ في مدة رئاسته على الدير اشترى له أرضاً وقفاً مساحتها ٨س ٦ق ٢ف وأخرى مساحتها ٦٥ فداناً. (٦١)

٦ ــ القمص يوسف الحرقي:

عيَّنه على رئاسة الدير شقيقه البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١) بعد رسامته بطريركاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ رغم كونه من غير رهبان الدير. وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً في مدة رئاسته للدير مساحته ١٢س ١١ق ١٣ف. (٦١)

٧ ــ القمص إبراهيم الهوري:

(رئيساً للمرة الأولى سنة ١٨٨١ــ١٨٩٦) استمر حتى تمت رسامة الأب يوحنا المقاري وكيل وقف الدير أسقفاً على أبوتيج بإسم أنبا باسيليوس.

٨ ــ القمص فيلوثاوس:

(رئيساً للمرة الأولى من ديسمبر ١٨٩٦ ــ سبتمبر ١٩٠٢). وقد عينه أنبا باسيليوس أسقف أبوتيج بعد القمص إبراهيم الهوري. وقد اشترى وقفاً زراعياً للدير مساحته ٦س ٥ق ٢ف.

٩ ــ القمص إبراهيم الهوري:

(رئيساً للمرة الثانية سبتمبر ١٩٠٢ــما قبل ١٩١٩). أُعيد إلى رئاسة الدير مرة أخرى بعد عودته من الحبشة، وكانت رئاسته للدير تحت إشراف أنبا باسيليوس أسقف أبوتيج، وقد اشترى خلال رئاسته للدير (في المدة الأولى أو الثانية؟) وقفاً زراعياً مساحته ١٦س ٩ق ٢ف.

١٠ ــ القمص مقار:

ربما كانت فترة رياسته للدير تتخلل المدة السابقة (بين ١٩٠٢ــ١٩١٢). وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً مساحته ١٢ق ١ف.

١١ ــ القمص مرقس:

(١٩١٩ــ١٩٢٨) كان رئيساً للدير تحت نظارة أنبا باسيليوس أسقف أبوتيج، وفي سنة ١٩٢٠ انفرد بإدارة شئون الدير إلى أن تنيح في ٢ أغسطس سنة ١٩٢٨. وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً مساحته ١٨س ١٦ق ٤٦ف.

١٢ ــ أنبا أبرآم مطران البلينا:

(وهو نفس القمص فيلوثاوس المقاري) وأقيم رئيساً للدير مرة ثانية غالباً بعد نياحة القمص

(٦١) مجلة النهضة الإكليريكية السنة ٣ عدد ٥ ص ٧٤.

مرقس في أغسطس سنة ١٩٢٨م؛ واستمر رئيساً حتى أغسطس ١٩٢٩م. وقد اهتم قداسته بترميم حجاب هيكل أنبا بنيامين وإعادة القطع المأخوذة منه والتي كانت محفوظة بالمتحف القبطي. وأقام منارة لأجراس الكنيسة وجدد وعمر في الكنيسة بأن أضاف إليها خورساً ثانياً وجعلها صالحة للصلاة. ثم ترك رئاسة الدير في شهر أغسطس ليتفرغ لشئون مطرانيته.

١٣ ــ القمص روفائيل:

المرة الأولى (أغسطس ١٩٢٩ــأكتوبر ١٩٣٢)، والمرة الثانية (أواخر ١٩٣٦ــ١٩٣٧). وكان رئيساً للدير مرتين. وقد تنيح طرف شقيقه أنبا باسيليوس أسقف دير أنبا بيشوي سنة ١٩٦٣.

١٤ ــ القمص يوحنا الباقوري:

(٨ أكتوبر ١٩٣٢ــأواخر سنة ١٩٣٦). وقد تولى رئاسة الدير بكتاب من أنبا يؤنس التاسع عشر البطريرك، والذي رشحه هو أنبا أبرآم مطران البلينا.

١٥ ــ القمص مكسيموس:

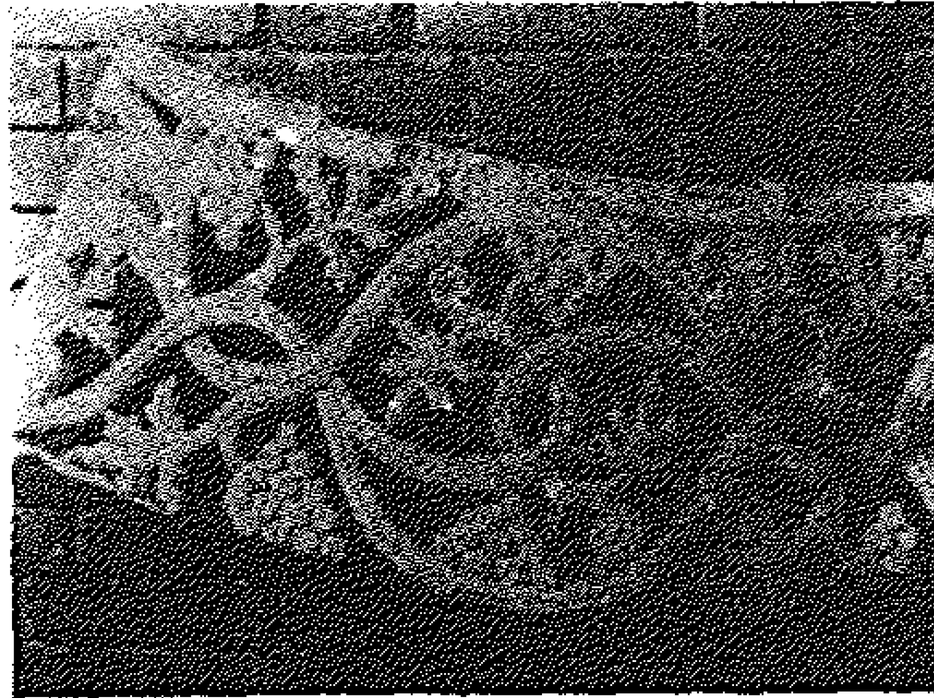
(١٩٣٧ــنوفمبر ١٩٣٩). وكان وكيلاً للدير بالقاهرة؛ وعُيِّن رئيساً للدير بعد استقالة القمص روفائيل. وقد تنحى عن الخدمة ولازم الدير إلى أن تنيح به.

١٦ ــ القمص باخوم:

(أواخر ١٩٣٩ــأواخر سنة ١٩٤٦). وكان عاقلاً متزناً وقام بخدمات جليلة للدير ثم تنيح ــ بعد استقالته ــ في شيخوخة صالحة.

١٧ ــ أنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي:

وهو القمص متياس حنا المقاري وكان وكيلاً للدير بالقاهرة؛ ثم رُسم مطراناً لأسيوط في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦م؛ ولما استقال القمص باخوم اختير ناظراً ورئيساً على الدير في أواخر سنة ١٩٤٦.



كنائس باسم القديس أنبا مقار

□□□□□

أولاً: كنائس اندثرت

عرفنا منها ثلاث كنائس فقط:

١ ــ **الأولى ذكرها ساويرس بن المقفع في كتابه: «تاريخ البطاركة»**(١): أن البابا مرقس الثاني (البطريرك الـ٤٩) (٧٩٩ــ٨١٩م) اتخذها مقراً لكرسيه بمدينة نبروه بعد أن استولى الأندلسيون على الإسكندرية وذلك في أواخر أيامه؛ وأن هذه الكنيسة بناها والدا الأرخن مقاره بن ساث النبراوي. أي أنها بُنيت في نحو أواخر القرن الثامن الميلادي.

كما ذكرها **المؤرخ القبطي أبو المكارم في كتابه عن «الكنائس والأديرة» في نحو ٩٢٥ش (١٢٠٩م)**: [نبراوه من الغربية: **بيعة أبو مقار**، بيعة تادرس، بيعة أخرى للسيدة].(٢) ونبراوه هي اليوم نبروه مركز طلخا بالدقهلية. ولعل السبب في وجود بيعة باسم القديس بهذه المنطقة في القرن ١٣م هو وجود أوقاف زراعية للدير بهذه المنطقة. ومما يزيد اعتقادنا بهذا ما يقوله نفس المؤرخ: [وكيرلس البطريرك وهو السابع والستون في العدد (١٨ مارس ١٠٧٨ــ٦ يونيو ١٠٩٢م ومن رهبان هذا الدير) أوقف على دير أبو مقار كرسي دميره و بوصير بنا ودمنهور بحيرة والأهناسية وكتب بذلك كتباً سلمها لقَوَمة الدير.](٣). و يلاحظ أن دميره تجاور نبروه. وهذه البيعة التي كانت بناحية نبروه واندثرت ربما خربت أو تحولت منذ نحو ٧٠٠ سنة على الأرجح في عهد الظاهر بيبرس (١٢٦٠ــ١٢٧٧م) أو بعده بقليل.(٤)

٢ ــ **الثانية كانت بدير الخندق**(٥) المعروف الآن بدير أنبا رويس بالقاهرة وقد تكلم عنها مؤرخان قبطيان: أبو المكارم(٦) (نحو عام ١٢٠٩م) في مخطوطاته عن الكنائس والأديرة(٧): [كنيسة ملاصقة لباب الدير (أي باب الخندق) برسم القديس أبو مقار أعطاها القبط للأرمن في عهد بطريركية كيرلس الثاني البطريرك الـ٦٧ في عداد البطاركة (١٠٧٨ــ١٠٩٢م)، في

---

(١) لناشره إيفيتس جـ٤ ص٤٣٣ــ٤٣٤ (٥٤٧ــ٥٤٨).

(٢) دليل المتحف القبطي، جـ٢ ص٢٣٦ (طبعة ١٩٣٢).

(٣) مجلة رسالة الحياة، السنة ١٠ العدد ٨، ص١٢٨ عن مخطوطة أبو المكارم ورقة ٦٤.

(٤) «الخطط التوفيقية»، لعلي باشا مبارك، طبع سنة ١٨٨٨ جـ١٧ ص٣ عن ناحية نبروة ومعالمها. و يؤكد ما نقول.

(٥) وهو المدفون به أنبا رويس. و يعرف بهذا الإسم نسبة إلى قرية الخندق التي كانت تقع بجوار منطقة دير الملاك البحري حالياً.

(٦) عن «الخطط التوفيقية»، لعلي باشا مبارك، جـ٦ ص٧٨.

(٧) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع المجلد الثاني جـ٣ ص٢٢٦.

الخلافة المستنصرية ورُسمت بإسم الشهيد جاورجيوس.]

أما المؤرخ الثاني الذي ذكرها فهو موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني الذي كتب سير بعض البطاركة في المدة بين عامي ١٠٨٨ ــ ١٠٩١م فيقول: [... وكان في هذا الدير (دير الخندق) كنيسة على إسم أبو مقار فجعل فيها الأسقف المذكور (أنبا غبريال أسقف الخندق وقتئذ) قرطاً لدابته... فمضى جماعة من الأرمن ووقفوا للأجلّ أمير الجيوش (بدر الجمالي الأرمني الجنس ١٠٧٤ ــ ١٠٩٤م) برقعة وقالوا فيها ليس لنا بيعة نصلي فيها... فأمر (بدر الجمالي) الأسقف... أن يدفعها لهم ليعمروها و يصلوا فيها فأخذوها وهي الآن (قرن ١١م) باقية بأيدي الأرمن.](٨)

وهذه الكنيسة قد اندثرت ربما في عهد الناصر محمد عندما خربت معظم كنائس القطر في عام ١٣٢١م.

٣ ــ **الثالثة كنيسة بنيت على جسد القديس ببلدة ششوير:** وقد ورد ذكرها في السنكسار طبع باريس ١٩٢٩م ص١٢٧٦ تحت يوم ١٩ مسرى: [في مثل هذا اليوم أتوا بجسد القديس أبو مقار الكبير إلى شيهات لأن بعد نياحته أتى قوم من أهل بلدة ششوير وسرقوا جسده وبنوا عليه كنيسة في بلدهم]. وششوير هي اليوم ناحية شبشير طملاي بمركز منوف بالمنوفية. وقد ظلت هذه الكنيسة قائمة حتى خربت؛ ونُقل الجسد منها عام ٥٠٠ش/٧٨٤م إلى ناحية ألما (ألماي بمركز شبين الكوم)؛ كما ورد بالمخطوطة رقم ١٨ سير بمكتبة دير أبو مقار.

٤ ــ **الرابعة كنيسة أنبا مقاره بدهروط**(٩): ورد ذكرها عن مخطوطة بدير أبو مقار تروي خبر نقل جسد القديس أبو مقار من ألما إلى ديره بالبرية عن طريق النيل حتى ترنوط في أغسطس ٧٩٣م. وكانت ناحية دهروط بحري وجوار ترنوط (الطرانة بمركز كوم حمادة).

٥ ــ **الخامسة كنيسة أنبا مقار فيما بين القلالي في الطريق إلى دير أبو مقار:** ورد ذكرها في المخطوطة السابق ذكرها.

ثانياً: كنائس مازالت قائمة حتى اليوم

يوجد بإسمه اليوم في القطر المصري سبع كنائس عامرة، إثنتان منها أثريتان: إحداهما بديره ببرية شيهيت (وادي النطرون) والأخرى بديره عند مدينة أبوتيج. والكنائس الخمس الأخرى

(٨) نفس المرجع السابق.

(٩) مخطوطة ١٨ سير، بمكتبة دير أبو مقار (عن سيرة القديس أبو مقار).

مستجدة، إثنتان منهم بنيتا في القرن الماضي والثلاثة الأخرى في القرن الحالي. كما أن ثلاثة من هذه الكنائس أُنشئت في عهد أساقفة تخرجوا من دير أبو مقار و بنوا هذه الكنائس في إيبارشياتهم تذكاراً لقديس ديرهم.

١ ـــ كنيسة أنبا مقار يوس بديره ببر ية شيهيت:

وكانت ملاصقة للسور البحري من جهته الشرقية (قبل التجديدات ابتداءً من عام ١٩٦٩). والآن هي الكنيسة الكبرى للدير وكانت تضم هيكلين فقط، البحري بإسم هيكل يوحنا المعمدان وكان سابقاً على إسم مار مرقس الرسول وأمامه مغارة تضم رفات يوحنا المعمدان وإليشع النبي. والهيكل الثاني ـــ الأوسط ـــ يشتهر في تار يخ الكنيسة بإسم هيكل بنيامين.

٢ ـــ كنيسة القديس مقار يوس بناحية أتر يس بمركز إمبابة الجيزة:

وتقع بعزبة وقف دير أبو مقار بالعزبة الغربية تمييزاً لها عن العزبة الشرقية التابعة لدير السريان. والمتداول عن هذه الكنيسة لدى الرهبان أن الذي أنشأها هو البابا ديمتر يوس الثاني البطريرك (١١١) (١٨٦٢ـــ١٨٧٠م) الذي كان رئيس هذا الدير قبل اختياره للبطر يركية. ولكن المرجح أنه بدأ إنشاءها بعد توليه البطر يركية وتمت سنة ١٥٨٨ش = ١٨٧٢/١٨٧١م. [١٠]

٣ ـــ كنيسة القديس مقار يوس بناحية شنشور مركز الباجور منوفية:

وهي كنيسة جديدة افتتحها في سنة ١٩٥٩ المتنيح أنبا بنيامين مطران كرسي المنوفية السابق. ومع أنه من رهبان دير البرموس إلا أنه استجاب لأقباط هذه البلدة في إنشاء كنيسة تحمل إسم هذا القديس لإعتقادهم أنه من بلدتهم كما هو وارد في سنكسار ر ينيه باسيه ص١٢٧٦ تحت يوم ٢٩ مسرى: [... وأتوا بجسد القديس أبو مقار الكبير إلى شيهات، فبعد نياحته سرق جسده أهل بلده شنشو ير و بنوا عليه كنيسة]. ولكن شنشو ير هي الآن شبشير طملاي بمركز منوف وهي غير ناحية شنشور.

٤ ـــ كنيسة القديس مقار يوس بدير السيدة العذراء بجبل الطير المقابل لمدينة سمالوط بمحافظة المنيا:

وتقع فوق كنيسة العذراء الأثر ية بهذا الدير. و يعود تار يخ إنشائها إلى عام ١٦٠٥ش[١١] (=١٨٨٩م). وعلى هذا فقد أُنشئت في زمان أسقفية أنبا ياكوبوس على المنيا (١٨٨١ـــ١٨٩٩م) والذي كان من رهبان دير أبو مقار.

---

(١٠) كتاب اللؤلؤة البهية في التراتيل الروحية طبعة ١٩٢٢ ص٦٥٦.

(١١) دليل المتحف القبطي جـ٢ لسنة ١٩٣٢، ص١٩٠ بالهامش، كتاب اللؤلؤة البهية طبعة ثانية ص٦٦٢.

٥ ــ كنيسة القديس مقاريوس بناحية البياضية مركز البداري بأسيوط :

وقد دشنها نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي يوم الأحد ٥ أبريل سنة ١٩٥٩ (١٢). ونيافته هو رئيس وناظر الدير حالياً .

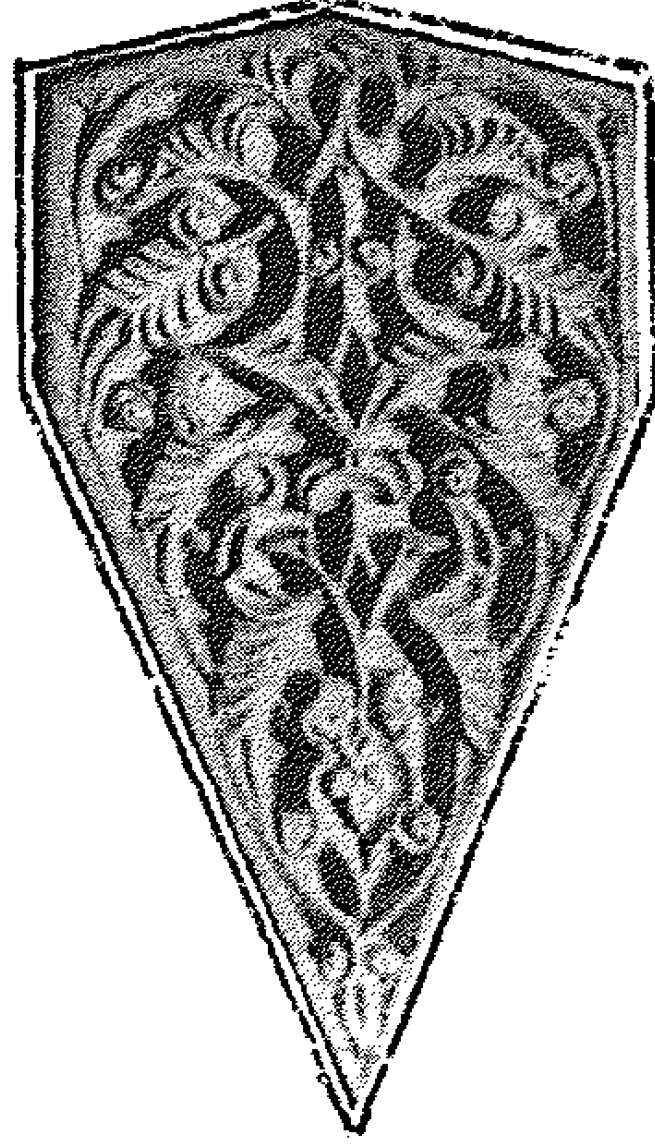
٦ ــ كنيسة القديس مقاريوس بدير المدافن قبلي مدينة أبوتيج بأسيوط :

وهي كنيسة أثرية تتبع إيبارشية أبوتيج وطهطا وورد ذكرها في خطط علي باشا مبارك سنة ١٨٨٨م أثناء كلامه عن أبوتيج : [... فيها كنيستان إحداهما خارج البلد بإسم أبو مقار فوق تل عال به مقابر النصارى والأخرى (بإسم السيدة العذراء) في داخلها]. (١٣)

٧ ــ كنيسة القديس مقاريوس بمقر المطرانية بالبلينا سوهاج :

وهي الكاتدرائية التي أنشأها المتنيح أنبا أبرآم مطران كرسي البلينا (١٩٢١ــ١٩٤٣م) وهو من رهبان دير أنبا مقار. وعلى ما نعرف فإن بناءها يرجع إلى ما قبل سنة ١٩٣١ بقليل.

(انتهى البحث)



قطعة من العاج المنقوش .
ربما تكون واحدة من ستة وتسعين قطعة مماثلة كانت تزيّن ضلفتي حجاب هيكل إحدى كنائس الدير ــ وهما الآن محفوظتان في الدور الأرضي بالحصن .

---

(١٢) جريدة الأهرام الخميس ١٩٥٩/٤/٢ .

(١٣) «الخطط التوفيقية» ، جـ٨ ص١٩ .

ملحقات الكتاب للإيضاح والتوعية

+ + +

ملحق رقم (١)
عرض للمنابع الرهبانية الأولى

+ + +

١ ـ التاريخ اللوزياكي: المعروف بالفردوس أو «البراديسوس».
٢ ـ الـ«هيستوريا موناخورم» وهو تاريخ الرهبنة في مصر.
٣ ـ الأبوفثجماتا باترم: وهو أقوال الآباء.

١ ــ كتاب التاريخ اللوزياكي
أو بستان الرهبان

وهو الكتاب الذي ألفه الراهب الناسك بالليديوس سنة ٤١٩م، وقدمه إلى أحد معاوني الملك ثاؤذوسيوس الثاني المسمى «لوز يوس»، ومن هنا جاء إسم الكتاب الذي اشتهر به. ولو أن إسمه الحقيقي عند الآباء الرهبان الأوائل كان «الفردوس»: Paradisus

و يعتبر كتاب التاريخ اللوزياكي لباالليديوس الوثيقة الأولى والأساسية التي قدمت للعالم تاريخ الرهبنة في مصر.

وقد تعرض هذا الكتاب في نهاية القرن التاسع عشر إلى نقد شديد كاد يمسخ جماله الرهباني وعمقه التاريخي الروحي الأصيل ونسبته لباالليديوس جملة، لولا أن انبرى له العلامة الأب الراهب بطلر عندما قام بأبحاث علمية تحقيقية للكتاب، جاءت غاية في الدقة والحصافة، وشملت ما يزيد عن سبعمائة صفحة في مجلد ضخم، أثبت فيه أصالة التاريخ اللوزياكي وصدق نسبته لباالليديوس وحقيقة كل رواياته من الوجهة التاريخية البحتة. وقد استغرق منه هذا العمل قرابة ست سنوات كاملة، هذا بالإضافة إلى حصيلة العمر كله من المعرفة بالرهبنة وأصولها ومنابعها، كما يقول هو عن نفسه في مقدمة كتابه. وقد أكمل كتابه هذا في مايو سنة ١٨٩٨م.

١ ــ وقد اعتمد العلامة بطلر في بحثه القيم الرائع على ٥٣ مخطوطة للبستان باللغة اليونانية اطلع عليها في جميع مكتبات العالم: في الفاتيكان وفينيسيا وباريس وأكسفورد ولندن وڤينا و بطرسبرج وتورين، بالإضافة إلى ما حصل عليه من النسخ الموجودة في مدريد و برلين و بالرمو و بارما وروما وموسكو وأثينا و باطمس وآثوس وأورشليم وسيناء. وهذا كله بالإضافة أيضاً إلى المطبوع من كتاب البستان وهي ست طبعات هامة:

(أ) طبعة ليون سنة ١٦١٦م.
(ب) طبعة باريس سنة ١٦٢٤م.
(جـ) طبعة باريس سنة ١٦٤٤م.
(د) طبعة باريس سنة ١٦٥٤م.
(هـ) طبعة فلورنسا سنة ١٧٤٦م.
(و) طبعة ميني سنة ١٨٦٠م المسماة
Patrologia Graeca

٢ ــ كما قارن هذه النسخ اليونانية بالنسخ اللاتينية؛ وقد اعتمد على ثلاث نسخ في ثلاث تراجم مختلفة.

وأول طبعة لاتينية ظهرت للفردوس كانت سنة ١٤٧٠ــ١٤٨٠ تحت إسم «حياة الآباء» وهي موجودة بالمتحف البريطاني.

٣ ــ وقد اعتمد كثيراً في بحثه على النسخة السريانية في أصلها المخطوط المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني، لكاتبها حنان عيشو.

وحنان عيشو هذا كان راهباً سريانياً نسطورياً من دير بيت آبه ببلاد ما بين النهرين في القرن السابع، قام بجمع أقوال الآباء التي تحصّل عليها بالسريانية في مجلدين، جعل الجزء الأول يختص بتواريخ الآباء التي جمعها بالليديوس وچيروم (وهنا يذكر چيروم باعتباره خطأ أنه كاتب الهستوريا موناخورم)، أما الجزء الثاني فاختصه بأسئلة وأجوبة الشيوخ التي حصل عليها بنفسه. وأسمى كتابه بـ: «الفردوس».

والمعروف أن حنان عيشو جاء إلى برية شيهيت حوالي سنة ٦٦٠م بعد الفتح العربي مباشرة، وزار كافة الأديرة والبراري باحثاً منقباً عن أقوال الآباء من المخطوطات السريانية والقبطية.

وقد قام مؤخراً سنة ١٩٣٤ بترجمة هذا المؤلف النفيس إلى اللغة الإنجليزية وطبعه العالم السير أرنست أ. بدْج أمين قسم الآثار المصرية والسريانية بالمتحف البريطاني (١٨٩٤ــ١٩٢٤).

٤ ــ أما النسخة الأرمنية فهي أقل النسخ انطباقاً على الأصول سواء اليونانية أو السريانية. وهي مطبوعة في فنيس

سنة ١٨٥٥م في مجلدين، وبها تصرف كبير في سرد القصص وإعطائها العناوين الخاصة، وإن كانت لا تخلو من توضيحات وانطباقات مع النسخة القبطية.

٥ ــ **النسخ القبطية**: وهي النسخ التي اعتمد عليها «أميلينو» في إثبات أقدمية النصوص القبطية عن غيرها من النصوص الأخرى والتي عنها أخذت جميع اللغات سواء اليونانية أو السريانية أو اللاتينية. وإن كان العلامة بطلر يعارضه في هذا الرأي إلا أننا نحبذ نظرية أميلينو، ظانين أنه حق وإن كانت النسخ اليونانية تبدو وكأنها أصول، إلا أنه بسبب أن الكُتّاب والمؤلفين كانوا أقباطاً صميمين يتقنون كلاً من اليونانية والقبطية فقد ظهرت أحياناً النسخ اليونانية وكأنها أصول.

وإن السنكسارات القبطية القديمة مع السير الخاصة بالقديسين الموجودة باللغة القبطية تثبت قطعاً أن منابع الكتابات الآبائية الأولى قبطية صميمة وليست مترجمة. و يعتقد أميلينو أن بالليديوس إنما استعان كثيراً بمدونات قبطية متوارثة عن الآباء أخذ عنها وترجم منها و بالأخص بالنسبة للرهبان الأوائل الذين لم يرهم.

كما يبني أميلينو نظريته هذه على أساس أن كثيراً من الإصطلاحات التي أوردها باللغة اليونانية هي أصلاً إصطلاحات قبطية صميمة وليست يونانية.

وقد قام العلامة زويجا Zoëga بجمع بعض أقوال الآباء في البستان «البراديسوس» كما جاءت باللغة القبطية(١) مع ترجمة لها.

كما قام العلامة أميلينو أيضاً بطبع الأصول كاملة مع ترجمة لها(٢). أما زمن المخطوطات القبطية لأقوال الآباء التي عثر عليها كل من العالمين فهي بين القرن العاشر والحادي عشر.

والملاحظ أن كثيراً من هذه الأقوال يشمل مواضيع وحوادث وأموراً لم يرد ذكرها في النسخ اليونانية.

٦ ــ **النسخ العربية**: وهي نسخ قديمة وأصيلة بعضها موجود في مكتبة دير القديسة كاترين بسيناء من زمن قديم جداً، وواضح من لغتها أنها مترجمة عن أصل قبطي مباشرة.

لكن بملاحظاتنا الخاصة في بحثنا وقراءتنا للبستان في نسخه المتعددة باللغة العربية المخطوطة الموجودة بين أيدينا في مكتبات الأديرة، وجدنا أن بعض النسخ مأخوذة عن أصل سرياني و بعضها مأخوذ عن الأصل القبطي والآخر مأخوذ عن أصل يوناني. والحاجة ماسة لعمل أبحاث كثيرة في الموضوع حتى نخرج بحقائق ثابتة من حيث أقدمية النسخة القبطية.

٢ ــ كتاب تاريخ الرهبنة في مصر
المسمى: هستوريا موناخورم ــ لروفينوس

وهو عبارة عن وصف لرحلة رئيسية طويلة لبراري مصر يتفرع منها رحلات جانبية كثيرة للمناطق الرهبانية المتعددة في وادي النيل قام بها رحالة يُظَن أنه روفينوس المؤرخ المشهور و بصحبته سبعة رفقاء وذلك في شتاء سنة ٣٩٤ــ سنة ٣٩٥م، واصفاً فيها كثيراً من النساك والمتوحدين من أقصى الصعيد حتى أقصى الشمال. أما تاريخ هذه الرحلة الهامة والشهيرة فتحددها التواريخ الآتية:

كانت الجماعة في ضيافة القديس يوحنا الأسيوطي بجبل أسيوط بعد انتصار ثيئوذوسيوس على أوجينوس مباشرة، وهذا كان في نهاية سبتمبر سنة ٣٩٤م. وفي هذا الوقت بالذات بدأت رحلتهم صوب إقليم نتريا في الشمال التي بلغوها بعد نياحة القديس مقاريوس الإسكندري مباشرة، والمعروف أنه تنيح في نهاية سنة ٣٩٤م.

١ ــ مؤلف الكتاب:

فمن لغته وأسلوبه التاريخي في وصف الرحلة يقرر العلامة روزو يد عن تأكيد أنه هو روفينوس بعينه(٣). ولكن يظن المؤرخ تيمون مع الراهب بطلر عكس هذا التأكيد(٤)، مستندين على أن روفينوس قام بزيارتين لمصر فقط: الأولى سنة ٣٧٥م، والثانية سنة ٣٨٥م، وأن كاتب الهستوريا موناخورم يقول إنه لم يَرَ مقاريوس الكبير ولا الإسكندري، في حين أن

---

(1) Zoëga: Codicum Copticorum menu scriptorum qui in Museo Borgiano adservantor, (Romae 1810).
(2) De Historia Lausiaco: His. des Monats. de la Basse-Egypte.
(3) Vitae Patrum. Prolegomenon. IV ch. 10 (Migne P.L. LXX III. 35)
(4) Cuthbert Butler: The Lausiac. Hist. I II.

روفينوس في مواضع أخرى يقول أنه رآهما ونال منهما البركة. (٥)

و يعتقد المؤرخ تيمون(٦) أن الراهب بترونيوس الذي صار أسقفاً على بولونيا هو الذي كان يقود رحلة الهستور يا موناخورم. وقد ترك لروفينوس مذكراته التي منها نسج روفينوس أسلوب الكتاب. و يعتمد تيمون في ظنه هذا على إشارة وردت في تاريخ جناديوس عن بترونيوس هذا أنه هو كاتب الهستور يا موناخورم. (٧) ولكن في مقدمة النسخة اليونانية يذكر الكاتب أن مؤلف الكتاب هو تيموثاوس أرشيذياكون الإسكندرية سنة ٤١٢م الذي صار بطريركاً فيما بعد. (٨) كما يقرر هذه الحقيقة المؤرخ سوزومين في تاريخه الكنسي. (٩) ولكن المعروف أن البطريرك تيموثاوس تنيح سنة ٣٨٥م، في حين أنه توجد حوادث مذكورة في الهستور يا موناخورم يتعدى تاريخها زمان نياحة أنبا تيموثاوس، مثل انتصار ثيؤذوسيوس على أوجنيوس ونياحة مكار يوس الكبير ومكار يوس الإسكندراني وتنصيب ديسقورس الطويل أسقفاً على دمنهور. وهذه كلها حدثت بعد سنة ٣٨٥م، فهل هو تيموثاوس آخر؟ هذا ما يظنه المؤرخ لوقيوس، وهذا أيضاً ما يعتقده بطلر باعتبار أن تيموثاوس رئيس الشمامسة هذا كان غير الذي قُدّم بعد ذلك بطريركاً، بل كان هو المرشح فقط للكرسي البطريركي والمناوىء لكيرلس الكبير؛ وقد كان من أتباع الإخوة الطوال، ولم يُرسم بطريركاً. (١٠)

وهذه الحقيقة يدعمها أسلوب كاتب الهستور يا موناخورم في تحيزه للإخوة الطوال ومعاداته لسياسة ثاوفيلس ٢٣.

٢ ــ لغة الكتاب الأصلية:

كان المعتقد أنها اللاتينية، ولو أن العالم كوتليه ظن أنها كانت اليونانية وسجلها في الباترولوجيا على هذا الأساس(١١)؛ غير أنه ظن أيضاً أنها جزء من «البراديسوس» أي «بستان الرهبان» لبالليديوس تُرجم إلى اللغة اللاتينية. وطبعاً هذا خطأ فاضح لأن التاريخ اللوزياكي (البستان) كُتب بعد نياحة روفينوس.

(5) Ruf., Hist. Eccl. 11. 8.
(6) Memoires XII. 658.
(7) Gennad: De Script. Eccles., XLI (P.L LVIII. 1082).
(8) Butler, Laus. Hist. p. 277. I.
(9) Soz., Eccl. Hist. VI. 29.
(10) Socrate, Eccl. Hist. VII. 7.
(11) Migne Patr. G. LXV 439 ff.

و بتحقيق العلامة الراهب بطلر نخرج بحقيقة هامة جداً أن لغة كتاب الهستور يا موناخورم الأصلية لم تكن اللاتينية ولم يكن روفينوس صاحب الأسلوب التاريخي الأصيل، إذ يرى بطلر أن الأسلوب الرهباني التاريخي المكتوب به الهستور يا موناخورم يفوق في روعته وعلوه أسلوب روفينوس. كما يرى بطلر أن الإشارة إلى حياة إيفاجر يوس تعني أنه كان يعيش أثناء كتابة الهستور يا موناخورم باللاتينية مما يؤكد تماماً أن الأصل هو اليوناني وليس اللاتيني، لأن إيفاجر يوس مات في بداية سنة ٤٠٠م في حين أن الأصل اللاتيني للهستور يا موناخورم كتب بعد سنة ٤٠٠م. كذلك فإنه جاء في النسخة اللاتينية ذكر لترجمة يوسابيوس للتاريخ الكنسي، والمعروف عنه أنه ترجم فعلاً إلى اللاتينية بعد سنة ٤٠٠م!!(١٢)

من هذا يستدل بطلر أن كتاب الـ«هستور يا موناخورم» كُتب باللغة اليونانية أصلاً، و بعد تكميل الرحلة بمدة وجيزة.

كذلك يلاحظ بطلر أن أسماء المدن والمواقع الجغرافية في النسخ اليونانية أدق وأوضح وأصح من النسخ اللاتينية، وهذا يرجح القول بأن اليونانية هي الأصل الذي أخذت عنه اللاتينية فلم تحسن الترجمة.

٣ ــ تاريخ كتابة الـ«هستور يا موناخورم»:

في نهاية الفصل التاسع والعشرين من النسخة اللاتينية نجد تعليقاً على التاريخ الكنسي لروفينوس، ومعروف أن تاريخ روفينوس لم يدوّن إلا بعد سنة ٤٠٠م. لذلك فإن تاريخ النسخة اللاتينية يقع ما بين سنتي ٤٠٠ــ٤١٠م، حيث سنة ٤١٠م هي سنة وفاة روفينوس ــ هذا بحسب اعتقاد بطلر.

والعلامة الدكتور بروسخين يعتقد أن تاريخ كتابة الـ«هستور يا موناخورم» يقع ما بين عامي ٤٠٢ أو ٤٠٣م. وهكذا يتضح لنا أن النسخة اللاتينية متأخرة عن زمان تدوين القصة (باليونانية) بمدة تتراوح بين ٦ــ٨ سنوات.

وأقدم النسخ التي استخدمها العلامة روزويد في تحقيقاته يقع زمان نساختها سنة ٣٨٩م.

٤ ــ النسخ القديمة الموجودة حالياً:

(أ) النسخة اللاتينية: وهي تتفق في مواضع كثيرة مع النسخة اليونانية خصوصاً في أخبار رهبان صعيد مصر (التبانسين).

(12) Tillemont XII, 656.

إلا أنها تختلف كثيراً في سرد أخبار نساك نتريا حيث تبدو النسخة اللاتينية مطولة. وعند ذكر أنبا مقار الكبير وسميّه الإسكندري وبولا البسيط نجد أن الإختلاف يبدو كبيراً.

(ب) النسخة اليونانية: وهي المسجلة في الباترولوچيا.

وهي المعتبرة أنها النسخة الأصلية التي أخذت عنها الترجمات الأخرى. ويقدم لنا العلامة الراهب بطلر تحقيقاً علمياً مطولاً لإثبات نظريته لا نجد المجال هنا يتسع لعرضه. نرجو الرجوع إليه في موضعه. (١٣)

(جـ) النسخة السريانية (١٤):

وتوجد منها عدة مخطوطات بالمتحف البريطاني، منها ثلاث تعتبر كاملة. وهي كلها تحت عنوان «تاريخ الرهبان الأقباط».

ومن إحدى هذه المخطوطات المودعة بالمتحف تحت رقم ١٧١٧٦ أخذ المؤلف حنان عيشو مادة كتابه الثالث الذي ألفه عن رهبان مصر المدعو: «البراديز» أي الفردوس.

والملاحظ أن كل النسخ السريانية تتفق مع النسخة اليونانية ولا تتفق مع النسخة اللاتينية.

(د) النسخة الأرمنية (١٥):

وتحوي أجزاءً من المستوريا موناخورم تحت إسم «حياة الآباء». ويُعتقد أن النسخة الأرمنية مأخوذة عن النسخة السريانية.

(هـ) نسخة قبطية ناقصة (١٦):

وقد عثر أميلينو عليها، وهي باللهجة الصعيدية، وتختص بالقديس يوحنا الأسيوطي وهي مطابقة للنسخة اليونانية.

٥ ــ موضوع الكتاب:

ويستعرض الكتاب أحاديث عن آباء صعيد مصر وآباء نتريا والقلالي وشيهيت القديسين، مع وصف لأقاليم أكسيرينكوس (البهنسا) ونتريا ومنف وبابل والرهبان المقيمين بها.

ومجموع عدد الآباء الذين ذُكروا في المستوريا موناخورم خمسة وعشرون أباً.

٣ ــ كتاب أقوال الآباء ــ المعروف بإسم «أبوفثجماتا باترم» (١٧)

يرجع تاريخ «أقوال الآباء» إلى الأصول الأولى للرهبنة المسيحية، مع بداية الحياة التوحدية في براري مصر، حيث منبع الرهبنة ومؤسسوها العظام أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس. وقد بدأت هذه «الأقوال» تحمل طابعاً خاصاً يميزها عن بقية المؤلفات الآبائية الأولى. فهي ليست ذات هدف تاريخي أو مجرد سرد لسير القديسين أو أخبار معجزاتهم أو تسجيل لمواعظهم وتعاليمهم، وإنما بدأت في شكل **كلمات للمنفعة** ينطق بها شيوخ(١٨) مختبرون ملهمون بالروح لتقديم التوجيه الشخصي النابع من خبرتهم الخاصة، لأولادهم الخاضعين لإرشادهم. وكان الشيوخ الحاصلون على موهبة الكلمة لتوجيه المبتدئين في الوحدة لا يتكلمون إلا كما يعطيهم الروح لمن يسمع ويطيع، فإن لم يوجد من يطيع يحجمون عن الكلام مهما كان الإلحاح عليهم بالسؤال. (١٩) لذلك صارت كلماتهم ثمينة غالية إذ يكمن فيها سر الحياة والخلاص. ومن ثم أخذت هذه الكلمات تتداول **بين الرهبان كتقليد شفاهي** يحمل توجيهات الروح للراهب المبتدىء بدلاً من القانون الرهباني الذي كانت تسير عليه

(١٧) كلمة **Apophthegmata** هي كلمة يونانية معناها «قول مأثور» وكلمة **Patrum** لاتينية ويقصد بها نسبتها إلى الآباء، أي أنها «أقوال مأثورة عن الآباء».

(١٨) لم يكن يقصد بلقب «شيخ» المتقدم في الأيام، ولكن من نال موهبة الإرشاد بالكلمة والأبوة الروحية بعد خبرة كافية في حياة تمرست بالتجارب ومارست الفضائل بنجاح وإفراز، (أنظر: **(Cassian Commentant. Eccli., 25, 5**

(13) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 257-264 Part I.
(14) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 266 Part I.
(15) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 267 Part I.
(16) Ibid.

فهو تعبير دارج في الكتابات الآبائية يطلق حتى على الشاب من أجل فضيلته العالية وموهبة التوجيه التي أخذها من الروح (مثل الأب زكريا والأب بيمن): Coislin 126, Fol. 261)

(19) Apopht. Alphab., Felix No. I.

الجماعات الرهبانية في رهبنة الشركة الخاضعة للنظام الباخومي. ولكنها ظلت محتفظة بطابعها الخاص في التوجيه ككلمة مناسبة في الظرف المناسب للشخص المعين لسماعها والإنتفاع بها، حتى أنها لم تُغن قط عن المرشد الروحي، الذي كان يهدف دائماً إلى أن يقود تلميذه بواسطة سلسلة من التوجيهات العملية الملهمة ليقتني موهبة الإفراز الروحي التي لا غنى عنها لأي إنسان وبالأخص لساكن الوحدة. فلم يكن هدفها إذن هو التعليم النظري عن درجات روحية لم يصل إليها المتلمذ، وإنما كانت في معظم الأحيان إجابة على السؤال: «قل لي كلمة لأحيا بها». وهكذا يظهر طابعها العملي الصرف.

هذا التقليد الشفاهي المتداول من الكلمات الملهمة بالروح التي نطق بها الشيوخ المصريون المختبرون باللغة القبطية أولاً، بدأ الإهتمام بتدوينه من أجل المنفعة العامة في تجميعات صغيرة متفرقة يمكن اعتبارها أنها بداية نشأة كتابات أقوال الآباء «الأبوفثجماتا باترم».

وأغلب الظن أنه قد بدىء في تجميعها في مجموعات باللغة اليونانية في أوائل القرن الخامس. (٢٠) وكانت عبارة عن أقوال متفرقة لمشاهير آباء البرية المصريين الأوائل مع أخبار عن فضائلهم ومعجزاتهم. ومن الواضح أنه لم يكن يجمعها خط فكري واحد بل كانت عبارة عن مجموعة خبرات روحية متعددة، وُضعت بدون ترتيب معين، وتبدو أحياناً كأنها متعارضة، ولكنها مع ذلك كانت تمثل ذخيرة من الغنى الروحي الذي لا يُضاهى. ومن هنا جاء التقدير العظيم لها عند المؤرخين الكنسيين الذين اعتبروها أهم مصدر لأصول الروحانية الرهبانية. فهي تمثل «المادة الأولى» لكل ما جاء بعدها من كتابات رهبانية.

١ ــ الترجمة اليونانية:

في القرن السادس غالباً، قام شخص مجهول بترتيب هذه الأقوال المتفرقة حسب قائلها ترتيباً أبجدياً مبتدئاً بأقوال أنبا أنطونيوس الكبير إلى أن انتهى بأقوال أنبا أور. وقد أعيد صياغة هذه المجموعة فيما بعد وترجمت إلى كثير من اللغات القديمة.

ويعرفنا كاتب المجموعة الأبجدية في مقدمة كتابه (من القرن السادس) أنه قد أخذ مادتها من عدة مجموعات صغيرة متفرقة من أقوال الآباء.

وأول من نشر هذه المجموعة من مخطوطها الأصلي: (Codex Reguis 2466) باللغة اليونانية هو العلامة الفرنسي كوتيلييه سنة ١٦٧٧م في كتابه: «اكلسيا جريكا مونيومنتا». (٢١) ثم أعيد طبعها في الباترولوجيا جريكا. (٢٢)

ومن سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩١٣ نشر «نو Nau» أقوالاً غير منسوبة لأحد استقاها من المخطوط: (Codex Coislin, 126) مع ترجمة فرنسية لها في مجلة «ريفودي لوريون كريتيان». (٢٣)

ثم نشر البحاثة «جي: J.C. Guy» جميع هذه الأقوال المرتبة حسب قائلها وغير المنسوبة لقائلها، باللغة الفرنسية سنة ١٩٦٦ تحت إسم: أقوال آباء الصحراء. (٢٤)

وهناك مجموعة أخرى يونانية لأقوال الآباء مرتبة حسب الموضوعات في حوالي ٢٠ فصلاً لم يُنشر أصلها اليوناني حتى الآن غير أنها تُرجمت إلى اللغة اللاتينية منذ القرن السادس بواسطة البابا بيلاجيوس الأول (٥٥٦ــ٥٦١) والبابا يوحنا الثالث (٥٦١ــ٥٧٤).

٢ ــ الترجمة اللاتينية (Verba Seniorum)

يوجد باللغة اللاتينية عدا الجزء الذي قام بترجمته البابوان بيلاجيوس ويوحنا ثلاثة أجزاء أخرى هي ترجمات:

١ ــ باسكاسيوس. Paschasius

٢ ــ مارتن أوف دوميو. Martin of Dumio

٣ ــ منسوبة إلى روفينوس. Pseudo Rufinus

وقد نشرت جميع هذه الأجزاء في كتاب الباترولوجيا لاتينا تحت رقم:

P.L. 73, 855-1022; 73, 1025-1062; 74, 381-394; 73, 739-810

ونشرها أيضاً سنة ١٦١٥ العلامة روزويد Rosweyde اليسوعي بإسم: Verba Seniorum في كتابه Vitae Patrum III, V, VI, VII

وقد ترجمت أجزاء من كتاب Rosweyde إلى

(٢٠) مثل تجميعات إيفاجريوس البنطي: Logos Practicos
ويوحنا كاسيان: Institutions Cenobitiques

(21) Ecclesiae Graecae Monumenta.
(22) P.G. 65, 71-440.
(23) Revue de l'orient chretien.
(24) Les Apophtegmes des Péres du désert, (Alphabeti-anonymes Bellefontaine, 1966).

الفرنسية بواسطة Arnauld d'Andilly في كتاب سماه:
Les Vies des saints Pères des déserts, Bruscelles 1694

ونشرت مختارات منها حديثاً في كتاب:
Draguet, les Pères du déserts, Paris, 1949, p. 203-228.

كما ترجمت أيضاً إلى الإنجليزية:
H. Waddell, The desert Fathers, London 1936

وحديثاً نشر D. Willmart إضافات إلى هذه الأقوال اللاتينية في مجلة:
Revue Bénédictine 34 (1922), 185-198.

٣ ـ الترجمة السريانية:

في القرن السابع قام حنان عيشو Inan-Isho السرياني بتجميع أقوال الآباء في برية مصر من المخطوطات السريانية المتداولة حينذاك. وضمنها في مجموعة سماها «فردوس الآباء»، شملت سير الآباء القديسين لبالليديوس وجيروم وسيرة أنبا أنطونيوس بقلم أثناسيوس.

وقد قام W. Budge سنة ١٩٠٤ بنشر هذه النسخة السريانية باللغتين السريانية والإنجليزية ثم أعاد طبع الترجمة الإنجليزية وحدها سنة ١٩٠٧. وفي سنة ١٩٣٤ قام بنشر الجزء الخاص بأقوال الآباء فقط تحت إسم:

The Wit & Widsom of the Christian fathers of Egypt of the Apophthegmata Patrum, by Anân Ishô of Bêth 'Abhê, Oxford, 1934.

وهذه المجموعة السريانية تطابق المجموعة اليونانية المرتبة حسب الموضوعات التي نقلها إلى اللاتينية بيلاجيوس و يوحنا.

وهناك مجموعة أخرى أيضاً من الأقوال لا تقل قدماً عن الأولى موجودة في عدة مخطوطات في مكتبتي الفاتيكان والمتحف البريطاني.

٤ ـ الترجمة القبطية:

لم يصل إلى أيدي العلماء سوى مخطوط واحد في أقوال الآباء باللهجة الصعيدية، إلا أن أجزاءه موزعة على كثير من المكتبات الأوروبية، وأكبر جزء منه (٤٤ ورقة) موجود في المكتبة الأهلية بنابولي. وقد نشر هذا الجزء العلامة Zoëga سنة ١٩١٠:
Catalog. Cod Copte Rome 1910

وقد قام Châme بتجميع ما تبقى من ورقات هذا المخطوط في كل المكتبات ونشره في كتابه:
Le manuscrit de la vesion copte en dialecte Sahidique des apoph. pt., le Caire, 1960.

وقد حقق Châme هذه النسخة على المجموعات الأخرى المعروفة فوجدها مطابقة للمجموعة اليونانية المرتبة بالموضوعات التي نقلها إلى اللاتينية بيلاجيوس و يوحنا.

٥ ـ الترجمة الأرمنية:

توجد نسختان باللغة الأرمنية:
ـ **الأولى** نسخة من القرن الثاني عشر نشرت في ڤينيسيا سنة ١٨٥٥ بإسم «كتابات الآباء القديسين وسيرهم».
ـ **الثانية** نسخة من القرن الخامس عشر نشرت أولاً في القسطنطينية سنة ١٧٢١ ثم ضمنت في ڤينيسيا سنة ١٨٥٥.

٦ ـ الترجمة الأثيوبية:

نشرت أقوال الآباء الموجودة في المخطوطات الأثيوبية مع ترجمة لاتينية بواسطة V. Arras تحت إسم Collectio Monastica سنة ١٩٦٣ وتحت إسم Patericon في مجموعة CSCO بمدينة لوڤيان.

ومن ضمن الأقوال التي وردت فيها مائتا قول جديد لم ترد في المجموعات اليونانية التي تم نشرها حتى الآن. و يقرر العلماء أن معظمها قديم العهد.

٧ ـ الترجمة العربية:

توجد بالأديرة القبطية مخطوطات باللغة العربية لكتاب بستان الرهبان الذي يتضمن كثيراً من الأقوال الموجودة في الترجمات السابقة بالإضافة إلى أقوال أخرى لم تُنشر بعد باللغات الأجنبية.

وتوجد مخطوطات أخرى مثل المخطوط المعنون: «تعاليم لكثيرين»(٢٥) والمخطوط «تعاليم لأنطونيوس وآخرين»(٢٦)، تشمل أقوالاً للآباء الأوائل لم يرد ذكرها في بستان الرهبان ولا في الترجمات الأجنبية المعروفة. غير أنه من المرجح أن لها أصولاً قبطية، إذ قد وجدنا بعضها فيما نشره أميلينو في كتابه:

Amél. Hist. des Monas. de la Basse-Egypte ADMG 25, Paris 1894

---

(٢٥) مخطوط رقم م٤١ بمكتبة دير أنبا مقار.
(٢٦) مخطوط رقم م٢٣ بمكتبة دير أنبا مقار.

ملحق رقم (٢)
عرض لحياة أشهر المؤرخين
الذين استعنَّا بهم في كتابة هذا الكتاب

مرتبين حسب أهميتهم في التاريخ الرهباني

+ + +

١ ــ مؤرخون قدامى

١ ــ بالليديوس .
٢ ــ كاسيان .
٣ ــ روفينوس .
٤ ــ چيروم .
٥ ــ إيڤاجريوس المؤرخ .
٦ ــ سوزومين .
٧ ــ جناديوس .
٨ ــ ثيئوذوريت .
٩ ــ سقراط .
١٠ ــ يوليوس الأفريقي .
١١ ــ هيجسبوس .

٢ ــ مؤرخون محدثون

١ ــ بولندوس .
٢ ــ تيمون .
٣ ــ أميلينو .
٤ ــ بطلر .
٥ ــ إڤلين هوايت .

٣ ــ مؤرخون وطنيون وكنسيون قدامى(*)

(أ) ساو يرس بن المقفع (تاريخ البطاركة).
(ب) مينا الكاتب (تاريخ البطاركة).
(جـ) يوحنا النقيوسي (تاريخ البطاركة وتاريخ العالم).
(د) الشماس أبو جرجه (القرن السابع) (تاريخ البطاركة).
(هـ) ميخائيل بن بادير ــ أسقف تنيس (تاريخ البطاركة).
(و) الشيخ بقيرة الرشيدي (تاريخ البطاركة).
(ز) القس بن زكير ــ رئيس ديرنهيا (تاريخ البطاركة).
(ح) الشماس تيدرا الأمين بن يؤانس (تاريخ البطاركة).
(ط) الشيخ موهوب بن منصور الإسكندراني (تاريخ البطاركة).
(ي) إبن القلزمي (تاريخ البطاركة).
(ك) معاني أبو المكارم بن بركات (تاريخ البطاركة).
(ل) أنبا يوساب أسقف فوه (تاريخ البطاركة).
(م) بطرس الجميل أسقف مليج وميخائيل أسقف أتريب (السنكسار).
(ن) الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله إبن جرجس بن مسعود (توفى قبل سنة ١٢٠٨م) ــ صاحب كتاب الكنائس والأديرة. راجع ص ٦٢ من كتاب أديرة وادي النطرون تأليف عمر طوسون.
(ع) أبو البركات بن كبر (توفى قبل سنة ١٣٧٩م) ــ صاحب كتاب مصباح الظلمة وتاريخ البطاركة الخمسة والثمانين الأوائل.

٤ ــ مؤرخون عرب مسلمون: أرّخوا ضمناً للكنائس والأديرة والبراري

(أ) أبو عبيد البكري (متوفي سنة ١٠٩٤م) صاحب «المسالك والممالك». راجع ص ١٣ ــ عمر طوسون.
(ب) إبن مماتي (متوفي سنة ١٢٢٩م) ــ شرف الدين أبو المكارم بن سعيد. صاحب كتاب «قوانين الدواوين».
(جـ) إبن دقماق (متوفي سنة ١٣٨٨م) ــ إبراهيم بن محمد المصري. صاحب «الإنتصار لواسطة عقد الأمصار».
(د) المقريزي (متوفي سنة ١٤٤١م) ــ تقي الدين أحمد بن علي صاحب «الخطط والآثار» و«السلوك وتاريخ سلاطين المماليك».
(هـ) إبن الجيعان (متوفي ١٣٩٨م) ــ شرف الدين يحيى علي الدين شاكر إبن المعز، صاحب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية».
(و) القلقشندي (المتوفي سنة ١٤١٨م)، صاحب «صبح الأعشى». راجع ص ١٣ عمر طوسون.
(ز) إبن فضل الله العمري (المتوفي ١٣٤٧م)، صاحب «مسالك الأبصار في مسالك الأمصار». راجع ص ٦٥ عمر طوسون.
(ح) حسين بن محمد الوثيلاني (المتوفي سنة ١٧٧٩م)، صاحب كتاب «نزهة الأنظار». راجع ص ٧٢ ــ عمر طوسون.
(ط) علي باشا مبارك، صاحب كتاب «الخطط التوفيقية الجديدة».

١ ــ مؤرخون قدامى

١ ــ بالليديوس

بخلاف بعض الملاحظات القليلة عن حياة بالليديوس التي ذكرها معاصروه، لا يوجد سوى القليل جداً من التفاصيل التي استخرجت من كتاباته وهي:

التاريخ اللوزياكي =
(1) Historia Lausiaca
(2) Dialogus de Vita Sancti Joannis Chrysostomi
أي حوار عن حياة القديس يوحنا ذهبي الفم.

ولد سنة ٣٦٣ أو ٣٦٤م في مدينة غلاطية. وإذ كان تلميذاً

(*) الكنيسة في أشد الحاجة إلى من يقوم بعمل بحث شامل لهؤلاء المؤرخين الوطنيين مع أعمالهم.

لإيفاجريوس (أوغريس) البنطي المشهور فقد درس الكلاسيكيات بعمق. أما عن أسرته فلا نعرف عنها شيئاً إلا من إشارة في كتابه «التاريخ اللوزياكي» تفيدنا أن أباه كان مازال على قيد الحياة سنة ٣٩٤م، وأن أخاه وأخته قد اعتنقا الحياة الرهبانية(١)، ومن «الحوار» نعلم أن أخاه كان يسمى بريسون وأنه كان أسقفاً ونفي من الكنيسة وسكن في مزرعة صغيرة كان يعمل فيها بيده(٢). ولما صار بالليديوس إبن ٢٣ سنة انضم إلى الحياة الرهبانية وصار تلميذاً للأب إينوسنت على جبل الزيتون، وبقي زماناً مع شخص يدعى إيليديوس بالقرب من أريحا. ثم في حوالي عام ٣٨٨م مضى إلى مصر ليتعرف على حياة نساكها. وأمضى فترة توازي ثلاث سنوات في مجموعها، في الإسكندرية وفي صوامع المتوحدين التي لم تكن بعيدة عن تلك المدينة. ثم ذهب بعد ذلك إلى نتريا(٣). ومن هناك مضى إلى القلالي حيث ظل فيها تسع سنوات. ولكن صحته تدهورت، فقفل راجعاً إلى الإسكندرية للعلاج(٤). وإذ نصحه الأطباء في الإسكندرية بتغيير الجو، ترك مصر طالباً جواً أكثر اعتدالاً في فلسطين. وفي السنة التالية ـ أي سنة ٤٠٠م ـ ذهب إلى بيثينية وهناك يُظن أن القديس يوحنا ذهبي الفم هو الذي رسمه على مدينة «هلينوبوليس». ثم كُلِّف بمأمورية لفحص التهم المقامة من يوسابيوس أسقف «ڤالنتينوبوليس» ضد أنطونيوس أسقف أفسس. وقد أمضى الصيف والخريف في آسيا الصغرى قبل أن يعود ليرعى إيبارشيته في هيلينوبوليس. وفي سنة ٤٠٣م حضر مع يوحنا ذهبي الفم مجمع البلوطة الشهير بجوار مدينة خلقيدونية الذي كان قد دعا إليه عدو يوحنا ذهبي الفم «ثاوفيلس» الإسكندري(٥). وهناك أدين ذهبي الفم على عديد من التهم الملفقة وعُزل من منصبه كبطريرك القسطنطينية. أما بالليديوس نفسه فقد استجوبوه عن اعتقاده في الأوريجانية. وبعد أيام صاخبة قضاها أتباع ذهبي الفم في القسطنطينية، هرب بالليديوس من السلطات المدنية. وفي سنة ٤٠٥م سافر إلى روما ليترافع في قضية ذهبي الفم أمام البابا إينوسنت الأول. ولما عاد إلى القسطنطينية أوقف مع مجموعة من رفقائه، ثم نفاه أخيراً الإمبراطور أركاديوس إلى مصر. وهناك بين عام ٤٠٦ـ٤٠٨م وبينما كان في المنفى في سيناء كتب كتاب «الحوار» Dialogus وبعد سيناء أمضى أربع سنوات في مدينة أنتينوى في صعيد مصر. ولما انتهت المعارضة ضد ذهبي الفم سنة ٤١٢، عاد بالليديوس إلى غلاطية. وهناك ـ كما ذكر كتاب «التاريخ اللوزياكي» ـ تعرف على كاهن يدعى فيلورومامس، ويبدو أنه عاش معه زماناً. ويذكر عنه المؤرخ الكنسي سقراط أنه عبر بحر هيلينوبوليس إلى بحر أسيونا.

ولم يصلنا شيء عن موعد نياحته أو الظروف المحيطة بها، ولكن من الواضح أنه مات سنة ٤٣١م، كما نعرف ذلك من حضور أسقف آخر لكرسيه في مجمع أفسس المنعقد في تلك السنة.

وإذا اعتبرنا بالليديوس أنه مؤلف الرسالة:
Epistola de Indicis gentibus et de Bragmanibus
التي ظلت زماناً تحمل إسمه، (وإن كان من المحتمل أن تكون كلها أو جزءٌ منها من تأليف آخرين)؛ فيكون ذلك معناه أن بالليديوس قد قام برحلة إلى سواحل الهند بصحبة الأسقف موسى من أدول. ومن الجائز أن يكون بالليديوس قد قام بتلك الرحلة على الرغم من عدم معرفتنا متى كان ذلك على وجه التحديد، إذ أنه لم يرد ذكرها في التاريخ اللوزياكي على اتساعه، فربما كانت في أواخر أيامه.

٢ ـ كاسيان Cassian, John
(٣٦٠ـ٤٣٥م)

يقول عنه المؤرخ «جناديوس» إنه «مواطن أسقيطي» natione Scytha ولكن الواقع أن مكان ولادته غير معروف على وجه التأكيد. فلعل السبب إذن في نسبته إلى الأسقيط صلته القوية بأسقيط مصر ـ كما سنرى في سيرته.

انضم في شبابه المبكر إلى دير في بيت لحم، ولكنه لم يلبث أن تركه سنة ٣٨٥م ليمضي إلى مصر حيث تتلمذ تلمذة نسكية حقيقية لآباء مصر العظام. وحينما غادر كاسيان مصر مع رفيقه جرمانوس، كان ذلك حوالي سنة ٤٠٠م؛ وتوجها إلى القسطنطينية حيث رسمه القديس يوحنا ذهبي الفم شماساً ورسم صديقه جرمانوس كاهناً. وفي ذلك الوقت حدثت كل

---
(1) Hist. Laus. 35, 8. f.
(2) Dialogus, 71.
(3) Hist. Laus. 44. 18. 48. 2.
(4) Hist. Laus. Prologue 2.
(5) Dialogus, 48, ff.

الأحداث المحزنة الخاصة باضطهاد ذهبي الفم وطرده ونفيه، فاختير كاسيان مع صديقه ليحمل رسالة من إكليروس القسطنطينية إلى بابا روما إينوسنت الأول تصف هذه الأحداث. وفي روما رُسم كاسيان كاهناً، ثم توجه إلى غالا أي فرنسا، وطنه على وجه الترجيح. وهناك أسس بالقرب من مرسيليا الديرين العظيمين: دير القديس بقطر «سان ڤيكتور» ودير «الليران» المشهور، ونقل كاسيان كل التراث القبطي من تعاليم وصلوات وتسابيح إلى الغرب، ثم سلمها إلى القديس بندكتوس من بعده، الذي جعلها أساس نظام الرهبنة في ديره. وقد وضع كتابين ضمنها كل خبرته الروحية ونتائج تلمذته النسكية لآباء مصر وهما: «المؤسسات Institutes» و«المحادثات Conferences». ففي كتابه «المؤسسات» أشار إلى القوانين الرهبانية وناقش وسائل التغلب على ثمانية معوقات رئيسية تواجه الراهب في سعيه نحو الكمال. ويُعتبر هذا الكتاب أساساً لكثير من القوانين الرهبانية في الغرب. أما كتابه «المحادثات» الذي يسرد فيه أحاديثه مع كبار آباء الرهبنة المصرية، فقد جعله القديس بندكت فيما بعد كتاب القراءة اليومية لكافة الرهبان الخاضعين لنظامه.

وقد ظل كاسيان يقود الحياة الرهبانية في فرنسا حتى آخر أيام حياته. وقد ناله في أواخر أيامه متاعب جمة إذ اعتُبرت تعاليمه بخصوص مسئولية الإنسان في جهاده، انحرافاً. وقد كتب أيضاً سنة ٤٣٠م بحثاً في سبعة مجلدات عن «التجسد الإلهي» "De Incarnatione Domini" وذلك استجابة لطلب البابا ليون، ليبصر الغرب بتعاليم النساطرة. وكاسيان محسوب «مطوَّباً» فقط في كنيسة الغرب، ولكنه محسوب «قديساً» في الشرق. ومازال أهالي مارسيليا يحتفلون بعيده في الثالث والعشرين من يوليو من كل عام.

٣ — روفينوس Rufinus, Tyrannius

ولد بالقرب من مدينة أكويليا بشمال إيطاليا، وسافر إلى الشرق حوالي سنة ٣٧١م. وبعد زيارته لآباء براري مصر، مضى إلى الإسكندرية وبقي بها زماناً ثم سافر إلى أورشليم. وفي سنة ٣٩٧م عاد إلى إيطاليا حيث رُسم قساً على أكويليا. وتنحصر أهميته أساساً كمترجم لكتب اللاهوت اليوناني إلى اللغة اللاتينية في الوقت الذي كانت فيه معرفة اللغة اليونانية آخذة في الأفول عند الغرب. وإن ترجمته لكتاب أوريجانس De Principiis هي النسخة الكاملة الوحيدة التي مازالت باقية حتى الآن من هذا الكتاب، وكان قصده منها هو تزكية أرثوذكسية أوريجانس، إلا أنه دخل بسببها في جدال عنيف مع القديس چيروم. وقد ترجم أيضاً عدة تفاسير كتابية لأوريجانس، وكتاب «المعارف» لإكلمندس، وبعض مؤلفات للقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النزينزي. كما ترجم بتصرف «التاريخ الكنسي» ليوسابيوس القيصري مع إضافات. ويعتبر تفسيره لقانون الرسل الذي بناه — غالباً — على أساس محاضرات القديس كيرلس الأورشليمي المعروفة باسم Catechetical Discourses، أنه أقدم النصوص اللاتينية للصيغة التي صار إليها هذا القانون في القرن الرابع، كما كانت مستعملة في مدينتي أكويليا وروما.

٤ — چيروم Jerome
(٣٤٢—٤٢٠م)

باحث إنجيلي. وُلد في ستريدو بالقرب من أكويليا بسوريا. وتلقى علومه في روما حيث تعمد هناك. ثم سافر إلى غالا (فرنسا) قبل أن يكرس حياته للعيشة النسكية مع أصدقاء له في أكويليا. وفي سنة ٣٧٤م انطلق إلى فلسطين، ولكنه تأخر في الطريق قليلاً في أنطاكية ليستمع إلى مواعظ أبوليناريوس أسقف لاودكية. وهناك لامه ضميره بسبب حلم رآه بأنه أصبح يفضل الثقافة على الدين. فمضى وتوحد في خالكي بصحراء سوريا مدة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أعوام، حيث درس هناك اللغة العبرانية. ثم عاد إلى أنطاكية فرسمه بولينوس كاهناً، ومنها سافر إلى القسطنطينية وأمضى فيها وقتاً ذهب بعده إلى روما حيث قضى فيها من سنة ٣٨٢—سنة ٣٨٥م بصفة سكرتير للبابا داماسوس ومدرس للنسك. وبعد موت داماسوس زار أنطاكية ومصر وفلسطين، واستقر أخيراً في بيت لحم سنة ٣٨٦م، حيث أشرف على دير للرجال، وكرس بقية حياته للدراسة والبحث.

وتُعتبر كتابات جيروم أنها نتيجة معرفة فائقة لم يكن لها مثيل في الكنيسة الأولى. وأعظم الأعمال التي أنجزها هو ترجمته للكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية من اللغات الأصلية بتكليف من البابا داماسوس. وقد مر عمله هذا خلال عدة مراحل، فأصدر ما لا يقل عن ثلاث ترجمات للمزامير: «الرومانية، والغالية (الفرنسية)، والعبرية». وكتب أيضاً عدة تفاسير كتابية ضمَّنها كثيراً من الإصطلاحات والمعلومات اللغوية والطوبوجرافية التي تفيد في تفسير الكتب المقدسة. وغالباً كان هو أول الآباء المسيحيين الذين فهموا العلاقة بين الأبوكريفا والأسفار القانونية العبرية. وبالإضافة إلى عمله الكتابي، ترجم وأكمل تاريخ أوسابيوس، وألف «مشاهير الرجال» وهو تاريخ حياة الكتّاب الكنسيين، وترجم إلى اللاتينية أعمال أوريجانوس وديديموس. وتعتبر رسائله ذات أهمية عظيمة وعلى الأخص من الناحية التاريخية. وقد أدت به طبيعة شخصيته الحماسية أن يلقي بنفسه في مجادلات كثيرة وأن يهاجم الأريوسية والبيلاجية والأوريجانية (وهذه الأخيرة هي التي كان يعظمها صديقه روفينوس من أكويلا). وفي بعض رسائله لأصدقائه ومقالاته ضد هيلفيديوس وجوفينيان، دافع عن النسك الزائد.

ومنذ القرن الثالث عشر اعتاد الفنانون أن يرسموا صوره لابساً قبعة حمراء، مفترضين أن داماسوس قد رسمه كاردينالاً. ويقدمه بعض الفنانين كناسك، فيصورونه عادة ومعه أسد عند قدميه. وتعيِّد له الكنيسة اللاتينية يوم ٣٠ سبتمبر.

٥ ــ إيفاجريوس المؤرخ Evagrius Scholasticus
(٥٣٦ــ٦٠٠م)

مؤرخ كنسي، من مواطني Coele Syria كانت مهنته المحاماة.

وكتابه في التاريخ الذي يقع في ستة مجلدات يؤرخ للحقبة التي تبدأ بمجمع أفسس (٤٣١م) حتى سنة ٥٩٤م، وهو بذلك يُعتبر مكمِّلاً لتاريخ يوسابيوس القيصري والذين خلفوه. وعلى الرغم من افتقاره إلى العمق اللاهوتي وسرعة تصديقه وجمعه للأساطير الخرافية إلا أنه شابه يوسابيوس في كونه قد استعان بكثير من أقيم المصادر، وأدخل خلاصتها في كتابه.

٦ ــ سوزومين Sozomen
(أوائل القرن الخامس)

هو سالمانينوس هيرمياس سوزومين
Salmaninuis Hermias Sozomean
المؤرخ الكنسي. ولا يعرف إلا القليل عن حياته سوى أنه من مواطني بيت إيليا شمالي غزة بفلسطين، وأنه قد تأدب على أيدي الرهبان، وبعد أسفار كثيرة استقر في القسطنطينية واشتغل بالمحاماة. وهناك ساورته فكرة الإستمرار في كتابه «التاريخ الكنسي» الذي بدأه يوسابيوس القيصري والوصول به إلى الزمن الذي كان يعيش فيه. وأتم عمله هذا في تسعة مجلدات غطت تاريخ الحقبة من سنة ٣٢٣م إلى سنة ٤٢٥م. وقد أخذ كثيراً عن معاصره الشيخ المؤرخ «سقراط»، إلا أنه في قدرته التاريخية أضعف منه. ولكنه سجل موضوعات معينة مثل: انتشار المسيحية بين الأرمن والغوطيين، بأكثر تفصيل، كما أنه يتميز عن سقراط بأسلوبه الشيق.

وعلى الرغم من كونه أرثوذكسياً في معتقده إلا أنه أظهر قدرة محدودة في استيعابه للمساجلات العقيدية التي كانت سارية في أيامه.

٧ ــ جناديوس من مرسيليا Gennadius of Marseilles

قس ومؤرخ كنسي. عمله الخالد الرئيسي هو كتاب «مشاهير الرجال» Deviris Illustribris كتكملة لكتاب جيروم الذي يحمل نفس الإسم. وقد أكمله حوالي عام ٤٨٠م. وهو يحوي ١٠١ ملاحظة (منها عشرة أكملتها يد متأخرة) عن الكُتَّاب الكنسيين شرقيين وغربيين من القرن الخامس على الأخص. وبالرغم من أن تفاصيل السير قليلة إلا

أن العمل نفسه ذو أهمية كبيرة. وفي سيرة حياة جناديوس نفسه (رقم ١٠٠) نقرأ عن كتابات عقائدية ألَّفها هذا القس، ولكن لم يصلنا منها إلا بقايا قليلة. كان من مذهب «النصف بيلاچيين».

٨ ـــ ثيؤذوريت (٣٩٣ـــ٤٥٨) Theodoret

أسقف كيروس Cyrrhus ، ومن مواطني مدينة أنطاكية. تلقى علومه في مدارس أديرتها، ثم انضم إلى دير نيكيرت Nicerte سنة ٤١٦م بعد أن وزع كل أملاكه على الفقراء. وفي سنة ٤٢٣م أقيم أسقفاً رغماً عن إرادته على مدينة كيروس بسوريا، فرعى إيبارشيته بكل حكمة وسخاء، كما حارب الوثنية والبدع بلا هوادة. وما لبث أن دخل في الجدال القائم حول طبيعة السيد المسيح بين نسطور وكيرلس الإسكندري، معتقداً أنه قد اكتشف ميلاً نحو البدعة الأبولينارية في أقوال البابا كيرلس، إذ كان من أصدقاء نسطور المعجبين بشخصيته.

وقد قضى أواخر سني حياته في هدوء راعياً لشئون إيبارشيته.

ولم يصل إلينا إلا جزءٌ صغير من كتابات ثيؤذوريت. و يعتبر كتابه "Graecarum Affectionume curatio" من أروع الكتابات التي تدافع عن الإيمان المسيحي، إذ يضع جنباً إلى جنب إجابات كل من المسيحية والوثنية على الأسئلة الخاصة بطبيعة الله وطبيعة الإنسان، والفداء، ونهاية العالم ...إلخ.

وفي كتابه Eranistes ضد المؤمنين بالطبيعة الواحدة للمسيح، يؤكد على عدم تغير وعدم تألم الطبيعة الإلهية في المسيح وعلى الوجود غير المختلط أو الممتزج بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح.

كما أن كتاباته التفسيرية لأسفار كثيرة من العهد القديم (مثل أسفار موسى الخمسة، و يشوع والقضاة وراعوث والملوك وأخبار الأيام والمزامير ونشيد الأنشاد والأنبياء الكبار والصغار) تعتبر أيضاً من أكثر كتابات المدرسة الأنطاكية تمثيلاً لأسلوبها في التفسير وتمتاز بوضوحها وفصاحتها. أما كتاباته التاريخية فتتضمن كتاباً في «التاريخ الديني» وهو «مجموعة لسير الرهبان» وكتاباً في «التاريخ الكنسي» يواصل فيه تاريخ يوسابيوس حتى سنة ٤٢٨م، ويمتاز بصفة خاصة باعتماده على المستندات الأصيلة الكثيرة التي استخدمها، وتضمنه لموجز عن الخرافات الهرطوقية Compendium of Heretical Fables الذي اشتمل لأول مرة على معلومات عن البدع الأريوسية والنسطورية والأوطاخية.

وكانت آراء ثيئوذوريت في طبيعة المسيح موضع جدال حتى استقر رأي أغلب الباحثين أنه اعتنق الأفكار النسطورية حتى سنة ٤٣٥م تقريباً، إلا أنه تخلى عنها في النهاية بعد سنة ٤٥١م.

٩ ـــ سقراط Socrates
(٣٨٠ـــ٤٥٠م)

مؤرخ كنسي يوناني، من مواطني القسطنطينية، وكان يشتغل فيها بالمحاماة، و يعتبر كتابه في التاريخ الكنسي الذي وضعه في سبع مجلدات تكملة لتاريخ يوسابيوس. و يبدأ من اعتزال دقلديانوس سنة ٣٠٥ حتى ٤٣٩م. وهو قريب إلى روفينوس وجلاسيوس القيصري. و بعد نشره لهذا الكتاب، أخذ بمؤلفات القديس أثناسيوس التي كانت سبباً في إطلاعه على الأخطاء التاريخية التي وقع فيها روفينوس. فما كان منه إلا أن راجع كتابه عن التاريخ الكنسي بتدقيق شديد. وهذه النسخة الثانية هي التي وصلت إلينا.

وقد أخذ معلوماته عن المجامع المسكونية من مجموعة مستندات أصدرها مكدونيان وسابينوس الهرقلي سنة ٣٧٥م. وعموماً فإن تاريخ سقراط يتميز بموضوعيته ووضوحه، إلا أن معالجته للأمور لا يظهر عليها أي لون أو اتجاه معين، و يبدو أن المؤلف كان قليل الإهتمام بالنواحي اللاهوتية، ومع ذلك فقد أظهر تعاطفاً معيناً نحو النوڤاتيانية، وأظهر اهتماماً خاصاً بالأحداث المتعلقة بمدينة القسطنطينية.

١٠ ــ يوليوس الأفريقي، سكستوس Julius Africanus
(١٦٠ــ٢٤٠م)

كاتب مسيحي. من المحتمل أن يكون قد وُلد في أورشليم (وليس في ليبيا كما يؤكد بعض الكتاب). وعاش لعدة أعوام في عمواس. ومن عمواس قام بوساطة ناجحة لدى الإمبراطور هليوجابالوس (٢١٨ــ٢٢٢) لتجديد العاصمة مما أدى إلى إعادة بنائها بإسم نيكوبوليس. وقد كان يتمتع أيضاً بعلاقات متينة مع البيت الملكي في إديسا. وأخيراً، وفي عهد الإمبراطور ألكسندروس سيفيروس (٢٢٢ــ٢٣٥)، كان مساعداً في إنشاء المكتبة العامة في البانثيون بروما. وقد كانت له علاقات أيضاً في الإسكندرية مع البابا ياروكلاس وأوريجانوس. وخلافاً لما قيل في التقاليد المتأخرة (عن ديونيسيوس إبن الصليبي)، فمن غير المحتمل أن يكون قد رُسم كاهناً.

عمله الأدبي الرئيسي كان «تاريخ العالم حتى عام ٢١٧ قبل الميلاد»، في خمسة كتب. وقد ورد ذكرها في كتاب «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس، وفي كتابات تاريخية لاحقة.

وقد رأى أن العالم سيبقى إلى ٦٠٠٠ عام منذ الخليقة، وأن ميلاد المسيح الذي أرخه بتاريخ سابق للتاريخ الحقيقي بثلاث سنوات، قد حدث عام ٥٥٠٠ للخليقة. و يعتبر كتابه «الأحزمة المطرزة» عملاً يدخل في نطاق دوائر المعارف، وهو يقع في ٢٤ كتاباً مهداة إلى ألكسندر سيفيروس عن التاريخ الطبيعي والطب والعلوم العسكرية والسحر والموضوعات المتفرقة. وهذا العمل لم يصلنا منه إلا في بقايا مخطوطات. وهو أيضاً مؤلف رسالتين، إحداهما موجهة إلى أوريجانوس و يناقش فيها أصالة قصة سوسنة، والرسالة الأخرى إلى من يسمى «أريستيدس» حول أنساب المسيح في إنجيلي متى ولوقا، وكلا الرسالتين توضحان قدرة نقدية رائعة.

١١ ــ هيجسيبوس Hegesippus

من القرن الثاني. مؤرخ كنسي. يهودي متنصر، وفي الغالب مواطن من فلسطين. ألّف خمسة كتب على هيئة ذكريات ضد الغنوسيين. و بالرغم من بقاء هذه الكتب حتى الآن ــ على قدر معرفتنا ــ في بقايا مخطوطات قليلة (وقد ورد ذكرها كلها في تاريخ يوسابيوس)، إلا أنه يُقال أن مؤلفاته كلها في بعض المكتبات منذ القرن السادس عشر والسابع عشر.

وتتناول بقايا المخطوطات الباقية في معظم فصولها: التاريخ المبكر للكنيسة في أورشليم. وعلى ما يظهر، حسب رواية يوسابيوس في (H.E. IV, XXVII) ، أنه كتب قائمة بتسلسل أساقفة كنيسة روما، و يقال أن القائمة الواردة في كتابات إبيفانيوس(Haer 27.6)مأخوذة من هذه القائمة. فإن كان الأمر كذلك، فقائمة هيجسيبوس هي أول دليل لأسماء الأساقفة الرومانيين الأوائل. وعيده في ٧ أبريل.

٢ ــ مؤرخون محدثون

١ ــ جماعة بولاند Bollandists

هم المؤلفون اليسوعيون لكتاب Acta Sanctorum . وقد أطلق عليهم هذا الإسم نسبة إلى «جون فان بولاند John Van Bolland » (١٥٩٦ــ١٦٦٥) مؤسس الجماعة وأول مؤلفي هذا الكتاب.

أما الذي رسم خطة تأليف كتابه عن سير القديسين على أسس علمية دقيقة فهو «هربرت روزويد Herbert Rosweyde » (١٥٢٩ــ١٥٦٩) ولكنه لم يعش حتى يرى شيئاً منه قد طبع.

ثم جاء بولاند والذين تبعوه فقاموا باستخراج مادة هذا البحث من جميع الأرشيفات والمكتبات في كافة الديار الدينية تقريباً، ومن ثم أخذوا نتاج بحثهم هذا وأسسوا به متحفاً خاصاً في أنترويب Anterwep .

ولقد تعطل عمل البولاندست وقتاً ما حينما كان اليسوعيون

مضغوطين تحت قيود من كبت الحريات في بلچيكا سنة ١٧٧٣ ثم استعادوا نشاطهم سنة ١٨٣٧. وبين أبرز البولاندست الحاليين هو ديليهاي H. Delehaye وقد بدأت الجماعة منذ سنة ١٨٨٢م بطبع مجلة ربع سنوية كملحق لهذا البحث تحت إسم: Analecta Bollandiana

٢ ــ تيمون (١٦٣٧ــ١٦٩٨)

Tillemont, Louis Sebastien Lenain De

مؤرخ كنسي فرنسي الجنسية، تلقى دراسته في دير «بورت رو يال Port-Royal» للرهبان السسترسيان بالقرب من باريس، على يد أستاذه «بيرنيقولا» اللاهوتي الفرنسي المعاصر، ومنذ فجر حياته شغف بالتاريخ حتى أنه بدأ أبحاثه وهو بعد في سن الثامنة عشرة من عمره. وقد ترك بورت رو يال سنة ١٦٥٦ والتحق بمعهد «بوفيه اللاهوتي Seminary Beauvais» سنة ١٦٦١، إلا أنه لم يُرسم قساً حتى سنة ١٦٧٦. ومن ثم عاد إلى بورت رو يال ولكنه لم يلبث أن تركها مرة ثانية سنة ١٦٧٩ واعتزل في بيت خاص بمدينة تيمون Tillemont بالقرب من باريس حيث كان يوزع وقته بين دراساته التاريخية وأعماله التقوية. وتتركز شهرته كمؤرخ كنسي في مؤلفه:

"Memoires pour Servir à l'histoire ecclésiàstique de six premiers siécles" (16 Vol. 1693-1712).

وهو عمل يدل على إمكانيات ضخمة في الإطلاع، متتبعاً تقدم الكنيسة ونموها منذ أوائل المسيحية حتى سنة ٥١٣م. ولقد استقى أغلب مادته من المصادر الآبائية مستخدماً أقل كمية ممكنة من التعليقات لربطها ببعضها البعض، كما أجاب على كثير من الأسئلة الخاصة بالتسلسل التاريخي للأحداث ومصادرها وخلاف ذلك من الموضوعات التاريخية الهامة متضمنة في التعليقات العلمية الدقيقة التي تشتمل عليها والموجودة في نهاية كل مجلد.

والواقع أنه لم يتم حتى الآن بحث تاريخي يفوق بحث تيمون، بالرغم من أن افتقاره إلى الإنسجام في الأسلوب والتنسيق قد حال دون ذيوعه في الأوساط الشعبية.

وقد كتب تيمون أيضاً مؤلفاً آخر منفصلاً عن تاريخ الأباطرة والولاة الذين عاشوا في تلك الحقبة من الزمن خلال القرون الستة الأولى، يقع في ٦ مجلدات (١٦٩٠ــ١٧٣٨م) وله دراسة أيضاً في حياة «القديس لويس» لم تطبع إلا ما بين سنة ١٨٤٧ــ١٨٥١.

٣ ــ أميلينو M. Amélineau

يقول الراهب العلامة بطلر المتخصص في القبطيات أن أميلينو يعتبر من أهم العلماء الذين قدموا للعالم أكبر كمية من الوثائق القبطية المفحوصة والمحققة والمترجمة فيما يختص بالحياة الرهبانية الأولى. و يعتقد أميلينو أن الأصول الأولى لكافة الوثائق الأخرى غير القبطية هي من أصل قبطي قديم.

ونلخص للقارىء مجمل أعمال أميلينو راجين من وراء ذلك فتح باب الأبحاث والترجمات للقبطيات، لعل الله يفتح نفس الرهبان ليقوموا بأبحاثهم عن ماضي أسلافهم وميراث آبائهم:

١ ــ مجموعة المجلدات الأولى (طومس ١). وهو عن حياة وأعمال قديسنا العظيم أنبا شنوده. وقد ظهر سنة ١٨٨٨م من ص١ــ٤٧٨ وذلك ضمن أبحاث ومطبوعات المعهد الفرنسي في مصر:

Memoires publiés par les membres de la mission archeologique française au Caire, Tome 4.

٢ ــ تابع مجموعة المجلدات الأولى (طومس ١): و يشمل من ص٤٧٩ــ٨٤٠. وقد ظهر سنة ١٨٩٥ و به عن حياة القديسين أنبا باخوم وثيئوذور وهورسيزي وشنوده و يوحنا الأسيوطي ضمن نفس الأبحاث السابقة للمعهد الفرنسي في مصر.

٣ ــ مجموعة المجلدات الثانية (طومس ٢): وظهرت سنة ١٨٨٩ ضمن أبحاث:

Annales du Musée Guimet. Tome 17

وهو عن حياة القديس أنبا باخوم وجماعته الديرية بالقبطية البحيرية والصعيدية والعربية أيضاً.

٤ ــ مجموعة المجلدات الثالثة (طومس ٣): ضمن أبحاث ظهرت سنة ١٨٩٤:

Annales du Musée Guimet. Tome 25. 1894.

بإسم تاريخ الأديرة البحرية

Histoire des Monastére de la Basse-Egypte.

و بـه تـراجـم حـيـاة وأقـوال ووثـائق هامة خاصة بالقديس بولا النـاسـك والـقـديـس أنـطـونـيـوس وأنبا مقاره الكبير وأنبا مقار الإسكندراني وآخرين.

٥ ــ مجلدات المجموعة الرابعة (طومس ٤):

وهو تجميع دقيق لأقوال الآباء المسماه Apophthegmata

٦ ــ بحث عن التـاريخ اللوزيـاكي والتاريخ الرهباني لـروفينوس مع مقدمات وتعليقات حول التاريخ القبطي المعاصر للتاريخ اللوزياكي وظهر في باريس سنة ١٨٨٧م.

٧ ــ وصف لـرحلـة راهـب قبطي عبر الصحراء وهو ترجمة فـرنسية لحياة القديس أبا نوفر أو أنوفريوس. وظهر سنة ١٨٨٣م ضمن أبحاث عن آثار مصرية وسريانية وطبع في ڤينا.

٨ ــ أجزاء عـن تـاريـخ غـزو الـعرب لمصر وظهرت ضمن جرنـال الأسـيـويـات نـوفمبر سـنـة ١٨٨٨م وطبعت في باريس ١٨٨٩م.

٩ ــ دراسة تـاريخية عـن الـقـديـس أنـبـا بـاخوم والمجامع الـرهـبـانية الأولى في صعيد مصر بحسب الوثائق القبطية، وظهر في: Bulletin de l'institut Égyptien, 1886, 1887 rep

١٠ ــ رهبان مصر: حياة شنودة: وظهر في:

Annales du Musée Guimet, Biblioth. de Vulgarisation, Paris Leroux 1889.

١١ ــ صموئيل القلموني، وظهر في:

Revue de l'Histoire des Religions 1886-7. rep. Paris Leroux 1887.

١٢ ــ المسيحية عند الأقباط القدماء:

Revue de l'Histoire de Religions, 1886-7.

١٣ ــ مركز الشيطان في الديانة القبطية القديمة:

The New World, 1893.

١٤ ــ تـطـور المبـادىء الأخـلاقـيـة مـن الـناحية التاريخية والفلسفية عند الأقباط القدامى.

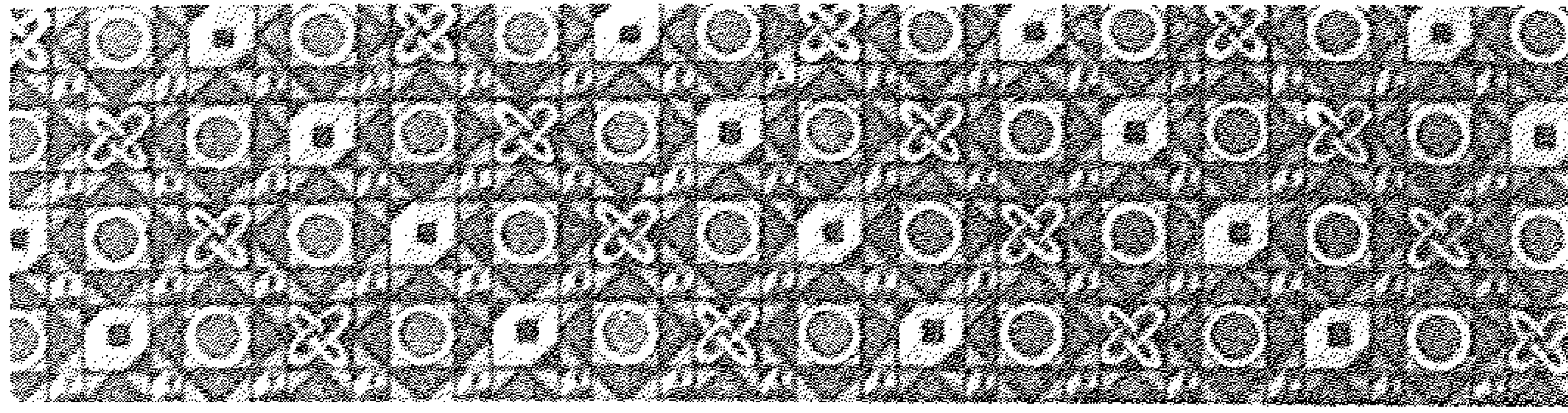
Bibliothèque de l'École des hautes études-Sciences relig., Tome IV, Paris 1895.

١٥ ــ جغرافية مصر في العصر القبطي:

Geographie de l'Egypte à l'époque Copte, Paris Imp. Nat. 1893.

وهـذا يـعـتبر من أهـم المـراجـع الـتـاريخيـة لجغـرافية مصر المسيحية.

و يلاحظ القارىء أننا اعتمدنا كثيراً على أعمال أميلينو في حيـاة أنبا مقار الكبير، برجوعنا إلى المخطوطة الخاصة بحياته التي عثر عليها وحققها وترجمها.



زخرف حائطي ملون من أشكال هندسية متداخلة في تناسق بديع ــ القاعة رقم ١٩ من دير باو يط ــ محافظة أسيوط يرجع تاريخها إلى القرن السادس/السابع

٤ ـــ هيو ج. إيڤلين هوايت

ننقل هنا للقارىء كلمة متحف المتروبوليتان عن أعمال إيڤلين هوايت:

إن أبحاث إڤلين هوايت الرائعة في تاريخ أديرة وادي النطرون ودراسته الدقيقة لهذه الآثار التي لعبت دوراً كبير الأهمية في تاريخ الكنيسة المسيحية المبكر في مصر، أخذت شكلها النهائي في خريف عام ١٩١٧، حينما تمكن من متابعة جوانب عمل بعثة المتحف التي كان عضواً فيها من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٥ الذي لم يُستكمَل، وذلك بعد أن عجز عن مواصلة الخدمة العسكرية مع القوات البريطانية في مصر بسبب انهيار صحي عام أصابه.

لقد قضى السنوات الأولى من علاقته بالبعثة في الواحة الخارجة وفي طيبة. ومن عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١١ عاون و ينلوك في أعمال التنقيب التي تعهد بها هذا الفرع من بعثتنا في معبد أبيس في الواحة، ونسخ المراسيم اليونانية في المعبد للنشر النهائي. وفي نفس الوقت اكتشف الحد الشمالي للواحة بنقوشه اليونانية، مكرساً نفسه بالأخص لفهرسة هذه النقوش التي في المدافن المسيحية في البجوات.

وفي عام ١٩١١ــ١٩١٣ اشترك معه و ينلوك في أعمال المتحف للتنقيب في طيبة قرب قصر أمنحوتب الثالث، وفي الأساسيف؛ وفي عام ١٩١٣ــ١٩١٤ في التقصي عن دير إبيفانيوس والآثار المسيحية المبكرة المجاورة في جبانات طيبة. و باندلاع الحرب في عام ١٩١٤ و بسبب عدم قدرته على أن يؤمّن التحاقه بالجيش البريطاني في هذا الشتاء الأول للصراع، عاد إلى طيبة؛ ومع تغير برامج البعثة تماماً بسبب الأزمة، صار من الممكن استئناف أعمالنا في التنقيب. وخلال ربيع ١٩١٥ أشرف وحده على استكشاف منطقة إضافية لها اعتبارها قرب قصر أمنحوتب.

وفي خريف عام ١٩١٥ تقلد منصباً في الجيش البريطاني، وألحق بالقوة التي كانت مكلفة حينذاك بمد خط حديدي يخترق برزخ السويس ويمتد إلى فلسطين. وهناك انهارت صحته التي طالما كانت غير مستقرة. وفي عام ١٩١٧ أُعفي من الخدمة العسكرية بسبب المرض، دون أدنى أمل لدخوله مرة ثانية.

بعد ذلك وفي نفس العام، اتضح لمتحف المتروبوليتان نيويورك إمكانية سؤاله أن يأخذ على عاتقه دراسة معمارية تاريخية لأديرة وادي النطرون (كإعداد لعمل تمهيدي سبق القيام به من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١١ بواسطة بعثة المعهد).

وقد بدأ بدراسة تاريخ الأديرة من المصادر الأدبية، التي تضمنت تقصي المستندات الأصلية المحفوظة في ٤ لغات، وقد انهمك في مهمته بلا انقطاع في كمبريدج من سنة ١٩١٧ــ١٩١٩ مظهراً لنا دائماً شكره على التسهيلات التي قُدمت له من قبل المسئولين في مكتبة جامعة كمبريدج، وللمعاونة التي أبداها باحثون بريطانيون عديدون، كل من سعى إلى معونتهم كلٌّ في مجاله الخاص.

وبهذا العمل الذي قارب على الكمال، عاد إلى مصر في شتاء عام ١٩١٩ــ١٩٢٠ وقام برحلة إلى الأديرة وقضى بعض الوقت هناك مع الرهبان، وجهز دراسة متقنة عن الشواهد المعمارية والأثرية التي توضحها المباني. وفي الشتاء التالي لعام ١٩٢٠ــ١٩٢١ قام بزيارتين أخريين إلى وادي النطرون، رافقه في الزيارة الأولى إثنان من أعضاء هيئة البعثة الأثرية هما هوسر و بيرتون، اللذان تعاونا معه في تكميل العملية الشاقة للمسح المعماري والتسجيل التصويري للأديرة التي عملت بها البعثة في عام ١٩١٠ــ١٩١١.

وفي التقريرين الشاملين اللذين قدمها هوايت للمتحف في تلك السنوات، يلخص النتائج الرئيسية لأبحاثه واستقصاءاته عن الأديرة خلال هذه الزيارات الثلاث ــ والتي كانت هي الزيارات الأخيرة التي قام بها لوادي النطرون ــ و يصف اكتشافه للوثائق الهامة التي تضمنها المجلد الأول من كتابه المشهور. ولا شيء يستطيع أن يصور بأكثر وضوح بعض السجايا الرائعة في شخصية هوايت أكثر من سجل إنجازاته التي يشهد لها هذان التقريران واهتمامه القلبي وإصراره على المتابعة والإستقصاء، واجتهاده الشديد في كل ما يوكل به إليه من مشاكل أو مهام، وتواضعه الجم إزاء أي إنجاز يتحقق و يكون راجعاً لكفاءته التي لا تكل وأسلوبه الصائب في العمل.

لقد تم أعظم عمل لهوايت عن تاريخ ومعمار هذه الأديرة قرب وقت موته حتى أن كتابه الذي نُشر في ثلاثة مجلدات ضخمة يُعتبر أعظم وأشمل مرجع تاريخي معماري عن أديرة وادي النطرون قاطبة:

المجلد الأول: يشمل الوثائق التي عثر عليها في مكتبة دير القديس أنبا مقار.

المجلد الثاني: يشمل بحث تاريخي لرهبنة نتريا والقلالي

المجلد الثالث: ويشمل المعمار الخاص بأديرة وادي النطرون.

وشيهيت.

٥ ـ بطلر Dom Cuthbert Butler

(١٨٥٨ـ١٩٣٤م)

بطلر علاّمة كاثوليكي راهب من فرقة البندكت. صار مبتدئاً في الطريق الرهباني سنة ١٨٧٦م، تثقف بالفلسفة وعشق أفكار أوغسطين بيكر، رُسم كاهناً في مدينة دونسيد ١٨٨١، تشبع بروح رهبنة كاسيان التي استقاها بدوره من رهبان أقباط مصر الأماجد، دخل جامعة أكسفورد سنة ١٨٩٦ـ١٩٠٤ نال بعدها إجازاتها، وفي ثقافته المدرسية تأثر بأفكار البارون فون هيجل. رحل إلى ألمانيا سنة ١٩٠٤، ثم عاد إلى وطنه وتعين عميداً لكلية الثالوث في دونسيد ١٩٠٧ـ١٩٢٢. ثم تعين رئيساً لجماعة البندكت في إنجلترا كلها في الفترة من ١٩١٤ـ١٩٢١، ونال الدكتوراه الفخرية.

ومن حياة وأعمال هذا الراهب العالم ندرك أنه كان ألمعياً محباً للبحوث الرهبانية كبقية البندكتيين العلماء، وكان حاد الذكاء ضحوكاً يخفي وراء اتضاعه وبساطته روحانية عميقة. أهم مؤلفاته كتاب «التصوف الغربي»، ولكن في نظرنا، فإن أهم مؤلفاته هو بحثه في كتاب «بستان الرهبان» (المدعو بالتاريخ اللوزياكي)، فقد رفع ببحثه العلمي الدقيق هذا المؤلف النادر من حالة النسيان والبلبلة إلى أوج الثبوت العلمي والشهرة العالمية.

٦ ـ كوتيليه: Cotelien.Jean Baptiste

باحث فرنسي في الدراسات الآبائية. في سنة ١٦٦٧ اختير بواسطة ج. ب. كولبرت J.B. Colbert ليعاون في عمل الكتالوجات للمخطوطات اليونانية بمكتبة «رويال» بباريس. ومن ضمن كتاباته الشهيرة «كتاب عن الآباء الرسوليين» نشر سنة ١٦٧٢ وكذلك كتاب:
Ecclesiae Graecae Monumenta

(٣ أجزاء= ١٦٧٧ـ١٦٨٦م) وهو الذي اضطلع بتسجيل كتابات الآباء في الباترولوجيا جريكا.

٣ ـ مؤرخون وطنيون وكنسيون قدامى

١ ـ المقريزي: (١٣٥٩ـ ١٤٢٦م)

هو الشيخ الإمام العلامة والمؤرخ «تقي الدين أحمد بن علي المقريزي»، وُلد بالقاهرة سنة ١٣٥٩م وتوفي سنة ١٤٢٦م. كتب كتاباً تاريخياً هو: «المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بالخطط المقريزية. ومن ضمن فصوله يصف حال الأقباط وما حل بهم من اضطهادات ونكبات من بدء دخول العرب في القرن السابع الميلادي حتى القرن الخامس عشر، بروح متسامحة خالية من التحيز؛ بل كان أسلوبه يميل أحياناً إلى العطف عليهم حينا يتكلم عن الحرائق والتخريب الذي كان يحل بالكنائس والذي محا معالم المئات منها في كل دفعة، وكيف كانت تُسلب بيوتهم وتُسبى نساؤهم وأولادهم في أزمنة الفوضى التي فيها كان يتولى حكم مصر ولاة ضعاف أو عندما كانت تقوم صراعات داخلية يذهب ضحيتها عائلات القبط.

ويعد تاريخه هذا من أصدق وأوفى المراجع التي تحدثت عن الأديرة والكنائس التي كانت قائمة في زمانه أو التي سمع هو عنها واندرست. ويوجد الآن طبعة حديثة منه في المكتبات.

٢ ــ ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين
(القرن العاشر)

من أقوى الشخصيات التي لمعت في تاريخ الكنيسة القبطية، وأبرز الكُتَّاب المسيحيين الذين كتبوا باللغة العربية، وله يرجع الفضل في معرفتنا بسير الكثير من بطاركة الكنيسة. ومع هذا فمعرفتنا بنشأته وسيرته قليلة حتى الآن، تعتمد على الإستنتاج أكثر من التواريخ المحددة. فمن المعروف أنه عاش في النصف الأخير من القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي. ويحتمل أن يكون البابا مقاره الأول البطريرك التاسع والخمسون (٩٣٢ــ٩٥٢م) هو الذي رسمه أسقفاً على الأشمونين، إحدى الإيبارشيات المشهورة في صعيد مصر وهي الآن إحدى القرى القريبة من الروضة مركز ملوي محافظة المنيا (حالياً). وقد عمر طويلاً حتى أنه تعدى الثمانين من عمره وعاصر البطاركة أنبا ثاؤفانيوس وأنبا مينا الثاني وأنبا أبرآم السرياني ثم تنيح في أوائل عهد أنبا فيلوثاوس البطريرك الثالث والستين، وتُقدَّر مدة أسقفيته بثلاثين عاماً.

وساويرس كاتب خصيب، عُرف له حتى الآن ٣٨ كتاباً موزعة على مكتبات أوروبا والدار البطريركية والمتحف القبطي وأديرة وادي النطرون، تتناول مختلف علوم الكنيسة من لاهوت وعقائد وردود على اليهود والمسلمين والملكيين، كما أن له ميامر ومواعظ لإنارة الشعب وردّه على البدع والخرافات التي كانت شائعة وقتئذ. وكلها تنم عن عمق معرفة بالكتاب المقدس والتقليد الآبائي النقي، كما أن معرفته باللغتين اليونانية والقبطية أتاحت له ترجمة سير البطاركة من عهد مار مرقس الرسول.

وجميع كتابات ابن المقفع باللغة العربية التي أجادها إجادة تامة، فكان بحق أول كاتب قبطي يكتب بالعربية. وقد ساعده على ذلك صداقته بالشيخ الواضح ابن الرجا المسلم الذي تنصر ثم ترهب وصار كاهناً باسم الأب بولس بن الرجا الذي يُعتبر صديقاً حميماً لإبن المقفع. فكم من الليالي قضياها معاً في فهم أسرار كلمة الله!!

وكانت لساويرس بن المقفع مكانة عظيمة في الكنيسة في عصره، وكان موضع ثقة البطريرك أنبا أبرآم بن زرعة (٦٢) فكان يبعث به إلى مجالس الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حيث كانت تجري مناقشات دينية بحضرته بين المسيحيين و بين اليهود والمسلمين، فكان يدافع عن مسيحه وكنيسته في كل مجلس، ويخرج منها وقد أعلن بقوة صدق ديانته.

وإلى جانب هذا كان مدافعاً حقيقياً عن عقائد الكنيسة ضد البطريرك الملكي سعيد بن بطريق الذي طفق يناوئها بتعضيد من حاكم مصر الجديد محمد الأخشيد بغية التفرقة.

وأهم مؤلفات ساويرس بن المقفع هو كتابه «سير البطاركة» الذي جمع مادته من أديرة القديس أنبا مقار بوادي النطرون والعذراء بنهيا غرب القاهرة وأديرة أخرى بالفيوم والصعيد. وإتقانه للغة اليونانية جعلته يستعين بالمصادر اليونانية في كتابه، وأهم هذه المصادر:

١ ــ كتاب **فيلو الفيلسوف** اليهودي الإسكندري في القرن الأول الميلادي.

٢ ــ **يسطس،** من مؤرخي القرن الثاني الميلادي.

٣ ــ **يوسيفوس المؤرخ** اليهودي المعروف في القرن الميلادي الأول.

٤ ــ **هجسيبوس** من مؤرخي الكنيسة في القرن الثاني.

٥ ــ **أفريكانوس** من مؤرخي الكنيسة في القرن الثالث.

٦ ــ **أوسابيوس القيصري** أبو التاريخ الكنسي، في القرن الرابع.

٧ ــ **سوزومين،** كاتب التاريخ الكنسي في القرن الرابع.

وعن هؤلاء كتب ساويرس سير البطاركة حتى عهد البابا كيرلس الكبير عمود الدين. أما بعد ذلك فقد لجأ إلى المصادر القبطية. وأهم المؤرخين الذين أخذ عنهم:

١ ــ مينا الكاتب.

٢ ــ ثاويسطس شماس البابا ديسقورس البطريرك (٢٥).

ومن هذين المصدرين أمكن معرفة سيرة هذا البابا القديس والمعترف وما جرى عليه من اضطهادات ومعجزات في مدة نفيه بجزيرة غاغرا حيث تنيح هناك.

٣ ــ يوحنا النقيوسي:

أسقف أبشادي (زاوية رزين الحالية بمركز منوف) ومن رجال القرن السابع، كتب تاريخاً باليونانية أو القبطية لم يُعثر عليه حتى الآن، ولكن وُجدت له ترجمة حبشية مأخوذة عن نسخة عربية قديمة ليس لها أثر الآن.

٤ ــ الشماس إسحق:

تلميذ البابا يؤنس البطريرك (٤٠) وكاتب سيرته.

٥ ـــ أنبا مينا أسقف إبشادي:

بعد يوحنا النقيوسي السابق ذكره، وهو الذي كتب سيرة البابا إسحق البطر يرك (٤١).

٦ ـــ الأرشيدياكون أبو جرجه:

من كُتَّاب القرن السابع المشهورين، نقل سيرة البطاركة من كيرلس عمود الدين البطر يرك (٢٤) إلى البابا ألكسندروس البطر يرك (٤٣) أثناء تواجده بدير الأمير تادرس بالفيوم ودير أنبا مقار بوادي النطرون.

٧ ـــ الأب الروحي للبابا قسما البطر يرك (٤٤):

وقد كتب سيرته.

٨ ـــ الشماس يوحنا تلميذ أنبا مويسيس أسقف أوسيم في القرن الثامن، وقد نقل سير البطاركة حتى البابا تاودورس البطر يرك (٤٥).

٩ ـــ يوحنا كاتب البابا شنوده الأول البطر يرك (٥٥):

والذي عاش في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، وعمَّر طو يلاً وكتب سير البطاركة ابتداء من أنبا مينا الأول البطر يرك (٤٧) إلى البابا شنوده الأول البطر يرك (٥٥).

١٠ ـــ البابا أنبا أبرآم بن زرعة:

البطر يرك (٦٢). وقد وضع تاريخاً للبطاركة استعان به ابن المقفع ولكنه مفقود.

هذه هي المصادر القبطية التي استعان بها ونقل منها كتابه عن سير بطاركة الكنيسة القبطية. وقد ذكر أيضاً أن الذين عاونوه في هذه المهمة أربعة هم:

١ ـــ ميخائيل بن بدير:

الذي صار أسقفاً على تنيس بعد ذلك باسم أنبا ميخائيل، وكان راهباً بدير أنبا مقار. وقد اختفى مع رفقائه الثلاثة الآخرين بدير أنبا يحنس كاما ببر ية شيهيت مدة خمسة عشر يوماً حيث نقلوا سير البطاركة التي وجدوها، وكانوا يسهرون كل ليلة حتى منتصفها في مراجعة ما نسخوه. ثم اختاره البابا فيلوثاوس البطر يرك (٦٣) كاتباً خاصاً له، ورسمه البابا أنبا خرستوذلو البطر يرك (٦٦) أسقفاً على تنيس ناحية بحيرة المنزلة، وتنيح في آخر أيام هذا البطر يرك.

٢ ـــ الشيخ بقيرة الرشيدي:

صاحب الصليب، ولقب هكذا لأنه ترك خدمة الديوان ومضى إلى قصر الحاكم بأمر الله المعروف بقسوة اضطهاده للنصارى وهناك وقف منادياً بأن المسيح ابن الله، فطرحه الحاكم في السجن. وقضى مدة في الحبس مشدوداً إلى وتد كبير مضروب في الأرض، ورغم ذلك كان يقضي وقته قائماً يصلي ووجهه جهة الشرق رغم ثقل الحديد المسلسل فيه. وتنبأ بخروجه من الحبس، وفعلاً أمر الحاكم بأمر الله بإخراجه وحرر له سجلاً بألا يعترضه أحد في أي أمر من الأمور. و بعد ما تفقد عائلته في مصر قام يطوف البلاد مطمئناً النصارى الخائفين من بطش الحاكم، كما كان يبتاع لهم ما يحتاجونه من خبز وماء و يبعث به إليهم مع غلمانه. و بعد ثلاثة أيام أمر الحاكم بإطلاق الحر ية للنصارى.

وقد قضى بقية حياته في دكان افتتحه لتوزيع القمح والأطعمة على الفقراء وعلى الأغنياء الذين أخنى عليهم الدهر. كما كان يمضي إلى الحبس لافتقاد من فيه وحمل ما يحتاجونه. ثم كان يجمع من الأغنياء والرؤساء ما يساعده في سداد من كان عليه دين. و بعد كل هذا كان يقضي ما تبقى من وقت مع رفيقه ميخائيل بن بدير كاتب البطر يرك في قراءة الكتب. أما الليل فكان يصرفه في العبادة والصلاة.

وقد تنيح في زمان بطر يركية البابا خرستوذولو (٦٦).

٣ ـــ القس زكير:

أحد الأر بعة الذين عملوا مع ساو يرس ابن المقفع، ولا يُعرف عنه أكثر من أنه كان رئيس دير نهيا حيث كانت توجد بعض المصادر التي اعتمد عليها ابن المقفع.

٤ ـــ الشماس تيدرا (تادرس) الأمين ابن يؤنس:

من أهل منوف، وكان كاتب القلاية البطر يركية في عهد البابا فيلوثاوس البطر يرك (٦٣). وكان موجوداً في كنيسة الشهيد تادرس بصندفا حينما أقام بها القديس بولس بن الرجا صديق ابن المقفع المتنصر، وحضر نياحته وقام بدفنه ثم قص سيرته على الشماس ميخائيل بن بدير رفيقه فوضعها هذا في سيرة البابا فيلوثاوس (٦٣).

أما لقب «الأمين» الذي نُعت به فهذا لأنه كان أمين دير أنبا مقار بوادي النطرون.

و يتضح من كتاب «سير البطاركة» أن أنبا ساو يرس بن المقفع ومعاونيه الأربعة جمعوا سير البطاركة ابتداء من مار مرقس البشير كاروز الديار المصر ية إلى البابا شنوده الثاني البطر يرك (٦٥). وقد تُرجم منها عن اليونانية والقبطية إلى العربية سيرة الستة والخمسين بطر يركاً الأول، أما التسعة الباقون فيبدو أنها كُتبت أصلاً باللغة العربية. وسار من بعدهم على هذا النسق ـــ أي الكتابة بالعربية ـــ كل البطاركة حتى الآن.

٣ ـ مؤرخون كمّلوا عمل ساويرس بن المقفع

و بعد نياحة أنبا ساو يرس استأنف كتابة سير البطاركة:

١ ـ الشيخ موهوب بن منصور الإسكندراني:

وكتب سيرة البطريركين خرستوذولو (٦٦)، كيرلس الثاني (٦٧).

٢ ـ إبن القلزمي الكاتب:

وكتب سيرة البابا ميخائيل (٦٨) والبابا مقاره الثاني (٦٩).

٣ ـ البابا مرقس الثالث البطريرك (٧٣):

وقام بإتمام سيرة من سبقوه وهم البطاركة غبريال الثاني (٧٠) إلى يؤنس الخامس (٧٢).

٤ ـ معاني أبو المكارم بن بركات:

كاتب قبطي من القرن الثاني عشر والثالث عشر، وكتب سيرة البطريركين مرقس الثالث (٧٣) و يؤنس السادس (٧٤).

٥ ـ أنبا يوساب أسقف فوه:

من رجال القرن الثالث عشر، كان راهباً بدير أنبا يحنس ببرية شيهيت وكان روح حركة ونشاط في الإصلاح المنشود في زمان بطريركية البابا كيرلس الثالث (٧٥). وهو الذي كتب سيرة البطاركة الذين عاصرهم: كيرلس الثالث الشهير بإبن لقلق (٧٥)، أثناسيوس (٧٦).

أما الذين كتبوا سير البطاركة بعد ذلك فلا يُعرف عنهم شيء، وغالباً كانوا كتبة القلاية البطريركية، وأغلبها غاية في الإقتضاب والإختصار حتى أنه لم يُذكر عن بعضهم سوى تاريخ التقدمة والنياحة. ومن كل البطاركة الذين جاءوا بعد ذلك لم نعرف سيرة تفصيلية إلا للبطريرك أنبا متاؤس الكبير، التي يُظن أن كاتبها هو أسقف الخندق (منطقة دير أنبا رو يس الحالية) وحتى هذا غير معروف الإسم.

فهارس وجداول الكتاب

وثبت تاريخي عام

وأسماء الأعلام والبلاد والفضائل

أولاً: الفهارس

١ ــ فهارس تاريخية

(أ) فهرس (ثبت) تاريخي عام

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٢٣٤ م	ميلاد أنبا بولا أول السواح	٤٥
٢٤٧ ــ ٢٦٤	زمن بطريركية أنبا ديوناسيوس البابا الـ ١٤	٥٤٠
٢٥٠	اضطهاد ديسيوس وفاليريان وخروج أنبا بولا من العالم	٤٥
٢٥١	ميلاد أنبا أنطونيوس أبي الرهبان	٤٧
٢٧١	خروج أنبا أنطونيوس من العالم	٤٧
٢٧٥	ميلاد أنبا آمون رئيس أول جماعة رهبانية في نتريا	١٧٨، ٢٥٩
٢٨٤ ــ ٣٠٥	مدة حكم دقلديانوس	٥٩
٢٨٥	عبور أنبا أنطونيوس النيل إلى الصحراء الشرقية	٤٧
٢٨٥	ميلاد أنبا كرونيوس أحد آباء نتريا الأوائل	٢٠١
٢٩٠	ميلاد أنبا باخوميوس أبي الشركة	
٢٩٥ ــ ٢٩٧	الثورات المحلية التي جرت في مصر	٥٩
٢٩٦ أو ٢٩٧	ميلاد أنبا مقاريوس الإسكندراني	٢٠٢
٢٩٧	زواج أنبا آمون الكبير واحتفاظه ببتوليته مع زوجته	١٧٨
٣٠٠	ميلاد أنبا مقاريوس الكبير	٥٩ و٦١
٣٠٥	بداية أول جماعة رهبانية بقيادة أنبا أنطونيوس وتاريخ أول دير قبطي	٤٣ و٤٨ و٤٩
٣٠٩	ميلاد أنبا بافنوتيوس تلميذ أنبا مقاريوس الكبير	٢٤١
٣١٠	دخول أنبا باخوميوس للرهبنة	
٣١٣	تاريخ جمع يوسابيوس القيصري لسير الشهداء	٥٤٨
٣١٥	اعتزال أنبا آمون الكبير العالم	١٧٨
٣١٥	مرافقة أنبا أور لآمون الكبير في بدء حياته في نتريا	٢٥٤
٣١٨	تاريخ أول دير ينشئه باخوميوس	٤٣
٣١٨	ميلاد أنبا إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	١٩٤
٣٢٠	ميلاد أنبا يوسف الكبير	٣٠١
٣٢٠	ميلاد أنبا بيشوي	٢٣٤
٣٢٠	ميلاد أنبا شيشوي	٢٥٥
٣٢٥	تلمذة أنبا بيئور للقديس أنطونيوس الكبير	١٩٦
٣٣٠	ارتحال أنبا بيئور إلى نتريا	١٩٦
٣٣٠	بداية توحد أنبا مقاريوس الكبير	٦٨

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٣٣٢	ميلاد أنبا موسى الأسود	٢٦٥
٣٣٥	مجيء أنبا مقار يوس الإسكندري لبر ية القلالي	٢٠٢
٣٣٥	ز يارة أنبا مقار يوس الإسكندري للأنبا أنطونيوس الكبير	٢٠٣
٣٣٥	مجيء أنبا مقار يوس الإسكندري لنتر يا وترهبه بها	٢٠٣
٣٣٦	ميلاد أنبا أمونيوس الأسقف	٢٦١ و٢٦٢
٣٣٧	ميلاد أنبا إشعياء الأسقيطي	٢٨٤
٣٣٧—٣٤٠	نياحة أنبا آمون الكبير	١٧٨ و٢٥٩
٣٣٨	انضمام أنبا نشثائيل إلى جماعة نتر يا	١٩٥
٣٣٩	ميلاد أنبا يوحنا القصير	٢٢٩
٣٤٠	رسامة أنبا مقار يوس الكبير قساً	٦٥
٣٤٠	انطلاق أنبا مقار يوس الكبير إلى بر ية شيهيت بقيادة الشارو بيم	٦٧ و٢١٣
٣٤٠	ذهاب أنبا شيشوي إلى شيهيت ومرافقته لمقار يوس الكبير	٢٥٥
٣٤٠	انضمام أنبا بيشوي لرهبان شيهيت	٢٣٤
٣٤٠	سفر أنبا أثناسيوس الرسولي إلى روما	٢٦٠
٣٤٠	تقديم أنبا بامو قساً	١٩٨
٣٤٠	ولادة أنبا أمونيوس الطو يل	١٩٩
٣٤٠	دخول أنبا تادرس البرامي الرهبنة	٢٨٢
٣٤٠	انضمام أنبا إيسيذوروس (القس) إلى مقار يوس الكبير	٢٣٩
٣٤١	مرافقة أنبا إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندر ية للأنبا أثناسيوس في رحلته إلى روما	١٩٤
٣٤١	نياحة أنبا بولا أول السواح	٤٥
٣٤٢	ميلاد العلاّمة چيروم	١٨٦
٣٤٣	ز يارة أنبا مقار يوس الأولى لأنبا أنطونيوس	٦٩
٣٤٥	اجتماع مجمع سرديقا	٢٧٢
٣٤٥	ميلاد المؤرخ روفينوس	١٨٤
٣٤٥	ميلاد إيفاجر يوس (أوغر يس) البنطي	١٨٦
٣٤٦	نياحة أنبا باخوميوس أب الشركة	٢٠٤
٣٥٠	ذيوع صيت أنبا يوسف الكبير	٣٠٠ و٣٠١
٣٥٠	بناء كنيسة القلالي	٣٢١
٣٥٠	الأسقف سيرابيون المعلم يؤلف كتاباته	٢٧٠
٣٥٣	الز يارة الثانية لأنبا مقار يوس الكبير لأنبا أنطونيوس	٦٩
٣٥٤	ميلاد أنبا أرسانيوس معلم أولاد الملوك	٣٠٤
٣٥٥	مجيء أنبا إشعياء الأسقيطي إلى شيهيت	٢٨٤
٣٥٥	نياحة أنبا أمونيوس رفيق آمون الكبير	٢٥٩
٣٥٥	ذهاب أنبا أمونيوس (الأسقف) من طبانسين إلى نتر يا	١٨٣ و٢٦٠ و٢٦٢
٣٥٥	رسامة أنبا بافنوتيوس البسيط كاهناً	٢٤١ و٢٦٢
٣٥٥	رسامة أنبا مقار يوس الإسكندري كاهناً	٢٠٣

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٣٥٥	(أنبا بيئور ينزل لزيارة أخته)	١٩٦
٣٥٥	أصبح أنبا بيئور من أشهر شيوخ نتريا	١٩٨
٣٥٦	نياحة أنبا أنطونيوس الكبير أبي الرهبان	١٧٨ و١٩٧ ٢١٤ و٢٧١
٣٥٦	انتقال أنبا شيشوي من شيهيت إلى جبل أنطونيوس في بسبير	٢٥٤ و٢٥٥
٣٥٦	أنبا أثناسيوس الرسولي يرسل أساقفة وكهنة للإمبراطور قسطنطيوس بشأن بدعة آريوس	٢٦٩
٣٥٦	شيهيت بلغت اكتمالها الرهباني	٢١٤
٣٥٦—٣٦٦	زار أنبا أثناسيوس الرسولي نتريا وعاش بين رهبانها أثناء نفيه الثالث	١٨٠
٣٥٧	خروج القديس يوحنا القصير من العالم ومجيئه إلى شيهيت	٢٢٩
٣٦٠	أنبا مقاريوس الكبير يعيش بمفرده على الصخرة المعروفة بإسمه	٢٢٦
٣٦٠	انضمام أمونيوس الطويل لرهبان نتريا	١٩٩
٣٦٠	نياحة أنبا بيئور	١٩٦
٣٦٣	ميلاد بالليديوس في غلاطية	١٨٨
٣٦٤—٣٧٥	زمن حكم الإمبراطور ڤالنتنيان	١٠٦ و٢١٨
٣٦٥	دخول أنبا موسى الأسود الرهبنة	٢٦٥
٣٦٩	رسامة أنبا أمونيوس أسقفاً	٢٦٢
٣٧٠	ميلاد أنبا بيمن	٢٤٣
٣٧٠	احتساب أنبا موسى الأسود ضمن شيوخ شيهيت	٢٦٥
٣٧٠	نياحة أنبا سيرابيون الأسقف والمعلم	٢٦٩
٣٧٠	ترهُّب أنبا إسحق قس القلالي في نتريا	٢٧٥
٣٧١—٣٧٢	ارتحال روفينوس إلى الشرق وزيارته نتريا والقلالي وشيهيت	هامش ٥٥ و١٨٤ ٧١٢
٣٧٣	زيارة روفينوس لأنبا مقاريوس الكبير في قلايته	١٨٥
٣٧٣	(يناير) اضطهاد ڤالنس للرهبان	١٠٦ و٢٠٠
٣٧٣	(مايو) نياحة البابا أثناسيوس الرسولي	١٠٥ و٢١٧ ٢٢٥
٣٧٣	(مايو) اعتلاء أنبا بطرس الثاني الكرسي الإسكندري	١٠٥ و١٠٩
٣٧٣	(نوفمبر) بناء كنيسة في الجزيرة التي نُفي فيها أنبا مقاريوس الكبير	١٠٩
٣٧٣	نفي أنبا إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	١٩٤
٣٧٣	نفي أنبا أمونيوس الأسقف	٢٦٢
٣٧٣	حلول أنبا بافنوتيوس محل إيسيذوروس القس	٢٢٦ و٢٤٠
٣٧٣ أو ٣٧٦	نياحة أنبا بامو	٨٩ و١٩٧ ٢٢٠ و٢٢٥ و٢٦٥
٣٧٣	انحدار أنبا مقاريوس الإسكندري من نتريا إلى القلالي	٢٠٤
٣٧٣—٣٧٤	روفينوس يؤرخ أن تعداد نتريا والقلالي في تلك السنة ٣٠٠٠ راهباً	١٨٠ و١٩٣ و٣١٥
٣٧٣	زيارة ميلانية للبرية	١٨٤ و١٩٧
٣٧٤	نفي القديس بافنوتيوس إلى ديوقيصرية	٢٤٠

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٣٧٤	بدء توحد أنبا يوحنا القصير	٢٣٠
٣٧٤	چيروم يكتب سيرة أنبا بولا	٤٥
٣٧٤—٣٧٧	تاتيان والياً على مصر	١٠٧
٣٧٤	يُظَنُّ أن لوكيوس (الهرطوقي) انحدر إلى شيهيت	٢١٤
٣٧٥	اضطهاد لوكيوس الهرطوقي للشعب المسيحي	١٠٦
٣٧٥	عودة القديسين مقار يوس المصري والإسكندري من المنفى	٢١٧
٣٧٥—٣٧٦	عودة جماعة نتر يا من المنفى	١١٠
٣٧٥	بدء قيام جماعة الرهبان الأجانب في بر ية شيهيت	١٨٥
٣٧٧	طرد الأسقف لوكيوس الكاذب من كرسي الإسكندر ية	١١٠
٣٧٨	نياحة مار أفرآم	٢٣٤
٣٧٨	شيهيت تستعيد قوتها وجمالها	٢١٤
٣٧٨	زمان مجيء بورفيري الغزاوي من تسالونيكي إلى شيهيت	٣٤٤
٣٧٩	مكسيموس ودوماديوس يتركان فلسطين وهي سنة اعتلاء الإمبراطور ثيئوذوسيوس العرش	٢١٩
٣٨٠	لم تأتِ هذه السنة إلا وكان كل الآباء قد عادوا من المنفى	٢١٤
٣٨١	مكسيموس ودوماديوس يصلان إلى شيهيت	٢٢٠
٣٨٣	مجيء إيفاجر يوس إلى مصر هارباً من الخطية	١٨٦
٣٨٣—٣٨٤	نياحة مكسيموس ودوماديوس	٢٢٠
٣٨٥	بناء الكنيسة الكبرى في دير البراموس	٢٢٠
٣٨١—٣٨٥	زمن بطر يركية أنبا تيموثاوس البابا الـ٢٢	٢٠٠
بين ٣٨٠ و٣٨٥	ظهور دير أنبا يؤنس القصير	٢٣٠
٣٨٠—٤٥٠	مدة حياة سقراط المؤرخ	٣٧٠
٣٨٥	تتلمذ إيفاجر يوس البنطي على أنبا مقار يوس الإسكندري	٨٢
٣٨٥	تولى ثاوفيلس البابا الـ٢٣ الر ياسة على الكنيسة	١٩٧ و٢٦١
٣٨٥	ز يارة يوحنا كاسيان الأولى لبر ية شيهيت	٢٢٠ و٢٢٥
٣٨٥	نزوح أنبا مقار يوس الكبير إلى منطقة دير أنبا مقار	٢٢٠
٣٨٥	ظل إسم إيسيذوروس القس حتى هذه السنة يتردد في التار يخ	٢٤٠
٣٨٥	انحدار چيروم و باولا إلى نتر يا	١٨٧
٣٨٦	ز يارة چيروم و باولا للقديس سيرابيون الكبير	٢٧١
٣٨٧	ز يارة ميلانية للقديس سيرابيون الكبير	٢٧١
٣٨٨	نزوح بالليديوس إلى الإسكندر ية	١٨٨
٣٨٨	ثاوفيلس البابا الـ٢٣ يرسل إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة في مهمة إلى روما	١٩٥
٣٩٠	نياحة أنبا مقارة الكبير حسب تحقيق بالليديوس	٦١
٣٩٠	مجيء بالليديوس لبر ية شيهيت	٦١
٣٩٠	وصول بالليديوس إلى نتر يا بعد تركه للقديس إيسيذوروس الطيبي	١٨٨ و١٩٥ و١٩٧
٣٩٠	التحاق أنبا بيمن بشيهيت	٢٤٣
٣٩٠	رؤ ية بالليديوس للقديس مقار يوس الإسكندري	٢٠٢

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٣٩٠	ارتفاع عدد الرهبان في نتريا والقلالي إلى ٥٠٠٠ راهبا	١٨٠ و١٩٣
٣٩١	تعرف بالليديوس بسيرابيون الكبير في نتريا	٢٧١
٣٩١	رؤية بالليديوس لسيرابيون السباني	٢٧٢
٣٩١	انحدار بالليديوس إلى القلالي	١٨٨
٣٩٣ أو ٣٩٤	(بشنس) نياحة مقاريوس الإسكندري	٢٠٥
٣٩٤	(خريف) وصول رحلة مؤلف الهستوريا موناخورم إلى نتريا	٢٠٦
٣٩٤	وصول أنبا أرسانيوس إلى شيهيت بعد هروبه من بلاط الملك	٢٢١ و٢٣٠ ، ٣٠٥ و٣٠٦
٣٩٤	زيارة مؤلف الهستوريا موناخورم للقديس يوحنا الأسيوطي	٢٠٥
٣٩٤—٣٩٥	أنبا كرونيوس مازال حياً عند زيارة بالليديوس لنتريا	٢٠١
٣٩٤	قيام تيموثاوس رئيس شمامسة الإسكندرية برحلة إلى نتريا	١٧٦
٣٩٥	أنبا إسحق قس القلالي يخلف كرونيوس في رئاسة نتريا	٢٠١ و٢٧٤
٣٩٥	وفاة الإمبراطور ثيئوذوسيوس الكبير	٣٠٦
٣٩٥	الحياة الرهبانية في نتريا التأمت في ٥٠ ديراً	٣١٥
٣٩٥	زيارة كاتب الهستوريا موناخورم للقلالي	٣٢٢
٣٩١—٣٩٥	انتقال بالليديوس من نتريا إلى شيهيت تحت تدبير إيفاجريوس	١٨٨
٣٩٥—٤٠٠	بناء بيت للضيافة بالقلالي	٣٢١
٣٩٧	(برمهات) نياحة أنبا مقاريوس الكبير حسب بعض المؤرخين	١١٩ و١٢٠
٣٩٨	مجمع قرطاجنة	٥٤٧
٣٩٩	في نهاية هذه السنة كانت هناك أربعة تجمعات في شيهيت	٢١٦
٣٩٩	دخول إيفاجريوس للحياة في منطقة القلالي	١٧٥
٣٩٩	نياحة إيفاجريوس بينما كان بالليديوس عنده	١٨٦ و١٨٧ و١٨٨
٣٩٩	خطاب ثاوفيلس الفصحي الذي تسبب في حدوث مشاكل	٣٣٥
٣٩٩	تحديد الأربعة الأديرة بمجامعها كل على حدة	٣٣٥
٣٩٩	انتهى مجمع شيوخ الرهبان إلى قبول خطاب ثاوفيلس في قضية «شكل الله»	٢٤٣
٣٩٩	مجيء فوتينوس العالم المشهور من كبادوكيا إلى شيهيت	٣٤٤
٣٩٩	زيارة كاسيان لشيهيت	٢٤١
٤٠٠	غادر كاسيان مصر مع جرمانوس	٧١١
٤٠٠	أمونيوس الطويل وبالليديوس يلتجئان إلى يوحنا ذهبي الفم	٢٠٠
٤٠٠	رسامة بالليديوس أسقفاً على هرموبوليس	١٨٩
٤٠٠	نفي إسحق قس القلالي بيد أنبا ثاوفيلس البابا الـ٢٣	٢٧٥
٤٠٣	نياحة أنبا أمونيوس الطويل	٢٥٩
٤٠٣	ترك أنبا أمونيوس الأسقف لأسقفيته وعودته إلى نتريا وشيهيت	٢٦١ و٢٦٢
٤٠٣	نياحة إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	١٩٥
٤٠٣	حضور أنبا ثاوفيلس البابا الـ٢٣ مجمع البلوطة بالقسطنطينية	٢٠٠
٤٠٣	عودة إسحق (قس القلالي) من المنفى	٢٧٥
٤٠٣	عودة إسحق (شيهيت) من المنفى ورسامته قساً	٢٠٢ و٢٧٧

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٤٠٤	نياحة الأرملة القديسة باولا	١٨٦
٤٠٥	أنثيموس الجد مستشاراً للملك	٣٠٢
٤٠٦	نفي بالليديوس إلى أسوان	١٨٩
٤٠٧	الغارة الأولى على شيهيت واستشهاد أنبا موسى الأسود مع ٧ آخرين	٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣٩ و٢٤١ و٢٦٥ و٢٧٨ و٢٩٦ و٢٩٩ و٣٠٨ و٣٩٤
٤٠٧	غادر أنبا بيشوي شيهيت بعد الغارة الأولى	٢٣٠
٤٠٧	بقاء القديس يوسف في شيهيت بعد عودته من سيناء	٣٠١
٤٠٨	جاءت إشارة عن وجود أربع كنائس في شيهيت	٢١٦
٤٠٨	وفاة أركاديوس إبن ثيئوذوسيوس الكبير	٣٠٦
٤٠٩	نياحة أنبا يوحنا القصير (١٧ أكتوبر)	٢٣٠ و٢٣٢
٤١٠	نياحة المؤرخ روفينوس	١٨٤
٤٠٦ — ٤١٢	مدة بقاء بالليديوس في المنفى في أسوان	١٨٩
٤١٢ — ٤٤٤	زمن بطريركية البابا كيرلس الأول الـ٢٤	هامش ١٨٠ و٦٨٠
٤١٢	لقاء ثيئوذور الإسكندري مع ميلانيا الصغيرة	٢٧٨
٤١٧	نياحة أنبا بيشوي	٢٣٢ و٢٣٤
٤٢٠	نياحة العلاّمة چيروم	١٨٦
٤١٩ — ٤٢٠	وضع بالليديوس كتاب تاريخ الرهبنة (التاريخ اللوزياكي)	١٨٩ و٧٠٢
٤٢٦	مازال شيشوي في جبل أنطونيوس	٢٥٥
٤٣٠	أدخل أنبا شيشوي إلى المجمع في أيام شيخوخته	٢٥٥
٤٣٠	مجيء آمون الأسقف من الجبل إلى المجمع في أيام شيخوخته ثم نياحته	٢٦٢
٤٣١	مجمع أفسس	٣٤٣
٤٣١	زيارة أنبا شنودة رئيس المتوحدين لدير أنبا مقاريوس	٣٩٢
٤٣٤	غارة البربر الثانية على شيهيت	٣٠٨ و٣٩٤ و٥٣٢
٤٣٨	بناء أول حصن لدير أنبا مقار (بيامون)	٣٩٥
٤٤٤	الغارة الثالثة على شيهيت	٢٤٤ و٣٩٤ و٥٣٢
٤٤٤	استشهاد الـ٤٩ شهيداً شيوخ شيهات	٤٠٥
٤٤٧	عودة أرسانيوس إلى طرة	٣٠٨
٤٤٧	نياحة أنبا إشعياء الأسقيطي	٢٨٤
٤٤٩	نياحة أنبا أرسانيوس (١٣ بشنس)	٢٤٦ و٣٠٩
٤٥٠	نياحة أنبا إيسيذوروس العالم والناسك	هامش ٢٣٨
منتصف القرن الخامس	بدأت شمس نتريا في الغروب لتشرق على القلالي	١٨٠
٤٥١	نياحة البابا ديوسقوروس (٦ توت)	٣٣١
٤٦٠	نياحة أنبا بيمن	٢٤٤
٤٦٧ — ٤٧٢	زمن حكم الإمبراطور أنثيميوس	٣٠٢

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٤٧٧ — ٤٨٩	زمن بطر يركية البابا بطرس الثالث	٥٣٣
٤٨٠ — ٧٩٣	زمن بقاء جسد أنبا مقار بعيداً عن الدير في بلده	٤٤٧
٤٨٢	دخول القديسة إيلار ية الرهبنة	٣٩٥
٤٨٢	محاولة الإمبراطور ز ينون توحيد الخلقيدونيين في مملكة واحدة مع اللاخلقيدونيين	٤٠٧
٤٨٢	بدأت العمارة الهندسية تأخذ وضعها التأثيري في دير أنبا مقار يوس بفضل الإمبراطور ز ينون	٤٠٩
٤٨٥	ميلاد أنبا دانيال قمص شيهيت	٤١٠
٤٩١	نياحة الإمبراطور ز ينون	٤٠٩
٥١٨ — ٥٣٦	زمن بطر يركية أنبا تيموثاوس الثالث البابا الـ ٣٢	٤١٠
٥١٨	هروب أنبا ساو يرس الأنطاكي إلى مصر	٤١٣ و٤١٦
٥٣٥	أنبا دانيال قمصاً على شيهيت	٤١١
٥٣٥	قيام البدعة الغيانية ووقوع الإنقسام الناتج عنها	٢١٦ و٤١٥ و٤١٦
٥٣٦	تكر يس البابا ثيئودوسيوس الأول لكنيسة أر يستوماخس	٤١٨
٥٤٨	مجيء القديسة أنستاسيا لدير أنبا مقار	٤١٣
٥٥١	انتقال كرسي البطر يركية مؤقتاً من الإسكندر ية إلى دير أنبا مقار	٣٩٦
٥٦٧ — ٥٦٩	زمن بطر يركية البابا بطرس الرابع	٤١٥
٥٦٩ — ٦٠٥	زمن بطر يركية البابا داميانوس	هامش ٣٧٧
٥٧٠	الغارة الرابعة على شيهيت أيام أنبا دانيال قمص شيهيت	٣٩٧ و٤١٥
	وانتهاء نشاط العمارة بالدير بغارة البربر	٤١٩ و٤٣١
٥٧٦	نياحة القديسة أنستاسيا	٤١٣
القرن السادس	ظلت نتر يا عامرة بالرهبان حتى هذا القرن	١٨٠
٥٨٥	ميلاد أنبا يوُنس قمص شيهيت	٤٣٥ و٤٣٧
٥٩٧	ميلاد أنبا صموئيل المعترف	٤٣٣
٦٠٣	مجيء أنبا يوُنس قمص شيهيت إلى البر ية	٤٣٥ و٤٣٧
٦٠٨	ميلاد أنبا جَورْجي	٤٤٠
٦١٦—٦١٧	غارة الفرس واحتلالهم لمصر	٤٣٣
٦١٩	انطلاق أنبا صموئيل المعترف إلى بر ية شيهيت	٤٣٣
٦٢٢—٦٦١	زمن بطر يركية أنبا بنيامين البابا الـ٣٨	٤١٩ و٤٣٣
٦٢٨	انتصار هيراكليوس على الفرس في دستاجرد	٤٣٨
٦٣١	ظلت شيهيت تعاني من غارات متعددة حتى هذه السنة	٤١٩
٦٣١	ز يارة البابا بنيامين الأول الأولى للدير	٤١٠
٦٣١	اختباء البابا بنيامين في الأديرة	٤٣٣
٦٣١	قدوم كيرش الوالي الخلقيدوني إلى شيهيت لعرض طومُس لاون	٣٩٧ و٤٣٤
٦٣١	أسر أنبا يوُنس قمص شيهيت	٤٤٧
٦٣٤	ميلاد أنبا إسحق البطر يرك الـ ٤١	٤٤٤
٦٤١	إقامة أنبا يوُنس قمصاً على شيهيت	٤٣٦ و٤٣٧
٦٤١	دخول العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص	٣٩٨ و٤٢٠

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٦٤٢	رهبنة أنبا جورجي	٦٠٣
٦٤٢	مجيء أنبا زكريا أسقف صا إلى شيهيت	٤٤٢
٦٥٠	ميلاد أبيماخس أسقف الفرما	٤٣٧
٦٥٢	مجيء أنبا إسحق إلى شيهيت	٤٤٤
٦٥٥	تكريس البابا بنيامين الأول البابا الـ٣٨، لكنيسة أنبا مقار	٢٢٢ و٤٢١ و٤٢٨
٦٦١	رسامة أنبا يوحنا أسقفاً على نيقيوس	٤٣٢
٦٦٢ — ٦٨٠	زمن بطريركية أنبا أغاثون البابا الـ٣٩	٤٣١ و٦٨٣
٦٦٨	التحاق أبيماخس ببرية شيهيت	٤٣٧
٦٧٣	ميلاد أنبا مينا أسقف تمويس (تمي)	٤٤٤
٦٧٥	نياحة أنبا يونس قمص شيهيت	٤٣٥ و٤٣٧ و٤٤٠
٦٧٥	أنبا زكريا أسقف صا يُعيَّن قمصاً على شيهيت	٤٤٢ و٦٨٢
٦٧٨	مجيء أنبا أغاثو العمودي إلى شيهيت	٤٤٠
٦٨٠ — ٦٨٩	زمن بطريركية أنبا يوحنا الثالث البابا الـ٤٠	٤٣٢ و٦٨٢
٦٨٤	نياحة أنبا زكريا أسقف صا بعد رسامته أسقفاً بقليل	٤٤٢
٦٨٩ — ٦٩٢	زمن بطريركية أنبا إسحق البابا الـ٤١	٤٣٢ و٤٤٢ و٤٤٤
		٦٨٣
٦٩٢ — ٧٠١	زمن بطريركية أنبا سمعان الأول الـ٤٢	٤٣٢ و٤٤٥ و٥٣٣
		٦٨٣ و٦٨٤
٦٩٠	وصول أنبا مينا (أسقف تمويس) إلى البرية	٤٤٤
٦٩٤	البابا سمعان الأول يعين يوحنا النيقوسي مدبراً لأديرة شيهيت	٤٣٢ و٦٨٣
٦٩٥	رسامة الراهب زكريا أسقفاً على سخا و بطليموس رفيقه	
	أسقفاً على منوف العلا	٤٤٥
٧٠٤	أنبا يوحنا أسقف صا يعمد الرهبان الغيانيين المنشقين في منطقة المونا	٤١٧
٧٠٥ — ٧٣٠	زمن بطريركية البابا ألكسندروس الثاني البابا الـ٤٣	١٩٣
٧٢٥	نياحة أنبا زكريا أسقف سخا	٤٤٥
٧٢٨	نياحة أنبا أغاثو العمودي	٤٤١
٧٣٠ — ٧٣١	زمن بطريركية أنبا قزمان الأول البابا الـ٤٤	هامش ٤٤٥
٧٣٠	تاريخ تجميع سير البطاركة	٥٣٤
٧٤٢	نياحة أنبا تاودورس البابا الـ٤٥	٦٨٤
٧٤٤ — ٧٦٨	زمن بطريركية أنبا خائيل الأول البابا الـ٤٦	٤٣٧ و٤٤٤ و٤٤٦
		٦٨٤
٧٤٤	كان أبيماخس قمصاً على دير العذراء بمنطقة تنيس	٤٣٧
٧٥٠	نياحة أبيماخس أسقف الفرما	٤٣٧
٧٥٠	فتح جيوش العباسيين لمصر	٦٨٤ و٦٨٥
٧٥٠	معاناة أنبا خائيل الأول من اضطهاد مروان الثاني	٤٤٦
٧٦٧ — ٧٧٦	زمن بطريركية أنبا مينا الأول البابا الـ٤٧	٤٤٦ و٦٨٥
٧٦٨	نياحة أنبا مينا أسقف تمي	٤٤٤

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٧٧٧— ٧٩٩	زمن بطر يركية أنبا يوحنا الرابع البابا الـ٤٨	٢٣١ و٤٤٦
أو ٧٩٠— ٧٩٩		٦٨٥
٧٨٤	نقل جسد أنبا مقار الكبير إلى مدينة ألما في الطر يق إلى ديره	١٦٣ و٤٤٨
٧٩٣	سنة وصول جسد أنبا مقار إلى ديره	٤٤٧ و٤٤٨ و٦٨٥
٧٩٩— ٨١٩	زمن بطر يركية أنبا مرقس الثالث البابا الـ٤٩	٤٥٤ و٦٩٧
القرن التاسع	ما أن جاء هذا القرن حتى بدأت القلالي تفقد نضارتها	١٩٣
٨٠٠	زائر يدعى إبيفانيوس يصف دير أنبا مقار بأنه قلعة يحيط بها ألف قلاية	٤٠٠ و٤٤٦
٨١٧	هجوم البر بر الأخير على الأديرة	٤٠١ و٤٥٤
		٥٣٢ و٦٣٩
٨١٩ـــ ٨٣٠	زمن بطر يركية أنبا يعقوب البابا الـ ٥٠	٤٠٢
٨٢٥	عودة الرهبان إلى أديرتهم بعد انتهاء غارة البر بر	٤٥٥
٨٢٥— ٨٣٠	تجديد البابا يعقوب لهيكل أنبا بنيامين بدير أنبا مقار	٦٣٩
٨٢٩	ز يارة أنبا ديونيسيوس بطر يرك أنطاكية لدير أنبا مقار	٤٥٩
٨٣٠	البابا سيمون الثاني الـ٥١ في عداد البطاركة	٤٥٥
٨٣٠	تار يخ نساخة خبر نقل جسد أنبا مقار	٥٣٥
٨٣٠— ٨٤٩	زمن بطر يركية أنبا يوساب الأول البابا الـ٥٢ في عداد البطاركة	٢٣٤ و٤٥٥
٨٣٥	بناء كنيسة جديدة على الصخرة شرقي كنيسة أنبا مقار	٤٥٧
٨٤٧	تكر يس أنبا يوساب البطر يرك لهيكل الآباء التلاميذ بكنيسة أنبا مقار	٤٥٦
٨٥٠— ٨٥١	زمن بطر يركية أنبا خائيل الثاني البابا الـ٥٣	٤٥٧ و٥٣٢
٨٥١— ٨٥٨	زمن بطر يركية أنبا قزما الثاني البابا الـ٥٤	٤٥٨
٨٥٣	ظهور أعجو بة سيلان الدم من أيقونة المخلص	٤٥٨
٨٥٩— ٨٨٠	زمن بطر يركية أنبا شنودة الأول البابا الـ٥٥	٤٥٨ و٦٨٥
٨٦٦	غارة النوماديين على الأديرة	٤٥٨
٨٨٠— ٩٠٧	زمن بطر يركية أنبا خائيل الثالث البابا الـ٥٦	٤٤٧ و٤٥٢
٨٨٤	ز يارة خمارو يه بن طولون لدير أنبا مقار	٤٦٠
٩٠٠	الرحالة اليعقوبي يصف منطقة القلالي بأنها بر ية مهجورة	١٩٣
٩٠٩— ٩٢٠	زمن بطر يركية أنبا غبر يال البابا الـ٥٧	٣٩٩ و٤٦٣
القرن العاشر	توار يخ نساخة سير وميامر مخطوطة بالمكتبة	٥٣٦
٩٢٠— ٩٣٢	زمن بطر يركية أنبا قزما الثالث البابا الـ٥٨	٤٦٣
٩٣٢— ٩٥٢	زمن بطر يركية أنبا مكار يوس الأول البابا الـ٥٩	٤٦٣ و٤٦٤
٩٥٢— ٩٥٦	زمن بطر يركية أنبا ثيوفانيوس البابا الـ ٦٠	٤٦٣
٩٥٦— ٩٧٤	زمن بطر يركية أنبا مينا الثاني البابا الـ٦١	٣٩٩ و٤٦٣
٩٧٧— ٩٨١	زمن بطر يركية أنبا أبرآم بن زرعة السر ياني البابا الـ٦٢	٤٦٤
٩٧٩— ١٠٠٣	زمن بطر يركية أنبا فيلوثيئوس البابا الـ٦٣	٣٩٩ و٤٦٤ و٦٨٦
		و٦٨٧
١٠٠٤— ١٠٣٢	زمن بطر يركية أنبا زخار ياس البابا الـ٦٤	٤٦٥ و٦٨٦ و٦٨٧
١٠١٤	وصف الكاتب يوسف بن مكار يوس لحالة البر ية في هذه الفترة	٤٦٦

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
١٠٢١	وصف ر ينودوت للهدوء الذي شمل البر ية بعد اضطهاد الحاكم بأمر الله	٤٦٥
١٠٢٥ و١٠٦٧	تار يخ نساخة مخطوطات مختلفة بالمكتبة	٥٣٦
١٠٣٢—١٠٤٦	زمن بطر يركية أنبا شنودة الثاني البابا الـ٦٥	٣٩٩ و٦٨٧
١٠٤٦—١٠٧٧	زمن بطر يركية أنبا خرستوذولو البابا الـ٦٦	٤٦٨ و٤٧١ و٤٧٢
١٠٥١	كتب أنبا ميخائيل أسقف تانيس تار يخ البطاركة	٤٦٨
١٠٥٧	يُظن أن رأس مار مرقس قد حملت من الدير	٤٦٨
١٠٦٥	بدأت تظهر إنذارات كثيرة في الأديرة بقرب حدوث كارثة كبيرة	٤٧٠
١٠٦٥	حدوث مجاعة كبيرة في طول البلاد وعرضها	٤٧١
١٠٦٩	هجوم اللواتيين على الأديرة	٤٠١ و٤٧١
١٠٧٣	بداية انحسار المجاعة والمصائب الأخرى	٤٧١
١٠٨٨	ظلت مغارة أنبا موسى الأسود مشهورة وقائمة حتى هذا التار يخ	٢٦٦
١٠٨٨	ز يارة موهوب بن منصور الشماس لدير أنبا مقار	٤٧٠
١٠٨٨	الكاثوليكوس غر يغور يوس الأرمني يترك مصر بعد تحقيق أمنيته في ز يارة الأديرة	٤٧٢
القرن الحادي عشر	تكر يس هيكل جديد لأنبا مقار بديره بناه أنبا مكار يوس أسقف منوف العلا	٤٦٧
١٠٧٨—١٠٩٢	زمن بطر يركية أنبا كيرلس الثاني البابا الـ٦٧	٦٩٧ و٦٩٨
١٠٩٢—١١٠٢	زمن بطر يركية أنبا ميخائيل الثاني البابا الـ٦٨	٤٧٨
١١٠٢—١١٢٨	زمن بطر يركية أنبا مكار يوس الثاني البابا الـ٦٩	٤٧٤ و٤٧٦ و٥٦٢ ٦٩٣
١١٢٨—١١٣١	رشح القمص يوُنس بن كدران للبطر يركية	٦٩٢
١١٣١—١١٤٥	زمن بطر يركية أنبا غبر يال الثاني بن تر يك البابا الـ٧٠	٤٦٨ و٤٧٦ و٥٤٢ و٥٥٨
١١٤٥—١١٤٦	زمن بطر يركية أنبا ميخائيل بن الدنشتيري البابا الـ٧١	٤٠٠ و٦٨٨
١١٤٧—١١٦٧	زمن بطر يركية أنبا يوحنا الخامس البابا الـ٧٢	٤٠٠ و٤٨٠
١١٦٧—١١٨٩	زمن بطر يركية أنبا مرقس الثالث بن زرعة البابا الـ٧٣	٤٨٠
١١٧٠	نقل جسدي أنبا غبر يال البابا الـ٧٠ وأنبا يوحنا البابا الـ٧٢ إلى دير أنبا مقار	٤٨١
١١٨٦—١٢١٦	زمن بطر يركية أنبا يوحنا السادس البابا الـ٧٤	٤٠٠
١٢١٦	كان في دير أنبا مقار حوالي ٨٠ كاهناً	٤٨٣
١٢١٦—١٢٣٤	ظل الكرسي المرقسي شاغراً	٤٨٢
١٢٢٥	فُرضت الضرائب على رهبان الأديرة	٤٨٢
١٢٣٤	صار عدد الكهنة في الدير ٤ فقط	٤٨٣
١٢٣٥—١٢٤٣	زمن بطر يركية أنبا كيرلس الثالث بن لَقلَق البابا الـ٧٥	٤٨٤
١٢٣٦	سفر البطر يرك أنبا كيرلس الثالث إلى دير أنبا مقار لعمل الميرون	٤٨٤
١٢٤٠	قانون تنظيم الأوقاف كما شرَّعه البابا كيرلس بن لقلق	٥٥٦
١٢٤١	تار يخ الميثاق الذي وضعه أنبا كيرلس بن لقلق على نفسه	٥٥٦
١٢٦٠—١٢٧٧	زمن حكم الظاهر بيبرس	٦٩٧

١٢٦٤	زيارة الملك الظاهر بيبرس لدير أنبا مقار	٤٨٤
١٢٥٠—١٢٦١	زمن بطريركية أنبا أثناسيوس الثالث البابا الـ٧٦	٦٨١ و٧٢٢
١٢٦٢—١٢٩٣	زمن بطريركية أنبا يؤنس السابع	
١٢٦٨—١٢٧١	البابا غبريال الثالث يُسام بطريركاً بدير أنبا مقار	٤٨٤
١٢٧٥	وجود كتبة مهرة بقلاية الدماهرة التابعة لدير أنبا مقار	٣٩٩
١٢٩٤—١٣٠٠	زمن بطريركية أنبا تاودوسيوس الثاني البابا الـ٧٩	
١٣٠٠—١٣٢٠	زمن بطريركية أنبا يؤنس الثامن البابا الـ٨٠	٤٨٦
١٣٠٥	زيارة البابا يؤنس الثامن لدير أنبا مقار	٤٨٦
١٣٠٥	سقوط قبة هيكل أنبا مقار	٤٨٩
١٣٢٠	زيارة الرحالة مار ينو سانيوتو	٤٩١
١٣٢٠—١٣٢٧	زمن بطريركية أنبا يؤنس التاسع البابا الـ٨١	
١٣٢١	خربت معظم كنائس القطر	٦٩٨
١٣٢٧—١٣٣٩	زمن بطريركية أنبا بنيامين الثاني الـ٨٢	٥٥٦
١٣٣٠	زيارة البابا بنيامين الثاني للدير ولصومعة أنبا بيشوي	٢٣٣ و٤٠٠ و٤٨٧
١٣٣٢	قيام أحد الرهبان بتصنيف مؤلفه الكنسي المشهور (التشريعات ـــ النوموكانون)	٥٤٣
١٣٤٠—١٣٤٨	زمن بطريركية أنبا بطرس الخامس البابا الـ٨٣	٤٨٩ و٦٩٣
١٣٤٠	زيارة البابا بطرس للدير	٤٨٩ و٦٩٣
١٣٤٦	الزيارة الثانية للبابا بطرس للدير	٤٨٩
١٣٤٦	المنشوبيات خارج الدير لا تزال عامرة	٤٩٠
١٣٤٦	كانت الأديرة مزدهرة عموماً	٤٩١
١٣٤٨—١٣٤٩	حلت كارثتان كبيرتان بالبلاد	٤٩١
١٣٤٨—١٣٦٣	زمن بطريركية أنبا مرقس الرابع البابا الـ٨٤	
١٣٦٣—١٣٦٩	زمن بطريركية أنبا يؤنس العاشر البابا الـ٨٥	
١٣٧٠—١٣٧٨	زمن بطريركية أنبا غبريال الرابع البابا الـ٨٦	٦٩٣
١٣٧٤	انتشار موجة طاعون أخرى بالبلاد	٤٩٢
١٣٧٨—١٤٠٩	زمن بطريركية البابا متى الكبير الشهير بالمسكين	٤٩٣ و٥٥٠
١٣٨٨	الخراب يعم البلاد حسب تقرير المقريزي	٤٩٢
١٤٠٩—١٤٢٧	زمن بطريركية أنبا غبريال الخامس البابا الـ٨٨	٦٩٠
١٤١٣	قل عدد رهبان أديرة وادي النطرون جداً	٤٩٤
١٤١٩	يقول كترمير عن المقريزي أن رأس مارمرقس سرقها أهل فينيسيا	(هامش ٤٦٨)
١٤٢٧—١٤٥٢	زمن بطريركية أنبا يؤنس الحادي عشر البابا الـ٨٩	
١٤٤١	دير يوحنا القصير به ٣ رهبان فقط	٤٩٤
١٤٥٢—١٤٦٥	زمن بطريركية أنبا متاؤس الثاني البابا الـ٩٠	
١٤٦٦—١٤٧٤	زمن بطريركية أنبا غبريال السادس البابا الـ٩١	
١٤٧٣	زيارة أنبا إغناطيوس البطريرك الأنطاكي للأديرة	هامش ٦١٥
١٤٨٠—١٤٨٢	زمن بطريركية أنبا يؤنس الثاني عشر البابا الـ٩٣	
١٤٨٤—١٥٢٤	زمن بطريركية أنبا يؤنس الثالث عشر البابا الـ٩٤	٤٩٤

١٥١٧	ز يارة البابا يوٌنس الـ٩٤ للدير	٦٢٠ و٦٩٣
١٥١٧	عمارة عابرة بدير أنبا مقار	٤٩٤
١٥١٧	تكر يس كنائس بدير أنبا مقار	٦٠٥
١٥١٧	الغزو التركي لمصر	٦٠٦
١٥١٧—١٨٠٠	لا نسمع عن أساقفة من دير أنبا مقار	٦٩١
١٥٢٥—١٥٦٨	زمن بطر يركية أنبا غبر يال السابع البابا الـ٩٥	
١٥٧١—١٥٨٦	زمن بطر يركية أنبا يوٌنس الرابع عشر البابا الـ٩٦	
١٦٥٦	شهادة سائح فرنسي عن دير أنبا مقار	٤٩٥
بداية القرن الـ١٨	السائح الفرنسي والمؤرخ سيكار يشاهد خرائب كنيسة بجوار دير البراموس	٢٢٢
١٧٠٦	ز يارة إلياس السمعاني لص المخطوطات لحساب مكتبة الفاتيكان	٥٦٣
١٧١٢	سيكار يصف الدير ورهبانه	٤٩٥
١٧١٥	العالم السمعاني يسرق مخطوطات سير الآباء من مكتبة الدير	٥٤٨
١٧١٥	تار يخ بناء القلالي الشرقية بجوار كنيسة أنبا مقار	٦٦٩
١٧٢٠	ربما يكون بناء كنيسة الشيوخ الشهداء الـ٤٩ الحالية بدير أنبا مقار في هذه السنة	٦٦٨
١٧٥١	يوسف سيمون السمعاني لص آخر للمخطوطات لحساب مكتبة الفاتيكان	٥٦٤
١٧٧٣	المعلم إبراهيم الجوهري هو الذي قام بإنشاء كنيسة الشيوخ على نفقته	هامش ٦٦٨
١٧٩٩	رحلة الجنرال أندر يوس لدير أنبا مقار	٤٩٧
١٨١٨	زمن مجيء دروفتي لص المخطوطات	٥٦٤
١٨٣٧	رحلة رو برت كيرزون لص المخطوطات لأديرة وادي النطرون	٤٩٧
١٨٣٨	رحلة السيدة بلاط وتاتام لأديرة وادي النطرون	٤٩٧
١٨٤٣	رحلة جاردنر و يلكنسون لأديرة وادي النطرون	٤٩٧
١٨٤٤	رحلة قسطنطين تيشندورف لص المخطوطات لوادي النطرون	٤٩٨ و٥٤٨ و٥٦٤
١٨٦٢—١٨٧٠	زمن بطر يركية أنبا ديمتر يوس الثاني البابا الـ١١١	
١٨٦٦	تار يخ صناعة حجاب هيكل كنيسة الشيوخ والهيكل الأوسط لكنيسة أباسخيرون	٦٥٩ و٦٦٧
١٨٦٦	تار يخ صناعة الجرس الضخم لكنيسة الدير	٤٩٩ و٦٣٠
١٨٧٣	زمن مجيء فورتيون لص المخطوطات	٥٦٥
١٨٨٤	رحلة بطلر للدير ومعاينته لعظام البطاركة	٦٠٢ و٦١٨ و٦٤٢
١٩٠٩—١٩٢٩	الصلاة معطلة في كنيسة أنبا مقار	٤٩٩
١٩٠٩—١٩١١	الفترة التي عمل فيها پالمر چونس كباحث في دير أنبا مقار	٣٩٠ و٦٥٣
١٩١١—١٩٢٩	بداية حركة الترميم والإصلاح الحديثة بدير أنبا مقار	٤٩٨
١٩١١—١٩١٢	بناء أكتاف لمدخل هيكل أنبا بنيامين في دير أنبا مقار	٦٣٠
١٩١١—١٩١٢	بناء بيت الضيافة والقلالي التي تجاوره بدير أنبا مقار	٦٦٩
١٩٢٠	الهياكل الضائعة هدمها ر بيتة مجنون بدير أنبا مقار	هامش ٦٢٢
١٩٢٠—١٩٢١	الفترة التي عمل فيها إڤلين هوايت ومساعدوه في دير أنبا مقار	٣٩٠ و٦٥٣
١٩٢٤	إڤلين هوايت يقدم كتابه للمطبعة عن أديرة وادي النطرون	٥٦٥
١٩٢٩	مباني جديدة وإصلاحات يجريها أنبا أبرآم مطران البلينا بالدير	هامش ٦٢٢
		هامش ٦٢٧ و٦٣٢

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
١٩٢٩	في ٢٧ برمهات أقيم أول قداس في كنيسة أنبا مقار بعد فترة الإنقطاع الطويلة	٤٩٩
١٩٣١	اشترى أنبا أبرآم ماكينة لرفع المياه بدير أنبا مقار	٥٠٠
١٩٤٦	تقبل أنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي موهبة الأسقفية وعُيِّن رئيساً وناظراً لدير أنبا مقار	٥٠٣
١٩٥٢	أقيمت حديقة موالح في الدير مكان المخبز	هامش ٦٧٤
١٩٥٣	أقام أنبا ميخائيل صهريجاً للمياه بدير أنبا مقار	
١٩٦٩	في ٩ مايو الموافق أول بشنس من هذه السنة التحق بالدير ١٢ راهباً من رهبان وادي الريان	٥٠١
١٩٦٩	في ١١ سبتمبر من هذه السنة بدأ حفر أساسات مشروع دير أنبا مقار الجديد	
١٩٧٠	في ٣ فبراير من هذه السنة بدء صب خرسانات الأساسات	
١٩٧٠	في ٧ أغسطس من هذه السنة بدء صب أول سقف لأول وحدة قلالي جديدة	
١٩٧١	في ٩ يوليو من هذه السنة كان الإنتهاء من صب جميع أسقف الدور الأول بالدير	
١٩٧١	(٢٢ أغسطس ـ عيد السيدة العذراء) وضع حجر أساس المكتبة الجديدة والهيكل الذي بها على اسم السيدة العذراء.	
١٩٧٢	(مارس) صب أساسات المائدة الجديدة.	
١٩٧٢	(مايو) صب أساسات المكتبة الجديدة.	
١٩٧٢	(ديسمبر) صب أساسات المنارة الجديدة.	
١٩٧٣	(فبراير) عمل طريق جديد يصل بين الدير والطريق الصحراوي مصر/إسكندرية، طوله خمسة كيلومترات، مما وفَّر على القادم للدير بالسيارة مسافة ٢٥ كيلومتراً كان يقطعها للوصول للدير عن طريق آخر دائري وعر.	
١٩٧٣	قدّم الدير طلباً لشراء ٣٠٠ فدان في الأراضي المتاخمة للدير بعد حوادث اعتداء بعض زراع البطيخ على الأراضي المحيطة بالدير، وصدور الأوامر من الدولة باعتبار هذه الأراضي حرماً لا يُمس للدير.	
١٩٧٣	(سبتمبر) الإنتهاء من صب أسقف قلالي الدور الثاني بالدير.	
١٩٧٣	(أكتوبر) وضع أساسات مباني المزرعة في الـ ٣٠٠ فدان شمال الدير وصب أول سقف بها.	
١٩٧٣	(نوفمبر) بدأ الدير في بناء استراحة للرهبان على الأرض التي يملكها الدير على الساحل الشمالي بوضع اليد عند الكيلو ٦٩ طريق الإسكندرية/مرسى مطروح.	
١٩٧٤	الإنتهاء من ترميم كنيسة الشهيد أباسخيرون، والبدء في ترميم الحصن القديم بالإشتراك مع الهيئة العامة للآثار المصرية.	
١٩٧٤	(يونيو) الإنتهاء من صب أسقف قلالي الدور الثالث بالدير.	
١٩٧٤	البدء بزراعة أرض الـ ٣٠٠ فدان بأشجار الجازورينا كمصدات للرياح وبعض أشجار نخيل من إدكو.	
١٩٧٤	استمرار العمل في بناء الورش والحظائر ومساكن العمال الزراعيين خارج الدير في الـ ٣٠٠ فدان.	
١٩٧٤	صار عدد الرهبان ٤٠ راهباً بعد أن كانوا ستة رهبان فقط سنة ١٩٦٩.	
١٩٧٥	(أبريل) البدء في إقامة وليمة الأغابي للرهبان في مائدة الدير الجديدة لأول مرة بعد انقطاع هذا التقليد الرهباني الأصيل لمئات السنين.	
١٩٧٥	البدء في ترميم كنيسة أنبا مقار بالإشتراك مع الهيئة العامة للآثار المصرية.	
١٩٧٥	(ديسمبر) حفر ترعتين بطول ٤٠٠ متراً وعرض ٨ أمتار وتسوية حوالي ١٠٠ فدان بآلات شركة سايبم الإيطالية التي كانت تعمل بالقرب من الدير وتطوعوا مشكورين بتقديم هذه الخدمة تمهيداً لزراعة ١٠٠٠ شجرة زيتون كالاماتا في الـ ٣٠٠ فدان شرقي الترعتين في الأرض التي تم تسويتها، وإحاطتها بخطوط من أشجار الجازورينا كمصدات للرياح.	
١٩٧٥	صار عدد الرهبان ٥٠ راهباً.	

١٩٧٦ اكتشاف مقبرة يوحنا المعمدان وأليشع النبي بجوار الحائط الشمالي لكنيسة أنبا مقار وأمام هيكل يوحنا المعمدان كما يذكر التقليد والمخطوطات ــ وذلك أثناء ترميم الكنيسة .

١٩٧٦ (أغسطس) تم فتح المقبرة واكتشاف الرفات والتعرف على وجود ١٢ هيكلاً عظمياً بخلاف نعش خشبي به جثمان كامل بالملابس الكهنوتية لأحد رؤساء الدير الذي ظل غير معروف لدينا إلى أن تم اكتشاف شخصيته فيما بعد وتبين أنه القمص يوسف المحرقي شقيق البابا ديمتريوس الثاني الـ١١١ (إرجع للنبذة التي أصدرها الدير عن هذا الكشف ــ نوفمبر ١٩٧٨).

١٩٧٦ (أغسطس) تجدد اعتداءات زراع البطيخ على أراضي الدير، وزيارة اللواء عبد الحليم حتاتة محافظ البحيرة للدير، وإشادته بالجهود المبذولة في تعمير الدير واستصلاح الأراضي الصحراوية بالجهود الذاتية .

١٩٧٦ (ديسمبر) حفر ثلاثة آبار مياه نقية صالحة للشرب بعمق ١٠٠ متراً في الـ٣٠٠ فدان بواسطة شركة مصر للبترول .

١٩٧٦ صار عدد الرهبان ٦٠ راهباً .

١٩٧٧ (٨ يناير) صدور قرار مجلس الوزراء في الوقائع الرسمية بتمليك الدير ٣٠٠ فدان في الأرض الصحراوية المحيطة بالدير بعقد بيع مسجل على أقساط بين محافظة البحيرة والدير.

١٩٧٧ سفر أحد رهبان الدير للخارج لشراء بعض المعدات اللازمة للزراعة واستصلاح الأرض .

١٩٧٧ (يونيو) طلب أنبا أرسانيوس أسقف المنيا اثنين من رهبان الدير لمعاونته في الخدمة وتلبية الدير لطلبه لمدة محددة .

١٩٧٧ (يوليو) سفر أربع رهبان للخدمة في أفريقيا (زائير وكينيا) بناء على طلب الكنيسة .

١٩٧٧ (أغسطس) استكمال مباني المزرعة ونقل العمال والورش وحظائر البهائم إليها لخدمة الأرض الزراعية ومحافظة على الهدوء الشامل بالدير.

١٩٧٧ (سبتمبر) اشتراك خمسة رهبان من الدير مع الرهبان الكاثوليك المسئولين عن كلية سان مارك بالإسكندرية للتدريس بالكلية تمهيداً لاستلام إدارتها بناء على طلب الكنيسة والمسئولين عن كلية سان مارك، وبموافقة وزارة التربية والتعليم، ثم انسحابهم في نهاية العام الدراسي بعد أن تبين عدم جدية المسئولين عن المدرسة في تسليم إدارتها لهم .

١٩٧٧ صار عدد الرهبان ٧٠ راهباً .

١٩٧٨ (فبراير) إهداء أحد الأحباء للدير أول آلة في مشروع المطبعة، وهي آلة للجمع التصويري، وكانت من أولى الآلات من هذا النوع في مصر التي صارت النواة الأولى لإنشاء مطبعة بالدير لطبع مطبوعات الدير ومجلة مرقس الشهرية .

١٩٧٨ (أبريل) بداية تجربة زراعة نوع جديد من التين الذي يصلح للتجفيف؛ استوردت عُقَله من كاليفورنيا بأمريكا .

١٩٧٨ تجربة زراعة بنجر السكر وبنجر العلف في أرض الدير ونجاح زراعتها لأول مرة في مصر، وتقديم النتائج للسيد الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذي أرسل السيد الوزير محمد حسب الله الكفراوي في ٢٣ أغسطس ١٩٧٨ لتشجيع الدير على مواصلة جهوده النافعة لخدمة البلاد، ولمعاينة التجربة على الطبيعة .

١٩٧٨ (٢٥ أغسطس ــ عيد القديس أنبا مقار) وصول خطاب رسمي من السيد وزير التعمير والإسكان واستصلاح الأراضي يتضمن تقدير السيد رئيس الجمهورية لمجهودات الدير في الزراعة، وصدور أوامره بإهداء الدير ١٠٠٠ فدان من الأراضي الصحراوية المحيطة بالدير لإستكمال التجارب الزراعية واستصلاحها بمعاونة وزارة التعمير التي أهدت للدير جرارين زراعيين وقامت بحفر بئر سعة ١٢ بوصة وبعمق ١٢٠ متراً لتوفير المياه اللازمة للزراعة .

١٩٧٨ (أغسطس) البدء في طبع مطبوعات الدير في المطبعة الجديدة الكائنة بالدير بعد وصول آلة الطبع الأوفست

الألمانية والمقص والدباسة لاستكمال خط الإنتاج في المطبعة.

١٩٧٨ الإستمرار في تربية البهائم للحصول على السماد الطبيعي خدمة للأرض المراد استصلاحها.

١٩٧٨ الإستمرار في زراعة الأعلاف لسد حاجة الإنتاج الحيواني.

١٩٧٨ استثمار أرض الـ ٣٠٠ فدان لانتاج البطيخ وأنواع أخرى من الشمام المستورد والطماطم مساهمة في مشروعات الأمن الغذائي.

١٩٧٨ (١٠ ديسمبر) قداسة البابا أنبا شنودة الثالث قام بتدشين كنيسة أنبا مقار بعد الإنتهاء من ترميمها وضم هيكل جديد لها باسم أنبا مقار والثلاثة فتية القديسين.

١٩٧٩ إنشاء محطة خاصة لتشحيم وصيانة المعدات الميكانيكية التي تعمل بمزرعة الدير.

١٩٧٩ إقامة مزرعة لتربية نوع جديد من الدواجن البياضة المستوردة من فرنسا ISA Brown

١٩٧٩ التوسع في زراعة النخيل ونوع جديد من الزيتون الأسباني.

١٩٧٩ (١٥ مايو) اشتراك الدير في معرض محافظة البحيرة للإنتاج الزراعي والحيواني في نكلا العنب، بدعوة من السيد الوزير حسين كامل دبوس محافظ البحيرة، والمقابلة الأولى للأب متى المسكين أب رهبان الدير مع السيد الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذي أشاد بجهود الدير في مجال الأمن الغذائي واستصلاح الأراضي، وأكّد على إهدائه الألف فدان للدير.

١٩٧٩ الإنتهاء من ترميم كنيسة الـ٤٩ شهيداً شيوخ شيهات.

١٩٧٩ ذهاب ثلاثة رهبان للخدمة في إيبارشية أسيوط لمدة محددة تلبية لطلب نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير.

١٩٧٩ صار عدد الرهبان حوالي ٨٠ راهباً

١٩٨٠ الإنتهاء من ترميم الحصن القديم.

١٩٨٠ الإنتهاء من تشييد المنارة الجديدة.

١٩٨٠ إقامة مطبخ جديد بالدير مجهز بأحدث المعدات الآلية تسهيلاً لمهمة إعداد الطعام للرهبان والعمال والضيوف بطريقة صحية.

١٩٨٠ الإستمرار في زراعة الزيتون والنخيل والبطيخ وأنواع جديدة من الخضروات.

١٩٨٠ (أول يونيو) صدور قرار مجلس الوزراء في الجريدة الرسمية بتمليك الدير أرض الساحل الشمالي عند الكيلو ٦٩ ومساحتها ١٢٦٥٠٠ متراً مربعاً.

١٩٨٠ (أغسطس) سفر أحد رهبان الدير إلى كينيا لحضور دورة دراسية في الإخراج الفني لطباعة الكتب والمجلات.

١٩٨١ (يوليو) نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير قام بتكريس مكتبة بولس الرسول وهيكل السيدة العذراء الملحق بالمكتبة الجديدة.

١٩٨١ (سبتمبر) وصول ماكينة التطبيق المهداة للدير لاستكمال خط الإنتاج بمطبعة الدير.

١٩٨١ سفر أحد الرهبان للخارج لشراء سلالات جديدة ممتازة من الأبقار والأغنام الألمانية لتكميل القيام بتجربة التهجين مع الأبقار والأغنام المصرية لتحسين السلالات والمساهمة في حل مشاكل الأمن الغذائي.

١٩٨١ (مايو) سفر أحد رهبان الدير لحضور دورة دراسية في أوغندا لدراسة فنون الإنتاج الطباعي.

١٩٨٢ (مارس) تركيب آلة الحليب الآلي لحلب ١٦ بقرة في وقت واحد بمعاونة أجهزة التحكم الإلكتروني، من شركة وستفاليا بألمانيا الغربية.

١٩٨٢ سفر أحد رهبان الدير للخارج لشراء آلات أخرى لازمة للنشاط الزراعي والإنتاج الحيواني، وسلالات أخرى من الأبقار الألمانية.

١٩٨٢ البدء في إنشاء محطة تربية دواجن بياضة آلية مفتوحة طاقتها ١٢ مليون بيضة سنوياً، للمشاركة في مشاريع الأمن الغذائي والصرف على احتياجات الدير.

١٩٨٢ (نوفبر) صدور أمر السيد رئيس الجمهورية محمد حسني مبارك بسفلتة الطريق المؤدي للدير من الطريق الصحراوي (وطوله ٥ كيلومترات).

١٩٨٢ (نوفبر) سفر أحد رهبان الدير إلى تنزانيا لحضور دورة دراسية عن حسابات دور النشر والمطابع.

١٩٨٢ صار عدد الرهبان ٩٠ راهباً.

١٩٨٣ (فبراير) الإنتهاء من سفلتة الطريق المؤدي للدير بواسطة شركة النيل العامة لإنشاء الطرق، ونشر تلغراف الشكر المقدم من أب الدير للسيد رئيس الجمهورية في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٨٣.

١٩٨٣ (فبراير) الإستمرار في زراعة أنواع منتقاة من النخيل والزيتون.

١٩٨٣ (١٨ مايو) وصول أول دفعة من الكتاكيت الفرنسية (إيصا براون) لمحطة الدواجن الآلية (١٨ ألف كتكوت) و بدء العمل بالمحطة.

١٩٨٣ إنشاء محطة كهرباء جديدة متوسطة بين الدير والمزرعة لتغطية احتياجات المشروعات التي يقوم بها الدير.

١٩٨٣ (٢١ يوليو) زيارة السيد الوزير المهندس محمد حسب الله الكفراوي مع السيد الوزير الدكتور إبراهيم بدران للدير لتأكيد استمرار الوزارة في تعضيد الدير على مواصلة جهوده البناءة في استزراع الأرض.

١٩٨٣ (١٩ أغسطس) زيارة السيد الوزير الدكتور يوسف والي وزير الزراعة والأمن الغذائي للدير، وإشادته بمجهودات الدير في استصلاح الأرض والإنتاج الحيواني، ووعده بمواصلة التعاون وإعتبار الدير مزرعة للتجارب الذي تشرف عليه الوزارة.

١٩٨٣ (٣١ أغسطس) سفر ثلاثة من رهبان الدير للخارج لدراسة أحدث الطرق في الإنتاج الحيواني والتهجين وصيانة المعدات الميكانيكية.

١٩٨٣ (١٢ سبتمبر ــ أول توت ١٧٠٠ ش) الإنتهاء من تجميع هذا الكتاب.

(ب) ثبت تاريخي للقديس مقاريوس الكبير

السنة	الحدث
٣٠٠	ميلاده
٣٣٠	بداية توحده
٣٤٠	رسامته قساً
٣٤٠	انطلاق مقاريوس إلى برية شيهيت بقيادة الشاروبيم
٣٤٣	زيارته الأولى للقديس أنطونيوس
٣٥٣	الزيارة الثانية للقديس أنطونيوس
٣٦٠	مقاريوس بمفرده على الصخرة المعروفة باسمه
٣٧٣	نفي القديس مقاريوس إلى جزيرة بالدلتا
٣٧٥	عودته من المنفى
٣٨٥	نزوح مقاريوس إلى منطقة دير أنبا مقار
٣٩٠	نياحة مقاريوس في برمهات من هذه السنة
٤٨٠ — ٧٩٣	ظل جسد مقاريوس خارج الدير

تذكارات وأعياد القديس

١٣	برمهات	عودته من المنفى
٢٧	برمهات	نياحة القديس مقاريوس
١٩	مسرى	إعادة جسده إلى ديره في شيهيت
٨	طوبة	تذكار تكريس كنيسته على يد البابا بنيامين البطريرك الـ٣٨
١٠	طوبة	تذكار تدشين الكنيسة التي بناها وهو في المنفى بعد تعميده أهل الجزيرة

(جـ) ثبت تاريخي لحياة القديسين

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
أبرام (رفيق جورجي)	٦٠٨—٦٩٣م	٦٤٢م تتلمذ لأنبا يؤنس قص شيهيت	جال سائحاً في جبل أريون، فتقابل مع أنبا جورجي	قلايتها مزار مشهور للبطاركة ومعروفة بإسم «بيجيج»، تلمذ كثيرين	٩ طوبة
أبوليناريا (راهبة)	ق ٤ و٥م	أواخر ق ٤ م، وتتلمذت على أنبا مقار الكبير	جاءت من بلاد الرومان إلى أورشليم، ثم الإسكندرية، ثم شيهيت	بنيت كنيسة على إسمها شرقي كنيسة أنبا مقار	تعيد لها الكنيسة اليونانية في ٥ يناير
أبيماخوس	٦٥٠—٧٥٠م	٦٦٨م تتلمذ لأنبا يؤنس قص شيهيت	رُسم قصاً على دير العذراء في تنيس سنة ٧٤٤م، ثم أسقفاً على البيلوز يوم (الفرما)		
أرسانيوس	٣٥٤—٤٤٩م	٣٩٤م تتلمذ لأنبا يؤنس القصير في شيهيت	من روما إلى الإسكندرية ثم شيهيت سنة ٣٩٤م، ومن شيهيت إلى طرة سنة ٤٣٤م، ومن طرة إلى كانوب سنة ٤٤٤م، ثم عاد إلى طرة سنة ٤٤٧م		١٣ بشنس
إسحق البابا الـ ٤١	٦٣٤—٦٨٧م	٦٥٢م تتلمذ لأنبا زكريا أسقف صا في شيهيت	ذهب إلى ترنوط، ثم جبل باماهو، ثم عاد إلى شيهيت	توحد في قلاية الدنشتيري، ورُسم بطريركاً في الفترة من ٦٧٤—٦٨٧م	٩ هاتور

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته: رهبنته	أهم أحداث حياته: تنقلاته	أهم أحداث حياته: أحداث أخرى	تذكاره في الكنيسة
إسحق قس القلالي	٣٥٠—٤٤٠م	٣٧٠م تتلمذ لأنبا كرونيوس في نتريا	نُفي إلى فلسطين سنة ٤٠٠م، وعاد لنتريا سنة ٤٠٣م	خلف كرونيوس في رئاسة نتريا سنة ٣٩٥م	١٩ بشنس
إسحق قس شيهيت	٣٥٠—٤٠٨م	٣٥٧م تتلمذ لأنبا مقار الكبير	نُفي إلى فلسطين سنة ٤٠٠م، ورُسم قساً بعد عودته سنة ٤٠٣م		
إشعياء الأسقيطي	٣٣٧—٤٤٧م	٣٥٥م تتلمذ لأنبا أخيلس، من أولاد أنبا مقار	مضى إلى نصيبين سنة ٤٠٧م مع تلاميذه	من رؤساء شيهيت	١١ أبيب
أغاثون العمودي	٦٣٨—٧٢٨م	٦٧٨م تتلمذ على أبرآم وجَورجي	عاش في شيهيت ١٠ سنوات، ثم عاش عيشة العموديين قرب سخا خمسين سنة		١٤ توت
آمون الكبير	٢٧٥—٣٤٠م	٣١٥م اعتزل العالم في نتريا		أول متوحدي نتريا	٢٠ بشنس
أمونيوس الأسقف	٣٣٦—٤٣٠م	٣٥٣م في دير باخوم وتتلمذ لأنبا تادرس الذي نصحه بالذهاب لنتريا	انتقل من طبانسين إلى نتريا سنة ٣٥٥م، ورسم أسقفاً سنة ٣٦٩م على هرموبوليس، ونُفي سنة ٣٧٣، وترك الأسقفية وعاد إلى نتريا سنة ٤٠٣م		

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته: رهبنته	أهم أحداث حياته: تنقلاته	أهم أحداث حياته: أحداث أخرى	تذكاره في الكنيسة
أمونيوس الطويل	٣٤٠—٤٠٣م	٣٦٠م في نتريا	التجأ إلى القديس يوحنا ذهبي الفم في القسطنطينية سنة ٤٠٠م	من الإخوة الطوال الذين اضطهدهم ثاوفيلس البابا الـ٢٣	
أموي	القرن الرابع	تتلمذ على الأب بيشو في نتريا	انتقل إلى شيهيت وتتلمذ لأنبا مقار	الأب الروحي لأنبا يوحنا القصير و بيشوي	
أناستاسيا (راهبة)	؟ —٥٧٦	٥٤٨م تتلمذت لأنبا دانيال قمص شيهيت	جاءت من القسطنطينية سنة ٥٣٦ هاربة مع ساويرس الأنطاكي	عمرت ديراً في غرب الإسكندرية	٢٦ طوبة
أنطونيوس الكبير	٢٥١—٣٥٦م	٢٧١م خرج من العالم	٢٨٥م عبوره لمنطقة بسبير شرق النيل ٢٨٩م توغل في الصحراء الشرقية	٣٠٥م قامت أول جماعة رهبانية بقيادته	٢٢ طوبة
إيسيذوروس القس	القرن الرابع	قبل ٣٤٠م	من أوائل المرافقين لأنبا مقار الكبير	قس شيهيت والأب الروحي لأنبا موسى الأسود	
إيسيذوروس المعلم (البيلوز يومي)	تنيح سنة ٤٥٠م	ترهبن في الصعيد	انتقل إلى نتريا ثم تنسك في البيلوز يوم (الفرما)	ترك ٢٠٠٠ رسالة في الإرشاد الروحي	١٠ أمشير
إيسيذوروس المعترف	القرن الرابع	من رهبان نتريا الأوائل	صار أسقفاً على هرموبوليس بارفا (دمنهور)	نُفي إلى مدينة نيوقيصرية أيام ڤالنس الأريوسي	

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
إيسيذوروس صاحب بيت الضيافة	٣١٨—٤٠٣م	تتلمذ لآمون الكبير في نتريا	رافق أثناسيوس لروما سنة ٣٤١، ونفي سنة ٣٧٣م، ثم أرسله ثاوفيلس لروما	جعله أثناسيوس على بيت الضيافة بالإسكندرية	
إيلاريا (راهبة)	القرن الخامس	في النصف الثاني من ق ٥ م تتلمذت على الأب بامو في شيهيت	جاءت متخفية في زي رجل من القسطنطينية إلى شيهيت	يُظن أنها إبنة الملك زينون	٢١ طوبة
باخوميوس الكبير	٢٩٠—٣٤٦م	٣١٠م تتلمذ للأب بلامون بالصعيد	انتقل إلى طبانسين وأنشأ أديرة الشركة		١٤ بشنس
بافنوتيوس	٣٠٩—٣٩٩م	تتلمذ أولاً على أنبا أنطونيوس الكبير ثم على أنبا مقاريوس	انتقل مع أنبا مقار إلى منطقة دير أنبا مقار	رُسم قساً سنة ٣٥٥م، وصار رئيساً لشيهيت بعد نياحة معلمه	١٥ أمشير
بامو	أوائل ق ٤ م حتى ٣٧٣م	في سن مبكر تتلمذ لأنبا آمون الكبير	دعاه أثناسيوس ليقاوم الأريوسيين في الإسكندرية	قدم قساً سنة ٣٤٠م	

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
بنيامين البابا ٣٨	؟ — ٦٦٢م	في ديـر قـبـريـوس بجـوار الإسكندرية	عين سكرتيراً للبابا أندرونيكوس الـ٣٧، ثم خلفه، واختفى من كرسيه عشر سنوات متنقلاً في البلاد	زار دير أنبا مقار ودشن هيكل بنيامين	٨ طوبة
بولا أول السواح	٢٣٤—٣٤١م	خرج من العالم سنة ٢٥٠م معتزلاً في الصحراء الشرقية		زاره أنبا أنطونيوس الكبير سنة ٣٤١م	٢ أمشير
بولا الطموهي	القرن الرابع وأوائل الخامس	ترهبن في جبل أنْصِنا		تقابل مع أنبا بيشوي الكبير في جبل أنْصِنا	٧ بابة
بيشوي الكبير	٣٢٠—٤١٧م	٣٤٠م تتلمذ لأنبا أموي في شيهيت	غادر شيهيت إلى جبل أنْصِنا سنة ٤٠٧م	مؤسس دير أنبا بيشوي في برية أنبا مقار الكبير	٨ أبيب
بيمن	٣٧٠—٤٦٠م	٣٩٠م تتلمذ لأنبا مقار	نزل إلى الطرانة ومنف والصعيد بعد الغارات الثلاث الكبرى	ترهبن هو وإخوته السبعة	٤ النسي
بيئور	؟ — ٣٦٠م	٣٢٥م تتلمذ لأنبا أنطونيوس الكبير	ارتحل لنتريا سنة ٣٣٠م، زار أخته سنة ٣٥٥م دون أن يفتح عينيه		

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
ثيئوذور البرامي	٣٢٠—٤١٠م	٣٤٠م من أول المرافقين لأنبا مقار	ترك شيهيت إلى بيراما سنة ٤٠٧م		
ثيئوذور التبايسي	ق ٤ م	ترهبن بأديرة باخوم	انتقل إلى نتريا		٢ بشنس
ثيئودوروس	ق ٤ م	تتلمذ لآمون الكبير في نتريا		عاش مع أنبا أور في شركة	
جورجي (رفيق أبرآم)	٦٢٢—٦٩٤م	٦٤٢م في جبل أوريون	انتقل إلى برية شيهيت بعد تقابله مع أنبا أبرآم	قلايتها مزار للبطاركة، وتلمذ كثيرين	١٨ بشنس
خائيل الأول البابا الـ٤٦	؟ —٧٦٥م	ترهبن في دير أنبا أنطونيوس ثم انتقل إلى دير مقاريوس وتتلمذ لأبرآم وجورجي	رُسم بطريركاً ٧٤٣م	زمن بطريركيته ٧٤٣—٧٦٥م	١٦ برمهات
دانيال قمص شيهيت	٤٨٥—٥٧٠م	بداية القرن السادس في شيهيت	سفره لروما والقسطنطينية وأفسس وأورشليم وأنطاكية	أسره البربر ثلاث مرات، وعُيِّن سنة ٥٣٥م قمصاً على شيهيت	٨ بشنس
زخارياس البابا الـ٦٤	؟ —١٠٣٢م		أقام بدير أنبا مقار أثناء اضطهاد الحاكم بأمر الله	زمن بطريركيته ١٠٠٤—١٠٣٢م، أحضر رأس مارمرقس لدير أنبا مقار، و بنى هيكلاً بإسمه وآخر بإسم أنبا مقار	١٨ بشنس

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
زكريا أسقف سخا	؟ — ٧٢٥م	٦٨٠م ترهبن في شيهيت وتتلمذ لأبرآم وجورجي	سيم أسقفاً سنة ٦٩٥م	مؤلف كنسي	٢١ أمشير
زكريا أسقف صا	؟ — ٦٨٤م	٦٤٢م ترهبن في شيهيت وتتلمذ ليؤنس قص شيهيت	سيم أسقفاً على عهد البابا يوحنا الـ ٤٠، وهو الأب الروحي لأنبا إسحق البابا الـ ٤١	عين قصاً على شيهيت سنة ٦٧٥م وقام ببناء دير أنبا زكريا المتاخم لدير أنبا مقار	
زكريا بن كيريون	ق ٤ م	تربى وهو طفل في برية شيهيت			١٣ بابة
سلوانس	ق ٤ وأوائل ٥ م	تتلمذ على أنبا مقار في شيهيت	ترك شيهيت سنة ٤٠٧م إلى سيناء ثم عاد إلى شيهيت حيث أكمل جهاده فيها	أب لجماعة كبيرة من الرهبان	أول برمودة
سيرابيون الكبير	ق ٤ م	تتلمذ لأنبا أنطونيوس الكبير ثم رافق أنبا مقار في شيهيت	انتقل من بسبير إلى شيهيت	ضمن الآباء الرؤوس الذين وضعوا قانون الرهبنة وهو كاتب سيرة أنبا مقار	
سيرابيون الأسقف والمعلم (المعترف)	؟ — ٣٧٠م	ترهبن في الصعيد	رُسم قبل سنة ٣٣٩م أسقفاً على تمي الأمديد	كان أباً لجماعة رهبانية في الصعيد وتألم من أجل الإيمان	٢١ مارس

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
سيرابيون السباني	؟ — ٤٠٠م	ترهبن في شيهيت ؟	جال مبشراً في البلاد، وسافر إلى أثينا وروما، ثم عاد إلى أديرة أنبا باخوميوس	تابت تاييس على يديه	
شنودة رئيس المتوحدين	ق ٤ و ٥ م	تتلمذ لأنبا بيجول خاله في الدير الأحمر بسوهاج	سافر مع البابا كيرلس الكبير لحضور مجمع أفسس	زار دير أنبا مقار نحو سنة ٤٣١م	٧ أبيب
شنودة الأول البابا الـ ٥٥	؟ — ٨٨٠م	ترهبن بدير أنبا مقار	صار بطريركاً من سنة ٨٥٩ إلى سنة ٨٨٠م	بنى أول أسوار مرتفعة لدير أنبا مقار	٢٤ برمودة
شيشوي	٣٢٠ — ٤٣٠م	٣٤٠م ترهبن في شيهيت ورافق أنبا مقار الكبير	٣٥٦م انتقل إلى جبل أنطونيوس حتى ٤٢٦م حيث عاد إلى شيهيت	٤٣٠م عاد إلى المجمع بسبب شيخوخته	
صموئيل المعترف	٥٩٧ — ٦٩٦م	٦١٩م ترهبن بدير أنبا مقار وتتلمذ لأنبا أغاثون	غادر شيهيت إلى القلمون وأسره البربر إلى ليبيا	تألم من أجل الإيمان وفُقئت إحدى عينيه	٨ كيهك
كرونيوس	٢٨٥ — ٣٩٥م	ترهبن في أحد أديرة الإسكندرية	هرب من ديره إلى الأب أنطونيوس في بسبير، ثم إلى الإسكندرية، ثم إلى نتريا	كان أباً لمائتي راهب ومُعيناً لآمون الكبير	

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
كيرلس الكبير البابا الـ٢٤	؟ —٤٤٤م	بدير أنبا مقار	صار بطريركاً سنة ٤١٢م حتى سنة ٤٤٤م، وحضر مجمع أفسس سنة ٤٣١م	لاهوتي كبير، وضع مقدمة قانون الإيمان، وحارب بدعة نسطور	٣أبيب
كيرلس الثاني البابا الـ٦٧	؟ —١٠٩٢م	ترهبن بدير أنبا مقار	صار بطريركاً من سنة ١٠٧٨ — ١٠٩٢م	أوقف أموالاً للدير من بعض كراسي الأساقفة	١٢ بؤونة
مقار يوس الكبير	٣٠٠—٣٩٠م	أنظر الثبت التاريخي الخاص به في جدول رقم (ب)			
مقار يوس أسقف إدكاو	ق ٥ م		حضر مجمع خلقيدونية مع أنبا ديسقوروس البابا الـ٢٥	أحد الثلاث مقارات القديسين، استشهد من أجل الإيمان	٢٧ بابة
مقار يوس الإسكندراني	٢٩٦—٣٩٤م	٣٣٥م ترهبن في نتريا	٣٧٣م انتقل من نتريا إلى القلالي ونُفي مع أنبا مقار يوس إلى جزيرة بالدلتا، ٣٧٥م عاد إلى البرية	زار أديرة أنبا باخوم في طبانسين وكان أباً للقلالي في أيام أنبا مقار	٦بشنس
مكسيموس ودوماديوس	؟ —٣٨٣م	ترهبا في فلسطين ثم جاءا إلى شيهيت وتتلمذا لأنبا مقار الكبير	من بلاد الروم إلى فلسطين ثم إلى شيهيت		١٤ و١٧ طوبة

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته: رهبنته	أهم أحداث حياته: تنقلاته	أهم أحداث حياته: أحداث أخرى	تذكاره في الكنيسة
موسى الأسود	٣٣٢—٤٠٧م	٣٦٥م في شيهيت وتتلمذ لإيسيذوروس القس تلميذ أنبا مقار		استشهد في غارة البربر الأولى	٢٤ بؤونة
مينا أسقف تمي الأمديد	٦٧٣—٧٦٨م	ترهب في دير أنبا أنطونيوس، ثم انتقل إلى دير أنبا مقار سنة ٦٩٠م		كان تلميذاً لأنبا أبرآم وجورجي، وسيم أسقفاً في عهد البابا سمعان الأول	٧ هاتور
يعقوب البابا الـ ٥٠	؟ — ٨٣٠م	ترهبن بدير أنبا مقار	توجه إلى الصعيد سنة ٨١٧، ثم عاد إلى ديره بعد رؤ يا	مدة بطر يركيته ٨١٩— ٨٣٠م	١٤ أمشير
يوحنا الرابع	؟ — ٧٩٩م	ترهبن بدير أنبا مقار	صار بطر يركاً ٧٧٧— ٧٩٩م	في عهده تم نقل جسد أنبا مقار إلى ديره سنة ٧٩٣م	١٦ طوبة
يوحنا القصير	٣٣٩— ٤٠٩م	٣٥٧م ترهبن ببر ية شيهيت وتتلمذ لأنبا أموي	قصد جبل القلزم بعد غارة البربر سنة ٤٠٧م	سنة ٣٧٤م بدء توحده، سنة ٣٨٠ — ٣٨٥ تأسيس ديره	٢٠ بابة
يوحنا قمص شيهيت	٥٨٥— ٦٧٥م	٦٠٣م ترهبن بدير أنبا مقار	وقع في أسر البربر ثلاث مرات آخرها سنة ٦٣١م	أقيم قمصاً على شيهيت سنة ٦٤١م، اضطلع ببناء كنيسة أنبا مقار التي دشنها البابا بنيامين الـ٣٨	٣٠ كيهك

الإسم	ميلاده ونياحته	أهم أحداث حياته			تذكاره في الكنيسة
		رهبنته	تنقلاته	أحداث أخرى	
يوحنا كاما	؟ —٨٥٨م	ترهب في شيهيت	زار بعض أديرة الصعيد	صار أباً لـ ٣٠٠ راهباً	٢٥ كيهك
يوساب البابا الـ٥٢	؟ —٨٤٩م	ترهب في دير أنبا مقار	صار بطريركاً من ٨٣١—٨٤٩م	بنى كنيسة جديدة شرقي دير أنبا مقار سنة ٨٣٥م، وكرس كنيسة الآباء التلاميذ سنة ٨٤٧م	٢٣ بابة
يوسف الكبير	٣٢٠—٤١٠م	جاء به أبوه إلى البرية بعد الفطام مباشرة	تتلمذ لأنبا أنطونيوس ولأنبا مقاريوس، سنة ٤٠٧م ترك شيهيت إلى سيناء ثم عاد إليها	أب كبير تسبب في إعادة الحياة الرهبانية الحارة للبرية	١٧ يونيو

الثبت الجغرافي

□ □ □

حرف «ب»

حرف «ح»

حرف «خ»

حرف «د»

حرف «هـ»

حرف «و»

حرف «ي»

ثبت بأسماء الأعلام

□□□

حرف «ت»

حرف «ث»

حرف «ج»

حرف «ح»

حرف «خ»

حرف «د»

حرف «ذ»

حرف «ر»

حرف «ز»

حرف «س»

حرف «ش»

حرف «ص»

حرف «ن»

حرف «هـ»

حرف «و»

حرف «ي»

ثبت الفضائل والروحيات والمواهب

□□□

ثانياً: الجداول

١ ــ جدول الغارات على برية شيهيت

الغارة	تاريخها	مدى تأثيرها	الصفحات
الأولى للبربر	٤٠٧م	تدمير الأربع الكنائس التي في الأديرة وترك الرهبان لأديرتهم، واستشهاد أنبا موسى الأسود، وتكوين تجمعات رهبانية جديدة في القلزم، وأنصنا و برما (منف) ونصيبين وسينا.	٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣٩ و٢٤١ و٢٦٥ و٢٧٨ و٢٩٦ و٢٩٩ و٣٠٨ و٣٩٤
الثانية للبربر	٤٣٤م	تخريب الأديرة وترك بعض الرهبان للبرية ونشأة تجمعات جديدة مثل جبل طرة.	٣٠٨ و٣٩٤ و٥٣٢
الثالثة للبربر	٤٤٤م	استشهاد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهات ونهب الأديرة.	٤٠٥
الرابعة للبربر	٥٧٠م حتى ٦٢٠م	ظل البربر خمسين سنة محيطين بالأديرة يعاودون النهب والسلب، فتوقف ازدهار الرهبنة، وتهدمت كنيسة أنبا مقار، وكنيسة أريستوماخس وفي نهايتها أسر أنبا يونس قمص شيهيت وأنبا صموئيل المعترف.	٣٩٧ و٤١٥ و٤١٩ و٤٣١
الخامسة للبربر	٨١٧م	تخريب عام ونهب جميع الأديرة وإحراق الكنائس والمنشوبيات وهروب واستشهاد كثير من الرهبان.	٤٠١ و٤٥٤ و٥٣٢ ٦٣٩
السادسة للنوماتيين	٨٦٦م	نهب وسلب الأديرة، وخروج البابا شنودة الأول إليهم وارتدادهم وتعلية أسوار دير أنبا مقار.	٤٥٨
السابعة للواتيين	١٠٦٩م	نهب الأديرة وقتل الرهبان.	٤٠١ و٤٧١

٢ ــ جدول تعداد الرهبان في برية شيهيت على مدى العصور

أولاً: بالأديرة الأربعة الأولى (البراموس، أنبا مقار، أنبا يحنس القصير، أنبا بيشوي).

السنة	عدد الرهبان	الصفحة	المراجع الأخرى
+ قبل ٣٩٠م (أيام أنبا مقار)	٢٤٠٠	٤٠٠	بستان الرهبان عربي
+ منتصف القرن السادس الميلادي	٣٥٠٠	٤٢٨	H.N.S., II., III, ch. 2,3

ثانياً: بالأديرة المعاصرة لموهوب بن منصور (١٠٨٨م)

٤٠٠ راهباً بدير أنبا مقار (ص٤٨٣) — تاريخ البطاركة مجلد ثاني جزء٢ ص ١٦٠
١٦٥ راهباً دير أنبا يحنس القصير — مخطوط تاريخ البطاركة لأنبا يوساب أسقف فوه
٦٠ راهباً دير السريان — مخطوط الكنائس والأديرة لأبو المكارم Fol. 68, R
٤٠ راهباً دير أنبا بيشوي
٢٥ راهباً دير أنبا يحنس كامى
٢٠ راهباً دير البراموس
٢ راهبين مغارة أنبا موسى

٧١٢ راهباً

ثالثاً: إحصائية أبو المكارم سنة ١١٧٩م لرهبان دير أنبا مقار ١٠٠٠ راهباً بالدير والمنشوبيات المحيطة.

رابعاً: تاريخ المقريزي (توفى سنة ١٤٤١م) يؤرخ للعصور المزدهرة للرهبنة قبل منتصف القرن الرابع عشر.

١٥٠٠ راهباً بدير أنبا مقار (حسب تقديره).

أما في زمنه فلم يبقَ سوى عدد صغير في دير أنبا مقار (ص٤٩٢) وثلاثة رهبان فقط في دير يحنس القصير وراهب واحد فقط في دير السريان.

أما أديرة يوحنا كاما والأحباش والأرمن فقد تهدمت (ص٤٩٤).

خامساً: سنة ١٥١٦م عن مخطوط بدير السريان بأن عدد رهبان هذا الدير كان ١٨ راهباً من السريان و٢٥ راهباً قبطياً.

سادساً: تقارير الرحالة الأجانب وغيرهم عن حالة الأديرة الأربعة ابتداء من القرن السابع عشر:

السنة	اسم الرحالة	دير أنبا مقار	دير أنبا بيشوي	دير السريان	دير البراموس	المجموع	الصفحة
١٦٨١	هنتنجتون	لم يذكر تعداد هذه الأديرة			٢٥	٢٥	
١٧١٢	سيكار	٤	٤	١٥	١٢	٣٥	
١٧٩٩	أندريوس	٢٠	١٢	١٨	٩	٥٩	
١٨٣٧	كيرزون	٤	٣	يقطنه الأحباش	٢ أو ٣	١٠	٤٩٧
١٨٤٣	ويلكسون	٢٢	١٣	٣٠	٧	٧٧	
١٨٤٤	تشندورف	١٥	٤	—	٢٠	٣٩	
١٨٩٧	عن كتاب اللؤلؤة البهية	٣٠	٢٥	٤٠	٥٥	١٥٠	
١٩٠٦	عن تقرير لجنة البطريركية	٣١	١٦	١٨	٢٠	٨٥	
١٩٢٤		٤٠	٣٥	٥٨	٦٨	٢٠١	

٣ ـ جدول للبطاركة الذين تخرجوا من دير أنبا مقار

	الإسم	ترتيب خلافته	مدة بطريركيته	الدولة المعاصرة	مكان دفنه
١	كيرلس الأول	٢٤	٤١٢ ـ ٤٤٤م	الروم البيزنطيين	المرقسية بالإسكندرية
٢	يوحنا الأول	٢٩	٤٩٦ ـ ٥٠٥	الروم البيزنطيين	المرقسية بالإسكندرية
٣	يوحنا الثالث	٤٠	٦٨٠ ـ ٦٨٩	الأمويون	المرقسية بالإسكندرية
٤	إسحق	٤١	٦٩٠ ـ ٦٩٢	الأمويون	المرقسية بالإسكندرية
٥	قسما الأول	٤٤	٧٢٩ ـ ٧٣٠	الأمويون	المرقسية بالإسكندرية
٦	خائيل الأول	٤٦	٧٤٣ ـ ٧٦٧	الأمويون ثم العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
٧	مينا الأول	٤٧	٧٦٧ ـ ٧٧٦	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
٨	يوحنا الرابع	٤٨	٧٧٧ ـ ٧٩٩	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
٩	مرقس الثاني	٤٩	٧٩٩ ـ ٨١٩	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
١٠	ياكوبوس	٥٠	٨١٩ ـ ٨٣٠	العباسيون	تيدا (كفر الشيخ)
١١	سيمون الثاني	٥١	٨٣٠ ـ ٨٣٠	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
١٢	يوساب الأول	٥٢	٨٣١ ـ ٨٤٩	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
١٣	قسما الثاني	٥٤	٨٥١ ـ ٨٥٨	العباسيون	بيعة القديس بطليموس بدنوشر مركز المحلة
١٤	شنودة الأول	٥٥	٨٥٩ ـ ٨٨٠	العباسيون	المرقسية بالإسكندرية
١٥	خائيل الثالث	٥٦	٨٨٠ ـ ٩٠٧	الطولونيون	أبو مقار
١٦	غبريال الأول	٥٧	٩٠٩ ـ ٩٢٠	العباسيون	أبو مقار
١٧	مكاريوس الأول	٥٩	٩٣٢ ـ ٩٥٢	الأخشيديون	أبو مقار
١٨	مينا الثاني	٦١	٩٥٦ ـ ٩٧٤	الأخشيديون ثم الفاطميون	محلة دانيال (غربية)
١٩	فيلوثاؤس	٦٣	٩٧٩ ـ ١٠٠٣	الفاطميون	سخا
٢٠	شنودة الثاني	٦٥	١٠٣٢ ـ ١٠٤٦	الفاطميون	سخا
٢١	كيرلس الثاني	٦٧	١٠٧٨ ـ ١٠٩٢	الفاطميون	أبو مقار
٢٢	ميخائيل الثاني	٦٨	١٠٩٢ ـ ١١٠٢	الفاطميون	أبو مقار
٢٣	مكاريوس الثاني	٦٩	١١٠٢ ـ ١١٢٨	الفاطميون	أبو مقار
٢٤	ميخائيل الثالث	٧١	١١٤٥ ـ ١١٤٦	الفاطميون	أبو مقار
٢٥	أثناسيوس الثالث	٧٦	١٢٥٠ ـ ١٢٦١	المماليك البحرية	أبو سيفين بمصر القديمة
٢٦	بطرس الخامس	٨٣	١٣٤٠ ـ ١٣٤٨	المماليك البحرية	الحبش بمصر القديمة
٢٧	مرقس الخامس	٩٨	١٦٠٣ ـ ١٦١٩	العثمانيون	أبو مقار
٢٨	متاؤس الثالث	١٠٠	١٦٣١ ـ ١٦٤٦	العثمانيون	كنيسة طوخ
٢٩	ديمتريوس الثاني	١١١	١٨٦٢ ـ ١٨٧٠	أسرة محمد علي باشا	المرقسية بالقاهرة

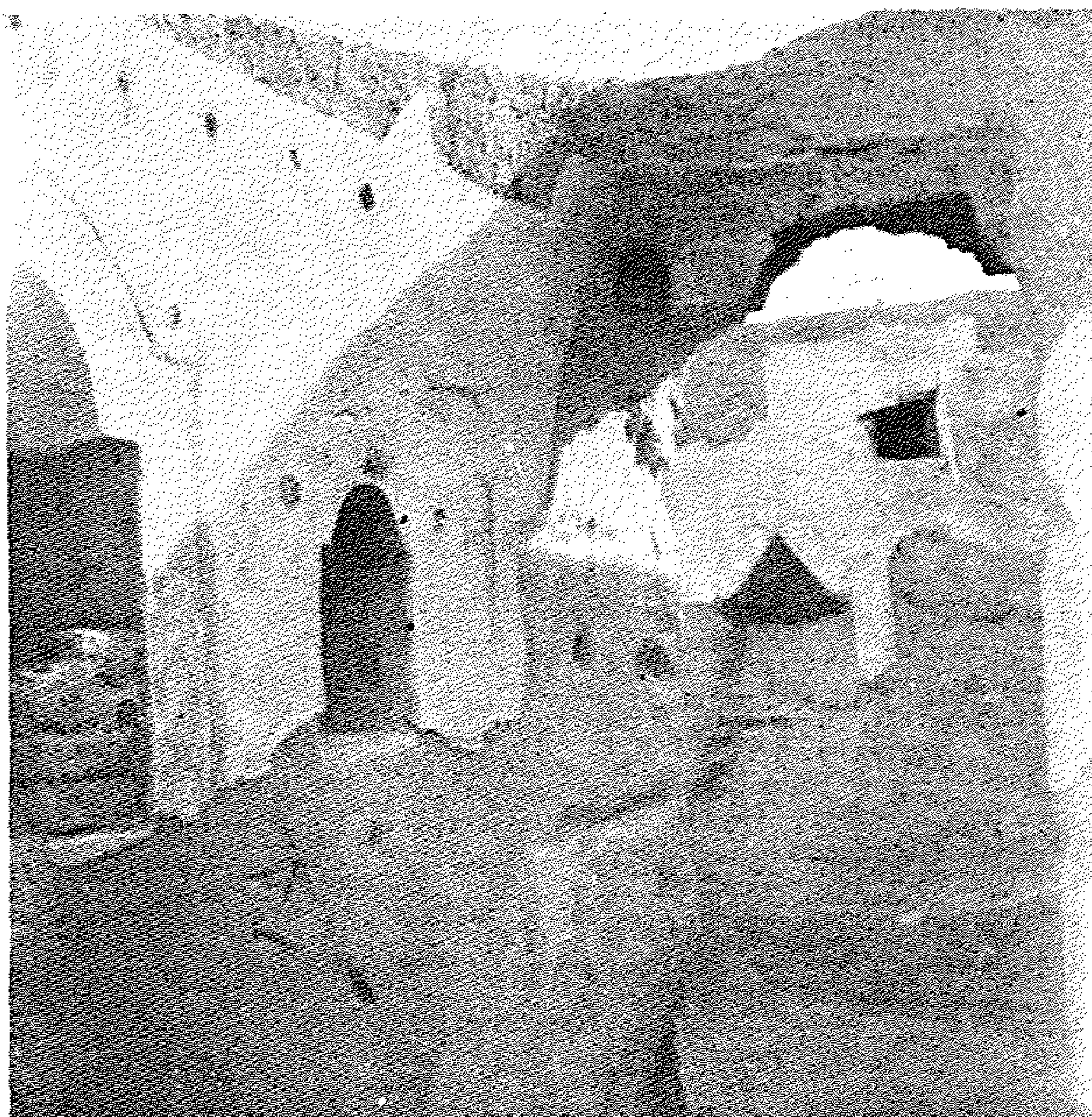
اللوحات والخرائط

ملحق رقم ٤ : لوحات منطقة القلالي

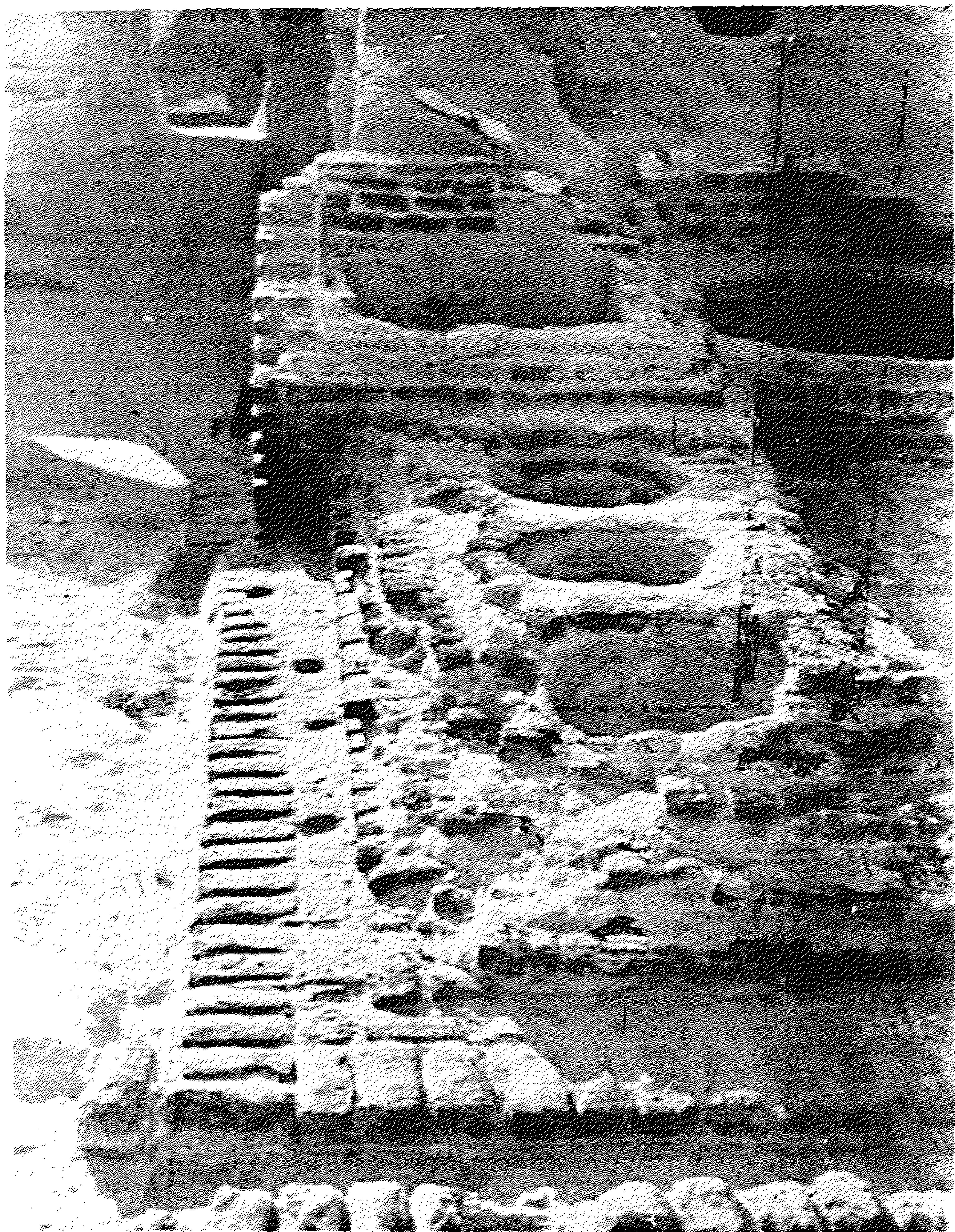
ملحق رقم ٥ : لوحات منطقة دير أنبا مقار

ملحق رقم ٦ : مقاطعات الوجه البحري والوجه القبلي لمصر في العصر الفرعوني مع توقيع الآثار المسيحية عليها.

كليا (منطقة القلالي) حفريات المعهد الفرنسي



١ - قلاية ظهرت فيها
دواليب الحائط



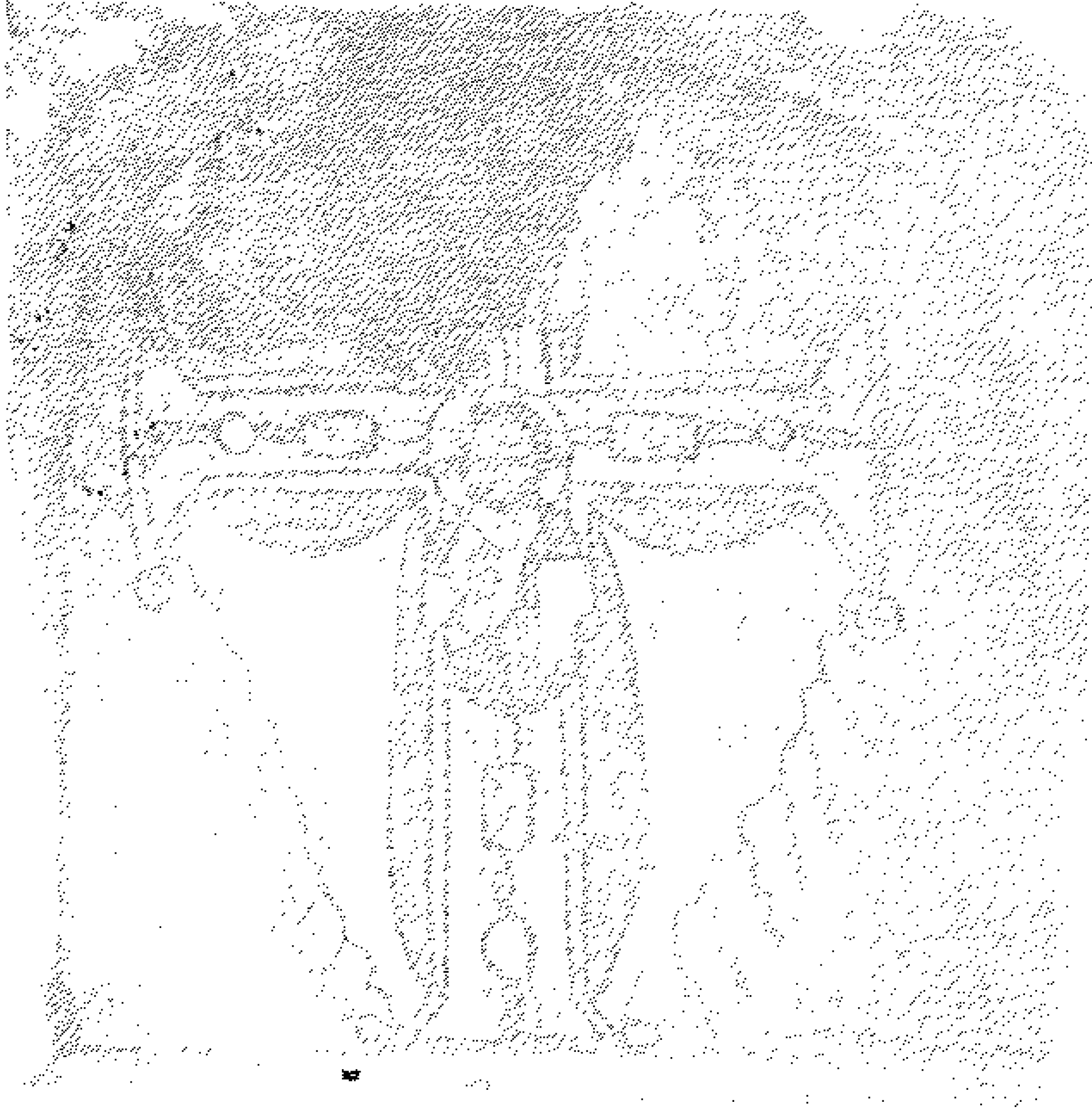
٢ - البئر الكبرى داخل
القلاية وبجوارها أحواض
تخزين المياه.



٣ – صورة توضح طريقة صرف مياه المراحيض في غاية من الإتقان والعناية.



٤ – قلاية أزيلت منها الأتربة ويُلاحظ عمقها الكبير.



٥ – صورة أثرية بالغة القيمة عثر عليها العالم الأثري مسيو دوما في منطقة القلالي (قبلي شرقي مريوط). راجع صفحة ٣٢٥ (وفي الرسم الأسفل رسم تخطيطي لمعالم الصورة بالتفصيل).

أيقونة المسيح المصلوب – برية القلالي من القرن الخامس

مع رسم كروكي



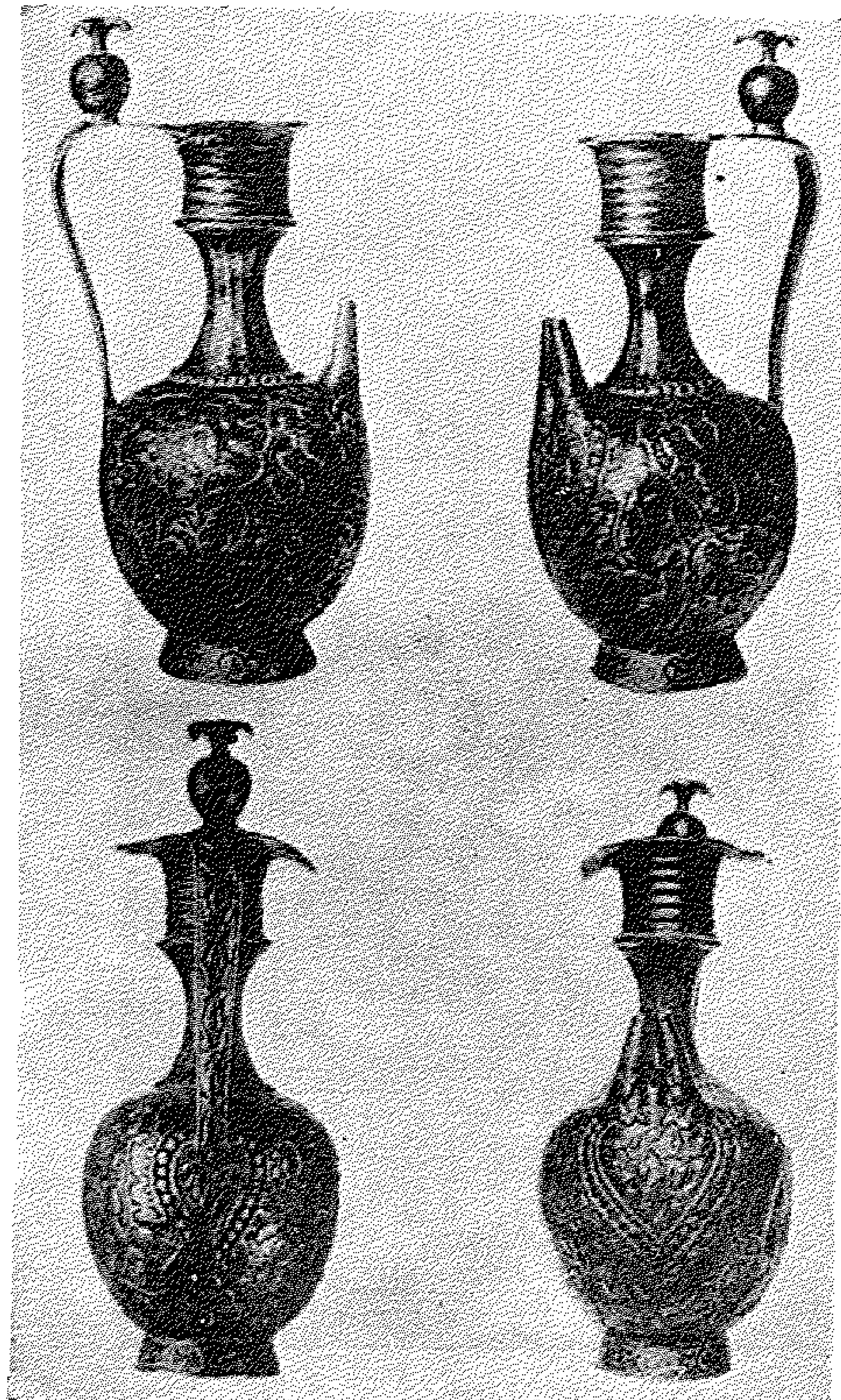
٦ - غرفة الدياكونية - أي مكان الخدمات مثل الفرن والكوانين - وقد ظهرت هذه بوضوح.



٧ - عمود رخامي في بهو القلاية الكبرى.



٨ - حفريات مسيو دوما - القلاية الكبرى وقد ظهرت كل معالم أساساتها.



٩ - أدوات نحاسية
وُجدت بحالة جيدة.



١٠ - منظر أمامي لمدخل القلاية من تحت قبو.



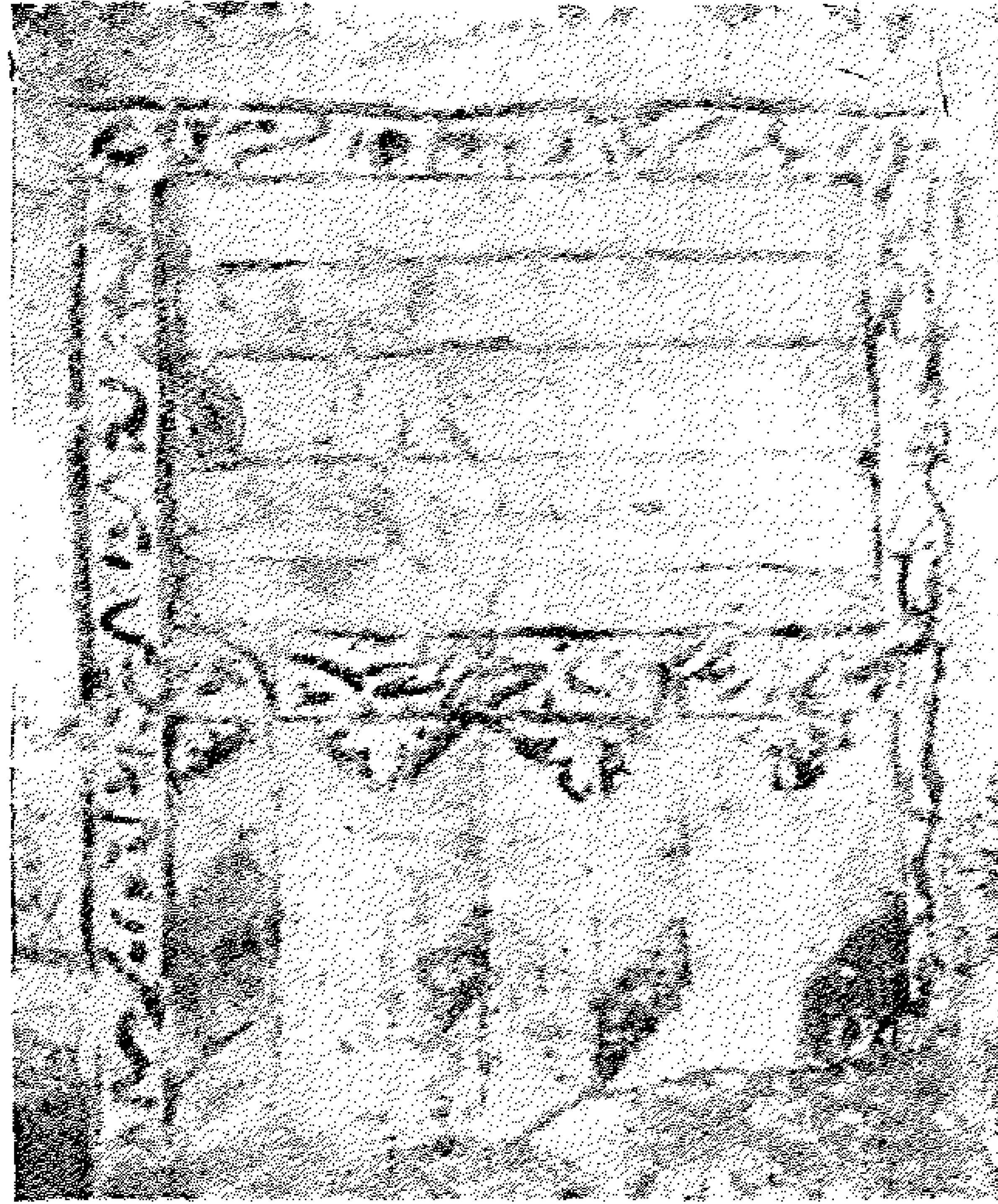
١١ - أبريق من النحاس جيد
الصنع وُجد مدفوناً
في القلاية الكبرى.



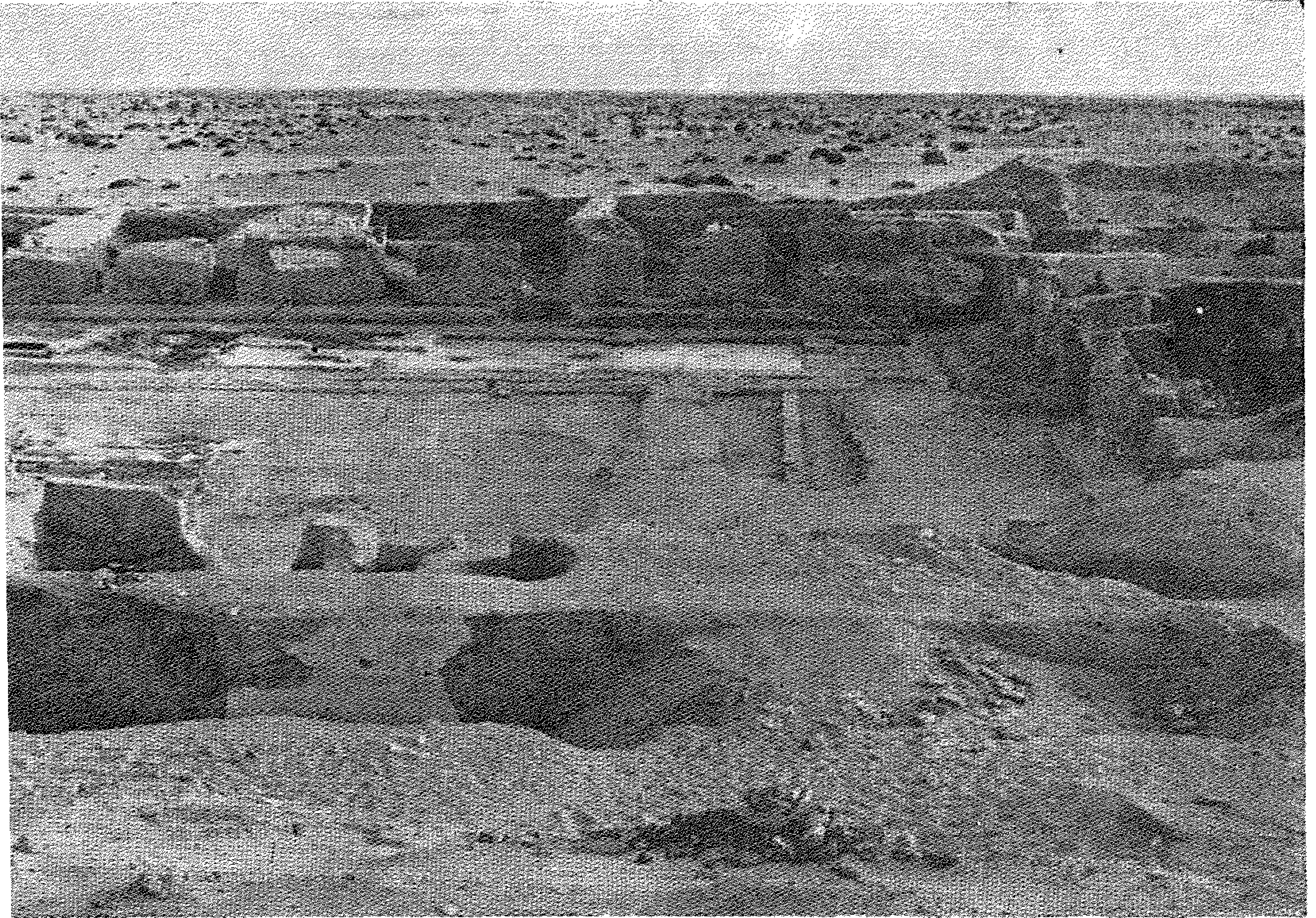
١٢ - صورة دقيقة متقنة للقديس مار مينا وُجدت مرسومة على حائط إحدى القلالي. وهي لرسام محترف.



١٣- زخارف دقيقة وجميلة وُجدت منقوشة على حوائط قلالي الرهبان.



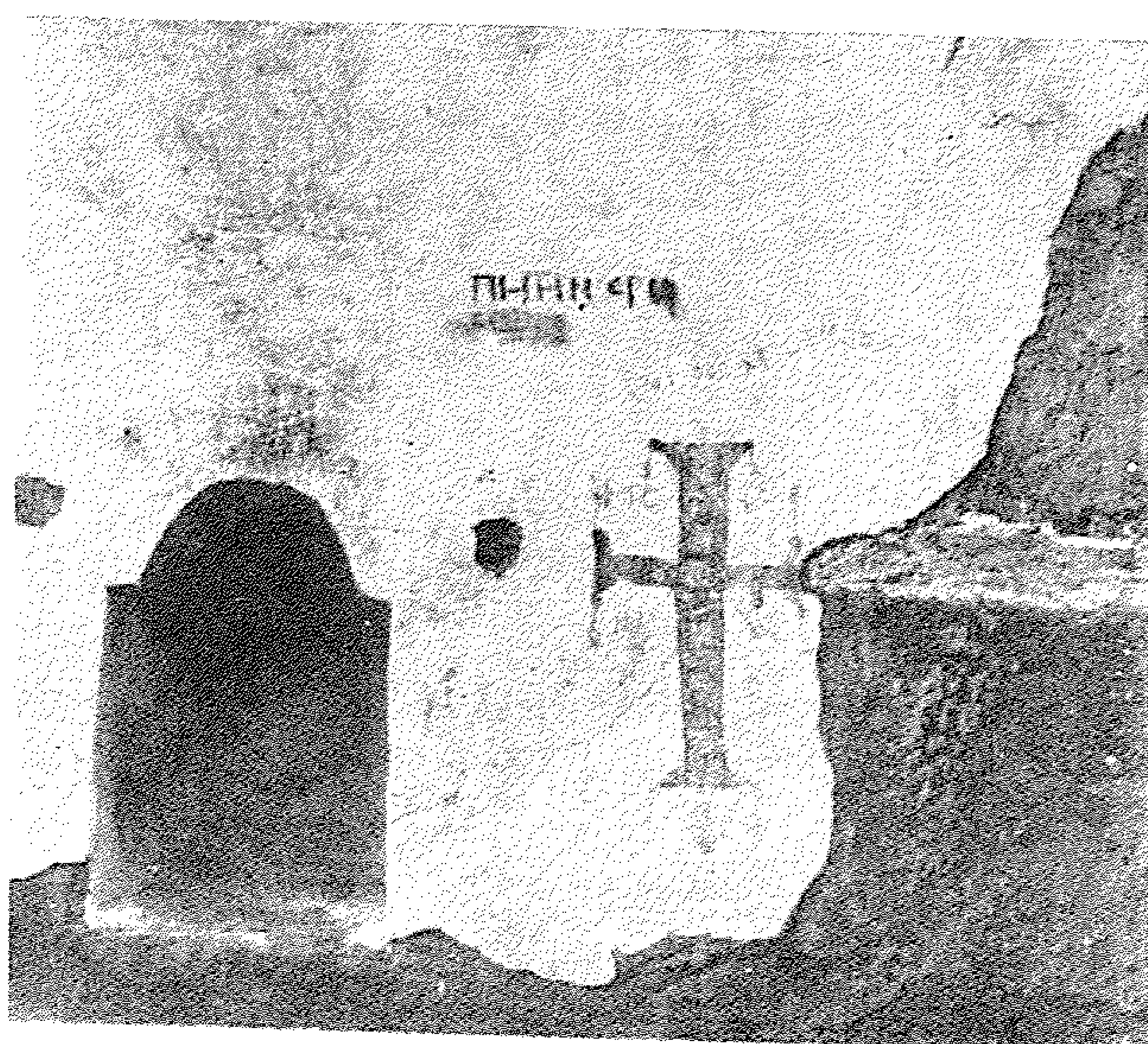
١٤ - جدول مزخرف منقوش على إحدى الحوائط
مكتوب في سطوره تذكارات قديسين.



١٥ - صورة توضح على المدى البعيد منطقة القلالي
وهي ملآنة ببقايا وآثار عمران واضح.



١٦ - غرفة الدياكونية وتبدو فيها الأفران والكوانين واضحة.



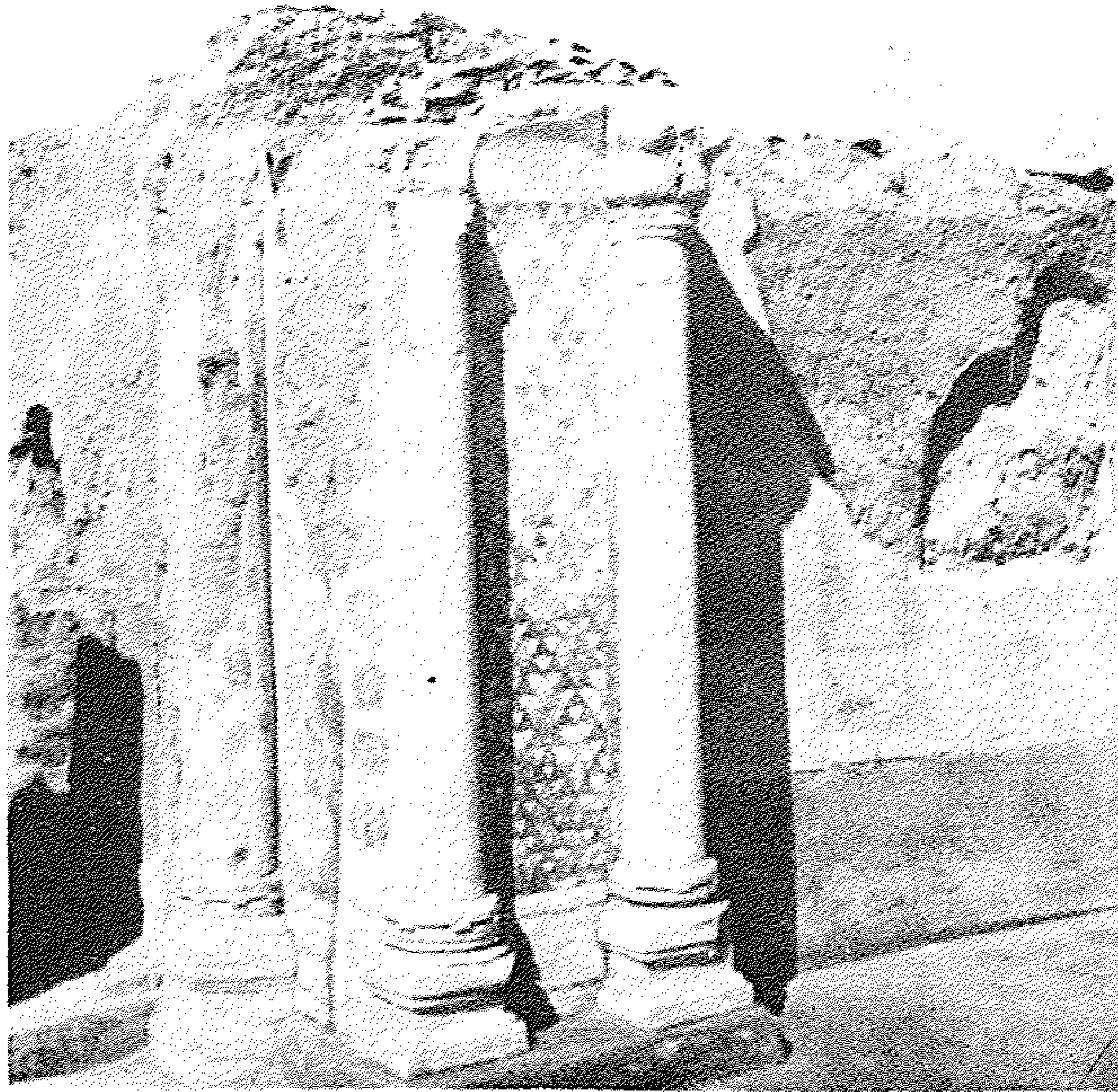
١٧ - دولاب حائط وبجواره صليب تقليدي جميل من القرن الخامس.



١٨ - الممر الرئيسي للقلاية الكبرى وقد ظهرت فيه بواقي أعمدة رخامية.



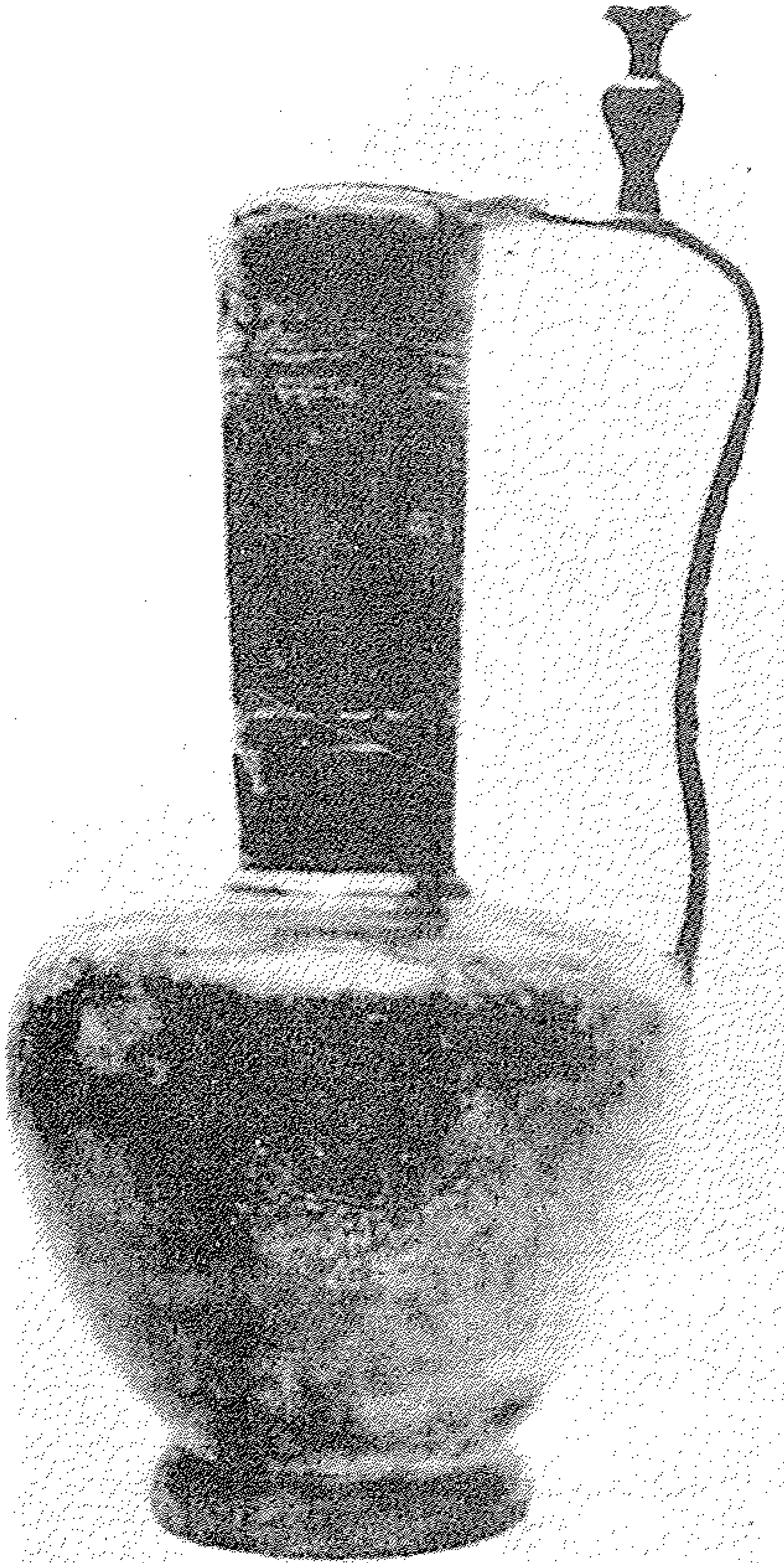
١٩ - غرف القلاية الكبرى يصل بينها ممرات داخلية.



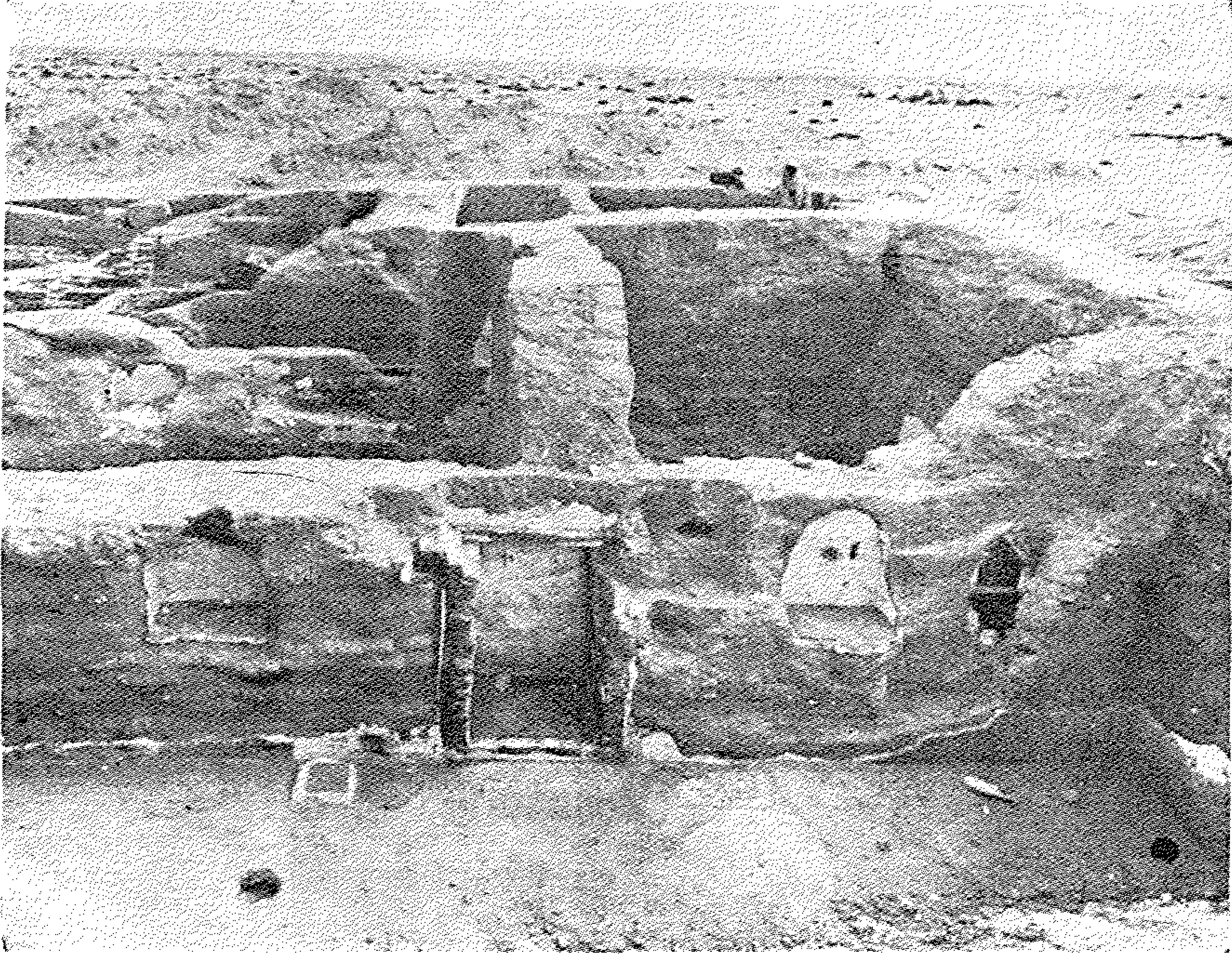
٢٠ - أعمدة رخامية متقنة الصنع وبحالة جيدة جداً وُجدت ببهو القلاية الكبرى.



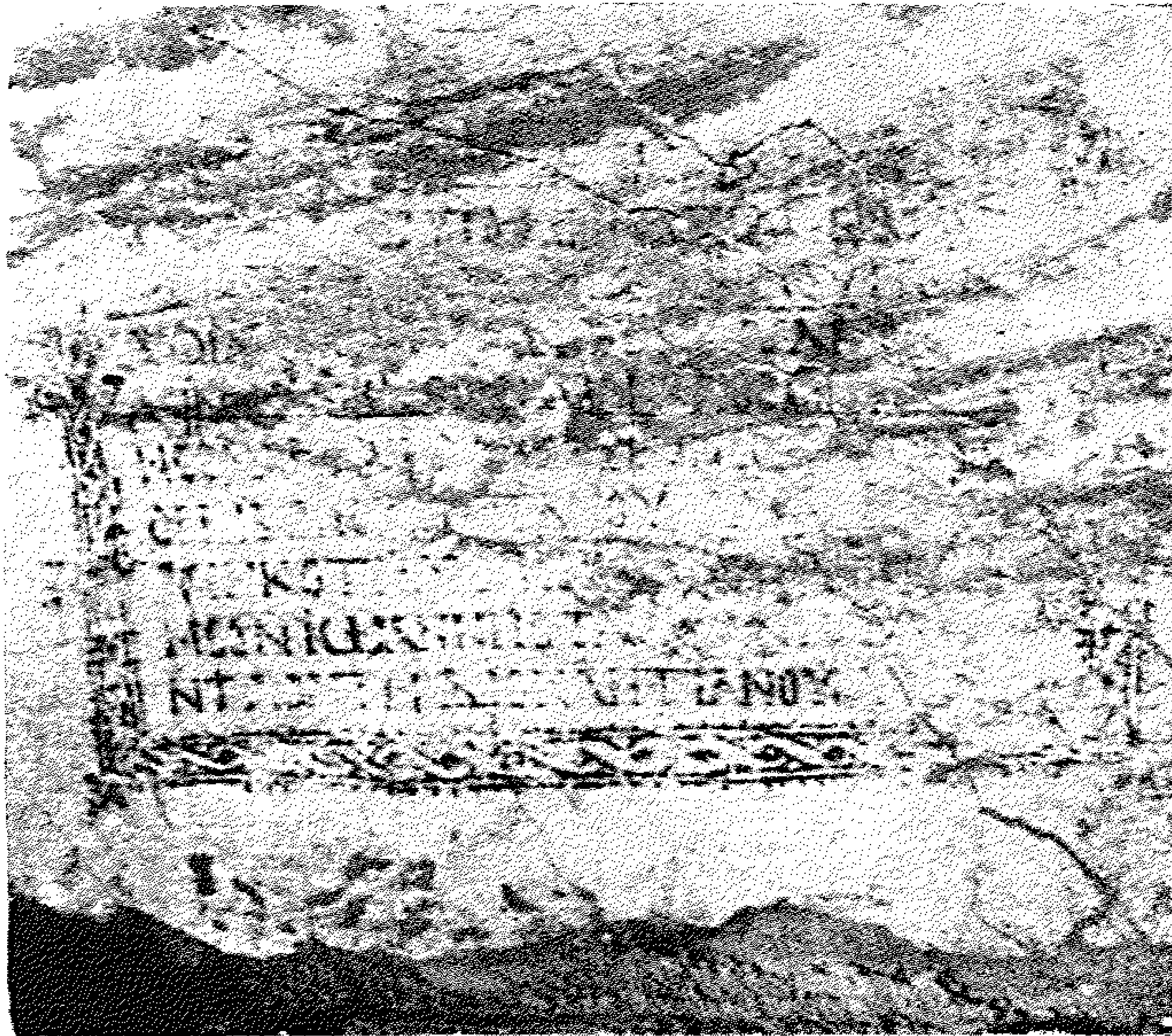
٢١ - صليب مرسوم على حائط إحدى القلالي الداخلية.



٢٢ - أبريق من النحاس وُجد مدفوناً بالقلاية الكبرى وبحالة جيدة، وصناعة غاية في الإتقان.

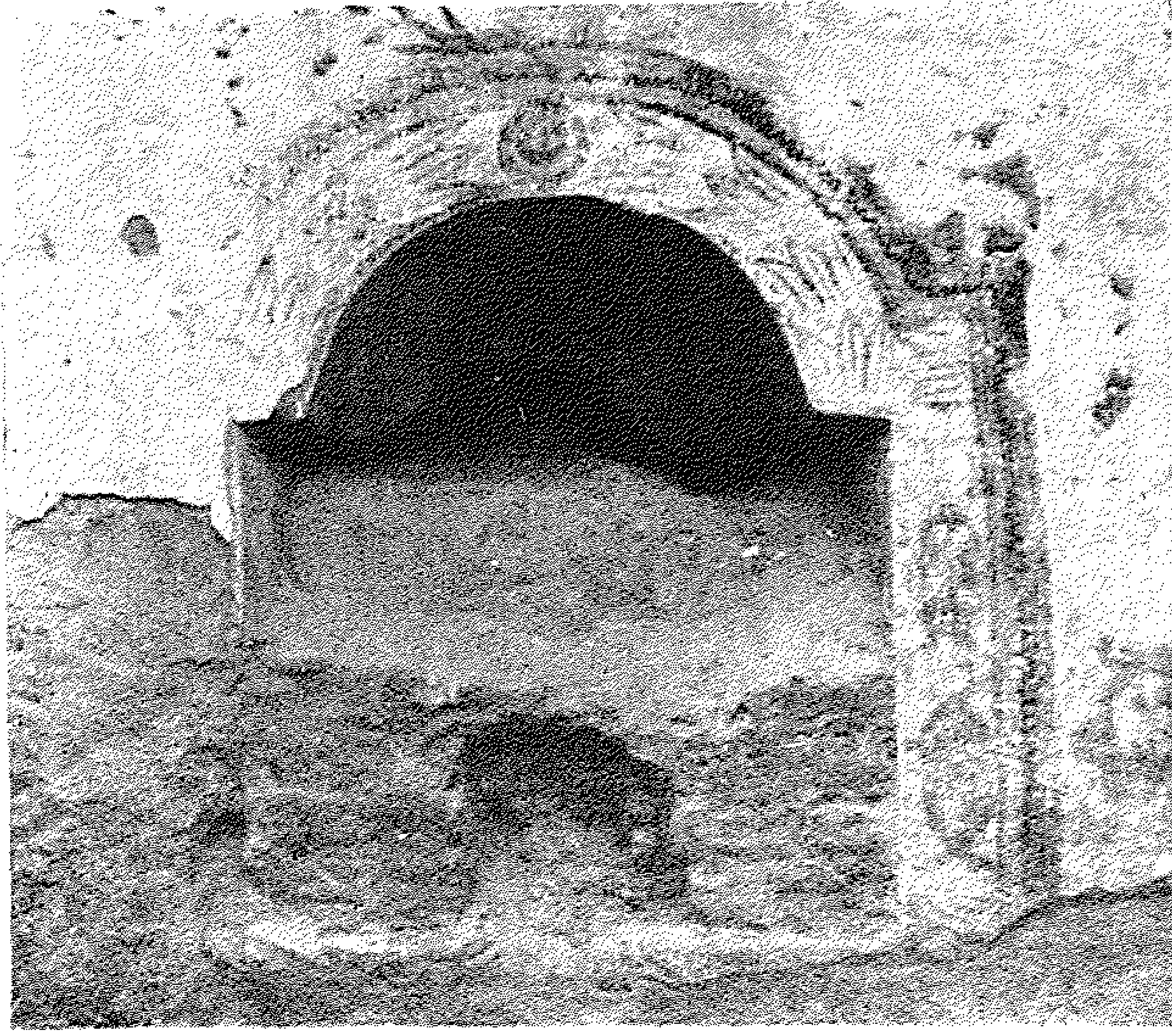


٢٣ – القلاية الكبرى بعد أن أُزيلت الأتربة من حولها.

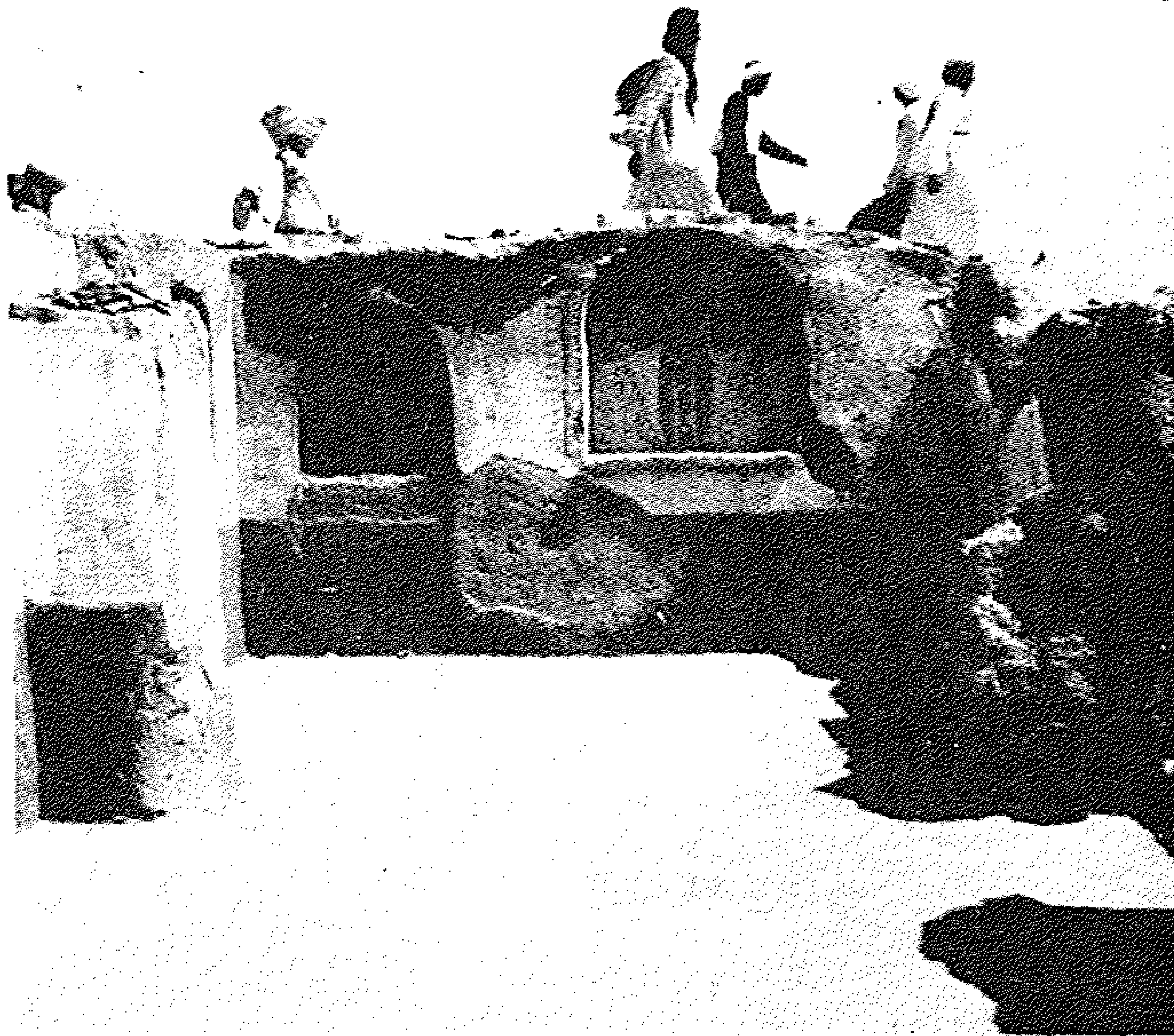


٢٤ – لوحة رخامية وُجدت مثبتة على الحائط

بها كتابة باللغة اليونانية عبارة عن تذكارات قديسين.

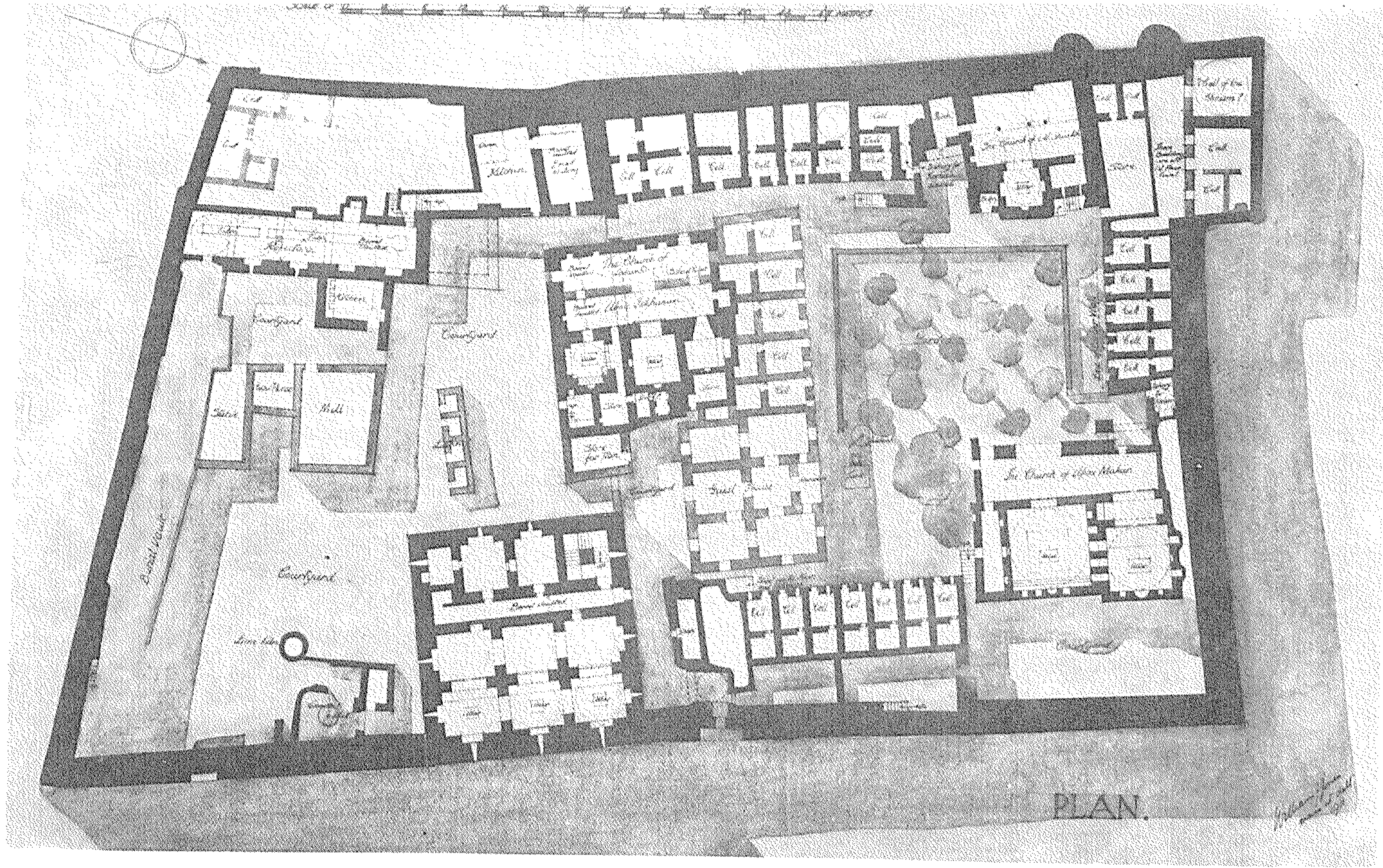


٢٥ - دولاب حائط منقوشة أكتافه وعَقْده العلوي بنقوش دقيقة جميلة.
ويُعتقد أنه دولاب كتب.



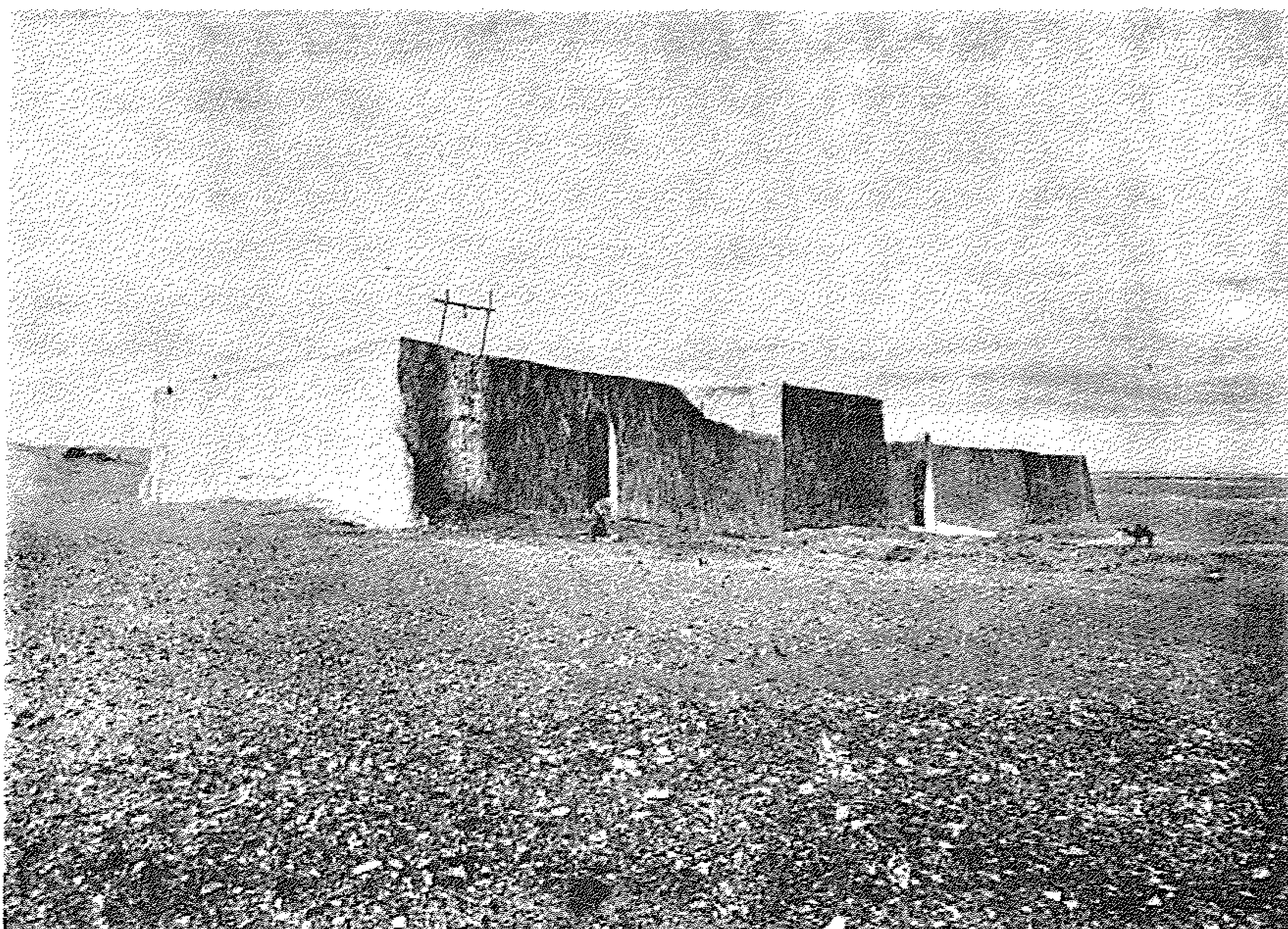
٢٦ - صورة تبين مراحل الحفر وظهور أرضية القلالي وحوائطها.
وتبدو الدواليب في الحوائط.

(انتهت صور منطقة القلالي)

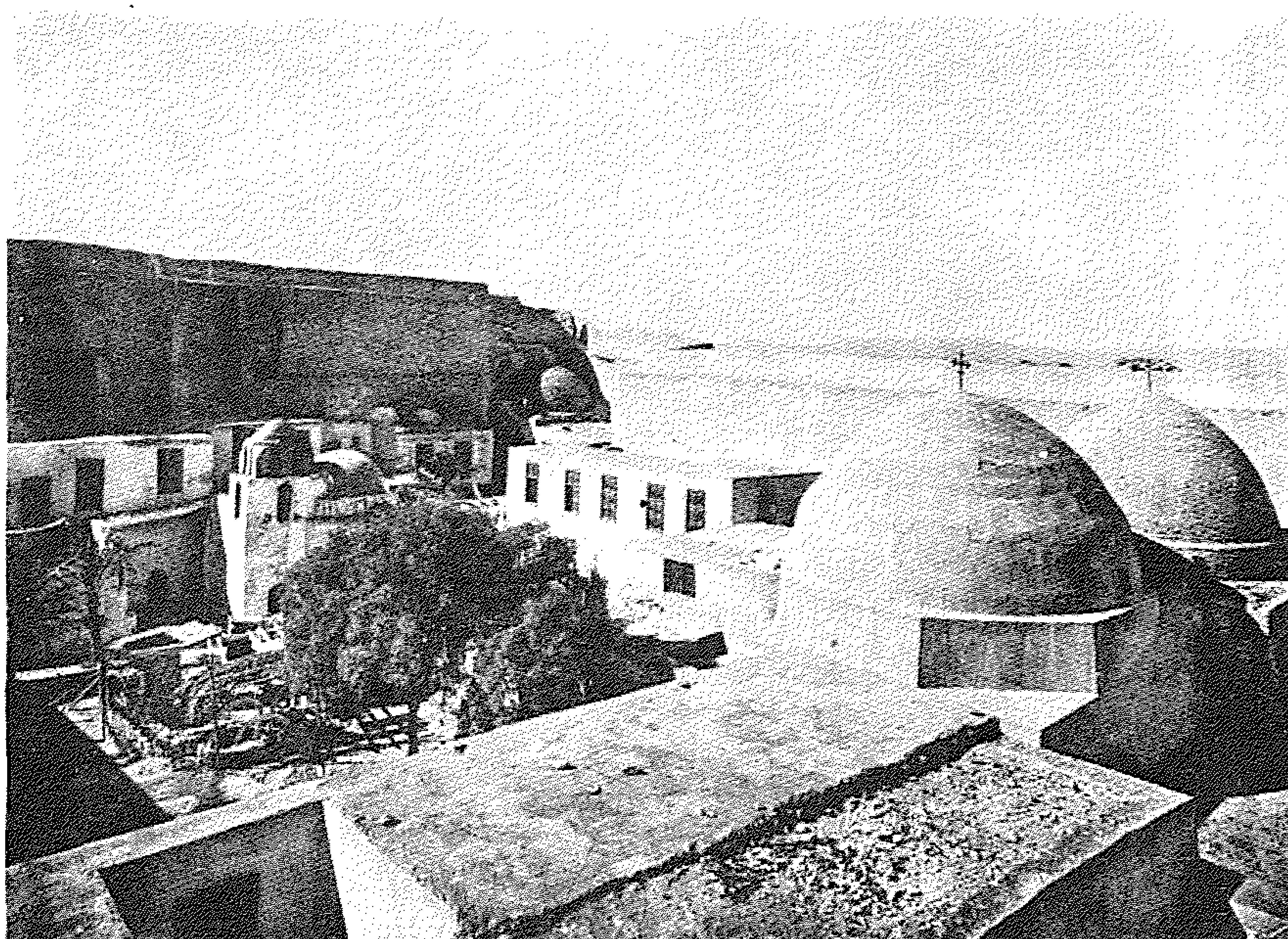


دير أنبا مقار: راجع الباب السابع إبتداءً من صفحة ٥٦٩

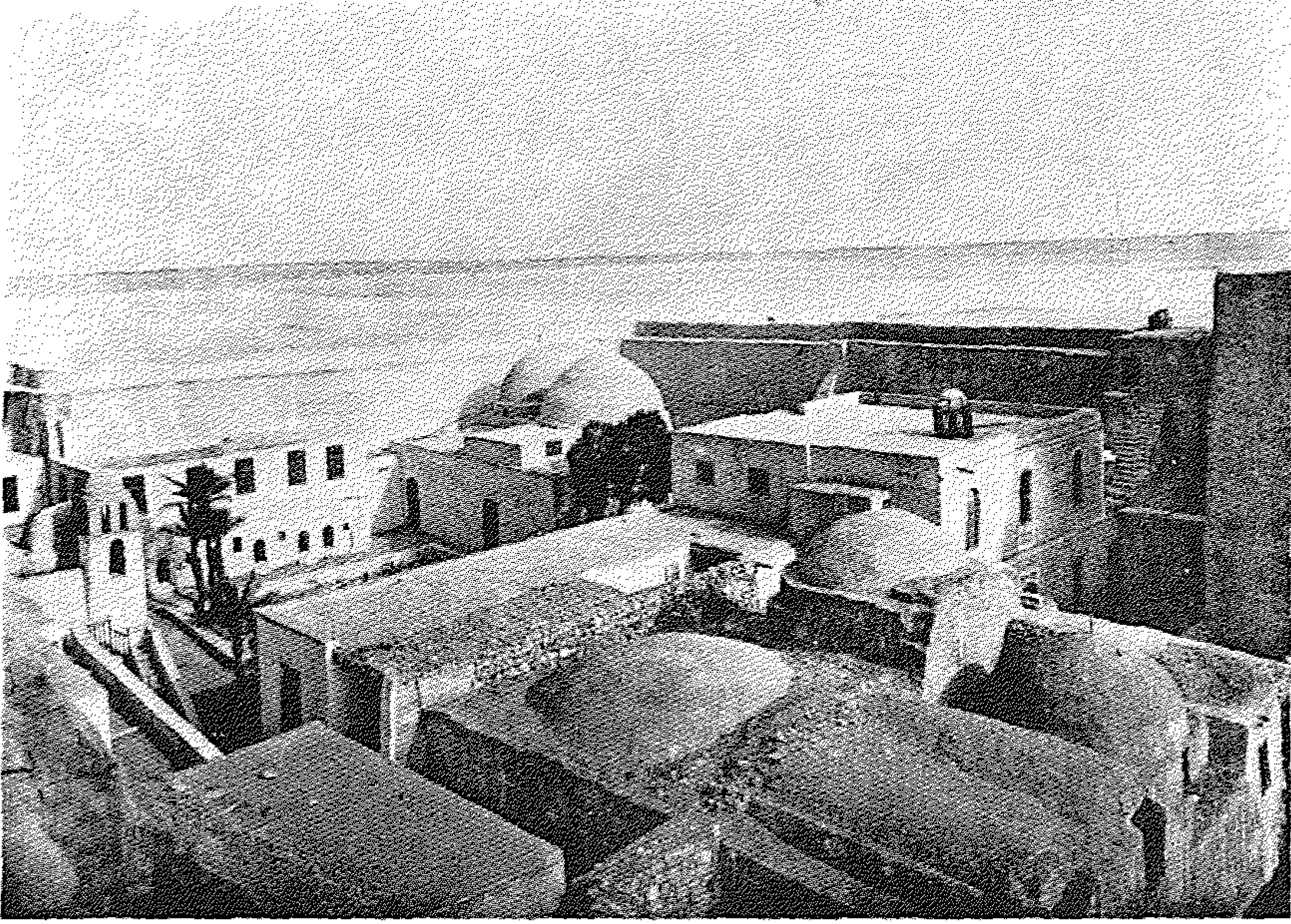
٢٧ ــ مسقط أفقي للدير رسم المهندس پالمرچونس سنة ١٩١١م. و يلاحظ فيه كثير من الأبنية غير موجودة الآن و بالأخص في الجزء القبلي، كما يلاحظ أن كنيسة أنبا مقار قبل التعديلات التي أُدخلت سنة ١٩١٢م ذات خورس واحد. والقارىء إذا دقق في هذا المسقط يستطيع أن يكوِّن صورة متكاملة عن جميع أبنية دير أنبا مقار ومواقعها الأصلية، قبل عام ١٩٦٩.



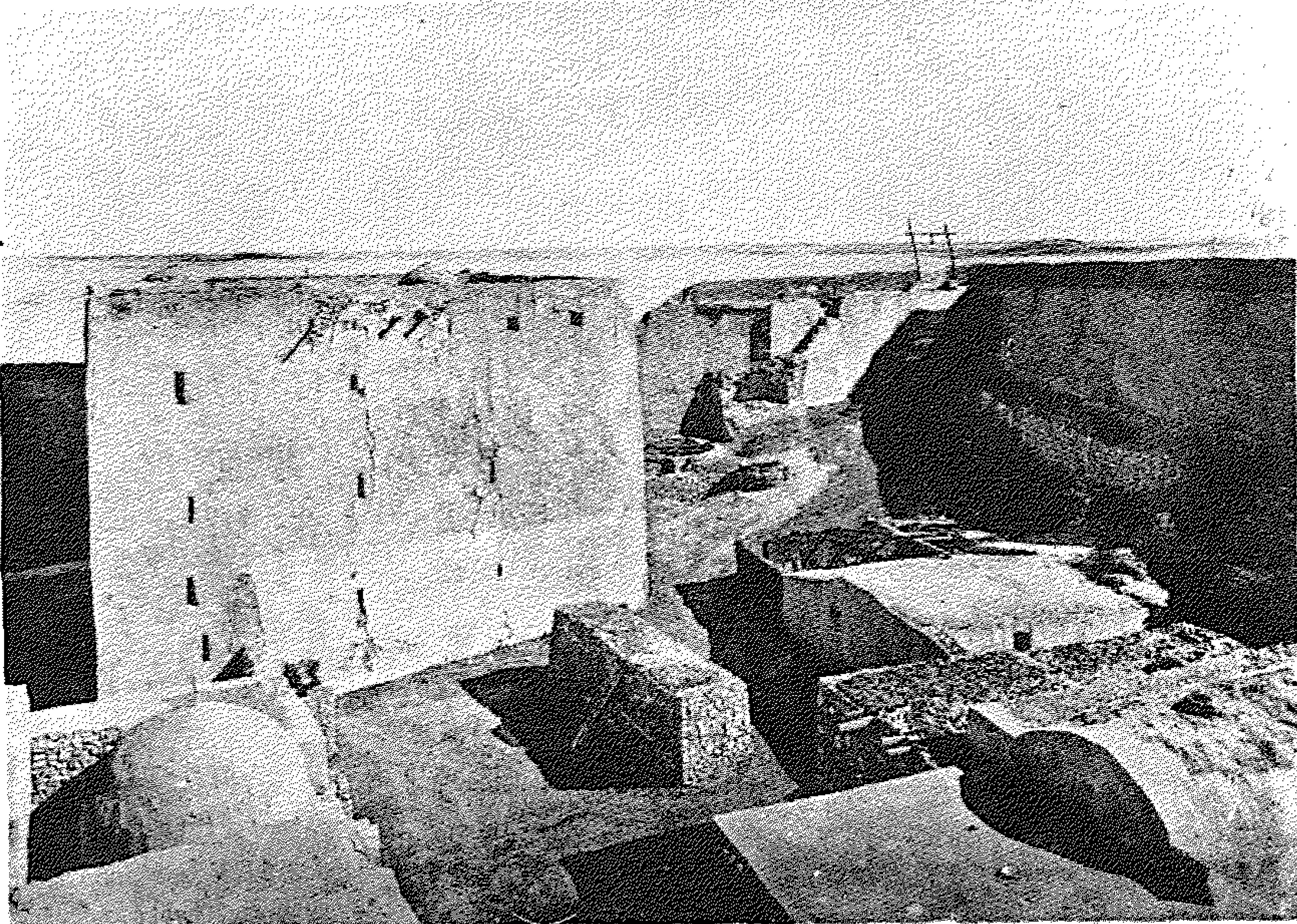
٢٨ – منظر خارجي من الزاوية القبلية الشرقية، وفيه يظهر للدير بوابتان في السور الشرقي:
واحدة بحري الحصن والأخرى قبلي الحصن. والصورة مأخوذة بيد إفلين هوايت سنة ١٩٢٠م.



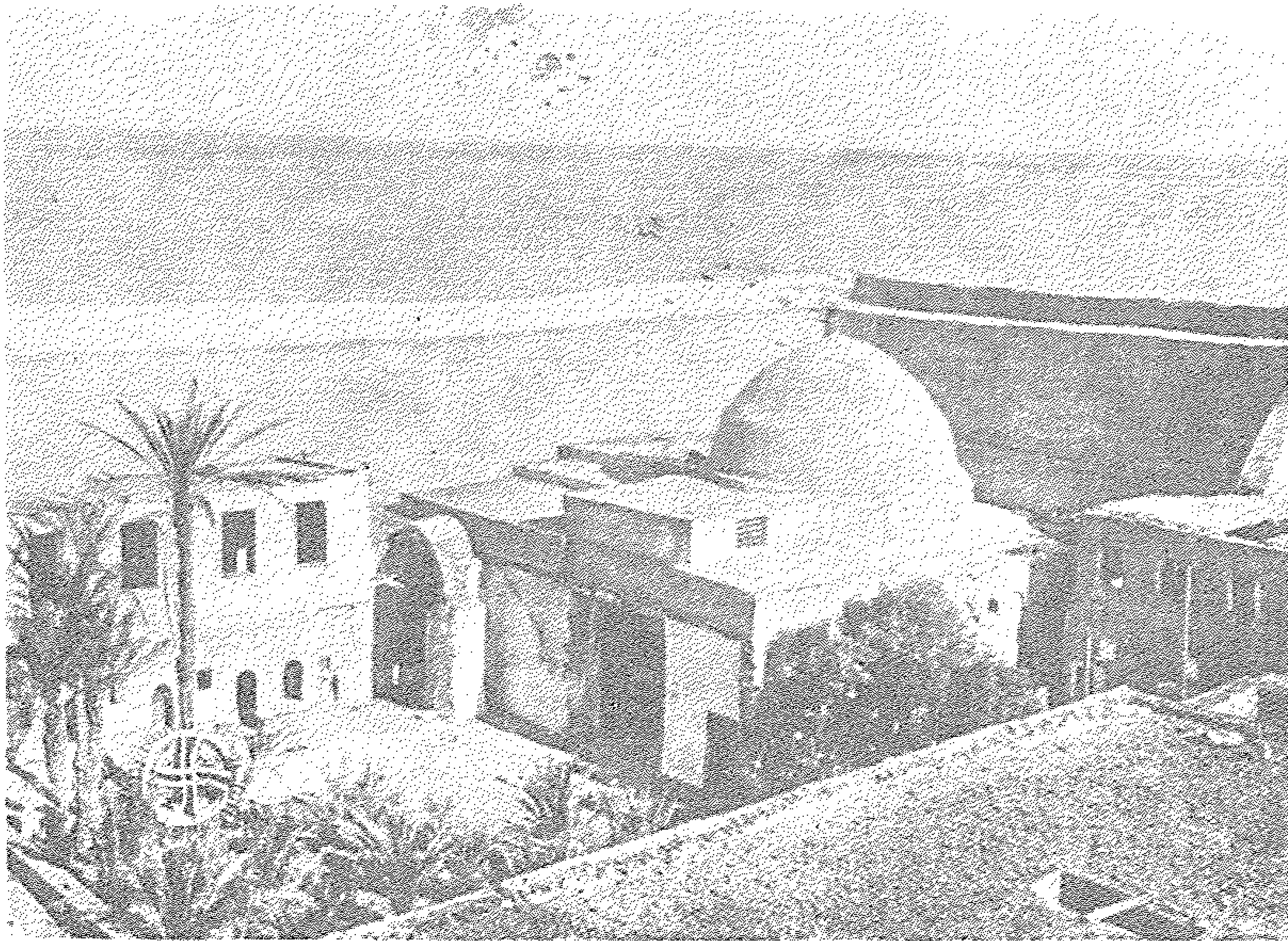
٢٩ – صورة فوتوغرافية بيد إفلين هوايت سنة ١٩٢٠م،
بعد أن قام الرهبان بترميم قبة هيكل يوحنا المعمدان (سابقاً مار مرقس)
التي كانت قد تهدمت في عصر سابق. وتظهر كنيسة أنبا مقار بخورس واحد قبل الإصلاحات الأخيرة.



٣٠ - صورة فوتوغرافية بيد إفلين هوايت سنة ١٩٢٠م،
وفيها تظهر كنيسة أنبا مقار قبل تعديل صحنها من خورس واحد. ويظهر فيها قصر الضيافة (سنة ١٩٢٠).

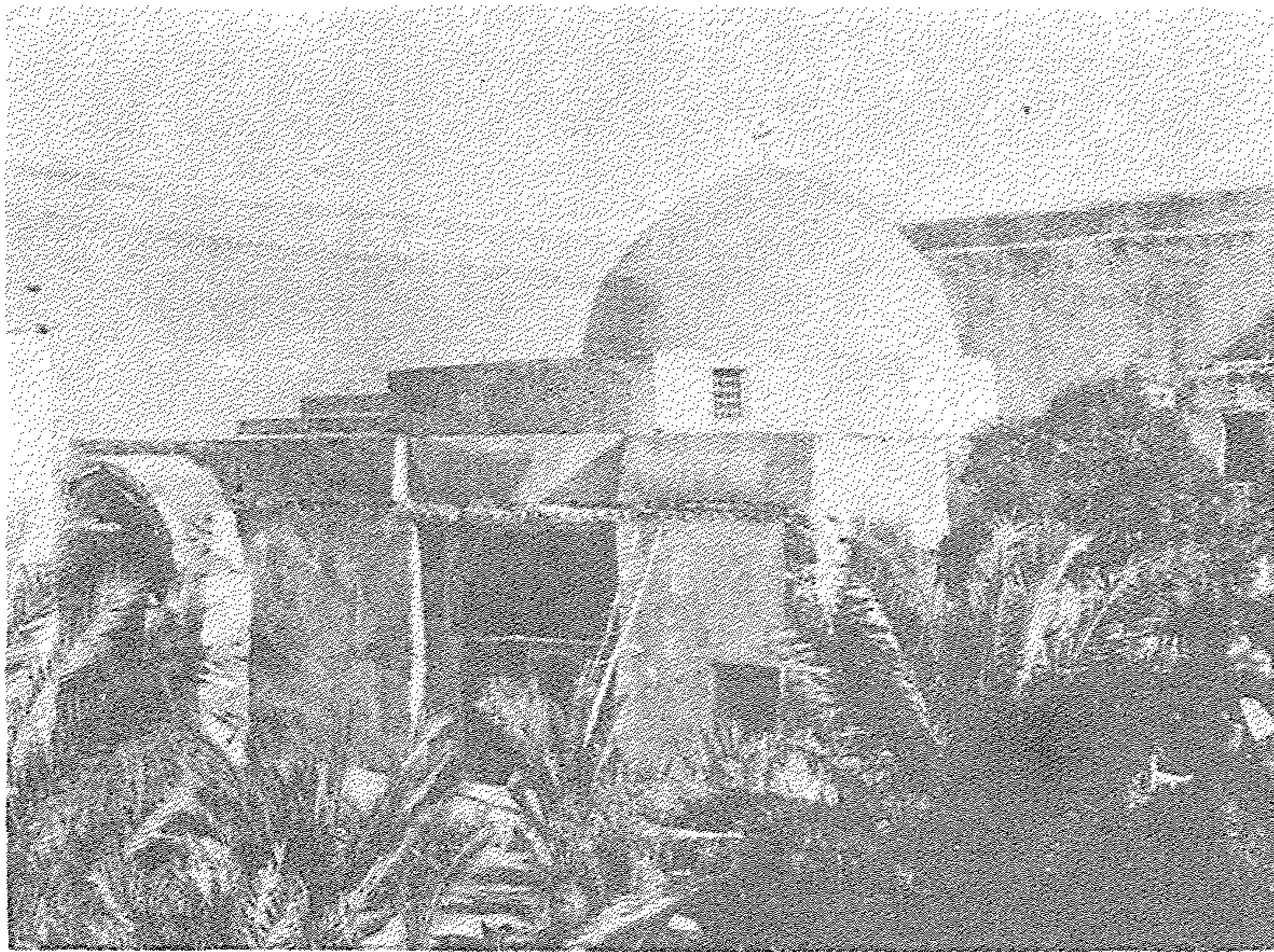


٣١ - صورة فوتوغرافية بيد إفلين هوايت سنة ١٩٢٠م،
وفيها يظهر جزء الدير القبلي وبه الحطابة والجباسة القديمة والطاحون وحظيرة البهائم والمطبخ والمخبز
وهي التي أُزيلت فيما بعد حوالي سنة ١٩٢٨م، وزرعت حديقة سنة ١٩٥٢م.



٣٢ ـــ كنيسة أنبا مقار

صورة رائعة قديمة للكنيسة صوَّرها پالمر چونس سنة ١٩١٠ . وفيها تظهر الكنيسة بحالتها الأولى من خورس واحد وقبة واحدة، مع بروزات في الخورس من الجهة الغربية تشير إلى الإمتدادات القديمة نحو الصحن الكبير الذي كان ممتداً حتى كنيسة الشيوخ . و يلاحظ القارىء وجود الساقية بوضوح .



٣٣ ـــ كنيسة أنبا مقار

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، و يظهر فيها قبة أنبا بنيامين فقط إذ كان وقتئذ هيكل يوحنا المعمدان بلا قبة .

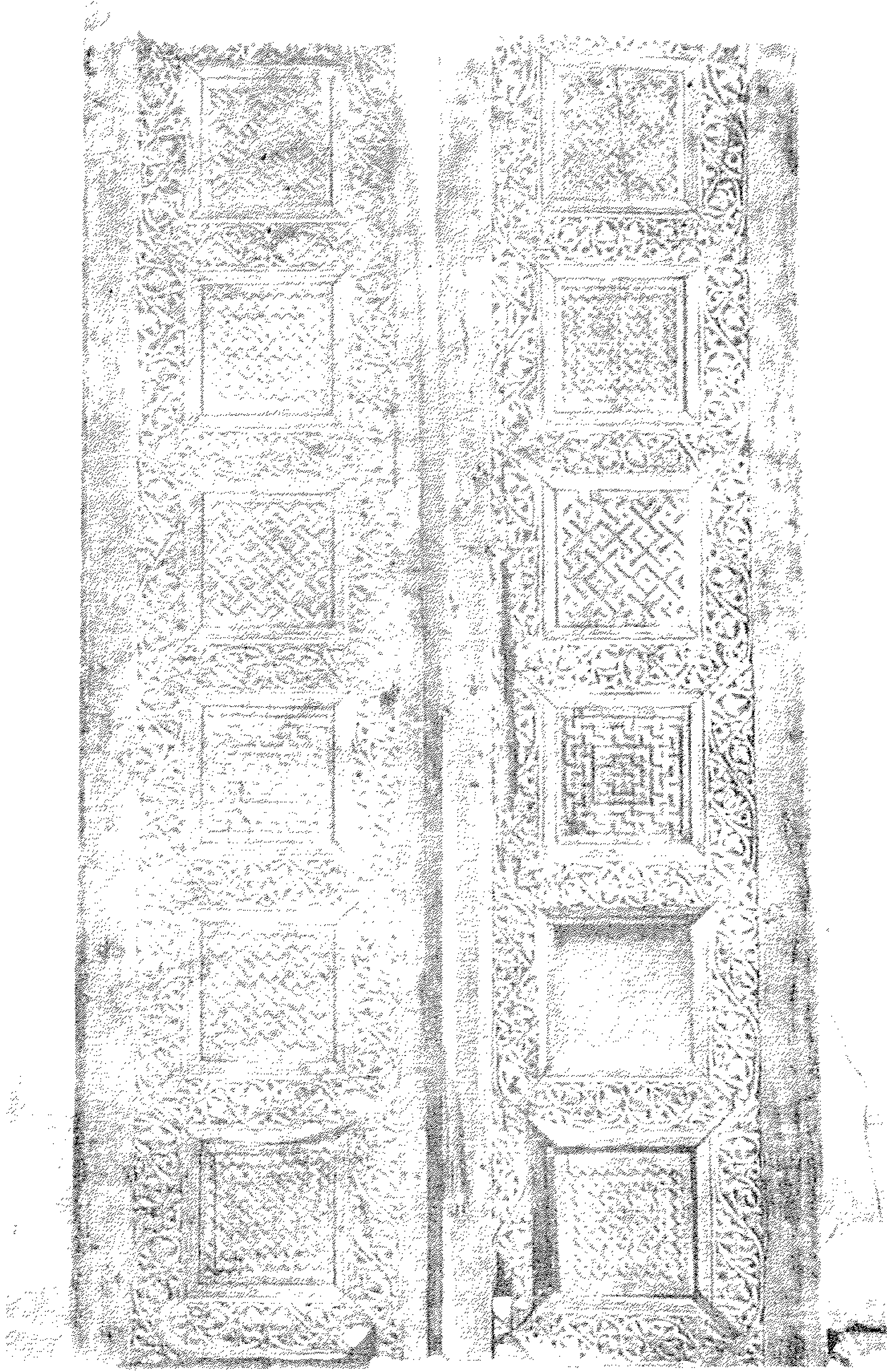
٣٤ ــ كنيسة أنبا مقار

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، وتظهر فيها قبة أنبا بنيامين بوضوح، وكانت شبابيكها لا تزال مفتوحة.
و يلاحظ القارىء أنها كانت عالية شامخة بمسافة كبيرة بينها و بين سطح الخورس.

٣٥ ــ كنيسة أنبا مقار

مسقط أفقي تظهر فيه الكنيسة في وضعها القديم عندما كانت ذات خورس واحد.

و يلاحظ القارىء أبواب جدران الهيكل التي تفتح على هيكل يوحنا المعمدان من الجهة البحرية وهيكل (المجلس) من الجهة القبلية. كما يلاحظ القارىء خارج الخورس الأول من الجهة البحرية بقايا قاعدة دعامة كانت تحمل قبواً طولياً بامتداد الغرب كان خاصاً بهيكل يوحنا المعمدان.



٣٦ – كنيسة أنبا مقار

الصورة تبين باب هيكل أنبا مقار (هيكل بنيامين)، وهو بنقش دقيق خالي من التطعيم، عبارة عن وحدات متناظرة على الضلفتين تتدرج في شكلها من صليب واحد متوسط إلى أشكال متعددة؛ ويُظن أنه من القرن الثاني عشر، ويعتبر من أثمن القطع الأثرية الموجودة بحالة حسنة بالدير.



٣٧ - كنيسة أنبا مقار

عقد الهيكل. والظاهر في الصورة أيقونة مستديرة من عدد الأيقونات البالغ عددها ٩ على مدى القوس الكبير، وقد ظهرت جميعها الآن بعد أن أُزيلت الأكتاف التي قام الرهبان قديماً ببنيانها للقبة التي كانت في حالة تداعي. الصورة هنا تمثل القديس يوسف الرامي والقديس نيقوديموس وهما يحفظان جسد الرب بعد أن أنزلاه عن الصليب.



٣٨ ـ كنيسة أنبا مقار

عقد الهيكل. والظاهر في الصورة أيقونة مستديرة من الأيقونات التسع. وهي تمثل القديسين يوسف الرامي ونيقوديموس وهما يحملان جسد الرب ذهاباً إلى بستان جثسيماني.



٣٩ ـ كنيسة أنبا مقار ـ هيكل أنبا بنيامين

جزء من رسم حائطي اكتشف أخيراً في أعلى الحائط الغربي أثناء ترميم وتوسيع كنيسة أنبا مقار، يمثل «الدينونة». و يرى في منتصف الرسم صورة السيد المسيح يمسك كتاباً وعن يمينه وعن يساره ملاكان، بينما يظهر جزء من صور التلاميذ الإثني عشر الذين يصطفون على يمين و يسار السيد المسيح



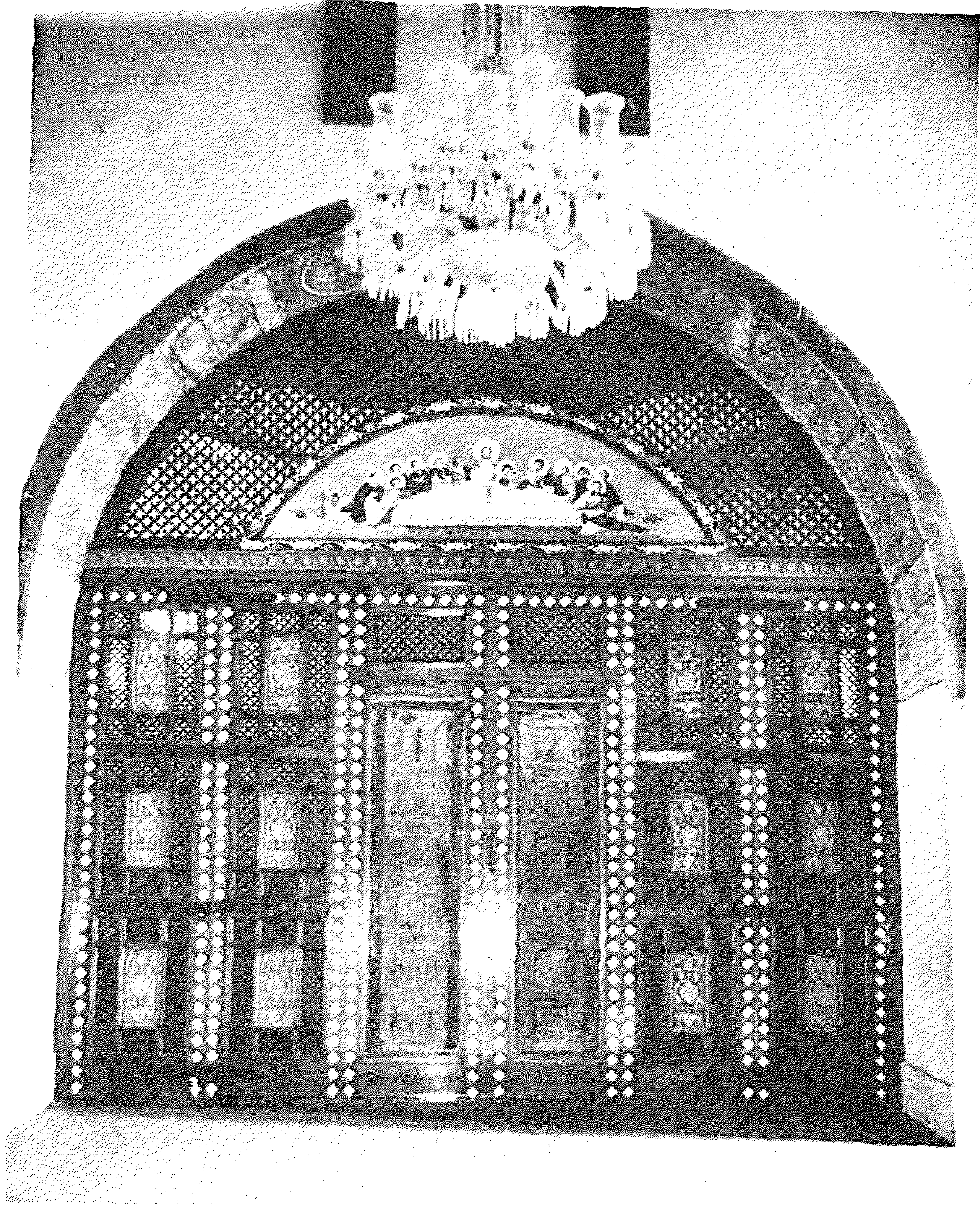
٤٠ ـ جزء من الرسم الحائطي لأيقونة «الدينونة» يمثل بعض الرسل الإثني عشر عن يمين المسيح.



٤١ – كنيسة أنبا مقار – هيكل أنبا بنيامين

رسم حائطي اكتشف حديثاً يمثل الشهيد مار مينا والشهيد إقلاديوس وبعض الكتابات باللغة القبطية.

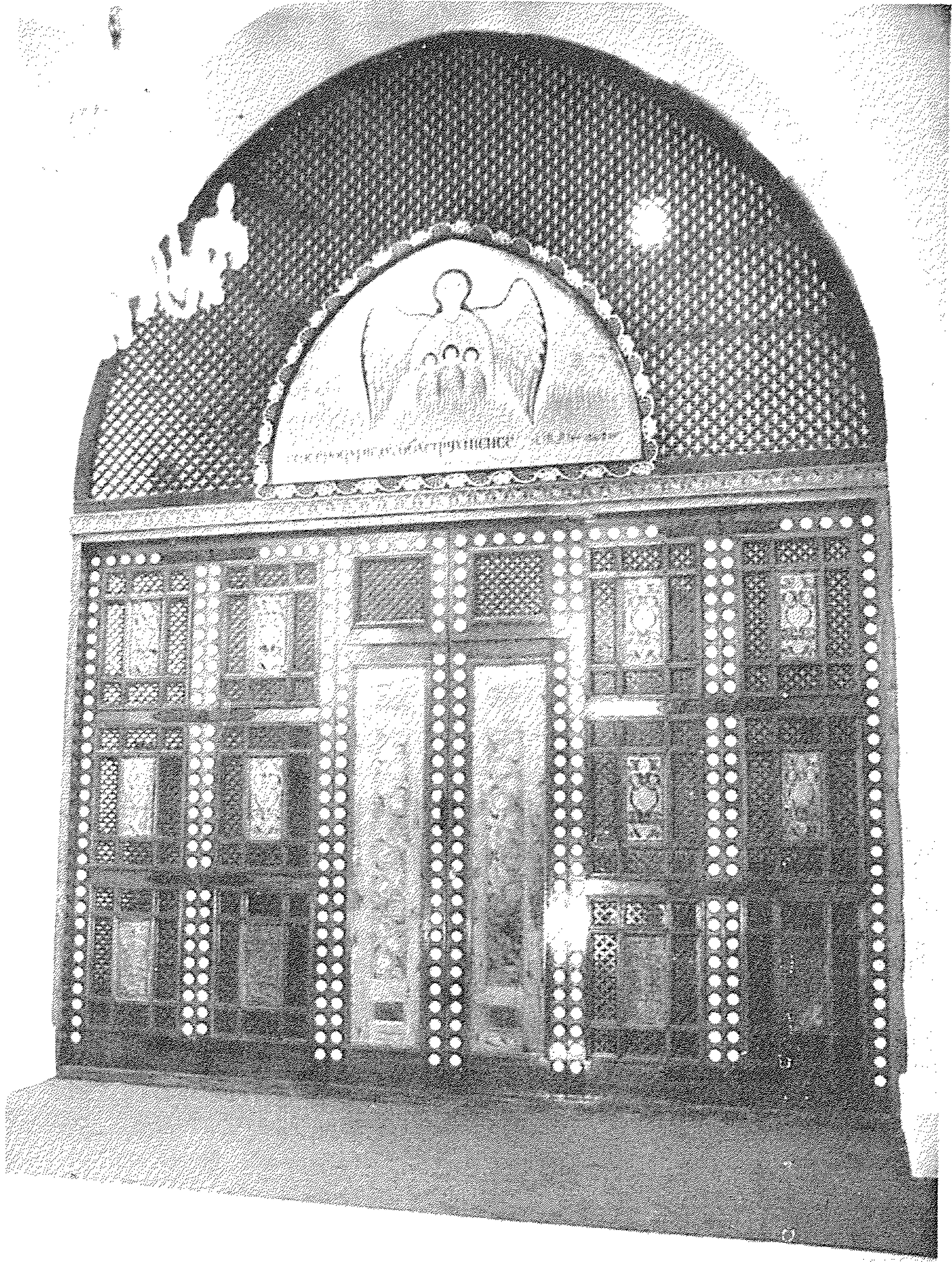
(أنظر هامش ٢٩ ص ٦٣٦ و٦٣٧).



٤٢ - حجاب هيكل أنبا بنيامين (الهيكل الأوسط)

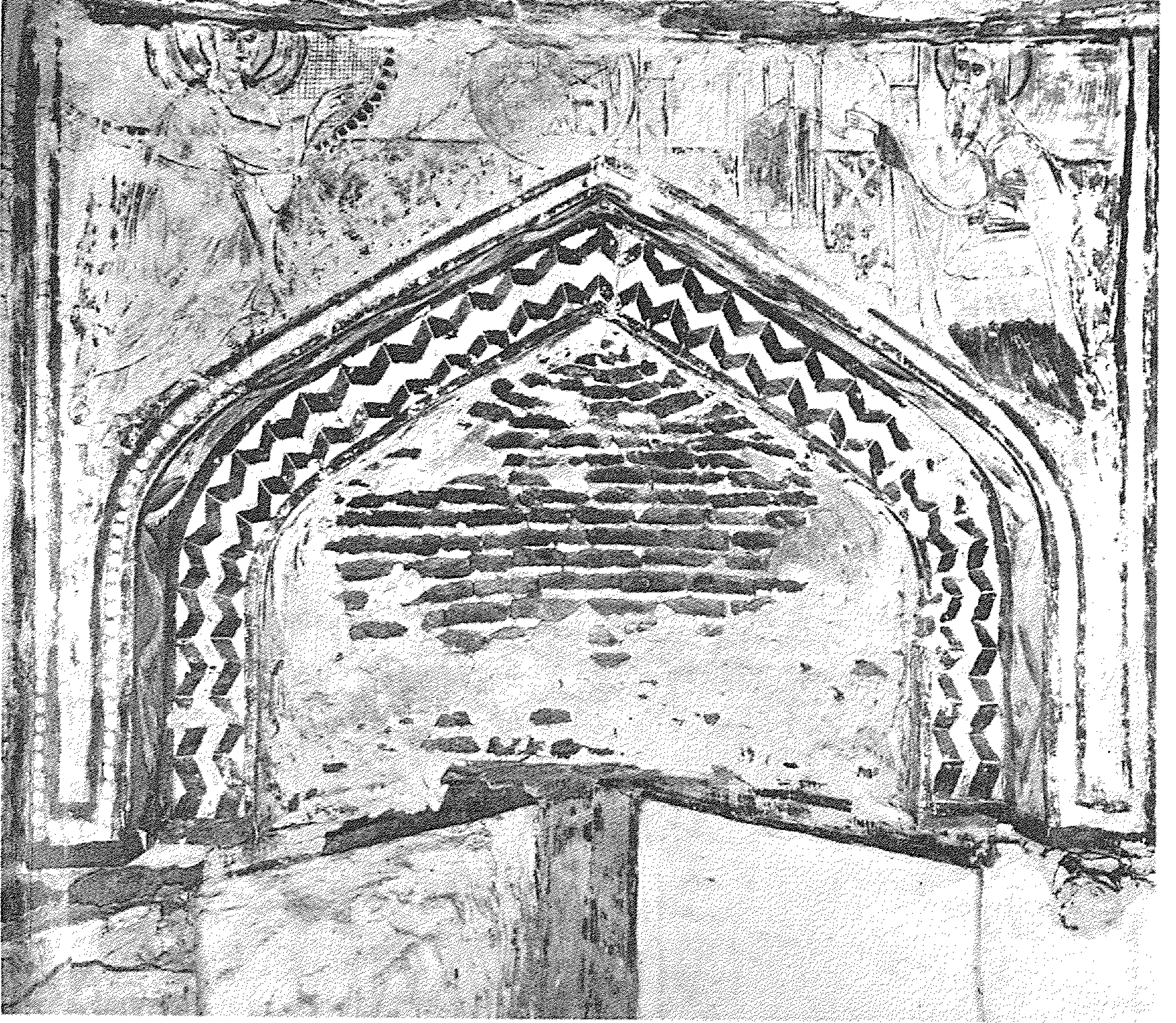
وقد ظهر الآن بكامل اتساعه بعد تقوية قبة الهيكل وتدعيمها بالخرسانة المسلحة فأمكن إزالة الدعامات الحجرية التي أُقيمت في القرن الماضي وكانت سبباً لاختزال اتساعه. يتكون الحجاب من ١٢ حشوة خشبية أثرية من القرن ١١/١٠ (أنظر تفاصيل واحدة منها في صورة رقم ٦٦). ويحيط بكل حشوة إطار حديث من الخشب المفرغ بشكل صلبان، يتوسطها باب قديم يرجع أيضاً إلى نفس العصر. وقد قام بتنفيذه وكذلك سائر أحجبة الهياكل في ورش الدير نجار قبطي من صعيد مصر.

لاحظ أيضاً الصورة الزيتية للعشاء الرباني التي تعتمد عناصرها على التقليد الإنجيلي والعبري لوليمة الفصح اليهودي



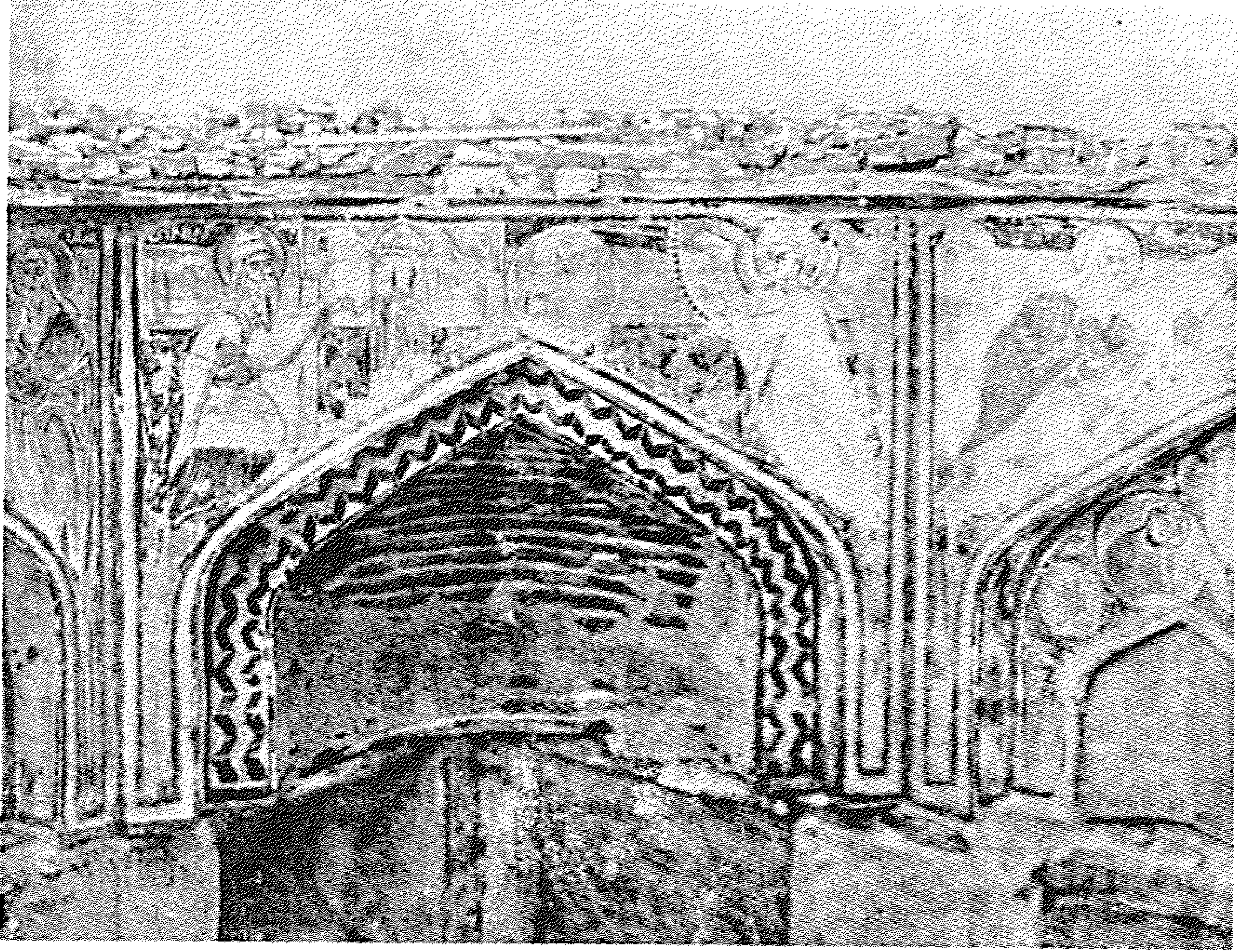
٤٣ ــ حجاب هيكل الثلاثة فتية (الهيكل القبلي)

مكوَّن من ١٢ حشوة قديمة مماثلة للموجودة في حجاب أنبا بنيامين ، يتوسطه باب من ضلفتين يرجع إلى العصر التركي كان في هيكل كنيسة العذراء بحصن الدير. و يعلو الحجاب صورة زيتية للثلاثة فتية في أتون النار يحتضنهم الملاك ، مأخوذة عن رسومات ترجع للقرن ٦/٤ في دير باويط بصعيد مصر.



٤٤ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الزاوية الشرقية القبلية. وكل ما كان مصوَّراً داخل المقبب فُقد بسقوط طبقة البياض؛ أما فوق المقبَّب فعلى الركن الأيمن، يُرى زكريا الكاهن وهو ماسك مبخرة، واقفاً على دَرَج هو دَرَج الهيكل طبعاً؛ أما في الركن الأيسر فيُرى ملاك بهي ووجهه مضيء جداً بجلال هو الملاك جبرائيل يبشر بميلاد يوحنا المعمدان. وتُعتبر هذه الصورة أو الأيقونة الحائطية بمثابة عنوان للهيكل كله.



٤٥ - **كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان** (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)
وهي لبشارة زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان

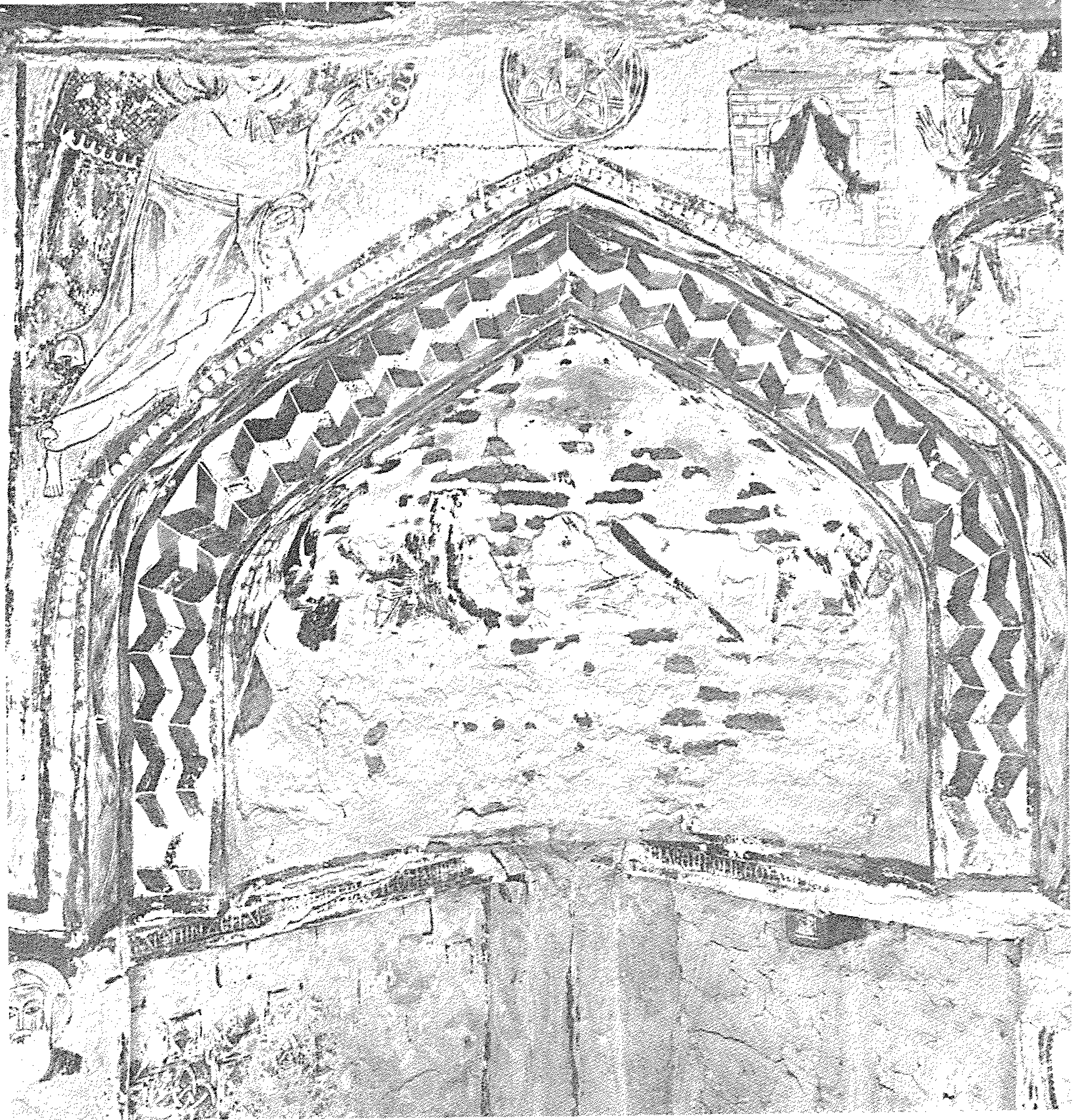


٤٦ - صليب من الرخام بالحفر تحيط به نقوش بديعة. ويُلاحظ وجود طائرين (ربما حمامتان) على جانبي الصليب من أسفل. ويُظن أنه كان ضمن نقوش إما لقان أو مذبح. وهو محفوظ الآن بالمتحف.



٤٧ - كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

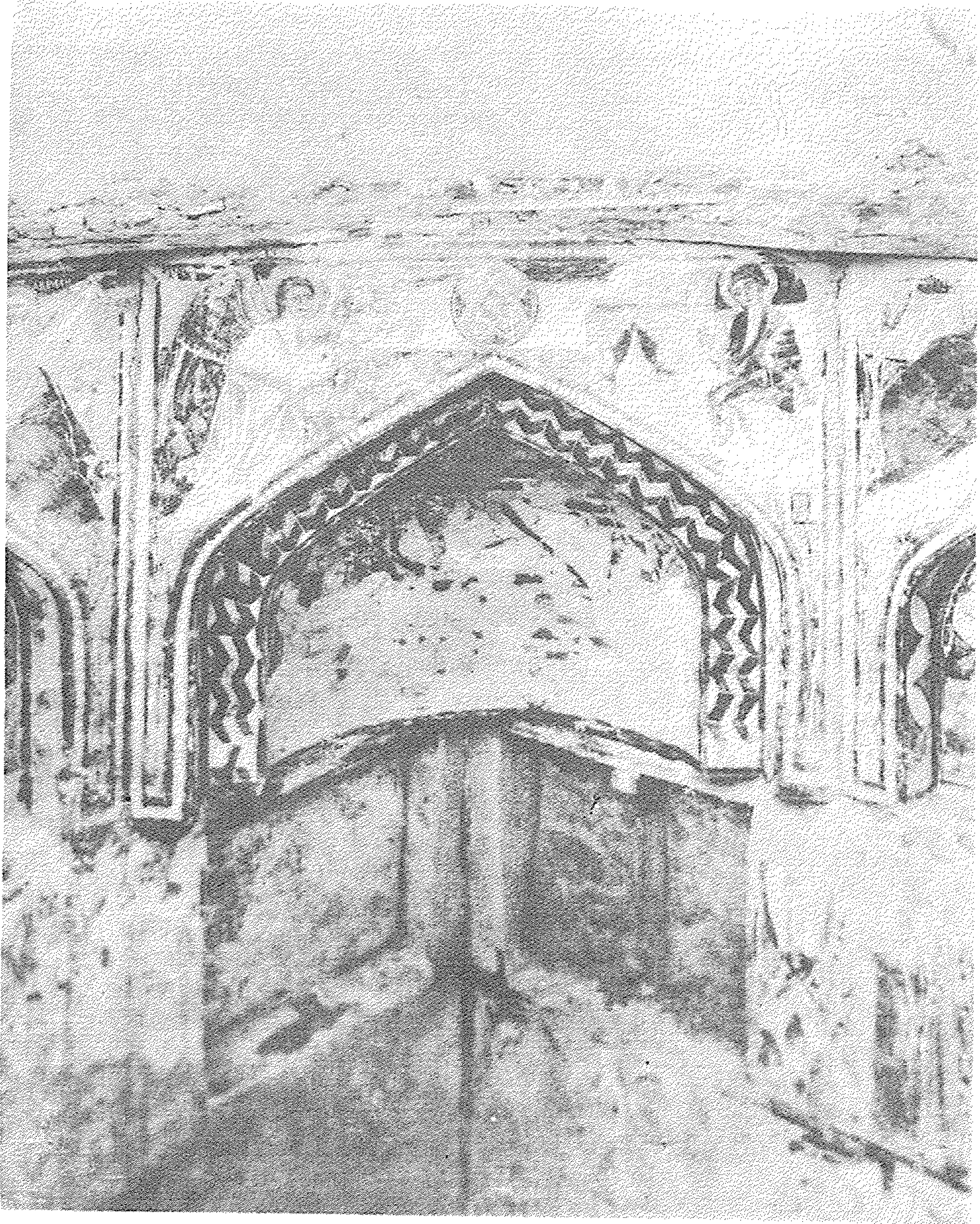
الصورة تحددها الزاوية البحرية الغربية، وتمثل في أسفلها النهائي من جهة اليمين القديس باخوميوس وعلى يمينه لوحه المشهور الذي يرمز إلى قوانينه الرهبانية التي استلمها من الملاك؛ وبجوار أذنه اليمنى مباشرة ثلاثة مفاتيح معاً وهي تمثل مفاتيح معرفة طريق «الثالوث» المؤدي إلى الحياة الأبدية؛ وفي أسفلها من جهة اليسار صورة لإنسان يُظن أنه يمثل شخصية من شخصيات العهد القديم. وفي داخل المقبَّب توجد ملامح لصورة تمثل القيامة، وهذا هو الرأي المرجح لعالم القبطيات الأب Jules Leros ؛ وفوق المقبب من اليمين صورة يعقوب وبجواره السلّم تعبيراً عن حلمه المشهور الذي فيه رأى السماء مفتوحة. أما فوق المقبب من اليسار فتوجد صورة مقابلة لهذا المعنى في العهد الجديد وهي غالباً لنثنائيل وفيلبس وهو يدعوه ليسمع من الرب: «من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.» (يو ١:٥١).



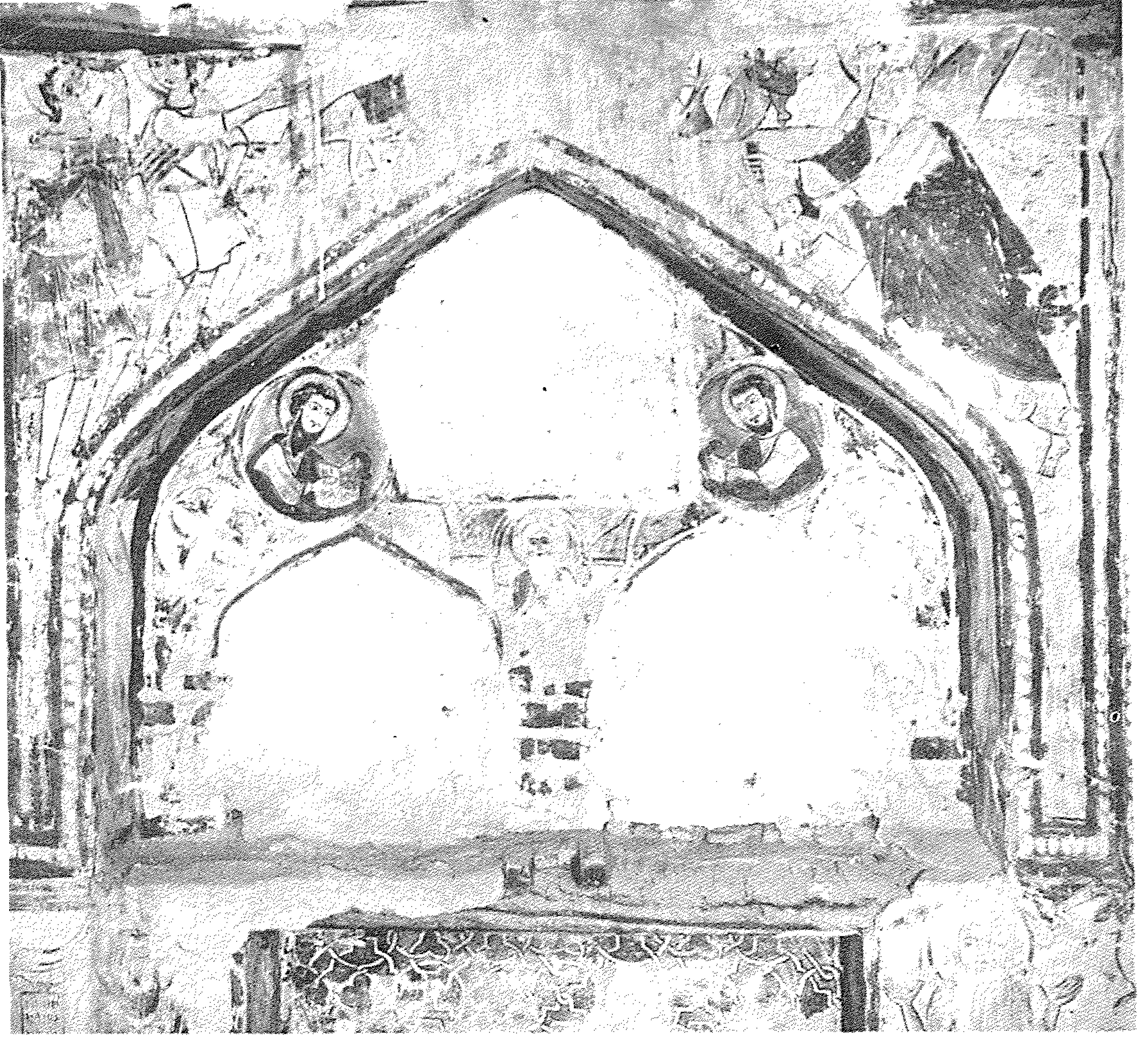
٤٨ ـــ **كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان** (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الزاوية الشرقية البحرية. وتمثل في أسفلها من جهة اليمين الشاروبيم ذا الستة الأجنحة؛ أما عن جهة اليسار فيظهر رأس القديس أنبا أنطونيوس؛ وداخل المقبب صورة الميلاد غير واضحة المعالم.

هنا وفوق المقبب من اليمين صورة العذراء جالسة على كرسي بوجه مشرق جميل الملامح غاية الجمال بمسحة قبطية رائعة تخلو من أي أثر للروح البيزنطية التقليدية، وفوق المقبب من اليسار يظهر ملاك البشرى بوجهه المضيء البهي وأجنحته الجميلة المزخرفة. و يلاحظ القارىء أن أجزاءً من الرأس غير ظاهرة وذلك بسبب عملية بناء القبة. وإذا عاد القارىء للوحة التالية (رقم ٤٩) وهي مأخوذة قبل بناء القبة فسوف يجد جميع المعالم واضحة غاية الوضوح.



٤٩ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠م)
وفيها جميع ملامح صورة البشارة واضحة غاية الوضوح.



٥٠ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

والصورة تحددها الجهة البحرية. وهي تمثل:

أولاً: في أسفل الصورة من اليمين: أنبا بولا.

ثانياً: في أسفل الصورة من اليسار: كل من أنبا باخوميوس وأنبا شنودة.

ثالثاً: داخل العقد: ثلاثة من الإنجيليين.

رابعاً: فوق العقد من اليمين: إبراهيم يذبح إسحق.

خامساً: فوق العقد من اليسار: الغلامان اللذان اصطحبهما إبراهيم ومعهما الدابة واضحة في اليسار.



٥١ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الزاوية القبلية الغربية. وهي ضعيفة الملامح لا يظهر منها بوضوح إلا الملاكان وهما ممسكان بيد شخص مختفٍ، وهو بالطبع لوط (داخل الباب). والصورة في الركن الأيسر فوق المقبب.



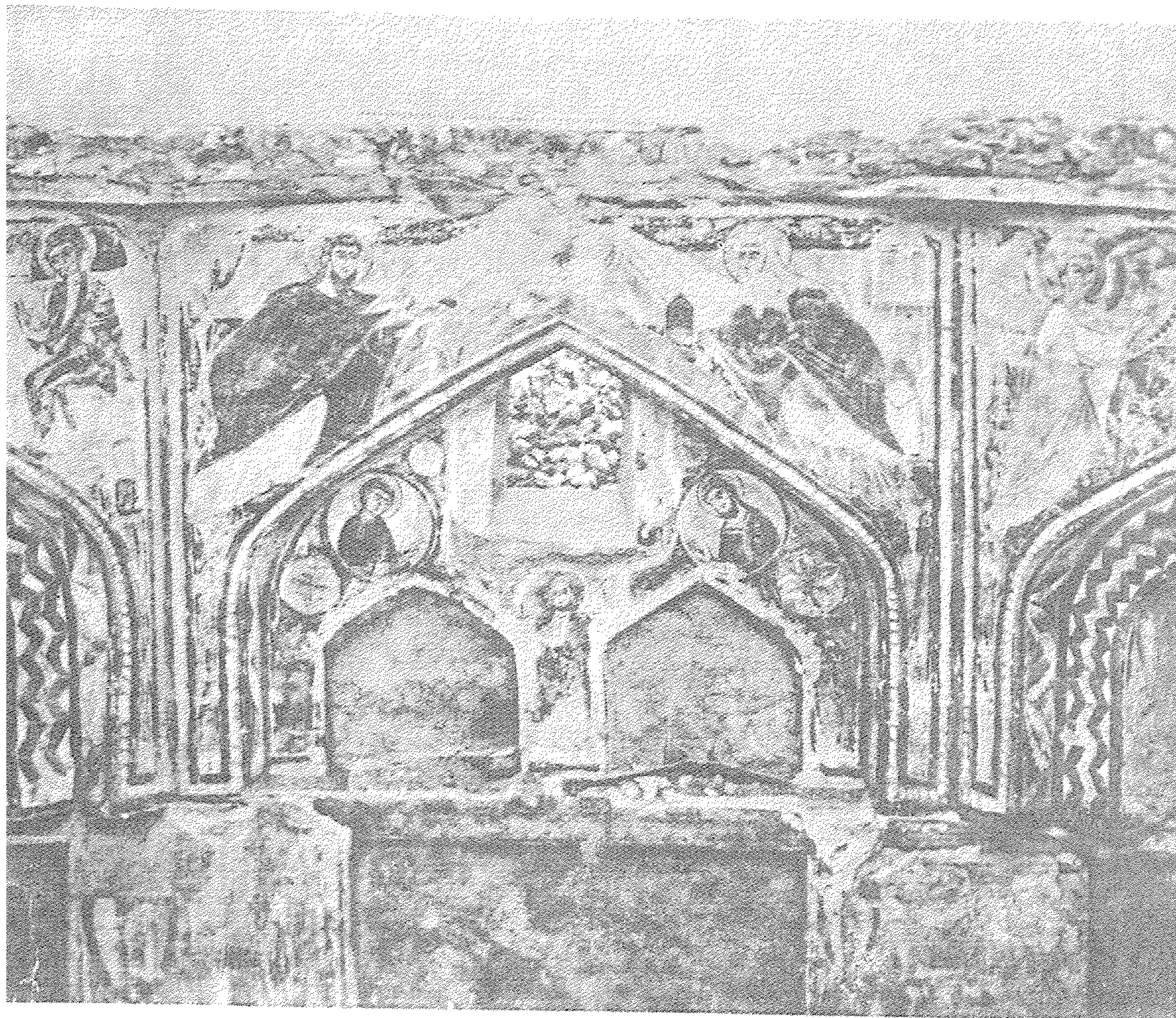
٥٢ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الجهة الشرقية. و يظهر فيها :

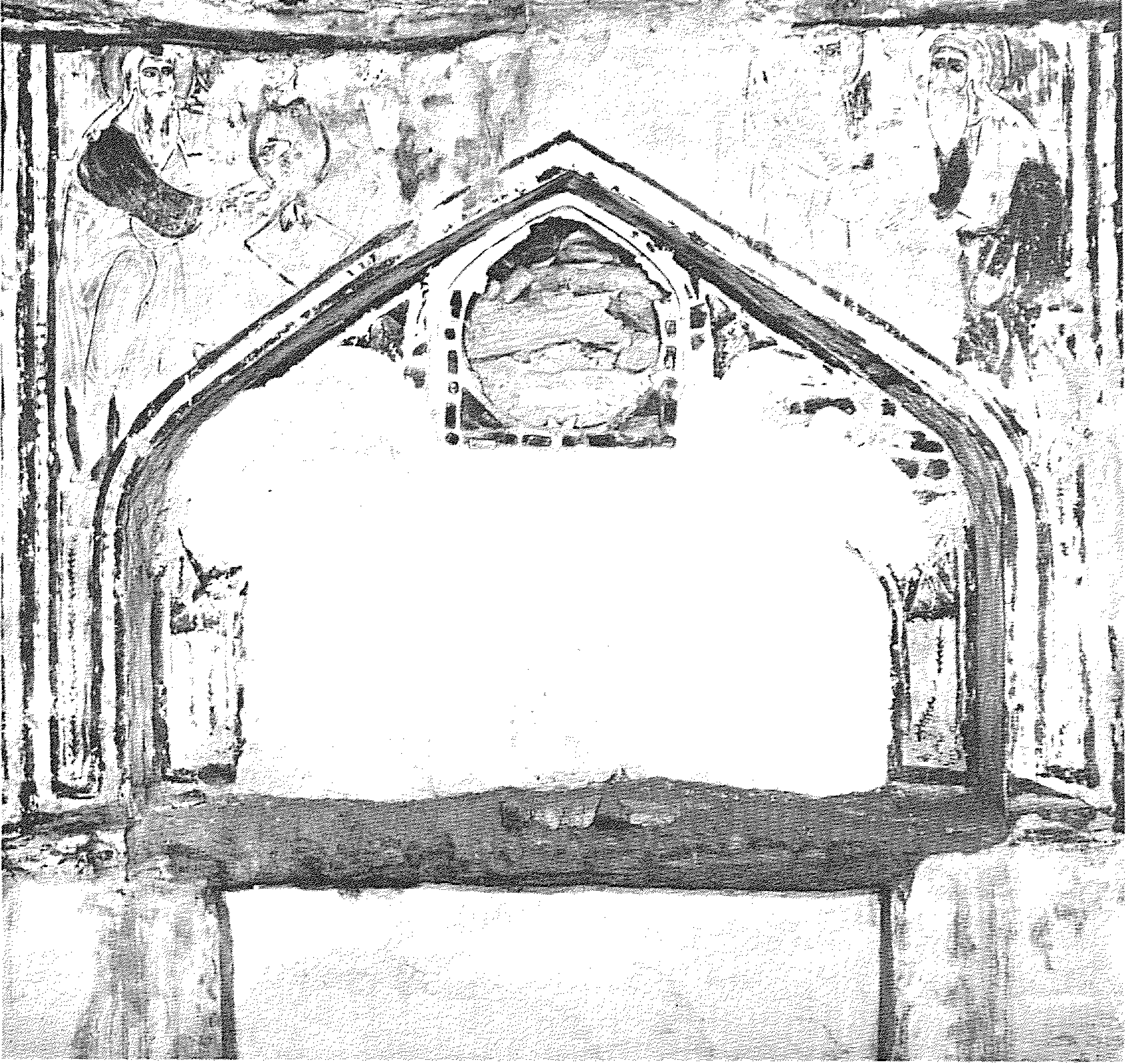
١ ــ داخل العقد ثلاثة وجوه: للسيد المسيح ، والسيدة العذراء ، والقديس يوحنا المعمدان وهما في وضع التضرع والشفاعة.

٢ ــ فوق العقد من اليمين و يُظن أنها صورة لهارون الكاهن.

٣ ــ وفوق العقد من اليسار و يُظن أنها صورة لموسى النبي وأمامه ما يشبه لوحي العهد.

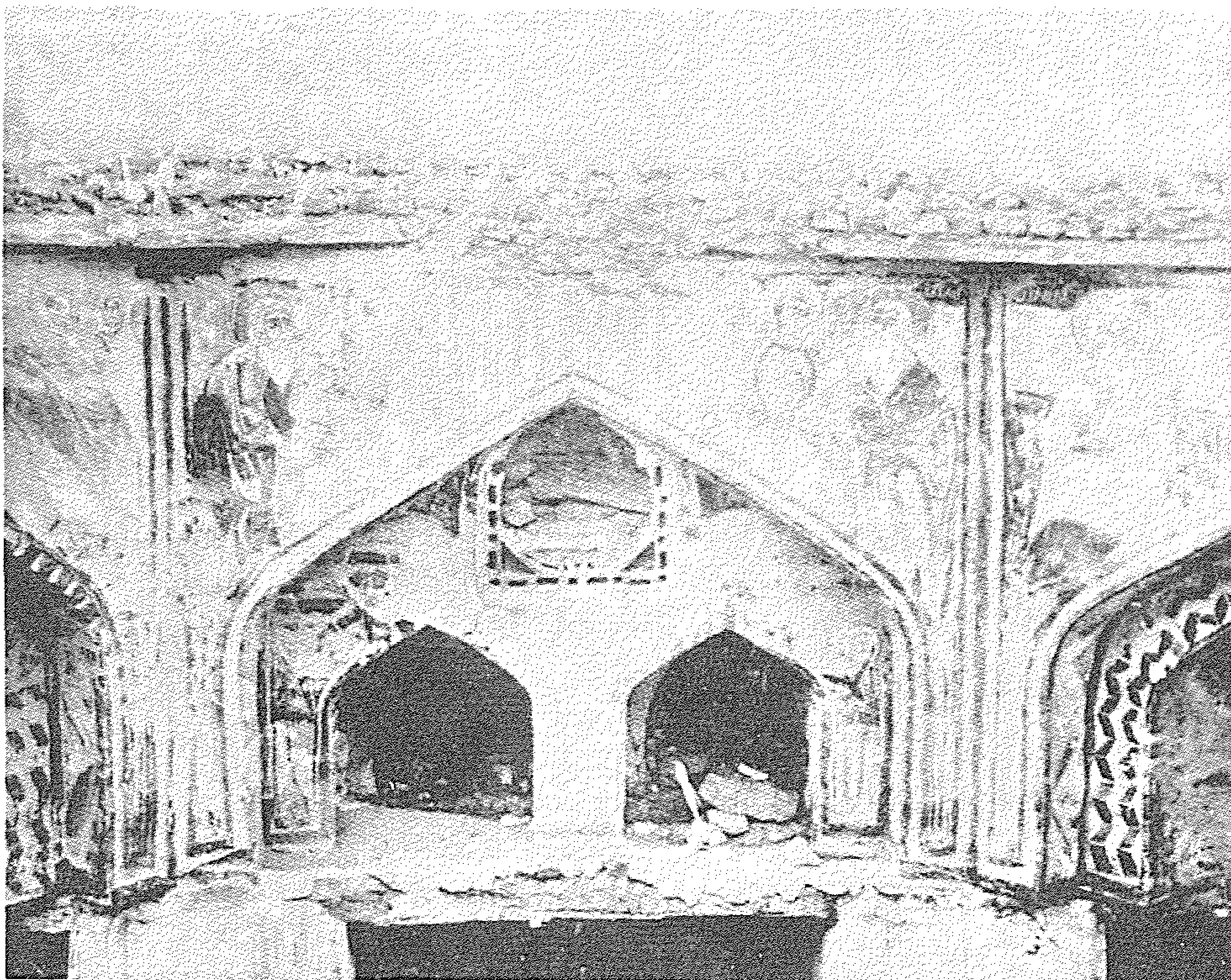


٥٣ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)
وفيها يظهر السيد المسيح والسيدة العذراء والقديس يوحنا المعمدان ومن فوق هرون الكاهن وموسى النبي.



٥٤ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

والصورة تحددها الجهة القبلية. وتمثل فوق العقد من جهة اليمين ملكي صادق وهو يعضد إبراهيم بخبز وكأس خمر بعد عودته من كسرة كَدَرْلَعَوْمر؛ والمقابل له من الجهة اليسرى إشعياء النبي وهو يتقبل من الساروفيم (على شكل طائر واقف على قاعدة) جمرة النار الممسوكة بالملقاط.



٥٥ ـــ كنيسة أنبا مقار ـــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)
وهي نفس اللوحة السابقة ولكن أكثر وضوحاً. فالساروفيم ظاهر بوجهه الإنساني وجسده الذي يشبه الطائر.



٥٦ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان (صورة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الزاوية البحرية الشرقية. وتمثل مجموعتين داخل المقبب: المجموعة اليمنى وهي لرعاة يظهر واحد منهم ممسكاً بمزمار يبشرهم الملاك بميلاد المخلص، والمجموعة اليسرى وهي للملاك الذي ظهر للمجوس يحذرهم من الرجوع إلى هيرودس.



٥٧ ــ صورة مكبرة لشخص من أشخاص المجوس الذين يخاطبهم الملاك في اللوحة رقم ٥٦ .



٥٨ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة لشخص من الرعاة الذين يبشرهم الملاك وهو يرى ماسكاً بزمار في فمه كطقس رعاة الأغنام كما جاء في اللوحة رقم ٥٦ .



٥٩ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة للملاك الذي ظهر للمجوس كما جاء في اللوحة رقم ٥٦ .



٦٠ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة للملاك الذي بشر الرعاة وتبدو ملامح وجه الملاك غاية في الهيبة والوقار. أنظر لوحة رقم ٥٦ .



٦١ ـ كنيسة أنبا مقار ـ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة للسيد المسيح كما جاءت في اللوحة رقم ٥٢.



٦٢ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة لزكريا الكاهن ممسكاً بالمبخرة كما جاءت في صورة البشارة لوحة رقم ٤٥ .



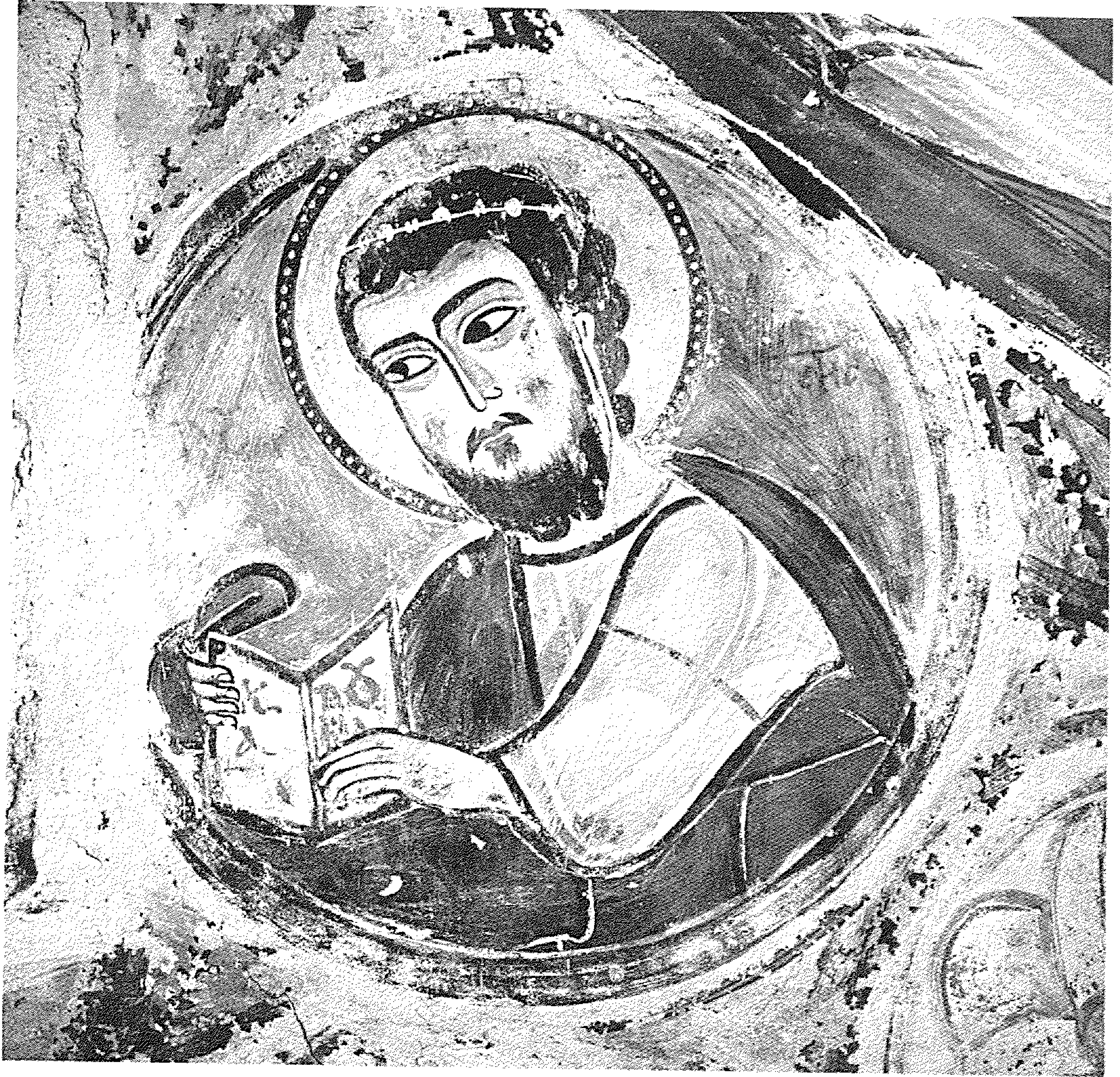
٦٣ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة للسيدة العذراء وهي تتقبل البشارة من الملاك كما جاءت في اللوحة رقم ٤٨ .



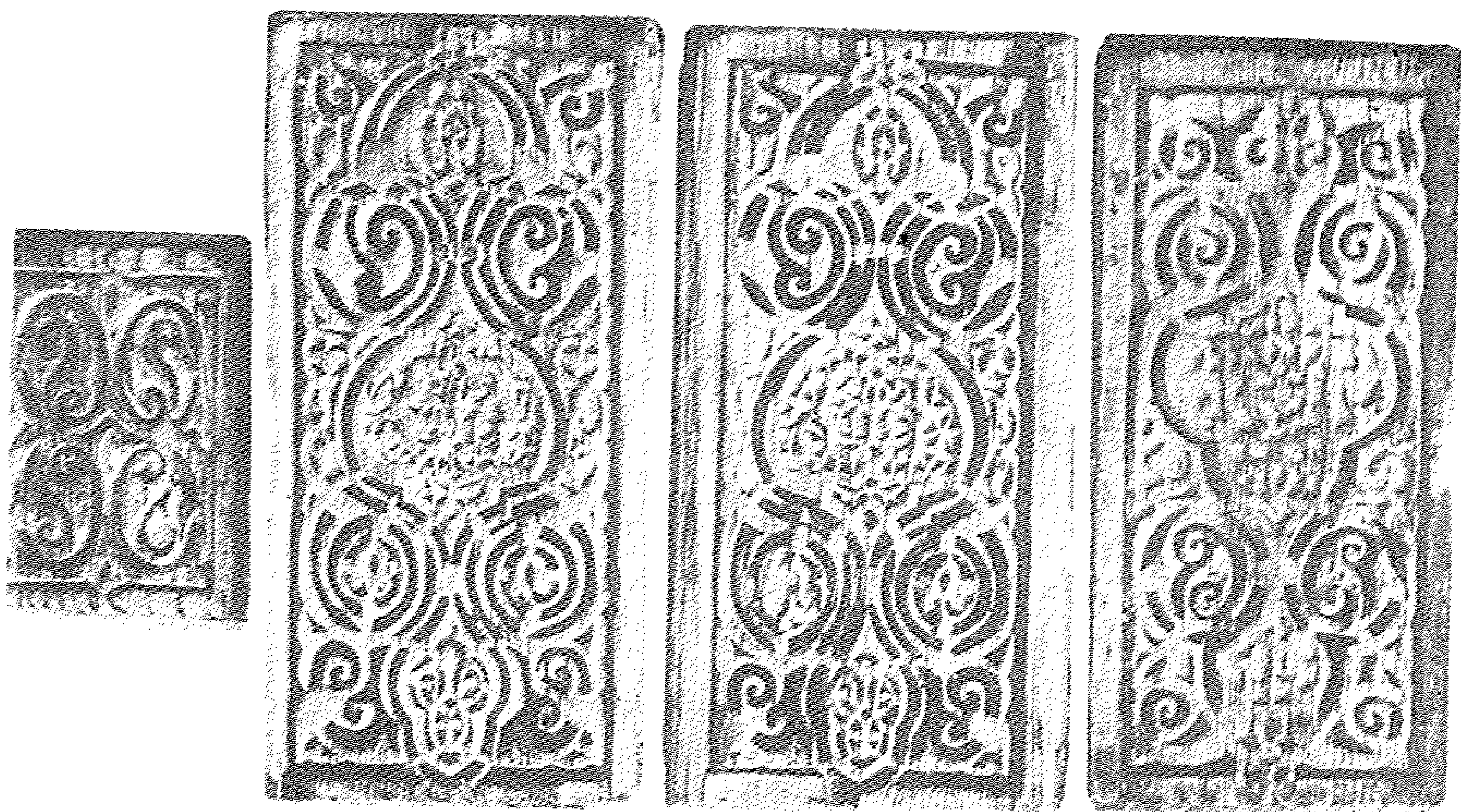
٦٤ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

صورة مكبرة للسيدة العذراء كما جاءت في اللوحة رقم ٥٢ .



٦٥ ــ كنيسة أنبا مقار ــ هيكل يوحنا المعمدان

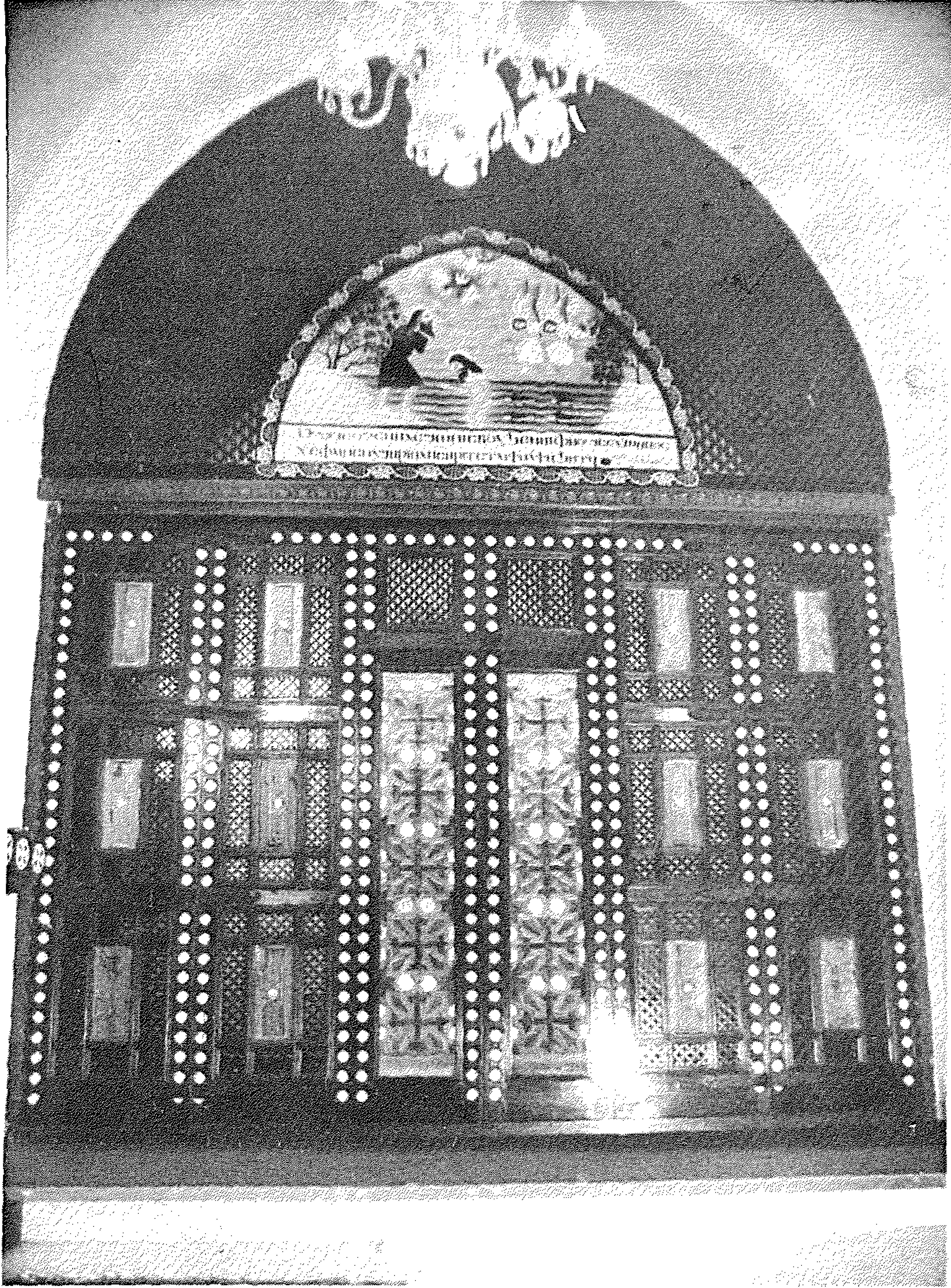
صورة مكبرة لأحد الإنجيليين كما جاءت في اللوحة رقم ٥٠.



٦٦ ــ حشوات (Panels) من حجاب هيكل أنبا مقار.
من القرن الثاني عشر وهي من روائع الحفر على خشب الجميز.

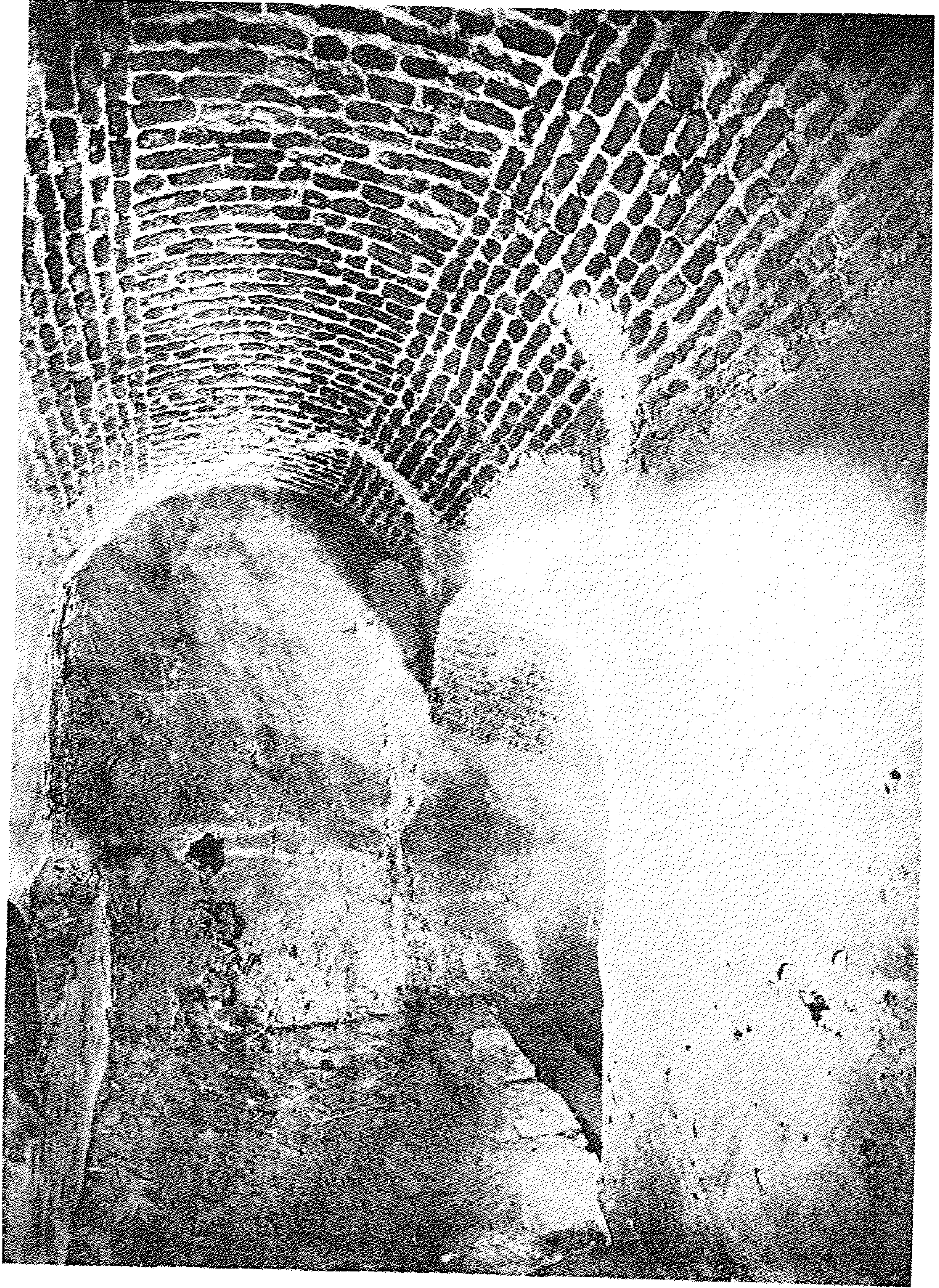


٦٧ ــ تيجان أعمدة من آثار صحن كنيسة أنبا مقار الكبرى



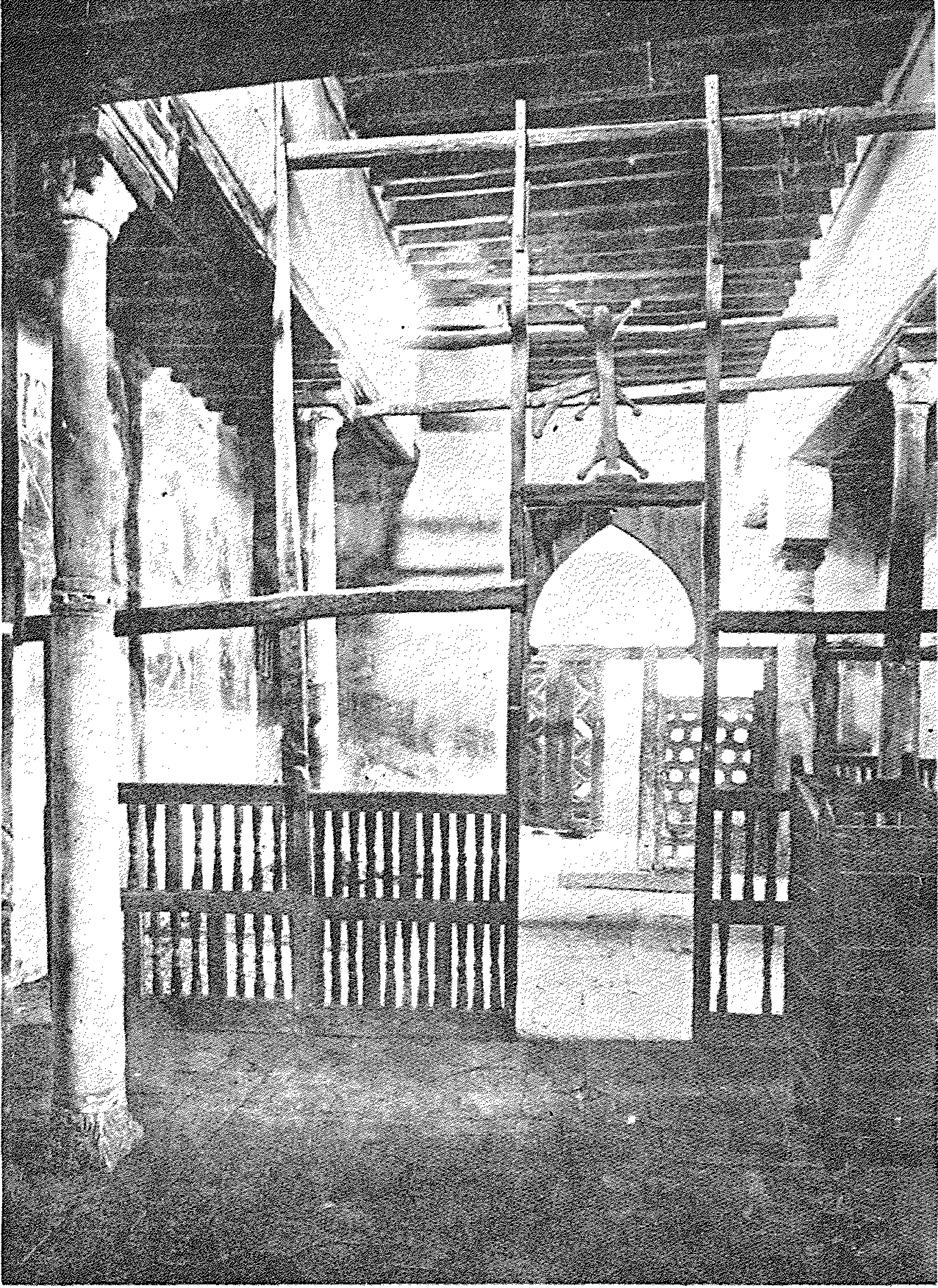
٦٨ ـ حجاب هيكل القديس يوحنا المعمدان (الهيكل البحري)

يتكون من ١٢ حشوة قديمة من خشب الأبنوس المطعّم بالعاج الأبيض المنقوش نقشاً دقيقاً كانت قبلاً ضمن بقايا حجاب قديم بكنيسة الملاك ميخائيل بالحصن. و يرجع تاريخها وكذلك الباب الذي يتوسطها إلى ق١٣/ ١٤. والشكل العام يشابه مثيله في حجاب هيكل أنبا بنيامين، و يعلوه صورة زيتية لعماد السيد المسيح مأخوذة عن مخطوطة قبطية لمطران دمياط في ق١٢ ومحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس.



٦٩ ــ الحصن : بئر السلم

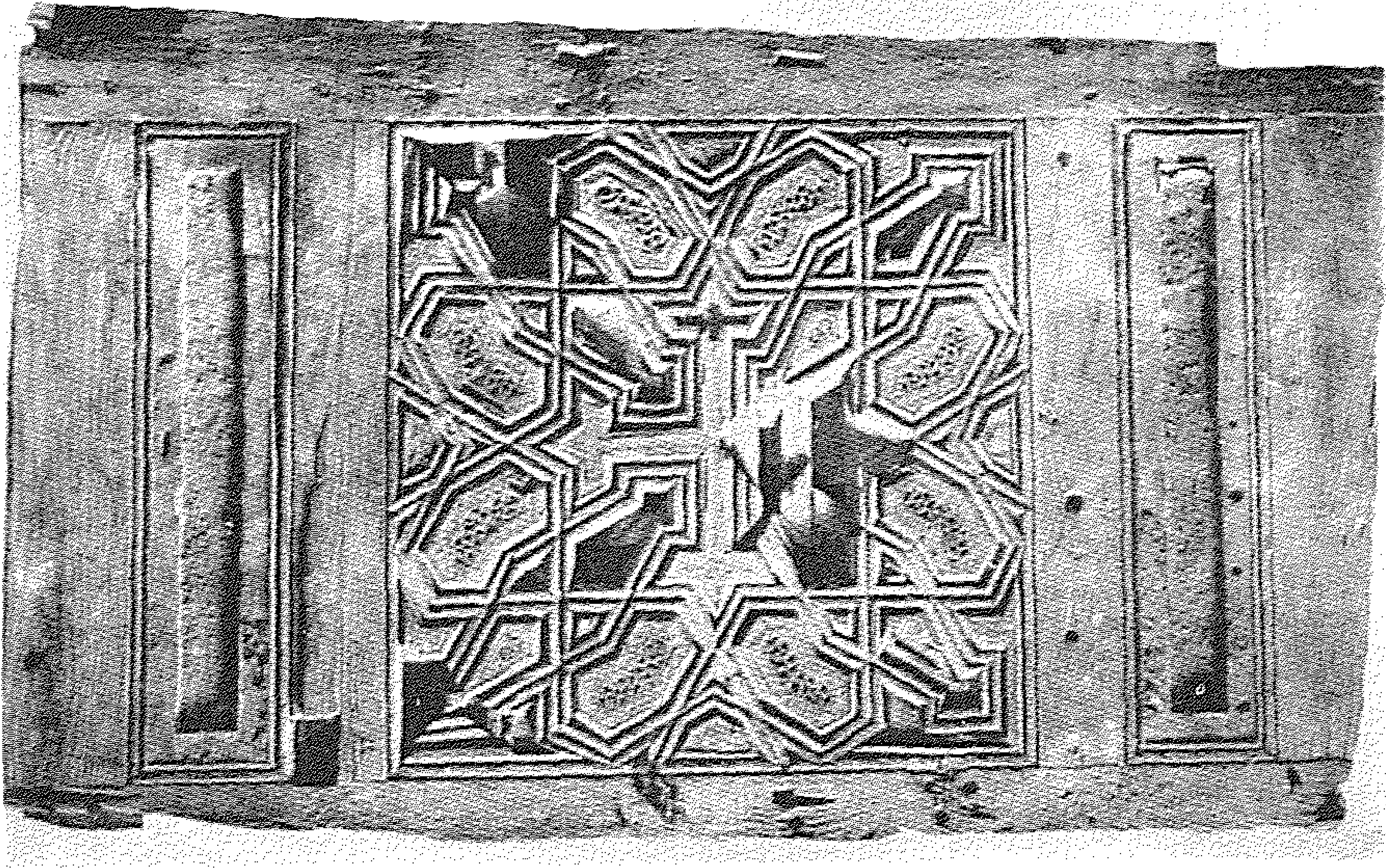
صورة مأخوذة بيد إڤلين هوايت سنة ١٩٢٠م، و يظهر فيها قبو السلم وهو نصف إسطواني من الطوب الأحمر المكشوف.
و يلاحظ القارىء فن بناء القبو بطريقة لا يحتاج فيها البنّاء إلى فورمة.



٧٠ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

(قبل عمل سقف بالخرسانة المسلحة للطابق الثالث بالحصن)

صورة فوتوغرافية مأخوذة بيد إڤلين هوايت سنة ١٩٢٠م ، وفيها يظهر الطراز البازيليكي بوضوح : الصحن في الوسط والجناحين على جانبي الصحن طولياً على أعمدة رخامية ، كما يظهر الجزء الغربي من الكنيسة وهو مقتطع من دهليز الطابق الثالث من الحصن . و يُرى في الصورة كل خورس ببابه .



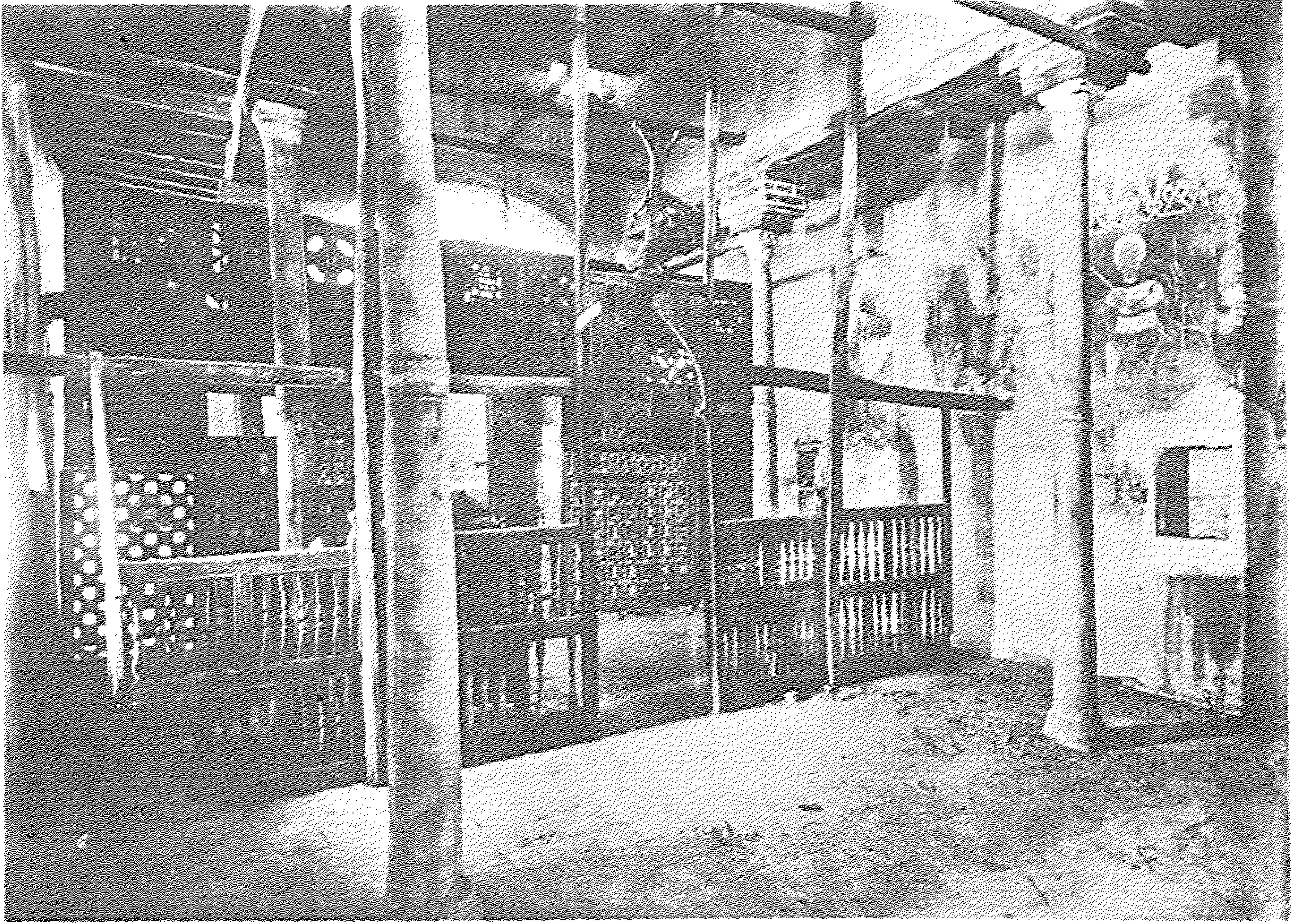
٧١ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

قطعة خشبية مطعمة بالعاج و يبدو أنها مأخوذة من حجاب هيكل كنيسة الملاك ميخائيل .



٧٢ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

و يظهر في الصورة الملاك ميخائيل حاملاً بيده اليسرى ما يشبه القربانة ، وحربته المشهورة بيده اليمنى .



٧٣ ـ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

و يظهر في الصورة الرسوم على الحائط القبلي وهي للقواد المحار بين القديسين المذكورة أسماؤهم .

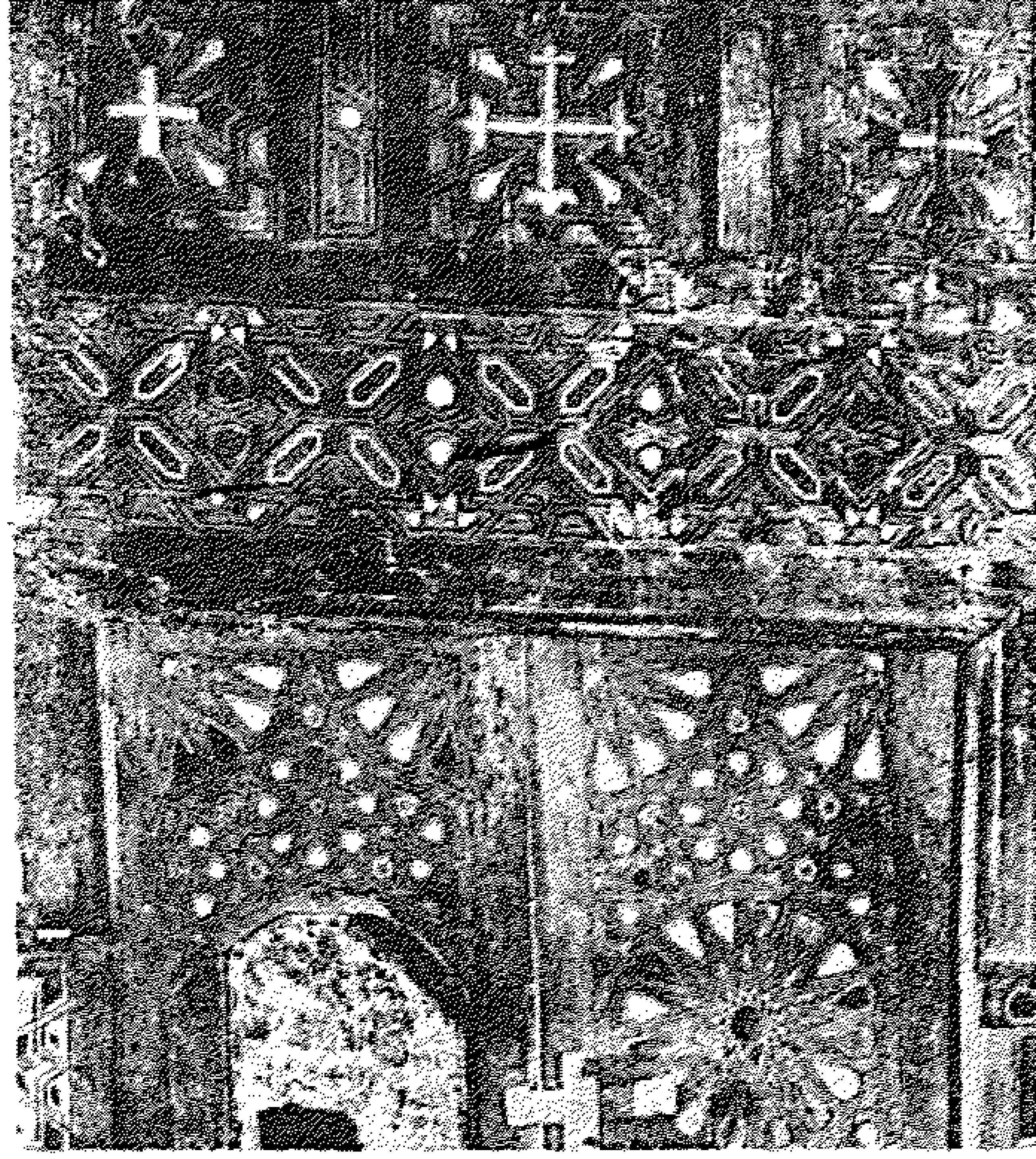


٧٤ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

و يظهر في الصورة القائد القديس المحارب ڤاسيليدس وابنه مكاريوس أخو يوسابيوس .



٧٥ ــ **الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث:** و يظهر في الصورة القائد المحارب يسطس الوز ير وأبّالي بن يسطس .



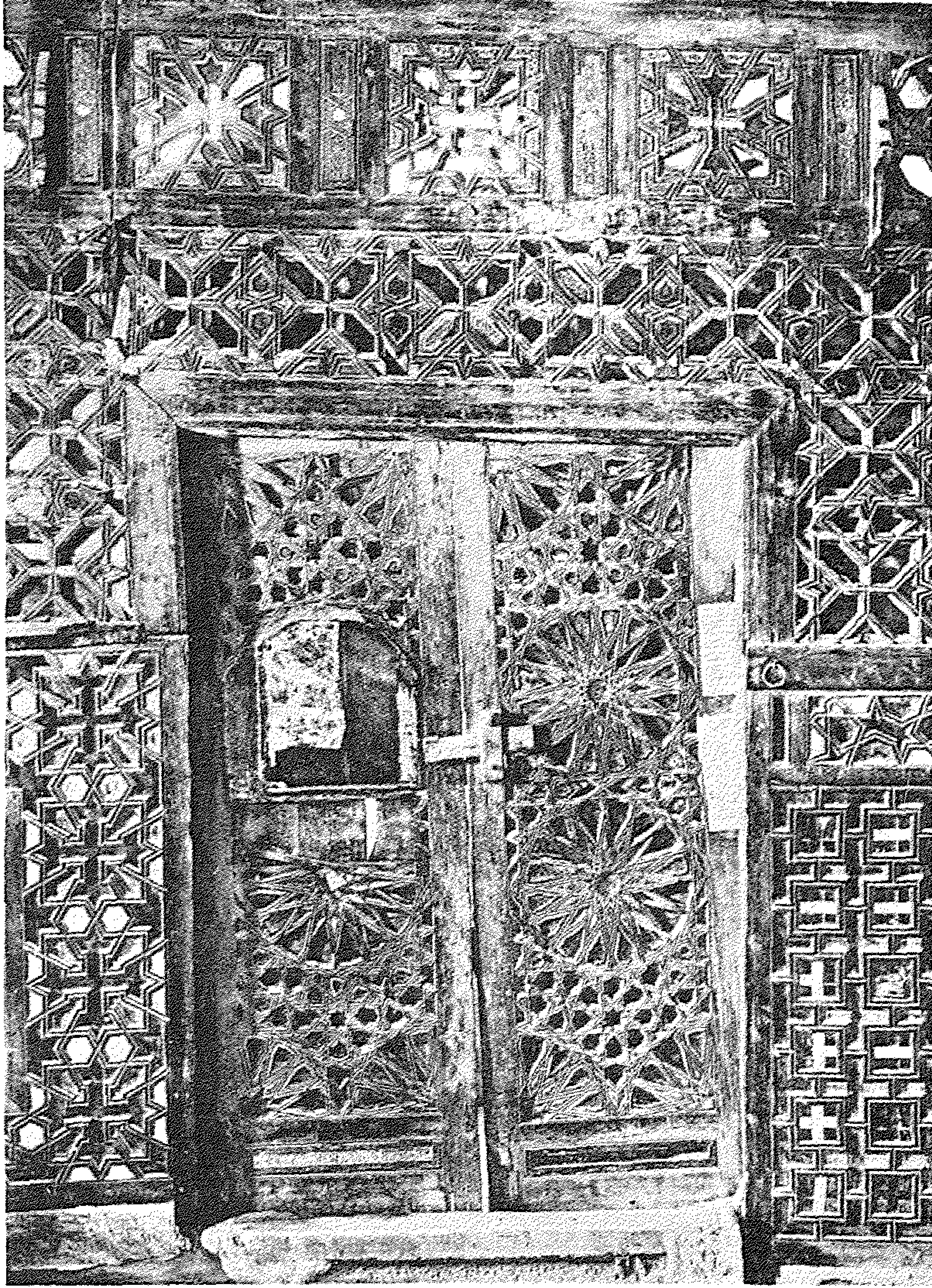
٧٦ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، و يظهر فيها الحجاب بحالته الأولى قبل أن تعبث به الأيدي الجريئة الآثمة التي استخرجت الصلبان من مواضعها واقتطعت قطعاً خشبية بأكملها مما أتلف هذا الحجاب الثمين.



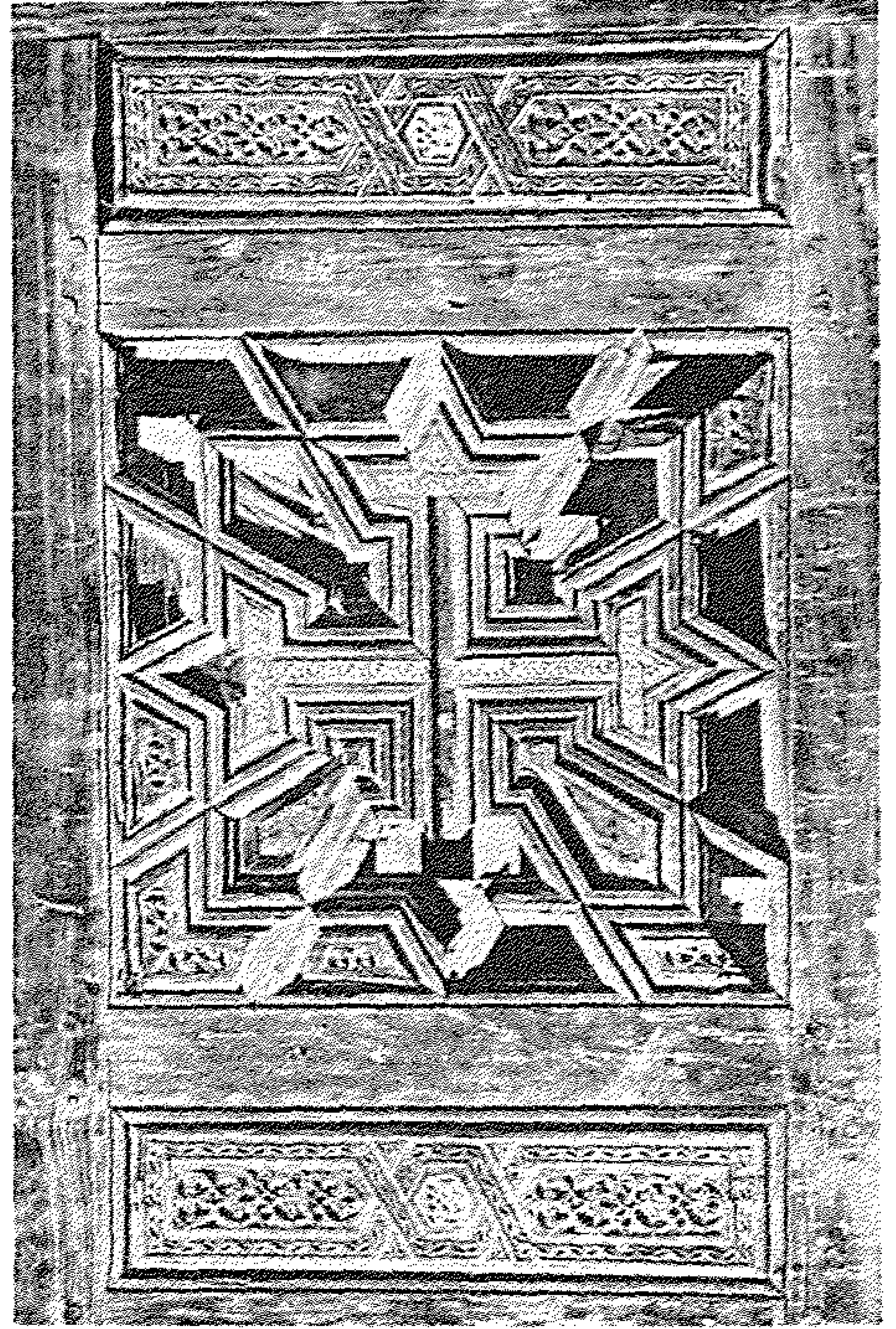
٧٧ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، و يظهر فيها النجمة المميزة لهذا الحجاب على ضلفة الباب قبل أن تعبث بها الأيادي.



٧٨ ـ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة حديثة نوعاً ما ، و يظهر فيها الحجاب وقد عبثت به الأيادي واقتلعت الصلبان المطعمة من مواضعها ، فظهرت النقوش مشوهة وفقد الحجاب رونقه الأول .



٧٩ ــ الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة حديثة لجزء علوي من الحجاب و يظهر فيه وحدة لصليب مطعم يُعتبر من أجمل وأدق الصلبان المطعمة والذي أخذناه في العمارة الحديثة كوحدة متكررة نعتز بها في كل مكان بالدير.



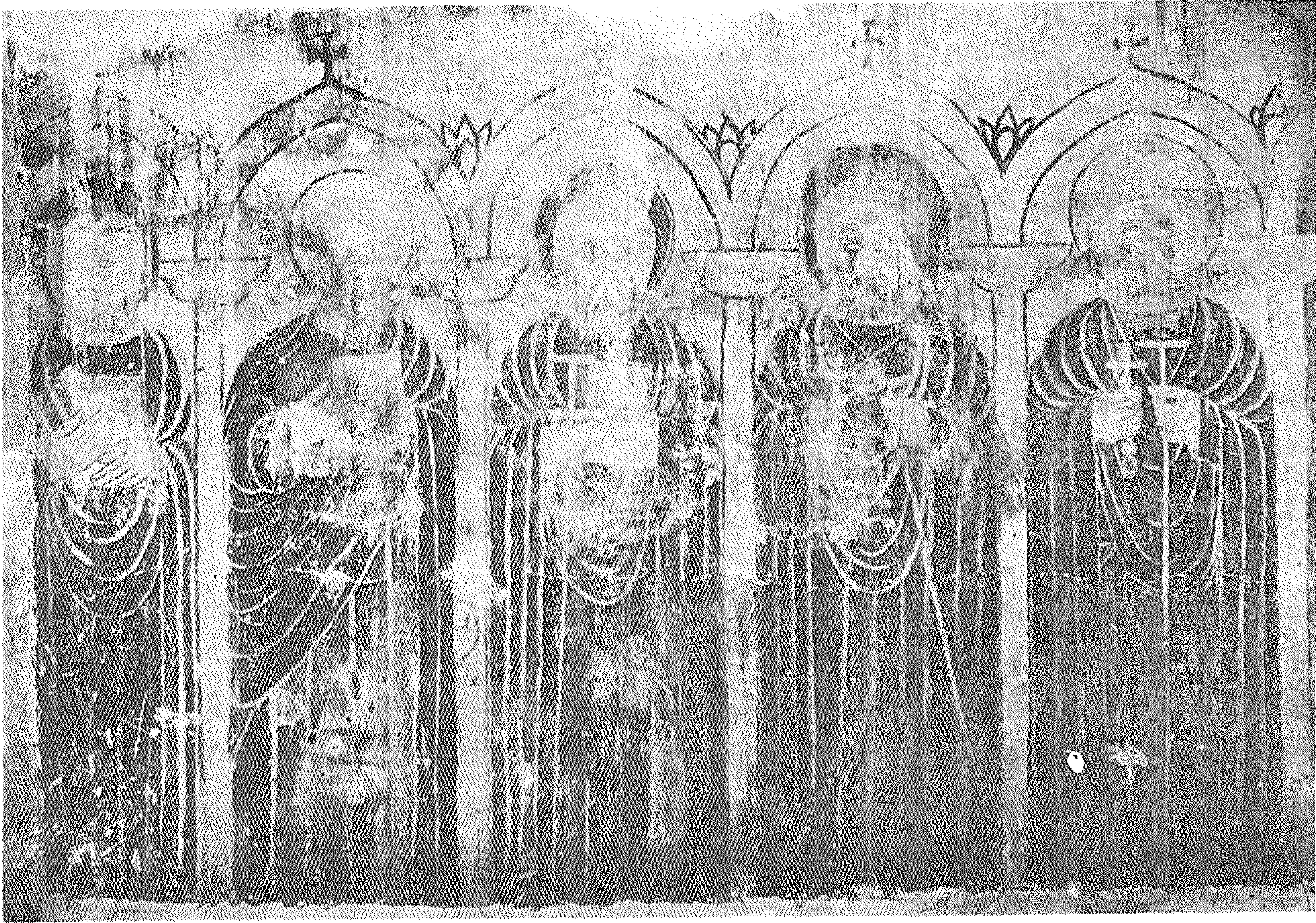
٨٠ ــ تاجا عمودين في كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن
(وهما الآن محفوظان في متحف الدير)



٨١ ــ الحصن : كنيسة أنبا أنطونيوس ، بالطابق الثالث

و يظهر في الصورة شخصية القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا بولا وأنبا باخوميوس بالترتيب من اليمين إلى اليسار.

و يظهر من أسفل في الوسط الأسدان اللذان اضطلعا بدفن جسد القديس أنبا بولا .



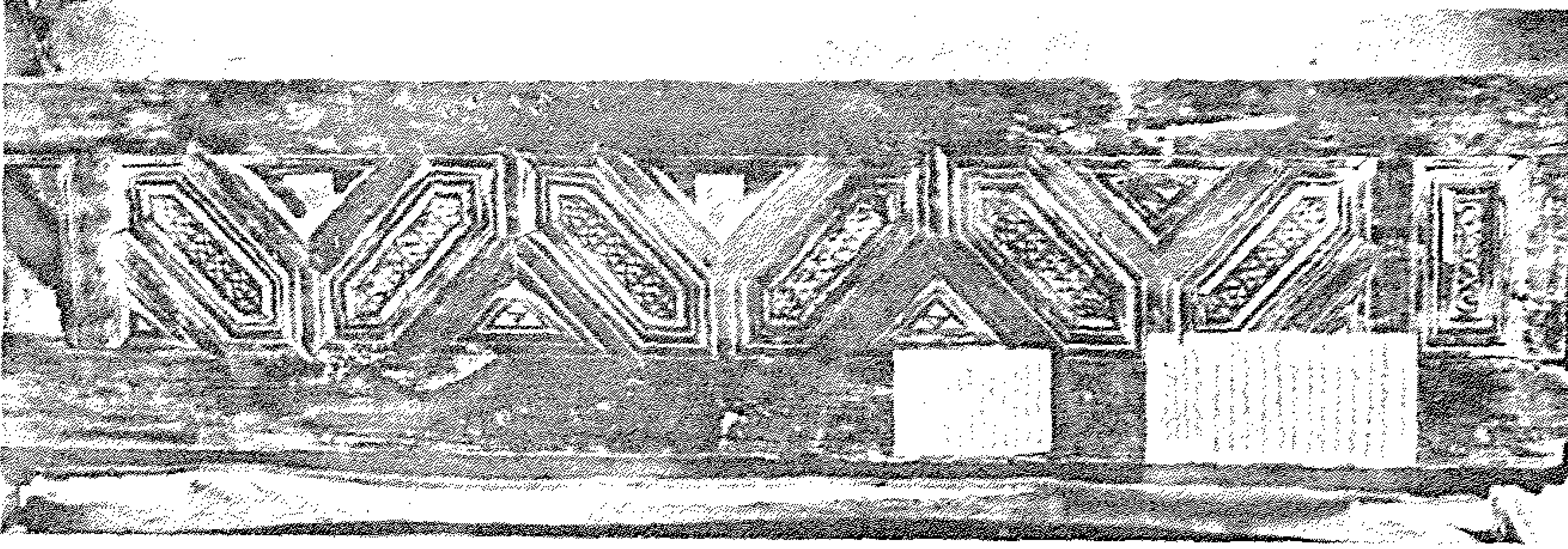
٨٢ ــ الحصن : كنيسة السواح ، الطابق الثالث

والصورة هنا تمثل خمسة سواح هم من اليمين إلى اليسار: أبا جورجي ، وأبا أبوللو، وأبا أبيب ، وأبا ميصائيل ، وأبا بيچيمي .
أما صورة أبا أبرآم رفيق جورجي فقد محتها مياه الأمطار من على كلس الحائط .



٨٣ ــ الحصن : كنيسة السواح بالطابق الثالث

الصورة تمثل شخصية الآباء القديسين السواح (من اليمين إلى اليسار) أنبا صموئيل المعترف ، أنبا يؤنس قمص شيهيت ، وأبا نوفر.



٨٤ ــ الحصن : متحف الأخشاب القديمة بالدور الأرضي

جزء من ضلفة باب الكنيسة من الخشب المنقوش المطعم بالعاج

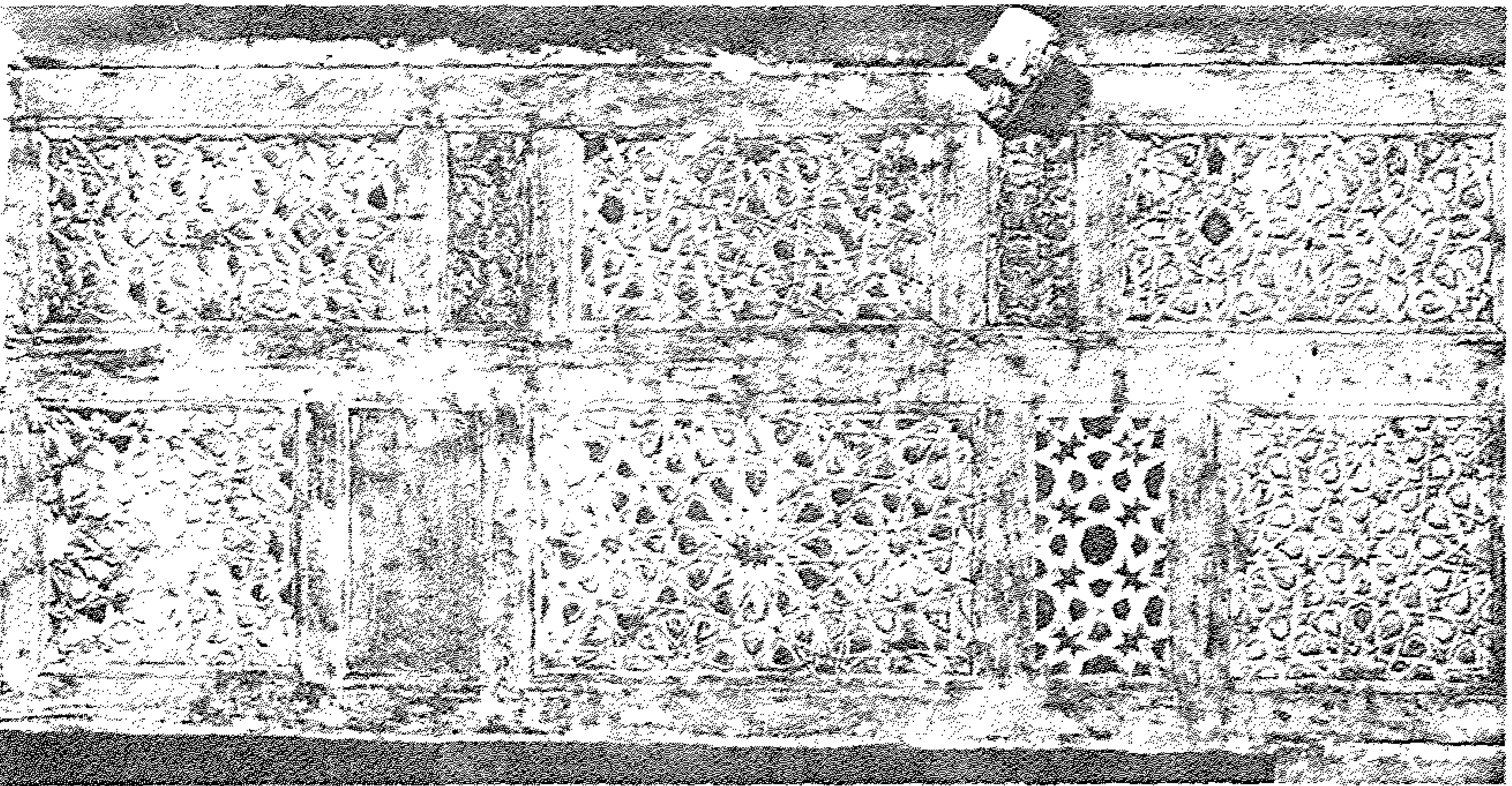
وعليه ملصق ورقة بخط القمص عبد المسيح صليب المسعودي يذكر فيها أسماء السواح المصورين على الحائط البحري.



٨٥ ــ الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

قطعة من الخشب المنقوش و بدون تطعيم وبها تظهر ورقة عنب خماسية التقسيم في شكل زخرفي متكرر،

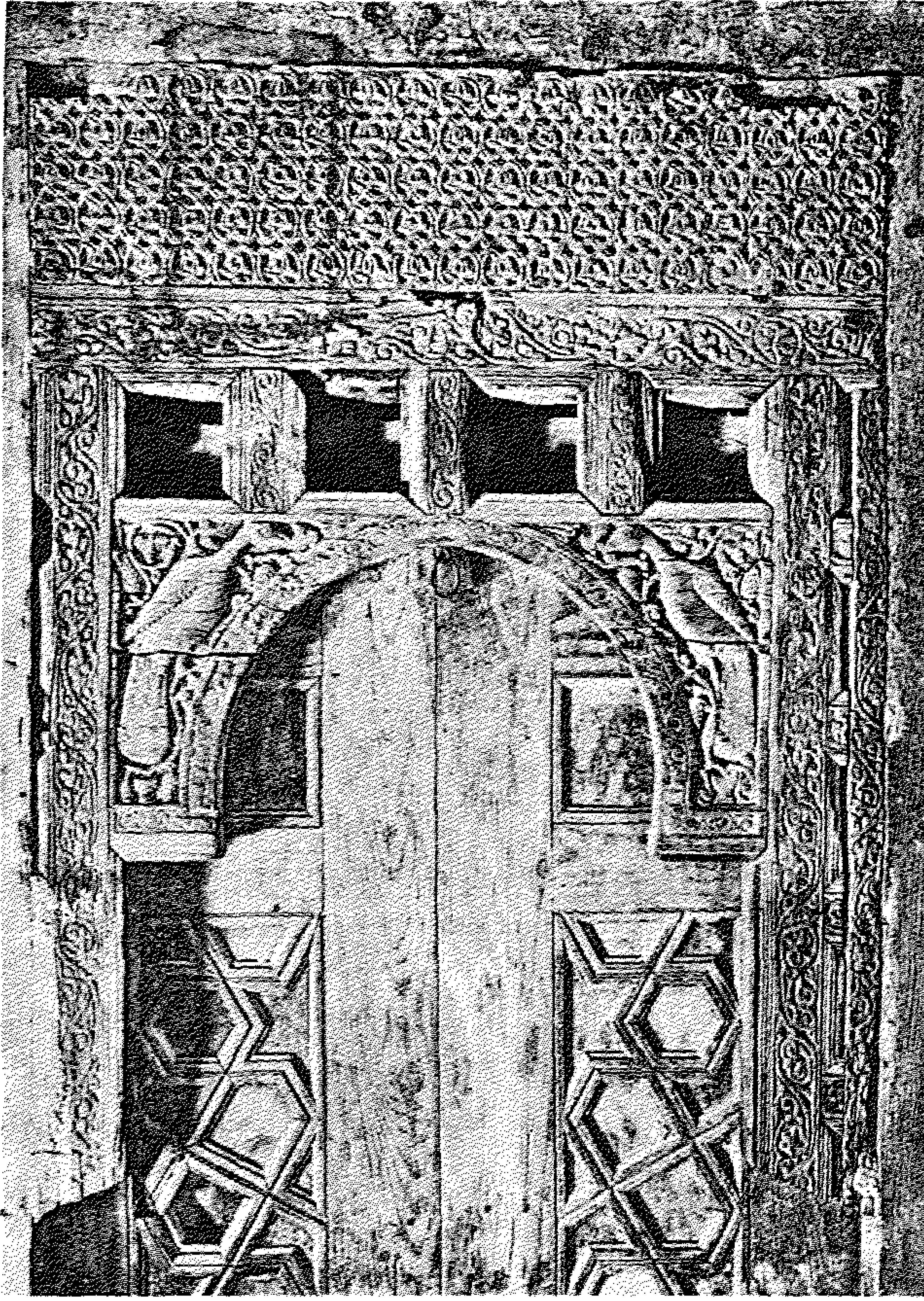
وهي في أحد قوائم الحاجز الذي يلي الخورس الأول. وتاريخها حوالي القرن الثاني عشر.



٨٦ ــ الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

قطعة من الخشب المنقوش و بدون تطعيم في حجاب الهيكل البحري

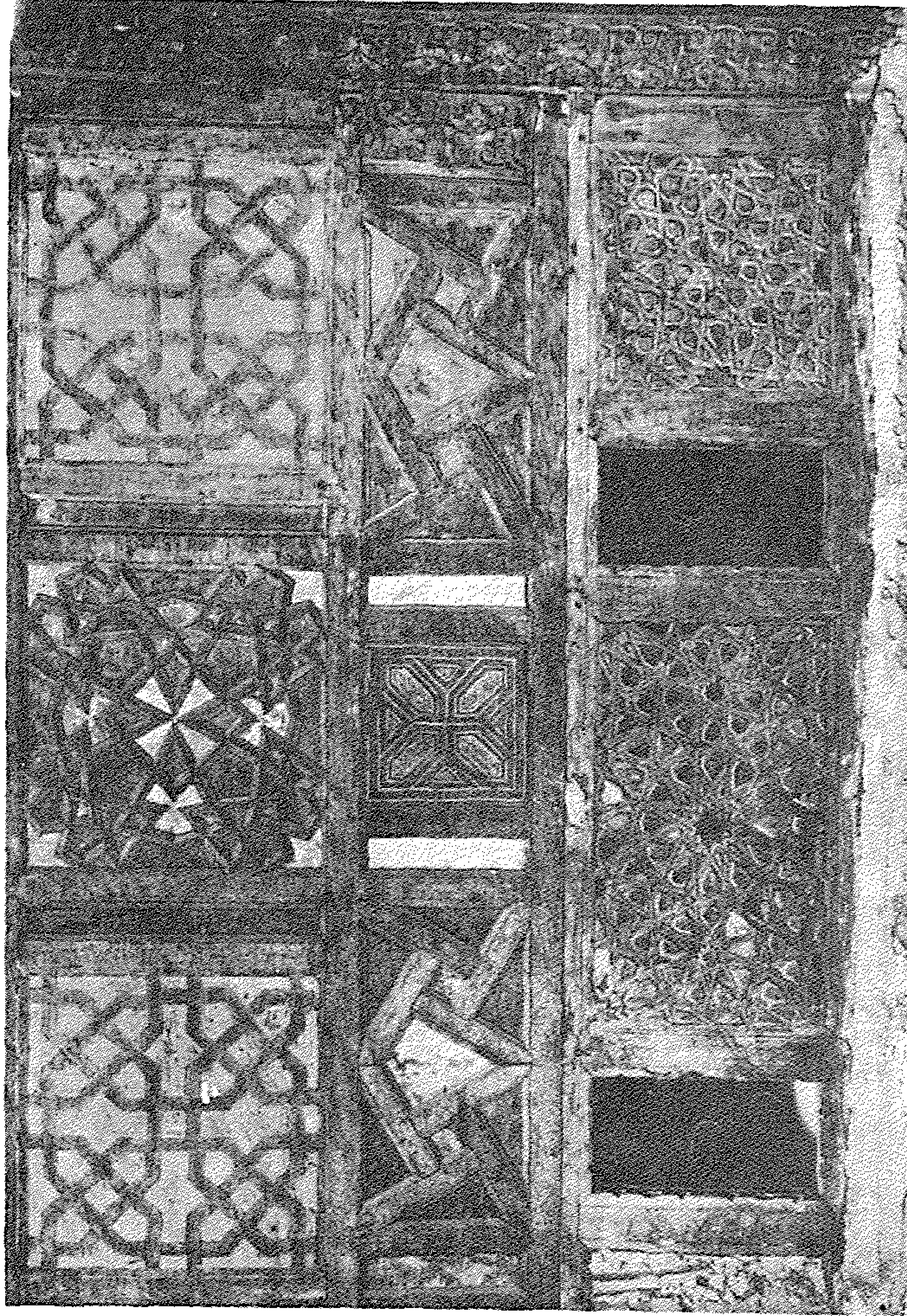
وتمتاز بوجود نجمة تتوسط الحشوة تخرج منها زخرفة على هيئة أشعة من نجوم صغيرة. و يظهر الحجاب هنا بدون وحدة في التصميم.



٨٧ ــ الحصن : كنيسة العذراء، بالطابق الثاني

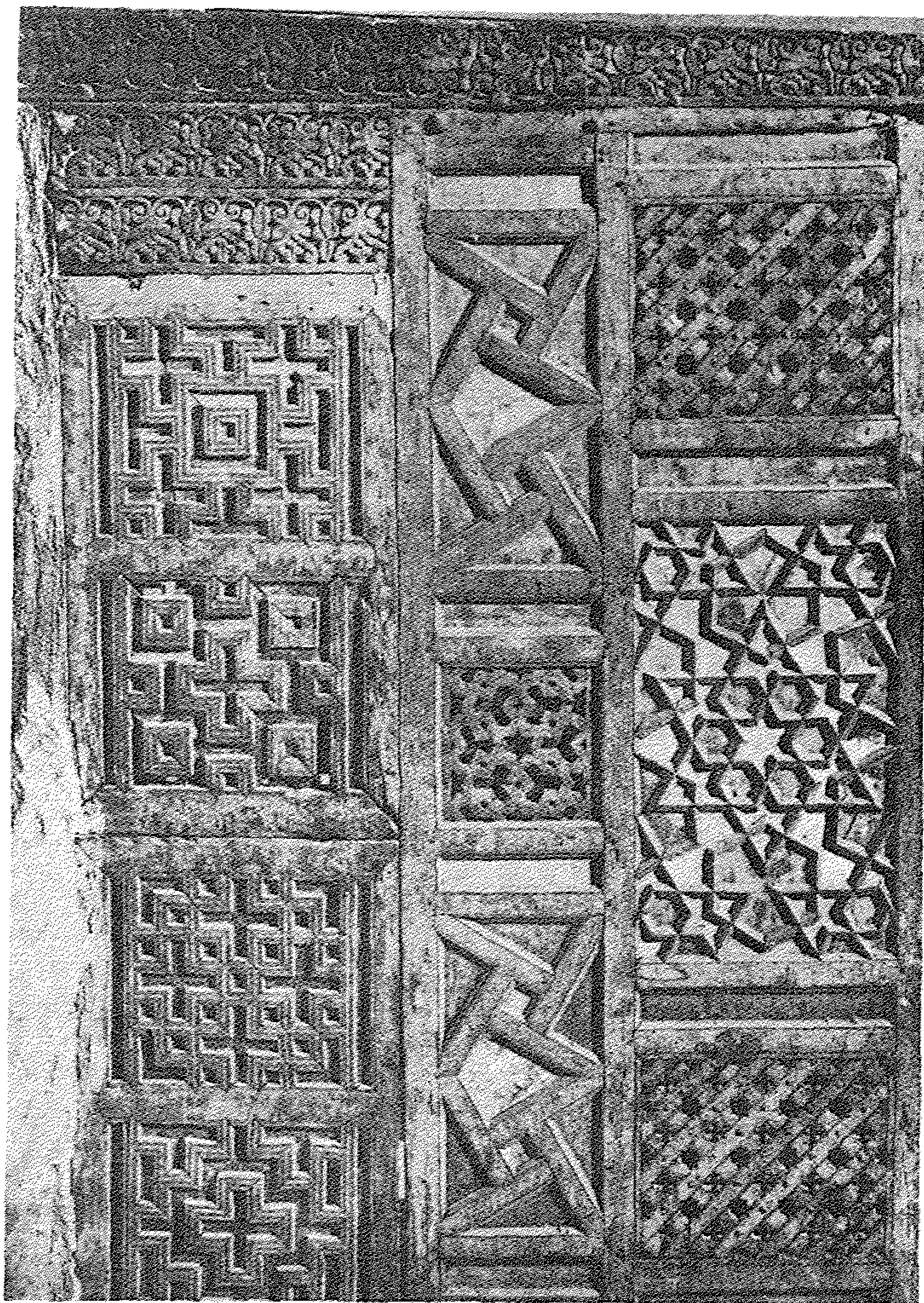
صورة باب الحجاب الأوسط للهيكل الرئيسي، وفيه يظهر بوضوح رسم طاووسين على جانبي قائم الباب، ومعروف أن الطاووس يرمز للخلود.

وإذا دقق الناظر، يجد تحت ذيل الطاووس كأساً هو كأس الحياة للدم المقدس الذي تخرج منه كرمة تمتد حتى منقار الطاووس الذي يبدو كأنه يأكل من ثمرها. وهذا كله يشير إلى أن الحياة الأبدية التي نبعت لنا من كأس دم المسيح لا يزال يشرب منها الإنسان جيلاً بعد جيل.



٨٨ ــ الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

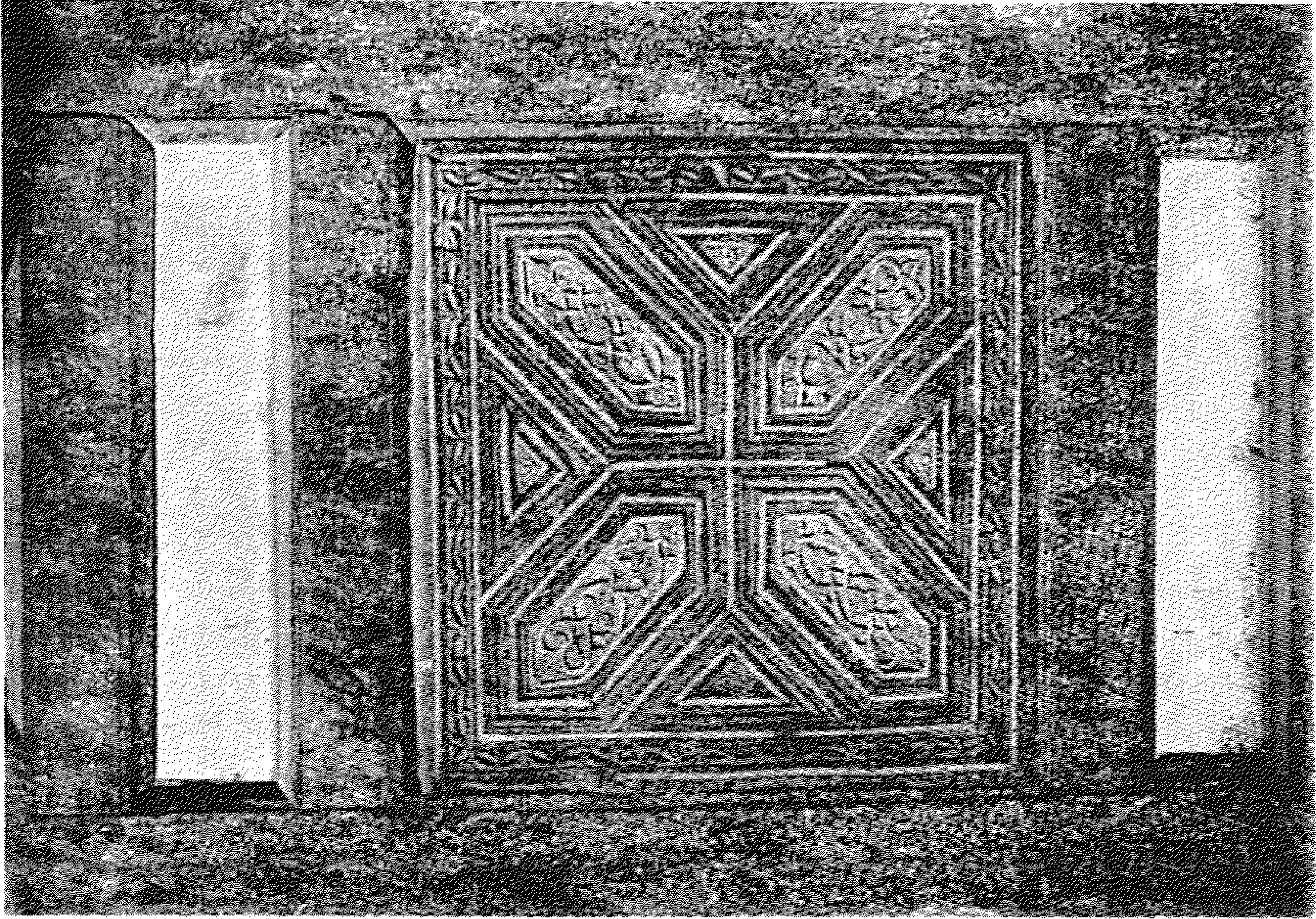
و يظهر في الصورة جزء من حجاب الهيكل القبلي



٨٩ ــ الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

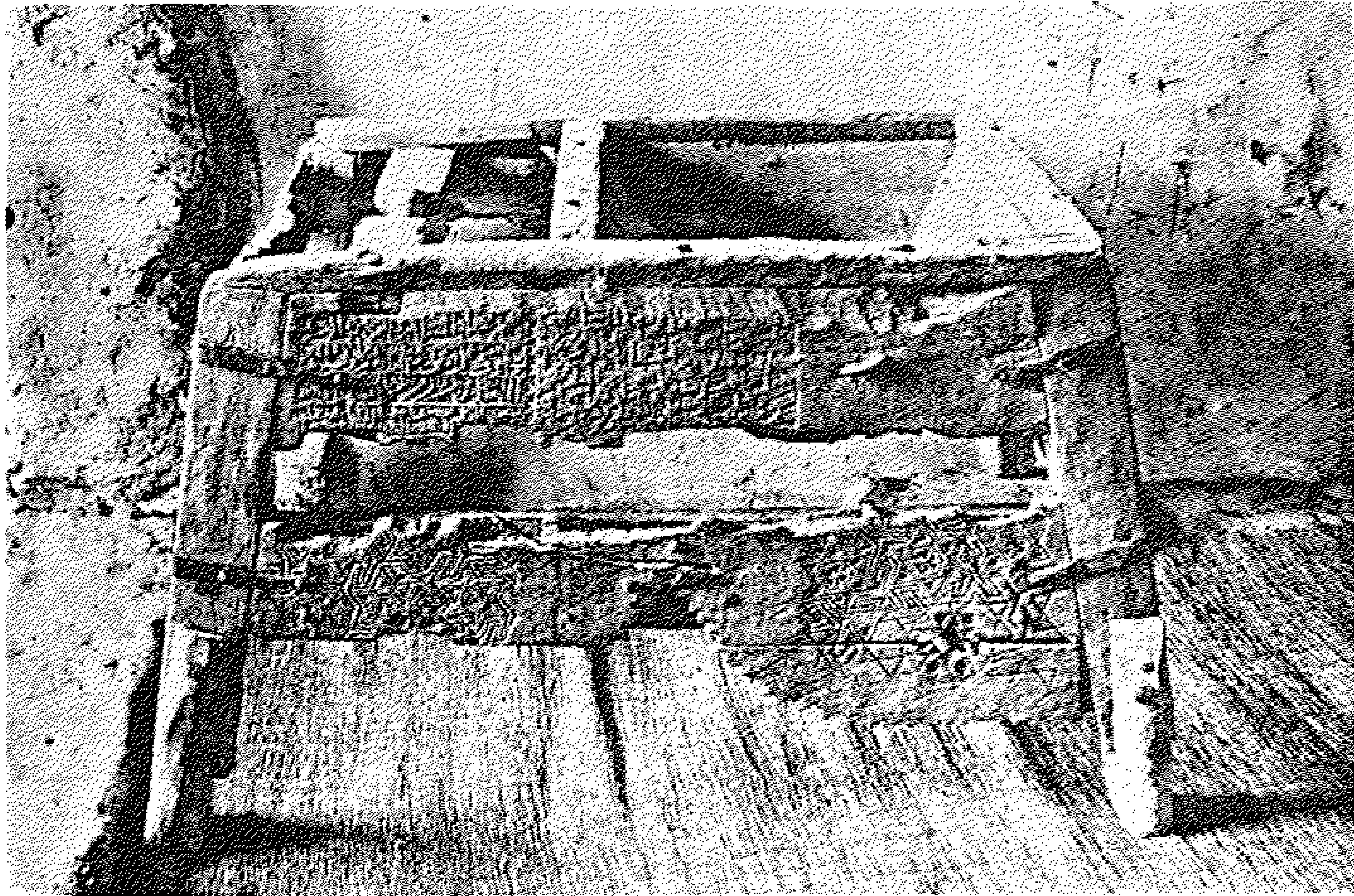
و يظهر في الصورة جزء آخر من حجاب الهيكل القبلي

وفيه تظهر النجمة السداسية المميزة



٩٠ ـــ الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

جزء من حجاب الهيكل القبلي للكنيسة يظهر فيه صليب مطعم بالعاج مع نقوش دقيقة
و يلاحظ أنه ثنائي الأطراف و يرجح أنه من القرن الثالث عشر.

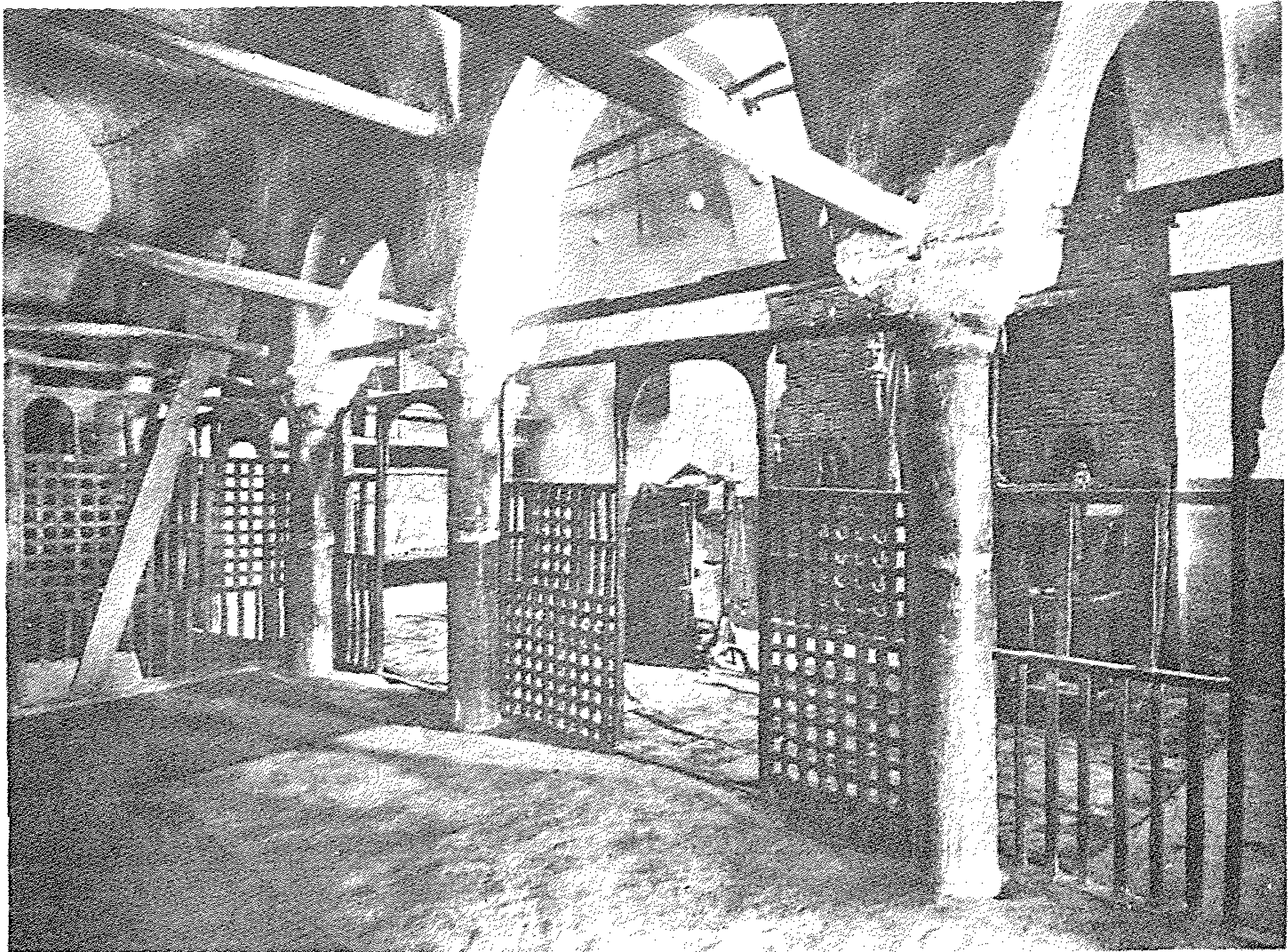


٩١ ـــ قادوس طاحون قديم. معروض حالياً في متحف الأخشاب القديمة بالدور الأرضي في الحصن. و يرى القارىء كيف كان يعتني الآباء الرهبان القدامى بزخرفة حتى أدوات العمل اليومي الذي للأكل والشرب ليأخذ طابعه الروحي. فيصح فينا قول النبي القائل: «وفي ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قُدسٌ للرب، والقدور في بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح.» (زك ١٤: ٢٠)

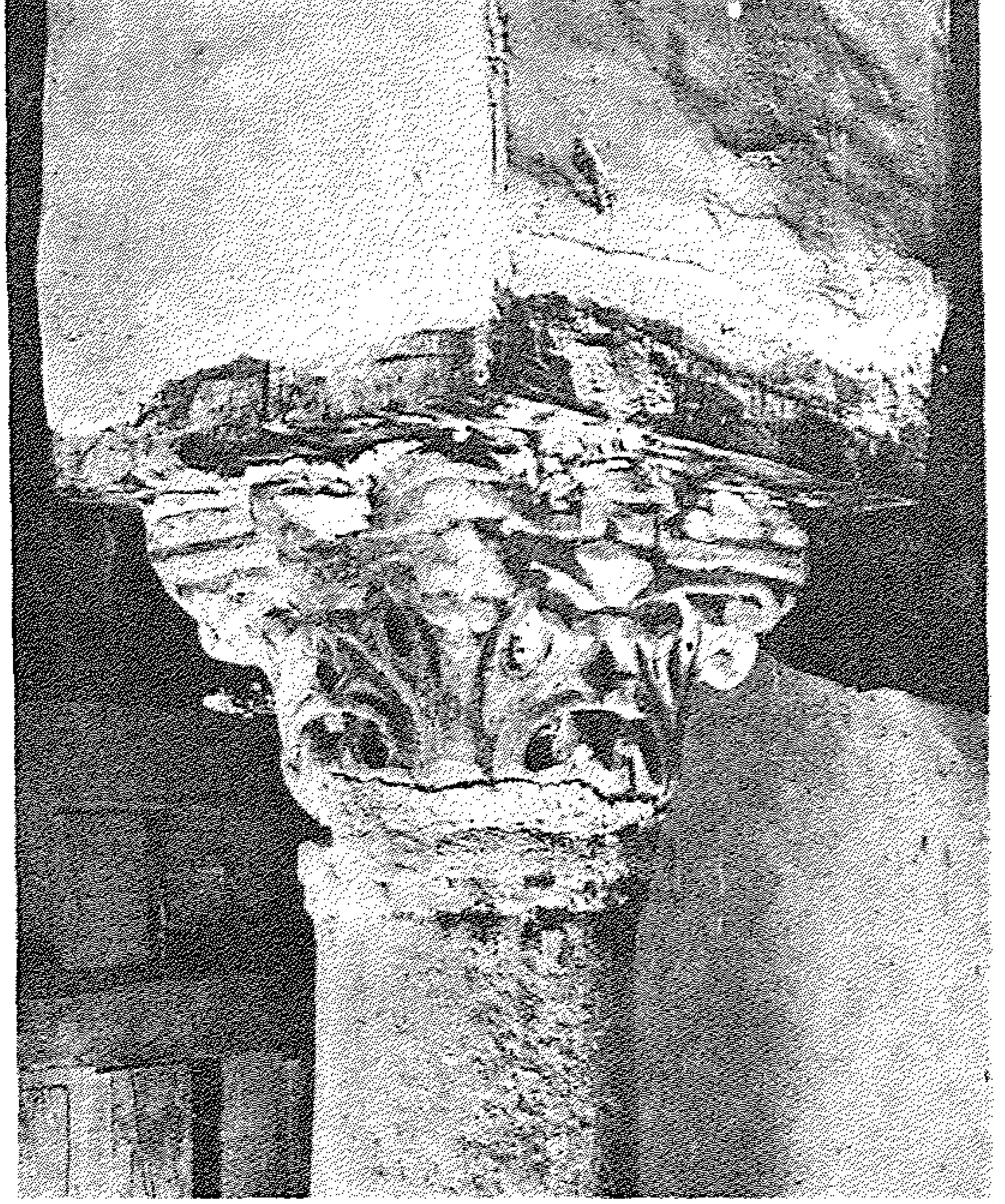


٩٢ ــ كنيسة الشيوخ

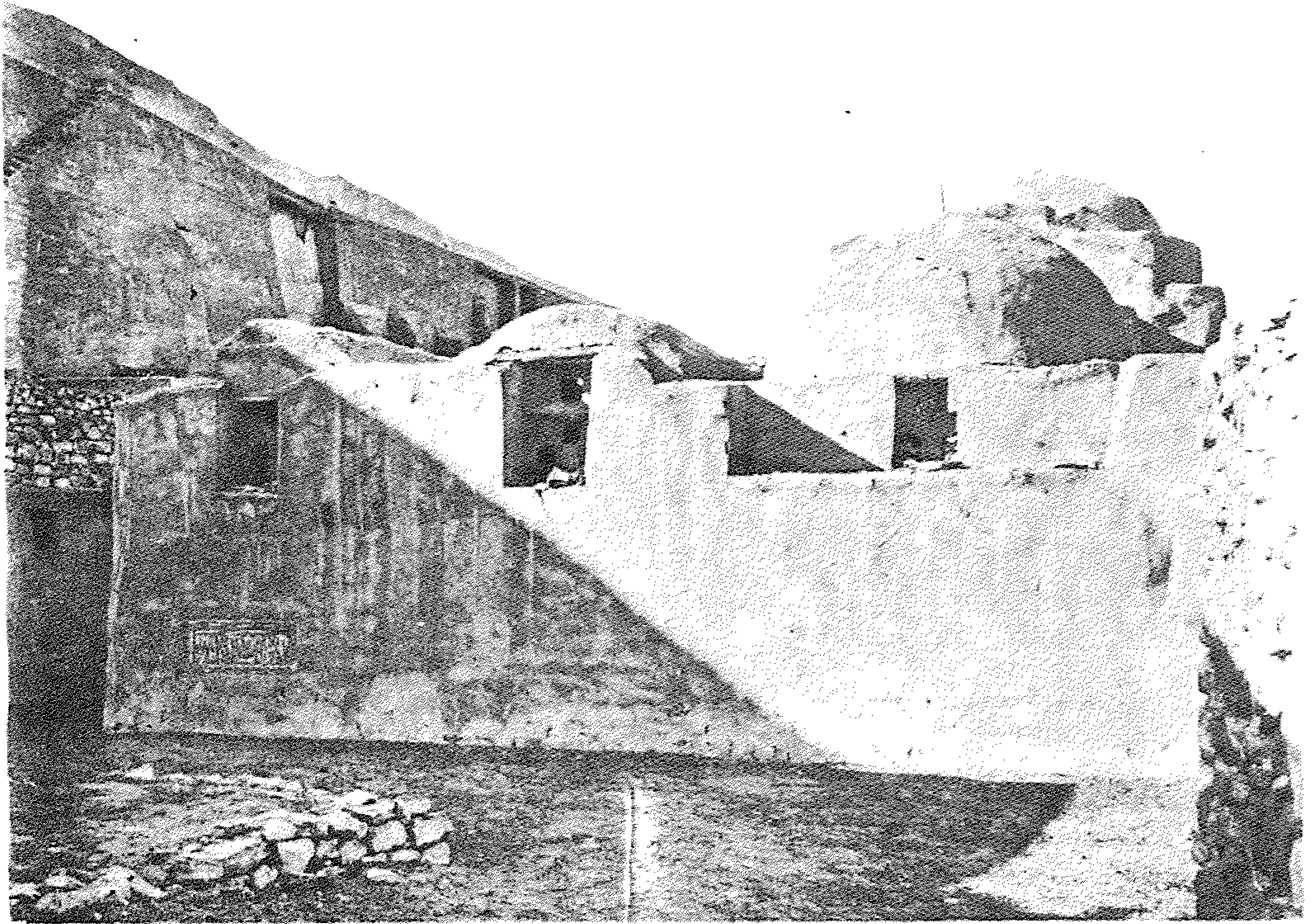
صورة قديمة سنة ١٩١٠م، وتظهر فيها الكنيسة بوضعها كما هو حيث تبدو منارتها الصغيرة غاية في الجمال والبساطة.



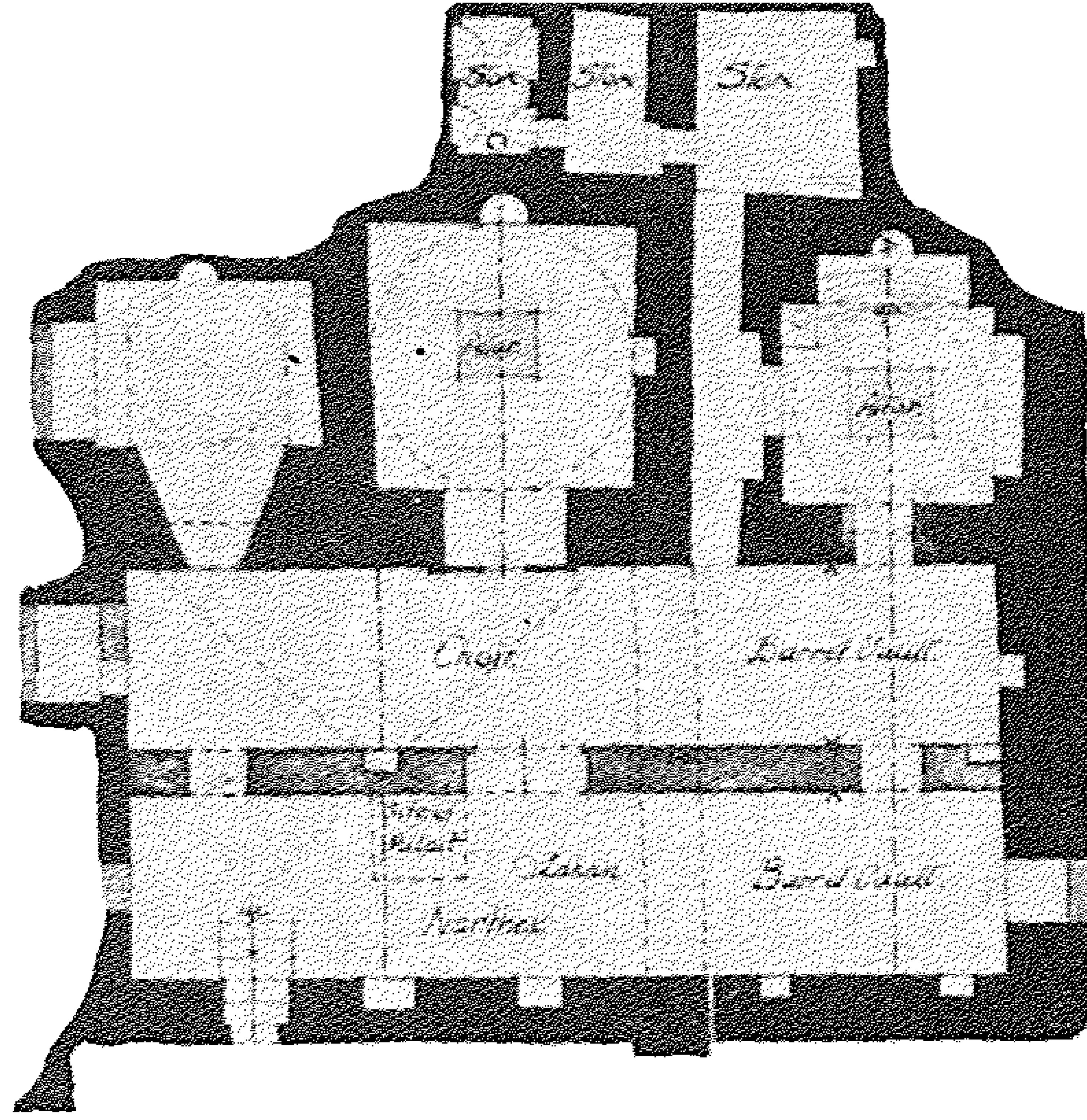
٩٣ ــ كنيسة الشيوخ التسعة والأربعين الشهداء من الداخل و يظهر فيها حاجز الخورس من الخشب المفرغ



٩٤ ـــ تاج لعمود في كنيسة الشيوخ



٩٥ ـــ كنيسة أبا سخيرون من الخارج من الجهة القبلية (قبل الترميم الأخير عام ١٩٧٤).
و يظهر فيها كيف ارتفعت الأرضية خارجها (مقدار ٢ متر).

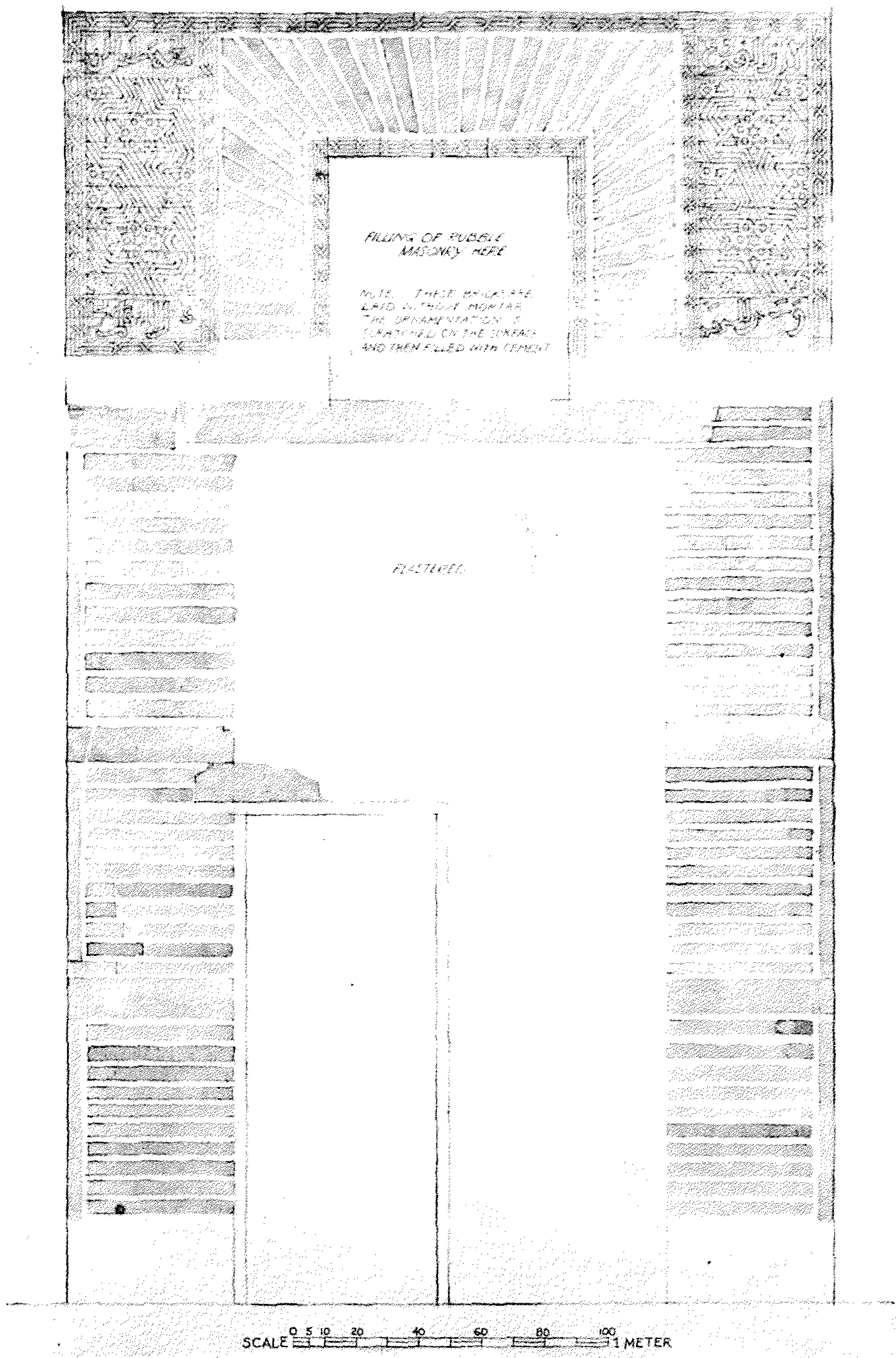


٩٦ ــ كنيسة الشهيد القديس أبا سخيرون (قبل الترميم الأخير)

مسقط أفقي يوضح الهياكل الثلاثة بغرفهم الشرقية الملحقة . كذلك يوضح الرسم الخورسين الطوليين : الأول (الإكليروس) والثاني (الرهبان)، حيث في الخورس الثاني يظهر مكان الإنبل (منبر الوعظ).



٩٧ - المائدة القديمة بالدير



٩٨ - صورة يدوية دقيقة من تصميم الرسام هوزر المرافق لإفلين هوايت.
وهي للباب البحري الموجود في الخورس الأول من كنيسة أباسخيرون.



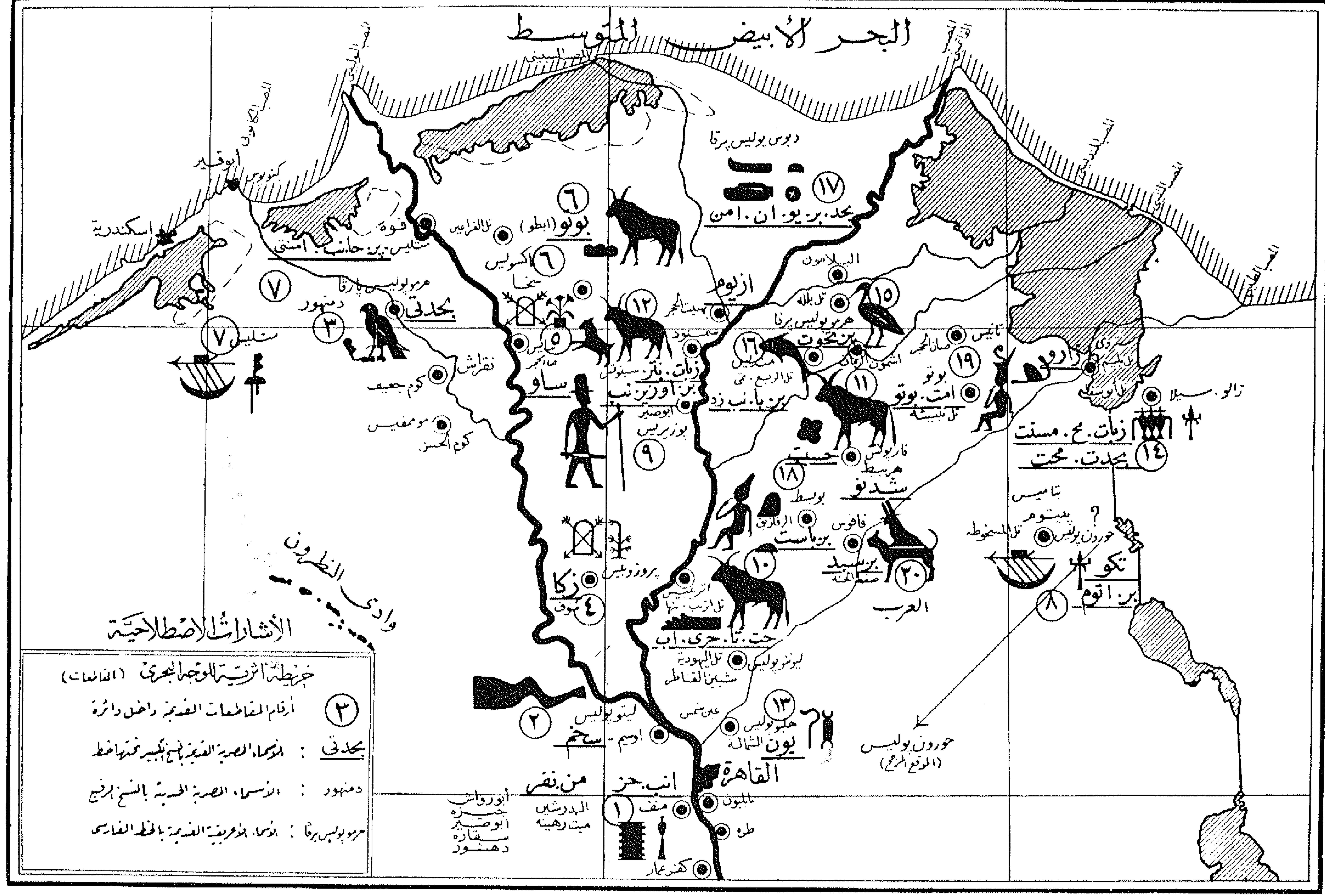
٩٩ – صورة القديس مقاريوس في دير إرميا بسقارة

١٠٠ - خريطة مارينو سانيوتو (ارجع لصفحة ٤٩١).



١٠١ – منظر داخلي للدير قبل التعديلات الأخيرة ويظهر مدى اكتظاظ الدير بالمباني التي شوهت معالمه الأثرية، كما يوضح مدى انخفاض السور البحري عن مستوى السور الغربي.

ملحق رقم ٦ ــ مقاطعات الوجه البحري والوجه القبلي لمصر في العصر الفرعوني مع توقيع الآثار المسيحية عليها:





شبه جزيرة سينا
طره
منف
كروكوديلوبوليس
افروديتوبوليس اطفيح
پر.حمت
اهناسيا هراكليوبوليس مجنا
حنن نيسوت
البهنسا اوكسيرنكوس
واب.سب.مري
سينوبوليس قيس
حت نيسوت
زاوية الاموات
هبنبيس
الاشمونين
هرموبوليس مجنا
ونت
خمنو
القوصيه كوساى
اسيوط ليكوبوليس
شطب
ساوتي
هيبسيليس
شاس حتب
ابوتيج
انتيوبوليس قاو الكبيرة
اخميم پانوبوليس
آپو
العرابة المدفونة ابيدوس
دندره
كبتوس قفط
جبتيو
ارمنت هرمونثيس
الاقصر
ديوسبوليس مجنا
واست
اسنا لاتوبوليس
الكاب
ادفو
ابولينوبوليس مجنا
جبل السلسله
امبوس كوم امبو
نوبت
اسوان الفنتين
كلابشه
الدكه
قصر ابريم
وادي حلفا
الأشاراتُ الاصطلاحيةُ
خريطة أثرية للوجه القبلي (المقاطعات)
٩ : أرقام المقاطعات القديمة داخل دائرة
آبو : الأسماء المصرية القديمة بالنسخ الكبير وتحتها خط
أخميم : الأسماء المصرية الحديثة بالنسخ الرفيع
بانوبوليس : الأسماء الإغريقية القديمة بالخط الفارسي

مقاطعات الوجه البحري وعددها عشرون مقاطعة

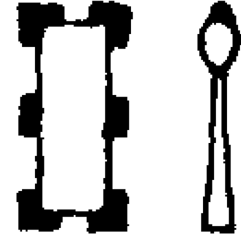
(مكتوبة بالهيروغليفية ونطقها ثم باليونانية والعربية أيضاً)

مع توقيع الآثار المسيحية

بعد دخول المسيحية وانتشارها في مصر

□□□□□

المقاطعة الأولى: ذات الجدار الأبيض i'nr-hd = white stone



+ وهي منف أو ممفيس (القلعة البيضاء) ــ السور الأبيض ــ منف = Memphis

(من ــ نفر) Mn-nfr

+ وهي حالياً تسمى البدرشين وسقارة.

+ وكانت عاصمة الدولة القديمة أي من الأسرة الثالثة إلى آخر الأسرة السادسة.

+ **في العصر المسيحي:** دير إرميا ــ سقارة. ودير مار مينا على الجانب الشرقي للنيل قرب مصر القديمة وديران للراهبات على اسمي القديسة بربارة والمعلقة.

المقاطعة الثانية: سخم



+ وهي عبارة عن رمز لقطعة من اللحم من فخذ الثور وعاصمتها Létopolis

+ باليونانية لتوبوليس

+ وحالياً مدينة أوسيم Usim وتقع على الذراع الأيسر للنيل.

+ تأسست فيها الكنائس قبل اضطهاد دقلديانوس (سنة ٢٨٤م) وكان بها كرسي أسقفي.

المقاطعة الثالثة: بحوتي



+ وعاصمتها I'mw.t **إيعموت**

+ كوم الحصن (حالياً) Kom el Hisn وتقع في الغرب مقاطعة غربية.

+ **في العصر المسيحي:** تأسست بها الكنائس قبل عام ٢٨٤م، عصر دقلديانوس، وكانت كرسي أسقفية منذ ذلك التاريخ.

+ بها دير وكنيسة ماريوحنا المعمدان

المقاطعة الرابعة: مقدمة مقاطعة الإلهة نيت Vorderer Neithgau



+ **في العصر المسيحي:** كان بها دير على اسم أنبا إرميا ذكره يوحنا أسقف نقيوس عندما تكلم عن الإمبراطور أنستاسيوس الذي علم له في هذا الدير أنه سيكون إمبراطور بيزنطة (٤٩١ــ٥١٨).



المقاطعة الخامسة: مؤخرة مقاطعة الإلهة نيت Hinterer Neithgau

+ كلا المقاطعتين في الدولة القديمة لم تنفصلا؛ وعاصمة كليهما كانت مدينة Saïs **سايس** حالياً. وإن المقاطعة الرابعة في الجنوب كان يطلق عليها مؤخراً Prosopites **بروسوبيتس** وكانت تقع بين ذراعي نهر النيل.

+ **في العصر المسيحي:** الكنائس تأسست فيها قبل اضطهاد دقلديانوس (٢٨٤م) وكانت مركز كرسي أسقفية.

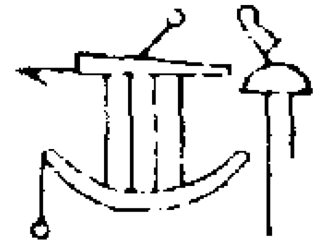


المقاطعة السادسة: مقاطعة الثور الجبلي Bergstiergau

+ وعاصمتها H'sww خع سوو وباليونانية Xois اكسويس.

+ وحالياً مدينة **سخا** Sacha

+ **في العصر المسيحي:** الكنائس تأسست فيها قبل اضطهاد دقلديانوس (٢٨٤م) وكانت مركز كرسي أسقفي منذ ما قبل هذا التاريخ.



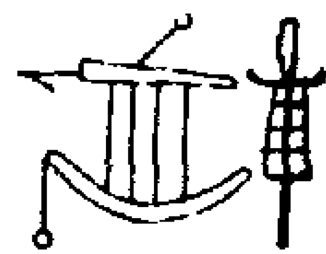
المقاطعة السابعة: مقاطعة الخطّاف Harpunengau

+ وتقع على منتصف الجزء الغربي من الدلتا. وتقع في الجزء الشمالي الغربي للدلتا.

+ وفي العصر القيصري كانت تقع مقاطعة Metelites = متليس

+ وهي عبارة عن مقاطعة وأرض الخطّاف وهي مذكورة على لوحة (صلاية) نعرمر= الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى.

+ **في العصر المسيحي:** وقد دخلتها المسيحية وتأسست بها الكنائس قبل عصر دقلديانوس، أي قبل عام ٢٨٤م. وكانت مركز لكرسي أسقفي.



المقاطعة الثامنة: تكوبر أتوم

+ مقاطعة الخطّاف وتقع في المنتصف الشرقي للدلتا.

+ وفي العصور الأخيرة كانت عبارة عن مستعمرة منظمة: **أولاً:** منذ عصر الأسرة الخامسة. في **مقبرة بتاح حوتب** Ptah-hotep Grab يوجد تمييز للمقاطعتين (مقاطعتي الخطّاف) بصفة الغرب والشرق.

+ وهي حالياً تعبّر عن منطقة Wadi Tumilat وادي طميلات.

+ وهذه المدينة غير معروفة كعاصمة في عصر الدولة القديمة.

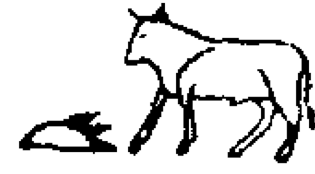
+ ولكن في عصر الرعامسة كانت منطقة Pithom **بيثوم؛** وفي عصر الأشوريين نعي ـــ حوت N'j-hw.t تل اليهودية Tell el Jehudija ؛ ناتو Nathu,

+ **في العصر المسيحي:** دخلتها المسيحية قبل انتهاء القرن الثالث وتأسست بها الكنائس

قبل عصر دقلديانوس وكانت مركز كرسي أسقفي .
+ كان بها دير مار مينا أو دير الحبيس ــ ولا يزال قائماً حتى يومنا هذا على بعد ٥ر١ كم بحري بلدة إبيار مركز كفر الزيات محافظة الغربية ــ سمي بدير الحبيس لأن حبيساً سكن هناك في حبس في صومعة ــ وكان ذلك في العصور الوسطى .
+ ودير الملاك ميخائيل ببلدة مسير، مركز كفر الشيخ .

المقاطعة التاسعة: 

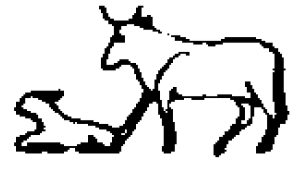
+ هذه العلامة تمثل الإله **عنجتي** Anedjti
+ وهو إله منذ العصور ما قبل التاريخ . وعاصمة هذه المقاطعة هي Pr-Osiris بر ــ أوز ير يس (Busiris = بوز ير يس)، و باليونانية Busirites بوز ير يس .
+ حالياً Abusir أبو صير وتقع في منتصف ذراعي نهر النيل في الدلتا
+ **في العصر المسيحي:** دير القديس تادرس كان واقعاً ببلدة بور بج بمركز طنطا ــ كان البابا أنبا مقارة الثاني (البطر يرك الـ٩٩ في عداد البطاركة) راهباً بهذا الدير.

المقاطعة العاشرة: Gau des schwarzen Stieres 

+ المقاطعة العاشرة للثور الأسود
+ وعاصمتها Athribis **أتريبس .**
+ وحالياً هي مدينة بنها Benha .
+ **في العصر المسيحي:** دير أتريب المشهور بالأعجوبة التي كانت تحصل في كنيسته في ٢١ بؤونة من كل عام منذ عام ٨١٣ــ٨٣٣ أيام الخليفة المأمون .
+ دير أبو هور بسر ياقوس ــ كان في أوج عمرانه في القرن العاشر الميلادي واضمحل في القرن الخامس عشر وكان عامراً بكثير من الرهبان .

المقاطعة الحادية عشر: «مقاطعة الثور المذبوح» أقدم عاصمة غير معروفة . Der Geshlachtete 

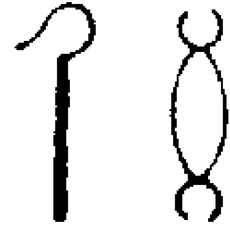
+ في العصر اليوناني قد جزئت إلى Leontopolis **ليونتوبوليس** (حالياً تل المقدام)؛ والجزء الثاني Pharbaitites **فاربوتس** Horbeit
+ وكانت Leontopolis (**ناتو=** Nathu) مركزاً أيضاً تحت عصر الأشور يين= Assyrern
+ **في العصر المسيحي:** كان بها مركز لرئيس أساقفة ــ وقد دخلتها المسيحية وتأسست بها الكنائس منذ ما قبل عصر اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤م .

المقاطعة الثانية عشر: مقاطعة العجل الإلهي (الصغير) Gau des göttlichen Kälbchens 

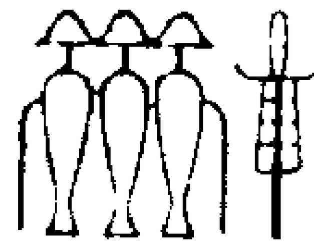
+ وعاصمتها Tb-ntr **زبات ــ نثر** (و باليونانية Sebennytos سبنيتوس.)

+ وحالياً مدينة سمنود Samanud

+ **في العصر المسيحي:** كان في هذه المقاطعة وفي مدينة النقيزة دير شاهق البناء ودير البيا (أو البي إهميه ــ أي الأربعون) ولم يكن في الوجه البحري دير به رهبان أكثر من هذا الدير. ودير أبو هرمس على بعد ساعة ونصف من المحلة الكبرى.

المقاطعة الثالثة عشر: Das unversehrte Szepter 

مقاطعة علامة الحاكم وعاصمتها Heliopolis **هليوبوليس**

المقاطعة الرابعة عشر: 

+ المقاطعة الشرقية **زبات مح مسنت**

+ وفي العصور الأولى كانت معظم الجهة الشرقية للدلتا. وذُكرت منذ عصر الملك **سنفرو** مؤسس الأسرة الرابعة، أي العصر الهليوبوليتاني heliopolitanische Gau . وكذلك في عصر الأسرة الخامسة حتى الثامنة.

+ أما باقي المقاطعة فكان قد قُسّم إلى جزء أمامي (في الجنوب) وجزء في الخلف (في الشمال)، وكذلك كما هو مذكور في الأسرة الرابعة. وكذلك في العصور المتأخرة كانت هذه المقاطعة في الأسرة الثامنة عشر **بوباستيس** Bubastis كانت تنتمي إلى المقاطعة الشرقية.

+ **في العصر المسيحي:** في هذه المقاطعة كان هناك دير مشهور في أقصى الشمال ترهب فيه القديس الناسك العالم إيسيذوروس الفرمي البيلوزومي. واندثر هذا الدير بعد سنة ١١١٨ في الحروب الصليبية.

المقاطعة الخامسة عشر: 

+ مقاطعة الطائر «أبيس» Ibisgau
أبو منجل

+ وعاصمتها Hermopolis **هرموبوليس** (حالياً BaKlije البقلية).

+ وفي العصر القيصري Kaiserzeit كانت أعظم مقاطعة وتسمى Mendes **مندس** وقد حكمت تحت عصر الملك Pianchi بعنخي.

+ **في العصر المسيحي:** كان بهذه المنطقة نساك كثيرون عاشوا على الجزائر التي تكونت نتيجة زلزال في الأراضي الممتدة بين دمياط و بورسعيد، التجأوا إليها طالبين لأنفسهم

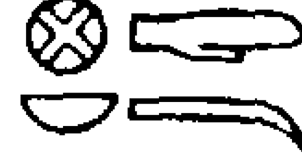
تمام الإنفراد.

المقاطعة السادسة عشر: Hauptstadt Mendes 

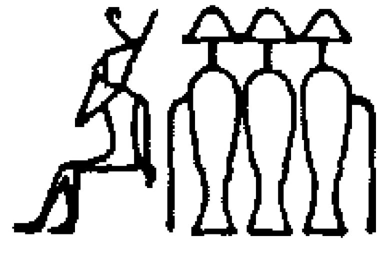
+ وعاصمتها **منديس**

+ حالياً Tell Rob' تل الرُبع.

+ في العصر اليوناني ظهرت المدينة الأخت Thmuis **تمويس** بدلاً من موقع **منديس** Mendes . وعلامة المقاطعة h3.t.mhj.t **حات ــ محيت** أي مقدمة السمكة Spitze der Fische

المقاطعة السابعة عشر: 

+ وعاصمتها بحد بر يوان امن ومقرها حالياً Tell el-Balamun تل البلمون وقد قمت بحفائر ناجحة في عام ١٩٧٨ ونشرت في حوليات مصلحة الآثار رقم ٦٤ ASAE

المقاطعة الثامنة عشر: 

ــ مقاطعة **مقدمة الإبن الملكي** Vorderer KönigsKindgau

+ وعاصمتها Bubastis **بوبسطة** و بعدها سميت باليونانية Bubastites **بوباستيتس.**

المقاطعة التاسعة عشر: 

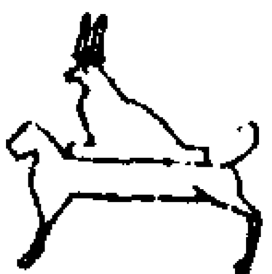
+ مقاطعة **مؤخرة الطفل الملكي** Hinterer KönigsKindgau

+ وعاصمتها I'm.t (Nebesheh) مت ــ (نب ــ س ــ حح).

+ وفي العصر اليوناني تسمى Tanis تانيس Tanites ومتحدة مع San el Hagar صان الحجر.

+ وتنطق في العصر الآشوري Sa'nu صاعنو.

+ **في العصر المسيحي:** كان بجوار مدينة تنيس دير على اسم السيدة العذراء حتى القرن الثامن وكان له رئيس من دير أنبا مقار أسمه الإيغومانس إيبماخس صار أسقفاً وكان به رهبان. ودير آخر أسمه التشليث. ودير أنبا باخوم تخرب عام ١١٦٨. ودير أسمه تاشنيتس ورد ذكره في سيرة القديس مقار يوس الإسكندري المخطوطة باللهجة البحيرية في مخطوطة مكتبة الفاتيكان رقم ٦٤ ورقة ٨١ج. وكذلك دير في مدينة أشمون الرمان (أشمون طناح).



المقاطعة العشرون: مقاطعة الإله التمساح «سوبد» باليونانية Gau des Sopd

+ و بالعربية أيضاً «سبد» وعاصمتها PhaKusa فاقوسا.

+ (حالياً فاقوس Fakus).

+ وفي العصر الآشوري assyrischer Zeit ربما تكون Pisaptu ; Pr-Špdw بيت الإله سوبدو و بيسابتو.

+ وحالياً تسمى Saft el-Henne صفط الحنة.

٭

مقاطعات الوجه القبلي وعددها اثنان وعشرون مقاطعة

(مكتوبة بالهيروغليفية ونطقها ثم باليونانية والعربية أيضاً)

مع توقيع الآثار المسيحية

بعد دخول المسيحية وانتشارها في مصر

□□□□□

من الجنوب إلى الشمال:

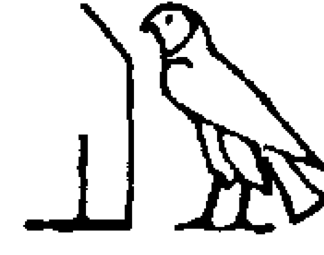


المقاطعة الأولى: تا ستي = T3 stj

+ **أرض النوبة** وكانت تسمى إلَفَانْتِيْن.

+ **في العصر المسيحي:** دير القديس سمعان ــ دير مار جرجس.

المقاطعة الثانية: ثست ــ حور Ts.t-Hr = Horusthron



عرش حورس والمدينة الرئيسية إدفو

+ **في العصر المسيحي:** دير أنبا باخوم (إدفو) ــ دير فارس (كوم أمبو).



المقاطعة الثالثة: هيراكلونبوليس نخن nhn

+ **في العصر المسيحي:** دير الفاخوري ــ دير الشهداء (إسنا) ــ دير الرومانية ودير أنبا إسحق (أصفون) ــ دير مار جرجس (ديموقراط).

المقاطعة الرابعة: مقاطعة الصولجان Szeptergau



+ في الأصل مدينة **أرمنت**

+ **في العصر المسيحي:** دير الأمير تادرس (الأقصر) ــ أديرة كثيرة متهدمة حالياً (أرمنت) ــ دير أنبا باخوم (المدامود) ــ دير أنبا بشاي (طور) ــ الدير البحري، دير بخيت، دير قرياقص، دير إيبفانيوس، دير المدينة، دير الأمير تادرس، دير الرومي ــ دير فيبآمون (طيبة) ــ دير الصليب، دير الملاك (نقادة) ــ دير أنبا بقطر، دير مار جرجس، دير الملاك (القاميلات).

المقاطعة الخامسة: مقاطعة السيدين



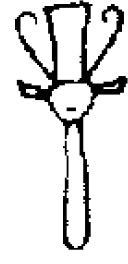
+ وعاصمتها Koptos قفط.

+ **في العصر المسيحي:** دير أبو سيفين (الحجازة).

المقاطعة السادسة: مقاطعة التمساح 

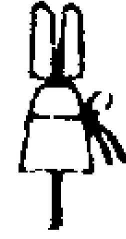
+ وعاصمتها Dendera دندرة.

+ **في العصر المسيحي:** كنائس وأديرة قديمة متهدمة (دندرة) ـــ دير أنبا باخوم (فاو) ـــ دير أنبا بلامون (القصر).

المقاطعة السابعة: مقاطعة الأرواح المؤنثة، وعاصمتها: Hw.t-šhm 

+ وهي منزل للصولجانات. و باليونانية تسمى Diospolis mikra

المقاطعة الثامنة:

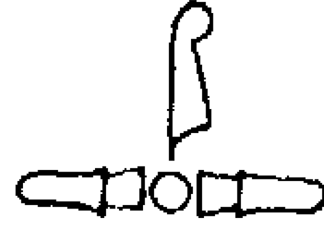


+ أقدم مدينة تاور

+ وعاصمتها طينة Thinis

+ **في العصر المسيحي:** دير مارمينا (هيو) ـــ دير بضابا (نجع حمادي).

المقاطعة التاسعة:



بانوبوليس Hauptstadt Achmim, griech Panopolis

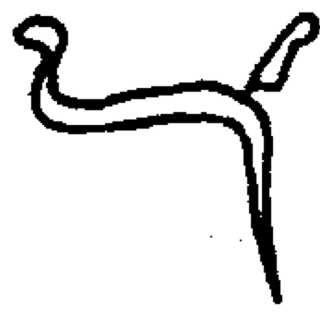
+ حالياً: **أخميم**

+ **في العصر المسيحي:** أديرة أخميم: دير العذراء، دير أنبا باخوم، دير أنبا حديد، دير الملاك، دير الشهداء.

+ أديرة سوهاج: دير أنبا بيشوي، الدير الأبيض، الدير الأحمر (أديرة أنبا شنودة رئيس المتوحدين)، دير أنبا بسادة (في المنشاة).

+ أديرة طبانسين: أسسها أنبا باخوم.

المقاطعة العاشرة:



مقاطعة الثعبان واچيت W3dj.t Schlangengau

+ وعاصمتها Tbw **ثبو**

+ و باليونانية Aphroditopolis (كوم اشقاو) أفروديتوبوليس أي مدينة أفروديت (ڤيرنس) هو الإسم الإغريقي لعدة مدن تختلف أسماؤها في اللغة المصرية. وإلهتها **حت ـــ حور** (أفروديت عند الإغريق) والمقاطعات المذكورة هي بالترتيب: دندرة (٦)، كوم اشقاو (١٠)، القوصية (١٤).

+ وحالياً هي مدينة **قاو الكبير.** Kaw el-Kebir

المقاطعة الحادية عشر: مقاطعة الإله ست Sethgau



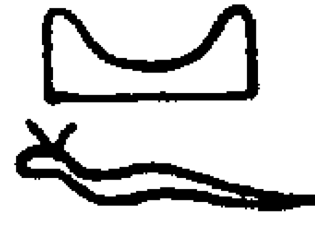
+ عاصمتها شاس ـــ حتب

و باليونانية Hypselis هيبسيليس

+ وحالياً مدينة Schutb **شُطب.**

+ **في العصر المسيحي:** دير البلايزة ــ دير ريفا ــ دير العذراء.

المقاطعة الثانية عشر: مقاطعة القوقع ذو القرنين



+ وشعارها قرنا الإستشعار

+ وهي تقع ما بين شطب š3š-htp شاس ــ حتب وأسيوط.

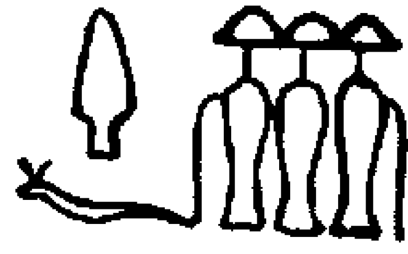
+ وهي مدينة من عصر البطالمة.

پر. حر. عنتي Pr-ʿntj

هيراكون Hierakon

وحالياً الأطاولة El-Atawlah

+ **في العصر المسيحي:** دير درنكة: منطقة أثرية، وهي إحدى المناطق التي حلت فيها العائلة المقدسة.



المقاطعة الثالثة عشر: مقدمة مقاطعة الجميزة:

+ وعاصمتها S3w.t **أسيوط** Asiut، و باليونانية Lycopolis ليكو پوليس.

+ **في العصر المسيحي:** أسيوط: مركز مطرانية مشهور ــ دير العذراء (جبل أسيوط). وهي إحدى المناطق التي زارتها العائلة المقدسة.

المقاطعة الرابعة عشر: مؤخرة مقاطعة الجميزة

+ وعاصمتها Kusae جسا (كوساي)



+ **القوصية** حالياً وتمتد من الأشمونين شمالاً حتى مدينة مير حالياً.

+ **في العصر المسيحي:** دير المحرق (القوصية)، دير القصير (القوصية) ــ قلالي كثيرة للرهبان (مير).

المقاطعة الخامسة عشر: مقاطعة الأرنب wn.w **ونت**



+ وعاصمتها Hermopolis هرمو پوليس باليونانية.

+ وهي مدينة **الأشمونين** حالياً.

+ **في العصر المسيحي:** دير أنبا بقطر ــ الأشمونين: مركز أسقفي شهير، خرج منها أنبا ساويرس (ابن المقفع) أسقف الأشمونين والمؤرخ الكنسي المشهور. هذه المنطقة مرت بها العائلة المقدسة.

+ باويط: دير أنبا أبوللو (المشهور بأيقوناته القبطية الفريدة في المتحف القبطي و باقي

متاحف العالم).
+ منطقة أنتينوى (حالياً الشيخ عبادة) وهي منطقة أثرية وبها أكفان للقديسين وهي قريبة من دير أبوحنس شرق النيل.



المقاطعة السادسة عشر: مقاطعة الغزال

+ وعاصمتها Hbnw حبنو وتنطق بالهيروغليفية m3'-hd ماع ـ حدج.
+ وحالياً Kom el Ahmar كوم الأحمر.
+ **في العصر المسيحي:** دير أبا هور (المنيا).



المقاطعة السابعة عشر: مقاطعة آبن آوى

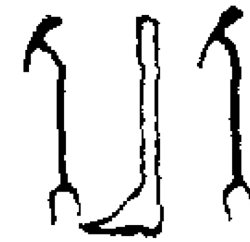
+ وعاصمتها فوق معبد أوكشك في الكرنك وترجع إلى مكان يسمى بالمصرية القديمة: Hnw **حنو** (وغير ذلك غير معروف).
+ وفي عصر الدولة الحديثة ظهرت مدينة تسمى Hardai **حارداي**، وتعرف باليونانية تحت اسم Kynonpolis كينون بوليس أو سينو بوليس.
+ وفي العصر البطلمي كانت تعرف تحت اسم s3k3 ساكا أو كاسا.
+ وهي مقابلة للبر الغربي للنيل مقابل مركز الإدارة بالمعبد.
+ **في العصر المسيحي:** دير العذراء (جبل الطير) ـ منطقة أثرية مرَّت بها العائلة المقدسة.



المقاطعة الثامنة عشر: مقاطعة الصقر

مقاطعة الصقر عنتي entj-Falken

+ وعاصمتها Hw.t-nswt **حت ـ نسوت**
+ **كوم الأحمر حالياً: ساواربيس.**
+ وفي عصر الملك ابسماتيك الأول بعد الإطلاع على نصوص المعابد ظهر اتحاد للمقاطعتين ١٧ و١٨ تحت مقاطعة واحدة هي Hw.t-nswt حوت ـ نسوت.
+ **في العصر المسيحي:** دير أنبا بولا، دير الميمون (بوش).

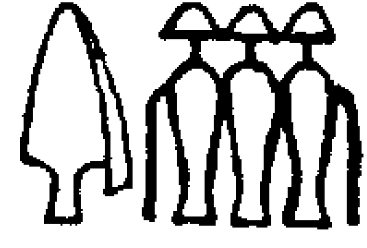


المقاطعة التاسعة عشر: وهي مقاطعة الصولجان المزدوج.

+ وكانت مقاطعتها قديماً طبقاً لبردية Wilbour مكان اسمه: spr.mrw **سبر ـ مرى** وهي ضمن مركز Hardai حارداي، وفي العصر الصاوي saitenzeit (عصر الملكة نيتوكريس Nitokris) كانت تقع ضمن مقاطعة Pr-mdd **پر ـ مزد** Oxyrhinchos **(أوكسرينكوس).**

+ وهي **مقاطعة البهنسا** حالياً واسمها باليونانية كذلك .
+ **في العصر المسيحي:** مركز مطرانية كبير، أديرة رهبانية كثيرة (البهنسا).

المقاطعة العشرون: مقاطعة مقدمة الشجرة:



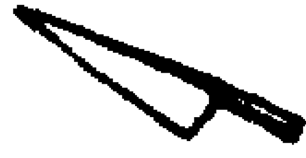
+ وعاصمتها Herakleopolis هيراكليو بوليس .
+ اسمها الفرعوني القديم hw.t-nn-nsw.t **حوت ـــ نن ـــ نيسوت.**
+ وفي العصور المتأخرة مثلاً في عصر الدولة الحديثة استقلت وجُزِّئت الفيوم إلى جزئين :
١ ـــ **مر ـــ ور** Mr-wr شمال البحيرة š ش .
٢ ـــ جنوب البحيرة š ش .
+ وكان لها عمدتان أو حاكمان . وقراءة هذه المقاطعة بالهيروغليفية n'r.t نعرت .
+ وحالياً هي مدينة Ehnas **إهناسيا** المدينة . وكانت **مدينة الفيوم** ضمن هذه المقاطعة قديماً .
+ **في العصر المسيحي:** دير أبو ليفا ، دير العزب ، دير النقلون ، دير مار جرجس ، دير الحمام ، دير الملاك ميخائيل ، دير أنبا صموئيل ، كهوف ومغائر وادي الر يان .

المقاطعة الحادية والعشرون: مقاطعة مؤخرة الشجرة



+ وعاصمتها šn'-hn **شنع ـــ خن**
+ وظهرت في عصر الدولة الحديثة . وهي بالقرب من Kafr Ammar **كفر عمّار** حالياً جنوب الليشت Lischt

المقاطعة الثانية والعشرون: وتقرأ هذه المقاطعة **متنو** mtnw



+ وعاصمتها Pr-nb.t-tp-ỉhw **بر ـــ نبت ـــ تب ـــ إيحو.**
+ و باليونانية Aphroditopolis **أفروديتو بوليس .**
+ وقد عُرفت منذ العصر الثيني
+ وحالياً Atfih **أطفيح .**

المــراجــع

أهم المصادر التاريخية باللغة العربية

أولاً: مخطوطات من دير القديس أنبا مقار

١ ــ سيرة القديس أبو مقار الكبير: مخطوط رقم س ١٧و١٨.
٢ ــ خبر حضور جسد القديس مقار يوس إلى شيهيت: مخطوط رقم س ٤٢.
٣ ــ تكريز هيكل أنبا بنيامين: مخطوط رقم ط ٢٠٧.
٤ ــ سيرة التسعة والأربعين شهيداً: مخطوط رقم س ٣٧.
٥ ــ الدفنار الجزء الثاني (الستة شهور الأخيرة): مخطوط رقم س ٦٠.
٦ ــ تفسير البراديسوس (للقديس فيلوكسينوس): مخطوط رقم س ٩ وس ٦٤.
٧ ــ كتاب تعاليم لكثيرين من الآباء: مخطوط رقم م ٤١.
٨ ــ أخبار الآباء البطاركة (لغاية البطريرك ٤٥) لساويرس بن المقفع: مخطوط رقم س ٤٩.
٩ ــ السنكسار.

ثانياً: كتب تاريخية

١٠ ــ كتاب تاريخ وجداول بطاركة الإسكندرية القبط وجدول عام جامع بين أقوال المتقدمين، تأليف كامل صالح نخلة.
١١ ــ دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، تأليف الدكتور حكيم أمين.
١٢ ــ الأديرة المصرية العامرة، للمتنيح القمص صموئيل تاوضروس السرياني.
١٣ ــ أديرة وادي النطرون: رسالة مارمينا السادسة، الدكتور منير شكري.
١٤ ــ قصة الكنيسة القبطية جزء أول وثاني: للأستاذة إيريس حبيب المصري.
١٥ ــ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تأليف المقريزي.

أهم المصادر التاريخية باللغات الأجنبية التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه

أولاً: كتب أساسية معاصرة لنشأة الرهبنة الأولى

١ ــ كتاب التاريخ اللوزياكي للمؤرخ الناسك بالليديوس:

The Historia Lausiaca

(أ) النسخة الإنجليزية:

Waddel Helen, The Desert Fathers, Tr. from: «Vitae Patrum. P.L. 74 249-382».

(ب) النسخة الفرنسية:

René Draguet, Les Pères du Désert, textes choisis et présentés par,

(جـ) النسخة السريانية:

Palladius, The paradise of the holy Fathers by E.A.W. Budge (Annan Isho) syriac vers.

٢ ــ التاريخ الرهباني لمصر لمؤرخه روفينوس (على ما يظن): أنظر ص٧٠٣.

- The Historia Monachorum in Aegypto,
- Les moines d'orient IV / 1
  Enquête sur les moines d'Egypte, (Historia

Monachorum in Aegypto).
Tr. par: A.J. Festugière, O.P.

٣ ــ المؤسسات الرهبانية والمحادثات للمؤرخ الناسك يوحنا كاسيان: أنظر ص ٧١٢.

The Institutes & Conferences of Cassian. N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XI

٤ ــ كتاب أقوال الآباء عن مصادره القبطية واليونانية والسريانية:

The Apophthegmata Patrum

(أ) المجموعة اليونانية:

Greek Collection
- J.B. Cotelier, Ecclesiae Graecae monumenta I (1677).
- F. Nau, Histoires des Solitaires Egyptiens, ROC 12, 13, 14, 17, 18 (1907-1913).

وترجمة هذين العملين معاً بالفرنسية:

J.C. Guy,
Les Apophtegmes des Pères du Désert, Bellefontaine (1966).

(ب) المجموعة اللاتينية:

Latin Subject Collection:
Rosweyd, Vitae Patrum III, V, VI, VII under the name of: Verba Seniorum., (Anvers 1615).

وترجمتها الفرنسية:

Draguet, Les pères du désert, (Paris 1949).

وترجمتها الإنجليزية:

H. Waddell, The Desert Fathers, (London 1926).

(جـ) المجموعة القبطية:

Coptic Subject Collection:
G. Zoëga, Catalog. Cod. Copt. (Rome, 1904).

وترجمتها الفرنسية:

Le manuscrit de la version copte en dialecte sahidique des Apophth. patr., (Le Caire 1960).

(د) المجموعة السريانية:

Syriac Subject Collection:
E.A.W. Budge, The Book of Paradise II, (London 1904).

وترجمتها الإنجليزية:

E.A.W. Budge, The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt of the Apophth. Pat. by «Anan Isho» of Beth Abhe. (Oxford 1934).

(هـ) كتاب بالفرنسية يحتوي على النصوص اليونانية واللاتينية والقبطية والحبشية والأرمنية والسريانية سواء نشرت أم لم تنشر قبلاً:

Les Sentences des Pères du Désert (3 vol.), Abbaye Saint-Pierre de Solesmes.

وكتاب دراسة في النصوص اليونانية لأقوال الآباء:

J.C. Guy, Recherches sur la tradition Grecque des Apopht. Pat. (Bruxelles 4, 1962).

٥ ــ كتاب سيرة القديس أنبا مقار لمؤلفه القديس سيرابيون بالقبطية تحقيق المؤرخ أميلينو:

Amélineau, Histoire des Monastères de la Basse-Egypte (ADMG XXV).

والنص اليوناني لما قام بنشره العالم كوتلييه ثم تسجل في مجموعة الآباء اليونان.

P.G. LXV. 257 ff. & XXXIV, 236 f.

و يلاحظ الآتي:

(أ) أن التسجيل اليوناني في الباترولوجيا لسيرة أنبا مقار يحتوي على ٤١ قولاً من أقوال القديس، في حين أن السيرة القبطية تحوي ٢٨ قولاً. أما الأقوال المشتركة بين الإثنين فعددها ٢٢ قولاً.

(ب) كما يلاحظ في السيرة القبطية أن كل إجابة بكلمة «نعم» في اليونانية يقابلها في القبطية كلمة: «بنعمة الله و بصلواتكم» قبل كلمة «نعم» كإصطلاح دائم.

(جـ) و يلاحظ في السيرة القبطية تعيين أسماء المواضع الجغرافية بأسمائها القبطية، أما في اليونانية فنجد الأسماء يونانية. فمثلاً بينا نجد في اليونانية أسم جبل «نتريا» نجد ما يقابله في القبطية جبل «برنوجي».

(د) في السيرة القبطية يهتم الكاتب بذكر دقائق المواضيع والأسماء. فمثلاً بينا نجد كاتب السيرة باليونانية يذكر الكاهن الوثني الذي قابله القديس أنبا مقار بقرب مدينة نتريا بدون تعريف، نجد كاتب السيرة القبطية يعين مدينة اختصاص هذا الكاهن فيقول كاهن بادالاس: Padalas

ثانياً: كتب فرعية لمؤرخين معاصرين لنشأة الرهبنة الأولى

٦ ــ تاريخ الكنيسة لكل من يوسابيوس، وسقراط، وسوزومين، وثيئوذوريت.
وكلها ضمن مجموعة:

N.&P.N.F., 2nd Series, Vols. I, II, III

٧ ــ يوميات چيروم ورسالته:

Hieronymi Chronicon.
Hieronymi Epistola 41.

٨ ــ المؤرخون الكنسيون لجناديوس:

Gennadii De Scriptoribus Ecclesisticis.

٩ ــ سير الآباء لروفينوس:

Rufini: de Vitis Patrum

ثالثاً: كتب تاريخية لمؤرخين وعلماء محدثين جمعوا التراث القديم وحققوه

١٠ ــ تراجم البولاندست Acta Sanctorum

١١ ــ تراجم تيمون:

Mémoires pour servir à l'Histoire Ecclés.; (Paris 1693).

١٢ ــ تاريخ أديرة نتريا وشيهيت ودراسة لمعمارها وبقايا مخطوطات من مكتبة دير أنبا مقار، للعالم الأثري هيو ج. إفلين هوايت ــ ثلاثة مجلدات.

The Monasteries of Wâdi 'n Natrûn: Coptic texts, History, Archeology.

١٣ ــ تاريخ الكنائس والأديرة القبطية القديمة بمصر، بالإنجليزية، للعالم ألفريد ج. بطلر ــ جزءان:

The Ancient Coptic Churches of Egypt,
by A.J. Butler, I, II vols.

١٤ ــ بحث تحليلي في التاريخ اللوزياكي مع عرض للأصول اليونانية، للعلامة الأب الراهب بطلر بالإنجليزية:

The Lausiac History of Palladius I / II
by Cuthbert Butler.

١٥ ــ كتاب كنائس مصر وأديرتها لأبي صالح الأرمني، باللغة الإنجليزية، لكل من إيفتس وبطلر:

Abu Salih the Armenian: The Churches & Monasteries of Egypt & some neighbouring countries.
Tr. by B.T.A. Evetts & A.J. Butler.

١٦ ــ كتاب التاريخ اللوزياكي لأميلينو بالفرنسية:

De Historia Lausiaca.

١٧ ــ سيرة أنبا إشعياء الأسقيطي كما وردت في الباترولوچيا جريكا، ترجمة فرنسية لجماعة دير Bellefontaine

Abbé Isaie, Recueil Ascétique (Spiritualité orientale No. 7).

١٨ ــ دراسة في الروحانية الرهبانية:

Bulletin de Spiritualité monastique, Extrait de Collectanea ord. Cist., Jan. mars 1961, oct. déc. 1961.

ملاحظات هامة:

قد اعتمدنا في بحثنا هذا على الأصول التاريخية الأولى؛ ولم نكن نأخذ بآراء المؤرخين المحدثين إلا إذا وجدناها مطابقة لأقوال الآباء، وكنا دائماً أبداً على اتصال مستمر بالأصول القديمة. وفي كثير من الحوادث لم نكن نكتفي بالنص في المرجع الواحد بل كنا نرجع لكافة المراجع التي بين أيدينا ونأخذ منها ما يطابق روح الآباء.

وكنا لا نكتفي بالمرجع الواحد باللغة الواحدة بل كنا نعود للتراجم الأخرى لهذا المرجع حتى نستخلص المعنى بأكثر قدر من الوضوح. فكنا نتنقل باستمرار من الأصول القبطية إلى اليونانية إلى اللاتينية إلى السريانية للمرجع الواحد. وكنا نستفيد من وراء ذلك إستفادة كبيرة جداً في التعرف على الحقائق وروح الآباء الأصيلة.

أسماء واختصارات بعض المراجع
التي تبحث في تاريخ آباء الرهبنة



Boll. : Acta Sanctorum, Bollandus	العالم المؤرخ الراهب بولاندوس
Laus. : Historia Lausiaca	التاريخ اللوزياكي لباللديوس
SOZ. H.E. : Sozomenus Historia Ecclesiastica	التاريخ الكنسي لسوزومين
Vit. P. : Vitæ Patrum per Rosweidum	سِيَر الآباء
Cotel. : Monumenta Eccl. Graecae per Cotelerium Apophthegmata Patrum	الناشر لأقوال الآباء باليونانية (القرن ١٧)
Casn. : Cassiani Collatio	المناظرات لكاسيان
Ruf. : Rufini Hist. Eccl., Ruf. v.p.	تاريخ الكنيسة لروفينوس ــ أنظر أيضاً
Socr. : Socrates, Historia Ecclesiastica	تاريخ الكنيسة لسقراط
Men. : Menaea magna graecorum	السنكسار الكبير لليونانيين
Ephr. : S. Ephraem Edesseni, Diaconi Confessio et Sui ipsius reprehensio	الإعترافات وتبكيت النفس للقديس أفرآم شماس أوديسا
Eck. reg. : S. Antonii regula Sermones, Vita per Abrahamum Eckellensem	عظات أنبا أنطونيوس في النظام الرهباني وردت في سيرته بقلم إبراهام اكلنسم
Dor. : Dorothaei Archimandritae de Vita recté et pié instituenda liber, seu doctrina	كتاب الحياة الصالحة والتدريبات التقوية للقديس دوروثيئوس. أو كتاب تعاليمه
Jo. D. fid. dorm.: Joannes Damascenus : Damaso de iis qui in fide dormierunt	يوحنا الدمشقي، عن «الذين رقدوا في الإيمان»
Theodo., H.E. : Theodoretus, Historia Ecclesiastica	التاريخ الكنسي لثيئوذوريتوس
Bar. 372 : Baroni Annales in anno Christi 372	حوليات عام ٣٧٢ ميلادي، لبارونيوس
Oros. : Pauli Orosii historia	التاريخ لأوروس
Idat. : Idattii Chronicon	يوميات إيداتوس
Suid. : Suidae Lexicon	قاموس سيدا
Hier. : Hieronymi Chronicon	يوميات چيروم
Hier in Ruf. : Hieronymi in Rufinum	چيروم على روفينوس
Hier ep. 41 : Hieronymi Epistola, 41	الرسالة ٤١ لچيروم
Pall. Dial : Palladii dialogus	أحاديث باللديوس
Paul. ep. 10 : Paulini epistola 10	
Genn. : Gennadii de Scriptoribus Ecclesiasticis	كتاب المؤلفين (المؤرخين) الكنسيين، لجناديوس

Cod. reg. : Codices regularum per Benedictum Anianensem	مجموعة القوانين لبنديكتوس الأنياني
Du Pin. : Bibliothéque des Auteurs ecclésiastiques, Par Mr. Du Pin	مكتبة المؤلفين الكنسيين جمعها المسيو دو بان
Bult. : Histoire des moines, par Mr. Bulteau	تاريخ الرهبنة للمسيو بولتو
Bell. : Bellarminus, de Scriptoribus Ecclesiasticis	المؤلفون الكنسيون لبلارمينوس
Lab. : Philippi Labbei des Scriptoribus Ecclesiasticis	المولفون الكنسيون لفيلبس لاباي
Macar. : Macarius Aegyptius, Homiliae	عظات مقاريوس
Ruf. V.P. : Rufini de vitis Patrum	سير الآباء لروفينوس
Amb. ep. : Ambrosii epistola	رسالة لأمبروسيوس
Pass. asc. : Passin	الأب اليسوعي باسان

ط ١٨ = مخطوطة عن سيرة القديس أنبا مقار منسوبة للقديس سيرابيون تلميذ القديس أنبا أنطونيوس محفوظة بدير القديس أنبا مقار تحت رقم « سير ١٨ » .

وقد قام العلامة أميلينو بتحقيق هذه المخطوطة فانتهى إلى صحتها ونسبها إلى القديس سيرابيون (أو سرابامون) تلميذ أنبا أنطونيوس وقد قال في مقدمة بحثه :

Je regarde, l'atribution de cette vie à l'auteur nommé commes parfaitement certaine et nous sommes en présence d'une oeuvre reéllement authentique.

(Introduction XXVII)

أما مشكلة وجود سيرابيون أسقف تمي وتلميذ أنبا أنطونيوس بعد سنة ٣٧٣ وهي سنة نياحة سيرابيون، لأن كاتب القصة يصف حضوره نياحة القديس أنبا مقار بنفسه، فذلك يرجعه العالم بطلر إلى أن سيرابيون هذا كان بالفعل تلميذاً لأنبا أنطونيوس، ولكن ليس هو الذي صار فيما بعد أسقف تمي. ونحن نظن أنه هو الذي رحل إلى نتريا بعد نياحة أنطونيوس وصار تلميذاً لأنبا آمون ولأنبا مقار ودعي بالكبير.

كتابات الأب متى المسكين

القديس بولس الرسول
شرح رسالة العبرانيين
شرح رسالة رومية
شرح رسالة أفسس
المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢
القديس أثناسيوس الرسولي
الـرهبنـــة القبطيـــة
حياة الصلاة الأرثوذكسية
الإفخارستيا والقداس
التقليد المقدس
القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)
الصليب المقدس
التسبحة اليومية ومزامير السواعي
أعياد الظهور الإلهي
الصوم الأربعيني المقدس
مع المسيح في آلامه حتى الصليب
القيامة والصعود
الروح القدس الرب المحيي

الخــدمة
المسيحي في المجتمع
المسيحي في الأسرة
كيف تقرأ الكتاب المقدس
التدبير الروحى
توجيهات فى الصلاة
القيامة والخليقة الجديدة
القيامة والرجاء الحى
رسالتان في عيدي الصعود والعنصرة
يوم الخمسين في التقليد الآبائي
صوم الرسل ومكانته الروحية
الشهادة والشهداء
التوبة
التوبة والنسك في الإنجيل
العمل الروحى
الفضائل المسيحية
رسائل القديس أنطونيوس
الإيمان بالمسيح
حبة الحنطة
أين شوكتك يا موت

التبرير بين الماضي والحاضر وبين الإيمان والعمل

الوحدة المسيحية

مقالات بين السياسة والدين

ملكوت الله

المرأة حقوقها وواجباتها

الكشف الأثرى لرفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي

لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر

رسائل روحية

إماتة الذات بهدف الحب الإلهي واختبار الله في حياة الراهب

غاية الحياة المسيحية

مع الروح القدس فى جهادنا اليومي

القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي

صوم العذراء وعيد صعود جسدها إلى السماء

رأي فى تحديد النسل

الكنيسة الخالدة

كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة

الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم

لقد وجدنا يسوع - دعوة تعارف

قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)

تغيَّروا عن شكلكم

حاجتنا إلى المسيح

الكتاب المقدس رسالة شخصية لك

الروح القدس وعمله داخل النفس

النعمة في العقيدة والحياة النسكية

التجسد الإلهي

الحدود المتسعة للإيمان بالله

فى تعليم المبتدئين

فى تعليم المبتدئين - خاص بالرهبان

سيرة القديس أنبا مقار

ميلاد المسيح وميلاد الإنسان

قصص مسيحية للحياة (مجلد)

ماهية المسيح - لاهوت المسيح الذي حدَّد مصير الإنسان

المسيح ابن الله

ابن الإنسان اللقب المحبوب عند المسيح

المسيح والمسيا

المسيح رب

المحبوب

الفدية والكفارة

الخلاص والإيمان

عمانوئيل

رئيس الحياة

أنا هو نور العالم

العريس

أنا هو الطريق والحق والحياة

أنا هو خبز الحياة

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ "أ" شارع شبرا - شقة ٤ - ت ٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء - ناصية شارع الغرفة التجارية - ت ٨٠٨٦٣٧